كتاب

تاريخ الامير حيدر احمد الشهابي

" في ثلاثة اجزاء "

الجزء الاول

كتاب الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان وهو يتضمن تاريخ الف وماية واثنين وستين سنة من مولد النبي (صلعم) الى موت الامير احمد المعني

وقد اضيفت اليه حواشي واضافات عديدة بقلم ملتزم طبعه

نعوم مغبغب . ب . ع

طبع بمطبعة السلام باول شارع كلوت بك سنة ١٩٠٠ بمصر

مقدمة ملتزم الطبع

حمداً لمن جعل اخبار الاولين تذكرة للمتأخرين . وسيرة الاقدمين نبراساً وعبرة للمحدثين ولما كان فن التاريخ شاهد الازمنة ونور الحقيقة . ومدرسة الحياة ورسول السلف الى الخلف . ومرآة يرى بها من قراءه احوال الاولين وحسناتهم وسيآتهم فيتبع الاولى ويتجنب الثانية . ولما كانت الاسباب المتشابهة تنتج النتائج المتشابهة حسب الاوليات البديهية فصار التاريخ استاذ الملوك والرعايا ومعلمهم ومرشدهم في اكثر الاحوال والقضايا . ولولاه لتشتتت الوقائع وغرقت الحوادث في بحار النسيان وصارت نسياً منسياً عند كل انسان فسبحانه من اله خالق منان خلق الانسان وميزه بالعرفان وجعل لسانه ترجمان الجنان وخصه بالحكمة والبرهان

ولا يجهل كل انسان ان الحوادث الاولية التي جرت في الاحقاب الخالية . والاعصار الماضية لم يقف الى الآن احد على حقيقتها مع كثرة بحث المتأخرين عنها وتشوقهم الى معرفتها ولم يظهر منها الا اليسير مما هو على السنة العامة ولما كانت التواريخ قليلة وما دوّن منها ذكر فيه تاريخ بلاد دون اخرى ولم يتصل الا الى زمن قصير وخصوصاً تاريخ الممالك الشرقية العربية فانه قليل وما كتب منه لم يف بالمقصود اخذتني الغيرة على وضع مؤلف يذكر فيه تاريخ بلادنا الشرقية وامتنا العربية ولما ابتدأت منذ سنين بالبحث عن هذا الموضوع ذكر لي بعض الافاضل بانه يوجد مؤلف كبير استوفى الموضوع حقه وهو للامير حيدر الشهابي فأخذتني الغيرة بالبحث على ايجاد نسخة كاملة من هذا التاريخ فصرفت نحواً من عشر سنوات الى ان وجدت ضالتي بكمالها بخط قديم واضح وغب مراجعتها وجدتها ناقصة في كثير من المباحث ولكن كون شهرته عظيمة بهذا المقدار عزمت على طبعه بحروفه وانما كونه رتب ابوابه السنين . اضفت اليه تبويباً جديدا لسهولة المراجعة ووضعت التاريخ المسيحي مقابل السنين الهجرية واضفت اليه

حواشي كثيرة لاتمام الفائدة وقدوضعت مضافات الحواشي بحرف آخر تمييزًا للاصل لكي يكون الاصل على حقه بحروفه · واضفت اليه ما تركه المؤلف لسبب وفاته بدون اكمال اي كفاية تاريخ الامير بشير عمر الكبير والحقته بما اهمله المؤلف من حوادث سنين كثيرة وراجعت الحوادث من مصادرها وصححتها وتمييزها وضعتها بين هلالين تكملة للفائدة فجاء تاريخًا مطولا تهم معرفته الجميع وتلذ مطالعته لكل رفيع ووضيع واسأل الله ان يجعله نافعًا لكل من يطالعه وهو حسبي ونعم الوكيل

تنبيه

ان تأليف الامير حيدر يطبع بالحرف الثاني والزيادات في المتن كذلك ولكنها توضع بين هلالين وفي الحاشية بحرف ثالث و ﻫ معناها سنة هجرية و م معناها سنة مسيحية و = التي بينهما معناها توافق والحرف (ط) يراد به الطبري والحرف (س) يراد به المسعودي والحرف (ف) يراد به ابو الفرج بن هرون الطبيب

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

الحمد لله مبدع الكائنات · ومرتب زمان الدهور والاوقات · ومشيد اركان الملوك و لولاة · في سائر الاقطار والجهات · على أحسن نظام واكمل صفات · حمدا يزلفنا الى تبجيل قدرته الالهية · وعنايته الصمدانية · في تدبير الجبلة البشرية راجين من مراحمه الغنية · وفاياتنا في هذه الدنيا الدنية · من الحوادث الكونية و يمن علينا بميراث تلك الاخدار السماوية

أما بعد حينما اطلعت على ما سلف من حوادث الاعصار · من بعض كتب

مورخي حقائق المواقع والاخبار . من ظهور النبي المختار . و بعده الخلفاء الابرار . ودولة الامويين ثم دولة العباسيين . وملوك الروم والقياصرة . وملوك الفرس الاكاسرة ثم دولة العلويين والايوبيين . وملوك النصارى الغربيين . ثم دولة المغول أي التتر ودول الترك والكرج والبربر . و بعض حوادث شرقية ووقائع غربية . نخبتها من التواريخ القديمة . والتحارير المستقيمة . من الرواة المحققين . والعلماء الصادقين . وعدلت عما سواهم في ايضاح التخبير . واتخذت ما هو مشهور . من علماء تلك العصور . وهم الصادقون المحققون . والفضلاء المتورعون . منهم علامة الوقت والزمان . بذلك الدهر والاوان . تاج العلماء وملك الفضلاء غريغوريوس ابو الفرج الاديب ابن هرون الطبيب[1] . ثم الشيخ الامام . ابو جعفر الهمام . محمد بن جرير[2] الطبري . الذي فاق وتقدم ابن العبري . ثم تاريخ الروم المتملكين مدينة القسطنطينية ذلك الحين . ثم تاريخ صاحب صور . الصادق المشهور . وتاريخ ابن سباط[3] . ومروج الذهب المعدودي . الذي يعرف بابي قاسم المسعودي[4] . ثم تواريخ البيعة المطبوعة باسم المعلم بارونيوس مجموعة . وغيرها من حوادث الايام المتغيرة مع تغير الانام كما يراها من قراءها و بالله العناية بحسن البداية والنهاية

---

(١) المعروف بابن العبري وُلد ١٢٢٦ م في ملطية قاعدة ارمينية الصغرى وكان ابوه طبيبًا وجيهًا نافذ الكلمة فلما راى حذق ولده شجعهُ وقواه على ارتشاف العلوم واخيرًا صار راهبًا ثم رقاه البطريرك الى رتبة اسقف ثم ترقى الى رئيس اساقفة في الموصل والعراق وهو من اليعاقبة وكان عالمًا بالسريانية والعربية واليونانية والف تآليف عديدة فيها منها تاريخهُ المشهور باخبار الدول وتوفي في سنة ١٢٨٦ في مراغة من اذربيجان

(٢) لهُ تاريخ مطول ابوابهُ السنون و يشتمل على ١١ جزءًا من الخليقة الى النبي صلعم ومنهُ الى زمانهِ وعلى كل حادثة يذكر الاحاديث المطولة التي استند عليها في اخباره وهذا التاريخ مطبوع في ليبسك . ولد الطبري سنة ٢٢٤ ه في آمل طبرستان وتوفي يوم السبت ودفن الاحد السادس والعشرين من شوال سنة ٣١٠ ه ببغداد

(٣) هو مورخ شهير كان قاضيًا في قرية عالية من جبل لبنان

(٤) هو تاريخ مطوَّل مطبوع على حاشية تاريخ ابن الاثير وهو علي ابن الحسين ابن علي المسعودي الشافعي توفي في سنة ٣٤٦ ه وقد الف تاريخًا مطولاً . ثم اختصره كثيرًا . ثم راى لزوم تاليف كتابهِ هذا متوسطًا بين الاثنين وهو موجود لوحده و يسمى بمروج الذهب ومعادن الجوهر

اما (ظهور الاسلام) قال القاضي صاعد ابن احمد الاندلسي صاحب قضاء مدينة طليطلة[1] ان العرب كانت فرقتين فرقة بائدة وفرقة باقية فاما الفرقة البائدة فكانت اقوام ضخمة كعاد[2] وثمود[3] وطسم[4] وجديس[5] ولتقادم مدة انقراضهم ذهبت عنا حقائق اخبارهم وانقطعت عنا اسباب العلم باثارهم . واما الفرقه الباقية فهي متفرعة من جدّين قحطاني وعدناني ويضمها حالان حال الجاهلية وحال الاسلام . واما حال

---

(١) هي مدينة مشهورة في اسبانيا التي لقبها العرب ببلاد الاندلس ويقول فيها بعض شعرائهم

زادت طليطلةّ على ما حدثوا   بلدٌ عليهِ نضارةٌ ونعيمُ
الله زينهٔ فوشح خصرهُ   نهر المجرّة والغصون نجومُ

(٢) عاد ابن عوص ابن ارم ابن سام ابن نوح كانوا من عباد الاصنام ولهم ثلاثة اوثان وهي صدا وصمود والهبا ارسل الله اليهم هود ابن عبدالله ابن رياح ابن الخلود ابن عاد ابن عوص ابن ارم ابن سام ابن نوح و يظن البعض ان هود هذا هو عابر ابن شالح ابن ارفكشاد ابن سام وقد دعاهم الى ترك اوثانهم وعبادة الله فما سمعوا وطلبوا منهُ آيةً فحبس الله القطر ثلاث سنين فطلبوا الماء وارسلوا من يستقي لهم فاهلكهم الله بريح صرصر اي شديدة

(٣) ثمود ابن جاثر ابن ارم ابن سام ابن نوح وهم ايضًا من القبائل البائدة التي رُوي انهُ لطغيانها وفسادها ارسل الله لهم نبيًا اسمهُ صالح ووعظهم ودعاهم الى عبادة الله وترك اوثانهم فما رضوا وطلبوا منهُ آيةً فاخرجهم وأراهم الارض تميد كالجبال . ثم اخرج لهم ناقة تركها ترعى في ارض الله وسخ لهم بلبنها ولكنهم عقروها فارسل الله عليهم ضرباته وابادهم لطغيانهم . وكل هذه الحكايات عن هذه القبائل ماخوذ من اشعار قديمة عربية تذكر ذلك وقبيلة ثمود كانت تسكن اولاً اليمن ثم طردهم منها حميرا ابن عبد شمس الملقب سبا فنزلوا في الحجر من الحجاز وصار ذلك مثلاً يضرب في تفرق القوم (لعبت بهم ايدي سبا)

(٤) قبيلة طسم من ولد لود ابن سام

(٥) وجديس من ولد جاش ابن ارام ابن سام وهاتان القبيلتان سكنتا معًا الى ان وقع السيف بينهما فبادتا جميعًا وذكرها المتنبي بقولهِ

اشمتَ الخلف بالشراة عداها   وشفى رب فارس من اياد
وملوكًا كامس في القرب منا   وكطسم واختها في البعاد

ومن هذه القبائل ايضًا قبيلة جرهم وقبيلة عمليق . و يظنون ان حصن اليمامة من صنع طسم وجديس ومن اشعارهم قول عفيرة بنت عباد الجديسية و يقال لها الشموس تحرّض قومها على عملاق ملك طسم وكان فاحشًا ظلومًا

لا احدٌ اذلُّ من جديس   اهكذا يفعل بالعروس
يرضى بهذا يالقومي حرٌّ   هذا وقد اعطي وسيق المهرُ
لخوضهِ بحر الردى بنفسهِ   خيرٌ لهُ من فعل ذا بعرسهِ

الجاهلية فحال مشهور عند الامم من العز والمنعة · وكان ملكهم من قبائل قحطان[1] وكان بيت الملك الاعظم في بني حمير فكان منهم الملوك القاهرة والسادة الجبابرة التبابعة · واما ساير عرب الجاهلية بعد الملوك فكانوا طبقتين وهما آل مدر وآل وبر[2] · واما آل مدر فهم الحضر سكان المدن والقرى وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والمواشي والضرب في الحرث والتجارة · واما اهل الوبر فهم سكان الصحاري فكانوا يعيشون من البان الابل ولحومها ويخيمون في البراري يبتغون العشب وطيبة المياه فلذلك لا يزالون في حلٍ ورحيل · وكان ذلك دابهم زمان الربيع والصيف · فاذا جاء الشتاء كشروا[3] الى جهات العراق واطراف الشام فيشتوا هناك مقاسين مصائب الزمان ومصطبرين على بؤس المعيشة · وكانت اديانهم مختلفة وكانت آل حمير تعبد الشمس وآل كنانة القمر وآل ميسم الدبران وآل لخم وجذام المشتري وآل طي سُهيل · وآل قيس الشعرى[4] العبور وآل عطبول الاسد وآل أسيد عطارد · وكان فيهم من يقول من نُحرت ناقته على قبره حُشر راكبًا ومن لم تنحر ناقته حشر ما شيًا · اما علوم العرب التي كانوا يفاخرون بها ويعظمونها فهي علم اللسان واحكام اللغة ونظم الاشعار وتاليف الخطب وكان لهم معرفة باوقات مطالع النجوم ومقارنتها وتلم ما يتولد من الكواكب وامطارها على حسب ما ادركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة · واما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئًا منه فهذا ما كان حالهم في الجاهلية الى حين ظهور خير البرية صاحب الشريعة الاسلامية محمد ابن عبد الله عليه السلام

---

(١) هم العرب العرباء من نسل قحطان منهم من ملك في اليمن ومن ملك في الحجاز · والذين ملكوا في اليمن هم يعرب ابن قحطان ويشجب ابنه وعبد شمس ابنهُ الملقب بسبا واولاده حمير وكهلان وعمرو والاشعر وعاملة · اما الذين ملكوا في الحجاز فاولهم جرهم ابن قحطان ثم عبد ياليل ابنهُ ثم جرثم ابنهُ ثم عبد المدان ثم نغيلة ثم عبد المسيح ثم مضاض الذي تزوج بابنتهِ رعلة اسماعيل ابن ابرهيم الخليل ثم عمرو ابن الحارث ثم مضاض ومنهم العرب العاربة · ومن عدنان العرب المستعربة واشهرها قبيلة فهر الملقب بقريش ومنهم آل قريش وهم سدنة الكعبة

٢ المدر الطين اليابس والقرى والمدن لانها غالبًا تبنى منهُ والحضر يقال ما رايت في المدر والوبر مثلهُ اي بين سكان المدن والبدو (٣) كشر يكشر اي هرب

(٤) يوجد كوكبان بهذا الاسم وهي الشعرى اليمانية وتدعى شعرى العبور لانها تقطع السماء عرضًا ولانها تعبر المجرّة الى سهيل وسميت اليمانية لان مغيبها في شق اليمن والشعرى الشامية لانها تغيب في شق الشام والشعرى اليمانية في كوكبة الكلب الاكبر والشعرى الشامية في كوكبة الكلب المتقدم وهما من القدر الاول والمراد هنا الشعرى اليمانية او العبور

الباب الاول

في تاريخ النبي (صلعم) والخلفاء الراشدين وهو يشتمل على تاريخ ٩٠ سنة من مولد النبي الى ابتداء حكم الخلفاء بني اميه

الفصل الاول

في حياة النبي واعماله وغزواته و بعثته وهجرته

ذكر النسابون ان نسبته ترتقي الى اسماعيل بن ابراهيم الخليل الذي ولدته له هاجر أمة ساره زوجته وكانت ولادته بمكة سنة ٨٩٢[1] الاسكندري ولما مضى من عمره سنتان[2] تقريباً مات عبد الله ابوه . و بقي مع أمه آمنة بنت وهب ست سنين[3] ولما توفت أخذه اليه جده عبد المطلب[4] وحن عليه ولما حضرته الوفاة اوصى ابنه ابا طالب بحياطته فضمه اليه وكفله . ثم خرج به ابو طالب وهو ابن تسع سنين[5] الى

---

(١) قيل والصواب ٨٨٣ الموافقة شهر ابريل نيسان سنة ٥٦٩ ب م وهي عام الفيل في ثاني ربيع الاوّل في دار ابن يوسف التي بنتها ام الهادي مسجداً

(٢) روى بعضهم شهرين بعد ولادته مات ابوه وليس سنتين

(٣) قيل انه بعد موت ابيه لكثرة الهم والحزن نشف لبن امه آمنة . فسلمته لامرأة من بني سعد تدعى حليمة ولها ولد وهو اخوه بالرضاعة يدعى مسرود ر و بقي معها حتى صار عمره ثلاث سنوات ولاسباب احضرته الى امه وتوفي عبد الله بالمدينة ودفن في دار النابغة وقيل انه مات وآمنة حبلى بمحمد

(٤) عبد المطلب متناسل من هاشم لان القريشيين يتفرعون الى فرعين من اخوين هما هاشم وعبد شمس وكانت ولاية سدنة الكعبة مختصة بهاشم . وفي ابتداء الجيل السادس للمسيح رتب هاشم قافلتين للتجارة احدها تذهب الى اليمن والاخرى الى بر الشام . وهذه المتاجر اكسبته اموالاً واسعا وغنىً حتى بهذه الواسطة احرز الولاية على الكعبة . و بعد موته انتقلت هذه الولاية الى ابنه ابي طالب وكان لعبد المطلب عدة اولاد مشهورين بالتاريخ وهم ابو طالب وابو لهب وعباس وحمزة وعبد الله وهو اصغرهم وهو ابو محمد . وكان الزبير وعبد مناف الملقب بابي طالب وعبد الله من ام واحدة

(٥) قيل انه كان ابن اثني عشر سنة وليس تسعة

الشام . فلما نزلوا بصرى[١] خرج اليهم راهب عارف يسمى بحيرا[٢] من صومعته . وجعل يتخلل القوم حتى انتهى اليه فاخذه بيده وقال سيكون من هذا الصبي أمراً عظيماً و ينتشر اسمه في مشارق الارض ومغاربها فانه حينما اشرف اقبل وعليه غمامة مظللة

ولما كمل له من العمر خمسة وعشرون سنة عرضت عليه امرأة ذات شرف وغنى اسمها خديجة ان يخرج في مالها تاجراً الى الشام وتعطيه راسمالاً وجمالاً افضل ما تعطي غيره . فاجابها الى ذلك وخرج ثم رغبت فيه وعرضت نفسها عليه فتزوجها وعمرها يومئذ اربعون سنة[٣] واقامت معه اثنين وعشرين سنة الى ان توفت بمكة . ولما كمل له اربعون سنة[٤] اظهر الدعوة ولما مات ابو طالب عمه وماتت ايضاً خديجة زوجته اصابته قريش بأذىً عظيم واضطهدوه فهرب عنهم الى المدينة وهي يثرب . قال ابو جعفر الطبري اول من آمن به زوجته خديجة ابنة عمه . ثم مولاه زيد ابن ابي حارثة ثم علي بن ابي طالب . ثم جاء ابو بكر بخمسة انفار دعا جميعهم الى الاسلام فاجابوه وهم عثمان ابن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن ابي وقاص وعبد الله بن الجراح هؤلاء الخمسة سبقوا غيرهم الى الاسلام . قال المورخ ولما اظهر الدعوة امر بالايمان بالله وحده وعبادته

---

(١) هي البصرة ولربما بلدة أخرى بهذا الاسم

(٢) قال بعضهم ان الراهب اسمهُ سرجيوس وقيل نسطور وانهُ كان في دير بقرب مدينة تدعى الحيرة وهي اول مدينة بين بلاد العرب والشام وهذا الراهب كان في الحيرة واسمهُ سرجيوس وقيل ان بحيرا اسم لراهب وسرجيوس اسم راهب آخر والله اعلم

(٣) تزوج خديجة وهو ابن خمسة وعشرين سنة ولربما انهُ ابتدا يتاجر بشراكتها قبل ذلك بسنة او اكثر هي خديجة بنت خويلد ابن اسد ابن عبد العزّى ابن قصيّ امراة تاجرة ذات شرف ومال تستتجر الناس وتضاربهم بشيء من ربحهِ ولما ارسلت محمد بتجارة الى الشام ارسلت معهُ عبداً لها اسمهُ ميسرة وخديجة هذه هي ام زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة والقاسم والطاهر والطيب جميع هولاء ولاد محمد . فالقاسم كان النبي يكنى بهِ وقد توفي مع اخويهِ الطاهر والطيب قبل الاسلام والبنات كلهنّ ادركن الاسلام واسلمن وهاجرن معهُ الى المدينة وزينب هي زوجة عثمان ابن عفان ومنزل خديجة اشتراه معاوية وبنى فيهِ مسجداً . وماتت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وعمر النبي ٥٠ سنة

وفي سنة ٣٥ من عمره هدمت قريش الكعبة وجددت بناءها لقصد رفعها

(٤) بعد بناء الكعبة بخمس سنين ومكث بمكة بعد بعثهِ بالنبوة ثلث عشرة سنة . وُلد يوم الاثنين وبعث بالنبوة يوم الاثنين في ١٨ رمضان وقيل في ٢٤ منهُ وهاجر يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين .

والسجود له وحده . ورفض عبادة الاصنام . وامر بالختان وفرض عليهم صوم شهر رمضان والصلوات الخمس والزكاة والحج الى بيت الله الحرام وان لا يوكل الدم والميتة ولحم الخنزير ومن لم يمتثل لذلك قاتلوه وحاربوه . قال واتاه النصارى وغيرهم من الغرب فأمّنهم وكتب لهم كتاباً وكذلك المجوس واليهود والصابئون وغيرهم فبايعوه . واخذوا منه الامان على ان يؤدوا الجزية والخراج . وامر امته بتصديق الانبياء والرسل وما انزل عليهم وان المسيح بن مريم هو روح الله وكلمته ورسوله وصدّق الانجيل والتوراة

(قال) فلم يوافق قريش على ذلك وردوه [١] اشد ردّ (قال) ثم اسلم عمر بن الخطاب فقوّى المسلمين باسلامه وكان يومئذٍ اسلم تسعة وثلاثون وكملوا به على الاربعين (قال) فكتبت قريش صحيفة ان لا يعامل بنو هاشم بني المطلب [٢] ولا يخالطوهم وعلّقوها في الكعبة

وفي السنة الاولى من هجرته للمدينة الموافقة ٦٢٢ ب م (قال) ابو جعفر الطبري في السنة الرابعة عشرة [٣] هجر الى المدينة ومعه ابو بكر الصديق وعامر بن فهر مولى ابي

---

(١) ان قريش كانت تعبد اللات والعزّى وهبل ومناة ولما قام النبي بينهم داعياً الى توحيد الله قاوموه ورفضوه فالتزم ان يخرج الى الطف يلتمس من بني ثقيف النصرة على قومه والمنعة له منهم. واول وصوله قابل ثلاثة اخوة من اشراف ثقيف وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين فدعاهم الى الاسلام فابوا وسخروا به وكان يخرج في كل المواسم ويدعو العرب للاسلام. ومن شدة المقاومة التي صارت له ولتابعيه هاجر احد عشر رجلاً واربع نساء الى الحبشة وذلك في رجب السنة الخامسة لابتداء نبوته وقيل انه استمرت المهاجرة حتى بلغ عدد المهاجرين اثنين وثمانين رجلاً ثم بلغهم ان بني قريش اسلموا فرجعوا الى ملته

(٢) تآمروا عليه وعلى تابعيه ان يكبلوه بالحديد وقال قوم يلزم نفيه وقال غيرهم ان يختاروا شاباً من كل قبيلة ويضربوه بالسيوف ويقتلوه ولما عرف بمكيدتهم خرج ووضع علياً ابن ابي طالب في فراشه وقيل ذرّ التراب على الذين حول بيته فاعماهم واعمى الله قلوبهم ثم لحقه ابو بكر وغيره. وكان سبقه بالهجرة الى المدينة ابو سلمى ابن عبد الاسد ثم عامر ابن ربيعة مع امرأته ليلى وكان ذلك قبل بيعة العقبة بسنة وذهب اولاً واختفى في الغار المشهور وبقي مدة مختبئاً ويقال انه بآية نسج العنكبوت على باب الغار وعشش الحمام في مدخله بحيث مرّ الذين تبعوه ولم يتصوروا امكان دخول احد اليه والى ذلك يشير محمد البوصيري بقوله

ظنوا الحمامَ وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

(٣) اي السنة الرابعة عشرة لبعثه بالنبوة وهي السنة الرابعة والخمسون من عمره (حيث كما سبق بعث وعمره اربعون سنة) ومكث في مكة ١٣ سنة وفي السنة الرابعة عشرة هاجر الى المدينة

بكر ودليلهم عبد الله بن ارتق وتخلف عليّ عنه ثلاثة ايام باذنه لقضاء اشغاله ثم لحق به وكان دخوله الى المدينة يوم الاثنين نصف النهار في شهر ربيع الاول[١] وقام نازلاً على ابي ايوب خالد بن زيد حتى بنى مسجده ومساكنه[٢] ثم تحول اليها .

وقال ابو جعفر المذكور ان في هذه السنة تزوج علي بن ابي طالب فاطمة ابنة النبي محمد (صلعم)

وفي السنة الثانية من هجرته الموافقة ٦٢٣ م كانت غزوة بدر[٣] الاولى وغزوة بدر الكبرى قُتل فيها صناديد قريش وكانت ليلة الجمعة في السابع[٤] عشر من شهر رمضان لانه سمع بان ابا سفيان بن الحرث مقبل الى الشام في عزّ عظيم في اموال قريش فخرج لاخذها فلجأ ابو سفيان بالعز[٥] الى مكة وكان عدد المسلمين ثلاث ماية وتسعة عشر رجلاً وكان عدد المشركين من اهل مكة ما بين تسعماية والف فانتصر المسلمون وقتلوا من المشركين سبعين رجلاً[٦] واسروا مثلهم وقُتل من المسلمين اربعة عشر رجلاً وفيها كانت غزوات كثيرة[٧]

---

(١) في ١٢ ربيع اوّل يوم الجمعة خطب اول خطبة بالمدينة

(٢) بنى المسجد بنفسهِ ومعاونة اصحابه من المهاجرين والانصار وفي هذه السنة بنى مسجد قباء واول من توفي بعد وصولهِ للمدينة كلثوم ابن الهدم ثم اسعد ابن زرارة وكان تزوج عائشة ابنة ابي بكر قبل الهجرة بثلث سنين وقيل ان عمرها كان ٦ سنوات وقيل سبع وفي هذه السنة بنى لها مسكناً في المدينة

(٣) هي بيرماء كان يقام عليها سوق كل سنة تجتمع اليهِ العرب

(٤) قيل في ١٩ رمضان وقيل في ١٧ منهُ

(٥) استعان باهل مكة لما علم ان محمد وقومهُ ينتظرون سلب اموالهم وتجارتهم قرب بير بدر

(٦) الصحيح اربعة واربعين والقتلى مثلهم واما العدد سبعون فهو اسرى وقتلى غزوة احد

(٧) غزوة الابواء او ودّان وغزوة بواط وغزوة ذات العشرة وغزوة بني قينقاع وغزوة بني سليم وغطفان . وغزوة السويق

وفيها صرفت قبلة المسلمين من اورشليم الى الكعبة في نصف شعبان بعد قدومهِ بثمانية عشر شهراً وفيها فرض صوم رمضان لانهُ بعد وصولهِ للمدينة راى اليهود يصومون يوم عاشوراء فسالهم عن سببهِ فقالوا انهُ اليوم الذي غرق فيهِ آل فرعون ونجا موسى وقومه وفيها تزوج النبي (صلعم) سودة بنت زمعة . وفيها زوّج ابنتهُ زينب لابي العاص ابن الربيع . وفيها ردّ او طلق عتبة ابن ابي لهب رقية ابنة النبي فازوجها الى عثمان ابن عفان و بعد غزوة بني قينقاع كان اوّل خمس خمسة الرسول واول ضحية ضحاها في المدينة في ١٠ ذى الحجة وفيها وُلد الحسن ابن علي على رواية بعضهم وقيل في السنة التالية كما ياتي

وانزل عليهِ بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة

وفي هذه السنة ذُكر في تاريخ الروم ان الملك هرقل كان متملكاً على القسطنطينية فاخذت الفرس قيسارية الكبادوك واستاسروا كثيراً فاصبح ملك الروم بحيرة عظيمة

وفي السنة ٣ هـ = ٦٢٤ م حاصر النبي اليهود خمس عشرة ليلة حتى نزل على حكمهم وسباهم وغنم المسلمون اموالهم [١] وفيها سيّر سيرةً لقتل كعب ابن الاشرف اليهودي [٢] وكان شديد العداوة لهم . قال وفيها كانت غزوة أُحد في يوم السبت في نصف شهر شوال وأُحد جبل قريب من المدينة وكان عدة المشركين ثلاثة آلاف شخص ومعهم مائتا فارس وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة وقائدهم ابو سفيان ابن الحرث وعدة المسلمين الف شخص فكانت الكسرة اولاً للمسلمين ثم عادت للمشركين فقُتل من المسلمين سبعون رجلاً ومنهم حمزة ابن عبد المطلب وكان يوم بلاء باشر فيه محمد القتال بنفسه فرماهُ عقبة ابن ابي مفيض فكسر رباعته اليمنى وجرح شفته السفلى . وشجّه عبد الله ابن شهاب في جبهته وجُرح في وجنته وسقطت ثنيتاه وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلاً .

وفيها أَتت عساكر الفرس الى فلسطين وتملكوا اورشليم وذلك بمكيدة اليهود وقتلوا اناساً لا يحصي عددهم الا الله المعبود

وفي سنة ٤ هـ = ٦٢٥ م كانت غزوة بني النضير [٣] اليهود فنزلوا من حصونهم فالزمهم على الجلاء من بلادهم فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى [٤] الشام وتبعهم المنذر ابن عمر الساعدي الى بير معاوية . وفيها كانت غزوة بدر الاخيرة [٥] وفي هذه السنة تملكت

---

(١) وفيها غزوة نجد وغطفان ايضاً وفيها كانت غزوة القردة وهي ماء من مياه نجد

(٢) فيها قتل ابو رافع وكان في حصن له في الحجاز فارسل اليهِ سرية وقتلهُ لانهُ كان يحزّب ابن الاشرف ضد الرسول

وفيها تزوج النبي (صلعم) بحفصة بنت عمر في شعبان وهي ارملة خنيس ابن حدافة السهمي وزوّج عثمان بام كلثوم ابنتهِ وفيها على الراي الصحيح ولد الحسن ابن علي في نصف شهر رمضان

(٣) اجلى بني النضير عن ديارهم لانهم تامروا على قتلهِ وتنزيل الصخرة عليهِ

(٤) الى اذرعات الشام

(٥) وفيها غزوة الرجيع في صفر وهي ماء لهذيل بناحية من الحجاز . وفيها غزوة بير معونة التي قتلت السرية المرسلة عن آخرها وذلك في هذه البير التي هي بين ارض بني عامر ومرّة وبني سليم وفيها غزا نجداً يريد بني محارب ابن ثعلبة ابن غطفان وهي غزوة ذات الرقاع وقيل ان هذه الغزوة كانت في السنة الخامسة وفيها مات عبد الله ابن عثمان ابن عفان

الفرس مصر والاسكندرية والنوبة والحبشة وسبواسبياً كثيرا ثم رجعوا الى كرشدبونا ولم يقدروا ان يملكوها

وفي سنة ٥ ﻫ = ٦٢٦ م كانت غزوة الخندق فاجتمعت الاحزاب وهم قريش وبنو قريظة والنضير وغطفان وسليم وكان مقدم القوم حبيب ابن اعطب وسلام ابن أبي الحقيق وغيرهما وجاء يوسف ابن حارث يقود قريش وتبعه في عشرة الاف وجاء بنو غطفان وعليهم عتبة ابن حصن الفزاري وغيره فاشار سلمان الفارسي أن يحفروا الخندق ونازلهم المشركون عشرين ليلة ثم ان نعيم ابن مسعود الغطفاني اسلم وسعى في تخذيل الاحزاب وافسد فيما بينهم وعند الحرب انهزموا وكان عدة من قتل من المسلمين خمسة وعشرون ومن المشركين ثلاث مائة

وفيها كانت غزوة قريش[1] خرج اليهم النبي فحاصرهم خمسة وعشرين يوماً واشتد عليهم البلاء فنزلوا على حكم سعد ابن معاذ وكان عليٌّ متألماً من الجرح الذي اصابه يوم الخندق ثم حكم بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وكانوا أنوف من سبعمائة ومنهم حبيب ابن اعطب وجعلوهم في خنادق حُفرت لهم بسوق المدينة وقسمت نساؤهم واولادهم واموالهم بين المسلمين[2]

وفي سنة ٦ ﻫ = ٦٢٧ م كانت صلوة الاستشفاء · وكانت فيها غزوات[3] كثيرة فمنها غزوة بني المصطلق التقاهم ابو سفيان وهزمهم واباح نساءهم واولادهم وكانت

وفيها تزوّج الرسول زينب بنت خزيمة (ام المساكين) من بني هلال في شهر رمضان · وتزوّج ايضاً بام سلمى بنت ابي امية في شوال وفيها ولد الحسين ابن علي في شهر شعبان

(١) في شهر شوال

(٢) وفيها غزوة دومة الجندل في ربيع اول وايضاً غزوة بني قريظة وقيل ان غزوة بني المصطلق كانت فيها وقيل في السنة السادسة

وفيها تزوج النبي صلعم زينب بنت جحش زوجة زيد ابن حارثة · ونزلت الآية بخصوصها

(٣) غزوة اصحاب الرجيع وغزوة ذي قرد اشتهر فيها سلمة ابن عمر الملقب بالاكوع وسرية عكاشة ابن حصن وسرية محمد ابن مسلمة وسرية عبيدة ابن الجراح وسرية زيد ابن حارثة على بني سليم وسريته الى القيص وسريته الى بني ثعلبة وسريته الى وادي القرى وسريته الى ام قرفة وسريته الى حسمى وسرية عبد الرحمن ابن عوف الى دومة الجندل وامره ان اطاعوك تزوج ابنة ملكهم فاسلم القوم وتزوج تماضر بنت الاصبغ وسرية علي ابن ابي طالب الى فدك وسرية كرز ابن جابر الفهري الى العرفيين الذين قتلوا راعي الرسول

وفيها صارت بيعة الرضوان تحت الشجرة وفيها صالح الرسول سهيل ابن عمرو على كف الحرب

فيهم ابنة الحارث اتخذها النبي لنفسه وجعل صداقها عتق من استأسر من قومها · ثم كانت غزوة الحديبية وهو موضع قريب من مكة في طريق جدة ثم وقع الصلح بينه وبين قريش على وضع الهدنة عشر سنين فمن احب الدخول في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب الدخول في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ومن اتى محمداً من قريش باذن وليه رُد اليه ومن اتى قريش من اصحاب محمد بغير اذنه لم يُرد اليه · وان يرجع محمد باصحابه عامهم هذا و يدخل عليهم في اصحابه فيقيم ثلاثة ايام لا يدخل عليهم بسلاح الا بسلاح المسافر في القرب وكان الذي وقع معه عقد الصلح سهل ابن عمر العامري وكان الكاتب علي ابن ابي طالب · وفيها كانت بيعة الرضوان وكانت البيعة تحت الشجرة وفقدت بعد ذلك وقيل ان السيول ذهبت بها

وفي السنة ٧ (١) ﻫ = ٦٢٨ م اتخذ محمد المنبر وقيل ان امرأته قالت له ان لي غلاماً نجاراً أفلا آمره ان يتخذ لك منبراً قال بلى فاتخذ له منبراً من طرفاء الغابة وقيل كان من أثل وكان المنبر بدرجتين ومجلس · وكان قبل المنبر يستند الى جذع في المسجد اذا خطب وبقي المنبر الى ان تولى معاوية ابن ابي سفيان فزاد فيه ست درجات ولم يُغير بعد ذلك · واول من كساهُ عثمان بن عفان

وفي السنة ٨ ﻫ = ٦٢٩ م كان فتح مكة وذلك ان قريشا نقضت العهد فسار اليهم في عشرة الاف من المسلمين حتى نزل مرّ الظهران فاتاه عمه العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن حارث فاسلم فقال من دخل دار ابي سفيان

عشر سنوات وفيها تزوج عمر ابن الخطاب جميلة بنت ثابت ابن ابي الافلح فولدت له عاصم ثم طلقها فتزوجها يزيد ابن جارية فولدت له عبد الرحمن ابن يزيد · وفيها بعث سليط ابن عمر الى هوزة ابن علي صاحب اليمامة و بعث العلاء ابن الحضرمي الى المنذر ابن ساوى وعمر و ابن العاص الى جيفر وعباد صاحبي عمان و بعث حاطب ابن ابي بليقة الى المقوقس صاحب الاسكندرية يدعوه للاسلام فلم يسلم فاهداه المقوقس اربع جوار منهنّ مارية القبطية ام ابرهيم · وابن دحية ابن خليفة الكلبي الى قيصر ملك الروم وهو هرقل

(١) وفيها خرج الى خيبر واستظهر عليهم واقتسموا السبي فاصابه صفية بنت حيي ابن اخطب فتزوجها وقد فعل علي في هذه الغزوة افعال الابطال في حربهم وفتحوا خيبر في صفر واقتسموها وفيها غزوة وادي القرى · وفيها بعث عمر ابن الخطاب الى عجز هوازن و بعث بسرايا اخر عديدة وفيها بعث المقوقس مارية وشيرين فاسلمتا وتزوج مارية وزوج شيرين الى حسان ابن ثابت وتزوج النبي (صلعم) بميمونة بنت عارف في حجته الاخيرة الى مكة

فهو آمن ومن غلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن · ودخل مكة من غير قتال وامّن جميع اهلها الا نفرًا قليلاً اهدر دماءهم فقتلوا · وكان فتح مكة في عشرة بقيت من شهر رمضان · وكان فتحها صلحًا · وقيل عنوة · وفي هذه السنة كانت غزوة[1] حنين وهو وادي معروف · قال ولما سمعت هوازن بفتح مكة اجتمعت الى مالك بن عوف فاجتمع بنو ثقيف وساروا بالنساء والاموال فسار اليهم باثني عشر الف رجل فالتقى الفريقان بحنين وكانت الكسرة اولاً للمسلمين ثم بعد ذلك انهزم المشركون · وغنم المسلمون غنايمهم جميعها وكانت ستة الآف من البقر واربعماية الف شاة واربعين اوقية فضة · وقتل من بني ثقيف في هذه الوقعة تسعون رجلاً · وقتل من المسلمين اربعة اشخاص وجمعت الاموال والسبايا بالجعرانة · ومضى الى الطايف وحاصرها · ثم رحل عنها ونزل بالجعرانة وفيها سبايا هوازن فاتى فداهم اليه وسالوه ان يمن عليهم بها وقالوا انما هم عماتك وخالاتك · فخيرهم بين النساء والابناء والاموال · فاختاروا النساء والابناء فسلمها اليهم ثم فرق الغنايم

ذكر في تاريخ الروم فيها ارسل الملك هرقل الى الملك كسرى يطلب منه الصلح · فردّ عليه جوابًا ان اراد الصلح وكف العساكر عن بلاده فليسجد للشمس والنار · فلما رجع ذلك الجواب الى الملك هرقل استعد لمحاربة الفرس واستدان جميع الفضة والذهب الذي في كنائس الروم لانه كان في غاية الضيق · ثم جمع العساكر وسار طالبًا حرب الفرس ولما علم كسرى سير اليه عساكره مع قائدهم صابين بجيوش كثيرة ففنى كل بلاد الاناضول واتى الى خاكيدون ومكث فيها ايامًا كثيرة وارسل الى الملك

---

(١) عدا غزوة حنين وفتح مكة حدث عدة غزوات وارسل عدة سرايا · وفيها غزوة الخبط وسميت كذلك لاكلهم لحم الخبط وهو نوع من السمك · وغزوة مؤتة وهي بلدة من البلقاء قرب عمان وكان المسلمون ٣ آلاف والاعداء هرقل والروم والعرب من لخم وجذام وغيرهم ماية الف فكانوا في قرية اسمها المشارق والمسلمون في قرية موءتة · وفيها غزا خالد ابن الوليد بني جذيمة وغزوة الطائف وتزوج الرسول مليكه بنت داود الليثية · وفاطمة بنت الضحاك الكلابية وولدت مارية ابرهيم فدفعهُ الى ام بردة بنت المنذر لترضعهُ · وفيها هدم خالد العزّى ببطن نخلة وهي صنم بني شيبان وهدم صداع عمرو ابن العاص وهدم سعدا بن زيد الاشهي مناة · وفيها بعث العلاء ابن الحضرمي الى المنذر ابن ساوى العبدي وبعث عمرو ابن العاص الى جيفر فاسلم وبعثهُ ايضًا الى السلاسل · وفيها توفيت زينب ابنة الرسول عن يحيى ابن عبدالله

هرقل ليستدعيه بغش متظاهراً له انه يريد الصلح . فصدق الملك هرقل قوله وارسل له سبعين رجلاً من عظماء عساكره ودولته ليقيم معه الصلح . فلما وصلوا اليه غلّهم بالقيود وارسلهم الى الملك كسرى فغضب لاجل ذلك على صابين قايد جيشه لكونه لم يحتل على اغتلال الملك هرقل ايضاً فارسل وعزله . وأما هرقل فانه حزن على خواصه حزناً عظيماً ولبس خفاً اسود واعتدّ للحرب وعزم ان يقاتل بنفسه . ثم سافر في البحر بعساكره الى عبر بحر الاسود وصار طالباً بلاد الفرس وطلب المعونة من الترك والغرب وسار معه جيوش كثيرة . ولما قرب من ارمينية كبس عساكر الفرس غفلةً فظفر بهم وقبض على قايدهم وقتله وقتل منهم كثيراً . وكان قد برز الملك بذاته لمحاربتهم ورجع الهاربون من الفرس واعلموا الملك كسرى بما حل بهم من الروم فغضب جدًّا وجمع العساكر وكان الملك هرقل في دخوله الى بلاد الفرس انه احرق حصونهم وسير قدامه الذين اتوا الى نجدته من المغاربة فالتقوا في عساكر الفرس وهزموهم وقتلوا قائدهم . ولما بلغ كسرى ماحلّ بعساكره هرب من حصن غازاكون واتى هرقل وملك الحصن وغنم خزاين كسرى وهدم بيوت النيران . واسر كثيرين ثم اعتقهم ورجع الى القسطنطينية ظافراً

وفي السنة ٩ هـ = ٦٣٠ م كانت غزوة[١] تبوك فنزل محمد بنفسه عليها وصالح صاحب دوما وصاحب ابله[٢] على اداء الجزية واقام بتبوك نحو عشر ليال ثم انتقل الى المدينة في شهر رجب وهي آخر غزواته . وفي هذه الغزوة انفق عثمان ابن عفان على الجيش نحو الف دينار

وفي السنة ١٠ هـ = ٦٣١ م كثر قدوم العرب اليه ودخل الناس في دين الاسلام افواجاً وقويت كلمته . وفيها ارتد مسيلمة الكذاب وادعى بانه شريكه في النبوة وتبعه قومه من بني حنيفة باليمامة . وفيها حج محمد حجة الوداع وكان دخوله مكة في ٢٠ ذي الحجة ووعظ الناس وعرّفهم مناسكهم ورجع الى المدينة . وفيها تنبأ باليمامة مسيلمة الكذاب وجعل يسجع مضاهياً القرآن . فيقول لقد انعم الله على

---

(١) قبل غزوة تبوك وفد اليه كثيرون من قبائل العرب وغيرهم واسلموا وسالوه ان يهلهم بهدم اللات فلم يجبهم وارسل ابا سفيان فهدمها

(٢) هذه الغزوة كانت ضد الروم والنبي (صلعم) حث عليها الاغنياء لكي يبذلوا من ما لهم بالنفقه فتسابقوا في ذلك وسبق الجميع عثمان ابن عفان وماتت ام كلثوم ابنة الرسول

الحبلى . واخرج منها نسمةً تسعى . بين صفاقٍ وحشا . وفي هذه السنة كانت وفاة محمد مرض وتوفي يوم الاثنين لثلاثٍ بقينَ من صفر وكان عمره ثلاث وستون سنة منها اربعون سنة قبل دعوة النبوة واقام بعدها ثلاث عشرة سنة بمكة . وعشر سنوات اقامها بالمدينة بعد الهجرة . ولما توفي اراد اهل مكة من المهاجرين ردَّه اليها لانها مسقط راسه واراد اهل المدينة من الانصار دفنه بالمدينة لانها دار هجرته ومدار نصرته . واراد جماعة نقلهُ الى بيت المقدس في اورشليم لانه موضع دفن الانبياء . ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة فدفنوه في حجرته حيث قبض واختلفوا في عدد ازواجه . واكثر ما قالوا سبع عشرة امراءة ماعدا السراري وولد له سبعة اولاد ثلاثة بنين واربع بنات كلهم من خديجة الا ابراهيم ابنه فانه من ماريا القبطية التي بعث بها المقوقس من الاسكندرية مع اختها شيرين . ولم يمت من نسائه قبله الا اثنتان . ولم يعش من اولاده بعدهُ الا ابنة واحدة وهي فاطمة زوجة عليّ بن ابي طالب وتوفت بعد ابيها بثلاثة شهور وقد ادعى علماء المسلمين ورود ذكره في كتب الله المنزلة . اما في التوراة ففي آية « جاء الله من سيناء واشرق من سعير واستعلن من جبال فاران » . قالوا هذه اشارة الى نزول التوراة على موسى . والانجيل على عيسى والقرآن على محمد . واما في الزبور ففي آية « يظهر الله من صهيون اكليلاً محموداً » قالوا الاكليل رمز عن الملك . والمحمود عن محمد عليه السلام . واما في الانجيل ففي آية « ان لم اذهب فالفارقليط لا يجيئكم » وقد نقل عنه معجزات كانشقاق القمر وانجذاب الشجر اليه وتسليم الحجر عليه ونبوع الماء من بين اصابعه واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وحنين الخشب وشكاية الناقة وشهادة الشاة المشوية بقول ذراعها لا تأكلني فاني مسمومة . ولكن لم يبلغ ذكر هذه الغرائب حدّ التواتر بل انما نقلت على سبيل الاحاديث . وكان اعتماد العلماء من المسلمين في اثبات نبوته على القرآن . وادعوا فيه الاعجاز لانه تحدّى الفصحاء لمعارضته وهم عجزوا عن الاتيان بسورة واحدة من مثله

(فرق الاسلام) وقد وقع في الاسلام اختلافات شتى كما وقع في غيرهم من الاديان بعضها في الاصول وهي موضوع علم الكلام . وبعضها في الفروع وهي موضوع علم الفقه . والخلاف في الاصول منحصر في اربع قواعد الاولى الصفات والتوحيد . والثانية القضاء والقدر . والثالثة الوعد والوعيد . والرابعة النبوة والامامة . وكبار فرق الاصوليين ستة

المعتزلة والصوفية وهما متقابلتان تقابل التضاد . وكذلك القدرية تضاد الجبرية . والمرجية الوعيدية . والشيعية الخوارج . ويتشعب عن كل فرقة اصناف فتصل الى ثلاث وسبعين فرقة . اما المعتزلة فالذي يعمهم من الاعتقاد القول بنفي الصفات القديمة عن ذات الباري تعالى هرباً من أقانيم النصارى . فمنهم من قال انه تعالى عالم لذاته لا بعلم . وكذلك قادر وحي . ومنهم من قال انه عالم بعلم هو ذاته وكذلك قادر وحي . فالاول نفي الصفة رأساً والثاني أثبت صفة هي بعينها ذات الله . واتفقوا على ان كلامه تعالى محدث بخلقه في محل . وهو حرف وصوت وكتب مثاله في المصاحف . و بالجملة نفي الصفات مقتبس من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذات الله تعالى واحدة لا كثرة فيها بوجه . ومن المعتزلة أحمد ابن حائط زعم ان المسيح تدرّع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما يقول النصارى . ومن المعتزلة أيضاً عيسى الملقب بالمزدار بالغ في القول بخلق القرآن وان العرب كانوا قادرين على الاتيان بمثله فصاحةً و بلاغةً لو لم يُمنعوا عن الاهتمام به . و بازاء المعتزلة الصفاتية . وهم يثبتون لله صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة وغيرها . و بالغ بعضهم في اثبات الصفات كالسمع والبصر والكلام الى حد التجسيم فقالوا لابد منها ومن اجراء الآيات الدالة عليها كالاستواء على العرش والخلق باليد وغيرهما حاملين الكلام على ظاهره بدون تأويل . الا ان قوماً منهم كأبي الحسن الاشعري وغيره لما باشروا علم الكلام منعوا التشبيه وصار ذلك مذهباً لاهل السنة والجماعة . وانتقلت نسبة الصفاتية الى الاشعرية . واما القدرية فهم معتزلة ايضاً ولقبوا بالقدرية لاعتقادهم بنفي القدر لا لاثباتهم اياه فانهم يقولون ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً . فالرب تعالى منزه عن ان يضاف اليه شر وظلم . وسموا هذا النمط عدلاً وحدوه بانه اصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة لمقتضى العقل من الحكمة . و بازاء القدرية الجبرية الذين ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد و يقولون ان الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الانسان قدرة متعلقة بذلك الفعل ولا تأثير لتلك القدرة على ذلك الفعل . ومنهم من يثبت للعبد قدرة ذات اثر ما في الفعل و يقولون ان الله مالك في خلقه يفعل فيهم ما يشاء . ولا يسأل عما يفعل . فلو ادخل الخلائق باجمعهم الجنة لم يكن حيفاً[1] . ولو ادخلهم باجمعهم النار لم يكن جوراً بل هو في كل ذلك عادل لان العدل على رأيهم هو التصرف

(١) وروي في بعض النسخ جنفاً وهما بمعنى واحد

فيما يملكه المتصرف . واما المرجية فهم يقولون بارجاء حكم صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة اي بتاخيره اليها . فلا يقضون عليه بحكم ما في الدنيا من كونه ناجياً او هالكاً و يقولون ايضاً انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . و بازاء المرجية الوعيدية القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار ولو كان مؤمناً لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار . واما الشيعة فهم الذين شايعوا علي بن ابي طالب وقالوا بامامته بعد النبي وان الامامة لا تخرج من اولاده الا بظلم الائمة و يجمعهم القول بثبوت عصمة الائمة وجوباً عن الكبائر والصغائر . فان الامامة ركن من اركان الدين لا يجوز للنبي اغفاله ولا تفويضه الى العامة ومن غلاة الشيعة النصيرية القائلون بان الله تعالى ظهر بصورة علي ونطق بلسانه مخبراً عما يتعلق بباطن الاسرار . وقوم منهم غالوا في حق ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم باحكام الهية . و بازاء الشيعة الخوارج فمنهم من خطأ علي بن ابي طالب فيما تصرف فيه . ومنهم من تخطى تخطئته الى تكفيره ومنهم من جوز ان لا يكون في العالم امام اصلاً . وان احتيج اليه فيجوز ان يكون عبداً او حراً نبطياً او قرشياً اذا كان عادلاً فان عدل عن الحق وجب عزله وقتله . فهذا اقتصاص[١] مذاهب الاصوليين على سبيل الاختصار . واما مذاهب الفروعيين المختلفين في الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية فالمشهورة منها اربعة . مذهب مالك بن انس . ومذهب محمد بن ادريس الشافعي . ومذهب احمد بن حنبل ومذهب ابي حنيفة النعمان بن ثابت . واركان الاجتهاد ايضاً اربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس . وذلك لانه اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال او حرام عمدوا[٢] الى الاجتهاد وابتدأوا بكتاب الله تعالى فان وجدوا فيه نصاً تمسكوا به والا فزعوا الى سنة النبي فان راوا لهم في ذلك خبراً نزلوا على حكمه والا فزعوا الى اجماع الصحابة لانهم راشدون حتى لا يجتمعوا على ضلال فان عثروا بما يناسب مطلوبهم اجروا حكم الحادثة على مقتضاه . والا عمدوا الى القياس لان الحوادث والوقائع غير متناهية والنصوص متناهية فلا يتطابقان فعلم قطعاً ان القياس واجب الاعتبار ليكون بصدد كل حادثة شرعية اجتهاد قياسي . ومن الائمة داود الاصفهاني نفى القياس اصلاً . وابو حنيفة شديد العناية به . وربما يقدم القياس الجلي على احاد الاخبار . ومالك والشافعي

---

(١) الاقتصاص رواية الحديث على وجهه

(٢) عمدوا بمعنى قصدوا و روي في بعض النسخ فزعوا اي لجاؤا ولعله افضل

وابن حنبل لا يرجعون الى القياس الجلي ولا الخفي ماوجدوا خبرًا او امرًا ٠ و بينهم اختلاف في الاحكام ولهم فيها تصانيف كثيرة وعليها مناظرات ٠ ولا يلزم بذلك تكفير ولا تضليل و بالجملة اصول شريعة الاسلام الطهارة في حواشي الانسان واطرافه لارسالها وملاقاتها النجاسات ٠ والصلوة وهي خضوع وتواضع لرب العزة ٠ والزكوة ٠ وهي مواساة ومعونة وافضال ٠ والصيام وهو رياضة وتذليل وقمع الشهوة تحصل به رقة القلب وصفاء النفس والحج وهو مثال الخروج عن الدنيا والاقبال على الآخرة ٠ واكثر ما فيه من المناسك امتحان وابتلاء العبد بامتثاله ما شرع له وذلك كالسعي والهرولة في الطواف ورمي الجمار ٠ واما الجمعة والاعياد فجعلت مجمعًا للامة يتلاقون و يتزاورن و يستريحون فيها عن كد الكدح [١] واما الختان فهو سنة فيه ابتلاء وامتحان وتسليم ٠ واما تحريم الميتة والدم ففي كراهية النفس ونفار الطبع مما يوجب الامتناع منها (ذكر ابو محمد الطبري) ان النبي محمد [٢] كان حسن الاخلاق لين الكلام يدعو اصحابه كما يدعونه ويقبّل وجوههم كما يقبلونه و يكرم الضيف و يعظم الكبير و يرفق بالصغير ويتحنن على الضعيف ومن سأله في حاجة لا يرده في حاجته وكان كاتبه عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب فان غابا كتب له ابو الحارث بن كعب وزيد بن ثابت ٠ فان غابا كتب له من حضر من الكتاب وهم معاوية بن ابي سفيان ٠ وخالد بن سعيد بن ابي العاص ٠ والعلاء بن الحضرمي ٠ وحنظلة بن الربيع وكان يكتب له عبدالله بن سعد بن ابي سرح ٠ فارتد عن الاسلام والحق بالمشركين واستأمن له عثمان يوم الفتح فأمنه بعد ما كان هدر دمه ٠ وكان الزبير بن العوام وجهم ابن صفوان يكتبان اموال الصدقات ٠ وحديقة بن الشمال يكتب خراج النخل ٠ والمغير ابن شعبة والحسين بن يمن يكتبان المدايانات والمعاملات ٠ وعبد الله بن ارتق يجيب عن كتب الملوك ٠ قال ابن جرير وكان القضاة في ايام النبي علي بن ابي طالب علي اليمن ومعاذ بن جبل الانصاري ٠ وابا موسى الاشعري ٠ قال وكان موذنه بلالاً ٠ ذكر ابو الفرج في تاريخه ان النبي لم يكن موتوًا [٣] للنصارى بل رؤوفًا بهم

---

(١) الكدح الجد في العمل (٢) صفاته الجسدية كان ابيض اللون مشربًا بحمرة ادعج سبط الشعر دقيق المسربة سهل الخدين كث اللحية ذا وفرة كأن عنقه ابريق فضة وكان له شعر من لبته الى سرته شثن الكف والقدم اي سمينة ليس بالقصير ولا بالطويل ورائحة عرقه اطيب من المسك. ولم ير قبله ولا بعده مثله ٠ ليس له شعر تحت ابطه ولا في صدره ٠ وقيل انه لما توفي وعمره ستون سنة لم يكن في راسه ولحيته عشرون شعرة شائبة ٠ وكان خاتم النبوة شعر مجمع على كتفيه ٠ وصفاته انه كان احسن الناس واسمح الناس واشجع الناس (٣) مبغضًا

ولما وفد منهم جماعة وطلبوا منه الامان امنهم وضرب عليهم الجزية واحسن اليهم وكتب لهم اماناً وقال لعمر قل لهم ان نفوسهم كنفوسنا واموالهم كاموالنا . واعراضهم كاعراضنا (وذكر هذا الحديث) صاحب كتاب المهذب واسنده الى مسلم . وهو حجة الامام ابي حنيفة قيل في ذلك فاذا قتل المسلم الذمي يعاقب . ولما وفد عليه كبير النصارى قام له واكرمه فقالوا له لمَ ذلك فقال اذا اتاكم كبير قوم فاكرموه وهذا كبير قومه . وقال فاستوصوا قبط مصر خيراً فان لكم منهم نسباً[1] . وقال من ظلم ذمياً كنت خصمه يوم القيامة ومن اذى ذمياً فقد أذاني . (قال المورخ) ورد في تواريخ النصارى ان شهرايار بن ادربان ملك الفرس غزا الروم ونزل الى انقره وفتحها وسبى جميع من فيها في اول سنة من الهجرة . وفتح ايضاً في هذه السنة جزيرة رودس

الفصل الثاني

﴿ في خلافة ابي بكر وغزواته واعماله وفتوحاته ﴾

وفي السنة ١١ هـ = ٦٣٢ م تولى الخلافة بعد النبي ابو بكر الصديق (قال ابو جعفر الطبري) ان ابا بكر الصديق هو عبد الله ابن ابي قحافة ابن عثمان ابن عامر ابن كعب وامه اسماء ابنة صخر ابن عامر بن عمر بن كعب وهي ابنة ابن عم ابيه ويسمى صديقاً لتصديقه خبر المسرى[2] . قال بويع له بالخلافة في اليوم الذي قبر فيه النبي بسقيفة بني ساعدة[3] . وكانت الانصار قد اجتمعت بالسقيفة ليبايعوا سعد بن عبادة الانصاري فاشتدّ اللغط . فقال رجل من الانصار منا امير ومنكم امير يامعشر المؤمنين . قال لهم ابو بكر يامعشر الانصار انكم لا يذكر منكم فضل الا وانتم له اهل . وان العرب لا تعرف هذا الا في قريش واني قد رضيت لكم احد رجلين ايهما شئتم واخذ بيد عمر بن الخطاب

---

(١) اشارة لتزوجه مارية القبطية

(٢) يراد بالمسرى المعراج وذلك حين عرج النبي (صلعم) على ظهر البراق الى اورشليم ومن ثم الى السماء السابعة وعليه (الآية) سبحان من اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وذلك في سنة ٥١ من عمره

(٣) بعد موت النبي حضر ابو بكر وكشف الغطا عن وجهه وراءه مات فخرج للقوم وقال من كان يعبد الله فان الله حيٌّ لا يموت ومن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ثم قرا الآية وما محمدٌ الاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل الخ

وابي عبيدة ابن الجراح فكثر القول وارتفعت الاصوات . فقال عمر لابي بكر ابسط يدك لنبايعك واستدرك الامر ابو بكر ومد يده الى عمر والناس مشتغلون بالكلام و بايعه [١] . ثم بايعه المهاجرون والانصار [٢] واتفق الناس عليه الا علي ابن ابي طالب وسائر بني هاشم فانهم امتنعوا عن المبايعة . ثم لما راى علي انصراف وجوه الناس عنه [٣] بايع هو و بنو هاشم جميعهم . وحكموا بعد ذلك ان اي رجل بايع رجلاً آخر من غير مشورة الاسلام فليقتل الرجلان . ولما خطب ابو بكر على المنبر كان علي من جملة المصلين (اول خطبة لابي بكر بعد توليه الخلافة هي قوله احمد الله واثني عليه بالذي هو اهله ثم قال ايها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم . فان احسنت فاعينوني . وان اسأت فقوموني . الصدق امانة . والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوي عندي حتى ارجع عليه حقه ان شاء الله . والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع احد منكم الجهاد في سبيل الله . فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل . ولا تشيع الفاحشة في قوم الا اعمهم الله بالبلاء . اطيعوني ما اطعت الله ورسوله . فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله) ولما تخلف ابو بكر ارتدت العرب ومنع بعضهم الزكوة واشتهر امر مسيلمة الكذاب وادعى طلحة بن خويلد النبوة وتبعه قوم من بني اسيد . ووصل الخبر بقتل الاسود العنسي الكذاب وكان اول فتح العراق . وضجت المسلمون الى ابي بكر فامر خالداً ابن الوليد بالمسير الى محاربة مسيلمة فسار بالناس حتى نزل بالناس بموضع يسمى عقربة فسار مسيلمة في جمع من بني حنيفة فنزل حذا خالد وكان بينهما وقعات فاشتد الحرب بين الفريقين واقتحم المسلمون اجمعهم مسيلمة واصحابه فقاتلوهم حتى احمرت الارض بالدماء ونظر عبد خالد الى مسيلمة ورماه بحربة في خاصرته فوقع عن فرسه قتيلاً . ومن هناك سار خالد الى العراق فزحف على الحيرة ففتحها صلحاً وكان ذلك سنة احدى عشرة ووجه ابو بكر ابا عبيدة ابن الجراح في عشرين الف رجل الى الشام فبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى ارض الشام فوجه اليهم سرجيس البطريق في خمسة الاف رجل فالتقت العرب

---

(١) قيل ان عمر قال لابي بكر من يقدر ان يفتح او يبسط يد الآخر يبايعه وكان عمر اقوى من ابي بكر فبسط يده وقال ابايعك واعضدك بقوتي التي فيها بسطت يدك يوم توفي النبي في سقيفة بني ساعدة

(٢) قالت الانصار او بعضهم لا نبايع الاّ علياً

(٣) ذلك بعد موت فاطمة

بالروم وهزموهم وقتل سرجيس البطريق [١]

وفي سنة ١٢ [٢] ﻫ = ٦٣٣ م جهز [٣] ابو بكر الجيوش الى الشام فبعث عمرو ابن العاص الى فلسطين . و يزيد [٤] ابن ابي سفيان وابا عبيدة ابن الجراح . وشرحبيل بن حسنة الى البلقاء وخالد ابن سعيد ابن العاص الى تيماء . وفيها كانت وقعة بالشام بين خالد و بين بطريق من الروم اسمه باهان فهزمه خالد ابن سعيد الى باب دمشق ونزل خالد مرج الصغير [٥] فاخذت الروم عليه الطريق واثاروا عليه القتال فقتل ولده سعيد واكثر من معه فانهزم بعض اصحابه الى ذي المروة . فلما بلغ ابا بكر الخبر سير معاوية ابن ابي سفيان الى اخيه مدداً في جندٍ من المسلمين

وفيها كتب ابو بكر الى خالد ابن الوليد وهو في العراق يامرهُ على اجناد الشام وان يسير اليهم بقطر [٦] من معه فسار اليهم خالد في تسعة الاف (وفيها) فتحت مدينة بصره وهي اول مدينة فتحت بالشام [٧] . وكان خالد من الابطال المعدودين في القتال وله مواقع مشهورة ذكرعنها الحلبي في سيرته . وكان الامير حارث [٨] ابن هشام من جملة الجيوش التي قدمت الى فتح الشام بعربه بني مخزوم وقتل في تلك الوقائع (قال ابو قاسم المسعودى) ان ابا بكر كان متواضعاً حليماً ملبوسه الصوف والخام [٩] يحمل القربة

---

(١) في هذه السنة اي الحادية عشرة توفيت فاطمة بعد النبي بثلاثة اشهر وتوفي عبد الله ابن ابي بكر كان اصابهُ سهم فمات وفيها ملك اهل فارس عليهم يزدجرد

(٢) روى الطبري انه في هذه السنة سيرابو بكرالغزوات على قبائل العرب التي ارتدت الى اليمامة واليمن وحضرموت و بعد ما قتل مسيلمة الكذاب خالد ابن الوليد ومهد كل بلاد العرب امره ابو بكران يسيرمن اليمامة الى العراق فذهب الى القريات وصالح اهلها على جزية واخذها صلحاً ثم ذهب الى الحيرة واخذها صلحاً على مبلغ قدره ماية وتسعون الف درهم وهي اوّل جزية حملت من العراق

(٣) هذه الحوادث حدثت في سنة ١٣ وامرالقواد المذكورين ان يذهبوا الى التبوكية على البلقاء من علياء الشام

(٤) يزيد اول من وجههُ للشام فخرج مع سبعة آلاف مقاتل

(٥) مرج الصغير بين الواقوصة ودمشق قرب نهر اليرموك

(٦) اي بارسال من معهُ لمعاونتهِ

(٧) هي البصرة وكونها شمالي بلاد العرب في اوّل العراق والبعض يحسبونها من الشام فكانت اعمال ابي بكر في مدة ولايتهِ القليلة فتح اليمامة واطراف العراق و بعض مدن الشام

(٨) هو جد الامراء الشهابيين

(٩) هي البفتة السمراء قال المسعودي وكان لبسهُ في خلافتهِ الشملة والعباءة . ولقب عتيق اي عتيق الله من النار وقيل سمي عتيقاً لعتق امهاتهِ

على كتفه للسقاة قيل وكانت ملوك العرب تلبس الحلي والحلل والابريسم[1] المسفق بالذهب فلما راوا لباسه وما هو به من الزهد تزيوا بزيه ورموا التيجان من على رؤوسهم . وقيل انه قدم عليه ملك حمير وكان في عز عظيم . فلما شاهد ما هو عليه من الزهد القى ما عليه من الحلل وتزيا بزيه وذكر انه كان ابو بكر مارًّا يومًا بالمدينة وعلى كتفه جلد شاة فانكروا عليه ذلك فقال لهم ان اردتم ان اكون ملكا جبارًا من ملوك الجاهلية فانا لا اروم ذلك ولاتكون طاعة ربي الا بالتواضع والزهد في هذه الدنيا

(ذكر المؤرخ)ان ابا بكر[2] قبل موته كان يقول ثلاثة فعلتها ووددت اني لا اكون فعلتها . وثلاثة تركتها واردت ان اكون فعلتها. وثلاثة وددت ان اكون سألت النبي عنها . فاما التي فعلتها وندمت على فعلها هي قبولي الخلافة . واني لا اكون اطلقت يحيى واني لم اكن تزوجت بابنة فاطمة . واما التي تركتها وندمت اني لم افعلها هي اني لما اتيت بالاشعب اسيرًا كنت ضربت عنقه لانه آفةٌ على المسلمين . واني كنت فارقت علي ابن ابي طالب الى المشرق واني يوم سقيفة ابي ساعدة عاهدت المسلمين ان يقيموا اماماً . واما الذي قد فاتني ان اسأل النبي عنها فهي اني كنت سألته عن ميراث العمة و بنت الاخ . واني اسأله هل الانصار لهم في الخلافة نصيب . وانه لمن تكون الخلافة .

(وذكر المسعودي) عن الفرسان في ظهور الاسلام منهم خالد بن الوليد . بطل مشهور وفارس مذكور وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب وقتل مالك بن وبره . وافتتاح الشام كان على يده وله وقائع عظيمة . ولم يكن في جميع جسده مكان الاَّ وفيه اثار الضرب ومن اشعاره

لا ترهبونا بالسيوف المبرقه   ان السهام للردى مفرّقه
والحرب رهنٌ والفعال مطاقه   وخالدٌ وسط العجاج ينْتقي

(ومنهم الزبير بن العوام) وهو من آل قريش واغتاله هرموز وقتله . ومنهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي كان من ابطال الجاهلية من بني زبيد وله مواقع مذكورة وقد اسلم في ظهور النبي محمد وقاتل قدامه وقتل في حرب الفرس بعد قتال عظيم وكان

---

(١) الحرير الطويل

(٢) قالوا ان سبب موته ان اليهود كانوا سموه فمرض ١٥ يومًا وتوفي ومن جهة هيئته ابيض نحيف خفيف العارضين احنى لا يستمسك ازارهُ يسترخي من جفونه معروق الوجه غائر العينين ناتئ الوجه عاري الاشاجع وأكل معهُ من الطعام المسموم الحرث ابن كلدة فعمي

من العشرة الشجعان المعدودين وهو الذي قتل رستم في حرب القادسية وكان ذلك سبب انهزام الاعجام ويقول فيه الشاعر

اذا مات عمرو قلت للخيل ارجعي   طريداً فقد اودى بنجدتها عمر

(ومنهم المقداد ابن الاسود) وكان بطلاً عظيماً وله باس مشهور وحضر وقائع كثيرة وسيرته طويلة ٠ (ومنهم سعيد بن ابي وقاص) عاش الى خلافة عثمان بن عفان ٠ ومنهم المثنى ابن خارج الشيباني من بني شيبان وهو اول من فتح حرب الفرس وامنهم ٠ وابو عبيد الثقفي من بني ثقيف قُتل يوم قصر الناطق في حرب القادسية مع الفرس ومنهم عمار بن جاسر بطل مشهور ومنهم عبد الله بن الزبير قتل ملاك افريقية الذي كان اشجع اهل زمانه وعاش عبد الله الى ايام الحجاج ثم قتله الحجاج ٠ ومنهم المهلب بن صفير وله اخبار كثيرة في الشجاعة والكرم وخرج له اولاد كشبهه واشجعهم المغير وكان يقول ابوه ما حضر معي حرباً الا ورايت البشر بوجهه والمهلب وقائعه مشهورة وقد قمع الخوارج ٠ ومنهم بكر بن النطاح وكان شجاعاً مشهوراً وشاعراً معدوداً وكان يحوي على سيف يمانٍ لا يوجد مثله في ذلك الزمان وكان لا يفارقه ابداً وكان مكتوباً عليه شعر

ذكر على ذكر يجول بصارم   ذكرٌ يمانٍ في يمين يمان

ومن اشعار بكر ابن النطاح

يبيت ضجيعي السيف طوراً وتارة   يقدُّ به هام الرجال مضاربه

وليس اخو العلياء الا فتىً له   بها كلفٌ ما تستقر ركايبه

ولهُ ايضاً

لم أرَ شيئاً حاضراً نفعهُ   للمرء كالدرهم والسيفِ

يقضي له الدرهم حاجاتهِ   والسيفُ يحميهِ من الحيفِ

وفي هذه السنة توفي ابو بكر [1] وذلك يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادي الآخرة وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وتسعة ايام وكان عمره ثلاثة وستين سنة وكان مرضهُ السل وصلى عليه عمر ابن الخطاب ودفن [2] في حجرة عايشة (قال ابو

(١) تزوّج ابو بكر باربع نساء اثنتين في الجاهلية واثنتين وهو في الاسلام

(٢) صفاته انهُ كان (رضة) سخيًا لينًا عالمًا بانساب العرب زاهدًا في اللبس والدنيا وروي انه اشرف على الناس وهو في منزله واساء ابنة عميس ممسكتهُ وهي موشومة اليدين فقال اترتضون بمن استخلف عليكم فاني والله ما آلوت من جهد الراي ولو وليت ذا قرابة واني قد استخلفت عمر ابن الخطاب فاسمعوا له واطيعوه فقالوا سمعنا واطعنا (ط)

جعفر الطبري) ان ابا بكر اوّل من جمع القرآن من اللوحين فانه لما اصيب المسلمون باليمامة خاف ان يعدم من القرآن جزء فيحصل ارتداد لانه انما كان في صدور الرجال وفي الرقاع فجمع مابين اللوحين وسماه مصحفاً . قال وكتّاب ابي بكر عثمان ابن عفان وزيد ابن ثابت وقاضيه عمر ابن الخطاب . وصاحبه شديد ومولاه . وخاتمه خاتم النبي . وقد ذكرنا ان خلافته اولها يوم الثلاثا وآخرها يوم الثلاثا . وكان ابو بكر يفرق في كل ليلة جمعة ما يجمع في بيت المال على اربابه على حسب الفضائل في الجند اوّلاً . ثم بعدهم العلماء ومن استحق . قال المؤرخ ان الذي ورد في تواريخ النصارى من الحوادث في ايام ابي بكر ان اهل فارس اجتمعوا في السنة الحادية عشرة للهجرة في خلافة ابي بكر فلما صاروا الى ماصاروا اليه من الفتن وقتل ملوكهم وما دخل عليهم من الحيل طلبوا ابناً لكسرى يقال له يزدجرد قد هرب من سروبة فملكوه عليهم وهو ابن خمس عشرة سنة وكانت اهويتهم مختلفة وجماعتهم متفرقة ومتحاربة . واهل كل مدينة محاربون لمن يليها والمدائن على مثل ذلك ايضاً . وفيها خالف هرقل الناموس وتزوج مرطياني ابنة اخيه فولدت له ابناً غير شرعي وسماه باسمه مصغراً هريقل (ف)

الفصل الثالث

في خلافة عمر ابن الخطاب

وفي سنة ١٣ [١] هـ = ٦٣٤ م حدثت رجفة شديدة بارض فلسطين ثلاثين يوماً وتزلزلت الارض وحدث فيها وباء كبير . وفيها نزل عسكر المسلمين على مدينة غزة ومقدامهم عمرو ابن العاص فارسل البطريق الذي كان فيها من جهة هرقل الى المسلمين يطلب رجلاً يتحدث معه فقال عمرو ابن العاص انا ادخل اليه ودخل الى غزة واجتمع

---

(١) عين الفرس شهرزار ابن شهريار ثم اتى سابور فوجه الى المثنى ابن حارثة الشيباني جنداً عظيماً عليهم هرمزجازوية في عشرة آلاف ومعهُ فيل وكتبت المسالح الى المثنى باقباله فخرج من الحيرة وضمّ اليهِ المسالح وحارب الفرس وهزمهم في موقعة بابل . وفي هذه السنة فتحت البصره وهي اوّل مدينة فتحت بالشام في خلافة ابي بكر . ثم ساروا جميعاً الى فلسطين مدداً لعمرو ابن العاص . وعمرو مقيم في غور فلسطين فسمعت الروم بهم فانكشفوا عن جلق اي دمشق الى اجنادين وهي بلدة بين الرملة وبين بيت جبرين وسار عمرو ابن العاص حين سمع بابي عبيدة ابن الجراح وشرحبيل ابن حسنة ويزيد ابن ابي سفيان . وكان رئيس الروم تذارق وقيل القبقلار

بالبطريق فاكرمهُ وترحب به · وسأله ما الذي اتى بك الى بلادنا وماذا تريد فقال له عمرو ابن العاص امرنا صاحبنا ان نقاتلكم الا ان تكونوا في ديننا وتكونوا سواءً بنا و يلزمكم ما يلزمنا فلا نعارض عليكم فان ابيتم تؤدوا الجزية في كل عام · ونقاتل عنكم من عاداكم او تعرض اليكم و يكون لكم عهد علينا فان ابيتم فليس بيننا و بينكم الا السيف فنقاتلكم حتى يبقى الامر لله · فلما سمع البطريق كلام عمرو ابن العاص وجسارته في كلامه لم يشك انه امير القوم فامر اصحابه اذا خرج عمرو من عنده ان يقتلوه · وكان مع عمرو غلام يعرف اللسان الرومي فافهمه ماقالهُ البطريق فعمل حيلة وعاد الى البطريق وقال له ان اكابر القوم فيهم عشرة رجال وهم مدبرون القوم وهم ارادوا العبور معي فوجهوني اولاً لاسمع كلامك واعود اليهم فيدخلون اليك و يتحدثون معك · فقال البطريق أَفي القوم مثلك · فقال عمرو انا اكلّهم لسانًا واقصرهم حجة وادناهم قدرًا فهم يحضرون اليك وتسمع كلامهم · فقال البطريق افعل · وفكر ان يقتل عشرة افضل من واحد وعفا عن قتله رجاء ان يحضر مع جملة العشرة فيقتل الجميع · ولما خرج عمرو من الباب واعلم اصحابه بما توقع له وقال لا اعود الى مثلها ابدًا · فخرج الروم اليهم ونقاتلوا فكانت الهزيمة على الروم · وقتل منهم جماعة كبيرة وما برح المسلمون في اثرهم الى ان وصلوا الى بيت المقدس وقيسارية فتحصنوا فيهما · وتركوهم وذهبوا الى البثينية وكتبوا الخبر الى ابي بكر فرآه الرسول قد مات (قال ابوالفرج بن هرون الطبيب) لما دنت وفاة ابي بكر قال لعثمان بن عفان اكتب بسم الله الرحمن الرحيم · هذا ما عهد به عبد الله بن ابي قحافة في آخر ساعة من الدنيا واول ساعة من الآخرة · فكتب عثمان ثم اغمي على ابي بكر ولما افاق قال لعثمان لمن كتبت الخلافة قال الى عمر فقال ابو بكر لقد اصبت ما في نفسي ولو كتبتها لك لكنت اهلا لها · ثم اجمعوا على ذلك وكان يدعى خليفة خليفة رسول الله وسمي عمر امير المؤمنين (قال ابو جعفر الطبري) ان عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز بن رياح بن قرض بن رواح بن عدي بن كعب بن لاوي بن غالب قال بيع له بالخلافة يوم مات ابو بكر فقام وخطب بالناس وقال · ايها المسلمون لو ما ارجو من خيركم لما اوليتُ عليكم · ولما وُلي الامر لم يكن همُّهُ الا العراق فوجّه[1] اباعبيدة

---

(١) اوّل ما عمله عمر وانهُ عزل خالدًا عن قيادة الجيش و ولى ابا عبيدة ولكن ابو عبيدة لم يطلع خالد على ذلك حتى فتحت دمشق وكتبت الشروط باسم خالد · ولما فرغ المسلمون من اجنادين ساروا الى فحل التي هي بلاد القديمة المعروفة الآن بخرابات ام قيس من نواحي الاردن وقد اجتمعت

بن مسعود الثقفي الى فارس فقاتلهم بالحيرة ونصرت المسلمون وقتل من المشركين خلق كثير ٠ ثم كانت وقعة الحيرة فقتل فيها خلق كثير من المسلمين وكانت الكسرة عليهم ثم كانت وقعة البويب فكانت الكسرة على المشركين وقتل منهم مقتلة عظيمة ٠ ولما نزل التغالبة قال سايط يا ابا عبيدة اياك وقطع هذه اللجة فاني ارى بالاعجام نموًّا كثيرًا والرأي ان تعبر بنا الى ناحية البيداء وتكتب الى امير المؤمنين عمر وتسأله ان يعجل الينا بالعساكر ٠ فقال ابو عبيدة جبنت ياسايط ٠ فقال المثنى ما جبن ولكن اشار عليك بالصواب فاياك ان تعبر اليهم وتلقي نفسك واصحابك في مخاليهم فلم يقبل منهما ابو عبيدة وعبروا الجسر(١) بمن معهما فرجع اليهم العجم ورشقوهم بالحراب حتى كثرت من المسلمين الجراح فحملت العرب وكشحوا العجم الى الوراء ٠ ثم حملت العجم على المسلمين فكان ابو عبيدة اول قتيل قتل من المسلمين وقتل غيره عالم كثير وولى الباقون هاربين ٠ وكان المثنى يقاتل من ورائهم حتى عبروا الجسر وعبر المثنى في آخرهم ٠ ثم كتبوا الى عمر بما جرى لهم فاتاهم الجواب ان يقيموا الى ان ياتيهم بالمعاونة ٠ وارسل عمر رسله الى قبائل العرب فلما اجتمعوا عنده بالمدينة ولّى عليهم جرير بن عبد الله وامره بالمسير ووافى اليه التغالبة ٠ ثم سار الى ان نزلوا الى دير هند ٠ ووجه سراياه للغارة بارض السواد مما يلي الفرات ٠ فبلغ ذلك ملكة العجم فامرت ان يسيروا اليه باثني عشر الفًا وولت عليهم مهران عظيم الوزراء ٠ فسار بالجيش حتى وافى الحيرة ٠ واجتمعت العرب وزحف بعضهم على بعض فبرز المثنى الى العجم يحاربهم ثم رجع منصرفًا الى قومه وصدمتهم العجم فثبت البعض من العرب وانهزم البعض ٠ وتقاتلوا الى وقت الزوال فخرج مهران بن باذان ووقف امام اصحابه فحمل عليه المثنى فضربه مهران فنبى السيف عن الضربة وضربه المثنى على منكبيه فوقع على الارض

فيها رافضة الروم والمسلمون مع امرائهم وعلى مقدمة الجيش خالد ٠ ثم ذهب الروم الى فحل فهاجمهم المسلمون وهزموهم فهربوا الى دمشق واخذت فحل ثم فتحت دمشق واظهر ابو عبيدة امارته وعزل خالدًا ٠ ولحق باهان صاحب الروم بهرقل ٠ وحاصروا دمشق ٧٠ ليلة وفي هذه السنة سار شرحبيل الى بيسان ومعه عمرو ابن العاص والحارث ابن هشام ٠ وصالح اهل طبرية ابا الاعور على النصف من المنازل والاموال ودينار على كل راس كصلح دمشق

(١) هي موقعة الجسر خسر المسلمون فيها اربعة آلاف وانهزموا وقتل قائدهم ابو عبيدة في ذلك الوقت حدثت موقعة الخنافس وهي سوق للاعجام ٠ فان مرشدين ارشدا المثنى احدهما انباري والآخر حيري ٠ فاما الانباري فارشده الى الخنافس واما الحيري فدله على بغداد ٠ ثم سألهما المثنى ايهما اقرب فقالا الخنافس فوافاها يوم سوقها

ميتًا وانهزمت العجم ورجع العرب يدفنون موتاهم · فلما نظرت العجم ان العرب قد اخذت اطراف بلادهم قالوا ما اوذينا الا من تملك النساء علينا واجتمعوا على عزل ارزميدخت الملكة ابنة كسرى وتملك عوضها غلام اسمه يزدجرد ابن هرمز فاجلسوه وهنأوه بالملك · ثم انه عين العساكر وولى عليهم رجلاً عظيماً من عظماء دولته يقال له رستم ووجهه الى الحيرة · وعين ايضًا رجلا اخر يسمى الهرمزان وارسلهما الى ناحية الاهواز واصحبهما بجنود وافرة [١] · قال الطبري وكان ابو عبيدة قبل موته قد فتح دمشق بعد حصار سبعة اشهر وتملك بيسان وطبرية وقيسارية و بعلبك وحمص وكتب امير المؤمنين عمر الى يزيد ابن ابي سفيان بالولاية على دمشق

وفي السنة ١٤ هـ = ٦٣٥ م ذكر المسعودي انه لما سير عمر بن الخطاب جيشًا الى القادسية [٢] في حرب الهرماز باتت الاسلام في وجل عظيم من الاعجام واشتد رعب رؤوساء القبائل فامر عمر في ذلك الوقت بصلاة التراويح · (وقد ذكر المسعودي) عن وقعة نهاوند فكانت الاعجام في جمع زائد وعدد كثير فقتلوا من المسلمين خلقًا كثيرا وقتل بتلك الوقعة النعمان ابن مقرن وعمرو بن معدي كرب الزبيدي وكان بطلا معدودًا من الجاهلية وقد اسلم على يد النبي فدفنوهما بالقرب من نهاوند ومدفناهما باقيان تتبارك بهما الناس · قال · وكان عمرو ابن معدي كرب يحدث النبي عن زمان الجاهلية وما كانوا عليه من الشجاعة والاقدام · قال اني في زماني خفت من عبدين وحرين فقال النبي ومن هما ياعمرو · فقال اما الحران فهما عبد هياف ور بيعة ابن المكدم الكناني ·

(١) ذلك لمحاربة ابي موسى الاشعري ومن معه

(٢) هي بين الخندق والعتيق وعن يسارها بحرٌ اخضر في جوف لاح الى الحيرة وكان قائد الاعجام رستم ابن الفرخزاد الارمني وكان عالمًا بالتنجيم · وقائد المسلمين سعد ابن ابي وقاص فانه بعدما امهل الفرس ثلثة ايام وفي اليوم الرابع قرا على المسلمين صورة الجهاد ثم شجعهم وخطب فيهم ثم كبر اولاً وثانيًا وثالثًا هجم المسلمون على الفرس حتى تلاحموا وكانت الوقعة في محرّم · وسمي اليوم الاوّل من هذه الحرب يوم ارمات واليوم الثاني يوم اغواث واليوم الثالث يوم عماس قتل فيه من المسلمين الفان ومن المشركين عشرة آلاف والليلة الرابعة سميت ليلة القادسية · قتل من المسلمين ستة آلاف ومن المشركين ثلاثين الفًا وقتل رستم · والقادسية نسبة الى قادس قرية الى جانب العذيب · ثم هرب الفرس من القادسية الى الفرّارة فتبعهم المسلمون وقتلوا قائدهم جالنيوس بعد ما قتل رستم بالقادسية · ثم هرب الفرس من القادسية الى دبرغرة والمسلمون يتبعونهم الى المداين يريدون نهاوند ثم الى دجلة ولم يعرفوا المخاضة حتى اتى واحد واهداهم واجازهم الى الجانب الآخر · وفيها فتحت البصرة

واما العبدان فهما عنتر ابن شداد العبسي وسليك ابن السلكه · وفي هذه السنة دخل ميسرة ابن مسرق العبسي ارض الروم في اربعة الاف وهو اول جيش دخل بلاد الروم · وفيها افتتح عمرو ابن العاص مصراً قهراً بعد حصار طويل وافتتح الاسكندرية صلحاً وفيها دخل فياض ابن سروج الرها · وفيها افتتح ايضاً الرقة وامد ونصيبين وطور عابدين وماردين صلحاً · وافتتح عتبة ابن عرقان قرايا البصرة · ثم سار الى يافا وافتتحها غصباً ثم سار الى المداين فحارب المرضبان وقتله وقتل من جنوده خلقاً غفيراً · ثم ان عتبة كتب الى عمر يستاذنه في الحج فاذن له · وفيها سار علي الى ارض بيسان وامران يبتني بارض البصرة خططا لمن عنده من العرب ويجعل لكل قبيلة محلة وفيها بني مسجداً · ثم سار بجنوده الى جميع كور الاهواز فافتتحها · وفي هذه السنة جند الملك كسرى العساكر الكثيرة لمحاربة الروم وارسلهم مع عساكر زالي القائد · وحين علم الملك هرقل جمع عساكر الروم وقسمهم ثلاث فرق · فارسل القسم الاول مع اخيه ثاودورس لمحاربة الفرس · والقسم الثاني ابقاه لحفظ القسطنطينية · وسار في القسم الثالث الى لاريكي واستدعى الاتراك لمعونته · وعند ما التقى ثاودورس بعساكر الفرس نزل عليهم كالاسد الضاري فاهلكهم فغضب كسرى على قائد جيشه زالي · ولما علم بغضب كسرى عليه مات من خوفه فاحضر كسرى جسمه واحرقه بالنار · وكان كسرى قد سير سرية من عساكره الى القسطنطينية وحاصروها براً وبحراً · وقد امتلأ البحر مراكباً والبر عساكراً لانه قد انضمت الفرس الى العرب والبربر واشعلوا النيران واحرقوا كلما كان يوجد خارج المدينة · فلما نظر الروم ما حل بهم اخذهم الحزن والخوف وانعكفوا على التضرع والابتهال · واما حصار تلك الجيوش لهم فدام عشرة ايام وقد وقع بينهم الخصام وجعلوا يحاربون بعضهم بعضاً وقتل منهم خلق كثير وخرج اليهم الروم فهزموهم · واما الملك هرقل فانه كان دخل بلاد الفرس وملك اكثر البلاد واسر وقتل كثيراً منهم فارسل كسرى عسكره اليه صحبة قائد يقال له رازاستي والتقى بالملك هرقل في مدينة خامايطا وانتشب الحرب بينهم مراراً كثيرة فظفرت الروم بالفرس وذبحوهم وقتلوا قائدهم رازاستي واخذوا ترسه الذهب ثم سار هرقل طالباً كسرى بقوة عظيمة وقد هدم الحصون والقصور التي كانت لكسرى ووجد قصراً يسمى بابكه وفيه كثير من الوحوش والطيور واما كسرى فانه تحصن في مكان منيع · ولما بلغ هرقل سياغور اتاه وفود من سيرويه ابن كسرى يقول ان سيرويه عزم ان يملك مكان

ابيه وانه يريد الاتحاد معك ففرح هرقل بذلك واقتبله واكرم رسوله وكتب له عهداً بالمحبة وارسل له ان اردت ان تظفر بأبيك اطلق الروم المسجونين فهم يقاتلون معك . ولما رجع الرسول اخرج سيرويه الروم المسجونين وكان عددهم اربعة الاف رجل واعطاهم سلاحاً وسار الى ابيه فملكه وقتله مع اولاده . ثم ارسل الى هرقل يعلمه بموت كسرى واولاده ففرح هرقل جداً وشكر الله وصار حب عظيم بين هرقل وسيرويه ابن كسرى . ثم انه بعد ماوقع الاتفاق بين ملك الفرس وملك الروم اعتق هرقل اسراء الفرس وعاد بفرح عظيم الى القسطنطينية واستقر مرتاحاً مدة حياته وقد كتب توقيعاً ملكياً ان اليهود ليس لهم ان يقربوا من اورشليم اكثر من ثلاثة اميال

وفي السنة ١٥ هـ = ٦٣٧ م اجتمعت الروم وحشدت جيوشها وقصدت جيوش المسلمين التي كانت ستة وثلاثين الفاً وعدد المشركين مايتان واربعون الفاً . وهزم المسلمون الروم مع كثرة عددهم وقتلوا منهم عدداً لا يحصى كثرته . قال ثم ان ابا عبيدة وخالد نزلوا على حمص فحاصروها مدة ثم صالحهم المسلمون على الجزية وامنوهم ففتحت حمص [١]

وفي السنة ١٦ هـ = ٦٣٨م خرج عمر بن الخطاب الى الشام واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب وقيل عثمان بن عفان ونزل الجابية وصالحه الارطبون صاحب الرملة . وكان عمرو بن العاص وشرحبيل محاصريها [٢] . قال ابو جعفر الطبري لما صالح عمر الارطبون ارسل عمرو بن العاص شرحبيل الى بيت المقدس فحاصرها . فلما اجهدهم

---

(١) كانت وقعة مرج الروم قبل اخذ حمص فان خالداً كان خرج من فحل الى حمص فلما بلغ هرقل ارسل توذر البطريق وعساكره الكثيرة ونزل في مرج دمشق فاتاه خالد وحاربه وقتل توذر وشنس . ثم ذهب خالد والجيش الى حمص فسلمت صلحاً بشروط نظير شروط دمشق . وفتحت قنسرين صلحاً كحمص وجرت عليها شروطها عن يد خالد وقتل ميناس قائد الروم و رحل هرقل الى الرها ومنها للقسطنطينية . وقال السلام عليك ياسوريا سلام مفارق لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومي حتى يولد المولود المشئوم وليته لا يولد واخذ معه سكان الحصون التي بين الاسكندرية وطرسوس . وفيها فتحت قيسارية التي شمالي يافا ونزل عمرو وشرحبيل على بيسان وفتحوها وصالحته الاردن واجتمع عسكر الروم باجنادين و بيسان وغزة فارسل عمر معاوية الى قيسارية وكتب الى عمرو ابن العاص يامره بصدم الارطبون والى علقمة ان يصدم الفيقار فسار معاوية وهاجم قيسارية وقتل من الروم مائة الف رجل وحارب الارطبون في اجنادين فانهزم الى القدس ثم الى الرملة ومنها هرب الى مصر . وفيها فرض عمر للمسلمين الفروض ودوّن الدواوين وقيل انه فيها فتحت بابل

(٢) قيل ان عمر وخرج سنة ١٤ ودخل المسلمون مدينة بهرسير وافتتحوا المداين فهرب يزدجرد ابن شهريار

البلاء طلبوا الصلح على ان يكون امانهم من عمر . فاجابهم الى ذلك وصالحهم عمر . قال. لما تمهدت لعمر فلسطين والارض المقدسة وضرب الجزية على اهلها سير عمرو بن العاص الى مصر في جمع غفير من المسلمين . وفي هذه السنة فتح سعد بن ابي وقاص مداين كسرى وعبر هو والمسلمون الى المدائن [1] واستولوا على اموال كسرى وذخائره و يقال انهم وجدوا من المال ثلاثة آلاف الف دينار . ووجدوا بيتاً فيه سلاسل مختومة بالرصاص وفيها اواني الذهب والفضة ووجدوا بيتاً مملوءاً كافوراً فظنه المسلمون ملحاً فاستعملوه في العجين فصار الخبز مراً قال ووجدوا تاج كسرى وثيابه التي كانت منسوجة بالذهب المرصعة بالجوهر . وادرع كسرى ومغافره ووجدوا ستر الايوان فحرقه سعيد فخرج منه الف الف مثقال وقيمة المثقال عشر دراهم قال ووجدوا بساطاً [2] من حرير طوله ستون ذراعاً وعرضه كذلك وفيه صور وقلوب من احجار منحجرة كالازهار وعلى حافته كالارض المزروعة بقولاً وكل شكل نبات الارض في زمان الربيع مرصعاً بالحجارة الكريمة والذهب والفضة. فلما اوصلوه الى عمر قطعه وقسمه بين المسلمين فاصاب علياً قطعةٌ فباعها بعشرين الفاً ولم تكن اجودها .

وفي السنة [3] ١٧ هـ = ٦٣٩ م ذكر في تاريخ الاسلام ان عمر بن الخطاب كان عادلاً لا يأخذ بوجه احد ودخل عليه يوماً رجلٌ من اهل مصر وقال ياامير المؤمنين اني مظلوم فقال ومن ظلمك قال يامولاي اني تسابقت انا وابن عمرو بن العاص نايبك فحجرتي سبقت فرسه فبدا يضربني بالسياط الى ان غُشي عليّ ولما وقفت امام والده لم يصفني

(١) في شهر صفر دخلوا المداين القصوى و بعد فتح بهرسير هرب يزدجرد الى حلوان . ولما دخل سعد المداين صلى بايوان كسرى فجعله مسجداً . ثم حدثت وقعة جلولاء بعد المداين وسميت جلولاء لما جللها الله به من القتلى وقائد الاعجام مهران

(٢) سمي القطف . و بعد فتح جلولاء سرح القعقاع ابن عمر في اثار القوم الى حلوان فقتل مهران وفتح تكريت وهي قبل الموصل على الدجلة . وفتح الموصل . وفيها كانت وقعة قرقيسياء . وفيها تزوج ابن عمر صفية ابنة ابي عبيد . وفيها ماتت مارية القبطية فصلى عليها عمر وقبرها بالبقيع في محرّم . وفيها ارّخ عمر تاريخ الهجرة وذلك بعد سنتين ونصف من خلافته بمشورة علي

(٣) فيها اختطت الكوفة وتحوّل سعد بالناس من المداين اليها . ومعنى الكوفة الارض الحصباء المرملة واختاروها ونزلوها في شهر محرم وذلك بعد سنتين من خلافة عمر . و يراد بالمداين السواد وحلوان ومسابيذان وقرقيسياء والموصل . وفيها قصدت الروم اباعبيدة ابن الجراح ومن معهُ من جند المسلمين بحمص لحربه ولما سمع العرب بذلك تقدم خالد من قنسرين وانضم اليهم فنزلوا بفناء حمص وامدّهم سعد ابن مالك حسب امر عمر بالقعقاع ومعهُ اربعة آلاف فارس وقيل ان فيها فتحت الجزيرة .

منه . قال ففي الحال كتب الى عمرو بن العاص ان يأتي اليه وكان نائبهُ بمصر وامره ان يحضر ولده معه . وقال للرجل اقم انت الى ان يأتي عمرو وولده وحين حضر عمرو وولده وجلسا في المجلس والناس جلوس على مراتبهم قال عمر بن الخطاب ياعمرو كم تستعبدون الناس وقد كانوا احرارًا . ثم امر ذلك الرجل ان يضرب ابن عمرو بن العاص واعطاه السوط فقام وابتدأ يضربه في وسط المجلس ولم يقدر احد ان يتكلم الى ان انتهى فقال عمر او قتله ما قلتُ له كفاه . وفي هذه السنة قصد ملك الروم حمص في جمع غفير واحتاطوا بها . وفيها خرج عمر الى الشام حتى الى دمشق فمهد الشام ومن بها من المشركين وهي خرجته الرابعة (ولما خرج عمر الى الشام ووصل الى سرغ قالوا له ان الارض سقيمة اي مصابة بالطاعون فالزموه ان يرجع فرجع بناءً على حديث رووه له عن النبي . اذا كان بارض وباءٌ فلا تدخلوها واذا كنتم فيها وحل الوباء فلا تخرجوا منها وعليه رجع . ذكر الطبري في هذه السنة حديث عن الرسول (صلعم) قال قسم الحفظ عشرة اجزاء فتسعة في الترك وجزءٌ في سائر الناس . وقسم البخل عشرة اجزاء فتسعة في فارس وجزءٌ في سائر الناس . وقسم السخاء عشرة اجزاء فتسعة في السودان وجزءٌ في سائر الناس . وقسم الحياء عشرة اجزاء فتسعة في النساء وجزءٌ في سائر الناس . وقسم الشبق عشرة اجزاء فتسعة في الهند وجزءٌ في سائر الناس . وقسم الحسد عشرة اجزاء فتسعة في العرب وجزءٌ في سائر الناس . وقسم الكبر عشرة اجزاء فتسعة في الروم وجزءٌ في سائر الناس وقيل ان فيها كان طاعون عمواص . وقيل انها سنة ١٨ وفيه مات عدة من مشاهير المسلمين و٢٥ الفًا . وفيها خرج عمر للشام خرجته الاخيرة . وفيها خرج الحارث بن هشام في سبعين من اهل بيته فلم يرجع منهم الا اربعة ماتوا بالطاعون . وفيها اعتمر عمر و بني المسجد الحرام في القدس . وفيها تزوج عمر بام كلثوم ابنة علي وابنة فاطمة ابنة الرسول صلعم) . وقيل فيها افتتحت سوق الاهواز ومناذر ونهر تري . وفيها غزا المسلمون ارض فارس من قبل البحرين . وفيها فتحت رامهرمز والسوس وتستر واسر الهرمزان)

وفي السنة ١٨ ه = ٦٤٠ م حاصر عمرو ابن العاص مصر اشد حصار لان العامة قد مالت الى الروم وطردوا عمرو منها . فامده الزبير ابن العوام الغطفاني باربعة الاف فافتتح مصر ثم وقع الصلح بين عمرو والمقوقس على دينار مصري على كل شخص بمصر وان يتضيفوا كل من يمر بهم من المسلمين ثلاثة ايام . وكانت الجزية عليهم في كل سنة اثني عشر الف الف دينار . ثم توجه عمرو الى مريوط وهزم من فيها من الروم . ثم الى

كوم شريك وفعل كذلك . ثم وافى الاسكندرية فنزل عليها محاصراً اياها . وفيها كان طاعون عمومي بالشام ومات فيه من المسلمين خمسة وعشرون الفاً . منهم ابن ابي عبيدة ابن الجراح وشرحبيل ابن حسنة ومعاذ ابن جبل والفضل ابن العباس ويزيد ابن ابي سفيان . وفيها دون عمرو ابن العاص الدواوين بمصر وهو اول من دونها وقيل كان ذلك في سنة ٢٠ (ذكر الطبري حديث عن العباس بالجابية قاله لعمر . اربع من عمل بها استوجب العدل . الامانة في المال . والتسوية في القسم . والوفاء بالعدة . والخروج من العيوب . نظف نفسك واهلك منها) وبعد ان فتح عمرو ابن العاص باب اليون محل مصر العتيقه توجه الى الارياف بين مصر والاسكندرية الى قرية فقرية حتى انتهى الى بلهيب قرية من قرى الريف تسمى قرية الريش

وفي السنة ١٩ هـ = ٦٤١ م فتح المسلمون جلولاء وقيل فتحت الجزيرة والرها وحران وراس العين ونصيبين وقيصرية)

وفي السنة ٢٠ هـ = ٦٤٢ م كان فتح الاسكندرية[1] وذلك وقت صلاة الجمعة مستهل المحرم وكان مدة الحصار عليها اربعة عشر شهراً وقتل من المسلمين في حصارها ثلاثة وعشرون الف رجل . ذكر المسعودي عن عمر ابن الخطاب انه كان قد اتقن الاحكام باحسن صفات وابطل في خلافته جميع المحرمات وذكر ابن الجوزي في كتابه قال بينما كان امير المؤمنين عمر ابن الخطاب جائلاً في ازقة المدينة سمع امراءة تنشد هذا البيت في خبائها

مطارق الشوق منها في الحشا اثرت   هل من سبيل الى نصر ابن حجاج

فقال عمر لا ادري ان معي في المدينة رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن ثم امر باحضار نصر ابن حجاج الى بين يديه فراءه احسن الناس حسناً واكملهم قداً . فقال له عمر ابن الخطاب لن اسكن انا في بلدة انت بها . فقال نصر وما ذنبي يا امير

(١) قيل ان العرب لما وصلوا الى قرية الريش بجوار الاسكندرية ارسل حاكمها يعرض التسليم بعد ما كانوا حاربوهم في عدة مواقع وسبوا كثيرين منهم ومن جملة شروط التسليم ردّ السبايا . فلم تقبل العرب بردهم واما الباقون فخيروهم اما بالاسلام او الجزية وقبلوا ذلك وتسلموها . وفيها غزا ارض الروم ابو بحرية الكندي عبد الله ابن قيس وهو اول من دخلها . وقيل اول من دخلها ميسرة ابن مسروق العبسي فسلم وغنم . وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد ام عبد الرحمن ابن الحارث ابن هشام . وفيها توفي بلال ابن رباح ودفن في مقبرة دمشق . وفيها قسم عمر خيبر بين المسلمين واجلى اليهود عنها . وفيها بنى عمرو الجامع في الفسطاط هو باقٍ للآن في مصر العتيقة

المؤمنين . فقال لان العواتق تهتف بك . ثم امر بارساله الى البصرة . قال وطال مكث ابن حجاج في البصرة . فالتقت امه يوماً بعمر وقالت له ياامير المؤمنين لاقفن انا وانت بين يدي الله عز وجل وليحاسبك الله لمباعدتك ولدي نصراً اتبيتن وعبد الله وعاصم ولداك في حجرك و بيني و بين ولدي الفيافي والاودية . فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق مثل ولدك . ثم ارسل الى عتبة ابن مروان نائبه في البصرة يوصيه بنصر ابن حجاج وارسل والدته اليه وقطع لهم داراً وعين لهم معاشاً فكتب اليه نصر هذه الابيات

لعمري ان سيرتني ام حرمتني   فما نلت من عرضي عليك حرامُ

فاصبحت منفياً على غير ريبة   وقد كان لي بالمكتين مقامُ

ظننت بي الظن الذي ليس بعده   بقاءٌ وما لي جرمــة فالامُ

فيمنعني ممــا اقــول تكرمي   وآباءُ صدقٍ صادقون كرامُ

فلما وصل كتاب نصر الى عمر وقراء تلك الابيات رد له جواباً ان رفع الشك اولى . ولم يزل نصر ابن الحجاج في البصرة الى ان مات عمر ابن الخطاب . فرجع نصر الى المدينة وذكر المسعودي ان عمر ابن الخطاب مر ليلة فسمع امراءة تنشد هذا البيت

قل للامام الذي تخشى بوادره   مالي على الصبر والابعاد اقدار

فسأل عمر امراءة من هذه . فقالوا له امراءة رجل له ثمانية اشهر غائبٌ في الغزاة . فامر ان لا يغيب الرجل في الغزاة عن عياله اكثر من اربعين يوماً

(وفي سنة ٢١ هـ = ٦٤٣ م كانت وقعة نهاوند وامير العرب النعمان ابن مقرن اليزني وقتل من المشركين ماية الف واستشهد النعمان . وفيها امر عمر جيوش العراق ان تنجد جيوش فارس حيث كانت غزت وفتحت ارض فارس وكرمان واصبهان واذربيجان وفيها مات خالد ابن الوليد بحمص واوصى الى عمر ابن الخطاب . وفيها سار عمر بن العاص الى انطابلس وهي برقة فافتتحها . وفيها بعث عمرو ابن العاص عقبة ابن نافع الفهري فافتتح زويلة بصلح وما بين برقة وزويلة سلّم للمسلمين . وفيها غزا معاوية ابن ابي سفيان في ارض دمشق البثينية وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة

وفي سنة ٢٢ هـ = ٦٤٤ م افتتحت اذربيجان واميرها المغيرة ابن شعبة وفتح الري وقومس وجورجان وطبرستان والباب وشهريراز و بلاد ارمينية على يد سراقة ابن عمرو حتى وصل تفليس في بلاد الكرج . وفيها ولد يزيد ابن معاوية وعبد الملك ابن مروان .

وفيها غزا الاحنف ابن قيس خراسان وحارب يزدجرد وفيها فتح هرات ونيسابور ومرو الروز وبلخ)

الفصل الرابع

في خلافة عثمان ابن عفان

وفي السنة ٢٣ ه = ٦٤٥ م كان مقتل عمر ابن الخطاب قتله ابو لؤلؤ العجمي غلام المغيرة ابن شعبة وكان مجوسياً . والسبب بانه شكى له ثقل الخراج الذي رسمه عليه وهو درهمان في كل يوم . فقال له عمر ما اراه كثيراً عليك لاني سمعت عنك انك تدير الرحى بالريح . فقال لاديرنّ لك رحى تسكن بها الآخرة ثم ان الغلام ضربهُ بالخنجر ضربتين في خاصرته فقتلهُ . قال . وقد اجتمعت المسلمون وقالوا لعمر لمن تعهد ان تكون الخلافة بعدك فقال لو كنتُ حياً لاخترت من رايتموه اهلاً لها . واما الآن فلتختر الامة واحداً من الستة الاشخاص . وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وابو عبيدة ابن الجراح وسعيد ابن ابي وقاص . ولما دفن عمر جاءوا الى علي وقالوا له هل انت مبايع على كتاب الله وسنة نبيه وسنة الشيخين ابي بكر وعمر . فقال اما على كتاب الله وسنة نبيه نعم . واما على سنة الشيخين فاجتهد ان لايكون ذلك . ثم اتوا الى عثمان [1] وقالوا له اتبايع على كتاب الله وسنة نبيه وسنة الشيخين . قال لهم نعم فبايعوه ورضوا به . وكان مقتل عمر في اربعة بقين من ذي الحجة وهو اول من ارخ بعام الهجرة وختم الكتب . وهو اول من دعي بامير المؤمنين [2] ودعاه بهذا الاسم ابو موسى الاشعري وهو اول من جمع

(١) هو عثمان ابن عفان ابن ابي العاص ابن امية ابن عبد شمس ابن عبد مناف ويكنى بابي عبد الله . وامهُ اروى بنت بكر ابن جابر . وكان له من الاولاد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر امها رقية بنت رسول الله (صلعم) وابان وخالد وسعيد (والوليد والمغيرة وعبد الملك) (وامهم عائشة) وكان عبد الله الاكبر في غاية الظرف كثير التزوج وكثير الطلاق . وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون ومات عبد الله من نقرة ديك في عينهِ

(٢) قيل حالما تولى الخلافة دعوه خليفة خليفة رسول الله فقال هذا امر يطول شرحهُ لمن ياتي بعدي بل انتم المومنون وانا اميركم فسمي امير المومنين وهو اوّل من حمل الدرّة كنيته ابو حفص ولقبهُ الفاروق قيل ان الرسول لقبهُ بهِ وقيل اهل الكتاب وكانت وفاتهُ ليلة الاربعاء لثلث بقين من ذي الحجة وكانت ولايتهُ عشر سنين وخمسة اشهر واحدى وعشرون ليلة . وعند موتهِ بكتهُ النادبات

الناس على امام واحد في رمضان وفي ايامه كانت الفتوحات العظام . ذكر الطبري في تاريخه ان قد اختلفت الناس في خلافة عمر ابن الخطاب . والذي ثبت عليه التاريخ هو ان ابتداءه يوم الاربعاء وآخره يوم الاثنين والمدة عشرة سنين ومائة وثمانية وسبعون يوماً هجرية والذي ورد في تاريخ الروم هذه السنة انه قبل وفاة عمر ابن الخطاب كتب الى عمرو ابن العاص بان يتوجه الى مصر ويفتحها . وقيل انه كتب في الكتاب ان وافاك كتابي هذا وانت في ارض الشام فلا تعبر الى مصر . وان وافاك وقد دخلت حدود مصر فاعبر على خيرة الله . فلما وصله الرسول قال له ما خبرك قال ان عمر قد كتب اليك بكذا وكذا . فقال له ابقِ الكتاب معك ورحل الى ان وصل الى العريش . فاحضر الرسول بحضور اكابر القوم واخذ الكتاب منه وقراءه عليهم . وسال هل ان العريش من حدود الشام ام حدود مصر . فقيل له من حدود مصر قال نعبر على خيرة الله تعالى فعبر اليها في سنة ثمانية عشر للهجرة في جمع غفير من المسلمين . قال وكان المقوقس عاملاً على مصر من قبل هرقل . فاجتمع هو واكابر القبط وصالحوا عمرو ابن العاص على ان يودوا الجزية . فلما تحقق الروم الذين بمصر هربوا الى الاسكندرية وتحصنوا فيها . وقاتلهم المسلمون اشد قتال . واقتحم العرب حصن الاسكندرية فجاشت عليهم الروم واخرجوهم واسروا عمرو ابن العاص ومسيلمة ابن خالد ووردان مولى عمرو . فقال لهم البطريق بالاسكندرية قد صرتم اسرى في ايدينا فعرفونا ما الذي تريدونه منا . فقال لهم عمرو اما ان تدخلوا في ديننا واما ان تؤدوا الجزية . واما ان نقاتلكم الى ان نفي امر الله . فقال البطريق لاصحابه اظن ان هذا امير القوم واراد ان يضرب عنقه ففهم وردان بالرومي كلام البطريق . فجذب عمرو وضربه وقال له مالك ولهذا القول وانت ادنى من في الجماعة واقل . اترك غيرك يتكلم . فقال البطريق لو كان هذا امير القوم لما كان يفعل به هكذا . فقال مسيلمة ان اميرنا كان عازماً على الانصراف عنكم واراد ان يسير من اكابر القوم من يتفق معهم على شيء تتراضون عليه . فان اطلقتمونا مضينا

والنائحات ورثاه كثير من الشعراء مراثٍ تبكي الصخر الاصم . وفي سنة ٢٣ فتحت اصطخر بعد فتح توّج الآخرة من بلاد فارس وقائد المسلمين عثمان ابن ابي العاص . ثم فتح سهيل ابن عدي كرمان وفتح عاصم ابن عمرو سجستان وهي افغانستان . وفتح ابن عمر التغلبي مكران وهي ارض من الافغان وفتح الربيع ابن زياد ميروز . وفيها حج عمر بازواج الرسول (صلعم) وهي آخر حجة حجها . وفيها غزا معاوية ابن ابي سفيان ارض الروم حتى بلغ عمورية . وفيها فتح معاوية عسقلان

وعرفناه ما صنعتم بنا من الجميل و يتفق الامر بينكم وننصرف عنكم . فتوهم البطريق ان الامر كذلك فاطلقهم . فلما خرجوا قال مسيلمة لعمرو ياعمرو قد خلصتك ضربة وردان و بعد ذلك قاتلهم عمرو ابن العاص والمسلمون الى ان فتحوها وهرب الروم الى المراكب فكتب عمرو ابن العاص لعمر ابن الخطاب اني فتحت مدينة المغرب ولا اقدر اصف ما فيها . وذلك ان فيها اربعة آلاف حمام واثنا عشر الف بقال يبيعون البقل الاخضر واربعة آلاف يهودي يؤدون الجزية واربعماية ملهى فكتب عمرو يشكره و يعرفه ان الغلاء قد وقع بالمدينة وان الناس في جهد من الغلاء . فبعث عمرو بجمال موقرة حنطة اولها بالاسكندرية وآخرها بالمدينة قال فكتب عمر الى عمرو ابن العاص بان يحفر خليجاً يحمل فيه الغلال الى القلزم ومن القلزم الى المدينة في البحر المالح فحفر عمرو الخليج المعروف بخليج امير المؤمنين وكانت المراكب تحمل الغلال من الاسكندرية الى القلزم في الخليج ومن القلزم الى المدينة في البحر المالح .

وفي السنة ٢٤ هـ = ٦٤٦ م كتب عمرو ابن العاص لبنيامين [1] بطريرك الاسكندرية اليعقوبي امانا فحضر بفرح عظيم بعد ان غاب عن كرسيه ثلاث عشرة سنة منها عشرة في مملكة هرقل وثلاثة في مملكة المسلمين . وفيها فتحت الموصل والجزيرة وآمد واصطخر واصفهان و بعض بلاد خرسان قال ابن جرير الطبري لما فتح عمر بيت المقدس كتب لمن فيها امانًا وهذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم من عمر ابن الخطاب لاهل مدينة ايليا انهم آمنون على دمائهم واولادهم ونسائهم واموالهم وجميع كنائسهم لاتهدم ولا تسكن . قال فلما دخل المدينة جلس في وسط صحن كنيسة القيامة . فلما حان وقت الصلاة قال عمر اريد ان اصلي قال البطريرك يا امير المؤمنين صلي في موضعك . قال لا وخرج الى خارج الكنيسة وصلى على الدرجة التي عند باب الكنيسة وحده . ثم جلس وقال للبطريرك لو صليت داخل الكنيسة كان المسلمون

---

(١) فيها عزل عثمان المغيرة ابن شعبة عن الكوفة وولى عليها سعد ابن ابي وقاص . وفيها بعث عبد الله ابن عامر الى كابول وهي عمالة سجستان او افغانستان وفيها غزا الوليد ابن عقبة اذربيجان وارمينية لامتناع اهلها عما صالحوا عليه ايام عمر في رواية . فصالح اهل اذربيجان على ٨٠٠ الف درهم . و بعث سلمان ابن ربيعة الباهلي الى ارمينية في اثني عشر الفًا

وفيها جاشت الروم حتى استمد من بالشام من جيوش المسلمين من عثمان مددًا فكتب الى اهل الكوفة ان يمدوهم بثمانية او بعشرة آلاف ففعلوا وقائدهم سلمان ابن ربيعة وقائد جنود الشام حبيب ابن مسلمة (ط)

ياخذونها بعدي و يقولون هاهنا صلى عمر . وكتب لهم خطًا ان لا يصلي احد المسلمين على الدرجة الا واحدًا واحدًا . ولا يجمع فيها الصلاة ولا يؤذن عليها . ثم قال عمر للبطريرك عرفني موضعًا ابني فيه مسجدًا . فقال له البطريرك عن الصخرة التي كلم الله يعقوب عليها . فلما جاء عمر اليها وجد ترابًا كثيرًا عليها . فاخذ عمر من التراب بثوبه . فلما نظر المسلمون عمر حاملاً التراب لم يتاخر احد منهم على حمل التراب في ثوبه فتنظفت للوقت . فامر عمر ان يبنى هناك المسجد في آخرها ومضى الى بيت لحم ودخل الى كنيستها وصلى عند الحنية التي ولد فيها السيد المسيح . وكتب سجلاً ان لا يصلي في هذا الموضع من المسلمين الا رجل بعد رجل ولا يجمع فيه الصلاة ولا يؤذنون فيه . وعاد عمر ابن الخطاب الى المدينة . ذكر قبل وفاة عمر ابن الخطاب ان هرقل ملك الروم كان بحمص لما فتح المسلمون طبرية فلسطين والساحل فبلغه ذلك فتوجه الى انطاكية واستفلت المستعربة من غسان وجذام ولخم وكل من قدر عليه وقدم عليهم بطريقًا اسمه ماهان فوجهه الى دمشق . وكتب الى منصور بان ينفق عليهم المال . وكان منصور موغر الصدر عليه لان هرقل كان عاقبه واستخلص منه المال لما كانت مدينة القسطنطينية محاصرة فاعتذر انه ليس بدمشق مال وان العرب قوم غزاة وما يحتاجون الى هذا كله . فخرج ماهان والعسكر الذي معه فصادف جيوش عمر وقد وصلت للجولان وصار الوادي بينهم مثل الخندق فاقاموا ايامًا وخرج منصور يريد عسكر ماهان البطريق ومعه مال قد جاء به من دمشق لينفقه على العساكر فوصل في الليل وكان معه خلق كثير من اهل دمشق رمشاعيل وطبول وابواق . فلما نظر عسكر ماهان الجموع التي مع منصور والطبول والابواق توهم انهم العرب فجاؤهم من خلف وكبسوهم فوقعت بهم الهزيمة وسقطوا كلهم من الوادي وماتوا ولم ينج منهم الا قليل فهربوا الى دمشق . واهتموا للحصار وجمعوا ما قدروا عليه من طعام وماشية ووضعوا على ابواب دمشق العرّادات والمنجنيقات وقاموا مقاتلين . ونزل خالد ابن الوليد بباب شرقي . ونزل ابو عبيدة ابن الجراح بباب الجابية . ونزل عمرو ابن العاص بباب توما . ونزل يزيد ابن ابي سفيان بباب الصغير فاقاموا الحصار على دمشق ستة اشهر وجرى بينهم حروب ومواقع كثيرة . فلما اجهد اهل دمشق طلبوا من خالد ابن الوليد الامان لان بدمشق من الروم فاجابهم الى ذلك وفتحوا له الباب فدخل خالد ابن الوليد المدينة وامر اصحابه ان يغمدوا السيوف فبلغ بقية الروم الذين على الابواب ان المسلمين دخلوا المدينة فهربوا وتركوا بقية

الابواب فدخل ابو عبيدة ابن الجراح بالسيف من باب الجابية ودخل يزيد من الباب الصغير . وعمرو ابن العاص من باب توما بالسيف . ولم يزالوا يقتلون الى ان التقوا بخالد ابن الوليد ومنصور معهُ وكان بيده الامان منشورًا . فاختلفوا ساعة ثم اتفقوا على الامان وكتبوا خطوطهم فيه . ولهذا كان جامع دمشق بعضه كنيسة و بعضه مسجدًا لانه كان كنيسة في ايام الروم . واخذ منصور من بقى من الروم ولحق بهرقل الى انطاكية . فلما بلغ هرقل ان دمشق قد اخذت قال عليك السلام ياسور يا اي عليك السلام ياشام وسار الى القسطنطينية واما ماهان البطريق فانه لما هرب من وقعة الجولان توجه الى طور سينا وترهب لانه خاف ان يعود الى هرقل . وحين تملك عمرو ابن العاص الاسكندرية كان يحيي المعروف بغراماطيقوس وكان اسكندريًا يعتقد اعتقاد النصارى اليعاقبة و يشيد عقيدة سوريا ثم رجع عما يعتقد النصارى به فاجتمع الاساقفة به بمصر وسالوه الرجوع فلم يرجع فاسقطوه من درجته فدخل على عمرو ابن العاص وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم يكن للعرب بها معرفة ففتن به وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه يحيي وكان لا يفارقه فقال يحيي انك احطت بحواصل الاسكندرية وجميع مابها فالذي لك به انتفاع فلا اعارضك به . واما الذي لاتنتفع منه فنحن اولى به قال عمرو وما الذي تحتاج اليه قال له كتب الحكمة التي في خزائن الملوك . قال عمرو اذا كان بها ما يوافق كتاب الله اعطيتك اياها وان كانت تخالف كتاب الله يلزمنا ابادتها . ثم ان عمرو استفحص الكتب فما وجد فيها شيئًا يوافق كتابه فامر بتفريقها على الحمامات في الاسكندرية واحرقها جميعها قال بن جرير الطبري اول ما فتح في خلافة عثمان ماء البصرة وما كان بقي من حدود اصفهان والري على يد ابي موسي الاشعري . ثم بعث عثمان عبد الله ابن عامر الى اصطخر و بها يزدجرد فخرج الى داربجرد فارسل عبد الله مجاشع ابن مسعود في اثر يزدجرد فركب المفازة حتى اتى كرمان واخذ على طريق سجستان يريد الصين . وجاء مجاشع الى سجستان ثم لما انصرف لم يدرك يزدجرد وعاد الى فارس فاشتد خوف يزدجرد واستمد طرخان التركي لنصرته . ولما ورد استخف به وطرده لكلام تكلم به بعض الترك . وعند انصرافهم ارسل ماهويه مرزبان مروفولى يزيد المدائن فادركته بالخيل وقتلوه . وفي زمان خلافة عثمان انتزع عمرو ابن العاص عن الاسكندرية وولى مكانه عبد الله

ابن مسعود[1] . وفي خلافته غزا افريقية وغزا معاوية قبرس وانقره فافتحها صلحاً ثم ان الناس نقموا على عثمان لاشياء منها انه كلف باقارب وآوى ابن العاص ابن اميه طريد النبي واعطى عبد الله ابن خالد اربعماية درهماً . واعطى الحكم ماية الف درهم . ولما تولى صعد المنبر فتسنم ذروته حيث كان يجلس النبي (صلعم) وكان ابو بكر ينزل عنه درجة وعمر درجتين . وتكلم الناس عن ذلك واظهروا الطعن بحق عثمان . ولما بلغه ذلك صعد على المنبر وخطب وقال ياقوم هذا مال الله اعطيه لمن شئت وامنعه ممن شئت فارغم الله انف من رغم انفه . فقام عمار ابن ياسر وقال انا اول من رغم انفه فوثبت بنو امية وضربوه حتى غشي عليه . فلما نظرت العرب ماحلّ بعمار ابن ياسر حنقت من ذلك وجمعوا جموعهم وخرجوا من المدينة . ونزلوا على مسافة فرسخين منها وارسلوا الى عثمان يقولون له اما ان تعدل واما ان تعتزل . وكان اشد الناس حنقا على عثمان طلحة والزبير وعائشة فرد لهم جواباً انني انزع عما كرهتموه واتوب الى الله . فلم يقبلوا منه ذلك وحاصروه عشرين يوماً . فكتب الى علي اترضى ان يقتل ابن عمك ويسلب ملكه . ولما وصل الكتاب الى علي قال لا والله لا ارضى بذلك . ثم ارسل الحسن والحسين اولاده واوصاهم ان يحرسوا بابه فتسور محمد ابن ابي بكر مع رجلين حائط عثمان وضربه احدهم على اذنيه وقتله الآخر والمصحف في حجره . وكان ختام خلافته في عشرة من ذي الحجة سنة ٣٥ وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة . وفي خلافة عثمان ابن عفان مات يزدجرد ابن شهريار ابن كسرى ملك الفرس وهو آخر ملوكهم وزالت حينئذ دولتهم بالكلية وصارت بلاده ومملكته للمسلمين . وفيها مات ابو سفيان ابن حرب ابن اميه بالمدينة وله من العمر ثمان وثلاثون سنة . وتوفي ايضاً العباس ابن عبد الله اخي عبد المطلب وقد خف بصره وكان من اجود بني قريش . وكان اذا مرّ به عمر ام عثمان وهما راكبان ترجلا اجلالاً لقدره . وفي هذه السنة توفي سلمان الفارسي وعمره ست وخمسون سنة . ذكر المسعودي في تاريخه سار عبد الله ابن سعيد ابن ابي شرح الى عثمان في رجب . فمضى ابن حنيفة الى مصر وكان من اكبر المولبين على عثمان . واخرج عقبة ابن تمام خليفة عبد الله ابن سعيد من مصر . وخلعه عثمان وتأمر على مصر . وعاد عبد الله ابن سعيد اليها فلم يمكنه محمد ابن حنيفة من الدخول اليها فرجع الى عسقلان

(١) هو اخوه لامه

ومات بها · وذكر المسعودي قال قدم الى المدينة الاشتر بن مالك ابن حرث النخعي في
ماية رجل من الكوفة وقدم من البصرة ماية وخمسون رجلاً · ومن مصر ستماية رجل ·
وكان اجتماعهم على عثمان قبل قتله ليعزلوه من الخلافة · ثم اجتمعوا في المدينة فسير اليهم
عثمان المغيرة ابن شعبة وعمرو ابن العاص ليدعواهم الى كتاب الله وسنة نبيه · فردوهما
اقبح ردّ · فبعث اليهم علي ابن ابي طالب فدعاهم الى ذلك وضمن لهم ما وعدهم به
عثمان · وكتب علي وعثمان كتاباً براحتهم واخذوا على عثمان عهد الله واشهدوا عليه علي
ابن ابي طالب ضامناً ذلك وشهوداً آخرين وطلب المصريون من عثمان عزل عبد الله ابن سعيد
ابن ابي شرح وان يولي مكانه محمداً ابن ابي بكر الصديق فاجابهم الى ذلك · وكتب
لهم عهداً ورجع كل منهم الى بلاده · فلما[1] وصل المصريون الى الموضع المعروف
بجمس وجدوا رجلاً يدعى ورش غلام عثمان ومعه كتاب من عثمان الى عبد
الله ابن سعيد وفيه يقول اذا قدم محمد ابن ابي بكر فاقطعوا يديه ورجليه وارفعوه
على جذع النخل فرجع المصريون الى المدينة وكان ذلك سبب الاجتماع على عثمان
وقتله[2] · قال وكان عثمان طويل القامة حسن الصورة اسمر اللون وافر اللحية
وكان يكثر من الصلوة وتلاوة القرآن · وكان يسلك ضد سلوك سلفائه واقتنى اموالاً
كثيرة انتهبت يوم قتله · وعمر العمائر العظام في المدينة وكان كريماً جواداً واقتنى
ضياعاً كثيرة بوادي القرى وحنين وغيرهما وحوى كثيراً من الخيل والابل · وفي
ايامه اقتنت اصحابه الدور والجنان · فعمر الزبير ابن العوام داراً في البصرة · و بنى طلحة
ابن عبد الله التيمي داراً بالكوفة · وهي المعروفة بدار الطالحيين · وكذلك عبد الرحمن
ابن عوف ابتنى داراً بالمدينة وكانت تسع الفاً من الخيل واقتنت اصحابه الابل والخيل

---

(١) فبينما هم في اثناء الطريق اذا بعبد على هجين يجهد · فقالوا له الى اين قال الى عامل مصر ·
فقالوا له هذا عامل مصر يعنون به محمد ابن ابي بكر فقال العبد بل العامل الآخر فامسكوه وجدوا
معه كتاباً عليه ختم عثمان يقول فيه اذا جاءك محمد ابن ابي بكر ومن معه بانك معزول فلا تقبل
واحتل في قتله وقر في عملك او كما روى المسعودي فاقطع يديه و رجليه وارفعه على جذع النخلة (عن
ابي الوليد ابن الشحنة)

(٢) قيل انهم حاصروه في داره ٤٩ يوماً وكانوا منعوا عنه الماء فارسل له علي ماء وارسل
ولداه الحسن والحسين ليمنعا عنه العدوّ · ولكنه دخل اولاً محمد ابن ابي بكر و رجلان آخران و رائه فاخذ
محمد بلحيته وقال له عثمان لو راءك ابوك لساءه مكانك فتراخت يده وتركه ثم دخل رجلان وقتلاه
وفي الاول لم يعرفا وقيل ان احدهما كنانة ابن بشر التجيبي والآخر سودان ابن حمران المرادي · وقيل
عمر ابن الحمق طعنه بسهام ودفن في الموضع المعروف بحش الكوكب وفيه مقابر بني امية (س)

وحوت الاموال وكان عثمان يميل الى بني امية . وكان الحكم ابن مروان كاتبه واكثر عماله منهم . وكان يتغافل عما يبدونه . وقيل كان الحكم يوجه الكتب الى الامصار بدون امر عثمان . قيل ان الكتاب الذي ارسله بقتل محمد ابن ابي بكر كان منه بدون امر عثمان . وكان الوليد ابن عقبه يشرب الخمر ولما اعلموا عثمان به نزعه من الكوفة وولّى مكانه ابا موسى الاشعري

(وفي سنة ٢٥ هـ = ٦٤٥ م قيل ان الاسكندرية نقضت عهدها فحاربها المسلمون ثانية واخضعوها وفيها توجه عبد الله ابن سعد ابن ابي سرح الى المغرب وفتحها . وفيها حج عثمان بالناس . وفيها فتح الحصون وامير المسلمين معاوية ابن ابي سفيان . وفيها ولد يزيد ابن معاوية . وفيها كانت وقعة سابور الاولى

(وفي سنة ٢٦ هـ = ٦٤٦ م قيل ان سابور فتحت . وفيها امر عثمان بتجديد انصاب الحرم . وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه . وابتاع من قوم وابى آخرون فهدم عليهم . وفيها عزل عثمان سعداً عن الكوفة وولاها الوليد ابن عقبة . وحج عثمان بالناس

(وفي سنة ٢٧ هـ = ٦٤٧ م فتحت افريقية على يد عبد الله ابن سعد ابن ابي سرح فولاه عثمان مصر بعد عزل عمرو ابن العاص . وفيها كان فتح اصطخر الثاني على يد عثمان ابن ابي العاص . وفيها غزا معاوية قنسرين

وفي سنة ٢٨ هـ = ٦٤٨ م فتحت قبرس على يد معاوية غزاها بامر عثمان وصالح اهلها على سبعة الاف دينار وغزاها ايضاً اهل مصر وعليهم عبد الله ابن ابي سرح فالتقوا بمعاوية . وفيها غزا حبيب ابن مسلمة سورية من ارض الروم . وفيها تزوج عثمان نايلة ابنة القرافضة وكانت نصرانية فتحنفت قبل ان يدخل عليها . وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزوراء وفرغ منها

وفي سنة ٢٩ هـ = ٦٤٩ م عزل عثمان ابا موسى الاشعري عن البصرة وكان عاملاً عليها ست سنين وولاها عبد الله ابن عامر ابن كريز . وفيها امَّر على خراسان عمر ابن عثمان ابن سعد وعلى سجستان عبد الله ابن عمير الليثي . وفيها افتتح عبد الله ابن عامر بلاد فارس . وفيها زاد عثمان في مسجد رسول الله ووسعه وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة فيها رصاص وجعل طوله ١٦٠ ذراعاً وعرضه ١٥٠

وفي سنة ٣٠ هـ = ٦٥٠ م غزا سعيد ابن العاص طبرستان هي مدينة على ساحل البحر في تخوم جرجان . وفيها عزل عثمان الوليد ابن عقبة عن الكوفة لشربه الخمر

وولاها سعيد ابن العاص وفيها سقط خاتم رسول الله (صلعم) من يد عثمان في بئر الرئيس وهي على ميلين من المدينة وكانت من اقل الابار ماء فما ادرك حتى الساعة قعرها وفيها كان ما ذكر من امر ابي ذر ومعاوية واشخاص معاوية اياه من الشام الى المدينة . وكان زاهدًا يحسب المال الذي يجبى من الناس مال المسلمين وكانوا يدعونه مال الله ولما وصل للمدينة وراى الاسراف فيها لم يرد سكناها بل انتقل الى الربذة وقيل ان عمر نفاه اليها . وفيها هرب يزدجرد ابن شهريار من فارس الى خراسان على قول بعضهم وفيها زاد عثمان النداء الثالث على الزوراء وصلى بمنى اربعًا . وفيها حج بالناس عثمان رضه

وفي سنة ٣١ هـ = ٦٥١ م غزا المسلمين الروم الغزوة التي يقال لها غزوة الصواري وغزوة الاساورة وهما غزوتان غزا بها الروم المسلمين بالمراكب بحرًا فاتوا الساحل فلاقاهم جماعة من المسلمين بالمراكب وخيروهم بالقتال بحرًا ام برًّا فاختاروا البحر وقتل فيها عدد عظيم من المسلمين والروم ايضًا وجرح قائدهم قسطنطين جرحًا بليغًا ولم ينج منهم الا الشريد . وفيها توفي ابو سفيان ابن حرب وعمره ٨٨ سنة وقيل ان فيها فتحت ارمينية على يد حبيب ابن مسلمة الفهري . وفيها قتل يزدجرد آخر ملوك فارس . وفيها شخص عبد الله ابن عامر الى خراسان ففتح ابرشهر وبثيومردوطس وبيشان حتى ربع سرخس وصالح فيها اهل مرو

وفي سنة ٣٣ هـ = ٦٥٢ م غزا معاوية ابن ابي سفيان المضيق مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة ابنة قرظة . وفيها استعمل سعيد ابن العاص سلمان ابن ربيعة على مرج بالبحر وامد الجيش الذي معه باهل الشام فوقع الاختلاف بين سلمان وحبيب وتنازع في ذلك اهل الشام واهل الكوفة . وفيها مات عبد الرحمن ابن عوف . ومات العباس بن عبد المطلب ومات ابو ذر ومات عبد الله ابن مسعود بالمدينة وفيها فتح ابن عامر مرو الروز والطالقان والغارياب والجوزجان وطخارستان وفيها جرى الصلح بين الاحنف و بين اهل بلخ

وفي السنة ٣٣ هـ = ٦٥٣ م كانت غزوة معاوية حصن المراة من ارض الروم من ناحية ملطيه . وفيها غزا عبد الله ابن سعد ابن ابي سرح افريقية الغزوة الثانية حين نقض اهلها العهد . وفيها تقدم عبد الله ابن عامر الاحنف ابن قيس الى خراسان بعد ما نقض اهلها العهد ففتح المروين مرو الشاهجان صلحًا ومرو الروض عنوة . وفيها سير عثمان من سير من اهل العراق الى الشام الى معاوية وكانوا تسعة او عشرة اشخاص ابتداوا في الطعن بحق

الخليفة وواليه والطعن في الدين وظهر منهم امور تعد كفراً فبامر الخليفة ارسلوا اولاً الى معاوية كمنفيين ومعاوية بعد ما نصحهم ارسلهم الى عبد الرحمن ابن خالد في حمص وكانوا من اهل الكوفة فانكروا على الخليفة ولاية جماعة من اقاربه لا يصلحون · (ط)

وفي سنة ٣٤ هـ = ٦٥٤ م زعم ابو معشر ان غزوة السواري كانت فيها · وفيها رد اهل الكوفة سعيد ابن العاص وذلك لفسقه وظلمه وسوء ادابه · وفيها تكاتب المنحرفون عن عثمان الاجتماع لمناظرته فيما كانوا يتهمونه به · فالتزم عند رد سعيد عن الكوفة ان يرسل اليهم ابا موسى الاشعري اميرًا على الكوفة فاقروا عليه · روى الواقدي انه قدم كثيرون من مصر والكوفة والبصرة ومحلات متعددة يشتكون من اعمال عثمان وكلموا علي ابن ابي طالب في ذلك فدخل على عثمان ونصحه وكلمه ومن جملة ما قاله له تعلم ياعثمان ان افضل عباد الله عند الله امامٌ عادل هُدي وهدى فاقام سنَّة معلومة · وامات بدعة متروكة · وان شر الناس عند الله امامٌ جائر ضل وضل به فامات سنَّة معلومة واحيا بدعة متروكة · واني سمعتُ رسول الله (صلعم) يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقي في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى (ط) وفيها اقطع عثمان ابن عفان مروان ابن الحكم فدك صدقة رسول الله (صلعم) ولم تزل في يد مروان وبنيه الى ان ردها عبد العزيز صدقة · وفيها توفي المقداد ابن الاسود وعمرهُ سبعون سنة (س))

الفصل الخامس

في خلافة علي ابن ابي طالب

وفي السنة ٣٥ = ٦٥٥ م قال ابو جعفر الطبري لما قتل عثمان [1] اجتمع المهاجرون والانصار ومنهم طلحة والزبير ليبايعوا علي بن ابي طالب · فقال علي لطلحة والزبير ان احببتما تبايعاني · وان احببتما فانا ابايعكما · فقالا لا · بل نحن نبايعك · واخرجوه الى المسجد · و بايعه الناس يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة · وكان اول من بايعه

(١) قتل عثمان وهو يتلو المصحف في ١٨ ذي الحجة ومدَّة خلافته ١٢ سنة الاَّ اثني عشر يومًا · وعمره ٧٥ سنة وقيل ٨٣ وقيل ٩٠ و بقي ثلاثة ايام لم يدفن · ثم امر علي بدفنه · وكان كاتبه ابن عمه مروان بن الحكم وقاضيه زيد بن ثابت وكنيته في الجاهلية ابو عمرو وفي الاسلام ابو عبد الله (الوليد ابن الشحنة)

طلحة . وتخلف عن مبايعته بنو امية ومروان ابن الحكم وسعيد ابن العاص والوليد ابن عقبة . ولم يبايعه العثمانيون (اي حزب عثمان) . ولما اتت عايشة ابنة ابي بكر ارملة النبي من مكة استقبلت رجلاً على الطريق وقالت له ما الخبر . فقال قتل عثمان و بايعت الناس علياً . فقالت ما قتل عثمان الا علي ولأصبع عثمان خيرٌ من طبقات الارض . ثم انصرفت عايشة الى مكة وضربت فسطاطاً في المسجد (وفيها كان نزول اهل مصر ذا خشب واهل العراق من الكوفة والبصرة الى ذي مروة . واجتمع قوم على عثمان يشتكون منه انه اعطى كثيراً من مال المسلمين لاقربائه . فبعد مشورة الصحابة الزموا المتهمين برد المال المحكي عنه . ثم ان معاوية نصح للخليفة ان ياتي معه الى الشام ليحميه او انه يرسل اليه العساكر لتحميه من الغيلة والقتل فلم يرضَ . واتفق الثائرون من مصر والعراق على الثورة ضد امرائهم . ولذلك رد اهل الكوفة سعيداً كما سبق فارسل لهم ابا موسى واقروه . ولما وصل المصريون ذا خشب والعراقيون ذا مروة خرج اليهم الخليفة وقال ان النبي لعن جنود ذي خشب وذي المروة . ثم حاصروا عثمان اربعين يوماً . ثم ان الخليفة خرج اليهم ووعدهم خيراً . وكان من جملة مواعيده انه يعزل امير مصر و يولي عليهم مكانه محمداً ابن ابي بكر حسب طلبهم وصرفهم راضين مع محمد بن ابي بكر . ثم انهم في اثناء سفرهم عند ما وصلوا الى البويب التقوا براكب هجين من خدام عثمان اسمه ابو الاعور ابن سفيان السلمي فصار يقترب اليهم مرة ثم يفارقهم اخرى فسالوه الى اين فقال حامل رسالة الى عامل مصر . فقالوا هذا عامل مصر . اشارة الى محمد المذكور . فقال لا الى العامل الآخر فامسكوه وفتشوه فاذا معه كتاب الى العامل القديم يأمره فيه ان يقتل بعضهم و يصلب بعضهم و يقطع ايدي وارجل بعضهم و يسجن بعضهم . والكتاب مختوم بختم عثمان فرجعوا حالاً الى المدينة واخبروا علياً وطلبوا قتل عثمان فلم يوافقهم على ذلك وخرج الى قرية بعيدة . وعندما سألوا عثمان عن ذلك انكر انه لم يكتب ذلك الكتاب وحلف واخيراً تحقق ان مروان كتب ذلك الكتاب بدون علمه وختمه بخاتم الخليفة . فسالوه تسليم مروان فابى . وقالوا له ان كان المكتوب منك فانت معزول وان كان من مروان فهذا يدل على ضعف منك واحاطوا به وحاصروه و بقي ثلاثة ايام بلا ماء فاخبر علياً بذلك فارسل له ماء وارسل ابنه الحسين ليحميه . واخيراً دخل عليه من بيت آخر محمد بن ابي بكر وتبعه اخرون فامسكه محمد بلحيته فاجابه لو كان ابوك حياً لما سرَّ بعملك فتركه ثم تقدم الاخرون وقتلوه . ودفنوه في حش كوكب مقبرة كانت لليهود ورجموه بالحجارة . ولم يشهد

ماتمه الا قليلون ودفنوه سرًا لكي لا يلحقه المصريون والباقون · ودفنه كان محتقرًا وقالوا له نعثل نعثل · ولما تولى الخلافة معاوية امر بدفن المسلمين هناك حتى اتصل قبره بمدافنهم

وفي السنة ٣٦ هـ [١] = ٦٥٦ م اراد علي ان يعزل معاوية عن الشام فقال له المغيرة بن شعبة قرر معاوية على الشام فانه يرضى بذلك · وسأل طلحة والزبير ان يوليهما البصرة والكوفة فقال علي اريد ان اوليكما ولا اقدر على فراقكما · ثم استاذناه في العمرة فاذن لهما وقدما الى مكة ودخلا الى عائشة وعزوها في عثمان وعظما فيه وكان قد سمع معاوية ما تقول عائشة في علي فاتى معاوية وكتب الى الزبير انني قد بايعتك والطلحة من بعدك فلا يفوتكما العراق واعانهما بنوامية وغيرهم وخرج طلحة والزبير بعائشة الى البصرة فاخذوا ابن حنيف [٢] اميرها من قبل علي وجلدوه ونتفوا لحيته ثم اطلقوه فسار الى علي وملكوا بيت المال وقتلوا من الوكلاء خمسين رجلا · ولما بلغ ذلك عليًا خرج من المدينة وسار بتسعماية رجل وجاء من الكوفة ستة الاف رجل وكانت الوقعة في الخريبه وجرى وقعات كثيرة بين علي ومعاوية وكان مدة ذلك ماية وعشرين يومًا · وقيل انه حدث فيها تسعون وقعة وكل وقعة يتقدمها موعظة · وكانت عائشة تحضر الوقعات وهي في هودج على الجمل · فنادى علي على الزبير وطلحة وقال احضرتما ابنة ابي بكر عروسة رسول الله (صلعم) لتقاتلاني بها ونادى باعلى صوته يا ام المومنين [٣] والله لقتل عثمان اهون من

---

(١) في هذه السنة فرّق علي عمالهُ فارسل سهل ابن حنيف الى الشام فعارضهُ قوم في تبوك وردوه وقيس ابن سعد الى مصر فقبلهُ قسم وقسم صغير رفضهُ وهم اهل خربتا · وردّ اهل الكوفة عمارة بن شهاب · وارسل عثمان ابن حنيف الى البصرة ·

(٢) عند ما قدم طلحة والزبير بصحبة عائشة الى البصرة لاقاهم عثمان بن حنيف عامل علي وحاربهم ولكنهم استظهروا عليهِ واسروه وقصدوا قتلهُ ولكنهم اخيرًا اخلوا سبيلهُ بعد ما نتفوا شعر راسهِ ولحيتهِ وحاجبيهِ فذهب الى علي وكان حينئذٍ في ذي قار · ومنها بعث علي الى الكوفة فاتى لنصرتهِ اثنا عشر الفًا ونزل علي وجنوده في الزاوية من البصرة وراسلهم ثلثة ايام بلا قتال · وحضر اشخاص الى البصرة بعضهم يبعدون الجموع عن الفريقين وبعضهم يحثونهم على الانحياز الى علي فانحازت قبائل عبد القيس الى علي وقبائل اليمن ضده · ولربما هذا اصل القيسي واليمني في لبنان وكل الشام · فاستظهر علي وغلبهم · ثم ارسل عائشة مع نفقة لها ١٢ الف درهم مع كل ما يلزمها من زاد وركائب واخرج معها كل من نجا ورام الرجوع · واختار لها ٤٠ امرأة من نساء البصرة المعروفين وارسل معها اخاها محمدًا · وشيعها علي اميالاً وسرح بنيهِ معها مسافة يوم · و بعد الموقعة بايع اهل البصرة عليًا فقسم لهم ما وجده في بيت المال

(٣) قيل ان من خاطبها هذا الخطاب جارية ابن قدامة السعدي وليس علي ولربما قالاه كلاهما ·

خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون فقد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكتِ سترك واخرقتِ حرمتكِ. ثم التفت الرجال واضطرمت نار الحرب . ففارق الزبير المعركة وهرب فلحقه عمر بن جرموز وطعنه فقتله . واما طلحة فاصابه سهم وحمله غلامه ودخل به البصرة فمات وقتل في ذلك اليوم تسعون رجلا عند زمام جمل عائشة . وجعلت عائشة تنادي الرجال فقدم رجل وعقر الجمل فسقطت من اعلاه وتقدم علي حتى وقف بالقرب منها وقال لاخيها محمداً ابن ابي بكر انظر هل هي في الحيوة ام لا فتقدم محمد ولما نظرته قالت له اني عتيقتك يامحمد . فقال لها هل اصابك ضرر . فقالت لا . ثم دخل معها الى البصرة ومنها الى الكوفة . وفي هذه السنة يذكر في تواريخ الروم ان هرقل الملك توفي في القسطنطينية وكان مدة تملكه ست وثلاثون سنة

وفي السنة ٣٧ هـ — ٦٥٧ م لمابلغ علياً ما فعله معاوية بانه جمع اهالي الشام و بايعوه خرج من الكوفة بسبعين الف رجل والتقاه معاوية بثمانين الف رجل بصفين بين العراق والشام فتحاربا اربعين يوماً فقتل من العراقيين ماينوف عن خمسة وعشرين الفا ومن الشاميين خمسة واربعين [١] الفا . ثم خرج علي ونادى معاوية مابالك تقتل الناس وانا وانت وقوف عن القتال فاخرجن لنقضي ما بيني و بينك من الاحكام . فايّ منا قتل صاحبه استقام امره فقال معاوية لاصحابه اعلموا ان علياً لا يبارز احداً الا و يقتله وانا اريد ان تفتحوا المصاحف وتنادوا يا اهل العراق بيننا وبينكم كتاب الله ندعوكم اليه فاختاروا من يحكم بيننا وبينكم . فاختار الشاميون عمرو بن العاص واختار العراقيون اباموسى الاشعري واصلحوا الامر ودخل علي الكوفة ورجع معاوية الى الشام . ولما دخل علي الكوفة واجتمع ابو موسى الاشعري وعمرو ابن العاص للتحكيم كما صار الاتفاق واحضروا جماعة من الصحابة (ذلك الاجتماع بعد نحو سنة تقريباً من توقيف القتال) قال ابن عباس لابي موسى مهما كنت فلا تنسَ ان علياً ليس فيه خصلة تبعده عن الخليفة وليس في معاوية خصلة واحدة تقربه من الخلافة . ولما اجتمعا للتحكيم قال عمرو ابن العاص لابي موسى ليت شعري ان لا نقول شيئاً الا ونكتبه حتى لا نرجع عنه ثم انهما دعوا كاتباً وقالوا له اكتب وابدأ باسمي هكذا باسم الله الرحمن الرحيم فكتب و بدا باسم عمرو . فقال عمرو امسح ياغلام واكتب باسم ابي موسى فانه افضل واولى ان يتقدم وكانت منه خديعة . ثم قال ما تقول ياابا موسى في قتل عثمان . فقال قتل ظلماً . فقال عمرو اكتب ياغلام . ثم يا ابا موسى اليس

(١) قيل انه قتل من عسكر معاوية ٧٥ الفا ومن عسكر علي ٢٥ الفا (س)

صلح الامة وحقن دماء المسلمين المؤمنين خيراً مما وقع بين علي ومعاوية . فان رايت ان نعزلهما ونستخلف على الامة من ترضى به المسلمون كان ذلك صواباً لانه امانة عظيمة في رقابنا . قال ابو موسى ولا باس من ذلك . فقال عمرو اكتب ياغلام . ثم ختما الكتاب ولما كان الغد اجتمعا ثانية للنظر فقال عمرو يا ابا موسى قد عزلنا علياً ومعاوية فاختر من شئت . (وقيل انه قال له انت وكيل علي وقد عزلته وانا اوافقك على عزله . واما معاوية فانه محق بالمطالبة بدم عثمان وهو الاقرب اليه نسباً فاثبته على الخلافة) فعرف ابو موسى ان عمراً تلعب معه فقال له فعلتها لعنك الله فقال عمرو ياناس ان هذا قد خلع صاحبه وانا خلعته كما خلعت هذا الخاتم من يدي ورجع كل منهما الى صاحبه و بايع علياً ستون الفاً من المسلمين على الموت . ذكر المسعودي في تاريخه انه لما تحاكم ابو موسى وعمرو ابن العاص وكل منهما نزع صاحبه قيل بهما هذه الابيات شعر

ابا موسى بليت وكنت شيخاً ... قريب العفو مخزون اللسان
وماعمرو صفاتك يابن قيس (١) ... فيا لله من شيخ يماني
فامسيت العشية ذا اعتذار ... ضعيف الركن منكوب العنان
تعض الكف من ندم وماذا ... يرد عليك عضك للبنان

وفي السنة ٣٨ هـ = ٦٥٨ م تعاهد ثلاثة اشخاص من الخوارج وهم (٢) زادويه والبرك (٣) وابن ملجم (٤) واتفقوا ان يقتلوا عمراً ابن العاص ومعاوية وعلي ابن ابي طالب واما زادويه فانه اتى الى مصر ودخل المسجد وضرب خارجة ابن حذيفة فقتله وكان يظن انه عمرو ابن العاص فادركوا زادويه وقتلوه واما البرك فانه مضى الى الشام ودخل المسجد وضرب معاوية فقطع منه عرقاً فمسكوه وقطعوا يديه ورجليه واما ابن ملجم فانه اتى الكوفة ودخل المسجد ونام بعيانه هناك وعند الفجر دخل علي فرآه نائماً فرفسه برجليه فقام وضرب علياً بسيف مسموم فلم يؤذه . وانما السم اثر في جسده فغارت الناس على ابن ملجم وقبضوا عليه . فقال علي لا تقتلوه فان عشت رايت فيه رأياً . وان مت

(١) ان ابا موسى الاشعري يسمى عبد الله بن قيس وعمرو ابن العاص هو الشيخ اليماني ولعل اصل الحزبين الشهيرين في بر الشام رقيسي و يمني منسوبان للحكمين المذكورين فحزب قيس هم حزب علي وحزب اليمنية هم حزب معاوية والله اعلم

(٢) هو عمر بن بكر التميمي مولى بني العنبر وتلقب بزادوية

(٣) هو الحجاج ابن عبد الله الصريمي من مصر و يعرف بالبرك

(٤) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي وكان من تجيب

يبقى لكم الاختيار فيه . ثم عاش علي ثلاثة ايام ومات نهار الجمعة سابع عشر رمضان فقتلوا ابن ملجم وكان ذلك سنة ٣٩ هـ روى الطبري ان ابن ملجم المرادي قدم الى الكوفة واجتمع باصحابه من تيم الرباب وكان عليّ قتل منهم عشرة اشخاص يوم النهر فلقي امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام ابنة الشحنة وكان عليّ قد قتل اباها واخاها وكانت فائقة الجمال فعشقها ابن ملجم ونسي حاجته . ثم خطبها فقالت لا اتزوجك حتى تشفي لي . قال وما يشفيك قالت ثلاثة الاف دينار وعبد وقينة وقتل علي ابن ابي طالب . قال هو مهر لك ثم اخبرها انه اتى خصوصاً لقتل علي فعرضت عليه رجلاً من تيم الرباب يساعده من قومها اسمه وردان وعاونه رجل آخر يدعى شبيب . ولما اتى نهار الجمعة المذكور اخبروها بقصدهم فغطتهم بالحرير وذهبوا وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ولما خرج ضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب . وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهرب وردان ولحقوهم وقتلوهم وتوفي علي بعد ثلاثة ايام وغسله الحسن والحسين وعبدالله ابن جعفر وكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن تسع تكبيرات وولي الحسن الخلافة ستة اشهر . قيل ان عمر علي كان ٥٩ ودفن في مسجد الجماعة في قصر الامارة بالكوفة . صفاته كان رجلاً شديد الادمة ثقيل العينين عظيمهما له بطن اصلع وهو الى القصر اقرب ؛ هو علي ابن ابي طالب او (عبد مناف) ابن عبد المطلب ابن هاشم وكانت زوجته فاطمة ابنة النبي (صلعم) لم يتزوج عليها حتى ماتت وله منها الحسن والحسين . و بعدها اخذ عدة نساء ولد له منهن عدة اولاد قتل اكثرهم مع الحسين في كربلاء ولم يبق منهم غير العباس وجميع اولاده ١٤ ذكراً و١٧ انثى ولما قام الحسن يخطب بعد موته قال قتلتم الليلة رجلاً في ليلة فيها نزل القرآن . وفيها رفع عيسى ابن مريم . وفيها قتل يشوع ابن نون وذكر ابن جرير الطبري ان قبل وفاة علي ابن ابي طالب كتب اليه معاوية اني لو اعلم بان الحرب يبلغ مني ومنك مابلغ لم اجاهد بعد على مابقي . وان كان قد غاب على عقولنا ما مضى فقد بقي لنا ما نريد ونصلح به ما دعوتك اليه . وقد كنت سألتك الشام ان تبقى لي ولا تلزمني لك طاعة . وانا ادعوك اليوم لما دعوتك به امس . فانك لا ترجو من البقاء الا ما ارجوه . ولا اخاف من القتال الا ما تخافه . وانا وانت بنو عبد مناف . وليس لبعضنا على بعض فضل قال فرد علي عليه جواباً . فقد جاءني كتابك واما طلبك مني الشام فاني لم اعطِ لك اليوم ما منعته عنك امس . واما استيلائنا على الخوف والرجا فليست اهل الشام على الدنيا باحرص من اهل العراق على

الآخرة ٠ واما قولك اننا اولاد عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كابي طالب ولا الطليق كالمهاجر ٠ ولا المبطل كالمحق ٠ وفي الدنيا فضل النبوة وفي ذلك يقول السيد محمد الحميري

سائل قريشاً بها ان كنت ذا عمهٍ من كان اثبتها في الدين اوتادا
من كان اقدمها سلما واكثرها علماً واطهرها اهلاً واولادا
من وحّد الله اذ كانت مكذبة تدعو مع الله اوثاناً واندادا
من كان يقدمُ في الهيجاء ان نكلوا عنها وان بخلوا سيفي ازمةٍ جادا
من كان اعدلها حكماً واقسطها حكماً واصدقها وعداً وايعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا ابا حسنٍ ان انت لم تلق للابرار حسادا
ان انت لم تلق من تيم اخا صلفٍ ومن عديٍّ لحق الله جحادا
او من بني عامرٍ اومن بني آسدٍ رهط العبيد ذوي جهل واوغادا
او رهط سعدٍ وسعد كان قد علموا عن مستقيم صراط الله صدادا
قومٌ تداعوا زنيماً ثم سادهمُ لولا خمول بني زهرٍ لما سادا

(وفي هذه السنة قتل محمد بن ابي بكر بمصر وهو عامل عليها من قبل علي وكان نصحه عاملها القديم قيس ابن سعد ان يحارب اهل خربتا لحاربهم وانهزم ولما بلغ معاوية ذلك وعمرو ذهبا باهل الشام وافتتحا مصراً وقتلا محمداً فاخذت عائشة اولاده الى بيتها وكان القاسم بين عيالها ٠ ولما بلغ علياً ذلك استدعى الاشتر وارسله والياً على مصر فلما عرف معاوية بذلك كتب الى الجاستيادر رجلٍ من اهل الخراج واخبره بذلك وطلب منه ان كفيتنا شره عفيناك من الخراج ٠ فاستقبله عند القلزم ودعاه لضيافة دس السم له في العسل فاكله ومات ٠ ولما حصل ما حصل من الحكمين ترك كثيرٌ من العمال علياً وانحازوا الى عدوه)

وفي هذه السنة ذكر في تواريخ الروم بعد وفاة الملك هرقل تملك مكانه ولده قسطنطين الا انه بعد تملكه باربعة اشهر سقته امراءة ابيه مرتيانا سماً ومات وتملك ولدها قسطنطين مكانه ودعي ايرقولونس ٠ وبعد ستة اشهر اتفقت الحاشية ونبلاء المملكة على طرد قسطنطين ووالدته مرتيانا وقبضوا عليهما وقطعوا لسانيهما وانفيهما ونفوهما من القسطنطينية وانتخبت الروم قسطان ابن قسطنطين المائت وصيروه ملكاً ٠ و بعد تملكه ابتدا في عمارة الهيكل واستجاش العساكر على اللغاز ٠ وفيها انكسفت الشمس

الفصل السادس

في خلافة الحسن ابن علي

وفي السنة ٣٩ هـ = ٦٥٩ م قال ابن جرير الطبري ان بعد وفاة علي ابن ابي طالب بايعت اهل العراق الحسن ابن علي بالكوفة . و بائع اهل الشام معاوية ابن ابي سفيان [١] . فسار الحسن بالجيش الى فتال معاوية وجعل قيس ابن سعد في مقدمته باثني عشر الفاً . فارسل معاوية الى لقاه بشر ابن ارطاة وكان بينه و بين قيس مناوشات كثيرة . فلما نظر الحسن مايسفك من الدماء و ينتهك من المحارم قال لاحاجة لي في ذلك واني اسلم ذلك الى معاوية و يكون هذا الاثم في عنقه . فقال اخوه الحسين يكون ذلك ان شاء الله فكتب الى معاوية لاحاجة لي في الخلافة واني اخترت العار على دخول النار . فالتقى معاوية مع الحسن على منزلٍ في الكوفة ودخلوا الكوفة جميعاً . فقال للحسن يا ابا محمد جدت بشيء لم تجد به الناس فقم واعلم المسلمين بذلك . فقام الحسن وقال ايها المسلمون ان الله عز وجل قد هدانا وحقن من بيننا الدماء وان معاوية نازعني على ما ورثته من ابي وجدي . وانا الآن وددت ان انزه نفسي عن ذلك واحقن دماء المسلمين . وقد جمع الله كلمتنا وازال فرقتنا . وانا قد اخترت العار على النار. ولما سمعت الناس حسن اخلاق الحسن وتنزهه عن الدنيا ارتضت اهل العراق مبايعة معاوية ابن ابي سفيان . و بايعته جميع الناس . ثم سار الحسن واخوته الى المدينة [٢]

وفي هذه السنة ذكر في تواريخ الروم بان قونسطا ملك الروم قتل اخاه ثاودوسيوس خيفة ان ياخذ الملك منه . ثم كان كل ليلة ينظره في نومه و بيده كاس مملوة دماً قائلاً له اشرب يا اخي من هذا الكاس فخاف من تلك الرؤيا واراد ينقل الملك الى بلاد صقلية ومضى الى رومية . وقد كان شعب القسطنطينية ابغضوه لاجل قتله اخاه وطلب امرأة والده لتسير معه الى رومية فلم يرضَ الشعب بذلك

---

(١) فيها فرّق معاوية جيوشة في اطراف ولاية علي و ولاياته وجرت بينهما مواقع في اكثرها انخذل اصحاب علي وتركوه وانحازوا الى عدوه .

(٢) واقام بها الى ان توفي سنة ٤٧ من الهجرة وقيل سنة ٤٩ وقيل سنة ٥٠ وكانت خلافته خمسة اشهر

الباب الثاني

في خلفاء بني امية في الشام

وهو يشتمل على تاريخ تسعين سنة واحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً من خلافة معاوية لابتداء حكم السفاح من العباسيين واوّل خلفائهم معاوية ابن ابي سفيان وآخرهم مروان ابن محمدابن مروان ابن الحكم وهم اربع عشرة خليفة

الفصل الاول

في خلافة معاوية ابن ابي سفيان

وفي سنة ٤٠ هـ = ٦٦٠ م لما تخلف معاوية ابن ابي سفيان (١) وجه عمرو ابن العاص الى مصر وطرد محمداً ابن ابي بكر · وفرق جيوشه فأرسل جيشاً الى الانبار وجيشاً الى عين تمر ومقدمهم النعمان ابن بشر · ووجه جيشاً الى نبيت والى تيماء

وفي السنة ٤١ هـ (٢) = ٦٦١م ولى معاوية المغير ابن شعبه على الكوفة وعبد الله ابن عامر على البصرة وخراسان ومروان ابن الحكم على المدائن ورجع معاوية الى الشام ثم عزل عمرو ابن العاص عن امارة مصر وولى عليها مسيلمة ابن مخلد الانصاري · وثبت على امارة مصر الى حين وفاة معاوية · وفيها غزا معاوية ابن عامر و بشر ابن ارطاة المغرب ففتحوا مدناً كثيرة

---

(١) فيها ارسل معاوية رسلاً الى المدينة مع جيوش فبايع اهلها معاوية ومثله الى مكة · ولما بلغ علياً ارسل ايضاً قوّاداً ففعلوا كذلك · وفيها حصلت المهادنة بين علي ومعاوية وتكاتبا على ان علياً يبقى في العراق ومعاوية في الشام ولا يتعرّض احدها للآخر · وفيها قتل عليّ في يوم الجمعة ١٧ رمضان على الاصح · وفيها بويع معاوية بالخلافة في ايلياء اي اورشليم وكان قبلاً يسمى علي امير المومنين ومعاوية الامير · فلما تولى الخلافة دعي اميرالمومنين

(٢) فيها سلم الحسن الامر الى معاوية بعد ان انتخب خليفةً من اهل العراق وتنازل عن حقوقه على شرط اخذ خمسة آلاف الف من بيت مال الكوفة و بعض اموال اصابها · فغشهٔ معاوية واظهر قبولاً ولكنهٔ اخلف في بعضها بعدئذٍ · وفيها انصرف الحسن والحسين من الكوفة الى المدينة · وفيها خرجت الخوارج التي اعتدلت ايام علي ضد معاوية · وفيها غلب حمران ابن ابان على البصرة · فوجه اليهِ معاوية بشراً ابن ابي ارطاة وامره بقتل بني زياد · ثم توسط لهم مع معاوية فسمح لهم ·

(وفي السنة ٤٢ هـ = ٦٦٢ م غزا المسلمون بلاد اللان وغزوا الروم ايضاً فهزموهم وقتلوا بطاركتهم وقيل ان فيها ولد الحجاج ابن يوسف · وفيها ولّى معاوية مروان ابن الحكم على المدينة وفيها قدم زياد وقدم طاعته لمعاوية)

وفي السنة ٤٣ [1] هـ = ٦٦٣ م حكى المسعودي في كتابه المكنى بمروج الذهب ان ملك الروم ارسل الى معاوية يسأله قائلاً اخبرني عن شيء ولا شيء · وعن كلمة لا يريد الله غيرها · وعن مفتاح الصلوة · وعن رجل لا اب له · وعن امراءة ولدت من غير ام · وعن رجل لا قوم له · وعن قبر سار بصاحبه · وعن ارضٍ طلعت عليها الشمس مرّة واحدة · وعن شجرة نبتت من غير اصلٍ · وعن شيء تنفس ولا روح له · فلما وصلت تلك الرسالة الى معاوية وكان عنده ابن عباس الاشعري فردّ جواباً · اما سؤالك عن شيء ولا شيء · فان الله قال اننا جعلنا من الماء كل شيء حياً · واما كلمة لا يريد الله غيرها فهي قوله لا اله الا الله · واما مفتاح الصلوة فهو بسم الله · واما الرجل الذي لا اب له فهو المسيح ابن مريم عليه السلام · واما المرأة التي ولدت من غير ام فهي امنا حواء · واما الرجل الذي لا قوم له فهو ابونا آدم عليه السلام · واما قبر سار بصاحبه فهو الحوت الذي ابتلع يونان وسار به · واما الارض التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة فهي ارض البحر الذي انشقّ قدام بني اسرائيل · واما الشجرة التي نبتت من غير اصل فهي المشقة التي نبتت على راس يونان · واما الذي تنفس من غير روح فهو الصبح

وفي السنة ٤٤ [2] هـ = ٦٦٤ م ذكر في تواريخ الروم انه دخل اندراوس قائد الجيش على الملك قونسطا وكان الملك وقتئذٍ في الحمام فقتله في مدينة سيراقوسا · ولما بلغ ولده قسطنطين سار في المراكب الى صقليه وقبض على اندراوس القائد وضرب عنقه وقتل كثيرون من حزب اندراوس ثم حمل جسم ابيه الى القسطنطينية ودفنه في

(١) فيها ارسل معاوية بشر ابن ارطاة فغزا الروم ووصل الى القسطنطينية · وفيها مات عمرو ابن العاص بمصر يوم الفطر وكان عاملاً لعمر ابن الخطاب على مصر اربع سنين ولعثمان اربع سنين الاّ شهرين ولمعاوية سنتين الاّ شهراً · وفيها ولى معاوية عبد الله ابن عمرو ابن العاص مصراً مكان ابيه · وفيها كثرت الخوارج والتأموا مراراً بقصد الثورة ضد معاوية فطاردهم والتزم لمحاربتهم حروباً عديدة (ط)

(٢) دخل المسلمون مع عبد الرحمن ابن الوليد بلاد الروم وكان مشتاهم فيها · وفيها غزا بشر ابن ارطاة البحر وفيها عزل معاوية عبد الله ابن عامر عن البصرة (ط)

مدافن الملوك وجلس مكانه على تخت المملكة وفي هذه السنة مات عمرو ابن العاص ٠ وفيها[1] ارسل سابور المتغلب على ارمينية رسولاً[2] يطلب منه النجدة على الروم ٠ وارسل قسطنطين ملك الروم[3] يطلب من معاوية المعاونة ايضاً فاذن لهما في الدخول ٠ ولما وقف رسول سابور ورسول قسطنطين امام معاوية قال لهما ما الذي تريدانه منا فقالا له المعاونة فقال قولا لاصحابكما ايّ من زاد لنا في المال اعنّاه ٠ وذكر في تواريخ الاسلام ان اول من خطب وهو قاعد معاوية ٠[4] وهو الذي قدم الخطبة على الصلوة[5]

(وفي السنة ٤٥ هـ = ٦٦٥ م استعمل معاوية الحارث ابن عبد الله الازدي على البصرة وعزل ابن عامر ٠ وفيها كان مشتى عبد الرحمن ابن خالد ابن الوليد بارض الروم

وفي السنة ٤٦ هـ = ٦٦٦ م انصرف عبد الرحمن ابن خالد ابن الوليد من بلاد الروم الى حمص فدس ابن ميخائيل النصراني اليه شربة مسمومة فشربها فقتلته ٠ واسباب ذلك انه لما رأى معاوية عظم شان عبد الرحمن ومحبة الناس له ونجاحه في غزو بلاد الروم وغناه خاف منه ان يسابقه الى الخلافة فاوعز الى ابن ميخائيل واعدّا اياه انه اذا كفاه شر عبد الرحمن وقتله يوليه خراج حمص ويعفيه من خراج اراضيه مادام حياً ففعل ذلك (ط))

وفي السنة ٤٧[6] هـ = ٦٦٧ م توفي الحسن ابن علي ابن ابي طالب في شهر ربيع الاول وقيل اسقته امرأته سماً وهي جعدة بنت الاشعث ابن قيس الكندي ٠ وسبب ذلك ان معاوية ابن ابي سفيان ارسل لها سماً لتسقيه الى بعلها الحسن واوعدها ان يعطيها مائة الف درهم ويزوجها بولده يزيد ٠ ولما فعلت ذلك ارسل اليها معاوية اننا نحب حيوة يزيد ولولا ذلك لانعمنا لك بزواجه وقيل في الحسن شعر

اصبح اليومَ ابنُ هندٍ شامتاً ظاهر اللهو اذا مات الحسن
يا ابن هندان تذق كاس الردى كل حيٍّ للمنايا مرتهن

ذكر المسعودي ان الحسن والحسين حفظا وصية ابيهما عند وفاته ٠ قال اني

---

(١) قيل ان ذلك في سنة ٤٦ الموافقة ٩٧٩ للاسكندر (ف) (٢) اسمهُ سرجي

(٣) مع لاندرا الخصي احد خواصيه

(٤) لانهُ كان بطيناً بادناً (٥) خشية ان يتفرق الناس عنهُ قبل ان يقول لهم ما بدا لهُ

(٦) فيها كان مشتى مالك ابن هبيرة بارض الروم ومشتى ابن عبد الرحمن القيني بانطاكية ٠ وفيها عزل معاوية عبد الله ابن عمرو ابن العاص عن مصر وولاها لابن خديجة ٠ وفيها وجه زياد ابن الحكم ابن عمرو الغفاري الى خراسان اميرًا فغزا جبال الغور وفراوند وقهرها عنوة وفتحها

اوصيكما بتقوى الله ولا تتبعا الدنيا ولو تبعتكما ولا تتأسفا على شيء منها وقولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضعيف · وكونا للظالم خصماً · وللمظلوم عوناً · ولا تاخذكما في الله لومة لائم · ثم قال لاولاده ابي حنيفة واخوته اسمعتم ما قلت لاخويكم · قالوا نعم · فقال وانا اوصيكم بتوقيرهما وسماع كلمتهما · فقال رجل اما تعهد لاحد يا امير المؤمنين فقال لا · ولكن اتركها كما تركها رسول الله · فقالوا له وما تقول لربك · قال اقول انك ابقيتني فيهم ما شئت ان تبقيني ثم قبضتني وتركتك فيهم فان شئت افسدهم وان شئت اصلحهم · ولم يترك علي عند موته ذهباً ولا فضة · وفيها كانت وفاة الامير مالك ابن الحارث المخزومي [1] بعد ولايته في حوران بمدينة الشهباء

(وفي السنة ٤٨ هـ = ٦٦٨ م كان مشتى ابن عبد الرحمن القيني بانطاكية وصايفة عبد الله ابن قيس الفزاري وغزوة مالك ابن هبيرة السكوني للبحر · وغزوة ابن عامر الجهني باهل مصر للبحر

وفي سنة ٤٩ هـ = ٦٦٩ م كان مشتى مالك ابن هبيرة السكوني بارض الروم · وفيها غزوة فضالة ابن عبيد جربة وشتى بها وفتحت على يديه · وفيها صايفة عبد الله ابن كرز البجلي · وفيها غزوة يزيد ابن شجرة الرهاوي في البحر فشتا باهل الشام · وفيها غزوة عقبة ابن نافع البحر فشتا باهل مصر · وفيها غزوة يزيد ابن معاوية الروم حتى بلغ القسطنطينية · ومعه ابن عباس وابن عمرو وابن الزبير وابو ايوب الانصاري · وفيها عزل معاوية مروان ابن الحكم عن المدينة وولى عليها سعيداً ابن العاص · وقيل مات المغيرة فضم معاوية الكوفة الى زياد حاكم البصرة وهي اول مرة ضمتا معاً)

وفي السنة ٥٠ هـ = [2] ٦٧٠ م ابد معاوية ابن ابي سفيان البيعة الى ابنه يزيد بولاية عهده · وفرق على ذلك اموالاً جزيلة فاجاب الناس كلهم الى بيعته الا الحسين ابن علي ابن ابي طالب · وعبد الله ابن عمر ابن الخطاب · وعبد الرحمن ابن ابي بكر

---

(١) هو جد الامراء الشهابيين ومنهُ متسلسلون كما سياتي

(٢) فيها غزوة يسر ابن ارطاة وسفيان ابن عوف الازدي لارض الروم وقيل كانت فيها غزوة فضالة ابن عبيد الانصاري البحر وفيها على ما قاله الواقدي والمدايني وفاة المغيرة ابن شعبة وكان والياً على الكوفة فعهد معاوية الى زياد والي البصرة بولايتهِ على الكوفة ايضاً فضمت لاوّل مرة الولايتان لوالٍ واحد · وفيها امر معاوية بحمل منبر رسول الله (صلعم) الى الشام فحرك فكسفت الشمس حتى روئيت النجوم بادية · وفيها عزل معاوية ابن خديج عن مصر وولى مسلمة ابن مخلد مصر وافريقية وهو اوّل من جمع له مصر وافريقية و بلاد المغرب · وفيها مات ابو موسى الاشعري (ط)

الصديق وعبد الله ابن الزبير ذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب ان معاوية كان يحب الطرب والمجون . ولما قدم عليه عبد الله ابن جعفر واكرمه غاية الاكرام وانزله في دارٍ عظيمة وفي ذات ليلة جلسا على الطعام وقد دارت عليهم اقداح المدام فغنى رجلٌ شعراً

ودع سعادَ فان الركب مرتحلُ   فهل تطيق وداعاً ايها الرجلُ

فاضطرب عبد الله وحرك راسهُ . فقال معاوية لمَ حركت راسك . فقال اني اجد في راسي اريحية ثم غنى الرجل شعراً

اليس عندك شكٌ من ابيضٍ   قد جملت قاد مات الريش كاللجم

وجدّدت كلما قد كان اخلقه   صرف الزمان وطول الدهرِ والندمِ

فاضطرب معاوية وحرك راسهُ . فقال عبد الله سالتني لمَ حركت راسك فاخبرتك وانا اسالك عن تحريك راسك فضحك وقال كل كريم طروب

وفي السنة ٥١ هـ = ٦٧١ م كان مشتى فضالة ابن عبيد الانصاري بارض الروم . وغزوة يسر ابن ارطاة للصايفة . وفيها مقتل حجر ابن عدى واصحابه وذلك لانه كان من حزب علي ويعارض معاوية ويضاد من يقاوم علياً ويسبه . فلما علا زياد المنبر عند توليه على الكوفة واطال الخطبة طلب حجر الصلوة فلم يسمع له وكاد الوقت يفوت . ثم رفع حصاة ونادى للصلوة فتبعه قوم . وارسل زياد واخبر معاوية فطلبه مكبلاً بالحديد . ولما وصل اليه حكم عليه بالقتل لسبب شهادة من شهد ضده . واوصى اهله قائلاً لا تندبوني ولا تبكوا عليّ " اني ملاقٍ معاوية عن قريب . وقيل انه عند موت معاوية جعل معاوية يغرغر بصوته ويقول يومي بك ياحجر يوم طويل (ط)

وفي السنة ٥٢ هـ = ٦٧٢ م غزا يزيد ابن معاوية ابن ابي سفيان الصايفة ومعه جماعة من اصحابه منهم ابو ايوب الانصاري فدخل الى القسطنطينية وتوفي ابو ايوب الانصاري في هذه الغزوة ودفن في سورها

وفي سنة ٥٣ هـ = ٦٧٣ م كان مشتى عبد الرحمن ابن ام الحكم الثقفي بارض الروم وفيها فتحت رودس فتحها جنادة ابن ابي امية الازدي وفيها مات زياد ابن سميت والي العراق

وفي السنة ٥٤ هـ = ٦٧٣ م كان مشتى محمد ابن مالك بارض الروم وصايفة معن ابن يزيد السلمي . وفيها على قول الواقدي فتح جنادة ابن ابي امية جزيرة في البحر يقال

لما ارواد قرب القسطنطينية . وفيها عزل معاوية سعيد ابن العاص عن المدينة واستعمل عليها مروان ابن الحكم . وفيها ايضاً عزل معاوية شجرة ابن جندب عن البصرة واستعمل عليها عبد الله ابن عمرو ابن غيلان . وفيها ولى معاوية عبيد الله ابن زياد خراسان . وفيها حجّ بالناس مروان ابن الحكم

وفي السنة ٥٥ هـ = ٦٧٤ م كان مشتى سفيان ابن عوف الازدي بارض الروم وقيل بل شتى عمرو ابن محرز . وفيها عزل عمرو عبد الله ابن عمرو ابن غيلان عن البصرة وولاها عبيد ابن زياد . وفيها عزل عبدالله ابن خالد عن الكوفة وولاها الضحاك ابن قيس الفهري . وحجّ بالناس مروان ابن الحكم

وفي السنة ٥٦ هـ = ٦٧٥ م كان مشتى جنادة ابن ابي امية بارض الروم وقيل عبد الرحمن ابن مسعود . وقيل غزا فيها في البحر يزيد ابن شجرة الرهاوي وفي البر عياض ابن الحارث . قيل وفيها دعا معاوية الناس الى مبايعة ابنه يزيد من بعده وجعله ولي عهده وفيها كان العامل على المدينة مروان ابن الحكم وعلى الكوفة الضحاك ابن قيس . وعلى البصرة عبد الله ابن زياد وعلى خراسان سعيد ابن عثمان

وفي السنة ٥٧ هـ = ٦٧٦ م شتى عبد الله ابن قيس بارض الروم . وقيل فيها صرف مروان عن المدينة واستعمل عوضه الوليد ابن عتبة)

وفي السنة ٥٨ [1] هـ = ٦٧٧ م ماتت عائشة في سابع رمضان . وقيل توفي عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق قبل وفاتها

(وفي السنة ٥٩ هـ = ٦٧٨ م شتى عمرو ابن مره الجهني بارض الروم في البرّ ولم يكن غزو في البحر . وفيها عزل عبد الرحمن ابن الحكم عن الكوفة واستعمل عليها النعمان ابن بشير الانصاري . وفيها ولى معاوية عبد الرحمن ابن زياد خراسان . وفيها وفد عبيد الله ابن زياد على معاوية في اشراف اهل البصرة فعزله عنها ثم رده عليها وجدد له الولاية . وفيها حجّ بالناس عثمان ابن محمد ابن ابي سفيان وكان الوالي على المدينة الوليد ابن عتبة ابن سفيان وعلى الكوفة النعمان ابن بشير (ط))

---

(١) قيل ان فيها وليس في سنة ٥٧ نزع معاوية مروان عن المدينة . وفيها قتل يزيد ابن شجرة في البحر في السفن . وحج بالناس الوليد ابن عتبة

الفصل الثاني

في خلافة يزيد ابن معاوية وهو الثاني من الخلفاء الامويين

وفي السنة ٦٠ هـ = ٦٧٩ م توفي معاوية(١) ابن ابي سفيان في مستهل رجب وصلى عليه ولده وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر وقيل كان اميراً وخليفة اربعين سنة ، اربع سنين في خلافة عمر ابن الخطاب واثني عشر في خلافة عثمان ، وقاتل علياً خمس سنين وتولى الخلافة تسع عشرة سنة ، وكان عمره ثماني وسبعين سنة وقيل خمس وثمانين وتوفي بدمشق ودُفن فيها ، قال ابو جعفر الطبري ان يزيد ابن معاوية بويع له بالخلافة يوم توفي والده(٢) ، وامهُ قيسون ابنة مجدل الكلبية ، ولما بويع له كتب الى الوليد ابن عتبة ابن ابي سفيان وهو عامله على المدينة ان يلزم الحسين ابن علي وعبد الله ابن الزبير ان يبايعاه اي يزيد وكتب الى الحسين في القدوم عليه من المدينة ، فارسل الحسين مسلم ابن عقيل الى الكوفة لياخذ المبايعة من اهلها فاجتمع عليه خلقٌ كثير وبايعوا الحسين

وفي السنة ٦١ هـ = ٦٨٠ م لما بلغ الخبر الى عبد الله ابن زياد وهو في البصرة اتى الى الكوفة فساروا اليه وقاتلوه وقبض على مسلم وقتله . ولما بلغ الحسين قدوم ابن زياد همّ بالرجوع الى المدينة فقدم عليه سعيد ابن ابي وقاص باربعة آلاف من قبل زياد وصار الحرب بينهم ، فقتلوا الحسين (٣) وثلاثة من اخوته واثنين من اولاده ولم يبق سوى ولده علي فاخذوه الى ابن زياد فارسله مع حريمهم الى يزيد ابن معاوية ، فامر برجوعهم الى المدينة ثم مات يزيد ابن معاوية وله من العمر ثماني وثلاثون سنة ، وكان ملكه ثلاث سنين وثمانية اشهر وكانت وفاته بارض حمص وحمله ولدهُ معاوية الى الشام ودفنه بمقبرة باب الصغير

---

(١) وقيل ان معاوية قبل موته اوصى بنصف ماله ان يرد لبيت المال تزكية عن ذنوبه

(٢) في نصف رجب

(٣) قيل قتل الحسين واولاده في ١٠ محرم وليس في صفر وكان جملة القتلى سبعين نفساً واخذوا رؤوسهم مع راس الحسين الى عبد الله ابن زياد اولاً فعلقها مدة ولعب بفم الحسين بعصاه فزجره ابو برزه وقال له بعيني رأيت فا رسول الله على فيه يلثمه وانت تهينه ولم يبق من اولاد الحسين غير ولد صغير اسمه علي

الفصل الثالث

في خلافة معاوية ابن يزيد ابن معاوية وهو الثالث من الامويين

وفي السنة ٦٢ ه = ٦٨١ م تملك معاوية ابن يزيد ابن معاوية فلما بايعته الناس خطب بهم وقال يامعشر الاسلام ان جدي معاوية نازع عليًا على الخلافة وكان عليٌّ احق واولى بها · وقد مات وولى ولده والدي · وانه قد مات عاجلاً وانا لستُ اهلاً لذلك · فاختاروا من شئتم · ثم نزل واختلى في العبادة الى ان مات بالطاعون وكان زمان تملكه عشرين يومًا وكانت وفاته بارض حمص

فصل

في خلافة عبد الله ابن الزبير ابن العوام ابن حرملة وهو ليس من الامويين

وفي سنة ٦٣ ه — ٦٨٢ م لما كان عبد الله ابن الزبير ابن العوّام ابن حرملة ابن اسد ابن عبد العزى ابن قصي ليس من خلفاء بني امية وكنيته ابو بكر وقيل ابو حبيب وامه اسماء بنت ابي بكر الصديق . قال ابو جعفر الطبري بويع ابن الزبير بمكة في شهر رجب بعد ان اقامت الامة بغير خليفة فبايعه اهل العراق واهل مصر و بعض اهل الشام · فولى اخاهُ مصعبًا ابن الزبير على البصرة وعلى الكوفة عبد الله ابن مطيع واخاه عبيد ابن الزبير على المدينة · وفي هذه السنة كتب عبد الله ابن الزبير الى عامله بالمدينة يامرهُ باخراج من فيها من بني امية فاخرجهم ومنهم مروان ابن الحكم وعبد الملك ابنه · فلما وصلوا الى دمشق دعا مروان الناس الى مبايعته وكان بدمشق الضحاك ابن قيس العمري وهو يدعو الى مبايعة ابن الزبير فتبع الضحاك جماعة وتبع مروان جماعة · ثم كان للفريقين وقعة بمرج راهط فتل فيها الضحاك وخلقٌ كثيرٌ من اصحابه وانهزم الباقون واستقر الامر لمروان بالشام وكانت ولاية عبد الله ابن الزبير ماية وثمانية وعشرين يومًا ذكر في تواريخ الروم بهذه السنة ان قسطنطين اللحياني تملك على الروم مكان ابيه · وانما سمي اللحياني لانه لما مضى الى صقلية لينتقم من قاتل ابيه كان امرد ولما عاد الى القسطنطينية كان له لحية فسمي اللحياني

الفصل الرابع

في خلافة مروان ابن الحكم وهو الرابع من خلفاء بني امية

وفيها تملك مروان ابن الحكم ابن العاص ابن امية ابن عبد شمس وهو الحادي عشر من الخلفاء والرابع من خلفاء بني امية ويكنى بابي الحكم وقيل ابي عبد الملك . وامهُ آمنة بنت علقمة ابن صفوان . وقيل كانت المبايعة له بالجابية [1] في شهر رمضان . وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة لاخذ ثار الحسين وولوا عليهم سليمان ابن صرد . واجتمع معه ستة عشر الفاً . ثم ساروا الى عين ورده طالبين الجزيرة فلاقتهم خيول الشام وعليها عبد الله ابن زياد فقتل سليمان وخلقٌ كثير من اصحابه وانهزم الباقون . وفيها توفي مروان ابن الحكم في شهر رمضان في الطاعون ومدة ولايته مائة وثمانية وتسعون يوماً

الفصل الخامس

في خلافة عبد الملك ابن مروان وهو الخامس من خلفاء بني امية

وتملك بعدهُ عبد الملك ابن مروان ابن الحكم ابن ابي العاص ويكنى بابي الوليد . وقيل ابي مروان . وامه عائشة بنت علوم ابن العراة ابن ابي العاص بويع له بالخلافة في الشام يوم توفي والدهُ . ولما بويع له بالخلافة كان المصحف في حجره فطبقه وقال هذا فراقٌ بيني و بينك

(وفي السنة ٦٤ هـ = ٦٨٣ م كان مسير اهل الشام لمكة لحرب عبد الله ابن الزبير . وفي وقعة الحرم مع ابن الزبير احرقوا البيت الحرام في ٣ شهر ربيع الاوّل يوم السبت من هذه السنة قبل وصول نعي يزيد ابن معاوية بتسعة وعشرين يوماً . وفيها ولبس في سنة ٦٢ مات يزيد ابن معاوية بقرية من قرايا حمص اسمها حوارين في ١٤ ربيع اول من هذه السنة وعمره ٣٩ سنة وكانت خلافته ثلاثة سنين وستة اشهر وصلى عليه ابنه معاوية ابن يزيد وفيها بويع لمعاوية ابن يزيد ابن معاوية ابن ابي سفيان

(١) والصحيح بالاردن بالاتفاق

بالشام بالخلافة ٠ ولعبد الله ابن الزبير بالحجاز ولما ملك يزيد ابن معاوية مكث
الحصين ابن النمير واهل الشام يقاتلون ابن الزبير واصحابه بمكة اربعين يوماً وحاصروهم
حصاراً شديداً وضيقوا عليهم ٠ ثم بلغ موته ابن الزبير ولم يبلغ الحصين ابن النمير
فناداهم ابن الزبير ان طاغيتكم هلك فلم تقاتلونا ٠ ثم انهما تقابلا وطلب الحصين ابن
النمير من ابن الزبير ان يأتي معه الى الشام فيبايعه اهل الشام الخلافة فرفض ولكنه ندم وعندها تركه
الحصين ورجع الى الشام ٠ ولكن معاوية الخليفة الجديد لم يعش اكثر من اربعين يوماً
ومات ٠ وفيها بايع اهل البصرة عبد الله ابن زياد على ان يقوم بامرهم حتى تصطلح
الناس على امام يرتضونه ٠ ثم ارسل لاهل الكوفة بذلك فابوا عليه ٠ ثم رفضه اهل
البصرة ايضاً فتركهم ولحق بالشام واخذ معه اكثر الاموال التي في بيت المال ولجأ في
طريقه الى بني الازد ٠ وفيها طرد اهل الكوفة عمرو ابن حريث وعزلوه وولوا عليهم
عامر ابن مسعود ٠ وفيها بويع لمروان ابن الحكم بالخلافة في محرم سنة ٦٥ ولم يكن
ذلك بفكر مروان ولكن لما قدم عبيد الله ابن زياد حرك الامر لمروان وقال له انت
كبير قريش وانت الاحق بذلك فقام و بايعوه ٠ وقاتل الضحاك بوقعة مرج راهط
وقتل فيها جمع غفير وكان الضحاك يدعو الناس لمبايعة ابن الزبير ٠ وخرج مروان
وحارب اهل حمص وقرقيسيا فغلبهم واستتب له الامر وخرج بعد ذلك الى مصر
مروان ابن الحكم وعليها عبد الرحمن ابن جحدم القريشي يدعو الناس الى ابن الزبير ٠
قيل ايضاً انه لما قدم عبيد الله ابن زياد للشام وجد مروان وكل بني امية مطرودين منها
الى تدمر فذهب اليها و رتب ان يكون مروان الخليفة ولكي يجعل الخلافة معه ومع نسل
معاوية لكي لاينازعه احد زوّجه ام خالد ارملة يزيد و بايعوه في تدمر وقدم منها ومعه عبيد
الله ابن ابي زياد الى الشام فحارب الضحاك في وقعة مرج راهط وقعة مهولة فيها قتل
الضحاك كما سبق ٠ وفيها بايع جند خراسان مسلم ابن زياد بعد موت يزيد ابن معاوية
ليقوم بامرهم الى ان يجتمع الناس على خليفة ٠ وفيها كانت فتنة عبد الله ابن خازم
بخراسان ٠ وفيها تحركت الشيعة بالكوفة وتواعدوا بالاجتماع بالنخيلة في سنة ٦٥ للسير
الى اهل الشام للطلب بدم الحسين ابن علي وتكاتبوا وتواثقوا بذلك ٠ وفي نصف
رمضان من هذه السنة كان مقدم المختار ابن ابي عبيدة الكوفة فحبسه عبيد الله ابن زياد
واهانه فتوسط بامره عند يزيد ابن معاوية عبد الله ابن عمرو نسيبه زوج اخته ٠ وفيها
هدم ابن الزبير الكعبة لسبب ميل حيطانها مما رميت به من حجارة المجانيق ٠ وفيها حج

بالناس عبد الله ابن الزبير

وفي السنة ٦٥ ﻫ = ٦٨٤ م بعث عبد الملك ابن مروان الى القدس فزاد في المسجد الاقصى الى ان ادخل الصخرة في حرم المسجد واخذ الناس بالحج الى بيت المقدس ومنع الحج الى مكة لاجل عبد الله ابن الزبير واستحضر عبد الملك ابن مروان اكابر النصارى وطلب منهم كنيستهم التي الى جانب المسجد الجامع بدمشق • فجاء بكتاب خالد ابن الوليد فعرض عليهم مالاً كثيرًا وان يبنوا كنيسة مثلها في اي جهة يختارونها بدمشق فابوا فتركهم اكرامًا لكاتبه يوحنا الدمشقي

وفي السنة ٦٦ ﻫ — ٦٨٥ م كان ظهور المختار ابن ابي عبيدة بالكوفة طالبًا بدم الحسين فبايعه اهلها وحاصروا عبد الله ابن زياد اشد حصار • ثم طلب الامان من المختار فامنه وخرج من القصر وتسلمه المختار

وفي السنة ٦٧ ﻫ — ٦٨٦ م سير المختار ابراهيم ابن الاشتر لقتال عبدالله ابن زياد ومعه سبعون الفًا • فقتل منهم عشرة الاف وثلاثمائة وقتل من اصحاب المختار ثلاثمائة وسبعون رجلاً فتولى ابراهيم على سنجار ونصيبين ودارا

وفي السنة ٦٨ ﻫ — ٦٨٧ م سارت الازارقة من فارس الى العراق ودخلوا المدائن وهولاء طائفة من الخوارج منتسبون الى نافع ابن الازرق واجتمع اليه خلقٌ كثير وغلبوا على الاهواز واعمالها وفي هذه السنة حدث برد عظيم حتى امات اكثر البهائم

وفي السنة ٦٩ ﻫ = ٦٨٨ م خرج عبد الملك ابن مروان من دمشق لقتال عبدالله ابن الزبير واستخلف مكانه على الشام سعيد ابن ابي وقاص • فعصى [1] وتحصن • فرجع عبد الملك ونزل الى دمشق وانهزم سعيد • فارسل اليه وامنه فحضر اليه وقبض عليه واعتقله • وكان سعيد ذا قوة و بأس وكان بطينًا ذكر المسعودي في كتابه ان سعيدًا كان يأ كل كل يوم خمس اكلات كبار • حكي انه خرج يوم من الكوفة فدعاه رجل من بني شيبان وذبح له عشر وزات واصلحها • ولما قدمت المائدة اكل الوزات جميعها • ثم كان زنبيلان واحدة تين والاخرى بيض فاكلها جميعها ذكر المسعودي ان سعيدًا ابن ابي وقاص ابي عبد الله كان عاملاً في الكوفة في خلافة عثمان ابن عفان وكان عظيم الشان في الكرم وكان له موائد كل يوم للناس • ففي بعض الايام قدمت الموائد وجلست الناس على مراتبها • و بعد ذلك انصرف الجميع و بقي رجل واقفًا • فقال له سعيد هل لك

(١) وسبب فتنة سعيد ضد عبد الملك هو قتل عبد الملك عمرًا ابا سعيد

حاجة ياغلام · فغص الرجل في ريقه وسكبت عيناه · فقال سعيد لغلمانه انصرفوا ·· وقال للرجل اخبرني عن امرك · قال يامولاي اني رجل الم بي الفقر ولي عيال ولا اقدر ان اتسول · فقال سعيد اذهب وعند الصباح تلقَ خادمي فيقضي لك حاجتك · قال وعند الصباح اتى الرجل فقال له الخادم هل معك شيء تحمل به · فقال لا · فانصرف عنه ورجع ذلك الرجل الى بيته حزيناً · فقالت له امراته هل اعطاك شيئاً · قال لا · لكنه قال لي بالغد تلقى خادمي · و بكرت اليه فقال الخادم هل معك شيء تحمل فقلت لا · وما هو الا ثمر او برّ · ولو كان ذهباً ام فضة لدفعها اليّ · فقالت له زوجته ارجع اليه لعله يكون لك خير · فرجع ولما رآه الخادم قال له قد اخبرت مولاي ان ليس معك شيء تحمل فامرني ان اوجه معك من يحمل لك هذين الصندوقين من المال والا قمشة فاذهب بهما الى عيالك وذكر المسعودي ان رجلاً دخل على سعيد ابن ابي وقاص وقال له سالتك بالله ان تنصفني من خصمي لاني مظلوم · فقال له ومن ظلمك فقال له الفقر · فامر له بالف دينار · وقال له سالتك بالله متى رجع اليك خصمك ارجع اليّ فاخذها الرجل وانشد

يا اوحد الناس الذي ما في الانام له نظير
لو كان مثلك ثانياً ما كان في الدنيا فقير

وقيل ان سعيد ابن ابي وقاص عاش الى ان توفي عبد الملك ابن مروان ذكر في تواريخ الروم انه في هذه السنة ظهر في السماء قوس عظيم رؤيته مخيفة حتى ظن الناس ان القيامة ستقوم

وفي السنة ٧٠ [1] هـ = ٦٨٩ م ذكر المسعودي انه لما كثرت الخوارج بالعراق في ايام عبد الملك ابن مروان · وكان من رجال دولته الحجاج ابن يوسف الثقفي وكان من افصح اهل زمانه ذا عنوة واسراف كثير الكرم يحب سفك الدماء · قال فجمع عبد الملك اكابر دولته وقال · ايها الناس ان العراق قد تكدر ماؤها وكثر غواؤها · فمن منكم يمهدها بسيفي و يداوي كلومها · و ينصف مظلومها · فسكت الجميع فقال الحجاج انا

(١) وفيها ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك ملك الروم على ان يؤدي له في كل اسبوع الف دينار خوفاً منه على المسلمين · وفيها شخص محمد ابن عمرو ابن مصعب ابن الزبير الى مكة فقدمها باموال عظيمة فقسمها بين قومه · وحج بالناس عبد الله ابن الزبير كما حج بالعام الذي قبله

للعراق يا امير المؤمنين . قال عبد الملك ومن انت . قال انا مجندل النفاق . ومطفي نار الشقاق . قاصم الظلمة . ومعدن الحكمة غائص غمرات الحروب . بجنان مرهوب . فقال عبد الملك وما تصنع في العراق اجاب الحجاج من جادلني نزعته . ومن خالفني قطعته ومن دنا مني اكرمته ورفعته . ومن طلب الامان اعطيته . ومن سارع الى الطاعة بجلته . ومالك يا امير المؤمنين ان تسألني . فان كنت الى الاعناق قاطعاً . والى الاموال جامعاً . والى الارواح نازعاً . وان لك في هذه الاشياء نافعاً . والا فليتبدل بي امير المومنين فان الناس كثيرة فقال عبد الملك اذهب يسر الله امرك ثم دعا رئيس الجند وقال له سر بالجند بطاعة الحجاج الى العراق . واحذر مخالفته . وخرج الحجاج قاصداً العراق . وفي وصوله دخل المسجد . قال ابن عمرو بينما نحن في صحن المسجد قالوا قدم اميرٌ الى العراق . فسألوا من يكون . قالوا الحجاج ابن يوسف الثقفي فتأملته اذ دخل المسجد وصعد المنبر وعليه عمامة حمراء متلثم بها وهو بعين واحدة كئيب الصورة . ثم جلس ولم يتكلم الى ان احفل المسجد . وكان يومئذٍ اهل الكوفة في حالةٍ حسنة وهيئة بهية و يدخل الواحد منهم الى المسجد وعليه الديباج وحوله الخدم : فقال ابن صالح لعن الله بني امية الذين يوتون مثل هذا العراق . واذل الكوفة الذي هذا اميرها . وكان الحجاج يرمق الناس ولا يتكلم . فلما رأى المسجد غص باهله . قال هل اجتمعتم جميعكم فما احد ردَّ عليه جواباً . قال فلم اعرف قدر اجتماعكم . فاجابه رجل قد اجتمعنا قل ما بدا لك . فنهض الحجاج قائماً وقال . يا اهل العراق انني ارى رؤوساً قد اينعت وحان قطعها . واعلموا ان امير المومنين قد وجد في حطبه عوداً صلباً فرماكم به لان طال ما اثرتم الفتنة واضجعتم في مرقد الضلال . فارسلني اليكم لاودب بكم العباد . واجعلكم مثلاً في كل واد . واذل صعبكم . واقيم اودكم . ثم التفت الى غلامه وقال اقرأ ياغلام كتاب امير المومنين فقرأ الغلام بسم الله الرحمن الرحيم في اول الكتاب من عبد الملك ابن مروان السلام على اهل الكوفة . وكانت الناس سكوتاً فقال الحجاج اسكت ياغلام . ثم قال للناس يا ويلكم يسلم عليكم امير المؤمنين وخليفة رب العالمين ولا تردوا عليه السلام فهذا ادبكم لاودبكم غير هذا الادب . ثم قال اعد ياغلام قرأة الكتاب من الاول فقرأ الغلام الى ان انتهى لقوله السلام على اهل الكوفة . فلم يبق احدٌ في المجلس الا وقام واقفاً يرتعد خوفاً . وقالوا السلام على امير المومنين . فلما فرغ من قرأة الكتاب انصرف كل منهم الى محله وقد ملأ قلوبهم رعباً . ذكر المسعودي عن عبد

الملك ابن مروان انه كان يوماً جالساً فدخل عليه رجل وقال اني مظلوم يا امير المومنين فقال عبد الملك من ظلمك . قال له انت ولست اصل اليك قال ومن يحجبك عني وترى مجلسي مبدراً . قال يحجبني عنك هيبتك وفصاحة لسانك . فقال الخليفة وما ظلمك . قال الرجل اعلم يا امير المؤمنين ان لي ضيعة اخذها وكيلك مني غصباً . فقال الخليفة ان هذا الامر يقتضي بينة وشهود واشياء كثيرة . فقال الرجل انما البينة هي الشهود . واما الاشياء الكثيرة ربما هي الجور والظلم وعدولك عن الحق . فضحك عبد الملك من جوابه وامر له برد ما اخذ منه

وفي السنة ٧١ = ٦٩٠ م سير عبد الملك[1] ابن مروان الحجاج بالعساكر لقتال عبد الله ابن الزبير فسار بهم الى الطائف ولم يخرج الى المدينة . ثم كتب عبد الملك الى عامله بالمدينة بان يمضي بمن عنده من الجند الى معاونة الحجاج فنزلوا ببير ميمون وحاصروا عبد الله بمكة اشد حصار ورموا الكعبة بالمجانيق حتى هدموها ورموها بكيزان النفط والنار . فاحرقوا الستائر وملكوا مكة وقتلوا عبد الله[2] ابن الزبير وقطع الحجاج راسه وارسله الى عبد الملك فأمر بدفن جسده في مقابر اليهود وذكر في تواريخ الروم بهذه السنة قدمت عساكر الاسلام الى القسطنطينية بجيوش عظيمة حتى امتلأ البحر من المراكب والبر من المشاة والركاب وحاصروا القسطنطينية سبعة اشهر من نيسان (ابريل) الى ايلول (سبتمبر) وقد قتل منهم كثير . ولما ادركهم الشتاء رجعوا خائبين وفي اجتياز المراكب نواحي سيلادار حدث عليهم ريح عاصف فغرق اكثرهم . ثم ارسل الهاجريون وفوداً الى الملك قسطنطين اللحياني واكدوا معه الصلح الى مدة ثلاث سنين وفي هذه السنة ذكر في تواريخ الروم قصد البلغار مدينة ادرنه في عساكر كثيرة فخرج اليهم الملك قسطنطين في عساكر الروم فلم يقدر عليهم . وقتل من الروم كثيرون . ثم اتفق ان يعطيهم شيئاً معلوماً . وقد صار هذا عاراً على الروم

وفي السنة ٧٢ هـ = ٦٩١ م ذكر المسعودي لما كان الحجاج قادماً الى العراق قال الغضبان الشيباني لاهل الكوفة ان عبد الملك ابن مروان مرسل اليكم من لا يقبل

---

(١) وسار بنفسه الى العراق لمحاربة مصعب ابن الزبير الى ان قتله ودخل الكوفة وطلب من اهلها مبايعته فبايعوه وفرق عماله . وتنازع الرياسة عبد الله ابن ابي بكر وحمران ابن ابان . فثبت عبد الملك خالد ابن عبد الله على البصرة . وافتتح عبد الملك قيسارية

(٢) وقيل ان قتله كان في سنة ٧٣ وليس سنة ٧١

محسنكم ولا يتجاوز عن مآسيكم . فالتقوا به على الطريق . وتغدوه قبل ان يتعشاكم ولما تملك الحجاج على الكوفة بلغه ما قال الغضبان واحضره الى ما بين يديه وقال له أأنت القائل لاهل العراق ان يتغدوني قبل ان اتعشاهم . فقال اصلح الله الامير فما نفعت من قلت له . ولا ضررت من قيل به . فامر بقتله وقال اذهب الى نارٍ لا تطفأ فقال الغضبان لو علمت ان ذهابي للنار بيدك لما اتخذت الهًا سواك . فانت اقتلني اليوم تطالب بدمي في الاخرة ولا يدخل النار الا الظالمون . ولما خرج الغضبان ضحك فقال الحجاج لم ضحكت وانت ذاهبٌ الى الموت . فقال له عجبت من جرأتك على الله وحلمه عليك فعفا عنه . ذكر الطبري لما خرج عبد الرحمن ابن الاشعث وانقادت اليه الناس سار اليه الحجاج والتقى به بدير الجماجم وكان بينهم وقائع كثيرة . ثم انهزم عبد الرحمن وقبض الحجاج على من كان معه واسرف بقتل الامرى . فبلغ عبد الملك ابن مروان اسراف الحجاج في قتل اسرى دير الجماجم . فكتب اليه ان بلغني عنكٌ اسراف في الدماء وتبديد الاموال . ولقد امرتك في الدماء الدية وفي الاموال ان تردها الى اهلها . فانما هو مال الله ونحن امناء عليه . وان كنت رددت الناس اليَّ فما اغناني عنهم وكتب له هذه الابيات يقول

اذا انت لم تطلب اموراً كرهتها ... وتطلب رضاي بالذي انت طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلي هاربًا ... الى الله منه ضيع الدر حالبه
وان ترَ مني غفلةً قرشيةً ... فياطالما قد غص بالماء شاربه
وان ترَ مني وثبةً اموية ... فهذا وهذا كل ذا انا صاحبه
فلا تلمني والحوادث جمة ... فانك مجزيٌ بما انت كاسبه
ولا تعدُ ما ياتيك مني وان تعدْ ... يقومُ بها يومًا عليك نوادبه
ولا تدفعن للناس حقًا علمته ... ولا تعطينْ ماليس لله جانبه

قال فلما قرأ الحجاج الكتاب كتب الجواب ان قد ورد كتاب امير المومنين و يذكر به اسرافنا في الدماء وتبديدنا في الاموال . ولعمري ما بالغنا في عقوبة اهل المعصية . ولا قضينا حقوق اهل الطاعة . فان كان قتل اهل العصاوة اسرافًا . واعطاء الطائعين تبديدًا . فليمض لي امير المومنين ما سلف . ماظلمت القوم ولا قتلت الا بك ولا اعطيت الا منك وكتب اليه هذه الابيات

اذا انا لم اتبع رضاك واتقي ... أذاك فيومي لا تزول كواكبه
وما لامرئٍ بعد الخليفة جنة ... تقيه من الامر الذي هو كاسبه

اسالمُ من سالمت من ذي قرابةٍ ... ومن لم تسالمه فاني محاربه
اذا فارق الحجاج منك خطيئةً ... فقامت عليه في الصباح نوادبه
اذا انا لم ادن الشقيق لنصحه ... واقصي الذي تسري اليّ عقاربه
فمن ذا الذي يرجو نوالي ويتقي ... مصاولتي والدهر جمٌّ نوائبه
فقف بي على حدّ الرضا لا اجوزه ... مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والامور فانني ... شقيق رفيقٍ احكمتني تجاربه
وامري اليك اليوم ما قلت قلته ... وما لم تقله لم اقل ما يقاربه
ومهما اردت اليوم مني اردته ... وما لم ترده اليوم اني مجانبه

ولما وصل الجواب الى عبد الملك ابن مروان . قال خشي الحجاج صولتي ولم يعد لما اكرهه فمن يلمني على محبته فكتب اليه . المشاهد يرى مالا يرى الغائب وانت أعلى نظرًا . ذكر المسعودي ان الحجاج ما كان يصبر عن سفك الدماء وكان يقول ان اكبر لذةً عنده سفك دماء الناس . حكي ان هند ابنة النعمان كانت احسن بنات زمانها في الحسن والفصاحة . وقد بلغ وصفها الحجاج فارسل خطبها من ابيها وبذل له مالاً زائدًا فزوّجه بها وقامت عنده وكانت تكرهه لشناعة صورته ورداءة اعماله . فدخل عليها يومًا وهي تنظر وجهها في المرآة وتقول هذه الابيات

وما هندُ الا مهرةٌ عربيةٌ ... سليلة افراسٍ تحللها بغلُ
فان ولدت فحلاً فلله درُّها ... وان ولدت بغلاً فجاء به الفحلُ

فلما سمع الحجاج ذلك الشعر رجع ولم يدخل . وانصرف الى خباه واستدعى عبده ضاهرًا . وقال له اذهب الى مولاتك هند وقل لها . يقول لك سيدي الحجاج . كنتِ فبنتِ وهذه الالفان درهم صداقكِ . فسار العبد الى ان دخل على هند وقال لها كما امره الحجاج . فقالت له ارجع الى مولاك وقل له . كنا فما حمدنا . وبنّا فما ندمنا . وهذه الألفان درهم لك لأجل بشارتك ياعبد الخير التي بها اعتقني الله من كلب ثقيف . ثم حملت اثقالها وسارت الى بيت ابيها . وبعد ذلك بلغ عبد الملك ابن مروان اخبار حسنها . فارسل خطبها لذاته . فردّت عليه جوابًا ان ذلك من اكبر السعادة ان اكون جاريةً لامير المؤمنين . ولكن الاناء ولغ به الكلب . فلما وصل الجواب الى عبد الملك ضحك من قولها واشتغف بحبها . وكتب لها انه يقول بالقرآن الشريف اذا ولغ كلب باناء احدكم فاغسلوه سبعةً وعفروه بالتراب فيحل لكم استعماله . ولما وصل

الكتاب الى هند ردت جواباً . السمع والطاعة ولكن لي شرطاً على امير المؤمنين ان يقود الحجاج بزمام ناقتي . فارسل عبد الملك الى الحجاج يقول له ان امير المؤمنين يريد زواج جارية بالمعرة ويامرك ان تسير الى هناك وتأتيه بها وتكون انت القائد بزمام الناقة احتفاظاً عليها . ولم يكن الحجاج يعلم من هي الجارية ولما وصل اليه امر الخليفة راءه من اجل النعم وسار في الحال الى المعرة ثم ركبت هند في هودج وقاد الحجاج بزمام الناقة الى ان دخلت المدينة [1] . فترجل الحجاج وسار ماشياً . فرفعت هند ستار الهودج ورمت الى الارض ديناراً . ونادت ياحجاج لقد سقط منا درهم . فرجعه الينا . فنظر الحجاج واذا هو دينار . وقال ياستاه هو دينار . فقالت الحمد لله الذي ضاع منا درهم فوجدناه ديناراً . فعرفها الحجاج من كلامها وكاد ان تتمزق مرارته وانشد

وان تضحكي مني فياطول ليلةٍ تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته هند

ما بالنا اذا ارواحنا سلمت بما فقدناه من مالٍ ومن نسبِ

فالمال مكتسبٌ والعز مرتجعٌ اذا النفوس وقاها الله من عطب

واقامت هند عند عبد الملك ابن مروان واحبها حباً عظيماً الى ان مات سنة ستة وثمانين (مما ذكر الطبري تحت هذه السنة مقالة عن الكتاب والكتابة اثبتنا منها ما ياتي . حكي ان ابرويز قال لكاتبه انما الكلام اربعة اقسام سؤالك الشيء . وسؤالك عن الشيء وامرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات . ان التمس لها خامساً لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتم . فاذا طلبت فاختصر . واذا سألت فاوضح . واذا امرت فاحتم . واذا خبرت فحقق . قال ابو موسى الاشعري ان اول من قال اما بعد داود وهي فصل الخطاب . وقيل ان قس ابن ساعدة قالها . وقال عمر لكتابه وعماله ان القوة على العمل ان لا تؤخروا عمل اليوم لغد لانكم اذا فعلتم ذلك كذا تذأبت [2] عليكم الاعمال فلا تدرون بايها تبدأون وايها تأخذون وهو اول من دوّن الدواوين في العرب والاسلام . ومن مليح قول جعفر ابن يحيى خالد . الخط سمة الحكمة به تفصل شذورها . وينظم منثورها . وسأل سائل جعفر ابن يحيى (ما البيان فقال ان يكون الاسم محيطاً بمعناك مخبراً عن مغزاك مخرجاً من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة .

(١) اي دمشق (٢) اي اختلفت او امتزجت

ومن اقواله الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا اسوة · وفينا لمن بعدنا عبرة)

وفي السنة ٧٣ هـ = ٦٩٢ م خرج على الحجاج صالح ابن مسرح وشبيب الخارجان وتبعهما خلق كثير وسموا صالحاً امير المومنين وخرجوا الى ارض الجزيرة ونهبوا الاموال ونقووا بها · وقاتلهم محمد ابن شبيب في سبعين رجلاً الى ان اتته النجدة من الحجاج اربعة الاف فارس · فالتقاهم الخوارج وهزموهم وقتلوا مقدم العسكر · وقطع شبيب واصحابه الطريق · وكان كلما ارسل اليهم الحجاج عسكراً يهزمونه ولم يكن عددهم اكثر من اربعة الاف الى ان خرج اليهم الحجاج بذاته في خمسين الفاً فهزمهم شبيب وحوى على اثقالهم وفي هذه السنة نقشت الدنانير والدراهم بالعربية وكان على الدنير قبل ذلك كتابة بالرومية وعلى الدراهم بالفارسية · واتخذ الحجاج داراً للضرب ونقش على الدراهم الله صمد · ولم يكن عيارها جيداً · فلما ولى عمر ابن هبيرة على العراق جوّد العيار · ثم جوّده بعده خالد القرشي · ثم يوسف ابن عمر · ثم جوده في ايامه هرون الرشيد · وكان وزن الدرهم في ايام القرشي على ثلاثة اضرب · منها ضرب العشرة مثاقيل · وضرب الخمسة · فضرب الاسلام العشرة سبعة مثاقيل[1] (وفيها ولى عبد الملك طارقاً مولى عثمان المدينة فتولاها خمسة اشهر · وفيها توفي بشر ابن مروان · وفيها وجه الخليفة عمر ابن عبيد لقتال ابي فديك · وفيها عزل خالد ابن عبد الله عن البصرة وولاها اخاه بشر ابن مروان فصارت هي والكوفة ولاية واحدة · وحج بالناس الحجاج ابن يوسف)

(وفي السنة ٧٤ هـ = ٦٩٣ م عزل عبد الملك طارقاً ابن عمرو عن المدينة واستعمل عليها الحجاج ابن يوسف · وفيها نقض الحجاج من بنيان الكعبة ما بناه ابن الزبير · وفيها استقصى عبد الملك ابا ادريس الخولاني · وفيها شخص بشر ابن مروان من الكوفة الى البصرة والياً عليها · وفيها ولي المهلب حرب الازارقة من قبل عبد الملك · وحج بالناس الحجاج ابن يوسف (ط)

وفي السنة ٧٥ هـ = ٦٩٤ م غزا محمد ابن مروان الصايفة حين خرجت الروم من قبل مرعش · وفيها ولى عبد الملك يحيى ابن الحكم ابن ابي العاص المدينة · وفيها ولى عبد الملك الحجاج ابن يوسف العراق دون خراسان وسجستان كما سبق · وفيها قدم الحجاج الكوفة · ثم خرج منها الى البصرة واستخلف عليها ابا يعفور عروة ابن المغيرة ابن

---

(١) يوجد رومبز اوعينيات من هذه الدنانير في دار التحف بالقاهرة من ضرب الحجاج ومن ضرب عمر ابن هبيرة ومن ضرب خالد القرشي و يوسف ابن عمر ومن ضرب هرون الرشيد

شعبة • وفيها ثار الناس على الحجاج في البصرة وفيها نفى المهلب وابن مخنف الازارقة عن رامهرمز • وحج بالناس هذه السنة عبد الملك ابن مروان

وفي السنة ٧٦ هـ = ٦٩٥ م خروج صالح ابن مسرح احد بني امرء القيس وقتله شبيب وحارب شبيب حروباً عـديدة ضد الحجاج واستظهر فيها • وفيها دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة • وفيها امر عبد الملك بنقش الدنانير والدراهم وكان وزن المثقال الجاهلي ٢٢ قيراطاً الا حبة وكان العشرة وزن سبعة • وفيها وفد يحيي ابن الحكم على عبد الملك ابن مروان وولي ابان ابن عثمان المدينة في رجب • وفيها ولد مروان ابن محمد ابن مروان • واقام الحج ابان ابن عثمان وهو امير على المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج ابن يوسف

وفي السنة ٧٧ هـ = ٦٩٦ م قتل شبيب عتاب ابن ورقاء الرياحي وزهرة ابن حوية • وفيها دخل شبيب دخلته الثانية الى الكوفة وحارب الحجاج وقيل انه في هذه السنة هلك شبيب على قول هشام ابن محمد وفي قول غيره ان هلاكه سنة ٧٨ • وفيها خروج مطرّف ابن المغيرة ابن شعبة على الحجاج وخلع عبد الملك ابن مروان ولحق بالجبال فقتل • وفيها وقع الاختلاف بين الازارقة اصحاب قطري ابن الفجاءة فخالفه بعضهم واعتزله وبايع عبد رب الكبير واقام بعضهم على مبايعة قطري حتى افضى امرهم الى هلاك قطري وعبيدة ابن هلال وعبد رب الكبير ومن كان معهم من الازارقة • وفيها قتل بكير ابن وشاح السعدي امية ابن عبد الله ابن خالد ابن اسيد • وفيها عبر نهر بلخ امية للغزو فحوصر حتى جهد هو واصحابه ثم نجوا بعد ما اشرفوا على الهلاك فانصرف والذين معه من الجند الى مرو

وفي السنة ٧٨ هـ = ٦٩٧ م عزل عبد الملك ابن مروان امية ابن عبد الله عن خراسان وضم خراسان وسجستان الى الحجاج ابن يوسف ففرّق فيها عماله وحج بالناس الوليد ابن عبد الملك

وفي السنة ٧٩ هـ = ٦٩٨ م حدث طاعون مهم بالشام فافنى عدداً غفيراً • ولم يغزُ احد تلك السنة اسببه • وفيها فيما قيل اصابت الروم اهل انطاكية • وفيها قدم المهلب خراسان اميراً وانصرف عنها سلفه • وقيل استعفى شريح القاضي وولى مكانه ابا بردة ابن ابي موسى الاشعري بمشورة شريح • وحج بالناس ابان ابن عثمان

وفي السنة ٨٠ هـ = ٦٩٩ م حدث سيل بمكة ذهب بالحجاج فغرقت بيوت مكة

فتسمى عام الجحاف لان السيل جحف كل شيء • وفيها كان بالبصرة الطاعون الجارف • وفيها قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش • وفيها وجه الحجاج عبد الرحمن ابن محمد ابن الاشعث الى سجستان لحرب رتبل صاحب الترك وحج بالناس ابان ابن عثمان وقيل عثمان ابن عبد الملك (ط))

وفي السنة ٨١ هـ = ٧٠٠ م مات محمد ابن حنيفة الكسابة من الشيعة الذي يعتقدون انه حيّ بجبل رضوى وانه لا بد ان يظهر و يملأ الارض عدلاً كما مُلئت جورًا وكان على هذا المذهب السيد الحميري وفي هذه السنة قبض الحجاج على يزيد ابن المهلب وكان سبب ذلك زيادة كرمه وحسدًا من الحجاج لهُ • فقام في سجنه مدة طويلة ثم احتال يزيد على السجان وهرب [1] فقصد سليمان اخا عبد الملك ابن مروان وكان وقتئذٍ عاملاً في الشام من قبل اخيه عبد الملك • فكتب الحجاج الى عبد الملك ان يزيد ابن المهلب هرب من السجن واستجار باخيك سليمان وامير المؤمنين اعلى نظرًا بذلك • فكتب عبد الملك الى اخيه سليمان وكان عامله بالشام بان يرسل يزيد ابن المهلب • فردَّ جوابًا يقول يا امير المؤمنين اختبرت يزيد فلم ار له زلة ولا ذنبًا وانما الحجاج يريد سلب ماله ظلماً لاجل كرمهِ وانا اغرم عنه الى الحجاج لانه قد صار مستجيرًا بي • وان حلم امير المؤمنين ان لا يخزيني عند ضيفي فهو من اهل الفضل والكرم • فكتب اليه عبد الملك ثانيًا ان لا بد من ارسال يزيد مغلولاً • ولما وصل الكتاب الى سليمان احضر ولده ايوب وقيده مع يزيد قيدًا واحدًا وارسله الى اخيه • وكتب اليه اما بعد يا امير المؤمنين طلبت يزيد ابن المهلب و واصل لك مع ابن اخيك ايوب فان اردت قتل يزيد فاقتل ابن اخيك اولاً ثم ثن بيزيد واجعلني انا الثالث • ولما دخل يزيد ونظر عبد الملك ايوب مقيدًا سوية معه فاستحى وقال لقد ازعجنا ابا ايوب وامر باطلاقهما واكرم يزيد واعطاه ثلاثماية درهم ذكر المسعودي ان يزيد ابن المهلب كان اكرم الناس سخاءً واجودهم عطاءً وله في السخاء اخبار عجيبة وامور غريبة • قال لما كان يزيد في سجن الحجاج جاء اليه الفرزدق وقال للسجان اتاذن لي في الدخول نقال ادخل فدخل الفرزدق ولما راءى يزيد مغلولاً بكى عليه وقال

(١) قبضة عليهِ كان سنة ٨١ ولكن هربهُ من سجنهِ كان سنة ٩١ وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن ابن محمد ابن الاشعث الحجاج ومن معهُ من جند العراق وحاربوه وحج بالناس سليمان ابن عبد الملك • وفيها قتل بحيرا ابن ورقاء الصريمي

اباخالداً قد ضاق خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات اين يزيدُ
فما قطرت بالشرق بعدكَ قطرةٌ ولا اخضرَّ بالمردين بعدكَ عودُ

فقال يزيد لخادمه ادفع له المائة الف درهم التي جمعت لخلاصنا ودع الحجاج يفعل ما يختار . وذكر انه لما رجع يزيد ابن المهلب من العراق بعد خلاصه من سجن الحجاج قال عقيل ابن طالب اتاذن لي يا امير في الخروج معك . فقال يزيد ان شاء الله . ولما كنا جلوساً ودار حديث الاجاويد . فقال يزيد هات ياعقيل ما عندك فانشدت

افاض القوم في ذكر الجياد واما الاغربون فلم يقولوا

ولما رجعوا ذهب عقيل الى منزله فارسل له يزيد خمسة آلاف درهم وارسل يعتذر له بالتقصير . قال عقيل فسرت اليه في الغد وقلت ياسيدي اغنيت واقنيت فان اردت ان تأذن لي في الرجوع الى وطني . فقال ان اقمت فنوليك وان رحلت فنغنيك . ومما جاء عن يزيد ابن المهلب قال حج في بعض السنين يزيد ودعا بحلاق في المدينة فزين راسه فامر له بخمساية درهم . فاخذها الحلاق وقال امرأتي طالق ان رفعت يدي على راس غير راس يزيد . قال ابو العلاء كان يزيد ابن المهلب مشهوراً بالسخاء في دولة المروانية وكان جعفر في دولة الرشيد ومعن ابن زائدة في دولة المهدي . ذكر ان يزيد كان مجتازاً في البيداء فذبحت له اعرابية عنزة فقال لخادمه ما معك من النفقة فقال مئتا دينار فقال ادفعها لها . فقال الخادم يكفيها خمسون وهي لا تعرفك فقال يزيد ان كانت هي ترضى القليل انا لا ارضى به . فان كانت هي لا تعرفني انا اعرف نفسي. قال ونهى خالد يزيد عن زيادة كرمه فانشده هذه الابيات يقول

اخالد دعني ومالي ما فعلت به وخذ نصيبك منه فانا مودي
فلا اطيعك الا ان تخلدني فانظر بعينك هل تسطيع تخليدي
الحمدُ لا ينشا الا بمكرمة ولم اعش بمالٍ غير محمودِ

ذكر المسعودي ان خالداً ابن يزيد ابن المهلب نشأ وكان مثل ابيه بالكرم . قيل قصد انسان خالداً ابن يزيد ابن المهلب وانشد له شعراً

سالت الندا والجود أحران انتما فقالا يقيناً اننا بعبيدِ
فقلت ومن مولا كما فتطاولا اليَّ وقالا خالد ابن يزيدِ

فقال ياغلام اعطه الف دينار فاخذها وانشد يقول

كريم الكريم في مهمات مذهبٍ تدفق كفاه الندا وشمائله
هو البحر من اي النواحي اتيته زهى لقبضٍ لم تجبه انامله

فقال ياغلام زد له الف دينار فاخذها وانشد يقول

تبرعت لي بالجود حتى وقرتني واعطيتني حتى ظننتك تلعب
فانت الندى واخو الندى وابو الندى حليف الندى مالندى عنك مذهب

(وفي السنة ٨٢ هـ = ٧٠١ م استمر الحرب بين عبد الرحمن والحجاج ومنها وقعة دير الجماجم وقيل كانت سنة ٨٣ . وفيها توفي المغيرة ابن المهلب بخراسان . وفيها صالح المهلب اهل كش على فدية ورحل عنها يزيد مرو . وفيها توفي المهلب ابن ابي صفره . وفيها ولى الحجاج يزيد ابن المهلب على خراسان بعد موت ابيه . وعزل الخليفة ابان ابن عثمان عن المدينة وولى عليها اسماعيل المخزومي

وفي السنة ٨٣ هـ = ٧٠٢ م انهزم عبد الرحمن في وقعة دير الجماجم . وفيها كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الاشعث بعد هزيمته في دير الجماجم. وفيها بنى الحجاج واسطًا وعزل ابان ابن عثمان عن المدينة وولى مكانه هشامًا ابن اسماعيل المخزومي

وفي السنة ٨٤ هـ = ٧٠٣ م كانت غزوة عبد الله ابن عبد الملك ابن مروان الروم ففتح المصيصة . وقتل الحجاج ايوب ابن القرِيَّة وكان مع ابن الاشعث . وفيها فتح يزيد ابن المهلب قلعة نيزك بباذغيس . وحج بالناس هشام ابن اسماعيل المخزومي

وفي السنة ٨٥ هـ = ٧٠٤ م هلك عبد الرحمن ابن محمد ابن الاشعث قتله رتبيل وعزل الحجاج يزيد ابن المهلب عن خراسان وولى عليها اخاه المفضل فغزا المفضل باذغيس وفتحها . وفيها قتل موسى ابن عبد الله ابن خازم السلمي بالترميذ . واراد عبد الملك ابن مروان خلع اخيه عبد العزيز وفي تلك السنة توفي عبد العزيز ابن مروان بمصر فضم عبد الملك عمله الى ابنه عبد الله ابن عبد الملك وولاه على مصر . وفيها بايع عبد الملك ابنيه الوليد ثم من بعده سليمان . وحج بالناس هشام ابن اسماعيل المخزومي)

الفصل السادس

في خلافة الوليد ابن عبد الملك ابن مروان

وفي السنة ٨٦ هـ = ٧٠٥ م كانت وفاة عبد الملك ابن مروان وكان له من العمر

ستون سنة وهو الخامس من بني امية وكانت مدة تملكه عشرين سنة[1] وتولى ولده الوليد بعده • ثم افتتح الوليد سمرقند و بلاد الترك • وقال الطبري بعد خلافة الوليد بسنتين مات الحجاج ابن يوسف الثقفي • وقيل انه قبل موته استحضر منجماً وقال له انظر هل رأيت ملكاً يموت فقال له نعم ارى ملكاً يموت اسمه كليب • فقال له انا كليب و بهذا الاسم سمتني امي • فقال المنجم وانت تموت • فقال الحجاج لاعملن يومك قبل يومي • ومات الحجاج وقد بلغ من العمر ثلاثاً وخمسين سنة وله في حياته امور عجيبة في الظلم لم تكتب في هذا التاريخ وانما كتبنا ذلك بالاختصار • وكان قد وُلي العراق والحجاز في ايام عبدالملك ابن مروان عشرين سنة وتولى على الشام في خلافة الوليد سنتين • وقيل انه قتل في ايامه عشرين الفاً • ومات في حبسه ما ينوف عن ثلاثين الف امرأة وذلك خلا من قتله في حروبه • ولم يكن لحبوسه سقوف • فكان المسجونون يقاسون حرّ الصيف و برد الشتاء • وحكي عنه انه كان السواد في العراق يجمع الف الف دينار وفي تولي الحجاج خرب لزيادة ظلمه فصار يجمع ثمانية عشر الفاً • وكانت الناس في ايام الحجاج اذا التقى الرجل بصاحبه يسأله من قتل اليوم ومن امسك ومن صلب وما اشبه ذلك لزيادة ظلمه • وقيل ان الحجاج ما عفا في زمانه عن احد قط سوى اثنين الواحد كان قد امر بضرب عنقه فقال له سألتك بالذي تمثل بين يديه كما انا اليوم بين يديك ان تعفو عني فخجل الحجاج وعفا عنه واطلقه • وعفا ايضاً عن عباد ابن مسلم فلما امر بقتله كان له اربع وعشرون انثى نساؤه واخواته و بناته ولم يكن لهنّ غيره قط وقد كانت ابنة عباد الصغيرة فصيحة اللسان فدخلت الحريم على الحجاج وانشدت شعراً

احجاج قد تفجع به ان قتلته ثماني عشر واثنتان واربعا
احجاج لا تترك عليه بناته واخواته يندبنه الدهرَ اجمعا
احجاج اما ان تمنّ بعتقه علينا واما ان تقتلننا معا

قال فامر الحجاج باطلاقه • قال الشعبي دخلتُ على الحجاج فقال ما اسمك قلت الشعبي • قال كيف علمك في كتاب الله قلت عني يؤخذ • قال كيف علمك بالفرائض قلت لي فيها منتهى • قال كيف علمك بانساب الناس قلت انا العالم

---

(١) قيل ٢١ سنة صرف منها تسع سنوات يقاتل ابن الزبير وهو خليفة عند اهل الشام و٢١ سنة وخمسة اشهر وقيل اربعة اشهر مستقلاً بالملك وفيها قدم قتيبة ابن مسلم خراسان والياً عليها • وغزا مسلمة ابن عبد الملك ارض الروم • وحج هشام ابن اسمعيل المخزومي

بها . قال كيف علمك بالشعر قلت انا ديوانه . فانشرح صدر الحجاج بكلامي وقال اجلس و طب قلبًا وامر لي بكلما احتاج اليه . وقد دخلت عليه وانا صعلوك بني همدان وخرجت من عنده سيدهم

وفي السنة ٨٧ هـ = ٧٠٥ م لما ولي الوليد قرر العمال على النواحي [١] وافتتح في ايامه الفتوحات الكثيرة وغزا اخوه مسلمة ارض الروم وما وراء النهر وحاصر بخارى ودخل الى الصعيد والبجراس فاجتمعت عليه الترك فقاتلهم المسلمون وافتتحوا مدينتهم العظمى ونهبوا منها اموالاً جزيلة . وغزا قتيبة السغد والساس وفرغانة . ثم صالح قتيبة ملك خوارزم وابتنى بها مسجدًا جامعًا ووضع فيه منبرًا وخطب يوم الجمعة واحضر الاصنام فاحرقها . وكانت مسمرة بمسامير ذهب وزنها خمسون مثقالاً . ثم ان الوليد بنى مسجدًا بدمشق وكان اصله كنيسة وتعرف باسم ماري يوحنا وزاد فيه . وقيل ان جملة ما انفق على بناء الجامع اربعمائة [٢] الف الف دينار وكان في الكنيسة ستمائة سلسلة من ذهب . وقيل كان مكتوب على الحائط يا ابن ادم لو عاينت متى يسير اجلك لزهدت فيما بقي من طول املك . وقصرت عن رغبتك من رهبتك . فاذا تلقى ندمك اذا زل بك قدمك . تركت اهلك وانصرف عنك الحبيب فاغتنم العمل قبل الموت والقوت قبل الفوت . فامر الوليد ان تكتب هذه على حائط المسجد . وعمر مكانًا للمجذومين ومنعهم عن مخالطة الناس . واعطى لكل مقعد خادمًا ولكل ضرير قائدًا ومنع النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية بل بالعربية . وفتح ولاية الاندلس وكشغر والهند وكان يرغب في البنايات واتقان المصانع والضيع وفي ايامه كانت تتكلم الناس في البنايات والعمائر لزيادة رغبته في العمار . فبنت الناس المجالس الحسان .

وفي السنة ٨٨ هـ = ٧٠٦ م توفي عبد العزيز [٣] اخو عبد الملك ابن مروان وكان

---

(١) ولى عمر ابن عبد العزيز بالمدينة . وفيها قدم نيزك قتيبة وصالح قتيبة اهل باذغيس وغزا بايكند وحج بالناس عمر ابن عبد العزيز

(٢) هو الجامع الكبير في دمشق المعروف بجامع بني امية

(٣) وفاة عبد العزيز كانت سنة ٨٥ وليس ٨٨ (ط) وفيها كان فتح حصن طوانى في ارض الروم على يد مسلمة ابن عبد الملك والعباس . وفيها ولد الوليد ابن يزيد ابن عبد الملك . وفيها امر الوليد بهدم مسجد رسول الله (صلعم) وهدم بيوت ازواجه وادخالها في المسجد . وابتدأ عمر ابن عبد العزيز ببناء المسجد . وغزا مسلمة الروم وفتح حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم . وكتب الوليد الى عمر ابن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان . وحج بالناس عمر ابن عبد العزيز

عاملاً على مصر من قبل اخيه وهو الذي بنى الدار المذهبة المعروفة بسوق الحمام وكانت مدة ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة اشهر

(وفي السنة ٨٩ ھ = ٧٠٧ م فتح المسلمون حصن سورية بقيادة مسلمة ابن عبد الملك الذي قصد عمورية وحارب الروم وهزمهم منها وافتتح هرقلة وقمورية · وغزا العباس الصايفة · وفيها وُلي خالد ابن عبد الله القسري مكة · وغزا مسلمة الترك حتى اذربيجان وفتح حصونًا ومداين هناك وحج بالناس عمر ابن عبد العزيز)

وفي السنة ٩٠ ھ = ٧٠٨ م ولى الوليد ابن عبد الملك قرّة ابن شريك على مصر وكان فاسقًا مشهورًا · وفيها حدثت زلزلة عظيمة في انطاكية فبقيت اربعين يومًا فهدمتها وفي هذه السنة مات زين العابدين ابن الحسين ابن علي ابن ابي طالب · وكان زاهدًا عابدًا ورعًا كثير العبادة روي ان ورده في كل ليلة ثلاثين ركعة والف ركعة وكان يسمى السجاد لكثرة سجوده (١)

(وفي السنة ٩١ ھ = ٧٠٩ م غزا مسلمة الصايفة وغزا الترك حتى بلغ اذربيجان وفتح حصونًا ومدائن · وغزا موسى ابن نصير الاندلس ففتح مدائن وحصونًا · وفيها قتل قتيبة ابن مسلم نيزك طرخان وغزا شوفان وكش وصالح طرخان · وولى الوليد خالدًا ابن عبد الله القسري على مكة وبقي عليها لموت الوليد وحج بالناس الوليد ابن عبد الملك)

وفي السنة ٩٢ (٢) ھ = ٧١٠ م ذكر في تواريخ الروم ان في هذه السنة توفي الملك قسطنطين اللحياني ملك الروم وكان حسن السيرة وكانت مدة ملكه تسع وعشرين سنة وتملك بعده ولده يوستينانوس على الروم وكان رديًا خبيثًا غضوبًا ذا افتراء وكان يفتخر على الناس بحسن معرفته · وفي ايامه غزا البلغار والتتر ومضى الى تسالونيكيه وقتل كثيرين من اهلها وسبى منهم كثيرًا وفي رجوعه كمن له البلغار في مضيق كليسورا واهلكوا اكثر عساكره · ثم بعد رجوعه قتل كثيرًا من اراكنته فبغضته الناس لاجل قساوته · وكانوا يشتمونه فامر قائد جيشه اسطفانوس الفارسي ان يضرب

---

(١) وفي هذه السنة غزا مسلمة ارض الروم من ناحية سورية ففتح الحصون الخمسة التي بسوريا · وفيها قتل محمد ابن القاسم داهر ابن صصة ملك السند وهو على جيش من قبل الحجاج

(٢) فيها غزا مسلمة ارض الروم وفتح ثلاثة حصون · وفيها غزا طارق ابن زياد مولى موسى ابن نصير الاندلس مارًا من مراكش واول وصوله للجبل الذي على فم البوغاز ولذلك سمي الجبل باسمه للآن جبل طارق وكذا البوغاز · فلقي ملك الاندلس وقتله واستولى على بلاده وحج بالناس عمر ابن عبد العزيز

بالسيف في شعب القسطنطينية ٠ وقد قبض على لانوس البطريق الذي قد قاتل قدامه قتالاً عظيماً فجازاه بالسجن في مكان مظلم حيث لا يدخل اليه احد ومكث هناك مدة ثلاث سنين ٠ ثم اخرجه ولما كان الشعب قد ابغضه لرداءته اتوا الى لانوس البطريق ليلاً واخرجوه ودخلوا على الملك يوستينيانوس وقبضوا عليه وجدعوا انفه فسمي الاخرم او مقطوع الانف ٠ ثم نفوه الى شرصونية وقبضوا على اسطفانوس وثاودورس وقتلوهما وتوجوا لانودس ملكاً على الروم ٠ وقد اقام الملك يوستينيانوس المقطوع الانف عشر سنين ملكاً ٠ وبعد تملك لانودس على القسطنطينية سار نحو رومية بعساكر كثيرة واستأسر كثيرين من الافرنج

وفي السنة ٩٣ هـ = ٧١١ م انكسفت الشمس حتى ظهرت النجوم وسط النهار ٠ قال ان الحجاج سأل الغضبان ابن العقيري قال له من اكرم الناس فقال افقههم في الدين واكرمهم على المسكين ٠ قال فمن ابلم الناس ٠ قال المعطي على الهوان المفتري على الاخوان الكثير الالوان ٠ قال من اشر الناس ٠ قال اطولهم جفوه واكثرهم خلوه ٠ قال من اشجع الناس قال اخبرهم بالسيف واتركهم للسرور ٠ قال من احوج الناس ٠ قال المرتعش في الوقوف ٠ المتاخر عن الصفوف ٠ المحب ظلال السقوف ٠ قال من اثقل الناس قال المتعري في الكلام القليل السلام ٠ قال من اخير الناس قال اكثرهم احساناً واقومهم ميزاناً ٠ قال من اعقل الناس قال من كثر احتماله وحسنت مداراته ٠ قال من اجهل الناس ٠ قال الذي يتكلم هدراً ويضمر غدراً ٠ ويطلب عذراً [1] آه

(وفي السنة ٩٤ هـ = ٧١٢ م غزا العباس ابن الوليد ارض الروم وفتح انطاكية وغزا عبد العزيز ارض الروم حتى بلغ غزالة ٠ وبلغ الوليد ابن هشام المعيطى ارض برج الحمام ويزيد ابن ابي كبشه ارض سورية ٠ وفيها كانت الزلزلة بالشام وافتتح القاسم ابن محمد الثقفى ارض الهند ٠ وغزا قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خجنده وكاشان مدينتي فرغانة ٠ وفيها ولي الوليد ابن عبد الملك عثمان ابن حيان المري على المدينة ٠ وفيها قتل الحجاج سعيد ابن جبير ٠ ودعيت هذه السنة سنة الفقهاء لموت كثيرين منهم فيها في المدينة ٠ مات علي ابن الحسين (عم) وعروة ابن الزبير ٠ وسعيد ابن المسيب ٠ وابو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ٠ وعين الوليد سليمان ابن حبيب قاضياً بالشام)

(١) غزا العباس ابن الوليد ارض الروم وفتح سمسطية وعزل موسى ابن نصير طارق ابن زياد من الاندلس ووجهه الى مدينة طليطلة

وفي السنة ٩٥ هـ = ٧١٣ م غزا العباس ارض الروم وفتح ثلاثة حصون وهي طولس والمرز بانين وهرقله وفتح آخر الهند الا الكرج والمندل · و بنيت واسط القصب في رمضان · وانصرف موسى ابن نصير الى افريقية من الاندلس وضحى بقصر الماء على ميل من القيروان · وغزا قتيبة ابن مسلم الشاش · ومات الحجاج ابن يوسف في شوال وعمره ٥٤ سنة وقيل ٥٣ وكان اميرًا على العراق ٢٠ سنة واستخلف عند موته ابنه عبد الله وافتتح العباس قنسرين وقتل الوضاحي والف رجل معه بارض الروم · وفيها ولد المنصور عبد الله ابن محمد ابن علي · وولى الوليد يزيد ابن ابي كبشه على الحرب والصلوة بالمصرين الكوفة والبصرة وولى على خراجهما يزيد ابن ابي مسلم · وحج بالناس بشر ابن الوليد (ط))

الفصل السابع

في خلافة سليمان ابن عبد الملك ابن مروان

(وفي السنة ٩٦ هـ = ٧١٤ م توفي [1] الوليد ابن مروان وهو السادس من خلفاء بني امية وكانت مدة خلافته تسع سنين [2] · وولي مكانه سليمان اخو عبد الملك ابن مروان وكان عاقلاً فصيحًا يود العلماء والمدرسين وكان قد ربي عند اخواله بني عبس · وحين بويع له بالخلافة امر باخراج المسجونين ورد جميع المظالم وعزل سليمان ابن عبد الملك عثمان ابن حيان عن المدينة ويزيد ابن ابي مسلم عن العراق وامر على العراق يزيد ابن المهلب · وفيها قتل قتيبة ابن مسلم بخراسان · وعزل خالد ابن عبدالله القسري عن مكة وتولاها طلحة ابن داود الحضرمي · وغزا مسلمة الصايفة وفتح حصنًا يقال له عوف · وتوفي قرة ابن شريك العبسي امير مصر · وحج ابو بكر ابن محمد ابن عمرو ابن حزم الانصاري)

(وفي السنة ٩٧ هـ = ٧١٥ م جهز سليمان ابن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية · واستعمل ابن داود على الصايفة ففتح حصن المرادة وفتح مسلمة حصن الوضاح · وغزا عمرو

---

(١) غزا بشر ابن الوليد الشاتية و رجع لموت الوليد يوم السبت في نصف جمادي الآخر

(٢) قيل عشرة سنين وعمره ٤٦ سنة وله ١٩ ابنًا وكان يقصد جعل الخلافة لابنه وليس لسليمان · وفيها فتح قتيبة كشغر وغزا الصين

ابن هبيرة ارض الروم وشتى بها · وقتل عبد العزيز ابن موسى ابن نصير بالاندلس · وولى سليمان يزيد ابن المهلب علي خراسان · وحج بالناس سليمان ابن عبد الملك · وعزل طلحة ابن داود الحضرمي عن مكة وولى عليها عبد العزيز ابن عبد الله ابن خالد)

(وفي السنة ٩٨ [١] هـ = ٧١٦ م ذكر في تواريخ الرومان في هذه السنة سار طيبار يوس ملك الروم في العساكر الى بلاد سوريا وقتل من العرب خلقاً كثيراً وعاد الى القسطنطينية منصوراً · ثم نفى فيليبكس البطريق لانه رأى في نومه انه تملك مكانه · ولما بلغ سليمان ابن عبد الملك ما فعلت الروم بالعرب وجه اخاه مسلمة بجيش الى القسطنطينية وكان جيشه ينوف عن مائة وعشرين الفاً · فعبر الخليج وحاصر المدينة فلما تضايق اهل المدينة لسبب الحصار ارسلوا اليه انهم يسلمونها ويجعلون له على كل انسان ديناراً · فابى ان يتسلمها الا غصباً · فقال الروم للاوون البطريق ان صرفت المسلمين عنا فانت ملك علينا · فاستوثق منهم على ذلك واتى مسلمة وطلب الامان لنفسه وذويه ووعدهم ان يفتح لهم المدينة بحيث يتنحى العسكر عنهم ليطمأنوا · فتنحى مسلمة عنهم الى بعض الرساتيق · ورجع لاوون ولبس التاج · وجلس على سرير الملك · واعتزل الملك ثاودوسيوس ولبس الصوف وجلس في بعض الكنائس · ولما ارتحل العسكر امر لاوون الفرسان الذين معه ان كلاً منهم يحمل على فرسه من الحنطة والذخيرة التي كانت لعساكر مسلمة · لان مسلمة ارتحل وكان في باله من الرجوع · فابقى كلما كان للعسكر مكانه · ثم امر السفن التي في القسطنطينية ان تحمل الى المدينة كلما امكن من الذخيرة والمؤونة فحملت ولم يبقَ الا اليسير في ليلة واحدة · وقد خُدع مسلمة · ولما بلغه ما صنع به لاوون رجع وحاصر المدينة سنتين · وتضايق الروم من الحصار حتى اكلوا لحم الدواب · وكان سليمان ابن عبد الملك مقيماً بدابق وكانت وفاته هناك في سنة ٩٩ فلما بلغ مسلمة وفاة سليمان رحل عن القسطنطينية وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر · وذكر المسعودي في مروج الذهب انه لما وجه سليمان ابن عبد الملك محمد ابن يزيد الى العراق ليطلق المسجونين و يردّ الاموال ضيق على امير افريقية واحضروه اليه عند الغروب وكان صائماً رمضان وكان بيده عنقود عنب فقال له ياطالما طلبت من الله ان يمكني منك · فقال له وانا ياطالما طلبت ان يخلصني منك · فقال

---

(١) وفيها فتحت مدينة الصقالبة وغزا الوليد ابن هشام وعمرو ابن قيس فاصيب اناس · وغزا يزيد ابن المهلب جرجان وطبرستان

له ما اجارك ولا خلصك من يدي . فان سبقني ملاك الموت على قبض روحك لا سبقنه ولا اكل من هذا العنقود حبة واحدة الاّ ورأسك قدامك . ثم امر السياف باخذ راسه . وعند الغروب قام للصلوة . فقال للسياف امهل قليلاً حتى اصلي . وقام محمد ابن يزيد ايضاً ليصلي ووضع عنقود العنب من يده ودخل المسجد . وكانت اهل البلد قد هاجت سرًّا على محمد ابن يزيد . ولما اجتمعوا للصلوة في المسجد ركع محمد واحنى راسه فضربه رجل بدبوس على راسه فقتله فقال السياف لامير افريقية اذهب افرج الله عنك سبحان من قتل الامير واعتق الاسير . وذكر المسعودي ان سليمان كان بطيناً شرهاً فأكل في يوم واحد ست دجاجات وجدياً وقدرًا من الطعام. (وذكر ابو الوليد ابن الشحنة في كتابه المعروف بروضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر . ان سليمان ابن عبد الملك مات بالتخمة فانه كان اكولاً الى الغاية قيل اتاه وهو بدابق بعض الاكارين بزنبيلين مملوئين تيناً و بيضاً فأكل الجميع تينة و بيضة فتخم ومات . وكان يودّ الملابس الرفيعة . وذكر الطبري ان قبل وفاة سليمان ابن عبد الملك كتب ابن يزيد الذي كان على الخراج بمصر الى سليمان المذكور يعلمه ان المقياس الذي كان بحلوان بطل . فامره ان يبني مقياساً في الجزيرة التي بين بحر الفسطاط وبحر الجيزة فبناه وهو المقياس الذي يقاس فيه اليوم بالروضة . وفي هذه السنة فتح مسلمة ابن عبد الملك مدينة الصقالبة واستولى عليها .)

الفصل الثامن

في خلافة عمر ابن عبد العزيز وهو الثامن من الامويين

وفي السنة ٩٩ هـ=٧١٧ م توفي سليمان ابن عبد الملك وكان قد بايع ابنه ايوب ليكون ولي عهده ولكن ايوب المذكور توفي قبله فاستخلف عمر ابن عبد العزيز ابن مروان ابن الحكم لان بقية اولاده كانوا صغارًا . ولما بايعت الناس عمر المذكور صعد المنبر وامر بردّ المظالم و بقي سنتين وخمسة اشهر ومات في خمسة من شهر رجب (١) . وكان موته

(١) وفيها امر عمر ابن عبد العزيز مسلمة بالرجوع من حرب القسطنطينية . واغارت الترك على اذربيجان وقتلوا من المسلمين جماعة فوجه اليهم عمر ابن عبد العزيز جيوشاً وقتل اولئك الاتراك . وعزل عمر يزيد ابن المهلب عن العراق و بعث للبصرة عدي ابن ارطاة الفزاري . وعلى الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن . وحج بالناس ابو بكر عامل عمر على المدينة .

بدير سمعان ودفن به ٠وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة ٠ وكان تقياً زاهداً منعكفاً على العبادة والصلوة يرغب في قرأة القرآن ٠ ورغبت الناس في ذلك لرغبته ٠ ذكر المسعودي قال لما افضت الخلافة الى عمر ابن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تقدم على الخلفاء قبله فقاموا في الباب اياماً لم ياذن لهم بالدخول ٠ ولما قد عرى ابن ارطاة وكان في مقام رفيع عند الخليفة طلب منه الشعراء بان يتكلم مع الخليفة ان ياذن لهم بالدخول ٠ فقال يا امير المؤمنين الشعراء بالباب والسنتهم مسمومة ٠فقال عمر مالي وللشعراء من منهم في الباب قال ابن عمك عمر ابن ربيعة ٠ قال الخليفة لاقرّب الله منه قرابة ٠اليس هو القائل في شعره

ايا ليتني في يوم تدنو منيتي   لثمتُ الذي ما بين عينك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله   وليت حنوطي من مشامك والدم
و ياليت سلمى في القبور ضجيعتي   هنالك اي في جنتي او جهنم

قال عمر قبحه الله ٠ليس في تلك الدنيا الا العمل الصالح فيجعل في الجنة نكاحاً ٠ ثم قال ومن غيره في الباب ٠ قال جرير ٠ فقال عمر اليس هو القائل في شعره

ولست بصائمٍ رمضان عمري   ولست بآكلٍ لحم الاضاحي
ولست بنحر عيسٍ اوبكورٍ   على اطلال مكة بالنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو   قبيل الصبح حيّ على الفلاح
ولكن قم نباشر بنت كرم   ونشرب عند منبلج الصباح

فقال والله لا يدخل بساطي اناس كافرون ٠ وكان عمر لا يودّ الشعر ولا يعتني الا بالعبادة (ومن اعماله الحسنة انه منع سب علي على المنابر الامر الذي فعله كل سلفائه من بني امية واستبدل ذلك بقوله ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم ٠ وقيل بل جعل مكان ذلك ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي (الآية) وقيل بل جعلهما جميعاً فاستعمل الناس ذلك في الخطبة الى هذه الغاية ٠ وذكر جماعة من الاخبار يين ان عمر لما وُلي الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاماً منهم قدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو اصغر القوم سناً قال عمر مهلاً ياغلام ليتكلم من هو اسن منك فقال مهلاً يا امير

المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استعاد له الحلية يا امير المومنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الامة من هو اسن منك. قال تكلم ياغلام . قال نعم يا امير المومنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي منّ بك علينا . لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة . اما الرغبة فقد اتانا منك الى بلدنا . واما الرهبة فقد امننا الله بعدلك من جورك . فقال عظنا ياغلام واوجز . نعم يا امير المومنين ان اناساً غرهم حلم الله عليهم وطول املهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عليك وطول املك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك . فنظر عمر في سن الغلام فاذا هو قد اتت عليه بضع عشرة سنة فانشأ عمر يقول

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس اخو علم كمن هو جاهلُ
وان كبير القوم لاعلم عنده صغيرٌ اذا التفت عليه المحافل

وفي السنة ١٠٠ هـ = ٧١٨ م ظهر شوذب الخارجي بالجزيرة فارسل عمر عباد بن المهلبي اليه فحاسنه وجلبه قدام الخليفة فسأله عن سبب خروجه فقال يوجد اختلاف بيننا و بينك ان ازلته تبعناك فقال وما هو فقال انك تخالف لكل سلفائك فاما هم على هدىً او على ضلال فان كانوا على ضلال فالعنهم .

وفي السنة ١٠١ هـ = ٧١٩ م توفي عمر ابن عبدالعزيز بدير سمعان من اعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة في ٢٥ رجب من هذه السنة وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر وعمره ٣٩ سنة. ذكر المسعودي لما وفد خبر موت عمر بن عبد العزيز على ملك الروم رمى التاج عن راسه ولبس ثياب الحزن فقال له اكابر دولته لمَ ذلك قال قد وفد عليّ كتاب بان ملك العرب الصالح توفي قال فلم يملكوا انفسهم جميعاً من البكاء عليه وذكر الطبري . قال مسلم بن عبد الملك دخلت يوماً على عمر بن عبد العزيز فاذا هو على فراش من ليف وتحته وسادة من اديم وهو ذابل الشفة كاسف اللون وعليه قميص وسخ . فقلت لزوجته فاطمة وهي اختي اماتغسلين قميص امير المؤمنين فقالت نعم . ثم عدت في الغد ورايت القميص على حالها . فقلت لفاطمة لمَ لاتغسلين قميصه . فقالت وحقك يا اخي ماله غيرها . فسبحت الله على زهد هذا الملك . وفيها كانت وفاة الامير سعد بن الامير مالك المخزومي الذي كان وقتئذٍ والياً على حوران وتولى مكانه ولده الامير قاسم

الفصل التاسع

في خلافة يزيد ابن عبد الملك ابن مروان

بعد وفاة عمر بن عبد العزيز تولى الخلافة يزيد ابن عبد الملك ابن مروان ابن الحكم ويكنى ابا خالد وامه عاتكة ابنة يزيد ابن معاويه ابن ابي سفيان بويع له بالخلافة يوم توفي ابن عمه عمر ابن عبد العزيز . ولما تولى يزيد الخلافة بالبصره اجتمع عليه خلق كثير . ثم خرج الى الكوفة فجهز عليه يزيد ابن عبد الملك اخاه مسلمة ابن عبد الملك وابن اخيه العباس ابن الوليد في جيش غفير من الشام فالتقى العسكران فقتل وانهزم اصحابه

وفي السنة ١٠٢ هـ = ٧٢٠ م وجه يزيد بن عبد الملك العباس بن الوليد ومسلمة لمحاربة يزيد بن المهلب فقتلوه في شهر صفر وولى مكانه مسلمة على ولاية الكوفة والبصرة وخراسان . وغزا المسلمون السغد والترك وكانت الواقعة بقصر الباهلي . وفيها اقطع سعيد بن خذينة نهر بلخ وغزا السغد وكانوا نقضوا العهد وعاونوا الترك على المسلمين . وفيها عزل مسلمة عن العراق وخراسان وانصرف الى الشام . وغزا عمر ابن هبيرة الروم بارمينية فهزمهم واسر كثيراً منهم . وفيها قُتل يزيد ابن ابي مسلم في افريقية وهو والٍ عليها . وتولى عمر بن هبيرة العراق وخراسان

وفي السنة ١٠٣ هـ = ٧٢١ م عُزل عمر بن هبيرة وسعيد بن خذينة عن خراسان . وغزا العباس ارض الروم وفتح مدينة رسله . واغارت الترك على اللان . وضمت ولاية مكة الى عبد الرحمن بن الضحاك والي المدينة . وولي عبد الواحد بن عبد الله النضيري على الطائف وارتحل اهل السغد من بلادهم الى فرغانة وسالوا ملكها ان يعاونهم على المسلمين . وحج بالناس عبد الرحمن ابن الضحاك

وفي السنة ١٠٤ هـ = ٧٢٢ م كانت وقعة الحرشي باهل سغد وقتل من قتل من دهاقينها . وعزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس الفهري عن المدينة ومكة وولى عليها عبد الواحد النضيري . وغزا الجراح بن عبد الله الحكمي امير ارمينية واذربيجان ارض الترك ففتح بلنجر والحصون المجاورة لها وهزم الترك وغرقهم في الماء وسبى سبياً كثيراً . وفيها ولد ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي . ودخل ابو

محمد الصادق وعدد من اصحابه من خراسان الى محمد بن علي وقد كان ولد له ابوالعباس منذ ١٥ يوماً فاخرجه اليهم وقال والله ليتمنّ هذا الامر حتى تدركوا ثاركم من عدوكم . وعزل عمر ابن هبيرة سعيد بن عمر الحرشي عن خراسان وولى عليها مسلم ابن سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي . وحج عبد الواحد ابن عبد الله النضيري بالناس

ذكر انه في هذه السنة حدث في القسطنطينية وباء عظيم مدة اربعة اشهر ومات خلق كثير . ووقعت مشاجرة بين عساكر لاوندس الملك ووقع الحرب ثم قبضوا على لاوندس وجدعوا انفه ونفوه الى ظلماطس واقاموا مكانه ابيار يوس ولقبوه طيبار يوس وتتوج على الروم

الفصل العاشر

في خلافة هشام ابن عبد الملك وهو العاشر من بني اميه

وفي السنة ١٠٥ هـ = ٧٢٣ م توفي يزيد ابن عبد الملك بن مروان في ٢٥ شعبان ببلقاء من ارض دمشق وعمره ٣٨ سنة وكانت مدة خلافته اربع سنين وشهراً وهو ابن عاتكه وكان كثير الشغف والمجون يود الرقص والغناء اشتهر ذكره بذلك وتكلمت فيه الناس . وكانت عنده حبابة وسلامة . قال يوماً وقد طرب وهما عنده دعوني اطير فقالت حبابة الى من تدع الامة . وكان قد اشترى حبابة لما حج في خلافة سليمان وكان اسمها العالية باربعة الاف دينار من عثمان بن سهل بن حنيف . قال سليمان فهممت ان احجر على يزيد فرد يزيد حبابة واشتراها رجل من اهل مصر . فقالت سعدى ايزيد عندما تولى الخلافة هل بقي شيء من الدنيا تتمناه بعد . قال نعم حبابة . فارسلت سعده رجلاً الى مصر فاشتراها باربعة الاف دينار فاراحتها حتى ذهب عنها كلال السفر واتت بها الى يزيد . فاجلستها من وراء الستر وقالت ياامير المؤمنين ابقي شيء من الدنيا تتمناه قال الم تسأليني عن هذا مرة فاعلمتك . فرفعت الستر وقالت هذه حبابة . وقامت وخلتها عنده فنالت سعدى عند يزيد حظوة واكرمها وحباها وهي امراته من ال عثمان ابن عفان . قيل ان حبابة غنت يوماً

بين التراقي واللهاة حرارة ماتطمئن وما تسوغ فتبرد

فاهوى يزيد ليطير فقالت ان لنا فيك حاجة فمرضت وثقل مرضها فقال كيف انت ياحبابة فلم تجبه فبكى وقال

لئن تسلُ عنك النفس او تذهل الهوى فباليأس يسلو القلب لا بالتجلد

ومكث سبعة ايام بعد موت حبابه ولحق بها .

الفصل الحادي عشر

في خلافة هشام ابن عبد الملك

قال ابو جعفر الطبري بعد وفاة يزيد تولى الخلافة اخوه هشام ابن عبد الملك يوم توفي اخوه بعهد منه اليه ولما اتته الخلافة كان بالرصافة فسار الى دمشق وولى ابن عمه الحسن ابن يوسف على مصر فاقام بها . وفيها غزا مسيلمة ابن عبد الملك مداين مضر ببلاد الترك وفتحها وسبى سبياً كثيرًا وغنم اموالاً جزيلة [1] وحج بالناس ابراهيم ابن هشام . وعزل هشام عمر ابن هبيرة عن العراق

(وفي السنة ١٠٦ هـ = ٧٢٤ م عزل هشام عبد الواحد بن عبد الله النضيري عن المدينة ومكة وولى مكانه خاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي . وغزا سعيد ابن عبد الملك الصائفة وغزا الحجاج بن عبد الملك اللان فصالح اهلها وادوا الجزية . وفيها ولد عبد الصمد بن علي في رجب . وفيها مات الامام طاووس مولى بحير ابن بهان الحميري بمكة وسالم بن عبد الله بن عمر بالمدينة فصلى عليهما هشام ومات كثير غيرهما من العلماء . وفيها كانت وقعة بين اليمانية والمضرية بالبردقان من ارض بلخ وغزا مسلم بن سعيد الترك فورد عليه عزله وفيها قدم خالد بن عبد الله القسري اميرًا على العراق وحج بالناس هشام بن عبد الملك

وفي السنة ١٠٧ هـ = ٧٣٥م خرج عباد الرعيني باليمن محكماً فقتله يوسف

---

(١) وغزا الجراح ابن عبد الله الحكمي اللان حتى مداين وحصون وراء بلنجر وفتح واجلى من كان فيها واصاب غنائم كثيرة . وغزا سعيد ابن عبد الملك ارض الروم ولم ينجح . وغزا مسلم بن سعد الترك فلم يفز وقفل راجعًا . وغزا فشينة مدينة من مدائن السغد وصالح ملكها . وفيها قدم بكير بن ماهان من السغد ومعهُ اموال جزيلة الى الكوفة فذكر له بعضهم دعوة بني هاشم فقبل ذلك ورضيه . ووجه محمد ابن علي بكيرًا الى العراق

بن عمرو ومن معه وكانوا ثلاثمائة ٠ وغزا الصائفة معاوية بن هشام ورئيس جيوش الشام ميمون بن مهران فقطع البحر الى قبرس ٠ وفيها وقع بالشام طاعون شديد ٠ وغزا اسد جبل نمرون والغور وهي جبال هرات وفاز فوزاً عظيماً ونقل من كان بالبردقان من الجند الى بلخ وحج بالناس ابراهيم بن هشام)

(وفي السنة ١٠٨ ﻫ = ٧٢٦م غزا مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية وفتحها وغزا ابراهيم بن هشام وفتح حصناً من حصون الروم ٠ ووجه بكير ابن ماهان الى خراسان عدة من اصحابه ٠ وفيها كان الحريق بدابق ٠ وغزا اسد بن عبد الله الختل ٠ وحج ابراهيم بن هشام

وفي السنة ١٠٩ ﻫ = ٧٢٧ م غزا عبد الله ابن عقبة جيشاً في البحر ٠ وغزا معاوية ارض الروم وفتح حصناً يقال له طيبة وقتل عمر ابن يزيد الاسيدي وعزل هشام ابن عبد الملك خالداً بن عبد الله عن خراسان وصرف اخاه اسداً عنها وحج بالناس ابراهيم ابن هشام

وفي السنة ١١٠ ﻫ = ٧٢٨ م غزا مسلمة ابن عبد الملك الترك نحو باب اللان ولقي خاقان في جموعه واقتتلوا فهزم خاقان ٠ وغزا معاوية بن هشام ارض الروم وفتح صمالة وغزا عبد الله بن عقبة الفهري الصائفة ودعا الاشرس اهل الذمة من سمرقند ومن وراء النهر الى الاسلام واعداً اياهم برفع الجزية ٠ فلما سمعوا وضع عليهم الجزية ٠ وفيها ارتدّ اهل كردر فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم ٠ وفيها جعل خالد بن عبد الله الصلوة بالبصرة مع الشرطة والاحداث وجعل القضاء الى بلال ابن ابي بردة فجمع كل ذلك له وحج بالناس ابراهيم ابن هشام

وفي السنة ١١١ ﻫ = ٧٢٩ م غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسعيد ابن هشام اليمنى حتى الى قيسارية ٠ وغزا عبد الله ابن ابي مريم البحر بجيش ٠ وامر على عامة الناس في الشام ومصر الحكم بن قيس من مخرقة ٠ وسارت الترك الى اذربيجان وعليهم الحرث بن عمرو فهزمهم وولى هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على ارمينية وعزل اشرس بن عبد الله السلمي عن خراسان وولى عليها الجنيد بن عبد الرحمن المزني وحج بالناس كالعادة ابراهيم بن هشام

وفي السنة ١١٢ ﻫ = ٧٣٠ م غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وحرق فريذية من ناحية ملطية وسار الترك من اللان فلقيهم الجراح ابن عبد الله الحكمي في من

معه من اهل الشام واذربيجان فهزم وقتل بمرج اردبيل وفتحت الترك اردبيل فوجه هشام اخاه مسلمة في اثر الترك فسار في شتاء شديد البرد والمطر والثلوج . وفيها كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان . وفيها قتل سمرة بن الحر التميمي وحج كالعادة ابراهيم ابن هشام

وفي السنة ١١٣ هـ = ٧٣١ م هلك عبدالله الوهاب بن بخت وهو مع البطال عبدالله بارض الروم . وفيها فرّق مسلمة الجيوش في بلاد خاقان ففتح مدناً وحصوناً وغنم وسبي كثير ين ودان لمسلمة كل من كان وراء جبال بلنجر . وغزا معاوية ارض الروم من بطاقة ناحية مرعش . وفيها سار من دعاة بني العباس جماعة الى خراسان . وحج بالناس سليمان ابن هشام

وفي السنة ١١٤ هـ = ٧٣٢ م غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان اخوه الصائفة اليمنى حتى قيسارية . وعبد الله البطال التقى بقسطنطين في جمع فهزمهم واسر قسطنطين . وعزل هشام ابراهيم بن هشام عن المدينة وامّر عليها خالد ابن عبد الملك وفيها وقع الطاعون بواسط . وفيها قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان و بنى الباب وولى هشام بن مروان ابن محمد ارمينية واذربيجان . وحجّ خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم امير المدينة . وقيل محمد بن هشام امير مكة

وفي السنة ١١٥ هـ — ٧٣٣ م غزا معاوية بن هشام ارض الروم . ووقع الطاعون بالشام واصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة . وحج بالناس محمد ابن هشام امير مكة

وفي السنة ١١٦ هـ = ٧٣٤ م غزا معاوية الصائفة من ارض الروم وكان طاعون شديد بالعراق والشام واشده في واسط وتوفي الجنيد بن عبد الرحمن فتولى عاصم ابن عبد الله ابن يزيد الهلالي على خرسان . وخلع الحارث ابن سريج فحارب عاصماً ابن عبد الله وحج الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

(وفي السنة ١١٧ هـ = ٧٣٥ م غزا معاوية الصائفة اليسرى وسليمان اخوه الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة . وعزل هشام بن عبد الملك عاصماً بن عبد الله عن خراسان وضمها الى خالد بن عبد الله وقيل ان ذلك كان سنة ١١٦ . وفيها توفيت فاطمة ابنة علي وسكينة ابنة الحسين ابن علي . وفيها اخذ اسد بن عبد الله جماعة من دعاة بني العباس بخراسان فقتل بعضاً وحبس بعضاً .) وفي هذه السنة قدم الى الكوفة زيد ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب واقبلت اليه الامة و بايعه اربعة عشر الفاً من المسلمين . وقالوا

لزيد ما تقول في ابي بكر وعمر قال لا اقول خيراً فتبرأوا منه ونكثوا مبايعته فهرب منهم ولم يتبعه غير اربعة عشر رجلاً فلحقوهم ورمى رجل زيداً بسهم في دماغه فمات ودفنوه ثم اخرجوه من قبره واحرقوه [1] • وحج بالناس خالد بن عبد الملك

ذكر في تواريخ الروم بهذه السنة ارسل طيبار يوس ملك الروم الى اهالي مدينة شرصونيا ان يقتلوا يوستيانوس المجدوع الانف الذي كان منفياً هناك • واذ علم يوستيانوس خرج هارباً الى دار قاصداً الخاقان • ولما وصل اليه استقبله واكرمه ثم زوجه باخته ثاودورا • ولما علم طيبار يوس بذلك ارسل الى الخاقان يوعده بالجوائز السنية والعطايا الملكية وانه يرسل له يوستيانوس فلما علم يوستيانوس بذلك خرج هارباً واجتاز في البحر فحدث ريح عظيم وغرق اكثر الذين كانوا معه ونجا هو سالماً • ولما بلغ الى الدوناتي ارسل الى اسطفانوس مقدم العسكر ووعده ان يزوجه بابنته ان اعانه على اخذ الملك فرضي معه البلغاري على ذلك • وقدم في عساكر البلغار والتتر الى القسطنطينية وامتدوا من باب الذهب الى فلاشرناص وحاصروا المدينة ثلاثة ايام • ثم ان يوستيانوس دخل المدينة ليلاً فصار رهجة عظيمة وجلس في بلاط فلاشرناص فهرب طيبار يوس ومضى الى بوليناده • وجلس يوستيانوس ثاني مرة على عرش الملك • ثم ارسل عساكره الى مدينة بوليناده واحضر طيبار يوس مقيداً وارسل الى ظلماتوس واحضر لاونديوس الملك الذي كان منفياً هناك من الملك طيبار يوس واحضر ايضاً ايريكليوس اخا الملك طيبار يوس من ادرنه وامر بصلبهما على اسوار المدينة • ثم اعمى كيليتكوس البطريرك لانه كان مطابقاً مع لاونديوس واقام غيره وضرب اعناق كثيرين من الاجناد ومن شعب القسطنطينية فشملهم خوف عظيم • ثم ارسل واحضر امرأته ثاودورا وكانت قد ولدت غلاماً وسمته طيبار يوس • وبعد ذلك وجه عساكره على اهل مدينة شرصونيا الذين كانوا قد اتفقوا مع طيبار يوس على قتله لما كان منفياً عندهم وقد امر اجناده بقتل كل من في المدينة • ولما وصلت المراكب وملكوها لم يبقوا على احد منها سوى الاطفال ولما اخبروه بذلك وانهم ابقوا الاطفال غضب وامر باحضار الاطفال ليقتلهم فوضعوهم في المراكب وفي مسيرهم في البحر هاج عليهم ريح عظيم غرق تلك المراكب ففرح الملك بغرق الاطفال ولو كانت قد غرقت مراكبه ايضاً • ولما عاينت الروم تلك القساوة من يوستيانوس المجدوع الانف

---

(١) قيل ان ذلك حدث سنة ١٢٢ وقتله يوسف بن عمر بن بشير • واتوا بجثته بعد دفنها وعلقوها اياماً وحرقوها

نفرت قلوبهم منه وتوامروا عليه وهجموا بغتةً وقتلوه . وانتخبوا فرداتوس الفيلسوف ملكاً على الروم)

وفي السنة ١١٨ هـ = ٧٣٦ م توفي علي بن عبد الله بن العباس جدّ الخلفاء العباسيين وابوه ابو العباس اخو ابي طالب وكان عمره سبعاً وسبعين سنة وخلف اثنين وعشرين ولداً . وفي هذه السنة توفي عبد الملك ابن رفاعة امير مصر فتولى على مصر عبد الحميد ابن خالد من قبل هشام بن عبد الملك . ثم عزله وتولى على مصر حنظلة بن صفوان الكلبي . وفيها عزل هشام خالداً عن ولاية العراق وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي (وفيها غزا معاوية وسليمان ارض الروم . ووجه بكير بن ماهان عماراً بن يزيد الى خراسان والياً على شيعة بني العباس . وعزل هشام خالداً بن عبد الملك ابن الحارث عن المدينة واستعمل عليها محمد بن هشام بن اسماعيل وحج بالناس لانه كان امير مكة والمدينة والطائف)

(وفي السنة ١١٩ هـ = ٧٣٧ م غزا الوليد بن القعقاع العبسي ارض الروم وغزا اسد ابن عبد الله الختّل ففتح قلعة زغرزك ولقي خاقان صاحب الترك فقتله وقتل كثيراً من اصحابه ورجع اسد والمسلمون غانمين . وفيها خرج المغيرة بن سعيد في نفر فاخذهم خالد وقتلهم . وفيها حكم بهلول بن بشر الملقب كثارة فقتل . وغزا اسد بن عبد الله ختّل ثانية وقتل بدر طرخان ملكها . واسرى الصحارى بن شبيب وحكم بجبّل . وحج بالناس ابو شاكر بن هشام ومعه ابن شهاب الزهري

وفي السنة ١٢٠ هـ = ٧٣٧ م غزا سليمان بن هشام الصائفة ففتح سندرة . وغزا اسحق بن مسلم العقيلي ففتح توما نشاه . وغزا مروان بن محمد ارض الترك وفيها توفي اسد بن عبد الله . وفيها وجهت شيعة بني العباس بخراسان الى محمد بن علي بن العباس سليمان بن كثير ليعلمه امرهم وما هم عليه . ووجه محمد بن علي بكيراً بن ماهان الى شيعته بخراسان . وفيها عزل هشام خالداً بن عبد الله عن اعماله التي كان ولاهُ عليها . وقدم يوسف بن عمر الى العراق والياً عليها . وولى على خراسان يوسف بن عمر جديعاً بن علي الكرماني وعزل جعفر بن حنظلة . ثم عزل الكرماني عن خراسان وتولى عليها نصر بن سيار وحج بالناس محمد بن هشام

وفي السنة ١٢١ هـ = ٧٣٨ م غزا مسلمة ابن هشام الروم ففتح مطامير . وغزا مروان بن محمد بلاد صاحب سرير الذهب فافتتح قلاعة وخرّب ارضه واذعن له بالجزية

الف راس واخذ منه الرهن على ذلك وملكه مروان على ارضه · وفيها وُلد العباس بن محمد · وقتل زيد بن علي بن الحسين [1] · وفيها غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرّتين ثم غزا الثالثة فقتل كورصول حاكم تلك الجهات وحج بالناس محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي)

وفي السنة ١٢٢ [2] هـ = ٧٣٩ م توفي مسلمة ابن عبد الملك ابن مروان وكان ذا عقل ورأي وشجاعة ولم يكن في بني امية مثله · وفيها توفي خالد ابن يزيد ابن المهلب وكان من اجل الناس في الكرم · ذكر المؤرخ قال كنت يوماً جالساً واذا كتاب من خالد بن يزيد وفدالي يقول فيه واصل الف دينار ضعها عند عيالك واحضر · فسرت الى الرصافة ودخلت على خالد وقبلت يده فترحب بي فقلت خيراً يامولاي ما دعيتني اليه · قال اكي نكافئك على مدحك لنا قلتُ وما هو · قال كنت جالساً عند الخليفة فقال اتعرف القائل بك هذا البيت فقلتُ وما هو يا امير المؤمنين فقال مسلم الذي قال بك

سل الخليفة سيفاً من بني مضرٍ يمضي فيقطع الاجسام والهاما
كالسيف لا ينثني عما يهم وبه واجاب الناس ارغاماً وانعاما

ويكون قال بك مثل ذلك وانت لا تعرفه ولا يصل له منك جايزة ثم امر لي بعشرة آلاف دينار

وفي السنة ١٢٣ هـ = ٧٤٠ م جرى الصلح بين اهل السند ونصر بن سيار · وفيها اوفد يوسف بن عمير والي الكوفة الحكم بن الصلت الى هشام بن عبد الملك يسأله

---

(١) قيل ان خروجه كان سنة ١٢١ وقتله كان سنة ١٢٢ كما سياتي واليه تنسب طايفة الزيدية من المسلمين ولها فرق عديدة

(٢) قيل ان مقتل زيد بن علي كان فيها قتله يوسف ابن عمير الثقفي الوالي على الكوفة من قبل هشام وارسل راسه الى دمشق فعلقه هشام وصلبت جثته في الكوفة وحرقت · وظن القوم بان اخاه جعفر الامام قد قتل ولكنه كان حياً فلم يتبعوا زيداً فسماهم الرافضة · وفيها قتل كلثوم بن غياض العشيري الذي كان بعثه هشام بن عبد الملك في خيول اهل الشام الى افريقية حيث وقعت الفتنة بالبربر · وقتل ايضاً عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بارض الروم · وفيها ولد الفضل بن صالح ومحمد بن ابرهيم بن محمد بن علي · وفيها وجه يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان فاستقضى ابن ابي ليلى وحج بالناس محمد بن هشام المخزومي

ضم خراسان اليه وعزل نصرًا بن سيار. وغزا نصر فرغانة غزوته الثانية . فاوفد مغراء بن احمر الى العراق فوقع فيه عند هشام

وفي السنة ١٢٤ هـ = ٧٤١ م وجه هشام بن عبد الملك حنضلة ابن صفوان الى افريقية وولى مكانه على مصر حفصًا ابن الوليد. ذكر ابو الفرج في تاريخه ان اول من قدم الى خراسان زياد في ولاية اسيد بعثه محمد الامام بن علي ابن عبد الله ابن العباس ابن عبد المطلب ودعا للمبايعة الى بني العباس وذكر ظلم بني امية . وكانت شيعته تزعم ان لا صوم ولا صلوة ولا حج وان الصوم تفسيره ان يصام عن ذكر الامام فلا يباح باسمه . والصلاة الدعاء له . والحج القدوم اليه فسير اليه هشام محمدًا فقتله وقتل معه عشرة من شيعته [1]

وفي السنة ١٢٥ هـ = ٧٤٣ م توفي هشام ابن عبد الملك ابن مروان بالرصافة يوم الاربعاء لست خلون من ربيع الاول وكانت ولايته تسع عشرة سنة وعشرة اشهر [2] وكان عمره خمسة وخمسين سنة وكان مرضه الذبحة وكان هشام احول خشنًا غليظًا يود جمع المال وعمار الارض وجمع الارزاق والخيل . وقيل كان عنده اربعة الاف فرس ولم يحوِ ذلك احد قبله من الخلفاء واستجاد الكسوة والفرش وعدد الحرب ولاماتها واتخذ الرجال وقوى الثغور والضياع والاقنية والبرك بطريق الحاج وفي ايامه عمل الخز والقطن وسلكت الناس على لبسه . وذكر المسعودي عن الفصحاء قال اقحطت البادية في خلافة هشام ابن عبد الملك ابن مروان فأتت اليه العرب وقد اهابوا ان يكلموه وكان بهم قرواش بن حبيب وكان له من العمر ست عشرة سنة . فنظر هشام الى خواصه . وقال حتى الاولاد دخلوا عليّ ولم تمنعوهم . فتقدم قرواش الى بين يديه وقال ابد الله امير المؤمنين

(١) في هذه السنة قدم جماعة من شيعة بني العباس الكوفة يريدون مكة وشرى بكير بن ماهان ابا مسلم صاحب دعوة بني العباس من عيسى بن معقل العجلي . وغزا سليمان ابن هشام الصائفة فالتقى اليون ملك الروم فسلم وغنم . وحسب قول الواقدي ان فيها مات محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وحج بالناس محمد ابن هشام بالناس

(٢) قيل وسبعة اشهر وخمسة وعشرين يومًا وصلى عليه ابنه مسلمة وكان وقورًا مدققًا في فحص الدعاوى دينًا تقيًا يحافظ جدًا على الفروض قيل اتاه رجل معه قيان وخمر وبربط فقال اكسروا الطنبور على راسه وضربه فبكى فاتى رجل يعزيه فقال اتراني ابكي للضرب انما ابكي لاحتقاره البربط اذ سماه طنبورًا . قيل تفقد مرة احد اولاده ولم يحضر صلوة الجمعة فسأله ما منعك عن الصلوة قال نفقة دابتي . قال افعجزت عن المشي فتركت الجمعة . فمنعه الدابة سنة وكان يحسب من افضل ارباب السياسة بين بني امية . وفي هذه السنة غزا النعمان بن عبد الملك الصائفة

ان امرتني بنشرة نشرتها فاعجب هشام بفصاحته . فقال له قل لله درك . فقال يامالك اتتنا سنون ثلاث سنة اذابت الشحم . وسنة اذابت اللحم . وسنة اذا بت العظم وفي يد امير المؤمنين فضول مال . فان كانت لله ففرقها على عباده . وان كانت لهم فعلى م تحبسها عنهم . وان كانت لك تصدق بها عليهم ان الله يحب المتصدقين . فقال الملك ماترك لنا هذا الغلام حجة نحتج بها . ثم امر بان يعطى للعرب ما يحتاجون اليه

الفصل الحادي عشر

في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
وهو الحادي عشر من بني اميه

و بعد وفاة هشام في سنة ١٢٥ هـ = ٧٤٢م بويع بالخلافة الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان حسب وصية ابيه بان تكون له الخلافة بعد هشام اخيه وكان عمره اربعين سنة . ولم يتقدم من بني اميه في العمر و يتأخر في الخلافة مثل الوليد لسبب الخلاعة واللهو الذين كانا فيه . ولم يزل بعد خلافته كما كان من شرب الخمر ومنادمة الفساق وهو اول من غنت قدامه المغنين والمغنيات من الخلفاء واظهر المشارب والملاهي وكان متهتكاً مازحاً خلعا . متهاونًا بالدين . وحالما اتاه خبر وفاة هشام ارسل الى الخزان يامره بان يحتفظ على مافي يديه نختم ابواب الخزاين ولما مات هشام لم يجدوا له قمقما ليسخن به الماء حتى استعاروه ولم يجدوا كفناً لتكفينه فكفنه غالب مولاه واستولى الوليد على كل الاموال وكالها بالصاع : وكان كريمًا وزع كثيرًا على الفقراء والمساكين والعميان : وكان لايسأل في حاجة و يقول لا : و بعد مدة وجيزة عقد الوليد لابنيه الحكم وعثمان المبايعة من بعده وجعلهما وليّي عهده احدهما بعد الآخر . و بعد توليه الخلافة لم يتغير عن صفاته بل زاد مجونًا وفسقًا ومن مجونه لما اتاه خبر موت اخيه هشام بالرصافة قال

طال ليلي و بت أُسقى السلافه ... واتاني نعي من بالرصافة
واتاني ببردةٍ وقضيبٍ ... واتاني بخاتمٍ للخلافة

ومن مجونه ايضًا قوله عند وفاة هشام وقد اتاه البشر وسلم عليه بالخلافة

اني سمعت خليلي ... نحو الرصافة رنّه

اقبلت اسحب ذيلي اقول ما حالهنّه
اذا بنات هشام يندبنَ والدهنَّه
يدعون و يلاَّ وعولاَّ والويل حل بهنه

وقيل قال له بعض اصحابه وكان وقتئذ يشرب مع ندمائه ياامير المؤمنين ان على الباب جماعة مني بني قريش والخلافة تجل عن هذه المنزلة قال ما غيّرت عما انا به ولو زال ملكي . وفي هذه السنة قُتل يحيي ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بجرجان وصلب ثم انزل واحرق ثم رضّ وحمل في سفينة وذر في الفرات . وفيها ولى الوليد نصر بن سيار على خراسان كلها وافرده بها ، ووفد يوسف بن عمير على الوليد فاشترى نصرًا وعماله منه فرد اليه الوليد ولاية خراسان . وفيها وجه الوليد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي واليًا على المدينة ومكة والطايف وعزل سعدًا بن ابراهيم عن قضاء المدينه وولى عليها يحيي بن سعيد الانصاري وحج يوسف بن محمد بالناس

وفيها كانت وفاة الامير قاسم ابن الامير سعد ابن الامير مالك ابن الامير حارث المخزومي بعد توليه على حوزان وتولى مكانه ولده الامير شهاب [1]

ذكر في تاريخ الروم بهذه السنة لما تملك فردانوس على الروم قدمت عساكر البلغار الى القسطنطينيه ووصلوا الى باب الذهب وقتلوا كثيرين واستاسروا اناسًا لا عدد لهم ثم رجعوا الى اماكنهم واذ راءى الروم غباوة ملكهم وانه قد حاد عن الصواب نهضت اليه اراكنـة الشعب والقواد وقبضوا عليه واعموه ثم طردوه وقد كان له ثماني سنين متملكًا

الفصل الثاني عشر

في خلافة يزيد ابن الوليد ابن عبد الملك ابن مروان وهو الثاني عشر من بني اميه

وفي السنة ١٢٦ و١٢٧ هـ = ٧٤٣ و ٧٤٤ م [2] لما نظرت اهل الشام مافي الوليد من الخسافة اجتمع رايهم على خلعه وقتله كونه تمادى بالفسق والمجون والكفر فبايعوا ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك . ولما قام بالامر قال من احضر راس الوليد فله

(١) هو جد الامراء الشهابيين في حاصبيا و راشيا وجبل لبنان واليه ينسبون

(٢) ذكرنا حوادث هاتين السنتين معًا لتعسر الفصل بينهما

ماية الف دينار . وكان الوليد بن يزيد يومئذٍ بالبخراء بتل راهط بظاهر دمشق فقاتله اصحاب يزيد وانهزم الى داخل الدار فتكاثروا عليه وصعدوا على الحائط ونزلوا اليه وضربوه باسيافهم وقطعوا يديه وجزوا راسه وطيف به في دمشق . ولما قتل الوليد اضطربت البلاد وكثرت الخوارج وضعف ملك بني امية وانتدمرت عليهم اعداؤهم فكان قتلهم للوليد من اسباب زوال ملكهم . ولكل شيءٍ سبب . وكانت ولاية الوليد سنة وواحد وثمانين يوماً . وتولى الخلافة بعده يزيد ابن الوليد الملقب بالناقص لانه انقص الزيادة التي كان زادها سلفه في علوفة الجند وكان محمود السيرة . ذكر ابو الفرج في تاريخه بهذه السنة سار ابراهيم[1] ابن محمد الامام الى خراسان وجمع النقباء والدعاة وطلب الدعوة له فقبلوه واجتمعوا عنده ودفعوا له ما جمعوه من نفقات شيعة بني العباس . ووثب اهل حمص يطالبون بدم الوليد وثاروا وهدموا دار العباس ابن الوليد واقاموا النواح على الوليد فارسل يزيد اليهم جيشاً فحاربهم وهزمهم بعد ان قتل منهم ثلاثمائة رجل . ووثب ايضاً اهل فلسطين والاردن على عاملهم وقتلوه . ووثب سليمان ابن هشام ابن عبد الملك وكان محبوساً بعمان[2] واخذ ما فيها من الاموال واقبل نحو دمشق . وظهر يزيد ابن يحيى من آل علي بن ابي طالب في بلاد خراسان لائماً بني امية على المظالم والجور الذي حصل منهم . فسير يزيد ابن الوليد نصر ابن سيار في العساكر لقتاله وظفر به وقتله وصلب جثته في خراسان وبقيت معلقة حتى خرج ابو مسلم صاحب الدولة العباسية وانزلها ودفنها واخذ يزيد بن الوليد المبايعة لاخيه ابراهيم ابن الوليد وجعله وليّ عهده . ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك من بعده وتوفي يزيد ابن الوليد بن عبد الملك يوم الاربعاء بعد عيد الاضحى بالطاعون وكانت خلافته ستة اشهر وبضع ايام وعمره ثلاثون سنة وكان يكنى ابا خالد وامه ام ولد اسمها شاه افريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى وكان دائماً يقول

انا ابن كسرى وابي مروان ... وقيصر جدي وجدي خاقان

وانما جعل قيصر وخاقان جدّيه لان ام فيروز ابنة كسرى وامها ابنة قيصر وام كسرى ابنة خاقان ملك الترك

---

(١) ذكر الطبري ان ابرهيم وجه ابا هاشم بكير بن ماهان وبعث معه بالسيرة والوصية ولم يذهب بنفسه الى خراسان ولعله يريد ذهابه مجازاً كقولنا بنى الامير المدينة (٢) هي ربة بني عمون القديمة

الفصل الثالث عشر

في خلافة مروان ابن محمد بن مروان ابن الحكم وهو الثالث عشر من خلفاء بني امية

ولما بلغ مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم وفاة يزيد بن الوليد وان ابراهيم ابن الوليد اخاه تولى الخلافة بعده (١) سار اليه بالعساكر ودخل الشام وبايعه الناس . ولما استقرت له الخلافة رجع الى منزله بحران فطلبوا منه الامان الى ابراهيم بن الوليد والى سليمان بن هشام ابن عبد الملك والى مروان بن محمد بن يزيد فامنهم وانصرفوا الى مكة وكان معهم ابو مسلم . ثم انتقض اهل حمص على مروان فسار اليها ووجد اهلها قد ردموا ابواب المدينة فاحدق بالمدينة ونادى مناديه ما دعاكم الى النكث بعهودكم فقالوا لم ننكث عهودنا واننا لا نزال على طاعتك . قال فافتحوا لنا بابا ففتحوا ودخل الى المدينة ثلاثة الاف رجل فقتل من في المدينة وزحف مروان من باب تدمر وخرج اليه جمع غفير فقاتلوه وقتل مروان اكثر من خرج من المدينة ودخلها وصلب حولها نحوًا من ستماية رجل واستولى عليها . وفيها عزل اهل دمشق عامل مروان وحاصروه فقصدهم مروان ودخل دمشق . ثم ان سليمان بن هشام بن عبد الملك نازع مروان على الخلافة وحاربه . وانضم الى سليمان ابن هشام عشرة الاف رجل من البصرة وبايعوه بالخلافة وخلعوا مروان . ومضى سليمان بجموعه الى قنسرين وكانت اهل الشام قد مالت اليه . ومضى سليمان الى حمص وانضم اليه جماعة وحصنوا حمصًا . فقصده مروان . فبايع سليمان اصحابه وكانوا نحو تسعماية وخرجوا قاصدين مروان . وكمنوا له في طريقه في قرية تعرف بتل ميرمن معاملة معرة النعمان فالتقى العسكران وقتل منهما خلق كثير وانهزم سليمان الى حمص . ثم مضى الى تدمر وخلف بحمص اخاه سعيدًا ابن هشام فجاء مروان الى حمص وحاصرها ثانية عشرة اشهر . ثم صالحهم وامنهم على ان يسلموا سعيدًا فسلموه اليه وتولى على حمص

وفي السنة ١٢٨ هـ = ٧٤٥ م ذكر المسعودي في تاريخه انه في هذه السنه تكاثرت الخوارج وظهر الضحاك بن قتيبة فقتله مروان في راس العين . وبعد قتله بايعت

---

(١) تولى الخلافة الا انه لم يتم له الامر وكان يسلم عليه تارةً بالخلافة وتارةً بالامارة وتارةً لا يسلم عليه بواحدة منها فمكث هكذا سبعين يومًا

الخوارج الخيري الشيباني فقتل في طبرية وهو من الخوارج . وتكاثرت الخوارج ايضاً في خراسان . فوجه مروان يزيد بن هبيرة الى العراق لحرب من بها من الخوارج فلقي ابو حمزة عبد الله ابن يحيي المدعو طالب الحق فدعاه الى مذهبه وارسل نصر بن سيار عامل خراسان يطلب النجدة من مروان على الخوارج فلم يقدر على نجدته وضعفت دولة بني امية . واقام مروان اكثر ايامه في هموم عظيمة . قيل اتى اليه انسان في جارية فايقة الجمال والحسن . فقال له ليس لي بها حاجة والله ما قاربت امرأة قط . ولما اشتد الامر بنصر ابن سيار طلب من يزيد ابن عمرو ابن هبيرة عامل العراق ان يسير الى نجدته فلم يمكنه المسير لكثرة الخوارج التي ظهرت في العراق

وفي السنة ١٢٩ ﻫ = ٧٤٦ م امَّر ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابا مسلم على خراسان واوصاه باظهار الدعوى والتسويد و بعث له لواءً يدعى الظل وراية تدعى السحاب فعقدهما على رمحين واظهر الدعوة العباسية وتاول الظل والسحاب ان السحاب يطبق على الارض فلا تخلو الارض من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسي اخر الدهر . وحينئذٍ تحالفت وتعاقدت العرب من اهل خراسان على قتل ابي مسلم لكثرة اتباعه وقوة امره فتحول ابو مسلم من اسفيذنج الى الماخوان . وفيها دخلت الخوارج الى مكة والمدينة وعليهم ابو حمزة المختار بن عوف الازدي وبلخ بن عقبة وكانوا مرسلين من قبل عبد الله ابن يحيي الكندي الملقب بطالب الحق . وخاطبوه بامير المومنين . فارسل مروان عساكره من الشام مع اخيه عبد الله بن محمد فالتقى بالخوارج في وادي القرى فقتل بلخًا وانهزم ابو حمزة ومن معه من الخوارج . ثم سار عبد الله بجيشه الى اليمن فالتقاه عبد الله بن يحيي الكندي بالطائف وارض جرش وجرت بينهم حروب كثيرة فقُتل عبد الله ابن يحيي وانهزمت الخوارج الى ارض حضرموت . ثم سار عبد الله ونزل صنعاء .

وفي السنة ١٣٠ ﻫ = ٧٤٧م دخل ابو مسلم حائط مرو ونزل دار الامارة واتفق مع علي بن جديع الكرماني على حرب نصر ابن سيار فتحاربا وقتل شيبان بن سلمه الحروري وقتل ابو مسلم علياً وعثمان ابني جديع الكرماني . وقتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن عمرو بن هبيرة على جرجان . وفي هذه السنة كانت الموقعة بقديد بين ابي حمزة الخارجي واهل المدينة ودخل ابو حمزة مدينة رسول الله (صلعم) وهرب

عبد الواحد ابن سليمان بن عبدالملك الى الشام · وفيها بني حصن مرعش ووقع الطاعون بالبصرة

وفي السنة ١٣١ ﻫ = ٧٤٨م ذكر ابو الفرج ان ابراهيم ابن محمد الامام ومعه اخواه ابو العباس وابو جعفر وولده وعمه ومواليه خرجوا للحج على ثلثين نجيبًا عليهم الثياب الفاخرة والرحال والاثقال فشهرهم اهل الشام واهل البوادي والحرمين مما انتشر في الدنيا من ظهور امرهم · و بلغ مروان خبر مجيئهم فكتب الى عامله بدمشق يامره بتوجيه خيل اليه · وكان مروان بارض الشام فوجه العامل خيلا فهجموا على ابراهيم فاخذوه وحملوه الى سجن حرّان وهرب ابو العباس وابو جعفر الى الكوفة واختفيا بدار مسيلمة · واما ابراهيم فاثقلوه بالحديد وضيقوا عليه الحلقة حتى مات وقيل انه مات مسمومًا · ولما احس ابراهيم بقرب الاجل اوصى الى اخيه ابي العباس ونعى نفسه اليه وامره بالمسير الى الكوفة باهل بيته فسار معه اخوه ابو جعفر وعمه وستة رجال حتى قدموا الكوفة مستخفين · ذكر الطبري في تاريخه ان نصر ابن سيار لما كثرت الخوارج و بلغه ان ابا العباس مختبيء بدار مسيلمة كتب الى مروان يخبره بان الناس مرادهم ان يبايعوا ابا العباس فكتب شعرًا

اری تحت الرماد وميض نارٍ ... و يوشك ان يكون لها ضرامُ
فان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب اوله كلامُ
فان لم تطفها عقلاء قومٍ ... يكون وقودها جثث وهامُ
فقلت من التعجب ليت شعري ... أ ايقاظ امية ام نيامُ

الباب الثالث

في دولة العباسيين

الفصل الاول

في خلافة ابي العباس السفاح

وفي السنة ١٣٢ ﻫ = ٧٤٩م لما كان ابو العباس السفاح بن محمد الامام من آل ابي طالب مختبئًا مع اخوته بدار ابي مسيلمة بالكوفة خرج ليلة الجمعة لاثنتي عشرة خلت

من ربيع الآخر من دار ابي مسيلة وقيل ابي سلمة الى المسجد وصعد الى المنبر [١] و بايعه الناس واجتمع اليه جمع عظيم فقدم الى دمشق والتقت به الناس في نهر قرطاس وارض فلسطين فحاصر عبد الله عم السفاح مروان بدمشق وفتحها ابو العباس [٢] قهراً وقتل من بها من بني امية وهدم صورها ونبش اموات بني امية من قبورهم وأحرق عظامهم . ثم ارتحل طالباً مروان بن محمد بن الوليد [٣] وأرسل ابن أبي هبيرة في الفرات فاتاه عبد الله ابن علي فسير السفاح معه العساكر فالتقى بمروان واقتتلا قتالاً عظيماً فانهزم عسكر مروان وقتل من جيشه خلق كثير ولم يزل مروان في هزيمته حتى اتى الموصل فمنعه اهلها عن الدخول فسار الى حران وتبعه عبد الله بن علي في عساكر ابي العباس الى حران ولما بلغ مروان قدوم عبدالله اخذ عياله وعبر الفرات فدخل عبد الله حران وهدم قصر مروان وضبط ماله وسار طالباً مروان الى أرض مصر [٤] وهرب مروان وعياله واختفى بدير [٥] . فارسل عبد الله اناساً قطعوا رأسه وأتوا بعياله فارسلهم عبد الله الي ابي العباس السفاح الى حران - ومن ذلك الوقت انقرضت دولة بني امية . وتولي ابو العباس السفاح اخو ابرهيم الامام ابن محمد الامام وهو اول دولة العباسيين وهو ما بقي من نسل علي ابن ابي طالب . ذكر المسعودي ان مدة تملك بنو امية الف شهر تماماً لانهم تملكوا تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوماً . واول خلفائهم معاوية ابن ابي سفيان واخرهم مروان ابن محمد ابن مروان ابن الحكم . وهم اربع عشرة خليفة و ينتسبون الى آل هاشم اولاد اولاد عم النبي وجدهم قبل الاسلام يقال له حرب ابن عبد مناف اخو عبد المطلب جد رسول الله . وعدد خلفائهم كما تقدم عنه الشرح . الاول معاوية ابن أبي سفيان . ثم ولده يزيد . ثم معاوية ابن يزيد . ثم مروان ابن الحكم . ثم ولده عبد الملك ابن مروان . ثم ولده الوليد ابن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك . ثم عمر ابن عبد العزيز . ثم يزيد ابن عبد الملك . ثم اخوه هشام . ثم يزيد ابن الوليد . ثم الوليد ابن يزيد . ثم

---

(١) خطب باهل الكوفة اولاً ثم خطب عمه علي شاكراً الله ثم اوصى الجميع وكلهم السنة شكر

(٢) فتحت في ١٠ رمضان دخلوها من باب الصغير ذكر الطبري اسماء ابواب دمشق في سنة ١٣٢ وهي باب شرقي و باب الجابية و باب كيسان و باب الصغير و باب توما و باب الفراديس

(٣) الذي نزل اولاً في نهر ابي فطرس . ثم نزل بعين الجرّ . ثم انتقل الى المزّة (قرية في ضواحي دمشق معروفة الآن) (٤) هرب مروان الى مصر والفسطاط ومن ثم الى الصعيد

(٥) هذا الدير موجود بقرية من قرى الصعيد . وهرب ابنا مروان عبد الله وعبيد الله الى ارض الحبشة فقتل احدها و بقي عبد الله الى خلافة المهدي فبعثه عامل فلسطين اليه

ابرهيم ابن الوليد . ثم مروان ابن محمد . قال ابن صلح في سير بني امية وتدبيرهم في الخلافة قال اما عبد الملك فكان جباراً لايبالي بما يصنع . واما سليمان فكان همه بطنه وفرجه حكي انه كان يأكل كل يوم خمس اكلات كبار . قيل دعاه ذات يوم رجل من الكوفة للغدا فأكل ... ت وزات وزنبيلين تين و بيض . واما عمر فكان نقياً دبناً ولكن كالاعور بين العميان وكان رجل القوم هشاماً ولكنه كان خسيساً . ثم لما افضت الخلافة الى ابنائهم فكان همهم قصد الشهوات والانهماك في اللذات وركوب المعاصي مع اطراحهم صيانة الخلافة فعجل الله انقراض دولتهم . وذكر المسعودي لما انقرضت دولة بني اميه وتولى ابو العباس السفاح انشد شعراً مقتبساً من عنتر ابن شداد

وقد شفى نفسي وابراء سقمها اخذي بثاري من بني مروان
من الحرب ليت شعري شاهد سفكي دما بني ابي سفيان

قال السفاح عجبت بمن يقدر ان يزداد علماً فيزداد جهلاً . قيل له مامعني ذلك ياامير المؤمنين قال لاني ارى من يزداد علماً في معاشرة الرجال فيترك ذلك و يعاشر النساء فما يكتسب منهن الا نقصاً وخسفاً

وفي السنة ١٣٣ ه = ٧٥٠ م وجه ابو العباس عمه سليمان بن علي والياً على البصرة واعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان . ووجه عمه اسماعيل بن علي على كور الاهواز ومات داود بن علي بالمدينة فاستخلف عوضاً عنه ابنه موسى . وكتب ابو العباس الى ابن عون باقراره على مصر والياً والى عبد الله وصالح ابني علي على اجناد الشام . وتوجه محمد بن الاشعث الى افريقيا وحارب اهلها وفتحها وحج زياد بن عبيد الله الحارثي

وفي السنة ١٣٤ ه = ٧٥١ م خالف بسام بن ابرهيم بن بسام وامال قسماً من جنود ابي العباس اليه واصحبه معه الى المداين متظاهراً ضد الخليفة . فوجه اليه الخليفة خازم[1] بن خزيمة وحاربهم وغلبهم وشخص خازم المذكور الى عمان واوقع بمن فيها من الخوارج وتغلب عليها وعلى ما جاورها من البلدان وقتل شيبان الخارجي . وغزا ابو داود خالد بن ابرهيم اهل كش وقتل الاخريد ملكها ووجه ابو العباس موسى ابن كعب الى الهند لقتال منصور بن جمهور فلقيه وحاربه وهزمه . وفيها توفي محمد بن يزيد بن عبد الله وهو على اليمن فولى الخليفة علياً بن الربيع مكانه . وفيها تحول ابو

(١) هو رئيس الشرطة ومن اعظم القواد

العباس من الحيرة الى الانبار. وفيها ضرب المنار[1] من الكوفة الى مكة والاميال[2]. وحج بالناس عيسى بن موسى امير الكوفة

وفي السنة ١٣٥ هـ = ٧٥٢ م خرج زياد بن صالح وراء نهر بلخ وشخص ابو مسلم من مرو مستعداً لقتاله . و بعث ابو داود خالد بن ابرهيم نصراً ابن راشد الى الترمذ فخرج اليه اناس من الراوندية وقتلوه . ولما عرف ابو داود ارسل عيسى بن ماهان في تتبع قاتلي نصر فتبعهم وقتلهم . وحج بالناس سليمان بن علي . ذكر في تاريخ الروم انهم في هذه السنة انتخبوا ارتاميوس ملكاً وتوّجه البطريرك وكان اول القضاة ولما تملق ارتاميوس اقام لاوون الايصوريــ قائداً على جيشه ببلاد الاناضول : ونفى ثاودورس وجاورجيوس البطارقة الى تسالو نيكي . وعزل يوحنا البطريرك الهرتوقي الذي كان اقامه فردانوس واقام مكانه جرمانوس الفاضل . ثم بلغ الملك ان المهاجرين ارسلوا الى طرابلس الشام ليقطعوا اشجاراً لاجل عمل المراكب . فارسل مراكبه ليحرقوا تلك الاخشاب . وفي مسيرهم انفق الجنود مع قائدهم يوحنا على عزل الملك ورجعوا الى القسطنطينية وقد انتخبوا ثاودورس ملكاً فهرب الملك ارتاميوس الى مدينة نيقية فحاصر العسكر المدينة ستة ايام فهرب الملك الى ادرنه وجمع عساكر كثيرة ورجع الى القسطنطينية وكان تملكه ثلاث سنين .

وفي هذه السنة سار المقدم الياس في جبل لبنان الى البقاع فنهب تلك القرايا وقتل اهلها . فارسل والي الشام من قبل ابي العباس اليه رسلاً ليجعل معه صلحاً . ثم ارسل وهاجمه في قرية المروج وقتله . و بعد رجوع عسكر الشام رجع اصحابه ودفنوه بقرب الجامع الذى في القرية ومنذ ذلك الحين سميت قبر الياس المعروفة بقب الياس وكانت القرية تسمى المروج . ثم اقيم مقدماً على الجيش سمعان ابن اخت المقتول فسارت اليه عساكر الشام وكانت الحرب بينهم في قرية شرقي قرية الشوير فانكسرت عساكر الشام وارتدت راجعة ودام القتال بين عساكر الاسلام ونصارى تلك البلاد مدة طويلة

وفي السنة ١٣٦ هـ = ٧٥٣ م قدم ابو مسلم العراق من خراسان على ابي العباس امير المؤمنين فأمر ابو العباس الناس ان يلاقوه . فلاقته الناس ودخل على ابي العباس بحفلة باهرة فعظمه واكرمه . ثم استاذن ابا العباس في الحج فقال لولا ان ابا جعفر

(١) المنار موضع النور والعلم ومحجة الطريق (٢) والاميال جمع ميل وهو المنار للمسافر

يحج لاستعمالتك على الموسم وانزله قريباً منه . وحج بالناس ابو جعفر المنصور وحج معه ابو مسلم . وفيها عقد ابو العباس لاخيه ابي جعفر الخلافة من بعده وجعله ولي عهد المسلمين ومن بعد ابي جعفر عيسي ابن موسى بن محمد بن علي وكتب العهد بذلك وصره في ثوب وختم عليه بخاتمه وخواتم اهل بيته ودفعه الى عيسى بن موسى . وفيها توفي ابو العباس امير المؤمنين بالانبار يوم الاحد لثلث عشرة خلت من ذي الحجة بمرض الجدري وعمره ثلاثة وثلاثون سنة وكانت ولايته اربع سنين وثمانية اشهر . منها ثمانية اشهر يقاتل مروان وكان ذا شعرة جعدة ابيض اقنى الانف حسن الوجه واللحية يكره الدماء و يحامي عن البيوت الحرام وكان راغباً في اخبار الملوك ومذاكرة العرب واخبارهم . والسفاح اول خليفة اتخذ وزيراً ومن كان مع الخلفاء قبله يدعى كاتباً وكان وزيره أبو جهم بن عطية وأيضاً بعده ابو مسلمة بن الحلال وقاضيه ابن أبي ليلى الانصاري وصلى عليه عمه عيسى ودفنه بالانبار العتيقة في قصره

الفصل الثاني

في خلافة أبي جعفر المنصور واسمه عبد الله بن محمد

وفي هذه السنة بويع لابي جعفر المنصور بالخلافة يوم توفي فيه أخوه[1] وأبو جعفر يومئذ بمكة في الحج واخذ له المبايعة بالعراق عيسى بن موسي وكتب له يعلمه بذلك مع محمد ابن الحصين و بموت اخيه وقام بأمر الناس بالوكالة عنه عيسى المذكور . والتقى محمد المذكور بابي جعفر بمكان في الطريق يقال له زكية فقرأ الكتاب ودعا الناس فبايعوه و بايعه ابو مسلم ايضاً فقال ابو جعفر اين موضعنا هذا قالوا زكية فقال امر يزكى لنا ان شاء الله وقيل ان المكان صفية وقال شكراً لله صفت لنا الايام ان شاء الله

وفي السنة ١٣٧ هـ = ٧٧٤ م لما علم عبد الله بن علي بمبايعة المنصور انصرف بمن معه من الجيوش و بايع لنفسه حتى قدم حران . ذكر المسعودي ان عبد الله بن علي خالف المنصور ودعا لنفسه في الخلافة وزعم أن السفاح جعل الخلافة لمن انتدب لقتل مروان وشهد معه شهود كثيرون أنه هو الذي قتله . ولما بلغ المنصور كتب اليه يقول

(١) توفي ابو جعفر وله ولد يسمى محمداً وابنة اسمها ربطة تزوجها المهدي ابن عمها كما سيأتي

ساجعل نفسي منك حيث جعلتها والدهر ايام لهن عواقبُ

ثم ارسل اليه ابو مسلم وكان له معه مواقع كثيرة في بلاد نصيبين المعروفة بدير الاعور ثم انهزم عبد الله بن معه الى البصرة فضبط ابو مسلم خزائنه وامواله . ثم سار ابو مسلم الى خراسان ونكث المبايعة للمنصور فسار المنصور الى المداين وارسل الى ابي مسلم جريرًا وكان جرير المذكور اوحد اهل زمانه وداهية عصره . فسار اليه وقال لابي مسلم يا امير لقد ظنت الناس بحقك وقالوا عنك لقد سرت لنصرة قوم ثم نقضت مبايعتهم واياك من ذلك . واني لا ارى امرًا يبعدك عن الخليفة وانه يود رجوعك . ولم يزل عليه الى ان حضر الى المنصور . فقال المنصور لاصحابه متى رأيتموني صفقت بيدي اهجموا على ابي مسلم واقتلوه ولما دخل ابو مسلم على المنصور ابتدأ يعاتبه ثم صفق بيده ودخلوا على ابي مسلم وضربه شبيب ابن رواح فقطع يده ونادى المنصور اقتلوه قطع الله ايديكم فقتلوه[1] غرة ولما علم اولاد ابنته فاطمه بقتله هربوا الى اصفهان وهم الذين يدعون الفاطميين وسياتي الشرح عن تملكهم . ويقال لهم الخرمية وبابك الخرمي منهم الذي خرج في خلافة المامون . وقد ادعوا بتناسخ الارواح وينظرون الى المستقبل في آخر الزمان . وكان ابو مسلم شجاعًا كريمًا وقيل كان يخرج من داره عشرة آلاف شاة لاجل الولائم . وكان قاسيًا وقد قتل في زمانه اناسًا لا يحصى عددهم . وكان جبارًا قاسي القلب وكان ذا ثروة عظيمة . ولم يكن احد اخلف الحجاج في القساوة غيره . ذكر ان ابا مسلم كان عنده ثلاثة نساء وكان كثير الغيرة على نسائه ولا يدخل داره غيره وقد جعل كوة على باب داره لتتناول النساء ما يحتجن اليه . وذكر انه لما زفت اليه امرأته امر ان يذبح الفرس الذي ركبت عليه ويحرق السرج لئلا يركبه ذكر[2]

وفي السنة ١٣٨ هـ = ٧٥٥ م[3] ذكر المسعودي لما عزم المنصور على الحج وقد كان صدر من عمه عبد الله امور ضد الخلافة فقبض عليه وسجنه . ثم بلغه عن ابن عمه موسى ابن عيسى الذي قد كان موازره على الكوفة انه يريد نقض المبايعة للمنصور فعزم

---

(١) قتل بالمداين في شهر شعبان

(٢) وفي هذه السنة دخل قسطنطين ملك الروم ملطية عنوة وهدم سورها وعفى عن فيها من المقاتلين والذرية . ووسع المنصور المسجد الحرام

(٣) وفي السنة ١٣٧ انتقل المنصور من الكوفة الى الانبار بعد ان اجتمع مع اهلها يوم الجمعة وصلى بهم وخاطبهم خطابًا واعلمهم انه راحل الى الانبار وولى ابا داود خراسان وخرج سنباذ وهو رجل اصله مجوسي من احدى قرى نيسابور يطلب بدم ابي مسلم . وحج اسمعيل بن علي بن عبد الله بالناس

على قتله واحتسب في ذاته ان قتلهم لا يامن من اعمامه فدعا ابن عمه موسى وقال له الست تعرف المنزلة التي لك عندي · وقد اردت ان اطلعك على امر ولا اقدر ان ابيح به لغيرك فقال عيسى وما هو يا امير المؤمنين قال المنصور اعلم ان عمي وعمك عبد الله قد افسد المملكة وقتله اريح لنا و به صلاحنا فخذه الآن اليك واقتله سرًّا في غيابي وقل انه قد مات · فقال موسى السمع والطاعة واخذ عمه عبد الله الى ابياته وقال في نفسه اني اوخر قتله لارى عاقبة الامر وابقى عمه عبد الله عنده في مكان محتفظ عليه الى ان رجع المنصور من الحج · فطلب ابن عمه موسى فحضر وجلس وقد جلست الناس على مراتبهم · فقال المنصور ياموسى ماحال عمي عبد الله قد تركته عندك · وقد كان قصد المنصور مكيدة ليقتل الاثنين · فقال موسى قد فعلت يا امير المؤمنين ماأمرتني به · فقال احضره لاني رأيت الصفح عنه اولى لاجل عمومتنا اخوته · فقال موسى الم تأمرني يا امير المؤمنين بقتله · فقال المنصور كذبت وانما امرتك بحفظه الى حين رجوعي من الحج ولو اردت قتله لقتلته قبل ذهابي واظهر الغضب · وقال لعمومته هوذا قاتل اخيكم اقتلوه عوضًا عنه · فنهضوا الى موسى واخذوا ليقتلوه وقد حنقوا عليه بالغضب · فقال لا تفعلوا وانما اخوكم حي وار يد ان ترجعوا بي الى امير المؤمنين · فرجعوا به فقال موسى يا امير المؤمنين انما انت امرتني بقتل عمك عبدالله وهو الى الآن باقٍ حي فان امرتني اسلمه الى اخوته اعمامك · قال فأطرق المنصور راسه الى الارض ثم قال احضره الى هاهنا · ولما حضر عبد الله قال المنصور لاعمامه انصرفوا الآن لنرى مافي امره فتركوه وانصرفوا · ثم اعطاه سماً فمات[1] وسلم موسى ابن عيسى من حسن تدبيره

وفي السنة ١٣٩ ﻫ = ٧٥٦[2] م سير المنصور ابن اخيه عبد الوهاب ابن ابرهيم محمد الامام في سبعين الف الى مدينة ملطية فملكها وعمر ما كان هدمه الروم منها واسكن بها المنصور اربعة آلاف من الجند واكثر فيها من السلاح والذخيرة · ذكر المسعودي انه سعى الى المنصور عن رجل عنده ودائع الى بني امية فامر باحضاره الى

(١) قيل ان قتل عمه عبد الله كان في سنة ١٢٩ ذكر ذلك الوليد بن الشحنة

(٢) فيها كان الغداء الذي جرى بين المنصور وصاحب الروم فاستنقذ المنصور اسرى المسلمين وسار عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان الى الاندلس فملكه اهلها امرهم فولده من بعده الى يوم كتابة تاريخ الطبري · ووسع ابو جعفر المسجد الحرام حسب قول الطبري وانما الوليد بن الشحنة يجعل توسيع المسجد في السنة التي قبلها كما سبق · واما تجديد بناء ملطية فذكره الطبري في هذه السنة واما ابو الفرج والوليد ابن الشحنة فيذكران ذلك سنة ١٤٠ والله اعلم

مابين يديه ٠ وقال له لقد بلغني ان عندك مالاً مودوعاً لبني امية فيلزمك احضاره ٠
فقال الرجل يا امير المؤمنين هل انت وريث بني امية ٠ قال المنصور لا ٠ قال الرجل هل
موصى لك به ٠ قال لا ٠ وما الذي تريد بالذي عندي لهم ٠ قال المنصور فبنوا امية ظلموا
المسلمين وانا وكيلهم وار يد آخذ ماظلموهم به وارجعه الى بيت مال المسلمين ٠ فقال الرجل يا امير
المؤمنين يحتاج ان يكون بينة ان الذي عندي الى بني امية هو من المال الذي ظلموا به
المسلمين لان بني امية كان لهم اموالاً كثيرة غير مال المسلمين ٠ قال فاطرق المنصور
راسه الى الارض وقال للرجل اذهب فقد عفونا عنك ٠ فقال الرجل اني لاابرح من
هاهنا ليأمر امير المؤمنين باحضار من سعى بي ٠ لان ليس لبني امية عندي شيء من
المال وسوف يبان صدق كلامي ٠ فأمر المنصور باحضار الذي وشى بالرجل ولما رآه
قال يا امير المؤمنين هذا مختلس لي ثلاثمائة دينار وقد خاف ان ارفع دعواي اليك
فوشى بي عندك ٠ والآن تحقق عندي انها عنده لانه سبق اليك في النميمة قال فأمر
المنصور في عذابه فاقر ان ما وشى به هو كذب فأمر المنصور بضرب عنقه وكان يقول
المنصور مارايت بعمري اشجع كلاماً من ذلك الرجل ٠ وذكر المسعودي ان عمارة كان من
ندماء المنصور وكان ذا نفس سامية ٠ فلما كان جالساً يوماً في مجلس المنصور دخل رجل وقال
ياامير المؤمنين اني مظلوم ٠ قال المنصور ومن ظلمك ٠ فقال عمارة اغصبني على ضيعتي
فقال المنصور ياعمارة لم ذلك فأبى وانكر ٠ فقال المنصور قم واقعد مع خصمك في الشرع
فاذا كان معك اثبات ٠ فقال عمارة ليس هولي بخصم مازال امير المؤمنين سالماً ٠ وان
كانت الضيعة له لست انازعه بها وان كانت لي فقد وهبته اياها ٠ ولا اقوم من مكان
شرفني به امير المؤمنين واجعل هذا الرجل خصماً لي واقف معه ٠ قال فكان عمارة من
الشعراء في ايام المنصور وله ديوان يعرف به ٠ وذكر ان المنصور كان حليماً عادلاً وكان
يعجبه محادثة محمد ابن جعفر ابن عباس وكانت الناس لعظم رتبته عنده يتضرعون
اليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه عنه واذ لم يجد له عنه سلوى امر
باحضاره ولما قدم الى الباب اعترضه رجل برقعة وساله وصولها الى المنصور ٠ فقال
له ضعها في كمي ودخل فترحب به المنصور ٠ وسار معه الى مدينة السلام التي جددها ٠
فقال له المنصور اما ترى من حسنها يامحمد ٠ فقال ياامير المؤمنين بارك الله لك بها
وهناك بوفور نعمتك ٠ فلم يكن في دولة العرب والعجم لها نظير ٠ ولكن يامولاي ليس
بها صنعة فضحك المنصور وعلم مراده ٠ ثم قام عنده يحادثه فوقعت تلك الرقعة من كمه

فردها وقال ارجعي خائبة فلا يهون على امير المؤمنين ظهورك · فقال المنصور ماهذه الرقعة يا ابا عبد الله · قال يامولاي رجل اعترضني في الباب بهذه الرقعة فابيت ان اخذها · فوضعها في كمي فهل الى امير المؤمنين ان يأخذها عني و يريحني منها فضحك المنصور وقال لقد قضينا مابها على غير النظر وامر بقضاء حاجته · وذكر المسعودي انه سعي يوماً الى المنصور برجل صنع ذنباً عظيماً فامر باحضاره · ولما مثل بين يديه قال له انت الذي صنعت ذلك · قال يا امير المؤمنين ذنبي اعظم من نقمتك وعفوك اعظم من ذنبي وانشد

فهبني مسيئًا كالذي قلت ظالمٌ فعفوًا جميلاً كي يكون لك الفضلُ
فان أكُ لااستأهل العفو مرةً لسوءِ جرمي مني فانت له اهلُ

قال فاعجب المنصور لفصاحته وعفا عنه

ذكر في تواريخ الروم بهذه السنة جلس ثاودوسيوس على مملكة الروم فنفى جراسيموس البطريرك وسائر حواشي الملك ارتاميوس الى نيقية واما الملك ارتاميوس فصار راهباً وقدم الطاعة الى ثاودوسيوس ثم ان جيوش الاسلام سارت الى عمورية فوجه الملك ثاودوسيوس عساكر الروم اليهم وكان قائدهم لاوون الايصوري · ولما انتهى الى ناحية عمورية ارسل لاوون الى قائد عساكر المسلمين وطلب منه الاتفاق وانه يعينه على الملك ثاودوسيوس وعقد معه عهداً على ذلك · فلما علمت عساكر الروم بذلك الاتفاق انتخبوا لاوون ملكاً عليهم وعادوا راجعين الى القسطنطينية · فلما علم الملك ثاودوسيوس بذلك الامر اخرج ولده لمحاربة لاوون الايصوري وانتشب الحرب بينهم فكانت الغلبة للاوون وقبض على ابن الملك · ولما علم الملك ثاودوسيوس ماحل بولده وان شعب الروم قد انتخبوا لاوون ملكا عليهم ارسل الى لاوون يطلب منه ان يطلق ولده وانه قد عزل ذاته عن الملك فاطلق لاوون ابن الملك وسار مع أبيه الى أفسس · وكان تملك الملك ثاودوسيوس أربع سنين ومات في أفسس بسيرة حسنة

(وفي السنة ١٤٠ هـ = ٧٥٧ م قُتل عامل خراسان وهو أبو داود خالد ابن ابراهيم وذلك انه سقط من علوّ شاهق فانكسر ظهره ومات وتولّى مكانه صاحب شرطه حتى قدم عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي بالولاية من قبل ابي جعفر · وخرج ابوجعفر[1] حاجاً فاحرم من الحيرة ثم رجع بعد ما قضى حجه الى المدينة وتوجه منها الى بيت المقدس (ط))

(١) ذكر غيره ان حجه كان سنة ١٤١

وفي السنة ١٤١ هـ = ٧٥٨ م خرجت الراوندية [١] على المنصور بمدينة الهاشمية وهم قوم من خراسان يعتقدون بتناسخ الارواح و يزعمون ان الذي يقوم بمعاشهم هو ربهم ولذلك زعموا ان روح آدم في عثمان بن نهيك . وان ابا جعفر المنصور هو ربهم وان الهيثم بن معاوية جبرائيل وأتوا قصر المنصور يقولون هذا قصر ربنا فأرسل المنصور وحبس نحو مايتين من رؤسائهم ومنعهم أن يجتمعوا فاخذ الباقون نعشاً وحملوه واوهموا انهم اجتمعوا للجنازة فلما وصلوا الى باب السجن رموا النعش وكسروا باب السجن واخرجوا اصحابهم وتجمعوا نحو ستماية رجل واتوا باب المنصور فالتزم أن يخرج ماشياً فلحقه قواده وحاربوهم حتى قتلوهم عن آخرهم . وفيها وجه المنصور محمداً ولي عهده الى خراسان بالجنود وأمره بنزول الري ففعل . وخلع عبد الجبار بن عبد الرحمن عن خراسان . وفيها اكمل بناء المصيصة وكان ابتدأ في بنائها سنة ١٤٠ وسماها المعمورة وعزل زياد بن عبد الله الحارثي عن المدينة ومكة والطائف واستعمل على المدينة محمداً بن خالد بن عبد الله القسري . وفيها توفي موسى ابن كعب وهو على شرط المنصور وعلى مصر والهند وخلفه على الهند عيينة ابنه . وفيها تولى على مصر بامر المنصور محمد بن الاشعث . ثم عزله وولى مكانه نوفل بن الفرات وحج بالناس صالح ابن علي وهو على قنسرين وحمص ودمشق) وفي هذه السنة عزل الملك المنصور عمه صالح عن امارة مصر وولى عليها عبد الملك بن يزيد ثم عزله بعد خمسة اشهر وولى مكانه موسى بن كعب ثم عزل موسى بعد شهرين وولى محمداً بن سعد ثم عزله بعد ثلاثة اشهر وولى حميداً بن قحطبة . ثم عزله وولى يزيد بن هاشم ابن ابي صفرة المهلبي . وفي تملك هؤلاء على مصر صار ظلم عظيم على الرعايا وخاصة على النصارى وسلبت منهم اموال لا تحصى

(وفي السنة ١٤٢ هـ = ٧٥٩ م خلع الخليفة عيينة بن موسى ابن كعب وولى مكانه عمر بن حفص ابن ابي صفرة العتكي عاملاً محارباً عيينة حتى غلبه واستولى على مصر . وفيها بنى المنصور لاهل البصرة قبلتهم التي يصلون اليها في عيدهم بجبان وصام ابو جعفر رمضان وصلى بها يوم الفطر . وتوفي سليمان بن علي بن عبد الله بالبصرة . وفيها عزل عن مصر نوفلاً بن الفرات وولى عليها محمداً بن الاشعث . ثم عزل محمداً وولى عليها نوفل ابن الفرات ثم عزل نوفلاً وولى عليها حميد ابن قحطبة وحج بالناس اسماعيل بن علي

(٢) ذكر ابو الفرج ان خروج الراوندية كان سنة ٤٠ ونقل عنه الامير حيدر ولكن الطبري والمسعودي والوليد ابن الشحنة يتفقون بان خروجهم كان سنة ١٤١

وفي السنة ١٤٣ هـ = ٧٦١ م ندب المنصور الناس لغزو الديلم وذلك لانه علم بايقاعهم بالمسلمين وقتلهم منهم مقتلة عظيمة · وعزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطايف وولى مكانه عليها السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب · وعزل حميداً بن قحطبة عن مصر وولى عليها نوفل بن الفرات وحج بالناس عيسى بن موسى)

وفي السنة ١٤٤ هـ = ٧٦١ م قبض المنصور على اثني عشر رجلاً من آل علي بن أبي طالب وحبسهم في مكان ضيق فماتوا جميعاً ثم خرج محمد [1] بن عبدالله من آل علي بن أبي طالب وجمع الجموع وتسمى بالمهدي · وقدم الى المدينة وخرج اخوه ابرهيم في البصرة بثلاثين الفاً فسير اليهم المنصور العساكر وقاتلوهما قتالاً عظيماً وهزموا عساكرهما (وغزا محمد بن ابي العباس الديلم في اهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة وانصرف محمد بن ابي جعفر عن خراسان الى العراق وعند وصوله بني بابنة عمه ريطة بنت أبي العباس وحج أبو جعفر المنصور بالناس)

وفي السنة ١٤٥ هـ = ٧٦٢ م شرع المنصور في بناء مدينة بغداد وسبب ذلك انه كره سكنى الهاشمية التي بناها لقيام الراوندية فيها وايضاً لوجودها بجوار الكوفة لأنه لم يكن يأمن على نفسه من ثورتهم لانهم كانوا افسدوا الجند · فخرج بنفسه يرتاد موضعاً يسكنه هو وجنده · فقال له اهل الحذق انا نرى ان يكون على الصراة [2] و بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر فاذا قطعته لم يصل اليك وايضاً هذا المركز متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد · ودجلة والفرات والصراة خنادق مدينتك · وتجيئك الميرة فيها من البر والبحر · فازداد المنصور حرصاً على النزول في ذلك الموضع · ولما ابتداء بناء بغداد امر بنقض مدائن كسرى ونقل اخشابها واحجارها الى بغداد ولما راى ان ذلك يكلفه اكثر من استحضار الاحجار والاخشاب الجديدة توقف عن الهدم وجعل بناء بغداد مدورة وجعل لها سورين الداخل اعلى من الخارج · وبنى دار مملكته في وسطها والمسجد بجانب القصر وانما قبليه غير مستقيم يحتاج المصلي بان ينحرف لنحو باب البصرة · وجعل لها اربعة ابواب · وكانت الاسواق في المدينة · وحين قدم اليه رسول ملك الروم يهنيه بعمار بغداد امره ان يطوف في المدينة لينظر حسن بنائها · ثم

---

(١) كان يلقب بالنفس الزكية لزهده وتمسكه بالدين وذكر الوليد بن الشحنة ان قيام محمد المذكور واخوه ابرهيم كان سنة ١٤٥ ووافقه الطبري (٢) اسم نهر يصب في الفرات

بعد رجوعه قال له المنصور كيف رأيت هذا البناء . فقال الرسول بناءٌ حسن . وانما اعداؤك لا يبرحون معك . فقال المنصور ومن هم . قال له الاسواق لانه يجتمع بها من سائر الدنيا فامر المنصور باخراج الاسواق (١) الى ناحية الكرخ بناحية مدينة السلام (و يقال لها ايضاً الزوراء لانحراف قبلتها . وفيها ظهر ابرهيم ابن عبد الله بن حسن اخو محمد بالبصرة يحارب ابا جعفر وقتل . وفيها خرجت الترك والخزر بباب الابواب (٢) فقتلوا من المسلمين بارمينية جماعة كثيرة . وفيها ثارت السودان بالمدينة يعبد الله بن الربيع فهرب منهم . وحج بالناس السري بن عبد الله ابن الحارث بن العباس عامل ابي جعفر على مكة

وفي السنة ١٤٦ هـ = ٧٦٣ م اكمل ابو جعفر بناء بغداد وتحول من مدينة ابن هبيرة اليها في شهر صفر . وعزل مسلماً ابن قتيبة عن البصرة وولى عليها محمداً بن سليمان بن علي . وغزا الصايفة في هذه السنة جعفر بن حنظلة البهراني وعزل عبد الله بن الربيع عن المدينة وولى مكانه جعفر بن سليمان . ومثله عزل السري بن عبد الله عن مكة وولى عليها عبد الصمد بن علي وحج بالناس عبد الوهاب ابن ابراهيم (ط) وفيها توفي هشام بن عروة وهو ابن خمس وثمانين سنة (س))

وفي السنة ١٤٧ هـ = ٧٦٤ م اغار استرخان الخوارزمي في جمع من الترك على المسلمين بارمينية وسبي منهم خلقاً كثيراً ودخل تفليس وقتل حرباً بن عبد الله الراوندي الذي تنسب اليه طريقة الحربية ببغداد . وفيها توفي عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس . وفيها خلع المنصور العهد الذي كان عهده السفاح بعد المنصور لابن اخيه عيسى بن موسى وبايع ابنه المهدي محمد بن المنصور . وولى ابو جعفر محمداً ابن ابي العباس ابن اخيه على البصرة فاستعفى منها فاعفاه . وحج بالناس هذه السنة المنصور (ط). وفيها ولى المنصور خالداً بن برمك على الموصل . وفيها ولد الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وارضعته الخيزران ام الرشيد فكان اخا الرشيد من الرضاعة وفيها توفي جعفر الصادق بن محمد الباقر ودفن بالبقيع ومولده سنة ٨٠ هـ (الوليد بن الشحنة) . ذكر في تواريخ الروم في هذه السنة انه بعد تملك لاوون الايصوري على القسطنطينية امر برفع الصور من جميع كنائس الروم وحارب كل من خالف امره وكان لاوون اولاً جندياً ثم صار حاملاً سلاح يوستنيانوس المجدوع الانف . ثم اقامه الملك ارتاميوس قائداً على الجند ولم يزل

(١) تحويل الاسواق الى جهة الكرخ كان في سنة ١٥٧ هـ وانما اجمله الامير حيدر مع هذه السنة لاكمال خبر بغداد (٢) اسم محل في بلاد الخزر ذكره في المحيط فقال و باب الابواب ثغر في الخزر

كذلك الى ان تملك على الروم كما تقدم عنه الشرح وكان ظالماً ذا افتراء . وقد ابتدع محاربة الايقونات وقتل كثيراً من الاساقفة والرهبان المقاومين بدعته ونفى جرمانوس البطريرك لاجل معارضته في ذلك

وفي السنة ١٤٨ هـ = ٧٦٥ م وجه المنصور حميداً ابن قحطبة الى ارمينية لحرب الترك الذين قتلوا حرباً وعاثوا في تفليس . وفيها عسكر صالح بن علي بدابق ولم يغز . وحج بالناس جعفر بن المنصور (ط)

وفي السنة ١٤٩ هـ = ٧٦٦ م غزا العباس بن محمد ارض الروم ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الاشعث فهلك محمد في الطريق . وفيها استتم المنصور بناء سور بغداد وفرغ من خندقها وجميع امورها وشخص الى مدينة الموصل ثم انصرف الى مدينة الموصل ومنها الى مدينة السلام وعزل عبد الصمد بن علي عن مكة وولى عليها محمدا بن ابرهيم وحج بالناس محمد المذكور والي مكة

وفي السنة ١٥٠ هـ = ٧٦٧ م توفي ابوحنيفة بن ثابت النعمان الامام الاعظم شيخ الفقهاء (هو النعمان بن ثابت بن زوطاه ولي تيم اللات بن ثعلبة من بكر بن وائل وكان زوطاه من اهل بابل وقيل من كابول وقيل من الانبار وهو الذي مسه الرق في زعمهم مات ببغداد مسجوناً على قبول القضاء ودفن فيها وكان مولده سنة ٨٠ هـ وقيل سنة ٦١ هـ ادرك اربعة من الصحابة انس بن مالك وعبد الله بن ابي اوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وابا الطفيل عامر بن وائلة قال اصحابه لقي هولاء واخذ عنهم وعن غيرهم . وقال غيرهم نعم ادركهم ولكن لم يلقهم ولم يرو عنهم والمثبّت اولى من النافي (الوليد بن الشحنة) . روى الطبري انه بهذه السنة خرج استاذ يس في اهل هرات وباذغيس وسجستان وكانوا نحو ٣٠٠ الف مقاتل فغلبوا خراسان وساروا والتقوا باهل مرو الروز فخرج اليهم الاجشم المروروزي وقاتلهم فقتل مع عدد غفير من جنوده . فوجه المنصور وهو بالبردان خازماً بن خزيمة الى المهدي فولاه محاربة استاذيس وضم القواد اليه . وعزل المنصور جعفر بن سليمان عن المدينة وولى عليها الحسن بن زيد بن حسن بن علي بن ابي طالب . وفيها توفي جعفر بن المنصور الاكبر بمدينة السلام وصلى عليه ابوه ودفن ليلاً في مقابر قريش وحج بالناس عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس

وفي السنة ١٥١ هـ =٧٦٧م اغار الكرك في البحر على جدة وولى الخليفة عمر بن حفص بن عثمان بن ابي صفرة على افريقية بعد ان عزله عن السند وولى موضعه هشاماً بن عمرو التغلبي . وفيها قدم على المنصور ابنه المهدي من خراسان وفي هذه السنة ابتداء المنصور ببناء الرصافة في الجانب الشرقي من مدينة السلام لابنه محمد المهدي وعمل لها سوراً وخندقاً وميداناً و بستاناً واجرى له الماء فكان الماء يجري من نهر المهدي الى نهر الرصافة . وفيها جدد المنصور المبايعة لنفسه ولابنه محمد المهدي من بعده ولعيسى ابن موسى بعد المهدي روى الواقدي انه في هذه السنة ولى ابو جعفر معن بن زائدة على سجستان وحج بالناس محمد بن ابراهيم

وفي السنة ١٥٢ هـ = ٧٦٩ قتل الخوارج معناً بن زائدة الشيباني في بست سجستان . وغزا حميد بن قحطبة كابول وكان المنصور ولاه على خراسان في هذه السنة وغزا ارض الروم عبد الوهاب بن ابرهيم ولم يدرب . وعزل المنصور جابر بن توبة عن البصرة وولى عليها يزيد بن منصور . وقتل ابو جعفر هاشماً ابن الاشتاخنج وكان عصا وخالف في افريقية . وعزل يزيد بن حاتم عن مصر وولى عليها محمداً بن سعيد . وحج بالناس المنصور

وفي السنة ١٥٣ هـ = ٧٧ م جهز المنصور جيشاً في البحر لحرب الكرك بعد قدومه من مكة الى البصرة بعد الحج . وكانت الكرك قد اغارت على جدة فنزل الجسر الكبير وقيل ان هذا قدومه الاخير اليها وقيل انه قدمها اخر مرة سنة ١٥٥ هـ واقام بها اربعين يوماً و بنى فيها قصراً . ثم انصرف الى مدينة السلام . وفيها قتل ابو حاتم الاباضي عمراً بن حفص بن عثمان بن ابي صفرة بافريقية . وفيها الزم المنصور الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول وكانوا يحتالون لها بالقصب من داخل قال ابو دلامة

وكنا نرجى من امامٍ زيادةً فزاد الامام المصطفى في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها دنان يهودٍ جللت بالبرانس

وفيها توفي عبيد بن بنت ابي ليلى قاضي الكوفة فاستقضى مكانه شريكاً بن عبد الله النخعي وحج بالناس محمد بن ابي جعفر المهدي

وفي السنة ١٥٤ هـ = ٧٧١ م خرج المنصور الى الشام وسار الى بيت المقدس . ووجه يزيد بن حاتم لافريقية في ٥٠ الف لحرب الخوارج . وعزم المنصور على بناء مدينة الرافقة فمانعه اهل الرقة فهم بمحاربتهم . وفيها سقطت صاعقة في المسجد الحرام

فقتلت خمسة اشخاص · وهلك ابو ايوب المورياني وولى الخليفة عبد الملك بن ظبيان النميري على البصرة وحج بالناس محمد بن ابرهيم والي مكة والطايف

وفي السنة ١٥٥ هـ ـــ ٧٧٢ م توفي عبد الله بن علي بن عبد الرحيم امير مصر · فولى عليها المنصور اخاه موسى بن علي ولم يزل والياً عليها الى ان مات المنصور · ذكر في تواريخ الروم ان في هذه السنة صار ثلجٌ عظيم في جميع الجبال والسواحل ولم تبنَ الارض مدة ثلاثة اشهر ومات كثيرٌ من المواشي والوحوش · وفي هذه السنة فتح يزيد بن حاتم افريقية ودخل القيروان ووجه المنصور ابنه المهدي لبناء مدينة الرفقة فبناها كبناء بغداد في ابوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسور سورها وخندقها وانصرف الى مدينته · وعمل خندقاً للكوفة والبصرة وضرب عليها سوراً · وعزل المنصور عبد الملك بن ايوب بن ظبيان عن البصرة وولى مكانه الهيثم بن معاويه العتكي · وفيها طلب صاحب الروم الصلح الى المنصور على ان يودي له الجزية · وعزل المنصور اخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه مالاً وغضب عليه وحبسه · وعزل المنصور محمداً بن سليمان بن علي عن الكوفة وعزل الحسن بن زيد عن المدينة وولى مكانه عبد الصمد بن علي)

(وفي السنة ١٥٦ هـ ـــ ٧٧٣ م ظفر الهيثم عامل البصرة بعمرو بن شداد عامل ابراهيم بن عبد الله على فارس فقتل وصلب بالبصرة · وعزل المنصور الهيثم عن البصرة واعمالها واستعمل سوار بن عبد الله القاضي على الصلوة وتوفي الهيثم ببغداد وصلى عليه المنصور وحج بالناس العباس بن محمد بن علي (ط) وفيها توفي سوار بن عبد الله القاضي (س)

(وفي السنة ١٥٧ هـ = ٧٧٤م بني المنصور قصره الذي على شاطيء الدجلة المسمى الخلد · وفيها قتل يحيى ابو زكريا المحتسب · وحول المنصور الاسواق من مدينة السلام الى باب الكرخ وغيره من المواضع · وولى جعفر بن سليمان على البحرين · واستعرض المنصور جنده بالسلاح والخيل في مجلس يشرف على شط الدجلة دون قطربل وامر اهل بيته وصحابته بلبس السلاح وخرج وهو لابس درعاً وقلنسوة تحت البيضة سوداء لاطيئة مصرية · وعقد المنصور الكبري (الجسر) عند باب الشعير وجري ذلك على يد حميد بن قاسم الصيرفي · وعزل محمداً بن سعيد الكاتب عن مصر واستعمل عليها مطراً مولى ابي جعفر وفيها ولى معبداً بن الخليل السند وعزل هشاماً بن عمر عنها · وحج بالناس ابرهيم ابن يحيى بن محمد والي المدينة (ط) وفيها مات الاوزاعي [1] عبد الرحمن بن

(١) يوجد مزار جنوبي بيروت يدعى مقام الاوزاعي لعلة له او لاحد نسله مسمى بهذا الاسم

عمرو من اهل الشام و يكني ابا عمرو وكان منزله في بلاد الشام اعني الاوزاع ولم يكن منهم وموته بدمشق في آخر ايام المنصور وله تسعون سنة (س))

وفي السنة ١٥٨ هـ = ٧٧٥ م سار المنصور من بغداد الى الحج فنزل في قصر عبدويه (فانقض امامه هنالك كوكب لثلث بقين من شوال بعد اضاءة الفجر فبقي اثره بينًا الى طلوع الشمس فاحتسب منه الخليفة جدًّا) فحدث له مرض وكان معه ولده المهدي فقال له اسمع يامهدي ما اوصيك به · واجعل بالك الى المال والسلطان · واكرم اهل بيتك فان عزهم عزك · وانظر الى مواليك واحسن اليهم واستكثر منهم فانهم ينفعونك في شدتك · واياك ان تبني المدينة الشرقية فانك لاتتم بناءها · واياك ان تدخل النساء في امرك واظنك لا تفعل ما اوصيك به ثم انه انشد يقول شعرًا

قل للذي قد غره الامل ودون ما يامل التنغيض والاجل
اما تعلم ان الدنيا وزينتها كمنزل الركب حل ثم مرتحل
حتفها رصد وعيشها نكد وصفوها كمد وملكها دول
تظل تقرع بالدعوات ساكنها فما يصوغ له لين ولا جدل
كأنها للمنايا والردى غرض تظل فيه بنان الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يرصدها وكل عثرة رجل عنده زلل
والمرء يسعى بما يسعى لوارثه والقبر وارث ما يسعى به الرجل

ثم ودعه و بكى كل منهما · ثم سار المهدى الي الكوفة وسار المنصور الي مكة وكلما سار منزلاً اشتد وجعه الذي مات به [1] ولما وصل الى بير ميمون اشتد عليه مرضه ومات هناك وكان ذلك صباح ٦ ذي الحجة فحملوه الي مكة ودفن فيها وكان عمره اثنتي وستين [2] سنة · وكانت مدة خلافته اثنتي وعشرين سنة وكان اسمر اللون نحيفًا خفيف اللحية والعارضين وكان من أحسن الناس خلقًا وأشدهم احتيالاً ذو هيبة واحترام لم ير بداره لهوًا ولا مايشبه اللهو واللعب · قال حماد التركاني اني كنت واقفا يوما قدام المنصور واذا بحس جلبة فقال انظر ماهذا · فخرجت واذا بانسان بيده طنبور فعدت واخبرته فقال واي شيء يكون الطنبور فقلت له اما تعرف الطنبور · فقال لا

---

(١) ان مرضهُ الذي توفي فيهِ كان ضعفًا في المعدة · وقيل انهُ تحول عند سفره لشدة الحر لنوع من الاسهال او الدوسنطاريا فاماتهُ (٢) قيل ٦٣ و٦٤ و٦٥ و٦٨ والله اعلم بالصواب · و في هذه السنة مات زفر ابن الهذيل الفقيه الشهير صاحب ابي حنيفة

ولا نظرته قط وكان المنصور يرغب في البناء والعماير الحسان وقد بنى في مدة خلافته مدنًا كثيرة . قال أبو الفرج انه لما بنى المنصور بغداد ادركه ضعف في معدته وسوء استمراء وقلة شهية وكلما عالجه الاطباء زاد مرضه الى ان استدعى جاورجيوس ابن بختيشوع النيسابوري وكان اشهر الاطباء في زمانه فداواه وشفي من مرضه . فرناه المنصور الى منزلة عظيمة وكان هو الرئيس على البيمارستان .واذا غاب وكل تلميذه عيسى بن شهلاثا . وقال المنصور لابن بختيشوع من يخدمك هاهنا واني سمعت ان ليس لك امرأة . فقال لي زوجة كبيرة كهلة لا تقدر على النهوض . فامر المنصور ان يحمل الى منزل بختيشوع ثلاث جوار روميات حسان . ولما انصرف بن بختيشوع الى منزله ورأى أولئك الجوار انكر أمرهن وقال لعيسى تلميذه لماذا تركت الشياطين يدخلن منزلي فقال انما أرسلهن لك أمير المومنين فقال اردده هن له . ولما دخل بختيشوع على المنصور قال له لماذا رددت الجواري وهن أحسن مايكن حسنًا فقال ابن بختيشوع نحن يامو لاي معشر النصارى لايجوز لنا أن نتزوج باكثر من امراءة واحدة مادامت حية فاستحسن المنصور ذلك وارتفعت منزلة ابن بختيشوع عنده . ولما مرض جاورجيوس ابن بختيشوع سار المنصور الى منزله ماشيًا . فقال يا امير المؤ منين ارغب ان تأذن لي بالرجوع الى بلادي لانظر اهلي وولدي وان مت قبرت مع ابائي فاذن له بذلك . وقال المنصور اني لا اقدر على مفارقتك ان لم اجد من هو مثلك . فقال جاورجيوس انما يكون تلميذي موسى فهو طبيب حاذق . فامر له المنصور بعشرة آلاف دينار وارسل اناسًا يخدمته يوصلونه الى نيسابور وقام موسى بخدمة المنصور . ولما خرج المنصور في بعض اسفاره الى نصيبين كتب عيسى الى مطران نصيبين يلتمس منه شيئًا ثمينًا وكتب له الا تعلم أن أمر الخليفة في يدي ان أردت أمرضته وان أردت شفيته . فاحتال المطران الى ان أرسل تلك الكتابة الى المنصور فغضب على موسى ونفاه وطرده اقبح نفي وطرد وضبط كل ماله وهذه ثمرة الشره . وكان في ايام المنصور نوبخت المنجم الفارسي وكان فاضلاً حاذقًا خبيرًا باقتران الكواكب وحركاتها ولما مات المنصور في بير ميمون لم يكن حاضرًا عند وفاته الا خدمه ومولاه الربيع فكتم الربيع موته واجلسه ودنا منه كانه يكلمه . ثم خرج وأعان المبايعة للمهدي وان والده اوصى له بها ورجع الى البيت وخرج وهو لا طم على وجهه شاق ثو به وقد اعلم الناس بموت المنصور فكتب الى ولده المهدي يعلمه بموت ابيه و بالمبايعة له

الفصل الثالث

في خلافة المهدي ابن المنصور وهو الثالث من الخلفاء العباسيين

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بايعه اهل مكة والمدينة بعد موت والده ومن بعده لابن عمه عيسى بن موسى بن محمد الامام فلم يرض ابن عمه المذكور بالمبايعة للمهدي وامتنع بالكوفة واراد ان يتحصن بها فبعث المهدي ابا هريرة في الف فارس فاخذه الى المهدي . ولم يزل المهدي يلاطفه ويراضيه حتى اجاب الى خلع نفسه ومبايعة المهدي فعوضه عنها بعشرة آلاف دينار فبايع المهدي وابنه موسى الهادي من بعده

وفي السنة ١٥٩ هـ = ٧٧٦ م عزل المهدي كثيرًا من العمال عن مراكزهم وابدلهم جميعًا وفرّق كلما تركه ابوه في بيت المال و بنى مسجد الرصافة وحفر خندقها . وفيها وقع الحريق في ذي الحجة في السفن ببغداد عند قصر عيسى فاحترقت سفن كثيرة واناس كثيرون . وعزل مطرًا مولى المنصور عن مصر واستعمل مكانه اباحمزة محمدًا ابن سليمان الشامي وفيها حدثت حركة من تحرك من اهل خراسان في خلع عيسى بن موسى فارسل المهدي جيوشًا واخضعهم وحج بالناس يزيد بن منصور خال المهدي

وفي السنة ١٦٠ هـ = ٧٧٧ م ظهر رجل يقال له يوسف البرم بخراسان منكرًا خلافة المهدي وادعى النبوة فارسل اليه المهدي جيوشًا فاسروه وحملوه اليه فصلبه . وفيها حمل محمد بن سليمان الثلج للمهدي حتى وافى به مكة وكان المهدي اول من حمل له الثلج من الخلفاء الى مكة . وفيها نزع المهدي كسوة الكعبة التي كانت عليها وكساها كسوةً جديدةً . وامر بنزع المقصورة التي في مسجد رسول الله (صلعم) وامر بتوسيعه وذلك لما حج بالناس في تلك السنة وفيها توفي الخليل ابن احمد البصري النحوي

وفي السنة ١٦١ هـ = ٧٧٨ م خرج حكم المقنع في خراسان بقرية من قرى مرو فادعى النبوة وتناسخ الارواح وتبعه اناس كثيرون وكان لا يسفر عن وجهه لاصحابه فلذلك قيل له المقنع وكان يحسن شيئًا من الشعبذة فاستغوى العقول الضعيفة واستمالها اليه . فلما دري به المهدي ارسل في طلبه عدة من قواده منهم معاذ بن مسلم فقاتلوه وانهزم الى ماوراء النهر فتبعوه وحاصروه في قلعة كش (وفيها امر المهدي ببناء القصور في طريق

مكة اوسع من القصور التي كان بناها ابو العباس من القادسية الى زبالة . وامر بالزيادة في القصور التي بناها ابو العباس . وامر باتخاذ المصانع في كل منهل و بتجديد الاميال والبرك وحفر الركايا مع المصانع . وامر بزيادة مسجد البصرة . وامر بنزع المقاصير من جميع المساجد و بتقصير المنابر وتصييرها الى المقدار الذى عليه منبر الرسول (صلعم) وكتب بذلك الى الآفاق . وفيها استعمل عيسى ابن نعمان على مصر . وعزل المهدي محمداً بن سليمان ابا ضمرة عن مصر بعدان كان ولاه عليها مدة وولى عليها مكانه سلمة ابن رجاء ولما تولى المهدي الخلافة أمّن الخائف وانصف المظلوم و بسط يده في العطاء فانفق ماتركه المنصور في بيت المال . قيل ان اباحارثة الوكيل على بيت المال نهاه عن زيادة الاسراف . فاجابه و يلك انت اعرابي احمق اتظن ان الاموال لاتأتينا عند احتياجنا اليها . ذكر ان المهدي فرق في يوم واحد عشرة الاف درهم وحج بالناس موسى ابن المهدي ولي عهده . وذكر في تاريخ الرومان في هذه السنة حدثت زلزلة عظيمة في بلاد الروم فهدمت عماير عظيمة في مدينة القسطنطينية ومات خلق لايحصى عددهم وكان ذلك في ايام لاوون الايصوري

وفي السنة ١٦٢ هـ = ٧٧٩ م امر المهدي ان يجرى على المجذومين واهل السجون في جميع الآفاق . وفيها عزل مسلمة بن رجاء عن مصر وولى عليها عيسى بن لقمان في محرم ثم عزله وولى عليها واضحاً مولى المهدي ثم عزله وولى عليها يحيى الحرشي وفيها ظهرت المحمرة بجرجان وعليهم رجل يدعى عبد القهار فتغلب على جرجان وقتل خلقاً كثيرا فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان فقتل عبد القهار واصحابه وحج بالناس ابراهيم بن جعفر بن المنصور

و في السنة ١٦٣ هـ = ٧٨٠ م هلك المقنع وذلك ان سعيداً الحرشي احد القواد الذين بعثهم المهدي حصره بكش واشتد عليه الحصار فلما احس بالهلكة شرب سماً بعد ما سقى السم نساءه وجميع اهله فماتوا جميعا ودخل المسلمون القلعة واحتزوا رأسه ووجهوا به الى المهدي وهو بحلب . وفيها خرج المهدي بنفسه مع ولده الرشيد لمحاربة الروم فهزمهم وفيها سار الى بيت المقدس وصلى فيه ومعه العباس بن محمد والفضل بن صالح وعلي بن سليمان وخاله يزيد بن منصور وفيها ولى المهدي ابنه هرون الرشيد على المغرب كله واذربيجان وارمينية وجعل وزيره او كاتبه يحيى بن خالد بن برمك وحج بالناس علي بن المهدي

وفي السنة ١٦٤ هـ = ٧٨١ م ولى المهدي يحيى بن عبد الله الجوني على امارة مصر وفيها رجع هرون الرشيد من غزوته لبلاد الروم ظافراً حيث حاصر قلعة سمالق

ونصب عليها المجانيق وقاتلها ثمانية وثلاثين يوماً وافتتحها عنوةً وهدمها ورجع الى ابيه المهدي وكان المهدي قد رجع من بيت المقدس والشام الى العراق . وفيها عزل المهدي يحيى بن عبد الله عن امارة مصر وولى عليها ابراهيم بن علي بن عبد الله بن العباس . وفيها سار المهدي للحج ولما وصل للعقبة اعترته حمي وتضايق ومن معه من قلة الماء فرجع بعد ماوجه صالحاً بن ابي جعفر للحج بالناس

وفي السنة ١٦٥ هـ=٧٨٦ م عزل المهدي ابراهيم بن صالح عن امارة مصر وولى عليها يوسف بن مصعب فقتل غدرا فولى المهدي الفضل بن صالح بن عبد الله بن العباس على امارة مصر . وفي هذه السنة غزا هرون الرشيد بلاد الروم وافتتح ماجدة وغلب الروم ولحقهم حتى بلغ خليج البحر الذى على القسطنطينية وصاحب الروم حينئذ ايرينى الملقبة اوغسطه امرأة اليون وذلك لان ابنها كان صغيرا وقد هلك ابوه فجرى بينها وبين هرون الرشيد مراسلات وسفراء كثيرون ثم طلبت الصلح وتعهدت باعطاء الفدية فقبل هرون الرشيد بالصلح وباخذ الفدية وقدرها تسعون الف دينار تؤديها في اول ابريل (نيسان) في كل سنة وفي يونيو (حزيران) وجعلت الهدنة ثلاث سنوات وحج بالناس صالح بن ابي جعفر

(وفي السنة ١٦٦ هـ — ٧٨٧ م قفل هرون الرشيد راجعاً من خليج القسطنطينية في ١٦ محرم وجاب معه الجزية والغنائم . واخذ المهدي المبايعة علي قواده وجنده لهرون بعد موسى ابن المهدي وسماه الرشيد . وفيها تحول المهدي الى قصر السلامة بعيساباذ ونزل الناس بها معه وضرب بها الدنانير والدراهم . وفيها امر المهدي باقامة البريد بين المدينة ومكة واليمن بغالاً وابلاً ولم يقم هنالك بريد قبل ذلك وحج بالناس ابراهيم بن يحيي بن محمد

وفي السنة ١٦٧ هـ = ٧٨٨ م وجه المهدي ابنه موسى مع جيش عظيم الى جرجان لحرب ونداهرمز وشروين صاحبي طبرستان . وجد المهدي بمطاردة الزنادقة وقتلهم . وفيها فشا الموت وسعال شديد ووباء عميت ببغداد . وفي هذه السنة امر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام فدخلت فيه دور كثيرة . وفيها اظلمت الدنيا لليال بقين من ذي الحجة حتى تعالى النهار وحج بالناس ابرهيم بن يحيي بن محمد

وفي السنة ١٦٨ هـ — ٧٨٩ م نقض الروم الصلح بعد اثنين وثلاثين شهراً فوجه المهدي علي بن سليمان ويزيد بن بدر في سرية الى الروم فغنموا منهم وظفروا بهم وقتل المهدي اكثر الزنادقة ببغداد . ورد المهدي ديوانه وديوان اهل بيته من

دمشق الى المدينة وحج بالناس علي بن محمد المهدي

وفي السنة ١٦٩ هـ = ٧٩٠ م خرج المهدي في المحرم من بغداد الى ما سبذان حسب امر الطبيب لتغيير الهواء وكان عنده جاريتان . فرام ان يأخذ احدهما معه فصعب ذلك على الاخرى وكان اسمها حسناء فسمت كمثرى واهدتها الى الجارية الاخرى التي سارت مع المهدي ولما بلغ ماسبذان رأى الكمثرى التي كانت اهدتها اياها حسناء عندها وكان يحب الكمثرى كثيراً فاخذها واكلها ففعل السم به ومات ولما علمت به حسناء جاءت تبكي وتلطم وجهها وتقول اردت ان احظى بك وحدي فقتلتك وكان موت المهدي ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم وكانت خلافته عشر سنين وشهر ونصف وتوفي وهو ابن ثلاث وار بعين سنة . ذكر الطبري انه لما توفي المهدي في قرية الرذ من قرى ماسبذان لم يوجد له نعش يحمل عليه فحمل على باب ودفن تحت شجرة جوز كان يجلس تحتها . ذكر ابو الفرج في تاريخه انه لما همّ المهدي بالخروج الى ماسبذان تقدم الى حسناء حظيته لتخرج معه فارسلت الى ثاوفيل بن توما النصراني المنجم الرهاوي وهو رئيس منجمي المهدي قائلة له انك اشرت على امير المؤمنين بهذا السفر فجشمتنا سفراً لم يكن في الحساب فعجل الله موتك واراحنا منك . فلما بلغته رسالتها قال للجارية التي اتته بها ارجعي اليها وقولي لها ان هذه الاشارة ليست مني واما دعاؤك علي بتعجيل الموت فهذا شيء قد قضى الله به وموتي سريع فلا تتوهمي ان دعوتك استجيبت ولكن اعدي لنفسك تراباً كثيراً فاذا انا مت فاجعليه على راسك . فما زالت متوقعة تأويل قوله حتى توفي المهدي بعد عشرين يوماً وكان ثاوفيل هذا على مذهب النصارى الموارنة الذين بجبل لبنان وله كتاب تاريخ حسن . ونقل كتابي اوميرس الشاعر عن فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية ثم الى العربية بغاية ما يكون من الفصاحة . وكان من اشتهر في الطب في ايام المهدي ابو قريش عيسى الصيدلاني وكان ماهراً في الصناعة خبيراً في التعبير وحسن الاتفاق . وكان سبب تقدمه عند المهدي بعد ما كان صيدلياً فقير الحال هو ان الخيزران حظية المهدي تشكت يوماً من مرض وامرت جاريتها بان تخرج القارورة الى طبيب غريب لا يعرفها وكان ابو قريش بقرب قصر المهدي فارته الجارية القارورة فقال لها لمن هذا الماء فقالت لامراءة ضعيفة فقال لا بل لملكة جليلة عظيمة الشان وهي حبلى بملك . وكان هذا القول منه على سبيل الرزق فانصرفت الجارية واخبرت مولاتها الخيزران بما سمعت

منه ففرحت بذلك فرحاً عظيماً . وقالت ان صح قوله اتخذناه طبيباً لنا ولما ولدت ارسلت الى ابي قريش خلعة والفي دينار واتخذه المهدي طبيباً له واكرمه كثيراً وصير ولداه هرون وموسى في حجره وكناه ابا قريش و بقي في خدمة هرون الرشيد بعد موت المهدي ولما مات ابو قريش ترك اثنين وعشرين الف دينار . ذكر المسعودي دخلت مزنة امرأة مروان ابن محمد على المهدي وهي في ثياب رثة وكانت اجمل النساء حسناً واكملهن قداً فقال لها المهدي من اي الناس انتِ قالت له من نساء بني امية وقد اوصلني الدهر الى هذه الحالة وسلبت اموالنا ولا نأمن ان نخالط العامة . قال فبكى المهدي وقال اللهم اننا نعوذ بك من زوال النعم وامرها بالدخول الى دار جاريته الخيزران فاكستها واكرمتها واقامت مكرمة الى ان مات المهدي

الفصل الرابع

في خلافة الهادي وهو الرابع من العباسيين

وفي هذه السنة اي سنة ١٦٩ هـ بويع بالخلافة لموسى الهادي بن المهدي يوم توفي والده وهو مقيم بجرجان يحارب اهل طابرستان فسار نصر الوصيف الى الهادي يعلمه بوفاة ابيه و بالمبايعة له فنادى بالرحيل ولما قدم بايعه الناس فاستوزر الربيع بن الفضل . ثم شدد الهادي بطلب الزنادقة وقتل منهم جماعة كبيرة وحج بالناس سليمان بن جعفر

وفي السنة ١٧٠ هـ = ٧٩١م توفي الهادي بعيساباذ قيل بسبب قرحة كانت في جوفه روى ذلك الطبري ولكن اكثر المورخين يتفقون على انه مات مسموماً من امه الخيزران وذلك لانها كانت تحب ان تتداخل في امور المملكة فمنعها وحقدت عليه وسمته . روى ابو الفرج ان امه الخيزران كانت تستبد بالامور دونه . وكلمته يوماً في امر لم يجد الى اجابتها سبيلاً فحتمت لابد من الاجابة اليه فغضب وقال والله لا اقضيها لك . قالت والله لا اسالك حاجة ابداً . قال لا ابالي فقامت مغضبة . فقال والله لئن بلغني انه وقف ببابك احد قوادي لاضربن عنقه ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك مالك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك او بيت يصونك فانصرفت وهي لا تعقل ووضعت جواريها عليه فسموه وقتلوه . وقيل انه عزم على خلع هرون اخيه ومبايعة ابنه جعفراً فلما درت بذلك ارسلت وقتلته فمات ليلة الجمعة في نصف ربيع الاول وكانت خلافته سنة وثلاثة

اشهر وعمره ست وعشرون سنة وصلى عليه اخوه هرون ودفن في عيساباذ ببستانه وكان طويلاً جسيماً جميلاً ابيض مشرباً حمرة وكان بشفته العليا تقاص وكان ولد بالسيروان من الري وله تسعة اولاد سبعة ذكور وابنتان • ذكر ابو الفرج ان موسى الهادي كان قاسي القلب صعب المراس شرس الاخلاق ومع ذلك كان جواداً سخياً وكان قبل موته غضب على اخيه الرشيد فخرج من امامه الى طوس ولم يزل هناك الى ان مات الهادي • فاستدعوه الى هناك و بايعوه بالخلافة وكان الهادي قد حوى سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي الذي كان قد دفن معه حين قتل في حرب القادسية مع الاعجام في نهاوند وكان لا يفارقه ابداً وكان يسميه الصمصام وقيل فيه شعر

حاز صمصامة الزبيدي عمرو ... من جميع الانام موسى الامينُ
سيف عمرو وكان فيما سمعنا ... خير ما اغمدت عليه الجفونُ
اوقدت فوقه الصواعق ناراً ... ثم شابت فيه الزعاف المنونُ
اذا ما نضأته تبهر الشمـ ... ـس ضياءً فلم تكد تستبينُ
وكأن الفرند والجوهر الجا ... ري في صفحتيه ماءٌ معينُ
ما يبالي اذا الضريبة خانت ... اشمال نيطت به ام يمينُ

وفي هذه السنة عمّر عبد الرحمن الاموي بالاندلس جامع قرطبة موضع الكنيسة وصرف عليه ماية الف دينار

الفصل الخامس

في خلافة هرون الرشيد وهو الخامس من العباسيين

ذكر ابو جعفر الطبري ان هرون الرشيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بويع له بالخلافة يوم توفي اخوه وامه الخيزران وولد لهرون الرشيد في تلك الليلة ولد وسماه عبد الله المامون فقال يحيى بن خالد بن برمك هذه ليلة لم يتفق مثلها قط • مات خليفة • وولد خليفة • وتولى خليفة • وكان عمره يوم تولى الخلافة اثنين وعشرين سنة • وفيها قلد الرشيد يحيى ابن خالد الوزارة وقال له قد قلدتك امر الرعية واخرجته من عنقي اليك فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب • واستعمل من رايت واعزل من رايت

وامض الامور على ما ترى ودفع اليه خاتمه [١] وفيه يقول ابراهيم الموصلي

الم ترَ ان الشمس كانت سقيمةً فلما ولي هرون اشرق نورها

بيمن امين الله هرون ذي الندى فهرون واليها ويحيى وزيرها

وفي هذه السنة ايضاً ولد محمد الامين وهو اكبر من المأمون قليلاً وكانت الخيزران هي الناظرة في الامور وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها. وفيها امر هرون بسهم ذوي القربى فقسم بين بني هاشم بالسوية. وفيها امر الرشيد بعمار طرسوس على يد ابي سليم فرج الخادم التركي ونزلها الناس. وحج بالناس هرون الرشيد

وفي السنة ١٧١ هـ = ٧٩٢ م توفي الملك لاوون الايصوري ملك الروم وقد انتقم الله منه لزيادة رداءته وظلمه. وكان تملكه في القسطنطينية اربع وعشرين سنة وخمسة اشهر. ذكر في تواريخ الروم بعد موت الملك لاوون انتخبت الروم ولده قسطنطين الزبلي وقد تسمى بهذا الاسم لانه حين وُلد واراد والده لاوون ان يعمده كما جرت عادة اولاد ملوك الروم فحين وضعه البطريرك جرمانوس في حوض المعمودية وهو طفل وسماه قسطنطين زبَّل في الحوض فسمي قسطنطين الزبلي وكان ذلك في سنة ١٤٧ هـ التي بها تملك ابوه على القسطنطينية الا ان هذا اللعين [٢] فاق اباه لاوون في الاضطهاد الى ان بلبل مملكة الروم وخافوا منه جداً وقد احرق جميع الصور وايقونات القديسين من كنائس الروم التي في ملكه وامر ان لا يقال قديس البتة وان توطىء وتداس عظام القديسين ولا تتقدم الكرامة [٣] الا للثالوث وحده واحرق الايقونة العظيمة التي في كنيسة فلاشرناص التي هي صورة مريم العذراء. الا انه حين اظهر قسطنطين الزبلي تلك البدع هاج عليه شعب الروم وقاموا ضده وانتخبوا اردافاسدوس زوج اخت قسطنطين ملكاً وانضم اليه كثير من الشعب وطردوا قسطنطين واجلسوه مكانه وبعد جلوس اردافاسدوس امر برجوع الصور الى الكنائس حسب عادة الروم. واما قسطنطين الزبلي فجمع العساكر واتى الى القسطنطينية وجرى بينه وبين اردافاسدوس حروب كثيرة.

(١) لما عاد الرشيد الى بغداد وبلغ الجسر دعا الغواصين وقال كان ابي قد وهب لي خاتماً شراؤه مائة الف دينار فاتاني رسول الهادي اخي يطلب الخاتم وانا هاهنا فالقيته في الماء فغاصوا عليه واخرجوه له فسر به لعلة هذا الخاتم (ف)

(٢) لما كتب الامير حيدر هذا التاريخ كان نصرانياً على مذهب الموارنة الذين يحبون الصور وعبادة القديسين وصورهم لذلك لقبه اللعين (٣) يراد بذلك العبادة وبالحقيقة انها لا تليق ولا يجوز تقديمها الا لله وحده (للرب الملك تسجد واياه وحده تعبد)

وحدث غلاء وجوع عظيم لكثرة الحروب والعساكر حتى انباع كيل[1] الشعير باثني عشر درهم و بعد حروب كثيرة ملك قسطنطين القسطنطينية وقبض على صهره اردافاسدوس وولده وسمل عيونهما · وقد قتل كثيرًا من اراخنة الروم وقواد العساكر والمتقدمين في المدينة ·وامر عساكره ان ينهبوا المدينة ثلاثة ايام فصنعوا جميع الفواحش واذلوا كثيرًا من النساء الشريفات ·وامر باحراق الايقونات التي تجددت في الكنائس وان يصوروا عوضًا عنها وحوشًا وطيورًا واشجارًا لاجل الزينة · ثم غارت عساكر البلغار على بلاد الروم فاسروا اناسًا كثيرين ورجعوا ·فجيش الملك قسطنطين العساكر وسار الى البلغار ولما انتهى الى فاراغافا انتشب الحرب بينهما فاستظهر البلغار على الروم وذبحوا منهم خلقًا كثيرًا ورجع قسطنطين الى القسطنطينية مذلولاً

وفي هذه السنة توفي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي ملك الاندلس وكانت مدة ملكه اثنين وثلاثين سنة وعمره حين مات مائة وخمسون سنة وكان في تملك السفاح هرب الى الاندلس وتملك هناك و بويع بعده بالخلافة في تلك البلاد لولده هشام بن عبد الرحمن · وفيها امر الرشيد[2] باخراج الطالبيين الى مدينة الرسول خلا العباس بن الحسن · وخرجت الخيزران الى مكة في شهر رمضان واقامت الى وقت الحج فحجت · وحج بالناس عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس

وفي السنة ١٧٢ هـ = ٧٩٣ م خرج الرشيد الى مرج القلعة مرتادًا بها منزلاً ينزله · ووضع الرشيد على اهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف · وحج بالناس يعقوب ابن ابي جعفر

وفي السنة ١٧٣ هـ = ٧٩٤ م (توفي محمد بن سليمان بالبصرة وكان غنيًا جداً فضبط هرون الرشيد كل امواله ومقتنياته للخلافة وفرق كثيرًا منها · وتوفيت الخيزران ام الرشيد وحج بالناس هرون الرشيد (ط))

وفي هذه السنة توفي معن بن زائدة وكان عمره ثمانية وثمانين سنة وكان زائدًا في الكرم عن حد القياس وارتقى في الدولة العباسية في ايام المنصور الى ارفع درجة · وكان معن من اصحاب عمر بن هبيرة وقد استادرته الاعجام في حرب الفاشرة ثم سعت

---

(١) هو ستة امداد مكيل شامي يساوي ثلاثة ارباع الاردب او ٤٨ اقة حنطة و٣٠ اقة شعير

(٢) وفيها ولى الرشيد موسى بن عيسى بن موسى بن محمد على امارة مصر

لخلاصه جماعة من آل خراسان فاطلقوه وتقدم عند المنصور الى اعلى رتبة لانه خلصه في حرب الهاشمية من الموت وكان يحبه محبة عظيمة · ذكر المسعودي ان المنصور قال لمعن يوماً و يلك يامعن أتعطي مروان بن حفص ماية الف درهم لانه قال عنك هذا البيت

معن ابن زائدة الذي زادت به شرفاً على شرف بنو شيبانِ

قال معن كلا ياامير المؤمنين وانما اعطيته على قوله هذين البيتين

مازلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمنِ

فمنعت حوزته وكنت وقاؤه من وقع كل مهنَّد وسنانِ

ذكر المسعودي عن معن انهُ ارتقى في زمان المهدي وارتفعت درجتهُ زيادة عما كان في ايام المنصور · قال كان معن مارًّا في بعض الايام واذا بغلمان المهدي قابضين على انسان مذنب فلما راى معناً استجار به · فقال لاتباع الملك اطلقوا الرجل وانا اردّ جواباً الى امير المومنين فابوا ذلك وقالوا لهُ ان الرجل ذنبهُ عظيم وامير المؤمنين لا يقبل فيه شفاعة فامر خدمه فاخذوه غصباً · فمضى الرجال واعلموا المهدي بذلك فارسل واحضر معناً وقال له اتجير عليّ يامعن رجلاً ذنبه عظيم · فقال نعم يا امير المومنين فالذي قتل في طاعتك خمسين الفاً اما ترى انه اهل ان يجير رجلاً استجاره · فأطرق الخليفة راسه الى الارض وقال لقد اجرنا من اجرته وعفونا عنه يا ابا الوليد · فقال معن ان احب امير المومنين جاري فيكون احياه واغناه · فقال المهدي قد امرنا له بخمسماية درهم · فقال معن يا امير المومنين الرجل ذنبه عظيم و ينبغي ان تكون طائلة الخليفة قدر ذنب الرعية · قال فليكن له الف درهم · وحكى انه لما كان معن ابن زائدة عاملاً على العراق في ايام المهدي اتاه سائل ولم يجد اليه وصولاً فانتظر الى ان خرج يوماً معن الى البستان فكتب ذلك الشاعر بيتاً على خشبة والقاها في الماء الذي داخل الى البستان · وكان معن جالساً فرأى الخشبة في الماء فاخذها فوجد هذا الشعر

يا جودَ معنٍ ناجِ معناً لحاجتي فليس الى معنٍ سواك رسولُ

فلما قرأ معن ذلك الشعر على الخشبة قال للخدام من خارج البستان فخرجوا واتوا بالرجل · فقال له ما قلت في البيت الذي على الخشبة فانشد ذلك البيت فامر له بالفين درهم فاخذها وانشد يقول

يقولون معن لا زكاة لماله فكيف يزكّي المال من هو باذلهُ

اذا حال حولٌ لم تجد في دياره   من المال الاَّ ذكره وجمائلهُ
تراه اذا ما جئته متهللاً   كانك تعطيه الذي انت نائله
تعوّد بسط الكف حتى كانه   اذا شا انقباضاً لم تجبه انامله
ولو ان مافي كفه غير نفسه   لجاد بها فليتق الله سائله

حكى المسعودي ان معناً بن زائدة كان يوماً في الصيد وقد المَّ به الظمأ فنظر على البئر ثلاث نساء يماين فطلب منهن الماء فاسقينه هو وحصانه . ثم طلب شيئاً من المال ليعطيهن فما وجد معه شيئاً فاخذ ثلاث نبال من كنانته اسهمتها ذهب واعطاهن اياها . فقالوا لم يكن هذا العطاء الا لمعن ابن زائدة وانشدت احداهن هذه الابيات

تركتم في السهام نصول تبرٍ   لترموا بها العدا كرماً وجوداً
فللمرضى علاجٌ من جراحٍ   واكفانٌ لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من طرف حور بنانه   عمت مكارمه لارقاب العدا
صيغت نصول سهامه من عسجدٍ   كي لا يعوقه القتال عن الندى

وقالت الثالثة

من جوده يرمي العداء باسهم   من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه   ويشري بها الاكفان منها قتيلها

فعاش معن الى ايام الرشيد . ذكر المسعودي دخل معن يوماً على الرشيد وهو يتخطى بمشيته . فقال الرشيد كبرت يا معن فقال في طاعتك يا امير المومنين . قال وان فيك على ذلك لبقية . قال هي لك يا امير المومنين . قال وانك لجلد قال على اعدائك يا امير المومنين . فقال الرشيد اني قد اعددتك لامر كبير فقال يا امير المومنين ان الله قد اعدَّ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ويداً مبسوطة بطاعتك وسيفاً مشحوذاً على عدوك فقل مهما شئت فيَّ . قال فاحبه الرشيد لحسن جواباته ولم يزل في مرتبة عظيمة عند الرشيد الى ان مات . ولمعن اخبار كثيرة في الكرم اقتصرنا عن شرحها

وفيها توفي الامير شهاب المخزومي ابن الامير قاسم بن الامير سعد بن الامير مالك بن الامير حارث المخزومي بعد توليه على حوران وتولى بعده ولده الامير محمد ومنه لقبت هذه الطائفة بآل شهاب المتولين وقتئذٍ على بلاد حوران

وفي السنة ١٧٤ ﻫ = ٧٩٥ م حدثت عصبية بالشام ضد الخليفة وخرج الخليفة

الى باقردى وباز بدى و بنى بباقردى قصراً للمصيف وحجّ بالناس هارون الرشيد

وفي السنة ١٧٥ ﻫ = ٧٩٦ م ولى الرشيد على امارة مصر موسى بن عيسى بن موسى الهاشمي ٠ وفيهـا عقد الرشيد المبايعة لابنهِ محمداً بن زبيدة بمدينة السلام ولاية عهد المسلمين واخذ لهُ المبايعة من القواد والجند وسماهُ الامين وعمرهُ يومئذ خمس سنين وحج بالناس هرون الرشيد

وفي السنة ١٧٦ ﻫ = ٧٩٧ م خرج يحيى بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب بالديلم واشتدت شوكتهُ ٠ فارسل الرشيد اليهِ الفضل بن يحيى في خمسين الفاً وولاهُ على الرها وجرجان وكور الجبال وطبرستان ودنباوند وقوص وارمينية واذربيجان فمضى الى خراسان وكاتب يحيي ورفق بهِ الى ان اجابهُ يحيى وشرط لهُ ان يشهد الرشيد على نفسهِ في الامان لهُ فكتب الفضل الى الرشيد بذلك فاجابهُ وكتب لهُ بالامان واشهد على نفسهِ فيهِ جماعة من القضاة والاكابر وبعثهُ الى الفضل فارسلهُ الفضل الى يحيي وارسل معهُ نقادم وهدايا فقبلها يحيى وجاء الى الفضل فقدم بهِ الفضل الى بغداد فتلقاهُ الرشيد بما احب وامر لهُ بمالٍ جزيل واجاده ارزاقاً كثيرة ثم غـدر بهِ بعد ذلك وحبسهُ وقيدهُ بالحديد ٠ وفي هذه السنة هاجت العصبية بالشام بين النزارية واليمانية فولى الرشيد موسى بن يحيي بن خالد على الشام وضمّ اليهِ من القواد والاجناد ومشايخ الكتاب جماعة فاصلح بينهم ٠ وحج بالناس سليمان ابن ابي جعفر

وفي السنة ١٧٧ ﻫ = ٧٩٨ م تولى عمر بن بهران على امارة مصر فاقام بها شهراً ثم تولى عليها ابرهيم بن صالح الى ان توفي وتولى بعدهُ عبد الله بن زهر بن الليث ثم عزل وتولى عليها سليمان بن الهاشمي ٠ ثم عزلهُ وتولى عليها جعفر بن يحيي ثم عزلهُ الرشيد وولى عليها اسحق بن سليمان ٠ وفيها ذكر الواقدي انهُ حدث ريح وظلمة وحمرة ليلة الاحد في ٢٥ محرم ثم كانت ظلمة ليلة الاربعاء في ٢٧ منهُ ثم كانت ريح شديدة وظلمة يوم الجمعة لليلة خلت من صفر وحج بالناس هرون الرشيد

وفي السنة ١٧٨ ﻫ = ٧٩٩ م كان وثوب الحوفية بمصر من قيس وقضاعة وغيرهم بعامل الرشيد اسحق بن سليمان وقتالهم اياه ٠ فوجه الرشيد هرثمة بن اعين في عدة من القواد المضمومين اليهِ مدداً لاسحق المذكور فقدموا وحاربوا حتى اذعن اهل الحوف ودخلوا في الطاعة وادوا ما كان عليهم وكان هرثمة المذكور عاملهُ على فلسطين فصرف الرشيد اسحق بن سليمان عن مصر وولى عليها هرثمة نحواً من شهر ٠ ثم صرفهُ عنهـا وولى

عليها عبدالملك بن صالح ٠ وذلك لان اهل افريقية وثبوا على عاملهم وقاتلوهُ فوجه الرشيد هرثمة بن اعين فارجعهم الى الطاعة وحج بالناس محمد بن ابرهيم بن محمد بن علي امير مكة

وفي السنة ١٧٩ هـ = ٨٠٠ م رجع الوليد بن طريف الشاري الى الجزيرة واشتدت شوكتهُ فوجه اليهِ الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فقتلهُ وتفرقت جموعهِ ٠ واعتمر الرشيد هذه السنة في شهر رمضان شكرًا لله على ما وفقه في الوليد ٠ ولما قضى عمرتهُ انصرف الى المدينة فاقام فيها الى وقت الحج وحج بالناس ومشى من مكة الى منى ثم الى عرفات وشهد المشاهد والمسافر ماشيًا ٠ وفي هذه السنة توفي هشام بن عبدالله الاموي ملك الاندلس فكانت مدة تملكهِ سبع سنين وعمرهُ احدى وثلاثون سنة فبويع بالاندلس لولده الحكيم بن هشام

وفي السنة ١٨٠ هـ = ٨٠١ م اخذ الرشيد الخاتم من جعفر بن يحيى ودفعهُ الى الى ابيهِ يحيي بن خالد وولى جعفرًا على خراسان ٠ وشخص الرشيد من بغداد قاصدًا الرقة ٠ وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب الخوارج ثم مضى الى الرقة واتخذها موطنًا ٠ وفيها حدثت زلزلة عظيمة بارض مصر فسقط راس منارة الاسكندرية ٠ ثم سار الرشيد من البصرة الى بغداد ومنها الي الحيرة فسكنها وابتنى بها المنازل واقام نحوًا من اربعين يومًا فارتحل الى مدينة السلام بسبب اساءة اهل الكوفة لهُ ٠ ومنها ارتحل الى الرقة ٠ وحج بالناس موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي

وفي السنة ١٨١ هـ = ٨٠٢ م عزل الرشيد عبدالملك بن صالح عن امارة مصر وولى عليها موسى بن عيسى ثم عزلهُ عنها وولى عليها اخاهُ عبدالله بن المهدي ثم عزلهُ وولى عليها اسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي ٠ وفيها غزا الرشيد بنفسه ارض الروم وفتح حصن الصفصاف عنوةً قال الشاعر

انَّ امير المؤمنين المصطفى قد تركَ الصفصافَ قاعًا صفصفا

ودوخ بلاد الروم وغنم غنائم كثيرة ورجع سالمًا ٠ وفيها عزل الرشيد اسماعيل بن صالح عن امارة مصر وولى عليها الليث بن الفضل مولى امير المؤمنين ٠ وفي هذه السنة احدث الرشيد عند نزوله الرقة في صدور كتبه الصلوة على محمد (صلعم) ٠ وفيها ظهر في ناحية المشرق نجم في السماء فائق الضياء مدة عشرة ايام ثم تحول الى الغرب ومكث ظاهرًا احدى وعشرين ليلة وغاب ٠ وحج بالناس هرون الرشيد

وفي السنة ١٨٢ هـ = ٨٠٣ م انصرف الرشيد من مكة الى الرقة ٠ و بايع بها لابنه

عبدالله المامون بعد ابنه محمد الامين وضمه الي جعفر بن يحيي ثم ارسله الي مدينة السلام فبويع له هناك ايضاً وولاه ابوه على خراسان وما يتصل بهـا الى همذان ولقبه بالمامون . وحملت ابنة خاقان ملك الخزر الى الفضل بن يحيي فماتت ببرذعة فرجع من كان معها من الطراخنة الى ابيهـا واخبروه ان ابنته قتلت غيلةً فحنق وتاهب لحرب المسلمين وانصرف يحيي بن خالد الى مدينة السلام . وفيهـا سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن اليون واقروا امه ريني وتلقبت باوغسطه وحج بالناس موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي

وفي السنة ١٨٣ هـ = ٨٠٤ م خرجت الخزر لسبب ابنة خاقان كما سبق من باب الابواب واوقعوا بالمسلمين هنالك واهل الذمة وسبوا فيما ذكر نحو مائة الف نفس وانتهكوا حرمة كثيرات وعملوا امراً عظيما لم يسمع بمثله في الاسلام فولى الرشيد على ارمينية يزيد ابن مزيد مع اذربيجان وقواه بالجند . ووجه هرون الرشيد معه خزيمة بن خازم حتى اصلحا الامر واخرجا الخزر وحج بالناس العباس بن موسى الهادي . وفي هذه السنة صار مطر عظيم وبرد لا يوصف الا انه من شهر مارس (اذار) امتنع المطر فنشفت الانهر والينابيع

وفي السنة ١٨٤ هـ = ٨٠٥ م ذكر ابو الفرج في تاريخه ان في هذه السنة سار الرشيد الى المدائن وعزم على هدم ايوان كسرى فكتب الي يحيي بن برمك يستشيره في ذلك فرد له جوابا ان لا تفعل . فقال الرشيد لمن حضر عنده ان يحيي في نفسه المجوسية . ثم امر بهدم الايوان وانفق على هدمه مالاً جزيلاً فلم يقدر على هدمه فأمسك عن ذلك وارسل الي يحيي يعلمه فرد عليه جواباً ان ابذل جهدك في هدمه ولو انفقت على ذلك خزائن الملك فعجب الرشيد من تقلب كلامه وارسل يساله عن ذلك . فكتب اليه اني رايت في الاول ابقاء هذا الايوان تذكاراً للاسلام والى من يرى ذلك من الاعصار الآتية من الامم فيقولون ان امة قهرت امة هذا بناؤها وازالت رسومها واحتوت على املاكها فهي امة عظيمة شديدة . واما الجواب الثاني ان تجتهد في هدمه بما اني نظرت انك شرعت في الهدم ثم عجزت عنه فاردت نفي العجز عن امير المؤمنين لئلا يقول من ياتي في الاعصار الآتية ان الاسلام عجزت عن هدم ما بنته المجوس عبدة النار . ذكر المسعودي في تاريخه ان في هذه السنة حاصر الرشيد مدينة هرقلية اربعين يوماً فاصيب خلق كثير من المسلمين وتضايق الرشيد من جرى ذلك فقال ليحيي يا ابا الفضل ماتقول في التدبير . فقال يا امير المؤمنين ان الرأي عندي انك تنادي بالعساكر ان امير المؤمنين مقيم على هذا الحصار الي ان يفتح الله . وان الناس

انقطع خشباً وتجمع حجارة لاجل البناء و ينمو هذا الخبر انك عازم على الاقامة . فاذا بلغ المحاصرين انقطع رجاؤهم وسلموك المدينة لان النبي قال اكبر باب في الحروب الخداع . فامر الرشيد بالمناداة وقطعت الناس الاخشاب وقدموا الحجارة . فلما اشتد باهل هرقلية الحصار خرج منهم رجل وكان في كامل السلاح وقال يامعشر الاسلام قد طال توقيفكم ايانا فليخرج اليّ منكم عشرة عشرة مبارزين . واراد القواد ان يخرجوا اليه . فقال يحيى ياامير المؤمنين قوادك معروفون بالفروسية وشدة البأس فاذا قتل منهم ذاك العلج احداً زاد طمعه . وكان ذلك وهناً على المسلمين . فقال الرشيد ومن يكون لذلك فانتدب رجل من الثغور الشامية وقال انا اليه يا امير المؤمنين واستعين بالله . فامرله الرشيد بفرس وسلاح فقال ذلك الرجل وكان يعرف بابن الجرجي ان فرسي اوثق لي . ثم خرج وخرج صحبته عشرون رجلاً . فقال العلج اما كان الشرط على عشرين فلماذا ازددتم واحداً . ولكن فما للكثرة من باس . فقالوا له لايخرج لك منا سوى رجل واحد . ولما انفصل اولئك الرجال عن ابن الجرجي تطاعن هو والعلج وطال بينهما الامر وزادت الحرب ولما يئس كل من صاحبه انهزم ابن الجرجي من قدام ذلك العلج فتبعه وزاد طمعه به وكان ذلك خداعاً من ابن الجرجي ولما عاينته الاسلام زاد بهم القلق فرجع ابن الجرجي الى العلج وقتله . فلما نظرت عساكر الرشيد الى العلج قتيلاً اعطت النار للمجانيق وحملوا على المدينة فملكوها عنوة ودخل الرشيد وتملك هرقلية وقيل في ذلك شعر

هوت هرقلية لما رأت عجباً ... حجارة تُرمى بالنفط والنار
كأن نيرانها من جب فلقهم ... مصقلات على ارسان ذي الصاري

﴿وقال آخر﴾

الا نادت هرقلة للخراب ... من الملك الموفق للصواب
عداها دونها تبرق منايا ... وترعد بالمذكرة الصعاب
ورايات تجول النصر فيها ... تمر كأنها مر السحاب
امير المؤمنين ظفرت فاسلم ... وابشر بالغنيمة والاياب

و بعد ماتملك الرشيد هرقلية رجع الى بغداد وكان يقول لايدوم الملك الا بعشر خصال الاولى تقوى الله في الشهوة . والثانية الصدق بالقول والعمل والوفاء بالوعد والشروط والعهد . والثالثة مشاورة العلماء فيما يحدث من الامور . والرابعة اكرام العلماء

والاشراف والقواد واهل الثغور على قدر منازلهم · والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمل والمحاسبة العادلة والمجازاة للمحسنين على احسانهم والمسيئين على سيئاتهم · والسادسة النظر في سبل الناس واسعارهم واسواقهم · والسابعة حسن تأديب الرعية في الجرائم واقامة الحدود في العدل واستيثاق المسيء واطلاق المبرّر · والثامنة افتقاد السلاح والخيل وآلات الحرب. والتاسعة اكرام الوالدين والاولاد والاقارب واعطاء كل ذي حق حقه · والعاشرة النظر في الثغور ليعلم مايخوف و يحذر منه قبل هجومه · وذكر المسعودي ان بعد رجوع الرشيد الى بغداد حدث غلاء عظيم وجوع شديد وكانت الناس في ضيق فمر الرشيد يوماً واذا بعبد بيده دائرة وهو يصفق و يرقص فامر الرشيد باحضاره وقال له و يلك اما ترى الناس حيارى من الجوع وانت بهذا الطرب · فقال العبد يامولاي ان سيدي عنده حواصل بر وانا اعلم انه لايتركني اجوع · فلاجل ذلك انا متكل عليه فقال الرشيد ان كان توكل عبد على عبد يجعله ان لايبالي بشيء فيلزم التوكل على الله اولاً وامر الناس ان يصوموا و يتضرعوا الى الله

وفي السنة ١٨٥ هـ = ٨٠٦ م حدث ابراهيم ابن المهدي قال · قال لي جعفر يوماً اني استاذنت امير المومنين في الخلوة غداً · فهل انت مساعدي فقلت جعلت فداك انا اسعد بمساعدتك · واسرّ بمحادثتك · قال فبكر اليّ بكور الغراب · قال فاتيته عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه وهو ينتظرني للميعاد · فصلينا ثم افضنا في الحديث وقدم الطعام فاكلنا فلما غسلنا ايدينا خلعت علينا ثياب المنادمة · ثم ضمخنا الخلوق ومدت الستارة · ثم انه ذكر حاجة فدعا الحاجب وقال اذا اتى عبد الملك فأنزلها عني اذا اتى قهرماني فادخله · فاتفق ان جاء عبد الملك بن صالح الهاشمي شيخ الرشيد وهو من جلالة القدر والورع والامتناع عن منادمة امير المومنين على امرٍ جليل · وكان الرشيد قد اجتهد سابقاً ان يشرب معه قدحاً واحداً فلم يقدر عليه ترفعاً لنفسه · فلما رفع الستر وتطلع علينا سقط مافي ايدينا وعلمنا ان الحاجب قد غلط بينه و بين عبد الملك القهرمان · فاعظمه جعفر وارتاع لذلك ثم قام اجلالاً له فلما نظر الينا على تلك الحال دعا غلامه فدفع اليه سيفه وعمامته · ثم قال اصنعوا بنا ماصنعتم بانفسكم · قال فجاء اليه الغلام فطرحوا عليه الثياب الحريرية وضمخوه ودعا بالطعام فاكل وشرب ثلاثاً · ثم قال ليخفف عني فان ماشربته شيء فتهلل وجه جعفر فرحاً · ثم التفت اليه وقال جعلت فداك قد بالغت في الخير والفضل فهل من حاجة تبلغ اليها مقدرتي وتحيط بها نعمتي أقضها مكافاة لما صنعت ·

قال نعم • ان في قلب امير المومنين عليّ غضباً فتسأله الرضى عني فقال له جعفر قد رضي عنك امير المومنين • ثم ماذا تريد قال وعليّ عشرة الاف دينار • فقال هي لك حاضرة من مالي ومن مال امير المومنين مثلها • ثم ماذا • قال وابني ابراهيم احب ان اشد ظهره بصهر من امير المومنين • قال قد زوجه امير المومنين ابنته العالية • قال واحب ان تخفق على راسه الالوية • قال ولاه امير المومنين على مصر • فانصرف عبد الملك بن صالح • قال ابراهيم ابن المهدي فبقيت متعجباً من اقدام جعفر على الخليفة من غير استئذان وقلت عسى ان يجيبه فيما سال من الرضى والمال والولاية • ولكن من اطلق لجعفر او لغيره تزويج بنات الرشيد فلما كان الغد بكرت الى باب الرشيد لارى ما يكون فدخل جعفر فلم يلبث حتى دعا ابا يوسف القاضي وابراهيم ابن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه على العالية ابنة الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية بين يديه • وحملت البدر الى منزل عبد الملك وخرج جعفر فاشار الينا فقال هل تعلقت قلوبكم بحديث عبد الملك فاجبتهم قائلاً لما دخلت على امير المومنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك ياجعفر فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال اي لله • فقلت سألني في رضى امير المومنين قال فبمَ اجبته قلت قد رضي امير المومنين عنك قال الرشيد قد اجزت ذلك • ثم ماذا قال وذكر ان عليه عشرة الاف دينار قال الرشيد فبمَ اجبته قلت قد قضاها امير المومنين عنك • قال قد قضيت وذكر انه راغب في ان تشد ظهر ولده ابراهيم بصهرٍ منك • قال فبمَ اجبته • قلت قد زوجه امير المومنين ابنته العالية • قال قد امضيت ذلك • ثم ماذا لله ابوك • قلت وذكر انه يشتهي ان تخفق على راس ولده ابراهيم الالوية قلت فبمَ اجبته • قلت ولاه امير المومنين على مصر • قال الرشيد وليته على ذلك • فاحضروا ابراهيم والقضاة والفقهاء وتم له جميع ذلك من ساعته • قال ابراهيم بن المهدي فوالله ما ادري ايهما أكرم واعجب فعلاً ما ابتداه عبد الملك من الموافقة وشرب الخمر ولم يكن شربها قط ولبسه ما ليس من ثياب المنادمة ام اقدام جعفر على الرشيد بما اقدم ام امضاء الرشيد جميع ما حكم جعفر عليه به • ثم انه في هذه السنة استاذن يحيي ابن خالد الخليفة في العمرة والجوار فاذن له فخرج في شعبان واعتمر عمرة شهر رمضان ثم رابط بجدة الى وقت الحج فحج • ووقعت في المسجد الحرام حينئذٍ صاعقة فقتلت رجلين وحج بالناس منصور بن محمد بن عبد الله

وفي السنة ١٨٦ هـ = ٨٠٧ م ولد للرشيد ولدٌ سماه القاسم[1] وكناه بالمؤتمن . وفي هذه السنة حج الرشيد باولاده واصحب معه وزراءه وقواده فاعطى مالاً عظيماً وتصدق بصدقات كثيرة على اهل مكة والمدينة بلغت فيما قيل الف الف وخمسين الف ديناراً وبايع المملكة لاولاده الثلاثة بالتتابع محمد الامين وعبد الله المامون والقاسم الموتمن وقسم المملكة بينهم فبايع ولده الامين بولاية العهد وجعل له العراق والشام وبعده عبد الله المامون وضم اليه من همذان الى اقصى المشرق . وبعده القاسم المؤتمن وولاه على الجزيرة والثغور والعواصم فقال بعض الناس قد احكم الرشيد امر المملكة وقال بعضهم بل القى الفساد بين اولاده وعاقبة ذلك مخيفة . ثم كتب الرشيد لابنه الامين والمامون لكل واحد كتاباً واخذ على كل واحد منهم العهود والمواثيق والشروط لاخر مدة حياته وشهد بذلك الاكابر وعلق الكتابين في الكعبة واخذ خطهما انهما الزما بما في الكتب المعلقة . وفيها توفي جعفر بن المنصور وتوفي العباس بن محمد ببغداد

وفي السنة ١٨٧ هـ = ٨٠٨ م ذكر في تاريخ الطبري انّ في هذه السنة غضب الرشيد على البرامكة فقتل جعفراً ابن يحيى البرمكي والسبب انّ الرشيد كان لا يجيئهُ صبراً على مجالسة جعفر واخته ابنة المهدي . فقال لجعفر ارى ان ازوجك باختي عباسة ليحل لك النظر اليها وانما بشرط ان لا تقربها ابداً لئلاً يبقى بيننا نسب . فاجابهُ جعفر لذلك فزوجهُ بها . وكانا يحضران معهُ الى الشراب والجلوس وعند المنام ينصرف جعفر الى مكانه . ففي بعض الايام واقعها في خلوةٍ فحبلت منهُ . فلما علم الرشيد بذلك امر بضرب عنق جعفر ابن يحيي وحبس اخاه الفضل واباهما وضبط جميع ما وراءهما ولم يزالوا في السجن الى ان ماتوا وكتب الى العمال في جميع النواحي بالقبض على جميع البرامكة . واما اختهُ عباسة فوضعها في صندوق ورماها في بئر وهي حية . وقيل بخلاف ذلك . ذكر انه كان جعفر يدخل على الخليفة بغير اذن فكره ذلك الخليفة وانتقم منه . وقيل انه بعد رجوع الخليفة من الحج كتب له محمد بن الليث رسالة يقول فيها ان يحيي ابن خالد لا يغني عنك من العدوّ شيئاً وقد جعلته فيما بينك وبين الله فكيف تجيب الله يوم الدين وهل تعتذر له بان يحيي ابن خالد المسؤول . وذكر له كثيراً من اعمال جعفر وذنوبه . ذكر المسعودي انه لما تولى هرون الرشيد الخلافة واستوزر البرامكة وانهالوا على الاموال ينهبونها حتى ان الرشيد كان احياناً يحتاج الى اليسير فما يجدهُ .

(١) ولادة القاسم كانت قبل هذه السنة بعدة سنين كما مرّ

ذكر الطبري في تاريخه انه لما بني جعفر داره غرّم عليها عشرين الف دينار . وكان الرشيد لا يمرّ في ضيعة خصبة ولا بستان جميل الاّ ويقال هذه لجعفر فقبض الرشيد على جعفر وابيه يحيى وعلى الفضل وجميع اولادهم وعمالهم وضبط اموالهم وارزاقهم وكلما ينتسب اليهم وسجنهم الاّ محمّد ابن يحيى لم ينكبهُ ولاناله منه مكروه لانه تاكد براءته مما تداخلت فيه البرامكة . ذكر المسعودي ان بعد ما قبض الرشيد على البرامكة امر مسروراً خادمه ان ياتيه براس جعفر فعجب مسرور من ذلك وقام شاخصاً . فقال الرشيد لمَ لا تذهب كما امرتك . فقال يا امير المؤمنين ان الامر الذي ذكرته لعظيم عليّ ووددت لو امرتني بسفك دمي لهان عليّ اكثر من ذلك . فقال له امضِ كما امرتك والاّ قتلتك قبله فذهب مسرور الى ان دخل على جعفر وقال امير المؤمنين امرني باخذ راسك فضحك جعفر وقال امير المؤمنين يمازحني باكثر من ذلك . فقال مسرور لقد راجعته بذلك فرأيته قطب وجهه وقال ان لم تفعل ما امرتك به جعلت موتك قبل موته . فقال جعفر ان كان ولا بدّ من ذلك فلي عليك حقوق ولا تجد لي مكافاة مثل هذه الساعة . فقال مسرور وما هي لابذل نفسي لاجلها . فقال ارجع اليه وانا معك الى ان تدخل فقل قد نفذ امر امير المؤمنين وهوذا راس جعفر خارج الباب فان رأيته ندم على ذلك فتكون حياتي على يدك وان بقي على ما امرك تعود الى خارج الباب وتتمم امره ثم سار مسرور وجعفر يتبعه مربوطاً الى ان ولج الباب فدخل مسرور وقال لقد تممت امر امير المؤمنين . قال الرشيد اين راس جعفر فقال هوذا هوعلى الباب فقال ايتني به فرجع مسرور واخبر جعفراً فاخرج منديلا من كمه وعصب به عينيه فاخذ مسرور رأسه ودخل على الرشيد فابتدأ الرشيد يعاتب الراس ويذكره بذنوبه . ثم امر الغلمان بان يقطعوا رأس مسرور وقال لا اوثر ان ارى من قتل جعفراً وانشد شعراً

لو ان جعفر هاب اسباب الردى   لنجا بمهجته طمرٌّ ملجمُ

ولكان من حذر المنون بحيث لا   يسمو اليه به الغراب القشعمُ

لكنه لما تقرب وقته   لم يدفع الحدثان عنه منجمُ

ولم يزل يحيى وولده الفضل في سجن الرشيد الى ان مات يحيى وكانت مدة وزارة البرامكة سبع عشرة سنة وسبعة اشهر وعشرين يوماً وكانوا في الجود والكرم الى الغاية كما هو مشهور عنهم حتى صار يضرب المثل بجودهم . ولم يتقدمهم من هو اكرم منهم

قال اسحق الموصلي عن اولاد يحيى بن برمك اما الفضل فيريك فعله · واما جعفر فيريك قوله واما محمد فيفعل بحسبما يجد وقال في يحيى شعراً

سالت الندى هل انت حرفقال لا ولكنني عبد ليحيى ابن خالدِ
فقلت شرىً قال لابل وراثة توارثها من والدٍ بعد والدِ

وقال في الفضل

اذا مارئ الفضل ابن يحيى ببلدة رأيت بها غيث السماحة يسكبُ
فليس بمنقبض اذا سيل حاجة ولا بمنكف الى الارض ينكبُ

وقال في محمد

سالت الندى والجود مالي اراكما تبدلتما عزاً بذل مؤبدِ
وما بال ركن المجد امسى مهدماً فقال اصبنا بابن يحيى محمدِ
فقلت وهلاً متما بعد فقده وقد كنتما عبديه في كل مشهدِ
فقالا اقمنا كي نعزي صحابه مسافة يوم ثم نلحق في غدِ

وقال في جعفر

كسوتني حللاً تبلى محاسنها فسوف اهديك من حسن الثنا حللا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث عم نداه السهل والجبلا
لاتزهدن بعرف قد بليت به فكل امرئ مخبر بالذي فعلا

ذكر ابو الفرج في تاريخه ان اصل نعمة البرامكة وما اعطاهم الله من الاموال والرفعة كان من احمد بن خالد بن محمد الاشعري الشيباني وزير المهدي حكى حسن بن سهل قال كنت يوماً جالساً عند خالد البرمكي فقال لي ياابا محمد اعلم ان اصل نعمتنا من ابي هذا الغلام واومأ بيده الى غلام كان جالساً امامه ·فقلت وكيف ذلك يا ابا الفضل فقال لما قدم ابونا من العراق صحبة المهدي ما كان يملك شيئاً وقد اشتد به الامر الى ان قال لي يا خالد انظر لنا شيئاً نقتات به فلم اجد عندي سوى منديل فاخذته الى السوق وبعته بسبعة عشر درهماً واتيت الى ابي قلت له لاننفقه الى ان يرزق الله غيره ثم سرت الى احمد وزير المهدي ابي هذا الغلام فلما رآني سلم عليّ وقال ماحال ابيك ياخالد فقلت يا ابا محمد ما حال من باع منديلاً ليقتات به فنظر اليّ ولم يجبني بجواب فانكسر قلبي ورجعت حزيناً واخبرت ابي فقال لي بئس مافعلت شكوت حالك الى رجل كان ينظرك جليلاً فكشفت له سرك واطلعته على مكنون امرك فازدريت بنفسك عنده

فمن الآن وصاعداً مابقي ينظرك الا بعين المذلة ثم ذهبت الى باب الخليفة المهدي
فاستقبلني خادم الوزير وقال لي اين كنت ياخالد لقد امرني مولاي ان ادعوك فلم اجدك
واذا احمد الوزير خارج فقال لي سر معي فتبعته الى داره ولما جلس قال للخادم احضر لي
الطحانين . ولما حضروا قال لهم اما اشتريتم غلال سواد الكوفة بثمان ماية الف درهم
قالوا نعم قال الم اشترط عليكم شركة رجل معكم قالوا نعم . قال هذا الرجل قم معهم ياخالد
فقمت معهم . ولما خرجنا قالوا لي ان هذه الشركة تحتاج الى وكلاء وكيالين ومؤونة
فهل لك ان تبيعنا حصتك بعشرة آلاف درهم فقلت لااقدر مالم اشاور الوزير ورجعت
اليه واخبرته بذلك . فقال الخيرة لك ورجعت ولم يزل عليّ شركائي الى ان بعتهم حصتي بثلاثة
عشر الف درهم فاخذت المال منهم وذهبت الى ابي واخبرته ففرح وشكر الله تعالى ودعا للوزير
ثم اشتريت داراً ونظمت امري وفي الغد دعاني الوزير وقلدني العمل في الديوان
فاصلحت امري ولم نزل في الزيادة الى ان انعم الله علينا بهذه النعمة ولما مات الوزير
كانت حرمته حاملاً فولدت هذا الغلام فاحتضنته وربيته ولم ارَ له شيئاً من
المكافأة سوى انه اذا كبر اعزل نفسي من خدمة امير المومنين واوليه مكاني لان اصل
نعمتنا من والده . ذكر ابو جرير الطبري في تاريخه قال دخلت على الرشيد يوماً امراءة
من نساء البرامكة وقالت له يا امير المومنين اقرّ الله عينك وفرحك بما اعطاك لقد حكمت
فاقسطت زادك الله رفعةً فقال لها الرشيد من تكوني ايتها المراءة قالت له من آل برمك
الذين قتلت رجالهم واخذت اموالهم . قال اما الرجال فنفذ بهم امر الله واما المال فمردود
عليك وامر برد مال تلك المراءة وقال لجلسائه ان المراءة دعت علينا دعاءً عظيماً .
قالوا وما هو يا امير المومنين . قال من قولها اقر الله عينك اي اسكن حركتها
واذا سكنت العين من الحراك فتكون عميت . ومن قولها فرحك الله بما اعطاك اخذته
من قول القرآن اذ يقول اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتةً . وقولها حكمت فاقسطت
اخذته من قوله تعالى اما القاسطون فكانوا من اهل جهنم . وقولها زادك الله رفعةً اي
بعد الرفعة يكون الهبوط . وكان الرشيد بعد زوال البرامكة لا يزال يردد هذين البيتين

ان اسهامنا اذا وقعت لتفقدنَّ ما فعلوا بها رتبه
واذا بدا للنحل اجنحة لكي يطير فقد دنا عطبه

وذكر في تواريخ الروم انَّ بهذه السنة[1] اخرج الملك قسطنطين الزبلي ملك الروم امراً

(١) في هذه السنة هاجت العصبية بالشام بين المضرية واليمانية فوجه الرشيد محمداً بن منصور

قاطعاً بان ترجع جميع الرهبان الذين في مملكته الى العالم اي تترك الاديرة وكان كل من لا يقبل امر الملك يُضرب عنقه وقد هدم الاديرة والكنائس من جميع مملكة الروم

(وفي السنة ١٨٨ هـ = ٨٠٩ م غزا ابرهيم بن جبرائيل ارض الروم ودخلها من درب الصفصاف فخرج للقائه نقفور وجرح ثلاث جراحات وانهزم وقتل من الروم ٤٠٧٠٠ واخذ ٤٠٠٠ دابة . وفيها رابط القاسم بن الرشيد بدابق وحج بالناس الرشيد وجعل طريقه على المدينة واعطى اهلها عطايا كثيرة وهذه اخر حجة حجها الرشيد

وفي السنة ١٨٩ هـ = ٨١٠ م شخص الرشيد الى الري وولى عبدالله بن مالك على طبرستان والري والرويان ودنباوند وقوص وهمذان . وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم ولم يبقَ بارض الروم مسلم الاّ وفُدي وحج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن موسى

وفي السنة ١٩١ هـ = ٨١١ م ظهر رافع ابن ليث بن نصر بن سيار بسمرقند مخالفاً للرشيد وتمرد عليه وخلعه . وخرجت الروم الى عين زربة وكنيسة السوداء فاغارت واسرت . فاستنقذ اهل المصيصة ما كان في ايديهم . وفتح الرشيد هرقلة و بث الجيوش والسرايا بارض الروم . وولى حميداً ابن معيوف على سواحل برّ الشام الى مصر فبلغ حميد قبرس فهدم وحرق وسبى من اهلها عدداً غفيراً . واتخذ الرشيد قلنسوة مكتوباً عليها غازٍ حاجّ . وخرج خارجيٌّ من عبد القيس يدعى سيف ابن بكر فوجه الرشيد محمداً بن يزيد بن مزْيد فقتله . ونقض اهل قبرس العهد فغزاها معيوف بن يحيي ثانيةً وسبى اهلها وحج بالناس عيسى بن موسى الهادي

فاصلح بينهم وفيها زلزلت المصيصة فانهدم بعض سورها ونضب ماوها ساعةً من الليل . وغزا القاسم هذه السنة ارض الروم ونجح نجاحاً عظيماً . وفيها نقض صاحب الروم الصلح الذي جرى بين الذي قبلهُ و بين المسلمين . وذلك ان الروم بعد مدة قاموا على ريني التي عملت الصلح وخلعوها . ثم بعد مدة ماتت فملكوا عليهم نقفور امن اولاد جفنة من غسان فكتب جواباً للرشيد هذه صورتهُ ان الملكة سالفتي اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق وحملت اليك من اموالها ما كنت خليقاً بحمل امثالها لها لكن ذلك ضعف النساء وحمقهنّ فاذا قراءت كتابي فاردد ما وصل الك من اموالها وافتدِ نفسك والاّ فالسيف بيننا و بينك فاجابهُ الرشيد بهذه الصورة من هرون الرشيد اميرالمومنين الى نقفور كلب الروم قد قراءت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ان تسمعهُ والسلام . ثم شخص من يومهِ وسار حتى اناخ بباب هرقلة ففتح وغنم واصطفى واقال وخرّب وحرّق فطلب نقفور المصالحة على خراج يوديهِ كل سنة فاجابهُ الى ذلك . ولما رجع الخليفة للرقة نقض نقفور العهد

وفي السنة ١٩١ هـ = ٨١٢ م خرج خارجي يدعى شروان بناحية السواد[1] فوجه اليه الرشيد طوقاً ابن مالك فهزمه وجرحه وقتل اصحابه · وخرج ابو النداء بالشام فوجه اليه الرشيد يحيي بن معاذ فاوقفه وعقد له على الشام اي ليحيي · وفيها وقع ثلج بمدينة السلام · وفيهـا امر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور وكتب الى السندي بن شاهك يامره بان ياخذ اهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم وحج بالناس الفضل ابن العباس بن محمد بن علي

وفي السنة ١٩٢ هـ = ٨١٣ م وافى الرشيد من الرقة في السفن يريد مدينة السلام ومنهـا يريد الشخوص الى خراسان لحرب رافع الخارجي الذي ظهر في سنة ١٩٠ كما سبق واستخلف بالرقة ولده القاسم وضمّ اليه خزيمة بن خازم · وتحركت الخرمية باذربيجان فوجه الرشيد اليهم عبدالله بن مالك في عشرة الاف فارس فاسر وسبى منهم جمعاً غفيراً فامر الخليفة بقتل الاسارى وبيع السبي · وقدم يحيي بن معاذ بابي النداء الشامي الخارجي على الرشيد بالرقة فقتله · وقدم الهيثم اليماني بابن عايشة و بعدة من سكان قرى مصر وحج بالناس العباس ابن عبدالله بن جعفر)

وفي السنة ١٩٣ هـ = ٨١٤ م توفي الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بالحبس ومات سعيد الطبري المعروف بالجوهرجي ووافى هرون الرشيد جرجان في شهر صفر فوافته بها خزائن علي بن عيسى على الف وخمسمائة بعير، ثم رحل من جرجان وهو عليل الى طوس وارسل ابنه المأمون في العساكر لحرب رافع فولى المأمون هرثمة حرب رافع واصحابه فغلبهم واسر أخا رافع وأحضره الى الرشيد فقال الرشيد وهو مريض لو لم يبق من أجلي الا أن أحرك شفتي بكلمة واحدة لقلت اقتلوه وأمر جزاراً بتقطيعه قطعاً ولما اكمل ذلك توسل الرشيد الى الله رافعاً يديه وقائلاً اللهم كما مكنتني من ثارك وعدوك فبلغت فيه رضاك مكني من أخيه ثم اغمي عليه وبعد ثلاثة أيام مات الرشيد بطوس في قرية تعرف بسناباذ ودفن في البستان · وقيل ان موته حدث في موضع يدعى المثقب في دار حميد بن ابي غانم ليلة السبت في ٣ جمادى الآخر وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل ابن الربيع واسماعيل بن صبيح ومن خدمه مسرور وحسين ورشيد وكانت خلافته ثلاثة وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما وكان عمره ٤٥ سنة وقيل ٤٧ وكان الرشيد جميلاً وسيما ابيض جعداً وقد وخطه الشيب وكان حليماً جواداً تقياً

(١) قسم من العراق ذو ارض خصبة يسمى به لخضرة اشجاره وزروعه مشهور جداً في التاريخ

يصلي كل يومماية ركعة و يتصدق من ماله الخاص كل يوم الف درهم ولما توفي كان في بيت المال تسعماية الف الف درهم ونيف . ذكر الطبري قال لما اشتدت العلة على الرشيد وهو في طوس استدعى بني هاشم وقال اعلموا ان كل مخلوق مائت وقد حل بي ماترون وانا اوصيكم في ثلاثة. الحفظ لامانتكم والنصيحة الى ايمانكم والاجتماع لكلمتكم . وانظروا الى اولادي محمد وعبد الله فمن بغى منهما على اخيه ردوه عن بغيه وانكثوا عهده . قيل ان الرشيد كان خائفاً من وقوع الفتنة بين الامين والمأمون . ذكر المسعودي ان الرشيد كان منعكفاً على الملذات ومحادثة الظرفاء والاحاديث المطربة مداوماً على شرب الراح . حكى ابو النواس قال دعاني الرشيد يوماً فدخلت عليه وهو جالس في بستان وامامه حظايا كالاقمار وهن يلعبن بآلات الطرب و يغنين باصوات حسان فقلت السلام على امير المؤمنين اقامت القيامة هذا اليوم . فقال نعم على اهل المحبة فقلت ادام الله ايامك بالهنا والسعادة . ثم امرني بالجلوس فجلست وقال ياابا النواس مايطيب في يومنا هذا ? فقلت قهوة حمراء في زجاجة بيضاء من يد ظبية هيفاء فضحك وامر باحضار ابنة المدام فشربنا وقال انشد ياابا النواس فانشدت هذين البيتين

كم قد ظفرت بمن اهوى فيسعفني منه الفكاهة والتأنيس بالنظر
اهوى الملاح وأهوى أن اجالسهم وليس لي في حرام منهم وطري

فقال الرشيد حياك الله يا ابا النواس فهل لك طاقة على ذلك قلت نعم يا امير المؤمنين. قال وكان من جلساء الرشيد في المنادمة عبدالله بن جعفر . وكان من احسنهم ظرفاً . حكى انه خرج عبدالله يوماً في ازقة بغداد فسمع غناء في دار وجارية تغني هذا البيت وتردده

قل للكرام الى ابوابنا يلجوا ما في التصابي على اهل الهوى حرجُ

فدخل عبدالله الدار فقام له الجلوس واحتفلوا به اجلالاً لقدره . ولما جلس قال صاحب المنزل ما هذا الدخول يا مولاي فقال عبدالله اني سمعتُ جاريةً تقول قل للكرام الى ابوابنا يلجوا فولجنا وسمعنا قولها . فان كنا كرام فولجنا وان كنا لئام فنخرج . فقاموا اليه وقبلوا يدهُ وترحبوا به . قال ابو الفرج وكان من الاطباء في ايام الرشيد جبرئيل ابن بختيشوع حكى انه في بعض الايام رفعت يدها حظية الرشيد فبقيت مبسوطة في الهواء لا تقدر ان تحركها البتة فعالجها الاطباء في التمريخ والادهان فلم تنتفع من ذلك . فقال جبرئيل ان لم يغضب امير المؤمنين فلها عندي حيلة فقال

الرشيد وما هي فقال جبرائيل يا امير المؤمنين لتحضر الجارية الى ههنا بحضرة الجميع واعمل بها ما اريد فامر الرشيد باحضارها وحين دخلت اسرع اليها جبرائيل ومسك يديها كانه يريد ان يكشف عورتها فانزعجت الجارية ومن شدة الحياء بسطت يدها الى اسفل تريد ان تستر حالها فقال جبرائيل برأت يا امير المؤمنين فقال الرشيد للجارية حركي يدك فحركتها فعادت صحيحة كالعادة فعجب الرشيد من ذلك وسال جبرائيل عن تلك العلة . فقال ان الصبية انصبّ في اعضائها خلط رقيق بارد فيبست يدها فقصدت ان احرك لها الحرارة . فاحبهُ الرشيد وامر لهُ بالف دينار . ذكر المسعودي ان الرشيد كان جالساً يوماً على المائدة فقدمت له سمكة فامر جبرائيل ابن بختيشوع برفعها . ثم انصرف فقال الرشيد للخادم انظر ان كان جبرائيل ياكل من السمكة ام لا . فذهب الخادم ثم رجع واخبر الرشيد انه كان ياكل منها . فاستدعاه الرشيد وقال يا جبرائيل لقد اخترت لنفسك ما هو لي وفضلت ذاتك عليّ فقال لا يا امير المؤمنين وانما صحتك بمقام حياتي ثم استدعى سمكة مثل تلك وقدحين ووضع من السمكة في قدح وصبّ عليها خمراً وقال هذا ماكول جبرائيل ووضع البعض من السمكة الاخرى في القدح الثاني ووضع معها لحماً وحلاوة متنوعة وصبّ عليها ماءً بارداً وقال هذا ماكول امير المؤمنين . ثم رفع القدحين الى مكان وبعد ساعة احضرهما امام الرشيد . واذا بالقدح الذي فيه الخمر تفتتت السمكة فيه وتلاشت . والقدح الثاني قد انتن ما به وصعدت منه رائحه كريهة فلما نظر الرشيد الى ذلك امر لجبرائيل بماية الف درهم وقال من يلمني في محبة جبرائيل وهو حافظ صحتي . ومن الاطباء في ايام الرشيد يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني ولاه الرشيد على ترجمة الكتب السرية القديمة وعاش الى ايام المتوكل وله تصانيف مفيدة في كل نوعٍ من العلوم باحسن عبارة واقرب اشارة . وكان يدرّس وله تلاميذ كثيرة وكان يوحنا ضيق الصدر وفي كلامه حدة وكان في حديثه الفاظ مضحكة . حكى ان رجلاً شكى الى يوحنا علة كان شفاؤها بالفصد فاشار عليه به فقال الرجل ما اعتدت عمري الفصد . فقال يوحنا ولا احسبك ايضاً اعتدت العلة من بطن امك . وشكا الى يوحنا يوماً رجل به وجع معدة فقال استعمل الجوارش فقال الرجل قد استعملت ذلك . فقال استعمل الكمون قال استعملت منه جملة . ووصف له جملة ادوية ويدعي الرجل انه استعملها . فغضب يوحنا وطرده . ومن اطباء الرشيد صالح بن نهلة الهندي ومن اعجب ما جرى له ان الرشيد كان يوماً جالساً على المائدة فدعا جبرائيل بن

بختيشوع ليجلس معه كما جرت العادة لهولما حضر قال له اين كنت فقال عند ابن عم امير المؤمنين ابرهيم بن صالح وقد تركته ما بين حيٍّ وميت وربما يفارق الدنيا عند صلوة العصر. فاشتدجزع الرشيدمن ذلك وامربرفع المائدة وقال لصالح الطبيب امض اليه واعلمني بالحال فمضى ورجع وقال للرشيد ان اصاب هذا الرجل سوء فانا اكون واياه دفينًا معًا ولما كان عندالعصر اعلموا الرشيد بوفاة ابرهيم بن صالح فامر بدفن صالح بن نهلة معهُ . فقال ان كان ابن عمك مائتًا فادفن انا معه . ثم مضى والرشيد الى ان دخلا المكان الذي فيه ابرهيم وجملة من خواصهِ يبكون ثم تقدم صالح واخذابرة وادخلها تحت ظفر ابهامهِ وردها الى صدرهِ فقال صالح يا امير المؤمنين هل المائت يشعر بوجع . ثم انه وضع شيئًا في انفهِ فاضطرب بدنه وعطس وقام جالسًا . وعاش بعد ذلك ابرهيم وتولى على مصر ومات هناك . قال ابن عباس أُوشي للرشيد ان بدمشق رجلاً من بني امية ذا ثروة وجاه يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة . فقال لي يامنارة اذهب هذه الساعة الى دمشق وخذ معك ماية نفر وايتني بفلان الاموي وخذ هذا الكتاب الى العامل ولا توصله الاَّ اذا امتنع عليك وان اجاب فقيده وايتني به بعد ان تحصي جميع ما له . قال فسرنا ولما دخلنا دمشق سالت عن داره فارشدوني وهجمت عليها بغتةً فرايتها دارًا عظيمة ذات نعم وافرة وخيرات متكاثرة وخدام وغلمان جلوس وقيام . فلما دخلنا تبادروا الينا وسالوني عن حالي فقلت لهم رسول الخليفة . ولما صرت في وسط الدار رايت قومًا فظننت ان الرجل بينهم فسالت عنه فقيل انه في الحمام ثم اجلسوني في مكان وقدموا لنا الاكرام وبعد ساعة قدم الرجل من الحمام وحوله جماعة كثيرة فسلم عليَّ وسالني عن امير المؤمنين فاخبرته انه بحمد الله بالعافية ثم جلس واجلسني بالقرب منه وسالني عن اسمي فقلت له اني منارة ابن العباس القرشي . فقال حي الله بني قريش . و بعد قليل قدم الطعام الذي لم ارَ مثله في دار الخليفة . فقال لي تقدم على الرحب والسعة . فقلت ليس لنا حاجة بالزيادة . ثم بعد الطعام قدمت صواني الحلاوى . فقال تقدم يا منارة فاكلت قليلاً ونظرت الى اصحابي فلم ارَ غير القليل وقد تفرقوا لانهم لم يدروا سبب حضوري و بقيت حائرًا ماذا اصنع لكثرة الخدم الموجودين امامي . ثم بعد ان غسل يديه اتوا اليه بالبخور . ثم قام فصلى واتمَّ السجود والركع واكثر من الركوع مدة طويلة . وبعد ذلك قال ما اقدمك الينا يا اخي منارة فناولته كتاب الخليفة فقبله ووضعه على راسهِ ولما قراءهُ امر باحضار جميع خواصه واهل بيته واصحابه فحضروا

وضاقت الدار بهم على متسعها فطار عقلي وظننت انه يريد القبض عليّ وقال لاصحابه اني ذاهب الى امير المؤمنين واوصاهم في الحريم والاموال واشياء كثيرة سرية ثم تقدم اليّ وقال ضع قيدك وبسط رجليه فوضعت القيد برجليه وخرجنا الى خارج الدار فركب على جمل وسرنا بهِ طالبين الكوفة وقد رايت وجهه يتهلل فرحاً ولما سرنا خارج دمشق بدا يحادثني بانشراح ويقول هذه الضيعة تعمل لي في كل سنة كذا وكذا . وهذا البستان هو لي وفيه غرائب الاشجار واطيب الاثمار . وهذه المزارع يحصل لي منها كذا قدراً ووجهه يضحك فقلت لهُ يا هذا الست تعلم انك ذاهب الى امير المؤمنين ولا تعلم ماذا يصنع بك . وقد اخذت مقيداً من بين اهلك واناسك وتركت نعمتك واولادك وهم في همّ عظيم لفقدك وانت الان تحدثني حديثاً غير موافق لك ولا نافع لامرك ولا انا سائلك عنهُ وكأن شغلك بنفسك اوجب لك . فقال لي انا لله وانا اليه راجعون لقد اخطأت فراستي فيك يا منارة وما كنت اظن انك عند الخليفة بهذ المقام الاّ من وفور عقلك وثقتك بالله . والان قد بان لي انك جاهل ولستَ بصالح لمنادمة الخلفاء . واما انا فاني على ثقة من ربي الذي بيده امور امير المؤمنين الذي لا يقدر احد يضرني الاّ بمشيئته فان كان قد اراد الله لي ضرراً فمن يردُّ ما قضى به عليّ خالقي . واعلم ان امير المؤمنين يخاف الله فاذا اطلع على سريرتي لا يريد مضرتي . ثم ان الرجل قطب وجهه عني وقال عليّ عهد الله لست اكلمك يا منارة الاّ جواباً ولم نزل سائرين الى ان وصلنا الكوفة فدخلت على الرشيد وقبلت الارض فسالني عن غربتي فاخبرته بجميع ما جرى لي وقد كنت انظر الغضب يظهر في وجهه . فلما قلت له حين قرأ امر امير المؤمنين قدم رجليه اليّ وقال السمع والطاعه رايت وجه امير المؤمنين تهلل بالفرح . ثم اخبرته ما جرى لنا في الطريق في الحادثة وعظم اتكال الرجل على الله قال الرشيد هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه من اعدائه اخرج اليه وانزع قيده وايتني به فخرجت اليه وطيبت قلبه ودخلت به لحضرة الملك فامر لهُ بالجلوس واعتذر اليه وقال لهُ اطلب حاجتك فقال سرعة العود الى مكاني . قال فخلع عليه امير المؤمنين وسيره لاهله وقال ارجع معهُ يا منارة فرجعنا في الحال . فقال لي كيف رايت يا منارة التوكل على الله سبحانه وتعالى . ثم وصل الرجل الى بيته بكل خير ورجعت من عنده مكرماً.

الفصل السادس

في خلافة محمد الامين بن هرون الرشيد وهو السادس من العباسيين

وفي هذه السنة بويع بالخلافة الى محمد الامين بن زبيدة يوم توفي ابوه الرشيد بطوس وهو السادس من الخلفاء العباسيين وكان اخوه المأمون يومئذ بمرو مسافراً وكان كتب للامين حمويه مولى المهدي صاحب البريد بطوس الى ابي مسلم سلام مولاه وخليفته ببغداد على البريد فاعلمه بموت الرشيد فدخل على محمد وعزاه وهناه بالخلافة وكان اول من فعل ذلك ثم قدم عليه رجاء الخادم يوم الاربعاء في ١٤ جمادى الآخرة فاظهر الخبر يوم الجمعة وتحول الامين من قصر الخلد الى قصر ابي جعفر بالمدينة وامر الناس بالحضور يوم الجمعة فحضروا وصلى بهم ولما اتم صلاته صعد المنبر ونعى الرشيد وعزى نفسه والناس ووعدهم خيراً · وبايعه جلة اهل بيته وخاصته ومواليه وقواده ثم دخل ووكل في مبايعته عم ابيه سليمان ابن ابي جعفر · وفي هذه السنة ابتداء الخلاف بين الامين والمأمون فيما كان والدهما اخذ عليهما العهود بالعمل في الكتاب الذي ذكرناه قبلاً · وفيها شخصت ام جعفر (زبيدة) من الرقة بجميع ما كان معها من الخزائن فلاقاها ابنها محمد الامين بالانبار في جميع من كان ببغداد من الوجوه · واقام المأمون على ما كان يتولى عليه من عمل خراسان ونواحيها الى الري · وكاتب الامين واهداه هدايا كثيرة · وفيها دخل هرثمة حائط سمرقند والجأ رافع الى المدينة الداخلة وراسل رافع الترك فوافوه · ثم انصرف الترك فضعف رافع · وقتل في هذه السنة نقفور ملك الروم وكانت مدة تملكه سبع سنين وملك بعده استبراق بن نقفور وهو مجروح فبقي شهرين ومات وملك ميخائيل بن جورجس ختنه على اخته · واقر محمد الامين اخاه القاسم على ما كان ابوه هرون ولاه عليه من عمل الجزيرة واستعمل عليها خزيمة بن خازم · وحج بالناس داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي والي مكة ·

وفي السنة ١٩٤ هـ = ٨١٥ م خالف اهل حمص عاملهم من قبل الامين فصرفه عنهم وولى عليهم مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي الذي قتل عدة من وجوههم وحبس عدة وحرق مدينتهم فسألوه الامان فاجابهم · فسكنوا ثم هاجوا فضرب اعناق عدة منهم · وفيها عزل محمد اخاه القاسم عن جميع ما كان ابوه هرون ولاه عليه من عمل الشام

وقنسرين والعواصم والثغور وولى مكانه خزيمة بن خازم وامره بالمقام في مدينة السلام وامر الامين بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالامارة . ومكر محمد الامين وعبد الله المأمون كل منهما باخيه وظهر بينهما الفساد . وجعل محمد وزيره وصاحب امره عليًا بن عيسى بن ماهان وعلى شرطه محمدًا بن عيسى بن نهيك . وفيها وثب الروم على ميخائيل ملكهم فهرب وترهب وكان ملكه سنتين وملك عوضه ليون القائد

وفي السنة ١٩٥ ﻫ = ٨١٦ م اسقط محمد الامين ما كان ضرب لاخيه المأمون من الدنانير والدراهم في السنة السالفة لان المامون لم يضرب عليها اسم محمد وكان يقال لتلك الدراهم والدنانير الرباعية وكانت لا تجوز حينًا . ونهى الامين عن الدعاء على المنابر في عمله كله للمامون والقاسم وامر بالدعاء له وحده ثم من بعده لابنه موسى وهو طفل صغير ولقبه الناطق بالحق . وعقد الامين لعلي ابن عيسى بن ماهان على كور الجبل كلها نهاوند وهمذان وقم واصفهان حربها وخراجها وضم اليه جماعة من القواد . اي ولاه على كل ولاية المامون ومحاربته فشخص الى الري لمحاربة المامون . وكان اهل خراسان قد بايعوا المامون وجرت مكاتبات كثيرة بين الاخرين للصلح فلم تفلح ولما عزم علي ابن عيسى على المسير من بغداد دخل الى قصر زبيدة ام الامين ليودعها فقالت له ياعلي اعرف حق عبدالله المامون ولا تقسره اقتسار العبيد وان ظفرت به لا تعنف عليه وان شتمك احتمله ثم دفعت له قيدًا من الفضة وقالت له قيده بهذا القيد ان وقع بيدك . ثم خرج علي بن عيسى بعشرة الاف فارس والتقاه المامون باربعة الاف فارس . وفي مقدمتهم طاهر ابن الحسين وزحفت الجيوش بعضها على بعض فقويت جماعة المامون على عساكر الامين وهزموهم لان المامون كان عظيماً في الحرب . ثم ان الامين جدَّد العساكر صحبة علي ابن عيسى فقال ارباب الدولة له لا تفعل يا امير المومنين فليس ذلك بصواب ولا تنكث عهد اخيك وقد ولاَّه عليه والدك واتركه بولاية خراسان ولا تنقض ميثاقه ولا تجرِ الخلع فيخلعوك ولا تنكث فينكثوا عهدك . فلم يقبل الامين ذلك وسير عليًا بن عيسى كما سبق وكان المأمون سير طاهرًا سردار عسكره الى العراق على طريق الاهواز وسير هرثمة على طريق حلوان . ولما اقترب علي بن عيسى من طاهر ابن الحسين وكان مقيماً في رستاق من رساتيق الرها فاقبل طاهر باربعة آلاف واشرف على عساكر علي بن عيسى ونظر كثرتها وهي منبسطة في تلك الارض فتوهم منها وكردس خيله كراديس وثبت في القلب مع الخوارزمية وفرسان خراسان فخرج العباس بن الليث واصطدم مع

طاهر فقتله طاهر وانهزم جيش الامين فادرك احمد بن هاشم عليًا ابن عيسى وقتله وكتب طاهر الى المأمون يعلمه بذلك و يذكر له اطال الله بقاك لقد نكبت اعداك فواصل كتابي اليك وراس علي ابن عيسى بين يديك والحمد لله رب العالمين . فسرّ المامون بذلك واستبشر بالنجاح . ثم ان طاهرًا سار فنزل في حلوان وقد تعجبت الناس من هزيمة عساكر الامين وقال في ذلك الشاعر

عجبت لمعشر يرجون نجحًا ... لامرٍ ما تتمُ به الامورُ
وكيف يتم ماعقدوا وراموا ... واس بنائهم منه الفجورُ
اهاب الى الضلال بهم غويٌّ ... وشيطانٌ مواعده غرورُ
يصيب بهم و يلعب كل لعبٍ ... كما لعبت بشار بها الخمورُ
وكادوا الحق والمامون غدرًا ... وليس بمفلح ابدًا غدورُ
هو العدل النجيب البرُّ فينا ... تضمن حبه منا الصدورُ
وعاقبة الامور له يقينًا ... به شهد الشريعة والزبورُ
فيملك اربعين لها وفاءٌ ... يتم به الاهلّة والشهورُ
فكيدوا اجمعين بكل كيدٍ ... وكيدكم له فيه سرورُ

وفي السنة ١٩٦ ﻫ = ٨١٧ م رفع المامون منزلة الفضل ابن سهل وقدره وولاه على جبل همذان الى جبل سقينان والتبت طولاً من بحر فارس والهند الى بحر الديلم وجرجان . وولى محمد الامين عبد الملك بن صالح بن علي على الشام وامره بالخروج لمقاتلة طاهر وهرثمة ولكنه توفي بهذه السنة . وفيها توجه طاهر بن الحسين حين قدم عليه هرثمة من حلوان الى الاهواز فقتل عامل محمد عليها وهو محمد بن يزيد المهلبي . واخذ طاهر بن الحسين المدائن من اصحاب محمد ثم سار منها الى صرصر فعقد عليها جسرًا . وفيها خلع داود بن عيسى عامل مكة والمدينة محمدًا وهو عامله يومئذٍ عليها و بايع المأمون واخذ المبايعة له على الناس وكتب بذلك الى طاهر والمأمون وتوجه بنفسه الى المأمون . وكتب الى سليمان بن داود بن عيسى الوالي على المدينة يامره ان يفعل باهل المدينة كما فعل هو باهل مكة من خلع محمد والمبايعة الى عبد الله المامون . وحج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي

وفي السنة ١٩٧ ﻫ = ٨١٨ م لحق القاسم بن هرون الرشيد ومنصور بن المهدي بالمامون في العراق فوجه القاسم محمدًا ابن هارون الى جرجان وفيها طاهر وهرثمة وزهيرا بن المسيب

من بغداد . قال المسعودي وقد تذمرت الناس على الامين لغدره باخيه وقال سليمان بن جعفر لعن الله الغدار ماجلب على الامة بغدره وانتشرت عساكر المامون حول بغداد فنزل طاهر بن الحسين مما يلي الشرق ونزل هرثمة مما يلي النهر بالقرب من باب خراسان فجمع الامين وجوه دولته وقال لهم انني محتال على نفسي واولادي ان افارقكم بقلب موجع ونفس حزينة واسأل الله ان يلطف بي بالمعونة . ثم كتب الى طاهر انك سمحت فنصحت وحاربت فانتصرت . والآن اريد منك الامان على نفسي واولادي فلما قرأ طاهر كتاب الامين قال ولاالذي روحي في يده لا اؤمنه حتى يضع يده يدي وكتب اليه

قل لامين الناس في نفسه ماشتت الجند سوى الغالية
وطاهرٌ في نفسه طاهرٌ برسله والعدة الكافية
اضحى زمام الملك في كفه مقابلاً للفيئة الباغية
قد جاءك الليث بيد انه مستكلبٌ في اسدٍ ضاريه
فاهرب فلامهرب من مثله حقاً الى النار والهاوية

وفيها استأمن الموكلون بقصر صالح من قبل محمد وكانت الوقعة المهولة على اصحاب طاهر بقصر صالح . وفيها استامن بن عائشة الى طاهر وكان قد قاتل مع محمد حيناً بالناشرية وحدثت عدة مواقع مع محمد الى ان ضعف امره وايقن بالهلاك ثم انتقل طاهر من الناشرية فنزل بباب الانبار وحاصر اهل بغداد وغادى القتال وراوحه حتى تواكل الفريقان وخربت الديار وعفت الاثار وغلت الاسعار وقاتل الاخ اخاه والابن اباه هولاء امينية وهولاء مأمونية وهدمت المنازل واحرقت الديار وانتهبت الاموال فقال الشاعر في ذلك

تقطعت الارحام بين العشائرِ واسلمهم اهل التقى والبصائرِ
فذاك انتقام الله من خلقه بهم لما اجترموه من ركوب الكبائرِ
فلا نحن اظهرنا من الذنب توبة ولا نحن اصلحنا فساد السرائرِ
ولا نستمع من واعظٍ ومذكرٍ فينجع فينا وعظ ناهٍ وآمرِ
فابكِ على الاسلام لما تقطعت رجاءً ورجى خيرها كل كافرِ
فاصبح بعض الناس يقتل بعضهم فمن بين مقهورٍ عزيزٍ وقاهرِ
وصار رئيس القوم يحمل نفسه وصار رئيساً فيهم كل شاطرِ

فلا فاجرٌ للبر يحفظ حرمةً   ولا يستطيع البر دفعاً لفاجرِ
تراهم كأمثال الذئاب رأت دماً   فامته لا تلوي على زجر زاجر
واصبح فساق القبائل بينهم   تسل على اقرانها بالخناجر
فابك لقتلى من صديق ومن اخٍ   كريم ومن جار شقيق مجاور
ووالدةٍ تبكي بحزن على ابنها   فيبكي لها من رحمة كل طائر
وذات حليلٍ اصبحت وهي ايمٌ   وتبكي عليه بالدموع البوادر
تقول له قد كنت عزّاً وناصراً   فغيب عني اليوم عزي وناصري
وابك لاحراق وهدم منازل   وقتل وانهاب اللهى والذخائر
وابرز ربات الخدور حواسرا   خرجن بلا خمر ولا بمآزر
تراها حيارى ليس تعرف مذهبا   نوافر امثال الظباء النوافر
كأن لم تكن بغداد احسن منظراً   وملهىً رأته عين لاه وناظر
بلى هكذا كانت فاذهب حسنها   وبدّد منها الشمل حكم المقادر
وحلّ بهم ما حل بالناس قبلهم   فاضحوا احاديثاً لبادٍ وحاضر
ابغداد يادار الملوك ومجتبى   صروف المنايا مستقر المنابر
ويا جنة الدنيا ويا مطلب الغنى   ومستنبط الاموال عند الضرائر
أبيني لنا اين الذين عهدتهم   يحلون في روض من العيش زاهر
واين ملوك في المواكب تغتدي   تشبه حسناً بالنجوم الزواهر
واين القضاة الحاكمون برأيهم   لورد امور مشكلات الاوامر
او القائلون الناطقون بحكمة   ورصف كلام من خطيب وسائر
واين مراحٌ للملوك عهدتها   مزخرفة فيها صنوف الجواهر
ترش بماء المسك والورد ارضها   يفوح بها من بعد ريح المجامر
وروح الندامى فيه كل عشيةٍ   الى كل فياض كريم العناصر
ولهو قيان تستجيب لنفسها   اذا هو لباها حنين المزامر
فما للملوك العز من آل هاشم   واشياعهم فيها اكتفوا بالمغادر
يروحون في سلطانهم وكانهم   يروحون في سلطان بعض العشائر
يجادل عما نالهم كبراؤهم   تغالتهم بالكره ايدي الاصاغر
فاقسم لو ان الملوك تناصروا   لذلت لهم خوفاً رقاب الجبابر

وفي السنة ١٩٨هـ = ٨١٣ م ترك خزيمة بن خازم محمداً الامين واستامن الى طاهر ابن الحسين . قال وقدم المأمون الى العراق وضاق الامر بالامين حتى انفق كلما في خزائنه على الجند ثم ارسل الى هرثمة فاستماله اليه ووعده ان يمنع عنه كل من يقصد اذيته وانه يرسل له في الليل حراقة الى مشرع باب خراسان ويسير بن يريده ويأمن على نفسه . ففرح الامين وهم على ذلك فدخلت عليه فتيان الانبار وقالوا له ياامير المومنين انما هذا الذي عازم عليه يورثك الندم فلا تأمن الى اعدائك وترمي روحك بين مخالبهم ونحن سبعة الاف رجل فاركب معك ونخرج قدامك ليلاً ونقاتل كل من يتعرض لنا ونسير الى الشام اوالى مصر ونجمع العساكر والاموال ونعود بدولة جديدة فلم يقبل الامين رايهم . ثم قدم هرثمة بالحراقة الى باب خراسان وودع الامين اولاده وعياله وبكى وقال هذا اخر عهدي بكم والله خليفتي عليكم وخرج الى ان بلغ باب خراسان بالحراقة وقبل هرثمة بين عينيه وكان قد بلغ ذلك طاهرا ابن الحسين فارسل الرجال بالزوارق ولم يكن مع هرثمة عدة من رجاله فقلبوا الحراقة ونجا هرثمة على زورق . واما الامين فخرج الى الناحية الاخرى فاخذه رجال طاهر وقطعوا راسه . وكان يصرخ انا ابن الرشيد انا اخو المامون انا خليفة رسول الله . فلم يلتفت احد لكلامه واخذوا راسه الى طاهر ودفنوا جثته في بعض تلك البساتين . ولما قدموا براسه الى طاهر قال الحمد لله مالك الملك يولي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء بيدك الشر والخير وانت على كل شيء قدير . ثم اخذ الراس وسار الى خراسان . ولما قدم راس الامين الى المامون بكى واشتد التأسف عليه . فقال الفضل بن سهل اتق الله فانه كان يوثر ان يراك كما رايته . ثم امر المامون بحفظ راس الامين واصحبه معه الى ان دفنه حيث كانت الجثة قال ولما بلغ زبيدة قتل ولدها الامين بكت وانتحبت وكتبت الى المامون شعرا

لخير امام قام من خير عنصر ... وافضل راق فوق اعواد منبر
ووارث علم الاولين وفخرهم ... وللملك المأمون من ام جعفر
كتبت وعيني تستهل دموعها ... اليك ابن عمي مع جفوني ومحجري
اصبت بادنى الناس منك قرابة ... ومن زال عن كبدي فقل تصبري
اتى طاهر لاطهر الله طاهراً ... وما طاهر في فعله بمطهر
فابرزني مكشوفة الوجه حاسراً ... وانهب اموالي واخرب ادؤري
يعز على هرون ما قد لقيته ... وما نالني من ناقص الخلق اعور

فان كان ما اسدى لامر امرته صبرت لامرٍ من قدير مقدر

ولما وصل كتاب زبيدة الى المأمون بكى وامر ان يرد كلما لها وكتب اليها اني اقول كما قال علي ابن ابي طالب ما امرت بقتل عثمان ولا رضيت به • قال ابو الفرج في تاريخه ان الامين كان ضعيف الرأي جبانا في الحرب تغلبت مواليه على احكامه • ولما بويع له بالخلافة اتخذ الخصيان لخدمته وجعلهم ندماءه في خلوته وارسل الى جميع البلدان في طلب جميع اصحاب الملاهي وضمهم اليه واجرى عليهم الارزاق واحتجب عن اهل بيته وقواده وبنى مجالس للمنتزهات وهيأ الجوار واصعد هنّ اليه بايديهن العيدان يغنين باصوات حسان • قيل لما اتاه الخبر بقتل علي ابن عيسى وهزيمة عساكره كان في ذلك الحين يصطاد سمكاً • فقال للذي اتاه بالخبر دعني فان كوثرا قد اصطاد سمكا وانا لم اصطد شيئاً وكان كوثر من بعض مماليكه وكان يحبه محبة عظيمة • ذكر المسعودي ان الامين قبل انقراض دولته ارسل في طلب عمه ابراهيم ابن المهدي فحضر اليه وكانت ليلة مقمرة من ليالي الصيف وقال ياعم انا مشتاق اليك الى مثل هذه الليلة وكان جالسا على سطح داره وعنده جارية تغني له فقال انشديني شيئاً لانني قد سررت بعمي ابراهيم فانشدت

فهم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوما بكسرى مرازبه

بنو هاشم كيف التواصل بيننا وعند اخيه سيفه وجلايبه

فقال الامين ويحك اما عندك غير هذا تطربينا به فانشدت

كليب لعمري كان اكثر ناصراً واكثر جرماً منك جرح بالدم

فقال الامين اي شيءٍ هذا الغناء انشدي شيئاً نطرب به فانشدت

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر اعداه

تبكي فراقهم عيني يؤرّقها ان التأرق للمشتاق ابكاه

قيل فاسكتها وزأرها وعاد الى حالته وسالها ايضاً ان تغني فانشدت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامرُ

بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر

قال فانتهرها الامين وقال لعنك الله على هذا الفال • فقالت يامولاي لم اجد في لساني غير هذا فانصرفت • وهم الامين ليضربها فسقط القدح من يده وانكسر • فقال الامين لابراهيم ياعمّ هذا اخر امرنا واخر اجتماعنا بك • فقال ابراهيم لاباس عليك ياامير المؤمنين

وذهب ابرهيم ولم تمضِ الاَّ ايام قلائل حتى قتل الامين كما ذكرنا . ذكر المسعودي قال ابراهيم ابن المهدي دخلت يوماً على الرشيد واذا اولاده محمد الامين عن يمينه وعبد الله المامون عن يساره وهما كالاقمار الطالعة . فقال ماتقول في عبد الله ومحمد . فقلت ما اقول يا امير المؤمنين في فروع زكية من شجرة طاب مغرسها وتمكن في الارض اصولها واينعت اثمارها وقلت (١) شعراً

اري قمري مجدٍ وفرعي خلافةٍ   يزينهما عرف كريم ومحتدُ

وقال قدرايت منهما ماحير فكري من الفصاحة والاحتشام على صغر سنهما . فلم اسأَلهما عن امرٍ الا وجاوباني جواباً كافياً فقلت يا امير المؤمنين اعزك الله بيقاها ومتعك بطول عمرهما فما رايت في اولاد الخلفاء اظرف حسناً ولا اعذب لفظاً ولا اشد اقتداراً على تادية ماحفظ . قال فضمهما الرشيد الى صدره وقد جالت الدموع في عينيه وقال سيكون من هذين الولدين امر عظيم وتنسفك في ايامها الدماء وتنهتك الستور وربما قتل احدهما الاخر . فقلت ايكون ذلك ياامير المؤمنين لامرٍ رُؤْي في اصل مولدهما قال لا ولكنني ارى في عبد الله المأمون نجابة وانه شديد الهمة وارى في محمد الامين البلادة والبرودة واني اذا وليت العهد بعدي لعبد الله فلا يهون ذلك على بني هاشم اخوال الامين . وربَّما ثارت بينهم الفتن . واذا وليت محمداً العهد فلا آمن من تدمير المملكة . فقال يحيى يا امير المؤمنين ان كل زلة عند الله مستقالة ماخلا ولاية العهد . فان الخطاء بها غير مأْمون العاقبة والزلة فيه لا تستدرك . وامير المؤمنين له النظر في ذلك . قال وقد كان خائفاً الرشيد مما وقعوا به . وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه انه كانت مدة خلافة الامين اربعة سنين وسبعة اشهر واربعة وعشرين يوماً وكان عمره تسعة وعشرين سنة . وفيها وثب الجند على طاهر اي ضده بعد قتل محمد فهرب منهم وتغيب اياماً حتى اصطلح امرهم وكان الامين يكنى بابي عبد الله وكان سبطاً انزع ابيض صغير العينين اقنى جميلاً عظيم الكراديس بعيد مابين المنكبين وكان مولده بالرصافة وامه زبيدة ابنة جعفر الاكبر

---

(١) روى المسعودي ان الذي قال هذا الكسائي وليس ابرهيم المهدي وقد احضرها الخليفة امامه وامتحنها بالقراءة وبجملة اسئلة فاجابا احسن جواب فانشد البيت والله اعلم

الفصل السابع

في خلافة المامون ابن هرون الرشيد وهو السابع من الخلفاء العباسيين

ولما قتل الامين بويع بالخلافة الى عبد الله المامون ببغداد وهو السابع من الخلفاء العباسيين . وبعد قتله وضعت الحرب اوزارها واستوثق الناس بالمشرق والمغرب والعراق والحجاز بعبد الله المامون بالطاعة . وفيها خرج الحسنَ الهرش يدعو الى الرضى من آل محمد بزعمه في سفلة الناس ان زيداً الا يزال حياً وجمع كثيراً من الاعراب حتى الى وادي النيل فجبي الاموال واغار على التجار وانتهب القرى واستاق المواشي . وفيها ولى على كل ما كان افتتحه طاهر بن الحسين من كور الجبال وفارس والاهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن الحسن بن سهل اخا الفضل بن سهل . وولى طاهراً بن الحسين على العراق والثغور والموصل والجزيرة والشام والمغرب . وارسل الى علي ابن موسى ابن جعفر من آل علي بن ابي طالب فولاه على خراسان وجعله ولي عهده بالخلافة من بعده وزوجه ابنته . ثم امر الجند ان يخلعوا ثياب السواد والبسهم الثياب الخضر وكتب الى جميع الافاق انه نظر في آل علي وبني العباس فما وجد احداً افضل ولا اعلم من علي بن موسى فلذلك عقد له العهد من بعده فعظم ذلك على بني هاشم العباسيين وقالوا لاندع الخلافة تخرج منا الى اعدائنا وبايعوا ابراهيم ابن المهدي[1] . وكان المامون في خراسان فمات علي[2] بن موسى في مدينة طوس فحزن عليه المامون حزناً شديداً .

وذكر في تواريخ الروم انه في هذه السنة سار الملك قسطنطين الزبلي ملك الروم بعساكر وافرة من القسطنطينية الى حرب البلغار الا انه قبل دخوله بلادهم طلبوا منه الصلح فاصطلح معهم ورجع مسروراً وقد كان من عساكر البلغار اناس في مدينة فرترنيتا فضربهم عسكر الروم وذبحهم وكان ذلك بواسطة موامرة اناس من خواص امير البلغار . ولما علم بذلك امير البلغار ولم يعلم من هم الذين توامروا عليه من بلاده كتب للملك قسطنطين يقول له هكذا اعلم يا سيدي اني قد عزمت ان اهرب الى كنف ملكك واستظل بسترك فان رضيت بذلك فاكتب لي واعلمني بمن اثق به على هذا السر من اصحابك الذين في هذه المملكة لكي اذهب انا واياهم الى حضرتك لانه لم يبق لي مقام

---

(١) مبايعتهم لابرهيم كانت سنة ٢٠٢ هـ (٢) وموت ابرهيم كان سنة ٢٠٢ كما سياتي

بين اخوتي بعد ان جعلت الصلح معك وهم لم يرضوا به . ولما وصلت تلك الرسالة من اميرالبلغار الى الملك قسطنطين كتب له اسامي اصحابه الذين تواموا عليه من البلغار فضرب البلغاري اعناقهم جميعهم . ولما بلغ قسطنطين تلك الحيلة التي صنعها معه امير البلغار امتلأ حنقاً وفي الحال خرج في الجيش لمحاربته الا انه لما انتهى الى مدينة اركاديوس ضربه الله في بدنه بالدمامل وكان يحس بحريق عظيم فرجع

(وفي السنة ١٩٩ ﻫ = ٨١٤ م قدم الحسن ابن سهل بغداد من عند المامون وشخص طاهر الى الرقة ومعه عيسى بن محمد بن ابي خالد وشخص هرثمة الى خراسان . وخرج ازهر بن زهير بن المسيب الى الهرش فقتله في شهر محرم وتوجه منها الى الكوفة .

وفي السنة ٢٠٠ ﻫ = ٨١٥ م هرب ابو السرايا من الكوفة ودخل هرثمة اليها وخرج ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد باليمن وفي هذه السنة في اول يوم من محرم بعد ما تفرق الحاج من مكة جلس حسين بن حسن الافطس خلف المقام على نمرقة مثنية فامر بتجريد ثياب الكعبة فجردت منها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيء وبقيت حجارة سوداء مجردة . ثم كساها بثوبين من قز رفيقين وكان ابو السرايا وجه بهما معه مكتوباً عليهما امر به الاصفر ابن الاصفر ابو السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت الله الحرام وان يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليطهر من كسوتهم . ثم قسم الكسوة التي رفعها بين اصحابه من العلويين على قدر منازلهم واخذ كلما في خزانة الكعبة والمال . ولم يسمع بوديعة عند احد من بني العباس الا وهجم عليه واخذها منه واذا لم يجد شيئاً حبسه الى ان يفتدي نفسه . واحصى ولد العباس هذه السنة فبلغوا ٣٣ الفا بين ذكر وانثى

ذكر في تواريخ الروم ان في هذه السنة قتل الروم ملكهم ليون وملكوا عوضه ميخائيل بن جرجس ثانية وكانت مدة ملكه عليهم سبعة سنين وستة اشهر وقتل المامون يحيى بن عامر ابن اسمعيل لانه اغاظ له وقال له يا امير الكافرين . وحج بالناس ابو اسحق ابن الرشيد)

(وفي السنة ٢٠١ ﻫ = ٨١٦ م راود اهل بغداد منصوراً بن المهدي على الخلافة فامتنع فراودوه على الامارة فاجابهم الى ذلك واحصى عيسى ابن محمد بن ابي خالد ما كان في عسكره فبلغ ١٢٥٠٠٠ بين فارس وراجل فأعطى الفارس اربعين درهما والراجل عشرين . وفيها جعل المأمون علياً ابن موسى بن جعفر ولي عهده والخليفة من بعده وسماه الرضى . وامر جنده بطرح السواد ولبس الاخضر وكتب بذلك الى الافاق . وفيها مات

محمد بن محمد صاحب السرايا ، وفيها تحرّك بابك الخرّمي في الخاويزاسية وادعى ان روح خاويزاس دخلت فيه واخذ بالعبث والفساد ، وفيها اصاب اهل خراسان والري واصبهان مجاعة وعزّ الطعام ووقع الموت وحج بالناس اسحق بن موسى

وفي السنة ٢٠٢ هـ = ٨١٧ م لما بلغ اهل بغداد و بقية العباسيين ما فعله المأمون بان دليًا جعل ابن موسى وليّ عهده بايعوا ابراهيم ابن المهدي الخلافة وسمّوه المبارك وخلعوا المأمون ، وغلب ابراهيم على الكوفة والسواد كله وعسكر بالمدائن ، ووثب اخو ابي السرايا بالكوفة واجتمعت اليه جماعة فلقيه غسان ابن ابي الفرج فقتله و بعث براسه الى ابراهيم المهدي ، وشخص المأمون من مرو يريد العراق وفيها تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل ، وزوج المأمون علي بن موسى الملقب بالرضى ولي عهده ابنته ام حبيب ، وزوج اخاه محمدًا بن علي بن موسى ابنته ام الفضل ، وحج بالناس ابرهيم بن موسى فدعا لاخيه بعد المأمون بولاية العهد

وفي السنة ٢٠٣ هـ = ٨١٨ م مات علي بن موسى وكان سبب موته انه اكل عنبًا فاكثر منه فمات فجأة بمدينة طوس فصلى عليه المأمون ودفنه عند قبر ابيه الرشيد ، ورحل المأمون من طوس الى بغداد ، وفيها جنّ الحسن بن سهل وخلع اهل بغداد ابرهيم المهدي فاختفى وبقي متواريًا وكانت ايام خلافته سنة واحد عشر شهرًا واثني عشر يومًا ، وفيها انكسفت الشمس يوم الاحد في ٢٧ ذي الحجة حتى ذهب ضوؤها وغاب اكثر من ثلثيها وكان انكسافها ارتفاع النهار و بقي حتى قرب الظهيرة ثم اجليت ، وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي)

(وفي السنة ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م قدم المامون العراق وانقطعت الفتن وامر المأمون بمقاسمة اهل السواد على الخمسين عوضًا عن النصف وضبط المكاييل ، وفيها واقع يحيى بن معاذ بابك الخرمي فلم يظفر احدهما بالآخر وولى المأمون صالحًا بن رشيد على البصرة ، وولى عبد الله بن الحسن على الحرمين وفيها مات الامام محمد بن ادريس الشافعي في رجب ليلة الجمعة ودفن صبيحة السبت وهو ابن اربع وخمسون سنة وصلى عليه السري بن الحكم امير مصر يومئذٍ ودفن الشافعي بمصر القاهرة نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم و بين قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العالي الذي عند رأسه حفر قد كتب فيه هكذا هذا « قبر محمد بن ادريس الشافعي امين الله » وهو مشهور بمصر والشافعي يتفق نسبه مع بني هاشم و بني امية في عبد مناف

لانه من ولد المطلب · حدث فقير بن مسكين عن المزني وهذا الحديث في مدينة اسوان من الصعيد قال المزني دخلت على الشافعي صباح وفاته وقلت كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت من الدنيا راحلاً ولاخواني مفارقاً وكاس المنية شارباً ولا ارى الى الجنة تصير روحي فاهنيها ام الى النار فاعزيها وانشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي　　جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته　　بعفوك ربي كان عفوك اعظما

وحج بالناس عبد الله بن الحسن وهو والٍ على الحرمين

وفي السنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م ولى المأمون طاهراً بن الحسين على مدينة السلام الى اقصى عمل المشرق · وقدم عبد الله بن طاهر بغداد منصرفاً من الرقة · وقدم يحيى بن معاذ فولاه المأمون على الجزيرة · وولى المأمون عيسى بن محمد بن ابي خالد على ارمينية واذربيجان ومحاربة بابك · ومات السري بن الحكم بمصر وكان واليها ومات داود بن يزيد عامل السند فولى عليها المأمون مكانه عيسى بن يزيد الجلودي · وشخص طاهر بن الحسين الى خراسان واقام شهرين · وحج بالناس عبد الله بن الحسن والي الحرمين)

(وفي السنة ٢٠٦ هـ = ٨٢١ م ولى المأمون داود بن مسجود على محاربة الزط وعلى اعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وفيها كان المدّ الذي غرق منه السواد وكسكر وقطيعة ام جعفر وقطيعة العباس وذهب اكثرها · وفيها ولى المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين على الرقة لحرب نصر بن شبث ومضر فكتب له والده وصية يحق ان تكتب بماء الذهب كلها دُرر جمعت الحكمة والسياسة والدين والادب وحسن عبارتها اثبتناها في هذا الكتاب وهي

عليك بتقوى الله وحده لاشريك له وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك · والزم ما البسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما انت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه واليم عقابه فان الله قد احسن اليك واوجب عليك الرأفة بمن استرعاك امرهم من عباده والزمك العدل فيهم · والقيام بحقه وحدوده بينهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والامن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم في معايشهم · ومواخذك بما فرض عليك من ذلك وموقفك عليه ومسائلك عنه · ومثيبك عليه بما قدمت واخرت · ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك · ولا يذهلك عنه ذاهل · ولا يشغلك عنه شاغل

فانه راس امرك وملاك شانك . واول ما يوفقك الله به لرشدك . وليكن اول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعالك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على شنها في اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله فيها وترتل في قراءتك . وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيتك وخصص عليها جماعة من معك وتحت يدك . وادأب عليها فانها كما قال الله تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر . ثم اتبع ذلك للاخذ بسنن رسول الله (صلعم) ثم قم فيه بما يحق لله عليك . ولا تمل عن العدل فيما احببت او كرهت لقريب من الناس او بعيد . وآثر الفقه واجله والدين وحملته . وكتاب الله والعاملين به فان افضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما ينوب فيه منه الى الله . فانه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها . وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل واجلالاً له ودركاً للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة بعدلك . وعليك بالاقتصاد في الامور كلها . فليس شيء ابين نفعاً ولا احضر امناً ولا اجمع فضلاً من الاقتصاد . فالاقتصاد داعية الى الرشد . والرشد دليل على التوفيق . والتوفيق منقاد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد . واكثره في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة . والآخرة بالاعمال الصالحة والسنن المعروفة . ومعالم الرشد . فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له اذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة اوليائه في دار كرامته . واعلم ان الاقتصاد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب . وانك لن تحفظ نفسك ومن يليك ولا تصطلح امورك بافضل منه . فأته واهتد به تتم امورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك واحسن النظر اليه عزّ وجلّ تستقم لك رعيتك . والتمس الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك . ولا تنهض احداً من الناس فيما توليه من عمالك قبل ان تكشف امره بالتهمة . فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم . واجعل من شأنك حسن ظنك باصحابك . واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه عنهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم . ولا يجدن عدو الله الشيطان في امرك مغمزاً . فانه انما يكتفي بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك . واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكفي به ما احببت كفايته من امورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة في

الامور كلها لك ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرافة برعيتك ان تستعمل المسألة والبحث عن امورك والمباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ، و يصلحها بل لتكن المباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوى ذلك ، فانه اقوم للدين واحيي للسنة ، واخلص نيتك في جميع هذه وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم انه مسؤول عما صنع ومجزئي بما احسن وماخوذ بما اساء ، فان الله جعل الدين حرزاً وعزاً ورفع من اتبعه وعززه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى ، واقم حدود الله في اصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ، ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة ، فان في تفريطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على امرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب السيئة والبدعات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك ، واذا عاهدت عهداً ففِ به ، واذا وعدت الخير فانجزه ، واقبل الحسنة وارفع بها ، واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض اهله واقصِ اهل النميمة ، فان اول فساد امرك في عاجل الامور وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب لان الكذب راس المآثم والشرور والنميمة خاتمتها ، لان النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لمطيعها امر ، واحب اهل الصدق والصلاح ، واعن الاشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله وعزة امره والتمس فيه ثواب الدار الآخرة ، واجتنب سوء الاهواء والجور ، واصرف عنهما رايك ، واظهر براءتك من ذلك لرعيتك ، وانعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى ، واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم ، واياك والحدة والطيرة والغرور فيما انت بسبيله ، واياك ان تقول اني مسلط افعل ما اشاء فان ذلك سريع فيك الى نقص الرأي وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، واخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم ان الملك لله يعطيه من يشاء و ينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى احد اسرع منه الى حملة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفروا بنعم الله واحسانه واستطالوا بما اتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تذخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم ، والحفظ لدهمائهم والاغاثة لملهوفهم ، واعلم ان الاموال اذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر ، واذا

انفقت في أصلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤونة عنهم نمت وربت وصلحت بها العامة · وتزينت بها الولاة · وطاب بها الزمان واعتقد فيها العز والمنعة · وليكن كنز خزائنك تفريق الاموال في عمارة الاسلام واهله · ووجه منه على اولياء امير المؤمنين قبلك حقوقهم · واوف رعيتك من ذلك حصصهم · وتعهد ما يصلح امورهم ومعايشهم · فانك ان فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله · وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع اموال رعيتك وعملك اقدر · وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك اسلس لطاعتك واطيب نفساً لكل ما اردت · فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتعظم حسبتك فيه · فانما يبقى من المال ما انفق في سبيل حقه · واوف للشاكرين شكرهم واثبهم عليه · واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك · فان التهاون يوجب التوريط والتوريط يورث البوار وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى · وارج الثواب فان الله قد اسبغ عليك نعمته في الدنيا واظهر لديك فضله · فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً واحساناً · فان الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين · واقض بالحق فيما حمل من النعم والبس من العافية والكرامة · ولا تحقرن ذنباً · ولا تمايلن حاسداً · ولا ترحمن فاجراً · ولا تصلن كفوراً · ولا تداهنن عدواً · ولا تصدقن نماماً ولا تأمنن غداراً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاوياً · ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن انساناً ولا تردن سائلاً فقيراً ولا تجيبن باطلاً · ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن وعداً · ولا ترهبن فجراً · ولا تغضبن غضباً · ولا تأتين بذخاً · ولا تمشين مرحاً · ولا تركبن سفهاً · ولا تفرطن في طلب الاخرة · ولا تدفع الايام عرياناً · ولا تغمضن عن الظالم رهبة منه او مخافة · ولا تطلبن ثواب الاخرة بالدنيا · واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم · وخذ عن اهل التجارب وذوي العقول والرأي والحكمة · ولا تدخلن في مشورتك اهل الدقة والبخل · ولا تسمعن لهم قولاً · فان ضررهم اكثر من منفعتهم · وليس شيء اسرع فساداً لما استقبلت في امر رعيتك من الشح · واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الاخذ قليل العطية · واذا كنت كذلك لم يستقم لك امرك الا قليلا فان رعيتك انما تثبت على محبتك بكفك عن اموالهم وترك الجور عنهم · ويدوم صفاء اوليائك لك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم · فاجتنب الشح واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه · وان العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون · فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من فيئك

حناً ونصيباً · وايقن ان الجود من افضل اعمال العباد · فاعدده لنفسك خلقاً · وارض به عملاً ومذهباً · وتفقد امور الجند في دواوينهم ومكاتبهم · وأَدْرِر عليهم ارزاقهم · ووسع عليهم في معائشهم ليذهب بذلك الله فاقتهم ويقوم لك امرهم ويزيد به قلوبهم في طاعتك وامرك خلوصاً وانشراحاً · وحسب ذي سلطان من السعادة ان يكون على جنده ورعيته مرحمة في عدله · وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته · فزايل مكروه احدى البليتين باستشعار تكملة الباب الاخر ولزوم العمل به تلقَ ان شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً · واعلم ان القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الامور لانه ميزان الله الذي تعتدل عليه الاحوال في الارض · وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية وتأمن السبل · وينتصف المظلوم وياخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة · ويؤدي حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة · ويقوم الدين وتجري السنن والشرائع على مجاريها وينجز الحق والعدل في القضاء · واشتد في امر الله وتورع عن النطق وامض لاقامة الحدود · واقلل العجلة · وابعد من الضجر والقلق · واقنع بالقسم · ولتسكن ريحك ويقر جدك وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك · واشدد في منطقك · وانصف الخصم · وقف عند الشبهة وابلغ في الحجة ولا ياخذك في احد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لوم لائم · وتثبت وتأنَّ وراقب وانظر وتدبر وتفكر · واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك · ولا تسرعن الى سفك دم فان الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها · وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية · وجعله الله للاسلام عزاً ورفعةً ولاهله سعةً ومنعةً · ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً · ولاهل الكفر من معاهديهم ذلاً وصغاراً · فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه · ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه · وعن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن احد من خاصتك ولا تاخذن منه فوق الاحتمال له · ولا تكلفن امرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق فان ذلك اجمع لألفتهم والزم لرضاء العامة · واعلم انك جعلت لولايتك خازناً وحافظاً وراعياً · وانما سمي اهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيمهم · تاخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه في قوام امرهم وصلاحهم وتقويم أَودهم فاستعمل عليهم في كور عملك ذوي الراي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف · ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفنك عنه صارف فانك متى اثرته وقمت فيه

بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة في عملك واحترزت النصيحة من رعيتك ٠ واعنت على الصلاح فزادت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك ٠ فكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارجاء العامة باقامة العطاء فيهم من نفسك ٠ وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك ٠ وكنت في امورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعدة ٠ فنافس في هذا لا تقدم عليه شيئاً تحمد مغبة امرك ان شاء الله ٠ واجعل في كل كورة من عملك اميناً يخبرك اخبار عمالك و يكتب اليك عن سيرتهم واعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاين لامره كله ٠ وان اردت ان تامره بامرٍ فانظر في عواقب ما اردت من ذلك، فان رأيت السلامة فيه والعاقبة ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فامضه والاَّ فتوقف عنه وراجع اهل البصر والعلم ٠ ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في امرٍ من امره قد واتاه على ما يهوى فقواه ذلك واعجبه ٠ وان لم ينظر في عواقبه اهلكه ونقض عليه امره ٠ فاستعمل الحزم في كل امورك وافرغ من عمل يومك ولا توخره لغدك واكثر مباشرته بنفسك فان لغدٍ اموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي اخرت ٠ واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه ٠ واذا اخرت عمله اجتمع عليك امر يومين فشغلك ذلك حتى تعرض عنه ٠ فاذا امضيت لكل يوم عمله ارحت نفسك و بدنك واحكمت امور سلطانك ٠ وانظر احرار الناس وذوي الشرف منهم ٠ ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على امرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مساً ٠ وافرد نفسك للنظر في امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فاسأل عنه اخفى مسألة ووكل بامثاله اهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله امرهم ٠ وتعاهد ذوي البأساء و يتاماهم واراملهم واجعل لهم ارزاقاً من بيت المال اقتداءً بامر امير المؤمنين اعزه الله في العطف عليهم والصلة لهم يصلح الله بذلك عيشهم و يرزقك به بركة وزيادة ٠ وأجر للعميان من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لاكثره في الجراية على غيرهم ٠ وانصب لمرضى المسلمين دوراً تاويهم وقواماً يرفقون بهم واطباء يعالجون اسقامهم ٠ واسعفهم في شهواتهم مالم يؤد ذلك الى اسراف في بيت المال ٠ واعلم ان الناس اذا أُعطوا حقوقهم وافضل امانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب انفسهم دون رفع حوائجهم الى

ولاتهم طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق بهم . وربما برم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه و يشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤونة ومشقة وليس من يرغب في العدل و يعرف محاسن اموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستقبل ما يقربه الى الله و يلتمس ضمنه به . واكثر الاذن للناس عليك وابرز لهم وجهك وسكن لهم احراسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم بشرك . ولن لهم في المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك . واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتمس الصنيعة والاجر غير مكدر ولا امتنان . فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله . واعتبر بما ترى من امور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل السلطان والرئاسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بامر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه . واجتنب مافارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله . واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وما ينفقون منها . ولا تجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً . واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم . وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك سرًّا واعلامك مافيه من النقص . فان اولئك انصح اوليائك ومظاهر بك . وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقّت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وامر كورك ورعيتك . ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك و بصرك وفهمك وعقلك . وكرر النظر اليه والتدبير له فما كان موافقاً للحزم والحق فامضه واستخر الله فيه . وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسألة عنه . ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه اليهم ولاتقبل من احد منهم الا الدعاء والاستقامة والعون في امور امير المؤمنين . ولا تضعن المعروف الا على ذلك . وتفهم كتابي اليك واكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع امورك واستخره . فان الله مع الصلاح واهله . وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله رضى ولدينه نظاماً ولاهله عزاً وتمكيناً وللذمة والملة عدلاً وصلاحاً . وانا اسال الله ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك وان ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك حتى يجعلك افضل امثالك نصيباً واوفرهم حظاً واسناهم ذكراً وامراً وان يهلك عدوك ومن ناواك وبغى عليك و يرزقك من رعيتك العافية ويحجر الشيطان عنك ووساوسه حتى يستعلي امرك بالعزّ والقوّة

والتوفيق انه قريب مجيب ٠

وذكر ان طاهرًا لما عهد الى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع امره حتى بلغ المأمون فدعا به وقُرئ عليه فقال ما ابقى ابو الطيب شيئًا من امر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة ٠ واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد احكمه واوصى به ٠ وتقدم وامر ان يكتب بذلك الى جميع العمال في نواحي الاعمال ٠ وتوجه عبد الله الى عمله فسار بسيرته واتبع امره وعمل بما عهد اليه وتقدم كثيرًا في خلافة المأمون وبقي في وظيفة سامية كل ايام المأمون وايام الخلفاء بعده هو ونسله كما يرى في هذا التاريخ

وفي هذه السنة مات الحكم بن هشام ملك الاندلس وعمره ٥٢ سنة ومدة ملكه ٢٦[1] سنة وتولى الخلافة بعده ولده عبد الرحمن ٠ وفيها مات قطرب تلميذ سيبويه سماه قطربًا لانه كان يبكر بالليل للاشتغال عليه وحج بالناس عبد الله بن الحسين والي الحرمين)

وذكر في تواريخ الروم انه بهذه السنة توفي قسطنطين الزبلي وكانت مدة ولايته على الروم خمسًا وثلاثين سنة وقد خلف اموالاً عظيمة وتملك ولده لاون على الروم وبعد جلوسه في القسطنطينية قدم اليه بالاريغوس امير البلغار وجعل معه صلحًا فقدم له الملك لاوون الاكرام واصطلح معه وازوجه بابنة اخي امرأته ٠ ثم سير لاوون عساكر الروم الى بلاد جرمانيكيا واستاسر من اليعاقبة والسريان كثيرين وكان الملك لاوون سائرًا سير ابيه[2] وزاد على ذلك انه طلق امرأته لانه وجد عندها في صندوقها صور القديسين

وفي السنة ٢٠٧ ﻫ = ٨٢٢ م توفي طاهر بن الحسين وكان المأمون قد ولاه على الشام وكان اميرًا شجاعًا صائب الرأي فصيح اللسان ومن اشعاره ما قيل في المأمون

ملكت الناس قسرًا واقتدارا واهلكت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو امرٍ الى المامون تبتدر ابتدارا

ثم ان المأمون ولى عبدالله بن طاهر على امارة مصر ٠ وفيها كان غلاء شديد ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة بالهاروني اربعين درهمًا الى الخمسين بالقفيز الملجم ٠ وفيها وُلي موسى ابن حفص على طبرستان والروبان ودنباوند وحج بالناس ابو عيسى ابن الرشيد (ط) وفيها توفي الفراء ابو زكريا يحيى ابن زياد بن

(١) قيل ان مدة ولايته كانت ٢١ سنة فقط (٢) في مضادة عبادة الصور والقديسين

عبدالله وكان معلماً لاولاد المامون لقب بالفراء لانه كان يفري الكلام ولم يكن فرا بالفراء (الوليد بن الشحنة) ذكر المسعودي انه في هذه السنة خرج ابراهيم المهدي بزي امراة ومسكه الحارس كما سياتي والصحيح ان ذلك كان سنة ٢١٠)

وفي السنة ٢٠٨ ﻫ = ٨٢٣ م سار الحسن بن الحسين بن مصعب من خراسان الى كرمان تمنعاً بها وسار احمد ابن خالد اليه حتى اخذه فقدم به على المامون فعفا عنه وفيها استعفى محمد بن سماعة القاضي فاعفي وولى مكانه اسماعيل بن حماد ابن ابي حنيفة ثم عزله الخليفة وولى مكانه محمد ابن عبد الرحمن . ثم عزل هذا وولى مكانه بشير بن الوليد الكندي . وفيها مات الفضل ابن الربيع في ذي القعدة وحج بالناس صالح بن الرشيد

وفي السنة ٢٠٩ ﻫ = ٨٢٥ م حاصر عبد الله بن طاهر نصراً بن شبث وضيق عليه حتى طلب الامان بعد محاربته خمس سنوات فكتب بذلك للخليفة . وفيها ولى المامون صدقة ابن علي على ارمينية واذربيجان ومحاربة بابك وحج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن علي والي مكة . وفيها مات ميخائيل بن جرجس صاحب الروم وكان ملكه تسع سنين وملكت الروم عليهم ابنه ثاوفيل ابن ميخائيل (ط) ذكر الوليد ابن الشحنة انه في هذه السنة توفي ابو عبيدة اللغوي محمد بن حمزة ومع انه لا يفهم الشعر فكان له نحو مائتي مؤلف في اللغة . وذكر المسعودي انه في هذه السنة مات الواقدي محمد بن عمر بن واقد مولى بني هاشم وهو صاحب السير والمغازي وقد ضعف في الحديث . وفيها مات يحيي بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين ابن علي ببغداد فصلى عليه المأمون . وفيها ركب المأمون الى المطبق ليلاً وقتل ابن عائشة رجل من ولد العباس بن عبد المطلب (س)

وفي السنة ٢١٠ ﻫ = ٨٢٦ م ذكر ابو جرير الطبري في تاريخه انه لما بلغ المامون ان عمه ابراهيم بويع له بالخلافة قدم من خراسان الى بغداد فخرج ابراهيم المهدي ليلة الاحد في ١٣ ربيع الاخر وهو متنقب مع امرائين في زي امراة فالتقى بهن حارس وقال لهن من انتن واين تردن في هذا الوقت فاعطاه ابراهيم خاتماً من الياقوت كان في يده له قدر عظيم ليخليهن ولا يسالهن شيئاً فنظر الحارس الى الخاتم ثم اشار اليهن وقال هذا خاتم رجل له شان . واخذهن الى صاحب المسلحة فامرهن ان يسفرن فتمنع ابرهيم فجذبه صاحب المسلحة فبدت لحيته وعرفه ورفعه الى صاحب الجسر والمذكور اخذه للخليفة فامر

بحفظه في الدار ثم اعرضه للعموم بالهيئة التي امسك فيها . ثم استدعاه ثانية ولما مثل بين يدي المأمون قال له مهلاً يا امير المؤمنين فان ولي النار محكم بالقصاص والعفو اقرب للتقوى وان الله جعلك فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان فعلت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل اولى بك يا امير المؤمنين وانشد

ذنبي اليك عظيمٌ وانت اعظم منه
فخذ بحقك واصـ فح بعفوك عنه

فقال المأمون ياعم الندم توبة والعفو لله ثم امر بفك قيده وادخله الحمام ورد عليه جميع ماله فانشد

رددت مالي ولم تبخل عليَّ به وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
نبوت منها وما كافيتها بيدٍ هما الحياتان من موتٍ ومن عدم
البرُّ وطاً منك العذر عندك لي فيما اتيت ولم تعذل ولم تلم
وقام عذرك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدلٍ غير متهم
فان جحدتك ماوليت من كرم فاني باللوم اولى منك بالكرم

وفيها قتل المأمون من كان يسعى لمبايعة ابراهيم المهدي وكان اكثرهم محبوسين في المطبق فقتلهم وصلبهم وهم ابراهيم ابن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام . ومحمد بن ابراهيم الافريقي ومالك ابن شاهي وفرج اليفوادي ومن كان معهم . وفي هذه السنة افتتح عبد الله ابن طاهر مصرًا وافتتح الاسكندرية واجلى من كان تغلب عليها من الاندلس فذهبوا الى اقريطش وهي كريت وفيها للان بقايا اولادهم وفيها مات شهريار بن شروين وتملك موضعه ابنه سابور فنازعه مازير بن قارن فاسره وقتله وحج بالناس صالح بن العباس بن محمدو الي مكة

وفي السنة ٢١١هـ = ٨٢٦ م خرج عبد الله بن السري الى عبد الله بن طاهر بالامان . ودخل عبد الله بن طاهر مصرًا واقام واليا عليها وعلى سائر الشام والجزيرة وكتب المامون الى عبد الله بن طاهر وهو بمصر حين فتحها في اسفل كتاب له

اخي انت ومولاي ومن اشكر نعماه
فما احببت من امرٍ فاني الدهر اهواه
وما تكره من شيءٍ فاني لست ارضاه
لك الله على ذاك لك الله لك الله

وفيها قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين مدينة السلام من الغرب فتلقاه العباس ابن المامون وابو اسحق المعتصم وسائر الناس · وفيها امر المأمون منادياً فنادى برئت الذمة ممن يذكر معاوية بخير او يفضله على احد من اصحاب رسول الله (صلعم) وفيها مات ابو العتاهية الشاعر المشهور [1] وحج بالناس صالح بن العباس والي مكة

وفي السنة ٢١٢ هـ = ٨٢٧ م وجه المأمون محمداً بن حميد الطوسي الى بابك لمحاربته على طريق الموصل · وفيها خلع احمد بن محمد العمري المعروف بالاحمر العين عن اليمن وولى عليها مكانه محمداً بن عبد الحميد المسمى بابي الرازي · وفيها اظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي ابن ابي طالب (عم) وقال هو افضل الناس بعد رسول الله (صلعم) وحج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد)

وفي السنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م عزل المأمون عبد الله بن طاهر عن امارة مصر وولى عليها اخاه المعتصم واضاف اليه الشام · وولى ابنه العباس على الجزيرة والثغور والعواصم · وولى عبد الله بن طاهر على خراسان وامر لكل واحد بخمسمائة الف دينار قيل انه لم يفرق في يوم من المال مثل ذلك اليوم وحج بالناس من حج بالعام الذي قبله · ذكر في تواريخ الروم ان في هذه السنة توفي الملك لاوون بن قسطنطين الزبلي وكانت مدة تملكه ثماني سنين وتخلف على مملكة الروم ولده قسطنطين وامه ايريني وكان عمر ولدها قسطنطين عشر سنين فامرت بعمار الاديرة والكنائس كعادتها الاولى وان يرفعوا الصور على الهياكل ويقدم لها الاكرام كالعادة ومضت الملكة الى كنيسة السيدة في فلاشر ناص واصحبت معها التاج الملكي الذي كان وهبه الملك هرقل الى الكنيسة واختطفه زوجها وجعله له فرجعت الكرازة والانذار كالعادة ونفت حزب الاراتقة الذين كانوا سالكين براي الملك لاوون الايصوري ومن تخلف بعده · ثم ارسلت الملكة ايريني وخطبت الى ولدها ابنة كارلوس ملك فرنسا واتفقت معه بعهد وارسلت اليشع الخصي لكي يعلم زوجة ابنها اللسان الرومي

وفي السنة ٢١٤ هـ = ٨٢٩ م قتل ابو الرازي باليمن وقتل عمير بن الوليد

(١) وفيها توفي الاخفش ابو الحسن سعيد بن مسعدة · والاخفش معناها صغير العينين مع سوء بصرهما اخذ النحو عن سيبويه وكان يقول ما وضع سيبويه شيئاً في كتابه الا عرضه عليَّ · وهذا الاخفش هو الاوسط وهو افضل الثلاثة وهو الذي زاد بحر الخبب في العروض · والاخفش الذي قبله كان نحوياً ايضاً واسمه ابو الخطاب عبد الحميد من اهل هجر · والذي بعده علي بن سليمان بن الفضل وكان نحوياً ايضاً توفي سنة ٣٠٥ هـ

الباذغيسي عامل ابي اسحق ابن الرشيد بمصر بالحوف فخرج ابو اسحق اليها وفتحها وظفر بعبيد السلام وابن جليس وقتلهما ٠وضرب المامون ابن الحروري ورده الى مصر ٠ وخرج عبد الله بن طاهر الى الدينور فبعث المامون وخيره بين خراسان والجبال وارمينية واذربيجان ومحاربة بابك فاختار خراسان وتوجه اليها ٠ وفيها تحرك جعفر بن داود القمي فظفر بهعزيز مولى عبد الله بن طاهر وكان هرب من مصرفرد اليها ٠وحج بالناس اسحق ابن العباس بن محمد

وفي السنة ٢١٥ هـ = ٨٣٠ م شخص المأمون من مدينة السلام لغزو الروم فوصل الى طرسوس ومنها دخل بلاد الروم وفتح حصن ماجدة وحصن قرة عنوة وامر بهدمه ٠ وانصرف ابو اسحق ابن الرشيد من مصر فلقي المأمون قبل دخوله للموصل راجعاً ٠ ثم شخص المأمون بعد رجوعه من غزوة الروم الى دمشق الشام وحج بالناس عبد الله ابن عبيد الله ابن العباس بن محمد (ط) ٠ وفيها توفي سليمان الداراني بداريا وتوفي ابو سعيد الاصمعي اللغوي واسمه عبد الملك بن قريب (عن الوليد بن الشحنة)

ذكر في تواريخ الروم انه في هذه السنة ارسلت الملكة ايريني اصطفراكيوس الوزير بعسكر الى التتر فظفر بهم ورتب عليهم الجزية ثم ان الملكة ايريني سارت مع ولدها الى مدينة نيقية لاجل حضور المجمع السابع الذي صار ضد محاربي الايقونات

(وفي السنة ٢١٦ هـ = ٨٣١ م كر المامون الى ارض الروم محارباً ففتح عدة حصون وغنم غنائم وافرة ورجع الى دمشق ٠ وفيها ظهر عبديس الفهري بمصر مضاداً عمال ابي اسحق وقتل بعضهم فشخص المأمون من دمشق الى مصر ٠ وفيها قدم الافشين من برقة منصرفاً عنها فاقام بمصر ٠ وفيها امر المأمون بان يكبر الجند وقت الصلوة ثلاث تكبيرات ففعلوا ذلك ٠ وفيها ماتت ام جعفر ببغداد ٠ وفيها كان البرد شديداً جداً ٠ وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس

وفي السنة ٢١٧ هـ =٨٣٢ م ظفر الافشين بالبيماء وهي من ارض مصر واخضع اهلها للأمون ٠ واتى المأمون الى مصر فاتي له بعبدوس الفهري فضرب عنقه ورجع الى الشام ٠ وقتل المأمون ابني هشام عايًا وحسينًا باذنه ٠ ودخل المأمون ايضًا ارض الروم ففتح جملة حصون ومدائن وارسل اليه ثاوفيل ملك الروم يطلب المهادنة فرضي الخليفة بها واتفقا على فدية يدفعها ملك الروم ٠ وحج بالناس سليمان بن عبد الله المار ذكره)

وفي السنة ٢١٨ ه = ٨٣٣ م شخص المأمون من بلفوس الى الرقة ووجه ابنه العباس الى ارض الروم وامره بنزول السطوانة و بنائها وكتب الى عماله في الجهات يفرض على كل ناحية عددا من العملة فارسلوه و بناها ٠ وفيها كتب المأمون الى اسحق ابن ابراهيم في امتحان القضاة والمحدثين وامر باشخاص جماعة منهم اليه ٠ ومن لم يجد فيه الكفاية اقاله ٠ وطالب سبعة ٠ منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ٠ وابو مسلم مستملي يزيد بن هرون وغيرهما (ط)

ذكر في تواريخ الروم ان في هذه السنة نقضت الملكة ايريني الاتفاق مع كارلوس ملك فرنسا وعدلت عن تزويج ابنها بابنته وزوجت ولدها المذكور قسطنطين بابنة ملك الارمن وكان ذلك ضد خاطر ولدها ٠ ومن ذلك الوقت وقعت البغضة بين الملكة وولدها وعمل بينهما الوشاة الى ان ابعدوا بينهما ٠ وكان قسطنطين حينئذ بلغ من العمر عشرين سنة وكان شجاعاً مقداماً على الامور مجرباً في الحرب ومالت اليه اكثر شعوب المملكة ٠ ولكن امه نفته الى قسورية وعاهدت روساء العساكر والاراخنة ان لا يثبتوا ملكاً الى ابنها طالما هي حية ٠ وقد رضي بذلك الجميع ماعدا بلاد الارمن ٠ وهاجت العساكر هيجاناً عظيماً والتمسوا بعزم واحد ان يكون قسطنطين بذاته ضابط مقاليد المملكة واتوا به الى القسطنطينية ٠ ووضعوا امه ايريني في السجن ولبثت مسجونة زماناً في (السرايا) التي كانت بنتها ٠ ثم ارسلت الى ولدها قسطنطين تلتمس منه الصفح عما صدر منها فتحنن عليها وارجعها الى قصره وجعلها كما كانت اولاً الا ان العسكر لم يرض بذلك وتوامروا على ان يجعلوا كيسوس ملكاً ٠ ولما علم قسطنطين بما اضمروه قبض على اولاد عمه نيكيفورس وخريسطوفورس ونقيط وانثيموس ودراكيموس وقلع اعينهم ٠ ثم ان قسطنطين ابغض امراته ولم يعد يريد ان ينظرها والزمها ان تصير راهبة وعزم ان يتزوج ثاودورا التي كانت صاحبة خزائن امه ايريني الا ان البطريرك لم يطاوعه على ذلك فارسل اليه قائلاً ان لم تسمح بذلك فآمر بقفل الكنائس وفتح بيوت الاصنام وألزم الناس بعبادتها ٠ فلما رأى البطريرك عظم غباوة هذا الملك سمح له بذلك الزواج المتجاوز الشريعة واختار الشرّ الاصغر على الاكبر

ذكر ابو الفرج في تاريخه ان في هذه السنة حدث مرض للمأمون وكان سببه انه كان جالساً على شاطئ النهر مع اخيه ابي القاسم وكلاهما مدليان ارجلهما الى الماء ٠

وبينما هو ملتذٌ في عذوبة الماء وبرودته اتته الالطاف [1] والفاكهة من العراق فاكل وشرب من تلك الماء فما قام الا وهو محموم وكانت منيته من تلك العلة . ولما دنت منيته اوصى بالخلافة الى اخيه المعتصم ثم توفي فحمله اخوه المعتصم وولده العباس ودفناه بدار خاقان . وكانت خلافته عشرين سنة . ذكر المسعودي عن الجاحظ قال دخلت على المامون وهو في مرض الموت وهو يقول يامن لايزال ملكه . ارحم من زال ملكه . فقلت عظم الله اجرك يا امير المؤمنين . واعقبك الصحة . فقال لاتسأل لي الصحة بل سل لي العفو . وقال اللهم امرتنا فخالفناك فاعف لانك رحيم . ذكر الطبري في تاريخه ان المأمون كان رضيّ الاخلاق حسن الطباع قال انه يوم صنع النيروز وجلس هو ووجوه مملكته على الموائد ولما فرغ الطعام وتقدمت انية المدام سرق بعض الجلاس جاماً وكان قد نظر اليه المأمون حين وضعه تحت ردائه ثم ذهب ذلك الرجل وكسر الجام وصاغ به حلية سيف ومنطقة وجدد كسوته . ثم يوماً ما قدم على المأمون وحين نظره تبسم وقال له هذه [2] من ذاك فخجل الرجل وقال نعم وقبل الارض . فقال المأمون لاباس عليك . وحكي ان المأمون كان يوماً جالساً على المائدة فقدم الخادم صحفة بها مرق فعثر في الوسادة وانهرق المرق على المأمون فخاف الخادم ولم يعد يعي على روحه فقال المأمون لاباس عليك ياغلام لقد رعيناك امضِ وائتِ لنا بملبوس فعجبنا من حسن طباعه وحلمه . وحكى عبد الله بن طاهر عن المأمون قال كنت واقفاً يوماً فنادى المأمون بالخادم باغلام فدخل الغلام وهو يقول ماينبغي للغلام ان ياكل ولا يشرب . كلما خرجنا يصيح باغلام . فسكت المأمون فما شككت الا انه يأمر بضرب عنقه . فقال لي ياعبد الله انظر ان الرجل اذا احسن اخلاقه سآت اخلاق خادمه ولا نستطيع ان نسيء اخلاقنا لنحسن اخلاق خدمنا . فقلت نعم يا امير المؤمنين ان الله خصك باخلاق الانبياء ادامك الله بها . وحكى عبد الله ايضاً . قال كنت نائماً ذات ليلة عند المامون فعطش وامتنع ان يصيح في الغلام ليسقيه خوفاً ان يوقظني . فقام يمشي على اطراف اصابعه الى ان بلغ مكان الماء فشرب ورجع قليلاً قليلاً كأنه خائف ان انتبه الى ان بلغ وسادته . ثم رأيته في اخر الليل يتقلب في فراشه فنهضت ولما شعر بي قال ياعبد الله كيف كان مبيتك . فقلت نعم مبيت في حضرة مولانا امير المؤمنين قال لقد

---

(١) مفرده اللطف وهو اليسير من الطعام

(٢) اشارة الى حلية سيفه انها من ذاك اي من الجام لانه كان سرقه واخفاه وصاغ منه الحلية

استيقظت للصلاة وما اردت ان اصيح في الخدم لئلا ازعجك . فقلت يا امير المؤمنين لقد خصك الله بكمال الظرف وادام عليك ما اعطاك من النعمة . وحكى يحيى ابن اكثم قال كنت يوماً مع المأمون في البستان فجعلنا ندور لنتنزه ومشينا في البستان وكنت ماشياً مما يلي الشمس وهو مما يلي الظل فقال لي يايحيى بالله عليك ان تمشي الى ميل الظل فقلت يامولاي لو قدرت لفديتك بنفسي . فقال بحياتي عليك ان تفعل ذلك ولم يزل يلح عليّ الى ان مشيت لناحية الظل وهو يمشي بالشمس . ذكر في مروج الذهب حكى العباس انه دعاه المأمون يوماً فدخل ورأى بين يديه رجلاً مكبلاً في الحديد فقال ياعباس خذ هذا الرجل واحتفظ عليه . فقلت السمع والطاعة . فقدته الى بيتي واحتفظت عليه ولما جاء الليل نمت عنده خوفاً عليه واخذت اسأله عن حاله ومن اين هو فقال انا من دمشق . فقلت حيا الله دمشق واهلها خيراً . فقال من اين معرفتك بهم فقلت توقع لي مع انسان منهم امراً ولم ازل اترقب مكافاته . فقال لي وما هو ياسيدي . قلت كنت يوماً في دمشق فقامت اهل البلد على الوالي واخرجونا فهربت انا من جملة القوم وعدوا خلفنا فمررت بدار رجل وقلت له اغثني اغاثك الله فقال لا باس عليك ادخل الدار فدخلت . فقال لزوجته ادخلي الرجل الى المقصورة فقعدت ووقفت الامراة على الباب فدخل الرجال وفتشوا جميع الدار ولما رجعوا دخل وقال لا بأس عليك اصرف الله عنك شرهم . وما زال يعاشرني احسن معاشرة الى ان استكن روعي واتاني بطعام فاكلت واقمت عنده اربعة اشهر وانا في احسن عيش . ثم قلت له اتأذن لي في الرجوع الى بغداد . فقال الامر اليك فان اردت المسير ففي السعة والسلام . وان رمت الاقامة فانا اروم ذلك . فخرجت لافتقد اصحابي فلم ار احداً منهم ورجعت واعلمته ان القافلة بعد يومين تخرج وقلت ياسيدي ارغب من فضلك ان تأذن لي بالمسير معها . فقال لغلامه اسرج الفرس الفلانية فظننت انه يريد المسير الى بعض المواضع كما جرت له العادة وقلت في نفسي كيف اصنع ليس معي ما اتزود به ولا ما اركبه واكره الاقامة حيث اذن لي في السفر وبينما انا في تلك الحالة اتاني بسيف ومنطقة وقدم لي بغلة محملة صندوقين داخلها افخر الملابس وما احتاجه للسفر ودفع لي الف دينار وعبدين لخدمتي وقدم لي تلك الفرس لاركب وابتدأ هو وامراته يعتذران لي عن التقصير وسرت في القافلة وانا باحسن حال . ولم ازل اترقب المكافاة له . قال فلما سمع ذلك الرجل كلامي قال لي

يا سيدي قد قدرك الله على مكافاته · قلت وكيف ذلك قال انا ذلك الرجل الذي تعنيه ولكن الضرر الذي انابني غيب عليك حالي · ثم لم يزل يذكر في تفاصيل الاسباب وما جرى لي معه وانا في منزله حتى عرفته فقمت اليه وقبلت راسه وقلت له ما الذي اصابك يااخي حتى صرت بهذه الحالة · فقال هاجت فتنة في دمشق كالاولى فارسل امير المومنين قبض على جملة اناس وانا من الجملة واني ارى امري عنده عظيماً وهو قاتلي لامحالة وقد خرجت من عند اهلي بدون وصية فان اردت مكافاتي فاوصل وصيتي الى اهلي · فاذا فعلت معي ذلك تكون جاوزت معي حد المكافاة · قال العباس فبالحال فككت قيوده والبسته ثياباً نظيفة ودعوت عشرة غلمان وعشرة من الخيل وعشرة صناديق على خمسة بغال وقلت للغلمان سيروا بهذا الرجل الى دمشق · فقال الرجل يا اخي ان ذنبي عظيم عند امير المؤمنين ومتى علم اني هربت قتلك عوضي وربما ارسل في طلبي ·فقلت له انج بنفسك ودعني ادبر امري · فقال لا يااخي لا برحت من بغداد حتى أعلم مايكون من امرك ·فان الزمك الامر الى حضوري حضرت وجعلت نفسي فداك · فقلت اذا كان الامر كما زعمت اقم في المكان الفلاني · فان انا سلمت اعلمتك· وان قتلت اكون فديتك بنفسي كما فديتني بنفسك ثم ارسلت غلماني معه ليلاً وعند الصباح تجهزت وهيأت الكفن وكتبت وصيتي ولم أفرغ من صلوة الصبح الا وارسل المأمون في طلبي قائلاً خذ الرجل واحضر الى عند امير المؤمنين فسرت الى ان دخلت على المأمون فقال لي اين الرجل فسكت قال لي اين الرجل ثانية ان كان هرب قتلتك عوضه فقلت ماهرب ولكن اسمع حديثاً ما سمع مثله في الزمان · وشرحت له كلما توقع لي مع ذلك الرجل وقلت يامولاي انني اردت افديه بنفسي كما فداني بنفسه · قال العباس لما سمع المأمون ذلك الخطاب تعجب غاية العجب · وقال اين هو الرجل الآن ياعباس فقلت لم يزل في بغداد · قال اذهب اليه وطيب قلبه وائتني به · فذهبت اليه وقلت له فلايزل همك يا اخي واخبرته بماقاله المأمون ·وقد امر بحضورك ليوليك الاحسان فسار معي ودخلنا على المامون فاكرمه واجلسه بالقرب منه وسأله عما توقع له معي فشرح له فاعطاه الامان وصرفه بكل احسان وكتب الى عامله بدمشق يوصيه به وكان كلما اتى منه كتاب يقول لي هذا من صاحبك ياعباس

ذكر المسعودي في تاريخه مروج الذهب عن المأمون انه ولى انساناً على بلدة فظلم ذلك الوالي اهلها فكتبوا الى المأمون كتاباً يقولون له فيه · اما حاكمنا فقد اخذ بالعزم

عاملاً بالجزم وقد عدل بين الرعية فاغفل القاصدوارضى الوارد وقد انزلهم منازل الاولاد واذهب ما بينهم من الضغينة والاحقاد وعمر منهم المساجد الدائرة وافرغهم من عمل الدنيا واشغلهم بعمل الاخرة وهم داعون الى امير المؤمنين و يودون النظر اليه . قال فلما وصل ذلك الكتاب الى المأمون علم احوالهم وانهم مظلومون وفسر من قولهم ان حاكمنا اخذ بالعزم . اي عزم على جور فعله . وجزم اي فعل . وقولهم عدل بين الرعيه . اي سلب اموالهم وساوى بين الغني والصعلوك . وقولهم عمر بهم المساجد اي شغلهم بالكد والتعب . وقولهم انه افرغهم من تعب الدنيا واشغلهم في تعب الآخرة اي انهم ما عادوا يملكون شيئاً من حطام الدنيا . وقولهم يريدون النظر الى امير المؤمنين اي يشكون له احوالهم فارسل المأمون وقبض على حاكم تلك البلدة وقتله . ذكر المسعودي قال دعا المأمون يوماً بعض خدمه قال سيروا الى خرائب دور البرامكه ليلاً لانه بلغنا ان شيخاً ياتي في الليل يرثيهم بالاشعار فان وجدتموه ائتوني به فساروا الى ان ولجوا خرائب دور البرامكة وا كمنوا هناك . ولما توسط الليل قدم ذلك الرجل فجلس وجعل يبكي و ينشد هذا الشعر

لما رأيت السيف جال جعفرا　　ونادى منادي المنية في يحيي
بكيتُ على الدنيا وزاد تأسفي　　وقلت من بعدهم لا تنفع الدنيا

فهجمت عليه الجند واتوا به الى المأمون . فقال له من انت ولماذا استوجبت منك البرامكة ما تفعله . فقال اتاذن لي يا امير المؤمنين لاحدثك عن امري فقال المأمون قل ولك الامان فقال يا مولاي انا المنذر ابن المغير ابن شعبي وقد زالت عني نعمتي . ولما ارتكبني الدين ولمت بي الفاقة خرجت من دمشق ومعي ثلاثون نفساً نسائي واولادي وليس معي شيئاً اعيش به . ولما دخلت بغداد نزلت في بعض المساجد وتركت عيالي جياعاً وخرجت اتسبب ولما دخلت الى بيوت البرامكة رأيت في بعض المساكن اناساً جلوساً فحييتهم بالسلام وجلست والعرق يسيل مني لان ليس لي عادة ان اتسوّل . وما كان الا قليلاً واذا بخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وذهبوا وانا معهم الى ان دخلنا دار يحيي بن خالد فحييناه بالسلام وجلسنا فاقبلت الخدم بانية البخور . ثم قال يحيي للقاضي اكتب صداق ابنتي فاطمة على ابن عمها علي فخطب القاضي وكتب واشهد الحاضرين . و بعد ذلك اتت الغلمان وفي ايديهم صواني ذهب وعلى كل صينية مائة دينار فاعطوا كل من حضر ما على الصواني من الذهب واعطوني انا من الجملة فرأيت الناس كل واحد اخذ صينية وافرغها بجيبه . ووضعوا الصواني و باركوا له ومضوا فبقيت انا وحدي ولا اعلم

ماذا اصنع فغمزني بعض الخدم فقمت واردت الذهاب • وعند ما خرجت لحق بي بعض الخدم وقال ارجع كلم الوزير فرجعت وامر لي بالجلوس فجلست • ثم سألني عن حالي فاخبرته بامري وكيف جار عليّ الدهر وكيف خرجت من دمشق • وكيف تركت عيالي في المسجد فقال يحيى لولده خذ هذا الرجل واكرمه كنفسك فاخذني موسى وادخلني الى داره واكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومين • ثم دعا اخاه العباس وقال له خذ هذا الرجل الى عندك لان الوزير قد امرنا باكرامه وانت تعلم اشغالي بدار امير المؤمنين فاخذني اخوه وفعل معي كفعله • ولم ازل عندهم عشرة ايام وانا في اكرامهم لي ولم اعلم عن عيالي هل من الاموات ام من الاحياء ثم جاءني جماعة من الخدم وقالوا لي اخرج الى عيالك فقلت في نفسي سلبت الدنانير مني وارجع الى عيالي وانا بهذه الحالة فخرجت وانا حزين وادخلني اولئك الخدم الى دار عظيمة فرأيت اولادي وهم يلعبون وعليهم الثياب الجميلة والتقاني النساء باحسن الملابس • وقال لي الخدم قل لنا مهما اقتضى لك لاننا مامورون من الوزير ان نكون في خدمتك فدعيت الى يحيى بطول البقا وشكرت الله على هذه النعمة واقمت يا امير المؤمنين عند البرامكة ثلاثة عشر سنة وانا عائش في نعمتهم • والناس لاتعلم ان كنت من البرامكه ام غريب • فلما حلت بهم تلك البلية من والدك الرشيد ما كنت اجد ما اكافئهم به غير اني كل ليلة اذهب الى خرائب دورهم واعدد حسناتهم وانبهم على حسن صنيعهم معي ثم عند الصباح اذهب خوفاً ان يعلم بي احد • قال فلما سمع المأمون ذلك الكلام ادمعت عيناه وقال لا باس عليك ايها الشيخ • ثم امر له بضيعتين وصرفه مكرماً فبكى الشيخ بكاءً شديداً • فقال المأمون فما الذي ابكاك وقد انعمنا عليك • فقال يا مولاي وهذه ايضاً من بعض صنائع البرامكه معي لاني لو لم آت الى خرائب دورهم وانبهم فما علم بي امير المؤمنين وانعم علي وانشد يقول

سقى الله اطلال الوفاء بكفه فقد درست اعلامه ومنازله

فاشدد يديك اذا قصدت له وفا ان الوفاء من الرجال اكارمه

ذكر المسعودي كان المأمون كثير الغرام في العلوم ومباحث الاشياء الكونية فكان يرغب ان لا يكون شيئاً في الدنيا لايعلم به فذكر له ان كتاب تحفة الالباب للشيخ عبد الله الشافعي يخبر به عن عجائب الدنيا فاجتهد وحصله فرأى به عجائب كثيرة ومن ذلك يذكر الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب انه نظر في بلغار رجلاً طوله سبعة اذرع وكان يسمى دالفه وكان صاحب البلغار اتخذه خادما وكان ذا معرفة

خبيراً متواضعاً . قال الشيخ عبد الله وقد حادثته كثيراً وكان كلما رآني يسلم علي ويترحب بي وكان راسي لا يصل الى فوق ركبته وكان له اخت طوله رايتها مراراً قال قاضي بلغار انظر يا عبد الله هذه الامرأة الزائدة الطول قلت نعم . قال هذه قتلت رجلها وكان اشد اهل البلغار لانها ضمت ساقيها عليه فمات لوقته . ذكر الشيخ عبد الله في كتاب تحفة الالباب انه دخل بلاد اليمن فرأى في مدينة انساناً من وسطه الى أسفل جسم امرأة ومن وسطه الى اعلى جسمان مفترقان براسين ووجهين واربع ايد وهما يا كلان و يشربان كل منهما بذاته والمخرج مكان واحد [١] . وذكر الشيخ عبد الله انه كان في بعض قرايا مصر انسان باربع ارجل واربع ايد و براسين وله مكان ذكر ومكان انثى . ذكر انه نظر انساناً في الشام يطوف على الماء وهو حيوان يشبه بني آدم وله ذنب يخرج بعض الاحيان الى خارج الماء . وذكر ان في بحر الروم يوجد نساء كثيرات يخرجن من الماء ولهن شعور و بديعات الحسن . ولا يفهم لهن لفظ وقيل ان لهن رجالا من جنسهن . وقيل احتال البحريون وقبضوا على شخصين منهم . قال الشيخ عبد الله حدثني بعض التجار انه اخذ واحدة من تينك الشخصين ووطئها فولدت له بنتاً وانه في بعض السنين سافر واصحبها معه ولما نزلوا الى المركب جربت والقت نفسها في الماء وغابت . ثم رآها على وجه الماء كأنها تشير له ان يرسل لها ولدها [٢]

ذكر في كتاب تحفة الالباب عن البحور . قال في بلاد السودان بحر رمل يجري ستة ايام وفي يوم السبت يمسك عن جريانه . وقيل لما وصل اليه الاسكندر أقام عنده الى يوم السبت وقطعه ودخل الظلمات . وذكر ان بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر . وان بحر الهند خليج منه . وبحر الصين خليج منه . وبحر فارس خليج منه وكلها اصلها من بحر الظلمات وهو لا يصير به جزر ومد [٣] . قال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب اننا سرنا في سفينة الى ان بلغنا مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل ومن رأسها الى ذنبها عظم كأسنان المنشار فقال البحريون هذه سمكة المنشار . اذا دخلت تحت السفينة تشقها نصفين فبدأوا يصيحون عليها و يرمونها

---

(١) رأيت رجلاً هندياً في احد ملاهي نيويورك بامريكا على هذه الصورة تماماً ولكن كان جسمه نامياً اكثر من الابنة الملتصقة به و يتكلم عدة لغات (٢) هي من الخرافات التي لا تصدق

(٣) يراد به الاوقيانيس الباسيفيكي وسمي هكذا لهدوء

بالاخشاب الى ان هربت • وذكر انه نظر يوماً على ساحل البحر حيواناً راسه كرأس العجل وله اياب وشعر كشعر العجل وله يدان ورجلان مثل الضفدع وقيل ان جلده ياخذونه نعلاً كصاحب النقرس • ومما ذكر في تحفة الالباب عن عجائب الانهر قال ان الانهر الكبار اربعة وهي جيحون وسيحون والدجلة والفرات وهي التي اخرجها الله سبحانه من الفردوس لتسقي وجه الارض • فجيحون نهر عظيم يتصل بانهار كثيرة عظيمة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به من بلاد تركستان سوى خوارزم • ثم ينصب الى بحيرة بينها و بين خوارزم ستة أيام هي بحيرة ارال وهذا النهر يجمد في الشتاء خمسة انهر ويجري ماؤه من تحت الجليد فتحفر اهل خوارزم اماكن يستقون منها • واذا اشتد الجليد والبرد مرت عليه القوافل والعجلات بركابها ولا يبقى بينه و بين الارض فرق و يعلوه التراب الى ايام الصيف فينحل جليده • واما سيحون فنهر عظيم يمر ببلاد الترك و يجري الى ان يتصل الى بلاد التتر و يصب في بحيرة ارال ايضاً • وذكر من الانهر المشهورة النيل بمصر و يتصل الى مصر من بلاد النوبة • و يقال له بتلك البلاد النهر النو بي ولفروعه اسماء وهي نهر الابيض ونهر الازرق • ذكر صاحب كتب مناهج الفكر ان الناس احتفلت في زيادته وما عرفوا له سبباً • لان ليس في النهر ما يزداد بهذه الزيادة • واما الدجلة فهو نهر بغداد وله اسماء غيرها بغير بلدان • وماؤه اعذب المياه بعد عذوبة النيل وهو كثير المنافع • وقيل انه يفيض في بعض السنين حتى يخاف اهل بغداد من الغرق وهو نهر مبارك ينجي [1] غريقه • واما الفرات فهو نهر كثير المياه يخرج من جبال ارمينية ومنافعه كثيرة و به سمك ابيض تبلغ الواحدة قنطار بالدمشقي [2] • وطول هذا النهر من مخرجه من ملطية الى ان يتصل ببغداد ستماية وثلاثون فرسخاً • ومما ذكر في تحفة الالباب عن الانهار الصغار فهي كثيرة وانما نذكر طرفاً من عجائبها • نهر بين البصرة والاهواز قيل انه يرتفع بعض الاوقات لان بالقرب منه انهر تجري مياهها اليه • ثم ينقطع ثمان سنين ولا احد يعرف عنه • ثم نهر العاصي وهو يخرج من اطراف بلاد بعلبك و يسير الى نحو الشرق • ثم الى الشمال ولاجل ذلك سمي العاصي وهو نهر يمر بارض حمص ويجري الى بحيرة واسعة جداً (تدعى بحيرة قدس) ثم يسير الى نواحي حماه • ومما قيل في حسنه شعر

---

(١) هذا من الخرافات (٢) القنطار الدمشقي ٢٠٠ أقة

لقد اصبحت حماه على المدن جنةً يطوفُ بها الداني و يسعى لها القاصي
بها روضة من حسنها سندسته تعلق في اكناف اذيالها العاصي

ومصنوعة نواعير (اي سواقي) على ذلك النهر لها منافع كثيرة للزروع والبساتين
قال عنها الشاعر

ونا عورة رفت لعظم مصيبتي كما نظرت شخصي على الداني والقاصي
بكتني بشجي اطربتني بشجوها حتى النواعيرُ قد ابكت على العاصي

ونهرٌ في اليمن قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجري من الشرق للغرب . وعند غروبها يجري من الغرب الى الشرق (١) . ونهرٌ في بلاد الحبشة يجري الى الشرق وهو يشبه النيل بفيضانه وارضه بها الخصب والبركة . و به شجر الاراك يحمل ثمرًا كالبطيخ وفيه بعض حموضة لطيفة . وذكر الشيخ عبد الله في كتاب تحفة الالباب عن عجائب الجبال . جبل سرنديب طوله مائتان وستون فرسخًا وفيه اودية الالماس واليانوت وفيه العود والقافل ودابة المسك (اي غزال المسك) ودابة الز باد . وجبل في بلاد الروم و يسمى سد الاسكندر و ينتهي الى البحر المظلم . وجبل ابي قبيس في الحجاز وهو معروف بهذا الاسم . وجبل المقدس وهو جبل شريف به نار تضيء في الليل وتزورها الناس . وجبل ادرنه بهمدان وفي راسه عين ماء تخرج من صخرة اياماً معدودة فتقصد من كل جهة يستقى منها . وجبل بالشام لونه اسود كالفحم ورماده ابيض يبيض الثياب . وجبل في الاندلس به معدن الكبريت وقد يراه البحريون نارًا (٢) في الليل وفي النهار دخانًا و به معدن الزيبق والزنجفر . وجبل سمرقند يقطر منه ماء في الصيف يصير جايدًا وفي الشتاء يحرق من حرارته . وجبل الطور بكرمان اذا حفر بارضه يخرج حجارة كصور الادميين منها صور نساء ومنها صور رجال قائمين ومضطجعين . و جبل الارجان في طبرستان يقطر منه ماء وتجمد كالحجارة . ومما ذكر في كتاب تحفة الالباب في عجائب البنايات . قال اول البناء في العالم هو الصرح الذي بناه نمرود الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام في ارض بابل . و بقي ذلك البناء كانه جبل وقد هدمه الله تعالى في دقيقة واحدة و بلبل السن الناس الذين بنوه (٣) ورمزان العماد وهو البناء الذي لم يكن

(١) ذلك من الحكايات الكاذبة والخرافات المضحكة
(٢) هذا وصف بركان ولعله بركان ستر ومبولي او اتنا في جزيرة سيسيليا او بجوارها
(٣) يراد به برج بابل

مثله في الدنيا · والخورنق بناه النعمان الاكبر وقام على بنائه عشرين سنة · ولما تم بناؤه خشي ان ذلك البنَّاء يبني غيره فامر ان يلقوه من اعلاه فالقي وتقطع · وكان اسمه سنمار ومما قيل ان العرب تضرب به المثل يقولون جوزي جزاء سنمار شعر

جازى اباه ابو الغيلان في كبر بقبح فعل كما جوزي سنمار

وحائط العجوز وهو من عجائب الدنيا قيل بنته دلوكا القبطية بسبب انها ولدت غلاماً قيل لها انه يخشى عليه من التمساح فخافت عليه وبنت ذلك الحائط وجعلته من عريش مصر الى اصوان شاملاً جميع كور مصر الى الجانب البحري · ومن البناء العجيب الاهرام بمصر وهو الى الجانب الغربي (من النيل مقابل القاهرة في الجيزة) قيل ان الهرم الكبير من هذه العمارة ثلاثة آلاف ذراع عرضاً وطوله خمسماية ذراع · وقيل ان طول كل حجر من حجارته ثلاثون (١) ذراعاً في عرض عشرين وفي نحتها عجب · ومن البناء العجيب منارة الاسكندرية التي بناها الاسكندر ذو القرنين ابن فيلبس المكدوني وهي مبنية مهندسة مخموسة بالرصاص وبها نحو ثلاثمائة بيت ولها طاقات للبحر وطولها الف ذراع وفي اعلاها تمثال من نحاس بيده مرآة فاذا دنا العدو لا يقدر على الدخول · وقيل كانت ترى المرآة من جزيرة قبرس · وكانوا يرون الذي يأتي من بعد فاذا كان عدوًّا احترسوا منه · ولا يقدر احد يدخل في النهار من شعاعها وكان الروم يؤدون الخراج في كل عام · وفي ايام الوليد بن عبد الملك بن مروان احتال ملك الروم على الوليد واظهر له انه يريد الاسلام وارسل اليه تحفاً وهدايا عظيمة صحبة احد خواصه فنزل بقرب المنارة · وفي الليل حفرت الروم في الارض ودفنوا اموالاً جزيلة بجانب المنارة · ثم في الغد قال الروم للوليد ان تحت هذه المنارة كنوزًا لا تعد ولا تحصى و بازائها خبيئة فامر الوليد ان يحفر بقرب المنارة فوجدوا تلك الاموال التي طمرها الروم فظنوا انها خبيئة فامر الوليد بهدم المنارة فهدموها ولم يجدوا تحتها شيئاً · فعلم الوليد انها مكيدة من الروم وندم على ذلك · ثم امر في بنائها فبنوها من الاجر كما كانت وعدمت تلك المرة و بطل احراقها · ومن البناء العجيب قلعة بعلبك · وقيل ان سيدنا سليمان عليه السلام هو بناها (٢) · واما

---

(١) لا يوجد في الاهرام احجار كبيرة اكثر من ثلاثة الى خمسة اذرع طولاً واقل من ذلك عرضاً وانما يوجد في هيكل ابي الهول حجارة نحو ١٠ اذرع طولاً بعرض اربعة اذرع

(٢) هذه القلعة او الهيكل يوجد فيها حجارة كبيرة جداً طول بعضها ثلاثون ذراعاً وعرضهُ اكثر من عشرة اذرع وعلوه خمسة اذرع وكلها مبنية بمحل عالٍ شاهق و يوجد حجر في المقلع الذي اخذت منه بهذا الكبر

البناء الذي في حوران فهو مدينة عظيمة يقال لها اللجاء وفيها ما يعجز عن الوصف وكل دار منها مبنية من الصخر المنحوت الذي لا يستطيع احد ان يصنع نحيتاً مثله وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار بمفردها لا تلاصق داراً اخرى · وكل دار كالقلعة الحصينة وهي ملجا لاهل تلك النواحي من الخوف فاذا ولجوها ووضع حجراً صغيراً بازاء الباب لم يقدر احد على فتحه · ومن البناء العجيب ايوان كسرى · قيل ان بناه سابور ذو الاكتاف وطوله مائة ذراع في عرض خمسين ولما ملك المسلمون المدائن احرقوه وقيل ان المامون ذهب لينظر تلك العجائب ولما انتهى الى مصر فتح هرماً من الهرمين وتعجب من بنائها وصنعها وانشد بذلك شعراً

اين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه والمصرع

ومن العجائب الباهرة ما يوجد في الهند والصين من النعم واهلها اصحاب عقول رفيعة وعلوم عالية وجميع نبات تلك البلدان واشجارها الرياحين وانواع الطيب مثل القرفة والعود والكافور والسنبل والكبابة والبسباسة والقرنفل وغيرها وعندهم الحيوان المسكي وهو كالغزال يجتمع المسك في صرته وهو صغير · وحيوان الزباد وهو كالسنور يخرج الزباد من تحت ابطيه · وانواع المعادن واكثر ذلك من جزيرة سرناديب · ذكر صاحب تحفة الالباب ان في بلاد الروم سمكاً طول الواحدة مائة ذراع ولها انياب كأنياب الفيل يأخذونها انصبة للخناجر وهو ثقيل الوزن كالرصاص · وذكر أن في مصر يخرج من النيل وحش كهيئة [1] الخيل فيرعى الزروع · ذكر صاحب تحفة الالباب ان جزيرة الواق خلف جبل يقال له الطغيون وقيل ان تلك الجزيرة تملكها النساء وان بعض المسافرين وصلوا اليها ودخلوا على الملكة فرأوا على راسها التاج وهي جالسة وحولها البنات وبهذه الجزيرة عجائب كثيرة وفيها شجر يشبه الجوز ويحمل شيئاً كهيئة الانسان والخيار شنبر من تلك الجزيرة · وذكر ان جزيرة الصين فيها معادن كثيرة ولها جبال كهيئة الابواب تمر بينها المراكب وفيها من الاشجار مالا يمكن وصفه · وذكر عن جزيرة النسناس في اليمن ان فيها مدينة بين جبلين ذات اشجار وكروم ونخل وفي هذه الجزيرة يوجد الوحش المعروف بالنسناس و يستخدمونه و يعلمونه الصنائع · ذكر ابو الفرج قال اخبرني القاضي صاعد ابن احمد الاندلسي · قال ان العرب في ابتداء الاسلام لم تعتن بشيء من العلوم الطبية

(١) لعله التمساح اولوياثان المذكور في سفر ايوب بالتوراة

ومعرفة الاحكام ولكن لم تكن منكورة عندهم لحاجة الناس اليها · فهذه الاحوال كانت في الدولة الاموية · ولما افضت الخلافة الى الدولة الهاشمية وصرف الملك اليهم كان اول من اعتنى منهم في العلوم ابو جعفر المنصور · وكان مع براعته بالفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصةً في علم النجوم · ولما افضت الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبد الله المامون تمم ما بدا به المنصور واقبل على طلب العلم من مواضعه وداخل ملوك الروم وسألهم الصلة بما عندهم من كتب الفلسفة فارسلوا اليه ما حضر عندهم · وكلفهم في احكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما امكن · ثم حرّض الناس على قراءتها ورغبهم في تعلمها وتعليمها وكان يجالس الحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم · وكان من المنجمين في ايام المأمون حبش الحاسب الروذي الاصل وله ثلثة مصنفات وهي الاول المؤلف على مذهب السند هند · والثاني الممتزج · والثالث الزيج الصغير المعروف بالشاه وله كتب غيرها · ومنهم احمد ابن كثير الفرغاني وهو صاحب كتاب المداخل الى علم هيئة الافلاك يحتوي على جوامع كتاب بطليموس باعذب لفظ وابين عبارة · ومنهم محمد الخوارزمي وله كتاب الزيج الاول والثاني ومنهم ما شا الله اليهودي وعاش من زمان المنصور الى ايام المامون · ومن الاطباء في ايام المأمون يحيي ابن بطريق الترجمان وكان اميناً علي ترجمة الكتب · ومنهم سهل ابن صابور ويعرف بالكسيح وكان من الاهوان ولسانه خوارزمي وتقدم في الطب في ايام المأمون · وكان اذا اجتمع مع يوحنا بن ماسويه وجاورجيوس ابن بختيشوع وعيسى ابن الحكيم · زكريا الطنبوري قصر عنهم في العبارة ولم يقصر عنهم في العلاج · وكان جبرائيل ابن جاورجيوس بن بختيشوع في رتبة عظيمة عند المأمون · ثم نقصت منزلته عنده والسبب انه خرج يوماً من عند المأمون فسأله بعض مواليه عن الملك فقال له نائم فبلغ المأمون ذلك فقال له يا جبرائيل اخبرني أانت طبيب ام حامل الاخبار ذكر المسعودي تولى القضاء في ايام المأمون يحيي بن اكثم وكان ذا عقل وعلم ما نشأ مثله في ذلك العصر وله مصنفات في علم الفقه والشرع عظيمة وله عند المأمون المنزلة الرفيعة · ويقتدى برأيه في المهمات الثقال وتدبير الحرب · غير انه كان به خصلة مذمومة وهو انه كان لوطياً بما طاله وقال به بعض الشعراء شعراً

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهراً　　فاعقبنا بعد الرجاء قنوط

متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها　　وقاضي قضاة المسلمين يلوط

ثم تناقصت منزلته عند المأمون لاجل ذلك ونفاه الى العراق ومات هناك · وكان

في ايام المامون ابو ادريس الشافعي وكان صاحب علم وهو من سلالة اولاد هاشم · وكان له مرتبة عند المأمون ومات في مصر ودفن في مدفن بني الحكيم وله ديوان شعر عظيم ومن اشعاره

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي   جعلت الرجا ربي لعفوك سلما
تعاظم بي ذنبي فلما قرنته   بعفوك ربي كان عفوك اعظما

وفي ايام المأمون ظهر عدة من الخوارج من آل علي ابن ابي طالب وادعوا النبوة فقتل المأمون كثيرًا منهم قد ذكرنا البعض من اخبارهم · ومن يرد ان يفهم بقية اخبارهم وما كانوا عليه من الاعتقاد فعليه بكتاب اخبار الزمان المنسوب للمسعودي · ذكر الطبري قال دخل محمد بن عبد الملك بن مروان على المأمون وكان قد اخذ منه ضياعًا فقال السلام يا امير المؤمنين · محمد بن عبد الملك بين يدي مولاه سليل نعمته وغصن من اغصان دولته اتأذن له في الكلام · فقال المأمون تكلم فقال محمد اسأل الله ان يمد في عمرك من اعمارنا · ويقيك الاذى باسماعنا و ابصارنا فان الحق لا يخفى آثاره · ولا ينهدم مناره · وهو حبل بين الله وعباده · وانت الامين عليه · وانا القائم امامك · الفقير الى رحمتك واحسانك · قد تعددت علي النوائب · ورميت بسهام المصائب · وامير المؤمنين يفرج كرب المكروب · و يبرد غلل القلوب · وانا قد نفذ مني الضياع التي اخذناها من الاسلاف الطيبين · والنوافل الراشدين · وانا الآن متوسل اليك بآبائك الطاهرين بالرشيد خير الراشدين · والمهدي ناصر المسلمين · والمنصور منجد المظلومين ومحمد خير المحمدين متعوذًا من شماتة الاعداء · ومقارنة الشدة بعد الرخاء · وان الدهر ذواغتيال قد تقلب حالاً بعد حال · فارحم يا امير المؤمنين الصبيان الصغار · والعجائز الكبار · فان رقابنا ذلت لسخطك · ووجوهنا علمت لطاعتك · ان الله قد سهل بك الوعور · وجلا بك الجدور · وملأ من خوفك الصدور · وقد اودع الله عندك العفو والاحسان · فالنعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عنها ولا عدل اعظم من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وان كل راع مسؤل عن رعيته وانشد شعرًا

امير المؤمنين اتتك ركب   لهم قرب وليس لهم بلاد
هم الصدر المقدم من قريش   وانت الراس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت   فارجو ان يطيب بك المعاد

فكيف تنالكم لحظات عين وكيف يقل سوددك البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وامر له بجائزة وقربه اليه

(ذكر الطبري انه لما اشتدت العلة على المأمون استدعى ابنه العباس واوصاه بحضور الفقهاء والقضاة واوصى بكيفية دفنه وتكفينه وماتمه . وكيف يصلي عليه وطلب ان يكبر عليه خمس تكبيرات واوصى بعماله وخصوصاً بعبد الله بن طاهر فامر باقراره على اعماله وشكر منه كثيراً وتوفي يوم الخميس في ١٧ رجب بعد العصر وقبل ظهيرة اليوم الثاني حمله ابنه العباس واخوه ابو اسحق محمد بن الرشيد الى طرطوس ودفناه في دار كانت لخاقان خادم الرشيد وصلى عليه اخوه ابو اسحق المعتصم وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة اشهر وثلاثة وعشرين يوماً خلا سنتين كان دعي له فيهما بمكة واخوه الامين محصور ببغداد وكان يكنى بابي العباس وكان ربعة ابيض جميلاً طويل اللحية قد وخطه الشيب وقيل كان اسمر تعلوه صفرة احنى اعين طويل اللحية رقيقها اشيب ضيق الجبهة بخده خال اسود)

الفصل الثامن

في خلافه ابي اسحق المعتصم محمد بن هرون الرشيد وهو الثامن من العباسيين

وفي هذه السنة ٢١٨ ﻫ بعد وفاة المأمون تولى على الخلافة اخوه المعتصم بالله فشغبت الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فخرج اليهم العباس وقال قد بايعت عمي برضاي . فهجعوا وبايع الجميع المعتصم (١) . وكان ذا شدة وبأس يود العمائر واتقان الضيع وكان حسن الصورة حلو الحديث . ولما تولى المعتصم خرج كثير من اهل الجبال وهمدان واصفهان وغيرهم وتجمعوا في اعمال همدان (٢) . فوجه اليهم المعتصم العساكر فواقعوهم وقتل من الخوارج ما ينوف عن الستين الفاً وهرب الباقون الى بلاد الروم . ثم احضر المعتصم احمد بن سهل الذي كان يدعي ان القرآن مجعولاً ولم يقل

(١) وفيها امر المعتصم بهدم ما كان المامون امر ببنائه بطوانة وحمل ما كان بها من السلاح والالة ما قدر على حمله واحرق الباقي وامر بصرف من كان اسكنهم المامون هناك الى بلادهم وانصرف المعتصم الى بغداد ومعهُ العباس بن المامون فدخلها السبت مستهل رمضان

(٢) هولاء خوارج دخلوا في دين الخرمية فوجه اليهم الخليفة اسحق بن ابرهيم بن مصعب في [illegible] فاخضعهم

مخلوقًا لكونه يقال فيه انا جعلناه قرآنا عربيًا . فجلده المعتصم ومات وهو يقول لا اقول ان القرآن مخلوقًا بل مجعولاً . وحج بالناس صالح ابن العباس بن محمد وضحى اهل مكة يوم الجمعة واهل بغداد يوم السبت

وفي السنة ٢١٩ هـ = ٨٣٤ م ظهر محمد بن القاسم من آل علي بالطالقان في نواحي الكوفة وظهر بالشيعة وكان يزعم ان محمداً لم يمت بل هو حي و يظهر في اخر الزمان و يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً . وكان يدعو الناس الى الرضا من آل محمد . فانقاد اليه اناس كثيرون من ناحية الكوفة وطبرستان . (وارسل اليه المعتصم عبد الله بن طاهر والمذكور ارسل ابنه محمداً مع جيش عظيم وجرت له وقعات عديدة معه انهزم فيها محمد ابن القاسم واصحابه وفر هاربًا الى كور خراسان. وهناك امسكه عاملها من قبل المعتصم واوثقه. وارسله الى عبد الله بن طاهر والمذكور بعثه الى المعتصم فسجنه وهرب من السجن وجعل لمن يدل عليه مائة الف درهم ولم يعرف له خبر . وفيها قدم اسحق بن ابراهيم الى بغداد من الجبل ومعه الاسرى من الخرمية والمستأمنة وكان قد حاربهم وقتل منهم نحو مائة الف عدا النساء والاولاد . ووجه المعتصم عجيفًا بن عنبسة لحرب الزط الذين عاثوا في طريق البصرة فحاصرهم وقتل منهم ثلثمائة واسر ثلثمائة ثم قتل الاسرى وارسل رؤوسهم الى الخليفة . وحج بالناس صالح ابن العباس)

وفي السنة ٢٢٠ هـ = ٨٣٥ م قهر عجيف الزط حتى طلبوا الامان منه فامنهم ونقلهم معه الى عين زربة وهناك اغارت الروم عليهم وقتلوهم ولم يفلت منهم احد . ووجه المعتصم الافشين حيدر بن كاووس لحرب بابك الخرمي الذي كان جمع جموعًا كثيرة اليه وعاثوا في الارض ولم يتركوا رجلاً ولا امرأةً ولا ولداً مسلما الا وقتلوه واحصي عدد قتلى المسلمين فبلغ مائتي الف وخمسة وخمسين الفًا . وولى المعتصم الافشين على الجبال فحارب بابك الخرمي وهزمه في عدة مواقع وسبى كثيرين من اتباعه وقتل كثيرين فهرب بابك الخرمي الى موقان ومنها الى مدينته البذ وتحصن هناك فحاصره الافشين . وخرج المعتصم الى القاطول . وغضب على الفضل بن مروان وحبسه وحج بالناس صالح ابن العباس بن محمد

وفي السنة ٢٢١ هـ = ٨٣٦ م حدثت وقعة مهمة بين بابك الخرمي وبغا الكبير فهزم بابك بغا واستباح عسكره . ثم حاربه الافشين وهزمه وقتل قائداً لبابك يدعى طرخان . وحج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن موسى وهو والي مكة

وفي السنة ٢٢٢ هـ = ٨٣٦ م وجه المعتصم جعفراً ابن دينار الخياط الى الافشين مدداً له ثم اتبعه بقائد آخر مع مبلغ عظيم من المال . وذكر ابو الفرج انه لما ضاق الامر ببابك بعد حصار سنتين خرج هارباً ومعه اخته وزوجته في زي التجار فعرفه سهل بن سنباط الارمني البطريق فاسره وافتدى نفسه منه بمال عظيم فلم يقبل . وفعلت الارمن بامه واخته وامرأته الفاحشة بين يديه كما كان يفعل المامون بحرم الناس اذا اسرها وارسله الى الافشين والافشين حمله الى المعتصم . فامر بقطع يديه ورجليه ثم قطع راسه وارسله الى خراسان وصلب جسده على سور المدينة . وفتحت البذ مدينته ودخلها المسلمون واستباحوها . وحج بالناس محمد ابن داود

(وفي السنة ٢٢٣ هـ = ٨٣٧ م قدم الافشين على المعتصم ببابك الخرمي واخيه الى سامرًّا فاركبه على فيل وشهره في المدينة ثم امر بقطع يديه وصلبه وهكذا ارسل اخاه الى بغداد ففعل به كما فعل ببابك . وكان جملة من قتلهم بابك من المسلمين في مدة عشرين سنة منذ خروجه ٢٥٥٠٠ . وفيها اوقع ثاوفيل بن ميخائيل باهل زبطرة فاسرهم وخرب بلدتهم ومضى منها الى ملطية . وفعل بها كذلك وسبى من المسلمات اكثر من الف امرأة ومثَّل بهن . وسمل اعين الرجال وصلم اذانهم وانوفهم [1] . فشخص المعتصم اليه غازياً وقيل ان شخوصه كان سنة ٢٢٤ كما سياتي ففرق قواده الى جهات مختلفة في مملكة الروم وذهب بنفسه الى عمورية فحاصرها واخذها . وكان ينوي ان يتبع الروم الى القسطنطينية ولكن بلغه ان العباس بن المأمون اظهر العصاوة عليه في بغداد فرجع وحبسه وامر بلعنه ثم عرف دسيسته وقتل القواد الذين وافقوه وضيق عليه في السجن حتى مات هو وكل اولاد المأمون . وفيها جرح اسحق ابن ابرهيم . وحج بالناس محمد بن داود

وفي السنة ٢٢٤ هـ = ٨٣٨ م ظهر مازيار ابن قارن بطبرستان مخالفاً المعتصم فارسل اليه جنوداً وقواداً لمحاربته فوافوه وهو يصطاد فاسروه وسلموه الى عبدالله ابن طاهر . وارسله الى المعتصم فضرب به وصلبه بجانب بابك الخرمي . وولى جعفراً ابن دينار على اليمن . وتزوج الحسن ابن الافشين اترنجة بنت اشناس ودخل عليها في قصر المعتصم واحضر لعرسها عامة

---

(١) لما فعل الروم بالمسلمين هذه الافعال ضج الناس في الامصار وتفانوا في المساجد والديار فدخل ابرهيم ابن المهدي على المعتصم وانشده قصيدة ومنها

يا غارة الله قد عاينت فانتهكي ... هتك النساء وما منهن يرتكبُ
هب الرجال على اجرامها قتلت ... ما بال اطفالها بالذبح تنتهبُ

اهل سامرّا · والمعتصم نفسه[١] يباشر مفتقداً من حضر · وعصى عبد الورثاني · ومنكجور الاشروسني باذربيجان فوجه اليه المعتصم بغا الكبير فخرج اليه طالباً الامان ومات ياطس الرومي وصلب بسامرّا بجانب بابك · ومات ابراهيم بن المهدي وصلى عليه المعتصم وحج بالناس محمد بن داود)

وفي السنة ٢٢٥ هـ = ٨٣٩ م قدم عبد الورثاني على المعتصم بالامان وقدم بغا الكبير بمنكجور الى سامرّا · وخرج المعتصم الى السن · واستخلف اشناس واجلسه المعتصم على كرسي وتوّجه ووشحه · وفيها احرق غنام المرتد · وغضب المعتصم على جعفر ابن دينار · وعزل الافشين عن الحرس وولى عليه اسحق بن يحيي بن معاذ · ووجه عبد الله بن طاهر بمازيار فخرج اسحق ابن ابراهيم الى الدسكرة فادخله بسامرّا في شوال وامر بحمله على الفيل فابى ركوب الفيل فادخله على بغل وضرب ٤٥٠ سوطاً وطلب ماءً فسقي ومات من ساعته · وحمل عبد الله بن طاهر الحسن ابن الافشين واترنجة ابنة اشناس الى سامرّا · وحج بالناس محمد بن[٢] داود

وفي السنة ٢٢٦ هـ = ٨٤٠ م (وثب علي بن اسحق بن يحيي بن معاذ وكان على المعونة في دمشق من قبل صول ارتكين برجاء ابن ابي الضحاك عامل الخليفة وقتله ·

---

(١) ذلك لان الافشين كان حارب بابك واسره وجلبه للخليفة وكفى الناس شره

(٢) ذكر الامير حيدر تحت هذه السنة نقلاً عن عدة تواريخ غزوة قسطنطين الزبلي وامه ايريني بلاد الاسلام وانه في وسط غزوته بلغه انه وُلد له غلام فرجع الى القسطنطينية وفي غيابه امالت امه القواد والجند اليها واتفقت معهم على خلعه وان تسلم الملك ولما رجعوا معها الى القسطنطينية القت القبض عليه وسجنته وسملت عينيه ونفت اخوته وزوجته وكل من ينتسب اليه الى اثينا · وارسلت وامرت الى اهل اثينا بقتلهم · ثم بعد مدة ندمت على ما فعلت وارسل ملك فرنسا يخطبها له زوجة وان يجعل المملكتين مملكة واحدة فلما علم قوادها بذلك قبضوا عليها وحبسوها · ثم نفوها الى مدينة برنيكوسون وماتت هناك بعد ما عاشت مدة بغاية الفقر والذلة · وانتخب الروم نيقفور ملكاً فامتلك كل اموال ايريني وخزائنها · وذكر الامير حيدر ان نيقفور هذا كتب المعتصم يطلب رد المال الذي اخذه من ايريني والاّ فالسيف بينهما واجابه المعتصم الى مثل ذلك وحاربه حتى اخذ عمورية · والحال ان الذي غزا الاسلام في سنة ٢٢٣ هو ثاوفيل بن ميخائيل ملك الروم وفعل ما فعله من الفواحش لانه ذكر موت ابنه لاوون في سنة ٢١٣ وليس قسطنطين الزبلي وان الذي ذكره عن نيقفور ومكاتبته للخليفة فكتابة نيقفور هذه كانت لهرون الرشيد وليست للمعتصم وقد ذكرنا ذلك في محله وقد مات نيقفور قبل هذه السنة بمدة عشر سنين ولكون ما كتبه الامير حيدر تحت هذه السنة مخالفاً للحقيقة المتفق عليها من الطبري والمسعودي وابي الفرج والوليد بن الشحنة لذلك اهملنا ما كتبه ولخصناه في هذه الحاشية ليعرف من يقف على نسخ هذا التاريخ السبب

وفيها مات محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين فصلى عليه المعتصم في دار محمد . وحج بالناس محمد بن داود) . وغضب المعتصم على الافشين بن كاوس قائد جيشه ووزيره لانه اعلم انه يريد نقل الملك الى العجم والمصاوة على المعتصم فاخذه وقتله وصلبه بجانب بابك . وقيل انه لما ضبط المعتصم داره واموله وجد في بيته اصناماً وكتباً تدل على انه كان مجوسيا وقيل انهم وجدوا غرلته لم تختن . وفي هذه السنة توفي حنين ابن سلمويه الطبيب وكان عالماً بصناعة الطب وله المنزلة الرفيعة عند المعتصم . ذكر ابو جعفر الطبري انه لما مرض حنين الطبيب دخل عليه المعتصم و بكى عنده وقال يشق عليّ فراقك فمن يصلحني بعدك . فقال له حنين عليك بيوحنا بن ماسويه واذا اعطاك شيئاً فخذ اقله ولما مات حنين بكى عليه المعتصم بكاء شديداً وقال سالحق به لانه كان حافظاً لحياتي وامر باحضار جنازته وصلى عليه بالشمع والبخور كعادة النصارى .

وفي السنة ٢٢٧ هـ = ٨٤١ م (خرج ابو حرب المبرقع اليماني بفلسطين ومعه خمسون الفاً من اليمن مخالفاً الخليفة فوجه الخليفة اليه رجاء الحضاري في جيش عظيم فواقعه في دمشق وقتل من جيشه نحو خمسة الاف . ثم لحقه الى الرملة وحارب به فاسره وقتل من اصحابه نحو عشرين الفاً فحمل مع ابن بهيس الى سامرا فجعلا في المطبق . وفيها توفي بشر ابن الحارث الحافي واصله من مرو) . وفيها توفي المعتصم بالله بسرمن رأى وقيل عن سبب موته ان حنيناً كان يفصده مرتين كل سنة و يعطيه بعد الفصد دواء . فلما مات حنين و باشر خدمة المعتصم يوحنا ابن ماسويه الطبيب فعل بعكس ما كان يعمله حنين واعطى المعتصم الدواء قبل الفصد . فتغيرت احوال جسده ومرض ومات . وكانت مدة خلافته ثماني سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام . وكان عمره ثمانٍ واربعين سنة . وكان ابيض اصهب اللحية طويلها مربوعاً لونه مشرب حمرة حسن العينين وكان مولده بالخلد . وكان جواداً حليماً حسن السيرة عادلاً في حكمه وضبط من الجند ما لم يضبطه احد من الخلفاء قبله حتى ضاقت بهم بغداد . فاشترى سرمن رأى وعمرها وابتنى بها قصراً ونقل الجند اليها وسكنها اياماً وصارت سرمن رأى مقاماً للخلفاء . ذكر ابو الفرج ان المعتصم كان يسمى المثمن لانه الثامن في احدى عشر امراً اولها انه ثامن ولد ولد العباس . والثاني انه ثامن خلفائهم والثالث انه ولي الخلافة سنة ٢١٨ هـ . وكانت مدة خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام . وولد له ثمانية بنين وثمان بنات . وكان عمره عند وفاته ٤٨ سنة . وكان مولده في شهر شعبان ثامن شهر في السنة

الفصل التاسع

في خلافة هرون الواثق بالله وهو التاسع من العباسيين

وبعد وفاة المعتصم بويع بالخلافة ابنه هرون وكني الواثق بالله وهو التاسع من الخلفاء العباسيين والثلاثون من خلفاء الاسلام وذلك يوم الاربعاء في ٨ ربيع اول . وكان يكنى ابا جعفر وامه ام ولد رومية تسمى قراطيس (وفي هذه السنة هلك ثاوفيل ملك الروم وكان ملكه اثني عشرة سنة وملكت بعده امرأته ثاودورا وابنها ميخائيل طفل وحج بالناس جعفر بن المعتصم وكانت ام الواثق خرجت معه تريد الحج فماتت في الحيرة في ٤ ذي القعدة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى

وفي السنة ٢٢٨ هـ = ٨٤٢ م توج الواثق اشناس والبسه وشاحين مجوهرين . ومات ابو الحسن المدايني في منزل اسحق ابن ابراهيم الموصلي . ومات حبيب بن اوس الطائي هو ابو تمام الشاعر . وحج سليمان بن عبد الله بن طاهر . وغلا السعر بطريق مكة فبلغ رطل الخبز درهماً وراوية الماء اربعين درهماً . واصاب الناس في الموقف حر شديد ثم مطر شديد فيه برد فاضر بهم شدة الحر ثم شدة البرد في ساعة واحدة . وحدث مطر شديد بمنى يوم النحر لم ير مثله وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة قتلت عدة من الحجاج وحج بالناس محمد بن داود .

وفي السنة ٢٢٩ هـ = ٨٤٣ م غزا الواثق جزيرة صقلية وافتتح مدينة مسينا في البحر . وفي هذه السنة نكب الواثق بالله دواوينه وكتابه وحبسهم واخذ منهم اموالاً عظيمة . ثم عزل علياً بن يحيى عن امارة مصر وولى عليها عيسى بن منصور . وولى محمداً بن صالح بن عباس على المدينة . وحج بالناس محمد بن داود

وفي السنة ٢٣٠ هـ = ٨٤٤ م وجه الواثق بغا الكبير الى الاعراب الذين عاثوا بالمدينة وبما جاورها . وفيها توفي عبد الله بن طاهر بنيسابور يوم الاثنين في ١١ ربيع الاول بعد موت اشناس التركي ببضعة ايام وكان وقتئذ وزير الحرب والشرطة والسواد وخراسان واعمالها والري وطبرستان وما يتصل اليها وكرمان . وخراج هذه الاعمال كان يوم مات ثمانية واربعين الف الف درهم وكان اميراً جليلاً عظيم القدر كريماً شجاعاً وولي على خراسان ومصر والشام وقصده العلماء والشعراء واهل الادب من كل

صقع وقد تمسك بوصية ابيه كل حيوته فولى الواثق اعال عبد الله بن طاهر المذكور كلها ابنه طاهرًا · وحج بالناس محمد بن داود · ذكر في تواريخ الروم في هذه السنة ان عساكر البلغار قدمت وحاربت سردا كي وذبحوا من عساكر الروم ستة الآف فسار اليهم الملك نيكوفورس بعساكر وافرة ولما بلغ مقابل عساكر البلغار انتشب الحرب بينهما فغلب البلغاريون وظفروا بالروم وقبضوا على الملك حيًا وعلى كثير من نبلاء دولته وقطعوا رأس الملك ورفعوه على رمح ثم اخرجوا ماداخل الجمجمة ونظفوها وصاغوا دائرها من ذهب وملأوها خمرًا وشربوا بها قائلين نشرب من هذا القدح بظفرنا وغلبتنا · قال · وهكذا جرت العادة الى الآن ان يشرب الروم قدحًا تذكارًا في الافراح · ثم ان الروم انتخبوا اصطفراكيوس بن نيكوفورس ملكًا عليهم وكان مجروحًا في كتفه من الحرب فقام في الملك نحو شهرين ومات · فانتخب الروم ميخائيل الكور بالاطون ملكًا وهو صهر الملك نيكوفورس · وكان متواضعًا محبًا للصلح والسلام بين العساكر والشعب الا انه بعد تملكه ببضعة ايام طمعت العساكر به لكثرة تواضعه وثاروا عليه ولما عرف ذلك عزل نفسه وصار راهبًا · ثم ان شعب الروم ورؤساء العساكر ورجال المملكة عملوا مجمعًا وانتخبوا لاوون الارمني فتوّجه البطريرك ملكًا عليهم · قال و بعد تملكه قدم ادماريوس امير البلغار بعساكره الى مدينة ادرنه فقتل واسر كثيرين من سائر تلك النواحي فسار اليه الملك لاوون بعساكر الروم فظفرت بهم البلغار وهزموهم · الا انه بعد ذلك هاجمهم الروم ليلاً وهزموهم وغنموا غنائمهم ورجع الملك لاوون الى القسطنطينية منصورًا · وكان مقدم عساكر الروم ثاودوسيوس وكان الملك يحبه محبة عظيمة و يسمع كلامه · وكان ذلك الرجل من جملة محاربي الايقونات فجعل يميل الملك الى رأيه و يبين له ان لاوون الايصوري وولده قسطنطين الزبلي لم يدم ملكهما اكثر من غيرهما من الملوك الا لاجل اتباعهما الحق وعدم سجودهما للايقونات والصور التي هي كالاصنام فانخدع الملك من قوله وامر بنزع الصور من الكنائس ونفى البطريرك نيكيفورس وكل من ضاده بذلك الامر وكان من المضادين له ميخائيل الالثغ البطريق الكبير فقبض عليه الملك لاوون ووضعه في السجن وكان ذلك قبل عيد الميلاد · وفي نهار العيد بكر الملك ليسمع القداس في الكنيسة العامة ولما دخل وجلس على الكرسي هجم عليه ثلاثة اشخاص من اصحاب ميخائيل الالثغ وقتلوه داخل الهيكل فهاج الشعب كثيرًا وكان اكثرهم قد ابغضوا الملك لاوون لرداءته فمضوا واعتقوا ميخائيل الالثغ من السجن واجلسوه ملكًا وكانت اقامة لاوون

الارمني ملكاً على الروم اربع عشرة سنة

(وفي السنة ٢٣١ هـ = ٨٤٥ م تمَّ الفداء بين المسلمين والروم عن يد خاقان خادم الرشيد على نهر اللامس في سلوقية على مسافة يوم من طرسوس في يوم عاشوراء وكان كلما اطلق الروم اسيرًا يطلق الاسلام اسيرًا ولما يصل الاسير المسلم يكبر المسلمون ولما يصل الاسير الرومي الى شعبه يقول الروم كير باليسون اي يارب ارحم حتى فرغوا وكان عدد اسارى المسلمين ٤٤٦ والنساء والصبيان ثمانماية ومن اهل الذمة مائة نفس . ومات الحسن بن الحسين اخو طاهر ابن الحسين بطبرستان . ومات ابو عبد الله الاعرابي الراوية . ومات ابو نصر احمد بن حاتم راوية الاصمعي وعمرو بن ابي عمرو الشيباني ومحمد ابن سعدان النحوي . وكان فكر الواثق ان يحج فسمع بقلة الماء على الطريق فعدل عنه وحج بالناس محمد بن داود)

وفيها جرى بين الامير هاني، والمردة حروب كثيرة في جبال لبنان فانتصر عليهم ولقب بالغضنفر ابي الاهوال و بلغ خبره خاقان التركي خادم الرشيد فكتب اليه كتاباً يشكره به على ما فعل و يحثه على الحرب و يخبره انه بلَّغ حسن سلوكه الى مسامع الخليفة

وفي السنة ٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م (اصاب الحجاج في رجوعهم عطش شديد في اربعة منازل الى الربذة فبلغت الشربة عدة دنانير ومات خلق كثير من العطش . وفيها امر الواثق بترك جباية اعشار سفن البحر . وفيها اشتد البرد في ابريل (نيسان) حتى جمد الماء في ٥ منه في بغداد) . وفيها توفي الواثق بالله بالاستسقاء في ٢٤ ذي الحجة ولما مرض احضر المنجمين وسألهم عن عمره فقالوا له تعيش دهرًا طويلاً اقله خمسون سنة . فلم يعش بعد قولهم الا عشرة ايام ومات . ودفن في قصره بالهاروني وصلى عليه ودفنه احمد بن ابي داود . وكان الواثق يشبه المأمون في الحلم وحسن الاخلاق . (وكان ابيض مشربًا حمرة جميلاً حسن الجسم قائم العين اليسرى وفيها نقط بياض وتوفي وعمره ٣٢ سنة وقيل ٣٦ وكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر وخمسة ايام وامه رومية يقال لها قراطيس) . ذكر المسعودي قال دخل عليه علي بن محمد ابن مروان وقال السلام عليك يا امير المؤمنين فليسعنا عدلك كما حل علينا غضبك فامر برد اموالهم . وكان الواثق كثير العدل متعطفاً على اقاربه واهل بيته متفقدًا احوال الرعية . وكان يقول لا اوثر ان يكون على الارض جهلاً الا و يسعه حلمي ولاذنباً الا و يسعه عفوي ولا حاجة الا و يسعها جودي ومن جملة اشعاره ما قال

صدقت وقلت حقاً غير اني   ارى اني اراك ولا تراني
ولست اقول شعراً في صديقي   ولكني اصله اذا جفاني

ذكر ابو جعفر الطبري في تاريخه قال حدث احمد بن هرون الشرابي ان يوحنا بن ماسويه كان مع الواثق يوماً على شاطىء الدجلة وكان الواثق بيده قصبة يصطاد بها سمكاً وكان يوحنا عن يمينه . فقال الواثق له قم يامشؤوم من عن يميني . لقد احرمتني الصيد فقال يوحنا بن ماسويه لا تقل يا امير المؤمنين انني مشؤوم فانا ابن ماسويه الخوارزمي وامي الصقلية المبيعة بخمسمائة دينار . وانا قد قبلتني السعادة الى ان صرت نديم الملوك وسميرهم ونلت من الدنيا ما لم اتمناه فمن المحال ان اكون مشؤوماً ولكن ان احب امير المؤمنين اخبرته من هو المشؤوم . قال قل . قال يوحنا من والداه اربع خلفاء ثم ساق الله اليه الخلافة فترك خلافته وقصوره والمتنزهات التي عنده وجلس على شاطىء الدجلة فوق عشرين ذراعاً من الماء ولا يأمن من الهبوط فيه وتشبه بافقر قوم . قال فضحك الواثق من ذلك واعجبه ذلك الجواب

الفصل العاشر

في خلافة جعفر المتوكل على الله وهو العاشر من العباسيين

(وفي هذه السنة بويع لجعفر المتوكل على الله بالخلافة وهو ابن محمد بن هرون بن محمد بن عبد الله بن محمد ذي الثفنات بن علي السجاد بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وذلك يوم توفي الواثق وكان عمره ٢٦ سنة وهو الحادي والثلاثون من ملوك المسلمين والعاشر من العباسيين وعند توليه الخلافة امر للاتراك برزق ثمانية اشهر . وامر للمغاربة برزق ثلثة اشهر فابوا قبولها . وحج بالناس محمد بن داود)

(وفي السنة ٢٣٣ هـ = ٨٤٧ م غضب المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات وعلى عمر بن فرج وحبسهما وضبط اموالهما . وضايق ابرهيم بن الجنيد النصراني حتى اقرّ بسبعين الف دينار فاستخرجها من مخبائه وسلمها وحبس . وغضب على ابي الوزير وحاسبه واخذ منه اموالاً جزيلة وتحفاً نفيسة واستكتب عوضه محمداً بن الفضل الجرجاني وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولى عليه يحيى بن خاقان الخراساني . وولى المتوكل ابنه محمداً المنتصر على الحرمين واليمن والطائف . وفلج احمد بن داود . وفيها وثب

ميخائيل بن ثاوفيل على امه ثاودورا فشجها وادخلها الدير وقتل القنيط لانه اتهمه بها وكان ملكها ست سنين . وحج بالناس محمد بن داود

وفي السنة ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م هرب محمد بن البعيث وكان جيئ به اسيراً من جهة اذربيجان فحبس . وخرج المتوكل الى المداين وولى ايتاخ على مكة والمدينة ودعي له على المنابر . وايتاخ هذا كان غلاماً خزرياً طباخاً لسلام الابرش فاشتراه المعتصم ورفعه ومن بعده رفعه الواثق ايضاً . وحج باالناس محمد بن داود

وفي السنة ٢٣٥ هـ = ٨٤١ م عقد المتوكل المبايعة الى اولاده الثلاثة بولاية العهد بعده لمحمد ولقبه المنتظر واعطاه الحجاز وللزبير ولقبه المعتز واعطاه ولاية الحجاز ولابراهيم وسماه المؤيد واعطاه اليمن والشام . ثم امر بترك النظر والمباحثة في الجدال والتقليد وامر الشيوخ والمحدثين بالحديث واظهر السنة والجماعة . وامر بلبس الملاحم ولبسها واتبعه في ذاك خواصه واهل بيته ثم العامة . وكانت ايامه احسن الايام بالهدو والراحة واجراء العدل والامان . وفاق الوصف في العطاء والكرم . (وفيها قتل ايتاخ الخزري . وامر المتوكل النصارى بلبس الطيالسة العسلية والمناطق وركوب السروج بركب الخشب . و بعمل كرتين على مؤخر السروج و بعمل زرين على قلانس من لبس قلنسوة مخالفة بلونها للتي يلبسها المسلمون . وبعمل رقعتين على ما ظهر من لبس مماليكهم مخالف لونهما لون الثوب الظاهر الذي عليه وان تكون احدى الرقعتين بين يديه عند صدره والاخرى منهما خلف ظهره . و يكون قدر الرقعة اربعة اصابع ولونها عسلياً . ومن لبس منهم عمامة فيلزم ان يكون لونها عسلياً . ومن خرج من نسائهم فيلزم خروجها بازار عسلي . وامر بهدم بيعهم المحدثة . و باخذ العشر من منازلهم . وان كان المحل واسعاً صير جامعاً . وان كان لا يصلح مسجداً صير محل قضاء . وامر ان يجعل على ابواب دورهم صور شياطين من خشب مسمرة للفرق بينها و بين منازل المسلمين . ونهى ان يستعان بهم في الدواوين واعمال السلطان التي يجري احكامهم فيها على المسلمين . ونهى ان يتعلم اولادهم في مكاتب المسلمين ولا يعلمهم مسلم . ونهى ان يظهروا في (شعانينهم) صليباً او يشعلوا المشاعيل في الطريق وامر بتسوية قبورهم على مساواة الارض لئلا تشبه قبور المسلمين وامر بضرب اسمه على الدراهم . وفي هذه السنة مات اسحق ابن ابراهيم صاحب الجسر فصير المتوكل ابنه مكانه وكسي خمس خلع وقلد سيفاً وحين سمع المتوكل بمرض ابيه بعث ابنه المعتز لعيادته مع بغا الشرابي وجماعة من القواد والجند . وفيها اصفر ماء دجلة

ثلثة ايام ثم تغير. وحج بالناس محمد بن داود)

وفي السنة ٢٣٦ هـ = ٨٥٠ م امر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن ابي طالب وهدم ما حوله من المنازل وان يحرث و يبذر و يسقى موضعه وان يمنع الناس عن زيارته (وفيها عزل المتوكل محمداً ابن الفضل الجرجاني واستكتب موضعه عبد الله بن يحيى بن خاقان . وحج محمد المنتصر بالناس وحجت معه جدته شجاع ام المتوكل فشيعها المتوكل الى النجف)

وفي السنة ٢٣٧ هـ = ٨٥١ م ولى المتوكل على الله يوسف بن محمد بن طاهر بن الحسين على ارمينية واذربيجان فسار الى خلاط وقبض على بقراط ابن اشوط البطريق وارسله الى المتوكل فاجتمع بطارقة ارمينية ووثبوا على يوسف وقتلوه وسلبوا ماله ومال كل من كان معه . فلما بلغ المتوكل ذلك وجه بغا الكبير اليهم فقتل منهم خلقاً كثيراً .

وفي هذه السنة توفي عبد الرحمن بن الحكيم بن هشام الاموي ملك الاندلس وكانت مدة خلافته احدى وثلاثين سنة وملك بعده ابنه محمد (وفيها قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان فولي على الشرطة والجزية واعمال السواد وخلافة امير المومنين بمدينة السلام . وعزل المتوكل محمداً ابن احمد ابن ابي دؤاد عن القضاء ورضي عن ابن اكثم فولاه القضاء ثانية وغضب على محمد بن ابي دؤاد وحبسه وضبط املاكه . وحج بالناس علي ابن عيسى)

وفي السنة ٢٣٨ هـ = ٨٥٢ م ظفر بغا الكبير بقاتلي يوسف بن محمد بن عبد الله بن طاهر وقتل منهم عدداً لا يحصى ثم سار الى مدينة تفليس وحاصرها وضربها بالنفط وكان اكثر عمارها من خشب فاحرقها وامات من اهلها خلقاً لا يحصى عددهم . وفيها جاءت الروم بثلثماية مركب مع عرفا وابن قطونا وامردبانه وهم الرؤساء ومع كل واحد منهم مائة مركب فرسى ابن قطونا بدمياط فهرب اهلها الى الفسطاط (اي القاهرة او مصر العتيقة) وقتل الروم كثيراً من المسلمين وسبوا نحو ستماية اسير من نساء واولاد المسلمين والاقباط واحرقوا الجامع بدمياط والكنائس ونهبوا كثيراً ورجعوا الى بلادهم ولم يعارضهم احد . وفي هذه السنة قبض المتوكل على وزيره علي ابن الجهم وسجنه وكان من الشعراء المعدودين ذا نفس شريفة و بقي في السجن مدة طويلة . ذكر المسعودي انه لما كان علي ابن الجهم في سجن المتوكل ارسل اليه بعض اصحابه كتاباً يقول فيه الحمد لله الذي ابلاك في الصغائر واعفاك من الكبائر اراد بقوله الصغائر اي الحبس وسلب

المال ٠ والكبائر العرض والدم٠ فردّ عليه علي ابن الجهم جوابًا شعرًا

قالوا حبست فقلت ليس بضائرٍ حبسي واي مهند لا يغمد
او ما رايت الليث يالف غيله كبرًا واو باش السباع تردد
والشمس لو لا انها محجوبةٌ عن ناظريك لما اضاء الفرقدُ
والنار في احجارها مخبوءةٌ لا تصطلى ان لم تثرها الازندُ
والحبس ما لم تغشه لدنيئة شنعاء نعم المنزل المستوردُ
بيت يجدد للكريم كرامةً ويزار فيه ولا يزور ويحفدُ
لو لم يكن في الحبس الا انهُ لا يستذلك بالحجاب الاعبدُ
غدر الليالي باريات عديدها والمال عادته يعارُ ويفقدُ
لا يؤنسنك من تفرج كربه اجلالك المكروه فيما يحمدُ
كم من عليل قد تخطاه الردي ونجا ومات طبيبه والعودُ
صبرًا فان اليوم يعقبه غدًا ويد الخلافة لا تطاولها يدُ

قال فوصلت تلك الابيات الى المتوكل فنعطف على علي ابن الجهم وامر باطلاقه ٠ وعاد عنده احسن مما كان قبلاً ٠ قال وكان يقول كنت اتسلى وانا في السجن في اربعة اقوال فيهون عليّ ما انا به ٠ اولها اقول ان القضاء والقدر لابد منه ٠ والثاني اقول ان لم اصبر ماذا اصنع ٠ والثالث اقول انه يجوز ان يكون عليّ اشد من ذلك ٠ والرابع اقول اني لا أيأس من فرج ربي

(وفي السنة ٢٣٩ ﻫ = ٨٥٣ م امر المتوكل اهل الذمة بلبس ذراعين عسليتين على الاقبية والدراريع ٠ ثم امر ايضًا بالاقتصار في ركوبهم على البغال والحمير دون الخيل وامر بهدم البيع المحدثة في الاسلام ٠ ونفى المتوكل عليًا بن الجهم الى خراسان واتفق بهذه السنة شعانين النصارى ويوم النيروز يوم الاحد في ٢٠ ذي القعدة وذكر ان النصارى زعمت انهما لم يجتمعا في الاسلام قط

وفي السنة ٢٤٠ ﻫ = ٨٥٤ وثب اهل حمص بعاملهم على المعونة٠ ومات احمد ابن ابي دؤاد ببغداد بعد موت ابنه بعشرين يومًا وعزل المتوكل يحيي ابن اكثم عن القضاء وضبط كل ما كان له وولى مكانه علي القضاء جعفرًا ابن عبد الواحد ٠ وحج بالناس عبد الله بن محمد بن داود وحج ايضًا جعفر ابن دينار

وفي السنة ٢٤١ ﻫ = ٨٥٥م وثب اهل حمص ثانية بعاملهم على المعونة محمد ابن

عبدويه · وامطرت السماء بسامرا مطرًا كثيرًا في شهر اوغسطس (آب) · وفيها انقضت الكواكب ببغداد وتنازلت في اول جمادى الاخرة · وفيها غارت البجة [1] على حرس من ارض مصر فوجه المتوكل لحربهم محمدًا ابن عبدالله القمي وولاه معاونة على تلك الكور المجاورة للبجة وهي قفط والاقصر واسنا وارمنت واسوان وامر والي مصران يعاونه بالجند والذخيرة وكان الوالي عنبسة بن اسحق الضبي فدخل محمد القمي الى الجنوب واجتاز المعادن فانضم اليه عملة المعادن وخرج اليه ملك البجة واسمه علي بابا وابنه لعيس مع جيش كثير ضعف جيش القمي وابتدأ يناوشه مناوشات · وكان في قصده ان يتماهل عليهم بينما ينفذ الزاد فيمسكهم اسارى · ولما عرف بقرب نفوذ الزاد قصد المحاربة ولكن كانت وردت للقمي المراكب في زاد كثير فارسل القمي جنوده لحماية الزاد فحاربوا فغلب علي بابا واُخذ اسيرًا واخيرًا طلب الرجوع الى بلاده مؤمنًا وانه يدفع الخراج المتأخر فولاه عليها واطلقه · وحج بالناس محمد بن داود · وفيها مات الامام احمد بن حنبل · قال الامام الشافعي خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقه ولا اورع من احمد بن حنبل

وفي السنة ٢٤٢ ﻫ = ٨٥٦ م حدثت زلازل هائلة بقومس ورساتيقها فهدمت الدور وهلك خلق كثير ممن سقطت عليهم البيوت والحيطان بالزلازل وكان عدد القتلى ٤٥٠٩٦ وحدث باليمن مثل ذلك مع خسف في الارض · وفيها مات الحسان الزيادي قاضي الشرقية ومات الحسن بن علي الجعد قاضي مدينة المنصور · وفيها مات القاضي يحيى ابن اكثم وكان عالمًا ولكنه كان مذمومًا بمحبة الغلمان كما سبق عنه والاكثم معناه العظيم البطن · وحج بالناس عبد الصمد بن موسى والي مكة

وفي السنة ٢٤٣ ﻫ = ٨٥٧ م شخص المتوكل الى دمشق فضحى ببلدٍ قال يزيد بن محمد المهلبي

اظنّ الشام تشمتُ بالعراق   اذا عزم الامام على انطلاق

فان تدع العراق وساكنيها   فقد تبلى المليحة بالطلاق

---

(١) هم قبيلة من قبائل الحبش بالمغرب من السودان البجة والنوبة واهل غانة الغافر وبنورور عوبن والفروية ومكسوم ومكاده أرم خمس قبائل وفي بلاد البجة معادن ذهب يقاسمون عمالها ويودون الباقي الى عمال السلطان من مصر في كل سنة من معادنهم اربعماية مثقال تبر وفي ايام المتوكل امتنعت البجة عن اداء ذلك سنينًا متوالية

وفيها مات ابراهيم بن العباس . وحج بالناس عبد الصمد بن موسى .)

وفي السنة ٢٤٤ هـ = ٨٥٨م سار المتوكل الى الشام وعزم على الاقامة بها وتحويل خزائن المال اليها وامر بالبناء فيها فتحرك الاتراك في ارزاقهم فامر لهم بما ارضاهم ثم ان المتوكل غير عزمه عن الاستيطان بدمشق لرطوبة هوائها وكثرة ثلوجها فرجع الى (سرّ من رأى[1]) . وكانت مدة اقامته في دمشق شهرين ودخل سر من راى يوم الاثنين التاسع من جمادى الاول . ذكر في تواريخ الروم ان في هذه السنة خرج توما ضابط انطاكية وجعل نفسه ملكاً وانضم اليه عساكر كثيرة من الروم واتى بلاد الاناضول وتملكها فارسل اليه الملك ميخائيل الالثغ عساكر كثيرة وجرى بينهما حروب عظيمة تغلب فيها ميخائيل ثم قدم توما الى ادرنه فسار اليه الملك ميخائيل بعساكره وحين اشتد الحصار خانت عساكر توما وقبضوا عليه وسلموه الى الملك ميخائيل فقطع يديه ورجليه واركبه على حمار وامر بان يطاف به في اسواق المدينة ثم قتله . وفي هذه السنة تملكت المغاربة جزيرة اقريطش وصقلية ومواضع كثيرة من الافرنج (وفيها اتى المتوكل بحربة كانت للنبي تسمى العنترة وهي اصلا كانت للنجاشي فوهبها للزبير بن العوام والمذكور اهداها للرسول (صلعم) فامر المتوكل بحملها بين يديه وكان يحملها صاحب الشرطة . وغضب المتوكل على بختيشوع وقبض على ماله ونفاه الى البحرين . واتفق عيد المسلمين الاضحى وشعانين النصارى وعيد الفطر لليهود بيوم واحد . وحج بالناس عبد الصمد بن موسى)

وفي السنة ٢٤٥ هـ = ٨٥٩م زلزلت بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر . وزلزلت المدائن و بالبس والرقة وحران وراس العين وحمص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة وادرنه وسواحل بر الشام ورجفت اللاذقية فما بقي فيها منزل ولا افلت من اهلها الا اليسير . وذهبت جبلة باهلها وغارت مشاش عين مكة حتى بلغت قربة الماء مائة درهم . ذكر الطبري وكان في هذه السنة زلازل عظيمة في انطاكية ورجفات عظيمة فقتل خلق كثير وسقط بها ماينوف عن الف وخمساية دار وسقط من اسوارها ما ينوف عن تسعين برجاً فهرب اهلها الى الصحاري وانقطع جبلها الاقرع وقيل ان ضجة ذلك اليوم وهوله سمع في تنيس بمصر . وهاج البحر من ذلك وصعد منه دخان منتن مظلم . وغار فيها نهر ابي علي ولم يعرف ابن ذهب . ثم عدم مقياس النيل بمصر الذي

(١) ذكرت مرارًا في هذا الكتاب باسم سامرّا اختصارًا كما استعملها الطبري ولكن غب الفحص وجدت هكذا سر من راى

كان انشأه الخليفة سليمان بن عبد الملك في جزيرة الروضة كما سبق . فامر المتوكل ان يعمل مقياس جديد في الجزيرة وسمي المقياس الجديد . وفي هذه السنة كان الفداء بين الروم والمسلمين على الاسرى فاجتمع المسلمون على نهر اللامس مسيرة يوم من طرسوس وامر المتوكل ان تمتحن اسرى الاسلام فمن قال ان القرآن مخلوق اطلقوه ومن قال ان القرآن مجعول تركوه اسيرا فاطلقت اسرى الاسلام وكان عددهم ١٤٦٠ اسيرا [١].

(وفيها امر المتوكل ببناء الماجوزة وسماها الجعفرية واهتم كثيرا في اتمام بنائها وانفق عليها اكثر من الف الف دينار . وبنى فيها قصرا سماه لؤلؤة وامر بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماجوزة وانفق عليه مائتي الف دينار وجعل اثني عشر الف رجل يعملون فيه وظلوا يعملون فيه الى ان قتل المتوكل فبطل النهر واخربت الجعفرية ولم يتم بناؤها .)

(وفي السنة ٢٤٦هـ = ٨٦٠ م تحول المتوكل الى المدينة التي بناها بالماجوزة فنزلها يوم عاشوراء . وحدث مطر شديد ببغداد استمر ٢١ يوماً في اواخر شعبان ورمضان حتى نبت العشب فوق الاجاجير [٢] . وصلى المتوكل صلوة الفطر في الجعفرية . ولم يصل احد بسر من رأى وحج بالناس محمد بن سليمان الزينبي)

وفي السنة ٢٤٧ هـ = ٨٦١ م ذكر ابو جرير الطبري انه في هذه السنة كان مقتل المتوكل على الله وكان سبب ذلك ان المتوكل عزم ان يصلي بالناس آخر جمعة من شهر رمضان بسر من رأى فشاع الخبر بذلك واجتمعت الناس واحتشدت . واحتضر بنوهاشم وغيرهم . فقال له وزيره الفتح بن خاقان وعلي بن الجهم يا امير المؤمنين ان الناس قد اجتمعت وكثرت من اهل بيتك وغيرهم . فبعضهم ظالم و بعضهم مظلوم و بعضهم طالب حاجة . فان رأى امير المؤمنين ان يأمر بعض اولاده ان يصلي بالناس ونحن معه . فاجاب المتوكل الى ذلك وامر ولده المنتصر ان يصلي بالناس فلما نهض ليركب قال الفتح له ان رأى امير المؤمنين ان تامر ولدك المعتز بذلك . والح عليه علي فامر المعتز فصلى بالناس . ثم جاء العيد فامر المتوكل ولده المنتصر ان يصلي بالناس . فاشار الفتح بن خاقان ان يصلي المتوكل بنفسه ليروه الناس خوفاً ان يعرفوا بمرضه فركب المتوكل الى المسجد وصلى بالناس وخطب بهم وعاد الى قصره المعروف بالجعفري وكان المتوكل يشتم

---

(١) هذا الفداء ذكره الطبري في سنة ٢٤٦ هـ وذكر ان عدد الاسرى المفتدين ٢٣٦٧ اسيرًا

(٢) جمع الاجار وهو سطح البيت

ولده المنتصر و يسبه فعزم المنتصر على قتل والده ووافقه جماعة من الاتراك والموالي على ذلك . ولما كانت ليلة الاربعاء لاربع خلت من شهر شوال وجد الفرصة لذلك . وكان المتوكل يشرب في قصره مع ندمائه وقد سكر في ذلك اليوم نوعاً وامر الندماء بالانصراف . ولم يبق عنده الا الفتح وزيره فارسل اليه ولده المنتصر اربعة من الاتراك الذين اتفقوا معه الى القصر واول من ضرب المتوكل غلام تركي يدعى باغر . ثم تكاثرت عليه الغلمان وقتلوه فرمى الفتح نفسه عليه ليخلصه فقتلوه ايضاً . وكانت خلافته اربع عشرة سنة واربعة اشهر (وثلثة ايام وعمره اربعون سنة . وكان اسمر حسن العينين خفيف العارضين نحيفاً) . ذكر المسعودى ان ايام المتوكل كانت كالاعياد بالهدو والراحة والعدل والامان وكان المتوكل يحب اللعب والطرب فلم يكن من اسلافه الخلفاء العباسيين مثله اظهر في مجلسه اللعب والمزاح وتبعه فيها خدمه وخواصه . وكان المتوكل يرغب في العمائر وكان وزيره الفتح بن خاقان لم يدرك التدبير في وظيفته من سياسة الرعية الا انه كان اديباً وله نظر في العلم وكان شاعراً فصيحاً ومن اشعاره

الم ترَ ان الشيء للشيء علةٌ   يكون له كالنار يقدح بالزند

كذلك جربنا الامور وانما   بذلك ما قد كان قبلاً على البعد

ذكر ابو الفرج انه كان في زمان المتوكل من الاطبا جبرائيل بن بختيشوع وقد كان بلغ من العمر مدة طويلة وحوى مالاً كثيراً فسلب المتوكل ماله واطلقه[1] . وقدم عوضاً عنه حنيناً الطبيب النصراني العبادي والعباد قوم من نصارى العرب . وكان اسحق ابوه صيدلياً بالحيرة فلما نشأ حنين احب العلم واتى الى بغداد وخدم عند يوحنا بن ماسويه . فساله يوماً حنين عن مسألة فغضب عليه يوحنا وشتمه . فخرج من عنده باكياً وسار الى بلاد الروم واقام بها مدة طويلة حتى تعلم اللغة اليونانية ودرس في كتب الطب وحصل منها على الغاية التي يطلبها . ثم عاد الى بغداد وتعاظم امره . قال يوسف الطبيب دخلت يوماً على جبرائيل بن بختيشوع فوجدت عنده حنيناً وهو يفصل له بعض قضايا في علم التشريح فتعجبت من ذلك فقال لي لا تستكثر هذا منه لانه اذا مدّ في عمر هذا الرجل انه ليتفاضل على سرجيس . وكان سرجيس هذا راس اليعاقبة ناقلاً علم الطب من اليوناني الى السرياني . ولم يزل امر حنين يتعاظم و يزداد حتى صار ينبوع العلوم واتصل الى مكان رفيع عند المتوكل على الله . قال دعا المتوكل يوماً حنيناً وقال له لك مني

(١) ضبط ماله ونفاه الى جهة البحرين سنة ٢٤٤ هـ

خمسة الاف دينار وان يدان تعمل لي دواء اقتل عدوي به . فقال له حنين ما تعلمت غير الادوية النافعة ولا علمت ان امير المؤمنين يطلب مني غيرها . فان احب ان امضي واتعلم فعلت . ثم رغبه وهدده وحبسه واحضره يوماً وقال له اني اقتلك اذا لم تعمل لي مطلوبي فاجابه حنين لي رب ياخذ لي حقي غداً منك في الموقف الاعظم . فتبسم المتوكل وقال له طب نفساً انما اردنا امتحانك واحبه الملك لحسن ديانته وعاش حنين الى بعد وفاة المتوكل ومات وكان له ولدان داود واسحق فاما اسحق فواظب على الترجمة وتولاها واتقنها واحسن فيها وكانت نفسه أميل الى الفلسفة . واما داود فكان طبيباً للعامة وكان له ابن اخت يقال له حبش ابن الاعصب احد النا قلين من اليوناني والسرياني الى العربية وكان يقدمه على تلاميذه . وقيل ان من جملة سعادة حنين صحبة حبش له . فان اكثر ما فعله حبش ينسب الى حنين وكثيراً ما يرى من الكتب القديمة التي ترجمها حبش فيظن انها ترجمة حنين . و بالغ داود بن حنين في العلم الى طبقة رفيعة حتى صار يكنى بالبصير لزيادة تبصره (أو تضلعه) في العلوم

الفصل الحادي عشر

في خلافة المنتصر بالله وهو الحادي عشر من الخلفاء العباسيين

قال ابو جعفر الطبري وبعد قتل المتوكل بويع بالخلافة الى ولده المنتصر بالله وهو الحادي عشر من الخلفاء العباسيين فاستوزر احمد بن الخصيب وكان قاسياً غضوباً . ذكر عنه انه كان مجتازاً يوماً فتظلم اليه رجل وقدم ليقبل ركابه فركله الوزير برجله ووقع الرجل الى الارض مغشياً عليه . وقد شاع ذلك عند العامة وقال فيه بعض الشعراء

قل للخليفة يا ابن عم محمد . اشكل وزيرك انه ركال
اشكاه عن ركل الانام فان ترد مالاً فعند وزيرك الاموال

قال وبلغ المنتصر ذلك فنفاه واظهر المنتصر الحلم والعدل بالرعية و بالغ في الكرم عن من مضى قبله من الامم (وتولى الخلافة وهو ابن خمس وعشرون سنة بالجعفرية فاقام بها بعد المبايعة عشرة ايام ثم تحول عنها بعياله وقواده الى سرمن رأى . ثم خرج منها الى بغداد) ذكر المسعودي في تاريخه قال حدثني علي ابن الجهم قال دخلت يوماً على المنتصر وقد كان لي ضيعة و بالقرب منها بستان فاراد صاحبه ان يبيعه الى بعض

العيال والزمني في الشفعة ولم اكن املك ثمنها . ولما رآني المنتصر انكر علي ذلك وقال يا أبا محمد مابالك مقطب الوجه فانكرت عليه حالي . ولم يزل يلح علي حتى اخبرته بقصتي فقال لي وكم قدر ثمن ذلك البستان فقلت له عشرة [1] آلاف درهم فاخذ يشغلني في الحديث . ثم استدعى الخادم وساره وقد كنت اظن انه يأمرلي ببعض الثمن فنهضت ولم ار منه شيئًا وانصرفت وانا طائر الفواد ولم اعلم ماذا اصنع . ولما دخلت داري التقى بي خادمي وقال يامولاي ان خادم امير المؤمنين دفع لي هذا الكيس وقال لي متى حضرت لاخبرك به . ان ذلك ثمن البستان فاخذته واذا داخله عشرة الاف درهم .

ذكر المسعودي ان في خلافة المنتصر خرج في ناحية اليمن والموصل ابو العمود الشاري وانضمت اليه الناس وعظم امره فوجه اليه المنتصر العساكر وجرت لهم معه حروب كثيرة . ثم قبضوا على الشاري واتوا به الى المنتصر ولما مثل بين يديه قال يا امير المؤمنين لذة العفو اعذب من لذة الانتقام فعفا عنه المنتصر وامر باطلاقه واخذ عليه العهود فخرج وهو يقول شعرًا

يا عاشر الخلفاء دمت ممتعًا ... بالملك تعقد بعدهم للعاشر

حتى تكون امامهم وكأنهم ... زهر النجوم دنت لبدر الزاهر (٢)

وفي السنة ٢٤٨ هـ = ٨٦٢ م (وجه المنتصر وصيفًا التركي لغزو الروم . وخلع المعتز والمؤيد انفسهما واظهر المنتصر خلعهما في القصر الجعفري المحدث . وفيها توفي المنتصر . قيل مات بالذبحة . وقيل اصابه ورم في معدته ثم تصعد الى فوآده فمات بعد مرض ثلثة ايام لاغير وعمره خمس وعشرون سنة . وكانت مدة خلافته ستة اشهر ويومين . ومات بسرمن رأى وصلى عليه هناك محمد بن المعتصم وكان اعين اقنى قصيرًا جيد التصفة وكان مهوبًا وهو اول خليفة من العباسيين عرف قبره . وذلك ان امه طلبت اظهار قبره . وكانت كنيته ابا جعفر وامه حبشية وهي ام ولد رومية)

(١) الصحيح على ما رواه المسعودي انها ضيعة وكان ثمنها ثلاثين الف درهم والمنتصر سأله كم معك من الثمن فقال عشرة آلاف درهم فارسل له الخليفة عشرين الف درهم تكملة الثمن وليس عشرة آلاف درهم (٢) قيل هذا ان البيت للمتوكل وليس للمنتصر . وما قاله للمنتصر هكذا

هذا الامام المنتصر ... والملك الحادي عشر ... وامره اذا أمر ... كالسيف ما لاقى بتر

الفصل الثاني عشر

في خلافة المستعين بالله ويكنى ابا العباس

وفي هذه السنة بويع بالخلافة عمه احمد بن محمد المعتصم وتلقب المستعين بالله ·
(وفيها ابتاع المستعين من المعتز والمؤيد جميع ما كان لهما من الدور والمنازل والضياع والقصور والاثاث بثمن قدره عن نصيب المعتز عشرة الاف الف دينار وعشر حبات لؤلؤ · وعن نصيب المؤيد ثلاثة الاف الف درهم وثلاث حبات لؤلؤ وترك للمعتز ما قيمة ايراده سنويًا عشرون الف دينار · وللمؤيد ماقيمة ايراده في السنة خمسة الاف دينار · وحبسهما في حجرة الجوسق · وفيها غضب الموالي على احمد بن الخصيب واستصفى ماله ومال ولده ونفي الى اقريطش (جزيرة كريت) · وفيها صرف المستعين عليًا بن يحيى عن الثغور الشامية وعقد له على ارمينية واذربيجان · وشغب اهل حمص على كيدر بن عبيد الله عامل المستعين عليها واخرجوه منها فوجه الخليفة الفضل بن قارن فمكر بهم حتى اخذهم وقتل منهم خلقًا كثيرًا وحمل منهم مائة رجل من عيونهم الى سرمن رأى وهدم سورهم · وفيها عقد المستعين لأتامش على مصر والمغرب واتخذه وزيرًا · وفيها عقد لبغا الشرابي على حلوان وماسبذان · وحج بالناس محمد بن سليمان الزينبي) واستوزر المستعين عيسى ابن فرخان شاه وقلد سعيدًا ابن احمد الرئاسة على ديوان الرسائل وكان سعيد حافظًا شاعرًا وله نفس رفيع في الشعر · ومن اشعاره

الله يعلم والدنيا مولية والعيش منتقل والدهر ذو دول
فللفراق وان هاجت فجيعته عليك اخوف في قلبي من الاجل
وكنت افرح بالدنيا ولذتها واليأس يحكم للاعداء في الامل

وله ايضًا

اذا ما غدت طلابة العلم مالها من العلم الا ما يخلد في الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم فمحبرتي سمعي ودفترها قلبي

وفي السنة ٢٤٩ هـ = ٨٦٣ م غزا جعفر بن دينار ارض الروم واستأذنه عمر بن عبيد الله في المسير الى ناحية من ارض الروم فلقيه الملك وتحاربا فغلب وقتل مع الفي رجل من المسلمين وقتل علي بن يحيى الارمني · وشغب الجند والشاكرية ببغداد · وفيها

قتل اتامش وكاتبه شجاع . وعزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء وتولى عليه جعفراً ابن محمد بن عمار البرجمي . واصاب اهل الري زلزلة . وحج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام

وفي السنة ٢٥٠ هـ = ٨٦٤ م خرج [1] يحيى بن عمر من آل علي بن ابي طالب بالكوفة واتحد معه خلق كثير . فوجه المستعين محمداً ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين بجماعة فتقاتلوا وقتل يحيي وانهزمت اصحابه واتوا برأسه الى محمد فوجه به الى المستعين فنصبه في سرّ من رأى فجزعت الناس عليه والمّ بهم حزن عظيم لانه كان شجاعاً مقداماً وفيه يقول بعضهم شعراً

بكت الخيل شجوها بعد يحيي ... وبكاه المهند المصقول

وبكته العراق شرقاً وغرباً ... وبكاه الكتاب والتنزيل

كيف لم تسقط السماء علينا ... يوم قالوا اخو الحسين قتيل

وهي طويلة . قال وتذمر الهاشميون على المستعين بالله وعزموا على الخروج من طاعته حين قتل منهم يحيى بن عمر ورثاه اخوه صالح بقصيدة منها قوله

لعمري لئن سرت قريشٌ بقتله ... لما كان وفاقاً غداة التوقف

فلا تشمتوا فالقوم من يبقَ منهم ... على سننٍ منهم مقام المخلف

لهم معكم اما جدعتم انوفكم ... مقامات ما بين الصفا والمعرفِ

ثم ظهر في طبرستان الحسن بن زيد من آل علي بن ابي طالب وتملك جرجان وجرى لهم معه حروب كثيرة وقاتل قتالاً شديداً . وبايعه رافع بن هرثمة وتغلب على تلك البلدان الا انه لم تطل مدته فمات . وظهر بعده علي بن الحسين المعروف بالاطروش وهو من آل علي وتغلب على تلك البلدان وتظاهر العلويون من آل علي بن ابي طالب بالشيعة وانقادت الناس اليهم . ثم ظهر بالكوفة الحسين بن محمد العلوي فارسل اليه المستعين محمداً بن عبد الله بن طاهر فانهزم واختفى لاعانة اصحابه عليه (وفيها اسقطت مراتب بني امية والعثمانيين . وثار اهل حمص بعاملهم الفضل بن قارن وقتلوه فوجه المستعين اليهم موسى بن بغا الكبير فحار بهم وهزمهم وفتح مدينتهم واحرقها وقتل عدداً عظيماً)

وفي السنة ٢٥١ هـ = ٨٦٥ م تغلب الاتراك على المستعين بالله وكان قوادهم موسى

---

(١) ذكر الامير حيدر خروج يحيى في سنة ٢٤٩ ولكن من مراجعة الطبري والمسعودي وغيره علم ان خروجه كان سنة ٢٥٠ ولذلك التزمنا بتصحيحه

ابن بغا التركي ووصيفاً ولم يبق للمستعين الا اسم الخلافة . وكان من حين قتل المتوكل قويت شوكة الاتراك في دولة العباسيين فشغبت الجند والشاكرية في بغداد لما رأوا من استيلاء الاتراك على الدولة وقتلهم من يريدون من الخلفاء واستخلافهم من احبوه من غير فحص ولا ذنب ديني وفي ذلك يقول الشاعر

اطافت بنا الاتراك حولاً محرما ... وما برحت في حجرها ام عامر
اقامت على ذل بها ومهانة ... فلما بدت ابدت لنا لؤمَ غادر
ولم ترع حق المستعين فاصبحت ... تعين عليه حادثات المقادر
لقد جمعت لؤماً وخبثاً وذلةً ... وابقت لها عاراً على آل طاهر

قال وكانت الاتراك تثير الحروب وكان بغا قائدهم لا يوازر حرباً الا ويتجج بها . ذكر المسعودي ان المستعين كان قدقبض على اولاد اخيه المعتز والمويد واعتقلهم فاجتمعت العامة ببغداد لما رأوا تغلب الاتراك كما ذكرنا بدأوا في الصراخ والنداء وهجمت العامة على القصر وفتحوا السجون واخرجوا المقيدين واحرقوا الجسر ونهبوا دور اهل البصرة . وكان محمد بن عبد الله بن طاهر يهيجهم على ذلك فهجموا على المعتز واخرجوه من الحبس . وبايعوه بالخلافة وخلعوا المستعين بشرط ان يكون له الامان على ماله واولاده وان يسير الى مكة وكتب المعتز على نفسه شروطاً بذلك

وفي السنة ٢٥٢ هـ = ٨٦٦ م خلع المستعين نفسه عن الخلافة واشرط انه بريء منها وانه لا يصلح لها وفي ذلك يقول ابن الجهم

اني اراك من الفراق جزوعا ... امسى الامام مسيراً مخلوعا
وغدا الخليفة احمد بن محمد ... بعد الخلافة والبهاء خليعا
كانت به الايام تضحك زهرة ... وهو الربيع لمن اراد ربيعا
فازاله المقدور من رتب العلى ... فثوى بواسط لا يحس رجوعا

الفصل الثالث عشر

في خلافة المعتز بالله وهو الثالث عشر من العباسيين

قال وبعد ما خلع المستعين نفسه وبايعت الناس المعتز هجم الاتراك على المستعين وقتلوه وفي ذلك يقول الشاعر

لله درّ عصابةٍ تركيةٍ ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة احمد ابن محمد وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فاصبح ملكنا متقسما وامامنا فيه شبيه الضيف

وقد تولى المعتز الخلافة وفيه يقول مروان ابن ابي الجنوب من قصيدة طويلة

ان الامور الىَ المعتز قد رجعت والمستعين الى حالاته رجعا
قد كان يعلم ان الملك ليس له حتى هوى في مقام جازع صرعا

واستوزر المعتز صالحًا بن الوصيف وابقى اخاه الموءيد مسجونًا فمات في السجن ٠ وفيها كانت وفاة الامير قيس ابن الامير محمد ابن الامير شهاب بعد توليه على حوران ٠ وتولى عليها بعده ولده الامير عامر الشهابي الملقب بالاذرعي

وفي ا سنة ٢٥٣ هـ = ٨٦٧ م توفي محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين في ١٤ ذي القعدة وخسف القمر تلك الليلة فاختفى اكثره وعند انتهاء خسوفه توفي محمد المذكور بعلة قروح اصابته في حلقه (لربما نوع من الدفثيريا) وصلى عليه ابنه طاهر وكان شجاعًا في الحرب اديبًا عارفًا فجزع عليه المعتز جزعًا عظيماً ٠ وولى اخاه عبيدالله وابنه طاهرًا على ولاية بغداد وغيرهما ورثاه ابن الجهم وقال

كسف البدر والامير جميعا فانجلى البدر والامير غميدُ
عاود البدر نوره ولكن نور ذاك الامير ليس يعودُ
فالكسوفين في ليلة النحـ ـس احتكاهناك فزال السعودُ

وفي هذه السنة تغلب على مكة محمد بن يوسف بن اسماعيل العلوي فارسل اليه المعتز العساكر فانهزم وقتل كثيرًا من جماعته ٠ وحج بالناس عبدالله بن محمد بن سليمان الزينبي

وفي السنة ٢٥٤ هـ = ٨٦٨م (قبض المعتز على بغا الشرابي وقتله ونصب راسه على على الجسر ٠ وكان المعتز لا يلتذ في حيوة بغا ولا ينتزع السلاح حذرًا منه ليلا ونهارًا) وفيها تولى على مصر احمد طولون وكان ابوه مملوكاً تركيا عند المامون فولد احمد المذكور وكان عالي الهمة يستخف بعقول الاتراك ولا يسير سيرهم فاحبته الرعية واستولى على مصر وجميع مدن الشام وكان المعتز يحبه و يعتمد عليه في المهمات ٠ (وفيهامات علي بن محمد بن علي بن موسى من سلالة ابي طالب وصلى عليه ابو احمد المتوكل وحج بالناس علي ابن الحسين)

وفي السنة ٢٥٥ هـ = ٨٦٨ م (دخل مفلح طبرستان وحارب الحسن بن زيد الطالبي فهزمه . ودخل يعقوب ابن الليث بلاد فارس واسر علياً بن الحسين وارسل يعقوب المذكور هدية نفيسة الى المعتز وهي دواة و بزاة ومسك وثياب فاخرة . وتولى سليمان بن عبد الله بن طاهر على شرطة بغداد والسواد . وظهر بالكوفة عيسى بن جعفر وعلي ابن زيد الحسنيان فقتلهما عبد الله بن محمد . وفي ٢٦ رجب من هذه السنة دخلت الاتراك على المعتز يطلبون العلائف منه فماطلهم في العطاء . ولما نظروا انهم لا يحصلون على علائفهم اتفق معهم صالح بن الوصيف على قتل المعتز فدخلوا اليه وجروه برجله الى باب القصر وقتلوه . وكانت خلافته اربع سنين وستة اشهر وثلاثة وعشرين يوماً . وكان ابيض حسن العينين والوجه ضيق الجبين احمر الوجنتين حسن الجسم طويلاً وكان مولده بسر من رأى . وكان المعتز من حين قتل بغا اتخذ المغاربة والفراغنة خداماً له فاحتذرت الاتراك منه حينما رأوا انه قتل بعضاً من روسائهم فدخلوا عليه وقتلوه كما ذكرنا . وكانوا عزموا ان يولوا المهتدي ابن الواثق وكان المعتز معتقله بمدينة السلام . فاتوا اليه و بايعوه واخرجوه من السجن وكان المعتز قد اظهر الركوب بحلية الذهب والجواهر وحلية السلاح والمناطق واتخذ لبس الاكمام الواسعة وجعل عرضها نحو ثلاثة اشبار وصغر القلانس وكان قتله من الاتراك ظلماً فقيل فيه شعر

اصبحت مقلتي بدمع سفوحا　　حين قالوا اضحى الامام ذبيحا

قتلوه ظلماً وجوراً وغدراً　　حين اهدوا اليه حتفاً مريحا

نظر الله ذلك الوجه وجهاً　　وسقى الله ذلك الروح روحا

ايها الترك سوف تلقون للده　　ر سيوفاً لا تستبل الجريحا

فاستعدوا للسيف عاقبة الام　　ر فقد جئتم فعالاً قبيحا

وفي هذه السنة مات سابور بن سهل صاحب (بيمارستان) جنديسابور وكان فاضلاً في وقته وله تصانيف مشهورة منها كتاب الاقراباذين المعول عليه في البيمارستانات ومخازن الصيادلة وفيه اثنان وعشرون باباً وتوفي نصرانياً في يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة

الفصل الرابع عشر

في خلافة المهتدي ابن الواثق وهو الرابع عشر من العباسيين

وبويع له بالخلافة لليلة بقيت من رجب ولم تقبل بيعته حتى اتى المعتز وخلع نفسه واقر بعجزه عن الخلافة فبايعته الخاصة والعامة وبعد قتل المعتز طلبت امه الامان فامنت · ولكنهم وجدوا عندها خزائن اموال ومجوهرات ما قيمته عشرة ملايين دينار مطمورة في الارض فذموها لان الاتراك طلبوا فقط خمسين الف دينار من ابنها وقتلوه لاجلها فسلمت ابنها للقتل وعندها اضعاف ذلك (ف) ولما تولى المهتدي على الخلافة بنى قبة باربعة ابواب وسماها قبة المظالم واظهر العدل والاحسان · وامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحرم الشراب ونهى عن القيان وكان يحضر كل جمعة الى المسجد في وقت الصلوة يخطب بالناس · وكان موسى بن بغا الكبير غائباً في حرب العلويين فلما بلغه خبر قتل المعتز وما دبره صالح ابن الوصيف والاتراك قدم الى بغداد ودخل على المهتدي · ثم انصرف الى داره وعند الليل هجم مع اصحابه على صالح بن الوصيف فقتله ·

وفي السنة ٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م هجم موسى ابن بغا الكبير على دار المهتدي مع الاتراك وطلبوا منه ان يخلع نفسه ولما ابى امسكوا بخصيته وعصروها حتى مات وذلك يوم الخميس في ١٨ رجب وكانت مدة خلافته احد عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً وعمره ٣٨ سنة وكان رحب الجبهة اجلى جهم الوجه اشهل عظيم البطن عريض المنكبين قصيراً طويل اللحية وكان ولد بالقاطول

الفصل الخامس عشر

في خلافة المعتمد على الله وهو الخامس عشر من الخلفاء العباسيين

بعد قتل المهتدي بويع بالخلافة احمد بن جعفر المعروف بابن فتيان وسمي المعتمد على الله وذلك يوم الثلثا في ١٥ رجب (· وفيها وافى جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج · ثم صرف جعلان عن حربه وامر سعيد الحاجب بالشخوص اليه لحربه · ثم تحوّل

صاحب الزنج من السبخة التي كان ينزلها الى الجانب الغربي من النهر المعروف بابي الخصيب · وفيها اخذ صاحب الزنج فيما ذكر اربعة وعشرين مركباً من مراكب البحر كانت مجتمعة تريد البصرة وفي ٢٥ رجب دخل الزنج الابلة فقتلوا فيها خلقاً كثيراً واحرقوها · واستسلم اهل عبادان لاصحاب الزنج وسلموا اليه حصنهم · وفيها وجه صاحب الزنج جيشاً لمحاربة شاهين بن بسطام فلم يفز به · وفي ٢ شعبان ولى المعتمد عبد الله بن يحيي بن خاقان على الوزارة · وظهر بالكوفة علي بن زيد الطالبي فوجه اليه الخليفة الشاه بن ميكال في عسكر عظيم فلقيه علي بن زيد في اصحابه وهزمه وقتل جماعة من اصحابه ونجا الشاه · ووثب محمد بن واصل من اهل فارس مع رجل من اكرادها يقال له احمد بن الليث بالحارث بن سيما الشرابي عامل فارس فحارباه فقتل الحارث وتغلب محمد بن واصل على فارس · ووجه مفلح لحرب مساور الشاري · وكنجور لحرب علي بن زيد الطالبي بالكوفة · وتغلب جيش الحسن بن زيد الطالبي على الري · وحصلت موقعة بين اماجور وابن عيسى بن الشيخ على باب دمشق قتل فيها ابو الصهباء وهزم جيشه البالغ ٢٥ الفاً ولم يكن مع اماجور (اكثر من اربعماية)

وفي السنة ٢٥٧ هـ = ٨٧٠ م اتى الخبيث صاحب الزنج وسعيد بن جعفر بن دينار ومن معه على غزة فظفر بها وقتل منها خلقاً كثيراً وجهز اليه المعتمد جيوشاً كثيرة في عدة دفعات وجرى بينهم وقعات كثيرة وكان الظفر فيها لصاحب الزنج ثم حاصر البصرة حصاراً شديداً واضرّ باهلها الجوع وانقطاع الميرة حتى اكل الناس بعضهم بعضاً فدخلها وقتل من اهلها عشرين الفاً واستولى عليها (وكان يبيع البنات الاميرات بين الزنوج بثمن زهيد وهم بعد وطئهن يجعلهن جوارٍ للزنجيات · وعقد المعتمد لاخيه ابي احمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين · وفيها امر بفراج باستحثاث سعيد الحاجب بالمسير الى دجلة والاقامة بازاء عساكر صاحب الزنج فحاربه وهزمه واستنقذ ما في ايديهم من النساء المسلمات واصيب سعيد بجراحات · ثم صبر مدة ووافع عسكر صاحب الزنج ثانية فهزمهم واستأسر زوج جدة صاحب الزنج وتفرقت جموعهم · ثم اوقع اصحاب الخبيث بسعيد وقتلوه ومن معه · ثم واقعه منصور بن جعفر الخياط فقتل من رجال منصور عدداً غفيراً · وظهر ببغداد رجل يبقر النساء ويقتلهن ويدفنهن بدار سكنه فحمل الى المعتمد فضرب الفي سوط واربعمائة عصا ارزن فلم يمت حتى ضرب الجلادون انثييه بخشب العقابين فمات ورد الى بغداد فصلب واحرقت جثته · وفيها وثب باسيل

المعروف بالصقلبي على ميخائيل بن ثاوفيل ملك الروم فقتله وكان ميخائيل منفرداً بالمملكة اربع وعشرين سنة وتملك الصقلبي بعده على الروم . وحج بالناس الفضل بن اسحق)

وفي السنة ٢٥٨ هـ = ٨٧١ (عقد المعتمد لابي احمد اخيه على ديار مضر وقنسرين والعواصم وخلع عليه وعلى مفلح فشخصا نحو البصرة . وقتل منصور بن جعفر الخياط في الحرب مع صاحب الزنج وحملت جثته الى سرمن رأى ودفنت فيها . ووقع بهذه السنة وباء شديد في كور دجلة فاهلك خلقاً كثيراً في مدينة السلام وسامراً وواسط وغيرها وأسر يحيى بن محمد البحراني قائداً من قواد صاحب الزنج وقتله . ونزح ابو احمد بن المتوكل من موضعه مبتعداً عن صاحب الزنج الى واسط . وفيها حصلت هزة هائلة بالصيمرة . ثم في اليوم التالي حدثت زلزلة اعظم فتهدم اكثر المدينة وهلك من اهلها زهاء عشرين الفاً . وحدث داء ببغداد سماه اهلها القفاع . وفيها رجع اكثر الحجاج من القرعاء خوف العطش . وحج بالناس الفضل بن اسحق بن الحسن

وفيها كانت الحرب بين عساكر المسلمين ونصارى جبل لبنان في نهر ليقة الذي يكنى بنهر الكلب ودام القتال سبعة ايام فذاتت عساكر بلاد جبيل وانكسرت عساكر المسلمين ولكنه قتل المقدم سمعان وحملوا جسده الى قرية بسكنتا . واقيم مكانه خاله المقدم كسرى اخو المقدم الياس المقتول . وكان ذا سطوة و بأس فسار الى القسطنطينية في ولاية يوستنيانوس الاخرم . ورجع الى بلاده وقد كانت خربت من تواتر هجوم عساكر المسلمين فعمرها وسميت باسمه كسروان . (وقد رويت هذه الحادثة مع زيادة بعض تفاصيل في مختصر تاريخ ابن القلاعي)

وفي السنة ٢٥٩ هـ = ٨٧٢ م جهز المعتمد محمداً المولد لحرب صاحب الزنج فخرج اليه الحبيب صاحب الزنج وجرى بينهما مواقع كثيرة وانهزم محمد المذكور وظفر الحبيب بعسكره . وسير المعتمد اخاه لقتاله ومعه مفلح في عساكر كثيرة فالتقوا مع الحبيب وجرى بينهم حروب عديدة فاصاب مفلح سهماً وقتله وانهزمت اصحابه . ثم حدثت موقعة ثالثة بين الموفق والحبيب جرح بها يحيى ابن احمد قائد عسكر الحبيب جراحات مثخنة فاسر واتي به الى المعتمد فقطع يديه ورجليه ثم احرقه . وفي هذه السنة قدم يعقوب بن الليث بجيوش كثيرة نحو العراق ونزل بدير العاقول على شاطىء الدجلة وكان قد تغلب على سجستان واكثر تلك البلاد . ودخل نسيابور وغلب صاحب الروم على سميساط ثم نزل على ملطية وحاصر اهلها فحاربوه وهزموه . وقتل احمد بن محمد القابوس

نصراً الاقر يطيشي بطريق البطارقة . ووجه من الاهواز جماعة من اسرى الزنوج الى سامرّا فوثبت العامة وقتلت اكثرهم . وحج بالناس ابرهيم بن محمد بن اسمعيل بن جعفر

وفيها سار قائد الزنج وهو علي بن محمد بن عبد الرحيم من ولد عبد القيس بجمع عظيم من الزنج وادعى انه علي ابن احمد بن عيسى بن زيد بن علي ابن ابي طالب وذهب الى الاهواز ثم الى البصرة . وقتل من البصرة ما ينوف عن الاثني عشر الفاً وكان لا يعفي عن الكبير ولا عن الصغير وكان قد نصب ميزاناً في البصرة في الموضع المعروف بمقبرة بني يشكر وكان يصلي بالناس و يخطب على المنبر لعلي ويترحم على ابي بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا معاوية و يلعن احياء بني العباس وكان يعتقد اعتقاد الازارقة من الخوارج ولما رأى من بقي من اهالي البصرة افعاله اجتمعوا عليه ولما علم باجتماعهم امر الزنج ان يضعوا السيف بهم فقتلوا منهم اناساً كثيرين والبعض اختبأوا في الدور والآبار . قال وكان الزنج لا يحرمون المائتة و يأكلون الكلاب والسنانير واموات الادميين . وكان اذا مات الواحد منهم اكلوه . ذكر انهم وجدوا امرأة من الزنج تبكي على النهر فسألوها عن سبب بكائها فقالت ان البعض من الزنج اكلوا اختها قبل ان تموت وما اعطوها منها سوى الرأس وانهم ظلموها في ذلك وقد كان يحق لها القسم الاوفر من لحم اختها . و بلغ من امر عساكر الزنج ان الامرأة والولد من آل هاشم كانت تباع بدرهمين واجروا اموراً عجيبة اقتصرنا عنها فارسل المعتمد بالله اخاه الموفق بجيوش كثيرة وجرى له معهم حروب عظيمة ثم ظفر بهم الموفق وقتل قائدهم وشتت شيعتهم كما سيأتي اخباره

وفي السنة ٢٦٠ ه = ٨٧٣ م (جرت عدة مواقع بين امراء المعتمد و بين حبيب صاحب الزنج قتل فيها خلق كثير . وقتل صاحب الزنج علياً بن زيد العلوي صاحب الكوفة . وحارب يعقوب بن الليث الحسن بن زيد الطالبي فهزمه ودخل طبرستان وسار منها الى الري وقتلت الاعراب منجور والي حمص فاستعمل عليها بكتمر . واخذت الروم لؤلؤة من المسلمين . واشتد الغلاء في بلاد المسلمين كافة فهرب اهل مكة منها وجاؤا المدينة وارتفعت الاسعار فبلغ كر الحنطة ١٥٠ ديناراً وكر الشعير ١٢٠ ديناراً ودام ذلك شهوراً) . وقتل عامل المعتمد على فارس وتغلب عليها يعقوب ابن الليث فضم لمعتمد فارساً والاهواز والبصرة والبحرين الى موسى ابن بغا وارسل عبد الرحمن بن مفلح الى الاهواز وولاه عليها وضم اليه طيسم التركي وكان محمد بن واصل مقيماً

بالاهواز على حرب الحبيب فاقترب اليه ثم زحف الى عبد الرحمن والتقيا برامهرمز فظفر ابن واصل بابن مفلح واسره فبعث المعتمد الى ابن واصل يأمره باطلاق ابن مفلح وان يتوجه الى محاربة موسى ابن بغا فلما رأى موسى شدة الامر وكثرة الثائرين على المشرق سأل الاعفاء عن اعمال المشرق فاعفي وعزل نوابه عنها وقدم الى سر من رأى

(وفي السنة ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م انصرف الحسن بن زيد من ارض الديلم الى طبرستان . وامر السلطان عبيدالله بن عبد الله بن طاهر بجمع من كان ببغداد من حجاج خراسان والري وطبرستان وجرجان فجمعهم وقرأ عليهم كتاب يعلمهم فيه ان السلطان لم يولِ يعقوب بن الليث على خراسان ويأمرهم بالبراءه منه لانكاره دخوله خراسان واسره محمداً بن طاهر . وفيها توفي عبد الله بن الواثق في عسكر يعقوب بن الليث الصفار . وزحف يعقوب بن الليث الى فارس وابن واصل مقيم بالاهواز فتحاربا فغلبه يعقوب واخذ ما كان في قلعته فبلغ اربعين الف الف درهم واسر خاله مرداساً . وفيها ولى المعتمد ابنه جعفراً على ولاية العهد وسماه المفوض الى الله وولاه على المغرب وضم اليه موسى بن بغا وولاه على افريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وارمينية وطريق خراسان .. وولى اخاه ابا احمد على ولاية العهد بعد جعفر وولاه على المشرق وضم اليه مسروراً البلخي وولاه على بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكور دجلة والاهواز وفارس واصبهان وقم وكل بلاد المشرق الى الهند والصين وعقد لكل منهم لوائين اسود وابيض وشرط ان حدث الموت وجعفر لم يكمل الامر ان يكون الامر لابي احمد ثم لجعفر واخذت المبايعة على الناس بذلك وفرق نسخ الكتاب و بعث بنسخة لتقرأ وتحفظ في الكعبة . وفيها فارق محمد ابن زيدويه يعقوب بن الليث فاعتزل عسكره وسار الى ابي الساج فغلبه واقام معه بالاهواز و بعث اليه بخلعة من سر من رأى . ثم سأل ابن زيدويه السلطان توجيه الحسين بن طاهر بن عبد الله معه الى خراسان . وحج بالناس الفضل بن اسحق بن الحسن

وفي السنة ٢٦٢ هـ = ٨٧٥ م وافى يعقوب بن الليث رامهرمز فوجه السلطان اليه اسماعيل بن اسحق واخرج السلطان من كان محبوساً من اصحاب يعقوب ابن الليث . ووجه قائد الزنج جيوشه الى ناحية البطيحة ودستميسان . وولى على القضاء علياً ابن محمد بن ابي الشوارب . ووقع بمكة قتال بين الخياطين والجزارين خيف منه ان يبطل الحج ثم تحاجزوا الى ان يحج الناس وقد قتل فيه ١٧ رجلاً . وحج بالناس

الفضل ابن اسحق

وفيها بنى الامير النعمان داراً عظيمة في بيروت وحصن سور المدينة وقلعتها ٠ وفيها وقع بينه و بين المردة قتال عظيم على نهر بيروت ودام اياماً حتى انهزمت المردة فقتل بعضاً منهم واسر بعضاً ٠ وكتب الى موسى ابن بغا يخبره بذلك وارسل اليه الرؤوس والاسرى الى بغداد وعرض للمهتدي بذلك فاكرم موسى رسله وسر بظفره وكتب المهتدي اليه كتاباً يمدح شجاعته ويحرضه على القتال واقره على ولايته تقريراً له ولذريته وارسل له سيفاً ومنطقة وشاشاً اسود وكتب اليه ابنه الموفق وغيره كتباً يمدحونه بها واعادوا رسله مكرمين ٠ فتقلد الامير السيف وشد المنطقة ولف الشاش ودعا لامير المؤمنين وزينت البلاد والمدن وهادته الشعراء بالتهاني واشتد امره فعظم شأنه) (عن التاريخ الاكبر)

وفي السنة ٢٦٣ هـ = ٨٧٦ م حدثت موقعة بين اصحاب يعقوب ابن الليث واحمد بن ليثويه بسرمن رأى ثم بالاهواز وكان الظفر فيها لاحمد وقتل من اصحاب يعقوب جماعة ٠ ثم انهم كمنوا له فلما كروا راجعين خرج عليهم جيش يعقوب فلم يسلم منهم احد وارسلوا رؤوسهم الى يعقوب وهرب احمد ابن ليثويه فدخل اصحاب يعقوب واسطاً وانهزم اهلها واحرقها اصحاب يعقوب بالنار وغنموا اموالاً لاتحصى ٠ ثم كانت حروب كثيرة بينهم و بين اصحاب المعتمد ٠ (٠ وفيها ظفر عزيز بن السري صاحب يعقوب ابن الليث بمحمد بن واصل واخذه اسيراً ٠ وحدثت موقعة بين موسى داجويه والاعراب بناحية الانبار فهزموه وخلوه ٠ فوجه ابو احمد ابنه احمد في جماعة من قواده في طلب الاعراب المذكورين ٠ وخرج في طريق الموصل رجل من الفراغنة فقطع الطريق ٠ فظفر به وقتل ٠ وفيها مات عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المهتدي وصلى عليه ابن المتوكل و استوزر الخليفة الحسن ابن مخلد ٠ ثم قدم موسى ابن بغا سرمن رأى فهرب الحسن بن مخلد الى بغداد واستوزر مكانه سليمان بن وهب ٠ ثم ولي عبد الله بن سليمان على كتبة المفوض والموفق ودفعت دار عبد الله بن يحيى الى كيغلغ ٠ وفيها خرج الحسين بن طاهر الى نيسابور وغلب عليها واخذ اهلها باعطائه ثلث اموالهم وسار الحسين الى مرو وبها اخو خوارزم يدعو لمحمد بن طاهر ٠ وفيها سلمت الصقالبة لؤلؤة الى الطاغية وحج بالناس الفضل بن اسحق)

(وفي السنة ٢٦٤ هـ = ٨٧٧ م وجه يعقوب الصفار جيشاً الى الصيمرة فاخذها واسر

من فيها · وشخص ابو احمد ومعه موسى بن بغا يقصدون حرب صاحب الزنج من سرمن راى ولما وصلا بغداد توفي موسى بن بغا وحمل الى سامرا ودفن فيها · وفيها ماتت قبيحة ام المعتز · وفيها ولي محمد المولد على واسط فخار به سليمان بن جامع وهو عامل على تلك النواحي من قبل صاحب الزنج فهزمه واخرجه من واسط واتى سليمان بن وهب من بغداد الى سامرا فغضب عليه المعتمد وحبسه وقيده وانتهب داره وداري ابنيه وهب وابرهيم واستوزر الحسن بن مخلد · و بوساطة ابي احمد ومراسلته مراراً للمعتمد اطلق سليمان بن وهب وعندها هرب الحسن بن مخلد واحمد بن صالح بن شيراز فضبط اموالهما وحج باالناس هرون بن محمد بن اسحق)

وفي السنة ٢٦٥ هـ = ٨٧٨ م (حدثت موقعة بين احمد بن ليثو يه وسليمان بن جامع قائد صاحب الزنج فهزم صاحب الزنج · وفيها اوقع احمد بن طولون بسيما الطو يل بانطاكية وحصره فيها و بقي محاصراً اياها حتى افتتحها وقتل سيما · ولحق محمد المولد بيعقوب ابن الليث فاستظهر عليه وجرت له معه مواقع عديدة) واخيراً خرج المعتمد اليه بجيوشه وجرى بينهما مواقع عظيمة · ثم انهزم يعقوب واصحابه وغنمت عساكر المعتمد كلما كان معهم من المكاسب · و بعد رجوع يعقوب [1] ابن الليث مات من غمه وكان له سياسة عظيمة وحروب عجيبة وتولى مكانه اخوه عمرو ابن الليث وساس الجند كسياسة اخيه و بعد توفي يعقوب ابن الليث رجع المعتمد الى سرمن رأى وهو مسرور بوفاته وقيل في ذلك شعر

خراسان احويها واعمال فارس　　وما انا من ملك العراق بآيس
اذا ما امور الدين ضاعت واهملت　　ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمناً ونصرة　　وصاحب رايات الهدى غير ناكس

ذكر المسعودي ان يعقوب بن الليث خلف من الاموال خمسين الف الف دينار وثمانماية الف الف درهم وكانت سياسته نحو جنده غريبة لم يسمع بمثلها في الامم السالفة من الفرس · وكان حسن انقيادهم لامره واستقامتهم لطاعته غريبة لما كان يشملهم من احسانه وملاء قلوبهم من هيبته وكان ترتيبه عجيباً في العساكر فجعل الف قائد لعسكره يحملون اعمدة الذهب · وكانت بلاد فارس في ايامه كزهر البستان لاعتنائه بحسن السياسة وكان لايشرك احداً برأيه و يظهر غير الذي يضمره · وكان لايجالس

(١) و يلقب ايضاً بالصفار في بعض الكتب اي صانع الصفر اي النحاس

ولا ينام الا وسيفه وترسه بيده . واذا اضطجع اتكا على راسه . ولم يكن يوجد في مضربه الا سلاحه فقط . فقيل له ايها الامير انت في رياستك وهيبتك ولا يوجد في خيمتك الا سلاحك فقط . قال ان رئيس القوم تتشبه به اصحابه . وان استعملنا ماذكرتم من الاثاث ثقلنا على البهائم ونحن نقطع كل ايامنا في المهمات والمغازي والاودية الصعاب ولا يصلح لنا الا التخفيف . وفيها قتلت الاعراب جعلان المعروف بالعيار وكان قد خرج لحماية قافلة فقتلوه . فوجه السلطان في طلب الذين قتلوه فهرب الاعراب وبلغ الذين شخصوا في طلبهم عين التمر ثم رجعوا الى بغداد وقد مات منهم جماعة من البرد لسقوط الثلج ببغداد . وفيها خرج خمسة من بطارقة الروم في ثلثين الفًا الى ادنه فساروا الى المصلي واسروا ارخوزًا والي الثغور . وفيها اخذت طوس . وقتلت جماعة من اعراب بني اسد عليًا ابن مسرور البلخي بطريق مكة . وفيها لحق العباس بن احمد بن طولون مع من تبعه ببرقة مخالفًا لابيه احمد الذي كان استخلفه على مصر عند ما توجه للشام فحمل العباس ما في بيت مال مصر وما لابيه من الاثاث وغيره ومضى الى برقة فوجه اليه احمد جيشًا فظفر به ورده فحبسه ثم قتله . وفيها دخلت الزنج النعمانية وحرقوا سوقها واكثر منازل اهلها وسبوا جمعًا غفيرًا فدخل اهل السواد بغداد . وفيها ولى ابو احمد عمرًا بن الليث على خراسان وفارس واصبهان وسجستان وكرمان والسند وارسل كتاب التولية مع احمد بن ابي الاصبع والعقد والخلع . وحج بالناس هرون بن محمد بن اسحق

وفي السنة ٢٦٦ هـ = ٨٧٩ م ولى عمرو ابن الليث عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر مكانه على الشرطة ببغداد وسرمن رأى وخلع ابو احمد عليه . واغارت الروم على تل بسمى من ديار ربيعة فقتلت واسرت من المسلمين نحو ٢٥٠ . فنفر اهل نصيبين والموصل فرجعت الروم . واسر لولو غلام احمد ابن طولون موسى ابن اتامش . وفيها دعى الحسن ابن محمد بن جعفر اهل طبرستان للمبايعة له . وحدثت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية . ووثبت الاعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها وسار بعضها الى صاحب الزنج واصاب الحج في هذه السنة شدة شديدة . وخرجت الروم الى ديار ربيعة فاستنفر الناس فنفروا في برد لا يمكن احتماله . وغزا سيما خليفة احمد بن طولون على الثغور الشامية في ثلثمائة من اهل طرسوس الروم فخرج عليهم العدو في بلاد هرقلة فاقتتلوا وقتل من الفريقين جماعة كثيرة . وفيها حدثت وقعة الداربان مع زنوج

الخبيث فهزموا وقتل منهم خلق كثير وحج بالناس هرون بن محمد ابن اسحق

وفي السنة ٢٦٧ هـ = ٨٨٠ م (حبس السلطان محمداً بن طاهر بن عبد الله وعدة من اهل بيته • وفي ذي الحجة منها مات خلق كثير على طريق مكة لشدة الحر والعطش • وفيها اوقعت فزارة بالتجار فاخذو منهم سبعماية حمل بر واجتمع بالموسم عامل لاحمد بن طولون في خيله وعامل لعمرو ابن الليث في خيله فتنازعا على محل تركيز علم كل منهما على يمين المنبر في مسجد ابراهيم خليل الرحمن وادعى كل منهما الاولوية وسلا السيوف فخرج معظم الناس من المسجد)

وفي هذه السنة جهز المعتمد اخاه الموفق لحرب الحبيب صاحب الزنج فخرج في عشرة الاف فارس وما ينوف عن المائة الف راجل وهاجم صاحب الزنج فانهزمت عساكر الحبيب من مواضعها التي كانوا استولوا عليها • وغنموا اموالهم واستنقذوا منهم النساء المسلمات اللواتي كانوا سبوهن • وكن نحو خمسة الاف امرأة وردوهن الى اهلهن • ثم وصل الموفق الى بلد الحبيب التي كان بناها وسماها المبيعة وقيل اسمها طهيثا فاخذ جميع ما فيها وهدم سورها وردم خندقها واحرق ما كان فيها من السفن • ثم تبعهم الموفق الى مدينة اخرى كانوا قد بنوها وحصنوها بالاسوار والخنادق فهرب اصحاب الحبيب منها وغنم اموالاً لا تحصى وتبعهم الى البلاد وقتل منهم خلقاً كثيراً وقتل من القواد ابن االشعراني وابن الجامع • ثم ان الموفق قصد الحبيب صاحب الزنج الى مدينة المختارة وكان الحبيب قد حصنها بالخنادق والعدد والسلاح ونزل فيها مع ثلاثمائة الف محارب • فلما رأى الموفق تحصين الحبيب علم انه لا يقدر على فتح المدينة في مدة قريبة فابتنى بازائها مدينة وسماها الموفقية ودعا التجار اليها وبنى بها جامعاً وضرب بها الدنانير والدراهم واقام على حصار الحبيب وبذل اموالاً • لا تحصى وبقي محاصراً اياها الى شهر ذي الحجة فهدمت عساكره جانباً من اسوار مدينة الحبيب ودخلوا اليها واوقعوا السيف في اصحاب الحبيب والقتل والنهب ودافع اصحاب الحبيب عن نفوسهم الى ان حمل عليهم جيش الموفق وسار جماعة من قواد الحبيب الى الموفق وقتلوا عدداً لا يحصى من عساكر الحبيب واكثروا من السبي والنهب فانهزم الحبيب ومن بقي من اصحابه الى مكان في المدينة وتحصنوا فيه فقاتلهم الموفق وقعات كثيرة وكان الظفر حليفه • ثم اصاب الموفق سهم في صدره منعه مدة عن القتال ثم زحف الى القتال وهدم سور المدينة • (وفيها ماتت ام حبيب ابنة الرشيد وحج بالناس هرون

بن محمد بن اسحق)

وفي السنة ٢٦٨ هـ = ٨٨١ م (استامن جعفر ابن ابرهيم المعروف بالسجان الى ابي احمد الموفق . وفيها سار عمرو ابن الليث الى فارس لحرب عامله محمداً بن الليث فهزمه واستباح عسكره وافلت محمد في نفر فوجه عمراً في طلبه فظفر به واحضر اليه . وفي ربيع الاول حدثت زلزلة ببغداد وحدث بعدها مطر شديد ثلاثة ايام ووقعت بها اربع صواعق . وعبر ابو احمد الموفق الى مدينة الفاجر صاحب الزنج و بعد ان اوهى قوته بالتضييق عليه في الحصار ومنعه وصول الميرة اليه استأمن اليه خلق كثير واحاطوا بالمدينة من جهات عديدة واقدموا وثلموا كل ثلماً ودخلوها واحرقوها وقتلوا كثيراً من اهلها . وفيها اوقع العباس ابن الموفق بقوم من بني تميم كانوا اعانوا صاحب الزنج . وقتل بهبوذ صاحب الخبيث . وظفر ابو احمد بالذوابي وكان مماثلاً صاحب الزنج . وأُسر محمد بن عبيد الله الكردي بامر ابي احمد . وخرج رجل من ولد عبد الملك الهاشمي بالشام بين سلمية وحلب وحمص ودعا لابي احمد فحار به ابن العباس الكلابي فانهزم الكلابي فوجه اليه لؤلؤاً صاحب ابن طولون قائداً مع جيش لحربه) . وفيها اظهر لؤلؤ الخلاف على ابن طولون وكتب الى الموفق يستأذنه في المسير اليه ومفارقة مولاه وشرط على نفسه انه يكون مسعفاً للموفق . فاجابه الى ذلك وسار لؤلؤ اليه . وفيها قتل صاحب الزنج ابن ملك الزنج . وفي هذه السنة كان اول رمضان يوم الاحد وكان الاحد الثاني فيه احد الشعانين والثالث الفصح والرابع النيروز والخامس انسلاخ الشهر . وفيها سار المغيرة المخزومي الى مكة وكان عاملها هرون بن محمد بن اسحق الهاشمي . وخرج ابن الصقلبية ملك الروم فاناخ على ملطية واعانهم اهل مرعش والحدث فانهزم ملك الروم . وحج بالناس هرون بن محمد

وفي السنة ٢٦٩ هـ = ٨٨٢ م (في ١٣ محرم انخسف القمر وغاب منخسفاً وفي ٢٧ منه انكسفت الشمس قرب المغيب وغابت منكسفة فاجتمع فيه الخسوف والكسوف وفيها وثب خلف صاحب احمد ابن طولون في الثغور الشامية وهو عامله عليها بيازمان الخادم مولى الفتح بن خاقان فحبسه . فوثب جماعة من اهل الثغر بخلف وخلصوا يازمان فهرب خلف وترك الدعاء لابن طولون) وامر الموفق بلعن احمد ابن طولون على المنابر . ولما بلغ احمد ابن طولون ذلك امر جميع عمال مصر ان يلعنوا المعتمد بالله في جميع المنابر وخرج في عساكر كثيرة من مصر الى البلاد الشامية . ودخل دمشق ثم سار الى

حمص وملك حماه وقنسرين والرقة وحلب . ثم انعطف الى انطاكية وكان فيها يومئذ
سيما الطويل فحاصرها احمد ابن طولون مدة وافتتحها بالحيلة مع بعض اهلها ليلا وقتل
سيما ونهب عسكره المدينة . ثم رجع الى مصر لانه كان بلغه ان ولده ابا العباس قد
عصى عليه كما سبق . ولما ولج نهر الفسطاط هرب ابو العباس الى بلاد المغرب خوفاً
من ابيه وقد حمل ما امكنه من المال . (وكان لؤلؤ غلام ابن طولون قد خالف مولاه
كما سبق وكاتب اباحمد في المسير اليه وفارق ابن طولون واشترط على نفسه شروطاً
قبل بها ابو احمد . ولذلك ارتحل لؤلؤ من الرقة وحمل جماعة من اهل الرافقة وغيرهم
معه وسار الى قرقيسياء . وفيها ابن صفوان العقيلي من قبل احمد بن طولون فحارب به واخذ
لؤلؤ قرقيسياء وسلمها الى احمد ابن مالك وهرب ابن صفوان واقبل لؤلؤ يريد بغداد
وفيها اصيب ابو احمد الموفق بسهم رماه به غلام رومي يقال له قرطاس . وفيها شخص
المعتمد يريد بلاد مصر . وكان ارسل احمد ابن طولون قائدين من قواده وهما احمد
ابن جينويه ومحمد ابن عباس الكلابي . ولما وصل المعتمد الي الموصل والجزيرة التي
عاملها اسحق ابن كنداج عزم ابن كنداج المذكور ان يصحب الخليفة الى مصر .
واحتال ابن كنداج على القائدين وقيدهما وحبسهما واخذ اموالهما . ثم اقنع المعتمد بالرجوع
الى سر من رأى . وفي جمادى الآخرة عقد هرون بن الموفق لابن ابي الساج على
الانبار . وفي ٨ شعبان خلع المعتمد على ابن كنداج فقلد سيفين بحمائل احدهما عن
يمينه والآخر عن شماله وسمي ذا السيفين . و بعد يومين خلع عليه قباء ديباج ووشاحين
وتوج بتاج وكل هذه الخلع مرصعة بالجوهر . وشيعه الى بيته هرون ابن الموفق وصاعد
بن مخلد والقواد وتناولوا الغداء عنده . وفي هذا الشهر احرق اصحاب ابي احمد قصر
الفاسق وانتهبوا مافيه . وفيها لعن ابن طولون المعتمد في دار العامة وامر بلعنه في جميع
اعماله على المنابر فامر الخليفة بلعنه على المنابر وعزله عن اعماله وولى مكانه عليها اسحق
ابن كنداج . وجرت عدة مواقع مع الفاسق صاحب الزنج كان الظفر فيها للخليفة
وقواده . و بعد كل موقعة تركه قسم من اتباعه وطلبوا الامان من المعتمد فامنهم وامن
كثيراً من قواده . وفي شهر ذي الحجة دخلت عيال صاحب الزنج وولده بغداد
وفيها سمي صاعد ذا الوزارتين . وفيها حصلت موقعة بين قواد ابن طولون ووالي مكة
غلبت فيها جنود ابن طولون وقواده ولعنوه على المنابر . وحج بالناس هرون ابن
محمد بن اسحق

وفي السنة ٢٧٠ هـ = ٨٨٣ م في شهر محرم واقع احمد صاحب الزنج فاضعف اركانه وانهك قوته ولذلك لاحقه حتى قتله في شهر صفر واسر عدة من اتباعه . وارسل كما ذكر اهله واولاده الى سر من رأى . وكان هرب عدو الله بنفسه وخاصته فظفر به وقتله ونصب رأسه على قناة وطيف به في البلاد . ثم بعث به الموفق مع ابنه الى المعتمد بالله الى مدينة السلام وطيف به ونصب على باب الجسر (الكبري) وكان هذا الفتح من اعظم الفتوحات واجلها . وفي هذه السنة في ٦ شعبان وقيل في ١٨ ذي القعدة توفي احمد بن طولون وكان كثير الصدقات . قيل انه كان يتصدق كل شهر بثلاثة الآف دينار عدا ما كان يصرفه في داره ومنازله من الصدقات . وكان يحسن الى المساجد كل شهر بالف دينار والى الصالحين والعلماء مثل ذلك الا انه كان ظالماً كثيراً سفاكاً للدماء . فقدمت اليه رقعة ولم يعلم من اين هي مكتوب عليها « ملكتم فأسرتم . وقدرتم فقهرتهم . وخولتم فعسفتم . ووردت اليكم الارزاق فقطعتم . فكم من قلوب كسرتموها وكم من اكباد جرحتموها واجساد عريتموها . اما تعلمون ان اسهم الاسحار نافذة . فمحال ان يموت المظلوم و يبقى الظالم . اعملوا ما شئتم فاننا صابرون . وجوروا فاننا بالله مستجيرون واظلموا فاننا لله متظلمون . وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . ذكر ابو الفرج في تاريخه انه كان لاحمد ابن طولون سبعة عشر ولداً اوانجبهم خمارويه فتملك مكان ابيه على مصر و بلاد الشام . وفي هذه السنة ورد خبر لمدينة السلام بان الروم نزلت بناحية باب سلمية على ستة اميال من طرسوس وهم زهاء مائة الف يرأسهم بطريق البطارقة اندرياس ومعه اربعة اخر من البطارقة . فخرج اليهم يازمان الخادم ليلا وقاتل عدة من البطارقة واستظهر عليهم واخذ منهم سبعة صلبان من ذهب وفضة منها صليبهم الاعظم من ذهب مكلل بالجوهر وغنم خمس عشرة الف دابة واخذ سيوفاً كثيرة محلاة بذهب وفضة وانية اخرى ونحو عشرة الاف علم ديباج وقيل انه قتل من الروم نحو سبعين الفاً . وفيها ايضاً قتل ملك الروم المعروف بابن الصقلبي . وفيها مات هرون ابن الموفق بمدينة السلام . ومات الحسن ابن زيد العلوي بطبرستان . ودخل المعتمد بغداد في نصف شعبان وخرج منها ونزل بقرب قطربل لابساً كوفية ومحمد ابن طاهر يسير امامه و بيده حربة ثم مضى الى سر من رأى وحج بالناس هرون ابن محمد الهاشمي

وفي السنة ٢٧١ هـ = ٨٨٤ م الموافق اولها يوم الاثنين في ٢٩ يونيو (حزيران) سنة ١١٩٥ لعهد اسكندر ذي القرنين دخل محمد وعلي ابني الحسين بن جعفر المدينة

وقتلا جماعة من اهلها وطالبوهم باموال فاخذوا اموالاً وافرة . وان اهل المدينة لم يصلوا في مسجد رسول الله (صلعم) لخرابه . ودخل على المعتمد من حضر بغداد من حجاج خراسان فاعلمهم انه قد عزل عمراً ابن الليث عما كان قلده اياه ولعنه بحضرتهم واخبرهم بانه ولى على خراسان محمداً ابن طاهر وامر بلعن عمرو ابن الليث على المنابر فلعن . وشخص صاعد ابن مخلد بجيشه لحرب عمرو ابن الليث . وحدثت موقعة بين ابي العباس ابن الموفق وخمارويه بن احمد ابن طولون بالطواحين فهزم ابو العباس خمارويه ففر هارباً راكباً حماراً الى مصر . وهجم ابو العباس ومن معه لمضرب خمارويه قصد نهبه فخرج عليهم كمين وهزمهم وقتل كثيراً منهم فذهب ابو العباس الى طرسوس . وحج بالناس هرون بن محمد ابن اسحق الهاشمي

وفي السنة ٢٧٢ ه = ٨٨٥ م اخرج اهل طرسوس ابا العباس ابن الموفق منها لخلاف وقع بينه و بين يازمان فخرج الى بغداد . وفيها نقب المطبق من داخله واخرج الدوابي العلوي ومعه شخصان اخران وكانت اعدت لهم دواب كل ليلة لكي يركبوها عند خروجهم هاربين فعرف امرهم واغلقت ابواب المدينة واخذ الدوابي ومن هرب معه . وكتب محمد ابن طاهر يعلم الموفق بذلك وهو بواسط فامر ان تقطع يدا الدوابي ورجلاه فقطعت في مجلس الجسر بالجانب الغربي وتوفي يوم الاثنين . وفيها قدم صاعد ابن مخلد من فارس ودخل واسطاً فامر الموفق جميع القواد ان يستقبلوه وترجلوا له وقبلوا اكفه ثم بعد مدة قبض الموفق عليه وعلى اسبابه ونهب منازله وقبض على اولاده واخوته واستكتب الموفق اسماعيل بن بلبل واقتصر به على الكتابة دون الوزارة . وفيها وردت الاخبار بان مصر زلزلت في جمادي الاخرة واخربت الزلازل الدور والمنازل والمسجد الجامع ومات فيها الف نفس . وحدث فيها غلاء شديد في بغداد فيه ثارت العامة على مسببيه من محتكري الاصناف وهجموا عليهم وقتلوا كثيراً من الفريقين فركب محمد بن طاهر وسكن الناس . وفيها تحركت الزنج بواسط فامر الموفق بقطع رؤوس مسجونيهم وصلبهم . وفيها صلحت احوال مدينة رسول الله وعمرت بعد ما خربت وتراجع الناس اليها وحج بالناس هرون ابن محمد الهاشمي

وفي السنة ٢٧٣ ه = ٨٨٦ م حدثت موقعة بين احمد ابن عبد العزيز ابن ابي دلف وعمرو ابن الليث الصفار . وحدثت موقعة بين اسحق ابن كنداج ومحمد ابن ابي الساج بالرقة فانهزم اسحق . وفيها قدمت رسل من طرسوس واخبروا ان ثلثة بنين لطاغية

الروم وثبوا على يازمان واليها وقتلوه وملكوا احدهم عليها . وفيهاقيد ابو احمد لؤلؤا خادم ابن طولون القادم اليه بالامان واخذ جميع امواله فبلغت اربعماية الف دينار . وذكروا عن لؤلؤ انه قال ماعرفت لنفسي ذنباً استوجبت به ما فعل لي الا كثرة مالي . وواقع محمد بن ابي الساج اسحق ابن كنداج ثانية وهزمه وحج بالناس هرون ابن محمد العباسي الهاشمي

وفي السنة ٢٧٤ هـ =٨٨٧م شخص ابو احمد الى كرمان لحرب عمرو ابن الليث وغزا يازمان ارض الروم فبلغ المسكنين فاسر وغنم . وفيها دخل صديق الفرغاني دور سر من رأى ونهب اموال التجار واكثر العيث بالناس . وكان صديق هذا يخفر الطريق ثم تحول لصاً قاطعاً الطريق . وحج بالناس هرون المذكور

وفي السنة ٢٧٥ هـ =٨٨٨ وجه الطائي جيشاً الى سر من رأى بسبب ما احدثه صديق فيها واطلاقه اخاه من السجن . ولما رأى صديق ذلك دخل بالامان مع الطائي هو وكل من معه فقطع الطائي يدصديق ورجله و يدهاشم ورجله وايدي وارجل آخرين من اصحابه . ثم حملهم الى بغداد مبرزاً ايديهم وارجلهم المقطعة ليراها الناس ثم حبسوا ثم تصعلك [1] فارسل العبدي وعاث بناحية سر من رأى وسار الى كرخها ونهب دوراً عديدة وشخص الطائي اليه الى دجلة ودخل تياره ليعبرها فادركه اصحاب العبدي فرمى الطائي بنفسه في دجلة وعبرها سباحة . وفيها امر ابو احمد بتقييد الطائي وحبسه وختم على كل ما كان له . وفيها حبس ابو احمد ابنه ابا العباس فشغب اصحابه وحملوا السلاح واضطربت بغداد فركب ابو احمد الى الرصافة وقال لاصحاب ابي العباس وغلمانه اترون انكم اشفق على ابني مني وهو ولدي واحتجت الى تقويمه . فانصرف الناس وتركوا السلاح . وحج بالناس هرون المذكور

وفي السنة ٢٧٦ هـ =٨٨٩ م ضمنت وظيفة الشرطة ببغداد الى عمرو ابن الليث وكتب فيها اسمه على الاعلام والمطارد والترسة التي تكون في مجلس الجسر في محرم . وفي ١٤ ربيع الاول شخص ابو احمد من بغداد الى الجبل قاصداً ماللاً دلّ عليه فلم يجده ثم شخص منها الى الكرخ ومن ثم الى اصبهان . وقدم محمد ابن ابي الساج عليه قبل شخوصه هارباً من ابن طولون بعد ما واقعه عدة وقعات ضعف فيها ابن ابي الساج عن مقاومته لقلة عسكره وكثرة من مع ابن طولون فاستصحبه ابو احمد معه وخلع عليه . وولي عبيد

(١) تصعلك اي صار لصاً او فقيراً

الله بن عبد الله بن طاهر على شرطة بغداد من قبل عمرو ابن الليث . وفيها امر بطرح الاعلام والمطارد والترسة التي كان عملها عمرو ابن الليث وكتب اسمه عليها واسقط ذكره . وحج بالناس هرون بن محمد الهاشمي

وفي السنة ٢٧٧ ه = ٨٩٠ م اهدى خمارو يه ابن طولون ليازمان والي طرطوس هدية مفتخرة فدعا له على المنابر . ووقعت فتنة بين وصيف خادم ابن ابي الساج والبرابرة اصحاب ابي الصقر فاقتتلوا وقتل من غلمان الخادم اربعة ومن البرابرة سبعة وكانت الحرب بينهم بباب دمشق الى شارع باب الكوفة فركب اليهم ابو الصقر وسكنهم . ثم بعد يومين وثبوا للقتال ثانية فركب وسكن خواطرهم . وفيها ولي يوسف على المظالم ونادى بالناس من له مظلمة من احد الولاة فليقدمها وامر صاحب الشرطة الا يطلق احداً من المسجونين الا باذن يوسف . وقدم قائد من قواد ابن طولون في جيش عظيم من الفرسان والرجال الى بغداد وحج بالناس هرون بن محمد الهاشمي

وفي السنة ٢٧٨ ه = ٨٩١ م في ٢٧ محرم طلع كوكب ذو جمه ثم صارت الجمة ذوائبة . وانصرف ابو احمد من الجبل الى العراق وقد اشتد به وجع النقرس حتى لم يعد يقدر على الركوب فاتخذ له سريراً عليه قبة فكان يجلس عليه ومعه خادم يبرد رجليه بالمبردات حتى بلغ منه انه كان يضع عليها الثلج (ثم صارت علة رجليه داء الفيل وكان يحمل سريره اربعون رجلاً يتناوبه كل عشرين منهم.ثم اتى ووصل الى داره في ٢صفر. واشاع ابوالصقر موته واغلقوا عليه الابواب .ثم بعد مدة قصد بعض الدخول ليروا صحته فكسروا الاقفال فظن انهم داخلون ليقتلوه فاستل سيفه وعزم ان يقتل نفسه .ولما دخل احدهم عرفه انه من خواصه ولم يؤذه وشاع خبر انه لايزال حياً ولما تحقق ابوالصقر ذلك جهز القواد والسلاح وشحن داره بالرجال والذخيرة وخرج قوم لمحاربته. ثم رجع ودخل دار ابي احمد وبقي عنده بسلاحه وتوفي ابو احمد في ٢٢ صفر ودفن بالرصافة عند قبر والدته .وجلس ابو العباس ابنه للناس للتعزية . ومع ان الخلافة كانت بالاسم للمعتمد على الله لكنها كانت بالحقيقة لابي احمد الموفق لانه كان يقضي و ينهي و يامر و يولي و يعزل و يصرف و ينصب وليس لاخيه المعتمد الا الاسم. و بايع القواد والغلمان لابي العباس بولاية العهد ولقب بالمعتضد بالله يوم الخميس واخرج للجند العطاء وخطب يوم الجمعة للمعتمد. ثم للمفوض ثم لابي العباس المعتضد وذلك في ٢٣ صفر وفي ٢٥ منه قبض على ابي الصقر وعلى اسبابه وانتهبت منازلهم. وطلب

بني الفرات فاختفوا . وخلع على عبيد الله بن سليمان بن وهب يوم الثلثا في ٢٦ صفر
وولي على الوزارة . وفيها ظفر بابي احمد بن محمد بن الفرات فحبس وطولب باموال .
ووردت الاخبار بان رافعاً بن هرثمة قتل علياً بن الليث اخا الصفار ووردت
الاخبار عن مصر بان النيل غار ماؤه وغلت الاسعار (اي كان فيضانه قايلاً
وكانت سنة شراقي) ذكر الطبري ان الموفق كان استصحب ابا معشر البلخي
واتخذه منجماً له . وكان معه في محاصرته للزنج بالبصرة وقيل ان ابا معشر كان في
اول امره من اصحاب الحديث ببغداد وكان يضاغن ابا يوسف يعقوب بن اسحق
الكندي ويغري به العامة و يشنع عليه بعلوم الفلاسفة فدس عليه الكندي من حسن
له النظر في علم الحساب والهندسة فدخل في ذلك فلم يكمل له . فعدل الى علم احكام
النجوم وانقطع شره عن الكندي و يقال انه تعلم النجوم بعد سبع واربعين سنة من عمره
وكان فاضلاً حسن القريحة صنف كتباً عديدة في هذا الفن فضر به المستعين اسواطاً
لانه اصاب في امرٍ اخبر عنه قبل وقته وكان يقول اصبت فعوقبت . وجاوز ابو معشر
المائة سنة ومات في واسط . وقيل ان ابا معشر كان مدمناً شرب الخمر . واما يعقوب
الكندي فكان شريف الاصل بصرياً وكان ابوه اسحق اميراً على الكوفة للمهدي
والرشيد . وكان يعقوب هذا عالماً بالطب والفلسفة والحساب والمنطق وتأليف الالحان
والهندسة والهيئة وله في اكثر هذه العلوم تآليف مشهورة من المصنفات الطوال . ولم
يكن في الاسلام من اشتهر عند الناس بمعاناة علم الفلسفة حتى سموه فيلسوفاً غير يعقوب
هذا . وعاصر قسطا بن لوقا البعلبكي وقسطا هذا فيلسوف نصراني في الدولة الاسلامية
دخل الى بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثيرة وعاد الى الشام واستدعي الى العراق
ليترجم الكتب وله تصانيف مختصرة بارعة . وقيل اجتذبه سنحاريب الى ارمينية واقام
بها الى ان مات هناك وبني على قبره قبة اكراماً له كاكرام قبور الملوك ورؤساء
الشرائع قال المؤرخ لو قلت حقاً قلت انه افضل من صنف كتاباً بما احتوى عليه من
العلوم والفضائل وما رزق من الاختصار الالفاظ وجمع المعاني

ذكر ابتداء القرامطه

وفيها وردت الاخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطه بسواد الكوفة . فكان ابتداء
امرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة واقام منه في موضع يقال له

النهروين يظهر الزهد والتقشف و يسف[١] الخوص و ياكل من كسبه و يكثر الصلوة فاقام على ذلك مدة . فكان اذا قصده انسان ذاكره بامر الدين وزهده في الدنيا واعلمه ان الصلوة المفترضة على الناس خمسون صلاة كل يوم وليلة حتى فشا ذلك عنه بموضعه ثم اعلمهم انه يدعو الى امام من اهل بيت الرسول فلم يزل على ذلك تقصده الجماعة فيخبرهم من ذلك بما تعلق قلوبهم وكان يقعد حذاء بدال في القرية وكان بالقرب من البدال نخل اشتراه قوم من التجار واتخذوا حصيرة جمعوا فيها ما صرموا[٢] من حمل النخل . وجاؤا الى البدال فسألوه ان يطلب لهم رجلاً يحفظ لهم ماصرموا من النخل فاوماً لهم الى هذا الرجل وقال ان اجابكم الى حفظ ثمرتكم فانه بحيث تحبون . فناظروه على ذلك فاجابهم الى حفظه بدراهم معلومة فكان يحفظ لهم و يصلي اكثر نهاره و يصوم و ياخذ عند افطاره من البدال رطل تمر فيفطر عليه ويجمع نوى ذلك التمر فلما حمل التجار مالهم من التمر ساروا الى البدال فحاسبوا اجيرهم هذا على اجرته فدفعوها اليه فحاسب الاجير البدال على ما اخذ منه من التمر وحط من ذلك ثمن النوى الذي كان دفعه الى البدال فسمع التجار ما جرى بينه و بين البدال في حق النوى فوثبوا عليه وضربوه وقالوا الم ترض ان اكلت تمرنا حتى بعت النوى فقال لهم البدال لا تفعلوا فانه لم يمس تمركم وقص عليهم قصته فندموا على ضربهم اياه وسألوه ان يجعلهم في حل ففعل . وازداد بذلك نبلاً عند اهل القرية لما وقفوا عليه من زهده . ثم مرض فمكث مطروحاً على الطريق وكان في القرية رجل يحمل على اثوار له احمر العينين شديد حمرتها وكان اهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية[٣] احمر العينين فكلم البدال كرميته هذا في ان يحمل هذا العليل الى منزله و يوصي اهله بالاشفاق عليه والعناية به ففعل واقام عنده حتى برأ . ثم كان يأوى الى منزله ودعا اهل القرية الى امره ووصف لهم مذهبه فاجابه اهل تلك الناحية وكان يأخذ من الرجل اذا دخل في دينه ديناراً و يزعم انه يأخذ ذلك للامام فمكث بذلك يدعو اهل تلك القرى فيجيبونه واتخذ منهم اثني عشر نقيباً امرهم ان يدعو الناس الى دينه وقال لهم انتم كحواري عيسى ابن مريم فاشتغل اكثر تلك الناحية عن اعمالهم بما رسم لهم من الخمسين الصلوة التي ذكر انها مفترضة عليهم وكان للهيصم في تلك الناحية صناع فوقف على تقصير اكاربه في العمارة فسأل عن

---

(١) سف الرجل الخوص اي نسجه والخوص و رق النخل فانه ينسج منه

(٢) صرم النخل والشجر جزه (٣) اي معنى كرمينة باللغة النبطية احمر العينين

ذلك فاخبر ان انسانًا طرأ عليهم فاظهر لهم مذهبًا من الدين واعلمهم ان الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة فقد شغلوا بها عن اعمالهم . فوجه في طلبه فاخذ وجيء به اليه فساله عن امره فاخبره بقصته فحلف انه يقتله فامر به فحبس في بيت واقفل عليه الباب ووضع المفتاح تحت وسادته وتشاغل بالشرب وسمع بعض من في داره من الجواري بقصته فرقت له فلما نام الهيصم اخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب واخرجته واقفلت الباب وردت المفتاح الى موضعه فلما اصبح الهيصم طلب المفتاح ففتح الباب فلم يجده وشاع ذلك الخبر ففتن به اهل تلك الناحية . وقالوا رفع ثم ظهر في موضع آخر و بقي جماعة من اصحابه وغيرهم فسالوه عن قصته فقال ليس يمكن احد ان يبدأني بسوء ولا يقدر على ذلك مني فعظم في اعينهم ثم خاف على نفسه فخرج الى ناحية الشام فلم يعرف له خبر وسمي باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الاثوار كرميته ثم خفف فقالوا قرمط ذكر هذه القصة بعض اصحابنا عمن حدثه انه حضر محمد بن داود بن الجراح وقد دعا بقوم من القرامطة من الحبس فسالهم عن زكرويه وذلك بعد ما قتله وعن قرمط وقصته وانهم اوصوا له الى شيخ منهم وقالوا له هذا سلف زكرويه وهو اخبر الناس بقصته فسله عما تريد فسأله فاخبره بهذه القصة . وذكر عن محمد بن داود انه قال قرمط رجل من سواد الكوفة كان يحمل غلات السواد على اثوار له . ويسمى حمدان ويلقب بقرمط . ثم فشا امر القرامطة ومذهبهم وكثروا بسواد الكوفة ووقف الطائي احمد بن محمد على امرهم فرتب على كل رجل منهم في كل سنة دينارًا وكان يجبي من ذلك مالاً جزيلاً . فقدم قوم من الكوفة فرفعوا الى السلطان امر القرامطة وانهم قد احدثوا دينًا غير الاسلام وانهم يرون السيف على امة محمد الا من بايعهم على دينهم وان الطائي يخفي امرهم على السلطان فلم يلتفت اليهم ولم يسمع منهم فانصرفوا واقام رجل منهم مدة طويلة بمدينة السلام يرفع و يزعم انه لا يمكنه الرجوع الى بلده خوفًا من الطائي . وكان فيما حكوا عن هولاء القرامطة من مذهبهم ان جاءوا بكتاب فيه . بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج ابن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة داعية الى المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو احمد بن محمد ابن الحنفية وهو جبرائيل . وذكر ان المسيح تصور له في جسم انسان وقال له انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك الروح القدس وانك يحيى ابن زكريا . وعرفه ان الصلوة اربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل

غروبها . وان الاذان في كل صلوة ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لاله الا الله مرتين اشهد ان ادم رسول الله . اشهد ان نوحاً رسول الله . اشهد ان ابراهيم رسول الله . اشهد ان موسى رسول الله . واشهد ان عيسى رسول الله . واشهد ان محمداً رسول الله . واشهد ان احمد بن محمد بن الحنفية رسول الله . وان يقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهي من المنزل على احمد بن محمد ابن الحنفية . والقبلة والحج الى بيت المقدس . و يوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيءٌ . والسورة الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لاوليائه باوليائه . قل ان الاهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام وباطنها اوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي اتقون ياولي الالباب وانا الذي لااسأل عما افعل . وانا العليم الحكيم وانا الذي ابلو عبادي وامتحن خلقي فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري القيته في جنتي واخلدته في نعمتي . ومن زال عن امري وكذب رسلي اخلدته مهاناً في عذابي . واتممت اجلي واظهرت امري على السنة رسلي . وانا الذي لم يعل عليّ جبار الا وضعته ولا عزيز الا اذللته . وان الذين اصروا على امرهم وداوموا على جهالتهم وقالوا لن نبرح عليه عاكفين و به مؤمنين اولئك هم الكافرون . ثم يركع و يقول في ركوعه سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون . يقولها مرتين فاذا سجد قال الله اعلى الله اعلى الله اعظم الله اعظم . ومن شرائعه ان الصوم يومان في السنة وهما المهرجان والنيروز وان النبيذ حرام والخمر حلال . ولا غسل من جنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة . وان من حاربه وجب قتله ومن لم يحاربه ممن خالفه اخذت منه الجزية . ولا يؤكل لحم كل ذي ناب ولا كل ذي مخلب . وكان مسير قرمط الى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج وذلك ان بعض اصحابنا ذكر عن سلف زكرويه انه قال . قال لي قرمط سرت الى صاحب الزنج ووصلت اليه وقلت له اني على مذهب وورائي مئة الف سيف فناظرني فان اتفقنا على المذهب ملت بمن معي اليك والا انصرفت عنك . وقلت له اعطني الامان ففعل . قال فناظرته الى الظهر فتبين لي في آخر مناظرتي اياه انه على خلاف امري وقام الى الصلاة فانسللت ومضيت خارجاً من مدينته وسرت الى سواد الكوفة .

وفيها دخل احمد العجيفي مدينة طرسوس وغزا يازمان ارض الروم وفي هذه الغزوة مات يازمان اذ اصابته شظية من حجر منجنيق فاصابت اضلاعه فجرح وتوفي في الطريق وحمل

علي الاكتاف الى طرسوس ودفن فيها وحج بالناس هرون بن محمد الهاشمي

وفي السنة ٢٧٩ ﻫ = ٨٩٢ م(أمر المعتمد بالنداء بمدينة السلام ان لا يجلس على الطريق ولا في مسجد الجامع قاص ولا صاحب تنجيم ولا زاجر وحلَّف الوراقين الا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة . وفيها خلع جعفر المفوض ابن المعتمد من العهد في ٢١ محرم . وفي ذلك اليوم بويع للمعتضد ابن الموفق بولاية العهد من بعد المعتمد وانفذت الكتب بذلك الى جميع العمال والولاة وجعل اليه ما كان الموفق يليه من الامر والنهي والولاية والعزل) وفيها توفي المعتمد ليلة الاثنين في ١٨ رجب وكان سبب موته انه شرب على نهر الحسيني شرابًا كثيرًا وتعشى فاكثر فمات في ليلته . وكانت خلافته ثلاث وعشرين سنة وستة ايام وحمل الى سر من رأى ودفن فيها وكان عمره خمسين سنة وهو اول من ترك سر من رأى مذ بنيت . ولم يعد اليها احد منهم ولم يكن للمعتمد في الخلافة الاّ مجرد الاسم وكان التدبير بيد الموفق اخيه وقد قمع الخوارج والاتراك . وذهب مذهب الرشيد في احكامه واجرى العدل وعاقب المذنب وكانت في ايامه الحروب الكثيرة مع العلويين والاعجام . وافتتح مدنًا كثيرة . و بعد موت الموفق لم يعش المعتمد زمنًا طويلاً وكان المعتمد يستدعي الشيء فلا يجاب عليه وقال في ذلك شعرًا

اليس من العجائب ان مثلي ... يرى ما قال ممتنعًا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعًا ... وما من ذاك شيئًا في يديه

الفصل السادس عشر

في خلافة ابي العباس ابن احمد الموفق المعروف بالمعتضد بالله
وهو السادس عشر من العباسيين

(وفي صبيحة ١٩ رجب بويع بالخلافة ابو العباس ابن احمد الموفق المسمى بالمعتضد بالله . فولى غلامه بدرًا على الشرطة . وعبيد الله ابن سليمان بن وهب على الوزارة ومحمدًا بن الشاه ابن ميكال على الحرس . وولى صالحًا المعروف بالامين على حجبه الخاصة والعامة بدل حنيف السمرقندي) . ولما تخلف المعتضد بالله سكنت الفتن واصطلحت البلدان وارتفعت الحروب ورخصت الاسعار . وكانت احكامه صارمة وكان شديد العقوبة قاسيًا لا يتجاوز عن الذنب واصلح ما كان فسد من البلاد من الخوارج . (وقدم على

المعتضد رسول عمرو ابن الليث بهدايا طالباً ولاية خراسان فاجابه اليها . وخلع عليه واهداه لواء نصبه في داره ثلاثة ايام . ومات نصر ابن احمد وقام بعمله وراء نهر بلخ اخوه اسماعيل وفيها قدم الحسين ابن عبد الله المعروف بابن الخصاص من مصر رسولا لخمارويه ابن احمد ابن طولون ومعه هدايا من العين عشرون حملا على بغال وعشرة من الخدم وصندوقان فيهما طراز وعشرون رجلا على عشرين نجيباً بسروج محلاة بفضة كثيرة ومعهم حراب فضة وعليهم اقبية الديباج والمناطق المحلاة وسبع عشرة دابة بسروج ولجم منها خمسة ذهب والباقي فضة و٣٧ دابة محملة اشياء اخر كثيرة . ولما وصل الى المعتضد خلع عليه وعلى سبعة اشخاص معه . وسعى ابن الخصاص في تزويج ابنة خمارويه من علي ابن المعتضد فقال المعتضد انا اتزوجها . ويوم النحر ركب المعتضد وصلى في المسجد الذي اتخذه بالقرب من الحسيني وعطل المصلى العتيق فلم يصلّ فيه . وحج بالناس هرون ابن محمد الهاشمي)

(وفي السنة ٢٨٠ هـ = ٨٩٣ م اعلم المعتضد بان عبد الله ابن المهتدي ومحمد ابن الحسن ابن سهل مع جماعة يدعون لخليفة آخر غيره ويفسدون الجند والعامة الى ذلك . فامسكهم واستفحصهم فمن وجد بريئاً اطلق سبيله ومن وجد مذنباً قتله . وشخص المعتضد الى معقل بني شيبان فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وسبى كثيرين . وافتتح محمد ابن ابي الساج مراغة بعد حصار شديد . وفيها توفي جعفر ابن المعتمد وكان مقيما بدار المعتضد ومن ندمائه . ورجع المعتضد الى بغداد . وفي ١٤ شوال انخسف القمر ثم تجلى في اخر الليل وفي عصر النهار الثاني هبت ريح شديدة ودامت الى ثلث الليل وحينئذ حدثت زلزلة خفيفة اخربت اكثر المدينة ولم يبق منها اكثر من مائة دار . ومات تحت الردم ١٥٠ الف نفس وحج بالناس محمد ابن هرون المعروف بابن اترنجة)

وفي السنة ٢٨١ هـ = ٨٩٤ م خرج المعتضد بالله الى الموصل قاصداً حرب العرب والاكراد ولما وصل اليهم قتل خلقاً كثيراً منهم وهرب الباقون الى المدينة ثم رجع المعتضد الى الموصل يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان فهرب منها وبقي ابنه فيها . ولما وصل المعتضد نزل ابن حمدان اليه وطلب منه الامان فامنه فسلمه القلعة فاخرج كل ما فيها وهدمها . وفيها حدث برد شديد في المصعد على طريق مكة اهلك خمسمائة نفس . وغزا المسلمون بلاد الروم فظفروا وغنموا

وفي السنة ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م امر المعتضد وكتب للعمال بترك افتتاح الخراج في نيروز العجم وتاخير ذلك الى ٢١ يونيو (حزيران) وسمي النيروز المعتضدي . وفيها

قدم ابن الخصاص من مصر بابنة خمارويه ابن احمد ابن طولون المدعوة قطر الندى التي سبق الكلام عنها ورضي المعتضد بان يتزوجها وكتب كتابها · واصحب معها هدية مهمة وجهازًا فاخرًا ومعها احد عمومتها فوصلوا بغداد في ٢ محرم وادخلت للحرم وانزلت دار صاعد ابن مخلد وكان المعتضد غائبًا في الموصل · و بعد رجوعه زفت ابنة خمارويه على المعتضد في شهر ذي الحجة وفي هذا الزفاف قال الشاعر

ياسيد العرب الذي زفت له ‏ ‏ ‏ بالامن والبركات سيدة العجم
اسعد بها كسعودها بك انها ‏ ‏ ‏ ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بملأى ناظريها بهجةً ‏ ‏ ‏ وضميرها نبلاً وكفيها كرم
شمس الضحى زفت الى بدر الدجى ‏ ‏ ‏ فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

وولى المعتضد خمارويه على الشام واعمالها وحلب والعواصم ورتب عليه الاموال · وشخص المعتضد الى الجبل فبلغ بلاد الكرج واخذ اموالاً جزيلة كانت لابن ابي الف · وفيها اطلق لؤلؤ غلام ابن طولون بعد خروج المعتضد · ووجه محمد بن زيد العلوي من طبرستان الى محمد بن ورد العطار ٣٢ الف دينار ليفرقها على اهله ببغداد والكوفة ومكة والمدينة ففرقت · وفيها ولدت ناعم جارية ام القاسم بنت محمد ابن عبد الله للمعتضد ابنًا سماه جعفرًا · وفيها بلغ المعتضد ابرهيم ابن احمد المازرائي ان ابا الجيش ذبح خمارويه بن احمد بن طولون في دمشق على فراشه في اواخر ذي القعدة · و بلغ الخبر المعتضد في ٣ ذي الحجة فقتل من خدمه الذين باشروا قتله نيفًا وعشرين خادمًا ومنهم ابو الجيش · وتولى مكانه على ولاية ابيه ابنه هرون والتزم ان يحمل من مصر الى خزانة المعتضد في كل سنة خمسمائة الف والف دينار · وكان ارسل المعتضد الى ابن خمارويه هدايا فاخرة مع ابن الجصاص الذي احضر العروس له فلما بلغه مهلك ابن خمارويه ارسل وراءه ليرجع فارجع · وكان مقتل خمارويه في قصره الذي في سفح الجبل الذي فوق دمشق اسفل دير مران · وحمل جسده الى مصر ·

وفي السنة ٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م قتل المعتضد رافعًا بن هرثمة ورفع راسه على سور بغداد ثلاثة ايام · وفي هذه السنة ظهر للمعتضد في الحلم شخص في صور مختلفة فكان تارة يظهر له بصورة راهب ذي لحية بيضاء وتارةً يظهر له بصورة شاب حسن الوجه وتارةً يظهر له في لحية سوداء وتارةً يظهر له بهيئة تاجر وتارةً يظهر له و بيده سيف مسلول وكان يظهر له في المنام وفي اليقظة والابواب مغلقة الى ان حار المعتضد من

تلك الرؤيا حُرِم المنام فاحضر المنجمين ولم ينتفع شيئًا واشتهر ذلك في البلد وعند العامة واشتهر خبره في الركبان واختلف القول به ولم يعرف احد له سببًا • وفيها نهب صالح بن مدرك الطائي الحج • وجرى له مع الحاج يحيي حروب كثيرة ومات الحاج يحيي وخلائق لا تحصى من الحجاج قتلاً وعطشًا (وفيها شخص المعتضد الى ناحية الموصل لسبب الشاري هرون فظفر به ورجع غانمًا • وفيها كتب المعتضد الى جميع النواب برد الفاضل من سهام المواريث على ذوي الارحام وابطال ديوان المواريث • وفيها غزت الصقالبة الروم وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وخربوا قرى عديدة حتى وصلوا الى القسطنطينية فحاصروها فوجه ملك الروم الى الصقالبة يقول ان ديننا واحد فعلى مَ نقاتل بعضنا بعضًا • فاجابه ملك الصقالبة ان هذا ملك ابائي ولست منصرفًا عنه الا بغلبة احدنا صاحبه • ولما لم يجد ملك الروم له منه خلاصًا جمع من عنده من اسارى المسلمين واعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا وكشفوهم وازاحوهم عن القسطنطينية ولما رأى ملك الروم ذلك خاف من المسلمين على نفسه فاخذ سلاحهم بلطف وفرقهم في البلدان حذرًا من جنايتهم عليه • وفيها حصل الفداء بين المسلمين والروم وكان جملة المفديين من المسلمين ٢٥٠٤ نفس)• ذكر في تواريخ الروم انه في هذه السنة توفي الملك ثاوفيلس وتملك بعده ولده ميخائيل بن ثاودورا وكان عمره خمس سنين ونصف وكانت والدته النائبة عنه في الملك فامرت باعتاق المسجونين في كل المدن التي تحت تملكه والذين كانوا منفيين لاجل تعبدهم للايقونات وامرت برجوع البطريرك الى القسطنطينية وفي زمان هذا الملك ميخائيل وامه ثاودوره آمن بدين المسيح امير البلغار وجميع بلاده لاجل اعجوبة حدثت معهم من الله تعالى في زمان الجوع والغلا وحين بلغ الملك ميخائيل وامه ان امير البلغار وشعبه صاروا مسيحيين اعطتهم الارض البرية من حدود سينارس الى حدود فلسطين وهو المكان الذي بين الروم والبلغار ثم بعد ان كبر الملك ميخائيل ابتدأ خاله فرداس يرمي البغضة بين امه ثاودوره وبينه الى ان ابعد قلبيهما الواحد عن الآخر وكان ثاوكيطوس القائد لا يروم ذلك وابتدأ يلوم الملك ميخائيل على تغيير خاطره على والدته وكان فرداس يكره ذلك الكلام الى انه كان بعض الايام غضب الملك على امه ثاودوره فابتدأ ثاوكيطوس يلومه فغضب الملك من كلامه وهجم عليه فرداس خال الملك وقتله • ثم طردوا الملكة مع بناتها ونفاها ولدها واخوها الى جزيرة البروتي الا انه قبل ذهاب الملكة جمعت الاراخنة ونبلاء الشعب

وروؤساء العساكر وعرضت عليهم الخزائن التي كانت جمعتها في حياتها وقالت لهم هذه الاموال التي جمعتها الى ولدي وكانت مائتي قنطار من الذهب وتحفاً كثيرة وسلمتها الى ولدها وسارت مع بناتها بحزن عظيم واما الملك ميخائيل فثابر منعكفاً على السكر والزنا مبدداً تلك الاموال التي جمعت له اياها والدته مهملاً تدبير المملكة . واما الملكة فأقامت في المنفى بعيشة فقرية الى ان توفيت . واما فرداس خال الملك فوقع بينه وبين باسيليوس المكدوني مكايدة و بغضة وكان باسيليوس اصله من مكدونيا وكان رجلا فقيراً اتى في زمان صباه الى القسطنطينية واقام خادماً عند احد الاراخنة الى ان كان احد الايام خرج الملك الى الصيد وكان راكباً فرساً عظيمة القد ففرّ من الملك في الصيد ولم يقدر احد على الوصول اليه ولا على ضبطه . وكان باسيليوس المكدوني خارجا مع سيده فطارد ذلك الحصان بسرعة عظيمة فقبض عنانه واوقفه فاعجب الملك ذلك وفرح ثم خرج قدامهم وحشاً عظيم الصورة فخافت منه جميع عساكر الملك فتقدم باسيليوس وقتله واحضر راسه الى الملك فاحبه الملك وخلع عليه وجعله من خواصه واحبه حباً عظيماً . وكان باسيليوس لبيباً شجاعاً في الحرب جميل الخلقة والاخلاق وقد صار من خواص الملك ومحبيه فحسده فرداس وعزم على قتله الى ان كان في بعض الايام إستجاش الملك على افو يطش فوقع بين خدم الملك وخدم خاله فرداس شر . فخرج فرداس وطرد خدام الملك وضربهم ضرباً مؤلماً الى ان احدهم اشرف على الموت فاعترضه باسيليوس ليمنع غضبه ووقعت المشاجرة بينهما فوثب باسيليوس على فرداس وقتله فاستحسنت افعاله جميع اراكنة الشعب . واما الملك فلحبه لباسيليوس ولكونه جعله مكان ولده لم يفتكر بموت خاله وكان باسيليوس لا ترضيه افعال الملك وسكره وما يبديه من القبائح وكان يبكته على ذلك فابغضه الملك واراد قتله فعلم باسيليوس بما اخر الملك فاتفق مع الشعب وروساء العساكر ودخل على الملك ليلاً وقتله وتملك مكانه . وقد كان تملك ميخائيل مع امه ست وعشرين سنة وثمانية اشهر الى ان انقضت حياته

وفي السنة ٢٨٤ هـ = ٨٩٧ م كان المنجمون يوعدون الناس بغرق اكثر الاقاليم لكثرة الامطار وزيادة المياه في العيون والانهار فحدث الامر بعكس ذلك فكانت تلك السنة قليلة الامطار ونشفت الينابيع وتضايقت الناس من قلة الماء . (و يوم الخميس في ٢٧ ربيع الاخر ظهرت ظلمة بمصر وحمرة في السماء شديدة حتى كان الرجل ينظر

الى وجه الآخر فيراه احمر وكذلك الجدران وغير ذلك و بقي ذلك من العصر الى العشاء الاخرة وخرج الناس من منازلهم يدعون الله و يتضرعون اليه • وفيها نودي في الارباع والاسواق ببغداد بالنهي عن وقود النيران وصب الماء ليلة النيروز • ثم ثاني يوم نودي بالاذن بذلك ففعلت العامة من ذلك ما جاوز الحد • وفيها كان عزم المعتضد على لعن معاوية ابن ابي سفيان على المنابر وامر بارسال كتابة بذلك • ثم امتنع لتخويفه باضطراب العامة • وحج بالناس عبد الله ابن داود الهاشمي المعروف باترنجة

وفي السنة ٢٨٥ ه = ٨٩٨ م خرج صالح ابن مدرك الطائي على الحج بالاجفر وكانت الاعراب تحشدت من طي وغيرهم فحار بهم امير قافلة الحج وكانت الحرب ثلاثة ايام فظفر اولاً الاعراب بالقافلة واخذوا ما كان فيها من الاموال والمتاجر واخذوا جماعة من النساء الحرائر والشبان اسرى وقدرت قيمة ما اخذوه بالفي الف دينار • ثم حارب ابا مدرك المذكور ابن العز معدن القرشي فقتل صالحاً وانهزمت الاعراب ودخل ابوالعز معدن الى مكة وراس صالح على قناة فكان لابي العز منزلة رفيعة عند المعتضد وطوقه بطوق ذهب وكان معه اربعة من اولاد عم صالح مغلولين (وفيها ذكر ان ريحاً صفراء كثيفة ارتفعت بنواحي الكوفة في ٣٠ ربيع الاول وبقيت الى وقت صلوة المغرب ثم استحالت سوداء ولم يزل الناس في تضرع الى الله وامطرت السماء مطراً شديداً برعود هائلة و بروق متصلة ثم سقط بقرية احمد اباد ونواحيها حجارة بيضاء وسوداء مختلفة الالوان فانفذ منها حجراً الى الدواوين والناس حتى يروه (هي لربما حجارة نيازك سقطت من الجو كما يحدث مراراً كثيرة) • ووقع برد كبير وزن البردة ١٥٠ درهما وان شدة الريح قلعت من نهر الحسيني ٥٠٠ نخلة ومن نهر معقل ١٠٠ نخلة • ووجه هرون ابن خمارويه بن احمد ابن طولون وقواده وصيفاً ابن قاطرمز يسألونه مقاطعتهم ما في ايديهم من مصر والشام فرده المعتضد ووجه معه عبد الله ابن الفتح ليشافههم برسائل يشترط عليهم شروطاً • وحج بالناس محمد ابن عبد الله بن داود الهاشمي

وفي السنة ٢٨٦ ه = ٨٩٩ م (وجه محمد بن ابي الساج ابنه رهينة بما ضمن للسلطان من الطاعة الى بغداد ومعه هدايا كثيرة وكان المعتضد غائباً في آمد • وعند وصوله الى آمد اغلق محمد بن احمد بن عيسى ابواب المدينة فالتزم المعتضد بمحاصرتها وبقي محاصراً اياها حتى طلب محمد المذكور الامان لنفسه ولاهله فاجابه المعتضد الى ذلك وخلع عليه • ووفد على المعتضد وهو بآمد عبد الله ابن الفتح من مصر باجوبة كتبه الى

هرون ابن خمارويه واعلمه ان هرون رضي ان يسلم اعمال قنسرين والعواصم ويحمل الى بيت المال ببغداد كل سنة ٤٥٠ الف دينار ويسأل ان يجدد له ولايته على مصر والشام فاجابه الى ماسأل وانفذ اليه بدراً القدامي وعبد الله ابن الفتح بالولاية والخلع فخرجا من آمد الى مصر ٠ وتسلم عمال المعتضد اعمال قنسرين والعواصم من اصحاب هرون وبقي المعتضد هناك مدة ثم ارتحل منها نحو الرقة ٠ وخلف ابنه علياً بآمد مع جيش يضمه اليه لضبط الناحية واعمال قنسرين والعواصم وديار ربيعة وديار مضر ٠ وكان كاتب علي ابن المعتضد الحسين بن عمرو النصراني) وفيها ظهر رجل من القرامطة يعرف بابي سعيد الجنابي بالبحرين فاجتمعت اليه الناس وقوي امره ٠ ثم سار الى القطيف وقتل من بها وسمع انه يريد البصرة فكتب واليها للمعتضد فامر ببناء سور حول البصرة وقدرت النفقة ١٤ الف دينار فامر بالانفاق وبني ٠ وفيها سارت جماعة من بني شيبان وغاروا على القرى وقتلوا من لحقوا من الناس واستاقوا المواشي فقاومهم احمد ابن محمد بن كشيجور فغلبوه فكتب للخليفة فانجده وحاربوا العرب فغلبتهم ثانية فاعلموا الخليفة فزاد النجدة فهرب الاعراب الى برية طريق مكة وبرية الشام ٠ وعزل المعتضد محمداً ابن الفرات عن ديوان المشرق وقلد مكانه عبيد الله بن سليمان وقلد ديوان المغرب علياً بن عيسى بن داود وعزل عنه ابن الفرات)

وفي السنة ٢٨٧ هـ = ٩٠٠ م) اعلم السلطان ان طيئاً تجمعت وحشدت واستعانت بمن قدرت عليه من الاعراب واعترضت قافلة الحج ٠ واعترضهم فريق آخر من فرسان الاعراب وتحاربوا فانهزمت طيء ومن معها ٠ وان الاغر سار مع الحجاج سالمين ووافى مدينة السلام وبين يديه راس صالح بن مدرك ورأس محنش ورأس غلام اسود لصالح واربعة اسارى من بني عم صالح قدم هولاء الى المعتضد فخلع عليه وطوقه بطوق من ذهب كما سبق ٠ دخل المعتضد منتزهه براز الروز وامر ببناء قصر في موضع اختاره في المنتزه فابتدئ بعمله ٠ وفيها تعظم امر القرامطة بالبحرين واغاروا على نواحي هجر وقرب بعضهم من البصرة فطلب واليها محمد الواثقي المدد من الخليفة فوجه اليه ثماني شذوات اوسفن فيها ٣٠٠٠ رجل وامر المعتضد باختيار جيش لارساله الى البصرة ٠ وولى المعتضد عباساً بن عمر الغنوي على اليمامة والبحرين ومحاربة ابي سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة وضم اليه زهاء الفي رجل فذهب الى البصرة ومنها الى اليمامة والبحرين ٠ وفيها في ٩ رجب ماتت قطر الندى ابنة خمارويه زوجة المعتضد ودفنت داخل قطر

الرصافة . وفيها حدثت موقعة مهولة بين سعيد الجنابي رئيس القرامطة و بين العباس ابن عمرو الغنوي ومن معه فاستظهر سعيد واسره وأسر معه سبعماية رجل واحتوى كل ما كان مع العسكر وفي اليوم التالي صرف جميع الاسرى الذين مع العباس واطلق العباس وارسله الى المعتضد فصرفه الى بيته . وسار سعيد الجنابي الى هجر فدخلها وامن اهلها ومن فرّ من عسكر العباس سار الى البصرة . وفيها امر المعتضد باحراق جميع المراكب البحرية التي كان المسلمون يغزون بها وجميع الاتها . وكان الذي اشار على الخليفة بذلك دميانة غلام يازمان فاضرّ ذلك كثيرًا بالمسلمين وقوى الروم وامنوا غزوات المسلمين البحرية . وقلد المعتضد الحسن ابن علي الحكم على كور الثغور الشامية لطلب اهل الثغور واجتماع كلمتهم عليه . وواقع بدر غلام الطائي القرامطة على غرة منهم بنواحي مرو و بيسان وقتل منهم مقتلة عظيمة) . وفيها سار الداعي العلوي من طبرستان الى بلد جرجان في جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم . فالتقى بجيش اسماعيل ابن احمد وعليهم محمد ابن هرون فكان بينهم وقعة لم يكن مثلها في ذلك الزمان . وكانت الدبرة لمحمد بن هرون وكانت بمكيدة منه . فانه لما رأى ثبات الديلم على القتال هرب اولاً محمد بجيشه الى ان طمعت بهم الديلم فرجعوا عليهم بالسيف وقتلوا بشرًا مقدم الديلم واصاب الداعي ضربتان وكان قد ثبت قدام الديلم و بقي الداعي اياماً قليلة ومات .

وفي السنة ٢٨٨ هـ = ٩٠٠ م وقع الوباء باذربيجان ومات منه خلق كثير الى انه لم يبقَ للناس ما يكفنون به الموتى فكفنوهم بالاكياس واللباد . ثم لم يجدوا من يدفنهم فتركوهم مطروحين على الطرق (ودخل اصحاب طاهر ابن محمد ابن عمرو ابن الليث فارساً واخرجوا منها عمال السلطان . وتوفي محمد ابن ابي الساج الملقب بافشين في اذربيجان وولى المعتضد مولاه بدرًا على فارس وامره بالشخوص اليها . وغزا الروم مدينة الرقة بحرًا وخرجت جيوشهم للبر واسروا ١٥ الف نفس من المسلمين . وفيها قرب اصحاب سعيد الجنابي من البصرة فاشتد جزع اهلها حتى هموا بالهرب فمنعهم واليها) . وفي هذه السنة كانت الحروب العظيمة في اليمن بين الحسن ابن الحسين الراسي واسعد بن يعفر و بين القرامطة . ثم ان وصيفاً الخادم خرج من طاعة المعتضد واجتمع اليه اناس كثيرون ودخلوا الثغور الشامية . فعظم ذلك على المعتضد . فارسل في طلبه قوادًا وجيوشاً فغدروا به وقبضوا عليه واتوا به الى المعتضد . ورجع المعتضد الى مدينة السلام وكان وصيف معه مقيدًا على جمل فقال به الحسن ابن محمد شعرًا . (والصحيح ما رواه المسعودي)

اذ قال ولما دخل عمرو بن الليث مدينة السلام من المصلى العتيق رافعاً يديه يدعو وهو على جمل فالج اي ذي سنامين وكان انفذه الى المعتضد في هدايا تقدمت له قبل اسره فقال في ذلك الحسن ابن محمد بن مهر

الم تر هذا الدهر كيف صروفه ... يكون عسيرًا مرةً و يسيرا
وحسبك بالصفار نبلاً وعزةً ... يروح و يغدو في الجيوش اميرا
حباهم باجمال ولم يدر انه ... على جمل منها يقادُ اسيرا

وفي ذلك يقول محمد بن بسام

ايها المغتر بالدنـ ... يا اما ابصرت عمرا
مقبلاً قد اركب الفا ... لج بعد الملك قسرا
وعليه برنس السخـ ... طة اذلالاً وقهرا
رافعاً كفيه يدعوا ا ... لله اسرارًا وجهرا
ان ينجيه من القتـ ... ـل وان يعمل صفرا

ثم صلب الوصيف على باب المدينة مع جملة من القرامطة

وفي السنة ٢٨٩ هـ = ٩٠١ م انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجه الخليفة اليهم شبلاً غلام احمد بن محمد الطائي فظفر بهم واسر رئيسهم ابا الفوارس وقوم معه. واتى بهم الى المعتضد فقال المعتضد لرئيسهم المدعو ابا سعيد انتم الذين تزعمون ان روح الله يحل في اجسادكم. فقال له ابوسعيد ان حلت روح الله فينا فما الذي يضرك وان لم تحل فينا فما الذي ينفعك. فلا تسل عما لا يعنيك بل سل عما يخصك. فقال المعتضد ما الذي يخصنا. فقال ان النبي مات وابوكم العباس حيٌّ فلا طلب الخلافة ولم يبايعه احد من الصحابة على ذلك. ثم ان ابا بكر مات واستخلفه عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص اليه. ثم مات عمر واوصى بجعل الخلافة لواحد من ستة انفس ولم يوص الى العباس بشيء. فماذا تستحقون من الخلافة وقد اتفق الصحابة برفع جدك عنها فلما سمع المعتضد منه ذلك الكلام امر بعذابه ومات تحت العذاب. ومثله قتل ابا الفوارس ومن معه من القرامطة شر قتلة. وفي ٢٢ ربيع اخر توفي المعتضد قال ولما كان في غشوة الموت تقدم الطبيب ليجس رجله فافاق عليه ورفسه برجله فانقلب الطبيب على قفاه كالمائت لعظم هيبته وكان جبارًا قاسيًا يعاقب عن الذنب ولا يصفح عمن اخطاء اليه فهابته البلدان. وخشت سطوته الاقران ودانت اليه الامور من الشرق والغرب. وخلف في بيت

المال تسعين الف الف دينار وار بعين الف الف درهم وتحفاً وجواهر لا تحصى · وكان بخيلاً ينظر فيما لا ينظر به العامة · وكانت في ايامه الحروب الكثيرة وقد اتينا بضرب من اخبارها · قال وكان المعتضد من كثرة هيبته لا يقدر احد ان يكلمه بل يتكلمون مع خادمه بدر الذي كان غلاماً للمتوكل اولاً ثم اتصل بالمعتضد · وتقرب اليه فاحبه من كل قلبه وكانت الشعراء تمدح بدراً بعد مدح المعتضد · ذكر يحيى ابن محمد قال كنت يوما بين يدي المعتضد وهو متطاب الوجه فاقبل عليه بدر · ولما رآه ضحك وقال لي يا يحيى من من الشعراء يقول هذا الشعر فقلت ماهو فقال

و بلي على من اطار النوم فامتنعا وزاد قلبي على اوجاعه وجعا
كانما الشمس في اعطافه لمعت حسناً او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت منه الذنوب ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقلت هذا قول الحكم بن مرة المازني فقال لله دره · وكان قد اوصى المعتضد قبل وفاته بان يدفنوه في دار محمد بن عبد الله بن طاهر فدفن هناك · وجلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان في دار السلطان في الحسيني واذن للناس فعزوه بالمعتضد وهنأوه بما جدد له من امر المكتفي وتقدم الى الكتاب والقواد بتجديد المبايعة للمكتفي بالله فقبلوا

الفصل السابع عشر

في خلافة المكتفي بالله وهو السابع عشر من العباسيين

و بعد موت المعتضد ولي على الخلافة ولده المكتفي بالله وكان يومئذ بالرقة فانفذ القاسم بن عبد الله الخبر الى المكتفي وحالما بلغه الخبر طلب من كاتبه بان يأخذ له المبايعة من عساكره · واجزل لهم في العطاء ووجه الى النواحي بديار ربيعة وديار مضر ونواحي المغرب من يضبطها · وحضر الى مدينة السلام وامر حالاً بهدم المطامير التي كان ابتناها ابوه لعذاب الناس · واطلق من بها من المسجونين وامر برد المنازل التي كان اتخذها ابوه مكان المطامير لاصحابها · فمالت قلوب الرعية اليه واحبته الناس · قال و بعد تولي المكتفي على الخلافة انحطت منزلة بدر الخادم · وخرج من بغداد غضبان وانقادت اليه

جماعة . فخرج المكتفي الى نهر ديال وعسكر هناك فارسل بدر الى ابي عمر القاضي بان ياخذ له الامان من المكتفي فضمن له ذلك. وانه لايسلم عن يده الا عن رؤية امير المؤمنين فابقى بدر العسكر واتى الى ابي عمر القاضي فركب معه . ولما قرب من الشط وثب عليه اصحاب المكتفي وتخلى عنه القاضي فقطعوا رأسه واتوا به الى المكتفي . فقال الان ذقت طعم الخلافة ورجع المكتفي الى بغداد . وفي ابي عمر القاضي يقول الشاعر

قل لقاضي مدينة المنصور بمَ احللت اخذ رأس الامير
بعد اعطائه المواثيق والعهـ ـد وعقد الامان في مسطور
اين ايمانك التي يشهد اللـ ـه على انها يمين فجور
يا قليل الحياء يا اكذب الامـ ـة يا شاهداً شهادة زور
شتت الله شملكم واراني فيكم الذل بعد قتل الوزير

وهي طويلة اكتفينا بما ذكرناه منها

قال وتظاهر المكتفي بالبخل نوعاً عن سلفائه حتى قيل انه كان يجمع مابقي من الخبز فالذي يكون صحيحاً يامر بارجاعه ولا يدع الغلمان ياكلونه . وكان وزيره القاسم ابن عبد الله وكان عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكاً للدماء (وبعد دخول المكتفي بغداد ببضع ايام توفي عمرو ابن الليث ودفن بجانب القصر الحسيني . وفي شهر رجب منها ترلزلت بغداد ودامت الزلزلة اياماً وليال كثيرة . وفي ٩ ذي الحجة منها هبت ريح الشمال عند العصر و برد الهواء حتى احتاج الناس للوقود للدفاء ولبس الجبب والفرو وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء . وفيها ظهر بالشام رجل من القرامطة كان يحسب نفسه من نسل علي بن ابي طالب وسمي اتباعه الفاطميين وهو ابن زكرويه المعروف بالشيخ جمع جموعاً كثيرة من الاعراب وغيرهم واتى بهم الى دمشق وبها طغج ابن جف من قبل هرون ابن خمارويه ابن احمد بن طولون وكانت بينهم وقعات كثيرة قتل فيها خلق كثير) وفيها خرجت الترك في خلق غفير لا يحصى عدده الى ماوراء النهر فسار اليهم جيش المسلمين وكسروهم عند الصباح وقد قتلوا منهم خلقاً غفيراً وانهزم الباقون

وفي السنة ٢٩٠ هـ = ٩٠٢ م ورد الخبر للخليفة ان القرمطي ابن زكرويه المعروف بالشيخ وافى الرقة فخرج اليه جماعة من اصحاب السلطان ورئيسهم شبك غلام المكتفي فواقعوه وانهزم . وارسل طغج عامل ابن خمارويه على دمشق جيشاً لمحاربة

القرمطي وعليهم رئيس يدعى بشيراً لحار بهم القرمطي وغلبهم وقتل بشيراً · ثم حارب طغجاً والي الشام وهزمه · وارسل الخليفة ابا الاغر مع جيشه لحاربوه وغلبهم وهزمهم · وقد كانت الحرب متصلة بينه وبين اهل دمشق وجندها وامدهم اهل مصر فقتله المصريون في احدى المواقع · وكان دائماً يركب جملاً برحاله ويلبس ثياباً واسعة ويتعمم بعمامة اعرابية ويتلثم · ولم يركب دابة من لدن ظهر الى ان قتل · ولما قتل انحاز جزبه الى اخيه الحسين ابن زكرويه ودعا لنفسه ويكنى بابي العباس · ودعا الناس الى ما دعاهم اليه اخوه · فاجاب دعوته اكثر اهالي البوادي واشتدت شوكته فتوجه الى دمشق فصالحه اهلها على خراج دفعوه له · ثم انصرف الى حمص فتغلب عليها وخطب له على منابرها وتسمى بالمهدي · ثم سار الى حماة ومعرة النعمان وغيرهما فقتل النساء والاطفال ثم سار الى بعلبك فقتل عامة اهلها ولم يبق منهم الا اليسير · ثم سار الى سلمية لحاربه اهلها ومنعوه عن الدخول · ثم وادعهم واعطاهم الامان ففتحوا له بابها فدخلها وقتل كل من كان فيها من بني هاشم · ثم قتل اهلها اجمعين وسار منها الى ما حولها يقتل ويحرق ويخيف ابناء السبيل · وفيها امر المكتفي بالتاهب لحرب القرمطي بناحية الشام وفرق في دفعة واحدة على الجند مائة الف دينار فالتقوا به في نواحي حلب وكان يوم شديد الحر وبينما هم في الوادي يبردون انفسهم بمائه وافاهم جيش القرمطي المعروف بصاحب الشامة وهاجمهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وافات ابو الاغر قائد جيوش الخليفة في جماعة من اصحابه ودخل حلب فتبعه القرمطي الى هناك وواقعهم وهزمهم · واما المكتفي فمضى بمن معه الى الرقة وسرح الجيوش لمحاربة القرمطي جيشا بعد اخر · ثم في شهر شوال كتب بدر الحمامي صاحب ابن طولون الى مدينة السلام يخبر بانه واقع القرمطي وهزمه وقتل كثيراً من جيوشه · ومضى من افلت منهم الى البادية · ثم وجه الخليفة في اثره جيوشاً وقواداً فكبس امير الجزيرة حصناً للقرامطة وظفر بمن فيه · وواقع قرابة ابا سعيد الجنابي وولي عهده وهزمه في القطيف وقتله وافتتح القطيف ودخلها . وهذه القاب القرمطي التي لقب بها نفسه في كتاباته وكتابات العمال اليه · من عبد الله احمد ابن عبد الله المهدي المنصور بالله · الناصر لدين الله · القائم بامر الله · الحاكم بحكم الله · الداعي الى كتاب الله · الذاب عن حريم الله · المختار من ولد رسول الله · امير المؤمنين وامام المسلمين ومذل المنافقين · خليفة الله على العالمين · وحاصد الظالمين وقاصم المعتدين ومبيد الملحدين · وقاتل القاسطين ومهلك

المفسدين وسراج المبصرين وضياء المستضيئين ومشتت المخالفين والقائم بسنة المرسلين وولد خير الوصيين صلى الله عليه وعلى اهل بيته الطيبين وسلم كثيراً ٠ وكان يسمي المسلمين جميعاً اعداء الله الكفرة ٠ وفيها صار الفداء بين المسلمين والروم بتبادل الاسرى وفداء من زاد ٠ وحج بالناس الفضل ابن عبد الله بن العباس

وفي السنة ٢٩١ ھ = ٩٠٣م حدثت موقعة مهولة بين جيوش السلطان وقائدهم محمد ابن سليمان والقرمطي بقرب حماه وكان القرمطي قسم جيشه قسمين قدم فريقاللحرب وتخلف مع فريق ومعهم الاموال الوافرة التي كان جمعها من السواد فانهزم جيش القرمطي وقتل واسرمنهم خلقاً كثيراً ٠ وتفرق الباقون في البوادي وتبعهم جيش السلطان ٠ ولمارای القرمطي ما حل بجيشه هرب مع اخيه الى البادية ٠ ثم قصد الكوفة واختفى بها فامسك احد رسله و بواسطته عرف محله فاسر مع كل قواده واصحابه ٠ واتي به الى الرقة فاصحبهم الخليفة معه الى بغداد ٠ وهناك بنى مصطبة خصوصية لهم واحضرهم وقطع ايديهم وارجلهم واعناقهم وكانوا نحو ٣٦٠ وقيل ٣٢٠ وطلب القرمطي واحرقه وقتل ايضاً ابن سيما احد قواد القرمطي ٠ وفي ٩ جمادى الاولى ازوج المكتفي ابنه محمداً بابنة ابي الحسين القاسم ابن عبد الله على صداق مئة الف دينار ٠ وفي آخر الشهر حدث سيل في جبى اغرق نحو ثلاثين فرسخاً غرق فيه خلق كثير وخربت منازل وقرى عديدة ٠ وفيها خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتب الجيش وامره بالخروج الى دمشق ومصر لقبض الاعمال من هرون بن خمارويه لما تبين للسلطان من ضعفه وعدم صلاحيته للولاية ٠ وفيها ثار بعض القرامطة الذين كانوا استامنوا وعزموا ان يكبسوا الرحبة فلما علم امرهم ارسل من حاربهم وقتل واسر عدداً غفيراً منهم وارسل الاسارى الى بغداد ٠ وغزا غلام ظرافة الروم في انطاكية وفتحها وقتل نحو خمسة الاف واسر مثلهم واستنقذ من اسارى المسلمين نحو ٤٠٠٠ وغنم ستين مركباً للروم وشحنها ما غنمه منهم من فضة وذهب ومتاع واصاب كل من جيشه الف دينار وحج بالناس الفضل بن عبد الملك)

وفي السنة ٢٩٢ ھ = ٩٠٤م سار محمد بن سليمان براً ودميانة غلام يازمان بحراً الى مصر لحصار هرون بن خمارويه وحربه فجرى بينهم مواقع شديدة وتركه كثير من قواده واستسلموا لعسكر الخليفة ٠ ثم وقع اختلاف بين قواد ابن خمارويه فخرج خمارويه بنفسه ليسكنهم فرماه احد المغاربة بمزراق فقتله ودخل محمد بن

سليمان بجيوشه واحتوى على دور آل طولون وامسكهم جميعاً وقيدهم واستصفى اموالهم وكتب يبشر الخليفة بالفتح. فامره بان لايترك احداً من آل طولون بمصر او بالشام وان يبعث بهم الى بغداد ففعل فانقرضت الدولة الطولونية من الديار المصرية وولى المكتفي عيسى ابن محمد على مصر . (وفيها تخلف الخليجي من قواد المصريين عن محمد ابن سليمان في آخر حدود مصر مع جماعة استمالهم اليه من الجند ومضى الى مصر مخالفاً السلطان ولما وصل حاربه عيسى النوشيري العامل على المعونة فعجز وهرب الى الاسكندرية واخلى مصر فدخلها الخليجي وارسل السلطان لمحاربته فاتكاً مولى المعتضد وضم اليه بدراً الحمامي وجعله مشيره فخرجا بسرعة . وولى الخليفة رستماً بن بردوار على طرسوس والثغور الشامية وفيها تم الفداء بين المسلمين والروم ففدي من المسلمين ١٢٠٠ وحج بالناس الفضل بن عبد الملك)

وفي السنة ٢٩٣ هـ = ٩٠٥ م اعلم الخليفة بان ابن الخليجي واقع احمد ابن كيغلغ بقرب العريش وهزمه . فندب الخليفة جماعة من القواد والعساكر المقيمين ببغداد للخروج لنجدته فخرج بينهم ابراهيم ابن كيغلغ . ثم خرج المكتفي الى الشام بسبب ابن الخليجي وانتصاره . وعندها اتاه خبر من مصر من احد قواده بانهم حاربوا ابن الخليجي عدة وقعات وفي آخر موقعة هزموا جنوده وقتلوا كثيرا منها . وانه هرب الى الفسطاط واستتر بها عند رجل من اهلها . فدل عليه وعلى من استتر معه فقبض عليهم وحبسهم وكتب السلطان الى فاتك يطلب منه ارسال ابن الخليجي ومن معه الى بغداد ففعل ورجع الخليفة الى بغداد . وخلع الخليفة على من حارب وظفر بابن الخليجي . وفيها ظهر اخ للحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة في نواحي الفرات واجتمع اليه نفر من الاعراب وساربهم الى دمشق برا وعاش بتلك النواحي وحارب اهلها فوجه الخليفة اليه الحسين ابن حمدان بن حمدون فتوجه القرمطي لنواحي طبرية فمانعه اهلها عن دخولها فحاربهم ودخلها عنوة وقتل اكثر اهلها رجالا ونساء ونهبها . وانصرف الى ناحية البادية وكان مر على بصرى واذرعات من حوران والبثنية فحارب اهلها وامنهم . ولما استسلموا له قتل رجالهم وسبى نساءهم واستصفى اموالهم . وتوجه الى دمشق فلم يظفر بها فتركها . ثم لحقه الحسين ابن حمدان وحاربه الى ان ظفر به واحضر رأسه الى بغداد للخليفة . ثم ظهر خارجي بجهة اليمن فارسل الخليفة من يحاربه . وفيها اغار الروم على قورس وظفروا باهلها ودخلوا المدينة واحرقوا مسجدها واستاقوا من سلم من

اهلها وحج بالناس الفضل ابن عبد الملك

وفي السنة ٢٩٤ هـ = ٩٠٦ م دخل كيغلغ طرسوس غازيًا الروم وصاحبه رستم فبلغا اسكندرونة والبس ففتحوها وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة ورجعوا سالمين · ودخل بطاريق من البطارقة اليه بالامان واسلم · واستامن اندرونيقس فامنه السلطان فاطلق من حصنه نحو ٢٠٠ اسير مسلم · وفيها حصل الفداء بين المسلمين والروم بالمعاوضة ودفع الزائد · وخرج زكرويه بن مهرويه القرمطي يريد معارضة الحج فالتقى بالقوافل واحدة بعد اخرى فقتل منها جماعة وسبى كثيرين وسلب كل ما كان في القوافل · ولما علم السلطان ارسل نجدة للقافلة الثالثة فحاربوه وقتلوا من عسكره مقتلة عظيمة وامسك اسيرا مع اقربائه واصحابه وعاش ثلثة ايام ومات · ولكنهم جوفوه وحملوه مع الاسرى · واخذ رجل بالشام ادعى انه السفياني وحمل الى السلطان فوجده معتوهًا

وفي السنة ٢٩٥ هـ = ٩٠٧ م(خرج عبد الله بن ابرهيم المسمعي عن مدينة اصبهان وانضم اليه عشرة الاف من الاكراد مظهرًا الخلاف على السلطان فأمر بدر الحمامي بالشخوص اليه · وحارب الحسين ابن موسى بن علي اعراب طي الذين حاربوا وصيفًا وظفر بهم · وتوفي اسماعيل عامل خراسان واقيم ابنه على اعماله مقامه · : وعقد الخليفة بيده لواء ورفعه الى طاهر ابن علي وخلع عليه وامره بالخروج الى احمد ابن اسماعيل · وفيها تمّ الفداء بين المسلمين والروم وكان جملة المفديين من المسلمين ثلاثة الاف نفس) وفي ١٣ ذي القعدة توفي المكتفي بالله وكانت خلافته ست سنين وستة اشهر وتسعة عشر يومًا وكان عمره ٣٢ سنة (ويكنى بابي احمد وامه ام ولد تركية تسمى جيجك وكان ربعة جميلا فاتح اللون حسن الشعر وافر الجمة وافر اللحية) · ولما ثقل مرضه استشار وزيره العباس ابن الحسين في من يصلح للخلافة فقال له اتقِ الله ولا تول الا من قد عرف الناس وعرفوه واحبهم واحبوه · فقال اصلح الموجودين جعفر ابن المعتضد الا انه صغير · فقال المكتفي يحكم فينا صغير ولا يتولى علينا غريب

الفصل الثامن عشر

في خلافة المقتدر بالله وهو الثامن عشر من العباسيين

وبايع المكتفي جعفراً بالخلافة ولقبوه المقتدر بالله وكان عمره ثلث عشرة سنة وشهر واحد وعشرين يوماً . فكثر كلام الوزارة والناس استصغروه : (وكانت كنيته ابا الفضل وامه ام ولد يقال له شغب . وكان في بيت المال يوم بويع خمسة عشر الف الف دينار . وغسل المقتدر المكتفي وصلى عليه ودفن في موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر . حدثت موقعة في اليوم الثاني من ايام منى في مكة قتل فيها جماعة وجرح جماعة بسبب طلبهم جائزة مبايعة المقتدر . وحصل للحجاج وهم راجعون من مكة عطش شديد فمات منهم عدد غفير وحكي انه شرب كثيرون منهم بول بعضهم . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي

وفي السنة ٢٩٦ هـ = ٩٠٨ م اجتمع جماعة من القواد والكتاب والقضاة واجمعوا على خلع المقتدر وتذاكروا فيمن يخلفه فاتفقوا على عبد الله بن المعتز . فخالفهم وزيره فوثب عليه الحسين بن حمدان وقتله وخلعوا المقتدر وبايعوا عبد الله بن المعتز . ولقب المرتضي بالله وقيل الراضي بالله وارسلوا الى المقتدر ان ينقل من دار الخلافة لكي ينتقل المرتضي اليها فاجاب السمع والطاعة وطلب الامهال الى الغد . وفي تلك الليلة سار باهله من بغداد قاصداً الموصل ولم يبق معه من القواد الا مونس الخادم وموسى الخازن . ولما بلغ المرتضي ذلك ركب ومعه وزيره محمد ابن داود وظن ان الجند يتبعه . فلما صاروا في الصحراء ولم يتبعهم احد رجعوا واختفوا ووقع النهب ببغداد ثلاثة ايام فرجع المقتدر في العسكر وقبض على جماعة وقتلهم . وكتب الى ابي الهيجاء ابن حمدان يامره بطلب اخيه فانهزم الحسين . وحضر اخوه ابراهيم وطلب الامان فعفا عنه ودخل بغداد وخلع عليه وولاه على قم وقاشان فسار اليهما . وفيها حدث ثلج شديد ببغداد ومن شدة البرد جمد الماء والخمر ويبست الاشجار وعلا الثلج نحو اربعة اصابع

ذكر ابو الفرج ان في هذا الزمان [1] علت منزلة اولاد موسى ابن شاكر الذي كان منجماً في ايام المأمون . وكانوا بلغوا في علم الهندسة والفلسفة فوق حد القياس وفتح الله لهم

(١) لا يراد به هذه السنة بل لربما هذه الحوادث تشمل عدة سنين ولذلك قال هذا الزمان

فيها ما لا يتّفق على غيرهم . وكان من العلماء برصد النجوم محمد ابن ثابت ابن قرّة الصابي المذهب الحراني الاصل . وكان عالماً بالغاً وله مصنفات كثيرة في الطب والمنطق . وله تصانيف في السريانية بما يتعلق في مذهب الصابئية في الرسوم والفروض والسنن بتكفين الموتى ودفنهم وفي الطهارة والنجاسة وما يصلح من الحيونات للضحايا وفي اوقات العبادة والصلاة وترتيب القراءة . قال ابو الفرج ان الذي تحققناه عن مذهب الصابئة هو دعوة الكلدانيين القديمة . وقبلتهم الميل الشمالي ولزوم الفضائل الاربع والمفروض عليهم ثلث صلوات قبل طلوع الشمس في كل صلوة ثمان ركعات وفي كل ركعة ثلاث سجدات . وفي نصف النهار والزوال خمس ركعات وفي كل ركعة ثلاث سجدات والصيام ثلاثون يوماً اولها ثامن مارس (اذار) . وتسعة ايام اولها التاسع من دسمبر (كانون الاول) . وسبعة ايام اولها الثامن من فبراير (شباط) . وكانوا يعبدون الكواكب وقرابينهم كثيرة ولا ياكلون منها بل يحرقونها ولا ياكلون البقل والثوم واللوبية (يراد بها الفاصوليا الرومية) والقنبيط (اي زهرة القرنبيط) والكرنب والعدس واقوالهم قريبة من اقوال الحكماء ومقالاتهم في التوحيد على غاية لاتقان وكانوا يزعمون ان نفس الفاسق تعذب تسعة آلاف دور ثم تسير الى رحمة الله تعالى . وكان محمد بن مروان ابن الطبيب احد فلاسفة الاسلام وله تصانيف كثيرة في العلوم وكان حسن المعرفة جيد القريحة . ومن الاطباء في ذلك الزمان يوسف الساهر وكان مشهور الذكر وكثير الاجتهاد في تحصيل الفوائد وسمي الساهر لانه كان يقضي ليله ساهراً في طلب العلم ولم ينم في الليلة الا ربعها . وقيل سمي الساهر لان سرطاناً كان في مقدم راسه وكان يمنعه من النوم فيحيي ليله مكباً على طلب العلم

(وفي السنة ٢٩٧ هـ = ٩٠٩ م غزا مونس ارض الروم ومعه جيش عظيم وابو الاغر السلمي فظفرا بالروم واسرا قوماً منهم . وفيها وجه المقتدر القاسم ابن سيما لغزو الروم ايضاً . وسار الليث بن علي ابن الليث الى فارس وتغلب عليها وعلي واليها سبكري فامر المقتدر مونساً بالشخوص لحربه فاطاع وحاربه وهزمه واسر وقتل جماعة من اصحابه واستأمن جماعة الى مونس . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي

(وفي السنة ٢٩٨ هـ = ٩١٠م وجه المقتدر وصيفاً الديلمي في جيش لحرب سبكري فواقعه وهزمه واخرجه من بلاد فارس ودخلها واستأمن اليه جماعة من اصحاب سبكري وواقع احمد ابن اسماعيل محمداً بن علي ابن الليث فهزمه واسره وحج بالناس الفضل بن عبد الملك

وفي السنة ٢٩٩ هـ = ٩١١ م غزا رستم بن بردوا ارض الروم وهو والي الثغور ومعه دميانة فحاصرا حصن مليح ورحلا عنه ثم احرقا رباض ذي الكلاع · واخبر احمد ابن اسماعيل المقتدر بانه فتح سجستان ودخلها واخرج كل اصحاب الصفار · وان المعدل بن الليث طلب منه الامان · ووافى بغداد القطير صاحب زكرويه ومعه الاغر من قواد زكرويه مستأمنين · وفيها غضب المقتدر على ابن محمد بن الفرات وحبسه واخذ كل ما كان له وانتهبت دوره ودور اصحابه واستوزر محمداً بن عبيد الله ابن يحيي ابن خاقان وحج بالناس الفضل بن عبد الملك

وفي السنة ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م ورد خبر للخليفة من عامل برقة بان خارجياً خرج عليه وظفر بعسكره وقتل خلقاً كثيرا منهم ووجه اذان وانوف من قتلهم في خيوط واعلام مع غلام الخارجي · وكثرت الامراض ببغداد وكلبت الكلاب والذئاب وعضت اناساً كثيرين واهلكتهم وحج بالناس الفضل بن عبد الملك

وفي السنة ٣٠١ هـ — ٩١٣ م عزل المقتدر وزيره محمداً بن عبيد الله وحبسه مع ابنه واستوزر علياً بن عيسى بن داود بن الجراح وحصل وباء طاعون ببغداد على نوعين احدهما سليم والاخر قتال · وظهر ببغداد مشعوذ ادعى الربوبية فطلب مع صاحبه واحرقا بالنار · وغزا ارض الروم الحسين بن حمدان وفتح حصوناً كثيرة وقتل خلقاً كثيراً · وقتل احمد بن اسماعيل صاحب خراسان ذبحه غلام تركي وهرب مع رفيقيه ولم يدركوا · واختلف نصر ابن احمد وعم ابيه اسحق بن احمد على ولاية خراسان وتحاربا فهزم نصر اسحق وتفرق اصحابه هاربين ولحق اهل بخارى اهل سمرقند وظفروا بهم ثانية ودخلوا سمرقند واسروا اسحق وولوا مكانه على عمله ابناً لعمرو بن نصر بن احمد · ودخل اصحاب ابن البصري من اهل المغرب برقة وطردوا عنها عامل السلطان · وفيها ولي ابو بكر محمد بن علي بن احمد بن ابي زنبور المادرائي على اعمال مصر وخراجها · وفيها قتل ابوسعيد الجنابي الخارجي بناحية البحرين وشجر بقتله خادم له وكثرت الامراض ببغداد وفشا الموت · ووافى قائد من قواد ابن البصري البرابرة والمغاربة الى الاسكندرية · وورد كتاب تكين عامل السلطان يسأله المدد وحج بالناس الفضل بن عبد الملك

وفي السنة ٣٠٢ هـ = ٩١٤ م شخص الوزير علي بن عيسى في الفي فارس معاونة لبشر خادم ابن ابي الساج والي طرسوس فغزاهم في برد شديد وثلج وتنحى الحسن ابن

علي العلوي المعروف بالاطروش بعد غلبته على طبرستان عن آمل وسار الى سالوس ووجه صعلوك صاحب الري مع ابنه جيشاً فلم يثبت جيشه وعاد الحسن بن علي اليها . ولم تر الناس مثل عدل الاطروش وحسن سيرته واقامته الحق . وفيها دخل حباسة صاحب ابن البصري الاسكندرية وتغلب عليها وكان اتاها في مائتي مركب في البحر . وفيها اتى صاحب ابن البصري موضعاً من فسطاط مصر على مرحلة يقال له سفط . ثم عاد ونزل محلاً بين الفسطاط والاسكندرية وشخص مونس الخادم الى مصر لمحاربته . وفيها قبض مونس على الحسين بن عبد الله المعروف بابن الخصاص وعلى ابنه واستصفى كل ماله وحبس وقيد كثيرين . وحدثت موقعة بين اصحاب السلطان وحباشة البصري قتل وجرح فيها كثيرون . ثم توافعا ثانية وثالثة ورابعة فهزم فيها اصحاب السلطان المغاربة . وورد كتاب من بشر عامل السلطان على طرسوس يخبره بفوزهم العظيم على الروم وانه فتح حصوناً عديدة واسر ١٥٠ بطريقاً وسبي الفي رأس . وتكررت المواقع في مصر وغلب عسكر السلطان المغاربة . فقتلوا واسروا منهم ٧٠٠٠ وهرب الباقون فرجع حباشة ومن معه من المغاربة . واوقع يانس الخادم بناحية وادي الذئاب في الاعراب وقتل منهم سبعة الاف رجل ونهب بيوتهم وامتعتهم التي كانوا اخذوها من التجار والحجاج . وفيها هلكت بدعة مولاة المأمون . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك وفي ٢ ذي الحجة خرج اعراب من الحاجر على المنصرفين من مكة فقطعوا عليهم الطريق واخذوا ما معهم من الفضة واستاقوا احمالهم واخذوا فيما قيل مائتين وثمانين امرأة حرائر سوى ما اخذوه من المماليك والاماء)

وفي السنة ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م ظهر الحسين ابن حمدان في الجزيرة وخرج عن طاعة المقتدر فجهز الوزير الكبير بجيش عظيم وسيره اليه فالتقاه الحسين وتقاتلا قتالاً شديداً فانهزم الوزير وعسكره . ثم ان المقتدر وجه مونساً الخادم في عساكر كثيرة لقتال الحسين فرحل الى ارمينية وتفرقت عساكره . فادركه جيش مونس واسره واسر ولده عبد الوهاب وعاد مونس الى بغداد واجتاز الى الموصل والحسين وولده راكبان على جمل وعلى رأسيهما الابابيد الطوال والبرانس وقميصاهما من صوف احمر . وفي هذه السنة خرج مليح الارمني الى مرعش فعاث فيها واسر جماعة مما حولها وعاد . وفيها توفي المنذر ابن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكيم الاموي ملك الاندلس فبويع بالخلافة بعده ابنه عبد الله بن المنذر

وفي السنة ٣٠٤ هـ = ٩١٦ م توفي المرتضي ابن المعتز وكان مختفيًا من المقتدر عند ابن الخصاص وعمره خمسون سنة ٠ وقيل مات خنقًا وكان شاعرًا فصيحًا حسن الاخلاق حاويًا زبدة العلم وفنون الادب وكان يود لعب الشطرنج ولا يفتر عن لعبه ليلاً ولا نهارًا وكان منعكفًا على قراءة الكتب وتواريخ من سلف من الاعصار ومن اشعاره حين كان مختبئًا بدار الخصاص

يانفسي صبرًا لعل الخير عقباك ... خانتك من بعد طول الامر دنياك
مرت بنا سحرًا طير فقلت لها ... طوباك ياليتني اياك طوباك
ان كان قصدك شرقًا فالسلام على ... وادي السرى ابلغي ان كان مثواك
من موثق بالمنايا لافكاك له ... يبكي الدماء على الف له باكي
ورب امنة كانت شبيهتها ... ورب مطلقة من بين اشراك
اظنه اخر الايام من عمري ... ويوشك اليوم ان يبكي لي الباكي

قال وكان المرتضي كثير الاستعمال للطيب حسن المذاكرة شريف الهيئة يود محادثة الندماء واهل العلم والادب ويجود عليهم ويعطيهم من ماله ٠ ولا يخرج من عنده احد من ندمائه كل يوم الا بصلة ام بطيب ٠ وكان يقول اني اعجب من انسان يفرح انسانًا فيعجل سروره ويؤخر جائزة من اسره ٠ وكان كثير الفرح والسرور ومن اشعاره ما قال

صل الندمان يوم المهرجان ... بصاف من معتقة الدنان
بكاس خسر واني عتيق ... فان العيد عيد الخسر واني
فاشربها وازعمها حرام ... وارجو عفو رب ذي امتنان

وفي السنة ٣٠٥ هـ = ٩١٧ م حضر رسولان من ملك الروم الى المقتدر يطلبان منه المهادنة والفداء فاكرمهما اكرامًا زائدًا وفي الغد دخل الرسولان على المقتدر وقد جلست ارباب الدولة والاخيار بالسلاح والزينة وادّى الرسولان الرسالة فاجابهما المقتدر الى ما طلب ملك الروم وسير مونسًا الخادم وانفذ معه مائة الف دينار لاجل فداء الاسارى ٠ وفي هذه السنة توفي عيسى ابن محمد البوسري امير مصر في عاشر شعبان فولى المقتدر بالله على امارة مصر يكين الحرري ٠ وفي هذه السنة ظهر الحلاج ابن منصور ٠ وكان ابتداء حاله انه كان يظهر الزهد ٠ وقيل انه حرك يده يومًا على قوم فادارهم فامتحنه رجل وقال له اعطني درهمًا منقوشًا باسمك ٠ فقال له الحلاج

كيف يمكن هذا . فقال له الرجل احضر ماليس حاضراً واخلق ماليس مخلوقا . وكان الحلاج قد قدم من خراسان الى مكة واقام بها سنة في الحجر لايستظل تحت سقف شتاء ولا صيفاً . وعاد الحلاج الى بغداد وآمن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول والربوبية . ووصل خبره الى الوزير حامد انه احيي الموتى فأُحضر وسأله عن ذلك فانكر وقال اعوذ بالله ان ادعي النبوّة والربوبية وانما انا رجل عبد الله فامر به الوزير . فحضر ثم اظهر لهم كتابا يقول فيه ان الانسان اذا لم يمكنه ان يحج فليدر حول بيته كما يفعل الحجاج بمكة . ثم يطعم ثلاثين يتيماً ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم فلما رأى الوزير ذلك امر بقتله وعند موته كان يقول اني قدمت على مذهب الصوفية وانا مومن في النور الشعشعاني فقالوا له قل لا اله الا الله فقال ان بيتاً انت ساكنه غير محتاج الى السرج ولم يقل غير ذلك الى ان مات

وفي السنة ٣٠٦ هـ = ٩١٨ م كان ابتداء الدولة الفاطمية . واولهم محمد المهدي وكان ظهوره بسجلماسة من اعمال القيروان بالمغرب وسمى حاله امير المومنين . ثم مضى الى رقاده . وكان يزعم انه من اولاد علي ابن ابي طالب ونسبه مطعون فيه وسياتي ذكر هذا بعد ان شاء الله تعالى وفي هذه السنة بنى المهدية واستقر بها وملك افريقية وسقلية واعمال المغرب وكان مولده بسلمية وقيل بالعراق سنة تسعة وثمانين ومايتين ودخل الى المغرب ودعا لنفسه وجرت له حروب كثيرة مع بني الاغلب الى ان اخرجهم سنة اثنين وثلاثماية وتوفي محمد المهدي في المهدية في هذه السنة وصار الامر الى ولده القائم الا انه ما مكث الا قليلاً ومات وولي مكانه ولده المنصور

وفي السنة ٣٠٨ هـ = ٩٢٠ م احترقت في الاسكندرية الكنيسة المعروفة بالقمشا وكانت اولاً هيكلاً للاصنام قد بنته كليوبطرا وفي هذه السنة قدم حباسه في عسكر من المغاربة الى الاسكندرية وجهز المقتدر من بغداد عسكراً مع مؤنس الخادم لمحاربة المغاربة فظفروا به وقتلوا من عسكر بغداد نحو سبعة الاف والباقي دخلوا الاسكندرية

وفي السنة ٣١٠ هـ = ٩٢٢ م كانت وفاة ابي جعفر محمد ابن جرير الطبري صاحب التاريخ وفي هذه السنة كان تملك باسيليوس المكدوني على الروم وذلك بعد قتله الملك ميخائيل الا انه لما تملك لم يجد في خزائن المملكة سوى ثلاثة قناطير من الذهب وبقية الخزائن انفقها الملك ميخائيل على السكر والزنا وغيره من اللذات العالمية . وانما باسيليوس كان قد امر ان كل من اخذ من الملك شيئاً يرجع نصفه فجمع اموالاً جزيلة وقد عدل

في حكمه واحبه الشعب حباً عظيماً وقد بنى مستشفى للمجانين الغرباء وانفق عليهم من ماله وابطل جميع المظالم والشرور من مملكته لان في ايام الملك ميخائيل كان قد انتشأ مظالم وشرور كثيرة لتغافله ولكن بعد تملكه تآمر عليه القواد وهما صافا تيوس وجرجس و بيفا تيوس وقد علم الملك باسيليوس خبثهم فقبض عليهم واعماهم . ثم ارسل عساكره الى بلاد افريقيه وظفرت الروم بالمسلمين

وفي السنة ٣١٢ هـ = ٩٢٤ م مضى الامير ابو الهيجاء عبد الله ابن حمدان والد سيف الدولة عامل الموصل وديار ربيعة وغيرهما بالحاج الى المدينة ثم في الرجعة التقاهم ابو ظاهر ابن ابي سعيد القرمطي بجيش كثير. و بعد قتال شديد ظفر بهم وقتل ونهب واسر اكثر النساء والاطفال . وقيل انه اخذ من الاموال ما ينوف عن الف الف دينار . ومن الطيب والامتعة مثلها . واسر ابا الهيجاء وجماعة من اصحاب المقتدر وغيرهم نحو الفين ومايتين وعشرين رجلاً . ومن النساء خمسين امرأة وترك بقية الحجاج بلا زاد ولا جمال فمات اكثرهم من العطش والجوع . وكان ابو الظاهر قبل ذلك بسنة وهو ابن ثماني عشرة سنة قصد البصرة في الف وسبعماية مقاتل فتولى عليها فقتل ونهب واحرق وسلب جميع ما وجد فيها من الاموال وغيره فاشتدت شوكته في ذلك الموضع . قال في هذه السنة ظهر بمصر نجم ذو ذنب معوج طول الرمح ولونه احمر و بقي ثلاث ساعات وغاب

وفي السنة ٣١٣ هـ = ٩٢٥ م سار ابو ظاهر القرمطي بجيوش كثيرة الى الكوفة فنهب وقتل وسبى شيئاً لا يحصى وذكروا انه اخذ من الثياب الموشاة اربعة الاف ثوب ومن الجمال ثلثماية راوية وفي هذه السنة كتب الوزير عبد الله ابن محمد بن باقان الى علي ابن عيسى وكان بمكة بان يسير الى مصر ويكشف احوالها فدخل الفسطاط مستهل رجب . و بعد ما كشف احوال البلد والزم الرهبان والاساقفة والضعفاء باداء الجزية رجع الى مدينته ثم انهم استغاثوا بالمقتدر بالله ببغداد . فكتب ان لا يؤخذ من الرهبان والاساقفة جزية ويجري على العهد الذي قرره صاحب الدعوى . وفي هذه السنة وصل الخبر الى مصر بقدوم الروم في الف قطعة مقاتلة . فاحضر النائب المهندسين فاشاروا بسد الارمية بين اسكندرية ودمياط ورشيد في ابراج من خشب تزحف على بكر من حديد فلم يدعهم الهواء . ثم وصل الخبر ان الريح كسرت من مراكب الروم ماينوف عن ثلثماية قطعة وان البقية رجعت الى بلادهم وحينئذ كتب النائب بمصر الى الشام

يستدعي الجيوش

وفي السنة ٣١٥ هـ = ٩٢٧م استولى القرمطي على الكوفة بعد ما كسر عسكر المقتدر وقتل خلقاً كثيراً ونهب وأسر يوسف قائد العسكر. ثم ان القرمطي هجم على رحبة ووضع السيف في اهلها . واما اهل قرقيسياء فطلبوا الامان منه فامنهم ثم عاد الى بلده مدينة هاجر فعظم امره وكثر اتباعه وتلقب بالمهدي . وفي هذه السنة تحذر مونس الخادم من الدخول الى دار المقتدر فاجتمع اليه جميع الاجناد وقالوا له لا تخف نحن نقاتل بين يديك . فلما بلغ المقتدر ارسل له رقعة بخط يده يحلف له ان ما بلغه باطل فدخل الى المقتدر وجميع الجنود معه وقبل يديه فاعطاه الامان

وفي السنة ٣١٧ هـ = ٩٢٩ م تنازل عن الخلافة المقتدر وبايع اخاه القادر بالله محمد بن المعتضد . وبعد يومين لم يقبل ذلك فرجع المقتدر الى الخلافة . وفي هذه السنة توفي محمد بن جابر الحراني المشهور برصد الكواكب ولم يكن احد من المسلمين مثله في تصحيح ارصاد الكواكب وامتحان حركاتها وكان مذهبه صابئاً . وفي هذه السنة خرج امير التتر بثلاثين مركب كبيرة وقصدوا نواحي ادرنه وان قائد بلاد الادة جمع عسكر الملك باسليوس ملك الروم وسار الى ادرنه فدخلها وحارب اهلها وقتل كثيرين ومنهم امير طرسوس وانهزم عسكره . ثم خرج صموئيل امير افريطش في جملة مراكب وقد استملك عدة جزائر من الروم الى ان انتهى الى مرماران فسارت اليهم عساكر الملك باسليوس في المراكب وظفروا بهم وطردوهم فساروا الى بالوتيون فسار اليهم نيقيطا البطريق بعساكر الروم فهزمهم الى الموره واحرق اكثر مراكبهم . واما الذين هربوا الى الموره فارسل وقبض عليهم وقتلهم وباد جنس البربر . وهذا الملك ما سار جيشه الى مكان الا ورجع منصورا . وقد استراحت مملكة الروم وجددوا الهياكل والمدارس . وفي ايامه تنصرت الروس وقد كان للملك ولدٌ جميل يسمى لاوون ذو معرفة وحلاوة الفاظ وقد كان ابوه باسيليوس يودُّ راهباً يسمى فابرانيوس وقد ادخل غشه على الملك وقد كان لاوون لا يقدر ينظر اليه لاجل مخاتلته ونفاقه . وفارانوس قد كان يظهر المحبة والوداد الى لاوون كثيراً الى ان كان يوماً فقال فارانوس الاوون ابن الملك لمَ لا تحمل سلاحاً وتتجمل به وانتَ شاب ولربما في خروجكما للصيد اغتال اباك احد فيكون سلاحك حافظاً لك وله . فرأى لاوون ذلك صواباً واما ذاك المنافق فقال للملك انني لك من الناصحين . وان ولدك لاوون يريد قتلك .

والشاهد لصدق كلامي انه حين تخرج الى الصيد يخرج معك حاملاً سلاحه تحت ثوبه . فلما سمع باسيليوس ذلك الكلام اشتغلت افكاره وفي الغد خرج الى الصيد ودعا ولده لاوون فنظر سلاحه تحت ثوبه فغضب الملك جداً وبالحال امر بنفيه مع امراته الى تسالو نيكي وقد حزنت الملكة ام لاوون كثيراً على ولدها وكانت تندبه دائماً قائلة ولدي ولدي لاوون لاوون . فلما سمعها الجالسون على المائدة رفعوا ايديهم من الطعام وطفقوا يبكون وقالوا للملك اما تسمع هذا الطير كيف يبكتنا باننا نسينا ولدك ووحيدك وهو لم ينساه . واننا لانقدر نمد ايدينا الى الطعام مالم تامر بحضوره الينا . ولربما كان حمله سلاحه لاجل ان يتباهى في شبابه . فتحركت في قلب الملك المحبة الوالدية وامر باحضار ولده لاوون ولما حضر احتضنه ونزع عنه تلك الاثواب الرثة والبسه ثوباً ملكياً . وقد تحقق ان ذلك الكلام الذي سمعه عنه كان غشاً وفساداً من ذلك الراهب فامر بقطع رأسه . واقام الملك باسيليوس بعد ذلك اياماً قليلة ومات وكانت مدة تملكه تسع عشرة سنة وترك ولده لاوون خليفة له في الملك على الروم

وفي السنة ٣٢٠ ﻫ = ٩٣٢ م بلغ مونس الخادم ان المقتدر قد دبر على قتله (فسار الى الموصل مغاضباً للمقتدر فضبط المقتدر امواله وامر اهل الموصل بقتاله فانتصر مونس واجتمعت اليه العساكر بالموصل وقصد بغداد) ولما وصل مونس الى البصرة كتب كتاباً الى المقتدر وارسله مع خادمه . فسال الوزير الخادم عن الكتاب فقال له اني لا اقدر ان اسلمه الا ليد امير المؤمنين فغضب الوزير وسبه وسب صاحبه . فلما بلغ مونس ذلك توجه الي الموصل وارسل الى اصحابه فحضروا اليه وجمع القواد فكانوا ثماني مئة فارس . ولما قرب من الموصل اجتمع عليه بيت حمدان بجميع عساكرهم من قبل الخليفة وكانوا نحو عشرة الاف وانتشب الحرب بينهم فانهزم بيت حمدان . واحتوى مونس على اموالهم واقام في الموصل تسعة اشهر . ثم انحدر الى بغداد ونزل بباب الشماسية فخرج اليه المقتدر وقدامه الفقهاء والعلماء ومعهم مصاحف منشورة وصعد المقتدر على تل عال وارسل الى مونس في القدوم اليه . فلما قدم ورجاله معه انهزمت اصحاب المقتدر وهمّ المقتدر بالرجوع فلحقه قوم من المغاربة واشهروا عليه السيوف فقال لهم انا الخليفة . فقالوا له لو لم نعرفك لما قتلناك وضربه احدهم سيفاً فقطع رأسه . واخذوا ما كان عليه من اللباس وتركوه عرياناً الى ان مر به رجل فستره بالحشيش . ولما وصل راس المقتدر الى مونس بكى بكاء شديداً ودفن جسده وكانت خلافته اربع وعشرين سنة

الفصل التاسع عشر

في خلافة القاهر بالله وهو التاسع عشر من العباسيين

ولما دخل مؤنس بغداد اجتمع بقواده وقال الرأي ان ننصب ابا العباس بن المقتدر فانه تربيتي وهو عاقل فيه دين وكرم ووفاء . فاعترض عليه اسحق النوبختي وقال بعد الكد استرحنا من خليفة له ام وخالة وخدم يدبرونه فنعود الى تلك الحال . لا والله لا نرضى الا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا . وما زال يحتج حتى رد مؤنساً عن رأيه ووافقه بقية القواد . وذكر لهم ابو منصور محمد ابن المعتضد الذي كان بويع له بالخلافة سابقاً وتنازل عنها واجابه مؤنس الى ذلك وكان النوبختي في ذلك كالباحث عن حتفه بظلفه . لان القاهر قتله كما سياتي ذكره . وامر مؤنس باحضار محمد بن المعتضد فبايعوه بالخلافة في ٢٨ شوال من هذه السنة ولقبوه بالقاهر بالله وكان مؤنس كارهاً لخلافته وكان يقول انني عارف بشره ولؤمه . ولما بويع استحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بليق ولعلي بن بليق . واستحجب القاهر علياً بن بليق واشتغل القاهر بالبحث عمن استتر من اولاد المقتدر وحرمه . واحضر ام المقتدر وكانت مريضة فسألها عن مالها فاعترفت له بما عندها من الامتعة والثياب ولم تعترف بشيء من المال والجواهر فضربها وعلقها برجليها وضبط كلما وجد عندها . ذكر انه لما بلغ مونس ان القاهر انحرف خاطره من نحوه ونحو بليق الحاجب والوزير ابي علي ابن مقلة ضيقوا عليه ووكلوا على دار الخلافة احمد ابن زيرك وامروه بتفتيش كل من يدخل الدار او يخرج منها وان يكشف وجه النساء المنقبات وجيابهم وضيقوا عليه حتى قيل انه دخل الى القاهر صاع من اللبن فادخل احمد يده فيه لئلا يكون فيه رقعة . فلما ضاق الامر على القاهر لسبب هذه المراقبة الشديدة اخذ يراسل اصحاب يوسف بن ابي الساج على قتل مؤنس والحاجب والوزير . ولما علم هؤلاء بذلك اجتهدوا في عزله فمؤنس قال انا كنت كارها خلافته واشرت بابن المقتدر فلم تطاوعوني . ثم اتفق رايهم على ان يدخلوا علياً ابن بليق على القاهر ويكون معهم جماعة من اهل الدار فيخرجونه ويقبضون عليه . فوصل الخبر الى القاهر مع رجل اسمه طريف السكري تزيا بزي امرأة ارسله له اولاد ابي الساج فانفذ خبراً الى الساجية واحضرهم اليه متفرقين ولما دخلوا على ابن بليق وطلبوا الاذن في الوصول الى القاهر لم ياذن لهم فغضب احدهم

وسب القاهر فخرجت اليه الساجية وقبضوا عليه . ثم خرجوا الى الدار وقبضوا على والده واما الوزير ابو علي فلما بلغه ذلك اختفى وهرب . ثم ساروا الى دار مؤنس وكان مريضاً فقبضوا عليه . واحضروا الجميع الى القاهر فامر بقطع رؤوسهم وان يضعوا الروس في طشط و يدوروا بها في بغداد و ينادوا عليها هذا جزاء من يخون الامام و يسعى في فساد الدولة . فخافت ارباب الدولة منه وسموه القاهر لقهره اعاديه . وذكر ابو الفرج انه في ايام القاهر كان ابتداء دولة بني بويه وهم ثلثة عماد الدولة علي وركن الدولة الحسن . ومعز الدولة احمد اولاد ابي شجاع بويه بن فناخسرو من ولد يزدجرد بن شهريار اخر ملوك الفرس وخرجوا الى الديلم وصاروا الى طبرستان فقبلهم اهلها وخلعوا عليهم . ثم نظراً لمحبة الرعية له قلد القاهر عماد الدولة الولاية على بلاد الكرج ولقبه بهذا الاسم فاستمال اهلها اليه واحبوه وقوي جنده واستولى على اصفهان وعظم في عيون الناس وملك على اذربيجان . وانفذ اخاه ركن الدولة الى كازرون وغيرها من اعمال فارس فاستخرج منها اموالاً كثيرة وعاد الى اخيه سالماً

وفي السنة ٣٢٢ ه = ٩٣٣م انعزل القاهر عن الخلافة في جمادي الاول وذلك انه لما كان ابن مقلة مختفياً والقاهر يطلبه وكان الوزير ابن مقلة يراسل الساجية والحجية ويخوفهم من القاهر وشره . وانه نكث عهده مع ابن بليق ومونس بعد ما ولوه على الخلافة واجتمع ابن مقلة بزعيم الساجية وغره بالمال واتفقوا على عزل القاهر وهجموا على داره وكان في ذلك الوقت سكران ونائماً فلما سمع الاصوات استيقظ وطلب ان يهرب منهم فرأى ان جميع الابواب مشحونة بالرجال فهرب الى السطح فاخذوه من هناك وسجنوه وكانت مدة خلافته عاماً واحدا وسبعة اشهر ثم عاش خاملا الى ان مات سنة ٣٣٨ ه

ذكر المسعودي . عن محمد بن علي العبدي الخراساني الاخباري الذي كان انيس القاهر قال خلا بي القاهر وقال لي يا محمد انت تعرف اخبار الخلفاء السالفين فاشرح لي اخبار العباسيين وما كان من اخلاقهم وشيمهم من ابي العباس فمن دونه . فقلت لي الامان باامير المؤمنين فقال نعم لك الامان بما تقول . فلا تبق شيئاً مما تعرفه . فقلت اما ابو العباس فكان سريعاً الى سفك الدماء واتبعه عماله في الشرق والغرب واقتدوا بسيرته مثل محمد بن الاشعث بالمغرب . وصالح بن علي بمصر . وحازم بن جذيمة وحميد بن قحطبة وكان مع ذلك بحراً سمحاً وصولاً جواداً بالمال وسلك من ذكرنا ممن كان في عصره سبيله وذهبوا مذهبه . واما ابو جعفر المنصور فكان اول من اوقع الفرقة بين ولد العباس بن

عبد المطلب و بين اهل علي بن ابي طالب وقد كان قبل ذلك امرهم واحد • وهو اول خليفـة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم وكان معه توبخت المجوسي المنجم واسلم على يديه وهو ابو هؤلاء النوبختيه • وابراهيم الفزاري المنجم صاحب القصيدة في علم النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك • وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم وهو اول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى اللغة العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السند هند • وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الارثماطيقي وكتاب اقليدس وسائر الكتب القديمة في اليونانية والرومية والفهلويه والفارسية والسريانية وظهرت للناس فنظروا فيها وتعلقوا بعلمها • وفي ايامه وضع محمد بن اسحق كتاب المغازي والسير وكتاب السير واخبار المبتدا والخبر : ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة • وكان اول خليفة استعمل غلمانه وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده من ولده فسقطت و بادت العرب وزال باسها وذهبت مراتبها وافضت الخلافة اليه وقد نظر في العلوم وقرأ المذاهب وارتاض في الاراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت في ايامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم • واما المهدي فكان سمحاً سخياً كريما جوادا فسلك الناس في عصره سبيله وذهبوا مذهبه واتسعوا في مساعيهم وكان من فعله في ركوبه ان يحمل معه بدر الدنانير والدراهم فلا يسأله احد الا اعطاه • وامعن في قتل الملحدين والمداهنين في الدين لظهورهم في ايامه واعلانهم باعتقاداتهم في خلافته لما انتشرت كتب ماني وابن ديصان ومرقيون مما نقله عبد الله ابن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية وما صنف من ذلك غيره فكثر بذلك الزنادقة وظهرت اراؤهم بين الناس • وكان المهدي اول من امر الجدليين من اهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين • واقاموا البراهين على المعاندين فاوضحوا الحق للشاكين • وشرع في بناء المسجد الحرام ومسجد النبي (صلعم) • وجدد بناء بيت المقدس وقد كانت هدمته الزلازل • اما الهادي فكان جبارا عظيما واول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفه والاعمدة المشهورة والقسي الموتورة وسلكت عماله طريقته و يمموا منهجه وكثر السلاح في عصره • واما هرون الرشيد • فكان مواظباً على الحج والغزو واتخاذ المصانع والابار والبرك والقصور في طريق مكة وبمنى وعرفات ومدينة النبي فعم الناس احسانه مع ما قرن به من عدله • ثم بنى الثغور ومدّن المدن وحصن

فيها الحصون مثل طرسوس واذنه وعمر المصيصة ومرعش واحكم بناء الحصون . وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين وتبعه عماله وسلكوا طريقته واقتدوا به فغمض الباطل واظهر الحق وانار الاسلام . وكان احسن الناس في ايامه فعلاً ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما احدثته من بناء السبل بمكة واتخاذ المصانع والبرك والابار بمكة وطريقها وما احدثته من الدور للسبيل بالثغر الشامي وطرسوس وما اوقفت على ذلك من الاوقاف . وما ظهر في ايامه من فعل البرامكة وجودهم وافضالهم وما اشتهر عنهم من افعالهم . ولما ظهر جورهم ومطاولتهم ابادهم مع انهم كانوا اعز الناس عنده . وكان الرشيد اول خليفة لعب بالصوالجان في الميدان ورمي النشاب في البرجاس ولعب بالاكرة والطبطاب وقرب الحذاق في ذلك فعمّ الناس ذلك الفعل . وكان اول من لعب بالشطرنج والنرد وقدم اللاعبين واجرى عليهم الارزاق وكان يود الانشراح واظهر الحلم على رعيته . فنمت الرعية وعمرت البلدان من نظامه واتقانه . وكانت في ايامه كالعروس في زينتها . واما ام جعفر فكانت عنده اعز نسائه لما اعطاها الله من حسن الخصال . فقال القاهر لمحمد الخراساني اراك يا محمد بالغت في النعت في ام جعفر دون نساء الخلفاء فقلت يا امير المؤمنين لان الذي اسدته في ايامها ما اسداه احد غيرها من نساء الخلفاء فكان من فعلها وحسن سيرتها الجد والهزل لها وللناس . فاما الذي في الجد للناس هو الاثار الجميلة التي لم يكن في الاسلام مثلها فحفرت العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر حتى اخرجتها من مسافة اثني عشر ميلاً الى مكة فكان جملة ما انفقت عليها من مالها الف الف وسبع مئة الف دينار وما عملت غيره من البرك والمصانع . وما عم اهل الفاقة من المعروف والاحسان . واما الوجه الثاني مما تتباهى به الملوك في اعمالهم وينعمون به في ايامهم ويصونون به دولهم ويدوّن في افعالهم وسيرهم فهو انها اول من اتخذ الالة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وصنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الموشى الذي اتخذ لها خمسين الف دينار وهي اول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجواري . واول من اتخذ القباب الفضة والابنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والسمور والديباج . وانواع الحرير الملون . واتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر . وتشبه الناس في سائر افعالهم بام جعفر . ولما افضت الخلافة الى محمد الامين ولد ام جعفر قدم الخدم ورفع منازلهم ككوثر وغيره من الخدم . فلما رات شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت له

الجواري الحسان الوجوه وعممت رؤوسهن والبستهن الاقبية والمناطق والقراطق فاستحسنهن وامتنع عن الغلمان. ثم لما افضي الامر الى المأمون فكان في يده امره ولما غلب عليه الفضل بن سهل عزله. وكان المأمون كثير الرغبة في استعمال احكام النجوم الى موجباتها ذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان واجتهد في قراءة الكتب القديمة وامعن في درسها وواظب على قراءتها. ولما قدم من العراق انصرف عن ذلك كله واظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد. وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيراً من الجدليين ولزم مجلسه الفقهاء واهل المعرفة من الادباء واستقدمهم من الامصار. واجرى عليهم الارزاق فرغب الناس في صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل. ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله. وكان المامون اكثر الناس عفواً واشدهم احتمالاً واحسنهم مقدرة واجودهم بالمال. وابذلهم للعطايا وابعدهم عن التسافه. وتبعه وزراؤه واصحابه في فعله وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه. واما المعتصم بالله فحين تخلف بعد اخيه المأمون سلك في النحلة رأي اخيه وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الاعاجم وتزيا بزيهم ولبس القلانس والشاشات فلبسها الناس اقتداء بفعله فسميت المعتصمات وعمت الناس افضاله وامنت به السبل في ايامه. وشمل احسانه الخاص والعام واصطلحت احوال الرعية. واما الواثق بالله فانه اتبع ديانة ابيه وعمه وعاقب المخالف وامتحن الناس وكثر معروفه. وامر القضاة في سائر الامصار ان لا يقبلوا شهادة من خالفه وكان كثير الاكل واسع العطاء سهل الانقياد متحبباً الى رعيته. واما المتوكل على الله فانه خالف ما كان عليه المامون والمعتصم والواثق من الاعتقاد. ونهى عن الجدل والمناظرة في الآراء. وعاقب عليه. وامر بالتقليد واظهر الرواية للحديث فحسنت ايامه وانتظمت دولته ودام ملكه. واما المنتصر بالله فلم يلبث بالخلافة الا ثمانية اشهر. واما المستعين بالله فقام بالخلافة ثلاث سنين وخلع ذاته لتقلب الناس عليه. واما المعتز بالله فخلع نفسه بعد اربع سنين لتغلب القواد والاتراك عليه وقد شهد على نفسه انه بريء من الخلافة وانه لا يصلح لها وقتلوه بعد خلعه بستة ايام. واما المهتدي بالله فقتله الاتراك ولم تكمل خلافته السنة وتغلبت الاتراك على الاحكام. وكان المهتدي حليماً عادلاً. واما المعتمد على الله فدامت خلافته مدة طويلة وقمع الخوارج والاتراك وذهب مذهب الرشيد في احكامه وتشبهت الناس به واجرى العدل وعاقب على الذنب. وكانت في ايامه الحروب الكثيرة مع العلو بين الاعجام وفتح مدناً كثيرة. واما المعتضد بالله فكان جباراً قاسياً يعاقب على الذنب ولا يصفح عمن

خطأ اليه فهابته البلدان وخشيت سطوته الاقران واسكن الفتن واصطلحت البلدان . وبطلت الحروب . ورخصت الاسعار . وسالمه كل مخالف ودانت له الامور في الشرق والغرب . وظفر بهرون الشاري . وكان صاحب المملكة والقيم بامر الخلافة واليه المرجع في جميع المهمات واعمال الجيش وخلف المعتضد في بيوت المال تسعين الف الف دينار واربعين الف الف درهم . وخلف تحفاً وخيولاً لاتحصى . وكان بخيلاً ينظر فيما لاتنظر اليه العامة . ولما تخلف المكتفي بالله امر بهدم المطامير التي اتخذها ابوه المعتضد لعذاب الناس واطلق المسجونين وامر برد المنازل التي اخذها ابوه مكان المطامير . واما المقتدر بالله فكان اديباً شاعراً حليماً عادلاً واشتهرت في ايامه الشعراء وتفاخروا باقوالهم وله احكام حسان . وجرت في ايامه حروب كثيرة وقمع الخوارج . وقال محمد الاخباري انيس القاهر الان بما ان الخلافة افضت اليك . ايدك الله بها . وقد كانت اشوق اليك مما انت اشوق اليها . فقال القاهر قد سمعت كلامك وكانني شاهدت القوم عياناً على ماوصفته لي وقد سرني ماسمعته منك . اقد اعلنت ابواب السياسة واخبرت عن طرق الرياسة

الفصل العشرون

في خلافة الراضي بالله وهو العشرون من العباسيين

ثم مضوا الى المكان الذي فيه احمد بن المقتدر ودخلوا عليه وبايعوه بالخلافة واجلسوه على السرير ولقب الراضي بالله في سنة جمادي الاول وارادوا ان يجعلوا علياً بن عيسى وزيراً فقال لهم الراضي ان ابن مقلة اوفق للوزارة فاحضروه . وسلموه الوزارة فاحسن لمن اساء اليه . ذكر المسعودي . انه كان للقاهر بستان قد جلب اليه جميع الاشجار والفاكهة والرياحين من جميع البلدان وقد اشتبكت اشجاره واينعت اثماره . وقد كان القاهر يقضي نزهته وايامه في ذلك البستان لكثرة ما فيه من الاجناس والاثمار وحسن النظام . ولما افضت الخلافة الى الراضي كان اكثر شغفه بذلك البستان وجعله منتزهاً له يقضي اكثر ايامه فيه . ولما كان القاهر مسجوناً طالبه الراضي في الاموال التي جمعها في ايام خلافته فانكر ذلك ثم ان الراضي رفق بالقاهر وجعل يتملقه ليعلمه بما عنده من الاموال واخبره ماهو فيه من الاحتياج الى الاموال وسأله ان يسعفه فيها وانه يتدبر بتدبيره ويرجع كل الامور اليه وحلف له الايمان

والنعلة تقلع من تلك الاشجار الى انه لم يبقَ من البستان شجرة ولم يبقَ موضع الا وحفره . فقال الراضي للقاهر ليس هاهنا شيء مما ذكرت . فقال القاهر وهل عندي من المال شيء وانما كانت (حسرتي) جلوسك بعدي في هذا البستان وتمتعك به فغضب الراضي من ذلك وضيق على القاهر في السجن الى ان مات سنة ٣٣٨ هـ . وفي ايام الراضي عظم امر الحنابلة وقويت شوكتهم وظلوا يباغتون دور العامة وان وجدوا خمراً اهرقوها وكسروا آلات الطرب . فركب صاحب الشرطة ونادى في جانبي بغداد الا يجتمع من الحنابلة اثنان ولا يصلي منهم امام الا اذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلوة الصبح والعشائين فلم يفد فيهم شيئاً . فاخرج الراضي توقيعاً ليقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبخهم على اعتقاد التشبيه وغيره . فمنه انكم تارةً تزعمون ان صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وتذكرون الكف والاصابع والرجلين والنعلين والشعر والقطط والنزول الى الدنيا فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات ما اغواه . واقسم لهم بالله ان لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم هذه لاوسعنكم ضرباً شديداً واستعمال السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم

وفي السنة ٣٢٣ هـ = ٩٣٤ م سلم الامير ناصر الدولة الحسن بن عبد الله ابن حمدان ميافرقين وديار بكر الى اخيه سيف الدولة ابي الحسن علي . وفي هذه السنة تغلب الاخشيد بن طفج على الشام ثم سار الى مصر في رمضان فدخلها وتغلب عليها واجتمعت له مصر والشام . وفيها وثب ابو ظاهر القرمطي صاحب هجر فقتل من تلك الديار مقتلة عظيمة ونهب تلك البلاد وعاد لارضه سالماً

وفي السنة ٣٢٤ هـ = ٩٣٥ م فوض الراضي تدبير المملكه الى الامير محمد بن رائق وولاه على امارة الجيش وجعله امير الامراء وولاه على الخراج والمعاون والدواوين في جميع البلاد وسلمه اللواء في ٢٥ ذي الحجة وامر ان يخطب له على المنابر وذلك لان الحكم كان اكثره في ايدي الامراء المتغلبين ولم يبق للوزارة في بغداد الا الاسم فان ابن رائق وكاتبه كانا ينظران في الامور جميعها وكذلك كل من تولى امارة الامراء بعده وبقي الامر كذلك الى ان انقرضت دولة بني بويه ببغداد . فتولى ابو عبد الله واخوته على البصرة وواسط والاهواز وتولى عماد الدولة ابن بويه الديلمي على بلاد فارس وتولى اخوه ركن الدولة على اصبهان والموصل وديار بكر وربيعة ومضر . وتولى الاخشيد محمد بن طفج على مصر والشام . وتولى القائم بن المهدي على المغرب وافريقية . والاندلس بيد

عبد الرحمن الاموي الملقب بالناصر وتولى نصر بن احمد الساماني على خراسان وما وراء النهر . وطبرستان وجرجان في يد الديلم وتولى ابو ظاهر القرمطي على اليمامة وهجر والبحرين . ولم يبقَ في يد الخلفاء وابن رائق امير الامراء سوى بغداد فنقص قدر الخلافة وضعف ملكها وعطلت بيوت المال وبطلت دواوين المملكة وصار الحكم كله بيد الامراء المتغلبين المذكورين وحملت الاموال الى خزائنهم وكثرت الحروب بينهم

وفي السنة ٣٢٥ هـ = ٩٣٦ م قال ابن الحريري ان الراضي امر بقطع يد ابي علي ابن مقلة الوزير ولسانه لانه كان يسعى لعزل ابن رائق من الوزارة وان يحكم بدله بجكم التركي . وكان ابن مقلة حسن الخط العربي وهو اول من نقل الخط الكوفي القديم الى الطريقة العربية الحسنة . وجاء بعده ابن البواب فزاد في تعريبه وبلغ الغاية فيه . وكان كما سبق يكتب للخليفة مرغباً اياه انه اذا عزل ابن رائق يمكنه ان يحصل منه ثلاثة الاف الف الف دينار واشار عليه بوضع بجكم مكان ابن رائق وطلب ابن مقلة من الراضي ان ينقل ويقيم عنده بدار الخلافة . ولذلك بسبب الحاح ابن رائق على الخليفة امر الخليفة بقطع يد ابن مقلة ثم عولج فبرأت فعاد يكاتب الراضي وبرهن ان قطع يده لم يمنعه عن الكتابة . ثم امر بقطع لسانه وما زال يضيق عليه في حبسه حتى مات[1] . ثم ان بجكم التركي قصد بغداد فخرج لمقاتلته الوزير ابو بكر بن محمد ابن رائق فانهزم ودخل بجكم التركي بغداد وخلع عليه الراضي وسماه امير الامراء بجكم محمد ابن يحيى بن شيراز وقام بتدبير المملكة . وفي هذه السنة ثار المسلمون ببيت المقدس ودخلوا كنيسة القيامة واحرقوها وخربوا ونهبوا ما قدروا عليه

وفي السنة ٣٢٧ هـ = ٩٣٨ م خرج الراضي والامير بجكم لمقاتلة ناصر الدولة ابن حمدان فهزماه حتى بلغا الموصل ونصيبين وآمد . ثم انهما صالحا على شرط ان يحمل الى بغداد خمس مئة الف دينار فرضي ناصر الدولة بذلك وعادا راجعين عنه . ثم انه ظهر ببغداد ابو بكر بن رائق ووقع الصلح بينه وبين بجكم على ان يكون لابن رائق طريق الفرات وجند قنسرين والعواصم . وفيها قدم ابو ظاهر القرمطي من الحج بخمسة

(١) دفنوه في موضع فاتى اهله ونبشوه ودفنوه في موضع آخر ثم نبش ودفن في موضع ثالث . ومن غريب الاتفاق انه تولى الوزارة ثلاث مرات لثلاث خلفاء المقتدر والقاهر والراضي وسافر ثلاث مرات ودفن ثلاث مرات

وعشرين الف دينار . وقد كان منع المسلمين عن الحج مدة

وفي السنة ٣٢٨ هـ = ٩٣٩ م جمع الامير ابو بكر ابن رائق الجيش وغزا حمص فملكها ثم دمشق ثم الرملة حتى وصل الى عريش مصر . فخرج اليه الامير الاخشيد محمد بن طغج صاحب مصر والشام وتواقعا في نصف رمضان . فانهزم الاخشيد ابن طغج واشتغل عسكر ابن رائق في النهب فخرج عليهم كمين ابن طغج على غفلة فقتل منهم جماعة وانهزم ابن رائق في سبعين رجلاً وعاد الى دمشق . وفيها كانت الوقعة بالجون في ذي القعدة بين ابن رائق وبين ابي النصر اخي الاخشيد فانهزم ابو النصر ولكنه قتل جماعة كثيرة من عسكر ابن رائق . ثم وقع الصلح بين ابن رائق والاخشيد على ان تكون الرملة و باقي الشام لابن رائق وان يحمل اليه الاخشيد كل عام ماية واربعين الف دينار وفي هذه السنة مات سعيد ابن بطريق بطريرك الاسكندرية صاحب التاريخ . وكان له على كرسي الروم تسع سنين ونصف وكان ذا رأي فاسد وفي ايامه كثرت الفتن والانشقاقات بينه و بين رعيته فالتجأ الى محمد ابن طغج صاحب مصر المدعو الاخشيد ضدهم فارسل معه قائداً وجماعة من الجند ورجع الى الاسكندرية فنهب الكنائس واسر الاساقفة وسلم كنائس الاسكندرية الى المسلمين وكان فيها خيرات كثيرة من الذهب والفضة وزنت بالقبان

وفي السنة ٣٢٩ هـ = ٩٤٠ م كانت وفاة الراضي بالله ليلة السبت لاربع عشرة بقين من ربيع الاول وكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وكان اديباً شاعراً سمحاً فصيحاً يحب محادثة العلماء والفضلاء ومجالستهم ومات بعلة الاستسقاء وذلك بسبب كثرة نهمه . قال المورخ انه توفي في اول سنة ٣٢٩ وكان عمره ٣٢ سنة . وختم الخلفاء في عدة امور فانه اخر خليفة له شعر يدوّن . وآخر خليفة خطب كثيراً وان كان غيره بعده قد خطب نادراً لااعتبار له . وكان اخر خليفة جالس الجلساء ووصل اليه الندماء . واخر خليفة كانت له نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه واموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين وله شعر رقيق لطيف ومن نظمه هذه الابيات يرثي بها اباه

ولو ان حياً كان قبراً لميت   لصيرت احشائي لاعظمه قبرا

ولو ان عمري كان طوع مشيئتي   وساعدني التقدير قاسمته العمرا

بنفسي ترى ضاجعت في تربة البلا   لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا

الفصل الحادي والعشرون

في خلافة المتقي بالله وهو الحادي والعشرون من العباسيين

وبويع بالخلافة بعده المتقي بالله ابو اسحق ابرهيم بن المقتدر ابن المعتضد يوم توفي اخوه الراضي وكان الحكم كله ليحكم التركي وليس للمتقي الا الاسم فقط وهو الثاني والار بعون من خلفاء المسلمين والحادي والعشرون من بني العباس · وفيها خرج بجكم التركي الى الصيد فقتله رجل كردي · وفوض المتقي تدبير المملكة الى كورتيكين · ثم انه استدعى ابا بكر بن رائق صاحب الشام الى بغداد وفوض اليه تدبير المملكة · ذكر في تواريخ الروم بهذه السنة تملك لاوون ابن باسيليوس المكدوني مملكة ابيه عند موته · ولما بلغ سمعان امير البلغار توفي باسيليوس الملك · وان ابنه لاوون تملك بعده ونقض العهد واتى بعساكر وافرة على مملكة الروم فوجه اليه الملك لاوون عساكر الروم فكسرهم البلغاري وقبض علي بعض رؤساء عساكر الروم وقطع اذانهم وانوفهم واطلقهم · فعظم ذلك على لاوون الملك وسار اليه بعساكره وظفر بالبلغاريين وقتل واسر منهم كثيرين ورجع منصورًا · وكان هذا الملك عارفا بعلم الفلك جيدًا وكان محبوبًا من شعب الروم · وعند وفاته اوصى بالملك الى اخيه الاسكندروس لان ولده قسطنطين كان صغيرًا · ثم توفي وكانت مدة تملكه على الروم خمس وعشرين سنة وفي ايامه حدث جوع شديد ففتح اهراء السلطنة وخزائنه وتصدق كثيرًا · وفيها كان مقتل ابن بكر رائق ففوض المتقي تدبير المملكة الى ناصر الدولة · وبعد مارجع الى بغداد ازوج ولده المنصور بابنة ناصر الدولة على صداق مائة الف دينار وصارت امور الخلافة كلها بحكم ناصر الدولة ابي محمد الحسن ·

وفي السنة ٣٣١ هـ = ٩٤٢ م سارت جيوش الروم الى ديار بكر فاخربوها واحرقوا وقتلوا ونهبوا واسروا خلقًا كثيرا · ثم انهم ملكوا ارزن ودارا ونصيبين و بلغوا الرها وطلبوا من اهلها المنديل المكرم الذي كان مسح به السيد المسيح وجهه وارسله الى الابجر ملك الرها الاسود و بذلوا لهم بذلك اطلاق جميع الاسرى المسلمين الذين بايديهم فاجابهم الى ذلك المتقي والقضاة ووجهوه اليهم لاجل خلاص الاسرى المسلمين الذين كانوا كثيرين بيد الروم · فاطلق الروم الاسرى وحملوا المنديل الى القسطنطينية ودخلوا به اليها في اليوم

الخامس من شهر اوغسطس (آب) وخرج البطريرك والملك والبطارقة والكهنة لاستقباله بالانجيل والمباخر والتراتيل ووضعوه في الكنيسة العظمى المعروفة باجيا صوفيا ، ذكر المسعودي . لما تخلف المتقي اقر علي الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد مدة . ثم استوزر ابا الحسن احمد بن محمد بن ميمون وكان كاتبه قبل الخلافة . ثم استوزر ابا اسحق محمد بن احمد القراريطي . ثم ابا العباس احمد بن عبد الله الاصبهاني . ثم ابا الحسن علي بن مقلة وغلب على الامر ابو الوفاء تورون التركي ويروى توزون واشتد امر الزيديين بالبصرة ومنعوا السفن ان تصعد الى بغداد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم في البر والبحر . وتغلب الاتراك على المتقي ولم يبق له الا اسم الخلافة . فكاتب المتقي ناصر الدولة واخاه سيف الدولة ليجداه مما هو فيه فيفوض اليهما الملك والتدبير وخرج المتقي الى الموصل . ولما بلغ تورون ذلك رجع الى بغداد وقصد بني حمدان ولما قربوا من بغداد خرج عليهم وحاربهم عدة مواقع وكانت الحرب سجالا واخيرًا هزمهم بعد حرب عظيم وسار المتقي الى نصيبين ثم رجع الى الرقة . وقويت شوكة الاتراك ببغداد وكان الاخشيد بن طغج سار الى الرقة وحمل الى المتقي اموالاً كثيرة . وكان بينهما عهود ومواثيق بحلف وايمان . ثم سار الاخشيد الى بلاد حلب ونزل بقنسرين وكان احمد ابن عبد الله بن تورون في بلاد الشام . ولما وصل الاخشيد الى بلاد حلب ابقى عسكره وسار الى ابن تورون فارسله الى المتقي يسأله الرجوع اليه واعطاه العهود والمواثيق عن يد الفقهاء والقضاة والائمة فقبل المتقي بذلك واشار عليه بنو حمدان ان لا يأمن لابن تورون ولا ينحدر اليه وخوفوه منه فابى ذلك ووثق بما ورد عليه من العهود . وكان بنو حمدان قد انفقوا مالاً جزيلاً مدة اقامة الخليفة عندهم وكان الاخشيد رجع الى اراضي حلب فالتقاه سيف الدولة وجرى بينهما عدة مواقع فانهزم الاخشيد واما المتقي فانحدر الى الفرات فالتقاه ابو جعفر كاتب تورون احسن ملتقى ولما بلغ القرية المعروفة بالسندسية التقاه تورون وترجل اليه ومشى بين يديه فاقسم عليه بالركوب . فلم يقبل ومشى قدامه الى المضرب الذي كان اعد له على نهر عيسى وقام هناك فارسل تورون رسولاً واحضر المكتفي ولما وصل دخل المضرب وقبض على المتقي ووزيره ابن مقلة والبعض من رجاله ونهب كل ما كان معه . وفي هذه السنة لما كان المتقي العباسي في البصرة عند آل حمدان ارسل ملك الروم له ان يرسل له المنديل المطبوع عليه وجه السيد المسيح فيطلق له جميع الاسارى المسلمين فجمع الخليفة اكابر دولته واستشارهم بذلك فمنهم من قال ان ذلك ليس بصواب لانه عار على المسلمين . ومنهم من

قال ان اطلاق اسارى المسلمين اوفق وتم الامر ان يرسلوا له ذلك المنديل · وعند وصول المنديل الى القسطنطينية خرج الملك والبطريرك واستقبلوه بكل وقار واطلقوا اسرى المسلمين وكانوا نحو اربعة الاف اسير

الفصل الثاني والعشرون

في خلافة المستكفي ابن المكتفي وهو الثاني والعشرون من العباسيين

اما تورون فبعد ماقبض على المقتدر وسلبه كل ما كان له واخذ البردة والقضيب والخاتم من المتقي و بايع المستكفي بالله وهو ابو القاسم عبد الله بن علي المكتفي يوم السبت لثلاث خلون من صفر · ثم سمل تورون عيني المتقي

وفي السنة ٣٣٤ هـ = ٩٤٥ م في اواخر محرم توفي تورون الامير التركي · وفيها سار احمد بن بويه الى بغداد ثم هرب خوفاً من الاتراك الى الموصل واختفى المستكفي ببغداد مع ابن شيرزاد · فلما استتر سار الاتراك الذين في خدمته الى الموصل · فلما بعدوا ظهر المستكفي وعاد الى دار الخلافة واظهر السرور بقدوم معز الدولة · ثم ان المستكفي ارسل له الطافاً وهدايا وخلع عليه وطوقه وسوره وفوض اليه تدبير المملكة · وعقد له لواء وامر ان تضرب السكة باسمه و يخطب له على المنابر · ولقبه معز الدولة · ولقب اخاه الاكبر الحسن اباعلي عماد الدولة ولقب اخاه الاوسط اباعلي ركن الدولة فكبر امرهم وكان لآل بني بويه قبلاً قد استولوا على بلاد فارس والاهواز والان استولوا على بغداد · ثم ان معز الدولة وثب على المستكفي بالله واعتقله وسمل عينيه وخلعه ونهب دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء وكان ذلك لثمانية ايام بقين من جمادي الاخرة · وكانت مدة خلافة المستكفي سنة واربعة اشهر

الفصل الثالث والعشرون

في خلافة المطيع لله بن المقتدر وهو الثالث والعشرون من العباسيين

و بويع بالخلافه بعده الى المطيع و بايعته العامة · وفي خلافة المطيع سقط اعتبار الخلافة وازدري بها ولم يبق للخليفة الا الاسم وكان معز الدولة يقضي جميع الاشغال ·

وفي هذه السنة سار ناصر الدولة ابن حمدان بالعسكر الى محاربة معز الدولة ابن بويه فجرت بينهم حروب كثيرة . ثم ان ناصر الدولة دخل بغداد وملك منها الجانب الشرقي وملك معز الدولة الجانب الغربي ثم تحاربا فانهزم ناصر الدولة وترك الامر لمعز الدولة وعاد لارضه . وفي هذه السنة توفي الاخشيد ابن طغج بدمشق وكان صاحب مصر والشام ذا شجاعة ويقظة في الحرب وتلقب بكر بن طغج بالاخشيد لان مخرجه من فرغانة و يسمي الفرغانيون جميع ملوكهم اخشيدية على شبه القياصرة برومية والاكاسرة عند الفرس . و يقال انه كان عدد عسكره اربعة الاف الف نفس ومماليكه ثمانية آلاف و بعد موته تولى الملك ولده ابو جور محمد وقام بالملك وتدبيره كافور مملوك ابيه

وفي السنة ٣٣٦هـ = ٩٤٧ م سار سيف الدولة الى حصن برزيه وثبت عليه محاصرًا الى دخول هذه السنة ففتح سور الحصن بالامان وهدمه . وفيها ظهر بحلب وحمص رجل من القرامطة يقال له المرتفع فدعا الى نفسه وتبعه قبائل من العرب فامسكه علي بن عم سيف الدولة والي حمص من قبل سيف الدولة واسره . فلما بلغ ذلك سيف الدولة سار من حلب اليه وتبعه حتى نواحي دمشق وقتله واستنقذ ابن عمه ورجع الى حلب ومعه راس المرتفع على رمح . وفيها قصد امير الدولة ابن بويه الموصل فخرج اليه سيف الدولة ابن حمدان ووقع الصلح بينهما وعاد كل واحد لموضعه . وفي هذه السنة توفي ابو القاسم المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب . وقد ضمنه تواريخ كثيرة في اخبار الزمان

وفي السنة ٣٣٩ هـ = ٩٥٠ م كانت وقعة الملقاة وذلك ان سيف الدولة غزا بلاد الروم وثبت مدة شهرين يقتل و ينهب و يسبي و يحرق . وجاز الخرشنة فالتقى بالدمستق لاوون في موضع يقال له الملقاة وراء خرشنة فظفر سيف الدولة بالروم وقتل منهم نحو ثلاثين الفًا واسر من البطارقة نحو الفين . وفي هذه السنة حدث غلاء بمصر و بغداد فلحق الناس شدائد عظيمة من الجوع وعدم الناس القوت . ثم عقبه الوباء العظيم فمات خلق لا يحصى عددهم الا الله . وفي هذه السنة ظهر في بغداد في الجو شيء مثل الغيم ظنت الناس انه جراد ثم تساقط في البساتين مثل العصافير وكان اذا مسك احد منه يلصق باجنحته في الايدي شيء اصفر يصبغ الايدي

وفي سنة ٣٤١ هـ = ٩٥٢ م توفي المنصور بالله ابو ظاهر اسماعيل بن المهدي صاحب القيروان في اخر شوال . وكانت مدة ملكه سبع سنين و بويع بالخلافة بعده ولده

المعز لدين الله ابو تميم معبد فطاعته القبائل حتى اخذ فيما بعد خلافة مصر . وفي هذه السنة مات الامير نوح بن نصر السامانه وملك خراسان بعده ولده عبد الملك

وفي السنة ٣٤٧ هـ = ٩٥٨ م قصد الامير معز الدولة بن بويه مقاتلة ناصر الدولة ابن حمدان فاخذ منه ديار ربيعة جميعها وهي الموصل والجزيرة ونصيبين وسنجار والرحبة وراس العين والخابور . وانهزم ناصر الدولة الى حلب . ثم صار الصلح بينهما فعاد معز الدولة الى بغداد وعاد ناصر الدولة لبلده

وفي السنة ٣٤٩ هـ = ٩٦٠ غزا سيف الدولة بلاد الروم وسبى وغنم الى ان بلغ خرشنة . فاخذ عليه الروم المضايق لما اراد الرجوع . فقال له اهل طرسوس الرأي ان لا تعود في الطريق الذي اتيت منه ولكن الاوفق ان تسير معنا من المسالك التي نعرفها فلم يقبل منهم وعاد على الطريق التي اتى منها فطلعت الروم عليه واستردوا ما معه من الغنائم ووضعوا السيف في اصحابه فافنوا جانباً منهم واسروا جانباً ونجا هو سالماً في ثلثمئة رجل بعد جهد ومشقة من اصحابه

(وفي السنه ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م سقط الفرس تحت عبد الملك بن نوح صاحب خراسان فمات من سقطته وولي بعده اخوه منصور ابن نوح)

وفي السنة ٣٥١ هـ = ٩٦٢ م نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وفتحوها بالامان . فدخلها ونادى في البلد بان تخرج اول الليل جميع اهلها الى المسجد ومن تاخر في منزله قتل . فخرج من امكنه الخروج . ولما اصبح الصباح ارسل الدمستق اصحابه فكل من وجدوه خارج المسجد قتلوه . فقتلوا خلقاً كثيراً من الرجال والنساء والصبيان ممن وجدوهم خارج المسجد . ثم امر الذين في المسجد بان يخرجوا من المدينة و يتوجهوا حيثما شاؤا ومن امسى منهم قتل . فخرجوا مزدحمين من الخوف فمات منهم جماعة ومروا وهم لا يدرون اين يذهبون . وقتل الروم من وجدوه في المدينة اخر النهار . وفي الغد لما ادرك الصوم انصرف الروم الى قيسارية على ان يعودوا بعد العيد . وفيها استولى الروم على مدينة حلب وعادوا عنها بغير سبب . وفيها ملك الروم عليهم نيقيفور الدمستق وجعلوا شخصاً يسمى شوموشقيق دمستقاً له . وفيها قتل المتنبي الشاعر المشهور وابنه قتلهما بنو خبة .

وفي السنة ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م تملك الاسكندروس وابن اخيه قسطنطين على مملكة الروم وقد اتقن الاسكندروس امور البحر والفلك الا ان الله ما اطال في عمره

وفي تلك السنة توفي . فضبط قسطنطين مقاليد السلطنة وحده . وكان عمره سبع سنين ولكن كان النواب عنه وزراء ابيه . وقد وقع انشقاق في الشعب فالبعض ارادوا ان يقيموا قسطنطين بن الارنيكوس ملكاً فوقع بين الروم حروب عظيمة الا ان حزب الملك قسطنطين ابن لاوون ظفر باعدائه وقبض على البعض منهم ونفاهم وقتل قسطنطين الاندرانيكي . ثم ان سمعان امير البلغار قدم في عساكره الى ان امتد الى باب الذهب الى فلاشرناص . وقد امل ان يملك القسطنطينية فارسل له الملك هدايا ملكية وطلب منه الصلح . وتم الامر على ذلك فوقع الصلح والمحبة بينهما . ودخل سمعان القسطنطينية وجلس على مائدة الملك ووقعت محبة اكيدة . ثم رجع سمعان امير البلغار مسروراً . ثم ان رومانوس تسلم مقاليد المملكة وتتوج ملكا من يد البطر يرك بارادة الملك قسطنطين . فلما بلغ ذلك سمعان امير البلغار نكث العهد مع الروم واتى بعساكر وقوة عظيمة الى مكدونية فنهبها واحرق بلداناً كثيرة من بلاد ادرنه . ثم قدم الى المدينة القسطنطينية وعسكر عند فلاشرناص . فخرج اليه البطر يرك واجرى الصلح بينه وبين رومانوس الملك واجتمعا معاً ورجعت المحبة كالاول . ثم سار سمعان امير البلغار الى بلاده ولم يمكث الا مدة يسيرة حتى مات فتملك بعده على البلغار ولده بطرس . وفي السنة التي توفي بها سمعان حدث جوع عظيم في بلاد البلغار . واتى بطرس الى مكدونية وجدد العهد مع الروم . ذكر المؤرخ انه لما بلغ قسطنطين من العمر عشرين سنة تسلم مقاليد المملكه وتنازل حموه رومانوس عن الملك . ونفى قسطنطين اولئك المعاندين الذين كانوا يضادونه في تملكه وبقي ملكاً خمس وعشرين سنة بكل عدل وسلام . وقد جرت له حروب كثيرة مع المسلمين سوف نأتي بالشرح عنها في محله . وكان قسطنطين عالماً بامور الفلك ومات مسموماً في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني (نوفمبر)

وفي السنة ٣٥٥ هـ = ٩٦٥ م توفي الامير علي ابن الاخشيد صاحب مصر والشام وتفوض تدبير المملكة الى كافور وكان كافور عبداً شديد السواد قد اشتراه الاخشيد بثمانية عشر دينار فملكه الله الديار المصرية والشامية ومدحته الشعراء واطاعته العباد ولم يزل ملكا حتى مات وللمتنبي عدة قصائد في مدحه وهجائه

وفي السنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٦ م توفي الامير سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب في اخر صفر يوم الخميس ودفن في ميافرقين وملك على حلب مدة ثلاث وعشرين سنة وكان ملكا شجاعاً كريماً عالما محباً للعلماء والشعراء وكثير الاحسان والعدل وتولى على

حلب بعده ولده الامير شريف فتلقب بسعد الدولة · وفيها توفي ايضاً الامير معز الدولة ابن بو يه الذي ملك العراق احدى وعشرين سنة وقام بتدبير الملك بعده ولده الامير بختيار وتلقب بعز الدولة · وكانت احدى يدي معزالدولة مقطوعة قطعت في بعض الحروب · وكان الامير معز الدولة ملكاً شجاعاً قوي القلب صلب النفس ولطول مدة حكمه واسعادته اعتدلت اخلاقه عما كانت اولاً

وفي السنة ٣٥٧ هـ = ٩٦٠ م هاجم الروم مدينة انطاكية وامتلكوها

وفي السنه ٣٥٨هـ = ٩٦٨م كانت وفاة كافور الاخشيدي صاحب مصر· وعقد الامر بعده لعلي ابن محمد ابن الاخشيدي وخليفته الحسين ابن عبد الله ابن طغج والوزير ابو الفضل جعفر ابن المديون · وكان عمر الامير علي ابن محمد عند توليه احدى عشرة سنة فتغلب كافور على الامور وكان الاسم لعلي والدست لكافور · وكان كافور عبداً خصياً حبشياً اشتراه الاخشيد · ذكر في تاريخ ابن شباط العاليهي بهذه السنة · قال ابو الفتح المنطيقي كنا جلوساً عند كافور الاخشيدي وهو يومئذ صاحب مصر والشام · وله من نفوذ الامر مايكل عن وصفه اللسان · فلما انتبه من النوم قال لغلمانه امضوا الى عقبة النجارين واسألوا عن شيخ منجم اعور · فان كان حياً فأتوني به · وان كان ميتاً فاسألوا عن اولاده قال فسار الرسل فوجدوه قدمات وترك ابنتين الواحدة تزوجت والثانية عاتق · فرجعوا واخبروا كافوراً بذلك · فارسل في الحال واشترى لكل واحدة منهن داراً واعطاها مالاً جزيلاً وكسوة فاخرة · وزوج العاتق واجرى عليهما الارزاق · فلما رايناه بالغ في اعطائها عجبنا من ذلك وسألناه عن السبب فضحك · وقال اعلموا اني مررت يوماً بوالد هؤلاء البنات المنجم وقد كنت في ملك ابن عباس الكاتب وكنت بحالة رثة فلما نظر اليَّ المنجم قال ما اسمك · قلت له كافور· قال انت ترتقي الى رجل كبير وتبلغ منه مبلغاً عظيماً · ثم تملك هذه البلاد ويكبر اسمك بين العباد · قال فنظرت الى جيبي لاعطيه شيئاً فما وجدت سوى درهمين · فاديتهما له · فقال لا اخذ منك شيئاً حتى ترتقي الى هذه الرتبة فاذكرني بمعروفك · وقد اشتغلت عنه بما تجددلي من الامور الى ان صرت في هذه المنزلة ونسيته الى هذا اليوم فرأيته في منامي وفعلت باولاده ماراًيتم · ذكر الذهبي في تاريخه ان كافوراً كان عاقلاً فطناً ولم يبلغ احد الخصيان ما بلغه ومدحه المتنبي بهذه الابيات لزيادة كرمه

قواصد كافورٍ توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجالت بنا انسان عينِ زمانه　　وخلت بياضاً خلفها واماقيا

وقال فيه ايضاً

من علم الاسود المخصي" مكرمةً　　اقوامه البيض ام اباؤه السودُ

وذاك ان الفحول البيض عاجزةٌ　　عن الجميل فكيف الخصية السودُ

وقال محمد ابن عبد الملك الهمداني · كان بمصر واعظ يقص على الناس · فقال يوماً في قصصه انظروا الى هوان الدنيا على الله تعالى فانه اعطاها لمقصوصين ضعيفين · ابن بو يه ببغداد وهو اشل وكافور عندنا بمصر وهو خصي · فرفعوا الى كافور قوله وظنوا انه يعاقبه · فتقدم اليه بخلعة ومئة دينار وقال لم يقل هذا الامن جفائي له · فكان الواعظ بعد ذلك يقول في قصصه لم يكن نجباء من ولد حام الا ثلثة لقمان وبلال المؤذن وكافور · وبعد وفاة كافور تولى على مصر ابو الفوارس احمد بن علي ابن الاخشيد وهو ابن اثنان وعشرين سنة فاقام شهوراً حتى اتي جوهر القائد من المغرب · ذكر في تواريخ مصر انه لما مات كافور الاخشيدي لم يبق بمصر من تجتمع عليه القلوب واصابهم غلاء شديد فاضعفهم · فلما بلغ ذلك المعز ابو تميم معد ابن المنصور اسماعيل وهو ببلاد افريقية ارسل مولى ابيه جوهر · وهو القائد الرومي في مئة الف مقاتل فدخلوا مصر فهربت اصحاب كافور وتملك جوهر مصراً من غير حرب ولا قتال · وخطب جوهر الى المعز يوم الجمعة في سائر الديار المصرية · وامر المؤذنين ان يؤذنوا حيى" على خير العمل فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردّاً وصبروا لحكم الله · ثم شرع جوهر في بناء القاهرة والقصرين والجامع الازهر وارسل الى المعز يبشره بفتح الديار المصرية واقامة الدعوة له فيها وطلبه اليها · وامتدحه محمد بن هاني الاندلسي في قصيدة اولها

تقول بنو العباس هل فتحت مصرُ　　فقل لبني العباس قد قضي الامرُ

وفي السنة ٣٠٦ ه = ٩٧٠ م سار معز الدين العلوي صاحب بلاد المغرب الى الديار المصرية فقام بالغرب من مدينة قيروان وحمل ما كان في خزائنه من الاموال واتى بعياله واتباعه الى الاسكندرية · فالتقاه المصريون واكرموه وادوا له الطاعة وادخلوه الى القاهرة وتملك عليها · حدث قاضي مصر ابو طاهر الذهبي قال دخلت الى المعز فترحب بي واجلسني على جانبه وقال هل رأيت آصل مني · فقلت لم ارَ من الخلفاء احداً سوى امير المؤمنين · قال هل حججت قلت نعم · قال هل زرت قبر النبي قلت نعم · قال هل زرت قبري ابي بكر وعمر · قال فتحيرت ماذا اقول · ثم نظرت واذا

ولده قائم مع اكابر الامراء فقلت شغلني عن زيارتهما رسول الله كما شغلني امير المؤمنين عن السلام على والده وليّ عهده ونهضت وسلمت عليه ورجعت فانفضّ المجلس . قال ومن اشعار المعز بعد جلوسه في مصر القاهرة

يظن رجال الغرب اني أهبتهم　　فدمي اذاً ما بينهم منقول
ايامصرُ ان لم اسقِ ارضك من دم　　يروي ثراكِ لاسقاني النيل

والتقى سعد امير عرب بلاد الشام بحسان ابن الجراح الطائي في عربانة واتفقا على ان ينزعا حكم مصر من المعز فارسل جيوشاً لمحاربتهما فلم يقدر عليهما وضعف جيش المعز عن مقاومتهما . فارسل المعز الى حسان ووعده بمائة الف دينار ان ترك امير عرب الشام وخذله بين الناس . فارسل اليه حسان قائلاً ابعث اليّ ما وعدتني به وتعالَ بمن معك فاذا التقينا انهزمت بمن معي وتم لك ما تطلبه . فارسل اليه المعزّ الف دينار في اكياس . وكان اكثرها زغل لانه ضرب النحاس ولبسه ذهباً وجعله في اسفل الاكياس ووضع في رؤوس الاكياس الدنانير الخالصة وركب في اثرها بجيشه فالتقيا ولما دارت رحى الحرب بينهم انهزم حسان بالعرب فضعف جانب القرمطي سعد وقوي عليه وكسره المعز واستمر المعز في القاهرة الى ان مات

وفي السنة ٣٦٢ هـ = ٩٧٢ م سارت عساكر الروم لغزو بلاد فارس فكتب ابو الهيجاء الى ابي تغلب ليجده فارسل اليه اخاه هبة الله وكانت عساكر الروم كثيرة جداً فتلاقيا في مضيق لا تجوز فيه الخيل فانهزمت الروم وقبضوا على الدمستق واخذوه اسيراً فمرض في السجن ومات

الفصل الثالث والعشرون

في خلافة الطائع الله ابن المطيع لله وهو الثالث والعشرون من العباسيين

وفي السنة ٣٦٣ هـ = ٩٧٣ م عزل المطيع نفسه عن الخلافة وسلمها الى ولده محمد ولقبه بالطائع لله وكانت مدة خلافته تسع وعشرين سنة . وفي هذه السنة توفي محمد بن طرخان ابو نصر الفارابي في دمشق وكان من اجل علماء الفلسفة . وفي هذه السنة دخل ابو النصر العراق واستوطن ببغداد . ودرس علم الطب عن يد يوحنا ابن جيلان و بالغ في قراءته . واظهر الغوامض المنطقية وكشف سرها وقرب للناس فهمها . وجمع

مايحتاج اليه منها في مؤلفات صحيحة العبارة قريبة الاشارة منبهة الى ماغفل عنه الكندي وغيره وقدم ابو النصر الفارابي (فاراب مدينة من مدن الترك فيما وراء النهر) على سيف الدولة علي ابن ابي الهيجاء ابن حمدان واقام عنده مدة بزي اهل التصوف وقدمه سيف الدولة واكرمه وعرف موضعه من العلم ومنزلته من الفهم ورحل بصحبته الى دمشق فادركه اجله بها . وكان في ايام المطيع لله وفي امارة الاقطع معز الدولة احمد بن بويه ثابت ابن سنان بن ثابت بن قرة . كان بارعاً في الطب عالماً باصوله فكاكاً للمشكلات من الكتب . وكان يتولى تدبير المستشفى ببغداد وصنف كتاب التاريخ المشهور المعروف به وهو من سنة نيف وتسعين ومئتين الى حين وفاته ٣٦٣ه . وفي هذا الزمان اشتهر يحيى ابن عدي بن حميد ابن زكريا التكريتي نزيل بغداد بعلم المنطق . والف فيه تصانيف كثيرة وانتهت اليه رئاسة اهل المنطق في زمانه قرأ على ابي نصر الفارابي . وكان نصرانيا يعقوبي النحلة وكان ملازماً للنسخ بيده ونسخ كتباً كثيرة وكان يكتب بخط واضح في اليوم والليلة مئة ورقة واكثر . ومات ودفن في بيته بقطيعة ببغداد وكان عمره احدى وثمانين سنة . ولما تولى الطايع بن المطيع كان ابوه كبر في السن واصابه فالج فثقل لسانه في الكلام . وقد ولى ولده الطائع . وبايعته الناس فتولى على الاحكام

وفي السنة ٣٦٦ ه = ٩٧٩ م توفي ابو علي ركن الدولة ابن بويه . واستخلف على المملكة ولده عضد الدولة . وفيها توفي منصور بن فرج ابن نوح صاحب خراسان وولي على الامر بعده نوح ومات في العام الذي قبله المعز العلوي بمصر وهو اول الخلفاء العلويين من ملوك مصر واستخلف عليها ابنه العزيز

وفي السنة ٣٦٧ ه = ٩٧٧ م توجه عضد الدولة الى بغداد وارسل الى بختيار يدعوه الى طاعته وان يسير عن العراق الى اي جهة اراد الا الموصل . فخرج بختيار قاصداً الشام . ودخل عضد الدولة بغداد وامر بان يخطبوا له باسمه على منابر بغداد ولم تكن تلك عادة قديمة . واما بختيار فانه سار الى ابي تغلب وجيش معه عشرين الف مقاتل ورجع الى العراق . ولما بلغ عضد الدولة خرج من بغداد والتقى العسكران بنواحي تكريت . فانهزم عسكر ابي تغلب وانكسر بختيار ولما قدم امام عضد الدولة امر بقتله . ثم رحل عضد الدولة لنواحي الموصل واستولى على ملك بني حمدان

وفي السنة ٣٦٩ ه = ٩٧٩ م طلب عضد الدولة اخويه فخر الدولة ومؤيد الدولة يدعوهما الى طاعته . اما مؤيد الدولة فاجاب راغباً . واما فخر الدولة فلم يرض بذلك

واجابه ان اخانا متولٍ مكانه ونحن متولين مكاننا . فنقم عليه عضد الدولة وسار نحو همذان (قيل نحوخراسان) و بها فخر الدولة فخافه ذاكراً قتل ابن عمه بختيار فخرج هارباً الى جرجان ونزل على شمس المعالي قابوس ابن وشمكير فامنه واكرمه . وعزم عضد الدولة على المسير اليه . فاصابه الصرع الذي كان حدث له في الموصل وصار كثير النسيان فالتزم بالرجوع الى بغداد . وشرع في عمار ما كان دمر بها من الفتن وتغيير الدول فعمر مساجدها واسواقها ورد الاموال على الايمة والعلماء . وجدد مادمر في الانهار وحفر الخنادق . وجددت الصلة بين الطائع لله و بين عضد الدولة وتمهدت له المملكة فتزوج الطائع ابنته . وكان قصد عضد الدولة بهذا الزواج مؤملاً ان تلد ابنته ولداً ذكراً فيجعله ولي عهده فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب . وكان صداقها مئة الف دينار . وفي هذه السنة حدثت فتنة عظيمة بين عامة اهل شيراز من المسلمين والمجوس فنهب المسلمون دور المجوس وقتلوا جماعة منهم فسير اليهم عضد الدولة جماعة امسكوا كل من له دخل في هذه الفتنة وبالغ في تاديبهم

وفي السنة ٣٧١ هـ = ٩٨١ م انشأ عضد الدولة المستشفى العضدي غربي بغداد وفتحه ونقل اليه جميع مايحتاج اليه من الادوية . وفيها ارسل عضد الدولة ابا بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني رسولاً الى ملك الروم يطلب فداء الاسارى واسترجاع ماتملكته الروم . وعند ماوصل طلب منه ان يقبل الارض بين يدي الملك فامتنع . فعمل الملك باباً صغيراً ليدخل منه القاضي منحنياً . فلما علم القاضي بذلك استدبره ودخل منه فاستقبل الملك قائماً ولم ينحنِ له

(وفي السنة ٣٧٢ هـ = ٩٨٢ م زاد الصرع على عضد الدولة فخنقه ومات منه في ثامن شوال ببغداد وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصف . وجلس مكانه ولده صمصام الدولة فاتى اليه الطايع معزياً . وكان عضد الدولة عاقلاً فاضلا لبيباً حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة ثاقب الراي ناظراً الى عواقب الامور كريماً مطيعاً للخلفاء و يعظم شوكتهم . ولما تولى صمصام الدولة على ولاية ابيه اعطى اخويه ابا الحسين وابا طاهر فيروز شاه بلاد فارس وشرف الدولة بلاد كرمان)

وفي السنة ٣٧٣ هـ = ٩٨٣ م توفي مؤيد الدولة بجرجان بعلة الخانوق . وعاد فخر الدولة اخوه الى مملكته . واتفق مع ابن اخيه صمصام الدولة وصارا يداً واحدة . وفي هذه السنة دخل باد الكردي الحميدي الى الموصل واستولى عليها وقويت شوكته وحدثته

نفسه بالتغلب على بغداد وازالة الديلم عنها فخاف صمصام الدولة منه وتهيأ لمحاربته وجمع العساكر وحاربه سنة ٣٧٤ ه فاجلت الوقعة عن هزيمة باد واصحابه فملك الديلم الموصل ·

وفي السنة ٣٧٤ ه = ٩٨٤ م سار شرف الدولة ابن عضد الدولة من الاهواز الى واسط فملكها فخاف صمصام الدولة وسار اليه في خواصه فاقيه وطيب قلبه · فلما خرج من عنده قبض عليه وسار الى بغداد وصحبته اخوه صمصام الدولة تحت الاعتقال وكانت امارته بالعراق اربع سنين ·

وفي السنة ٣٧٩ ه = ٩٨٩ م اعتل شرف الدولة ولما اشتدت علته قيل له ان الدولة مع صمصام الدولة على خطر فان لم تقتله فاسمل عينيه · فسملها وحبسه مع اخيه ابي طاهر في بعض قلاع بلاد فارس · وفيها مات الملك شرف الدولة ابو الفوارس بن عضد الدولة مستسقياً · وكانت امارته بالعراق سنتين وثمانية اشهر وعمره ثمانية وعشرون سنة · وولي الامر بعده اخوه بهاء الدولة ابو نصر · واما ابنه فكان سيَّره الى بلاد فارس واصحبه بالخزائن والعدد مع جماعة من الاتراك · ثم ان الموكلين في القلعة على صمصام الدولة واخيه ابي طاهر لما علموا بموت شرف الدولة اطلقوهما فسارا الى شيراز واجتمع على صمصام الدولة وهو اعمى كثير من الديلم واستولى على فارس وملكها · واما ابو علي بن شرف الدولة فارسل اليه عمه بهاء الدولة وطيب قلبه ووعده · فسار اليه وقبض عليه ثم قتله بعد ذلك بمدة يسيرة وفيها ملك ابو طاهر ابرهيم وابو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان الموصل · وفيها او في السنة التي قبلها توفي صمصام الدولة وتملك مكانه بهاء الدولة ابو النصر · وخلع الطائع على بهاء الدولة وقلده السلطنة واخذ بغداد وكانت ولاية صمصام الدولة ثلاث سنين

وفي السنة ٣٨٠ ه = ٩٩٠ م جمع باد الاكراد وسار بهم نحو الموصل فخرج اليهم ابو طاهر والحسين ابنا ناصر الدولة ابن حمدان فناوشاه القتال · واراد باد الانتقال من من فرس الى اخر فسقط الى الارض واراد اصحابه انهاضه واركابه فلم يقدر على الركوب من الالم فتركوه وهربوا فادركه بعض العرب فعرفه وقتله وصلب جثته على دار الامارة · فثار العامة وقالوا انه رجل غازٍ ولا يسوغ هذا الفعل به فانزلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه واظهروا له محبة كثيرة · ولما قتل باد الكردي سار ابن اخته ابو علي ابن مروان في طائفة من جيش الاكراد الى حصن كيفا على نهر الدجلة فملكه · ونزل وقصد الحصون

الاخر فملكها حصناً بعد آخر حتى تملك كلما كان لخاله · وفي هذه السفرة قُتل ابو علي بآمد قتله انسان يقال له ابن دمنة بضربة سكين · وملك ميافارقين بعده اخوه ممهد الدولة بن مروان · واستولى على آمد عبد البر شيخ البلد وزوج ابنته لابن دمنة قاتل ابي علي · فعمل له ابن دمنة دعوة وقتله وملك آمد · وعمر البلد واصلح امره مع ممهد الدولة وهادى ملك الروم وصاحب مصر وغيرهما من الملوك وانتشر ذكره

وفي السنة ٣٨١ ه ٩٩١ م قبض بهاء الدولة على الطائع ابن المطيع عندما دخل عليه طالباً تجديد الولاية له فتقدم اليه بعض اتباعه كمن يطلب تقبيل يده فامسكه وانزله عن السرير واخذه الى دار بهاء الدولة وهو يصيح ويستغيث فخلع وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية اشهر ونهب بهاء الدولة كل ما في دار الخلافة من الذخائر

الفصل الرابع والعشرون

في خلافة القادر ابن اسحق بن المقتدر بن المعتضد وهو الرابع والعشرون من العباسيين

لما قبض بهاء الدولة على الطائع والزمه بان يخلع نفسه منها تذاكر مع اصحابه في من يصلح للخلافة واتفقوا على القادر بالله ابي العباس احمد بن اسحق المقتدر وكان بالبطيحة فاستدعوه وبايعوه في ١١ رمضان من هذه السنة · وبقي الطائع عنده مكرماً الى ان مات في سنة ٣٩٣ ه ليلة الفطر · وفيها مات سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب بالقولنج وولي بعده ابنه ابو الفضائل ووصى الى لؤلؤ به وبسائر اهله

نبذة عن اخبار الاطباء في ايام الطائع ذكرها الامير حيدر تحت سنة ٣٨٢ ه والحال هي خلاف ذلك

وفي السنة ٣٦٩ ه = ٩٧٩ م توفي ثابت ابن ابراهيم ابن زهرون الحراني الصابي ببغداد وكان طبيباً حاذقاً مصيباً · حكى عنه ابو الفرج ابن ابي الحسن انه كان يوماً في دار ابي محمد المهلبي الوزير مع ابراهيم الحراني فتقدم ابو عبد الله بن الحجاج الشاعر الى الحراني فاعطاه مجسه · وقال له · قلت لك غلظ غذاك واظنك اسرفت حتى اكلت مضرة بلحم عجل فقال كذلك والله كان · وعجب هو والجماعة منه · ومد اليه ابو العباس المنجم

يده فاخذ مجسه وقال له . انت ياسيدي اسرفت في التبريد ايضاً واظنك قد اكلت احدى عشرة رمانة . فقال ابو العباس المنجم . هذه نبوة لاطب . وزاد العجب والتفاوض في ذلك . وكنت انا ايضاً اكثرهم استظرافاً وتعجباً . فلما خرجنا قلت له ياسيدي ابا الحسن صناعة الطب معروفة بيننا لايخفى عني شيء منها . فبين لي من اين ذلك النص على ان المضيرة كانت بلحم عجل لابقرة ولا ثور . ومن اين لك الدليل على ان عدد الرمان احدى عشرة فقال هو شيء يخطر ببالي فينطق به لساني . فقلت اصدقني والله . ارني مولدك . وجئت معه الى الدار ونظرت في مولده فرايت سهم الغيب في درجة الطالع مع درجة المشتري وسهم السعادة . فقلت له ياعزيزي هذا يتكلم لاانت . وكلما تصيب في الطب من مثل هذا الحدث والقول فهذا سببه واصله (هذا من الخرافات الباطلة والاوهام الفاسدة) . وحكى ان عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه بن بويه كان اذا افتخر بالعلم والمعلمين يقول معلمي في الكواكب الثابتة واماكنها عبد الرحمن بن عمرو بن سهل الصوفي الرازي كان فاضلاً نبيهاً نبيلاً ومن تصانيفه كتاب الصور السمائية والارجوزة وكتاب مطارح الشعاعات . وتوفي سنة ٣٧٦ ه وكان عمره ٨٥ سنة . وفي حل الزيج الشريف كان معلمي ابن الاعلم . وفي النحو ابو علي الفهساني . اما الاعلم فاسمه علي ابن الحسين رجل علوي شريف عالم بعلم الهيئة وصناعة التسيير مذكور ومشهور في وقته . وكان قد تقدم عند عضد الدولة . ولما توفي نقصت حاله وتاخر امره عند صمصام الدولة ابنه فانقطع عنهم واقام منقطعاً . وكان في هذه المدة جماعة من مشاهير الحكماء منهم التميمي المقدسي الطبيب كان بمصر في سنة ٣٧٠ احكم ماعلمه من علم الطب غاية الاحكام وكان له غرام وعناية تامة في تركيب الادوية ومتضلع من استكشاف اسرار وغوامض هذا النوع وكان منصفاً في ارائه لايرد على احد الا بطريق الحقيقة . ومن الاطباء علي ابن العباس المجوسي كان فاضلاً كاملاً فارسي الاصل قرأ على شيخ فارسي يعرف بابي ماهر وطالع واجتهد وصنف كتابه المسمى بالملكي . وهو كتاب جليل مال الناس اليه في وقته . ولزموا درسه الى ان ظهر كتاب القانون لابن سيناء فمالوا اليه وتركوا الملكي . والملكي في العمل ابلغ والقانون في العلم اثبت . ومن الاطباء ايضاً نظيف القس الرومي كان طبيباً عالماً بالنقل من اليوناني الى العربي . ولم يكن سعيد المباشرة ولاناجحاً بالمعالجة وكان الناس يتطيرون منه اذا دخل على مريض . قيل ان عضد الدوله انفذه الى بعض القواد ليعوده في مرض اعتراه ويطببه فانفذ القائد الى عضد الدولة يستعلم منه نيته عليه و يقول له ان كان تغير خاطره من

نحوه فليامر الطبيب بالانصراف عنه لانه قلق مما جرى . فسال عضد الدولة الحاجب عن السبب . فقال لااعلم الا انه جاء نظيف الطبيب وقال له مولانا الملك انفذني لعيادتك . فمضى الحاجب واعاد بحضرة عضد الدولة هذا القول فضحك وامره باعلامه حسن نية الملك فيه . وحملت اليه خلع سنية سكنت نفسه بها . وكان اطباء وعلماء ومنجمون غيرهم

وفي السنة ٣٨٣ هـ = ٩٩٣ م تملك رومانوس على الروم بعد موت ابيه وكان شاباً فانعكف على شرب الخمر واللهو والطرب ولم يكن يهتم بامور الرعية . ثم ارسل قائد جيوشه فوقا المظفر الى اقريطش بعساكر كثيرة فتملك المدينة واباد الاعداء . ثم سار فوقا القائد الى بلاد الاناضول وحارب الاعداء وقهرهم . واتى الى نواحي سوريا وملك مدينة ايفاريا . وانقذ الروم الذين كانوا ماسورين عندهم . وفي ذلك الحين توفي الملك رومانوس وكان مدة تملكه ثلاث عشرة سنة . وتملك اولاده من بعده . وفي هذه السنة توفي [1] العزيز صاحب الديار المصرية وتولى مكانه ولده ابو علي المنصور الحاكم بامر الله وهو سادس الخلفاء الفاطميين وثالث منجم بالديار المصرية (واما الخمسة خلفاء قبله فالاول محمد المهدي . والثاني القائم بامر الله . والثالث المنصور . والرابع المعز لدين الله . والخامس العزيز . والسادس ابنه الحاكم بامر الله . وهاك تفصيل امرهم بالاختصار

انه منذ سنة ٢٩٦ هـ = ٩٠٨ م كانت دولة جديدة تاسست في بلاد القيروان من بلاد المغرب سميت الدولة الفاطمية تنسب الى فاطمة بنت النبي كما سبق الكلام عنها وابتدأت تنتشر قوتهم وسلطتهم بين كل من نبذ طاعة العباسيين في بغداد ومن نبذ طاعة الامويين في بلاد الاندلس . فتجمع حولهم جمع غفير . ولما توجه ابن كيغلغ الى القيروان كانت خلافتهم بيد ابي القاسم محمد الملقب بالقائم بامر الله . فالتجأ ابن كيغلغ اليه وحثه على افتتاح مصر فمال الى مطاوعته وجهز لافتتاحها جيشاً عظيماً وكان حاكمها حينئذ محمد بن طغج فاقام الحصون دفاعاً عنها . وبعد ان دخلت جيوش الفاطميين مصر رأى القائم انه يصعب عليه اخذها فتركها الى وقت اخر ورجع الى بلاده . ثم انه كما سبق ان الدولة العباسية كانت وقتئذ على وشك السقوط وتضعضعت احوالها لخروج كثير من عمالها وولاتها عن طاعة الخلفاء واستقلالهم بالاحكام . فقد ذكرنا فيما مضى ان بلاد الشام

(١) ذكر ابو الفرج ان وفاة العزيز كانت في سنة ٣٨٦ هـ وليس في هذه السنة وكان موته بمدينة بلبيس وعمره اثنان واربعون سنة وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصف ومولده بالمهدية من افريقية

كانت دخلت في حوزة دولة القرامطة التي انشئت سنة ٢٨٠ ﻫ في البحرين · ودخلت خراسان ونواحيها في حكم بني سامان · و بلاد الاندلس في حكم دولة بني امية الجديدة · وافريقية اي بلاد المغرب في حوزة الفاطميين · وما بين النهرين في حوزة الحمدانيين · وبلاد فارس في حوزة بني بويه · ولم يبق للعباسيين غير بغداد و بعض ضواحيها ومصر · ثم ان محمد بن طغج لما رأى من ضعف دولة العباسيين وانسلاخ كثير من الولايات عنها واستقلالهم بالاحكام استغنم الفرصة وصرح باستقلاله بمصر سنة ٣٢٣ ﻫ = ٩٣٤ م فاضطر الخليفة لموافقته رغماً عنه وملكه سوريا ايضاً · ولقبه بالاخشيد كما سبق ومعناها بلغة تركستان ملك الملوك ومن سلالته كانت الدولة الاخشيدية كما ذكر ذلك وقد حارب الاخشيد كما مر سيف الدولة امير بني حمدان عدة مواقع في جهات سوريا · ثم تصالحا وتوافقا فتزوج سيف الدولة ابنة محمد الاخشيد · ولما توفي الاخشيد في دمشق تولى بعده ابنه ابو القاسم مكانه على ولايته · وكان صغير السن فعهد تدبير اموره لوزير له يدعى كافور الاخشيدي · ثم توفي ابو القاسم وتولى اخوه ابو الحسن علي مكانه وكان كافور معه كما كان مع اخيه مدبراً ووزيراً · ثم لما توفي ابو الحسن خلفه على الولاية كافور الاخشيدي كما سبق وحكم على مصر والشام مدة · ثم بعد موته خلفه ابو الفوارس ابن ابي الحسن علي وكان صغير السن فلم يتفق الشعب على مبايعته وانقسمت الدولة الاخشدية ولما راى ذلك المصريون تذمروا واستنجدوا بالفاطميين فانجدوهم تحت خلافة سعد ابي تميم الملقب بالمعز لدين الله ابن القائم بامر الله فارسل جيشاً الى مصر بقيادة جوهر الصقلي قائده · وهو مملوك رباه المعز ولما تفرس فيه النجابة والبسالة رقاه حتى اصبح من احسن قواده فعهد اليه فتح مصر · وعند قدومه ووصوله للجيزة كان حينئذ توفي كافور وحصل اختلاف بين ابي الفوارس وحسين كما سبق فلما علموا به اتاه الاهالي والامراء وطلبوا اليه ان يستلم زمام البلاد · فرضي بذلك ونادى المنادي بذلك ودخلوا به المدينة باحتفال عظيم والموسيقى تعزف · ومن وقتها صارت بلاد مصر خاضعة للفاطميين فخطبوا في الجوامع باسم المعز لدين الله وضربوا العملة باسمه · ولما رأى جوهر ان الفسطاط اي مصر القديمة صغيرة بالنسبة لعظمة الفاطميين شرع في بناء مدينة بالقرب منها عند سفح المقطم ودعاها مدينة القاهرة لتكون عاصمة للفاطميين يفاخر بها على بغداد عاصمة العباسيين · فاختط المدينة في بقعة من الارض حيث اناخ جماله يوم قدم لفتح الفسطاط في مكان الجامع الازهر وبيت القاضي وخان الخليلي وكانت هذه البقعة فيما بين الفسطاط والمطرية رمالاً

فيها بعض البساتين وذلك سنة ٣٥٩ هـ . وتم بناء القاهرة في مدة ثلاث سنوات ودعيت القاهرة المعزية نسبة الى الخليفة المعز لدين الله . و بعث جوهر الى مولاه المعز يعلمه بذلك و يطلب حضوره فترك عاصمته المهدية التي بناها ابوه في القيروان وجاء القاهرة واتخذها عاصمة مملكته ووصلها في شعبان سنة ٣٦٢ هـ = ٩٧٢ م و بنى جوهر الصقلي له قصرًا كبيرًا نزل فيه . وذلك في مكان بيت القاضي اليوم او المحكمة الشرعية بجوار شارع النحاسين . واحضر معه جثث اجداده وامر بصنع مدافن لهم ودفنهم فيها . وذلك في مكان خان الخليلي . و بنى جوهر جامعًا كبيرًا للمدينة هو الجامع الازهر وجعل فيه مدرسة كبيرة تلقن فيها سائر العلوم ولاتزال هذه المدرسة من اعظم المدارس الاسلامية ومن اكبر مدارس العالم يجتمع فيها من نحو خمسة الاف الى ثمانية الاف طالب . ولما توفي المعز لدين الله بو يع ابنه العزيز بالله وكان صغير السن فعهد تدبير اموره الى جوهر المذكور و بواسطة حسن تدبير جوهر ونجابته و بسالته اتسعت المملكة حتى اتصلت بمكة واكثر الاقطار العربية و بلاد الشام وغيرها . ثم كما ذكر توفي العزيز[1] بمدينة بلبيس سنة ٣٨٦ هـ وتولى الحكم بعده ولده ابو علي المنصور الملقب بالحاكم بامر الله

فصل

في خلافة الحاكم بامر الله وهو ابو علي المنصور ابن العزيز

وفي السنة ٣٨٦ هـ = ٩٩٥ م تولى الخلافة على مصر الحاكم بامر الله واسمه المنصور ابن العزيز . ولقبه الحاكم بامر الله المنتقم بسيف الله من اعداء الله . وكانت ولادة الحاكم بامر الله بمصر يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ٣٧٥ هـ = ٩٨٥ م . وولي العهد في شعبان سنة ٣٨٣ هـ = ٩٩٣ م . وولي الخلافة يوم الخميس لآخر رمضان سنة ٣٨٦ هـ وهو سادس الخلفاء الفاطميين . وولي الخلافة وعمره احدى عشرة سنة ونصف . وتوفي ليلة الاثنين او بالحري قتل سابع وعشرين شوال سنة ٤١١ وعمره يومئذ ٣٦ سنة وسبعة اشهر . وكانت مدة ولايته خمسة وعشرين سنة . وذكر ان الحاكم بامر الله كان جوادًا بالمال سفاكًا للدماء سيرته من اعجب السير

---

(١) من عزيز هذا تلقبت حكام مصر بهذا الاسم اي عزيز مصر وذلك لشهرته واتساع ملكه وسطوته ولحد الآن يلقب حاكم مصر بالخديوي او عزيز مصر

واغربها • فامر بسب الصحابة وامر بان يكتب ذلك على ابواب المساجد والجوامع والشوارع وكتب بذلك الى سائر العمال • ثم نهى عن ذلك بعد مدة وكان كثير التلون في افعاله واقواله يامر بشيء ثم ينهى عنه • ومنها انه ادعى الالوهية كما ادعاها فرعون في زمان موسى عليه السلام • وامر الرعية اذا ذكره الخطيب على المنابر ان تقوم الصفوف لذكره تعظيماً لاسمه واحتراماً لهيبته • وكان يفعل هذا في سائر مملكته حتى في الحرمين الشريفين • وكان اهل مصر على الخصوص اذا قام خروا وسجدوا فيسجد لسجودهم من كان في الاسواق من التجار وغيرهم . قال الشيخ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام ان الحاكم ادعي الالوهية وكان قوم من آل مصر اذا رأوه قالوا ياواحد يا احد يامحيي يامميت ياحي ياقيوم • وادعى بعلم الغيب فكان يقول فلان يقول في بيته كذا وكذا ويفعل كذا وكذا • وكان يصدق في اقواله هذه لانه استخدم كثيراً من العجائز والجواسيس الذين كانوا يتجسسون له الشعب ويأتون ويعلمونه بما كانوا يتحدثون به او يفعلونه فكان يخبرهم بما تكلموا به في اجتماعاتهم فيتعجبون منه • وكان هو واسلافه يدعون الشرف ويقولون نحن من ذرية فاطمة الزهراء • يريدون بذلك الافتخار على بني العباس خلفاء بغداد • ويقولون ابونا علي ابن ابي طالب وامنا فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم • وكانوا يقولون ذلك في كل اسبوع على المنبر • وكانت اموره متضادة لانه كان عنده اقدام وشجاعة وجبر واحجام • ومحبة للعلماء ويقتل العلماء • ويميل الى الصلاح ويقتل الصلاح والغالب عليه الكرم والسخاء • وكان يبخل بالقليل ويعطي الجزيل • ثم انه لبس الصوف سبع سنين وقام سبع سنين يوقد عليه الشمع ليله ونهاره • ثم جلس في الظلمة مدة • ثم امر بان ينادوا في شوارع مصر بايقاد الشمع في الاسواق ليلاً • ثم ان يتركوا حوانيتهم وابوابهم في الليل مفتوحة • ومن فقد شيئاً اعطاه عوضه • فامتثلوا لذلك وتركوا دكاكينهم مفتوحة وهي مملوءة من البضائع ولم ينفقد منها شيء • وقتل من العلماء مالا يحصى عددهم • وامر بقتل الكلاب • ثم نهى عن قتلها • وامر بكنس شوارع مصر وان لايفتحوا بها طاقة على الشوارع • ونهى عن علم التنجيم ونفى المنجمين من بلاده ومع ذلك كان يرصدها هو • وكان يعلم بصناعة الكيمياء والاكسير ولو اراد ان يعمل كل يوم قنطارين ذهب لفعل ذلك • (هذه خرافة) وكان المال والجواهر عنده كالتراب ليس لها قيمة • ومن خدمه واطاعه اغناه • وبنى جامع راشدي • وبنى الجامع المنسوب اليه داخل باب النصر وعمل له سرداباً وهو في شمالي الجامع تحت المنارة الشمالية • وبني مدارس كثيرة وجعل فيها الطلبة

والعلماء واوقف لها الاوقاف . ثم قتلهم وهدمها . ومنع صلوة التراويح عشر بن سنة . ثم اباحها وكان يعمل الحسكية بنفسه و يدور في الاسواق وهو راكب حماره فمن وجده غش بصناعته سلط عليه عبداً أسود يؤدبه . وكان يقف على المصارعين والمعاملين ثم يقتلهم . ومنع النساء عن الخروج من بيوتهن وحبسهنّ سبعة سنين . ومنع الاساكفة عن عمل الخفاف لهنّ ومنع عن اكل الملوخية . ومنع عن اكل الفقاع والجرجير . وعلل عن تحريم الملوخية لميل معاوية اليها . وعال عن تحريم الجرجير لكونه منسوبة الى عائشة . والفقاع هو محرم عند اهل الشيعة . ثم انه اطلع على جماعة اكلوا الملوخية فضربهم بالسياط وطاف بهم القاهرة وضرب رقابهم بباب زويلة . وحكي ان امراءة اشتهت على زوجها الملوخية نخاف من سطوة الحاكم فالحت عليه فاشترى الملوخية ووضعها تحت رحل حماره وركب الحمار فعرف به الحاكم فاحضره وعذبه بانواع العذاب وقيل قتله . ونهى عن بيع الرطب . ثم جمع منه كثيراً واحرقه وكان مقدارما انفقه على احراقه نيف وخمسماية دينار . ونهى عن بيع الزبيب . وجهز جنوداً الى نواحي البلاد فقطعوا شيئاً كثيراً من الكروم وداسوه بالبقر احتراصاً من ان ينبت ثانية ونهى التجار عن حمل الزبيب الى مصر . وجمع ما كان في بلاده من جرار العسل وحملت الى شاطيء النيل وقلبت فيه . وجمع ما كان في بلاده من الزبيب وحرقه وشدد على تحريم الخمر بسجل قرىء على المنابر . ونهى عن بيع السمك الذي لاقشر له . ثم انه ظفر بمن باعه وقتله . ومنها انه امر النصارى بان تحمل الصلبان في اعناقهم وزنته خمسة ارطال بالمصري وهو ثلاثة ارطال وربع رطل[1] بالدمشقي تقريباً . وان يكون طول الصليب ذراعين . وامر اليهود ان تحمل القرامي الخشب في اعناقهم بزي الصلبان وان يلبسوا العمائم السود . ولا يشتروا من مسلم دابة ولا مركباً نوتيه مسلم . ثم انه افرد لهم حمامات وامرهم ان يدخلوها بالصلبان والقرامي . ثم امرهم بالدخول في ملة الاسلام كرهاً . ثم بالرجوع الى اديانهم . ثم اقام له وزيرين احدهما يهودياً اسمه ميشيا جعله نائبه في دمشق . والاخر نصرانياً وقلدهما الوزارة وحكمهما في المسلمين . فعمل بعض المسلمين في مصر صورة امرأة من قرطاس وفي يدها قصة مكتوب فيها . بالذي

(١) لا نعلم ما هذا الوزن الذي يشير اليه بان الخمسة ارطال المصري تساوي ثلاثة ارطال وربع بالدمشقي وهو لا يناسب مقاييس هذه الايام فان الرطل المصري الآن يساوي ١٤٤ درهماً والخمسة ارطال لا تساوي رطلاً بالدمشقي الحاضر الذي يساوي ٨٠٠ درهم ولعله كانت مقاييس على هذه النسبة المذكورة

اعز اليهود بوز يرك ميشا اليهودي . واعز النصارى بوز يرك عيسى ابن نسطور النصراني واذل المسلمين بك الا رفعت عنا هذه المظلمة . فطلب الوزيرين وقتلهما في الحال واستوزر مسلماً . وقيل انه لما امر الامة ان ترتد الى اديانها ارتد منهم في اسبوع واحد سبعة الاف . ثم انه اخرب كنايسهم . ثم اعادها وكان يعاقب بسبب الالقاب . ومع ذلك ادعى الربوبية وكتب له باسم الحاكم الرحمن الرحيم ثم انه جمع كثيراً من الناس وبذل لهم الاموال ونادوا باسمه الاله . وكانوا اذا راؤه قالوا ياواحد ياأحد يامحيي يامميت . وصنف بعض بطانته كتاباً يذكر فيه اشياء غريبة وان الارواح تنتقل (اي تتقمص) وقرئ هذا الكتاب بجامع القاهرة فقصدت الناس قتل مصنفه فسيره الحاكم الى الشام فنزل بوادي التيم وجبل بانياس فاستمال الناس واعطاهم الاموال واقام عندهم مدة يدعوهم الى معتقد الحاكم . وباق منهم خلق كثير الى يومنا هذا (هم طايفة الدروز الشهيرة الموجودة في حاصبيا وراشيا وجبل لبنان وحوران والجبل الاعلى) وهم جميعهم يعتقدون برجوع الحاكم وانه لا بد ان يعود ويمهد الارض . ومع هذا الامر العظيم والخطب الجسيم وصغر السن كان يركب حماراً ويدور وحده في القاهرة وضواحيها بغير سلاح ولا غلام والجند على اختلاف طبقاتهم واجناسهم ترك وديلم وسود وخدام وصقالبة وروم وحبش وغير ذلك منفردين عنه وكانت جماعته تزيد على الثلاثماية الف . وقام على ذلك مدة الى ان ادعى الالوهية وصرح بالحلول وكان اهل بيته من قبله يعتقدون ذلك ويكتمونه خوفاً من تفرق الكلمة . وخرج عليه ملوك كثيرة وطوائف عديدة فانتصر عليهم . فمنهم من قتله ومنهم من عفا عنه . وكان شديد البأس عظيم الصولة عظيم الشجاعة كثير العطاء حازم الراي مليح الطلعة . ويبهر العيون منظره فصيح اللسان ثابت الجنان قليل الكلام . معتدل القامة عالم بالنجوم والهندسة . وكان يميل الى مذهب مالك ابن انس

وفي السنة ٣٩٣ هـ = ١٠٠٢ م ولى الحاكم على دمشق ختكين القائد فاساء السيرة واخذ الاموال وظلم الرعية فعزله الحاكم وسخط عليه . وولى طرملة ابن بكار ففعل افبح مما فعل ختكين . فعزله وعاد ختكين الى دمشق

وفي السنة ٣٩٥ هـ = ١٠٠٤ م خرج المعروف بابي ركوة ابو محمد الوليد من ولد هشام ابن عبد الملك امير العرب وصار له جمع كثير ودعا لنفسه وبايعه بنو قريظة وغيرهم من سكان الصعيد واجتمع اليه الجمع الغفير ودخل في طاعته العدد الكثير وفتح برقة

واحتوى على مافيها من الاموال وعظم امره ويئس الحاكم من ملكه لما راءى من اقبال الناس اليه ونجاح دولته فانفق الحاكم الاموال الجزيلة في محاربته حتى اخذه قهرًا وقد لجأ الى بلاد النوبة وأُمسك هناك . وادخل الى مصر وشهر فيها . وحكى الذهبي في تاريخه قال كان ابو ركوة قد حج ودخل الشام واليمن وقراء كتب العلم وكان يدعو دائمًا الى القيام ببني امية و يبائع من ينقاد اليهم . ثم حبس مؤدبًا للصبيان فاجتمع عنده اولاد العرب فدعاهم الى بيعته ولقب نفسه الفائز بالله المنتقم من اعداء الله . فوصل الى الحاكم خبره فلم يحتفل بامره . ثم حاربه متولي الناحية فانتصر ابو ركوة عليه وعلى جنوده وغنم اموالهم . ثم انه اخذ من يهود اهل برقة مائتي الف دينار . وضرب السكة باسمه وخطب وسب الحاكم . فبعث له الحاكم الفضل ومعه ستة عشر الفًا فتاخر ابو ركوة الى ناحية النوبة فقبض عليه الفضل واحضره الى الحاكم فاشهره في القاهرة ثم قتله . ذكر في تواريخ الروم انه بعد وفاة رومانوس ابن قسطنطين ملك القسطنطينية اولاده باسيل وقسطنطين الزميكي وامهم تاوفانا وكانوا اولادًا صغارًا فكان تدبير المملكة بيد والدتها . ثم ارسلت الى فوقا القائد ان يحضر بالعساكر الى القسطنطينية فحضر وصحبته مكسب عظيم فتعجب الشعب من ذلك وتآمروا على ان يقيموا فوقا ملكًا لعظم بطشه وشدة بأسه . والموقت اخذوا فوقا الى البطريرك فتوجه ملكًا . ونفوا تاوفانا واولادها الى بغلاغونية . ثم احضرهم الملك فوقا وتزوج بالملكة تاوفانا ثم ابتدأ يصنع امورًا لم يصنعها احدٌ قبله من الملوك . فضاعف الخراج على الشعب وامر ان لا يقام رئيس كهنة ولا يدفن عند موته خلوًا من امر الملك . وقد سلكت هذه العادة في القسطنطينية الى وقتنا هذا . وقد صغر قطع الدراهم التي كانت برسم الملوك القديمة وجعلها احقروزنًا وهدم جميع البنايات التي تلي القصر وبنى مكانها حصنًا لاحتفاظه

وفي السنة ٤٠٠ﻫ = ١٠٠٩ م تزهد الحاكم وانشأ دارًا للعلم بمصر وعمر الجامع المنسوب اليه فدعا اليه الرعية وبقي هكذا ثلاثة سنين . ثم غلق باب العلم وقتل العلماء ومنع عن طلب العلم . وفي هذه السنة قبض الحاكم على لؤلؤ نائب دمشق وقتله وكان نازلًا بدار القيقي . وفيها كتب محضر كبير ببغداد موضوعه القدح في نسب الحاكم وابائه وانهم ينسبون الى ديصان وكتب في المحضر خلق كثير منهم الشريف المرضي واخوه ابو حامد الاسفراني والقاضي ابن الاكفاني والقدودي الحنفي وهؤلاء اعيان الطرق وفي هذه السنة كسا الحاكم الكعبة القباطي الابيض وبعث مالًا جزيلًا الى اهل

الحرمين . وفي هذه السنة هدم الحاكم بيعة القمامة التي في القدس وغيرها من البيع والكنائس بمصر والشام . والزم اهل الذمة بالغيار . وكان عادة النصارى واليهود انهم يخرجون في كل سنة مظهرين التجمل كما يخرج الحاج الى مكة فسأل ختيكين الحاكم في ابطال ذلك فابطله . وله حكايات كثيرة يطول شرحها تركناها لاجل الاختصار

وفي السنة ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م راسل الحاكم قرواش ابن مقلد العقيلي واستماله اليه فاجاب الى اطاعة الحاكم ولبى دعوته واقام الدعوة بالموصل وسائر اعماله بسقي الفرات للحاكم . وخان خليفة بغداد واطاع الحاكم . وفيها خرج ابو الفتوح الحسن ابن جعفر العلوي الحسيني سلطان مكة ودعا الى نفسه . وتغلب الراشد بالله واستوزر له ابا القاسم الحسين ابن علي المغربي واخذ له البيعة علي بني الجراح وحسّن له اخذ ما كان في الكعبة من الة الذهب والفضة وسار به الى الرملة واجتمع ببني الجراح . ثم ان الحاكم ابعد بني الجراح عنه بما اوصلهم من الاموال فالتووا عنه وخذلوه فاضمحل امره وهرب ابو القاسم المغربي ووزيره عنهم . ثم ان الحسيني واصل الاعتذار والتوسل الى الحاكم وحال بالذنب على ابي قاسم المغربي وسأل الحاكم الصفح عنه واعاده الى مكة واقره على امره وولاه على الحجاز واعماله . وحكى شمس الدين في تاريخه قال . ان الحاكم كتب بسب الصحابة على المنابر في المساجد . وامر بقتل الكلاب وابادتها (لربما لكي لا تمنعه وتمنع جواسيسه عن التجول في ازقة المدينة واستكشاف اخبارها) ثم تزهد ولبس الصوف . والزم النصارى واليهود بحمل الصلبان والاخشاب ولبس العمائم السود كما ذكرنا وكان ذلك نكاية ببني العباس . ثم ابطل مدة تقبيل الارض له والزم الفقهاء باتباع مذهب مالك . ثم ارسل الحاكم الى مدينة النبي لدار جعفر بن محمد الصادق ففتحها واخذ ما كان فيها . وكان فيها مصحف وسرير وقبع وآلات من خشب مطوق بطوق من حديد وترس خيزران بحرير ولم يعترض احد لفتح هذه الدار . وكان الذي فتحها ختكين الداعي وحمل هذه الاشياء وسار بها الى مصر ومعها جماعة من العلويين اولاد الحسين وهم شيوخ كبار . فلما وصلوا الى الحاكم اطلق لهم نفقات قليلة وردّ عليهم السرير واخذ الباقي وقال لهم انا احق بها فانصرفوا داعين له ولكن غير راضين عليه . وشاع امر الحاكم بذلك بما فعل من خرق العادات ومخالفة احكام المسلمين فشق عليه ذلك وامر بعمارة دار العلم وفرشها . ونقل اليها الكتب العظيمة مما يتعلق بالسنة واسكن بها من شيوخ السنة شيخين احداهما يعرف بابي بكر الانطاكي وكان لهما مقام كبير عند اهل المغرب فقربهما اليه وامرهما بحضور مجالسه وجمع في

هذا الدار من العلماء والفقهاء والمحدثين وامر بان تتلى فيها فضائل الصحابة . ورفع الاعتراض في ذلك واطلق صلوة الضحى والتراويح في ليالي رمضان . وغيّر الاذان فجعل مكان حيّ على خير العمل الصلاة خير من النوم . وركب بنفسه الى جامع عمرو بن العاص بمصر العتيقة وصلى فيه الضحى وكان يظهر الميل الى مذهب مالك والقول به وصنع للجامع منارة من فضة يوقد فيه الف ومايتان فتيلة واثنين آخرين دونه . وزفها بالر باب والابواق والتهاليل والتكبير ونصبها ليلة النصف من شعبان وحمل الى الجامع الفرش الكثيرة والحصر السامانية وقناديل الذهب والفضة وعلق الستائر على ابواب الجوامع . وجمع الناس على صلوة التراويح فكثر الدعا له ولبس الصوف في هذه السنة يوم الجمعة غرة رمضان . واظهر النسك وملاء كمه دفاتر وخطب بيديه . واقام الرواتب لمن ينادي بالمساجد من الفقهاء والقراء والغرباء وابناء السبيل . واختار لحضور مجلسه جماعة من اعيان القرى واجرى لهم الارزاق وصاغ محرابًا عظيمًا من فضة وعشرة قناديل من ذهب . ورصع المحراب بالجوهر ونصبه بمسجد الجامع فتضاعف الدعاء له والثناء عليه . وقام على ذلك ثلاث سنين وحمل الشمع والبخور والطيب الى الجامع في غالب الليالي . وفعل افعال لم يفعلها احد قبله . ثم بدا له بعد ذلك انه قتل ابا بكر الانطاكي والشيخ الاخر وخلقًا كثيرًا من اهل السنة في يوم واحد . واغلق دار العلم ومنع صلاة الضحى والتراويح ومنع عن جميع مافسح فيه فيما تقدم . وقام على ذلك الى اخر مدة خلافته . وخطب له قرواش بن مقلد العقيلي في الجزيرة وسقي الفرات واظهر طاعة الحاكم . واجابه اهل تلك الاعمال واحضر الخطيب وخلع عليه يوم الجمعة رابع محرم من هذه السنة اي سنة ٤٠١ فكانت خلعته قباء احمر وعمامة صفراء وسراويل ديباج احمر وخفين احمرين وقلده سيفًا واعطاه نسخة ما كتبه وهي خطبة طويلة ذكر فيها اباه واجداده وفي اخرها " اللهم اجعل نوامي صلواتك وزكاة بركاتك على سيدنا ومولانا امام الزمان . وحصن الايمان وصاحب الدعوة العلوية والملة النبوية عبدك ووليك المنصور ابي علي الحاكم بامر الله امير المؤمنين . كما صليت على ابائه الراشدين . واجداده المهديين . اللهمّ وفقنا لطاعته واجمعنا على كلمته ودعوته . واحشرنا في حزبه وزمرته واعنه على ماوليته . واحفظه فيما استرعيته . وبارك له فيما اتيته . وانصر جيوشه واعلامه في مشارق الارض ومغاربها . انك على كل شيء قدير . وكان قرواش قد بعث الى الحاكم بابي الحسين علي ابن الحسين كاتبه وبعث اليه هدايا والطاف . فكتب ابو الحسين المذكور الى قرواش من طريقه قائلاً له اقم

الدعوة للحاكم بالموصل . ثم اقام قرواش بالموصل وانحدر الى الانبار فامر باقامتها ايضاً هناك . ثم وصل قرواش الى الكوفة فاقام الدعوة فيها يوم الجمعة الثاني من ربيع الاول منها وكشف قرواش القناع واظهر المبايعة ومد يده في المعاملات السلطانية . فانزعج خليفة بغداد لذلك انزعاجاً عظيماً وكاتب اهل خراسان و بلاد الشرق فلم يدفعوا عنه ولم يكن عنده رجال لانفاذ ما امر . وقال جعفر السمناني حدثني ابو الحسين علي ابن الحسين كاتب قرواش . قال بعثني قرواش الى مصر فانزلني الحاكم اكرم منزلة و بعث لي شيئاً كثيراً . ودخلت على الحاكم فرايت رجلاً غليظ الصوت عظيم الهمة شديد الهيبة ترتعد القلوب عند نظره ماضي العزيمة ومر الحاكم علي فامتلاء المكان منه هيبة ورعبة ولم ير على وجه الارض اشد هيبة منه فارتعدت منه عند نظري اليه مع قوة جناني فاديت له رسالة قرواش . وقال قد عرفنا خدمة صاحبك وشكره على ما فتح من البلاد وكلمني كلاماً يسيراً بلطف و بعث معي الى قرواش من الثياب المغربية والفرجيات والمواكب ما قيمته ثلاثون الف دينار واعطاني الف دينار لنفسي وثلاثين قطعة من الثياب الحسنة وفي هذه السنة ولى الحاكم على دمشق لؤلؤاً ابن عبد الله الشيرازي وتلقب منتجب الدولة فقدم اليها في جمادي الاخرة من الرقة . ثم عزله عنها يوم الاضحى من هذه السنة وولى عليها ابا المطاع ابن حمدان وكان يوم الجمعة فصلى لؤلؤ بالناس الظهر وصلى ابو المطاع العشاء وحمل لؤلؤاً الى بعلبك وقتله

وفي السنة ٤٠٣هـ = ١٠١٢م انفذ محمود ابن سبكتكين الى القادر خليفة بغداد كتاباً ورد اليه من الحاكم على يد الناهرتي يدعوه الى طاعته . وقد خرقه و بصق في وسطه . وفي هذه السنة استولى الحاكم على حلب وازال ملك بني حمدان عنها . وفيها جعل الحاكم عبد الرحيم بن الياس ولي عهده وانتسب اليه بالقرابة . وقرب محله عنده وعظم امره وقدره وسلم كل شيء ليده وفوّض اليه دمشق واعمالها فاساء السيرة واوحش السريرة وظلم وفسق . وسفك الدماء وزاد طغيانه وفجوره وحال لاهل دمشق ما حرمه الحاكم عليهم . فبعث الحاكم اليه رجلاً من خواص جماعته . فقبض عليه واحضره اليه على اقبح صورة واهانه وخلعه من ولاية العهد . ثم ان الحاكم استتابه واعاده الى دمشق وسيأتي ذكر وفاته في ايام علي الظاهر ان شاء الله تعالى . ذكر ابو الفرج ان في هذه السنة قتل شمس المعالي بن وشمكير وكان سبب قتله انه كان مع كثرة فضائله ومناقبه عظيم السياسة شديد الاخذ قليل العفو يعاقب على الذنب اليسير فضجر اصحابه منه

ومضوا اليه الى داره واخذوا ما عليه من الكسوة . وكان شتاءً وكان يستغيث ويقول اعطوني ولو جل فرس فلم يفعلوا فمات من شدة البرد وولي على بلاده ولده منوجهر ولقب فلك المعالي وقيل ملك المعالي فكان قابوس وافر العلم عزيز الادب له رسائل حسنة وشعر نفيس وكان عالماً بالنجوم وغيرها من العلوم . وفيها توفي بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن بويه وهو الملك حينئذٍ بالعراق . وولي الملك بعده ولده ابا شجاع ولقب سلطان الدولة

وفي السنة ٤٠٥ ﻫ = ١٠١٤ م منع الحاكم النساء عن الخروج من منازلهن والاطلاع من سطح او طاقة ودخول الحمامات ومنع عن عمل الاخفاف ولبسهنّ وقتل عدة نساء خالفن امره في ذلك . ورتب عجائز يدخلن البيوت و يتجسسن ويطلعن على احوال الناس و يخبرنه بها . فلم يكن يخفي عليه شيءٌ من اسرار الناس . فافتضحت النساء عنده وظهر ما كان مستوراً . وكان يداوم النداء في كل وقت بمنع النساء عن الخروج فكانت الامرأة اذا ماتت بعث نساء ثقات يشاهدنها . ثم تغسل وتدفن فتضررت النساء من ذلك وكتبن اليه رقاعا يذكرن فيها ان فيهن من لازوج لها ولا ولي يليها . وان فيهن عجائز عاجزات عن العمل وهن يمتن خلف الابواب جوعاً وفاقة وفقراً . فامر البياعات ان يطفن في الطرق و يبعن النساء وامر من يبيع من الرجال ان يكون معه شبه المغرفة بساعد طويل يمده الى المرأة وهي من وراء الباب وفيه ما تشتريه فاذا رضيته وضعت الثمن في المغرفة واخذت مافيها لئلا يراها فنال الناس من ذلك شدة عظيمة واستمر على هذه الحالة مدة . واتفق ان مر قاضي القضاة مالك ابن سعيد الفارابي في بعض الاماكن فنادته امراة من طاقة واقسمت عليه ان يقف فوقف لها . فبكت بكاءً شديداً وقالت ان لي اخ لااملك غيره وهو في اخر رمق . وانا اقسم عليك ان تامر بان يحملوني اليه لاراه قبل موته فرق لها وامر رجلين من اصحابه ان يحملاها اليه . فاغلقت بابها ومضت حتى وقفت على باب دار من المدينة ودخلت . وقالت للرجلين انصرفا . وكان الدار لرجل يهواها . فلما رآها سر بذلك . ثم جاز رجلها فوجد بابه مغلقاً فسأل الجيران فاخبروه فبات على سوءِ حال و باكر الى دار القاضي واستغاث به فساله القاضي فقال له انا زوج المراة التي اصحبتها برجلين واذنت لها بالخروج فقد كذبت والله مالها اخ وهي ابنة عمي ولا افارق القاضي الابها فعظم الامر على القاضي وخاف من سطوة الحاكم فقام من ساعته ودخل على الحاكم وقبل الارض بين يديه وقال له يا امير المؤمنين انا لائذ بعفوك مما تمّ علي امس . قال وماهو فشرح له الامر . فامر بالحضر ان يحضر

لرجل وساله عن حاله فاخبره وهو يبكي · فقال الحاكم للقاضي اركب وخذ معك الرجلين الذين انفذتهما مع المرأة حتى يرشدوك الى الدار التي دخلت اليها وخذ معك اربعة من شهودك وخدماً من القصر واهجم بهم على الموضع حتى تشاهد المرأة ومن في الدار عندها وماهم عليه واقبض على الجميع واحملهم اليَّ · فخرج القاضي وفعل ماامره الحاكم فوجد الامرأة والرجل عندها نائمين في فراش واحد سكرانين فحملهما الى الحاكم وشهد الشهود بما راوا فقال لزوجها اهذه زوجتك · فقال نعم وسالها عما كان منها اي الرجل والمراة وامر الحاكم ان تلق المرأة في باريَّة وتحرق · وقيل انه سأل المرأة فحالت على الشيطان وسأل الرجل الذي كانت عنده فقال هجمت عليَّ وزعمت انها خلواً من زوج وانني اذا لم اتزوجها سعت اليك لتقتلني فاستحللتها بموافقة جرت بيني و بينها فامر الحاكم ان تلف الامرأة في باريَة (اي حصيرة) وتحرق · وان يحملوا الرجل و يضرب بالسياط فان مات فقد مضى الى سبيله · وان لم يمت اطلق ففعل ذلك وعاد الحاكم الى ما كان عليه من التشديد على النساء ومنعهن عن الظهور · ذكر في تواريخ الروم ان في هذه السنة حدث في بلاد الروم مطر غزير حتى تزلزلت الارض · وفي شهر حزيران (يونيه) حدثت اهوية صعبة ملهبة فاتلفت الاشجار ثم حدث غلاء عظيم الى ان بلغ مد القمح ديناراً في وسط القسطنطينية وكان ذلك في ايام فوقا الملك · فأمر ان كلما يباع يكون للسلطنة قسم منه ثم يباع بامره وقد جمع اموالاً لا تحصى وتضايق الشعب من ذلك · وقد بغضه الشعب والعسكر لاجل قساوة قلبه ثم ان التزميكي ابن قوفانو هجم مع اصحابه يوماً على فوقا الملك وقتله وتملك مكانه وكانت مدة تملكه تسع سنين ونصف

وفي السنة ٤٠٨ هـ = ١٠١٧ م عزل الحاكم ختكين عن دمشق وكان ختكين ظالماً غشاشاً فاتكاً سفاكاً للدماء مجاهراً بالعصيان وهو الذي بنى جسر الحديد تحت قلعة دمشق على نهر بردى وسخر الناس لاجل عمله واخذ اموالهم · فكتب اهل دمشق الى الحاكم يشكون و يتضررون من ظلمه · فاتفق ان يوم فرغ الجسر قال لا يعبر غداً احد عليه · فلما اصبح جلس على باب القلعة ينظر اليه · وقد عزم على ان يكون هو اول من يركب و يعبر على الجسر · واذا بفارس قد اقبل فعبر على الجسر وانكره · وقال من اين قال من مصر وناوله كتاباً من الحاكم بعزله و يتهدده لظلمه فقال الماهر شعر

عقد الجسر وقد حل عراه بيديه
مادرى ان عليه يعبر العزل اليه

وكان الحاكم عالمًا بالنجوم والرصد وعلم الزيج وفاق فيه اهل عصره . وفاق في صناعة الكيميا والاكسير على من تقدم وتأخر . وكان عنده علم الغيب والمكاشفات . وكان حماره اذا مر على كنز اوخبية ضرب بيده الارض فيأمر بحفر ذلك المكان فتخرج الكنوز والخبايا . وله في ذلك اشياء غريبة واليه اشار المعز لدين الله في ملحمته المتقدم ذكرها بقوله

ومنا وفينا يظهر الحاكم الذي ... له معجزات الرسل بالغيب يعلمُ
تكون له الاسد الضواري خواضعًا ... تخرُّ له طوعًا وعنها يترجم
وتضحى كنوز الارض طوع يمينه ... فيهدي بها من شا ومن شاء يحرم
و بعد ركوب الخيل عتقًا سوابقًا ... سيركب اتانا كما الليل مظلم

وللحاكم ايضًا الملحمة المستخرجة من جفر علي ابن ابي طالب وهي تدل على ما يأتي من احوال الزمان وهي التي اولها هذه الابيات)

تأمل اذا كنت ذا فطنة ... بعقلك من قبل عين النظر

و يقول فيها عن نفسه

ثبت في الجفر اني امرؤ ... كثير الغناء قصير العمر
و يخطب لي بالشام عنوة ... وفي غيرها من بلاد اخر
وتغتالني في رؤوس الجبال ... و يستتر امري ولا يشتهر

وله ايضًا قصيدة تكلم بها عن الكيميا ورموز كثيرة ومدح نفسه بها وهي من الغرائب

وعيني من كتب المحبة والعطف ... لصك وما ورد ورقٍ من الخشف
ومن حرق اوراق على النار دخنةً ... ومن شقف يرمونها في البير للنشف
ومن ناظرٍ من مندلٍ مع عصابةٍ ... يظنون ان الجن يخطر في الكف
ومن صرع مجنون بتختيم خاتمٍ ... ومن ضرب دائرةٍ تدور للكشف
ومن ذبح قربانٍ ورصد كواكبٍ ... ومن تلي اقسامٍ يرام بها صرفي
ومن نقش ميثاق الكواكب كلها ... بساعات سعد لا تضر ولا تشفي
ومن رفع اسطرلاب او اخذ طالعٍ ... يروم بها كشف الحقيقة بالعنف
حكيم على التقويم يزعم انه ... عليم بحل الزيج عن حاكم اخفي
ومن ضرب رمل واحتفار قوالبٍ ... لطبع جزور للمساكين والهتف
ومن قصر اوراق اللجين وعسجدٍ ... واقلامهم بالعين في الاسم والحرف

وازهار بستان وقصرٍ مشيدٍ وحورٍ وولدان حووا حسنًا مع الظرفِ
اذا ما رآهم عابد ظل عمره رهينًا بهم شوقًا و يفنى من الشغف
واظهار نصف الليل شمس منيرةٍ على غفلةٍ والليل منسبل السجف
واحياء ميت القوم من بعد دفنه واخفاؤه عن اعين الناس بالظرف
فانت اذا ما كنت بالعلم عارفًا ترى النقص في عين الكمال من العرف
ومن مادحٍ بين الورى بسياحةٍ ولم يدر ما اصل الحقيقة والعرف
يظن بان الفقر لبس مرقعٍ واظهار ناموسٍ على الناس بالوصف
ومن علمه امر الحواية انه خبير باصناف الافاعي بلا خلف
مكبٌّ على كتب التصانيف يبتغي بها علم در ياق السموم الذي يشفي
وليس وايم الله يدرك منهجًا من الكتب غير اللمس والجس والخطف
فان صادفته نهشةٌ لم يعش بها ولو مج من در ياقه الكامل الوصف
وان كان في البحر الطبيعي مهلةٌ فلست ابالي من سمومٍ ولا حتف
كذلك ابدي قدر معجزة الورى ولو انهم بالعلم ضعفًا على ضعف
يظن بان البرة من سير كتبه ولم يدر ان البرة من مالكٍ مخفي
فما زاده الا عماءً وحصره على نفسه ياليته كان مستعفي
ومن عقد اقرارٍ وحل ملاغمٍ واثبات كبريتٍ بماءٍ من الظلف
ومن يقضي عمرًا والشبيبة طالبًا كنوز بقاع الارض من سلخة الصحف
ومن حفر ناووس الاوائل يبتغي بها ذهبًا من قلة العقل والخسف
ومن علم اعداد الحروف وما روت لنا علم ما بالدهر من اجمع النصف
فجمعها يام عمرٍو ضلالةٌ اذا لم يكن علم الرياضة بالوصف
وما كل من قد ظن نال مراده وما كل ذي علم من الخلق مستكفي
فهذه علوم القوم جمعًا ذكرتها واتقنتها بالحق والحق لم اخف
ابا حسن المشهور في كل مشهد واوصافه تغني عن النعت والوصف
وحق ولائي قد بلغت جميعها نطقت به والله حسبي هو المكفي
لمن كان ذا عقلٍ وسمعٍ وناظرٍ وقلبٍ وابٍّ حاضرٍ غير مشتفٍ
زنوا منطقي ثم افهموا ما اقوله ففي طيه كشف العلوم الذي انفي
واثباتها من بعد نفيٍ ووصفها على الحق من جمع العلوم بالاحتف

فمن رام ان يرقى الى دولة العلى ... من العلم او يرقى الى عالم اللطف
يميت دواعي النفس عن كل شهوة ... ويستعمل الصبر الجميل مع الضعف
ويلزم شيخ العلم ان كان عارفاً ... باصناف ما ياتي على الطالب الخلف
يزيل شكوك المرء عند ابتدائه ... ويجري به طرق الهداية باللطف
فكل امرئ لا ينثني لموافق ... على علمه فالعلم عنه بمستخفي
خلقت على كشف العلوم وكان لي ... قديماً من الرحمن من منة الكشف
حواصد من في دهر كل وهكذا ... بنو الدهر في اصدافهم جوهر مخفي
فمن غاص في بحر الرياض مجرداً ... بتأييد رب العرش عن عالم اللطف
سددت عليه الطرق من كل منهج ... فاعجزت خلق الدهر ان يسلكوا خلفي
زمام الورى اضحى بكفي قيادة ... فلو شئت القيت البرية عن طرفي
ولو شئت احييت الرميم من الثرى ... واوجدته من غير نصب ولا كلف
انا فيلسوف الدهر والحاكم الذي ... اطاعت لي الارواح بالعلم والعرف
انا الخضر في عصري وعلمي لانني ... تلقيته من مالك جل عن وصف
فهلا رايتم سالف الدهر عالماً ... يكنى بمخدوم سوى صاحب الكشف
وهل نظرت عيناك في الناس واصلاً ... الى مطلب او حرفة الحجر المخفي
جنابي رحيب للانام وسيرتي ... هداية من قد ضل من خالف السلف
تكاثرت الاقوال في من الورى ... وماذا على البحر المحيط من القذف
لي الطور حقاً والكتاب وضعته ... لرسلي ولي بحر محيط مع السقف
كلامي مفيد ان فككتم رموزه ... علمتم بما يبدي الحكيم وما يخفي
جواهر الفاظي تروق لسامع ... فتنطق عني بالهداية والعرف
هلموا الي انني بغية الرضى ... واسعوا على العينين ان رمتم عرفي
انا قدوة الراجين عنكم من الورى ... انا الحاكم المنعوت بالكتب والصحف
فمن رام اكناف المعالي حقيقة ... يكن سامعاً قولي ومستعملاً وصفي
ولا يهمل القول الذي قد وصفته ... ففيه من الامثال عن سرنا المخفي
بداية سير العلم اول رتبة ... لدى عارف ان يفني الدمع بالوكف
الى ان تراه كالفنيق من الورى ... فعند ازدياد الشوق يقطع بالدرف
فكل من الاقوام ان كان عارفاً ... باخراق نور العلم عنفاً على عنف

الى ان يعرد القلب ابيض ناصعاً / من الوجد والتبريح في ود من يصفي

وعند ابيضاض المكر من شدة الظما / فاسقاه كاس الحب صرفاً على صرف

فلا غرو ان يبدو مثوناً وزفرةً / على خلة فالسكر يظهر ما يخفي

فان مات من سكر الفواد نداوه / أُقيم عليه الحد في البعث والوقف

تفكر بما ابديه من سير علمنـا / يميناً لقد ابديت ما كدت ان خفي

الى ان يعود القلب روحاً مجمراً / صبوراً على النيران لا يرهب بالعسف

ثلاثٌ وسبعٌ موته وحياته / وفي الثاني عشر عاد مستكمل الوصف

فهذا هو الكنز العظيم وعلمنا / كنزناه للخل المقيم على الوصف

وهذا هو الاكسير من نور علمنا / وميثاقه يمتد منه على الالف

فلا تغررن فالدهر ذا آمرٌ غدا / بعلمٍ ولا مالٍ ولا عيشة الردف

فكلٌ وايم الله ليس بخالدٍ / سوى الله فارجع ان هديت عن الحرف

سلوني فاني لا افوز بطائل / سوى حسرةٍ من فرقة الخل والالف

لقد طال ماجردت بردة صبوتي / على اثري والدهر يعقبني ضعفي

الى ان وهى مني القوى وها انا / رهينٌ بما وليت منتظرٌ حتفي

فمن رام تسخير الملوك حقيقةً / انقل طعامٍ او لما كان من ضعفي

يحل من الاكسير نصفاً ودانقاً / ويثبت فيه عسجداً وبها يشفي

بسورة الواحدِ الحيّ فانها / تطيع لها الارواح من اجمع النصفِ

تعاهد ماتختار منهم ولا تكن / جهولاً فتخزى خزي جاذع للانف

فمن رام ان يخفي على الناس يعتمد / على دهنة الاكسير فهي التي تخفي

تمرّ بها فوق الجبين وتبتدي / بلفظٍ خفيٍ جل عن واضع الصحف

ومن رام ان يبري المصاب حقيقة / مدى الدهر لا يعرض به عارض الجلف

ومن رام ان يبري السليم من الردى / فيسقيه من اكسيرنا الكامل الوصف

فهذا هو الدرياق حقاً فكن به / ضنيناً وها السم الزعاف لمن يخفي

وخص به دون البنين عبيده / سليمان لما قال هب لي على ضعفي

فاعطاه ملك العلم حيناً مسخراً / له الريح تجري كيف شاء بلا وقف

ومنّ عليه بعد ذاك بواصف / فكان علياً بالكتاب على وصف

فاستعبد الارواح بالعلم واتخذ / عليهم عهوداً بالمواثيق والحلف

وقدم على الارواح قبلة ملكها   وعاهدهم حتماً على الامر بالعرف
وقدم على جمع الملائك كلها   ملاكين لا يخشون باساً بلا حتف
وقلدهما بالسيف طوعاً لامره   وحكمهما بالقتل والعدل والنصف
فتفهم مفاتيح العلوم باسرها   وهما باب سر العلم حقاً بلا سرف
هما المالكان الدين ليس يزاولا   لبعضهما يوماً وهما واحد يكفي
فمن لايشاهدهم عياناً بعينه   كما شاهدت عيناه منظرها المخفي
فعالمها بالكذب اضحى مفلسفاً   صريحاً فلا يهدى لبعث ولا وصف
وجاهلهم بالجهل اضحى معطلاً   وقاضيهم بالفقه افتى من الحتف
لانهم لم يدركوا سر علمنا   فهم صاح اضداد لمن باح بالكشف
وان شئت ان تكتبه بالقلم الذي   به قد تحالفنا على سرنا المخفي
رموز بها جمع العلوم صيانة   عليها من الجهال والعالم الشطف
وهم احرف معدودة سبعة احرف   سواها فلا تختار ان رمت تستخف
هي الاسم والمعنى كذاك هي العصا   لكشف لاسرار العلوم الذي اخفي
تدارك ايام الشبيبة واعتمد   على الله واغنم صحة الجسم واستعف
فليس بناج من بني الدهر مرة   اذا ما تصدوا طالبين بلا كشف

وهي قصيدة حوت اسراراً ورموزاً غزيرة . ثم ان الحاكم امر الموذنين ان يؤذنوا حيّ على خير العمل بجميع الجوامع والمساجد . وكان ينزل في مكان يقال له الدكة وتورا . وقيل هي فوق يزيد قريب من ديروان . وفيها جاء الحسن ابن احمد القرمطي الى دمشق وتلقب بالاعصم وكان جعفر ابن فلاح بها فخرج اليه وقاتله فقتله القرمطي ولما علم بقتله بكاه ورثاه لانهما وان كانا عدوين فانهما بالشيعة واحدة . وكان جعفر شاعراً فاضلاً . ونظر في ايام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والغرب وكان اسود اللون وهو الذي تنسب اليه حارة برجوان بالقاهرة وكان من جماعة الحاكم وسيد قومه . وكان من اعظم الدعاة للحاكم ابو الفضل حمزة ولقبه الامام وكان نافذ الامر مطاعاً في جميع اموره . وكان الحاكم يحبه محبة عظيمة ويخصصه على جميع عشيرته . وكان صاحب الرسائل والمكاتبات عنده . ومن دعاة الحاكم بامر الله ابو محمد حسن الكنانة ولقبه امين الدولة ومنهم ابو الحسين الملقب ببهاء الدين وهو الذي تنسب اليه حارة بهاء الدين في القاهرة . وكان نائب الحاكم بحلب صالح بن قرواش من بني ادريس وهو والد المعز وكان ذو باس وعزمة .

وهو الذي انتزع لولوءا الذي كان قبله ·

وكان السبب في فقد الحاكم انه كان عزم على قتل اخته سيدة الملوك وهمّ ان يرسل اليها القوابل ليتحقق بكوريتها فعلمت اخته انه يقتلها لامحالة · وكانت من النساء المدبرات فاخذت في تدبير الحيلة والعمل على قتل اخيها · فدخلت ليلاً على سيف الدولة ابن دواس · وكان الحاكم قد عزم على قتله · وعرّفته انها اخت الحاكم فعظمها واكرمها وقالت له انت تعلم مايجرى من اخي من قتله العلماء وسفك الدماء وقتل وجوه الدولة · وقد صمم على قتلي وقتلك · فقال لها كيف الحيلة في قتله · فقالت الرأي عندي ان تجهز لي رجالاً يقتلونه عند خروجه الى حلوان فانه ينفرد بحماره وحده وانت تكون المدبر لدولة ولده والوزير له · فاتفقا على ذلك ومضت الى قصرها · ولما كان ضحية النهار خرج الحاكم على عادته · وانفرد على حماره وحده بنفسه الى المقطم فخرج الجند على عادتهم للافاته ومعهم خيل والمواكب والجنائب واستمروا سبعة ايام في انتظاره فلم يحضر · وبينما هم في الجبل التقوا بدابته مقطوعة اليدين ولم تحل حياصته ثم انتهوا الى بركة فرأوا ثيابه وهي مزرورة بحالها · وفيها اثار السكاكين فلم يشكوا بقتله · ثم ان الجند رجعت · وقد حكى ابن الجوزة في تاريخه كتاب مرآة الزمان ان في جبل الشام اناساً كثيرين من المتفانين في حبه · ويعتقدون به (هولاء طائفة الدروز المشهورة في جبل لبنان وحاصبيا وجبل حوران ونواحي الشام وهو اصل مذهبهم كما ذكر في كثير من التواريخ) وكان فقده يوم الثلثاني ليلتين بقيتا من شوال سنة ٤١١هـ = ١٠٢٠ م وكان يكتب في مناشيره «من الحاكم بامر الله المنتقم من اعداء الله ابو علي المنصور» · وجرى في ايام الحاكم من الامور مالا يمكن شرحها ولكن ذكرنا بعضاً اختصاراً عنها · وفيها بعد قتل فوقا الملك تملك على الروم التزيمنكي واخوه ابنا تاوفانا · ولما مضيا الى البطريرك ليتوجهما أبى اتمام ذلك وطلب ان تنفى تاوفانا والدتهما لان قتل رجلها فوقا كان بتدبيرها · ثم انه لما بلغ المهاجرين بان فوقا الملك قد قتل اخذهم الطمع وجمعوا عساكر كثيرة ليستردوا المدن التي كانت تملكها الروم · وحدثت حروب كثيرة تلك السنة بين الروم والمسلمين ذكر ابو الفرج انه لما تولى الحاكم على مصر وكان يميل الى الحكمة بلغه خبر ابي علي ابن الحسين بن الهيثم المهندس البصري انه صاحب تصانيف في علم الهندسة عالم بهذا الشأن متقن له متفنن فيه بغوامضه ومعانيه فتاقت نفسه الى رويته ثم نقل له عنه انه قال لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص فازداد الحاكم اليه شوقاً وسير

اليه سرّاً قدراً عظيماً من المال ورغبه في الحضور اليه. فسار نحو مصر. ولما وصلها خرج الحاكم للقائه واكرمه . ثم سار الى النيل ولما رأى الاقاليم ونظر اثار من تقدم قبله وهي على غاية الاحكام تحقق ان الذي قاصده ليس بممكن ولو امكن من تقدم لفعلوه . ولما وصل الى المكان المعروف بالجنادل قبلي مدينة اصوان وهو مكان منحدر به النيل عاد مخجولاً فقبل الحاكم عذره وولاه على بعض الدواوين . ولما نظر اراقة الحاكم للدماء خاف على نفسه منه واظهر الجنون .

وفي السنة ٤١١ هـ = ١٠٢٠ م بعد وفاة الحاكم تولى ولده علي الظاهر لاعزاز دين الله . وهو السابع من الخلفاء الفاطميين . ولد بمصر يوم الاربعاء في عشرين رمضان سنة ٣٩٥ هـ . وفي هذه السنة ظهر في السماء نجم ذو لحية . وبقي يظهر ثمانية اشهر . ثم ان الدمستق قوي على المملكة ونفى التزيمنكي واخاه وجلس ملكاً الا انه لم يدم الا مدة قليلة ومرض مدة ومات وكان يكنى بنيكوفورس

وفي السنة ٤١٥ هـ = ١٠٢٤ م تولى ابو المطاع ابن ابي المظفر حمدان على الاسكندرية واعمالها بالنيابة عن علي الظاهر لاعزاز دين الله . وكان المطاع شاعراً ظريفاً حسن النسك والسيف ومن شعره

انّي لاحسد لا في الاحرف الصحف اذا رايت اعتناق اللام للالف
وما اظنهما طال اعتناقهما الا لما لقيا من شدة الشغف

وكان صالح ابن مرداس قد ولاه الحاكم على حلب فغضب عليه الظاهر لاعزاز دين الله . وجهز له عسكراً عظيماً صحبة نشتكين الدرزي ولما سمع صالح بذلك خرج اليه وتقاتلا في الحوانة فجرى بينهما مقتلة عظيمة قتل فيها صالح

وفي السنة ٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م توفي الملك شرف الدولة ابو علي ابن بهاء الدولة وخطب ببغداد لاخيه ابي ظاهر جلال الدولة ; وفيها ملك ناصر الدولة ابن مروان صاحب ديار بكر مدينة الرها وكانت لرجل من بني نمر يسمى عطيرة وكان شريراً جاهلاً . وفي هذه السنة استولى علاء الدولة على همدان

وفي السنة ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م استناب نشتكين الدرزي على دمشق من قبل صاحب مصر الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم العلوي وكان شجاعاً مقداماً بالحروب وكان خبيثاً . فقبض على عبد الرحيم ابن الياس الذي كان نائباً على دمشق وارسله الى مصر . فامر الظاهر لاعزاز دين الله بسجنه . وكان عبد الرحيم ظالماً سفاكاً للدماء

مظهراً للعصيان مرتكباً للفواحش والجرائم فوضعه في قفص من حديد و بقي زمانا حتى مات

وفي السنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م واقع امين الدولة الاتراك الغزية اصحاب ارسلان وكانوا يفسدون بخراسان فظفر بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم سار الى مرعش فدخلها وقتل من عامتها مقتلة عظيمة . ثم سير عساكره الى الرها وهمدان فملكوها ووصلوا الى اذربيجان . وملك المعز الموصل . وفي هذه السنة جاء برد عظيم بتلك الديار . ثم توفي في اذربيجان معز الدولة ودفن هناك . وولي مكانه عليها ولده محمد

وفي السنة ٤٢٢ هـ = ١٠٣٠ م توفي عين الدولة محمود وولي مكانه ولده مسعود . ثم توفي القادر بالله خليفة بغداد وعمره ستة وثمانون سنة وعشرة اشهر وكانت خلافته واحداً واربعين سنة . وكان قد تغلب على الخلافة الديلم والاتراك فلما تولى القادر القى هيبته في قلوبهم الخلق فاطاعوه احسن طاعة . وكان حليماً كريماً ديّاناً يخرج من داره في زي العامة

الفصل الخامس والعشرون

في خلافة القائم بالله وهو الخامس والعشرون من العباسيين

وبعد وفاة القادر بالله تولى على الخلافة ولده القائم بالله . وفي هذه السنة انتقل الى العراق محمد بن يحيى البوزجاني من بلاد نيسابور وقرأ عليه الناس واستفادوا منه وصنف كتباً جليلة في العلوم منها كتاب المجسطي وفسر كتاب ديوفنطوس في الجبر والمقابلة . وكان يوجد في ذلك الاوان يحيي ابن زرعة النصراني اليعقوبي وهو احد المعلمين المتقدمين في علم المنطق والفلسفة واحد النقلة المجيدين من السريانية الى العربية . وكان من الاطباء منصور ابو الفتح المصري النصراني وله منزلة رفيعة بين اصحاب القصر ولا سيما في ايام العزيز منهم . وكان اصابه مرض وبرأ منه فكتب اليه العزيز رقعة بخط يده يقول فيها « بسم الله الرحمن الرحيم طبيبنا سلمه الله سلام الله الطيب . وافاض عليه النعم . وصلت الينا البشارة بما وهبه الله من عافية الطبيب و برئه . والله ذلك عديل عندنا بما رزقنا الله من الصحة في جسمنا . اقالك الله العثرة واعادك الى افضل ما عودك من الصحة »

وفي السنة ٤٢٥ هـ = ١٠٣٣ م حدث حرب بين نور الدولة دابيس واخيه ابي قوام ثابت . ثم اصطفيا وتحالفا . وسار البساسيري لنجدة ثابت فلما بلغه صلحهما

اد الى بغداد . وهؤلاء امراء عرب من بني اسد وخفاجة . وفيها توفي رومانوس ملك الروم بملك بعده رجل صراف ليس من بيت الملك وانما ابنة قسطنطين اختارته وتزوجته . ذكر في تواريخ الروم في هذه السنة تملك على الروم قسطنطين المونوماخوس وقد فرق على الشعب ذهباً كثيراً وفي ابتداء تملكه اتى استطفانوس في عساكر كثيرة الى نواحي ابلونوس فخرج الملك الى محاربته بستين الفاً ووقع بينهما حروب كثيرة وقتل من الروم خلائق لا تحصى ثم رجع الملك الى القسطنطينية

وفي السنة ٤٢٧ ﻫ = ١٠٣٥ م توفي الظاهر لاعزاز دين الله الخليفة العلوي صاحب مصر . وكان يملك مصر والشام والخطبة له بافريقية . وولي بعده ولده ابو تميم ولقب المستنصر بالله وهو الثامن من الخلفاء الفاطميين والخامس منهم في الديار المصرية

وفي السنة ٤٣٠ ﻫ = ١٠٣٨ م دخل ركن الدين [1] ابو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل الى مدينة نيسابور وملكها . وفي هذه السنة وصل الملك مسعود من غزنة الى بلخ واجلى السلجوقية عن خراسان . وفيها خطب شبيب ابن وثاب النميري صاحب حران والرقة للامام القائم بامر الله خليفة بغداد وقطع خطبة المستنصر بالله العلوي المصري

وفي السنة ٤٣٢ ﻫ = ١٠٤٠ م اتفق انوستكين (وقيل اسمه انوشتكين) البلخي مع جماعة من الغلمان الدارية وثاروا على الملك مسعود وقبضوا عليه واقاموا اخاه محمداً مكانه وسلموا له بالامارة . وقتلوا الملك مسعوداً بعد ان سملوا عينيه فبلغ الخبر الى ولده مودود وهو بخراسان فقدم بعسكر من غزنة والتقى بعمه محمد . وقبض عليه وعلى ولده احمد انوستكين البلخي وقتلهما وتولى الاحكام مكان ابيه مسعود على غزنة

وفي السنة ٤٣٣ ﻫ = ١٠٤١ م ملك السلطان طغرلبك جرجان وطبرستان . وفيها توفي ميخائيل ملك الروم وملك بعده ابن اخيه ميخائيل ايضاً

وفي السنة ٤٣٥ ﻫ = ١٠٤٣ م توفي الملك جلال الدين بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ببغداد وملك عوضه ابو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة . وفيها تزلزلت تبريز وهدم سورها وقلعتها وهلك تحت الردم في المدينة ما ينوف عن الخمسين الف نفس

وفي السنة ٤٣٧ ﻫ = ١٠٤٥ م ذكر في تواريخ الروم انه في هذه السنة حدث في القسطنطينية وباء عظيم حتى ان الاحياء لم يقدروا ان يدفنوا الموتى ومات الملك

(١) دخول ركن الدين كان سنة ٤٢٩ ﻫ وليس سنة ٤٣٠

قسطنطين وكان تملكه اثنتي عشرة سنة وتملك على الروم ثاودورا امرأته واحسنت السيرة مع شعب القسطنطينية وعدلت في الرعية

وفي السنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م تم عمار سور شيراز ودائرته اثنا عشر الف ذراعاً وارتفاعه عشرون ذراعاً وفيه عشرة ابواب وفي هذه السنة توفي الملك ابو كاليجار ببغداد وملك عوضاً عنه ولده الملك الرحيم . وفي هذه السنة برز محضر كتب في بغداد في انساب الخلفاء العلويين انهم خارجون عن المسلمين ورقم فيه خطوط القضاة والاشراف وامضاءاتهم

وفي السنة ٤٤١ هـ = ١٠٤٩ م ملك البساسيري على الانبار ودخلها اصحابه . وفيها توفي مودود ابن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وملك بعده عمه عبد الرشيد . ذكر في تواريخ الروم ان في هذه السنة توفيت ثاودورا ملكة الروم وكانت مدة تملكها سنتين وثمانية اشهر وبعد وفاتها انتخب الروم ارطاكيوس الكوفيصا ملكاً وكان بطلاً شجاعاً . وبعد تملكه امر ان ينقش على الدراهم والدنانير اشخاصاً وبايديها سيوف قال وخرج الملك يوماً الى الصيد فوقعت عليه صاعقة ومرض من ذلك مدة طويلة ثم تعافى وعزل ذاته عن الملك وصار راهباً . وكانت مدة تملكه سنتين وعشرة اشهر

وفي السنة ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م ملك السلطان طغرلبك اصفهان وقد قويت شوكته وشوكة اخيه داود ولدي مكائيل بن سلجوق بن دقاق . وكان دقاق رجلاً مهماً من مقدمي الترك ولد له سلجوق وظهرت عليه امارات النجابة وصارت له جماعة فتغير عليه ملك الترك فهرب الى بلاد المسلمين . واقام ببلدة وراء بخارى اسمها جند وصار يغزو الكفار وتوفي بجند وعمره مائة وسبع سنين وخلف من الاولاد ارسلان ومكائيل وموسى فقتل ميكائيل في الغزو شهيداً وخلف اولاده بيغو وطغرلبك وداود . وملكت السلجوقية خراسان وكسروا السلطان مسعوداً وخطب لهم على المنابر واستولى داود على كثير من النواحي وملك طغرلبك جرجان وطبرستان وخوارزم واصفهان كما سبق وهرب منه السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين فقتله ابن اخيه احمد وكان السلطان محمود كثير الصدقة تصدق مرة في زمضان بالف الف درهم وكان محسناً الى العلماء فصنفوا له التصانيف الكثيرة وكان يكتب خطاً حسناً وكان ملكه فسيحاً ملك اصفهان والري وطبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم والران وكرمان وسجستان والسند وغزنة واطاعه البر والبحر وملك بعده السلطان مودود بعد ما قتل ابن عمه احمد قاتل ابيه كما سبق

وفي السنة ٤٤٣ هـ = ١٠٥١ م وقعت فتنة عظيمة بين السنية والشيعة احرق فيها ضريح موسى ابن جعفر الصادق وقبر زبيدة وقبور ملوك بني بويه وقتل مدرس الحنفية ابو سعيد الرخي واحرقت دور الفقهاء · وظهر كوكب له ذؤابة غلب نوره على نور الشمس وسار سيراً بطيئاً ثم انقض)

وفي السنة ٤٤٥ هـ = ١٠٥٣ م ذكر في تواريخ الروم في هذه السنة انه بعدما عزل الملك ارطاكيوس نفسه انتخبت الروم قسطنطين الداكوس واقاموه ملكاً ودام تملكه سبع سنين ونصف بكل راحة وسلام وعند موته احضر شعب القسطنطينية والقواد وطلب منهم ان يكون الملك الى اولاده فكتبوا له بذلك وتوفي بكل عز واكرام وحزن عليه الشعب حزناً عظيماً

(وفي السنة ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م استولى طغرلبك على اذربيجان)

وفي السنة ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م دخل طغرلبك بن داود بن سلجوق بغداد وخطب له فيها وقبض على الملك الرحيم (وانقضت به سلطنة بني بويه من العراق وهذه اسماؤهم اولهم معز الدولة احمد بن بويه · ثم ابنه بختيار · ثم ابن عمه عضد الدولة · ثم ابنه صمصام الدولة ابو كاليجار المرزبان · ثم اخوه شرف الدولة شيرزيك · ثم ابن اخيه كاليجار المرزبان ابن سلطان الدولة · ثم ابنه الملك الرحيم)

وفي السنة ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م عم الوباء والقحط ببغداد ومصر والشام وجميع البلدان وكان الناس يأكلون الموتى · حكى صاحب مرآة الزمان قال · جاء في ايام المستنصر خليفة مصر سبع سنين غلاء مثل سني يوسف الصديق عليه السلام · وكان يطلع النيل وينزل اياماً ولم يوجد من يزرع الارض لموت الناس واختلاف الرعية وزيادة الفتن · وانقطعت السبل براً وبحراً بمصر والشام مدة سبع سنين واستولى الخراب على البلاد وعلى اكثر اهلها · وخلا من مصر خلق عظيم لما حصل بها من الغلاء والجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا · واكلت الناس بعضها بعضاً · وظهر على بعض الطباخين انهم ذبحوا عدة من النساء والصبيان وطبخوا لحومهم وباعوها للناس واكلت الدواب باسرها حتى لم يبق للمستنصر سوى ثلاث افراس بعد ان كانت اكثر من عشرة آلاف فرس · وبيع الكلب بخمسة دنانير والسنور بثلاثة دنانير · وبيع الفروج بعشرين درهم وبيضة الدجاجة بسبعة دراهم · والبصلة بثلاثة وخمسين درهم · ثم توجه المستنصر الى الشام · وقتل الملك الكامل صاحب ميافارقين بعد حصارها مدة · فبلغ ثمن المكوك القمح فيها بكيل ميافارقين خمسة واربعين الف غرش ·

والرطل الخبز وزنه سبع مئة وعشرون درهما ست مئة درهم . والرطل اللحم ست مئة درهم والرطل اللبن ست مئة . والاوقية العسل سبع مئة درهم . والبصلة ثلاثة وخمسين درهم . وبيع رأس الكلب بستين درهم وبيعت بقرة لنجم الدين مختار بسبعين الف درهم . فاشترى الملك الاشرف رأسها وكارعها بستة الاف درهم . ونزل ابو المكارم وزير المستنصر علي باب القصر عن بغلته وليس معه الا غلام واحد . فجاء ثلاثة اشخاص واخذوا بغلة الوزير ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه فذبحوها واكلوها واخذوه وصلبوه واصبحت الناس فلم يروه (لربما اكلوه) . واخذ المستنصر بالله قناديل الكعبة والستائر وباعها . وطلبت ام المستنصر ان تبدل مدًا من الجوهر بمد من القمح فلم تجده فالقت الجوهر الى الارض وقالت لا اريد شيئًا لاينفعني وقت العازة اليه . وفي هذه السنة حدثت وقائع عظيمة في العراق بين البساسيري وخليفة بغداد وجرت امور كثيرة يعظم ذكرها وآلت الى خراب بغداد والعراق . واستظهر البساسيري على العرب وقاتل خليفة بغداد قتالاً شديدًا الى ان قتله بالعراق . وقبض البساسيري على خلفاء بغداد . وجرى عليهم اشياء كثيرة لاتجري على الكفار من النهب والخراب وانتهبت دورهم وسبيت حريمهم (وفيها تزوج خليفة القائم بامر الله بنت داود اخت طغرلبك . وفيها ظهرت دولة الملثمين سموا بذلك لانهم لثموا نسائهم في حرب وانتصروا فيه . وكانوا من حمير ساروا في ايام ابي بكر الصديق من اليمن الى الشام . ثم الى مصر ثم الى الغرب . واستوطنوا الصحراء محبة في الانفراد . وفي هذه السنة توجه رجل منهم اسمه جوهر الى الحج ولما عاد استصحب معه فقيهًا من القيروان اسمه عبد الله بن ياسين ليعلم القبائل دين الاسلام فاطاعته قبيلة جوهر فقال ابن ياسين للمطيعين يجب عليكم قتال المخالفين واقاموا لهم اميراً سموه امير المسلمين وتبعهم قوم . وحصل بينهم قتال فقتل فيه ابن ياسين . ولما صار الامر لغير جوهر داخله الحسد فافسد فعقد له مجلس واوجبوا عليه القتل فاظهر الرضاء بذلك وصلى ركعتين ثم قتل صبراً ولما ملك امير المسلمين ابو بكر بن عمر سلجماسة ولى عليهم يوسف بن تاشفين ففتح على يديه وكان دينًا حازمًا ذا هيبة ولقب بامير المسلمين وافتتح المغرب حصنًا حصنًا . وبنى مراكش وجعلها تحت مملكته وملك طنجة وسبتة وسلاً وغيرها وكثرت عساكره (عن الوليد بن الشحنة) .

وفي السنة ٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م توفي ابوا العلاء احمد ابن سليمان المعري الاعمى الذي ولد سنة ٣٦٣ هـ . عمي في صغره من الجدري وهو ابن ثلاث سنين . وقيل ولد

اعمى . وكان عالمًا لغويًا شاعرًا دخل بغداد فاستفاد من علمائها واقام بها سنة ونصفًا ولم يتتلمذ لاحد اصلاً ثم عاد الى المعرة ولزم بيته . وترك اكل اللحم خمسًا واربعين سنة على مذهب الهنود وكذلك البيض واللبن . وحرم اتلاف الحيوان وله مصنفات . وكان فاسد العقيدة يظهر الكفر . ويزعم انه مسلم في الباطن واشعاره الدالة على كفره كثيرة منها

اتى عيسى فابطل شرع موسى ... وجاء محمد بصلوة خمس
وقالوا لا نبيّ بعد هذا ... فضلّ القوم بعد غدٍ وامس
ومهما عشت في دنياك هذه ... فما تخليك من قمرٍ وشمس
اذا قلت المحال رفعت صوتي ... وان قلت الصحيح اطلت همسي

ومن قوله

تاه النصارى والحنيفة ما اهتدت ... ويهود حيرى والمجوس مضلله
قسم الورى قسمين هذا عاقلٌ ... لا دين فيه ودينٌ لا عقلَ له

وفي السنة ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م جمع البساسيري وجوه العباسيين والعلويين واخذ عليهم البيعة للمستنصر بالله خليفة مصر . واستحلفهم على ذلك في دار الخليفة ببغداد وهو جالس معهم . ثم قبضوا على القائم وجهزوه وارسلوه الى بلاد العرب الى المدينة الحديثة مستحفظين عليه فخدمه مهارش العقيلي حق خدمة وحماه من القتل . و بقي بخدمته الى اخر السنة فرجع الى بغداد بعد هلاك البساسيري حين قتله ارسلان التركي مقدم الاتراك . وكان البساسيري اصله مملوكا ارمنيًا ولم يزل تنقلب به الايام الى ان صار اكبر الامراء في دولة المستنصر بالله خليفة مصر . وكان شجاعًا كريمًا سفاكا للدماء . وفيها وقع فناء في الدواب ولم يبق منها الا القليل . (ذكر الوليد ابن الشحنة انه لما غاب طغر لبك عن بغداد دخل البساسيري في جماعة وقتل رئيس الرؤساء واخرج الخليفة منها وخطب للمستنصر العلوي خليفة مصر . فلما عاد طغر لبك الى بغداد انسحب البساسيري فارسل في طلبه وقبض عليه عسكره فقتلوه و بعثوا رأسه الى الخليفة وعلق ببابه . وكان البساسيري مملوكا تركيًا من مماليك بهاء الدولة بن بويه واسمه ارسلان وكان تاجرا من بساسير . وفيها توفي ابو الحسن علي ابن حبيب الماوردي الشافعي وعمره ست وثمانون سنة وله تصانيف كثيرة منها الحاوي المشهور والاحكام السلطانية وادب الدنيا والدين

(وفي السنة ٤٥٣ هـ = ١٠٦١ م مات المعز بن باديس صاحب افريقية وكانت

مدة ملكه سبعاً واربعين سنة وعمره ٥٦ سنة · وملك بعده ابنه تميم وهو اخرهم · ومات نصر الدولة ابو نصر احمد ابن مروان الكردي صاحب ديار بكر وكان عمره ٨٧ سنة · وسارت بنعمه الركبان · فاشترى بعض جواريه المغنيات بخمسة الاف دينار واكثر وملك خمس مائة سرية سوى توابعهن وخمس مائة خادم وكانت قيمة الات مجالسه تزيد على مائتي الف دينار وارسل طباخيه الى مصر ليتعلموا طبخ انواع الاطعمة · ومات امير مكة شكر العلوي الحسيني وله شعر حسن منه

قوض خيامك عن ارض تضام بها — وجانب الذل ان الذل مجتنبُ
وارحل اذا كان في الاوطان منقصةٌ — فالمندل الرطب في اوطانه حطبُ

وفي السنة ٤٥٤ هـ = ١٠٦٢ م تزوج طغرلبك بنت الخليفة القائم بامر الله وكان العقد في شعبان بظاهر تبريز)

وفي السنة ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م سار السلطان طغرلبك ابن مكائيل الى الرها وعند وصوله مرض وتوفي هناك نهار الجمعة ثامن رمضان وعمره سبعون سنة وكان عقيماً · فتولى بعده على السلطنة ابن اخيه الب ارسلان ابن داود ابن ميكائيل بن سلجوق على الرهاء وهو الثاني من ملوك الرها (فقبض على وزير عمه حميد الملك وحبسه سنة ثم قتله · وكان حميد الملك يقع في حق الشافعي ومن غريب ما اتفق له ان ذكره دفن بخوارزم لما خصاه طغرلبك بسبب انه ارسله ليخطب له امرأة فتزوجها · واريق دمه بمرو ودفن جسده بكردر · ودفن قحف راسه بكرمان · ودفن بقية رأسه بنيسابور · وعصا عليه قطلومش وكان من السلجوقية وهو ابو ملوك قونية · فركب اليه الب ارسلان واقتتل العسكران وانكسر قطلومش ولما هرب عسكره وجد ميتاً من غير جرح وعظم ذلك على الب ارسلان فبكى عليه) وفي هذه السنة ولد ببغداد ولد براسين وعنقين واربع ايدٍ بجسد واحد ورجلين

وفي السنة ٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م حدث بمصر وفلسطين زلزلة عظيمة طلع فيها الماء الى رؤوس الابار وهلك ببلاد الروم خلق كثير وزال البحر عن مكانه مسيرة يوم حتى نزل الناس الى ارضه يلتقطون فعاد عليهم واهلك خلقاً كثيراً)

(وفي السنة ٤٦١ هـ = ١٠٦٨ م احترق جامع بني امية في دمشق ودثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الصناعة وكان السبب انه وقع فتنة بين المغاربة والمصريين فاحرقوا داراً بقرب الجامع ووصلت النار اليه

وفي السنة ٤٦٢ هـ = ١٠٦٩م حصل بمصر غلاء شديد حتى اكل الناس بعضهم بعضاً وباع خليفة مصر العلوي ثمانين الف قطعة بلور وثمانها ديباجاً وعشرين الف سيف محلى وفرّق ثمنها على المعوزين

وفي السنة ٤٦٣هـ = ١٠٧٠م ذكر في تواريخ الروم في هذه السنة انه بعد وفاة الملك قسطنطين الداكوس تملك مكانه زوجته افضوكيا واولادها وكانوا صغاراً وبعد تملكها تزوجت برومانوس ديوجانوس (هو رومانس) الرابع وملكته على مملكة الروم واحرمت اولادها من الملك . وقد ازتضى الشعب بذلك قهراً . ثم ان رومانوس المذكور خرج بجيش عظيم نحو مائة الف ووصل الى ملاذكرد من اعمال خلاط وكان السلطان الب ارسلان بمدينة خونج من اعمال اذربيجان فسار اليه في خمسة عشر الف فارس اذ لم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو . وجد في المسير فلما قرب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه الهدنة فلم يقبل ذلك لان السلطان لم تكن كملت عساكره بعد . فانزعج السلطان لذلك . ولما لم يقبل منه الهدنة صلى الجمعة وبكى بكاء مرّاً وبكت الناس لبكائه . ثم قال لاصحابه من اراد الانتصار فليثبت الى هذا الجيش ومن احب الانصراف فله الخيار . ثم انه اخذ بيده القوس والنشاب واخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله . ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفني وزحف الى الروم وزحفوا اليه . واشتد القتال فانهزم الروم وقتل منهم خلق لا يحصى . واسر الملك رومانوس عن يد احدى مماليك السلطان طغرلبك واسمه شاري واتوا به الى قدام سيدهم . فلما رآه نزل اليه وضربه ثلاث مقارع وقال له ألم ارسل اليك في طلب الهدنة فلم تجبني لذلك . فقال له ملك الروم دع التوبيخ وافعل ماتريد . فقال له السلطان ارسلان فماذا عزمت ان تفعل بي لو اسرتني . فقال له رومانوس . القبيح . قال وما تظن ان افعل بك . قال اما تقتلني او تشهرني في بلادك والثالثة لا اتكلم عنها لانها بعيدة وهي ان تعفو عني او تقبل الفداء . فقال له ارسلان ماعزمت على نفسي غير فعل الجميل معك . ولم يخطر ببالي غير ذلك . ففداه بالف الف دينار وان يطلق كل اسير عنده من المسلمين . وامر السلطان باطلاق كل اسرى الروم . ثم اخذه بيده واجلسه الى جانبه وفي الغد خلع عليه وعلى من معه من خواصه . وارسل معه عسكراً يوصله الى بلاده . وارسل له عشرة الاف دينار ليتجهز بها الى بلاده . واطلق جماعة من البطارقة معه . واما الروم فلما بلغهم خبر الوقعة واستئسار ملكهم وثب ميخائيل

على المملكة وتملك مكان رومانوس . ولما وصل الملك رومانوس الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد . وارسل الى ميخائيل يعرفه بما تقرر مع السلطان طغرلبك . وجمع رومانوس ماعنده من المال وارسله الى السلطان وكان مائتي الف دينار. وارسل يحلف له انه لم يقدر على اكثر من ذلك .. (وفيها ملك السلطان الب ارسلان ديار بكر وحلب. واستقر بها صاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس. وفتح ولده ملكشاه القدس والرملة واتخذها من نواب الخليفة المستنصر صاحب مصر. وفيها توفي الوليد احمد ابن عبد الله ابن غالب ابن زيدون الاندلسي القرطبي وزير المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية وله الاشعار الفائقة منها

بيني و بينك مالو شئت لم يضع ... شيء اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يابائعاً حظه مني ولو بذلت ... لي الحيـاة لحظي منه لم ابع
يكفيك انك لو حملت قلبي ما ... لم تستطعه قلوب الناس يستطع
تهاحتمل واستطل اصبر وعز اهن ... وول اقبل وقل اسمع ومر اطع

ومن قصائده المشهورة .

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
الا وقد كان صبح البين صبحنا ... حيناً وقام بنا للعين ناعينا
بنتم و بنا فما ابتلت جوارحنا ... شوقاً اليكم ولا جفت اماقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... تقضي علينا الاسى لولا تاسينا

وهي قصيدة طويلة من انفس مانظم من الشعر

وفي السنة ٤٦٤ هـ = ١٠٧١ م قطعت الخطبة بمكة عن العباسين وعادت الى خليفة مصر . وفي هذه السنة عزم القائم بامر الله ان يبايع ابن ابنه ابا القاسم عبد الله ابن محمد بعده. وفي ذلك الزمان ظهر واشتهر بعلوم الاوائل ابو الريحان محمد بن احمد البيروني وكان بارعاً في فنون الحكمة اليونانية والهندية وفاق كثيراً بانواع الرياضيات وصنف فيها الكتب الجليلة . ودخل الى بلاد الهند واقام بها عدة سنين وتعلم من حكمائهم فنونهم وعلمهم علوم اليونانيين وفلسفتهم وله مصنفات كثيرة متقنة . وقد اشتهر ايضاً في ذلك الزمان في علم الطب والحكمة ابو علي ابن عبد الله ابن سيناء الرئيس وكان ابوه من اهل بلخ وانتقل منها الى بخارا في ايام نوح ابن منصور . وتزوج ابوه من قرية يقال لها افشنه فولدت له ابا علي الشيخ الرئيس بها . ثم ولد له اخ ثم انتقل مع اولاده الى بخارا . وحرص

ابوه ان يعلمه العلوم فقرأ القرآن وعلم الادب وهو ابن عشر سنين حتى كان يتعجب منه كثيرًا • وتوفي ولده الاصغر و بقي ابو عبد الله وولده الحسين ابو علي الرئيس وتعلم المنطق واخذ يطالع الكتب ورغب في علم الطب وفتح الله عليه ابوابًا لا تفتح على غيره ودرس كتب اقليدس وعالج في المجربات وامتحن اجودها وكان يقضي ليلته ساهرًا في المطالعات بالكتب • واذا ادركه النعاس كان يشرب يسيرًا من الخمر الى ان تعود اليه قوته • وكان اذا نام يحلم بما افتكر به من المسائل العلمية في عقله • وقد بلغ في علم الطبيعيات والمنطق وعلم الهيئة درجة لم يبلغ اليها غيره • ولما كمل العلوم ومات ابوه وله من العمر ست عشرة سنة انتقل الى جرجان • وصنف هناك كتاب القانون المختصر المجسطي • ثم انتقل الى الرها واتصل بخدمة السيدة مجد الدولة وابنها • ثم خرج الى همذان وتقلد الوزارة فهاج العسكر عليه وباغتوه في داره واخذوه الى السجن • وضبطوا جميع ما كان يملكه • ثم نفوه فاختفى عند بعض اصدقائه اربعين يومًا الى ان احتاج اليه شمس الدولة فاحضره وقلده الوزارة ثانية • ولما مات شمس الدولة وتولى ولده مكانه طلب ان يستوزر الشيخ الرئيس كما كان في زمان ابيه • فابى الشيخ عليه ذلك واختبأ في دار ابي غالب العطار • وهناك جدّد تآليفه الكثيرة في الطبيعيات والالهيات ماخلا كتابي الحيوان والنبات • وكاتب علاء الدولة سرًّا يطلب المسير اليه فاتهمه تاج الدولة بمكاتبته وانكر عليه ذلك فحث في طلبه • فدل عليه بعض اعدائه • فاخذوه وارسلوه الى قلعة يقال لها بردجان وانشأ هناك قصيدة على نفسه ومنها هذا البيت

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في امر الخروج

و بقي الشيخ هناك اربعة اشهر • ثم اخرجوه وحملوه الى همذان • ثم خرج منها متنكرًا في زي الصوفية الى ان وصل الى اصفهان • وحصل من علاء الدولة على الاعزاز والاكرام • وصنف هناك كتبًا كثيرة • وكان الشيخ الرئيس قوي القوى كلها وكانت قوته للمجامعة اقواها • فاشتغل فيها كثيرا فاثر ذلك في مزاجه وقوي عليه مرض القولنج فحقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات • فتقرحت امعاؤه وظهر به سحج وعرض له الصرع الذي يتبع القولنج وضعف حتى لم يقدر على القيام • ولم يزل يعالج نفسه حتى توفي ودفن بهمذان وعمره ثمان وخمسون سنة ومات سنة ٤٢٨ هـ وقال فيه بعضهم

ما نفع الرئيس من حكمة الطب ولا حكمه على النيرات

ما شفاه الشفاء من ألم الموت ولا نجاه كتاب النجاة

وكان يقول ان اطال الله اجلي مددت يدي الى عمل اطول . وقيل اول حكيم تقرب من خدمة الملوك ارسطوطاليس وكان الحكماء قبله مثل فيثاغورس وسقراطيس وافلاطون يترفعون عن ذلك ولا يقربون ابواب السلاطين والملوك . ومما يدل على ذلك ان بعض ملوك اليونانيين كان مجتازاً بمكان فيه سقراطيس جالساً فلما دنا منه وهو لم ينهض ولم يتحرك من مكانه تقدم اليه بعض الغلمان ورفسه برجله فقال له لمَ ترفسني فقال له اما تبصر الملك . كيف لا تنهض وتقوم له . فاجابه سقراطيس قائلاً كيف اقوم لعبد عبدي . فقال الملك وهل انا عبد عبدك . فقال نعم . لانك انت استعبدتك الدنيا وانا زهدتها واستعبدتها فهي عبدي . وانت عبدها . فاستحسن الملك ذلك الكلام وخلع عليه فلم يقبل . قيل وكان اول حكيم شغف في شرب الخمر واستفراغ الشهوات الحيوانية الشيخ ابا علي الرئيس ابن سينا . وكان الحكماء تقول له لمَ لا توقي جسمك فيقول اني اخترها عريضة لا طويلة . وكان بعده تلميذه ابو سهل المسيحي وكان طبيباً فاضلاً منطقياً عالماً وله ذكر عظيم في بلاد خراسان وله كتاب يعرف بالمائية كتاب مشهور ومات وعمره اربعون سنة

وفي السنة ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م قصد السلطان الب ارسلان محمد بن داود جغري بيك ماوراء النهر فعقد على جيحون جسراً وعبر عليه . وكان عسكره مائتي الف فارس ونيف . فاتاه اصحابه بمستحفظ قلعة اسمه يوسف الخوارزمي . وحمل الى قرب سريره مع غلامين . فأمر ان يضرب له اربعة اوتاد و يشد اطرافه اليها . فقال له يوسف يامخنث امثلي يقتل هذه القتلة . فغضب السلطان واخذ القوس والنشاب بيده . وقال للغلامين اتركاه . فتركاه . فرماه السلطان بسهم فاخطأه . فوثب يوسف يريده . فقام السلطان عن السرير ونزل هاجماً عليه فعثر فوقع على وجهه . فوثب يوسف اليه وضربه بالسكين التي كانت بيده في خاصرته فهجم الغلامان وقتلوا يوسف . وادخلوا السلطان الى خيمة اخرى وهو مجروح بجرح مميت . فاوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه . وقام بوزارته نظام الملك ولقبه اتابك (اسم وزيره) (وكان عمره اربعين سنة و بعض اشهر حين قتل وكانت مدة ملكه تسع سنين وستة اشهر) . وفي هذه السنة فتح بيت المقدس عن يد نصر التركماني واقام الخطبة للعباسيين . و بطلت خطبة المصريين . وكانت غرارة القمح قد بلغت سبعين ديناراً من شدة الحصار . وفي هذه السنة بنى حسان ابن سامر الكابي قلعة صرخد وكتب على بابها امر بعمارة هذا الحصن المبارك الامير الاجل

مقدم امراء العرب عز الدين فخر الدولة عن يد امير المؤمنين بعهد المستنصر بالله ابن امير المؤمنين علي الظاهر لاعزاز دين الله . وفي هذه السنة توفي عبد الله ابن محمد سعيد الشاعر الفصيح تلميذ ابي العلاء المعري ومن اشعاره قال

نعم الانيس كتابٌ ان خانك الاصحابُ تدال منه فنونًا تحط بهو تناب
لا مظهر لك سرًّا ولا عليه حجاب ولا يصدك عنه ان جئته بوّاب
ولا يسوءك منه تغضُّب وعتاب خلاف قوم تراهم لبست بهم الباب
لكنهم كذباب طلس عليهم ثياب اذا تقربت منهم ارضاك منهم خطاب
وان تباعدت عنهم فكلهم مغتاب فالبعد عنهم ثواب والقرب منهم عقاب

﴿ومن قوله ايضاً في ولد اسمه عمر﴾

عادني من وجهه روضةٌ مشرقةٌ يمزج فيها البصر
فانظر معي تنظر الى معجز سيف علا بين جفني عمر

وله ايضاً

وقد حسدت على موتي فواعجبي حتى من الموت لا اخلو من الحسد
ما بعتكم مهجتي الا بوصلكم ولا اسلمها الا يدًا بيد
فان وفيتم بما قلتم وفيت انا وان غدرتم كان الرهن تحت يدي

وفي السنة ٤٤٦ هـ = ١٠٧٣ م حاصر ناصر الدولة بن حمدان مصرًا واخذها . ثم قتل . ثم حكم بمصر امير الجيوش بدر الجمالي وعدل فيها وقرر امورها واصلح احوال المستنصر العلوي ثم عاد الى سواحل الشام مكانه)

وفي السنة ٤٦٧ هـ = ٠٧٤ ام ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بامر الله ابو جعفر بن القادر ابن الامير اسحق بن المقتدر بن المعتضد وكان عمره ٦٦ سنة وشهورًا ومدة خلافته اربع واربعون سنة وشهور . ولما ايقن بقرب موته احضر النقيبين وقاضي القضاة والوزير بن جهير (وقيل بن جهين) واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه ابا القاسم عبد الله بن محمد ابن القائم ولي عهده

الفصل السادس والعشرون

في خلافة المهتدي بالله وهو السادس والعشرون من العباسيين

ولما توفي القائم بامر الله بويع بالخلافة كما ذكر ابن ابنه عبد الله بن محمد ولقب المهتدي بالله وكان ابوه مات في حياة جده القائم بامر الله وكان لقبه ذخيرة الدين وكانت له جارية اسمها ارجوان فولدت عبد الله هذا المقتدي بعد وفاة ابيه بستة اشهر وسر به القائم سروراً عظيماً ٠ وفي هذه السنة جمع ملكشاه ونظام الملك المنجمين ونقل النيروز من نصف الحوت الى اوّل الحمل

(وفي السنة ٤٦٨ هـ = ١٠٧٥ م سار اقسيس الخوارزمي وهو احد الامراء من عسكر السلطان ملكيشاه الى دمشق فحاصرها ٠ فغلت الاسعار وبيعت الغرارة باكثر من عشرين ديناراً فسلموها اليه بالامان ٠ وخطب بها للمقتدي الخليفة العباسي وكان اخر ماخطب فيها للعلويين المصريين ٠ وتغلب الاقسيس على اكثر الشام ٠ وفي هذه السنة عادت الخطبة بمكة للعباسيين وبالمهدية وافريقية ايضاً ٠ وفيها توفي الشريف العباسي ابو جعفر مسعود بن عبد العزيز المعروف بالبياضي وله اشعار حسنة منها

كيف يذوي عشب اشوا ... قي ولي شرف مطير

ان يكن في العشق حر ... فانا العبد الاسير

او على الحسن زكاة ... فانا ذاك الفقير

ومن قوله

يامن لبست لبعده ثوب الضنا ... حتى خفيت به عن العواد

وانست بالسهر الطويل فانسيت ... اجفان عيني كيف كان رقادي

ان كان يوسف بالجمال مقطع الا ... يدي فانت مقطع الاكباد

وفي السنة ٤٦٩ هـ = ١٠٧٦ م سار الافضل ابن امير الجيوش الجمالي الى القدس ٠ وبها سكمان ابن ارتق فحاصرها ونصب عليها المجانيق اربعين يوماً فطلبوا منه الامان ٠ وفتحوا له الباب ٠ وخرج سكمان من باب اخر ومضى الى الرها ٠ وفي هذه السنة دل المنجمون انه سيكون طوفان على الارض يقارب طوفان نوح ٠ فاحضر الخليفة ابن عيسون المنجم وسأله عن ذلك ٠ فقال له ان طوفان نوح كانت فيه السبعة كواكب مجتمعة في برج

الحوت والان مجتمعه السنة · وليس بينها زحل · فخافوا على بغداد لكثرة ما يجتمع فيها من الخلائق في زمن الحج · واتفق ان الحجاج نزلوا في وادي المناقب فاتهم سيلة عظيمة وغرق اكثرهم ونجا من تعلق بالجبال

(وفي السنة ٤٧٢ هـ = ١٠٧٩م سار شرف الدولة مسلم ابن قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب صاحب الموصل الى حلب وملكها بعد حصارها سنة · واستنزل من قلعتها سابقًا ووثابًا ولدي محمود ابن نصر ابن صالح ابن مرداس واقره السلطان ملكشاه على ذلك · واستمر الى ان فتح سليمان ابن قطلميش السلجوقي انطاكية سنة ٤٧٧هـ · وكانت بيد الروم من سنة ٣٥٨هـ · فارسل شرف الدولة يطلب ان يحمل اليه الجزية من سليمان ابن قطلميش فاجابه ان الذي كان يحمل اليك كافر وانا مسلم · فركب اليه واقتتلا · فقتل شرف الدولة · وقتل بين يديه اربعماية من احداث حلب · وارسل سليمان ابن قطلميش يطلب حلب فمنعوها عنه فركب اليها وقاتل وانهزم عسكره عنه فقتل نفسه · وسار السلطان ملكشاه الى حلب وملك في طريقه حرّان فاستنقذ الرها من يد الروم · واتخذ قلعة جعبر من صاحبها سابق الدين جعبر الاعمى وكان اسمها قبل ذلك الدوسرية · ولما وصل الى حلب دخل الامير نصر ابن علي بن منقذ صاحب شيزر تحت طاعته ثم اسلم حلب الى ابن سنقر وارتحل عنها الى بغداد واقام بها

وفي السنة ٤٧٣ هـ = ١٠٨١م ذكر في تواريخ الروم انه في هذه السنة وقع اختلاف بين الملك ميخائيل البارانيا و بين الشعب فانتخبوا مكانه ملكاً نيكوفورس الفوطانياتي وكان ملك الملك ميخائيل ست سنين

وفي السنة ٤٧٤ هـ = ١٠٨١م توفي نور الدولة دبيس الاسدي وكان عمره ثمانين سنة وكانت مدة امارته سبعًا وخمسين سنة وكان مذكورًا بالفضل والاحسان · وولي بعده ولده منصور واقب بهاء الدولة فاحسن السيرة · وسار الى السلطان ملكشاه فاستقر له الامر · وخلع الخليفة ايضًا عليه

وفى السنة ٤٧٩ هـ = ١٠٨٦م توفي بهاء الدولة وتولى على الحلة والنيل وجميع ما كان لابنه سيف الدولة صدقة · وفي هذه السنة ذكر في تواريخ الروم كان وفاة نيكفورس الفوطانياتي ملك الروم وكانت مدة تملكه ثلاث سنين بكل هدو وسلامة و بعد وفاته تملك مكانه على الروم هيلاكيوس الكوفيس

(وفي السنة ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧م ملك يوسف بن تاشفين غرناطة من الاندلس

وانقرضت دولة الصناهجة واجتمع اليه اهل الاندلس وكسر الافرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً وعمل من رؤوسهم تلاً عالياً واذن عليه وتسمى امير المسلمين وملك غالب الغرب

وفي السنة ٤٨٢ هـ = ١٠٨٩م عمر القاضي ابو الحسن ابن الخشاب منارة جامع بحلب

وفي السنة ٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م جاء السلطان ملكشاه الى بغداد وحضر اليه اخوه تتش من دمشق واقسنقر من حلب وغالب نوابه من الاعمال . وعمل الميلاد واحتفل له الناس وامتدحه الشعراء وامر بعمارة الجامع المعروف بجامع السلطان ببغداد . وفيها توفي ارتق ابن اكسك التركماني جد ملوك ماردين بالقدس واستقر بالقدس ولداه ايلغازي وسقمان واستقرت بيدهما الى ان سار الافضل امير الجيوش من مصر اليها واخذها)

وفي السنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢م قتل نظام الملك الوزير بالقرب من نهاوند قتله صبي ديلمي من الباطنية اتاه في صورة مستمنح او مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضي عليه . وكان نظام الملك وزيراً للسلاطين ثلاثين سنة سوى ما استوزر لالب ارسلان . وهو صاحب خراسان ايام عمه طغرلبك قبل ان يتولى السلطنة وكان عمره سبعاً وسبعين سنة (وكان حسن السيرة والشكل وخطب له من حدود الصين الى اخر الشام ومن اقاصي بلاد المسلمين في الشمال الى بلاد اليمن . وكانت ايامه ايام عدل وامن عمرت البلاد في ايامه وكثرت الارزاق . وبنى المصانع بطريق مكة وكان يحب الصيد ويتصدق من كل صيدة منه بدينار حتى انه اصطاد مرة عشرة آلاف فتصدق بعشرة الاف دينار) وكان سبب قتله ان عثمان بن جمال الملك كان قد ولاه جده رئاسة مرو . وارسل السلطان اليها شحنة برئاسة قائد اسمه قودن وهو من خواصه . فنازع عثمان في شيء فحملت عثمان حداثة سنه وطمعه بجده على ان قبض عليه واخرق به ثم اطلقه فقصد السلطان مستغيثاً شاكياً فارسل السلطان الى نظام الملك رسالة يقول له . ان كنت شريكي في الملك فامدد للحكم يدك . وان كنت نايبي فيجب ان تلزم حد التابعية والنيابة وهؤلاء اولادك قد جاوزوا حد السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا . فحضر المرسلون عند نظام الملك واوردوا عليه الرسالة فقال . قولوا للسلطان ان كنت ماعلمت اني شريكك في الملك فاعلم . فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي . اما تذكر حين قتل ابوك فقمت بتدبير امرك وقمت الخوارج عليك من اهلك وغيرهم . وانت ذلك الوقت كنت تتمسك بي . فلما قدت

الامور اليك واطاعك القاصي والداني اقبلت تتجنى لي الذنوب وتسمع في الوشايات . وقولوا له عني ان ثبات تلك القلنسوة معزو الى هذه الدواة . وان اتفاقهما سبب كل غنيمة ومتى اطبقت هذه الدواة زالت تلك . واطال فيما هذا سبيله . ثم قال قولوا للسلطان عني مهما اردتم . فقد اهمني ما لحقني من توبيخه وفت في عضدي . فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ماجرى عن السلطان فقالوا له مامضمونه العبودية والاعتذار . ثم ان واحداً منهم اعلم السلطان بما جرى فوقع التدبير عليه حتى قتل بتلك الواسطة التي ذكرت سابقاً اذ كان الغلام الديلمي المذكور مرسل من قبل السلطان لاتمام ذلك . ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوماً . وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه النبوة . وقيل ان ابتداء امر نظام الملك انه كان من ابناء الدهاقين بطوس وتعلم العربية وكان كاتباً للامير ياحر (وقيل باجر وقيل تاجر وقيل باخر) صاحب بلخ وكان الامير يصادره في رأس كل سنة و ياخذ مامعه و يقول له . قد سمنت ياحسن وهرب الى جغري بيك داود وهو بمرو فدخل عليه . فلما رآه اخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذه والداً ولا تخالفه . وكان نظام الملك اذا دخل اليه الائمة والاكابر لايقوم لهم و يجلس في مسنده . وكان له شيخ فقير اذا دخل اليه يقوم له و يجلسه في مكانه و يجلس هو بين يديه . فقيل له في ذلك فقال ان اولئك اذا دخلوا الي يثنون علي بما ليس في فيزيدني كلامهم عجباً وتيهاً وهذا يذكرني عيوب نفسي وما انا فيه من الظلم . فتنكسر نفسي لذلك فارجع عن كثير مما انا فيه . وكان مجلسه عامراً بالعلماء واهل الخير والصلاح واكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ماقيل قول شبل الدولة

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من شرف
بدت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الى الصدف

ثم سار السلطان ملك شاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان و اتفق ان خرج الى العيد . وعاد ثالث شوال مريضاً . وكان سبب مرضه انه اكل لحم صيد فحم فافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل في مرضه وكانت حمى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال فسترت زوجته تركان خاتون معرفة موته وكتمته وسارت من بغداد والسلطان معها محمول وبذلت الاموال للامراء واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك وزيرها يتولى ذلك لها . وارسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة فاجابها

وخطب الى محمود وعمره اربع سنين ولقب ناصر الدنيا والدين . وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصفهان و بها تركيارق وهو اكبر اولاد السلطان . فخرج منها هو ومن معه من الامراء النظامية وساروا نحو الري . فسيرت خاتون العساكر الى قتال تركيارق فانحاز جماعة منهم الى تركيارق و يروى بركيارق فقوي بهم وعاد الى اصفهان وحاصرها وكان تاج الملك مع عسكر خاتون . فاخذ وحمل الى تركيارق فهجم النظامية عليه وقتلوه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى محاسنة ممالاته على قتل نظام الملك

وفي السنة ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م قدم بركيارق بغداد وخطب له بالسلطنة ولقب ركن الدين . وفي ١٥ محرّم توفي الامام المقتدي بامر الله فجأة . وكان قد احضر عنده تقليد السلطان برقيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه . ثم قدم اليه طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار . فقال لها ماهذه الاشخاص التي دخلت علي بغير اذن . قالت فالتفت فلم ارشيئاً . ورايته قد تغيرت حالته وانحلت قوته وسقط الى الارض ميتاً . وقالت الجارية عندي . ان صحت قتلتك . واحضرت الوزير فاعلمته الحال . فشرعوا في البيعة لولي العهد . وجهزوا المقتدي ودفنوه وكان عمره ثمانياً وثلثين سنة وثمانية اشهر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية اشهر . وامه ام ولد ارمنية تسمى ارجوان ادركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر وخلافة ابن ابنه المسترشد . وفي ايامه توفي يحيي ابن عيسى الطبيب البغدادي (او بالتدقيق سنة ٤٧٣ هـ) وكان نصرانياً قد قرأ الطب على نصارى الكرخ الذي كانوا في زمانه واراد قراءة المنطق فلم يكن في النصارى من يقوم بهذا الشان (ثم ذكروا له ابو علي بن الوليد شيخ المعتزلة بانه عالم بعلم الكلام والمنطق فلازمه لقراءة المنطق ولم يزل ابن الوليد يحسن له الاسلام حتى استجاب له واسلم عن يده فسر باسلامه ابو عبد الله الدامقاني قاضي القضاة يومئذ وقرّبه منه ورفع محله بان استخدمه في كتابة السجلات بين يديه وكان مع اشتغاله بذلك يطبب اهل محلته وسائر معارفه بغير اجرة ويحمل اليهم الادوية بغير عوض وله تصانيف في علوم كثيرة منها كتاب منهج الدكان وكتاب تقويم الابدان

الفصل السابع والعشرون

في خلافة المستظهر بن المقتدي وهو السابع والعشرون من العباسيين

ذكر ابو الفرج انه بعد وفاة المقتدي بويع بالخلافة الى ولده ابي العباس احمد ولقب المستظهر بالله . (وفيها جمع تتش بن الب ارسلان على آقسنقر صاحب حلب واقتتلا على تل سلطان وقتل اقسنقر صبراً . وملك تتش حلب وحران والرها و بلاد الجزيرة وديار بكر . وفيها توفي امير الجيوش بدر الجمالي بمصر في ربيع الاول وعمره فوق الثمانين وكان هو الحاكم في ايام المستنصر العلوي و بعده ولده الافضل . و بعده في ذي الحجة توفي المستنصر العلوي ابو تميم معد بن القاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامر الله وكانت خلافته ستين سنة واربعة اشهر وعمره سبع وستون سنة وكانَ طويل الروح قليل الشر . لقي ضيقاً كثيراً حتى لم يبق له سوى سجادة يجلس عليها . وولي الخلافة بعده بمصر ولده ابو القاسم المستعلي بالله

(وفي السنة ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م قتل تتش ابن الب ارسلان قتله ابن اخيه برقيارق . وفيها قتل احمد خان صاحب سمرقند قتله علماؤُها بعد ثبوت زندقته خنقاً وولي بعده ابن عمه مسعود . وكان لتتش ولدان رضوان ودقاق فملك رضوان حلب ودقاق دمشق . وفيها مات المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية مسجوناً باغمات وله اشعار مشهوره واخبار حسنة . وفيها ترك الغزالي درس النظامية ببغداد ولبس الخشن وتوجه الى الحجاز ثم عاد الى بغداد) . ولما تولى الخلافة في مصر المستعلي بالله بدل ابيه وكان عمره يومئذ خمس سنين تولى امره وزير ابيه ابن الصير في فكتب سجلاً يعلم الناس بخلافته . وهو هذا . وقرىء على رؤوس الاجناد والامراء واوله «من عبد الله ولي ابي علي المستعلي امير المؤمنين الى اولياء الدولة وامرائها وقوادها واجنادها ورعاياها كافة شريفهم ومشروفهم . وامبرهم ومأمورهم في مغربهم ومشرقهم . كبيرهم وصغيرهم والسلام عليهم . فان امير المؤمنين يحمد الله الذي لا اله الا هو . ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتمة النبيين . اما بعد حمد الله المنفرد بالثبات على الدوام . الباقي على تصرم الليالي والايام . القاضي على اعمار خلقه بالنقض والانصرام . الجاعل نقص الامور معقود بكمال الاتمام . وجاعل الموت حكماً يستوي فيه جميع الانام . ومنهلاً لا يعصم من وروده كرامة نبيّ ولا امام . والقائل معزياً

لبنيه وكافة امته «كل من عليها فان . و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» . الذي
استدعى الائمة من هذه الامة . ولم يخل الارض من انواره لطفاً بعباده ونعمه . وجعلهم
مصابيح الشبه اذا غدت داجية مدلهمة لتضيء للمؤمنين سبل الهداية . ولا يكون امرهم
عليهم غمه . يحمده امير المؤمنين حمداً متكاثراً على ما تقلد فيه من ذرع الافاقة . ونقله
اليه من ميراثه الخلافة صابراً على الرزيئة التي اطال هجومها الباب . والفجيعة التي اطال
طروقها الاسف والاكتئاب . و يسعى له ان يصلي على جده محمد خاتمة انبيائه . ومجلي
غياهب الكفر . ومكشف عماية الدين . قام بما استودعه الله تعالى من امانته . وحمله
من اعباء رسالته . ولم يزل هادياً الى الايمان . داعياً الى الرحمن حتى اذعن المعاندون .
واقر الجاحدون . وجاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون . فحينئذ انزل الله تعالى اتماماً
لحكمته التي لا يعترضها المعترضون . ثم انكم بعد لمائتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون .
صلى الله عليه وعلى اخيه وابن عمه ابينا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب الذي اكرمه
الله بالمنزلة العلية . وانتجبه للامانة رانة بالبرية وخصه بغوامض علم التنزيل . وجعل له
مزية ومزية التفضيل وقطع بسيفه دابر من ذل على القصد . وضل عن سوء السبيل
وعلى الائمة من ذريتهما العطرة الهادية من سلالتهما ابائنا الاسرار المصطفين الاخيار
فانصرفت الاقدار . وتوالى الليل والنهار . وان ابانا المستنصر بالله امير المؤمنين . قدس
الله روحه كان ممن اكرمه الله تعالى واستخلفه في ارضه كما استخلف اباؤه من قبله . وايده
بما استرعاه اياه بهدايته وارشاده . وامره بما احتفظه عليه بمواد توفيقه واسعاده . ذلك
فضل الله يوتيه من يشاء من عباده . فلم يزل لاعلام الدين رافعاً ولشبه المضلين دافعاً .
ولراية العدل ناشراً . و بالنداء عامراً وللعداء قاهرا . الى ان استوفى المدة المحسوبة .
و بلغ الغاية الموهوبة . فلو كانت الفضائل تزيد في الاعمار . او تحمي عن صروف
الاقدار . او توخر ماسبق تقديمه في علم الواحد القهار . لحمى نفسه النفيسة . كريم
مجدها . وشريف علمها . وكفاها خطير منصبها . وعظيم هيبتها . وواقعها افعالها التي
تستسقي من منبع الرسالة . وصانتها خلالها التي ترتقي الى مطلع الجلالة . لكن الاعمار
محررة مقسومه . والاجال مقدرة معلومة . والله تعالى يقول و بقوله يهتدي المهتدون . ولكل امة
اجل . فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستاخرون . فامير المؤمنين يحتسب عند
الله هذه الرزيئة التي عظم امرها فرح . وجرح خطبها وقدح . وغدت لها القلوب واجفة .
والامال كاسفة . ومضاجع السكون منقبضة . ومدامع العيون مرفضة . فانا لله

وانا اليه راجعون . صبرا على بلائه . وتسليماً لامره وقضائه . واقتداء بمن اثنى عليه في الكتاب . انا وجدناه صابرًا نعم العبد انه أواب . وقد كان المستنصر بالله قدس الله تعالى روحه . عند نقلته جعل له عقد الخلافة من بعده . واودعني ما حازه من ابيه عن جده . وعهد اليّ ان اخلفه في العالم . واجري كل العدل والاحسان على منهجه المتعالم . واطلعني من العلوم على السر المكنون واحضر اليّ من الحكمة بالغامض المصون . واوصاني بالعطف على البرية . والعمل فيهم بسيرة مرضية . على عليّ بما جبلني الله عليه من الفضل وخصني به من ايثار العدل . وانني فيما استرعانيه سألك منهاجه . عامل بموجب الشرف الذي عصبه الله في تاجه . وكان مما القاه اليّ واوجبه عليّ ان اعلي محل السيد الاجل الافضل من قلبه الكريم . وما يجب له من التجبيل والتكريم . وان الامام المستنصر بالله كان عندما عهد اليه . ونصر بالخلافة عليه . اوصاه ان يتخذ هذا السيد الاجل خليفة وخليلاً . ويجعله للامة زعيماً وكفيلا . ويصدق به امر النظر والتقدير ويفوض اليه تدبير ما وراء السرير . وانه عمل بهذه الوصية وحذا على تلك الامثلة النبوية . واسند اليه احوال العساكر والرعية . وناط امر الجميع بعزته الماضية وهمته العلية . وكان قلمه بالدواء يرجف ولا يخف . وسيفه من دماء ذوي العناد يكف ولا يكف . ورأيه في حسم مولى الفساد يرجح ولا يخف . فاوصاني ان اجعله لي كما كان له صفياً وظهيرًا . وان لا استر عنه في الامور صغيرًا ولا كبيرا . وان اقتدي به في رد الاحوال الى تكافه واسناد الاسباب الى تدبيره . والتاهب بتاهب الخطب ومنقله الى غير ذلك مما استودعني اياه والقاه اليّ من النص الذي لا يتضوّع نشره وزياه نعمة من الله قضت لي بالسعد العميم . ولله شهدت بالفضل المتين والحظ الجسيم . والله يؤتي ملكه من يشاء . والله واسع عليم . فتعزوا معاشر الاولياء والامراء والقواد والاجناد والرعايا والخدام . حاضركم وغايبكم ودانيكم وقاصيكم عن الامام المنقول الى جنات الخلود . واستبشروا بامامكم هذا الامام الحاضر الموجود . وابتهجوا بكريم نظره المطلع لكم بكوكب السعود . ولكم من امير المؤمنين ان لا يغمض جفناً عن مصابكم . وان يتوخى ما عاد بامنكم ونجاحكم . وان يحسن السيرة فيكم ويرفع اذى من يعاديكم و يتفقد مصلحة حاضركم وباديكم . ولامير المؤمنين عليكم ان تعتقدوا موالاته بخالص الطوية ويجمعوا له في الطاعة بين العمل والنية . وتدخلوا في البيعة بصدور منشرحة وامال منفسحة . وضمائر يقينية . وبصائر في الولاء قوية . وان تقدموا بشروط بيعته . وتنهضوا بفروض نعمته

وتبذلوا الطارف والتالد في حقوق خدمته . وتقربوا الى الله سبحانه وتعالى بالمناصحة لدولته . وامير المؤمنين يسأل الله تعالى ان تكون خلافته كافلة بالاقبال . ضاء عنه ببلوغ الاماني والامال . وان يجعل ديمها دائمة الخيرات . وقسمها نامية على الاوقات ان شاء الله تعالى . واقام الآمر باحكام الله تعالى خليفة الآن في ذي القعدة سنة اربعماية وسبعة وثمانين

فصل

في الحروب الصليبية

(قبل ان نبتدئ بوقائع هذه الحروب نذكر الاسباب التي الجأت اليها . فنقول انه عندما ضعفت قوات الخلافة العباسية . وصار العمال الذين على الولايات يستبدون بالاحكام وكلٌ منهم يضاد الاخر وقامت الدولة العلوية في مصر وتغلبت على كثير من الاقاليم وخضعت لها اكثر الولايات والاقطار . ثم في مثل هـذا الوقت ظهرت دولة الاتراك السلجوقية وهاجمت بلاد الشام والقدس واخذتها . فكثرت المظالم على المسيحيين الحجاج وذاقوا من مرارات العذاب والاضطهاد مايلين له الصخر الاصم . وكانت ايضاً زادت غيرة كثيرين من المسيحيين لزيارة الاماكن المقدسة في اورشليم و بيت لحم . وقام ابو علي المنصور الحاكم بامر الله وامر بهدم كنيسة القيامة في القدس و بقدر ازدياد الاضطهاد والعذابات على الحجاج المسيحيين بقدر ذلك ازداد عددهم و كانوا يحضرون بالالوف و يرجعون بالمئات و يحضرون بالمئات و يرجعون بالعشرات فان المسلمين والاتراك لم يتركوا نوعاً من العذاب والاضطهاد الا وعملوه مع المسيحيين . ومع ذلك كان يزداد عددهم . وهولاء يرجعون الى اوروبا و يخبروا اهاليهم وممالكهم عما قاسوه واحتملوه من المسلمين

ثانياً ان بطر يرك القدس نفسها كتب مراراً لجميع الملوك المسيحيين ي تنهض غيرتهم للمجيء لمساعدته وانقاذ البلاد من حكم الظالمين فانهم لم يكتفوا باضطهاد الشعب بل اتصلت تعدياتهم للبطر يرك نفسه فكانوا يمسكونه بشعره ويجرونه في الاسواق و يوسعونه ضرباً وعذاباً حتى يسترضيهم بمبالغ من المال فيتركوه

وثالثاً ان ملك القسطنطينية خاف كثيراً على مملكته من هجوم المسلمين وكتب

يستنهض ملوك اوربا بان ياتوا لمساعدته . وليس ذلك فقط بل رضي بطريرك القسطنطينية بان يقدم خضوعه لبابا رومية اذا كانت ممالك اوروبا تجهز جيشاً لتخليص المملكة اليونانية مما يتهددها من هجوم الاتراك والمسلمين عليها ولذلك كاتب الملوك الاوروبية بذلك

ورابعاً قيام بطرس الناسك الخطيب الشهير من امينس وجولانه في اكثر الممالك الاوربية يخطب و يهيج الشعوب لهذه الحرب . وساعده البابا نفسه فانه حضر الى فرنسا واستدعى التئام مجمع مخصوص للتاهب لهذه الحرب)

وفي السنة ٤٨٩ هـ = ١٠٩٥ م تنبأ المنجمون بحدوث طوفان على الناس يقارب طوفان نوح . فاحضر الخليفة ابن عيسون المنجم فسأله . فقال . ان في طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والان قد اجتمع ستة منها وليس فيها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكني اقول ان مدينةً او بقعةً من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون . فخافوا علي بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد . فاحكمت المسنيات والمواضع التي يخشى منها الانفجار . فاتفق ان الحجاج نزلوا في وادي المناقب فاتاهم سيل عظيم فاغرق اكثرهم ونجا من تعلق بالجبال . وذهب المال والدواب والزاد . فخلع الخليفة علي المنجم . وفيها وردت مكاتيب من الكسيس ملك الروم الى اوربانوس الثاني بابا رومية يطلب النجدة منه ومن سائر ملوك النصارى ضد جيوش المسلمين الذين تملكوا اكثر اصقاع الروم . وجدوا في المقاومة حتى بلغوا القدس لانه قد كان ورد مكاتيب من سمعان بطريرك بيت المقدس يخبر فيها بالاهانات والمظالم الصائرة على المواضع المقدسة على النصارى . فتوجه البابا المذكور الى بلاد فرنسا وعمل مجمعاً في مدينة كليرمنة وارسل قسيسين الى الملوك يحثهم على استخلاص الاماكن المذكورة من ايدي المسلمين . وارسل غفراناً لكل من يجاهد بهذا السفر . ولكن بما انه كان بين الروم والافرنج اختلاف قديم بخصوص قانون الايمان والانبثاق شرع البابا بعمل مجمع بين الملوك لاجل الاتفاق وتجهيز العساكر في مدينة باريز . وحضر فيه علماء ورؤساء من الحزبين . وبعد محاورات شديدة سلم الروم لرأي البابا . واعترفوا بالانبثاق وصار فرح عظيم عند الجميع . وكثر عدد الذين طلبوا السفر لاستخلاص ارض الميعاد فمنعوا كثيرين عن ذلك ولم يأذنوا في السفر الا الى الابطال الاشداء . وفي هذه السنة سار شمس الملوك دقاق صاحب دمشق الى بعض سواحل البحر . فلما بلغ ذلك

اخاه الملك رضوان صاحب حلب وكان بينه و بين اخيه مشاجرة جمع عسكرًا عظيماً وصار قاصدًا دمشق وهي خالية من العساكر . فاغلق اهلها ابواب المدينة ضده وركبوا خارج الاسوار وقاتلوا اشد قتال فوقع حجر المنجنيف على راس قائد الجيش فقتل وسكنت الحرب وعادوا الى الخيام . وعند ماسمع الملك دقاق بقدوم اخيه رجع الى دمشق . فرحل رضوان عنها وارسل يستنجد بالمستعلي صاحب مصر فلم ينجده . فرجع الى حلب وقطع خطبة المستعلي على المنابر واعاد الخطبة لبني العباس . وفي هذه السنة سار الافضل ابن امير الجيوش الى القدس وهي بيد سكمان ابن ارتق . فحاصرها اشد حصار مدة اربعين يومًا ونصب عليها المنجنيقات . ثم تملكها بالامان وهرب سكمان من القدس الى الرها ومنها الى مدينة ارفا

وفي السنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م قصد الافرنج السفر لتخليص القدس من يد الاتراك والعرب نظرًا لما كان يلقى حجاجهم من الاضطهادات والمضايقات منهم . ولما بلغتهم كتابات بطريرك القدس . وكتابات من فرنسا ومن ايطاليا ومن جرمانيا . وكل من تحركت همته لهذا الجهاد وضع على صدره رسم صليب احمر . ثم اتخذوا راية مشتركة عليها رسم الصليب فلقبوا بالصليبين . ولما ارتحلوا شتى البعض منهم في نواحي ادرنه والبعض في بلاد البلغار والبعض وصلوا الى القسطنطينية . وقصدوا ان تكون الطريق على القسطنطينية . اولاً لانها اسهل واقرب . وثانياً لان ملك الروم كان طلب معونتهم على المسلمين وايضاً كان بتدبير بابا رومية ان يشترطوا خضوع بطريركية القسطنطينية بتخليصها ومساعدته على المسلمين . ولكنهم تحملوا مشقة عظيمة من الجوع والعطش فهلك منهم نحو ثلاثين الفاً . وكثيرٌ منهم قصدوا الرجوع . وكان قواد الجيوش اوجون ابو فيلبس ملك فرنسا وجوفراد (او كدفروا) دوق لورين السفلى . واخواه بلدوين ودومستاق و بلامنداامير ترنته . وروبرت امير نورمندي . واديار اسقف فوجوس وبطرس الناسك . فهؤلاء قادوا الجيوش الى القسطنطينية وكان ملك الروم في ذلك الاوان الامبراطور الاكسيوس . فاستقبلهم بكل اكرام ولكنه لم يخل من المكر والحسد وصار الشرط بينه و بينهم ان جميع ما يتملكونه من المسلمين في بلاد الروم قبل دخولهم الى بلاد الشام يكون له . وفيها قتل ملك خراسان ارسلان ارغون ابن الب ارسلان ابن اخي السلطان ملكشاه قتله غلام تركي له . فقيل له لمَ فعلت هذا . فقال لاريح الناس من ظلمه ثم ملك بركيارق خراسان وسلمها الى اخيه الملك سنقر

وفي السنة ٤٩١هـ=١٠٩٧م خرجت عساكر الافرنج من القسطنطينية وكانت تنوف عن السمّاية الف وعبرت البوسفور الى بر الاناضول ولما دخلت الى بلاد المسلمين خرج الى لقاها سليمان ملك الرها في جيش كثير من التركمان فتواقع الفريقان وكانت النصرة الافرنج وغلبت جيوش التركمان وانهزم السلطان سليمان . فحاصر الافرنج نيقية وملكوها وقتلوا من فيها ونهبوا المدينة و برّها . وكان السلطان سليمان جمع نحو ماية وخمسين الف رجل وضرب فرقة من الافرنج وهاجمهم على غفلة فقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم تجمعت عليه الافرنج من جهات مختلفة وكسروه وقتلوا جانباً من عسكره . وكان ذلك في اول تموز (يوليو) . ثم سارت عساكر الافرنج الى جهة انطاكية . وتنكريد مع بردويل الملك جمعا جمعاً كثيراً من العساكر وتملكا طرسوس و بلاد كيليكية . وكذلك بلدوين اخوجوفراد سار بقومه الى مابين النهرين واستمال اليه النصارى الذين في الرها وقتلوا النائب وسلموا البلد للافرنج . فقوي عزم الافرنج وساروا بامان حتى بلغوا انطاكية وفي تشرين الاول (اوكتوبر) احاطت العساكر الصليبية بانطاكية وشددوا عليها الحصار وكان الحاكم بها سقمان اوسكمان ابن ارتق قيل بل حاكمها كان باغي سيان السلجوقي . فلما بلغه مافعله النصارى في الرها قبض على اعيان النصارى الذين في انطاكية ونهب اموالهم . وارسل يستنجد باهل حلب وحماه وحمص وما يجاورها .

وفي السنة ٤٩٢ هـ = ١٠٩٨ م اجتمعت عساكر المسلمين الى قلعة حارام النجدة انطاكية وكان عددهم نحو ثمانية وعشرين الفاً . فقصدهم الافرنج ليلاً و باغتوهم عند طلوع الفجر في ٧ شباط (فابراير) فشتتوا شملهم وقتلوا منهم نحو الفين قتيل وغنموا اموالهم وسلاحهم واوطانهم . وجابوا رؤوس القتلى وجعلوها على رؤوس المزاريق قبال انطاكية فازداد اهلها خوفاً ورعبة . وقويت شوكة الافرنج الا انهم يئسوا من اخذ المدينة لقلة الزاد عندهم وكثرة الامطار فرجع كثير منهم الى بلادهم بحراً وقتل البعض منهم في الحصار . والذين بقوا منهم هناك داخلهم الخوف من اخبار العساكر القادمة عليهم من المسلمين . لان انطاكية كانت يومئذ من اعمال بغداد . وفي تلك الايام قدم اليهم كربوغا (و يروي كربوقا) صاحب الموصل بجيش عظيم ونزل ببرج دابق بالقرب من حلب فاجتمعت اليه العساكر الشامية عرباً وتركاً . وقدم اليه السلطان سليمان صاحب نيقية وصاروا جمعاً غفيراً . فضاقت صدور الافرنج منهم . وارتضوا بالهلاك . و بينما هم في اشد الضيق اتاهم كتاب من صاحب احد ابراج انطاكية وقيل انه كان

نصرانياً • و به يعدهم انه يسلمهم البرج الذي هو فيه • فسر الملك بيموند بذلك الوعد • وجمع قواد عسكره واخبرهم بذلك • ثم وفد عليهم صاحب البرج ليلاً ودعاهم الى تسليمه لهم • فاجابوه وتعهدوا له بان يقيموه والياً على انطاكية ومضى قدامهم والملك بيموند وقومه يتبعونه حتى دخلوا البرج من نافذة وملكوه وملكوا كل ما يليه • وعند الصباح نشروا الراية على اعلى البرج ونفخوا في البوق • فتملكوا المدينة بالسيف وكان ذلك في شهر ايار (مايو) وهرب باغي سيان فصادفه رجل ارمني فقتله واعطى راسه الافرنج • فقويت عزائم الافرنج في افتتاح انطاكية • ولكنهم ذهلوا لما راوها خالية من الذهب والذخيرة والمؤونة • ولولا النجدة التي اتتهم من بلدوين صاحب الرها لهلكوا جوعاً • وكان كربوغا قبل ما بلغه ان الافرنج تملكت انطاكية ارسل جماعة من عسكره تسبقه الى انطاكية • ولما بلغه دخول الافرنج انطاكية زحف بجيوشه واقام عليها الحصار • ومنع عنها الذخيرة • فصار الافرنج في شدة عظيمة من الجوع فاكلوا الدواب والجيف المائتة وعزموا على محاربة كربوغا • وانقسموا الى عسكرين و بقي القتال بينهم ثلثة ايام وثبتوا في الحرب • فانكسرت عساكر كربوغا وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ونهبوا ما كان معهم وانهزم كربوغا • وكانت هذه الموقعة في ١٨ شهر حزيران (يونيو) من هذه السنة • و بعد هذه النصرة وقع الوبأ في الافرنج وكان ثقيلاً جداً حتى ان كل يوم كان يخرج منهم نحو اربعين جنازة وطالت مدته نحو ثلاث سنين • فبلغ عدد الموتى الذين ماتوا بالطاعون نحو اربعين الفاً • فاضمحلت قوة الافرنج • وكان النظام قد بطل ولم تعد الجنود تطيع صوت قوادها وابوا حمل السلاح والكفاح • فالتزم بيموندو يروسيه (بوهموند) الى احراق منازلهم ليخرجهم منها وخشي من احراق المدينة كلها بهذا السبب واشتد الخطب وظهر جلياً انه لا فائدة ان لم تحصل مساعدة فوق العادة • ولذلك حصلت جملة حوادث ظنها كثيرون انها معجزة • ذكر المورخون ان قسيساً لومبارديا قام في الوسط وقال اوحي الى برؤيا أنه لا تنتهي السنة الثالثة من تلك الحروب الا باخذ اورشليم • وقال اخر انه شاهد المسيح نفسه وصحبته البتول مريم و بطرس الرسول وسمع من فمه ما كان يوبخ به الصليبيين على انقيادهم للنساء العربيات واخذ منه وعداً اكيداً انه في خمسة ايام سينجدون • فتجددت امالهم وعاشت ارواحهم من هذا الكلام واغتنم الفرصة قسيس اخر اسمه برثلاوس قسيس ريموند وقص عليهم امرا عظيماً من رؤيا • وقال حضر عندي القديس اندراوس وقال لي • ان في كنيسة القديس بطرس سنان الرمح

الذي طعن به الشرطي جنب الفادي عند ما كان معلقاً على الصليب احضروه فان فيه نصرا على الاعداء . ودلهم على المكان المطمورة فيه . فحفروا كثيراً حتى وجدوه ملفوفاً بمنديل حرير مزركشاً بالذهب . وعندها طارت الاخبار في كل المدينة وفرحوا جدا بنجاحهم . ثم تعاهدوا ان لا يفارقوا بعضهم بعضاً حتى يملكوا بيت المقدس . وفي مدة اقامة الافرنج في انطاكية تملكوا قرية البيري وساموا لها اسقفاً . ثم زحفوا الى معرة النعمان . وكانت مدينة كبيرة واهلها ابطال في الحرب . فحاصروها ثلثة ايام ثم دخلوها . واستتر اهلها في المغائر التي تحت الارض فاضرموا فيهم النار ومات منهم نحو عشرة واخذوا اموالهم

وفي السنة ٤٩٣ [1] هـ = ١٠٩٩ م لما رأى المصريون ضعف الاتراك ساروا الى مدينة بيت المقدس وحاصروها وبها الامير سقمان وايلغازي ابنا ارتق التركماني وابن عمهما سونج ونصبوا عليها اربعين منجنيقاً ونيف وملكوها بالامان . وخرج منها سقمان واصحابه واستناب المصريون فيها رجلاً يعرف بافتخار الدولة .

وفي هذه السنة بعد ما رتبت الافرنج امور انطاكية عزموا على المسير الى بيت المقدس فسافر منهم في البحر اناس وتملكوا جبل طرسوس وجبلة . وبقية الجيش سار في البر . وفي سبعة من شهر نيسان (ابريل) اجتمع الفريقان بارض مدينة عرقة . واقاموا عليها الحصار مدة شهرين وحضر اليهم نصارى جبل لبنان وقدموا لهم الذخائر . وارسل لهم صاحب طرابلس الذخائر والنقادم وخمسة عشر الف دينار فداء عن طرابلس وعرقة وجبيل فارتحلوا وساروا الى قيسارية طرسوس . ثم قصدوا اللد . فوجدوا المسلمين قد هدموا كنيسة القديس جرجس التي بناها يوستنيانوس ملك الروم . ثم نازلوا الرملة فملكوها وقصدوا بيت المقدس ونزلوا بالقرب من المدينة . وكان صاحبها سقمان ابن ارتق التركماني وابن عمه سونج نايبه من قبل خليفة مصر . ولما بلغهما قدوم الافرنج حصنا المدينة في الذخائر والات الحرب وطردا النصارى الى خارج المدينة وسلبا اموالهم لئلا يفعلوا كما فعلت نصارى الرها . ولما احاطت الافرنج بالمدينة رأوها حصينة جداً . ونصبوا عليها المجانيق وصنعوا برجين من خشب يكشفان على السور . وفي شهر تموز (يوليو) زحفوا ليلاً من البرج الواحد من جهة الوادي بين باب العمود وبرج الزاوية . ونصبوا برجاً اخر

---

(١) روى هذه الحوادث ابو الفرج تحت سنة ٤٩٣ هـ وليس سنة ٤٩٢

عند باب صهيون والصقوهما بالسور . فاحرق المسلمون البرج الذي في باب صهيون واهلكوا من فيه ولكن الافرنج حكموا على البلد من البرج الاخر ودخلوا المدينة بالسيف . قيل انهم قتلوا داخل الحرم وفي المدينة ماينوف عن سبعين الفاً . واخذوا قناديل الذهب والفضة التي كانت داخل الحرم وسلبوا من المدينة اموالاً لا تحصى . وكان لبيت المقدس في يد الاسلام ٤٦٣ سنة منذ فتح اورشليم عمر ابن الخطاب الى ان استرجعها الافرنج . وكان لما بلغ خليفة مصر حصار بيت المقدس سار بعشرين الفاً لنجدة المدينة فوصل ثاني يوم تملكها الافرنج . واجتمع ايضاً من الشام والعربان نحو عشرة الاف . فخرجت الافرنج اليهم وانتشب القتال بينهم فانهزمت الاسلام الى عسقلان وقتل منهم مقتلة عظيمة . واحرقت الافرنج ما حول عسقلان وقطعوا اشجارها . ثم رجعوا الى بيت المقدس واقاموا غوفراد (كودفروا ر يبو بليون) ملكاً على القدس . ولم يضع على رأسه اكليلاً اكراماً للذي تكلل بالشوك في هذه المدينة . واظهروا ورعاً كثيرا وشكراً جزيلا لحصولهم على النصر . واقام غوفراد تنكريد والياً على يافا وما يليها وطبرية وما حول بحيرة جنيسارت وبلاد الجليل . ورتب امورها وعمر جملة كنائس في الناصرة وطبرية وجبل طورطابور واكفاها بالوقوفات . وفي هذه السنة وقع الحرب بين السلطان بركيارق وبين اخيه السلطان محمد فانهزم بركايرق الى اصفهان ولم يدخلها . ثم سار الى خراسان واجتمعت عساكر الواثق بالله نحو خمسة وعشرين الف رجل مع السلطان محمد ودخل خراسان على اخيه سنقر واقام بجرجان وتكاثرت العساكر في خراسان فعمّ الغلاء تلك الاصقاع حتى اكلت الناس الميتة والكلاب

وفي السنة ٤٩٤ هـ = ١١٠٠ م اجتمع اكابر الافرنج واساقفتهم وساموا برتوس بطريركاً على بيت المقدس . وارسلوا كتابات الى ملوك النصارى يخبرونهم بالانتصار الذي حصل لهم ويباركون للبابا الذي تخلف بعد اوربانوس . ويسالونه الاسعاف . وبعد ذلك رجع بلامند البرنس الى انطاكية وبلدوين اخو الملك غوفراد الى الرها على طريق البقاع . وتفرقت الامراء على الاماكن التي تملكوها وبقي من الابطال في بيت المقدس الملك غوفراد وتنكريد عظيم الفرسان . ومعهم الفان من المشاة ومائتا فارس فسار بهم الملك الى سواحل البحر واوقعوا الحصار اولاً على حيفا وبعد اخذها انتقلوا الى عكا . فوجدوا اهلها مستعدين للقتال وعندهم كلما يكفيهم من الذخيرة والمؤونة والات الحرب . فتركها وقصد البلاد التي عبر نهر الاردن وغزا تلك

البلاد ونهبها ورجع بغنائم كثيرة الى اورشليم · ثم انه مرض ومات · فحزنت الافرنج عليه حزنًا شديدًا لكثرة شهامته وشدة غيرته · ووصل خبره الى اخيه بلدوين صاحب الرها فاخذ معه الف رجل وتوجه الى انطاكية وارسل زوجته في البحر الى يافا ومن هنالك صعدوا الى اورشليم فمسحه البطريرك وتتوج باكليل الملك وهو الثاني من ملوك الافرنج في بيت المقدس

وفي السنة ٤٩٥ هـ = ١١٠١ م نزلت العربان الى نواحي اللد وكانوا يقطعون الطرق ويقتلون من يستفردونه فسار اليهم الملك بلدوين وقتل منهم خلقًا كثيرًا وطردهم الى خارج الاردن · وفي هذه السنة كانت الاستعدادات في جميع ممالك اوربا النصرانية للسفر الى القدس · واهتم كثيرٌ من الامراء وقصدوا القسطنطينية كل واحد منهم برجاله · ولما وصلوا الى القسطنطينية غدر بهم الكسيوس ملك الروم وسفرهم بطرق عسرة وكتب الى شمس الملوك دقاق ملك دمشق يخبره بقدومهم · فجمع العساكر الشامية والعربان وحضر الى الشام جناح الدولة صاحب حماه وكمنوا لهم في الطريق · وقتلوا منهم ماينوف عن خمسين الف · وهرب الباقون وقد تشتتوا لعدم خبرتهم في البلاد · وما وصل منهم الى انطاكية الا القليل وهم بحالة الذل والهوان وكان الكسيوس ملك الروم يظهر للافرنج الحب العظيم ولكن في باطنه يضمر لهم السوء ويريد اهلاكهم لسبب انهم لم يصدقوا معه بما وعدوه به اعني في قسمة البلدان التي فتحوها كما صار بينهم الاتفاق والعهود · ثم ان ريموند امير تولوز خرج بعسكر من انطاكية وباغت طرطوس وملكها · وارسل واعلم بردويل الملك ان اهالي بيروت وصور وصيدا وعكا ماسكون الطريق عليهم عند نهر الكلب · فقدم الملك بجيشه وفتح لهم الطريق الى بيت المقدس · وفي هذه السنة قدم اهل جنوا في البحر بعدة مراكب الى يافا وصعدوا الى القدس · وصار الاتفاق بينهم و بين بلدوين الملك بان جميع مايتملكونه في بلاد الشام يكون لهم الثلث والثلثان للملك · فساروا الى حيفا ووضعوا عليها الحصار برًا وبحرًا فملكوها بالامان · ثم ساروا الى قيسارية اسطرتون (هي قيسارية التي على شاطئ البحر الى الشمال من يافا والجنوب من حيفا) ونصبوا حولها ابراجًا من خشب · و بعد خمسة عشر يومًا ملكوها بالسيف وقتلوا اكثر اهاليها · وساموا عليها اسقفًا يدبرها · ثم انتقلوا الى الرملة فراوها خالية من سكانها · وفي هذه السنة قدمت العساكر من الديار المصرية الى حرب الافرنج وكانوا نحو ثلاثين الفًا · ولم يكن عند بردويل غير الفين من

الافرنج . فالتقى العسكران بارض الرملة والتحم القتال بينهما . فقتل قائد جيش المصريين وانهزمت جيوشه وقتل منهم ماينوف عن الخمسة الاف ومن الافرنج نحو مايتين . وفيها توفي المستعلي بالله الخليفة العلوي صاحب مصر ، وكانت خلافته سبع سنين وعمره ثمانية وعشرون سنة . وولي بعده ولده ابو علي المنصور وبويع له بالخلافة وعمره حينئذٍ خمس سنين . ولقب الآمر باحكام الله ولم يكن قادرًا على ركب الفرس وحده لصغر سنه. فقام بتدبير دولته الافضل ابن امير الجيوش واتقن الاحكام باحسن قيام . (وفيها سار محمد عن بغداد ورجع برقيارق من واسط والتقاه بروذروار وكانت جنودهما متقاربة العدد فتصافيا ولم يقتتلا ومشى الامراء بينهما بالصلح على ان يكون برقيارق السلطان ومحمد الملك ويكون لمحمد من البلاد اذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل والباقي لبرقيارق وتحالفا على ذلك وافترقا ثم انتقضا والتقيا عند الري . وتحاربا فانتصر برقيارق على محمد وهرب محمد الى اصفهان ونهبت خزائنه . ثم سار برقيارق وحصره في اصفهان وضيق عليه ففر من اصفهان مستخفيًا . وشيع برقيارق خلفه عسكرا فلم يظفروا به ورحل برقيارق الى همذان)

وفي السنة ٤٩٧ هـ = ١١٠٣ م اجتمع اهل عسقلان مع عسكر المصريين وجملة عددهم جميعًا نحو عشرين الفًا وساروا الى ناحية الرملة . فلما بلغ ذلك صاحب القدس ركب حصانه على غفلة مع بعض اناس ولأئل الذين لحقوه على ظهور الخيل لكي يمنع اهل عسقلان عن التنكيد . فوجدهم اكثر مما ظنهم وودّ ان يرجع الى الوراء فلم تطاوعه شهامته . فحار بهم مدة وقتل كثيرًا من الفريقين . ثم انه انهزم مع الذين برفقته ودخل قلعة الرملة وصاروا تحت خطر عظيم فدخل اليهم ليلا رجل غني من العرب واخبر الملك بان المسلمين كانوا مستعدين لحصار البرج وقتل جميع من فيه . فخرج الملك ليلاً برفقة ذلك الرجل حتى نزل به الى مروج ومن هناك سار في المركب الى يافا ففرح به جماعته فرحًا عظيما . وارسل فجمع العسكر ومضوا الى لقاء العدو فكسروهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ورجعوا منصورين . ويذكر مطران صور ان ذلك الرجل العربي الذي عمل هذا المعروف مع الملك وخلصه من يد الاعداء كوفئ على ما كان تفضل به سابقًا بزوجته . وذلك ان الملك لما كان في الحرب خارج الاردن وكسر الاعداء فكانت امرأة هذا الرجل مع جماعتها في الحرب . ولما انكسروا صدف ان ساعتها دنت لتلد فامر بلدوين ان لا يؤذيها احد بل يعطوها فراشًا من النهيبة واكل

وقر بتين ماء وناقتين مرضعات وخادمة تخدمها . فلما سمع بذلك بعلها شعر بجميله . قصد مكافأته في هذه الوقعة . وفيها دخل تنكريد امير طبرية بجماعته الى جهة انطاكية . فحاصر حماه واللاذقية وملكها بالسيف . وفيها كانت وفاة الملك شمس الملوك دقاق ملك الشام فخطب طفتكين اتابكه لابن دقاق وكان طفلاً وامرت زوجة اتابك طفتكين جاريتها ان تثقب بابرة مسمومة عنقودًا من العنب . ولما اكله ولدها تهرأ جوفه ومات وولي العهد بعده . ولده وكان عمره اربع سنين واستقر طفتكين بملك دمشق . وفيها توفي كربوغا صاحب الموصل . وكان قد استولى على اكثر اقطاع اذربيجان . وفيها وقع الصلح بين السلطان بركيارق واخيه السلطان محمود ابن ملكشاه وان يكون للسلطان محمود ديار بكر والجزيرة كما سبق

وفي السنة ٤٩٨ ﻫ = ١١٠٤ م لما قدم سبعون غرابًا كما سبق من مدينة جنوا تعاهد اهل جنوا مع بلدوين صاحب القدس ان يغزوا بلاد المسلمين ويكون لهم الثلث وللملك بلدوين الثلثان مما يغنمونه . فقصدوا في هذه السنة مدينة بطولمايس التي هي عكا وحاصروها برًا وبحرًا وقتلوا من اهلها عددًا غفيرًا . وفي نهاية العشرين يومًا لحصارها تسلموها بالامان . وفيها اجتمعت فرسان الافرنج و بطارقتها اعني الملك بلدوين والامير بيموند والامير تنكريد وبطريرك انطاكية وبطريرك بيت المقدس وغيرهم لمحاصرة حران بقرب الرها فغارت عليها الجيوش واشتد عليها الحصار . فاضطر اهلها ان يسلموها بالامان لاجل مضايقتهم واحتياجهم للميرة والذخيرة . وبعد ماخرج اهل المدينة منها صار الخلاف بين بيموند والملك بلدوين . فان كلا منهما يريد ان تكون المدينة خاصته فانقسم العسكر الى فريقين . واجتمع عليهم اهل المدينة بعد ما كانوا خرجوا منها ووثبوا عليهم فشتتوا شملهم وهزموا عسكرهم هزيمة قبيحة لم يكن اقبح منها . وقتلوا منهم نفرًا كثيرًا . وغنموا امتعتهم واسروا بلدوين الملك واخرين من القواد . ورجع الباقي منهزمين الى الرها . وفيها قصد بيموند صاحب انطاكية العودة الى اوربا فدخل فرنسا وتزوج قونسطنسا ابنة فيلبس ملك فرنسا . وفيها ايضًا دخل روبرتوس بطريرك بيت المقدس الى رومية ليوضح قدام صاحب كرسيها عن الاحتقار والمكاره التي احتملها من ارنولفوس ومن بلدوين الملك . وفيها حنق الملك بلدوين على الست زوجته وطلقها مخالفًا الشريعة المسيحية . فاضطرت الملكة ان تنزع ثياب العز وتلبس الثوب الرهباني في دير من اديرة القدس . ثم انه بعد قليل اغواها الشيطان وسافرت الى القسطنطينية

لتزور اهلها فنزعت ثياب رهبنتها واسلمت نفسها للقبائح وللافعال الرديئة المضادة لناموس الله وناموس الملوك • وفي هذه السنة كان دخول توما مطران كفرطاب الى جبل لبنان فبقي اربع سنين في جبة يانوح وسنتين في جبة بشرّي • وقصد ان يزرع تعاليمه الفاسدة في تلك الجهات فلم يقبل احد تعاليمه الا خوري فرشع كما هو واضح من الشرح الذي يتقدم العشر مقالات [١]

وفيها كانت وفاة السلطان بركيارق (وقيل تركيارق) ابن ملكشاه صاحب العراق وبلاد العجم • وبيع بالخلافة بعده الى ولده جلال الدولة • وكان له من العمر اربع عشرة سنة فقام مملوكه بتدبير امره • ولما بلغ ذلك اخاه السلطان محمد قدم طالبًا بغداد • ولما وصل اليها حاصرها وقاتلت اهلها اشد قتال وبقي الحصار ثلاثة اشهر • فوصل خبر وفاة بركيارق الى جكرميش والي الموصل • فعلم انه لم يبقَ له اطاقة على الحصار • فارسل الى السلطان محمد يطلب منه الامان • فاعطاه الامان وخرج اليه • ولما نظر اهل الموصل ان جكرميش مقدمهم سار الى السلطان محمد جعلوا يبكون ويضجون • ودخل السلطان محمد الموصل واعطاهم الامان • وفي الغد مدّ جكرميش سماطًا اطعم جميع عساكر السلطان • وحمل اليه من الهدايا والتحف شيئًا عظيمًا فخلع عليه السلطان واقامه نائبًا في الموصل • ثم سار السلطان الى بغداد واستقر بها • وفي هذه السنة كان اول ظهور الاسماعلية بالشام فتملكوا حصن افامية وقطعوا الطرق • وفيها توفي سلطان المغرب والاندلس يوسف الذي بنى مدينة مراكش وتملك ولده عوضًا عنه • وفيها انتزع السلطان محمد ملكشاه من الاسماعيلية قلعة اصبهان

وفي السنة ٤٩٩ هـ = ١١٠٥ م كانت وفاة ريموند امير اوكونت تولوز وكان شهمًا شجاعًا في الحرب ودفن عند جبل الغرباء بقرب طرابلس • وفيها جمع رضوان ملك حلب جيشًا كبيرًا ونزل بهم الى ارض انطاكية لمحاربة الافرنج فقتل وحرق وهدم ضياع كثيرة • ثم خرج اليه تنكريد وحاربه فكسره كسرة عظيمة وغنم خياله وجميع امتعته • وفيها ارسل خليفة مصر نحو خمسة عشر الف رجل لمحاربة الافرنج • فخرج بلدوين ملك القدس بنحو الفين من المشاة وخمساية فارس الى لقاهم • وكان بطريرك بيت المقدس يتقدم امام العسكر وهو يشجعهم فالتقى العسكران بين الرملة ويافا وتحاربا فقهر الافرنج

---

(١) يظهر ان تعاليم هذا المطران كانت تشتمل على هرطقة انكار صفة من صفات المسيح • ويشير بهذه العشر مقالات الى تعاليم تبين فساد هذه الهرطقة (لربما هي انكار وجود طبيعتين للمسيح ومشيئتين)

المسلمين . وقيل انه قتل من الافرنج بهذه الوقعة نحو ستين نفساً فقط ومن المسلمين نحو اربعة الاف رجل و بينهم حاكم عسقلان . وامسك الافرنج حاكم عكا وغنموا اموال المصريين وجمالهم وخيولهم وحميرهم . ثم انهم بعد ذلك استفكوا حاكم عكا بعشرين الف درهم . اما المهزومون من العسكر فهربوا الى يافا وقصدوا العودة الى مصر في المراكب فثارت عليهم الرياح . واضطروا الى الرجوع الى ارض المسيحيين فمسكوا منهم عشرين مركباً ونحو الفين من النوتية غير الذين قتلوا

وفي السنة ٥٠٠ ﻫ = ١١٠٦ م انتزع السلطان محمد ابن ملكشاه قلعة اصبهان من الاسماعيلية وقتل ابن غطاش راس الاسماعيلية وسلخه حيًّا واخرب القلعة . وفيها سار الجاولي الى الموصل . فخرج اليه جكرميش ولما اصطفا للحرب حمل عسكر الجاولي وكسر اهل الموصل . وقبضوا على جكرميش واحضروه امام الجاولي . فامر بحفظه ثم زحف على الموصل وامر ان ينادوا اهل الموصل بان يسلموا البلد و يفدوا اصحابهم ولما علم اهل الموصل ولوا عليهم زنكي ابن جكرميش . وكان ينادي اهل المدينة ان يفتدوه و يسلموا المدينة فلم يردوا عليه جواباً . ولما رأى الجاولي انهم لم يسلموه المدينة قتله . فارسل اهل الموصل الى الملك قلج ارسلان بن سليمان ابن قتلميش السلجوقي صاحب مدينة قونية يستدعونه لنصرتهم فحضر اليهم بعساكر . ولما بلغ الجاولي قدومه رحل عن الموصل . و بعد يومين وصل قلج ارسلان الى الموصل وملكها ونزل بالمقرقة (وقيل بالفروقة) . وخرج الى لقائه زنكي ابن جكرميش ودخل البلد بكل اكرام وخلع على زنكي وولاه مكان والده . واسقط الخطبة الى السلطان محمد . ورجعت الخطبة في المنابر لنفسه واحسن الى العسكر . ثم رفع عن البلد الرسوم المحدثة من المظالم . و بعد ذلك طلب الحرب وهو بالرحبة والتقاه على نهر خابور وتقاتلا فكانت الكسرة على عسكر قلج ارسلان . وجاز ارسلان في نهر خابور فغرق . وخلا الجو لقلج واستقر با لحكم وحده بلا منازع

وفي السنة ٥٠١ ﻫ = ١١٠٧ م قال ابن الحريري ان بلدوين الافرنجي حاصر صوراً و بنى قبالها حصناً . فبذل له واليها سبعة الاف دينار فرحل عنه ونزل على صيدا فكشف عنها عسكر دمشق . ثم عطف عسكر دمشق ونزل الى طبرية وهي في يد الافرنج فخرج اليهم صاحبها غرفاس فاسره المسلمون . ثم غزا طغتكين بعسكر دمشق طبرية واعمالها فخرج اليهم ابن اخت بلدوين حاكم طبرية فانكسرت الافرنج واسر

مقدمهم فعرض عليهم ان يطلقوه فيطلق لهم خمسماية اسيرًا و يعطيهم ثلاثون الف دينار فابى طغتكين . فذبحه . ثم هادن بلدوين طغتكين اربع سنين . ثم تجمع جمهور كبير وسار من دمشق الى مصر فاخذتهم الافرنج وانقطعت السبل . وفيها قتلت الاسماعيلية قاضي اصفهان وقاضي نيسابور يوم العيد فسنده طائفة منهم بمدينة شيراز يحلجون القطن ثم وثبوا على شيراز وملكوها فخرج اولاد منقذ واصعدتهم النساء بالحبال من الطاقات فاقتتلواهم والاسماعيلية بالخناجر ولم ينجُ من الاسماعيلية احد

وفي السنة ٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م قصد رايمندوس امير طولوما العودة وابقى مكانه ابن اخيه يوردان متوليًا على الاماكن التي كان اكتسبها في بلاد الشام . وفي حال وصوله تأهل (تزوج) على ابنة فرينندس ملك فرنسا فثبت معها مدة يسيرة وتوفي . فحضر ولده بيلتراوندوس مع اهل جنوا . وفي حضوره وجد ابن عمه يوردان محاصرًا لمدينة طرابلس . وصارت خصومة شديدة بين بيلتران و بين ابن عمه الذي كان تسلم تلك المواضع من ابيه . فدخل بينهم فرسان الافرنج واصلحوا بينهما على ان عرقه وطرطوس وما يليها تكون ليوردان واما طرابلس وجبيل وجبل الغرباء وما يليها تكون تحت تصرُّف بيلتران . وان يوردان يكون خاضعًا لملك انطاكية وابن عمه لملك القدس

فصل

ذكر اصل الامراء المعنيين

وفي هذه السنة نذكر انساب الامراء آل معن وكيفية ابتدائهم

فالامراء آل معن ابتداؤهم من العرب الايوبية . وهم بطن من بني ربيعة التي كانت منازلهم في نجد وديار ربيعة . فقام من بعض ساداتهم رجل يقال له ايوب وكان فارسًا شجاعًا ملازمًا الغارة على الجواد للنهب والسلب . وثقل جانبهم وعظم امرهم بين قومهم فنهضوا اليه سادات ربيعة واخرجوه حسدًا من بينهم . فرحل وسكن الجزيرة الفراتية وتكاثرت بنوه واخلافهم وكان يقال لهم العرب الايوبية فى ذلك الوقت نسبة لايوب الذي هو اصلهم . ثم قام فيهم ربيعة اميرًا من بني ايوب ورحل من الجزيرة ونزل في الديار الحلبية ثم مات وقام ولده معن . وبعد سنين ظهرت الافرنج وتملكت انطاكية . فجعل الامير معن يغزوهم و يطلق الغارة عليهم بالعرب الايوبية فعظم امرهم

وفي السنة ٥٠٣ هـ = ١١٠٩ م تملكت الافرنج مدينة طرابلس . وذلك بعد حصارها خمس سنين . ونصبوا قريباً منها حصناً . فخرج صاحب طرابلس ابن عمار فهجم على الحصن وقتل كل من كان فيه واخربه . وارسل في البحر يطلب النجدة من مصر فقدم اليهم شرف الدولة ومعه اغلال كثيرة . لكن في هذه السنة جدد الحصار على المدينة بيلتران ابن الامير ريموندس ومعه الجنويون . وقدم الى نجدتهم ايضاً بلدوين ملك القدس . فقويت شوكة الافرنج . وضعفت قلوب المسلمين . وعمل الافرنج ابراجاً من خشب وحديد على عجل والصقوها بصور المدينة وملكوها . وقتلوا منها خلقاً كثيراً بعد ان كان فني من فيها من شدة الضيق والجوع والقتل . وكانت المدينة مملوءة من المسلمين والعلماء وكان فتح مدينة طرابلس في ١٠ حزيران (يونيو) من هذه السنة

(وفيها سار تنكري (امله تنكريد) صاحب انطاكية غازياً فملك طرسوس وادنه ونزل على حصن الاكراد فسلمه اهله اليه . وذكر ابو الفرج انه في هذه السنة تملك الافرنج بيروت وسيذكر الامير حيدر تملكهم دار الحكومة في السنة التالية

وفي السنة ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م زحف الافرنج الى جهة بانياس فملكوها وكانوا قد تملكوا جبيل بالامان لعدم القوت وكان في جبيل ابن عمار صاحب طرابلس فهرب منها الى دمشق . فاكرمه طغتكين واقطعه الزبدانة . وفيها استولى الافرنج على حصن عكار وحصن المنيطرة . وتقرر ان يحمل اهل حصن مصياف وحصن الاكراد للافرنج قطيعة مقررة معينة في كل سنة . ويقول ابن الحريري ان الافرنج اقاموا على هذا العهد مدة . ثم نكثوا العهد وغدروا . وفيها توفي قراغا صاحب حمص . فملكها بعده ولده صمصام حرجان . وفيها جمع ملك القدس جيوشه وقصد مدينة بيروت فحاصرها مدة شهرين براً وبحراً وكان في المدينة الامير شجاع الدولة وجماعة من اقاربه ولما تعذر على الملك بلدوين فتحها استنجد بافرنج السواحل وامراء المردة فانجدوه فنهض افرنج الشمال وتجمعوا مع المردة في جبيل . ونهض افرنج الجنوب وتجمعوا في برج الغازية . ثم نهض الفريقان في يوم واحد الشماليون على طريق الجرد والجنويون على طريق الساحل ودهموا الغرب صباحاً فنهبوه واحرقوه وقتلوا واسروا من وجدوه . ولم ينج من اهاليه سوى الغائبين والمنهزمين والمختبئين . فقتل من الامراء الامير موسى ابن ابرهيم ابن ابي بكر بن المنذر واولاده الصغار والامير قاسم بن هشام بن ابي بكر وولده الامير ادريس والامير مودود بن سعيد بن قابوس وولداه الامير اسد والامير زهير والامير مالك بن مصطفى بن

عون والامير عبيد بن معضاد بن حسام والامير يحيى ابن الخضر بن الحسين ابن علي واخوه الامير يوسف والامير علي بن حايم بن يوسف بن فارس الفوارسي · واولاده واخوته وبنو عمه فانقطعت بهم سلالة بني فوارس · وفي ٢٣ نيسان (ابريل) اخذوها بالسيف وقتلوا عدداً كثيراً من اهلها وفيها وردت جملة مراكب من بلاد الغرب قاصدين زيارة المواضع المقدسة · فارموا مراسيهم في مينا يافا · فتآمر معهم بلدوين الملك على اخذ صيدا وشددوا عليها الحصار من جهة البر والبحر · فسلمها اهلها بالامان وقررت عليهم الافرنج عشرين الف دينار كل سنة لانه كان بها اكثر عامة المسلمين · ويذكر مطران صور انه كان في خدمة بلدوين الملك رجل كان اصله مسلماً ثم تنصر فاقامه والياً على صيدا

وفي السنة ٥٠٥ هـ = ١١١١ م قدمت جيوش الاعجام من بلاد بغداد الى جهة بلاد الشام بخيول كثيرة كالجراد فاجتازوا الجزيرة وداسوها وقطعوا الفرات وحاصروا حصن دير بسال مدة شهر · ثم دخلوا بلاد حلب ولم يعفوا عن شيء فارسل الله عليهم جيش المسكوب وهم اكبر اعدائهم · ثم ان الامير تنكريد استنجد ببلدوين الملك وببيلتران صاحب طرابلس وغيرهما وزحفوا لمحاربتهم واجتمع العسكران بقرب شيزر · فلما نظر الاعجام كثرة العساكر رجعوا الى مواطنهم هاربين من غير حرب · يقول ابن الحريري ان الافرنج اخذت حصن الاشارب وحصن روديا بالسيف وهما من اعمال حلب · وان اهل منبج واهل بالس اخلوا بلديهما · وايقن المسلمون باستيلاء الافرنج على اقليم الشام وطلبوا الهدنة فصالحهم رضوان صاحب حلب على قطيعة ثلاثين الف دينار وثياب وخيل · وصالحهم صاحب شيزر على قطيعة عشرة الاف دينار · وصالحهم صاحب حماه على الفي دينار · وصالحهم صاحب صور على اربعة الاف دينار واستقر امر الافرنج في بلاد الشام وصارت جميع سواحلها بايديهم · ولاجل ذلك سارت مسلمو الشام الى بغداد · ونفانوا وكسروا منبر جامع السلطان وكثر الضجيج والبكاء والعويل · واستنجدوا بالخليفة · والسلطان غياث الدين محمد · وبطلت الجمعة · واخذ الخليفة في الاهبة · وتهيا السلطان للغزو · فلم يتم ذلك لضعف عساكر العراق ويئس اهل الشام من الخلاص وحفظ الاموال ولم تنجدهم عساكر مصر ولا عساكر العراق · فشرعوا في مصالحة الافرنج

وفي السنة ٥٠٦ هـ = ١١١٢ م في شهر محرم سار الامير مودود صاحب الموصل

الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك ولم يحترز من الافرنج بل اهملهم · فلم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر قد دهمهم وباغتهم وكانت دواب العسكر منتشرة في المرعى فاخذ كثيرًا منها وقتل كثيرًا من العسكر وعاد الى تل باشر · وفيها مات باسيل الارمني صاحب دروب بلاد ابن لاوون وهو المسمى توغ باسيل اي اللص باسيل لانه سرق عدة قلاع من الثغور فتملكها الارمن الى الان · وفيها تجمع الافرنج ونزلوا على مدينة صور وكانت ممونة مكتفية من جميع الميرة والات الحرب ونزل عسكر دمشق لينجدها · فطال الحصار عليها نحو اربعة اشهر · وعمل الافرنج برجًا من خشب علوه سبعون ذراعًا وشحنوه وجروه على العجل والصقوه بسور المدينة · فاحرقه المسلمون · وقاتل المسلمون حول صور قتال المستميتين · وخاف الافرنج من طفتكين ان يحرق الغلال فاخذوا من اهل صور مالاً ورحلوا عنهم · وفيها كانت وفاة تنكريد احد فرسان الافرنج وكان ذا شهامة عظيمة · واكتسب مواضع كثيرة من المسلمين في بلاد الشام فدفنوه في انطاكية · و بعد وفاته تملك روجيار احد انسباء المائت على شرط ان رجع بلوهمد تكون انطاكية له

وفي السنة ٥٠٧ ﻫ = ١١١٣ م قدمت جيوش الموصل لاعانة المسلمين وكان عددهم كثيرًا جدا يشبه الينبوع الدافق وكان مودود صاحب الموصل قائد العسكر · فدخلوا الفرات واجتازوا على طريقهم في سهل البقاع حتى وصلوا الى نواحي طبرية · فارسل بلدوين الملك يطلب النجدة من صاحب انطاكية وصاحب طرابلس · وخرج بجماعته لمحاربة المسلمين · وفي محرم التقى الفريقان عند الاردن وكان المسلمون وضعوا كمينًا الافرنج في الطريق واخذوهم على حين غرة . واعملوا فيهم السيف · و يقول مطران صور انه قتل من الافرنج بهذه الوقعة نحو الف وثلاثمائة نفس · واسر المسلمون كثيرًا من الافرنج · وذكر ابن الحريري ان واحدًا من العسكر اسر بلدوين الملك واذ لم يعرف انه الملك اخذ سلبه واطلقه جريحًا فنجا · وغنم اهل الموصل في اوطانه وقويت شوكتهم ولما وصلت النجدة من طرابلس وانطاكية قويت قلوب الافرنج ولم تزل الحرب بين الفريقين دائرة مدة ستة وعشرين يومًا · وقلت المؤونة فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا وسلبوا وقتلوا وعلقوا النار في ضياع الافرنج من القدس الى عكا وانقطعت السابلة والطرق حتى لم يجسر الانسان في القرى ولا في المدن ان يخرج من بيته · و بالاخص عند ما كانت العساكر في طبرية · فاجتمعت رجال عسقلان · وقصدوا القدس

فوضعوا عليها الحصار وحرقوا البيادر (الاجران) وقتلوا من وجدوه خارج السور. ثم شملهم الخوف من قدوم الملك بلدوين ورجعوا ناكصين على اعقابهم · وكذلك اهل الموصل لما بلغهم الخبر ان مراكب الافرنج وصلت الى يافا هربوا الى دمشق ·ونزلوا الى المرج الاصفر لان طغتكين (وقيل طغدكين) لم ياذن لهم بالدخول الى المدينة خوفاً منهم لئلا يتقووا عليه ويأخذوها منه · فصرفهم وامرهم بالعودة في زمان الربيع · ويوم الجمعة دخل طغتكين الى الجامع وكانت يده بيد مودود صاحب الموصل فوثب على مودود رجل اسماعيلي (وروي باطني) كأنه يدعو له و يتصدق منه وقتله · ثم مسكوا الباطني واحرقوه بالنار · يقال ان ذلك جميعه كان بتدبير طغتكين لئلا يملك دمشق بجيشه · وارسل ملك الافرنج الى دمشق مكتوبًا يقول فيه ان امة قتلت عميدها يوم عيدها في بيت معبودها لتحقق ان الله يبيدها · وفيها قدمت في البحر الى ميناء عكا اميرة صقلية لتتاهل من بلدوين الملك · وذلك لان بلدوين كان قد طلق زوجته الاولى وطلب الزواج بالمذكورة لكثرة غناها · فقدمت الى بر الشام باموال جزيلة واسلحة كثيرة · وفي هذه السنة توفي صاحب حلب الملك فخر الملوك رضوان ابن تكش · وملك بعده اخوه تاج الدولة ارسلان وكان اخرس · وقتل ارسلان اخوين له وقتل ابا طاهر الصانع وجرد الاساعيلية عن حلب · ثم ان لولو خادم تاج الملوك قتل ارسلان وتسلم قلعة حلب والمدينة · ثم انه قصد قلعة جبر فقتل بالقرب من بالس وتولى على قلعة حلب من بعده كتب الجيش ابو المعالي المحلي

وفي السنة ٥٠٨ هـ = ١١١٤ م تسلمت حلب الى الامير بلغراي ابن ارتق · واقام بها خمس سنين وفي هذه السنة حدثت رجفة وزلازل عظيمة في بلاد قيليقية وحلب والشام فهدمت حصونًا وعمائر كثيرة · ومات خلائق كثيرة لايحصى عددها تحت الردم · والذين هربوا الى البرّ اخذتهم الامراض وكثير منهم ماتوا بالجنون

وفي السنة ٥٠٩ هـ = ١١١٥ م قدم الى بلاد الشام اقسنقر البرسقي نائب الموصل ومعه خمسة عشر الف فارس لغزو الافرنج فاخذ مرعش بالامان · ووطئ بلاد انطاكية ونزل عند شيزر · فلما بلغ هذا الخبر طغتكين صاحب دمشق داخله الخوف ان الغزوة كانت عليه بسبب مودود صاحب الموصل الذي قتل في دمشق · فارسل مكاتيب وهدايا جزيلة الى بلدوين ملك القدس والى صاحب انطاكية بسبب الهدنة فاصطلحوا واستنجد صاحب انطاكية بملك القدس وصاحب طرابلس وطغتكين بملك دمشق ·

فاجابوه الى ذلك بسرعة . وزحف بالعساكر الى جهة شيزر فانهزم البرسقي من قدامهم وعاد كل واحد الى موطنه . وفيها لما تحقق اهل عسقلان سفر الافرنج الى ناحية انطاكية استنجدوا بملك مصر وقصدوا محاصرة يافا . فجاءهم من الديار المصرية سبعون مركباً في طريق البحر . فاحتاطوا بالمدينة من كل جهة براً وبحراً . وكان اهل يافا قلائل فثبتوا بوجه المسلمين بغاية الشجاعة حتى بعد جهد جهيد اضطر المسلمون ان يرفعوا الحصار ويرجعوا الى مصر خوفاً من الافرنج لئلا تاتيهم النجدة . وبعد عشرة ايام خرج اهل المدينة وباغتوا العساقلة ليلاً فوجدوهم منتبهين وقتلوا منهم عدداً غفيراً . وبعد محاربة سبع ساعات انهزم المسلمون ورجعوا ناكصين الى عسقلان . واما البرسقي فعندما سمع ان عسكر الافرنج والشاميين رجعوا كل الى موطنه اخذه الطمع وعاد بعساكره الموصلية الى نواحي انطاكية . فقتل ونهب وسبا واحرق جميع ما امكنه . فارسل صاحب انطاكية يطلب المعونة من بلدوين الثاني صاحب الرها (هواخو بلدوين ملك القدس) . حينئذٍ اتكل صاحب انطاكية على الله وخرج بجماعته من المدينة فاجتمع مع امير الرها الذي اسرع لنجدته وزحفا كلاهما الى مقاتلة الموصليين . فاعطاهما الله النصرة عليهم وقتلا منهم ما ينيف عن ثلاثة الاف نفس . وغنما اثقالهم وكلما اتوا به من بلادهم وكلما نهبوه من ارض الشام . وفكوا المأسورين معهم . ودخل بهم صاحب انطاكية بعزٍ عظيم الى مدينته وقسم الغنائم بين العساكر بالسوية . واما النصرة فكان غالبها من بلدوين صاحب الرها الذي كان ذا شهامة عظيمة . ومن غير فزع دخل في وسط الاعداء وشتت شملهم وفرقهم بعضهم عن بعض

وفي السنة ٥١٠ هـ = ١١١٦ م قصد بلدوين ملك القدس السفر الى جهة مصر لينتقم من المصريين على مافعلوه بغزوهم بلاده . واخذ معه جيشاً كبيراً فوصل الى فارام (ويروى فورما) التي على نهر النيل . فدخلها وتملكها واحرق جامعها ومساجدها واذن لعسكره ان ينهبوا جميع مافيها . ثم ان الملك اصيب بحمى شديدة من مشقة السفر فقصد الرجوع الى بلاد الشام الى بيت المقدس . وعند وصوله الى العريش اسلم الروح بيد الخالق . وقيل ان الحمى حصلت له لانه سبح (عام) في النيل قرب بلبيس وكان عرقاناً فحملوا جسده بحزن شديد الى القدس . وقيل انهم حنطوه ودفنوا جوفه في رجمة باقية هناك معروفة بقبر بردويل . ودفنوا جسده في كنيسة القيامة . فبكى عليه كل الشعب . وكان ذا شهامة عظيمة . ملك على اورشليم ست عشرة سنة ونصف . واستخلص من يد المسلمين

طرابلس و بيروت وجبيل وصيدا وقيسارية وعكا وحيفا والرملة وبانياس وحصن عكار وحصن المنيطرة وحصن الاثارب وحصن روديا في ارض حلب وحرّان من بلاد الرها. وفارام من بلاد مصر. وكسر هجمات كثيرة من عساكر الشام والموصليين والمصريين وغيرهم. وابتنى حصناً في الشوبك وحصناً بقرب صور. ويذكر ابن الحريري ان في هذه السنة جاء سيل عظيم على سنجار فهدم اسوارها وغرق خلقاً كثيراً. وحمل باب البلد مسيرة نصف يوم فطمره السيل وحمل ايضاً السيل سريراً فيه طفل صغير فتعلق بزيتونة وعاش الطفل وكبر.

وفي السنة ٥١١ هـ == ١١١٧ م جلس على تخت مملكة القدس بلدوين امير الرها برضا قواد الجيش وكان من انسباء الملك المتوفي ودعي بلدوين الثاني. وفيها عند ماسمع خليفة مصر الآمر باحكام الله بموت بلدوين كتب الى طغتكين صاحب دمشق طالباً منه ان يوافيه الى عسقلان بعساكر الشام لاستفكاك ارض القدس من ايادي الافرنج. فخرجت الجيوش من الديار المصرية والشامية في البحر والبر فالمراكب قدمت الى صيدا والمشاة الى ارض عسقلان. وامر ملك القدس باجتماع الافرنج من انطاكية وطرابلس والقدس وخرجوا الى لقاء المسلمين في ارض فلسطين. ولم يكن بين الفريقين الا سفر يوم. فلبثوا ستة اشهر احدهما مقابل الاخر. ولم يجسر احدهما ان يقتحم خصمه. اخيراً عادت الجيوش المصرية الى مصر والشامية الى الشام. وعادت الافرنج الى ارضهم. وفي هذه السنة غزا الامير معن الافرنج. وحصل بينه و بينهم حروب عظيمة انتصر فيها على الافرنج واهلك منهم خلقاً كثيراً كما يذكره اكثر المورخين. وفي هذه السنة شاع قدوم كبير الافرنج بلدوين من بيت المقدس الى الجبال الاسود فسلك الطريق عليه الامير معن ومعه جماعة من الاتراك من اصحاب غازي امير الترك وهو مشهور. ولما قدم بلدوين بجيش الافرنج التقوا به. وحصل بينهم و بينه حرب شديدة. فانكسرت العرب والترك. لان جيش الافرنج كان خمسين الفاً ونيف وجيش الترك والعرب الايوبية دون العشرة الاف. فلما انكسروا اشتدت شوكة الافرنج واستفحل امرهم في الديار الحلبية. فرحل الامير معن بالعرب الايوبية وقصد الديار الشامية فنزلوا في سهل البقاع. وبعد نزولهم نزل الامير معن الى دمشق. ودخل على طغتكين صاحبها يومئذ المقدم ذكره. فاكرمه غاية الاكرام وسربه وقربه اليه وخلع عليه خلعة واتخذه حليفاً. وجعله من انصاره ثم امره ان يقوم بعشيرته من البقاع

و يصعد الى الجبال العالية من لبنان المشرفة على الساحل البحري و ينزلها و يتخذها حصناً . و يطاق الغارة منها على الافرنج الذين في السواحل البحرية . (وفيها مرض السلطان محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان . ولما يئس من نفسه احضر ولده محموداً وقبله و بكى كل واحد منهما وامره ان يخرج و يجلس على تخت الملك . وعمره اذ ذاك اربع عشرة سنة وكان السلطان محمد عظيم الهيبة عادلاً حسن السيرة شجاعاً)

وفي السنة ٥١٣ هـ = ١١١٩ م اتفق طغتكين ملك دمشق مع غازي ملك الترك ودبيو به امير العرب على قتال الافرنج . وزحفوا بجيش لا يحصى عدده من الشاميين والترك والعرب الى نواحي حلب قاصدين الافرنج الذين بانطاكية . فارسل روجيار صاحب انطاكية يطلب النجدة من بلدوين ملك القدس ومن فنطيوس امير طرابلس . وقبل قدومهما اليه خرج بجماعته الى لقاء الاعداء . فاحتاط به المسلمون واهلكوا كل من استفردوه من جماعته . وقيل ان عسكر المسلمين كان نحو ستين الف خيال . ولم يكن مع امير انطاكية الا ثلاثة الاف من المشاة وستمائة فارس مستعدين للقتال . فداست عساكر المسلمين جميع ما كان بيد الافرنج في ارض حلب وانطاكية . ثم شاع الخبر بقدوم بلدوين الملك الى الجبل الاسود . فشيع الامير غازي عشرة الاف خيال وقسمهم ثلاث فرق ليمنعوا الافرنج عن الدخول الى انطاكية . فوقع القسم الواحد بطريق عسكر الافرنج فوثبوا عليه وقتلوا البعض واسروا البعض ولم ينجُ منه الا القليل . ثم دخل ملك القدس وامير طرابلس الى مدينة انطاكية في عز عظيم . واجتمع اليهما كل الذين كانوا تبقوا في انطاكية . وكان جملة العساكر ثمانية الاف . فخرجوا من انطاكية . وترتبوا فوق الجبل هكذا . عسكر طرابلس من الميمنة . وعسكر انطاكية من الميسرة . وهجمت عليهم عساكر المسلمين في طبول وزمور وصياح عال فالتقى العسكران بعضهما ببعض واشتد القتال وكانت الغلبة على المسلمين . فقتل من الافرنج سبعماية نفس ومن المسلمين اربعة الاف ماعدا الاسرى والمجروحين وهرب الباقون مهزومين الى بلدانهم . ورجع بلدوين الملك وارفاقه منصورين الى انطاكية . وقبلهم اهل المدينة بكل فرح واكرام . فاتخذ بلدوين مدينة انطاكية تحت طاعته . و بعد ما مهد امورها عاد الى مدينة القدس بالسلامة . وكانت هذه السنة صعبة كثيراً بسبب الجراد والفار الذي استمر مدة اربع سنين يهلك بقول الارض وزروعها . وفي اثر الجراد عرض الغلاء ثم الوباء . وفي هذه السنة توفي المستظهر بالله خليفة بغداد العباسي

وكان عمره واحداً وار بعين سنة وستة اشهر . وخلافته بقيت مدة اربع وعشرين سنة . وهو الثامن والعشرون من خلفاء بني العباس . وكان في ايامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة . وهم تاج الدولة تكش ابن ارسلان وتركيارق ومحمد ابن ملكشاه وكلهم من الاتراك السلجوقية

الفصل التاسع والعشرون

﴿ في خلافة المسترشد بالله وهو التاسع والعشرون من العباسيين ﴾

وبعد وفاة المستظهر بالله بويع بالخلافة الى ولده المسترشد بالله واسمه فضل ابن احمد وكنيته ابو المنصور وكان وليًّا للعهد خطب له ثلثًا وعشرين سنة في حيوة ابيه (ذكر الامير حيدر ابتداء خلافة المسترشد بهذه السنة والصحيح انها كانت في السنة التي قبلها اي سنة ٥١٢ . وفي هذه السنة نهض الامير معن من البقاع بعشيرته وبرهطه ونزل في جبل الشوف . وكان في ذلك العصر قفراً خاليًا من السكان . ولما نزل الامير فيه جعل له مودة مع آل تنوخ امراء عرب جبل لبنان المحاذي بيروت كما سيذكر . وكان الامير فيهم حينئذ الامير بحتر جد الامير زهر الدين (ويروى ظهر الدين) التنوخي الذي سيأتي ذكره فمال الامير معن اليه واتخذه حليفًا وعضداً على الافرنج وظن به الخير . فارسل له زهر الدين اناسًا من عنده بنوا له ولخاصته منازل جدارية متينة فسكنها الامير معن واعتزل المضارب لانه رآها خيراً من المضارب في تلك الجبال الباردة الكثيرة الانواء . وجعل بعد ذلك يحث اصحابه وقومه على البناء والعمائر . فكثر البناء في الشوف وشاع ذلك . فكان يقصده اهل كل ديار استولت عليها الافرنج من حوران وديار الشام وحلب . ومن جوار جبل لبنان واطرافه وغير ذلك فسكن فيه خلق كثير . وبقي الامير معن اميراً فيه نحو ثلاثين سنة . وهو اصل الامراء آل معن واليه ينتسبون . وصار الجبل ينسب اليهم فيقال جبل بيت معن (اي لبنان) . ثم مات الامير معن وقيل كانت وفاته سنة ٥٤٣ هـ كما سيأتي

وفي السنة ٥١٤ هـ = ١١٥٠ م حدثت حرب شديدة بين السلطان محمد وبين عمه السلطان محمود . وخرجت الكرج الى بلاد الاسلام من القفجاق وغيرهم من الامم . فاجتمع الامير ايلغازي ودبيس ابن صدقة والملك طغرلبك وكان له اران ونخجوان وهو من السلاجقة . وساروا الى الكرج حتى قاربوا من تفليس . وكان المسلمون

في عسكر كثير يزيد عن الثلاثين الفاً . فالتقوا واصطف العسكران للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم فدخلوا بينهم ورموا بالنشاب . فاضطرب جيش المسلمين وظن من وراءهم وانها هزيمة فانهزموا ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضاً وقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكرج عشرة فراسخ يقتلون و يأسرون . فقتل اكثرهم واسر اربعة الاف . ونجا الملك طغرلبك وايلغازي ودبيس . وعاد الكرج وحاصروا مدينة تفليس . واشتد قتالهم لمن بها . وعظم الامر وتفاقم الخطب و بقي الحصار الى سنة ٥١٥ وملكوها عنوة . وفي هذه السنة بعد وفاة الامير معن قام ولده الامير يونس على حكم جبل الشوف

وفي السنة ٥١٥ هـ = ١١٢١ م عصى سليمان بن ايلغازي ابن ارتق على ابيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة . فسمع والده الخبر فسار اليه مجداً فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذراً . فقبض على من كان عنده من خواص دولته وقتلهم . واراد قتل ولده فلم يطاوعه قلبه فهرب ولده الى دمشق . وقبض ابوه على من كان اشار عليه بذلك . منهم الامير ناصر الذي كان قد رباه صغيراً وجعل اليه الرئاسة فجازاه عن ذلك بقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات . ثم استناب ايلغازي على حلب سليمان ابن اخيه عبد الجبار ولقبه بدر الدولة ثم عاد الى ماردين . وفيها قدم من بلاد الترك الامير غازي بعزم شديد فلم يخش بلدوين الملك من جيوشه ولا من كثرة خيوله لكنه اتكل على الله تعالى وتوجه الى نواحي انطاكيه . فقدر الله ان عرض على غازي عارض شديد . وقبل ان تتواقع العساكر مات فاخذوه ودفنوه في مدينة حلب . وتفرق عسكره . وعاد كل واحد الى موطنه . واما بلدوين الملك فامر عند وصوله الى بيت المقدس ان تتوسع مكائيل الحنطة وسائر الموازين وترتفع المظلمة التي كانت على التجار بسبب الحنطة

(وفيها اي (سنة ٥١٥ هـ) اقطع السلطان محمود السلجوقي ميافارقين الامير ايلغازي المذكور وكان بين بلك بهرام ابن ارتق وبين جيوسلين صاحب الرها حرب انتصر فيها بلك واسر جيوسلين ومعه ابن خالته وليم (كليام) واسر جماعة من فرسانه ولم يقبل بلك الفدى بالمال وسجنهم في قلعة خرت برت . وفيها توفي ابو محمد القاسم ابن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات وكانت ولادته سنة ٤٤٦هـ وكان اماماً في النحو واللغة . وله عدة مؤلفات منها المقامات التي امره بتصنيفها انوشروان بن خالد بن محمد وزير السلطان محمود وكان الحريري قد الف مقامة واحدة على وضع مقامات البديع

وعرضها على انوشروان وكان خصيصاً به ٠ فامره بانشائها واتمامها ٠ والحريري بصري المولد وكان ينسب الى ربيعة الفرس ٠ وفيها قتل مؤيد الدين الحسين بن علي محمد الطغرائي المنشي الدئلي من ولد ابي الاسود الدئلي الاصفهاني وكان عالماً فاضلاً شاعراً كاتباً منشئاً ٠ خدم السلطان ملكشاه ابن الب ارسلان ٠ وكان متولياً ديوان الطغراء ٠ ثم استوزره السلطان مسعود وجرت بينه وبين اخيه محمود الحرب فاسر الطغرائي وقتئذٍ وقتل صابراً ومن شعره قصيدته الشهيرة التي اولها

اصالة الراي صانتني عن الخطلِ وحلية الفضل زانتني لدى العطلِ

وفي السنة ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م اتفق طغتكين صاحب دمشق مع امير العرب وسيرا الجيوش الى جهة طبرية ليسترجعوها من الافرنج ٠ فخرج بلدوين الملك في شهامة عظيمة لمقاتلتهما ٠ واذ لم يستفيدا من ذلك رجعا ادراجهما من غير مقاتلة ٠ واما بلدوين فلكي لايرجع فارغاً توجه الى الناحية القبلية وحاصر شيروصا ٠ واخذ اكثر المدن المشرة بقرب نهر الاردن ٠ وامتلك الحصن الذي مقابل بيسان ٠ وكان ابتناه طغتكين لاجل المحافظة على تلك النواحي فدكه بلدوين الى الارض ٠ وفيها توفي توفيق ابن زريق النحوي الطرابلسي وكان شاعراً فدفن في دمشق ٠ وفيها كانت الوحشة بين بلدوين الملك وبين بنطوس صاحب طرابلس حتى ان بنطوس نكث العهد والطاعة ولاجل ذلك اخذ الطمع امير الترك وصار يغري وينهب ويقتل في نواحي انطاكية ٠ فصدف ان وقع بين يديه جيوسلين صاحب الرها فارسله مغلولاً الى حصن خارج الفرات ٠ فلما سمع بذلك بلدوين توجه الى طرابلس فاعاد صاحبها الى الطاعة من غير قتال ٠ ثم سار الى انطاكية فانهزم الترك قدامه ٠ وعندما قصد السفر الى الرها ليصلح امورها ويستفك جيوسلين وهو في طمانينة خاطر وليس معه غير خاصته فقط صدف انه وقع ليلاً بيد الترك فاخذوه مغلولاً الى عند جيوسلين ٠ ولكن الله من حسن عنايته لم يتركهما بل ادخل الى الحصن خمسين رجلاً من الارمن من سكان تلك النواحي فقتلوا الحراس وهموا في اخراج الاسرى ٠ لكن للوقت شاع الخبر في الضياع القريبة وكان كلهم مسلمين فاخبروا امير الترك واسرعوا في القدوم الى الحصن واحتاطوا به فلم يفلت من الافرنج الا جيوسلين وبرفقته اثنان اخران ٠ ولما وصلوا الى الفرات قطعوه سباحة على ظرفين ٠ وارسلوا الى انطاكية والى بيت المقدس لكي ينجدوهم ٠ وقبل ان تقدم الافرنج لنجدتهم شدد المسلمون الحصار على الحصن

وامروا البنائين ان ينقبوا حيطانه . فالتزموا بتسليم الحصن . وعند ذلك قبضوا على الارمن وسلخوا بعضاً منهم ونشروا بعضاً ارهاباً للغير . وقبروا بعضاً منهم وهم احياء حتى ابادوهم عن اخرهم . ونقلوا الملك بلدوين مغلولاً الى مدينة حرّان التي بقرب الرها . ولما سمع خليفة مصر ماجرى للملك بلدوين وتحققه جهز العساكر في البر وارسل سبعين غراباً (مركباً) في البحر ليستخلص بلاد القدس من الافرنج . واما الافرنج فاختاروا أوسطات صاحب صيدا وقيسارية ليكون حافظاً للملك في غياب بلدوين الملك . وجمع هو والبطريرك نحو سبعة الاف رجل وتوجها من قيسارية الى يافا التي كانت تحت الحصار من المصريين الذين قدموا في البحر . فلما تحقق المصريون قدوم الافرنج دخلوا المراكب وهربوا مقلعين . ثم وصل عسكر المصريين وكانت جملته ستة عشر الف مقاتل . فهجم الافرنج على المصريين كالاسود الكاسرة . فقتلوا منهم نحو سبعة الاف وغنموا جميع ماوجدوا معهم . ورجع الباقون مهزومين . وفيها كانت وفاة اوسطات الحافظ . فاختار الافرنج بدله غوليلمس صاحب طبرية وكيلاً عن الملك . وفي هذه السنة خرج من بلاد البندقية ميخائيل اميرها باربعين قارباً وثمانية وعشرين مركباً قاصدين مساعدة النصارى الذين في بلاد القدس . فقدموا الى جزيرة قبرس وارسوا فيها . فلما بلغهم خبر مجيء قوارب مصر الى سواحل بر الشام استعدوا لقتالهم . ووجهوا اليهم اولا المراكب وهم راسون مقابل مدينة عسقلان . فظن اصحاب قوارب مصر انها مراكب الوسق لذلك قطعوا مراسي القوارب واسرعوا الى نهبهم . فادركتهم حالا قوارب البندقية واحتاطت بهم وقتلوا منهم جمعاً غفيرا لا يحصى عدده حتى احمرت مياه البحر من دم قتلى المسلمين على مسافة ميلين كما قيل . وان الفضاء امتلأ من رائحة جيف القتلى . وغنم منهم اهل البندقية اربعة قوارب وخمس ذلايك . ثم اقتفوا آثار المهزومين حتى وصلوا الى العريش فصادفوا عشرة مراكب موسوقة من نحو الشرق اقمشة وبهارات فغنموها وقتلوا من قتلوا من النوتية . واسروا الباقين وعادوا بهم مسرورين الى جهة عكا . ثم اجتمعوا واتفقوا على استفكاك صور وعسقلان اللذين كانتا باقيتين بعد بيد المسلمين وصار الشرط ان جميع ما يستخلصوه يكون ثلثه لاهل البندقية والثلثين لملك القدس . وان اهل البندقية يقدرون ان يعمروا في القدس وفي غيرها كنيسة وفرن وخان (وكالة) وحمام من غير مشورة ولا جمرك ولا ضيم . وان في مدينة صور يكون لاهل البندقية حق في الدخول والخروج والبيع والشراء بدون رسم عليهم . وان يرتبوا لهم كيل وموازين مثلما عندهم في نفس البندقية . وفيها كانت وفاة

ايلغازي ابن ارتق بميافارقين وملك مكانه اولاده حسام الدين تمرشاه على ماردين وولده سليمان على ميافارقين . وبقي ابن اخيه سليمان ابن عبد الجبار على حلب كما سبق فلما رأى بلك ابن بهرام ابن ارتق ضعف ابن عمه سليمان ابن عبد الجبار سار الى حلب وملكها بالامان .

وفي السنة ٥١٧ هـ = ١١٢٣ م سارت الجيوش الافرنجية الى اخذ مدينة صور . وكانت مدينة منيعة مملوءة من آلات الحصار والذخيرة . وكان فيها عسكر غفير ولها تجارة مع سواحل بلاد كسروان . وهي في قلب البحر ولا تتصل بالبر الا من جهة الشرق . حينئذٍ احاطت بها الافرنج براً وبحراً . ونصبوا حولها الابراج والحصون الخشبية العالية فكانوا يكشفون المدينة وابراجها الشامخة . وداوم الافرنج ضرب النقض والاحجار والمنجنيقات والات الحصار عليها ليلاً ونهاراً . وكان اهل صور يحامون عن نفوسهم وحريمهم واولادهم فاستنجدوا خليفة مصر وفي ملك دمشق فما استفادوا شيئاً . لان الافرنج من حين وضعوا الحصار دبروا ان امير البندقية يكون حافظاً طريق البحر لئلا تأتيهم النجدة من مصر ومن صاحب طرابلس . ورتبوا جيشاً من اهل البندقية ان يحفظ طريق البر . فقدم مرتين طغتكين مع عساكر الشام . ولم يدعهم الافرنج ان يقطعوا النهر . فيئس اهل صور من النجدة وامتلأت قلوبهم رعبة من الجوع ومن شدة الحصار فسلموها في الامان . حينئذٍ ملكتها الافرنج بفرح عظيم وغنموا جميع ما كان فيها . وقسموا لاهل البندقية الثلث كما صار الشرط بينهم . وعندما كان الافرنج محاصرين صوراً غارت اهل عسقلان مرتين على القدس فلم ينالوا غرضهم . وسار بلك امير الترك الى اخذ هيرابوليس المدينة فقتل صاحبها وتامل باخذها عن قريب . فوثب جوسلين صاحب الرها فقتله . وارسل اناس براسه الى انطاكية . ومن هناك الى العسكر الذي كان محاصراً صوراً ففرحت بهم جميعاً . وفيها استفك الملك بلدوين نفسه بمال وعاد الى القدس متعافياً

وفي السنة ٥١٨هـ = ١١٢٥م سار بلك ابن بهرام الى منبج فملكها وحاصر القلعة . وبينما هو يقاتل اصابه سهم في راسه فقتل وتفرق عسكره . وفي هذه السنة ملك اقسنقر حلب وقلعتها . وفيها قدم من خارج الفرات البرسقي بجيش كثير وغزا بلاد انطاكيه . وحضر اليه طغتكين ملك دمشق فملكا بالامان حصن كفرا . وساروا الى حصن صردان فحاصروه مدة ايام ورحلوا عنه . ثم قصدوا حصن حصرون فقدمت عليهم الافرنج من القدس

وطرابلس . وانتشب بينهم القتال فكانت الكسرة على المسلمين وقتل منهم مقتلة عظيمة وقيل ان عسكر الاسلام كان ينيف عن الخمسة وعشرين الفاً . وكان عسكر الافرنج الفين مشاة والف ومائة خيالة . ثم بعد ذلك رجع الملك بلدوين الى القدس . ذكر في تواريخ الروم انه في هذه السنة كانت وفاة هيلاكيوس ملك القسطنطينية . وكانت مدة تملكه على الروم سبع وثلاثين سنة واربعة اشهر . وعاش بكل عدل وسلامة . وقد ارتاح شعب الروم بايام هذا الملك . وفي تملكه تملكت الافرنج بر الشام كما تقدم عنه الشرح . و بعد وفاة الملك هيلاكيوس توجت الروم عليهم ملكاً ولده يوحنا الكومينيس

وفي السنة ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م كانت وقعة طبرية وذلك ان في هذه السنة جمع بلدوين جميع قواده وسار بهم الى جهة طبرية فسمع خبره طغتكين ملك دمشق وخرج للقاه بعسكر كبير . فغار بعضهم على بعض وثبت بينهم القتال نحو سبع ساعات . فقتل من الافرنج نحو مائة نفس . وقتل من اهل الشام نحو الفين وانهزم الباقون . وفيها سار صاحب طرابلس بجماعته الى نواحي حماة . وقدم الى معاضدته الملك بلدوين . فحاصروا دافانه مدة ثمانية عشر يوماً . وملكوها بالامان . ثم ان الملك عاد الى القدس وتوجه الى جهة صور فوردت اليه مكاتيب من انطاكية ان اقسنقر البرسقي عبر الفرات وقدم الى بلاد انطاكية بجيوش الموصل ولم يعفُ عن شرّ . فللوقت قاد الملك العسكر الى مقاتلته فرحل البرسقي من قدامه . فوثب عليه واحد من خواصه وقتله . وفيها قدم الى بلاد الشام بيوموند صاحب انطاكية . ففرح الملك بقدومه وزوجه ابنته واعطاه في صداقها جبلة واللاذقية . وردّ بيوموند مدينة انطاكية التي كانت لابيه الملك القدس فاستراح باله لان انطاكية كانت بعيدة كثيراً عنه وفي اطراف حكم الافرنج . وجعل كل عنايته في مصادقة ملك القدس . وفيها اخذ بيوموند جماعته وغار على قرية كفرا فاستخلصها من المسلمين . وفيها يقول ابن الحريري انه توفي طغتكين ملك دمشق . وكان بطلاً شجاعاً كثير الجهاد وتملك بعده ابنه تاج الملوك بوريد

وفي السنة ٥٢٣ هـ = ١١٢٨ م زوج الملك بلدوين ابنته الكبيرة لفولقان امير الشورانيين وقدم لها صداقاً عكا وصور . وفيها قتل ستة آلاف رجل اتهموا بمذهب الاسماعيلية . وفيها كما يذكر ابن الحريري قصد الافرنج ان يتملكوا دمشق وذلك لما تحقق بلدوين ملك القدس ان طغتكين مات جمع صاحب انطاكية وصاحب طرابلس وقواد العساكر الافرنجية وساروا بجيش كثير لمحاصرة مدينة دمشق راس بلاد

الشام كله . فاجتمع عسكر دمشق والتركمان والعرب و باغتوا الافرنج فهزموهم وقتلوا واسروا من اطراف العسكر خلقاً كثيراً . وقيل انه حدث على الافرنج مطر غزير وسيل عظيم وعواصف شديدة . فالتزموا ان يرجعوا ادراجهم مخزيين

وفي السنة ٥٢٤ هـ = ١١٢٩ م مات الآمر باحكام الله المنصور خليفة مصر . وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة وكان ظالماً وفاسقاً . وقيل ان وفاته كانت بعد هذا بسنة وكان وزيره شاهنشاه ابن الجمالي الارمني حسن الاخلاق وجميل السيرة . فارسل له من قتله واستولى على خزائنه وحواصله . ولم يسمع بمثلها كما يذكر ابن الحريري . وكان ثمن دوابه اثني عشر الف دينار . وقيمة نتاج مواشيه في كل سنة ثلاثين الف دينار . واخذ الآمر من داره مائة حمل دراهم وستة الاف الف دينار وسبعين الف ثوب ديباج . وولى على الوزاره بعده البطائحي ولقبه بالمأمون . ثم صلبه بعد اربع سنين ثم توفي الآمر وتخلف بعده[1] ابن عمه عبد المجيد وكنيته ابو الميمون ولقب الحافظ لدين الله وهو الحادي عشر من الخلفاء الفاطميين

وفي السنة ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م سار رضوان صاحب حلب الى قيليقية (كيليكية) بجيش كثير . فخرج بيوموند صاحب انطاكية ليطرده فوثب عليه رضوان وقتله . وكان بيوموند بعد شاباً جاهلاً . فمات ولم يخلف الا ابنة من ابنة بلدوين . ودعا امتها قونسطنسا . وحزن عليه جميع اهل انطاكية . و بالاخص بلدوين الملك بسبب ترمل ابنته وعدم وجود من يدبر انطاكية . واما زوجته فمن خوفها بان يحرموها الحكم استنجدت عماد الدين زنكي قائد عسكر الاسلام . ولما سمع بلدوين بذلك سار حالاً الى انطاكية ليرتب امورها . فقصدت ابنته ان تمنعه من دخول انطاكية . وعند ما خاب املها طلعت الى القلعة وتحصنت بها . فطلع اليها اكابر انطاكية فطيبوا خاطرها وحضروا الى ابيها فلم يظهر انه حانق عليها بل اعطاها جبلة واللاذقية التي قدمها لزوجها في صداقها واعطاها محافظة انطاكية تحت نظارة اناس امناء . ثم رجع الى بيت المقدس . وفي حال وصوله اصيب بحمى شديدة . وللوقت خرج من القصر ودخل على البطريرك فارسل واستحضر فولقان (فولك دي انجو) زوج ابنته الكبيرة ورؤساء البيعة واعيان الجماعة فاوصاهم بولده بلدوين وله من العمر سنتان وتوفي وفتئذ . فحزن عليه كل من كان يعرفه

---

(١) قتل الآمر باحكام الله اذ خرج الى متنزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه . وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذات حمتين فنال الناس منها خوف شديد واذى عظيم

ودفنوه بعز في مقبرة الملوك . وكان بلدوين الملك بطلاً شجاعاً . ملك نحو اثني عشرة سنة وكسر المسلمين في عدة وقعات . واستفلك من يدهم مدينة صور . وفيها تتوج فولقان (اوفولك دي انجو) ملكاً على القدس برضى الامراء والاعوان . ثم توجه الى طرابلس ثم الى انطاكية ورتب امورها واصلح بينهما ومنع زنكي عن التجول في ارض الافرنج . وعاد الى القدس . وحال وصوله بلغه الخبر ان عسكر الموصل دخل الفرات ووصل الى قنسرين ليطرد الافرنج . فاسرع بالعودة اليهم وقتل منهم اكثر من ثلاثة الاف نفس . وغنم العسكر خيلهم وعبيدهم وخيامهم . وعادوا مسرورين الى مواطنهم وفي هذه السنة توفي السلطان محمود بن ملكشاه السلجوقي ملك همدان . وكان حكيماً كريماً عاقلاً يسمع مايكرهه ولا يعاقب عليه مع مقدرته . وكان قليل الطمع باموال الرعية . (واتفق وزيره ابو القاسم النشاباذي واتابكه اقسنقر الاحمديلي على مبايعة ابنه داود فطلبا الخطبة له من المسترشد خليفة بغداد . واختلف على ذلك هو وابن عمه مسعود ثم فصل بينهما خليفة بغداد وجعل الخطبة للسلطان سنجر)

وفي هذه السنة وقعت الالفة بين سمعان صاحب كسروان والامير يوسف صاحب جبيل وقدم الامير يوسف الى سمعان عدداً من الخيل والجمال . وبعد مدة وجيزة كانت وفاة الامير سمعان فتخلف مكانه خاله احد حفداء المقتول في قب الياس في ايام عبد الملك ابن مروان صاحب الشام وكان ذا سطوة و باس فسار الى القسطنطينية ودخل على ملك الروم فاكرمه واثبت عليه امارة كسروان وكان اسمه كسرى . وقيل ان الملك سماه كسرى ومن ذلك الوقت سميت كسروان وكانت قبل ذلك تسمى بلاد المردة

وفي السنة ٥٢٦ هـ = ١١٣١ م قال ابن الحريري في ٢١ رجب توفي تاج الملوك بدري ابن طغتكين ملك دمشق وذلك انه وثب عليه اسماعيلي فجرحه ومات من ذلك الجرح . وملك بعده ابنه شمس الملوك اسماعيل . واوصى بان بعلبك واعمالها تكون لولده شمس الدولة محمد . وفيها يقول ابن الحريري ان عسكر حلب الاسلامي غزا اللاذقية واسر من الافرنج سبعة الاف واخرب اللاذقية . وفيها صارت الفتنة بين الافرنج لسبب صاحب يافا فسار اليهم فولك دي انجو الملك لاجل الصلح وحفظ الطاعة فسار شمس الملوك صاحب دمشق على غفلة من الافرنج الى حصن بانياس فملك المدينة بالسيف وتسلم القلعة في الامان وغنم امتعتهم واسر كثيرين منهم . وفيها تزوجت

قونسطنسة ابنة) بيومند (او بوهمند) صاحب انطاكية الامير ريموندس برضى الملك وامراء الافرنج . وترك رايموندس انطاكية لاجل زوجته . وكان المذكور شاباً جميل المنظر محباً لاهل العلم و بطلاً في الحروب قنوعاً بنفسه وكريماً لغيره . وفيها بنى الملك حصناً منيعاً في بيت جبريل (قيل انها هي بير سبع) ليمنع اهل عسقلان من الجولان بارض الافرنج . وامر الخليفة صاحب مصر ان كل ثلاثة اشهر تتجهز النجدة الى عسقلان من الرجال والميرة والات الحرب ليضعفوا قوة الافرنج . وفيها تملك اسماعيل ملك دمشق مدينة حماة وطرد منها زنكي الذي كان اخذها من سونج بالغدر . وانتقل اسماعيل في الجيش الى سيجر . فنهب البلد وحاصر القلعة وعاد عنها لاجل المال الذي على صاحبها وسار الى دمشق . وفيها جمع عماد الدين زنكي ابن سنقر عساكر التركمان وقصد طرابلس فخرج اليه صاحبها بجماعته فتجار با فوق المدينة وكانت الهزيمة على الافرنج . فاخذوا بنطس صاحب طرابلس الى الجبل وقتلوه وحصر التركمان الافرنج في حصن بوين . ثم ان رايموندس ابن بنطس تخلف على طرابلس بدل ابيه وجمع عسكر الافرنج وخرج لمحاربة التركمان . فاقاموهم عن حصار حصن بعرين وامسك الذين اشتركوا في قتل ابيه واخذهم واولادهم ونسائهم الى طرابلس واهلكهم جميعاً بانواع مختلفة . وفي هذه السنة لما سمع ملك الروم ان الامير رايموندس تزوج ابنة بيومند (بهوممند) من غير مشورته ولا رضاه وتملك انطاكية جمع جيوشاً كثيرةً وسار الى بلاد الشام بخيول عربية واموال جزيلة لاتحصى . وعند وصوله الى كيليكية تملك طرسوس ثم ادنه ثم لسترة وهي المصيصة وولى عبده على كل بلاد كيليكية وعلى كل مدنها وحصونها . وكانت تحت سلطنة الافرنج مدة اربعين سنة . ثم انه قصد انطاكية فاحاطت بها الروم من كل جهة واشتد عليها الحصار . وكان زنكي قد دخل بالتركمان والعربان الى ولاية طرابلس وحاصر حصن منفرنت الذي فوق رافانه . فوصلت هذه الاخبار الى فولك ملك القدس فسار بفرسان الافرنج الى جهة طرابلس . فرفع زنكي الحصار عن الحصن وخرج الى لقاهم فهزمهم وضايقهم في مضيق حرج واعمل السيف فيهم . وقبض على القومس صاحب طرابلس واخذ خيام العسكر وخيلهم وجميع المواشي التي كانت معهم . والتجأ الملك فولك الى الحصن مع اناس قلائل . ثم ان زنكي رجع الى محاصرة الحصن فقتل كثيرين وجرح كثيرين . ولم يزل يضايق الحصن ليلاً ونهاراً حتى الزم الذين فيه ان يسلموه لعماد الدين زنكي بشرط انه يطلق سبيل القومس ولا يضر باحد من رفاقه . فارتضى

بذلك زنكي لانه اتاه خبر بقدوم عساكر الافرنج من بلدان بعيدة لينجدوا ملكهم وفي حال وصول الافرنج الى وطاء عرقة اجتمعوا بصاحب الرها وصاحب انطاكية اللذان تركا بلدانهما بيد الاعداء واسرعا الى معاضدة الملك فشكر فضلهما وجد عملهما وعاد الى القدس . واما الاميران صاحب انطاكية وصاحب الرها فسارا الى انطاكية واذ لم يكن لهما قوة لمقاومة جيوش ملك الروم ادخلوه بالامان ووضعوا رايته فوق القلعة بشرط انه يستخلص حلب وشيزر وحماه من يد المسلمين وتكون هذه الاماكن وما يليها لاميرانطاكية . وتكون انطاكية لملك الروم وحده . فارتضى بذلك الملك واكرم الامير وخلع عليه خلعًا شريفة وعطايا منيفة . ثم عادوا الى طرسوس وشتى فيها . وبعدما مهّد امور كيليكية وبلاد الشام عاد الى القسطنطينية . وفي هذه السنة ارسل السلطان سنجر الى عماد الدين زنكي ودبيس ابن صدقه يامرهم بالحضور الى العراق فساروا اليه ونزلوا شرقي الدجلة . وعبر الخليفة المسترشد بالله الى الجانب والتقى العسكران بحصر البرامكة فحمل زنكي على خيمة الخليفة فالتقته البطانة وعظم القتال فانهزم دبيس وعماد الدين وقتل من عسكرهم جماعة . ثم قدم الخليفة الى الموصل وضيق عليها الحصار مدة ثلاثة اشهر . فلم يملكها فعاد الى بغداد

وفي السنة ٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م يقول ابن الحريري . سار اسماعيل ملك دمشق الى حصن الشقيف وتملكه بعدما امتنع عليه واخذه من الضحاك ابن جندل رئيس وادي التيم . فعظم ذلك على الافرنج . وقصدوا بلاد حوران فناوشهم شمس الملوك بجمع كثير ثم اغار على بلادهم من جهة طبرية فرحلوا عائدين ثم تهادنوا . وفيها استولى عماد الدين زنكي على جميع قلاع الاكراد الحمادية وعلى القلاع العكارية (وروى الهكارية) وكواشي . وفيها تقرر الصلح بين المسترشد خليفة بغداد وبين عماد الدين زنكي ثم سار المسترشد بالله الى حرب السلطان مسعود ومعه جماعة من الامراء فواقعهم السلطان مسعود عاشر رمضان فخانت الامراء الخليفة واحاط به عسكر السلطان محمود وقبضوا عليه واتوا به الى السلطان مسعود فوكل به جماعة وقام بما يجب عليه من خدمته . ثم تقرر الصلح بينهما على مال يؤديه الخليفة ولا يعود يجمع العساكر ولا يخرج من داره . فرضي الخليفة بذلك وهمّ بالرجوع الى بغداد فدخل عليه اربعة وعشرون رجلاً من الباطنية وقتلوه وقطعوا انفه واذنيه وتركوه مرميًا في الخيمة عريانًا . وكانت خلافته سبع عشرة سنة وسبعة اشهر . وقتل على باب مراغة ودفنه اهلها وكان عمره ٤٣ سنة .

الفصل الثلاثون

في خلافة الراشد وهو الثلاثون من العباسيين

وبعد قتل المسترشد بويع بالخلافة الى ولده المنصور ولقب بالراشد بالله ٠ وكان المسترشد بايع له بولاية العهد في حياته فجددت له البيعة بعد قتله

وفي السنة ٥٢٩ هـ = ١١٣٤م وثب الاسماعيلية على الملك اسماعيل ابن البوري صاحب دمشق فقتلوه ٠ وكانت مدة دولته ثلاث سنين ٠ وتملك دمشق بعده اخوه محمود وتلقب بشهاب الدين واتابكه معين الدين معز ٠ وفيها تسلم شهاب الدين محمود ابن بوري حمصاً وقلعتها ٠ وفيها سار فولك ملك القدس الى خارج نهر الاردن لياخذ الحصن الذي على راس الجبل المقابل جبل جلعاد ٠ وكان معه عدد غفير الذين قدموا الى زيارة القدس ٠ وقصد الملك ذلك الحصن لانه كانت تجتمع فيه المسلمون من بلاد موآب وعمون وجلعاد ومن هناك كانوا يتجولون في ارض القدس ٠ وكان مركز الحصن منيعاً جداً لان داخل بابه مغارة والطريق التي تؤدي اليه ضيقة ٠ وبعد حصار شديد تملكه الافرنج ٠ وفيها كانت الوقعة عند حبرون بين الافرنج واهل عسقلان وكانت الكسرة على الافرنج ٠ وفيها سار عماد الدين زنكي صاحب الموصل ففتح المعرّة وكفر طاب واخذها من الافرنج ٠ ثم سار الى بعرين فجمع الافرنج جيوشهم وملوكهم وجرى بينهم قتال شديد فانهزمت الافرنج الى حصن بعرين وعاد زنكي الى حصار الحصن وضيق عليهم حتى طلبوا الامان ٠ فقرر على تسليم الحصن خمسين الف دينار ٠ وفيها سار ملك الروم الى بلاد الشام ثاني مرة وكان معه اولاده وجيش عظيم ٠ وفي حال وصوله الى ايطاليا مات له ولدان ٠ فوكل بهما اخاهما اسحق لياخذهما ويدفنهما في القسطنطينية ٠ ثم سار الى طوربسير التي بقرب الفرات ٠ فخرج للقاه جوسلين امير الرها فطلب منه رهناً لاجل حفظ الطاعة ٠ فارهن جوسلين ابنته اذ لم يقدر ان يقاوم قوة ملك الروم ٠ ومن هناك انتقل الملك الى جهة انطاكية ٠ وارسل قصاده الى الامير لكي يدخل خيامه داخل المدينة كما سبق العهد ٠ فضجت اهل انطاكية كلها بصوت واحد ان هذا الشيء لايكون ٠ وان اذن له بالدخول فيخلونها كلهم او يبذلون نفوسهم دونها

فخنق الملك من كلامهم وابقى فتح المدينة لوقت اخر وعاد الى كيليكية ليشتي عسكره فيها وفي هذه السنة وثب غلام ارمني علي دبيس ابن صدقة فقتله • وكان ذلك بتدبير السلطان مسعود

وفي السنة ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م اجتمع الملوك واصحاب الاطراف ببغداد • وخرجوا عن طاعة السلطان مسعود • وسار الملك داود ابن السلطان محمود في عسكر اذربيجان الى بغداد • (ووصل اتابك عماد الدين بعده من الموصل • وخطب للملك داود ببغداد • فلما بلغ السلطان الخبر جمع العساكر وسار الى بغداد وحاصرها خمسين يوماً ونيف • فلم يظفر بها فعزم على العود الى همذان • فوصله طرنطاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها • فاختلفت كلمة الامراء المجتمعين ببغداد • فعاد الملك داود الى بلاده وتفرق الامراء • وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد وسار معه الى الموصل في نفر يسير من اصحابه • ودخل السلطان مسعود الى بغداد واستقر بها وجمع القضاة والشهود والفقهاء • وعرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد له وفيها بخط يده انني متى جندت او خرجت او لقيت احداً من اصحاب السلطان مسعود بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر • فافتوا بخلعه وقطعت خطبته من بغداد وسائر البلاد وكانت خلافته احد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً • وفي هذه السنة كان ابو علي المهندس المصري موجوداً بمصر قيماً بعلم الهندسة وكان فاضلاً فيه وفي الادب وله شعر يلوح عليه الهندسة فمن شعره

تقسم قلبي في محبة معشر بكل فتى منهم هواي منوط
كان فؤادي مركز وهم له محيط واهواي لديه خطوط

وله ايضاً

اقليذس العلم الذي هو يحتوي ما في السماء معاً وفي الافاق
هو سلم وكانما اشكاله درج الى العلياء للطراق
تزكو فوائده على انفاقه ياحبذا زاك على الانفاق
ترقى به النفس الشريفة مرتقى اكرم بذاك المرتقى والراقي

الفصل الحادي والثلثون

في خلافة المقتفي ابن المستظهر وهو الحادي والثلثون من العباسيين

لما قطعت خطبة الراشد بالله تقدم السلطان مسعود لكتابة محضر يذكر فيه ماارتكبه الراشد من اخذ الاموال واشياء اخر تقدح في الامامة . ثم كتبوا فتوى هكذا «ماتقول العلماء في من هذه صفته هل يصلح للامامة ام لا» . فافتوا ان من هذه صفته لايصلح ان يكون اماماً فاستشار السلطان جماعة من اعيان بغداد فيمن يصلح للخلافة . فذكر الوزير محمد ابن المستظهر ودينه وعقله ولين جانبه وعفته فأُحضر المذكور وأُجلس في الميمنة . ودخل السلطان والوزير وتحالفا وقرر الوزير القواعد بينهما . وخرج السلطان من عنده وحضر الامراء والقضاة وبايعوه ثاني عشر ذي الحجة ولقب بالمقتفي لامر الله

وفي السنة ٥٣١ هـ = ١١٣٦ م فارق الراشد المخلوع اتابك زنكي من الموصل وسار الى همذان وبها الملك داود . وفيها دخل الى اصفهان فلما كان اخر رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان في انتقام من مرض برأ منه . ودفن بظاهر اصفهان بشهرستان وكان عمره اربعين سنة)

وفي السنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ (وصل اتابك زنكي الى حماه وارسل الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه امه ليتزوجها . واسمها زمرد خاتون ابنة جاولي وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق على نهر بردى . فتزوجها وتسلم حمص مع قلعتها . وانما حمله على التزوج بها مارآه من تحكمها في دمشق فظن انه يملك البلد بالاتصال اليها . فلما تزوجها خاب امله ولم يحصل على شيء فاعرض عنها . وفيها ملك حسام الدين تمرتاس ابن ايلغازي صاحب ماردين قلعة الهتاخ اخذها من بعض بني مروان وهو آخر من بقي منهم له ولاية) . وفيها سار ملك الروم الى براغة وهي على ستة فراسخ من حلب فملكها بالامان في شهر رجب . ثم غدر باهلها وقتل منهم واسر وسبى . ويقول ابن الحريري ان قاضيها تنصر ومعه اربعمائة نفس . ثم رحل عنها بمن معه الى حلب فنزل على قويق وزحف على حلب وجرى بينهم قتال شديد فكسر المسلمون الروم وقتلوا منهم بطريقاً عظيم القدر . ثم رحلوا الى الاثارب فملكوها وتركوا فيها سبايا براغة وتركوا عندهم من الروم من يحفظهم . ثم سار ملك الروم الى شيزر ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقاً . فخرج اليه زنكي بمن معه واوقع

بن في اتراب فقتل الروم وخلص اسرى براغة وسباياها · وارسل صاحب شيزر الى زنكي يستنجده · فركب زنكي وعسكره ونزل بجانب العاصي بين حماه وسيجر حتى رحل ملك الروم عنها وارسل ملك الروم مكاتيب محبة الى فولك دي انجو ملك القدس يعلمه بان في خاطره ان يزور المدينة فاوجس فولك منه · ولكنه لم يجسر ان ينهيه عن ذلك . فاجابه ان البلاد مقحطة والاسعار غالية · ولا يمكن ان مدينة القدس تقوم بما يلزم لجيشه بل اذا قصد زيارتها فليصحب معه عشرة الاف نفس حتى يخرج هو بنفسه الى ملتقاه و يقتبله بكل كرامة التي تليق بجلالته · فاقتنع ملك الروم بذلك واكرم نوابه بخيرات كثيرة · وعند ماعاد ملك الروم الى طرسوس وخرج الى الصيد حدث له جرح في يده بنشاب مسم فمات منه وحزن عليه كل الجيش · وتملك عوضه ابنه مناويل ومشى مناويل خلفه وحمل جسده ودفنه · اما الافرنج فاطمأنت خواطرهم من كل جهة · ولم يبق لهم ضد في بلاد القدس الا مدينة عسقلان · فبني الملك فولك برجاً منيفاً بقرب اللد وحصناً اخر في حدود ارض الفلسطينيين بقرب عسقلان · و بعد مدة عمر غزة وشيدها بالاسوار والابراج · فضعفت قوة الأعداء · وامنت البلاد من غاراتهم · واما الست زوجة فولك او فولقان فبنت لاختها ديرًا في بيت عنيا واقامت له حصناً منيعاً ليصونه من الامم الغريبة · وانعمت على ذلك الدير باوقاف وعطايا جزيلة · وفي هذه السنة توالت الزلازل بالشام واخربت كثيرًا من البلاد ولا سيما حلب · حتى فارق اهل حلب بيوتهم وخرجوا الى الصحراء

وفي السنة ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م وثب المماليك على شهاب الدين محمود ملك الشام فقتلوه · وقدم اخوه جمال الدين محمد من بعلبك فتسلم دمشق واعطى مدينة بعلبك لمعين الدين اتز · فلما راءى ذلك عماد الدين زنكي سار الى بعلبك فملكها بالامان وعصت عليه القلعة اياماً فامنهم وسلموه القلعة · فلما ملكها غدر بهم وقتلهم عن اخرهم

وفي السنة ٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م قويت شوكة عماد الدين زنكي وسار الى دمشق فخرج اليه محمد صاحبها وتواقعا فانهزم عسكر دمشق وقتل منهم خلق كثير · وزحف زنكي باهل الموصل وكاد ان ياخذ البلاد · ثم ارسل الى صاحبها محمد ابن بوري و بذل له حمص ببعلبك فلم يرضوا ولم يأمنوه بسبب غدره باهل بعلبك وثبت نازلاً على داريا حتى مرض محمد صاحب دمشق ومات · وتولى على دمشق ولده مغير الدين اتق · فطمع بالاكثر زنكي على اخذ المدينة وزحف عليها واشتد القتال . فاستنجد مغير الدين

صاحب دمشق بفولك ملك القدس . ولاجل تصديق القول وعده ان يقدم لعسكر الافرنج كل شهر عشرين دوكة ذهب . وانه متى ارتحل زنكي عن دمشق تكون بانياس لفولك ملك القدس . وارسل له اولاد امراء دمشق ليكونوا عنده رهناً . فرضي بذلك ملك القدس وجمع امراء العساكر عند طبرية وزحفوا على زنكي فانهزم من قدامهم وهرب . ثم انهم طلبوا ان يستولوا على بانياس فاستعلموا ووجدوا ان الذي كان حافظها من قبل مغير الدين سلمها بيد زنكي . ثم احاطت الافرنج ببانياس ونصبوا حولها برجاً من خشب وشددوا عليها الحصار حتى ملكوها بالامان . واما زنكي فعاد الى محاصرة دمشق واحرق عدة قرى من المرج وارتحل عنها . وفيها ملك زنكي شهرزور واخذها من صاحبها ابن ارسلان التركماني وفيها اخذت الاسماعيلية حصن مصياف وجبلة

وفي السنة ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م خرج الملك فولك يتنزه في بساتين عكا وكان صحبته جماعة . فوثب عليه احد خواصه فقتله وكان له في الملك احدى عشر سنة . وفيها وقعت الفتنة بين جوسلين و بين الامير صاحب انطاكية . فطمع بهما عماد الدين زنكي وقصد فتح الرها . وكان جيوسلين في دير بسال الذي يبعد عن الرها مسافة يوم . فارسل جيوسلين ليستنجد بيلدوين الملك و بالامير فتأخر عنه الامير بسبب العداوة التي كانت بينه و بين جوسلين . فحاصر زنكي الرها ثمانية وعشرين يوماً وشدد عليها الحصار حتى ملكها بالسيف . وضرب اهلها بالسيف قبل ان يوصل بلدوين الملك لنجدتها . وفي اخر هذه السنة توفي خرقان ملك الخطا وهو الذي هزم السلطان سنجر واستولى على بخارا وسمرقند . وكان طاغياً جباراً وكان عدد جيشه ثلاث مائة الف

وفي السنة ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م توفي محمد بن دانشمند صاحب ملطية والثغر واستولى على بلاده الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية من السلجوقية)

وفي السنة ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م اصطلح عماد الدين زنكي مع السلطان مسعود وسار زنكي بعسكره الى ديار بكر فتملك طنزه وسعود وخيران وحصن الروق وحصن تفليس وحصن باسا وحصن ذي القرنين واخذ من بلاد ماردين كلما هو بيد الافرنج حماين والموزر وتل موزر وحصون شبجان . وفيها اخذ المسلمون الحصن الذي في وادي موسى النبي حيث ضرب الصخرة واخرج منها للشعب العطشان ماء . وهو في بلاد الشوبك وكان بيد الافرنج . فسار الى ذلك الحصن بلدوين الملك وشدد عليه الحصار فما قدر على اخذه وعندها قصد الافرنج ان يحرقوا الزيتون الذي في تلك الوادي بعد ان يقطعوه فاضطر

اهل البلاد ان يسلموا الحصن بالامان ولا يخسروا النتاج الذي يأتيهم كل سنة من الزيتون

وفي السنة ٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م سلم زنكي سروج وسائر الاعمال التى كانت بيد الافرنج بشرقي الفرات · ونزل على البيري وحاصرها فسمع ان نايبه قتل بالموصل فرحل عنها · ثم ان نجم الدين صاحب ماردين تسلم البيري من الافرنج · وفيها قدم صاحب بصرة التي في بلاد العرب الى عند بلدوين الملك وطلب منه نعمة ان يسلمه بصرة فرضي بذلك بلدوين · وزحف بالعسكر الي بلاد الشوبك فاحتمل مشقة عظيمة من الشاميين ومن اهل البلاد · ولا سيما من زيادة الحر وعدم وجود الماء في الطريق · وعند ماوصلوا وجدوا ان زوجة الرجل صاحب بصرة سلمت المدينة للمسلمين فرجعوا الى القدس مهزومين · واما قائد جيش المسلمين فامسك الرجل صاحب المدينة وسمل عينيه واستولى على جميع امواله · وفي هذه السنة ظهر الجراد في بلاد الشام · وفي هذه السنة ظهرت البدعة في بلاد جبيل وكسروان من رجلين كانا يقولان ان الله تعالى لم تكن له روح مخلوقة وطبعه غير قابل الاوجاع والالام ووقع الانشقاق [1] والاختلاف بين نصارى تلك البلاد · وحين بلغ الملك الظاهر برقوق جهز العساكر وغزا نواحي كسروان واقام الحرب عليها سبع سنين · واحرقت عساكر المسلمين تلك القرايا التي في بلاد جبيل وكسروان وقطعت الاشجار الى ان تولى الملك صلاح الدين يوسف اول ملوك الايوبيين ولم يبق مكان عامراً سوى حصن معراب وهربت نصارى كسروان وبلاد جبيل الى نواحي بلاد الشوف [2] وصارت بلاد كسروان برية مقفرة واما بلاد جبيل والبترون فكانت آهلة برجالها في نواحي نهر ابراهيم

وفي السنة ٥٤٠ هـ = ١١٤٥ م حاصر عماد الدين زنكي قلعة جعبر وكان صاحبها علي ابن مالك العقيلي واستمر مدة نازلاً عليها فوثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه ليلاً وهو

---

(١) هذا يشير الى البدعة التي حصلت بتلك الازمان من وجود قوم انكروا ان للمسيح طبيعتين ومشيئتين وقالوا ان له طبيعتين ومشيئة واحدة اي انكروا ثبوت الناسوت له وهي تشبه بدعة اليعاقبة والنساطرة وما شابه كلهم

(٢) قبل هذه السنة لم يوجد من النصارى الموارنة في بلاد الشوف ولا عائلة لان جميع الموارنة فيه اتوا اليه من بلاد جبيل وكسروان وللمرحوم البطريرك بولس مسعد الماروني تاليف واف يبين فيه اصل كل العائلات المارونية القاطنة في جبل الشوف وانسابهم واصولهم وفروعهم ومن اي بلدة كانوا واين سكنوا ومن ينسبهم في الشوف وفي كسروان

سكران في خامس ربيع اول · وكان عماد الدين زنكي ابن سنقر صاحب الموصل رجلاً شجاعاً مهوباً حكم على مدائن كثيرة · ولما قتل اخذ ابنه نور الدين محمود خاتم والده وسار الى حلب فملكها · وكان اخوه سيف الدين غازي بشهر زور · فسار الى الموصل واستقر على ملكها · وفيها سمع مغير الدين سلطان دمشق بقتل زنكي فاتى وحاصر حصن بعلبك وتسلمها بالامان واعطى لنجم الدين ايوب حافظها اقطاعاً وعدة قرى من بلاد دمشق·

وفي السنة ٥٤١ هـ == ١١٤٦ م جمع نور الدين ابن زنكي الجيوش الحلبية والشامية وتوجه لنواحي الموصل لمقاتلة اخيه سيف الدين · فارسل نصارى الرها يعلمون جوسلين بان الرها كانت خالية من المسلمين · فقطع جيوسلين الفرات بجماعته ووصل الى الرها ليلاً فادخله النصارى من الصور وتملك المدينة · ووضع الحصار على القلعة التي كانت بيد المسلمين · فجمع نور الدين الرجال من داخل الفرات ومن خارجه ونصب المنجنيقات والحصار على المدينة · فطلب الافرنج الرحيل لعدم وجود آلات الحصار معهم ولقلة الميرة · وخرج معهم نصارى المدينة بنسائهم واولادهم فوثب عليهم نور الدين واهل القلعة واخذوهم في الوسط ولم يعفوا عن كبير ولا عن صغير منهم · فقتلوا الجميع وغنموا كل ما كان معهم · ولم يفر الا جيوسلين ونفر قليل من جماعته دخلوا شيشاط · والاخرين هربوا الى مواضع اخرى ثم دخل بلاد الافرنج وفتح مدينة اريحا بالسيف وحصن مامولا و بصرفوت وكفرلانا · وفيها كتب مغير الدين ملك دمشق الى الامير بحتر ابن شرف الدولة ابن تنوخ المشهورين بامراء الغرب بثغر بيروت ان يتصرف بالقرى التي بالجبل المجاور مدينة بيروت كما كان يتصرف بها والده · وفي هذه السنة عند ما ضعفت احوال الافرنج في بلاد الشام واخذت منهم الرها ارسلوا مكاتيب ومراسيل الى بابا رومية فارسل المذكور مكاتيب الى ملوك الافرنج و بلدانهم ينذرهم ويحثهم على السفر الى بلاد الشام فامتثلوا كلامه · وتجهز غوفراد (كودفرا امبراطور النمساء) · والملك لويس ملك فرنسا مع جملة امراء ومقدمين وشعب لا يحصى عدده من اصقاع مختلفة · فقدم اولاً امبراطور غوفراد الى جهة القسطنطينية وكان بصحبته ثلاثماية الف مقاتل ونيف · ولما وصلوا الى القسطنطينية ترحب بهم مناويل ملك الروم وارسل معهم قوم منافقون لكي يضلوهم في الطريق · فاجتازوا بهم في بلاد الميترنيط وادخلوهم الى بلاد ليقاونية على طريق البرية · وتركوهم ليلاً ورجعوا · وشاع الخبر عنهم ان

جيشهم غطى الارض (بالاموات) . فارسل سلطان ايقونية يطلب النجدة من بلاد المسلمين و يوعدهم بكثرة الاموال . فاتت اليه الجيوش من ارمينية وكبدوكية وقيليقية وماردين والموصل لنجدته . وعند ما كان جيش الافرنج معذباً ومهاناً من مشقة الطريق وخالياً من الذخيرة ومتفرقاً في الاماكن المقفرة وثبت عليهم عساكر المسلمين وغنموا اموالهم وخيولهم وقتلوا واسروا خلقاً لا يحصى عدده . ولعدم معرفتهم المسالك كانوا يسلمون انفسهم من غير قتال . وارادوا الرجوع مع الامبراطور الى نيقية . وبعد ذلك سار لويس ملك فرنسا في البحر . ولما وصل الى القسطنطينية وكان معه نحو سبعين الف مقاتل التقاه ملك الروم بكل اكرام وقدم له الهدايا والذخائر . ثم سار الى نيقية واجتمع بالامبراطور ملك النمسا . فتوجها معاً الى ازمير . ومن هناك الى افسس ثم الى اللاذقية . وفيها توفي عماد الدين زنكي ابن سنقر . وتملك ولده ايلغازي على الموصل . وكان شجاعاً مهوباً وتملك في حياته مدناً كثيرة . وكان حاضراً تلك الموقعة التي صارت مع الافرنج . وفيها سارت عساكر الملك الظاهر برقوق الى محاربة اهالي جبل لبنان الملقبين بالمردة . فاحرقت عساكر الاسلام بلاد كسروان وداسوا الاراضي الوعرة الصعبة حتى لم يبق في تلك النواحي ساكن وهربت النصارى سكان كسروان الى جبل الشوف وقطنوا في تلك القرايا وعمروها كما سبق

وفي السنة ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م انتقل لويس ملك فرنسا بجيشه الى جهة اللاذقية وعندما وصلوا الى النهر وقف عسكر المسلمين بازائهم يمنعهم عن الدخول . فامتدوا الى المخاضة وقطعوا النهر وزحفوا على الاعداء فكسروهم وغنموا اموالهم و بعدما اجتازوا اللاذقية قصدوا طلوع جبل عالٍ عند العصر وهم متعبون من رداءة الطريق وصعوبة الطلوع . فاعترضهم في طريقهم عسكر الاعداء فشتت شملهم وكسرهم كسرة عظيمة . ثم بعد جهد جهيد ومن قلة المؤنة وصعوبة الطرق دخلوا بلاد الشام . وفي وصولهم الى نهر العاصي خرج الامير صاحب انطاكية وحاشيته فاستقبلوهم بكل العز والاكرام واكرموهم بالتحف والعطايا و بالاخص لكون زوجة الملك لويس كانت ابنة اخي الامير وكانت برفقته . ثم ان ملك فرنسا سار في طريق البر من انطاكية وكونراد في طريق البحر ووصلا كلاهما الى زيارة مدينة القدس فاستقبلهما ملك القدس بفرح لا يوصف وفيها اجتمعت ملوك الافرنج الثلاثة مع امرائهم وجيوشهم واتفقوا على استخلاص مدينة دمشق وساروا معاً الى طبرية ثم الى بانياس ثم الى داريا التي تبعد عن

دمشق مسافة اثني عشر ميلاً . ذكر ابن سباط ان عددهم كان ستين الف راجل وستة الاف فارس وقيل عشرة الاف . فبرز عسكر دمشق وكان عدده نحو المائة الف راجل فالتقيا واقتتلا فقتل من المسلمين نحو مائتي رجل . فتحاربا ثانية في اليوم الثاني وقتل خلقٌ كثير من الفريقين . وفي اليوم الخامس من وصول الافرنج لقرب دمشق وصل سيف الدين ايلغازي صاحب الموصل بعشرين الف راجل لنجدة دمشق . ووصل اخوه نور الدين محمود بنحو عشرة الاف رجل من حلب وحماه . وكان اهل دمشق دهمهم الرعب وفرشوا الرماد وفتحوا المصاحف في الجوامع واستغاثوا بالله وهم مكشوفو الرؤوس . ولما وصلت تلك النجدة واشتد القتال ذلت قلوب الافرنج ووقع الاختلاف بينهم . فانهزموا وقتل منهم الوف كثيرة . وقتل ايضاً من المسلمين خلقٌ كثير ومن جملتهم شاهشاه ابن نجم الدين ايوب . ومن هذه الوقعة ذلت الافرنج وطمع بهم الاعداء . ثم ان كونراد الامبراطور رجع في البحر الى بلاد المانيا . وفي حال وصوله توفي وتخلف بعده في الملك ابن اخيه قادريك امير الصابوبية الذي هو ايضاً كان برفقته في زيارة القدس . وكذلك ملك فرنسا بعدما عيد في القدس عاد الى مملكته . وقيل ان كثرة الزنا والفحش الذي اجراه الافرنج كان سبباً حتى منعهم الله ان يستملكوا مدينة دمشق . ذكر في تواريخ الروم ان في هذه السنة كانت وفاة الملك يوحنا هيلا كيوس الكومنيس ملك الروم . وكانت مدة تملكه اربع وعشرين سنة وسبعة اشهر . وعاش في المملكة كما عاش والده بكل عدل وسلام مع الشعب . وبعد وفاة الملك يوحنا تملك على شعب الروم ولده مانوئيل

وفي السنة ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م كان الغلاء العظيم الذي عم الخلق من خراسان الى الشام والى المغرب . وفي تلك السنة ظهرت شهب وعلامات مريعة في الفلك ووقعت صاعقة في جبل صهيون واخرى على هيكل كنيسة القيامة . ذكر ابو الفرج انه بهذه السنة توفي سيف الدين غازي ابن اتابك زنكي صاحب الموصل بها من مرض حاد . ولما اشتد مرضه استدعى اوحد الزمان ابا البركات من بغداد فحضر اليه وراءى شدة مرضه نعالجه فلم ينجع الدواء . وتوفي في اخر جمادي الاخرة وكانت ولايته ثلاث سنين . وولي امر الموصل والجزيرة بعده اخوه قطب الدين مودود . وكان اخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماه فسار الى سنجار وملكها ولم ينازعه اخوه قطب الدين

ثم اصطلحا واعاد نور الدين سنجار الى قطب الدين · وتسلم هو مدينة حمص والرحبة فبقّى الشام له وديار الجزيرة لاخيه) وذكر ابن سباط بهذه السنة جمع نور الدين من بلاد الشرق جيشاً عظيماً وسار الى محاصرة قلعة نيبه التي بيد ريموند البرنس صاحب انطاكية · فجمع البرنس خاصته وخرج اليه فتخوف منه نور الدين وارتحل عن القلعة · فطمع البرنس في نور الدين وقصد طرده بجمع قليل · ثم ان نور الدين احاط به بجيشه الكثير فقتل البرنس وراينولد صهر جوسلين صاحب الرها والذين كانوا معهما واخذ جميع ما كان معهما · وقطع نور الدين راس البرنس ويمينه وارسلهما الى الخليفة · وارسل نور الدين جماعته تقتل وتحرق وتنهب جميع ما في بلاده وقويت شوكة نور الدين حتى انه نزل واغتسل في مياه البحر الذي تحت انطاكية فضعف ملك انطاكية ولم يكثر عليه الا البكاء وقطع الامل · وفي الرجعة قصد نور الدين قلعة حارام فحاصرها وتملكها · وكان رايموند اميرانطاكية شجاعاً شديد الباس مهوباً لكنه قليل السعد وقتل في شهر حزيران (يونيو) بين حماه وحصن الروج حيث كانت الوقعة فاهتدى النصارى الى جثته واخذوها ودفنوها في انطاكية · · ثم ان ملك القدس سار الى انطاكية فمهد امورها وشدد قلوب الناس · وملك على انطاكية ابن الامير رايموند الذي كان اسمه بيموند وكان طفلا · فتزوجت امه ببرنس اخر ليدبر البلد الى ان يكبر ابنها · وطلع ملك القدس لمحاصرة قلعة حارام · ثم رحل عنها · وفيها توفي الحافظ صاحب مصر في جمادي الاخرة وكانت خلافته عشرين سنة · فبويع بعده بالخلافة لولده الظافر بامر الله ابو المنصور اسماعيل وهو الثاني عشر من الخلفاء الفاطميين بمصر · وفي هذه السنة توفي الامير معن وتولى مكانه على جبل الشوف ولده الامير يونس وقد ذكر ذلك الامير حيدر تحت سنة ٥١٤

وفي السنة ٥٤٥ هـ = ١١٥٠ م اخذت العرب مركب العراق وتشتت الحجاج واستغنت العرب في اموالها · وفي هذه السنة نازل نور الدين دمشق فخرج اليه صاحبها مع وزرائه وخضعوا له ففرق لهم الاموال وخلع عليهم ورجع الى حلب · وفيها حدث في بلاد اليمن مطر احمر فبقي اثره على الدواب وعلى الارض وعلى ثياب الناس

وفي السنة ٥٤٦ هـ = ١١٥١ م ذكر ابن سباط انه سار نور الدين محمود بجيوشه الى بلاد جيوسلين الافرنجي وهي شمالي حلب · وكان جوسلين فارس الافرنج

قد جمع الشجاعة والراي فسار في عسكره نحو نور الدين فاقتتلا واسر وقتل من رفاقه جمعًا غفيرًا ومن جملتهم السلحدار الذي كان حاملاً سلاح نور الدين . فهجر نور الدين البلاد لاجل كسرته وجمع التركمان ووعدهم باموال كثيرة ان ظفروا بجوسلين . فطلع جوسلين الى الصيد فباغته التركمان وامسكوه واحضروه الى نور الدين اسيرًا . فانعم عليهم نور الدين وقتل جوسلين الذي كان اعظم فرسان الافرنج . ثم ركب نور الدين على بلاد جوسلين وقلاعه فملكها وهي تل باشر وعين تاب ودلوك وعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفر سود وكفرلاثا ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك في مدة يسيرة . وكان نور الدين كلما فتح منها موضعًا حصنه بما يحتاج اليه من الرجال والذخائر فذلت الافرنج في بلاد الرها وبلاد انطاكية وبالاخص لسبب العداوة التي كانت بين امرائها . وعندما قتل الامراء اصحابها صارت تحت تدبير النساء . ولما علم بذلك ملك الروم ارسل عسكرًا عظيماً لاستخلاص تلك البلدان من يد الافرنج . واجتمع مع اهل تور بسال ملك القدس وصاحب طرابلس وجماعة انطاكية فتاملوا خراب تلك النواحي وبعدها عن القدس نحو خمسة عشر يومًا . فشرعوا ان يسلموها للروم صلحًا لئلا تاخذهم الاسلام بالسيف فاخلوا توربسال وجميع ما كان للافرنج في تلك الجهات في يد قائد جيش الروم . وخرجت زوجة جوسلين واولادها وجميع الافرنج ونصارى البلد الذين طلبوا رفقتهم . وتركوا مواطنهم بالبكاء والنحيب وساروا الى بلدان لم يدخلوها . فلما سمع نور الدين ان الافرنج سلمت القلاع الى الروم زحف عليها واخذها كلها حتى وصل الى ابواب انطاكية . وفي هذه السنة كانت الفتنة بين بلدوين ملك القدس وبين والدته حتى انقسمت المملكة بينهما . فاخذت الملكة والدته القدس ونابلوس اللتين من ابيها واخذ الملك صور وعكا مع سواحل البحر . ثم ان بلدوين جمع العساكر وتملك نابلوس بالسيف وزحف الى القدس فهربت والدته الى برج داود وتسلم بلدوين المدينة من اعيانها . ثم انه وضع الحصار على برج داود وضايقه مدة . فدخل بينهما اعيان البلد وصار الاتفاق ان نابلس تكون لوالدته والباقي للملك . وفي هذه السنة توفي الحافظ لدين الله وكان مولده بعسقلان ايام القحط المفرط بمصر لما بعث جده المستنصر بالله عياله الى الشام خوفًا من الهلاك جوعًا . وكانت

خلافته عشرين سنة وعمره سبعة وسبعون سنة · وكان وزيره ابو علي بن الافضل ابن امير الجيوش وتلقب بالفضل · وكان ابو علي عادلاً يميل الى السنّة · وابطل في الآذان "حيّ على خير العمل" واهمل اشعار اللفظ "وضيق على الحافظ وحجر عليه · ثم وثب عليه بعض الامراء فقتله · وتخلف الحافظ بعده · ثم استوزر بعده بهرام والملقب بتاج الملوك · ثم قتله واستوزر بعده ابا الفتح رضوان · وكان وزيره الى ان مات الظافر بامر الله واسمه اسماعيل ابن الحافظ لدين الله ابن الامير ابي القاسم محمد بن المستنصر بالله وكني بابي المنصور ولقب بالحافظ لدين الله · وهو الثاني عشر من الخلفاء الفاطميين المصريين

وفي السنة ٥٤٧ هـ = ١١٥٢م قتل رايندوس صاحب طرابلس غدرًا وكان مقتله داخل باب المدينة · وكان حينئذٍ في طرابلس بلدوين الملك وزوجته واختها فرينة جوسلين فحزنوا عليه حزنًا شديدًا وحسبوا موته من اسباب قلة سعدهم في ارض الشام · فرتب بلدوين الملك امور طرابلس وسلم تدبيرها ليد زوجة رايموندس ويد ابنها وله من العمر اثنا عشر سنة · وفيها سار بعض المسلمين الذين كانوا سابقًا اصحاب القدس الى استنكاكها من يد الافرنج فجمعوا عسكرًا عظيمًا وقطعوا نهر الاردن ونزلوا في جبل الزيتون شرقي المدينة · وكان يومئذٍ بلدوين الملك في نابلس فخرج عسكر الافرنج من القدس وضايقوا المسلمين في طريق اريحا وكسروهم وقتل منهم عددًا غفيرًا لضيقة الموضع ومشقة الطريق · والذين فروا وقعوا بيد بلدوين الملك فاهلك اكثرهم بالسيف · وقيل ان عدد القتلى بلغ خمسة الاف فغنمت الافرنج خيولهم واموالهم

وفي السنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣م قتل العادل وزير الظافر صاحب مصر · وكانت الوزارة في مصر لمن غلب · فقصد الافرنج مدينة عسقلان التي كانت للخلفاء مصر · فاحتاط بها الجيش برًا وبحرًا وشددوا عليها الحصار لانها كانت متاهبة ومجهزة بالميرة وآلات الحرب · وفي الشهر الخامس اتتها النجدة من مصر سبعين غرابًا وعدة مراكب كبيرة موسوقة مؤونة وسلاحًا فرحلت مراكب الافرنج من امامهم بسبب قلتها · واستنجد الافرنج بالزوار الذين قدموا من بلاد النصارى واكرموهم بالعطاء · فيئس اهل عسقلان وسلموها للافرنج بالامان بشرط انه يسمح لهم بالخروج بسلامهم ونساؤهم واولادهم واموالهم · وفيها دخل الافرنج عسقلان ووضعوا رايات الملك على اسوارها · واما الملك

بلدوين فاكرم فرسان العسكر بالمال وانعم على بعضهم بالعطايا النفيسة . وولى المار بكوس اخاه على تدبير عسقلان . وفيها حاصر نور الدين بانياس مدةً ورحل عنها. وفيها تزوج رنيلدوس قونسطنسة زوجة الامير صاحب انطاكية وتولى على ملكه. وفيها خطب الامير خاصبك للسلطان محمود في السلطنة ورتبها وقرّرها بين يديه. ثم انه قبض عليه وارسل الى اخيه السلطان محمد يستدعيه اليه . وكان قصده ان يحضر ليقبض عليه و يخطب لنفسه في السلطنة . ولما حضر السلطان محمد من خراسان اجلسه على العرش وخطب له بالسلطنة . ثم شعر السلطان محمد بخبث خاصبك فقتله واستقر محمد بالسلطنة

وفي السنة ٥٤٩ هـ = ١١٤٤ م كان مقتل الظافر خليفة مصر قتله وزيره عباس الصنهاجي لما قيل له انه يفسق في ولدك نصر . وضبط امواله وذخائره وخزائنه وهرب منها الى الشام . فوقع بالطريق في يد الافرنج فقتلوه واخذوا مامعه من الاموال واسروا ابنه نصرًا وبنى الظافر في القاهرة ابراجًا وقلاعًا حصينة . وكانت مدة خلافته خمس سنين . وتولى بعده ولده الفائز (او القائم) بنصر الله ابو القاهر عيسى وهو الثالث عشر من الخلفاء الفاطميين . والعاشر بالديار المصرية . وكان وزيره طلائع ابن زريك ولقب الملك الصالح و بنى جامع الصالح الذي خارج باب زويلة . يقول ابن سباط انه لما بلغ الملك نور الدين محمود ان الافرنج تملكت عسقلان خشي انهم ياخذون دمشق فكاتب اهل دمشق واستمالهم اليه في الباطن . ثم سار اليها وحاصرها . ففتح له الباب الشرقي ودخل منه وملك المدينة . وحاصر مجير الدين ارتق (آبق) ابن محمد ابن توزي (بوري) صاحبها في القلعة . ثم نزل اليه بالامان واعطاه نيابة حمص . وقبل وصوله اليها عزله عنها واعطاه بالس . فغضب وذهب الى بغداد وسكنها الى ان مات . وتسلم نور الدين محمود القلعة وتلقب بالملك العادل نور الدين محمود . وفي هذه السنة عزل السلطان نور الدين الضحاك عن وادي التيم وولى عليها الامير ظهير الدين التنوخي والضحاك هو ابن جندل ابن قيس من سلالة جندل البقاعي . والمذكور كان رجلاً من البقاع وحصل له حظ من الملوك الفاطميين حين كانوا متولين على الديار الشامية . واليه تنسب قلعة جندل التي في سفح جبل الشام . وحين عزل الضحاك عن وادي التيم ولاه نور الدين على بعلبك

وفي السنة ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م تسلم الملك العادل نور الدين بعلبك وابا قبيس

فملكها . وفيها قدم ملك الارمن بجيش كثير الى بلاد قيليقية . وهو بصحبة ملك الروم وجعلوا يقتلون وينهبون ويهتكون فكتب ملك الروم الى رنيلدس الامير ليركب لمحاربتهم وطردهم ووعده بخيرات كثيرة . فزحف على العسكر وهزمه . وعندما طلب الاجازة من ملك الروم لم يعطه شيئاً . فلذلك جمع الامير جماعته ودخل بهم الى جزيرة قبرس وصاروا يقتلون وينهبون ويفسدون . ولم يعفوا عن شر فهلكت اكثر مراكبهم في البحر وهم راجعون الى انطاكية . وفيها زحف بلدوين ملك القدس على التركمان والعربان الذين يرعون مواشيهم في حولة بانياس فنهبوا وسلبوا واسروا منهم خلافاً للعهد الذي كان بينهم . فعندما ساروا بهم الى بانياس وثب عليهم نور الدين وخطف جميع سباياهم واموالهم وحضر لبلدة بانياس . فقدم بلدوين الملك بعسكره اليها . فرحل نور الدين عن المدينة فاطمأنت خواطر الافرنج وصرفوا الرجال الى مواطنهم . وبينما هم سائرون في نواحي طبرية نزل عليهم نور الدين وباغتهم عند مخاضة يعقوب على نهر الاردن فقتل واسر فرساناً كثيرةً من الافرنج . واما الملك ففرّ مع بعض اناس واحتمى في قلعة صفد . ثم قصد نور الدين ثانية بانياس بالمنجنيقات والات الحرب ورحل عنها خوفاً من الامير صاحب انطاكية والقومس صاحب طرابلس اللذان سارا اليه بجيش كثير .

وفي السنة ٥٥٢ هـ = ١١٥٧م حدثت في بلاد الشام زلزلة عظيمة خربت بها حماة وحلب وسيجر وكفرطاب وافامية وحمص وحصن الاتراك وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية الا ان تاثيرها بحماة كان اشد ولم يبقِ من اهلها الا القليل وهدمت الاسوار والقلاع ولذلك تسمت زلزلة حماة وهلك تحت الردم مالا يحصى . وكان معلم اولاد فارق مكتبه فجاءت الزلزلة فسقط المكتب على الصبيان جميعهم فلم يحضر احد من اهلهم يسأل عن صبي كان له في المكتب . وكذلك سيجر كانت لبني منقذ يتوارثونها من ايام الصالح بن مرداش صاحب حلب الى هذا الزمان فصدف ان يوم الزلزلة كان احدهم ختن ابنه فدعى جميع بني منقذ الى داره فجاءت الزلزلة وهلكوا جميعهم في سقطة الدار والقلعة . فمضى نور الدين الى سيجر فعمرها وتولى عليها

وفي السنة ٥٥٣ هـ = ١١٥٨ م قصد ثاودوريكس امير فلندرة زيارة القدس وصحبته زوجته اخت بلدوين الملك فترحب بهم الملك . ثم ساروا الى عند القومص صاحب طرابلس . وحضر اليهم الامير صاحب انطاكية وامراء الافرنج فاتفقوا على

فتح شيزر التي على العاصي وقدم ملك الروم الارمن لمساعدتهم · فوضعوا عليها الحصار وكانت متهدمة من الزلزلة فملكوها · وتحصن صاحبها في القلعة · فوقع الاختلاف بين ثودور يكوس والامير على تملك المدينة فنهبوها ورحلوا عنها الى حارم وملكوها وقتلوا صاحبها · وسار جيش الافرنج الى قلعة المغارة التي في حدود جلعاد فملكوها · وفي هذه السنة سار الملك نور الدين بالجيش الشامي الى قلعة المنارة وحاصرها · ولما بلغه قدوم الافرنج رحل عنها فصادف عساكر الافرنج في الطريق فوقع بينهم الحرب فانهزمت عساكر الشام من قدام الافرنج · وفيها تزوج الملك بلدوين بابنة اخي ملك الروم ووقع بينهما المحبة والاتفاق

وفي السنة ٥٥٥هـ = ١١٦٠م قدم مناويل ملك الروم بعساكره الى بلاد المسلمين لسبب التشكيات التي عرضت له عما فعل الامير في جزيرة قبرس ولسبب استيلاء ملك الارمن على بلاد قيليقية فخافت اهل الشام من قدومه · فخرج الامير لملتقاه ماشياً حافياً وعليه ثياب قطنية · فجثا على ركبتيه منكساً راسه وبرقبته حبل طويل وقدم سيفاً مسلولاً ليسلمه له · فسر الملك من فعله وصفح عنه وارجعه الى مكانه بكل اكرام · ثم ان الملك بلدوين قدم من اورشليم قاصداً الاجتماع بملك الروم · فارسل الملك مناويل اولاد اخيه واكابر دولته لملاقاته · فاستقبلوه بمحفل عظيم ولما وصل اجلسه ملك الروم بجانبه بكل اكرام · وبقي في ضيافته عشرة ايام · واستعطف خاطره من جهة ملك الارمن فاعاد عليه كلما كان تملكه من بلاد قيليقية · وحلف له ملك الارمن ان يكون دائماً تحت طاعته · ثم ان ملك الروم دخل مدينة انطاكية بعز عظيم · وبعد مدة رجع الى القسطنطينية · ورجع الملك بلدوين الى القدس · فلما بلغ الملك نور الدين رجوع ملك الروم زحف بالعساكر الشامية الى بلاد ايقونية وكان سلطانها غائباً فتملك نور الدين اكثر بلاده · وفي غياب نور الدين عن البلاد الشامية غزاها بلدوين ملك القدس · وحينما وصل بقرب دمشق خرج اهلها اليه حاملين هدايا واموالاً كثيرة وطالبين منه ان يكف شره عنهم فاجابهم الى ذلك · وفيها توفي السلطان سنجر ابن ملكشاه ابن ارسلان · وفي هذه السنة زاد نهر الدجلة عن حد القياس المعتاد وخرج فوق بغداد وغطى الارض وخرب قسماً من السور واغرق قسماً من القطيعة وباب المامونية · وجرى الماء تحت الارض الى اماكن كثيرة فوقعت وهربت الناس الى الجانب الغربي · ثم تناقص الماء وبقيت المحلات لا تعرف فاخذت الناس حدود دورهم بالتخمين · وفيها توفي السلطان محمد ابن محمود ابن ابن محمد ملك شاه · وملك بعده عمه سليمان شاه · وفيها كانت وفاة المقتفي لامر

الله خليفة بغداد . وكانت مدة خلافته اربعاً وعشرين سنة وعمره ست وستون سنة

الفصل الثاني والثلاثون

﴿ في خلافة المستنجد بالله والثاني والثلاثون من العباسيين ﴾

و بويع بعد المقتفي بالخلافة لابنه ولي عهده يوسف . وكانت للمقتفي حظية لها ولد يدعى ابا علي فاحبت ان تكون الخلافة لابنها . فاحضرت عدة من الجواري واعطتهن المدى و امرتهن ان يدخلن على ولي العهد يوسف ويقتلنه . وكان ليوسف خصي صغير يرسله مراراً ليستعلم اخبار ابيه . فنظر الخصي الى الجواري و بايديهن المدى فعاد الى مولاه واعلمه بذلك . فاستدعى خدامه ودخل الدار و بيده سيف . فلما دخل ثارت به الجواري فضرب واحدة منهن وقتلها وهربت الجواري فاخذ اخاه وامه و سجنهما وقتل بعضاً من الجواري وغرّق البعض منهن وجلس على سدة الخلافة و بويع له ولقب بالمستنجد بالله

وفي السنة ٥٥٦هـ = ١١٦٠ م كانت وفاة الفائز بنصر الله خليفة مصر وكانت مدة خلافته ست سنين . ولم يكن له عقب فبويع بعده لابن عمه عبد الله بن يوسف الحافظ وهو الرابع عشر من الخلفاء الفاطميين العبيديين بمصر وكان طفلا صغيراً . فاقام باموره طلائع ابن زريك ولقب بالعاضد لدين الله وهو اخر الخلفاء العلويين . وفيها كان ظهير الدين ابن بحتر امير من امراء التنوخ حاكماً على ثغر بيروت يسكن في سرحمول[1] ولاه الملك نور الدين صاحب دمشق على القنيطرة[2] والبقاع[3] وعلى ظهر الاحمر في وادي اليم وعلى برج صيدا وعلى الدامور . وتملك شارون ومجد البعنا وكفر[4]عميه و قام له معاش لاربعماية فارس لاجل مقاتلة الافرنج . وكان ابوه شرف الدولة قاطناً بعرامون[5] الغرب فسدّ

---

(١) قرية الى الجنوب الغربي من الشويفات من قرايا الغرب الاسفل

(٢) جبة القنيطرة الى الجنوب الشرقي من مجدل شمس وتوجد بلدة بهذا الاسم وهي مركز قائم مقام

(٣) بلاد البقاع يراد بها السهل الكائن بين جبل لبنان الشرقي ولبنان الغربي ومن الجنوب يحده مشغرة واقليم جزين من جبل لبنان ومن الشمال بلاد حماة (٤) هذه الثلاث قرى في جبل لبنان من مقاطعة الجرد والاوليتان من الجرد الشمالي والاخيرة من الجرد الجنوبي الغربي او النصراني وفي كفرعميه معمل حرير لسليم افندي العكاوي (٥) عرامون قرية من قرايا الغرب الجنوبي وهي غربي عيناب وعين كسور وتتبع مديرية الغرب الاسفل وبها بقايا كثيرة لقصور التنوخيين وهي معروفة باسم عرامون الغرب

طريق الدامور على الافرنج وكان آل تنوخ هؤلاء اكبر الطوائف التي حضرت من معرة النعمان وسيأتي الشرح عنهم

(ذكر آل تنوخ منذ ابتدائهم) . انهم ينتسبون على مايروى الى الملك النعمان ابن المنذر بن ماء السماء الى لخم وجذام . و يقال انه لما قتل برميذ ابن كسرى النعمان الاكبر قام ولده النعمان الاصغر بجملة من قبائل العرب . ونزلوا في سفح جبل لبنان الغربي المحاذي لمدينة بيروت . وكان حينئذ قفراً فاستقرت تلك القبائل فيه وسكنوه اياماً . وكان بنو النعمان المذكورون يحكمون فيهم اميراً . وثبتت الامارة لبنيه من بعده حتى ظهر منهم ظهير الدين او (زهر الدين) و به سادت الامارة التنوخية . واخذها ولده حجي . ثم بنوه من بعده . فمن ثم ينسب الامير ظهير الدين بانه ابن كرامة بن بحتر بن علي بن الحسين بن ابرهيم بن محمد بن علي بن احمد بن عيسى بن جمهر ابن تنوخ واليه ينتسب آل تنوخ . وتنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة بن مدحج ابن سعد بن طي بن تميم بن النعمان بن المنذر ملك الحيرة ابن ماء السماء . والامير ظهير الدين المذكور ولاه السلطان نور الدين بهذه السنة على سفح جبل لبنان (او الغرب من لبنان) وعلى البقاع والقنيطرة و برج صيدا والدامور . ووضع السلطان عند هؤلاء الامراء فرساناً ورتب لهم معاشاً وجعلهم لقتال الافرنج . ولما حضر الافرنج نهض الامير ظهير الدين اليهم فانكسر جيشه وفرهارباً الى ثغر بيروت فشدد الافرنج الحصار عليها حتى ملكوها . وقبل ان يتولى عليها ظهير الدين التنوخي كان صاحبها الضحاك ابن جندل ابن قيس من ذرية جندل البقاعي فكان يقال لبنيه من بعده في خارج ديارهم البقاعيون نسبة لابيهم جندل البقاعي . وفي ديارهم الجنادلة نسبة الى اسم ابيهم جندل . وجندل هذا كان رجلا من البقاع حصل له الحظ في خدمة الملوك الفاطميين لانه كان ذا شجاعة وعقل فتولى على بلاد وادي التيم . واليه تنسب قلعة جندل[1] التي في سفح جبل الشام قرب راشيا الوادي ومن بعض ذريته المقدم فايز . وقد اخذها الامير محسن . و بقيت بلاد وادي التيم لجندل في حياته ولبنيه من بعده الى ان ظهر من ذرية جندل ابو الضحاك المذكور . وكان شجاعاً ذا تدبير ومعرفة طائلة . فاستولى على بلاد عامل[2] وضمها الى بلاد وادي التيم . ولما توفي قام بعده ولده الضحاك . وتولى على ما كان في يد ابيه . وفتح اسماعيل شمس الملوك صاحب

---

(١) قلعة جندل معروفة في اقليم البلان (٢) بلاد عامل وجبل عامل هي بلدة نواحي بلاد الشقيف الى الشرق من دير ميماس وفيها قلعة جندل المشهورة

دمشق حصن الشقيف[1] سنة ٥٢٨ ه . ثم التحق الضحاك بعد ذلك بمجير الدين ارتق صاحب دمشق ولما فتح مجير الدين بعلبك واخذها من نجم الدين ايوب نائب عماد الدين زنكي سنة ٥٤٠ ه ولى الضحاك ابن جندل عليها . وفيها فتحها السلطان نور الدين سنة ٥٤٩ه . ولما اخذت بعلبك منه رجع الى وادي التيم . ومنه اخذ نور الدين وادي التيم سنة تاريخه اي ٥٥٦ ه فاعطاها للامير ظهير الدين التنوخي كما ذكر . ومن الامير ظهير الدين اخذها الافرنج كما مر قريباً

وفي السنة ٥٥٧ ه = ١١٦١ م حاصر نور الدين قلعة حارم وهي حينئذٍ بيد الافرنج مدة ورحل ولم يملكها . ثم سار الى حصن الاكراد بالعسكر ونزل البقعة قاصداً حصار طرابلس . فباغته الافرنج ولم يشعر نور الدين وعسكره الا وقد طلع عليهم الافرنج فقتلوا واسروا اكثر العسكر . فقصدوا خيمة نور الدين فخلص بفرسه ونزل على بحيرة حمص . وحلف بالله ان لا يظلله سقف حتى ياخذ بالثار . وفيها توفيت هيرينة زوجة ملك الروم فارسل يطلب من بلدوين الملك ان يخطب له ابنة افرنجية فجهزوا له اولاً اخت القومس صاحب طرابلس . واخرجوا عليها اموالاً كثيرة وجهزوا لها اثني عشر غراباً لسفر البحر . لكن رسل ملك الروم لم يرضوا بها . وتكلموا في ابنة الامير صاحب انطاكية . وتوجهوا بها الى القسطنطينية بعز عظيم فحنق القومس بسبب الدراهم التي كان صرفها على تجهيز اخته . وارسل الاثنى عشر غراباً للسلب في بلاد الروم . فاخربوا الكنائس وسلبوا الزوار ونهبوا الاماكن التي على ساحل البحر ولم يعفوا عن شر الا عملوه

وفي هذه السنة نذكر سبب قيام[2] الامراء آل شهاب من حوران الى وادي التيم كان الكبير فيهم في ذلك الوقت الامير منقذ . ولما عزموا على القيام جمع الامير منقذ الامراء بيت شهاب ووجوه القبيلة وقال لهم انتم تفهمون النفور الكائن بين السلطان نور الدين سلطان الديار الشامية والحلبية والسلطان صلاح الدين سلطان الديار المصرية ولا بد ان السلطان نور الدين يتمم ماينوي عليه وتدوس العساكر حوران . وتعلمون مالنا عند السلطان صلاح الدين من المحبة والمنزلة الرفيعة . وانا ارى انه يلزم لنا القيام من حوران قبل ظهور حال من تلك الاحوال . فلما سمع الحاضرون ماقاله الامير منقذ قالوا له هذا هو

---

(١) قلعة شهيرة لا تزال اثارها قائمة مقابل دير ميماس (٢) يذكر الامير حيدر سبب قيامهم تحت هذه السنة ولكنهم لم يقوموا حتى سنة ٥٦٨ ه وسياتي ذكر ذلك

الصواب · وليس فينا احد يخالف مقالك · ثم عزموا على القيام وشدوا ظعونهم وحملوا حمالهم · ورحلوا من حوران بسائر عشائرهم وقصدوا غربي الديار الشامية ونزلوا حذاء الجسر اليعقوبي · ولما سمع السلطان نور الدين بقيام آل شهاب من حوران ارسل يسألهم عن السبب الداعي لقيامهم[1] · وارسل لهم الخلع والعطايا النفيسة وطلب منهم ان يرجعوا الى اوطانهم امنين · فكتبوا الى السلطان نور الدين جوابًا · انه وصل كتاب السلطان ادامه الله وامرتنا بالرجوع الى ديارنا امنين · فامانك شاملنا بكل ديار واينما كنا نحن في بلادك وتحت حكمك مجيبين لكلما تامرنا به · واما الرجوع فلا سبيل لنا اليه · ونريد من احسانك السماح لنا بذلك بسبب دثار بلادنا وعدم اجتناء اثمارها · ونحن عبيدك واعوانك اينما كنا · ولما وصل الجواب الى السلطان نور الدين اذن لهم بالمسير اينما شاؤا · وكان الامراء ال شهاب حينئذ عشرة اكبرهم الامير منقذ وهو امير الامراء · والباقون اولاده واخوته وبنو عمه · فاولاده الامير نجم والامير فاتك والامير حيدر والامير عباس واخوته الامير علي والامير غالب · وبنو عمه الامير سعد والامير جابر والامير حمزة والباقون عشائرهم وهم نحو خمسة عشر الفًا · ثم رحلوا من الجسر اليعقوبي ونزلوا في وادي التيم · وكان نزولهم في بيداء الظهر الاحمر من الكنيسة الى الجديدة · وقد كانت البلاد المذكورة تحت استيلاء الافرنج · وكانوا جعلوا مقرهم في حاصبيا وحصنوها بالالات الحربية · ولما سمع الافرنج بنزول آل شهاب في وادي التيم جمعوا جموعهم وكانوا نحو خمسين الفًا ما بين فارس وراجل · وكان بطريقهم الكبير يقال له قنطورا · واستمد من ذفاتر صاحب قلعة الشقيف خمسة عشر الفًا · وكان البطريق الذي في قلعة الشقيف يحكم على جميع بلاد عامل سهلها والجبل من ساحل صيداء الى عكاء · ولما قدمت الافرنج بعساكرهم مصبح يوم الخميس في ٢١ شهر صفر التقاتهم آل شهاب بعشائرهم · وكان الامير منقذ واولاده واخوته واولاد عمه في اول القتال · وفعلوا افعال الابطال · ودام القتال من ضحى النهار الى الزوال · وقتل من الافرنج نحو ثلاثة الاف · ومن عشائر آل شهاب نحو ثمانماية فارس · وجرح الامير حمزة · وباتوا تلك الليلة يحرسون بعضهم بعضًا الى ان اصبح الصباح · فثار الفريقان الى الحرب والكفاح ودام القتال ثلاثة ايام · ثم استظهرت آل شهاب وفر الافرنج من تلك الارض وتحصنوا في الجبال · فعند ذلك ترجلت الامراء واقتحموا الافرنج مشاة حتى صاروا على رؤوس الجبال · واشتد القتال وعظمت

(١) ارسل ذلك نور الدين يسألهم هذا السوال سنة ٥٦٩ ه وليس هذه السنة

الاحوال فولى الافرنج الادبار · وقصدوا الهزيمة والفرار · وتبعهم بنو شهاب بقية ذلك النهار · وتفرقت عساكر الافرنج في تلك الاقطار · فمنهم من هرب الى بلاد الشقيف ومنهم من سار الى الجولانية (اي الحولانية) · واما البطريق قنطورا فقصد حاصبيا وتحصن بها في بقية جيشه · وغنم بنو شهاب خيلهم وسلاحهم · وقد فقد منهم ومن عشائرهم نحو ستماية فارس · ثم ساروا الى حاصبيا ونزلوا قربها · فعند ذلك رمتهم الافرنج بالنبال · وصبر بنو شهاب الى الليل · و بنوا تلك الليلة متاريس تقيهم من النبال · وعند الصباح اخذوا يتراشقون بالسهام · فرمتهم الافرنج بالمجانيق والصخور الكبار · وثاني ليلة هجم بنو شهاب بعشائرهم و نقبوا الحيطان · ولما لاح الصباح طلب الافرنج الامان · فامنهم الامير منقذ على ان يخرجوا من غير سلاح · و بقي قنطورا وخمسماية رجل متحصنين في القلعة · و بعد عشرة ايام هجم عليهم اولئك الرجال ودخلوا القلعة وقتلوا من فيها · ولم ينجُ منهم احد · واستولوا على مافيها من الاموال · ثم كتب الامير منقذ الى السلطان نور الدين يبشره بالفتح والظفر وارسل له راس قنطورا ورؤُوس اصحابه · ففرح السلطان فرحاً جزيلاً وكتب جواباً للامير منقذ يتضمن التهنئة وانه يقيم في البلاد التي فتحها · وتكون له ملكاً وارسل له خلعة سنية مع مربي اولاده رسلم بيك الداودار · ولما وصل الى حاصبيا خرج الامير منقذ والامراء انسباؤُه للقائه وكان يوماً عظيماً بالفرح والسرور · ولما سمع صاحب قلعة الشقيف ما حل بالافرنج في حاصبيا ارسل للامير منقذ يطلب منه الصلح وكان في ذلك الوقت الامير يونس المعني ابن الامير معن حاكماً على جبل الشوف · فلما سمع بقدوم بني شهاب الى بلاد وادي التيم وانتصارهم على الافرنج سر غاية السرور · ونهض من الشوف بجحفل عظيم الى وادي التيم · ولما سمع الامير منقذ بقدومه خرج لملاقاته واستقبله احسن استقبال · و بقي عنده ثلاثة ايام ورجع الامير يونس الى الشوف

وفي السنة ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ م توجه بلدوين الملك الى انطاكية فعرضت له حمى شديدة فحملوه الى طرابلس · ثم الى بيروت وهناك توفي · وكان بلدوين الملك في جمال البدن وحسن القامة يفوق الوصف · وكان في اخلاقه كريماً طاهراً منكراً للمسكر سالكاً بحسب الشريعة شجاعاً في الحرب صبوراً على التعب · فحملوا جسده الى القدس و بحزن عمومي دفنوه في مقبرة سلفائه · وتخلف بعده الماريكوس (المرك) اخوه لكن الماريكوس كان تزوج في هذه السنــة · وفيها كانت المخاصمة في مصر

بين ضرغام و بين شاور البدوي بسبب الوزارة . فانهزم شاور وسافر الى الشام ليستنجد نور الدين صاحب دمشق . فالماريكوس ملك القدس لما رأى الفتنة بمصر وان الخليفة لم يرسل له المال الذي تعهد له به زحف بجيوشه الى مصر وتواقع العسكوان بقرب بلبيس[١] وكانت الكسرة على المصريين فغنمت الافرنج اموالهم واسروا وقتلوا منهم مقتلة كبيرة . ورجع الماريكوس منصوراً الى القدس . واما شاور البدوي فاستعطف خاطر نور الدين . فارسل معه العساكر الشامية مع اسد الدين شيركوه وعدة امراء توجهوا معه الى مصر . فضرغام لما تحقق قدوم العساكر الشامية استنجد بملك القدس ووعده بازيد ما كان يعطي لاخيه بلدوين . وقبل ان تأتيه النجدة تواقع مع شاور ومع شيركوه فظفر بهما ضرغام . وفي هذه السنة ارسل الامير يونس المعني الى الامير منقذ الشهابي يدعوه الى محله للزيارة والضيافة . فنهض الامير منقذ[٢] من حاصبيا وصحبته الامير محمد وكان ولده ولداً نجيباً وعمره نحو ست عشرة سنة . وكان شاباً جميلاً فصيح اللسان . ولما وصل الامير منقذ الى منبع الباروك التقاه الامير يونس المعني احسن ملتقى و بقيا في ذلك المكان ثلثة ايام يغتنمان اللذات والانشراح[٣] ثم ذهبا الى قرية بعقلين واقام الامير منقذ عنده نحو شهر باطيب عيش . وكان للامير يونس ابنة يقال لها السيدة طيبة وكانت احسن بنات زمانها . فنظرها الامير محمد واشغف بها وعند ما كانا جالسين على السماط للاكل اعطى الامير يونس للامير محمد لقمة وقال له خذ هذه طيبة . فاجابه نعم الطيبات للطيبين . ففهم الامير يونس المعني واجابه انّا ازوجنا كها يا محمد فنهض الامير محمد وقبل يده وتم عقد السيدة طيبة على الامير محمد . ثم انه رجع الامير منقذ الى حاصبيا . وزاد الحب بين آل معن وآل شهاب

وفي السنة ٥٥٩ هـ = ١١٦٣ م يقول ابن الحريري انه كانت وقعة عظيمة بقلعة حارام التي فوق انطاكية بين نور الدين والافرنج فانكسر المسلمون واحاط بهم العدو . وفيها يقول مطران صور ان اسد الدين شيركوه تداخله الطمع على وزارة مصر

(١) بلبيس بلدة من مديرية الشرقية لا تزال عامرة وهي مركز حكومة

(٢) ان مياه نهر الباروك من اعذب والطف وابرد مياه جبل لبنان ومثله ينبوع الصفا الذي ينبع تحت عين زحلتا والاول هو اصل نهر الاولي والثاني اصل نهر الدامور . والمرجح ان مياهها واحدة وهما من جبل واحد و يبعدان بعضهما عن بعض نحو ساعة

(٣) لربما ان الدعوة كانت هذه السنة ولكن حضور الامير منقذ الى ضيافة الامير يونس عند ينبوع الباروك كانت سنة ٥٧١ هـ وليس هذه السنة

فاقام الحصار على بلبيس . وجاهد ضدها حتى ملكها . بسبب ذلك بعث شاور البدوي رسلاً مع كتب الى الماريكوس ملك القدس وعاهده بالف الف دينار يحملها اليه و يعضده على شيركوه فسار الماريكوس بالجيش الى الديار المصرية . واقتبله شاور بكل الاكرام والفرح فحاصروا بلبيس وتسلموها بالامان . ثم وضع الماريكوس الحصار على القاهرة واضرم فيها شاور النار ولم تزل توقد فيها اربعة وخمسين يوماً . فخشي المسلمون على مصر ان تحكمها النصارى . وفي هذه السنة هرب شاور وزير العاضد صاحب مصر من ضرغام الذي نازعه على الوزارة الى الشام ملتجئاً الى نور الدين ومستجيراً به وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه . وتعهد ان يكون له ثلث مدخول البلاد . فتقدم الملك نور الدين بتجهيز الجيوش وقدم عليها اسد الدين فتجهزوا وساروا معاً وشاور في صحبتهم ووصل اسد الدين الى مدينة بلبيس فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين فقاتلهم فكسروه فانهزم وخرج ضرغام من القاهرة فقتل وقتل اخوه ايضاً . وخلع على شاور واعيد الى الوزارة واقام اسد الدين بظاهر القاهرة . فغدر به شاور . وعاد عما كان قرره ووعد به نور الدين . وارسل الى الافرنج يستمدهم فساروا الى تلبية دعوته ونصرته وجهزوا العساكر وساروا . فلما قرب الافرنج من مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس وجعلها حصناً يلتجيء اليه . فحاصرت بها العساكر المصرية والافرنج حولها ثلاثة اشهر فلم يبلغوا منها غرضاً . فراسل الافرنج اسد الدين في الصلح والعودة الى الشام . فاجابهم الى ذلك وتوجه الى الشام

وفي السنة ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م نزل نور الدين الى طرابلس عند ما كان الافرنج في مصر قاصداً ان يتملكها . فخرجت اليه الافرنج من المدينة وكسروا عسكره وغنموا كل ما كان معه . وهرب نور الدين مهزوماً بلا سيف . ثم انه جمع رجال المدن وعربان البر وسار بهم الى قلعة حارم . وجاهد على فتحها وكان القومس صاحب طرابلس وقتئذٍ في انطاكية وقوطان حافظ فيليقية وطور قائد جيش الارمن . وطاعوا جميعهم لمقاتلة نور الدين فرحل نور الدين عن حارم وابتعد . فلما رأوه هارباً اخذهم الطمع ليلحقوه . ثم وضع لهم نور الدين كميناً في وادٍ . واذ هم متفرقون بعضهم عن بعض رجع اليهم على غفلة وقتل منهم مقتلة كبيرة . واخذ منهم نحو عشرة الاف اسير . واسر الامين صاحب انطاكية والقومس صاحب طرابلس وقولمان مقدم جيش الروم . وسار بهم مسروراً الى مدينة حلب .

ثم ان نور الدين رجع الى قلعة حارم فملكها بالسيف · وفيها في يوم الاضحى ولدت امراءة ببغداد اربع بنات في بطن واحد

وفي السنة ٥٦١ هـ = ١١٦٥ م سار نور الدين الى فتح بانياس[1] التي في جبل لبنان فنصب عليها المنجنيقات ووضع لها الاغوم تحت الارض وفيها بعد تسلمها نور الدين بالامان · وكان صاحبها بمصر برفقة المريكوس · وفيها يقول ابن الحريري ان نور الدين افتتح حصن المنيطرة وهو في بلاد الجرد قريباً من كسروان · وفيها احترق باب الساعات واللبادين في دمشق وكان حريقاً هائلاً وذهبت اموال الناس وطلعت النار من دكان هراس

وفي السنة ٥٦٢هـ = ١١٦٦ م يقول مطران صور ان المريكوس ملك القدس دخل مصر فهزم شيركوه ورتب شاور في الوزارة على اتم المراد · ثم ان المريكوس رجع الى القدس في اموال كثيرة و بادر الى استفكاك الامير صاحب انطاكية ·ثم ان الامير دخل الى القسطنطينية ليزور ملك الروم الذي كان قد تزوج اخته فحظي باكرام جزيل ورجع الى انطاكية بهدايا وتحف كثيرة · وفيها تملك شيركوه قلعة ثيرون بالمكر فقتل صاحبها واطلق الذين كانوا فيها · ثم سار شيركوه الى قاطع الجبل وتملك حصناً اخر

وفي السنة ٥٦٣ هـ = ١١٦٧ م (ذكر ابو الفرج في تاريخه ان في هذه السنة فارق زين الدين علي ابن بسكتكين النائب عن قطب الدين مودود ابن زنكي صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وذهب الى اربل وكان هو الحاكم في الدولة واكثر البلاد بيده فلما فارق الموصل الى بيته باربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود · وكان شجاعاً عادلاً حسن السيرة سليم القلب كثير العطاء للجند وغيرهم مدحه الحيص بيص بقصيدة فلما اراد ان ينشده اياها · قال انا لا اعرف ماتقول ولكني اعلم انك تريد شيئاً فامر له بالف دينار ولم يزل زين الدين باربل الي ان مات بها هذه السنة

(١) بانياس الى الجنوب الشرقي من حاصبيا بقرب سفح جبل الشيخ او لبنان الشرقي · ووضع المنجنيقات في حصارها لربما يقصد لفتح قلعة الشقيف التي هي بقربها و بانياس نفسها فيها بقايا كثيرة تشهد لقدمها وهي تدعى في الانجيل قيصرية فيلبس · و بقربها مدينة تل القاضي اودان القديمة وسميت بانياس من كلمة بان وهو اله الاحراش

وفيها وهب نور الدين لشيركوه حمصاً وصارت في يد اولاده الى يام الملك الظاهر ٠
وفيها يقول مطران صور ان شيركوه دخل بنفسه الى بغداد بمكاتيب نور الدين واخبر الخليفة عن احوال مصر وقوتها وغناها ٠ وانهم اصطلحوا مع الافرنج وحملوا اليهم المال ٠ فسير معه عساكر بغداد وجمع شيركوه العساكر النورية[1] وسار بهم من الشام الى مصر في طريق القفر ٠ وسار ايضاً المريكوس بجيشه الى معاضدة شاور الوزير ٠ وصار الشرط ان العاضد خليفة مصر يحمل الى ملك الافرنج كل عام اربعمائة الف دينار وان نصف هذا المبلغ يعطى بمصر و يرسل النصف الاخر الى القدس وعند ما صار هذا الاتفاق بين الخليفة و بين ملك الافرنج اجتمع جيش الافرنج مع جيش مصر ٠ وصار القتال بينهم و بين شيركوه اسد الدين وابن اخته صلاح الدين وجرى بينهم وقعات كثيرة انتهت ان شيركوه طلب الامان وطلع بمن معه بلا ضرر ٠ فوضعت رايات ملك الافرنج على قلعة الاسكندرية لانهم استخلصوها من شيركوه ٠ فعاد شيركوه الى بلاد الشام حزيناً وملك الافرنج رجع الى عسقلان بعز وكرامة وفيها قدمت رسل ملك الروم بسبب الاستعداد على استفكاك مصر من يد المسلمين وصار بين الملكين اتفاق وشروط معلومة فانتقل ملك القدس بجيش الافرنج الى مصر ٠ وملكوا بلبيس بالسيف في اليوم الثالث من حصارها وضربوا اهلها بالسيف ولم يعف الافرنج عن قتل النساء والذراري بخلاف شروط الحرب والعهد الذي صار بين خليفة مصر و بين ملك الروم ٠ ثم زحف العسكر الى القاهرة وشدد عليها الحصار ٠ وتعهد الخليفة لملك الافرنج بكرتين[2] من الدراهم ٠ وقدم له كرة واحدة وطلب منهم ان يرحلوا عن القاهرة ليجمع الباقي فلم يرحلوا ٠ ثم وصلت الى مصر عمارة الافرنج في البحر فتملكوا اتابيس[3] التي على شط النيل وقتل النوتية شعباً كثيراً وعند ذلك ارسل العاضد خليفة مصر يستنجد بالملك العادل نور الدين ابن زنكي ٠ وسود الكتاب وجعل فيه ضفائر[4] النساء فادرك نور الدين المقصود ٠ واضطرمت حميته وجهز شيركوه ابن مغير السعدي في عسكر نحو عشرة الاف فارس وخمسين الف راجل ٠ ولما اقبلت العساكر النورية مع اسد الدين شيركوه وعدة امراء رحل الافرنج الى بلادهم وقتل شيركوه شاور

---

(١) نسبة الى نور الدين اي العساكر التي له واكثرها من بلاد الشام (٢) الكرة تساوي مائة الف (٣) لربما يراد بها تيبت القديمة (٤) ضفائر النساء اي غدائرها او جدائلها

الوزير قبل ان يدخل مصر غدراً • ثم دخل القاهرة في عساكره فخلع عليه الخليفة خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور امير الجيوش • وادخله الى دار الوزارة التي كانت لشاور البدوي • فثبت الملك منصور بالوزارة شهرين وخمسة ايام ومات •و برضى الامراء النورية ولى العاضد صلاح الدين يوسف ابن ايوب على الوزارة ولقبه بالملك الناصر • وصار نائباً لنور الدين بالديار المصرية وكان نور الدين يسميه و يكاتب له الاسفاه سلار • ومن ذلك الحين ارسل يوسف واخذ اباه ايوب واهله واعطاهم القطائع بمصر فتمكن من البلاد وضعف امر العاضد • وفيها توفي شاروق التركماني واليه تنسب الطائفة الشاروقية • فسكنوا بظاهر حلب و بنوا عمائر كثيرة تعرف بالشاروقية على شاطي نهر قويق

وفي السنة ٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م تملك الملك نور الدين قلعة جعبر • وملك اسد الدين شيركوه (و يروي شيركويه) مصر وقتل شاور الوزير • ولما ثبت قدم اسد الدين وظن انه لم يبق له منازع اتاه مرض وتوفي • وكانت ولايته شهرين • واما ابتداء امره فانه كان هو واخوه نجم الدين ايوب ابنا شاذي من بلد دوين (هي بلدة في اخر حدود اذربيجان بقرب تفليس) واصلهما من الاكراد الروادية فقدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز ببغداد • فرأى من نجم الدين ايوب عقلاً ورايًا وكان اكبر من شيركوه فجعله محافظاً لقلعة تكريت • فسار اليها ومعه اخوه شيركوه • ثم ان شيركوه قتل كاتباً نصرانياً بتكريت لملاحاة جرت بينهما • فلاخرجهما بهروز من قلعة تكريت فسارا الى زنكي • ولما ملك شيركوه بعلبك جعل ايوب محافظاً لها • ولما قتل زنكي وتسلم عسكر دمشق بعلبك صار هو اكبر الامراء بدمشق • واتصل اخوه شيركوه بنور الدين فاقطعه حمص والرحبة وجعله مقدماً لعسكره • ولما اراد ان يرسل العسكر الى مصر لم يرَ من يصلح لهذا الامر العظيم والمقام الخطير غيره فارسله فملكها • ولما توفي اسد الدين شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية ولاية الوزارة للعاضد العلوي صاحب مصر • فارسل العاضد الى صلاح الدين يوسف ابن ايوب ابن شاذي واحضره وخلع عليه وولاه على الوزارة بعد عمه ولقبه بالملك الناصر وكان اسمه يوسف • وكان الذي حمله على ذلك ان اصحابه قالوا له ليس في الجماعة اضعف ولا اصغر سناً من يوسف • فاذا تولى لا تكبر نفسه علينا ولا يرفع راسه مثل غيره • فثبت قدام صلاح الدين يوسف ومع هذا فهو نائب عن نور الدين (وكان يكاتبه بالامير الاسفهسلار و يكتب علامته على راس الكتاب تعظيماً

عن ان يكتب اسمه · وكان لايفرده بكتاب بل يكتب باسمه و باسم الامراء كافة بالديار المصرية · واستمال صلاح الدين قلوب الناس و بذل الاموال فمالوا اليه واحبوه وضعف امر العاضد · ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته واهله فارسلهم اليه وشرط عليهم طاعته · وفي هذه السنة سارت جيوش الافرنج في البحر الى جهة دمياط وقدمت اليهم النجدة من ملك الروم بماية وخمسين غراباً للحرب وستين برشاً موسوقة خيلاً واثنين وعشرين موسوقة ميرةً والات حرب · ثم نصبوا الحصار على دمياط التي على شاطيء النيل · وكان صلاح الدين الوزير قد شحنها بالرجال والات الحرب فثبت الحصار على دمياط نحو خمسين يوماً · ثم رحلوا عنها الى دواطنهم ووصلوا الى عسقلان ثم هبَّ على الاغربة (المراكب) والبرشات ريح عاصف فاهلك اكثرها · واما نور الدين فارسل الف الف دينار واقمشة كثيرة لينجد بها اهل مصر · وجاز على سواحل بلادهم حتى عادوا اليه · وفيها حاصر نور الدين الكرك مدة ونصب عليها المنجنيقات فاشغلته الافرنج عن اخذها

وفي السنة ٥٦٥هـ = ١١٦٩ م كانت الزلزلة العظيمة في بر الشام دامت نحو اربعة اشهر والناس تشاهد الزلزلة من شدة الريح الذي انحصر تحت الارض[1] · وخربت انطاكية وجبلة واللاذقية وحلب وشيزر وحماه وحمص · واما طرابلس فصارت خالية شبه المقبرة · و باقي المدن والقرايا التي في بلاد الشام صارت اكثرها خراباً · وذكر ابن الجوزي في تاريخه ان في حلب هلك بهذه الزلزلة نحو ثمانين الف نفس ونيف · واما في صور فكانت سليمة وما حدث في تلك النواحي من الزلزلة الا قليل · وفي هذه السنة مات قطب الدين مودود ابن زنكي ابن اقسنقر صاحب الموصل (وعمره اربعون سنة وكان ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصف · ولما اشتد مرضه) اوصى بالملك بعده الى ابنه الاكبر عماد الدين زنكي · ثم عدل عنه الى ابنه الاخر وهو سيف الدين غازي · وسبب ذلك ان القيم على امور دولته فخر الدين عبد المسيح كان يكره عماد الدين لانه كان طوع عمه نور الدين وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق عبد المسيح وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش ابن ايلغازي والدة سيف الدين على صرف الملك من عماد الدين الى سيف الدين · فرحل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنصراً به ليعينه

(١) هكذا كان يظن القدماء بان الزلازل نتيجة الارياح ولكن الامر ليس كذلك بل هي مسببة عن النيران الموجودة في قلب الارض فحينما يصل اليها الماء يتحول بخاراً و يتفجر فتحصل الزلزلة

على اخذ الملك لنفسه

وفي السنة ٥٦٦ هـ = ١١٧٠ توجه المريكوس الى ملك الروم واقتبله كاحد أنسبائه بكل العز والكرامة . وصار الاتفاق بينهما على استخلاص مصر من يد المسلمين بعهود وشروط تحررت بينهما . ثم رجع الملك المريكوس بالخلع الشريفة ودخل مدينة صيدا . وفي هذه السنة يقول ابن سباط انه لما بلغ الملك العادل نور الدين تمكن صلاح الدين من مصر وحكمه بالقصر ارسل يامره حتماً وجزماً بقطع الخطبة العباسية فراجعه في ذلك صلاح الدين بانه يخاف الفتنة اذا فعل ذلك . فلم يلتفت نور الدين الى ذلك واصر عليه . وكان العاضد خليفة مصر قد مرض فامر صلاح الدين الخطباء ان يخطبوا للمستنجد[١] خليفة بغداد . و يقطعوا خطبة العاضد فامتثلوا لذلك . وقال العماد[٢] استفتح صلاح الدين اقامة الخطبة بجامع مصر لبني العباس اول جمعة من محرم . واقيمت الجمعة الثانية كذلك بالقاهرة . و بعد يومين مات العاضد يوم عاشوراء . قال ابن الجوزي انه لما وصل الخبر الى بغداد بان المستنجد خطب له بمصر اقفلت اسواق بغداد للهناء وعملت القباب وكانت قد قطعت الدعوة لبني العباس من مصر نحو مايتين وعشرين سنة . وقال ابن الحريري انه لما بلغ ذلك خليفة بغداد جهز قاصده الى نور الدين وصلاح الدين بخلعتين فلبس نور الدين خلعته وهي فرجية وقباء وطوق بالف دينار وحصان بسرج خاص وسيفين ولواء وحصان اخر جنيب . واخرج دست الملك الى الميدان الاخضر . وارسل لصلاح الدين دون ذلك يسيراً ومعها اعلام الخطباء عليها اسم المستضيء . ومات العاضد ولم يخلف ولداً وكانت خلافته اثني عشرة سنة ونصف وفي موت العاضد انقرضت دولته لان صلاح الدين تسلم القصر بما حواه واعتقل من كان من اقارب العاضد . ومنعهم عن النساء لئلا يتناسلوا . واصطفى صلاح الدين نفائس الذخائر واستمر بيع ما في القصر نحو عشر سنين ومن ذلك الكتب . وكانت ازيد من مائتي الف مجلد . (ومن جملة النفائس

---

(١) ان المستنجد توفي في هذه السنة قبل قيام الخطبة له ولكنها اقيمت لابنه المستضيء

(٢) لما ارسل نور الدين الى صلاح الدين لكي يقطع الخطبة للعلويين و يخطب للعباسيين لم يتجاسر على ذلك وخشي الفتنة فكان في مصر رجل اعمى يلقب بالامير العالم فهذا لما رأى انه لا يجسر احد على اقامة الخطبة للعباسيين قال انا استفتح ذلك وابتدئ بالخطبة للمستضيء فابتدأ في اول جمعة من المحرّم ولم ينكر احد ذلك فقطع الخطباء كلهم بمصر خطبة العاضد وخطبوا للمستضيء ولم ينتطح فيها عنزان ثم ان اكثر هذه الحوادث المذكورة تحت سنة ٥٦٦ حدثت سنة ٥٦٧ ولكن الامير حيدر اجملها في سنة واحدة وانما موت الخليفة العباسي المستنجد حدث سنة ٥٦٦

حبل ياقوت كان وزنه سبعة عشر درهماً او مثقالاً . قال ابن الاثير انا رايته ووقفت على وزنه وانتهت الخلافة العلوية . وهم اربع عشرة خليفة المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد . وكانت مدة خلافتهم من حين ظهر المهدي بسلجماسة في ذي الحجة سنة ٢٩٦ هـ الى ان توفي العاضد مايتين واثنتين وسبعين سنة) وكانت عدة الخلفاء الذين تولوا على الديار المصرية والشامية احدى عشر خليفة . ومدة تصرفهم مايتان وسبع سنين . ثم زالت دولتهم . والله وحده الدائم الذي لايزول حكمه . وفيها توفي الامام المستنجد بالله ابو المظفر يوسف ابن المقتفي بالله . وكان من احسن الخلفاء العباسيين في سيره مع الرعية . وكان عادلاً حليماً يهوى الشعر وارباب وكان شاعراً ومن اشعاره

وجلنارٍ كاعراف الديوك على	غصنٍ يميل كاذناب الطواويس
مثل العروس تجلت يوم زينتها	حمر الحليّ على خضر الملابيس
في مجلسٍ لعبت ايدي السرور به	لدى عروس تحاكي عرش بلقيس
تسقي الحيا اربعاً تحيي النفوس بها	مابين مقريٍّ الى باب الفراديس

الفصل الثالث والثلاثون

﴿ في خلافة المستضيء بامر الله وهو الثالث والثلاثون من العباسيين ﴾

وتخلف بعده ولده المستضيء بامر الله ابو محمد الحسن فبايعه اهل بيته البيعة الخاصة يوم توفي ابوه اي تاسع ربيع الاخر سنة ٥٦٦ هـ وبايعه الناس من الغد في التاج بيعة العامة . واظهر من العدل اضعاف ماعمل ابوه وفرق اموالاً جزيلة . وفي هذه السنة غزا صلاح الدين يوسف صاحب مصر البلاد التي تحت حكم الافرنج . وكان عسكره اربعين الف مقاتل ونيف . ووضع الحصار على قلعة شقيف تيرون وهي في حدود فلسطين (بقرب بانياس) . فقدم اليه المر يكوس من عسقلان بالفي رجل . فرحل صلاح الدين الى ايلة وهي على ساحل البحر الاحمر فافتتحها واستباح اهلها وكلما فيها . ثم عاد الى مصر . وفيها عند ماتوفي العاضد خليفة مصر ارسل الملك العادل نور الدين استنابة الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن نجم الدين ابن شاذي ابن مروان ابن ايوب على الديار المصرية . وكان مقام شاذي بتكريت وبها توفي وله ولدان اسد

الدين شيركوه ونجم الدين ايوب . فتولى نجم الدين على قلعة تكريت مدة . ثم عزل عنها . وسار باهله الى الموصل . ولما افضت المملكة الى نور الدين ابن زنكي قصده نجم الدين واخوه شيركوه واهل بيتهما . فاكرمهما نور الدين وجعلهما من اعيان اصحابه . ولما ولد لنجم الدين صلاح الدين يوسف كان نور الدين ينزله بمنزلة الولد و ينهضه في المهمات . ثم انه جهز شيركوه الى مصر مع الجيوش الشامية وصار وزيراً بدل شاور البدوي . و بعد موت شيركوه ولى العاضد صلاح الدين على الوزارة بمصر . وعند ما مات العاضد نوبه نور الدين بالديار المصرية فجدد صلاح الدين الدعوة في مصر واعمالها للخليفة العباسي واخذ اموال العاضد وملك قصره ودياره . وقبض على اهل بيته واستقر امره . و بعث نور الدين الى صلاح الدين طالباً منه ان ياتي اليه فلم يمضِ . ولكنه ارسل اليه يعتذر ببعض اعذار . فغضب عليه نور الدين وهم بالدخول الى مصر . فخضع له صلاح الدين فسكت عنه . وفي هذه السنة عبرت عساكر الخطا [1] نهر جيحون يريدون خوارزم . فالتقاهم صاحبها شاه ارسلان ابن اقسز (اقسيس) في عاكره الى اموية (وتدعى ايضاً آمو وآمل مدينة مشهورة في غربي جيجون) ليقاتلهم و يصدهم فمرض . فاقام بها وسير جيشه مع امير كبير اليهم . فلقيهم فانهزم الخوارزميون واسر مقدمهم . ورجع به الخطا الى ماوراء النهر . وعاد شاه الى خوارزم مريضاً وتوفي فيها . وملك بعده ابنه سلطان شاه محمود . وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش مقيماً في جند [2] فقصد ملك الخطا واستمده على اخيه فسير معه جيشاً كثيفاً مقدمه قوما (يروى قوما اوقرما) وساروا حتى قاربوا خوارزم . فخرج شاه منها ومعه امه وقصد خراسان وملك تكش خوارزم

وفي السنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٣م سار نور الدين الى الموصل وصلى بجامعه . ثم عند رجوعه فتح مرعش و بهسنا ومرزبان وسيواس . وفيها مات طوروس امير الارمن وكان محباً للافرنج . فتخلف بعده اخوه ميلون . وكان يكره الافرنج و يشن الغارة عليهم مراراً والتجأ الى نور الدين واستنجده عليهم حتى هزم ابن اخيه توماس . وزحف الى المواضع

(١) الخطا و يروى الخطاي قوم من التتر الشرقيين تملكوا بلاد الصين وجزءاً من بلاد التتر . ثم ان الصينيين استنصروا سكان كوريا المسمين نيوتشي وهم اجداد المندشو على الخطا فانجدوهم وغصبوا الملك وكانت منهم الاسرة الملكية المعروفة بال كين اي آل الذهب . وانتقل قسم عظيم من الخطا نحو الغرب واستوطنوا بلاد كشغر وهي التي تسمى قرا خطا ومعنى قرا الاسود

(٢) جند مدينة عظيمة في بلاد تركستان بينها و بين خوارزم عشرة ايام قرب نهر سيحون .

التي كانت بيد الافرنج فاحرق ونهب وقتل وملك جميع ما كان تبقى بيد فرسان هيكل القدس في بلاد قيليقية . ولاجل ذلك انتقل الملك المريكوس الى نواحي انطاكية . وارسل مرتين يؤنب ميلون الارمني لانه كان يساعد نور الدين على اهلاك النصارى مع كونه نصرانيًا . فلم يرتدع عن ذلك ميلون . فغزا المريكوس بلاد قيليقية وتملك مواضع كثيرة وضرب اهلها بالسيف . وفي هذه السنة سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وغزا جميع ما هو الافرنج عبر نهر الاردن الشرقي . ونهب وقتل وقطع الكروم والشجر . فسار نور الدين من دمشق الى الرقيقة بقرب الكرك فخاف صلاح الدين من الاجتماع به . فرحل من الكرك وعاد الى مصر . وارسل الى نور الدين معتذرًا عن عدم مقابلته بان اباه مريض ويخشى ان يموت . فتفقد مصر من يده . فقبل نور الدين عذره .

وفي هذه السنة كان قيام آل شهاب من حوران الى وادي التيم كما سبق وكان كبيرهم ومقدمهم الامير منقذ . وذلك في زمن ولاية الملك العادل نور الدين الشهير على الشام وولاية السلطان صلاح الدين على مصر . فلما عزم آل شهاب على الرحيل قصدوا غربي البلاد الشامية . ونزلوا في صحراء الجسر اليعقوبي . فسمع برحيلهم الملك العادل . وارسل لهم خلعًا وهدايا نفيسة مع خواصه . وكتب لهم بالرجوع لانهم كانوا من اهم اعوانه . فلما وصل كتاب نور الدين اليهم جمع الامير منقذ الامراء واكابر العشيرة واستشارهم بذلك فاجابوه ان ليس لنا سبيل للرجوع وانه غير لائق بنا فسرَّ الامير منقذ من كلامهم . وعند ذلك كتبوا كتابًا الى السلطان نور الدين قائلين « انك امرتنا بالرجوع الى ديارنا مؤمَّنين فامانك شاملنا في كل مكان . ولكن نعتذر اليك في ذلك لان قيامنا وعودتنا غير لائقة بنا لئلا ينسب الينا الضعف والخيانة . واين ما كنا فنحن في بلادك وتحت حكمك . ونحن عساكرك واعوان لك . وسبب قيامنا هو دمار بلادنا وعدم اجتناء اثمارها . فقبل نور الدين اعتذارهم . وكان عدد الامراء عشرة واكبرهم الامير منقذ وعدد عشائرهم الذين تحت امرهم خمسة عشر الفًا . ثم رحلوا من الجسر اليعقوبي ونزلوا في وادي التيم وكان نزولهم من الظهر الاحمر الى الكنيسة

وفي السنة ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م يقول مطران صور ان القومس صاحب طرابلس كان له ثماني سنين ماسورًا في حلب فبادل عن نفسه بالف وخمسماية درهم وعاد الى طرابلس . وقال ابن الحريري ان القومس اعطى نور الدين ثلاث كرات دينار

(الكرة مائة الف) وخمس مائه زردية ومثلها اسرى واحصنة . وفيها ذكر الذهبي في تاريخ الاسلام انه وقع برد عظيم فوزنت الواحدة فبلغت سبعة ارطال بالبغدادي . وكان غالب البرد شبه النارنج . فقتل كثيراً من الناس والمواشي . وفيها نزلت امطار غزيرة دامت اربعة اشهر في الموصل فهدم فيها الفا بيت من المطر وغرقت بغداد بالزيادة وهرب الخلق واستغاثوا بالله . واقاموا الخطبة بالصحراء وهلكت ضياع وهدمت دور كثيرة . وفيها بعث نور الدين يطالب صلاح الدين بحساب ارتفاع مصر (اي ازدياد موسعها) فصعب عليه ولكن كونه لا يزال تحت يده سكت . وامر بعمل الحساب و بعثه لنور الدين . ومعه تقادم نفيسة منها قطعة ياقوت وزنها سبعة مثاقيل ومائة عقد جوهر ومائة ثوب اطلس فلم تصل حتى مات نور الدين . وفي هذه السنة يوم الاربعاء الحادي عشر من شهر شوال كانت وفاة الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي ابن سنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر بعلة الخانوق وكنيته ابو القاسم . وكان مولده سنة ٥١١ . ومدة ولايته ثماني وعشرون سنة . وكان ملكاً جليلاً ومجاهداً ولم يكن في سير الملوك احسن من سيرته ولا اكثر تحرياً للعدل منه . كثير الصدقات وحسن الخط . وكان لا يا كل ولا يلبس ولا يتصرف فيما يخصه الا من ماله الخاص او من عمل الاقفال الخشبية والكوفيات التي كان يعملها او يخيطها بيده . وفي الحروب كان ثابت القدم حسن الرمي شديد العزم ففتح خمسين حصناً ونيفاً منها تل باشر وغراز ومرعش و بهسنا وتل خالد وحارم والمرزبان والرها . وقتل امير انطاكية وثلاثة الاف مقاتل معه . واخذ من قومس طرابلس ثلاثماية الف دينار وخمس مائة الف زردية . وخمس مائة حصان وخمسماية اسير . واتسع ملكه ففتح الموصل والجزيرة وديار بكر ودمشق والعواصم . و بعلبك و بانياس ومصر واليمن . وخطب له في اكثر اقطار الدنيا . و بنى في بلاد الشام اسوار المدن التي هدمت بالزلازل مثل دمشق وحمص وحماه وشيزر و بعلبك وغيرها . ومع شجاعته جمع الصفات الدينية التقوية كالخشوع لله والمواظبة على الصلوات والانعكاف على تلاوة المصحف . ولم يلبس حريراً قط ولا ذهباً ولا فضة . و بنى المساجد والمدارس في دمشق وحلب . و بنى المستشفى والمكتب لليتامى ودار العدل بدمشق . ووقف له الوقوفات . ووقف ايضاً على سكان الحرمين وعلى المرضى والمجانين . وعلى جامع الموصل وغيرها . واقطع امراء العرب لئلا يعترضوا الحج وامر باكمال سور مكة واجرى اليها العين التي تؤخذ من عند قبر حمزة و بنى جسر كامد الاوز في سهل البقاع . وجدد كثيراً من الجسور والخانات . وقناوات

السبل في اعمال دمشق وغيرها · واسقط المكوس وكلما كان يؤخذ من دار البطيخ وسوق الخيل والغنم والخيالة (اوالفرسان) · ومنع بيع الخمر والمنكرات من جميع سلطنته · وكان مقدار هذا المكوس الذي رفعه نحو ست كرات · ومن ذلك على دمشق وحدها اكثر من خمسين الف سنويًا · وفيها سار ملك القدس الى بانياس ووضع عليها الحصار فارسلت له ارملة نور الدين زنكي مقدارًا من الدراهم وعشرين اسيرًا فرحل عن بانياس وعاد الى القدس · وفي حال وصوله اصابه سيلان دم مع حمى شديدة فمات ودفن بقرب اخيه · وكان الملك ام يكوس (المرك) ملكًا جليلًا متعبدًا صبورًا في الحروب قنوعًا في الاكل والشرب · وكانت مدة ملكه اثني عشرة سنة وخمسة اشهر · وفيها توّج بلدوين ابنه ملكًا على القدس · وهو بلدوين السابع من ملوك القدس وكان عمره حين تملكه ثلاث عشرة سنة · واعطيت محافظة المملكة الى رجل يدعى ميلون وكان ميلون هذا متكبرًا في نفسه قاصدًا العجب والعظمة على جميع امراء الافرنج · فكرهه الجميع و بالاخص القومس صاحب طرابلس الذي كان الصغير بالنسبة الى الملك والافضل بين جميع امراء الافرنج في كثرة المال وقوة الرجال وشدة العزم ولما اسروه في حلب ارسل وسلم بيد ملك طرابلس جميع ما يملك في حياته و بعد موته ولاجل ذلك كان الاجدر بالقومس المذكور ان يكفل بلدوين الملك لانه كان ابن خالته وامين على محافظة كل مملكته · وحدث ان وثب على ميلون قوم وهو في عكا وقتلوه غدرًا في الليل · فاخذ المحافظة او الوكالة رايموند القومس ابن رايموند ابن فنطيوس ابن بيثران ابن رايموندس الكبير الذي قدم الى بلاد الشام صحبة غوفويد (كودفروا) الملك وتولى على طرابلس الشام · وحكى شرف الدين يعقوب ابن المبارز عن الملك العادل ان في دارهم قفلاً من خشب من عمله في بلاد خوزستان وهي باقية الى سنة خمسين وستماية يتباركون منها · وقصدنا الجهد بهذا المختصر ايضاح محاسنه ودينه وشجاعته وغزواته وفتوحاته ومساجده ومدارسه وبره وعدله ومناقبه التي هي اكثر من ان تحصى او تحصر · وذكر ابن الجوزي في تاريخه ان الملك نور الدين كان تزوج الخاتون ابنة معين الدين فطلبت منه زيادة نفقة فغضب وقال قد فرضت لها ما يكفيها واقسم بالله قائلاً انني لا أخوض جهنم بسببها · وهذه الاموال ليست لي بل للمسلمين وانا خازنهم فلا اخونهم فيها · ولي بحمص ثلاثة دكاكين اشتريتها من الغنائم قد وهبتها لها · وكان يحصل منها قدرًا

يسيرًا . قال وكان يلعب بالكر كثيرًا . فكتب اليه بعض الصالحين ينتقد عليه ويقول انك تتعب الخيل بغير فائدة . فاجابه انني لم اقصد اللعب وانما نحن في ثغر والعدوّ منا قريب . وربما وقع صوت (اي مناداة للاستغاثة) فتكون الخيل معتادة على سرعة الانعطاف بالكر والفر . فاذا طلبنا العدو ادركناه . ولو تركناها لحالها لصارت جمامًا لا ينتفع منها (الفرس الجمام المتروكة بدون ركوب) وكان الملك نور الدين يومًا يلعب بالكر بميدان دمشق فجاء رجلٌ ووقف بازائه واشار اليه . فقال الملك نور الدين للحاجب اسأله ما حاجته . فقال لي مع الملك دعوى محاكمة . فرمى الصولجان من يده وجاء مع الرجل الى مجلس القاضي كمال الدين . فقال الرجل لا تنزعج ياملك واسلك معي كما تسلك مع احد الناس . ولما تحاكما لم يثبت للرجل حق على نور الدين . فقال الملك نور الدين للقاضي هل ثبت لهذا الرجل عليَّ حق فقال لا . فقال نور الدين اشهدوا عليَّ انني وهبت هذا الرجل ما ادعى به . وقد كنت اعلم ان ليس له به حق وانما حضرت معه لئلا يقال عني انني دعيت الى الشرع فابيت . وحكى القاضي كمال الدين . قال اني بعثت الى نور الدين من فائض الاوقاف مالاً جزيلاً . فقال ردوه اليه وقولوا له ان نور الدين رقبته دقيقة لا يقدر على حمل ذلك وانت رقبتك غليظة تقدر على حمله . ونور الدين اول من بنى دار العدل بدمشق وسماها دار الكشف . وسببه ان الامراء لما قدموا الى دمشق واقتنوا الاملاك استطالوا على الناس وخصوصًا اسد الدين شيركوه . فكثرت الشكاوي الى القاضي ولم يقدر على الانتصاف من شيركوه فشكا الى نور الدين فامر ببناء دار العدل . فاحضر شيركوه اصحاب ديوانه وقال لهم ان نور الدين لم يبنِ هذه الدار الا بسببي وحدي لينتقم مني والا فمن هو الذي يمتنع على نور الدين . فالان اذا الزمني احدكم بالحضور الى دار العدل لاصلبنه . فان كان بينكم وبين احد منازعة فاصلحوا بينهما وارضوهما بما امكن ولو كلفكم جميع مافي يدي . فان خروج املاكي من يدي اهون عليَّ من ان يراني نور الدين بعين ظالم ويساوي بيني وبين احد العوام . ففعلوا وارضوا الخصوم فجلس نور الدين في دار العدل وقال للقاضي لا أرى احدًا يشكو من شيركوه . فاخبره الخبر فسجد وقال الحمد لله الذي جعل اصحابنا ينصفون من انفسهم قبل حضورهم الينا . وكان يقعد في دار العدل في كل اسبوع اربعة ايام ويحضر اليه الفقهاء

ويامر بازالة الحاجب والبواب ويوصل اليه الشيخ الضعيف والعجوز الكبيرة . ويسال الفقهاء عما اشكل عليه وكان اذا حضر الحرب شد تركاشين (لاوجود لها في العربية واظنها تركية يراد بها رباط) وحمل قوسين وباشر الحرب بنفسه . فقال له القطب النيسابوري لا تخاطر بنفسك . فانت عمدة الاسلام والمسلمين . فلو اصبت في معركةٍ . والعياذ بالله تعالى . لا يبقى من يقوم مقامك وتذهب البلاد . فقال ومن هو محمود ليقال له هذا ومن حفظ البلاد قبلي الا الله تعالى . وكان اذا مات احد من جنده او قتل وكان له ولد فان كان كبيرًا ولاه مكان ابيه . وان كان صغيرًا رتب معه من يتولى امره الى ان يكبر . فكان الاجناد يقولون هذه املاكنا ونحن نقاتل عنها لاننا نتوارثها . وما كان يركن الى الامراء بالولاية على الجند بل يتولى عليهم بنفسه . ويباشر خيولهم وسلاحهم مخافة ان يقصر الامراء في حقهم . ويقول نحن في كل وقت في الثغر . فاذا لم تكن اجنادنا كاملة العدة دخل الوهم على المسلمين . وكان عمارة اليمني ابن الحسن الملقب بنجم الدين الشاعر موجودًا حين مات نور الدين فرثاه بهذه القصيدة

(هذا ماذكرهُ الامير حيدر بان عمارة اليمني رثا نور الدين بهذه القصيدة الاتية والصحيح ماياتي وهو انه كان في مصر جماعة يريدون اعادة الخلافة الفاطمية والثورة على صلاح الدين فقبض عليهم صلاح الدين وصلبهم وكانوا من اعيان المصريين مثل عبد الصمد الكاتب والقاضي العويرس وداعي الدعاة وعمارة بن علي اليمني الشاعر الفقيه الذي نظم هذه القصيدة في احوال العلويين وانقراضهم راثيًا اياهم وليس الرثاء لنور الدين وهي)

رميت يادهر كف المجد بالشللِ	وجيده بعد حسن الحلي بالعطلِ
هدمت قاعدة المعروف عن عجلٍ	سقيت نهلاً اما تمشي على مهل
سعيت في منهج فيه العثور فان	قدرت من عثرات السعي فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فانفك لا	ينفك ما بين امر الشين والخجل
ياعاذلي في هوى ابناء فاطمةٍ	لك الملامة ان قصرت في عذل
قومٌ عرفت بهم كسب الالوف ومن	كمالها انها جاءت ولم أُسل
لهفي ولهف بني الامال قاطبةً	على فجيعتها في اكرم الدول
بالله زر ساحة القصرين وابكِ دمًا	عليهما لاعلى صفين والجمل

وقل لاهلهما والله ما التحمت فيكم جروحي ولا قرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة في نسل آل امير المؤمنين علي
مررت بالقصر والاركان خالية من الوفود وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجهي خوف شامتة من الوشاة ووجه الود لم يمل
اسبلت من اسف دمعي غداة خلت رحابكم وغدت مهجورة النسل
ابكي على ما وهبنا من مكارمكم حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت انس وافدكم واليوم اوحش من رسم من الطلل
كانت روايتكم للمؤمنين ولا ضيف المقيم وللطاريء من الرسل
وما خصصتم بها اهلي ملتكم حتى عممتم به الاقصى من الملل
والله لا فاز يوم الحشر شامتكم ولا نجا من عذاب الله غير ولي

وهي قصيدة طويلة في رثاء الدولة العلوية . ومما قيل في نور الدين

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما حسن المحراب في المحراب

وقال غيره

سمعت حديثاً اجمد الصم عنده ويذهل واعيه ويخرس قائله
واني ارى فوق الوجوه كآبة تظن على ان الوجوه تواكله
فلم لا له نبكي وندب فقده واولادنا ايتامه وارامله

وقال غيره عند دفن الملك العادل نور الدين

خربت ربوع المكرمات لراحل عمرت به الاجداث وهي قفار
نعش الملوك العادلين مشرع عميت برؤيا نعشه الابصار
شخص الانام اليه تحت جنازة خفضت براقي قدره الاقدار
فكانه تابوت موسى اودعت في جانبيه اهابة ووقار
وتغاره الحرمان والهرمان في تابوته وعلى الكريم يغار
غضب الاله على رجال اقدموا جهلاً عليك واخرون اشاروا

و بعد وفاة الملك نور الدين تولى مكانه ولده اسماعيل وكان عمره اربع عشرة سنة . (ولقب بالملك الصالح وخطب له بمصر والشام وضربت السكة باسمه . وملك ابن عمه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود ابن زنكي بلاد الجزيرة مع الموصل .) وحكى ابن الشاكر عبد الله انه بعد موت الملك نور الدين محمود طمع الملك صلاح

الدين يوسف الايوبي في الديار الشامية ٠وهو اول الملوك الايوبيين بعد الفاطميين وكان والدهم شاذي ابن مروان ابن ايوب ٠وكان مقامه بتكريت وبها توفي وكان له ولدان اسد الدين ونجم الدين ٠ولما تملك الملك العادل قصده نجم الدين واخوه فقربهما اليه واكرمها وجعلهما من اصحابه وندمائه ومن مشيريه ٠ وكان صلاح الدين يقوم بخدمة نور الدين ويجلس كاحد حراسه فاقتبس من نور الدين مبادىء كثيرة حسنة وصفات كثيرة حميدة ٠ ولما قدم شاور البدوي وزير العاضد خليفة مصر الى دمشق واجتمع بنور الدين وطلب منه المعاضدة للرجوع الى منصبه وجهز شيركوه معه كما تقدم فبعث ابن اخيه صلاح الدين معه وعين صلاح الدين وزيرًا للعاضد كما ذكرنا واستمر وزيرًا الى ان مات العاضد ٠ وناب صلاح الدين عن نور الدين بالديار المصرية ٠ ولما مات الملك نور الدين استقل صلاح الدين بالملك على مصر ثم على الشام ايضاً ٠وطرد ولد نور الدين منها ٠ واساء الصحبة وسيأتي ذكر ذلك وقد اشار المعز لدين الله في ملحمته الى ذكر شاور وشيركوه وصلاح الدين بقوله شعراً

وقدتم شاوراً امام جيوشكم ... فيابئس وغداً للجيوش تقدما
بجيشٍ عليكم كل بادٍ وحاضرٍ ... ويستنجد الكفار لكن عليكما
وفي خمس مائة بعد هجرة احمدٍ ... وخمسين حولاً من زمان تقدما
يسير الى محمودٍ صاحب جلّقٍ ... ويوعده مالاً وملكاً عرمرما
يكون زعيم القوم شيروك اسمه ... تميز كلامي وافتهم وتفهما
وقد ابصرت عين الامام ليوسف ... على الملك فاستولى وبالقصر يحكما
ويرقى صلاح الدين يوسف دارکم ... ومصرًا وما تحوى الصعيدين فافهما
ويملك شهاب الشام اعني بمالها ... وكم من حصون بالفرات تسلما

وذكر كلاماً طويلاً في معنى ذلك اهملناه اختصارًا

وفي هذه السنة بعد نزول آل شهاب في وادي التيم وكان المتولي سابقًا على وادي التيم ظهير الدين كرامة التنوخي صاحب ثغر بيروت وما يليها من غربي سفح لبنان ثم تملكها الافرنج لما سمعت الافرنج بنزول آل شهاب في وادي التيم جمعوا عساكرهم من صيداء وصور وعكاء الى حاصبيا وقدمت آل شهاب الى قتالهم مصباح يوم الخميس في ٢١ صفر والتقى الفريقان وتراموا بالنبال ٠ وتعاركوا عراك الابل ٠ واول من قدم الى المعركة الامير منقذ واولاده واخوته وبنو عمه وجعل الامير منقذ يحث قومه واصحابه على

القتال و ينادي بارفع صوته اكشفوا ظلام الكفر بضياء الايمان. ولم يزل السيف يعمل في الفريقين حتى الظلام وقد قتل من الافرنج نحو ثلاثة الاف نفس . ثم افترقوا عن القتال وعند الصباح رجعوا الى الحرب والكفاح. وتضاربوا بالسيوف وتطاعنوا بالرماح . ولم يكن الا القليل حتى فرت الافرنج من تلك الارض وتحصنوا في الجبال وترجلت آل شهاب واقتحموا تلك الصخور فازاحوا الافرنج من تلك الديار وحاصروا الباقين في قلعة حاصبيا (١)

وفي السنة ٥٧٠ هـ = ١١٧٤م سار صلاح الدين بسبعماية فارس الى دمشق . وقيل ان اهل دمشق كاتبوه ليقدم لاخذها فخرج كل من كان في دمشق ولاقوه واكرموه واخذ القلعة وتولى على جميع اموالها . وعند ماثبت قدمه قرر بها ابن عمه طغتكين ابن شيركوه . وانتقل الملك الصالح ابن نور الدين الى مدينة حلب وارسل الى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يطلب منه النجدة على صلاح الدين. وسار صلاح الدين في مستهل جمادي الاول الى حمص . وكانت حمص وحماه وقلعة بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة في مقاطعة فخر الدين مسعود الزعفراني . وكان ردي السيرة . فاخذ صلاح الدين حمصاً في احد عشر جمادي الاول وترك من يضيّق على القلعة . ونزل الى حماه فملك المدينة في مستهل جمادي الاخر . ومضى الى حلب وشدد عليها الحصار . فخرج ملك القدس الى جهة بانياس . وكانت ايام البيادر (الاجران) فاحرق الزروع والبيادر . وسار حتى وصل الى داريا قريباً من دمشق . وغزا وادي الجنة التي في ذيل جبل لبنان فنهب وكسب اموالاً كثيرة . وقصدوا حمصاً فرحل صلاح الدين عنها الى حلب واعطى للافرنج المرابيط والكفلاء الذين كان اسرهم نور الدين فرحلوا عنه . وبعد حصار قنطورا كبير الافرنج في قلعة حاصبيا نزل آل شهاب خارج القرية ودام القتال عشرة ايام الى ان نقبوا الجدران واقتحموها بالسيوف فطلبت الافرنج الامان فامنهم الامير منقذ . وخرجوا من دون سلاح . وكان قنطورا كبير الافرنج ومعه ثلاثماية شخص محاصرين داخل القلعة . فما ارتضوا بالتسليم فهجم آل شهاب ونقبوا حائط القلعة بالقداديم والمعاول واستولوا عليها وقتلوا قنطورا ومن معه . ثم ارسلوا رؤوس القتلى الى دمشق الى السلطان صلاح الدين . فسرّ بذلك سروراً زائداً وكتب الى الامير منقذ يهنئه في ذلك الانتصار وانه يقيم في البلاد

(١) ذكر هذه القصة الامير حيدر قبلاً والصحيح انها حدثت في مثل هذا الوقت اي سنة ٥٦٨ هجرية او سنة ٥٦٩

التي افتتحها و يكون اميرها . واطلق له التصرف بها وانهم اي آل شهاب يكونون ولاة عليها الى ماشاء الله . وارسل لهم الخلع السنية والحلل الرسمية صحبة رستم بك الداودار فقبلوا تلك الخلع بالفرح والسرور . ولما بلغ البطريق بفاطو الافرنجي صاحب قلعة الشقيف ماجرى على الافرنج اعتراه خوف شديد وارسل اليهم يطلب منهم الصلح فهادنوه على ذلك . وكان في ذلك الوقت الامير على جبل الشوف من لبنان الامير يونس ابن الامير معن المعني فلما بلغه ذلك فرح فرحاً عظيماً

وفي هذه السنة في ايام المستضيء بامر الله ظهر في علم الطب والحكمة السموأل اليهودي المغربي واصله من الاندلس وكان فريد زمانه وعالم اوانه وله مصنفات كثيرة واشعار جليلة ومن اشعاره قصيدة يصف بها قومه بالفروسية اولها

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه   فكل رداء يرتديه جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها   فليس الى حسن الثناء سبيلُ

وكان قد اسلم قبل موته وارتفعت مرتبته وخدم السموأل عند امراء بيت البهلوان في مراغة الى ان مات في هذه السنة

وفي السنة ٥٧١ هـ = ١١٧٥م قدم سيف الدولة غازي في العساكر الحلبية والموصلية لمقاتلة صلاح الدين بقرب حماه . فظفر بهم وغنم اموالهم . ثم صار الصلح بين الملك الصالح ابن نور الدين و بين صلاح الدين . واستمر لصلاح الدين ما كان تملكه من الشام . وللملك الصالح مابقي بيده . ورحل صلاح الدين عن حلب في اخر شوال . وانعم بحمص على ابن عمه محمد ابن شيركوه واستناب بدمشق اخاه سيف الاسلام طغتكين . وبمصر اخاه العادل . ثم بعث الى المستضيء خليفة بغداد يطلب منه تقلد السلطنة الكبرى وهي مملكة مصر والشام واليمن والحجاز وكلما يفتحه وتقرر له الملك . وفيها مات ابو القاسم علي ابن الحسين ابن عساكر صاحب التاريخ الكبير وكان فريد عصره . وفيها سار صاحب طرابلس الى بانياس ماراً على بلاد جبيل وحصن المنيطرة . وخرج اليه شمس الدولة اخو صلاح الدين من دمشق وتواقع الفريقان وكانت الكسرة على شمس الدولة . فانهزم بنفر قليل وتولى الافرنج على خيامهم وامتعتهم وغزوا نواحي البقاع وعادوا بسابلة كثيرة . وفيها امر خليفة بغداد بتنصيب رئيس الرؤساء على الوزارة وكان قطب الدين قيماز عدواً له فاغلق باب دار الخلافة . وقد طمع في الدولة واستطال ولم يبق معه للخليفة حكماً . واتفق مع الامير تنامش الذي كان قد استولى على البصرة

ونهبوا القرايا واحرقوها وقطعوا الطريق . فغضب الخليفة وارسل صندلاً بالعساكر الى لقاهما فاقتتل الفريقان ولم يقدر صندل عليهما فارسل الى الخليفة يستمده . فصعد الخليفة على منظرة (مأذنة) الريحانيين وظهر للناس وقد اجتمع اهل بغداد تحت المنظرة وقال يااهل بغداد انا خليفتكم وقد عصى علي قيماز وكفر بنعمتي وظلم رعيتي . واستحل ماحرمه الله تعالى . فالمال ما لكم والدم لي . فثارت العامة وقصدوا داره ينادون للخليفة يامنصور وسمع قيماز الضجيج . فقال هذا الصياح لنا ام علينا . فقالوا علينا . فقال هلكنا ورب الكعبة . وحمل العوام على اصحابه فطحنوهم . وضربوا ابوابه بقوارير النفط فاحرقوه واحرقوا جماعة من اصحابه . ودخلوا داره . فهرب هو وتنامش من باب السر في نفر يسير والعامة خلفهم بالاجرّ والنشاب والمقاليع . وعبر على عقد المصطنع وهناك هرّاس يقال له ابن النحيل فضرب قطب الدين بالمغرفة . وقال له يامارق ودخلت العامة الدار وكان قطب الدين قد بسط الانطاع . (اي البسط من الاديم) وفرّغ عليها المال والجواهر واليواقيت . واطواق الذهب والخلع . واموالاً لم يكن عند الخلفاء ولا الملوك نظيرها فنهبوا الجميع بحيث ان العوام كانوا يدخلون المطبخ والقدور بحالها فيرمي الواحد في القدر المال في الاكياس و يخرج بها فاستغنى اهل بغداد . ونادى الخليفة اخر النهار برفع النهب وعزل نسائهم وحرمهم في دوره . ووكل بهنّ بعض الخدم يحفظهنّ و يقوم بامرهنّ وحبس الامراء والجند الذين وافقوهم واخذت اموالهم . واما قطب الدين وتنامش فهربا الى الموصل . ومات قطب الدين بظاهرها . وقيل بتل اعفر . وغسل في سقاية ولم يوجد له كفن . وكان معهم جماعة من الامراء منهم حسام الدين تميرك . فجاء الى الشام فاكرمه صلاح الدين واقطعه الاقطاعات . وكان عماد الدين صاحب سنجار قد نهبهم واستوزر الخليفة عضد الدين ابن رئيس الرؤساء وخلع عليه وهو الذي قصده قطب الدين . وفي هذه السنة ذكر في تواريخ الروم بان مناويل الملك تنازل عن الملك بعد ماتملك ثمان وعشرين سنة . وتملك مكانه ولده الكسيوس الكومونيس . وفي هذه السنة نهض الامير يونس المعني من الشوف الى وادي التيم بجمهور من اصحابه مهنئاً آل شهاب . ولما سمع الامير منقذ بقدومه خرج الى لقاه مع اكابر قومه والتقى الاميران وسلما الواحد على الاخر وقدم الامير منقذ الى الامير يونس اكراماً زائداً و بقي الامير يونس خمسة ايام . ثم رجع الى الشوف بعد ما قدم له الامير منقذ الجنائب والسلاح . وفي تلك السنة غزا الامير يونس المعني الافرنج الى السواحل وحصل بينهم حرب عظيمة

فانتصر آل معن على الافرنج واهلكوا منهم خلقاً كثيراً . ثم بعد ما راقت البلاد الى آل شهاب ارسل الامير يونس المعني يدعو الامير منقذاً الى زيارته والضيافة . فقبل الامير منقـذ الدعوة وسار من حاصبيا الى الشوف وصحبته ولده الامير محمد وكان ولداً نجيباً مليح الصورة فصيح اللسان . وعند وصول الامير منقذ الى الشوف التقى به الامير يونس الى ينبوع الباروك و بقيا ثلاثة ايام . ثم ذهبا جميعاً الى قرية بعقلين حيث كان الامير يونس قاطناً وكان للامير ابنة اسمها طيبة قد بلغت من العمر اربع عشرة سنة فخطبها الامير منقذ الى ولده الامير محمد . وعقد عقد الامير محمد على السيدة طيبة . وعقد ايضاً عقد السيدة سعاد ابنة الامير منقذ على ابن الامير يونس واتصل النسب بينهما

وفي السنة ٥٧٢ هـ = ١١٧٦ م نازل صلاح الدين الاسماعيلية وخرب بلادهم فتضرعوا اليه فرحل عنهم ودخل الى مصر . و بنى حول القاهرة سورها الاعظم المحيط بمصر والقاهرة ومحيط هذا السور تسعة وعشرون الف وثلاثماية ذراع . وصرف عليه اموالاً عظيمـة ولم ينتفع به احد ولم يكمل . وانشاء قلعة [1] الجبل . وتولى العمل على هذه القلعة قراقوش ابن عبد الله وعمل ذلك في مدة سنتين

وفي السنة ٥٧٣ هـ = ١١٧٧ م سارت الافرنج الى حصار قلعة حمص وشددوا عليها الحصار اربعة اشهر فحضر صلاح الدين الى دمشق . ولما بلغ الافرنج ذلك رحلوا عن حمص . وحضر صلاح الدين الى بعلبك وحاصرها ثلاثة اشهر وتسلمها من شمس الدين ابن المقدم علي ابن عوض وسلمها الى اخيه شمس الدولة تورنشاه . واعطى حماه الى ابن اخيه المظفر عمر ابن شاهنشاه . وفي هذه السنة نزل صلاح الدين بستة وعشرين الف راجل الى غزو الافرنج في الساحل . فاحرقوا الرملة ونهبوا اللد . وقتلوا واسروا جمعاً كثيراً . فارتعبت منهم قلوب الناس . وقصدوا المواضع المنيعة . وصعد اهل القدس الى برج داود . ثم ان الملك بلدوين استغاث بالله ورفع اعلامه . وخرج من عسقلان بثلاث مائة وخمسة وسبعين شخصاً اكثرهم من فرسان الهيكل وكان عسكر المسلمين في تعب عظيم من السهر والسفر . فوثب عليهم بلدوين وشتت شملهم . ومازال يعمل السيف فيهم حتى غابت الشمس فيئسوا من حالهم ورموا سلاحهم الى الاودية والاوجار . ثم حدث في تلك الليلة برد شديد ومطر دام مدة ايام فهلك بعضهم من البرد

(١) هي القلعة الكائنة قبلي القاهرة وللآن توجد اثار كثيرة هناك من بناء صلاح الدين ومن اعماله القناطر التي تبتدئ من فم الخليج وذلك لجر الماء فوقها للقلعة

و بعضهم من قتل السيف · وبعضهم رمى سلاحه وفر هارباً مع صلاح الدين · وقصدوا العودة الى مصر في القفر · فهلكت داوبهم وهلك البعض منهم من العطش ومن مشقة الطريق · وغنم الافرنج جميع ما كان معهم · وقبضوا على الذين استتروا في المغائر· ورجع الملك بلدوين مسروراً الى القدس ·وفي هذه السنة قتل عضد الدين وزير الخليفة المستضيء واقيم مكانه ظهير الدين المعروف بابن العطار وكان جواداً حسن السيرة كثير العطاء وتمكن تمكناً كثيراً · وفيها كان الغلاء العظيم العام · ثم تبعه الفناء والوباء الشديد ببلاد الشام · وفي هذه السنة سار الامير منقذ الشهابي الى دمشق لمقابلة السلطان صلاح الدين وحين دخل عليه التقاه السلطان احسن ملتقى و بقي عنده مدة ايام فاكرمه غاية الاكرام · ثم استاذنه بالرجوع فاذن له بعدما خلع عليه واعطاه عطايا سنية · واستمر الامير منقذ مدة حياته في ارغد عيش · وهو اول الامراء الشهابيين في وادي التيم وفي ايامه توفي الامير يونس المعني وقام بعده ولده الامير يوسف حاكماً على جبل الشوف ·

وفي السنة ٥٧٥هـ = ١١٧٩ م بنى بلدوين برجاً على شاطي الاردن ببيت يعقوب في وادي قادس · وقيل ان من ذلك الموضع عبر يعقوب اب الآباء نهر الاردن وهو ذاهب الى خاله لابان · (و يدعى الان جسر بنات يعقوب · واحتمل الافرنج مشقات كثيرة من غدر اهل جبل زابلون · وقتل من العربان الذين قصدوا اذيتهم عدد كبير وفي هذه السنة في ثاني ذي القعدة توفي الامام المستضيء بامر الله · وكانت خلافته نحو تسع سنين وعمره تسع وثلاثون سنة وكان عادلاً حسن السيرة في الرعية قليل المعاقبة على الذنوب · وكان محباً للعفو · فعاش حميداً ومات سعيداً

الفصل الرابع والثلثون

﴿في خلافة الناصر لدين الله ابي العباس احمد وهو الرابع والثلثون من العباسيين﴾

ولما مات المستضيء قام ظهير الدين ابن العطار في اخذ البيعة لولده ابي العباس احمد ولقب بالناصر لدين الله · ولما تمت البيعة صار الحاكم في الدولة مجد الدين ابو الفضل ابن الصاحب · وكان جزاء ابن العطار عندهم هو انهم قبضوا عليه وحبسوه في داره ثم نقل الى تاج وقيد وطلبت ودائعه وامواله · ثم اخرج ميتاً على راس حمال

سرا فثار بعض العامة على الميت وفعلوا بجثته ما لا يليق ذكره من اهانة وتعرية وجر في الاسواق والحال انه كان حسن السيرة كافًا عن اموالهم وعن اعراضهم

وفي السنة ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م قصد اهل زبولون خراب البرج الجديد الذي بناه بلدوين ببيت يعقوب · فوقعوا بيد الافرنج الذين كانوا كامنين لهم وقتلوا منهم مائة نفس · ثم صعد اليهم بلدوين الملك ليلاً ووقعت جماعته في كمينهم وقتل من الافرنج عدد غفير ومن جملتهم سلاحدار الملك · ثم انه قدم صلاح الدين وجاهد على حصار البرج فقتل واحد من امرائه ورحل عنهم · وفي هذه السنة كانت الوقعة ببرج عيون بين صلاح الدين والافرنج · وكان قد وصل اليهم صلاح الدين بغتةً وهم نازلون على شاطيء النهر ليستريحوا من تعب الطريق فهاجمهم على غفلة فانهزم الافرنج واخذ منهم نحو مايتين وسبعين اسيرًا واعتقلوهم بقلعة دمشق · وكان من جملة الاسرى اورون مقدم الديوان فمات في السجن · وآغون صاحب طبرية · وصاحب جبيل · وابن صاحب مرقيه وبلدوين · وكل من رام من هؤلاء الاسرى استفكاك نفسه بالف اسير وجملة دراهم فك نفسه ونجا · ثم ان صلاح الدين سار الى برج بيت يعقوب فملكه · وقتل جميع من كان فيه وهدمه الى الارض · فقال ابو حسن علي ابن محمد الساعاتي في ذلك شعرًا

وقفت على حسن المخاض لانه | لموقف حق لم يوازنه موقفُ
وما رفعت اعلامك الصفر ساعةً | الى ان غدت اكبادها السود ترجفُ
ايسكن اوطانًا لنا شين عصبة | يمين لدى ايمانها وهو يخلفُ
نصحتكم والنصح في الدين واجب | ردوا بيت يعقوب فقد جاء يوسفُ

وكتب بها صاحب حماه الى صلاح الدين شعرًا

لله در صلاح الدين من اسد | تأبى فريسته الايام ان وثبا
رايت جلق صفرًا لانظير لهـا | لحيها عامر من هو الذي خربا
نادتك بالذل لما قل ناصرها | واجمع الخلق في اوطانها هربا
احييتها مثلما احييت مصرًا فقد | رددت من عدلها ما كان قد ذهبا
هذا الذي نصر الاسلام فاتضحت | سبيله واهان الجحفل الجلبا
ويوم شاور والايمان قد هزمت | جيوشه حيث كان الجحفل انقلبا

ابت له الضيم نفسٌ حرةٌ ويدٌ   فماله وفوادٌ قط ما دلبا
مستكثر المدح يتلو في مكارمه   زهداً و يستصغر الدنيا اذا وهبا
فهو الجواد ولكن لا يقال كبا   وهو الحسام ولكن لا يقال نبا
وهو الهزبر ولكن لا يقال طغا   وهو الضريغم لكن لا يقال خبا
فانت اسكندر الدنيا ووارثها   فاقصد ملوك خراسانٍ ودع حطبا

وفي هذه السنة توفي الملك المعظم تورنشاه الملقب شمس الدولة فخر الدين اخو صلاح الدين لابيه · وكان اكبر من صلاح الدين · ومات وفي نفسه ميل الى الملك · ويرى انه احق به من صلاح الدين · وكان يبدو منه بعض الكلمات في هذا المعنى في حال سكره · ولما بلغ اخاه صلاح الدين ذلك ابعده عنه الى اليمن فظلم وعسف بسفك الدماء واخذ الاموال ولم تطب له اليمن · فعاد الى الشام ضداً لراي صلاح الدين فاعطاه بعلبك · ثم بلغه عنه شيئاً قبيحاً فابعده الى الاسكندرية · فاقام بها منعكفاً على لهوه ولذاته · ولم يحضر حروب اخيه وتوفي بالاسكندرية · وفيها توفي سيف الدين غازي ابن مودود زنكي صاحب الموصل وولى اخاه عز الدين على الموصل واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معز الدين سنجرشاه · واعطى قلعة شوس وبلد الحميدية لابنه الصغير ناصر الدين كبك · وكان المدير لدولة عز الدين مجاهد الدين قينار واستقر الامر بدون خلاف ·

وفي هذه السنة بعد ما رتب صلاح الدين دمشق وبصرة زحف بالعساكر الى طرابلس · ونزل بارض عرقا بارض قومس طرابلس وبين فرسان الديوانية المتولجين الحصون الشمالية حتى لا يقدر احدهم ان ينجد رفيقه · وغارت جماعته على ايالة طرابلس في ايام الحصاد · فقتلوا ونهبوا واحرقوا وامر اغربة (مراكب) مصر ان تسير الى محاصرة رواد · فلما راى ذلك القومس صاحب طرابلس ارسل فطلب الهدنة فصالحه صلاح الدين وعاد الى دمشق · وفي هذه السنة ازوج الملك بلدوين اخته الى جويدون ابن احوس الاسمر من طايفة لوسيان لانها كانت ترملت ولها ولد يدعى بلدوين ليكون كافلاً له واعطاه يافا وعسقلان في الصداق · وفي هذه السنة توفي مناويل الذي كان تنزل سابقاً عن مملكة الروم واخلفه ولده الكسيوس · وكان مناويل ملكاً جليلاً محباً الافرنج وكان عمر الكسيوس حين تولى على المملكة اثنتي عشرة سنة · وزاد في محبة الافرنج على

والده. ولكن ابن عمه وخاله اندرونيكس اتفقا عليه مع امراء الروم وسملوا عينيه واماتوه بعدما عذبوه عذابًا يستقبح ذكره . ثم عادوا واعملوا السيف بالافرنج ولم يعفوا عن قتل النساء ولا عن الذراري ولا عن القسيسين ولا عن الرهبان بل باعوا منهم للاعجام والاسلام نحو اربعة الاف وقتلوا الباقين وسلبوا ارزاقهم واضرموا النار في بيوتهم وكنائسهم واديرتهم . ودخلوا كنيسة القديس يوحنا وقتلوا جميع المرضى والخدام الذين فيها . وقبضوا على يوحنا الكردينال وقطعوا راسه وعلقوه على ذنب كلب . وليس ذلك فقط بل اخرجوا جثث كثير بن من قبورهم واحرقوها في شوارع المدينة . ولم يفلت منهم الا الذين فروا في البحر . ورجعوا باربعة واربعين غرابًا (مركبًا) عدا عن المراكب التي اضيفت اليهم . فجازوا جميع المدن والحصون والقرى التي في سواحل بلاد الروم واضرموا بها النار وسبوا وقتلوا من فيها ولم يعفوا عن مخلوق . فانقطعت الافرنج من بلاد الروم ومن بلاد فيليقية والرها وانطاكية . والذين اتقوا الله ساروا بعيالهم الى نواحي جبل لبنان والذين تبقوا في ارضهم ذلت قلوبهم وضعفت امورهم . وذكر اسقف صور صاحب التاريخ ان هذه الامور لم تصبهم الا لكثرة خطاياهم . فان الذين سلفوا قبلهم كانوا بجيش قليل ينتصرون على جيوش كثيرة لزيادة غيرتهم وصيانة ايمانهم وثقتهم بالله الذي سلكوا بطاعته وحفظوا شريعته . ولاجل ذلك عندما فسدت نوايا اولادهم وتركوا تقوى الله ارسل الله عليهم اولاً زنكي فتملك الرها واهلك كل من بها . ثم ان نور الدين طردهم من مصر بعد ما اوشكوا ان يتملكوها . ثم ان صلاح الدين وحده تولى على الديار المصرية والشامية . وجميع عيالهم التي كانت متفرقة بعضها عن بعض اهلكها وشتت شملها . ثم استؤصلوا من القسطنطينية بعد ما كانوا تزوجوا ببنات ملوك الروم وامتلأت منهم المدينة والعائلة المالكة

وفي السنة ٥٧٧ ﻫ = ١١٨١ م قدم الى دمياط مراكب افرنج فيها نحو الف وخمساية شخص قاصدين زيارة القدس . فحملهم الريح عنفًا الى جهة مصر فقبض عليهم صلاح الدين مخالفًا العهد الذي صار بينه وبين ملك القدس ثم انه سار في الجيوش المصرية الى الكرك لقتال الافرنج . فقدمت اليه ايضًا الجيوش الشامية من دمشق وبصرة وبعلبك وحمص وغيرها . فداسوا بلاد الجليل في ايام الحصاد وتملكوا دبورية التي بقرب عاين وقتلوا اهلها واسروا منها ومن غيرها

بنحو خمس مائة نفس ، ثم زحفوا على مغارة قلعة الشقيف فملكوها بالامان • ثم جازوا بيسان وجنين والغور وبلاد طبرية • ثم ان صلاح الدين اتى الى دمشق • وعاد الى طبرية بنحو عشرين الف فارس فخرج اليهم بلدوين بسبع مائة نفس لاغير • ونزلوا عند صفورية وتواقع العسكران بين طبرية والجبل • وكانت الهزيمة على عسكر الشام فقتل منهم نحو الف نفس ورجع الباقون الى دمشق • وفي هذه السنة توفي الملك الصالح اسماعيل بن الملك نور الدين محمود صاحب حلب • فاوصى بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود ابن مودود بن زنكي • فتسلم حلب واعطاها لاخيه عماد الدين واخذ عوضاً عنها مدينة سنجار (وكان اسماعيل هذا عفيفاً صالحاً تقياً وصف له الخمر في مرضه بالقولنج فمات به ولم يذقه وعمره حين مات تسع عشرة سنة) • وفيها توفي الملك فرخ شاه ابن شاهنشاه ابن ايوب وكنيته ابو سعد عز الدين صاحب بعلبك • وكان من الافاضل كثير الصدقات متواضعاً سخياً جوادا مقداماً • وكان عمه صلاح الدين قد استنابه بدمشق ثم اعطاه بعلبك • وكان فرخ شاه شاعرًا فصيحًا ومن شعره في وصف دمشق

دمشق سقاك الله صوب غمامةٍ … وما غائبٌ عنك فذاك رشيدُ
عسى مسعد لي ان ابيت بارضها … ألا انني لو صحَّ لي لسعيدُ

وكانت وفاته بدمشق ودفن بالقبة المنسوبة اليه في الشرق الشمالي من الميدان وتملك بعلبك بعده ابنه الملك الامجد • وفيها توفي الملك بوري ابن يعقوب ولقبه ابو سعيد تاج الملوك وكان ذا محاسن واخلاق ومكارم ولطف طبائع وكرم وشجاعة وفضل وفصاحة وكان اديباً شاعرًا وله ديوان شعر ومن جملة اشعاره

اقبل من اعشقه راكبًا … من جهة الغرب على اشهبِ
فقلت سبحانك ياذا العلى … اطلعت الشمس من المغربِ

وفي السنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م سار صلاح الدين في العساكر الشامية الى بيروت وغزا برها وقطع اشجارها وجاءه من مصر ثلاثون غراباً (مركبًا) في البحر • وقدم اخوه في عمارة بحرية • فغزا نواحي دارا وعسقلان • ثم في اليوم الثالث نزل بلدوين مع جملة عساكره لمقاتلتهم فرحلوا عن بيروت • ثم قصد صلاح الدين الموصل وعبر الفرات واستملك الرها وحرّان وما يليهما • وشدد القتال على الموصل فلم يقدر على اخذها فتوجه الى سنجار وملكها • واما الملك بلدوين فقصد مغارة قلعة الشقيف وحاصرها مدة عشرين يوماً وفي

اول الخريف ملكها بالامان . ثم زحف لنواحي دمشق فاخذ بالسيف الغور وداريا واحرقها . وقطع الشجر ونهب البيوت واسر من وجد

وفي هذه السنة ترك صلاح الدين مصر وتوجه بالعساكر الى بلاد الشام وعند توديعه في القاهرة انشد الشعراء في الوداع اشياء لطيفة و بينهم فقيه يعلم اولاد السلطان انشد

تمتع من شميم عرار نجدٍ فما بعد العشية من عرارِ

فتطير منه صلاح الدين وكان كذلك اذلم يرجع صلاح الدين الى مصر ابداً

وفي السنة ٥٧٩ ه = ١١٨٣ م تملك صلاح الدين تل خالد وعينتاب وحاصر حلب وفي خمسة ايام من شهر حزيران (يونيو) اخذها من عماد الدين زنكي واعطاه سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج عوضاً عنها . ثم انه اخذ حازم . ثم رجع الى فلسطين وعبر نهر الاردن واحرق بيسان . وارسل لاخيه العادل طالباً ان ينجده بالعساكر المصرية . فوضعوا الحصار على الكرك ولم ينالوا غير التعب . فاعطى حلب وقلعتها واعمالها لاخيه العادل في شهر رمضان . واحضر ولده الظاهر الى دمشق وارسل ابن اخيه ابن تقي الدين عمر الى مصر نائباً عنه (ومن الاتفاق العجيب ان القاضي محيي الدين ابن الزكي قاضي دمشق مدح السلطان بقصيدة منها .

وفتحكم حلباً بالسيف في صفرٍ مبشرٌ بفتوح القدس في رجبِ

فوافق فتح القدس في شهر رجب سنة ٥٨٣ وقيل ان هذا البيت من جملة الاسباب التي حركت صلاح الدين الاهتمام باتمامه وفتحها في رجب).

وفي السنة ٥٨٠ ه = ١١٨٤ م وثب اندرونيكس القائد على الكسيس ملك الروم وخنقه وتولى على مملكة الروم مكانه . وفيها في شهر تشرين الاول (اوكتوبر) سارت زلزلة بعد نصف الليل استمرت اربع ساعات . ذكر في تاريخ ابي الفرج انه توفي قطب الدين ابن ايلغازي ابن نجم الدين تمرتاش ابن ايلغازي ابن ارتق صاحب ماردين . وملك بعده ابنه حسام الدين وهو طفل صغير وكان شاه ارمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم في دولته بعد موته وقام بتربيته وتدبير مملكته وكان ديناً جواداً فاحسن تربية الولد وتزوج امه . وبعد مدة يسيرة توفي ابن قطب الدين و بقي شاه ارمن متولياً على خلاط وماردين

وفي السنة ٥٨١ ه = ١١٨٥ م كانت وفاة بلدوين الرابع ملك القدس وتخلف

بعده ابن اخته بلدوين الخامس وله من العمر ست سنوات · وتولى محافظاً على مملكته غوي دي لوزيان زوج اخته سبيلا صاحب يافا · فلما بلغ ذلك صلاح خرج من دمشق وجمع العساكر المصرية · ونصب المجانيق على الكرك وحاصرها فتملك طريق الكرك وبقيت القلعة فتجمع عليه الافرنج فارسل يطلب الاقامة فما مكنوه من ذلك وطردوه منها قهراً فسار الى نابلس واحرقها · ونهب وقتل واسر كل من بتلك النواحي · ثم ان بلدوين عزل غوي عن المحافظة ونصب مكانه دايمون الثاني صاحب طرابلس وكيلا وجوسلين دي كورتناي ناظراً · ذكر في تواريخ الروم ان بهذه السنة سار صلاح الدين مرة ثانية الى الموصل وحاصرها وكان اصحاب الموصل يعبرون الدجلة و يقاتلون الى الجانب الشرقي فعزم صلاح الدين على قطع الدجلة عن الموصل الى ناحية نينوى فلم يمكنه وعلم ان المدة تطول والتعب كثير فاعرض عنه · ورحل الى ميا فارقين لانه بلغه ان شاه ارمن تولى على خلاط فسير اليه العساكر صحبة ابن عمه ناصر الدين ابن شيركوه فنزل قريباً من خلاط وترددت الرسل بينهما ورحل صلاح الدين راجعاً

وفي السنة ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م قال ابن سباط اقام صلاح الدين ابنه عثمان نائباً بمصر ومعه اخوه العادل الذي كان بحلب · وفيها اخذ البرنس صاحب الكرك قافلة عظيمة من المسلمين واسر من معها · فصعب ذلك على صلاح الدين وارسل عسكراً يغزو بلاد عكا · ومضى هو بنفسه مع جيش عظيم الى الكرك · ثم انه اخذ طبرية التي كان صاحبها قومس طرابلس · وكان القومس قد دخل تحت طاعته · فاجتمع الافرنج لمقاومة صلاح الدين بخيلهم ورجلهم · ونزل صلاح الدين الى الكرك والشوبك واحرق كرومهما · واقام هناك الى ان اجتمعت اليه العساكر براس الماء · وجهز الغارة على طبرية · فقدم على العساكر الشرقية مظفر الدين كوكي ابن كوجي · وعلى عسكر حلب زين الدين دارذم وعلى عسكر دمشق قيماز النجمي · فساروا مدلجين واصبحوا مقابل صفورية فخرج الافرنج الى لقاهم فظفروا بهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً · ثم سار السلطان صلاح الدين من الكرك ونزل الى الاقحوانة · ونزل الافرنج في صفورية فرتب بعض عساكر لقتالهم · ومضى بنفسه الى طبرية وتسلمها عنوة · فلما علم الافرنج بذلك تهيأوا لقتاله و يوم السبت لخمس بقين من ربيع الثاني التقى الفريقان واشتد الحرب والتحم الطعن والضرب فانخذل عسكر الافرنج وانهزموا · فلما نظر القومس صاحب طرابلس التجاه الى تقي الدين صاحب حماه ومر عليه ومضى الى طرابلس ومات مقهوراً · واما بقية

الافرنج فالتجاوا الى جبل حطين . فاحاط بهم المسلمون من كل الجهات وكانت الدائرة على الافرنج وصاروا في قبضة المسلمين وامسكوا بالايدي . وكان من جملتهم ملكهم الكبير كي (لربما يراد به غوي) واخوه ملك جبيل والبرنس وارناط صاحب الكرك ومقدم الداوية (اوالفداوية وهم الهيكليون)وجماعة من الاسبتارية . ولم يصب الافرنج مصيبة مثل هذه الوقعة من حين ساروا الى الشام سنة ٤٩١ ه الى هذا الان . ويقال ان جمعهم كان ينوف عن ثمانين الف فارس وراجل وكان المسلمون اثني عشر الف فارس سوى المشاة . ولم يخلص من الافرنج الا القليل . وقتل السلطان بيده ارناط لانه كان فارس الافرنج وهو الذي كسر السلطان يوم الرملة . وهو الذي كان غدر باخذ القفل وكان يقصد التوجه الى غزو مدينة النبي . واما بقية الافرنج فاعتقلوهم وحملوهم الى حصون الاسماعيلية . ولما اكمل السلطان هذه الوقعة فرح فرحاً عظيماً وسار الى طبرية وتسلم قلعتها بالامان . و بادر الى عكا فحاصرها وفتحها بالامان . وجاء اخوه العادل بالجيوش المصرية . الى مجدل و يافا . ففتحهما عنوة وفرق عسكره ففتحوا الناصرة . وصفورية وقيسارية وحيفا . ومعلتا والفولة وغيرها من البلدان المجاورة عكا بالسيف . وغنموا واسروا وقتلوا اهل هذه الاماكن . وارسل فرقة من عسكره فملكت قلعة نابلس وتبنين بالامان في ٢١ جمادي الاول وساروا الى صيداء . فاخلاها اصحابها وتسلمها ساعة الوصول . ثم سار الى بيروت فحاصرها ثمانية ايام وتسلمها في ٢٧ جمادي الاول واوصى للامير جمال الدين حجي باقطاع بلاد الغرب بناحية بيروت الذي كان بيد ابيه كرامة قبل ان يملكه الافرنج . وكان صاحب جبيل ماسوراً فاعطاه جبيل على شرط ان يطلق سراحه بدلاً عنه فاجيب الى ذلك فارسل السلطان وتسلم جبيل واطلق صاحبها الذي كان من اعظم الافرنج واشدهم عداوة . واعطاه مكاتيب ان الذين ينعم عليهم السلطان بالامان يمضون الى صور . فمضى الماركيز الى صور . وتسلم المسلمون حصن الجيوش وحصن لبنان وحصن المنيطرة . وعدنون ونازل كل فرقة من الجيش . ثم فتحوا الرملة واللدّ واروم وغزة و بيت لحم وبيت جبريل وليطرون . وتسلموا غالب الحصون التي في بلاد صيداء ومضى السلطان وحاصر عسقلان و بعد حصار اربعة عشر يوماً امر غويدون ملك الافرنج ان يسلموهم عسقلان ويفك اسره . فاطلق صلاح الدين سبيله وتسلم عسقلان بالامان فمضى غويدون الى صور واتفق مع الماركيز ومع الافرنج سكان البلاد . ومع آل الغرب على محاصرة عكا فحاصروها وملكوها . وحصل للافرنج مشقات عظيمة من الجوع والحر

الشديد حتى انها ماتت الملكة زوجة غو يدون واولادها الاربعة ٠

وفي هذه السنة كانت وفاة بلدوين الخامس وكان مدة ملكه في بيت المقدس ثمانية اشهر فاخفت امه موته حتى انها بالرشوة والمواعيد استعطفت خواطر اكابر الافرنج فجعلوا زوجها جو يدون (لربما غو يدون) ملكاً بعد ابنها ٠ فلما بلغ ذلك القومس صاحب طرابس الذي كان من اقرباء بلدوين المتوفي اشتد غيظه ولم يشاء ان يكون تحت طاعته ثم انه كاتب صلاح الدين واستنجد به ٠ وكان بيد القومس طرابلس وطبرية و بلاد الجليل ٠ ثم ان جو يدون الملك ارسل مكاتيب بامضائه وامضاء امراء الافرنج الى البابا يطلبون النجدة ولما وصلت المكاتيب كان توفي البابا٠ وفي هذه السنة سار اندرونيقس ملك صقالية في عمارة في البحر الى بلاد الروم فتملكوا تسالونيقية ونهبوا واسروا كثيراً من الروم ٠ فتشجع قوم من الروم وقبضوا على اندرونيقس الملك وقلعوا عينيه واسنانه وقطعوا يديه وطافوا به في المدينة وهو محمول على جمل ٠ و بعد ذلك قتلوه

وفي السنة ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م قصد السلطان صلاح الدين يوسف القدس وكان فيها ستون الف مقاتل من الافرنج فشدد عليها الحصار من الجهة الغربية و بعد مداومة القتال عشرة ايام انتقل الى الجهة الشمالية نحو باب العمود ونصب عليه المجانيق فطلب الافرنج الامان فلم يجبهم ٠ وضايق السور في الحصار والنقب وقاتلت الافرنج قتالاً شديداً ٠ وارسلوا اليه قائلين له ان لم يعطهم الامان على انفسهم ومالهم فهم عازمون ان يحرقوا كلما في البلد من الاثاث والارزاق و يقتلوا النساء والاطفال ويخرجوا الى المسلمين بالسيف ٠ فلما فهم السلطان قصدهم اجابهم الى ذلك بشرط ان يخرجوا بانفسهم واموالهم وعيالهم بدون الات الحرب والحيل وان يؤدي الرجل منهم عشرة دنانير والامراءة خمسة دنانير [١] ٠ ومن بعد ذلك من اراد الاقامة فليقم وتوخذ منه الجزية ٠ فاجابه الافرنج الى ذلك ٠ وتسلم السلطان صلاح الدين القدس يوم الجمعة في ٢٧ رجب ٠ فكانت مدة استيلاء الافرنج على القدس واحد وتسعين سنة ٠ وصعد البعض من عساكر المسلمين الى راس الصخرة ورموا الصليب [٢] ٠ ودخل السلطان فمحى الصور

---

(١) وعن كل طفل دينارين ومن عجز عن الاداء يكون اسيراً ورتب السلطان على الابواب من يقبض الاموال (٢) كان على راس الصخرة صليب كبير مذهب ولما قلعهُ المسلمون كانت لهم ضجة لم يسمع بمثلها

وكسر الصلبان وعلق القناديل وعمر المسجد[1] . وفرق اموال الافرنج على العلماء والفقهاء واعطى الخطابة لابن زنكي . وفي هذه السنة توفي الامير الكبير موٴيد الدولة ابن منقذ الكنانة وكان من اكبر امراء صلاح الدين وهو الذي بنى حصن عجلون . وكان فارساً شجاعاً شاعراً فصيحاً وقد قال قاضي دمشق عن فتح حلب هذا البيت الشعر

وفتحكم حلبًا بالسيف فى صفر   مبشر بفتوح القدس في رجب

وحين فتحت القدس كتب الى صلاح الدين

ارى مناماً يغني عنه النظرُ   القدس تفتح والنصارى تكسر

قد تم نصر الله والفتح الذي   وعد الرسول فسبحوا واستغفروا

و بعد مارتب السلطان امور القدس قصد مدينة صور ونصب عليها المجانيق . وحاصرها اربعة اشهر . وما قدر عليها لان الماركيز كان حصنها وحفر لها خندقاً . فرحل عنها صلاح الدين لانه كانت دخلت ايام الشتاء وكان حاكم القرايا التي بالقرب من مدينة صور رجلاً علويًا منشاه من العجم وكان يحكم على ستين الف من العلويين . وكان حين تملك الافرنج تلك النواحي هادنوهم على جزية سنوية تدفع الى صاحب صور . وكانوا دائماً يقتلون من يستفردونه من عساكر المسلمين و يخطفون من الافرنج ما امكنهم وهم يحتسبون انهم يعملون بذلك ثواباً و يتقربون الى الله تعالى بقتلهم من المسلمين والنصارى و ينتسبون الى العلويين القاطنين بمدينة بعلبك

وفي السنة ٥٨٥ هـ = ١٢٨٩ م ارسل السلطان الى هوتين وفتحها . ثم سار الى الشام واتى الى بحيرة قدس (التي بقرب حمص) ومشى في العساكر قاصداً حمص . ومن ثم الى طرسوس والى المرقب والى الاستبطار والى جبلة . فوجد الافرنج قد رحلوا الى اللاذقية فسار اليها . وكان فيها قلعتان . و بعد حصار شديد ملكها بالامان . ثم فرق عساكره في تلك الاماكن فملكوا حصونًا وقلاعاً كثيرة منها حصن العبد وحصن الجماهريين و بعد ذلك سار السلطان الى قلعة بكاس . فاخلاها اهلها وتحصنوا بقلعة الشغر . فحاصرها وملكها بالامان . ثم ارسل ولده الملك الضاهر صاحب حلب فملك حرمانية وهدم حصنها وسار السلطان الى بلاد برزيه فملكها بالسيف وقتل ونهب من كان بها . ورجع الى جسر الحديد الذي على العاصي بالقرب من انطاكية . ودخل دير بسال وحاصر شيزر وتسلمها وعزم على مهاجمة انطاكية فطلب صاحبها ان يعيد الهدنة والصلح وان يطلق جميع الاسارى

---

(١) واحضر للمسجد منبرًا عظيماً من حلب كان صنعة نور الدين محمود لبيت المقدس

الذين عنده · فاجابه السلطان وهادنه · وثبت الصلح الى ثمانية اشهر · وكان يومئذ صاحب انطاكية اعظم ملوك الافرنج بتلك الناحية · وبعد ان مات القومس صاحب طرابلس ارسل واده ليتولى على طرابلس · ثم ان السلطان سار الى حلب ومنها رجع الى دمشق · وكان اخوه الملك العادل تسلم الكرك والشوبك لشدة القحط وسار السلطان من دمشق الى صفد وحاصرها · · فوصل اليه اخوه العادل فملكا صفد بالامان لعظم الغلاء · ثم سار الى كوكبة · وكان قيماز النجمي محاصراً لها فتسلمها بالامان · ومضى الى القدس فعمل هناك عيد الضحية · ثم سار الى عسقلان ورتب امورها · وارسل اخاه الملك العادل الى مصر · ورجع الى عكا وجدد عليها الحصار · ذكر في تواريخ الروم انه بهذه السنة بعد تملك اندرانيكوس الكومونيس مكان ابن اخيه مناويل اقام بالملك سنتين ونصف · ثم اغتاله ايصاكوس الاتكالوس قائد جيشه وقتله وجلس ملكاً مكانه وشرب الكاس الذي سقاه لابن اخيه

وفي السنة ٥٨٦ هـ = ١١٩٠ م سار السطان ونزل برج عيون فحضر اليه صاحب شقيف ارنون وكان بيد ارناطا صاحب صيداء · وسأله السلطان مدة ثلثة اشهر لينقل اهله وذخائره · فاجابه السلطان وخلع عليه واكرمه لاجل طاعته · ثم علم السلطان انه يرمم الحصن فاعتقله وسيره الى دمشق · وفيها اجتمع الافرنج وتقووا في مدينة عكا فالتقاهم صلاح الدين فكسروه وقتلوا من المسلمين خلائق كثيرة · وحدث على السلطان مرض القولنج فرحل عن عكا في رابع عشر رمضان الى الخروبة · وانهزمت ارفاق فتمكن الافرنج وامتدوا في تلك الديار واقاموا ثلاثة ابراج قرب صور عكا من الخشب · وجرى بين المسلمين والافرنج من الحروب حول عكا مالا يوصف ويضيق هذا المختصر عن ذكره · (وبيناهم في حرب مستديم يتغادون ويتراوحون في القتال اتى للافرنج نجدة قوية من الغرب وهي وصول فيليب ملك فرنسا وريكاردوس ملك الانجليز بجيوشهما وقواتها البرية والبحرية · ومع انه كان بينهما ضغائن كثيرة عائلية لايليق ذكرها في هذا التاريخ نسيا تلك الاحقاد وحضرا الى معونة الافرنج · ووصل ملك فرنسا قبل ريكاردوس بمدة ولما وصل ريكاردوس راى الافرنج محيطين بالمدينة ومحاصريها · وكان حينئذ مصاباً بالحمى فطلب ان يحملوه على فراشه لكي ينصب المجانيق بيده عليها واضطرمت غيرته ونهض من فراشه · وكان ريكاردوس المذكور من اعظم الابطال بين كل جيوش الافرنج وكان صلاح الدين طلب النجده من اخيه الملك العادل

ومن ملك حلب وغيرها فتاخروا عنه . ولما تضايق سكان عكا المسلمون التزموا بتسليم المدينة الافرنج ورفعوا راياتهم عليها وتملكوها . قيل انه حينئذٍ اهان ريكاردوس العلم الامبراطوري الاوستري فانه لما رآه منصوباً فوق علمه . او ان احد الجنود الاوستريين انزل العلم الانكليزي ونصب علمهم اعلى منه لذلك حنق الملك ريكاردوس وهجم على العلم الاوستري وقطعه ارباً . وانزله ونصب العلم الانكليزي مكانه . اما ملك فرنسا فاعتبر انه اكمل نذره واراد الرجوع الى فرنسا . واما ريكاردوس فودع صاحبه ملك فرنسا بكل احتقار وسار الى صور واعطى كونارد النصف الذي يخصه من مدينة عكا وكانت امراء الافرنج في انتظار ملكي فرنسا وانكلترا ليفصلا بينهم دعوى اختلفوا فيها من جهة من يخلف بلدوين على مملكة القدس . لانه توفي بلا عقب وكان الاختلاف بين غوي وكونراد على الارث لكون امرأة غوي التي كانت اخت بلدوين ماتت هي وولداها بالطاعون فحسبوا ان حق غوي سقط وان كونراد امير صور كان متزوجاً اختها ايزابل فحسب ان حقوق مملكة القدس تنتقل اليه من الملك المرك بواسطة زوجته ايزابل . ولذلك انقسما فملك فرنسا انحاز الى كونراد وملك الانكليز ريكاردوس انحاز الى غوي . وكانت الشروط التي تقررت بين ملكي فرنسا والانكليز و بين السلطان صلاح الدين عند استلام عكا ان يرجع صلاح الدين لهم عود الصليب الماخوذ من القدس و يطلق اسرى النصارى ومسجونيهم الذين عنده . وان يبقي بعض الوف من المسلمين رهائن عند ريكاردوس . و يدفع مبلغاً عظيماً من المال . وكان الاجل بينهم لاتمام هذه الشروط اربعين يوماً . ونقدهم مايتي الف دينار في هذه المدة . ولما انتهت مدة الاربعين يوماً ولم يردّ صلاح الدين او لم يقدر على ان يردّ عود الصليب و يدفع المبلغ الباقي من الدنانير المتفق عليها ارسل ريكاردوس وحذر صلاح الدين بما تكون عاقبة الاهمال اذا لم يفِ بوعده . و بعد انتهاء المدة أُخذ الفان وسبعماية شخص من الرهائن الى راس تلة بمراءى من عساكر صلاح الدين وضربت رووسهم كلهم . وشقت العساكر بطونهم ليروا ان كان فيها من الجواهر والذهب ظناً بانهم كانوا ابتلعوا من ذلك شيئاً وكذلك لاخذ مرائرهم دواءً . وذبحوا مقدار ذلك على اسوار البلد بامر ديوك بوركندي نائب الملك فيليب . ثم تحركت عساكر ريكاردوس (ريتشارد) جنوباً زاحفين زحفة واحدة براً و بحراً وكانت عساكر صلاح الدين عن شمالهم . وكان مقصد ريكاردوس محاولة عدوه واتعابه في اماكن قد خرب قلاعها بدون ان يواقعه . ولم يزل زاحفاً جنوباً الى ان وصلوا الى ارسوف

وحينئذ عزم ريكاردوس على مقاتلة عدوه . وكان على الميمنة يعقوب دي آوزن . وعلى الميسرة ديوك دي بوركندي . وكان ريكاردوس في القلب . واظهرت هيئة القتال نوعاً من حسن القيادة الحربية وظهرت جراءة وشجاعة ريكاردوس برزانة طبعه وحفظه هجوم فرسانه الى الساعة الاخيرة . فشقوا صفوف الاعداء وكان النصر تماماً لهم . وقتل يومئذ يعقوب دي آوزن فبكى عليه ريكاردوس بكاءً مرّاً . ثم زحف ريكاردوس الى يافا وهناك جددوا بناءها واصلحوا اسوارها في مدة وجيزة . ثم قضى بتجديد القتال . واعلم ريكاردوس صلاح الدين انه لا يقبل الا بارجاع كل مملكة القدس لانه كان عرض عليه كل الاماكن الكائنة بين الاردن والبحر . وخاف كثيراً صلاح الدين من ريكاردوس لما رأى منه في ساحة القتال فانه كان بطلاً قهاراً وفارساً كراراً وقائداً مغواراً . فانه بعد عدة مواقع واقع فيها صلاح الدين قصد ان يستخلص القدس وذهب الى اللد وعسقلان وهناك فعل افعال الابطال . ولما لم تطاوعه بقية القواد عاد الى جهة يافا و بقية القواد عادوا الى عكا ولما قارب يافا احاط بها بشرذمة قليلة من الفرسان وامهل اهلها مدة . ولما مضت المدة اظهر نفسه وطلب تسليمها وقاتلهم . واظهر بطشاً اشد من السباع الكاسرة وجراءة لا مزيد عليها . لذلك لقب (كارديون) اي قلب الاسد وهزم المسلمين حينئذ . ولما علموا ان الذين هاجموهم وهزموهم لم يكونوا الا شرذمة قليلة خجلوا . وقالوا ان بسالة ريكاردوس هيجت في سيف الدين خصمه شهامة الفروسية وكان ريكاردوس قد فقد حصانه في معظم الموقعة فارسل له الملك العادل سيف الدين اخو صلاح الدين فرسين لتجديد القتال . وكان قد البس ريكاردوس قبلاً وسام الفروسية لابن سيف الدين بطلب ابيه وثبت النصر للصليبين . ومما يشهد لريكاردوس بشجاعته انه كان بصحبته او بين الحجاج اسقف سالزبري فهذا اضاف صلاح الدين وسمع من فمه مديحاً بجراءة ريكاردوس اذ قال له ان الارض لا تقدر ان تولد بطلين نظير سلطان سورية والملك الانكليزي) . ودام الحصار على عكا شهراً والافرنج محدقون بها والمسلمون محيطون بها والحرب بينهم سجال . وعساكر الاسلام والافرنج تتقوى وتتجدد وتاتيها النجدات من كل الجهات فحشد ملك الالمان العساكر واجتاز البحر الذي وراء القسطنطينية وقامت قيامة الافرنج لاستفكاك القدس وتجمعوا بعددهم وعديدهم وجيوشهم واتى منهم نحو مائة الف مقاتل . فلما بلغ ذلك الخبر المسلمين يئسوا من الشام بالكلية . وارسل

السلطان الى الخليفة يستنجده و يستنصر به • ثم حدث وقوع الفناء والوباء في عسكر الالمان فهلك اكثرهم في الطريق • ولما وصل ملكهم الى بلاد الارمن نزل يغتسل في النهر فغرق فاقاموا ابنه مقامه • ورجع من عسكره طائفة الى بلادهم ولم يصل منهم الى عكا الا القليل • وحدثت حروب كثيرة بينهم و بين المسلمين كما تقدم وقتل خلق كثير • وكانت نهاية هذه الحرب حول عكا ان النصارى استقرت فيها لاتيان النجدة العظيمة لهم من ملكي فرنسا وانكلترا وجيوشهما في شهر رجب • ثم رحل قسم من جيوش الافرنج جنوباً في اول شعبان قاصدين عسقلان • فالتقاهم السلطان في نهر القصب وتقاتلوا فانكسرت الافرنج • وسبقهم السلطان الى عسقلان ودخلها وهدمها في شهر رمضان • وهدم ايضاً حصن الرملة وكنيسة اللد • وسار الافرنج الى عسقلان وشرعوا في بنائها ثانية • وفيها سار الافرنج من قيسارية الى ارسوف • فحدثت وقعة ارسوف وكانت الكسرة على الافرنج • ثم سار الافرنج الى يافا • وكان قد اخلاها المسلمون فملكوها • ثم تراسل الافرنج والسلطان في الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت ملك الانكليز ريكاردوس قلب الاسد • وتكون القدس للملك العادل وعكا لامرأته • فحضر القسيسون والاساقفة وانكروا ذلك الزواج الا اذا تنصر الملك العادل اخو السلطان فلم يتم الامر • وفي الثالث من ذي القعدة رحل الافرنج من يافا الى الرملة • والسلطان سار الى القدس لانه كان اقبل الشتاء وبادر الى بنائها • وكان السلطان بنفسه ينقل الحجارة على فرسه والعساكر تقتدي به • وفيها توفي ابو سعد عبد الله ابن عصرون الموصلي • وله مصنفات كثيرة في مذهب الاسلام ومعرفة الشريعة • وكان بنى له نور الدين صاحب الشام المدارس بحلب وحماه وحمص و بعلبك وغيرها • وتولى على القضاء بسنجار ونصيبين وحران ودمشق وتوفي ودفن فيها • وتوفي ايضاً فيها فتيان ابن علي ابن فتيان الشاغوري وكان بارعاً في الشعر وفي خدمة الملوك اقام مدة في الزبداني بين دمشق و بعلبك وتوفي في الشاغور وهي بناية بظاهر دمشق • وفيها توفي الملك مظفر تقي الدين عمر ابن شاهنشاه ابن ايوب وهو اخو صلاح الدين • وكان صلاح الدين موليه على حلب وكان شجاعاً جواداً شاعراً فصيحاً • وله ديوان ينسب اليه ومن اشعاره

اومل ان احيا وفي كل ساعة تمر بي الموتى تهز نعوشها

وهل انا الا مثلهم غير ان لي بقايا ليالٍ في الزمان اعيشها

ومدح الزبداني في شعر

قد جمّد البردُ في كانون كل قدح واخمدَ الجمر في كانون حين قدح

ياحبة الزبداني انت مصفرةٌ بحسن وجهٍ اذا وجه الزمان كلح

والثلج قطنٌ عليك السحب تندفه والجوُّ يحلجه والقوسُ قوس قزح

وفي السنة ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م قتل الماركيوس صاحب صور . وكيفية قتله انه دخل اليه اناس بزي رهبان من الباطنية وقتلوه . وتملك عوضاً عنه ريكاردوس قلب الاسد الافرنجي ملك الانكليز . وهذا لما طال عليــه الحرب والحصار كاتب السلطان صلاح الدين في الصلح . وتقرر الصلح او الهدنة الى ثلاث سنين وثلاثة اشهر برّاً وبحرًا وجعلوا اولها بدء ايلول (سبتمبر) الموافق ٢١ شعبان وكانت شروط الهدنة هكذا ان تبقى بيد الافرنج يافا وقيسارية وارسون وعكا وحيفا واعمالها كلها . وان تكون عسقلان خراباً . واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعلية في حوزته وصاحب انطاكية وطرابلس يدخل بعهدة الافرنج . وان تكون اللد والرملة مناصفة بينهما . واتفقا على ذلك . ثم ان السلطان ارسل مائة بناء لتخريب عسقلان ولكي تخرج الافرنج منها . حينئذٍ عاد السلطان الى دمشق

وفي السنة ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م توفي السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي . وذلك انه خرج للصيد الى شرقي دمشق وغاب خمسة عشر يوماً وبصحبته اخوه الملك العادل . ولما رجع اصابته حمى صفراوية شديدة وتوفي بها ليلة الاربعاء في ٢٧ صفر . واكثر اهل دمشق يوم موته من البكاء والعويل والضجيج بمالا يمكن وصفه . وكان ملكه في الديار المصرية والشامية نحو اربع وعشرين سنة . وافتتح بسيفه وبسيوف اخوته من اليمن الى الموصل والى طرابلس الغرب والى اصوان . وانفق الاموال في الغزوات . ولم يخلف دارًا ولا عقاراً ولا مالاً الا سبعة واربعين درهماً لفرط كرمه . وقال عنه العماد الكاتب : مات بموت السلطان الرجال وفات بوفاته الفضلاء وغاضت الايادي وفاضت الاعادي . وانقطعت الارزاق وادلهمت الافاق . فجع الزمان بواحد زمانه . ورزيء الاسلام بركن اركانه . وخلف سبعة عشر ولداً منهم ولده الكبير الملك الفاضل نورالدين استقر بدمشق ونواحيها . واستقر بالديار المصرية ابنه الثاني الملك عثمان وهو الثاني من الملوك الايوبية في الديار المصرية . واستقر بحلب الملك الضاهر

غازي وهو الاصغر بين اخوته . و بالكرك والشوبك والبلاد الشرقية اخوه الملك العادل سيف الدين ابو بكر . و بحماة وسلمية والمعرة ومنبج ابن اخي صلاح الدين الملك ناصر الدين محمد . وفي بعلبك الملك مجد الدين بهرام شاه الايوبي . و بحمص والرحبة وتدمر شيركوه . و بصرة بيد الملك ابن صلاح الدين . و بقية الحصون تفرقت بين الامراء . وفيها قال ابن الحريري هلك اسنان ابن سلمان البصري مقدم الاسماعيلية وصاحب الدعوة . وكان داهية زمانه مكارًا خبيثًا زنديقًا . له مهارة قوية في العلوم . فقدم الى الشام وطلع الى الحصون فاظهر الزهد . وكان يعلم علم السيمياء . و يري الناس بدهائه خرافات كاذبة منها انه كان يريهم من يقتل حيًا في نعيم وجنة . فتبعه قوم غفير من الجبليين فاستقوى بهم . ومن تعاليمه انه اباح الزنا والمحرمات . وحكم على قومه مدة وله قصة طويلة . وحكى الشيخ شمس الدين رواية عن صلاح الدين ان بعض المماليك رمى صاحبه بحذاء فوصل الى صلاح الدين فتغافل عنها ولم يترك احداً يعلم انه شعر بها وقيل انه طلب مرة الماء فلم يحضر له . . فطلبه ايضًا خمس مرات فلم يحضر فقال يا اصحابنا قد كدنا نموت من العطش فاكرموا علينا بشربة ماء . واما عن مكارمه فحدث عنها ولا حرج . فكان فائق الوصف لانه مع كل تقدمه وارتقائه وغلباته كان يحدث اوقاتًا كثيرة انه لا يملك ديناراً واحداً . ذكر في تواريخ الروم انه في هذه السنة قبض الكسيوس على اخيه الملك ايصاكوس وسمل عينيه وجلس ملكاً مكانه . وفي هذه السنة توفي الامير يونس المعني وقام بعده على ولايه الشوف ولده الامير يوسف

وفي السنة ٥٩٠ هـ = ١١٨٣ م قتل سيف الدين كلتمر صاحب خلاط وكان قد اسرف باظهار الشماتة بموت السلطان صلاح الدين فنال عقابه وكان بين قتله وموت صلاح الدين شهران . وملك بعده ظهير الدين خلاط وهو ايضًا من مماليك شاهرمن

وفي هذه السنة توفي اتابك عز الدين مسعود ابن مودود ابن زنكي ابن اقسنقر صاحب الموصل وملك بعده ولده نور الدين ارسلان شاه وكان عز الدين خيرًا محسنًا حليماً محبًا عفيفًا . وفي هذه السنة توفي ابو محمد القاسم ابن فيره ابن خلف الرعينة الشاطئي الضرير المقري . صاحب القصيدة التي سماها حرز الامانة . وهي عمدة قراء هذا الزمان لانها مشتملة على رموز عجيبة . واشارات خفية لطيفة . وقد روي عنه انه كان يقول لا يقرأ احد قصيدتي هذه الا و ينفعه الله عز وجل . لاني نظمتها لله تعالى مخلصًا في ذلك

وكان عالمًا بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيرًا . وكان واحد زمانه في علم النحو واللغة . وكان لا يجلس للقراءة الا على طهارة بهيئة حسنة وخشوع . ودخل مصرًا وكان نزيل القاضي الفاضل . وعينه بمدرسته في القاهرة مدرسًا للقراءة والنحو واللغة . ودفن في تربة القاضي الفاضل بالمقبرة الصغرى . وهو من نسل احدى قبائل اليمن . والشاطبي نسبة الى شاطبة وهي مدينة كبيرة بشرق الاندلس . وفي هذه السنة كانت وفاة الامير منقذ الشهابي في حاصبيا وعمره ثماني وستون سنة . وكان اميرًا جليلاً حسن السمعة محبوب الطلعة شجاعًا عادلاً ذا تدبير حسن وسيادة محمودة . وقام بعده بالامارة والولاية ولده الاكبر الامير نجم . وبدا يهتم بحسن السياسة بعين العدل والحماية . وعمر في حاصبيا منازل لقصاده واطاعه اخوته واعمامه ورعاياه . فراق له الزمان واجرى العدل والاحسان . وكان لا يشغله شاغل عن العلياء

وفي السنة ٥٩٢ هـ = ١١٩٥ م اخذ الملك العادل يافا بالسيف من الافرنج وهدمها . فنازلت الافرنج الى بيروت وحاصروها وكان النائب عليها عز الدين اسامة الكناني . فهرب الى صيداء وترك بيروت فملكتها الافرنج بغير قتال . وفي هذه السنة سار العزيز عثمان ابن صلاح الدين ومعه عمه العادل من مصر فنازل دمشق وحاصر اخاه الملك الافضل فيها . وكان قد ولاه ابوه قبل موته على دمشق . فخامر عسكر دمشق الخوف ففتحوها له . ودخل العزيز وعمه معه واستناب على دمشق عمه العادل وتوجه العزيز الى مصر . وعاوض الافضل عن دمشق بصرخد . واخرج العادل من دمشق اولاد اخيه صلاح الدين . وفي هذه السنة توفي سيف الاسلام طغتكين اخو السلطان صلاح الدين وكان صاحب اليمن . وملك بعده اسماعيل وكان ظالمًا غشومًا رام الخلافة وتلقب بالهادي وقتل باليمن . وفي هذه السنة بنى الامير نجم في قمة جبل الشيخ منزلاً جميلاً للنزهة والانشراح . وكان الامير نجم يستوطن فيه في ايام الصيف ويصحب معه من ترتاح اليه نفسه وله فيه الاشعار الرائقة ومنها قوله

ومنزلٍ فوق قن الشيخ بت به   معانق الانس واللذات والطربِ
اهدى لنا من صبا نجدٍ معطرةً   ومنظرًا من ديار العجم والعربِ

وله ايضًا

لله في يومٍ شريفٍ قد مضى   مابين معشوق واحسن مونسِ
برزت علينا من خلال شعابه   مهتوكةً ظهر الجواد الكنَّسِ

ولقد جلسنا من علو رحابه في مجلس الاقمار احسن مجلس
والزهر بين معمم ومتوج ومجرد وموشح في سندس
والطير بين مغرد ومفرد ومهلل ومكبر ومقدس

وفي السنة ٥٩٤ هـ = ١١٩٧ م هاجت الافرنج وحاصروا تبنين . وانتشروا في السواحل . ثم وقعت الهدنة بين الافرنج والمسلمين على مدة خمس سنين ونصف (يروى ثلاث سنين فقط) . وفيها توفي الملك العزيز عثمان وله ست سنين الا شهراً في الديار المصرية . واقاموا بعده ولده محمد وتلقب بالملك المنصور وهو الثالث من ملوك بني ايوب بالديار المصرية . ولكون الملك المنصور كان صغيراً سار معه الفاضل نور الدين الى مصر واظهر انه يريد ان يربي ابن اخيه . فاستولى على المملكة . وصار الرابع من ملوك بني ايوب بالديار المصرية . وتلقب بالملك الافضل . ولم يبق لابن اخيه معه الا مجرد الاسم . ثم ان الافضل ملك مصر اخذ الجيوش وقصد المسير لاخذ دمشق فوصل الخبر الى صاحبها وهو محاصر ماردين فترك ولده الكامل على حصارها وسار الى دمشق فدخلها قبل وصول العساكر المصرية بيومين في ١١ شعبان فجرى بينهم قتال شديد . وبالغ الافضل في الاذى . واحرق الحواضر وفعل كل فعل قبيح . ثم دخل دمشق حتى وصل اصحابه الى باب البريد . فحمل عليهم اصحاب الملك العادل واخرجوهم . فضعف الملك الافضل ولكنه ثبت هو واخوه الضاهر غازي بعساكرهم يحاصرون دمشق . وحفروا حولها خندقاً من ارض الايوان الى بردي . وعظم الغلاء في دمشق لسبب الحصار . ونفذت خزائن العادل على جنده ودخل فصل الشتاء وهي في اشد الحصار . ثم وقع الاختلاف بين الاخوين الافضل صاحب مصر والضاهر صاحب حلب فتاخروا عن دمشق . واقاموا بمرج الصغراء وفيها كتب ريكاردوس (قلب الاسد) الى يعقوب ابن يوسف ابن عبد المؤمن يقول فيه انك امير المسلمين ولا يخفى عليك ماهم عليه الروساء من التكاسل والاهمال . وميلهم الشديد الى الراحة . فانا عازم ان اسبيهم والحق بهم الخسف واخلي الديار واسبي الذراري وامثل بالكهول واقتل الشبان . فلا عذر لك في التخلف عن نصرتهم وانت تعتقد ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم . والان خلافاً لزعمكم نقاتل عشرة منكم بواحد منا . ولقد بلغنا انكم اخذتم في الاحتفال . وتسلي نفسك بالمحال . وتقدم وتوخر في الرجال ولا ادري ان كان الجبن ابطأ بك ام التكذيب وانا اقول لك ليس من الصواب ان تتوجه بحملة من عندك في الشواطيء بالمراكب

ولكن انا اجوز اليك بحماتي وابارزك في اعز الاماكن عندك . فان كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت لك وهدية جزيلة مثلت بين يديك . وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحقيت ملك الملتين والتقدم على الدولتين . فلما قرأ يعقوب تلك الرسالة جمع العساكر وعبر الحجاز الى الانكليز فاقتتلوا قتالاً شديداً وكانت الدائرة اولاً على المسلمين . ثم عادت على الانكليز . وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة ثم ان ريكاردوس عاد الى بلاده وركب بغلاً وآلى على نفسه ان لا يركب فرساً حتى تنصره العناية . وجمع الجموع العظيمة وجرت له مع المسلمين وقائع كثيرة الى ان ملكت الاسلام اكثر المدن الشامية التي كانت بيد الانكليز

وفي السنة ٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م رحل الملك الضاهر الى حلب والملك الافضل الى مصر فاسرع الملك العادل ولحقه عند الجبل الغربي فهرب منه الافضل لان في وصوله تفرقت عساكره في البلاد طالباً لمرعى الخيل فدخل الملك العادل الى القاهرة وملكها وعوض عنها لعمه الافضل . وكان دخول الملك العادل الى القاهرة في ١٨ خلت من ربيع الثاني . وصار الملك الخامس من ملوك بني ايوب بالديار المصرية . وخطب له في بلاد مصر والشام واستناب ابنه الملك المعظم عيسى على دمشق وابنه الملك الاشرف موسى على الرها وحران . وفي مصر ابنه الملك الكامل محمداً . وكاتبه ابن اخيه الملك الضاهر صاحب حلب وصالحه . وخطب له بحلب وبلادها وضربت السكة باسمه . واعطى الملك العادل المشرق لابنه الملك الفائز ابرهيم . ولابنه الملك الاوحد نجم الدين ميا فارقين . وفي ايام العادل يقول ابن الحريري ان الغلاء اشتد بمصر والشام ونقص النيل واقبل القحط والوباء المؤلم وخربت ديار مصر . وجلا عنها اهلها . واشتد البلاء واكل الناس لحوم بعضهم بعضاً . وهلك عدد غفير من الاغنياء والفقراء . ثم بعده وقع فناء عظيم . ووباء وبيل حتى قيل ان الملك العادل في مدة يسيرة في هذا السنة كفن من ماله بنحو مائتين وعشرين الف ميت واكلت الكلاب الاموات لعدم وجود من يدفنهم . واكل من الاطفال خلق كثير . يشوي الصغير والدوه ويأكلونه . وكثر ذلك في الناس حتى لم يعودوا يستنكرونه . ثم صاروا يحتالون على بعضهم بعضاً ويستدعون الاطباء الى المريض فيقوا عليه ويأكلونه وحدثت اشياء كثيرة يبعد عن العقل تصديق اخبارها . وعظم الغلاء بدمشق . ونفذت خزائن الملك العادل . واكثر قرى مصر لم يبق بها آدمي من كثرة الموت . . وفي كل يوم كان يخرج من القاهرة نحو الف

وخمسماية جنازة . ونظر في السجل عدد الاموات في هذا الفناء فبلغوا مائة الف واحد عشر الفًا ومائة . واما الذين ماتوا بظاهر القاهرة فلا عدد لهم . وكان في بلدة من بلدان مصر ار بعماية نول للحياكة فلم يبق منها واحد . ثم حدثت بالشام زلزلة عظيمة حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت ودامت مقدار ساعة . وهلك كل اهل صفد ولم يسلم منها الا رجل واحد . وفي نابلس لم يبق حائط الا سقط ومات تحت الردم خلقٌ كثير . وتوفي في الفناء المذكور ابو علي عبد الرحيم القاضي الفاضل العسقلاني مولدًا وزير الملك صلاح الدين الذي ترقى في صناعة الانشاء . وفاق المتقدمين . وقيل ان مسودات رسائله لو جمعت لما نقصت عن مائة مجلد . وله في النظم والذكاء والفراسة اشياء حسنة حتى انه لُقّب برب القلم والبيان والفكر واللسان . وفيها حاصر الملك الضاهر صاحب حلب منبج واخذها مع كل مايجاورها . ثم سار الى المعرة واخذها واقطع بلادها واستولى على كفر طاب . وحاصر حماة مدة فلم يحصل على غرضه . ثم رحل الى دمشق قاصدًا اخذها . وانضم اليه اخوه الافضل وصاحب نابلس وبعض امرآء من الصلاحية فحاصرها حتى فرغت السنة . ثم وقع الخلاف بين الاخوين الافضل والضاهر فرحلا عنها وذلك في الغلاء العظيم المقدم ذكره . يذكر المعلم بارونيس في تاريخه انه في هذه السنة ابتدأت دولة التتر مستقلة بذاتها . وخلعوا عنهم طاعة ملك الهند واقاموا لهم ملكًا يقال له شانجيوس وقد امرهم بالسجود للاله الواحد وتركوا عبادة الاوثان . وقيل انهم كانوا اولاً صنيي الاصل متبددين في العالم يعيشون مثل البهائم في البراري المقفرة . ولقبوا بالاسم تتر التي هي مشتقة من اسم نهر طرطوس اللائذ الى تلك الجهات واما تخوم بلادهم فهي بين جبل كوكادس الى حدود البحر الهندي . ثم تقوى هذا الملك في سائر مملكته وصنع حروبًا كثيرة واستملك الاماكن التي في حدوده من بلاد النصارى كما سياتي ذكره

وفي السنة ٥٩٨ هـ = ١٢٠١ م سار الملك العادل الى دمشق ومنها الى حماة قاصدًا الضاهر صاحب حلب . فلما علم بذلك الضاهر كتب له جملة رسائل حتى وقع الصلح بينهما وانضمت الى العادل الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها . وفيها فاض النيل وتناقص الغلاء وخف الفناء والموت بمصر . ولقلة الناس لما مات منهم تنازلت الاسعار

وفي السنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م اجتمع الافرنج وقصدوا القدس . فخرج الملك

العادل من دمشق واجتمعت اليه العساكر الى جبل الطور [١] مقابل الافرنج · وفي هذه السنة قصدت مراكب الافرنج من البندقية وانطاكية مدينة القسطنطينية وهي بيد ملك الروم فوضعوا عليها الحصار · وقيل انه كان داخل المدينة نحو ثلاثين الف منهم من السكان فلما استعدت العساكر التي في الخارج اضرم الافرنج الذين في المدينة فيها النار · فاحرقت نحو ربع المدينة فاشتغلت عساكر الروم بالنار فدخلت عساكر الافرنج وضربوها بالسيف مدة ثلاثة ايام ولم يعفوا عن النهب ولا السبي · وانهزم الروم وتولى عليها الافرنج وكانوا ثلاثة ملوك القومس صاحب فيلندرة · والروقس صاحب البندقية والمركوس صاحب افرانثا · فالقوا القرعة بينهم على من يتولى على المدينة فوقعت على القومس صاحب فيلندرة [٢] · وتسمى بوردين الملك الاول · وصاحب البندقية [٣] اخذ اقريطش (كريت) وقبرس ورودس مع بقية الجزائر · واما المركيز صاحب دي مونتغرات فاخذ نيقية واللاذقية وجميع ماهو شرقي الخليج · ثم راسلهم الملك العادل وصالحهم · ثم انه بعد مدة نازل عكا وحاصرها فصالحه صاحبها وبذل له مالاً فاطلق الاسرى · ثم اغار على اعمال طرابلس · ثم نازل بجيوشه سنجار · وضربها بالمجانيق فاخذها · وارسل المعظم عيسى ومعه عساكر دمشق الى قتال الافرنج · ونزل على الطور وبنى هناك قلعة منيعة صرف عليها اموالاً لاتحصى · وكملت في سنة ونصف · وفي هذه السنة خرجت عمارة الافرنج · واستولوا على مدينة فوة من الديار المصرية · وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت بلاد الشام وبلاد الروم والجزيرة وصقلية وقبرس والعراق وغيرها · وخربت اسوار مدينة صور

وفي السنة ٦٠١ هـ == ١٢٠٤ م كانت الهدنة بين الملك العادل والافرنج فسلمهم يافا · ونزل عن نصف اللد والرملة وعاد الى مصر · واما الافرنج فغاروا على حماة ونهبوا واسروا وقتلوا كثيراً · وفيها طلب ريشا الصغير احد ملوك البندقية نجدة من الفرنساويين والبنادقة لينتقموا من سلطانها ريشا المدعو الظالم المقيم بها يومئذ فاجابوه الى طلبته ووجهوا عساكر عظيمة · وبعد حصار ثمانية ايام فتحوا المدينة واقاموا ملكاً عليها ريشا الصغير المشار اليه الذي كان مسجوناً بامر ريشا الظالم

وفي السنة ٦٠٢ هـ == ١٢٠٥ م جمع الملك العادل العساكر وحاصر عكا · فصالحه

(١) يراد بالطور جبل الزيتون فانهُ يسمى بهذا الاسم كثيراً (٢) اسمهُ الاصلي كندافلند
(٣) هو الذي بمراكبهِ ابحروا الى القسطنطينية وهو شيخ اعمى اذا ركب يقاد فرسهُ ·

صاحبها و بذل له مالاً جزيلاً فاطلق الاسارى الذين عنده . ثم نازل برج الاكراد .
ثم سار الى طرابلس ونصب عليها المنجنيقات واجتاز العسكر في البلاد ورحلت سكانها
وارسل الجانب من عسكره فحاصروا سنجار فملكها ثم سار الى بحيرة قدس التي بجوار حمص
وارسل الى الملك المعتضد عيسى ليسير معه العساكر الى البلاد التي في يد الافرنج .
ونزل على الطور و بنى هناك قلعة

وفي السنة ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م كان ابتداء دولة المغول اي ملوك التتر . وذلك ان
في هذا الزمان كان المتولي على قبائل الترك اوتك خان وهو المسمى يوحنا من القبيلة التي
يقال لها كريت . وكان رجلاً مؤيداً من غير هذه القبيلة يقال له تموجين من خدام
اوتك خان . وكان رجلاً شجاعاً . فحسده الاقران وسعوا به الى اوتك خان . ومازالوا
يشون به حتى غيروا نية الملك عليه . وهم بالقبض عليه . فانضم اليه بعض من
خدام الملك واعلموه بالقضية . وعينوا له الليلة التي يريد الملك ان يقبض عليه . فامر
تموجين اهله باخلاء البيوت وتركوها على حالها منصوبة وكمنوا هم بالقرب من البيوت .
وفي وقت السحر هجم الملك اوتك واصحابه على بيوت تموجين فلقوها خالية فخرج عليهم
تموجين واصحابه من الكمين واوقعوا بهم . و بعد قتال شديد انهزم جماعة الملك وادرك
احد اصحاب تموجين الملك اوتك وقتله . وهجموا على داره ونهبوها وسبوا عياله وتولى
تموجين مكانه . وقدم على تموجين رجل من المغول وهو امير معتبر كان يسوح في
الصحارى والجبال في الشتاء عرياناً حافياً و بقي اياماً . ثم يرجع و يقول كلمني الله وقال لي
ان الارض باسرها قد اعطيتها الى تموجين وولده جنكيز خان . وكان يراجع قوله .
ولما علا شان جنكيز خان ارسل الرسل الى جميع بلاد الترك فمن اطاعه وتبعه سعد .
ومن خالفه خذل . واستعلم عن ذينك الغلامين اللذين خدماه وجعلها ترخانية والترخان
هو الحر الذي لايلحقه شيء من الاكلاف السلطانية و يكون له كلما يغتنمه في الغزوات
عموماً . ولا يوخذ منه نصيب الملك . وزاد على جميع هذه بان سمح لهما بان يدخلا على
الملك من غير اذن . وكان لجنكيز خان سبعة اولاد وكانت الخاتون زوجته اصيلة
الجدين . فولى جنكيز خان اولاده الامور العظام في مملكته . الاول ولده قومشي
ولي امر الصيد والطرد احب الامور اليه . والثاني جنقاي ولي امور الاحكام
السياسية اي الشريعة والقضاء . والثالث اوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله واصابة
رايه . والرابع تولى امر الجيوش وتجهيز الجنود في مصالح العساكر . وكان لجنكيز خان

اخ يقال له اوتكين فعين له ولكل واحد من بقية الاولاد بلاداً

وفي السنة ٦٠٤ هـ = ١٢٠٧ م اهتم الملك العادل ببناء قلعة دمشق وكملت على يد الملك المعظم عيسى وعملت العوام في خندقها مدة وهي من القلاع العظيمة واسمها الاسد الرابض · وفيها كانت الهدنة بين الافرنج والملك العادل فارسل الخليفة ناصر الدين العباسي الخلع الى الملك العادل وخطب له ملقباً اياه بشاهنشاه (ملك الملوك) · وفيها امر الملك الظاهر باجراء القناة من حيلان الى حلب وغرم على ذلك اموالاً كثيرة

وفي السنة ٦٠٥ هـ = ١٢٠٨ م تملك الملك نجم الدين الايوبي ابن الملك العادل مدينة خلاط · ثم سار عنها الى ملازكراد ليرتب امورها وحينئذ وثب اهلها على عسكره واخرجوه من المدينة وعصوه ونادوا بشعار شاه ارمن [١] · فعاد اليهم الاوحد وقتل فيها خلقاً كثيراً · فذل اهل خلاط وتفرقوا · وكان قبلا الحكم بيدهم فانهم كانوا يملكون ويعزلون من يشاؤن ويقتلون من لا يناسبهم · وفي هذه السنة ذكر في تواريخ الروم بعد ان كبر الملك ايصاكوس اهتم بان ياخذ بثار ابيه من عمه الكسيوس · وترقب الفرص المناسبة حتى اغتال عمه واعماه وتملك مكانه الا ان الشعب لم يرضَ بذلك · وعزموا على ان يردوا الملك الى اصحابه الاول واحضروا باسيل واخاه قسطنطين واقاموهما ملكين عليهم · وكان باسيل ابن عشرين سنة وقسطنطين ابن سبع عشرة سنة · وكان التدبير بيد باسيل · وبعد تملكهما احضرا امهما من المنفى وجمعا كل القواد ورؤساء العساكر واوقفوهم على مراتبهم · وكان من جملة القواد فرواس السكلارس فاكرمه الملك باسيل وارسله الى مابين النهرين لاجل منع المهاجرين

وفي السنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م توفي نور الدين ارسلان [٢] شاه ابن مسعود ابن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل · وكان ذا سياسة نحو الرعية وشديداً على اصحابه · وكانت مدة تملكه ثمان عشرة سنة · وقبل موته اعطى الملك لولده الملك القاهر عز الدين مسعود · وجعل مملوكه لولو ان يقوم بتدبير المملكة · واعطى ابنه الاصغر عماد الدين قلعة العقر الحميدية وقلعة شوشن وسيره الى العقر · وفي اخر هذه السنة قصد جنكيز خان بلاد السلطان [٣] محمد · واجتمعت اليه العساكر · ولما وصل الى مدينة اترار وجه

(١) يعنون بذلك رد الملك الى اصحابه ومماليكه وان كان ميتاً (٢) وفاته كانت سنة ٦٠٧ هـ بالاتفاق (٣) غزوة جنكيزخان السلطان محمد كانت سنة ٦١٠ هـ

ولده الاكبر في خمسين الف من العسكر الى جانب خيجند. وتوجه بنفسه الى بخارا ورتب على محاصرة اترار ودام القتال خمسة اشهر . ولما ضاقت الحيلة بمن في المدينة عن المقاومة . حينئذ شاور قراجا غاير خان في الصلح وتسليم البلد فابى قبول ذلك لعلمه ان المغول لايبقون عليه وتوقف الى ان هجم الليل. وخرج اكثر العسكر . وحمل الى ابني جنكيزخان فاستنطقاه واستعلما منه كنه احوال البلد وامرا بقتله وانكسر العسكر وكان خارجاً بعشرين الفاً. ذكر في تواريخ الروم انه بهذه السنة اجتمعت عساكر الروم والارمن على فرداس السكلاراس الذي كان قائداً لجيش الملك باسيل . ولما نظر فرداس ميل العسكر اليه عزم بان يتخذ الملك لذاته . ولما بلغ الملك باسيل واخاه قسطنطين ان فرداس عصى عليهما ارسلوا له عساكر كثيرة فظفر بهم فرداس وقتل من القواد ومن العساكر قتلى كثيرة . ثم سار الى نيقية وملكها ثم قصد القسطنطينية . فارسل الملكان امانًا الى فوقا القائد الذي كان منفياً واحضروه بكل اكرام وكان شجاعاً باسلاً فجعلوه قائدجيش وارسلوه بعساكر وافرة . فلما علم فرداس به رجع هارباً وتبعه فوقا بعساكره الى ان التحق به وانتشب الحرب بينهما وفر فرداس هارباً

وفي السنة ٦١٣ هـ = ١٢١٦ م ملك السلطان محمد مدينة غزة وكان استولى قبل ذلك على عامة خراسان . وفي هذه السنة يخبر ابن الحريري ان الافرنج اقبلت في البحار وخرجوا من ميناء يافا وقصدوا استخلاص القدس ووصلوا الى عين جالوت . فخاف الملك العادل وتحصن اهل دمشق وخافوا كثيراً من ذلك . فارسل الملك العادل يحث عسكر الاسلام ويستنجدهم وخرج الى مرج الصفر وضج الخلق بالدعاء الى الله تعالى . ثم قدمت الافرنج الى نواحي عكا . فامر الملك العادل بهدم السور . وسار عسكر من الافرنج نحو خمسماية نفس ليملكوا جزّين واعمالها فنزلوا في مرج العواميد في الوادي الذي تحت جزّين . فاخلاها اهلها . واجتمع المسلمون و باغتوا الافرنج ففرقوهم ولم ينج منهم الا القليل . فلما بلغ ذلك صاحب عكا سار بعساكره الى جزّين وما حولها فسار اليهم الملك المعظم عيسى بعساكر دمشق . فترك الافرنج جزّين وساروا في البحر الى مصر وكانت خالية من العساكر فدخلوا دمياط . ولما عرف الملك العادل بذلك جهز ولده بعساكر كثيرة وارسله لمطاردتهم منها . ولما وصل الى مقابل دمياط حاصرها ودام الحصار عليها اربعة اشهر فلم يقدروا عليها . ثم توجه الافرنج وملكوا برج السنبلة وهو برج عظيم شاهق في وسط النيل . والجيزة من غربيه ومصر من شرقيه .

وعلى جانب البرج سلسلتان عظيمتان واحدة لسور مصر والاخرى لسور الجيزة فتمنع المراكب من العبور في النيل لجهة مصر . وفي هذه السنة توفي الملك الضاهر غازي ابن الملك صلاح الدين يوسف الايوبي وهو صاحب مدينة حلب . وخلف اولاداً ومن الجملة الملك العزيز محمد من ابنة عمه الملك العادل وكان عمر ولده هذا اربع سنين . واوصي مملوكه ذياب الدين فاقام بتربيته احسن قيام واصغر سنه طمع به صاحب بلاد الروم فاستنجد بالملك الافضل صلاح الدين صاحب شميشاط ففتح رعبات وتل باشر ومنبج وتسلمها . ثم ثار على الافضل عساكر العرب فرجع الى محله

وفي السنة ٦١٤ هـ = ١٢١٧ م توفي الملك العاذل[1] عز الدين مسعود ابن ارسلان شاه صاحب الموصل واوصى بالملك لولده الاكبر نور الدين وعمره نحو عشر سنين وجعل الوكيل عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤا . وذكر في تواريخ الروم انه بهذه السنة بعد ان هرب فرداس العاصي من امام فوقا قائد عسكر الملك باسيل التجأ الى مدينة تريمو بلي فارسل الملك باسيل الى خرسوية امير البابليين ملتمساً منه نجدة فلم يجبه الى ذلك . ولما رأى فرداس ان خرسوية لم يجب الملك الى طلبه مضى والتجأ اليه فارسل الملك باسيل وفوداً الى خرسوية يذكره في المحبة وان ليس من الواجب قبوله فرداس العاصي . فعند ذلك قبض خرسوية على فرداس ومن معه ووضعهم بالسجن مدة طويلة . ثم حدث حرب بين خرسوية والفرس فاضطر لاطلاق فرداس العاصي ومن معه وارسلهم صحبة عسكره فظفروا بالفرس . وكانت النصرة على يد فرداس فاكرمه خرسوية . واقام عنده بغاية الاكرام الى ان مات خرسوية . فقام ولده مكانه فارسل فرداس في عساكر كثيرة الى بلاد الترك . وسار ابن فرداس الى القسطنطينية واظهر للملك باسيل انه هارب من ابيه فاكرمه غاية الاكرام . ثم ان فوقا قائد جيش الملك باسيل ارسل الى فرداس يطلب منه الاتفاق ضد الملك باسيل واخيه وتكون انطاكية وفينيقية وسوريا وفلسطين لفرداس . ويكون فوقا ملكاً على القسطنطينية فعلم الملك باسيل بذلك الاتفاق وارسل اخاه قسطنطين بعساكره لمحاربة فوقا القائد . ولما بلغ فرداس خروج عساكر الروم لمحاربة فوقا حضر الى القسطنطينية وسجد للملك فاقتبله وامنه واقام عنده بغاية الاكرام . ولكن لم يلبث فرداس الا قليلا حتى مات ورجع قسطنطين الى القسطنطينية

وفي السنة ٦١٥ هـ = ١٢١٨ م اجتمع في عكا يوحنا ملك القدوس وجس ملك قبرس واندراوس

(١) ذكر ابو الفرج موت الملك القاهر سنة ٤١٥ هـ وليس في هذه السنة

ملك هنكاريا مع جملة من امراء فرنسا وقصدوا القدس . ونهبوا عدة اماكن في نواحي الاردن وتملكوا جملة حصون في تخوم قيسارية فيلبس (التي هي بانياس) وحصنوها بالات الحرب وبعدما استحموا في نواحي الاردن غيروا ارائهم وعادوا الى عكا . فان قومس طرابلس كان متفقاً سراً مع المسلمين يومئذٍ . واندراوس ملك هنكاريا تهامل في نجدة النصارى . فركب البحر هو وجنوده ورجع الى بلده . و بعد قليل توفي ايضاً ملك قبرس . وفيها سار الكامل من مصر الى الشام وتولى على نابلس والقدس وغيرهما من بلدان ابن اخيه الناصر داود . وفيها كانت وفاة الملك العادل سيف الدين ابو بكر محمد ابن ايوب ابن شاذي وكان ملكاً حليماً صفوحاً مجاهداً ناهياً عن المنكر ابطل الظلم والقمار والمكوس والخمور بدمشق وبجميع البلاد . وكان يتحصل من دمشق فقط ماية الف دينار فابطل الجميع . وقيل ان وفاته كانت في بعقلين . وهي بلدة مركز قضاء الشوف الصيفي بالقرب من صيدا ودير القمر . وحمل الى دمشق في احتفال عظيم . ودفن في تربته المنسو بةاليه وكانت مدة تملكه بالديار المصرية تسع عشرة سنة . واقاموا بعده ابنه الملك الكامل محمد . وهو السادس من ملوك بني ايوب في الديار المصرية . وتولى اخاه الملك المعظم عيسى على دمشق . والملك الاشرف اخاه على حران والرها وخلاط . والملك المظفر غازي على ميا فارقين وجامي وجبل جورا وما يليها . والملك الحافظ ارسلان على قلمة جعبر . والملك العزيز على بانياس والملك الفائز يعقوب على قوص واعمالها والملك الافضل على الفيوم واعمالها والملك الامجد عباس والملك الافضل والملك القاهر جميع هؤلاء اولاد الملك العادل . وكان الملك الكامل بقتال عظيم مستديم مع الافرنج بدمياط. وارسل استنجد باخوته . ولما ملك الافرنج بر دمياط رحل الملك الكامل ونزل قريباً منهم . وجرت بينهم وقائع كثيرة عظيمة . ثم ان الكامل ظفر بهم وقتل واسر جماعة كثيرة وارسل الاسرى مكبلين بالحديد الى القاهرة . ثم اجتمعت عساكر الافرنج الى دمياط واحدقوا بها براً و بحراً ومنعوا الميرة عنها فهلك اكثر اهلها بالجوع والخوف والوباء . ولم يبق من رجالها المقاتلين الا القليل . فملكها الافرنج بالسيف واسروا جميع اهلها وكل من كان بها في شهر شعبان . وارسلوا الاسرى الى عكا . وكانت مدة الحصار ست عشرة شهراً واثنين وعشرين يوماً . وعملوا جامعها كنيسة و بعثوا المصاحف ورؤوس القتلى الى بلاد الافرنج . واما الملك الكامل فرحل الى اشموم و بنى الناس الدور والفنادق والحمامات والاسواق عند مفرق النيل وتسمت هذه المنزلة

المنصورة فحصنها وسكنها بجيشه وكان ذلك سنة ست عشرة وستماية . وفي هذه السنة اخرب المعظم صاحب دمشق قلعة الطور وقلعة تبنين وقلعة بانياس خوفاً من استيلاء الافرنج عليها واذن بالخمر والميسر بدمشق واعتذر بقلة المال . وفيها كان ظهور التتر فقتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم وسبوا حريمهم وتملكوا اكثر بلدان المسلمين من العراق الى قوبستان وايضاً بلاد غزة و بعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان و بلاد الجبال وخراسان و بعض فارس . واتفق الملك المعظم صاحب حلب مع جمال الدين خوارزم شاه ملك اذربيجان واران و بعض بلاد الكرك والعراق العجمي وغيرهم على اخويهما الملك الكامل صاحب مصر والملك الاشرف صاحب الرها . فخاف من ذلك الملك الكامل وكاتب الامبراطور سلطان الافرنج ليقدم الى عكا و يشغل اخاه المعظم عما هو فيه . ووعد الامبراطور ان يعطيه القدس . وعند وصول الامبراطور الى عكا توفي المعظم في دمشق وله تسع سنين وشهر متولياً عليها . وتنصب بعده ولده داود وتسمى الملك الناصر صلاح الدين واقام بتربيته الامير عز الدين ايبك الذي كان على صرخد واعمالها . ذكر في تواريخ الروم انه في هذه السنة توفي الملك باسيل ملك الروم في القسطنطينية و بقي في الملك اخوه قسطنطين ولم يلبث الا قليلاً حتى اصيب بمرض ثقيل . فاستدعى وزيره رومانوس وقال له اذا انفصلت عن امراتك ازوجك ابنتي وتكون ولي الملك من بعدي . فلم يقدر ان يجاوبه . ولما علمت امراته امرته ان يقبل ذلك و يتزوج بابنة الملك . وذهبت الى الرهبنة . ثم مات الملك قسطنطين . وتملك مكانه صهره رومانوس مع زوجته ابنة الملك قسطنطين الذي نال الملك بسببها وعدل في حكمه . ولما تملك امر اولاً ان تعتق جميع الماسورين في الحروب وجميع الذين عليهم الديون للسلطنة عتقهم وفرق مالاً كثيراً على الفقراء . واكرم شعب الروم بالجوائز السنية . ثم ان الملكة احبت ميخائيل الكاتالكتي حباً عظيماً . وقد توامر على قتل الملك واعدت سماً وسقته للملك فمرض وحين نظر ذاته انه قارب الموت جمع القواد ورؤساء العساكر وفرّق العلوفات ثم اشتد عليه المرض ومات وتملك بعده ميخائيل مع امراته . ثم انه حدث للملك ميخائيل صرع في راسه و به انتهت حياته

وفي السنة ٦١٦ هـ = ١٢١٩ م قدمت الرجال من بلاد المجر و بلاد النمسا لمساعدة النصارى الذين في بلاد الشام فكبر الوهم على الملك الكامل وكتب الى العزيز عثمان وايبك الاستاذ اللذان كانا في القدس بان يهدما سور بيت المقدس لئلا تاخذه الافرنج

و يتقدموا الى الشام والى بقية بلدان الاسلام . وفي اول محرم من السنة المذكورة كان ابتداء تخريب سور القدس . ووقع في البلد صيحة عظيمة . وخرجت النساء والشيوخ والصبيان الى الصخرة التي عند الجامع الاقصى . وقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم وتركوا اموالهم واهلهم وخرجوا هاربين الى مصر . والبعض الى الكرك والبعض الى دمشق ومات خلق كثير من الجوع والعطش والحفا . ومات اغلبهم ونهبت اموالهم في القدس . و بلغ رطل الزيت العشرة دراهم ورطل النحاس نصف درهم . واما الافرنج فاخذوا صيداء وعمروا سورها وتوجهوا الى دمياط . ووصلوا اليها في شهر ايار (مايو) وكانت المدينة محصنة بالآلات . وكان عددهم يبلغ سبعين الف مقاتل . وصار بين الفريقين وقعة عظيمة . وهلك خلق كثير من الافرنج من الوباء الذي كان موجوداً لانه كان شديداً . وكانوا يئسوا من اخذ المدينة لكثرة فيضان النيل في الخريف . وفي هذه السنة قلّد الخليفة نور الدين الولاية وقلّد بدر الدين النظر في امور دولته . وارسل الحلل السنية لها ايضاً . وكان مظفر الدين زنكي تملك قلعة العمادية و باقي قلاع الهكارية والزوران . فراسله بدر الدين يذكره بالمواثيق و يطالبه بالوفاء . ثم تنازل عن هذا ورضي منه بالكسوة لا لهم ولا عليهم فلم يقبل . واظهر معاضدة زنكي . فارسل بدر الدين الى الملك الاشرف يوسف اخو الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط واستماله اليه وصار في طاعته . وطلب منه المعاضدة فاجابه بالقبول . و بذل له المساعدة وارسل الى مظفر الدين يقول له ان يرجع الى الحق ولا يقصده بنفسه فلم يحصل منه على فائدة . وحصل الرسول من الخليفة الناصر ومن الملك الاشرف على الصلح . فقبلوا ذلك واصطلحوا وتحالفوا بحضرة الرسول . ذكر في تواريخ الروم انه بعد وفاة الملك ميخائيل ارادت الملكة ان تقيم ابن خاله المدعو ميخائيل ايضاً ملكاً . وكان يقال له ميخائيل القلفاط (اي النوتي) لانه في زمانه كان نوتياً . وقد عاهدته ان يكون طائعاً لها فجلس ملكاً . و بعد تملكه اكرم حاشيته ورؤساء العساكر الا ان الشعب جميعه تحزّب ضده ولم يقبلوه ان يتملك عليهم . ولما نظر هياج الشعب خاف جداً ونظر ان الملكة متراخية مع الشعب فقام بالحفظ عليها فازداد هياج الشعب وصرخوا بلسان واحد اننا لا نؤثر ان يتملك علينا نوتيٌّ بل نريد ملكتنا القديمة واشتد غضبهم وهجم جميع الشعب على القصر فهرب الملك الى دير الاسطوان وصار راهباً . واختار الشعب الكسيوس الدوكا واجلسوه ملكاً

وفي السنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م فتح الملك المعظم صاحب دمشق قيسارية وهدمها ٠ وسار الى عثليت ونزلها ٠ وفيها توفي الملك المنصور وكان محباً للعلماء ٠ وكان في خدمته نحو مائتي شخص من النحاة والفقهاء ٠ وفي هذه السنة نزل جنكيزخان في عساكره على مدينة بخارا واحاطت بها العساكر من جميع جوانبها ٠ وكان بها من عسكر السلطان محمد عشرون الفاً وكان مقدمهم كوكنجان ٠ فلما تحققوا عجزهم عن معاونة المعاونين هربوا من المدينة في الليل ٠ فادركهم المحافظون من عسكر المغول على نهر جيحون فاوقعوا فيهم وما سلم منهم الا القليل ٠ وسلمت المدينة بعد خروج عسكر السلطان محمد وطلبوا الامان ٠ وخرجت الايمة والاعيان الى خدمة جنكيزخان فامرهم باخراج كل من في المدينة ٠ ودخل الى المدينة ووقف على باب مسجد الجامع وصعد الى المنبر ٠ وقال لاكابر بخارا ان الله مالك الكل ارسلني لاطهر الارض من بني الملوك الفسقة الفجرة ٠ ثم امر الاغنياء واصحاب الثروة ان يعتزلوا عن الفقراء فما امتثلوا ذلك وكانوا عدداً عظيماً ٠ فقال لهم ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة لنا لاستعمالها منكم ٠ وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الارض ٠ فقبلوا بالسمع والطاعة ٠ ووكلوا مع كل قوم اناساً يستخرجون المال وكلم الاشخاص المذكورين سرّاً بان لا يشددوا على المستخرجين ولا يكلفوهم ما لا يستطيعونه و يرفقوا بهم ٠ وكان بالمدينة قوم من عسكر السلطان محمد مختبئين ٠ فلما بلغهم ما امر به جنكيزخان وان قصده استخلاص المدينة خافوا ان يراهم فالقوا النار في المدينة ٠ وكان اهم بناءها من خشب فاحترق اكثر المدينة و بقيت خراباً ٠ فرحل جنكيزخان ونزل على مدينة سمرقند ٠ وكان قد رتب السلطان محمد فيها عسكراً ينوف عن مائة الف ٠ فلما نازلها منع اصحابه عن المقاتلة ٠ وانفذ ثلاثين الفاً في اثر السلطان محمد واحاط بباقي عساكر المدينة ٠ فبرز اليهم الخوارزمية وجماعة كثيرة واشتد القتال مدة ذلك النهار ٠ ووقف الابطال من المغول على ابواب المدينة ٠ فوقع الاختلاف بين اهل المدينة ٠ وخرج القضاة والعلماء الى خدمة جنكيزخان وطلبوا منه الامان فلم يجبهم الا بالامان على انفسهم فقط وفتحوا المدينة ٠ ودخل المغول وابتدأوا في النهب والسبي وهدموا بعض الابراج والسور ٠ وقتلوا من عسكر السلطان محمد خلقاً ليس له عدد ٠ وبعد ذلك سار جنكيزخان الى نواحي خوارزم وانفذ الرسل اليهم ليدعوهم للدخول بطاعته فلم يجيبوه الى ذلك ٠ فانشب الحرب على المدينة من جميع جوانبها ورموها بالمجانيق واستمروا مشددين عليها الحصار حتى ملكوا جميع المحلات

واخرجوا اهالي المدينة جميعاً الى خارج المدينة • وافرزوا الصناع والمحترفين الى ناحية وكانوا خلقاً كثيراً • واسروا البنين والبنات والنساء اللواتي ينتفع بهن وقسموا الباقي من النساء واما الرجال والعجائز فقتلوهم جميعاً • وذكر في تواريخ الروم انه بهذه السنة قدمت البنادقة الى القسطنطينية وحاصروها مدة طويلة • واذ كانت الروم متفرقة القلوب من عظم النحس الحاصل من الملوك اختاروا حكم البنادقة على ملوكهم وسلموا مدينة القسطنطينية • ودخلت عساكر البنادقة الى المدينة فهرب الملك ورؤساء الشعب الى اناضولي فسلبت البنادقة ما كان في كنائس القسطنطينية من الاواني الفضية والستائر المذهبة التي في صنعتها كل عجب مع المنائر الذهبية والتيجان المجوهرة والحلل المفتخرة • وبالاجمال كل ما كان من الاشياء النفيسة الجزيلة القيمة • واختار البنادقة ريشا الصغير ملكاً على القسطنطينية • ودام تملك البنادقة في القسطنطينية تسعاً وخمسين سنة وكان حكمهم عادلاً وبانصاف • ورضي بذلك جميع الشعب • واما ملوك الروم فاقاموا في اناضولي

وفي السنة ٦١٨ هـ = ١٢٢١ م عندما تملك الافرنج دمياط بلغهم وفاة ملك الارمن فترك يوحنا ملك القدس الجيش وسار الى عكا مؤملاً ان يتملك بلاد الارمن واناب مكانه اندلاقوس فسار بالعسكر الى مصر • ولما وصل الى المنصورة التقاه الملك الكامل بعساكره وانتشب القتال بينهما براً وبحراً • واستنجد الملك الكامل باخوته الملك الاشرف عيسى والملك المعظم موسى • ولما كثرت عساكر الاسلام واشتد الحرب بينهما عشرة ايام ضعفت الافرنج وطلبوا الصلح فوقع الاتفاق على هذه الصورة • ان الافرنج يسلمون القدس وطبرية واللاذقية وجبلة وكلما استخلصه الملك صلاح الدين الايوبي ماعدا الكرك • فلم يرض الافرنج بذلك وطلبوا ان يسلموا الكرك وثلاثماية الف دينار • ثم ان الاسلام ثغروا النيل وقطعوا عن الافرنج الطرق فتضايقوا من الجوع وارسلوا يطلبون الامان فلم يجبهم الملك الكامل • ولما قطعوا الامل احرقوا اثقالهم وعزموا على الحرب ليلاً • فامر الملك الكامل محمد بقطع الجسور (الكباري) واحاط بهم النيل من كل جانب • فطلبوا الامان وان يسلموهم سلاحهم فاجابهم الملك لذلك • وتم الامر ان يكون عند الملك من الافرنج نائب عكا ونائب البابا • ويكون عند الافرنج الصالح نجم الدين ابن الملك الكامل وتقررت الهدنة بينهم ثمان سنين • ثم اطلقوا الاسارى من الجهتين وتسلم السلطان دمياط • وحضروا الى ملوك الافرنج • ومد لهم السماط ووقف

الملك الاشرف والملك المعظم في خدمة اخيهما الملك الكامل وكان يوماً مشهوراً • واتفق ان الملك الكامل اسمه محمد واسمي اخويه موسى وعيسى • فدخل راجح الشاعر وعمل قصيدة انشدها في الحضرة ومنها هذه الابيات

ونادى لسان الحال في الارض رافعاً عقيرته في الخافقين وانشدا
اعباد عيسى ان عيسى وصحبه وموسى جميعاً ينصرون محمدا

ثم رجعت الافرنج الى القدس واعمالها وسار السلطان الكامل الى مصر • ورجعت الملوك الى اوطانها • وفي هذه السنة عبر جنكيزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ • فخرج اليه الاعيان وقدموا له الطاعة وطلبوا منه الامان فلم يقبل ذلك لسبب ان السلطان جلال الدين ابن السلطان محمد كان في تلك النواحي طالباً الحرب • ثم امر جنكيزخان باخراج اهل بلخ وضربهم بالسيف • وسار نحو الطالقان وقتل اكثر اهلها واخذ منها اسرى لاتعد • ثم سار الى الباميان فعصت اهلها وقاتلوا قتالاً شديداً • واتفق انه اصاب بعض اولاده سهم فقتل • فعظم ذلك على جنكيزخان واضطرمت في قلبه النيران • وجدمع جيشه في القتال الى ان فتحوها وقتلوا كل من كان فيها من الناس والنساء والاولاد حتى الدواب والبقر وتركوها خراباً بعد ماهدموها • ولم يعد يسكنها احد الى الان وسميت ماو باليغ اي قرية خراب • ولما سمع جنكيزخان ان السلطان جلال الدين قد استظهر في العراق سار نحوه مواصلاً الليل بالنهار

وفي السنة ٦١٩ هـ = ١٢٢٢ م وصل جنكيزخان الى غزنة فبلغه ان السلطان جلال الدين رحل وعازم على دخول بلاد السند فجد في المسير وكان مسيره ثلاثة اشهر وثمانية عشر يوماً فلحقه في اطراف السند • وحاربه العسكر • ولما تحقق جلال الدين انه لم يعد له خلاص ارتد عليهم كالاسد وشق صفوفهم مرة بعد اخرى وطال عليه الامر ورماه المغول بالنشاب وهجموا عليه • فلما عاين جلال الدين ضيقة الحال نزل وودع اولاده ثم رمى عنه الجيوش وركب جواده وهو كالاسد وانزل جواده في النهر فعام وخلص الى الجانب الايمن • وجنكيزخان وعسكره ينظرون اليه و بهتوا من عمله • وقال جنكيزخان لاولاده حيث انه نجا من هذه الوقعة فوقائع كثيرة تجرى على يديه • واراد جماعة من عسكر جنكيزخان ان يعبروا النهر وراءه فمنعهم من ذلك • وقال لهم لستم من رجاله لانه كان يرمي المغول بالسهام وهو في وسط الماء • ثم قتلوا اولاده ومن كان يتبعه •

وفي السنة ٦٢١ هـ = ١٢٢٤ م توفي الملك الافضل علي ابن صلاح الدين . وكان قد نزل عن ملك مصر والشام ورضي بشميشاط لما تولى عمه العادل وكان ابيض تركي الوجه خفيف العارضين اشقر اللحية وكان فطناً يقظاً ذا همة . وكان لما توفي والده السلطان صلاح الدين وولي بعده ولده الملك الافضل المسمى علياً فقوي عليه عمه ابو بكر واخوه عثمان واخذا منه دمشق ومصر . واستقر الملك العادل ابو بكر بدمشق ورجع العزيز عثمان الى مصر وضربت السكة باسمه . وسار الافضل الى صرخد واستوطنها . فكتب الملك الافضل علي الى الخليفة الامام الناصر يشكو من عمه ابي بكر العادل ومن اخيه عثمان شعراً

مولاي ان ابا بكرٍ وصاحبه عثمان قد اخذا بالظلم حق علي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الاواخر مالاقى من الاول

فكتب الناصر له جواباً

وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً بالصدق يخبر ان حقك ظاهرُ
غصبوا علياً حقه اذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غداً عليه حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصر

وفي هذه السنة كانت وفاة الامير يوسف المعني وقام بعده على ولاية الشوف ولده الامير سيف الدين . وفي هذه السنة كانت وفاة الامير نجم الشهابي في وادي التيم وعمره ست وسبعون سنة وكان كريم الاخلاق رقيق الطبع ذا فراسة . ثم تولى بعده اكبر اولاده الامير عامر . وفي ايامه زحفت عساكر[1] الافرنج من حصن الشقيف الى وادي التيم . فجمع الامير عامر عساكره وقصدهم الى مرج الخيام واستنجد بالامير عبد الله ابن الامير سيف الدين المعني امير جبل الشوف وجرى القتال بين الفريقين فانكسرت عساكر آل شهاب . وفي تلك الساعة وصل الامير عبد الله المعني بعساكر الشوف فنكست اعلام عساكر الافرنج وولوا هاربين . وتبعهم الامير عامر نحو ثلاثة

---

(١) هذه الموقعة بين الافرنج وبين آل شهاب حدثت سنة ٦٣٨ هـ ١٢٤٠ م وليس في هذه السنة وانما ذكرها الامير حيدر تكملة لاخبار الامير عامر اذ قال وفي ايامهِ حدث ما حدث . وتحرير الخبر ان قنطورا الافرنجي اتى برجالهِ قاصداً الاخذ بثار قنطورا الذي قتلهُ آل شهاب اول دخولهم وادي التيم وحاصبيا . وقد التقى الجيشان في الخيام وتصادم الفريقان ثلثة ايام . وفي اليوم الرابع هجم الافرنج وكسروا آل شهاب . ثم جمع الامير عامر آل شهاب وتحالفوا على الثبات في الحرب وهجموا على الافرنج فهزموهم نحو ثلثة فراسخ وقتل من الفريقين جمع غفير واستولى الامير عامر على الديار الغربية من وادي التيم

فراسخ . ثم اجتمع الامير عامر بالامير عبد الله وشكره على قدومه وعادا الى حاصبيا وبقي الامير عبد الله المعني ثلاثة ايام ثم رجع الى الشوف . وفي ايام الامير عامر عمرت البلاد وانشأ عقارات كثيرة في سهل البقاع [1]

وفي السنة ٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م توفي الخليفة الناصر ابو العباس احمد وكانت خلافته ست واربعين سنة وكان فطناً عاقلاً

الفصل الخامس والثلاثون

في خلافة الظاهر بامر الله وهو الخامس والثلاثون من العباسيين

وبويع بالخلافة بعد الناصر ولده الامام الظاهر بامر الله (عدة الدين ابو نصر محمد) في ثاني شوال من هذه السنة وكان والده قد بايع له بولاية العهد وكتب بها الى الافاق وخطب له بها مع ابيه على سائر المنابر . ثم بعد مدة خافه والده ونفر منه ومال الى اخيه الصغير علي ولكن هذا مات في حياة والده وخلف اولاداً اطفالاً فعلم الامام الناصر انه لم يبق له ولد يصلح للخلافة غيره فعهد بها اليه وبايعه الناس وهو في السجن مضبوط عليه . وكانت عامة اهل بغداد يميلون اليه فاظهر من العدل والامن مالا يمكن وصفه وازال الظلم ورد على الناس اموالاً جزيلة واملاكاً جايلة كانت قد اخذت منهم وازال مكوساً كثيرة وكانت قد جددت . وبنى لبغداد جسراً (كبرياً) ثانياً عظيماً جديداً وانفق عليه اموالاً كثيرة فصار في بغداد على دجلتها جسران (كبريان)

وفي هذه السنة ركب الملك الاشرف صاحب حلب على ميخائيل ملك الروم فاخذ منه اسرى كثيرين واسترجع تل باشر ورعبان

وفي السنة ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م توفي الملك الظاهر بالله ابن الناصر خليفة بغداد وكانت مدة خلافته تسعة اشهر . وما زالت دولته عادلة امنة منذ ولي الى ان توفي في رابع عشر شهر رجب

---

(١) ان الملك الصالح ايوب اقطع الامير عامراً قطائع في سهل البقاع لما سمعه عن افعاله وغلبته على الافرنج

الفصل السادس والثلاثون

في خلافة المستنصر بالله وهو السادس والثلاثون من العباسيين

ولما توفي الامام الظاهر بامر الله بويع بالخلافة الى ولده جعفر المنصور ولقب بالمستنصر بالله واظهر من العدل وحسن السيرة اضعاف ما اظهره والده وافاض من الصدقات ما اربى على من تقدمه وتقدم بانشاء مدرسته المعروفة بالمستنصرية التي لم يبن في الدنيا مثلها فبنيت على اعظم وصف في صورتها والاتها واتساعها وزخرفها وكثرة فقهائها ووقفها على المذاهب الاربعة . ورتب فيها اربعة من المدرسين في كل مذهب مدرساً وثلثماية فقيه لكل مذهب خمسة وسبعون فقيهاً ورتب لهم من المرتبات والخبز والطعام في كل يوم ما يكفي كل فقيه و يفضل عنه . و بنى لهم داخل المدرسة حماماً خاصاً للفقهاء وطبيباً خاصاً يتردد اليهم بكرة كل يوم يفتقدهم ومخزناً فيه كل ما يحتاج اليه من انواع ما يطابخ من الاطعمة ومخزناً اخر فيه انواع الاشربة والادوية)

وفيها سار علاء الدين كيقباد لمحاربة صاحب الروم فاخذ قلاعاً لصاحب آمد . وقال ابن الاثير في كتابه الكامل ان علاء الدين المذكور وهو سائر صاد شخص من عسكره ارنباً له ذكر وفرج فشقوها واذا في بطنها جوفان . فقال جماعة كثيراً ما سمعنا ان الارنب يكون سنة ذكراً وسنة انثى حتى رايناه باعيننا . وفيها ايضاً خسف القمر في هذه السنة مرتين . وكان بالموصل عين تسمى عين القتارة وكان ماؤها سخناً لا يقدر احد يضع يده فيه لحرارته فبردت هذه السنة والله اعلم . وفيها توفي ابو السعادات اسعد السنجاري . وتكلم في الاختلافات الفقهية الا انه غلب عليه الشعر واجاد فيه

وفي السنة ٦٢٤ هـ = ١٢٢٦ م توفي الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل الايوبي صاحب دمشق في سلخ ذي القعدة . وكان عمره ثمانيا واربعين سنة . وكان ملكاً عادلاً ذاهمة . وكانت مملكته من دمشق الى القدس الى السواحل . وولي مكانه ولده صلاح الدين داود . وحمل عمه الملك العزيز وعمه الملك الصالح الغاشية بين يديه . وفي هذه السنة قفل جنكيزخان من الممالك الغربية الى منازله القديمة الشرقية . ثم رحل من هناك الى بلاد تنكوت (شرقي بلاد تيبت وغربي نهر الصين المسمى هوا نهو . فعرض له مرض ثقيل من عفونة ذلك الهواء الوخيم فاستدعى اولاده جغاتاي واوكتاي والغ نوين وكلكان

وجورختاي واورد جار (و يروى ار وجان اواردوجان) وقال لهم اني قد ايقنت مفارقتي الدنيا لعجز قوتي ولا بد من شخص يقوم بحفظ المملكة على حالها والذب عنها فقالوا له اختر من تريد فاختار ولده اوتكاي وجعله ولي عهده . وقلده السلطان على جميع الممالك واطاع اخوته امره (وتوفي لاربع مضين من شهر رمضان وكانت مدة ملكه نحو خمس وعشرين سنة

وفي السنة ٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ م سار الملك الاشرف الى دمشق صاحب حلب بامر الملك الكامل لاجل حصار الملك الناصر داود صاحب حماة . ثم وقعت المراسلات بين امبراطور الافرنج والملك الكامل في طلب الصلح . فلما رأى الملك الكامل كثرة عساكرهم وامداد البحر لهم بالرجال والاموال خاف على بلاده ان توخذ منه عنوة فاجابهم الى طلبهم واتفق معهم على تسليمهم بيت المقدس ومواضع اخر كثيرة من السواحل على شرط ان تهدم اسوار اورشليم ولا تبنيها الافرنج . ولا يتعرضوا بشيء الى قبة الصخرة . ولا الى الجامع الاقصى . و يكون الحكم في الرساتيق بيد الاسلام و يكون لهم كلما على الطريق من عكا الى القدس فقط وارتضوا بذلك . وتسلم الامبراطور القدس ودخلتها الافرنج . وسار الملك الكامل الى دمشق . وشدد الحصار على الملك الناصر . وجرت بينهما حروب شديدة . ثم ان الملك الكامل دخل قلعة دمشق . ونزل الملك الناصر الى حران . ثم صار الاتفاق ان يكون الكامل في دمشق وحاران والرها للناصر مع البلاد الشرقية . ثم ان الملك الكامل استناب الملك الاشرف في دمشق ورجع هو الى مصر . وفي هذه السنة امطرت السماء في حلب رملاً احمر يشبه البرد . وفيه تراب يشبه الطباشير . وفيها اجتمع امراء المغول اولاد جنكيزخان واعطوا ما اوصى به والدهم الى اخيهم اوكتاي واجلسوه على سرير الملك ولقبوه قاان وقيل (خان) اي ملك كبير . ثم سير عساكره الى ناحية خراسان وقصد هو بنفسه بلاد الخطا . ذكر في تواريخ الروم انه بهذه السنة كانت وفاة الملك ميخائيل القلفاط ملك الروم . وتملك مكانه ثاودوسيس الاسكاري وكان مقيماً في بلاد الاناضول

وفي السنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م نزل السلطان جلال الدين خوارزمشاه على خلاط وحاصرها اشد حصار ونصب عليها عشرين منجنيقاً على ناحية البحر . وفيها اخو الملك الاشرف مجير الدين يعقوب . والامير حسام الدين القيمري وعز الدين ايبك ملوك الاشرف ودام الحصار على اهل خلاط واشتد حتى اكلوا لحوم الكلاب . فتسلم خوارزمشاه

مقاومة المغول ركبوا السفن التي كانوا اعدوها للهرب . وطلب اهل البلد الامان فامنوهم وتسلموا المدينة . ثم قصد المغول باقي المواضع . وجهز قاآن اخاه الغ نو ين وولده كيوك وسيرهم في عشرة الاف فارس في المقدمة وسار هو بعقبهم . فجيش التون خان ملك الخطا مائة الف من شجعانه وقدم عليهم اميرًا من امرائه وانفذهم للقاء المغول . ولما وصلوا اليهم استحقروهم لقلتهم وارادوا ان يسوقوهم الى ملكهم التون خان فشغلهم المغول بفتور المكافحة واطمعوهم الى ان وصلت الجيوش الجرارة التي كانت مع قاآن فاوقعوا بعسكر الخطا ولم يفلت منهم الا القليل . وكان التون خان بمدينة تسمى نامكينك . ولما بلغه ماجرى على اصحابه الابطال ارتاع و يئس من حياة الدنيا وجمع اولاده ونساءه ودخلوا بيتًا من بيوت الخشب وامر باضرام النار فيه فاحترق هو ومن معه انفةً من الوقوع في اسر المغول . ودخلت عساكر المغول المدينة ونهبوا واسروا البنين والبنات وامنوا الباقين وفتحوا غيرها من المدن المشهورة . ورتب بها قاآن الشحنة وقفل الى مواضعه القديمة . وبنى فيها مدينة سماها اردو باليق وهي مدينة قراقورم واسكنها خلقًا من اهل الخطاوتركستان والفرس والمستقربين . و بينما هم مسرورون بفتح بلاد الخطا توفي تولي خان وكان احب الاخوة الى قاآن فاغتم لذلك كثيرًا وامر ان زوجته المسماة سرقوتيني بيكي وهي ابنة اخي اونك خان تتولى تدبير عساكره وكان لها اربعة بنين وهم مونككا وقو بلاي وهولاكو واريغ بوكا . فاحسنت تربية الاولاد وضبط العساكر وكانت لبيبة ذات تدبير وكانت تركب مع الرجال في الحرب وكانت تدين بدين النصرانية وتعظم المطارنة والرهبان وتلتمس صلواتهم و بركاتهم . وفي مثلها قال الشاعر

فلو كان النساء كمثل هذه لفضلت النساء على الرجال

و بعد قليل مات ايضًا الاخ الكبير توشي وخلف سبعة بنين ومن بين هؤلاء لباتوا الذي سلم قاآن البلاد الشمالية وهي بلاد الصقالبة واللان والروس والبلغار . وجعل مخيمه على شاطي نهر اتل . وغزا هذه النواحي فقتل فيها خلائق بلغ عددهم مائتي الف وسبعين الفًا . ثم تجهز لباتوا للدخول الى نواحي القسطنطينية فبلغ ذلك ملوك الافرنج فجيشوا العساكر والتقوا بالمغول في اطراف بلد البلغار وجرت بينهم حروب كثيرة انجلت عن كسرة المغول وهزيمتهم وهربهم فقفلوا من غزوتهم هذه ولم يعودوا يتعرضون لبلاد اليونان والافرنج الى يومنا هذا . وفي هذه السنة اعطى الملك الاشرف اخاه الملك الصالح اسماعيل بعلبك فتسلمها وسكنها .

المدينة والقلعة وانهزم حسام الدين القيمري ولما بلغ الملك الاشرف ذلك سار الى ابلستين فالتقاه صاحب الروم علاء الدين كقباذ واجتمعا ولحقت الملك الاشرف عساكره وخرج علاء الدين بعسكره الى اقشهر هو والملك الاشرف . وخرج الخوارزمي من خلاط للقائهم وكان في اربعين الفاً والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً وكانت الغلبة للملك الاشرف والرومي . فانكسر الخوارزمي كسرة عظيمة وقتل من اصحابه خلق لايحصى .واسر ايضاً عدد عظيم . و بلغت هزيمتهم الى جبال طرابزون . ومن هناك سار خوارزم بنفسه الى بلاد العجم . وكان ارسل في الابتداء تقي الدين عباس اخا الاشرف اسيراً مقيداً الى بغداد . فاعاده الخليفة المستنصر مكرماً الى اخيه الاشرف فدخل الاشرف مدينة خلاط واصلح احوالها . وفي هذه السنة وصل خبر للملك الاشرف عن عبور جورماغون نوين نهرامويه في طلبه فتوجه الى تبريز وارسل رسولاً الى الخليفة واخر الى الملك الاشرف وصحبته زوجة الامير حسام الدين القيمري التي كان قد اسرها من خلاط ورسولاً الى السلطان علاء الدين صاحب الروم يستنجدهم ويعلمهم بكثرة عساكر التتر وحدة شوكتهم وشدة نكايتهم وانه اذا ارتفع هو من الوسط يعجزون عن مقاومتهم وانه كسد الاسكندر يمنعهم عنهم . فالراي ان يساعده كل منهم بجيش من عساكره ليهدأ بذلك جاش اصحابه فيحجم عنهم العدو . ولما وصلت رسله لم يجبه احد لمعاونته فسار الى ديار بكر . و بقي يقضي اوقاته بالسكر والملاهي والطرب كانه يودع الدنيا وملكها الفاني . و بينما هو كذلك هجم عليه باياس نوين بعسكره ليلا فتكلف للانتباه وعاين نيران المغول بالقرب منه فتقدم الى الامير اورخان طالباً منه ان يشغل المغول بالاقدام تارة و بالاحجام اخرى . وفر هو مع ثلثة من مماليكه تائهاً في جبال ديار بكر . فلما اصبحوا ظن المغول ان جلال الدين خوارزمشاه فيهم فجدوا في طلبهم طاردين وهم في اعقابهم وهم منهزمون بين ايديهم . ولما تحققوا انه ليس معهم رجعوا عنهم . اما جلال الدين خوارزمشاه فاوقع به قوم من الاكراد ببعض جبال آمد ولم يعرفوه فقتلوه والمملوكين طمعاً في ثيابهم وخيلهم وسلاحهم .

ولما استقر قاآن في الملك وانقاد له القاصي والداني من جيوش المغول عزم على فتح بلاد الخطا وسير في مقدمته اخويه جغاتاي والغ نوين فسارا ونازلا اولاً مدينة يقال لها جرجا بنو يقسين ويروى خوجا بنو يقسين . وهي على شط قراموران (اي النهر الاسود) فاحاطا بها وحاصراها مدة اربعين يوماً . و كان فيها عشرة الاف من الخطا . فلما عاينوا العجز عن

وفي السنة ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م ركب التتر على الاسلام وعلى جلال الدين خوارزم حتى وصلوا الى الفرات وشنوا الغارة في ديار بكر والجزيرة فقتلوا وخربوا ما لا يوصف وسبوا الذراري وقتلوا الزهاد . وخربوا الجوامع وحرقوا المصاحف . وفعلوا اموراً لم يسمع بمثلها قط . وكانوا قد صنعوا مثل ذلك في الغزوة الاولى سنة ٦١٨ وهذه غزوتهم الثانية على خوارزم والمسلمين . واما جلال الدين خوارزم فقتل بقرب ميا فارقين . وفي هذه السنة انتهى تاريخ ابن الاثير المسمى بالكامل المبتدي من هبوط ادم الى هذه السنة ٦٢٨ هـ وفي سنة ٦٣٠ كانت وفاة مؤلفه عز الدين علي ابن الاثير الفزري

وفي السنة ٦٣٠ هـ = ١٢٣٢ م حاصر الملك الكامل صاحب دمشق آمد بالمجانيق واخذها من صاحبها الملك مسعود مودود الاتابكي وكان فاسقاً . وشهد الاشرف انه وجد في قصره خمسماية حرة للفراش من بنات الناس اخذهن قهراً . وعوضه منها بقرى بالشام واستناب الملك الكامل على آمد ولده الملك الصالح نجم الدين ايوب . وفيها توفي الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل سيف الدين وهو شقيق الملك المعظم عيسى . وهو الذي بنى قلعة الصبيبة و بانياس وتبنين . واليه تنسب المدرسة العزيزية بدمشق بجوار الكلاسة . وفي هذه السنة صارت حروب كثيرة بين الملك الكامل وملك الروم حتى ان ملك الروم ظفر به واستاسره وملك حماة ايضاً . ثم انه اطلقهما . واستولى على حاران والرها . ثم ان الملك الكامل استرجعهما بعد مواقع كثيرة واسر من المقاتلين نحو ثلاثة الاف نفس ارسلهم الى الديار المصرية و بنى بدمشق جامع التوبة وسماه بذلك الاسم لانه كان اولا للفواحش والمنكرات . وفيها توفي سيف الدين الآمدي الذي صنف كتباً كثيرة

وفي السنة ٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ م توفي الملك العزيز ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين وكانت والدته ابنة الملك العادل . وتولى مكانه على حلب ولده الملك الناصر يوسف صلاح الدين وكان صغيراً وهو اخر الملوك من بيت ايوب . وفي هذه السنة ارسل السلطان علاء الدين كيقباذ صاحب الروم الى قا ان كي يدخل في طاعته ؛ فقال قا ان للرسول اننا سمعنا برزانة صاحبك واصابة رايه . ونريد ان يحضر بنفسه الينا ليرى منا كل قبول واكرام ونجدد العهود معه . وتكون بلاده جائزة عليه . فلما اعاد الرسول هذا الكلام تعجب منه كل من حضر واستدل على ما عليه قا ان من العظمة . فلم يجب علاء الدين الى ذلك . وفيها سار علاء الدين

الى خلاط وسرمن رأى وغزا الملك الاشرف مدينة حصن منصور . واخذ الكامل مدينة آمد من صاحبها وعاوضه منها بقرايا من الشام . وفيها توفي مظفر الدين ابن زين الدين علي كوجك صاحب اربد . وحمل الى مكة ودفن بها . وولي على اربد انسان شريف يقال له ابو المعالي محمد ابن ناصر الدين صلاي من قبل الخليفة المستنصر . وفيها توفي ناصر الدين محمد ابن الملك القاهر ابن نور الدين صاحب الموصل . وولى الخليفة مكانه بدر الدين لولوءا . فخطب له بالمنبر في السلطنة . وفيها حاصر السلطان علاء الدين مدينة الرها وملكها ودخلت الروم ووضعوا السيف باهلها ثلاثة ايام وقتلوا خلقاً لا يعد من النصارى والاسلام . واتت اليه اهل حاران وملكوه القلعة وملك الرقة والبصرة . فلما عاد عنهم عسكر الروم قصد الملك الكامل الرها وحاصرها وملكها من الروم وهدم البرج . وارسل امراء الروم الى مصر . (ذكر ابو الفرج انه في هذه السنة توفي علاء الدين كيقباذ صاحب الروم والامير حيدر ذكره في السنة التالية كما سياتي ذكره)

وفي السنة ٦٣٥ هـ = ١٢٣٧ م كانت وفاة السلطان الملك الاشرف ابو الكامل موسى ابن الملك العادل ابن ايوب في بداءة هذه السنة بدمشق . وكان اقام مدة في الرها وحاران اللتان اخذهما من ابيه ثم تملك خلاط وهي قصبة ارمينية ثم تملك دمشق نحو تسع سنين . وكان عمره ستين سنة وكان كريماً شجاعاً محباً للعلماء شديد الباس مقبلاً على التمتع بالدنيا ولذاتها يصرف اوقاته برفاهية من العيش . وتوفي بدمشق بعده اخوه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل . فلما بلغ خبر ذلك الملك الكامل سار من مصر الى الشام وحاصر الملك الصالح بدمشق حصاراً شديداً . فكاتب الملك الصالح ملك الروم والملوك اهل بيته واتفقوا معه . فاخذ الملك الكامل دمشق من الملك الصالح وعوضه عنها ببعلبك والبقاع الى بصرة . وشنق بين البساتين جماعةً كثيرة من اهالي حمص الذين كانوا اتوا لمعاضدة الملك الصالح اسماعيل . وملك الملك الكامل دمشق شهرين ومات لانه دخلها لاحدى عشر بقيت من جمادي الاول ومات لتسع بقين من رجب . وكانت وفاته بقلعة دمشق بالسعال والاسهال . ومدة ملكه على مصر والشام من حين مات ابوه عشرون سنة . وقيل ذلك كان له عشرون سنة نائباً بها . وبنى في القاهرة دار الحديث والقبة على ضريح الشافعي . وهي من اعظم البنايات في البناء

والاحكام صرف عليها مالا جزيلا . ولما مات وقع الاختلاف بين الامراء في من يملكون على مصر والشام . واتفق الراي بان الملك الجواد يونس ابن الكامل ابن شمس الدين مودود ابن الملك العادل يكون ملكًا على دمشق . والملك العادل ابن الملك الكامل على مصر . وهو السابع من ملوك بني ايوب في الديار المصرية . وفي هذه السنة خرج عسكر المعرة . لغزو حماة فنهبوا بلادها وحاصروا الملك المظفر بحماة . وكانت حماة حينئذٍ لصاحب حلب . وفيها حدثت حروب بين الناصر داود صاحب الكرك وبين الجواد يونس نائب دمشق بين جنين ونابلس . فانتصر الجواد وانهزم الناصر هزيمة قبيحة . وفيها تسلم صاحب حمص سلمية من المظفر صاحب حماة . وتحركت ايضًا عساكر التتر على بغداد . وفي هذه السنة توفي السلطان علاء الدين كيقباذ ملك الروم وكان ملكه ثماني عشرة سنة . وكان عاقلاً عفيفًا ذا باس شديد . وكانت الدولة قبله منحلة بسبب الخلاف الواقع بين اولاد قلج ارسلان ولما تولى عليها علاء الدين جدد ناموسها والقى الله في قلوب الخلق هيبته فاطاعوه واتسع ملكه . و بالحق تسمى السلطان لان جميع الملوك اذعنت لامره وكان عنيدًا في الامور قاسي القلب غير هياب المصاعب . ولما توفي احضر ولده غياث الدين الامراء فبايعوه وحلفوا له . وجلس غياث الدين على تخت ابيه في بلاد الروم . وقبض على غايرخان امير الخوارزمية فهربت اصحابه وجازوا بملطية وكاختين واسروا سيف الدين الذوائبي وقتلوه واغاروا على بلد سميساط . وعبروا الى السويدية فالتقاهم الملك الناصر صاحب حلب الى ما بين النهرين في الرها وحاران فطردوهما فكفوا عن الفساد والغارات . يذكر بارونيوس في هذه السنة ظهرت شيعة المتاولة في بلاد العجم وكان لهم عشرة مدن يسكنونها باذن اجناد الهيكليين المتسلطين يومئذٍ على تلك الجهات . وكانوا يودون لهم الجزية . وكانوا يدعون انهم من نسل علي ابن ابي طالب وان الخلافة بعد عمر ابن الخطاب كانت لهم وخرجوا بهذه الشيعة كما سياتي ذكره

وفي السنة ٦٣٦ ﻫ = ١٢٣٨ م ضعفت همة يونس الجواد صاحب دمشق فاستولى عليها وعلى اعمالها الملك الصالح ايوب ابن الكامل اخو العادل صاحب مصر وعوض الجواد يونس عنها بسنجر والرقة وعانة . (هنا ذكر الامير حيدر ثانية وفاة الملك الاشرف والملك الكامل وقد ذكرها تحت سنة ٦٣٥ ﻫ فلا لزوم لاعادتهما) وفي هذه السنة غزت التتر العراق ووصلوا الى تخوم بغداد فخرج اليهم مجاهد الدين

وشرف الدين في عساكرهما والتقوا بالمغول وهزموهم . ثم خافوا من رجوعهم فنصبوا المجانيق على اسوار بغداد . ثم رجعت التتر بعد مدة فخرجت اليهم عساكر بغداد في خانقين والتقوهم فكسرهم المغول وعادوا مهزومين الى بغداد . . وفي هذه السنة هاج البحر ودخل بلاد فرنسا فمات فيها عالم عظيم . وفيها جهز السلطان غياث الدين جيوشاً الى ارمنية فامتنع المغول عن الدخول الى بلاد الروم . يذكر المعلم بارونيس انه بهذه السنة سار ملك التتر الى مملكة بولونيا وغزاها وهدم الكنائس وقتل الرهبان والراهبات والعوام . فهرب ملكها مع جنوده الى حصن في جبل كريا تجوم ورحلت اهالي مملكته الى المجر و بلاد الهونكار . فجمع التتر اذان المقتولين من تلك المملكة فملأوا تسعة اخياش . ثم سارت عساكر التتر الى مملكة هونكار فغزوها واهلكوا بالسيف كل من وجدوا بها من رجال ونساء

وفي السنة ٦٣٧هـ = ١٢٣٩ م سار صاحب بعلبك الصالح اسماعيل وشيركوه صاحب حمص بجماعتهما . وهجموا على دمشق اذ كان الصالح ايوب في نابلس قاصداً الاستيلاء على مصر وكان فتح الدين عمر متولياً على دمشق فهجم اهل دمشق واخذوا القلعة واعتقلوا المغيث ومالت عساكر المغيث وعساكر ابيه الى اسماعيل . واما الناصر داود فانتقل الى الشام فمسك الصالح ايوب وارسله الى الكرك واعتقله بها . ثم سار الى القدس فوجد الافرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرب القلعة و برج داود الذي كان بعده عامراً . وفيها اساء الملك الجواد السيرة بسنجار فكاتب اهلها صاحب الموصل . ولما خرج الجواد ليتصيد اسرع لولو صاحب الموصل ففتحوا له البلد فتملكها ومضى الجواد الى عانة فاوى اليها . وفي هذه السنة توفي صاحب حمص الملك المجاهد اسد الدين شيركوه . وكانت مدة ملكه نحو ست وخمسين سنة وملك بعده ولده المنصور ابرهيم ابن شيركوه . وفيها ظهر الملك الصالح ايوب من الكرك واتفق مع الناصر داود على اخذ مصر من الملك العادل . ومالت اليهما العساكر والامراء . وفي ثمانية ذي القعدة قبضوا على الملك العادل وخلعوه من السلطنة . وكانت مدة ولايته نحو سنتين . واقاموا اخاه الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل وهو الثامن من ملوك بني ايوب بالديار المصرية . وعاد الناصر الى الكرك وفيها توفي ناصر الدين ارتق ارسلان ابن الغازي صاحب ماردين وملك بعده ابنه الملك السعيد نجم الدين غازي

وفي السنة ٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م سلم الصالح اسماعيل صاحب دمشق صفد والشقيف

الافرنج ليعضدوه و يكونوا معه ضد ابن اخيه الصالح ايوب صاحب مصر . وفيها صارت الوقائع بين الخوارزمية والحلبيين فانهزم الحلبيين و افسد الخوارزمية في بلاد حلب وحماة ونهبوا وخربوا اكثر مما فعل التتر . فاتفق الحلبيون مع صاحب حمص وركبوا ضدهم وكسروهم . واخذوا المكاسب والاسرى منهم وتملكوا المدن التي كانت معهم . وطردوهم حتى رجعوا الى عانة . واستولى صاحب حلب على حاران وصاحب حمص على الخابور اللتين كانتا بيد الخوارزمية . وفي هذه السنة كانت وفاة الامير يوسف المعني . وقام بعده ولده الامير سيف الدين بالامارة على جبل الشوف . وهو ولد سعادة كريمة الامير نجم . فتوجه الامير نجم الشهابي الى الشوف معزيًا الامير سيف الدين بابيه ومهنئًا اباه بالامارة . ومكث عنده نحو خمسة عشر يومًا . ولما اراد الرجوع الى دياره خطب ابنة الامير سيف الدين لولده الامير عامر . ثم بعد سنة زفت اليه وكان زفافًا عظيمًا

وفي السنة ٦٣٩ هـ = ١٢٤١ م ظهر ببلد اماسيا من اعمال الروم رجل تركماني ادعى النبوة وسمى نفسه بابا فاستغوى كثيرًا من الناس بما كان يخيل لهم من الحيل والزخارف وكان له مريد اسمه اسحق يتزيا بزي المشايخ الصوفية فانفذه الى اطراف بلاد الروم ليدعو التركمانيين الى المسير اليه . فدخل اسحق هذا بلد سميساط واظهر الدعوة له فاتبعه خلق كثير من التركمان . و بلغ عدد جمعه ستة الاف فحاربوا من خالفهم ولم يقل كما يقولون لا اله الا الله بابا رسول الله فقتلوا خلقًا كثيرًا من المسلمين والنصارى من اهل حصن منصور وكاخنين وكركر وسميساط و بلد ملطية . وكانوا يهزمون كل من لقيهم من العسكر حتى وصلوا الى اماسيا . فانفذ اليهم السلطان غياث الدين جيشًا فيه جماعة من الافرنج الذين في خدمته فحاربوهم . وكان المسلمون لم يتجراوأا عليهم و يحجموا عنهم لما توهموا منهم . فاخر الافرنج المسلمين وتولوا بانفسهم حرب الخوارج . فكسروهم وابادوهم عن اخرهم . واسروا الشيخين باباواسحق فضربوا عنقيهما وكفوا الناس شرهما وفي هذه السنة والصحيح سنة ٤٣٩ هـ) حاصر جرماغون نوين مدينة ارزن الروم (هيا رزروم) وملكها عنوة وقتل من اهلها خلائق كثيرة وسبي الذراري وشن الغارة عليها وقتل سنان سو باشها

وفي السنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م توجه من دمشق الملك اسماعيل قاصدًا مقاتلة سلطان مصر وكاتب ابرهيم صاحب حمص والناصر داود صاحب الكرك وكاتب الافرنج يوعدهم بجزء من بلاد المسلمين حتى ينجدوه ضد عمه . وفي هذه السنة امطرت بدمشق

مطراً عظيماً وجاءت الزيادة الكبرى التي لم يعهد بمثلها فيما تقدم وكانت عظيمة جداً .
وذكروان الماء وصل الى حائط جامع التوبة بالعقيبة . وفي هذه السنة سار السلطان
غياث الدين كيخسرو الى ارمينية في جيش عظيم لم يتجهز مثله في عساكره وعساكر
اليونانيين والافرنج والكرج والارمن والعرب لمحاربة التتر . فالتقى العسكران في نواحي
ارزنكان (هي بلدة من بلاد ارمينية بين بلاد الروم وخلاط قريبة من ارزروم) .
ولما باشر المسلمون ومن معهم من الجيوش النصرانية الحرب هزمتهم التتر وانهزم السلطان
غياث الدين الى مدينة انقوره فتحصن بها . واقام المغول ذلك اليوم في مكانهم ظانين
ان هناك كميناً اذ لم يروا قتالاً يوجب هزيمتهم وهم في تلك الكثرة من الامم المختلفة .
فلما تحققوا الامر انتشروا في بلاد الروم . ونازلوا اولاً مدينة سيواس وملكوها واحرقوا
ماوجدوا بها من الات الحرب وهدموا سورها . ثم قصدوا مدينة قيسارية فقاتل اهلها
اياماً . ثم عجزوا ففتحوها عنوةً ورموا اهلها بالسيف . وابادوا اكابرها واغنياءها وسبوا الذراري
والاولاد وهدموا الاسوار . ثم رجعوا الى بلادهم . وقد هربت اهل تلك البلدان الى
نواحي حلب خوفاً من التتر . ولما نظر السلطان غياث الدين ان ليس له سبيل الى لقاهم
ارسل يطلب منهم الصلح . فصالحوه على مال جزيل وخيل وانسجة . وفيها توفي الامام
المستنصر بالله الخليفة ببغداد وكان عاقلاً عادلا لبيباً كريماً كثير الصدقات بنى المدارس
والمساجد . ومن شدة غرامه بمدرسته المعروفة بالمستنصرية غرس بجانبها بستاناً خاصاً
له وكان ياتي يومياً يتنزه في البستان ويجلس فيه في مكان يشاهد المدرسة ويشاهد
احوالها واحوال الفقهاء ويشرف عليهم ويتفقد احوالهم وكانت وفاته في عشرة خلت
من جمادي الثاني وكانت خلافته نحو ثماني عشرة سنة وقيل ١٧ سنة

الفصل السابع والثلثون

في خلافة المستعصم بالله ابن المستنصر وهو السابع والثلثون من العباسيين واخرهم .

اتفق ارباب الدولة في بغداد بعد توفي المستنصر على تقليد الخلافة لولده عبد الله
يوم مات ابوه ولقب المستعصم بالله وكان صاحب لهو وقصف مشغوفاً بلعب الطيور .
واستولت عليه النساء وكان ضعيف الراي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب عليه لتدبير امور
الدولة وكان اذا نبه على ما ينبغي ان يفعله في امر التتر اما المداراة والدخول في طاعتهم

وتوخي مرضاتهم او تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم علي العراق فكان يقول · انا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي اذا تنازلت لهم عن باقي البلاد ولا ايضاً يهجمون عليّ وانا بها وهي بيتي ودار مقامي · وتغريد هذه الطيور يطربني اكثر من تدبير الممالك ·

وفي هذه السنة كان مقتل الامير نجم الدين واخيه الامير علي اولاد الامير جمال الدين التنوخي بثغر بيروت في مكان يقال له ثغر الجوزات في بلاد كسروان · وهم واولاد جمال الدين حجي ابن ابرهيم ابن بحتر اول من سكنوا قرية اعبيه الغرب من بني التنوخ · وكانوا اولاً قاطنين قرية طردلا حين اتوا من معرة النعمان · وكان الذي قتلهما من تركمان الازواق في بلاد كسروان · وفي اخر هذه السنة سلم الصالح اسماعيل صاحب دمشق طبرية وعسقلان للافرنج ليكونوا نجدة له · فبنى الافرنج قلاعها · واعطاهم ايضاً القدس بما فيها من مدافن الاولياء والمساجد حتى انهم اقاموا الصلاة على الصخرة · وفي هذه السنة كانت وفاة الامير نجم الشهابي وكان كريم الاخلاق رقيق القلب ذا فراسة صادقة وشيخوخة حسنة · ثم تولى بعده ولده الامير عامر وهو اكبر اولاده · وكان ضخم الجسم شديد الهمة سديد الرأي · وفي ايامه انشأ في بلاد وادي التيم العقارات والمزارع

وفي السنة ٦٤٢ هـ = ١٢٤٤ م توجه الخوارزمية الى داخل نهر الفرات ومنها الى غزة · فاستدعى الملك الصالح ايوب صاحب مصر · واجتمعوا بالعساكر المصرية قاصدين دمشق واستنجد الصالح اسماعيل صاحب دمشق بالافرنج وبابرهيم صاحب مصر وبالناصر داود صاحب الكرك والتقى الفريقان بظاهر غزة · وظفر الخوارزمية والمصريون باهل الشام وقتلوا منهم خلقاً كثيراً · واستولى الملك الصالح ايوب على غزة وسواحلها وعلى القدس · وفي هذه السنة اغار التتر على بغداد ولم يتمكنوا من منازلتها · وفيها ارسل السلطان غياث الدين عسكراً عظيماً الى مدينة طرسوس فحاصروها مدة · وضيقوا عليها وكادوا يفتحونها عنوة فاتفق ان مات السلطان غياث الدين في تلك الايام · فلما بلغهم موت السلطان رحلوا عنها خائبين وكان الوقت خريفاً وتواترت على الروميين الامطار فكسبت منهم الارمن مكاسب عظيمة · وكان السلطان غياث الدين مقبلاً على المجون وشرب الشراب غير مرضي الطريقة منغمساً في الشهوات الموبقة تزوج ابنة ملك الكرج فشغفه حبها وهام بها

الى حد ان اراد نقش صورتها على الدراهم · وحكي عنه انه هام بجارية ولم يمكنه الوصول اليها خوفًا من ابيه · فحدث مرة انها ارسلت له شقفة من العنبر وداخلها زرٌّ من الذهب فلم يعلم معنى ذلك ففشى ما عنده الى عبد الرحيم القاضي واخبره بحبه وغرامه بها فكتب اليه شعرًا

اهدت لك العنبر وفي جوفه زرٌّ من التبر رقيق اللحام
فالزر والعنبر معناهما زرها كذا مستترًا في الظلام

فمعنى هذه الهدية هكذا : ان العنبر اسود فالذي يزورها تكون زيارته داخل الليل (وخلف غياث الدين ثلاثة بنين عز الدين وامه رومية ابنة قسيس وركن الدين وامه ايضًا رومية وعلاء الدين وامه الكرجية) · فتولى على السلطنة عز الدين وهو الكبير وخطب له على المنابر وكان المدبر لدولته الامير جلال الدين قرطاي · وكان رجلاً دينًا صائم الدهر كله ممتنع عن اكل اللحم ومباشرة النساء · لم ينم على فراش وانما كان نومه على الصناديق · وكان اصله روميًا وهو من مماليك السلطان علاء الدين · وكان له الحرمة الوافرة عند الخاص والعام لحسن سيرته ·

وفي هذه السنة اجتمعت الافرنج من بلاد الشقيف و بلاد عامل وقصدوا وادي التيم · فلما سمع بهم الامير عامر الشهابي جمع عساكره وفرسان عشيرته ونهض للتقاهم · واستنجد بالامير عبد الله ابن الامير سيف الدين المعني · فجمع اهالي الشوف وسار الى نجدة الامير عامر · والتقى الجمعان في مرج الخيام · وصدمتهم الافرنج ودام القتال ثلاثة ايام وهلك من الفريقين خلقٌ كثيرٌ · وفي اليوم الرابع هجمت عساكر آل معن وآل شهاب على الافرنج فنكسوا اعلامهم وولوا مدبرين · ثم رجع الامير عامر والامير عبد الله الى حاصبيا · و بعد ثلاثة ايام رجع الامير عبد الله الى الشوف · وعظمت بعد ذلك امارة الامير عامر واشتهرت صولته واخذ قطائع في البقاع وانشاء فيها عقارات عديدة

وفي السنة ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م الحت رسل المغول في طلب السلطان عز الدين ليحضر بنفسه في خدمة قاان · فاعتذر محتجًا بمعاداة من يجاوره من ملوك اليونانيين والارمن له · وانه متى فارق بلاده ملكها هؤلاء · وكان يرضي الرسل بالهدايا والاموال · ثم سير اخاه ركن الدين وكان صغيرًا ففوض تدبيره الى بهاء الدين الترجمان وجعله مربيه وارسله صحبته · واستوزر عز الدين لنفسه رجلاً اصفهانيًا صاحب علم وفضل

يلقب بشمس الدين فتمكن من الدولة الى ان تهيئا له التزوج بام السلطان عز الدين فثقل ذلك على الامراء طرا . وفي هذه السنة مرض قاان ولما اشتد مرضه سير رسولا في طلب ولده كيوك فاهرع اليه من غير توقف . فلم يمهله القضاء ليجتمع بالوالد . فاقام بالمكان الذي بلغه فيه وفاة والده . وكانت والدته تورا كينا خاتونًا ذات دهاء عظيم فطنة . فاتفق جميع الاولاد على انها هي تكون المتصرفة بتدبير الممالك لانها ام الاولاد الذين لهم استحقاق في الخانية . وفي هذه السنة زحف المصريون والخوارزميون لاخذ دمشق وشددوا عليها الحصار مدة خمسة اشهر وقاسى اهلها شدة عظيمة لم يعهد بمثلها واحترقت العقبة ومات كثير من القتل والجوع . وكانت سنة غلاء بلغت غرارة [1] الحنطة في دمشق الف وستماية درهم و بيع الخبز كل اوقية [2] بدرهم فضة . ورطل [3] اللحم بتسع دراهم وا كلوا الميتة والجيف وانتنت البلاد من كثرة الموت ثم انهم تسلموا دمشق بالامان . وخرج منها الصالح اسماعيل على ان تكون له بعلبك (فانقلب معه غالب عساكر مصر والخوارزميين الذين استدعاهم الصالح ايوب من بلادهم واجتمع اليهم الناصر داود صاحب الكرك وساروا الى دمشق وحاصروها واذاقوا اهلها شدة عظيمة فلم يشعروا الا وجاءهم الخبر بان الحلبيين ساروا اليهم ومعهم الملك المنصور ابرهيم فرحلت الخوارزمية عن دمشق والتقوا بالحلبيين وصاحب حمص فانكسروا وقتل مقدمهم بركة خان وحمل راسه الى حلب . وجاء الصالح اسماعيل الى حلب مستجيراً بصاحبها الملك الناصر يوسف وحوصرت بعد قليل بعلبك و بها اولاده واخذت . وفي هذه السنة وهب الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق قلعة الشقيف للافرنج لكي يساعدوه عند الحاجة . فانكر عليه ذلك ابن عبد السلام خطيب دمشق وابو عمر ابن الحاجب المالكي فعزلها وحبسها بالقلعة . وفيها قدم رسول التتر الى المظفر غازي صاحب ميا فارقين ومعه فرمان ومضمونه " من رب السما ماسح وجه الارض ملك الشرق والغرب يامر ملوك الارض بالدخول في طاعة القا ان الاعظم . وقد جعلك القا ان حامل سلاحه وامرك ان تخرب اسوار بلادك . وفيها طلع من الشرق شعب شرير يسمى الكرج وسبوا مدينة قورش و بلدان كثيرة و بلغوا مصر ودخلوها . واهلكوا امماً كثيرة لا تعد من النصارى والمسلمين ومن جميع الامم . وخربوا القدس وقتلوا كل من فيها . وحاربوا عساكر

(١) الغرارة = ١٢ كيلاً والكيل = ٦ امداد والمدّ يساوي ١٤ اقة تقريبًا (٢) الاوقية ١/٦ الاوقة او = ٣/٢ ٦٦ درهم (٣) الرطل الشامي = اقتان او ٨٠٠ درهم

الافرنج عند مدينة عسقلان وكسروهم وسبوا منهم سبياً كثيراً وقتلوا عدداً غفيراً . وحصلت منهم رعبة وخوف عظيم في نواحي اليهودية وفلسطين ودمشق وبعلبك وطرابلس وحمص حتى الى انطاكية . وفي السنة التالية صار عوز عظيم في هذه البلدان وثقل الغلاء في الحنطة وحصل سبي وضيق كثير حتى بلغ رطل الخبز ثمانية دراهم واردب الحنطة ست دنانير . وانطلق اناس كثيرون من بلد الى اخرى لاحتياجهم للقوت اليومي ومن شدة الخوف من الكرج لانهم كانوا محيطين بنهر الاردن وواصلين الى حدود انطاكية وكانوا يقتلون كل من وجدوه من النصارى والمسلمين . وكان خوف عظيم في دمشق وغلاء شديد وضيق وجوع لم يسمع بمثله من شهر كانون الى شهر اذار (اي من دسمبر الى مارس) . وبعد هذا حصل وباء شديد (طاعون) مات به كثيرون حتى غلقت ابواب بيوت كثيرة ولم يوجد من يسكنها

وفي السنة ٦٤٤ هـ == ١٣٤٦ م اتفق الخوارزمية مع الملك الصالح اسماعيل والناصر داود صاحب الكرك وقصدوا دمشق . واستنجد الملك الصالح ايوب بعسكر الحلبيين و بالملك المنصور ابرهيم صاحب حمص . واجتمعت العساكر على الخوارزمية فرحلوا عن دمشق والتقى العسكران على نهر القصب وتقاتلوا فانهزمت الخوارزمية هزيمة عظيمة تشتت شملهم وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وحمل راسه الى حلب (قد ذكر هذا الخبر تحت السنة التي قبلها) . وقطع البعض منهم النهر مع مقدمهم كشلوخان الخوارزمي . والبعض تفرقوا بالشام وخدموا وكفى الله الناس شرهم . واما الملك الصالح ايوب ففرح فرحاً عظيماً . وفي ذي القعدة دخل دمشق . وكان يوماً مشهوداً . فاقام بدمشق اياماً وسلمها الى حسام الدين ابن ابي علي الهدباني ليحفظها . ورجع فاخذ بصرة وصرخد والصبيبة و بني سور القدس وتسلم الصلط . ثم رجع الى مصر . واستجار الملك الصالح اسماعيل بالملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب وسار اليه . ثم ان حسام الدين حافظ دمشق نزل الى بعلبك فحاصرها ومسك اولاد الصالح اسماعيل وحملهم الى مصر الى الملك الصالح فاعتقلهم هناك . وفيها ارسل الملك الصالح ايوب عسكراً من مصر لاخذ الكرك . فحاصرها العسكر واخرب كل ضياعها وضعف الناصر داود ضعفاً زائداً ولم يبق له غير الكرك وحدها . وفيها ارسل المعتصم بالله خليفة بغداد مع ابن الجوزي خلع السلطنة الى الملك الصالح نجم الدين ايوب . وهي عمامة سوداء وفرجية مذهبة وثوبان مذهبان وسيف مموّه بالذهب وطوق وترس ذهب وحصان . وكان وقتئذ الغلاء شديداً

بدمشق حتى بيعت غرارة القمح في شهر شوال من هذه السنة بمائة دينار و بيع خبز الشعير اوقيتان ونصف بدرهم · وفيها توفي عبد المحسن ابن حمود الحلبي وكان حسن الخط وله تصانيف كثيرة واشعار حسنة ودفن بدمشق

وفي السنة ٦٤٥ هـ = ١٢٤٧ م ارسل الملك الصالح ايوب العساكر مع فخر الدين وفتح عسقلان وطبرية من الافرنج · وفي هذه السنة توفي الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل صاحب ميا فارقين وخلاط وكان شجاعاً كريماً لطيفاً يكتب خطاً جميلاً و ينشد الاشعار الحسان ومن شعره

اذا ما اردت السعد فيك فكن على الذي في يده السعد متكلا
سلم الى الله امراً انت فاعله فما الى النجم لاقولاً ولا عملا

﴿ ومن اشعاره ايضاً ﴾

اهل العزيزة مافيكم من حاز غير الجود والحيف
افسدتم ديناً فلم تصلحوا يوماً لغير القطع بالسيف

وفي هذه السنة ارسل الملك الناصر يوسف صاحب حلب وحاصر حمص · و بعد شهرين ملكها · وعاوض عنها للملك الاشرف موسى بتل باشر فاضافها الى ما بيده من تدمر والرحبة · يذكر بارونيس انه في هذه السنة ارسل البابا الى ملك مصر يطلب منه الصلح وان لا يتعرض للنصارى القاطنين في مملكته فاجابه الى ذلك وقبل سؤاله ورد عليه كتابٌ هذه صورته" الى راس الملة العيساوية وقاضيها الحبر الاعظم قائد بني الصبغة انه قد وصلني كتابك و به تروم الصلح والسلامة والامان على ابناء ملتك تقبلنا سؤالك وصفحنا عنهم الصفح التام فليكن هذا معلوماً والسلام · وفي هذه السنة دخل ملك التتر في الديانة النصرانية واكثر اهالي مملكته · ثم تجهز الى حرب خليفة بغداد

وفي السنة ٦٤٧ هـ = ١٢٤٩ م قدم الملك الامجد على السلطان بمفاتيح الكرك واعطاه خمسين الف دينار و بلد اسيوط ومايتي فارس · وفي هذه السنة سار ملك فرنسا لويس وهو من اعظم ملوك الافرنج من بلاده الى جزيرة قبرس ومعه نحو خمسين الف مقاتل فشتى في الجزيرة ثم توجه الى عكا وتفرق اصحابه في جميع السواحل · ولما استقروا مدة ساروا الى دمياط وكان قد شحنها الملك الصالح بالالات الحربية الكثيرة والذخائر الوافرة · وجعل فيها بني كنانة من دمياط · وهم مشهورون بالشجاعة · فوصل الافرنج الى بر دمياط الغربي

في صفر . وهرب بنو كنانة من دمياط . واخلاها اهلها فملكتها الافرنج من غير قتال البتة واستولوا على جميع ما فيها . وكان الملك الصالح ابن الملك الكامل صاحب مصر يومئذ بالشام يحاصر مدينة حمص . فلما سمع بما فعله الافرنج في دمياط رحل عن حمص وسار مسرعًا الى الديار المصرية ومرض في الطريق وعند وصوله الى المنصورة عرض له في فخذه غنغرينا آل امرها الى موت العضو المصاب . وكان وصوله للمنصورة لخمس بقين من صفر فمسك بني كنانة وامر بشنقهم وقيل بصلبهم جميعًا وكانوا نحو ستين اميرًا . وقيل ٥٤ لانهم اخلوا دمياط منهزمين بدون حرب . ولما اشتد عليه المرض قطعوا له العضو المصاب ولكنه توفي لاربع عشرة مضت من شعبان وكانت مدة ملكه بالديار المصرية تسع سنين وثمانية اشهر وعشرين يومًا . وكان الملك الصالح عفيفًا طاهر اللسان والذيل جبارًا سفاكًا للدماء اباد الاشرف واخاه العادل وغيرهما ولم يكن له الا ولد واحد هو الملك المعظم تورنشاه وهو مقيم بحصن كيفا . فلما مات الملك الصالح كتم الحجاب موته خوفًا من الافرنج . وكانت زوجته تعلم علامته وتكتب خطًا يشبه خطه ولا ينكر عليه . واخرجوا باسمه امرًا الى العسكر والامراء لكي يحلفوا لابنه من بعده بالملك فحلفوا . ولم يعرف احد بموته وارسلوا يستدعون ابنه من حصن كيفا مع القاضي الاكبر . وكان من مماليك ابيه . فسلك البرية واسرع به الى دمشق فدخلها في اخر رمضان وتبوأ عرش السلطنة واخذ اموال السلطنة وانفقها على الامراء . واقام بدمشق شهرًا . ثم رتب امور الكرك ومن هناك توجه الى المنصورة . وجلس على العرش . واقام مأتم والده . وحمل في تابوته ودفن في تربته . وارتضى به ارباب الدولة واستقر امره في المملكة . وهو التاسع من بني ايوب بالديار المصرية . وكانت في هذه الايام الحروب بين الافرنج والمسلمين على بر المنصورة . فملكها الافرنج وقتلوا منها جمعًا كثيرًا . وقتل من الافرنج اخو الملك .

وفي هذه السنة وقعت الحروب بين صاحب الموصل بدر الدين لولو وبين الملك الناصر صلاح الدين يوسف . فانهزم صاحب الموصل واستولى الحلبيون على اثقاله وخيامه وتسلموا نصيبين . ثم ساروا الى داره وحاصروها ثلاثة اشهر فتسلموها واخربوها . ثم تسلموا قرقيسياء وعادوا الى حلب . وفيها سار عسكر الافرنج الى المنصورة واتفقوا مع المصريين فقتلوا فخر الدين عثمان قائد الجيش وعددًا عظيمًا من العسكر وملكوا المنصورة وانتقل المعظم الى القاهرة . وفي هذه السنة توفيت تورا كينا خاتون ام كيوك خان وتسلم ولدها مباشرة الملك ورضيت به اخوته . ثم رحل كيوك خان الى البلاد الغربية

ولما وصل الى ناحية قستكي و بينها و بين مدينة بيش بالغ خمس مراحل ادركه اجله فمرض ومات في تاسع ربيع الاخر فارسلت زوجته المسماة اغول غانيش رسولاً اعلمت اخاه بذلك وتولت على احكام المملكة لحين تدبير من يقوم مقامه على مملكة المغول ٠

وفي السنة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م حدثت عدة مواقع بين المسلمين والافرنج ٠ وانقطع المدد من دمياط عن الافرنج وهم بالمنصورة ٠ واذلم يبق لهم صبر على المقام قصدوا الرجوع الى دمياط لثلث مضين من شهر محرم ٠ فهجم المسلمون ورائهم واعملوا فيهم السيوف ٠ و يقال ان عدد القتلى من الافرنج بلغ ثلاثين الفاً واسر الملك لويس ومعه جماعة من خواصه واكابر شعبه ٠ وقيل ايضاً في بعض التواريخ انهم مسكوا من الافرنج ماينوف عن مائة الف ٠ ورتب لهم الملك المعظم ترتيباً ان يحمل منهم ثلاثمائة شخص فيقتلوا و يرموا في البحر الى ان افناهم جميعاً (قال ابو الفرج ان المصريين صبروا الى ان عبر الافرنج الخليج المسمى اشمون من النيل وهو بين البرين برّ دمياط و برّ المنصورة وحاربوهم هناك فانهزم الافرنج ٠ ومنعهم الخليج المذكور من ان ينوزوا و ينجوا بارواحهم نغرق منهم خلق كثير) ٠ وفي هذه السنة في اخر شهر محرم بعد هذه الموقعة بثمانية وعشرين يوماً كان مقتل الملك المعظم تورنشاه ابن الملك الصالح ايوب ٠ و به انقرضت الدولة الايوبية من المملكة ٠ وسبب قتله على مارواه ابن الحريري في تاريخه ٠ انه كان على الغالب متخفياً كثير الاحتجاب عن الناس ناقص السياسة ٠ وكان يلقب مماليك ابيه باسماء محتقرة ٠ واهانهم وقدم الارذال الذين قدموا معه من حصن كيفا ٠ واهان الاماثل ٠ ووعد اقضاي ان يوظفه ولم يتم بوعده فحقد عليه وتهدد ام خليل زوجة ابيه وطلب منها مالاً كثيراً فخافت منه وكتبت ضده ٠ ولما كان يوم الاثنين سابع وعشرين محرم جلس على السماط فضربه بعض المماليك البحرية بالسيف فتلقاه بيده فقطع بعض اصابعه وقام فدخل البرج ٠ ثم دخلوا اليه وامروا نفاطاً باحراق البرج وكان البرج من خشب فامتنع فطيروا راسه ٠ ثم امروا اخر فرماه بالنفط ٠ ثم جعل يتوعدهم ٠ وقال بعضهم لبعض اقتلوه والا ابادكم فدخلوا اليه فانهزم الى اعلى البرج فاوقدوا النيران حول البرج ورموه بالنشاب فرمى بنفسه وهرب نحو البحر وهو يقول لااريد ملكاً يامسلمين ردوني الى حصن كيفا ٠ ما فيكم من يجيزني ٠ والعساكر كلها واقفة فما اجابه احد والسهام تتساقط عليه ٠ ثم تعلق بذيل اقضاي فما اجاره ٠ ثم هرب الى النيل ودخل فيه وخاض الى رقبته فدخلوا وراءه وقطعوه ارباً ٠ و بقي على جانب النهر ثلاثة ايام ميتاً منتفخاً وما احد يريد أن

يدفنه حتى شفع فيه رسول الخليفة · فحمل الى ذلك الجانب ودفن فجمع في قتله ثلاثة اشياء السيف والنار والماء · وكان ملكه واحداً وسبعين يوماً · وهو آخر بني ايوب بالديار المصرية · ثم اجتمع الامراء كي يقيموا ام خليل شجرة الدر زوجة الملك الصالح ايوب سلطانة · وقيل انها كانت جارية تركية · وان يعينوا عز الدين ايبك التركماني اتابك (اي مدبر) العسكر · فحلفوا لها وخطبوا لها على المنابر · وضربت السكة باسمها في الديار المصرية · وكانت تعلم على المناشير والتواقيع وغيرها · واستقرت بالسلطنة ثلاثة اشهر · وخلعت على الامراء وانفقت الاموال وزادت في العطاء وكثر الدعاء لها · واظهرت العدل · وكان الامراء القيمرية حافظين دمشق · فكتب الامراء المصريون الى امراء دمشق يخبرونهم بالفتح الذي صار بمصر ويستشيرونهم في اطلاق لويس ملك فرنسا من اسره ام لا · فافتدى ملك فرنسا نفسه منهم بالف الف دينار · فلم يجب الامراء القيمرية الامراء المصريين بل كاتبوا الملك الناصر صلاح الدين ايوب فسار اليهم وملك دمشق · ولما استقر بملكه خلع على الامراء القيمرية واحسن اليهم وكانت عصت عليه بعلبك وعجلون ثم سلمتا جميعهما اليه · واما الملك لويس ملك الافرنج فكان ماسوراً فتوسط الامير حسام الدين في قضيته على ان يسلم دمياط ويقدم الف الف دينار نقداً فدية عن نفسه · فاجابت شجر الدر والامراء الى ذلك فركبوه بغلة وساق حوله الجيش الى باب دمياط وعند وصولهم بدأ المسلمون في التكبير والتهليل · واخلى الافرنج دمياط · ودخلوا المراكب بعد قتل الملك المعظم باربعة ايام وسار الملك لويس الى عكا · وذكر في نسخة قديمة موجودة عند المطران جرجس ابن حبقوق من قرية بشعلة ان في هذا الزمان كان الشعب الماروني في عزه وكان رانك ملك فرنسا (لربما يراد به لويس لما جاء لاخذ مصر واسره المسلمون اشترى ذاته وترك بيته وعسكره في جبل لبنان حتى الان

الباب الرابع

في دولة الاتراك

مع ان دولة التتر لم تنته تماماً ومع تسلطهم على قسم من المملكة الشرقية قامت دولة الاتراك وتسلطت على القسم الاعظم من هذه المملكة وابتدأت احكامهم في مصر واتصلت ولايتهم الى كل الشام ولم يعد للمغول شيء سوى انهم كانوا يغزون المملكة مرة بعد اخرى ولكن لم يطل زمن ملكهم

الفصل الاول

في دولة المعز ايبك التركماني وهو الاول من ملوك الاتراك

اما شجرة الدر فاقامت في السلطنة اربعة اشهر وتزوجت المعز ايبك التركماني الجاشنكير الصالح وجعلته نائبها في السلطنة · واحتجبت عن الناس وخلعت نفسها فاتفقت الامراء على المعز ايبك وملكوه في اواخر شهر ربيع اخر من هذه السنة فركب بالالوية السلطانية وحملت الغاشية بين يديه وصار الاول بين ملوك الترك · وبعد اقامته باربعة ايام اجتمعت الامراء البحرية واتفقوا على اقامة شخص في الملك من بني ايوب تجتمع الكل الى طاعته · فوقع اتفاقهم على مظفر الدين موسى ابن الملك الناصر يوسف ابن الملك مسعود ابن الملك الكامل · وكان متولياً على اليمن ويعرف باقسيس وعمره نحو عشرين سنة فاحضروه وبايعوه ولقبوه بالملك الاشرف وخطبوا له وجعلوا له ايبك التركماني اتابكاً (مدبراً) وذلك لخمسة مضين من جمادي الاولى · وكانت التواقيع والمناشير تخرج على هذه الصورة: رسم بالامر العالي المولى السلطاني الملكي الاشرفي والملكي المعزّي · واما صاحب حلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب فلما بلغه قتل الملك المعظم تورانشاه وسار من حلب ونازل دمشق فكسر اقفال الباب الصغير وباب الجابية ودخل الى دمشق ونهب دارياً لاجل ابن يغمور · وحصل في دمشق ثورة · وكان بدمشق ابن الملك العزيز فذهب من دمشق الى الصبيبة · واخذ الملك الناصر قلعة دمشق وبعلبك وحماة وحمص وصرخد · واخذ العساكر قاصداً الديار المصرية فخرج

من مصر ركن الدين في العساكر المصرية لملتقاه . فالتقى الفريقان في مدينة غزة وكان القتال شديداً بينهما فانكسرت العساكر المصرية وخطب للملك الناصر بقلعة الجبل والقاهرة ومصر وغيرها من اعمال مصر . وانهزم عسكر المصريين الى بلاد الصعيد والشاميون في اثرهم يقصدون الغنيمة . وثبت صاحب دمشق مع نفر قليل . فوجده شرذمة من المصريين الهاربين فحاربوه وهزموه حتى طلب جهة الشام بنفر قليل . وكانت وقعة عجيبة لم يسمع بمثلها ولا اغرب منها . وكان كل واحد منهم ينهب الذي تصل اليه يده . وبعد ما كانت الخطبة للملك الناصر رجعت العساكر المصرية واتفقت كلمة الجميع على مكاتبة الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل ابن الملك الكامل صاحب الكرك والشوبك . وخطبوا له بصالحية مصر يوم الجمعة رابع جمادي الاخر . فلما نظر الملك المعز ايبك هذه الامور امران ينادوا بالقاهرة ومصر بان البلاد للخليفة المستعصم بالله والملك المعز نائبه بها . وذلك يوم السبت خامس جمادي الاخر من هذه السنة . ووقعت الفتنة بين العساكر وجددت الايمان للملك الاشرف بالسلطنة والمعز ايبك اتابكه . ورسخ امر المعز وعظم شانه

وفي السنة ٦٤٩ هـ = ١٢٥١ م رجع الملك الناصر يوسف وجهز العساكر ووصل رسول الخليفة مع الاوامر بالصلح بين الملك الناصر وبين المعز ايبك على ان يكون للمعز الديار المصرية وللملك الناصر غزة والقدس والبلاد الشامية والفراتية ووقع الصلح على ذلك . ولم يفعل المعز ايبك امراً من الامور الا برأي الملك الناصر .

وفي السنة ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م تجدد الاتفاق بين المعز ايبك والملك الناصر بان يكون للمعز الديار المصرية الى نهر الاردن في بلاد الشام وللناصر صاحب دمشق البلاد الشامية ماوراء نهر الاردن الى الفرات . وفي هذه السنة كتب الملك الناصر الى جمال الدين الكبير محيي الدين ابن نجم الدين محمد بن محيي الدين بن كرامة ابن بحتر التنوخي بان يكون متوليًا على هذه القرى . عرمون الغرب وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمتون وقدرون ومرتغون والصباحية وسرحمول وعيناب وعين عنوب والدوير .

وفي هذه السنة توجهت اغول غاغيش وجماعتها في عساكرهم نحو اردومونكا قاان وكان المقدم على جيوشهم سيرامون ونافوا . ولما قربوا اتفق ان رجلاً من اردومونككا من الذين يربون السباع لاولاد الملوك هرب منه اسد فخرج في طلبه في الجبال والصحاري . فاجتاز بطرف من عسكر سيرامون ولقي صبياً منهم قد انكسرت عجلته وهو جالس عندها .

فلما رأى مربي السباع المذكور مجتازاً استدعاه ليستعين به على ترميم عجلته فاجابه مربي السباع الى ذلك ونزل عن فرسه واخذ يصلح معه العجلة فوقع بصره على اسلحة مستورة في باطن العجلة فسأل الغلام عنها · فقال له ما اغفلك كانك لست منا كيف لم تعرف ان كل العجل التي معنا كهذه مشحونة بالات الحرب · فلما تحقق ذلك ترك طلب الاسد الابق وسار مسيرة ثلاثة ايام في يوم واحد عائداً الى اصحابه واعلمهم بما رأى وسمع · فامر مونككا قاان ان يمضي اليهم منكسار في الفي فارس و يستكشف حالهم فمضى وذكر لهم مانقل عنهم فلم يملكوا انفسهم وداخلهم الرعب ولم يسعهم الا التسليم لما يقضي عليهم · ولما حضر منهم الكبير والصغير ووقع السؤال وثبتت الجريمة عليهم جوزوا بما استوجبوا من الهلاك وتقسيم عساكرهم على الاولاد والامراء · ولما فرغ مونككا قاان من امر المخالفين شرع في ترتيب العساكر وضبط الممالك · فاقطع بلاد الخطا من حد الميري الى سايكاي وتنكوت وتيبت لقبلاي اغول اخيه · والبلاد الغربية لهولاكو اخيه الاخر · وولى على البلاد الشرقية من شاطئ جيحون الى منتهى بلاد الخطا الصاحب المعظم يلواج وولده مسعود بيك · وعلى ممالك خراسان ومازندران · وهندستان والعراق وفارس وكرمان ولوروران واذربيجان وكرجستان والموصل والشام الامير ارغون آغا · وامر ان المتموّل الكبير ببلاد الخطا يؤدي في السنة خمسة عشر ديناراً والفقير واحداً · و ببلاد خراسان يزن المتمول في السنة عشرة دنانير · والفقير ديناراً واحداً · ومن مراعي ذوات الاربع الذي يسمونه قوبجور يؤخذ من كل من له مائة راس من جنس واحد راس واحد · ومن ليس له مائة لايوخذ منه شيء · وعفى العبّاد وارباب الدين من المؤمنين والنصارى والمسلمين من جميع المؤونات والاوزان والتكليفات

وفي السنة ٦٥١ هـ = ١٢٥٣ م توجه هولاكو ايلخان من نواحي قراقورم الى البلاد الغربية وسير معه مونككا قاان الجيوش من كل عشرة اثنين وصحبه اخوه الصغير سنتاي اغول ومن جانب باتوا بلغاي ابن سيقان وقوتار اغول · وقولي في عساكر بواتوا · ومن قبل جغاتاي تكودار اغول بن بوخي اغول · ومن جانب جيجكان ييكي بوقاتيمور في عسكر الاويرات · ومن ناحية الخطا الف بيت من صناع المنجنيقات · واصحاب الحيل في اصلاح الات الحرب فكان امير الترك كيد بوقا الباورجي · وكان القائم مقام هولاكو باردو ومونككا قاان ولده جومغار بسبب ان امه اكبر خواتين هولاكو ابيه واخذ صحبته ابنه الكبير ابافا وابنه الاخر سيمون · ومن الخواتين الكبار دوقوز خاتون ·

المؤمنة المسيحية والجاي خاتون · وفي اخر هذه السنة تواترت السفراء في طلب السلطان عز الدين صاحب الروم ليحضر بنفسه لخدمة مونككا قان . فتجهز وسار حتى وصل الى مدينة سيواس · ولما سمع ان الامراء قد مالوا الى ركن الدين اخيه و يرومون تمليكه عاد مسرعاً الى قونية وارسل اخاه الصغير علاء الدين وكتب معه كتباً يذكر فيها · انني قد سيرت اخي علاء الدين وهو سلطان مثلي وانا لم يمكنني المجيء بسبب ان اتابكي ومدبري جلال الدين قرطاي قد مات وظهر لي اعداء من ناحيـة المغرب فاذا كفيت شرهم جئت المرة الاخرى · فلما سار علاء الدين توفي في الطريق ولم يصل الى الاردو · واراد عز الدين ان يقتل ركن الدين اخاه الاخر و يأمن غائلته ·فاحس الامراء بذلك وهربوه بان البسوه ثياب بعض غلمان الطباخين ووضعوا على راسه خوانجة(صينية)فيها طعام واخرجوه من الدار والقلعة في جماعة من الصبيان قد حملوا طعاماً الى بعض الدور · فلما خرج اركبوه فرساً وساروا به حتى اوصلوه الى قيسارية · فانضم اليه هناك جماعة من الامراء فجيشوا جيشاً وتوجهوا نحو قونية ليحاربوا عز الدين · فخرج اليهم بمن معه من العسكر فكسرهم واسر اخاه ركن الدين واعتقله في القلعة · وفي هذه السنة خلع المعز (الملك ايبك) الملك الاشرف موسى واستقل بالملك وحده · وكان الملك الاشرف من الذين خطب له من بيت ايوب للسلطنة في مصر· ثم ان الملك المعز قبض على اخيه راس الامراء ·وقتله فهرب سيف الدين الرشيدي وركن الدين وسار الى الملك الناصر صاحب دمشق · فقوى عزمه وجهز العساكر لاخذ مصر· فخرج الملك المعز الى لقاه الى غزة فتقرر الصلح بينهما بان تكون بلاد الشام للملك الناصر وديار مصر للملك المعز · والحد بينهما بير القاضي وهو بين الوارادية و بين العريش · وحصل ايضاً الصلح بين الناصر و بين الافرنج الذين بعكا لمدة عشر سنين · وفي هذه السنة كانت وفاة الامير عبد الله المعني وقام على امارة الشوف ولده الامير علي · فتزوج ابنة الامير عامر الشهابي وزفت اليه من حاصبيا الى قرية بعقلين

وفي السنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م انتهى تاريخ الشيخ شمس الدين يوسف المسمى مرآة الزمان وتوفي مؤلفه شمس الدين بدمشق · وفيها في ليلة الجمعة اول رمضان احترق في مكة المسجد وسقطت سقوفه جميعها والاعمـدة واحترق سقف الحجرة وذاب الرصاص وذلك قبل ان تنام الناس · وفي ليلة من جمادي الاخر خسف القمر وكان شديد الحمرة · وكسفت الشمس وقت طلوعها

وغروبها • وفي هذه السنة اقبل رسول هولاكو الى حد قصران وكان كيذبوقا قد سبق ففتح قلعة شاهديز وثلثا اخر من قلاعهم • ولما وصل الايلخان الى عباساباذ ارسل السلطان الى ركن الدين ليحضر الى خدمته فاجاب انه عاجز وسير عوضه الى العبودية صبيا عمره سبع اوثماني سنين وذكر انه ولده • فلم يخف ذلك على هولاكو ولكنه اكرم الصبي وارجعه الى مكانه بامان • وبعد وصول هذا الابن المزور الى ركن الدين سير اخاه شيرانشاه في ثلثماية رجل على سبيل الخدمة • فسير هولاكو الثلثماية الى جمالاباذ من بلد قزوين واعاد اخاه حاملا رسالة اليه • وهي انه الى الخمسة ايام ان لم يصل بنفسه الى الخدمة يحكم قلعته و يستعد للحرب • فارسل رسولا يقول انه لايتجاسر على الخروج خوفا من حشمه الذين معه داخل القلعة لئلا يثبوا عليه فاذا وجد فرصة جاء • فعرف هولاكو انها مماطلة فرحل من بيشكام ونزل على القلعة المحاذية لميعرن دره • فلما عاين ركن الدين نزول هولاكو بالقرب منه سير رسولا يقول ان سبب مماطلتي انني ما كنت محققا وصولك المبارك • والان انا نازل اليوم اوغدا • فلما عزم على الخروج ثاوره العلاة من الملاحدة ووثب الندائيون ولم يمكنوه من الخروج • فارسل الى هولاكو واعلمه بما هم عليه من التمرد • فامره ان يداريهم محافظا على نفسه منهم وكيف ما كان يحتال للنزول ولو متنكرا • ونقدم الى الامراء ليحيطوا بالقلعة و ينصبوا المنجنيقات و يقاتل كل منهم من يقاتله من الاسماعيلية • ولما اشتغل الملاحدة بقتال المغول نزل ركن الدين ومعه ولده وخواصه الى خدمة هولاكو • واظهر الخجل والندامة معترفا بما اقترفه في الايام الماضية من الجرائم والاثام • فشملته الطاف عواطف الايلخان و بدل ما عند ركن الدين من الاستيحاش والاستنفار بالاستئناس والاستبشار • ولما تحقق من بالقلعة ماذال صاحبهم من الطمأنينة والكرامة سلموا القلعة ونزلوا منها • فحاول المغول هدمها وفتحوا ايضا جميع القلاع التي في ذلك الوادي • وفي تلك الايام وصل شمس الدين متولي قلاع قهستان واخذ يرليغا • وسار معه اصحاب ركن الدين ليخرب جميع القلع التي هناك وهي تزيد على خمسين حصنا حصينا وتسلموها وفتحوها الا قلعتين منها وهدموها جميعا • ووصل اكابر الديلم وصالحوا المغول على تخريب قلاعهم • ثم عاد هولاكو الى الاردو بناحية همذان وسير ركن الدين واولاده الى قزوين

وفي السنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م التمس ركن الدين خورشاه من هولاكو ان يسيره الى عبودية مونككا قاان • فاعجبه ذلك وارسله ومعه تسعة اشخاص من اصحابه صحبة

السفراء . فلما وصلوا الى مدينة بخارا خاصم السفراء وتسافه عليهم فحقدوا عليه . ولما وصلوا الى قراقورم لم يؤذن لركن الدين ان يحضر و برزله امر مونككا القائل ان يجب عليك العود الى بلدك والتقدم الى نوابك ليسلموا قلعتي كرذكوه وكشير فاذا سلموهما واخر بتهما تحضر مرة اخرى ويكون لك الاكرام والقبول . فنكص ركن الدين بهذه الرجاء على عقبه . وفي الطريق أُهلك مع من كان معه من اصحابه . ووصل برليغ مونككا قاان الى هولاكو ليقتل الملاحدة باسرهم ولا يبقي منهم اثر فارسل قراقاي اليتكجي الى قزوين وقتل بني ركن الدين و بناته واخوته واخواته مع جميع عساكر الملاحدة . واوتكوحنانوين (يروى ايكوجيا و يروى يوحنا) ايضاً اخرج من رعايا الاسماعيلية بحجة ضيق المكان اثني عشر الف رجل وقتلهم كلهم واخلى الارض من كل من الحد في دينه . وفي هذه السنة كان مقتل المعز ايبك ابن عبد الله التركماني في ١٢ ربيع الاول وسبب ذلك انه كان قد عزم ان يتزوج بنت بدر الدين لولوصاحب الموصل . فلما بلغ ذلك زوجته شجرة الدر قصدت قتله فدخل الى حمام الدار ليغتسل فوثب عليه الخدام والقوه على الارض وخنقوه عشية الثلاثا وكانت مدة ملكه سبع سنين الا ثلاثة وثلاثين يوماً .

الفصل الثاني

في ملك نور الدين علي الملقب بالمنصور وهو الثاني من ملوك الترك

واتفقت الكلمة على اقامة ابنه نور الدين علي فلقبوه بالملك المنصور وهو الثاني من ملوك الترك في الديار المصرية . وخطب بمصر والقاهرة اولاً للخليفة المعتصم و بعده للملك المنصور نور الدين . و بعدهما لاتابكه علم الدين سنجر الحلبي . وامر الملك المنصور ان يصلبوا الخدام الذين قتلوا اباه وهم احياء . وفي ٢١ ربيع الاخر وجدت شجر الدر مقتولة مسلوبة خارج القلعة قتلها مماليك المعز

وفي السنة ٦٥٧ هـ = ١٢٥٨ م ارسل السلطان عز الدين [1] رسولاً لخدمة هولاكو شاكياً على بايجونوين انه ازاحه عن ملكه . فامر هولاكو ان تنقسم المملكة بينه و بين اخيه ركن الدين فظهر عز الدين واتى الى قونية . ومضى ركن الدين مع بايجونوين

(١) هذه الحوادث جميعها ذكرها ابو الفرج بالحرف الواحد تحت سنة ٦٥٥ هـ وليس هذه السنة

الى مخيمه . ولخوف عز الدين من بايجونو ين وجه مملوكه الى نواحي ملطية ليستخدم له
عسكرًا من الاكراد والتركمان والعرب . فعاد وصحبته شرف الدين احمد ابن بلاس
من بلد الهكار وشرف الدين محمد بن الشيخ عدي من بلد الموصل بعساكرهما فاقطع ابن
بلاس ملطية وابن الشيخ عدي خرت برت . اما ابن بلاس فلم يقبله اهل ملطية لانهم
كانوا حانقين على ركن الدين . فكان يضطهدهم ويجور عليهم فما احتملوه وآل امرهم معه الى
انهم وثبوا على اصحابه وقتلوا منهم نحو ٣٠٠ رجل. وهرب هو مع من تبعه من اصحابه واجتازوا
ببلد قلوذيا واحرقوا ديرماذيق وعبروا الى آمد. وهناك ادركهم صاحب ميافارقين وقتل
ابن بلاس واسر اصحابه . واما ابن الشيخ عدي فرحل من خرتبرت ليتصل بالسلطان
عز الدين فادركه انكورك نو ين وقتله ومن معه . ثم ولى السلطان عز الدين على ملطية
رجلاً بطلاً شجاعًا يقال له علي بهادر فقبله اهل ملطية خوفًا من صرامته . وعلي هذا
حارب الاعجزية وهم قوم مفسدون من التركمان كانوا يغيرون على البلاد و يقتلون اهلها
و يسبون الذراري . فاسر مقدمهم المسمى جوتي بك وسجنه بقلعة المستشار وهزم جيوشهم
فامن الناس شرهم . وحضر بايجونو ين في عساكره وصاروا يقاتلون متسلمي القلاع ليسلموها
الى ركن الدين . ونزلوا على مدينة ابلستين وقتلوا من اهلها نحو ستة الاف راجل . واسروا
النساء والبنين والبنات . وجاؤُوا الى ملطية فهرب علي بهادر الى كاخته وخرج اهل ملطية
الى خدمته بانواع الهدايا والتحف . ولما خرج بايجونو ين من حدود الروم طالبًا العراق عاد
علي بهادر الى ملطية فاغلق اهلها الابواب ولم يمكنوه من الدخول خوفًا من بايجونو ين
فحاصرها اياماً واشتد الغلاء بها . و بلغ المكوك من الملح اربعين درهماً ومكوك الحنطة
سبعين درهماً . فضجر الناس وضاقت بهم الحيلة ففتح العامة الابواب ودخلها علي بهادر
واصحابه التركمانيون عنوة وصعد وقبض على اكثر اهالي المدينة وسجن اياز مملوك
السلطان ركن الدين . واركب شهاب الدين على بهيم حقير وطوفه بملطية ثم قتله . وشد
حبلاً في رقبة المعين الايكد بشاسي والطرف الاخر في رقبة كلب ومشاه بالاسواق ثم
ضرب عنقه . وقتل ايضاً الامراء الثلثة اولاد شهاب الدين ايسوا . واشتد الخوف
والجوع بملطية حتى اكل الناس الكلاب والسنانير وكانوا ينقعون النعال اليابسة و ياكلونها .
وحكى الرواة لهذا التاريخ ان جماعة دخلوا بيتًا فوجدوا جماعة فيه وقدامهم ميت و بايديهم
السكاكين وهم يقطعون من لحمه و يشوونه على النار . وقيل ان امرأة اكلت ابنها الاصغر
وزعمت انها لم تقتله لكنه مات فرأت انها احق به من الديدان

الفصل الثالث

﴿ في ملك سيف الدين الملقب بالمظفر وهو الثالث من ملوك الترك

وفي هذه السنة قبض سيف الدين قطز الذي كان سابقاً مملوك الملك المعز ايبك على ابن استاذه الملك المنصور نور الدين علي وخلعه من السلطنة واستقرهو بالديار المصرية وتلقب بالملك المظفر وهو الثالث من ملوك الترك · وفيها ارسل الناصر يوسف ملك دمشق الى مصر يستنجد بالملك المنصور على التتر الذين كانوا قاصدين بلاد الشام · واتفق حينئذ ان الملك المظفر كان خلع الملك المنصور وجلس مكانه فعند وصول الرسول اجابه الملك المظفر قطز انه ينجده ولا يقعد عن نصرته · وفي هذه السنة قدم هولاكو الى شرقي الفرات فملك حران و بلاد الجزيرة وارسل ابنه اشموط الى الشام · وفي العشر الاخير وصل الى ظاهر حلب · وكان الحاكم في حلب الملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين يوسف عن ابن اخيه الملك الناصر فارسل هولاكو اليهم قائلاً انكم اضعف منا كثيراً ونحن قصدنا سلطانكم الملك الناصر فاجعلوا لنا عندكم شحنة بالقلعة واخرى بالبلد فان انتصر سلطانكم فاقتلوا الشحنتين وإن انتصرنا فحلب والشام تكون لنا · فابى توران شاه قبول ذلك · وخرج عسكر حلب وعسكر مصر للقتال عند بانقوسا · فاندفع بعض من التتر قدامهم والبعض كمنوا لهم حتى خرج العسكر من البلد ثم هجموا عليهم فهربوا طالبين المدينة والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد · وقتل في الابواب من المنهزمين جماعة · ثم عاد التتر الى غراز وملكوها بالامان · فلما بلغ ذلك الملك الناصر خرج من دمشق الى برزه فاجتمع اليه الملك المنصور صاحب حماه وامم كثيرة من العساكر · وعندما هموا بالركوب قصد بعض المماليك قتل الملك الناصر ليملكوا عوضه اخاه الملك الظاهر غازي لشهامته · بسبب ذلك كثر الفزع بينهم وانقلة الاتفاق ملك هولاكو البيرة · ووجد فيها الملك سعيد ابن عزيز ابن العادل معتقلاً قد اعتقله الناصر مدة تسع سنين · فاخرجه هولاكو من السجن واحسن اليه ووعده ببانياس وقلعتها المعروفة بالصبيبة · وجميع البلاد التي كانت له ولابيه في الشام · وفي هذه السنة مرض ثاودورس ملك مدينة نيقية ولما اشتد مرضه احضر البطريق ميخائيل الذي كان في خدمته واوصاه سن الرشد · ان يكون متولياً تدبير المملكة الى ان يبلغ ولده سن الرشد لانه

كان صغيراً . ولما مات الملك ثاودورس تولى محافظة المملكة ميخائيل في مدينة نيقية . وخطب له في المملكة واطاعته الرعية . ولم يكن له اهتمام الا بتخليص القسطنطينية من ايدي الافرنج . وسار اليها فلم يقدر على اخذها حتى وقع الاختلاف بين البنادقة والجنويين بمدينة عكا . فسار البنادقة جميعهم عن القسطنطينية الى عكا لنصرة اصحابهم . فارسل كتاب عن لسان بعض المتوليين على القلع الى بلدوين صاحب القسطنطينية يقول له فيه . ان ميخائيل هذا قد تغلب على مملكة الروم وهو غير اهل لها . وانت اولى بهذه القلعة . فانا اسلمك اياها . ولكن لا بد ان ترسل العسكر والات الحصار ليكون لي الاعتذار . فاغتر بلدوين الافرنجي والي القسطنطينية وارسل ماعنده من العسكر الى القلعة . فنازلوها واشتغلوا بحصارها . فحينئذ دخل ميخائيل بعسكره خليج القسطنطينية وهي خالية من رجال الحرب وليس فيها غير العامة ففتحوا له الابواب . فدخل وملكها وامن صاحبها الذي من قبل الافرنج وسيره الى بلاده بماله وعياله . وكانت مدة استيلاء الافرنج على القسطنطينية ثلاث وخمسين سنة ثم عادت الى الروم . ذكر الحريري[1] في تاريخه ان في هذه السنة في شهر شوال رحل هولاكو عن حدود همذان نحو مدينة بغداد . وكان في ايام محاصرته قلاع الملاحدة قد سير رسولاً الى الخليفة المستعصم يطلب منه نجدة . فاراد ان يسير ولم يقدر اذ لم يمكنه الوزراء والامراء من ذلك . وقال له ان هولاكو رجال صاحب احتيال وخديعة وليس محتاجاً الى نجدتنا . وانما غرضه اخلاء بغداد من الرجال فيملكها بسهولة . فتقاعدوا عن نجدته . ولما فتح هولاكو تلك القلاع ارسل رسولاً اخر الى الخليفة وعاتبه على اهماله بتسيير النجدة . فشاوروا الوزير فيما يجب ان يفعلوه . فقال لاوجه غير ارضاء هذا الملك الجبار ببذل الاموال والهدايا والتحف له ولخواصه . وعندما اخذوا في تجهيز ما يسيرونه من الجواهر والمرصعات والثياب والذهب والفضة والمماليك والجواري والخيل والبغال والجمال قال الدويدار الصغير واصحابه « ان الوزير انما يدبر شان نفسه مع التتر وهو يروم تسليمنا اليهم فلا نمكنه من ذلك» . فعدل الخليفة بهذا السبب عن تنفيذ الهدايا الكثيرة واقتصر على نزر قليل منها لاقيمة له . فغضب هولاكو وقال لابد من مجيئه هو بنفسه او يسير احد ثلاثة اشخاص . اما الوزير واما الدويدار . واما سليمان شاه . فتقدم الخليفة اليهم امراً بالمضي فلم يركنوا الى قوله فسير غيرهم مثل ابن الجوزي وابن محيي الدين فلم يجديا نفعاً عنه . وامر هولاكو

(١) ان من ذكر هذا ابو الفرج حرفياً . وربما ذكره الحريري ايضاً

بايجونوين وسونجاق نوين بان يتوجها في مقدمته ويهجما على عسكر الدويدار ·
فاقتتلوا قتالاً شديداً وكسروا عسكر الدويدار وقتلوا اكثر عسكره · ونجا هو في نفر
قليل من اصحابه ودخل بغداد · ثم نزل هولاكو بنفسه على باب بغداد · وفي
يوم وليلة بنى المغول بالجانب الشرقي سوراً عالياً · وبنى بوقاتيمور وسونجاق نوين
و بايجونوين بالجانب الغربي كذلك · وحفروا خندقاً عميقاً داخل السور ونصبوا
المنجنيقات بازاء السور · ورتبوا العرادات والات النفط · فلما عاين الخليفة العجز
في نفسه والخذلان من اصحابه ارسل صاحب ديوانه وابن درنوش الى خدمة
هولاكو ومعه تحف قليلة · وقال لهولاكو انت طلبت احد الثلاثة وها انا سيرت اليك
الوزير وهوا كبرهم · فاجاب هولاكو انني لما كنت مقيماً بنواحي همذان طلبت احد
الثلثة · والان لا اقنع بواحد بل اروم حضور الثلثة · وامر العساكر بالقتال · وامر
هولاكوا البتيكجية ليكتبوا على السهام بالعربية ان الاركوانية والعلويين والدانشمدية
و بالجملة كل من لا يقاتل فهو آمن على نفسه وحريمه وامواله · وكانوا يرمونها الى المدينة ·
واشتد القتال على بغداد من جميع الجوانب الى اليوم السادس والعشرين من محرم ·
ثم ملك المغول الاسوار وكان الابتداء من برج العجمي وملكوا الشط · وامر هولاكوان
يخرج اليه الدويدار وسليمانشاه · واما الخليفة فان اختار الخروج فليخرج والا فليلزم
مكانه · فخرج الدويدار وسليمانشاه ومعهم جماعة من الاكابر · ولما راى الخليفة
ان لابد من خروجه اراد ام لم يرد استاذن هولاكو بان يحضر بين يديه فاذن له ·
وخرج رابع صفر ومعه اولاده واهله · وتقدم هولاكو وشرعت عساكر المغول في نهب
بغداد · ودخل بنفسه الى دار الخليفة وامر باحضاره فاحضروه بين يديه وقدم الخليفة
لهولاكو جواهر نفيسة ولآلئ ودرراً في اطباق ففرقها هولاكو جميعها على امراء المغول ·
وعند المساء خرج الى منزله و بقي النهب سبعة ايام · ثم رفعوا السيف وابطلوا السبي ·
ورحل هولاكو عن بغداد آخذا معه المعتصم واولاده · وفي اول مرحلة قتل الخليفة
المعتصم واولاده وجماعة من خواصه (وكانت مدة خلافته نحو ست عشرة سنة وهو
اخر الخلفاء العباسيين وكانت مدة ملكهم خمساية واربعاً وعشرين سنة · وعدة خلفائهم
سبعة وثلاثون خليفة · وفوض هولاكو عمل بغداد الى صاحب الديوان والوزير وابن
درنوش · وارسل بوقاتيمور الى الحلة ليمتحن اهلها هل هم على الطاعة ام لا · فتوجه
نحوها ورحل عنها الى مدينة واسط وقتل فيها خلقاً كثيراً وعاد الى هولاكو

في دولة المغول او التتر

فصل

﴿ في حكم هولاكو ابن تولي خان وهو الاول من ملوك المغول في بلاد المسلمين ﴾

(اعلم ان اكثر المورخين حسبوا هولاكو الملك الاول من ملوك المغول ولكن من براجع التاريخ بمدقة يعلم ان هولاكو لم يكن مستقلاً بالملك بل كان تحت رئاسة اخيه مونككا الخان الاعظم الذي بعثه مع قسم من الجيوش لفتح البلاد التي غربي الفرات والدليل على ذلك انه لم يكن يضرب اسمه على السكة بل اسم الخان الكبير . وارغون خان هو اول من ابتدأ ان يضرب السكة باسمه مع اسم الخان العظيم والذي جعل ابو الفرج وغيره من المورخين ان يحسبوا هولاكو الملك الاول وراس دولة المغول انما هو لانه اول من ملك على بلاد المسلمين منهم بعد فتح بغداد وزوال الدولة العباسية)

وفي السنة ٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ م ذكر ابو الفرج في تاريخه ان في هذه السنة انتقلت الدولة من الخلفاء العباسيين الى ملوك المغول اي التتر . ولما ملك هولاكو بغداد ورتب بها الشحنة والولاة انفذ بدر الدين لولو صاحب الموصل اليه ابنه الملك الصالح اسماعيل ومعه جماعة من عسكره نجدة له . فاظهر له هولاكو عبسة وقال . انتم بعد في شك من امرنا . ومطلتم يوماً بعد يوم . وقدمتم رجلاً واخرتم اخرى لتنظروا من الظافر بصاحبه . فلو انتصر الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم اليه لا الينا . قل لابيك لقد تعجبنا منك تعجباً كيف ذهب عنك الصواب وعدل بك ذهنك عن سواء السبيل . واتخذت اليقين ظناً وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح . فلما عاد الصالح الى الموصل . و بلغ اباه ماحمل من الرسالة الزاجرة ايقن بدر الدين ان المنايا قد كشرت له عن انيابها . وذلت نفسه وهلع هلعاً شديداً . وكاد يخسف بدره و يكسف نوره . فانتبه من غفلته واخرج جميع مافي خزائنه من الاموال واللالي والجواهر والمحرمات من الثياب . وصادر ذوي الثروة من رعاياه . واخذ حتى حلي حظياته . والدرر من افراط اولاده وسار الى طاعة هولاكو بجبال همذان . فاحسن هولاكو قبوله واحترمه لكبر سنه ورق له وجبر قلبه بالمواعيد الجميلة . وامنه وداعبه وقدمه الى ان اصعده اليه على العرش . واذن له

ان يضع في اذنيه قرطين كانتا معه فيهما درتان يتيمتان . واقام في خدمته اياماً ثم عاد الى الموصل مسروراً مبروراً بل مذعوراً مما شاهد من عظمة هولاكو وهيبته ودهائه .
وفيها توجه الاشرف بن الملك الغازي ابن الملك العادل صاحب ميافارقين الى الملك الناصر صاحب حلب يطلب منه نجدة ليمنع المغول من الدخول الى الشام فاستخف برايه ولم يسمع مشورته بل سوّفه وسرحه من غده بالامان . ولما وصل الى ميافارقين مدينته طرد شحنة المغول منها وطلب رجلاً قسيساً كان قد وصل اليه من خدمة قاان باليراليغ والبويز او (البوايز) و بينا هو كذلك ادركته عساكر المغول واحاطت بمدينته . وفي راس العسكر يشموت و يروى (بشموت) ابن هولاكو . وفي يوم وليلة بنى المغول حول مدينته سوراً وحفروا خندقاً عميقاً . ثم نصبوا عليها المنجنيقات وابتداوا بالقتال وقاتلوا قتالاشديداً من الجانبين . ولما رأى المغول انه لايمكنهم اخذ المدينة بالقتال ابطلوه وحاصروها ومنعوا الناس من الدخول اليها والخروج منها . ثم ارسل هولاكو سفراء الى الملك الناصر صاحب حلب برسالة يقول فيها . ليعلم الملك الناصر اننا نزلنا بغداد في سنة ٦٥٦ ه و يروى ٦٥٧ او ٦٥٥ وفتحناها بسيف الله تعالى . واحضرنا مالكها وسالناه مسئلتين فلم يجب سؤالنا . فلذلك استوجب منا العذاب كما قيل في قرآنكم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما في انفسهم وصان المال . فآل الدهر به الى ما آل . واستبدل النفوس النفيسة . بنقوش معدنية خسيسة . وكان ذلك ظاهر قوله تعالى وجدوا ما عملوا حاضراً . لاننا قد بلغناه بقوة الله والارادة . ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة . ولا شك انا جند الله في ارضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه فليكن لكم في ما مضى معتبر . وبما ذكرناه وقلناه مزدجر . فالحصون بين ايدينا لاتمنع . والعساكر للقائنا لاتضر ولا تنفع . ودعاؤكم علينا لايستجاب ولا يسمع . فاتعظوا بغيركم . وسلموا الينا اموركم قبل ان ينكشف الغطاء . ويحل عليكم الخطاء . فنحن لانرحم من شكا . ولا نرق لمن بكى . قد اخربنا البلاد . وافنينا العباد . وايتمنا الاولاد . وتركنا في الارض الفساد . فعليكم بالهرب . وعلينا بالطلب . فما لكم من سيوفنا خلاص . ولا من سهامنا مناص . فخيولنا سوابق . وسهامنا خوارق . وسيوفنا صواعق . وعقولنا كالجبال . وعددنا كالرمال . فمن طلب منا الامان سلم . ومن طلب الحرب ندم . فان انتم اطعتم امرنا وقبلتم شرطنا كان لكم ما لنا . وعليكم ما علينا وان انتم خالفتم امرنا و في غيكم تماديتم فلا تلومونا ولوموا انفسكم . فالله عليكم ياظالمين . فهيئوا للبلايا جلباباً وللرزايا اترابا . فقد

اعذر من انذر . وانصف من حذر . لانكم اكلتم الحرام . وخنتم الايمان . واظهرتم البدع . واستحسنتم الفسق بالصبيان . فابشروا بالذل والهوان . فاليوم تجدون ما كنتم تعملون . وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . فقد ثبت عندكم اننا كفرة . وثبت عندنا انكم فجرة . وسلطنا عليكم من بيده الامور مقدرة . والاحكام مدبرة . فعزيزكم عندنا حقير . وغنيكم لدينا فقير . ونحن مالكون الارض شرقاً وغرباً . واصحاب الاموال سلباً ونهباً . واخذنا كل سفينه غصباً . فميزوا بعقولكم طرق الصواب قبل ان تضرم الكفرة نارها . وترمي بشرارها . فلا تبقي منكم باقية . وتبقى الارض منكم خالية . فقد ايقظناكم . حين راسلناكم . فسارعوا الينا برد الجواب بتة . قبل ان ياتيكم العذاب بغتة . وانتم تعلمون . وطلبه ليحضر اليه . ولما شاور الملك الناصر الامراء لم يمكنوه من المشي الى هولاكو وبقي متحيراً خائفاً مذعوراً لم يدر ماذا يصنع . غير انه استخار الله وسير ولده الملك العزيز وصحبته الاموال الكثيرة والهدايا والتحف . وبقي هناك من اوائل الشتاء الى الربيع . ثم عاد الى ابيه قائلاً . قد قال ملك الارض نحن للملك الناصر طلبنا . لا لولده . فالان ان كان قلبه صحيحاً معنا يجيء الينا . والا فنحن نمشي اليه . فلما سمع الملك الناصر ذلك بقي متردداً في رأيه لان الامراء لم يمكنوه من المشي اليه وهو قد وقع عنده الخوف والجزع ولم يطمئن على القعود . ثم سير هولاكو في طلب سلطان الروم عز الدين واخاه ركن الدين . فاطاعاه ومشيا اليه واحسن قبولهما . والتقاهما مرحباً بهما فرحاناً . وقدم اليهما بان عز الدين يتملك على قيسارية الى تخوم ارمينية الكبرى . وركن الدين يتملك من اقسرا الى ساحل البحر الى حدود الافرنج . ثم انه بعد ذلك توجه الى الشام . وتوجها في خدمته الى قرب الفرات وعادا الى بلادهما مسرورين مغبوطين .

وفي هذه السنة توفي السلطان الملك الرحيم بدر الدين ابو الفضائل لولو صاحب الموصل لعشرين يوماً مضت من شهر تموز (يوليو) وتولى ولده الملك الصالح اسماعيل الموصل وولده علاء الدين سنجار وولده سيف الدين الجزيرة

وفيها دخل هولاكو ايلخان الشام ومعه من العساكر اربعماية الف ونزل بنفسه على حران وتسلمها بالامان . وكذلك الرها ولم يدن لاحد فيها بسوء . واما اهل سروج فانهم اهملوا امر المغول فقتلوا عن اقصاهم . وتقدم هولاكو ونصب جسراً على الفرات قريباً من مدينة ملطية . واخر عند قلعة الروم واخر عند قرقيسياء . وعبرت العساكر بجملتها وقتلوا عند منبج مقتلة عظيمة . ثم تفرقت العساكر على القلاع والمدن . ونفر قليل من

العسكر طالب حلب فخرج اليهم الملك المعظم ابن صلاح الدين الكبير فالتقاهم وانكسر قدام المغول ودخل المدينة منهزماً . وفريق منهم وصل الى المعرة وخربوها . وتسلموا حماة بالامان وحمص ايضاً . فلما بلغ ذلك الملك الناصر اخذ اولاده ونساءه وجميع مايعز عليه وتوجه منهزماً الى برية الكرك والشوبك . وعندما وصلت المغول الى دمشق خرج اعيانها اليهم وسلموها لهم بالامان . ولم يلحق باحد منهم اذى . واما هولاكو فانه نزل بنفسه على حلب وحاصرها . وفي اليوم الثامن ملكها . وقتل فيها اكثر مما قتل في بغداد . ثم رحل عنها واحاط بقلعة الحارم وطلب ان يسلموها اليه فيؤمنهم على انفسهم فلم يثقوا لقوله وانما طلبوا منه رجلاً مسلماً يحلف لهم بالطلاق وبالمصحف ان لايدنو لاحد منهم بسوء . فسالهم هولاكو من تريدون ان يحلف لكم فاختاروا فخر الدين الوالي بقلعة حلب لانه رجل صادق فتقدم هولاكو اليه وحلف لهم على جميع مايريدون ففتحوا له الابواب وتسلم القلعة . ثم ان هولاكو تقدم وقتل فخر الدين اولاً ثم قتل جميع من كان في القلعة كباراً وصغاراً رجالاً ونساء حتى الطفل الصغير في المهد . ورحل هولاكو من هناك عائداً الى البلاد الشرقية . ورتب في الشام اميراً كبيراً يسمى كتبوغا ومعه عشرة الاف فارس . ولما وصل الى تل باشر وصلت العساكر التي حاصرت ميافارقين ومعهم الاشرف صاحبها فاخذوها وقتلوا كل من فيها . ولم يبق منها الا اشخاص قليلون لانهم هلكوا وماتوا جوعاً وقتل الاشرف صاحبها . وبعد ذلك ندم هولاكو على قتله . ثم انه ولى عليها رجلاً اميراً من امراء الاشرف يسمى عبد الله . ولما وصل هولاكو قرب ماردين سير يطلب صاحبها اليه فابى . ولم ينزل اليه بل سير ولده مظفر الدين لانه كان في خدمة هولاكو هو والملك الصالح ابن السلطان بدر الدين لما كان بالشام . ثم احاط بها هولاكو . وحينئذٍ وقع فيها الوباء ومات السلطان واكثر اهلها فسلم ابنه اليهم القلعة والخزائن والاموال . ولما بلغ ذلك الملك الناصر صاحب دمشق والملك الاشرف صاحب حمص ذلت قلوبهم وكثر خوفهم فارسلوا اولادهم واموالهم الى الديار المصرية . واحتملوا مشقة عظيمة في الطريق من الامطار . ثم ان اكابر دمشق وحماة ارسلوا مفاتيح المدن الى هولاكو الى حلب . فارتضى منهم وارسل نوابه وجماعة من المغول وامرهم ان يحسنوا اليهم ولا يعارضوهم بشيء . واما الذين كانوا في قلعة دمشق فقصدوا الحصار اوحاصرها التتر ورموها بعشرين منجنيقاً على برج الضاهرية فتشقق البرج . وعند ذلك طلبوا الامان فتسلمها المغول . وفي ذلك الوقت ورد

الخبر الى هولاكو ان اخويه قو بلاي وار يغبوكا يتقاتلان فاضطر هولاكو ان يترك بلاد الشام و يسير الى بلاد العجم • وارسل كتبوغا نائباً على الجيش • فملك بعلبك ونابلس وغزة • واخرب التتر قلعة بعلبك وقلعة عجلون واستولوا على سائر بلاد الشام • واما الملك الناصر فكان قد ارسل يطلب نجدةً من صاحب مصر فلم يجبه فهرب من غزة قبل وصول المغول • وسار معه اخوه الضاهر غازي والصالح بن شيركوه لانهما كانا خدماه فاعطاها الامان • وامرهما ان يهدما جميع القلع بيدها واسوار المدن • فلم يهدما منها شيئاً • ثم ان السلطان المظفر جمع العساكر المصرية ومن وصل اليه من البلاد الشامية مع التركمان والشهرزورين وخرج في العساكر لحرب التتر • قال صاحب التاريخ ولما وصل التتر الى الغور (غوربيسان) تقارب الجمعان على عين جالوت من ارض كنعان بالقرب من بيسان واشتد القتال بينهم • فكانت الكسرة على التتر وعمل السيف فيهم • وقتل كتبوغا واستئسر ولده وتشتت العسكر • وكانت هزيمتهم لجهة الشرق • فالتقاهم بيبرس البندقدار وقتل منهم خلقاً لا يعد ولم يصب التتر كسرة اكبر من هــذه منذ خرجوا من الشرق الاقصى لان جيشهم كان يزيد على اربعمائة الف • وكان معهم نحو ثلاثمائة طبال • فلم يسمع لهم صوت في وقت الحرب لعظم صوت الرجال والخيل • وكان هولاكو قد ظفر في الخوارزمية وكيلان وملوك فارس وخراسان وملوك الروم واصبهان والعراقين و بغداد وملوك الجزيرة والموصل وحلب • و بثمانية اشهر استولى على جميع هذه البلدان • ولما عرف هولاكو بكسرة جيشه وقتل كتبوغا ارسل فقبض على الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب وقتله • وكان الملك الناصر ذا كرم وحلم وشجاعة • وكان قد تولى على حلب والشام ثلاثة وعشرين سنة • وزالت بعده دولة الايوبيين من بلاد الشام • وكانت مدة تملكهم في الديار المصرية والشامية اثنين وثلاثين سنة وعدد ملوكهم عشرة اولهم صلاح الدين يوسف • واخرهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف وكان ذلك من الاتفقات العجيبة ان يكون اسم الاخر كاسم الاول كما كان في دولة بني امية اولهم معاوية واخرهم معاوية • وكذلك في بني العاص اولهم مروان واخرهم مروان • ومثله الفاطميون اولهم عبد الله واخرهم عبد الله •

واما الملك المظفر فعندما ظفر بالتتر امر بالقبض على الملك السعيد ابن العزيز صاحب بانياس والصبيبة وضرب عنقه • وكذلك فعل بالملك تورنشاه نائب حلب الذين هو اخر اولاد الملك الناصر فامر بقتله • وقتل كل من التف على التتر • واحسن الى الذين قاتلوهم

مثل الملك الاشرف موسى صاحب حمص فاكرمه وقرر له حمص واعمالها ونائب حماة الملك المنصور انعم عليه وقرر له اعمال حماة وماردين والمعرّة . و بعد ذلك سار الملك المعظم الى دمشق وقتل كل من التفّ على التتر . وقتل من نصارى دمشق جماعة كثيرة فنهبوا دورهم واحرقوا كنائسهم . لانه قيل لهم ان هولا كو كان نصرانياً . ورتب الملك المظفر على دمشق واعمالها نائباً الامير علم الدين الحلبي الصالحي . ووجه الى حلب ابن نائب الموصل . وولى في سائر البلاد الشامية الولاة والنواب . ثم انه رجع الى الديار المصرية . ولما وصل الى الغربي غدر به بيبرس البندقداري وضرب به بالسيف فخلع كتفه . وقضي عليه في سابع ذي الحجة . وكان الملك المظفر رجلاً شجاعاً . وكان محباً للرعايا

الفصل الرابع

في حكم الملك الضاهر بيبرس البندقداري وهو الرابع من ملوك الترك

وتملك بعده بيبرس البندقداري وتلقب بالضاهر وهو الرابع من ملوك الترك في الديار المصرية . واما الامير علم الدين فحينما استنيب على دمشق امر ببناء القلع وما هدمه التتر وجمع اكابر دولة دمشق وحلفهم لنفسه في السلطنة ولقب بالملك المجاهد . وخطب له في دمشق وضربت باسمه السكة وفي هـذه السنة ثارت الفتنة بين البنادقة والجنويين بمدينة عكا

وفي السنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦٠ م ارسل الملك الضاهر عسكر مصر مع علاء الدين البندقداري لقتال سنجر صاحب دمشق . فظهر له سنجر في ثالث عشر صفر فانكسر وهرب الى قلعة بعلبك . فحاصرها عسكر الضاهر وفتحها وقبض عليه ثم بعد مدة اطلقه (وقد نقش الملك الضاهر تاريخ افتتاحه قلعة بعلبك في بناء جديد اضافه اليها فوق هيكل الشمس الشهير فوق السلم اللولبي الشهير ولا تزال موجودة الكتابة للان واضحة هناك وقد قرأتها مراراً) . واناب عنه في تدبير دمشق ايوجين البندقداري الصالحي . وتمت الخطبة للملك الضاهر بدمشق وحماة وحمص وحلب وغيرها . وفي ثامن رجب قدم الى مصر عرب العراق برجال سمر الالوان والمقدم عليهم اسمه احمد . وقد تحقق انه ابن الظافر لدين الله محمد ابن الملك الناصر . وهو عم الملك المستعصم بالله وكان مسجوناً [illegible]

[illegible] بي العباس بعدها [illegible] ثم في [illegible] شعبان [illegible]

بغداد مع جماعة من بني العباس . فلما تملك التتر بغداد اطلقوه فسار الى مصر . وخرج السلطان والقضاة والامراء الى لقاه . والعامة من المسلمين خرجوا ولاقوه بالقرآن والنصارى بالانجيل واليهود بالتوراة . ودخل الى قلعة الجبل وقرأ نسبه . وشهدوا له وبايعوه بالخلافة . وتلقب باسم اخيه المستنصر بالله جعفر المنصور . وكانت العامة تلقبه الزرانيني وهو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس بعد مالبثوا ثلاث سنين ونصف بغير خليفة . ثم في مستهل شعبان قلد الخليفة السلطنة للملك الضاهر وقصد التوجه الى بغداد فسار معه السلطان الى الشام ومن هناك توجه الخليفة ومعه اولاد صاحب الموصل . فاستولى على رحبة وعانة فبايعه اهلها . ولما قرب من بغداد وثب عليه التتر وقتلوه وقتلوا اصحابه ونهبوا جميع مامعهم . وكانت مدة خلافته خمسة اشهر وعشرين يوماً . وفيها دخل المغول الى الشام ورئيس عساكرهم امير يسمى كوكالكي ودخلوا الى قرب حمص ونهبوا وسلبوا وقتلوا خلقاً كثيراً وعادوا الى حلب . وكان قد انهزم جميع اهل القرى الى حلب فامر كوكالكي ان يخرجوا اهل القرى والمدن الى ظاهر البلد و ينعزل اهل كل مدينة وقرية بمعزل بحيث يعدونهم ويسيرون كل قوم الى مكانهم ووطنهم . وتسلمهم المغول كانهم يسيرونهم الى ضياعهم وكانوا عندما يعدونهم يقولون لهم انتم لوكانت قلوبكم معنا صافية لما انهزمتم من قدامنا فقتلوهم عن اقصاهم . ولم يفلت منهم غير اهل حلب لانهم لم ينتقلوا عنها . وعاد المغول وخرجوا من الشام . ثم عاد المصريون وتملكوا الشام . وفي هذه السنة كانت وفاة الامير عامر الشهابي وتولى بعده ولده الامير قرمقاز وهو ابن جارية رومية ولم يخلف الامير عامر ولداً ذكراً غيره

وفي السنة ٦٦٠هـ = ١٢٦٠م قدم الى مصر ابو العباس احمد فاحتفل الملك الظاهر به وانزله بالبرج الكبير داخل القلعة وبويع له بالخلافة وتكنى بالحاكم بامر الله بحضرة السلطان واعيان الناس . وهو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس . وقيل ان المبايعة كانت يوم الخميس تاسع محرم سنة ٦٦١ هـ واقام بمصر مدة حياته وهو الثاني من الخلفاء العباسيين في الديار المصرية والتاسع والثلاثون منهم . وفيها ملك الملك الضاهر البيرة وتسلم الكرك من الملك المغيث واعطاه عوضها خبز مائة فارس بمصر . ثم بعد مدة اعدمه . وفيها قدم بين يدي الملك الظاهر مولود عجيب وهو ميت له راسان واربعة اعين واربعة اياد واربعة ارجل فامر بدفنه . وفيها توفي كمال الدين المعروف بابن القديم الحلبي وله تاريخ مختص بحلب مشهور . وفي اخر هذه السنة هدم الملك الظاهر كنيسة الناصرة وغار على عكا وبلادها وهدم البرج الذي خارج البلد ورجع بغنائم كثيرة . وفيها توّج الملك

الظاهر ولده سعيداً وعمره خمس سنين

وفي السنة ٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م سار الملك الضاهر من الديار المصرية الى جهاد الافرنج بالسواحل فنازل قيسارية الشام (تمييزاً لها عن قيسارية الاناضول وهي الواقعة بين يافا وحيفا) وفتحها وهدمها في تاسع جمادى الاول . وفيها خرج الملك الضاهر بعساكره الى الشام وجهز عسكراً وارسله الى ساحل طرابلس الشام ففتحوا القليعات وعرقا ونزل الملك على صفد وضايقها بالهجوم و بالات الحصار . وكان اكثر القتل والجرح في سكانها المحاصرين من المسلمين ففتحها في تاسع عشر شعبان وقتل اهلها عن اخرهم . وكانت مدة حصار الافرنج بها اربعين يوماً . ثم جرد العساكر الى بلاد الارمن وكان المقدم عليهم الملك المنصور صاحب حماة . فداست العساكر الاسلامية بلاد سيس وعادوا بغنائم كثيرة . ولما هم الملك الضاهر بالرجوع الى مصر مر في طريقه على الكرك فقنطرت (اي عثرت وكبت) به فرسه فانكسر فخذه عند بركة زيرا وصار يعرج . ثم ان الملك امر بنهب قارا واستباحها عسكره وهي بين دمشق وحمص في الجبل الشرقي بقرب النبك ودير عطية لان سكانها كانوا نصارى وكانوا يسرقون المسلمين خفية و يبيعونهم الافرنج فقتل منهم جماعة واخذت صبيانهم مماليك وتربوا بين الاتراك في مصر . وصار منهم اجناد وامراء . وكان عدد المسبيين الف نفس . وفيها وقيل في سنة ٦٦٤ هـ توفي ملك التتر هولاكو ابن جنكيزخان وهو الذي اباد الامم بفارس وخراسان والرها واصبهان وقسم وقاشان والعراق و بغداد والموصل والجزيرة وديار بكر وحلب . وكان نصرانياً ذا سطوة شديدة وهيبة عظيمة وحزم وخبرة في الحروب . ومات بمدينة مراغة بعلة الصرع

في حكم اباقا الملخان وهو الملك الثاني من ملوك التتر

(انه بالحقيقة ملك ملك اخر قبله في زمن هولاكو مدة وهو قوبلاي قان وقد نازع اخاه سبع عشرة سنة على المملكة ثم تملكها وغلب اخاه ولم تطل مدة ملكه اذ لقي قسم من المملكة بيد هولاكو وكان قوبلاي هذا اظهر العدل وحسن الدراية والتدبير والكفاية وكان يحب الحكماء والعلماء والمتدينين من سائر المذاهب والامم وكان معتدلاً في شهواته معتدلاً في استعمال الشراب واللذات واللهو ولم يتناول من اللحوم الا الطفها . ثم انه بعد موت هولاكو اجتمع الاولاد والامراء والخواتين واتفقوا على تنصيب اباقا ابن هولاكو على كرسي المملكة لانه ذو عقل وعلم ودراية . ولما جلس وتمكن كان سعيداً

منصوراً في جميع حركاته وسكناته محبوباً من جميع الخلق . وكان هولاكو قد سير رسلاً بطلب ابنة ملك القسطنطنية ليخطبها لنفسه . فلما اخذها الرسل وخرجوا بها ووصلوا الى قيسارية (يراد بها قيسارية اسيا الصغرى) بلغهم خبر موت هولاكو ولم تتمكن من الرجوع الى بلادها فوصلت الى ابنه ابافا فدخل عليها . وفيها وصل البرليغ (اي الفرمان او الامر) من ابافا الى بغداد بان علاء الدين صاحب الديوان يكون حاكماً مطلقاً لا يكون فوق يده يد . وكانت شحنة بغداد قرابوغا ونائبه اسحق الارمني يرومان اذيته . فانكفئا عنه وصارا يتحيلان له بأذى . فحصلا شخصاً اعرابياً وعلماه ان يقول عن نفسه انهما سيرا جاءا به من البادية بحيث يكون لهما دليلاً عندما ماير يدان ان ياخذا ماله واولاده وما يتعلق بهما و يمشي الى الشام واودعا مع البدوي هذا الكلام . حينئذ سيرا واحتاطا بدار صاحب الديوان والبدوي يحملانه الى الاردو وعندما ضرب البدوي وقرر اقر ان اسحق الارمني علمه ذلك فقتل البدوي واسحق

يذكر بارونيوس انه بهذه السنة سار السلطان لويس ملك فرنسا الذي ظهر فيما بعد قديساً بعساكر وافرة الى مدينة قرطاجنة التي خراباتها بقرب موقع مدينة تونس وحاصر المدينة فحدث مرض عظيم ووباء ثقيل في عساكره ومات الملك لويس بمرض الزحير فرجعت عساكره الى فرنسا وجسده معهم في تابوت

وفي السنة ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م توفي الشيخ شهاب الدين احمد ابو شامه المقدسي عالم دمشق وشيخها وله جملة تصانيف . وفيها افتتح الملك الضاهر يافا وهدمها وهدم قلعتها . وملك الباشورة . وفي ثامن عشر رجب سار قاصداً قلعة الشقيف ونزل تحتها بوادي العواميد وحاصرها فوجدها منيعة حصينة جداً ثم رحل الى اعلاها فلم يقدر عليها . حينئذ يقول ابن الحريري انه اكتشف على مائها . فلما كان الليل واهل القلعة نيام ذبح في الماء عدة من الغنم والبقر ورمى كروشها في الماء بعدما قطعها . فلما اصبح الصباح وجدوا مائهم منتناً وهو دم عبيط . فسلموا بعد حصار عشرة ايام . و يقول ابن سباط انه بعد حصار عشرة ايام ظفر الملك الضاهر بكتاب من الافرنج الذين بعكا مرسل الى النواب في الشقيف يعلمهم و ينبئهم على اماكن يخاف على الحصن منها . فكتب فيه الكمندور المقيم في الشقيف ليتحذر من الوزير . وكتب مكتوباً آخر في اللغة الافرنجية الى الوزير وحذره من الكومندور و يامره بانه اذا احتاج الى دراهم يأخذ من فلان وسمى شخصاً كان اسمه في الكتاب واحتال في توصيل الكتابين اليهما فلما وقفوا على الكتب اختلفوا والجاهم الخلف

الى ان كاتبوا الملك الضاهر بتسليم الحصن ولا يقتل احدٌ منهم. فتسلمه يوم الاحد وهو التاسع والعشرون من شهر رجب فوجد فيه اربعة وثمانين رجلاً واثنين وعشرين امراءة فركبهن على الجمال وارسلهنّ الى صور . وارسل معهن من يحفظهنّ خوفاً ممن يوذيهنّ . ثم ارسل اثقال الحصن الى دمشق ورتب عليها بعض اناس . ويسمى هذا الحصن شقيف ثيرون وهوا سم الرجل الذى بناه . وهو شرقي صيدا اي بينها و بين دمشق . و بعضها عمارة و بعضها في الشقيف . وهي حصينة جدا . و يوجد برج مبني على باب القلعة . و بالقرب منها على خمس فراسخ قلعة ارنون وهي ايضاً حصينة جداً . ثم شن السلطان الغارة على بلاد طرابلس وقطع اشجارها وجعل انهارها تغور واخرب قراها . وحصن حصن الاكراد . وسار الى انطاكية ونازلها بغتة مستهل رمضان . وهجمت العساكر على انطاكية . وافتتحوها في اربعة ايام بالسيف فقتلوا اهلها وسبوا ذراريهم وغنموا منها اموالاً جزيلة . وكانت انطاكية للامير بيومند ابن بيومند وله معها طرابلس . وكان الامير مقيماً في طرابلس لمّا فتحت انطاكية . واحصي من قتل بانطاكية هذه المرة فبلغ اربعين الف ونيف . واطلق الاسرى الذين كانوا فيها . ثم اخذ بغراس بالامان . وفيها سير البندقدار صاحب مصر الى حاتم ملك الارمن يطلب منه الدخول في طاعته وان يحمل الجزية و يمكن الناس من مشترى الخيل والبغال والحنطة والشعير والحديد من بلده . وهم ايضاً يخرجون الى الشام يتاجرون و يبيعون و يشترون . فلم يجب ملك الارمن الى ذلك خوفاً من المغول . فلم يتاخر البندقدار عن ارسال العساكر والفرسان الى بلاد الارمن . فلما تحقق ذلك حاتم ملك الارمن خرج الى بلاد الروم يطلب النجدة من امير المغول المسمى نفجي فاجابه انه لايمكنا ان نفعل ذلك بدون امر السلطان اباقا . وهجم المصريون على بلاد الارمن . ولكن ملكهم لم يكن حاضراً فاجتمع اخوته واولاده وامراؤه وجمعوا اتباعهم وخرجوا ليمنعوا المصريين من الدخول الى البلد . ولما التقوا بهم عند موضع يقال له حجر سروند انكسرت الارمن واستؤسر ولد الملك حاتم وقتل ولده توروس . وانهزم الامراء والعسكر ونهبوا وخربوا بيعة سيس الكبيرة وكان الخراب العظيم في سيس واياس . واقاموا هناك مدة عشرين يوماً ينهبون ويحرقون و يسبون . و بعد خروجهم من البلد وصل الملك حاتم وقد اصحب معه عسكراً من المغول والروم فما وجدوا احداً بل البلد خراباً . واشتغلوا بالاكل والشرب ومدوا ايديهم وجمعوا جميع ما كان قد تخلف عن المصريين وقد اتموا ذلك والملك مشتغل بالهمّ والغم على ماجرى على ولديه واصحابه و بلده وكانت المضرة منهم اشد واصعب

وفي السنة ٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م ارسل حاتم ملك الارمن الى الملك الضاهر يعرض عليه لاستفكاك ولده اموالاً ومدناً وقلاعاً بدلاً عنه . فطلب الملك زيادة اطلاق سنقر الاشقر الذي كان اسيراً عند ابافا ابن الملك هولاكو فوجهه الى الملك وحين وصل ارسل له ابنه . وفي هذه السنة فتح الملك الضاهر حصون الاسماعيلية . وهي الكهف والقدموس والمنفية والعليقة . وولى على الاسماعيلية وهم الاكراد نجم الدين حسن ابن الموجراني (المشغراني) . وقرر عليه ان يحمل في كل عام مائة الف درهم الى الموجرة (مشغرة) وهي قرية كبيرة نزهة كثيرة المياه . وهي بسفح جبل لبنان بين صيدا ودمشق (على طرف سهل البقاع الجنوبي) وقيل انها مشغرة وهو الصحيح وهذه الحادثة رواها المورخون سنة ٦٦٨ هـ وليس سنة ٦٦٦

وفي السنة ٦٦٩ هـ = ١٢٧٠ م اخذ الملك الضاهر حصن الاكراد بالسيف . وفيها جهز مراكب لفتح قبرس فتكسرت في ميناء اللامسون واسر الافرنج من كان بالمراكب . وفيها توجه الملك الضاهر الى عسقلان في شهر صفر فهدم سورها ووجد فيها كوزين ملأ نين ذهباً . وملك حصن عكا ونزل الى طرابلس وصالحه صاحبها على اشياء تقررت بينهما . وعقد الصلح الى عشر سنين . وفيها يوم الاحد الموافق ثاني عشر شوال وصل الى دمشق سيل عظيم اخرب كثيراً من البنايات وزاد السيل واخذ البيوت والدواب والاموال وارتفع حتى بلغ احد عشر ذراعاً ودخل من باب الفراديس وكان ذلك في ايام التوت وشدة الحر والشمس طالعة . وفي هذه السنة لما افضت الولاية الى الامير قرقماز استخف به بنو عمه لحدثه . وكانوا لايطيعون له امراً ولا يحفظون له عهداً ولا يعتبرون له مقاماً ولا يطيعون احكامه بل كان كل منهم يأمر وينهي من نفسه

وفي السنة ٦٧٠ هـ = ١٢٧١ م جاء السلطان بالعساكر الى الشام . وخيم بين قيسارية وارسون فخرجت اليه الرسل يطلبون منه الصلح . وتقررت الهدنة مدة عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات . وعاد الى مصر بسبعة ايام ورجع الى دمشق في خمسة ايام

وفي السنة ٦٧٣ هـ = ١٢٧٤ م بلغ الملك الضاهر ان امراء اعبيه كاتبوا الامير صاحب طرابلس . فغضب عليهم وارسل واخذ زين الدين وجمال الدين وسعد الدين واعتقلهم بسجن مصر . وسبى حريمهم وضبط ارزاقهم . وفي هذه السنة ظهر نجم عظيم

في ربيع الاول وكان يظهر عليه شعاع باهر وشرار عجيب و يتبعه ثلاثة شهب . فكان يضيء في الليل مثل القمر و يبقى الى الصباح . ثم غاب بغتة في ليلة واحدة

وفي السنة ٦٧٤ هـ = ١٢٧٥ م كانت وفاة الملك الضاهر ركن الدين الصالح النجمي التركي البندقداري في دمشق [1]. وكانت مدة تملكه سبع عشرة سنة وشهرين . فكتموا امره خوفًا من ان يغزو احد مصرًا او يغلبها . فاخذوا جسده من الشام الى مصر وكان مقدم العسكر بدر الدين الخزندار . فمشى في اول موكب . ثم وصلوا وصعدوا بجسده الى القلعة من باب السر ليلاً . وعند دخوله قبل الارض وطرحه قدام ولده السعيد وعزاه

الفصل الخامس

في حكم الملك السعيد محمد ابو العلاء وهو الخامس من الاتراك

فجمع بدر الدين الامراء والمقدمين والجند وحلفهم بلزوم مبايعة الملك السعيد محمد ولقب بابي العلاء وكان الملك الضاهر ملكاً جليلاً شجاعاً عادلاً فتح الفتوحات الجليلة بعد استيلاء الافرنج عليها . واستخلص سيس وسرستان والدراكيش و بليس وكفردين ورعبان والمرزبان من صاحبها . وكان حدود ملكه من اقاصي بلاد النوبة الى قاطع الفرات و بنى بنايات

(١) ذكر ابو الفرج موت الملك الضاهر في سنة ٦٧٥ هـ وانه توفي بقرب حمص بسبب انه اصابه نشابة في وركه في حربه مع المغول ولم يمكن اخراج النصل منه و بقي اياماً كثيرة . ولما اذن للجراح باخراجه جاهد كثيرًا لاخراجه وعند خروج النصل فارق الدنيا وروى آخرون ان اناسًا من جماعته سقوه في لبن الخيل سماً ولما احس به سقى من سقاه فماتا كلاهما . وذكر الوليد ابن الشحنة انه توفي بدمشق سنة ٦٧٦ هـ في شهر محرم . قيل انه انخسف القمر خسوفًا تامًا . وتحدث المنجمون بان ذلك اشارة الى موت رجل جليل القدر فقصد الملك الضاهر ان يظهر ذلك في غيره فاستدعى شخصًا من الايوبية اسمه الملك القاهر من ولد الناصر داود ابن المعظم عيسى وسقاه خمرًا مسمومًا . ثم شرب هو في ذلك القدح غير مسموم ولكن كان به شيء من بقايا سم فماتا معًا ودفن الملك الضاهر بدمشق سرًا واظهر انه في مهمة متوجهًا الى القاهرة فلما ادخل خزانته بقلعة الجبل اظهروا موته و بايعوا ولده الملك السعيد . واصله مملوك قبجاقي اسمر اللون ازرق العينين عرض على المنصور صاحب حماة فما اعجبه فاشتراه ايدكين البندقدار الصالحي وهو مسجون بقلعة حماة في جامعها و بعد ان افرج عنه قدمه لاستاذه الملك الصالح ايوب صاحب مصر

في بلاد الشام مالم يبن في بلاد الخلفاء ولا الملوك الايوبين وغيرهم من المساجد والحصون[1] و بالاخص ما كان هدمه التتر . وجدد قبر سيدنا نوح في مدينة الكرك[2] من اعمال بعلبك . وقد جمع الشيخ شمس الدين الذهبي سيرته التي الفها ابن عبد الظاهر وابن شداد في مجلدين ضخمين . و يذكر ابن سباط في تاريخه ان سبب موت الملك الضاهر انه استدعى الملك القاهر الايوبي وسم خمراً وامر الساقي ان يسقيه اياها ففعل كذلك . ثم ان الملك الضاهر شرب في تلك الكاس على اثر شرب الملك القاهر ناسياً . فمات بدمشق بالقصر الابلق بجوار الميدان الاخضر . وكان عمره حين توفي ثلاثة واربعين سنة . و بعد تولي ولده سعيد اعتق الامراء الذين سجنهم والده في مصر حين احرق عسكر الشام بلاد الغرب في جوار بيروت . وكان السبب انه استقطع قطب الدين النيسابوري كفر عميه ثم قتل بها . فاتهم بقتله نجم الدين محمداً ابن حجي التنوخي . وقيل لانهم كاتبوا صاحب طرابلس الافرنجي . وفي هذه السنة تعاهدت الامراء آل شهاب وهم الامير محمد والامير جابر ابنا عم الامير خالد والامير سليمان ابن الامير منقذ ان يغدروا بالامير فرقماز وينزعوه عن الولاية واتفقوا على ذلك سراً . وحين بلغ الامير فرقماز ما اتفقوا عليه اخذ يفتكر بنفسه كيف يجد فرصة يقضي بها عليهم . ثم في بعض الليالي بلغه ان اولئك الامراء مجتمعون في دار الامير سليمان فجمع اليه من خواصه من يعتمد عليهم ونهض مسرعاً بخمسة عشر رجلاً من غلمانه وسار بهم سراً الى دار الامير سليمان وقصد الحجرة التي كان الامراء مجتمعين بها فوجدهم يتشاورون في النهوض عليه . فاستل سيفه ودخل على الامراء بغتة ولم يشعروا الا والامير فرقماز واصحابه فوق رؤوسهم . وقبضوا على الثلاثة الامراء المقدم ذكرهم فذبحهم بيده . ولم يشعر احد الا بعد انقضاء الامر . ولما رجع الامير فرقماز الى داره احضر باقي غلمانه وامرهم ان يسيروا

---

(١) ومن بناياته الشهيرة في القاهرة القلعة المعروفة باسمه الجهة العباسية المعروفة بقلعة الضاهر واصلها جامع وتسمى الشارع باسمها ايضاً و بنى قناطر السباع الممتدة من فم الخليج الى قلعة الجبل . واكثر الحصون والقلع في بر الشام توجد تواريخ محفورة تبين انه جدد بناوها . و بنى الحرم النبوي وقبة الصخرة في بيت المقدس و بنى قناطر شبرامنت في الجيزة و ردم فم بحر دمياط و بنى قلعة دمشق وحفر خليج الاسكندرية القديم .

(٢) الكرك هذه يراد بها بلدة الى الشمال من معلقة زحلة فيها جامع داخله قبر نوح وقد كان يظن ان نوح من اطول الناس قامة ولعل هذا الوهم دخل على الناس من التكر بانه خلص من الطوفان وقبر نوح في الكرك المذكورة طوله نحو ٤٥ ذراعاً و يقال ان هذا فقط طوله لحد ركبتيه والله اعلم

الى منازل اتباع اولئك الامراء و يقبضوا على البعض من اصحاب المشورة منهم . فلما ظهر النهار دعا باقي امراء بني شهاب واخبرهم بان الامير سليمان والامير جابر والامير محمد كان مرادهم ان يغدروا به فسبقهم الى ذلك . فقالوا له انت تعلم محبتنا لك واننا بريئون من هذه الامور فامنهم على انفسهم وامر بضرب اعناق عشرة من اتباع اولئك الامراء المقتولين واطلق باقي المسجونين

وفي السنة ٦٧٨ هـ = ١٢٧٩ م كانت سنة اختلاف بين طوائف الكرج . و بين التتر والعرب . و بين العرب و بين الفلاحين . و بين الافرنج الذين داخل البحر . و بين صاحب طرابلس و بين صاحب جبيل والزاوية . وصار الاختلاف العظيم بين الافرنج وغار بعضهم على بلاد الاخر وقتل منهم جماعة كثيرة واختلف ايضاً عسكر الملك السعيد حتى انهم قاموا عليه وخلعوه وحاصروه في قلعة مصر اياماً . وقطعوا المياه عنه وعملوا فيه محضراً . ثم نزل عن حكمهم واعطوه الكرك عوضاً عن الديار المصرية والبلاد الشامية واستمر في الكرك الى ان توفي في ذي القعدة في السنة المذكورة

الفصل السادس

في حكم دولة الملك السعيد بدر الدين سلامس وهو السادس من ملوك الترك

ثم اقاموا بعده الملك السعيد اخا الملك العادل بدر الدين سلامس وعمره سبع سنين . وهو السادس من ملوك الترك في الديار المصرية وكان اتابك العسكر الامير سيف الدين قلاوون الصالح . وخطب لهما معاً وضربت السكة باسمهما . ثم ان امراء دمشق قبضوا على نائبها عز الدين الامير الظاهري . واقاموا بدله الامير شمس الدين سنقر الاشقر على نيابة دمشق . والامير اقوش الشمسي نائباً على حلب . وفيها تقرر على الكرك نجم الدين خضر ابن الملك الضاهر . ولقبوه بالملك المسعود . واما سنقر الاشقر نائب دمشق فركب في ذي الحجة وفي خدمته الامراء وساق من دار السعادة وهجم على القلعة وكان نائبها لاجين المنصور وجلس على تخت الملك وحلف له الامراء وتلقب بالملك الكامل ودقت له البشائر وخطب له بدمشق

الفصل السابع

في حكم سيف الدين قلاوون وهو السابع من ملوك الاتراك

وبعد اربعة اشهر وثلث . يوم الاحد في ١٢ رجب تبواء قلاوون عرش السلطنة وخلع سلامس وتلقب بالملك المنصور

وفي السنة ٦٧٩ هـ = ١٢٨٠ م جهز السلطان قلاوون[1] جيشاً من مصر لحرب سنقر الاشقر . وكان مقدم هذا الجيش علم الدين سنجر . وجمع سنقر اهل البلاد الفلاحين والعربان وقطع ماحول دمشق من الجسور (الكباري) وجمع جيشاً كثيراً الا انهم ما كانوا معه في الباطن . وفي سابع صفر اجتمع الفريقان خارج دمشق عند الجسور . فانكسر عسكر الشام وانهزم سنقر الاشقر الى حمص ومعه امراء العرب ابن مينا وعيسى ابن مهنا الحياري . واما عسكر مصر فدخل القلعة وامّن الناس وقبض على الذين اطاعوا سنقر . وجاء مرسوم من السلطان بالصفح عن الكل . وناب بدمشق بكتون علاء الدين . وبعد شهر جاء التقاليد بنيابة دمشق لحسام الدين لاجين . واستقر سنقر بقلعة صهيون وما جاورها ثم وقع الصلح بينه وبين السلطان قلاوون على ان يكون له كفر طاب وانطاكية وافامية والشغر وبكاس وصهيون وبلاطنس وبرزية وجبلة واللاذقية والسويدية ودراكيش . وان يقيم عليها ستمائة فارس وانتظم الصلح على ذلك ودخل سنقر تحت القلعة وعفا عنه السلطان . ثم ان سنقر الاشقر ارسل يستنجد بالتتر وملكهم ايضاً . فوردت الاخبار ان التتر قصدت بلاد الشام فهربت اهل حلب

---

(١) تقدم في السنة السابقة ان اتابك العسكر كان الامير سيف الدين قلاوون الصالح وانه كون الملك الكامل صغيراً خطب لهما معاً وضربت السكة باسمهما . ذكر ابو الفرج انه في هذه السنة لما قام الالفي ليتملك على الديار المصرية والشام لم يوافقه سنقر الاشقر الذي كان عينه قلاوون نائباً على دمشق ولكنه تطاول وجلس على تخت الملك مستعصياً . ولما تمكن الالفي وقوي جانبه هرب سنقر الاشقر ووصل الى الرحبة واتفق هناك مع امير بدوي اسمه عيسى ابن مهنا العياري وسيرا رسولاً الى اباقا ايلخان يستدعيانه ليركب الى الشام فيسلما اليه البلاد الشامية والمصرية ولما وصلت عساكر المغول الى الشام خاف سنقر على نفسه ولم يلتق بهم بل هرب وتحصن في قلعة صهيون فوصل المغول الى حلب وخربوا ونهبوا كل الاماكن التي صادفوها . وكان وصولهم الى الشام في وقت الشتاء سنة ٦٨٠ وكان مقدمهم قونغرتاي اخو اباقا الصغير فعاد المغول الى البلاد

وحماة وحمص والبلدان الشامية الى جهات دمشق و بعلبك ٠ ولم يتخلف الا من عجز عن السفر

وفي السنة ٦٨٠ هـ =١٢٨١م اقبل التتر كالسيل [١] وعبروا الفرات بجحفل الخلق منهم ٠ وكان السلطان قلاوون الملك المنصور بدمشق فخرج ومعه العساكر ٠ وحضر الى خدمته سنقر الاشقر فاحترمه السلطان ورفع قدره ٠ وكان اجتماع العسكر شمالي حمص نهار الخميس في شهر رجب وكان جيش السلطان يقارب خمسين [٢] الفًا وثبت السلطان ودام الحرب الى مابعد العصر ٠ وثبت الفريقان وكثر القتل وآخر الامر نصر الله المسلمين وركبوا اقفية التتر و بقي السلطان واقفًا في نحو الف فارس حتى المساء و قد رجعت التتر وكسروا الميسرة فمروا بالسلطان والطبول تضرب ٠ ولما قربوا منه حملت الخاصكيه عليهم فانهزم التتر وذهبت فرقة الى سلمية وفرقة الى الوستين باسوءحال ٠ ثم نزل السلطان بعد هدو الليل مؤيدًا ومظفرًا ومنصورًا ٠ ووصل الخبر الى دمشق [٣] مصباح الاحد بعد ان عاين اهل دمشق من نصف الليل الى الصباح سكرات الموت وتودعوا من اهلهم واولادهم واحبابهم ٠ ولما ورد الخبر زينت البلاد وعاشت العباد بهذا النصر العظيم ٠ وقتل نحو مايتين من عسكر المسلمين منهم ازدم الرومي ٠ وشهاب الدين نوفل ونصر الدين الكامل ٠ وعز الدين ابن النظر ٠ ومات من الاعداء منكوتمر من طعنة اصابته ٠ ومات اباقا ايلخان بعده بشهرين ٠ وكان كافرًا سفاكًا للدماء مات بهمدان وعمره نحو خمسين سنة ٠ وكان من الفرسان في هذه الوقعة مثل البيسري والامير سنقر الاشقر والامير علاء الدين بيبرس وايدمش السعدي و بكتاش امير سلاح ٠ وطارنطلي المنصوري ونائب الشام لاجين وهو الذي جرح منكوتمر ٠ وكان من العرب مهنا الحياري واولاد عمه وامراء الجبال ماعدا بيت التنوخ فلم يحضروا هذه الوقعة

---

(١) في هذه الغزوة كان مقدمهم ابغا ابن هولاكو ولما وصل بجيوشه الى الرحبة سير اخاه منكوتمر الى الشام فلاقاه السلطان مع جميع نوابه وسائر عساكر مصر والشام حتى سنقر الاشقر

(٢) وعسكر التتر نحو ثمانين الف فارس عدا عن الاتباع

(٣) وصل الخبر الى ابغا وهو يحاصر الرحبة فرحل عنها منهزمًا ومات اخوه منكوتمر منهزمًا بجزيرة ابن عمر واتهم ابغا علاء الدين عطاء ملك ابن محمد الجويني صاحب الديوان ببغداد بمواطأة المسلمين فاخذ امواله وقتله وكان من الفضلاء العظام ومن شعره في تركية

ابادية الاعراب عني فانني بحاضرة الاتراك نيطت علائقي
واهلك يانجل العيون فانني جننت بهذا الناظر المتضايق

فصل

في تملك السلطان احمد وهو الرابع من ملوك المغول

(لما توفي اباقا ايلخان اجتمع الاولاد والامراء وحصل الاتفاق بينهم على مبايعة احمد ابن هولاكو من قوتاي خاتون كونه صالح للملك كما سيأتي

وفي السنة ٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م احترق في دمشق سوق اللبادين والكتبيين وسوق الزجاج والصاغة وجميع مافوق تلك الاسواق وما تحتها من القيسار يات وكان حريقاً مهولاً ذهب فيه من الاموال مالا يحصى · وسلم الله الجامع · ثم بني ذلك كله في سنتين مع الملازمة · وفيها توفي الامام الاوحد العالم الحافظ قاضي القضاة شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابرهيم بن ابي بكر بن خلقان بن باوك بن برمك البرمكي الشافعي الار بدي مولده بار بد وتولى على القضاء بمصر · ثم صار قاضياً بدمشق . وكان من العلماء المشهورين له معرفة بالفقه والنحو والتاريخ والادب نظماً ونثراً وصنف كتاب وفيات الاعيان وغيره وله تاريخ كبير · وتوفي ثاني وعشرين رجب السنة المذكورة · ودفن بسفح قيسون وعمره اثنان وسبعون سنة

وفي السنة ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣م صارت في قبرس امطار زائدة وزلزلة حتى تشققت بعض الجبال وتغيرت حدود الارض وصارت وهاد عميقة عظيمة وظهرت ينابيع جديدة لم تكن اولاً · ومن زيادة السيل غرق الزرع و باد كثير من المواشي . وفيها حدث سيل عظيم بدمشق في ١٠ شعبان طلع على جسر توما وارتفع على جسر باب الفرج نحو قامة واخرب مساكن كثيرة ومات خلق كثير · واباد اموالاً زائدة للناس واقتلع شجراً كثيراً وكان عسكر سيف الدين قلاوون نازلاً بالقرب من نهر بردى فهلك من الخيل والعسكر وتلف من الخيم مالا يحصى عده · ورحل السلطان سيف الدين قلاوون من الغد الى مصر . فقال بعض اهل دمشق في ذلك شعراً

لو يدوم السيل يوماً واحداً　　لاتى الطوفان كالبحر المحيط

ليس هم من قوم نوح يا سما　　فاغلقي عنهم فهم من قوم لوط

وقد اخبر المؤرخ انه في هذه السنة وجد كتاب يخبر ان في شهر اذار (مارس) سارت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشرة شرقي طرابلس فصعد العسكر في وادي

حيرونا وحاصر اهدن حصاراً شديداً و بعد اربعين يوماً ملكوها في شهر حزيران (يونيو) فنهبوا وقتلوا وسبوا وهدموا القلعة التي في وسط القرية والحصن الذي على راس الجبل . ونقلوا الى بقوفا وفتحوها في شهر تموز (يوليو) وقبضوا على اكابرها واحرقوهم في الاتون ونهبوها وسبوا اهلها وهدموها الى الارض . و بعد ما ضربوا بالسيف اهالي حصرون وكفرحارون في الكنيسة توجهوا الى الحدث[1] فهرب اهلها الى العاصي وهي مغارة عميقة . و بها صهريج (بركة) للماء فقتلوا الذين لحقوهم وخربوا الحدث . و بنوا برجاً قبال المغارة وابقوا به عسكراً يكمن لهم . ثم هدموا جميع الاماكن العاصية . واذ لم يقدروا ان يفتحوا قلعة حوقا التي قبال الحدث اشار عليهم ابن الصبحا من كفرسغاب بجر ماء النبع الذي فوق بشرة وتركيبه عليها . فملكوها بقوة الماء لانها داخلة الشير (الصخر الفظيم) واذنوا لابن صبحا ان يلبس عمامة بيضاء يانس بها وان تقيم العبيد بخدمته . ولما رجع العسكر وتاب عن سوء فعله رجع الى الله . وقيل ان في هذه البلاد غرس الله فردوس عدن كما يقول حزقيال النبي ان ارز لبنان في فردوس الله وانه عندما طرد منها ادم سكن ولداه قايين وهابيل شرقي الفردوس في البقعة و بنيا قلعة بعلبك واستنبطا الطبول والزمور والات الطرب وكان من نسل قايين قوم جبابرة قصدوا الطرب وارتكبوا الفواحش وتدل على ذلك مدافن هابيل وقايين وشيث[2] الموجودة في هذه النواحي . وفي هذه السنة توفي الملك المنصور محمد ابن المظفر الايوبي صاحب حماة وكانت مدة حكمه على حماة اثنتين واربعين سنة وتملك بعده على حماة ولده الملك المظفر محمود . وفيها توفي ابن هولاكو جنكيزخان (هو السلطان احمد) وكان صاحب خراسان واذربيجان والروم والعراق وكان قد اسلم وهو صبي ولما تملك بعد وفاة اباقا ايلخان ومنكوتمر ولدي هولاكو ارسل الى السلطان قلاوون في الصلح وهو اول من اسلم من التتر . وفي هذه السنة ذكر ابن الحريري في تاريخه انه لما توفي اباقا ايلخان ملك التتر اجتمع اولاد هولاكو والامراء وحصل الاتفاق بينهم ان احمد ابن هولاكو من قوتاي خاتون يصلح لتدبير المملكة وهو اولى بها فاجلسوه على كرسي الملك فاخرج من الخزائن الاموال وقسم على الاولاد والامراء والعساكر واظهر الاحسان على جميع المغول و باقي الامم . وارسل الرسل الى سلطان مصر لاجل الصلح وكتب اليه رسالة يقول فيها (هذه نسختها) : بقوة

---

(١) هي حدث الجبة في بلاد بشرة . وتوجد احدث خرى لجهة غربي البقاع مقابل بعلبك وحدث الساحل بقرب بيروت (٢) النبي شيت في نواحي شرقي البقاع ومثله قايين وهابيل

الله تعالى باقبال قا ان فرمان احمد ٠ اما بعد فان الله تعالى بسابق عنايته ونور هدايته قد كان ارشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة الى الاقرار بربوبيته ٠ والاعتراف بوحدانيته ٠ والشهادة لمحمد عليه الصلاة والسلام بصدق نبوته ٠ وحسن الاعتقاد في اوليائه الصالحين من عباده في بريته ٠ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ٠ و يميل الى اعلاء كلمة الدين واصلاح امور الاسلام والمسلمين ٠ وان الله قد افضى بعد ابينا الجيد واخينا الكبير نوبة الملك الينا وافاض علينا من جلابيب الطافه ولطائفه ٠ ماتحقق به امالنا في جزيل الائه وعوارفه ٠ وجلا هذه المملكة علينا ٠ واهدى عقيلتها الينا ٠ فاجتمع عندنا في قور يلتاي المبارك وهو المجمع الذي تنقدح فيه آراء جميع الاخوان والاولاد والامراء الكبار ومقدمي العساكر وزعماء البلاد ٠ واتفقت كلمتهم على ان ينفذ ما سبق به حكم اخينا الكبير في انفاذ الجم الغفير من عساكرنا التي ضاقت الارض برحبها من كثرتهم ٠ وامتلأت القلوب رعباً لعظم صولتهم ٠ وشديد بطشهم الى تلك الجهة بهمة تخضع لها شم الاطواد ٠ وعزيمة تلين لها الصم الاصلاد ٠ ففكرنا فيما مخضت زبدة عزائمهم عنه ٠ واجتمعت اهواهم واراؤهم عليه ٠ فوجدناه مخالفاً لما كان في ضميرنا من انشاء الخير العام ٠ الذي يقوم بقوته شعار الاسلام ٠ وان لايصدر عن اوامرنا ما امكننا الا مايوجب حقن الدماء ٠ وتسكين الدهماء ٠ ويجري به في الاقطار رخاء نسيم الامن والامان ٠ و يستريح المسلمون في سائر الامصار في مهاد الشفقة والاحسان ٠ تعظيماً لامر الله ٠ وشفقة على خلق الله ٠ فالهمنا الله اطفاء تلك النار وتسكين الفتن الثائرة ٠ والانتقام ممن اشار بذلك الرأي فيما ارشدنا الله اليه ٠ من تقديم مايرجى به شفاء العالم من الادواء ٠ وتاخير مايجب ان يكون آخر الدواء ٠ واننا لانحب المسارعة الى هز النصال للنضال الا بعد ايضاح الحجة ٠ ولا ناذن لها الا بعد بيان الحق وثبوت الحجة ٠ وقوي عزمنا على مارايناه من دواعي الصلاح ٠ وتنفيذ ماظهر لنا به وجه الاصلاح ٠ اذكار شيخ الاسلام قرة العارفين كمال الدين عبد الرحمن فهو نعم العون في امور الدين فاصدرناه رحمة من الله لمن دعاه ٠ ونقمة على من اعرض عنه وعصاه ٠ وانفذنا اقضى القضاة قطب الدين والاتابك بهاء الدين ٠ وهما من ثقاة هذه الدولة القاهرة ليعرفاهم طريقنا ٠ و يتحقق عندهم ماينطوي عليه لعموم المسلمين كمال نيتنا وجميل سنتنا ٠ و بينا لهم اننا من الله على بصيرة وان الاسلام يجب ماقبله ٠ وانه تعالى القى في قلبنا ان نتبع الحق واهله ٠ و يشاهدون عظيم نعم الله على الجميع بما دعانا اليه من تقديم اسباب

الاحسان · ولا يحرمونها بالنظر الى سالف الاحوال · وكل يوم هو في شان فان تظلمت نفوسهم الى دليل يستحكم به دواعي الاعتماد · سالواحجة يتقون بها من بلوغ المراد · فلينظر الى ماقد ظهر من مآثرنا مما اشتهر خبره · وعم خيره واثره · فانا ابتدأنا بتوفيق الله تعالى باعلاء اعلام الدين واظهاره في ايراد كل امر واصداره تقديماً · واقامة نواميس الشرع المحمدي · على قانون العدل الاحمدي اجلالاً وتعظيماً · وادخلنا السرور على قلوب الجمهور · وعفونا عن كل من اخترع سيئة واقترف · وقابلناه بالصفح وقلنا عفا الله عما سلف · وتقدمنا باصلاح امور اوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس وعمارة بقاع البر والربط الدوارس · وايصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة الى مستحقها بشروط واقفها · ومنعنا ان يلتمس شيء مما استحدث عليها وان لايغير احد شيئاً مما قدر اولاً فيها · وامرنا بتعظيم الحج وتجهيز وفده وتاسيس سبيله وتسيير قوافله · واطلقنا سبيل التجار والمترددين الى البلاد وليسافروا حسب اختيارهم على احسن قواعدهم · وحرمنا على العساكر والشحنة في الاطراف التعرض لهم في مصادرهم ومواردهم · وقد كان صادف قراغولنا جاسوساً في زي الفقراء كان سبيل مثله ان يهلك فلم نر اهراق دمه صيانة لحرمة ماحرمه الله تعالى · وانفذناه اليهم · ولا يخفى عليهم ما كان في انفاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين · فان عساكرنا طال ماراًهم في زي الفقراء والنساك واهل الصلاح · فسأت ظنونهم في تلك الطوائف فقتلوا منهم من قتلوا · وفعلوا بهم مافعلوا · ورفعت الحاجة بحمد الله تعالى الى ذلك بما صدر اذننا به من فتح الطريق وتردد التجار وغيرهم · فاذا امعنوا الفكر في هذه الامور وامثالها فلا يخفى عنهم انها اخلاق جبلية طبيعية وعن شوائب التكلف والتصنع عرية · واذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي النفرة التي كانت موجبة للمخالفة · فانها كانت بطريق الدين · والذب عن حوزة المسلمين · فقد ظهر بفضل الله ويمن دولتنا النور المبين · وان كان لما سبق من الاسباب · فمن يجري الان طريق الصواب · فان له عندنا الزلفى وحسن المآب · وقد رفعنا الحجاب بفصل الخطاب · وعرفنا كم ماعزمنا عليه من نية خالصة لله تعالى واتينا باستيفائها · وحرمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها · ليرضى الله والرسول · ويلوح على صفائحها اثار الاقبال والقبول · وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الامة · وتنجلي بنور الائتلاف واللمة · ظلمة الاختلاف والغمة · فيسكن في سابغ ظلها البادي والغادي · وتقوى القلوب التي بلغت من الجهد الى الحناجر · ويعفى عن سائر الهفوات

والجزائر . فان وفق الله تعالى سلطان مصر لما فيه صالح العالم . وانتظام امور بني آدم فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى وسلوك الطريقة المثلى . بفتح ابواب الطاعة والاتحاد . و بذل الاخلاص بحيث تعمر تلك الممالك والبلاد . وتسكن الفتن الثائرة وتغمد السيوف الباترة . وتحل الناس ارض الهوينا وروض الهدنة . وتخلص رقاب المسلمين من اغلال الذل والهون . وان غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة . ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة . فيعفو عن مساعينا واُتلي عذرنا . وما كنا معذبين لله حتى نبعث رسولاً . والله الموفق للرشاد والسداد . وهو المهيمن على جميع البلاد والعباد وحسبي الله ونعم الوكيل . كتب في اواسط جمادي الاول سنة ٦٨٢ ه و يروى سنة ٦٨١

فلما وصلت هذه الرسالة الى سلطان مصر رد الجواب الى السلطان احمد يقول به : من سلطان مصر سيف الدين ابي مظفر قلاوون . اما بعد حمد الله الذي اوضح لنا نباء الحق منهاجاً . وجاء بنا فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجاً . والصلوة على سيدنا ونبينا محمد الذي فضله على كل شيء نجا . وعلى آله وصحبه صلاة تنير ما دجا . ثم الرضا عن الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين وسليل الخلفاء المهتدين . وابن عم سيد المرسلين . الخليفة الذي تتمسك ببيعته اهل هذا الدين . انه ورد الكتاب الكريم . الملتقى بالتكريم . والمشتمل على النباء العظيم . من دخوله في الدين . وخروجه عمن خالف من العشيرة الاقربين . ولما فتح هذا الكتاب فاتح بهذا الخبر المعلم . والحديث الذي صح عند اهل الاسلام اسلامه . واصح الحديث ماروي عن مسلم . وتوجهت الوجوه بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى في ان يثبته علي ذلك بالقول والعمل الثابت . وان ينبت حب هذا الدين في قلبه كما انبته في احسن المنابت . وحصل التأمل للفضل المبتداء بذكره من حديث اخلاص النية . في اول العمر وعنفوان الصبا والاقرار بالوحدانية . ودخوله في الملة المحمدية . بالقول والعمل والنية . والحمد لله على ان شرح صدره للاسلام . والهمه شريف هذا الالهام . فحمدنا الله على ان جعلنا من السابقين الاولين الى هذا المقال والمقام . و يثبت اقدامنا في كل موقف اجتهاد وجهاد تتزلزل دونه الاقدام . واما افضاء النوبة في الملك وميراثه بعد والده واخيه الكبير اليه . وافاضة هذه المواهب العظيمة عليه . وترقيه الاسرة التي طهرها ايمانه . واظهرها سلطانه . فقد اورثه الله من اصطفاه من عباده وصدق المبشرات

له من كرامة اوليائه وعباده · واما حكاية اجتماع الاخوان والاولاد والامراء الكبار
في قور يلتاي الذى ينقدح فيه زند الاراء · وان كلمتهم اتفقت على ما سبق به حكم اخيه
الكبير في انفاذ العساكر الى هذاالجانب وانه فكر فيما اجتمعت عليه اراؤهم اليه وانتهت
اهواؤهم · فوجده مخالفاً لما في ضميره · اذ قصده الصلاح · ودأبه الاصلاح · وانه
اطفأ تلك النار وسكن تلك الثائرة · فهذا فعل الملك التقي المشفق على قومه ·
فمن يعي الفكر في المواقب · بالرأي الثاقب · والا فلوتركوا اراءهم حتى يحملهم الهوى
لكانت تكون هذه الكرة هي الكرة (قيل الكفرة) · لكن هو كمن خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى · ولم يوافق قول من ضل ولا فعل من غوى · واما القول انه لا يجب
المسارعة للمقارعة الا بعد ايضاح المحجة · وتركيب الحجة · فانتظامه في سلك الايمان
صارت حجتنا وحجته المتركبة على من عدت طواغيه عن سلوك هذه المحجة مسكتةً ·
وان الله سبحانه والناس كافةً قد علموا ان قيامنا انما هو لنصر هذه الملة · وجهادنا
واجتهادنا انما هو لله · وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول · قد ذهبت
الاحقاد وزالت الزحول · وبارتفاع المنافرة · تحصل المناصرة · فالايمان كالبنيان يشد
بعضه من بعض · ومن انام منازه فله اهل باهل في كل مكان وجيران بجيران في كل
ارض · واما تركيب هذه الفوائد الجمة على اذكار شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال
الدين عبد الرحمن اعاد الله من بركاته فلم يرولي من قبل كرامة كهذه الكرامة · والرجاء
بركة الصالحين ان تصبح كل دار للاسلام دار اقامة حتى تتم شرائط الايمان · ويعود
شمل الاسلام احسن مما كان · ولا ينكر من بكرامته ابتدا هذا التمكن في الوجود ·
اذ كان كل حق ببركته الى قضائه يعود · واما انفاذ اقضى القضاة قطب الدين
الموثوق بنقلهما في ابداع رسائل هذه البلاغة · فقد حضرا واعادا كل قول حسن من حوال
احواله وخطرات خاطره ومناظرات منظره · ومن كل مايشكر ويحمد ويفيض حديثهما
فيه عن مسند احمد · واما الاشارة الى ان النفوس كانت تتطلع الى اقامه دليل تستحكم
بسببه دواعي الامر ومصادره من العدل والاحسان بالقلب واللسان · والتقدم باصلاح
الاوقاف فهذه صفات من يريد لملكه دواماً · فلما ملك عدل ولم يلتفت الى لوم من
عذل · على انه ولو كانت من الافعال الحسنة والمثوبات التي تستنطق بالدعاء الالسنة
فهي واجبات كلية تؤدى وهي اكبر من انه يأجر اجراً غيره به يفتخر · او عليه يقتصر
اوله يدخر · وانما يفتخر الملك المعظم بان له ممالك واقاليم وحصوناً · وان يبذل في تشييد

ملكه عن مصون . واما تجريه على العساكر ومراكز الشحنة والشحنة بالاطراف التعرض الى احد بالاذى . وتصفية موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى . فمن حين بلغنا تقدمه بذلك تقدمنا مثله ايضاً الى سائر النواب بالرحبة والبيرة وحلب وعين تاب وتقدمنا الى مقدمي العساكر باطراف تلك الممالك بمثل ذلك . واذا اتخذ الامان . وانعقد الايمان بختم هذه الاحكام . ترتبت عليه جميع الحكام . واما الجاسوس الفقير الذي أُمسك ثم أُطلق . وان بسبب من يتزيا من الجواسيس بزي الفقراء قتلت جماعة من الفقراء والعلماء رجماً بالظن فهذا باب من تلك الابواب كان فتحه . وزند منه كان قدحه . وكم متزيٍّ بالفقر من ذلك الجانب سيروه . والى الاطلاع على الامور سوروه . وظفر النواب منهم بجماعة فرفع عنهم السيف . ولم يكشف ماغطته خرقة الفقر بلم ولا بكيف . واما الاشارة الى ان في اتفاق الكلمة يكون صلاح العالم . و ينتظم شمل بني آدم . فلا ريب انَّ من طرق باب الاتحاد . كمن جنح للسلم فما حاد . ومن ثنى عنانه عن المكافحة . كمن مد يد المصالحة للمصافحة . والصلح وان كان سيد الاحكام فلا بد من امور تبنى عليه قواعده . و يعلم من مدلولها فوائده . فان الامور المسطورة في كتابه كليات لازمة نعم . يفهم بها كل معنى و يعلم ان يتهيأ صلح او لم . وثم امور لابد وان يحكم في سلكها عقداً العهود تنظم . قد يحملها لسان المشافهة التي اذا افردت اقبلت ان شاء الله عليها النفوس . واحرزتها صدور الرسل كاحسن ماتحرزة سطور الطروس . واما الاستشهاد بقوله تعالى . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً فما على السبق من الود بنسج . ولا على السبيل بنهج . بل الفضل لمن تقدم . في الدين حقوق ترعى . وافادات تسترعى . وعند الانتهاء الى جواب مالعله يجب عنها الجواب . من فصول الكتاب وسمعنا المشافهة التي على لسان اقضى القضاة قطب الملة والدين . وانتظام عقده بسلك المؤمنين . وما بسطه من عدل واحسان . وسيرة مشكورة يكل عن وصفها اللسان . فقد انزل الله على رسوله في حق من امتن في اسلامه : قل لاتمنوا عليَّ في اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان . ومن المشافهة انه قد اعطاه الله من العطايا مااغناه عن امتداد الطرف الى مافي يد غيره من ارض وماء . فان حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالامر حاصل . فالجواب ان ثم اموراً متى حصلت عليها الموافقة . تمت المصادقة . وراى الله تعالى والناس كيف يكون مصافينا . واذلال معارفنا عند تصافينا . وكم من صاحب وجد حيث لايوجد الاب والاخ والقرابة . ومانم امرالدين

المحمدي واستحكم في صدور الاسلام الا بمظاهرة اصحابه (او بمظاهرة الصحابة) . فان كانت له رغبة مصروفة الى الاتحاد . وحسن الوداد . وجميل الاعتقاد . وكبت الاعداء والاضداد . والاستناد الى من يشتد به الازر عند الاستناد . فقدفهم المراد ومن المشافهة اذا كانت عزيمتنا غير ممتدة الى ما في يده من ارض وماء فلا حاجة الى انفاذ المغترين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود . فالجواب لو كف كف العدوان من هنالك . وخلا للملوك المسلمين مالهم من ممالك . سكنت الدهماء . وحقنت الدماء وما حقه ان ينهى عن خلق و ياتي مثله . ولا يامر بشيء و ينسى فعله . وقونقرتاي بالروم الان وهي بلاد في ايديكم . وخراجها يجبى اليكم . قد سفك فيها الدماء وقتل وسبى وهتك و باع الامراء . وابى الا التمادي على ذلك الاضرار . ومن المشافهة انه حصل التصميم على ان يبطل هذه الاغارات ولا يفتر عن هذه الاثارات . فيعين مكاناً يكون فيه اللقاء . و يعطي الله النصر لمن يشاء . فالجواب عن ذلك ان الاماكن التي اتفق فيها ملتقى الجمعين مرة ومرة ومرة قد عاف مواردها من سلم من اولئك القوم . وخاف ان لا يعاودها فيغادره مصرع ذلك اليوم . ووقت اللقاء علمه عند الله لا يقدر . وما النصر الا من عند الله لمن قدر لا لمن قدّر . وما نحن ممن ينتظر فلتة . ولا له الى غير ذلك لفتة . وما امر ساعة النصر الا كالساعة التي لا تاتي الا بغتة . والله الموفق لما فيه صلاح هذه الامة . والقادر على اتمام كل خير ونعمة ان شاء الله تعالى . كتب في مستهل شهر رمضان المعظم سنة ٦٨٢ﻫ و يروى سنة ٦٨١ﻫ .

وفي هذا التاريخ نقل الى السلطان احمد ان اخاه قونقرتاي له كلام مع ارغون ابن اباقا وانهم يريدون قتله . فخاف وسارع الى قونقرتاي وقتله . ولما بلغ ارغون خبر قتل عمه حزن لذلك وتغير قلبه على السلطان احمد فلما شعر احمد بتغيير قلب ارغون عليه سير اليه عسكراً عظيماً . وكبيرهم امير من المغول اسمه ايناخ فتوجهوا اليه وهو بخراسان . ولما علم ارغون بقدوم العسكر اليه باغتهم على غفلة وقتل منهم مقتلة عظيمة . وانهزم ايناخ والبعض من عسكره . ولما علم السلطان احمد بذلك غضب غضباً شديداً وجمع العساكر الكثيرة وقصد ارغون بنفسه فتحصن ارغون في حصن كان هناك ومعه ثلاثماية من الفرسان . فارسل اليه السلطان احمد الامام وحلف له ان لا يؤذيه . فامن ارغون وسلم الى السلطان احمد و بقي ثلاثة ايام في الافراح . ثم تغير قلب السلطان احمد على ارغون وتفكر في قتله . فاستدعى جماعة من المغول واوصاهم ان ينتبهوا الى ارغون

لئلا يهرب . واظهر انه متوجه الى بلاد اذربيجان وامرهم ان يحضروا اليه ارغون . وقال ان لم اهلكه هو وسائر اولاده لا استريح ولا ينتظم لي الملك . فلما تحقق بوغا مافي خاطر السلطان احمد (بوغا هو احد امراء ابيه ابافا) دار على جميع الاولاد وعرفهم ماقد عول عليه السلطان اي قتل ارغون فاخذتهم الغيرة ونهضوا في تلك الليلة وقصدوا ارغون واخرجوه والبسوه السلاح وركبوا جميعاً في خدمته الى الموضع الذي كان فيه الييناخ وهجموا عليه ودخلوا اليه وقتلوه وقتلوا معه جميع الاكابر اصحابه في الخيمة . ونادوا في العسكر ان ابناء الملوك قد قتلوا الييناخ واصحابه فكل من هو في موضع يلزم مكانه ولا يتحرك ولا يخاف وركبوا في جمع عظيم ولحقوا السلطان احمد فادركوه عند امه فقبضوا عليه ونادوا باسم ارغون ملكاً عليهم . (وفيها تمردت المماليك على السلطان فغضب غضباً اعمى بصره واعمل السيف فيهم البريء مع المذنب حتى غصت الاسواق بجثثهم . وفيها خرج السلطان بالعساكر لحفر الخليج الذي بالبحيرة وهو الترعة المحمودية . وفيها كان السيل بدمشق فاخرب البيوت واقتلع الاشجار واهلك خلقاً كثيراً . وفيها انشأ الامير سيف الدين السلحدار المنصوري جامع الجميزة بشارع باب اللوق)

فصل

في حكم ارغون ايلخان وهو خامس ملوك المغول

وفي السنة ٦٨٣ هـ = ١٣٨٤ م لما جلس ارغون على كرسي المملكة اتفق اكثر امراء المغول واكابرهم ان يقتلوا السلطان احمد فكان يقول ارغون لا اوافق على قتله بل ام قونغرتاي واولادها يعرفون به وما يختاروا ان يفعلوا به فليفعلوا . حينئذ بقي في الانتظار اياماً و بعد ذلك قتله اولاد قونغرتاي وانتقموا منه واخذوا بثار والدهم . وكان ذلك يوم الاربعا ثاني جمادي الاخر ثم ان ارغون لما استقام له الامر رتب كل واحد من الاولاد رئيساً على عسكر من عساكر مملكته . ثم بلغ ارغون بان صاحب الديوان قتل ابافا والده بسم سقاه اياه ولما كان يطلبه من السلطان احمد لم يسمح له به ولا كان يسلمه اليه . فتحقق ارغون ان احمد اختار موت والده . فلما استقر ارغون في الملك هرب شمس الدين صاحب الديوان الى الجبال التي في الاهواز اعني الجبال التى بين الاهواز و بين

العجم واحتمى بطائفة من الاكراد يسمون باللور وكان كبيرهم شخص اسمه يوسف شاه الذي قبله قبولاً حسناً واكرمه لانه قبل عليّ ان يلزم صاحب الديوان ويحمله الى ارغون · وفعل ذلك والزمه به وحمله الى ارغون · ولما قدم قدّم اموالاً كثيرة بنحو مائة تومان من ذهب ثم انهم عرضوا عليه ان يشتري نفسه بحيث لايهرق دمه فطلب المهلة ليبيع املاكه و يقترض و يوصل ذلك · حينئذ حصل بطريق الدين من اصحابه واهله وانسبائه واحبائه واصدقائه نحو اربعين توماناً آخر من الذهب وقال هذا الذي قد حصل ولا يمكن ان يحصل غيره · فما تختارون فعله فافعلوه · فصدر الامر من الملك ارغون بقتله · وقتل يوم الثلثا خامس شهر شعبان هذه السنة الموافق سابع شهر تشرين الاول (اكتوبر) · وكانت هذه آخرة مثل ذلك الرجل العظيم الموهوب الحكيم الذي كانت الدولة باسرها طوع بنانه وكان عنده العقل والخبرة كاملاً بجميع السياسات والتدابير والتواضع الحسن · و يقولون عنه انه ماسبقه احد بتحية السلام بل هو كان يبتدي من اقدم اليه

وفي هذه السنة كانت وفاة علامة الزمان ملك العلماء وتاج الفضلاء منارة الشرق غريغوريوس ابي الفرج ابن هرون الطبيب صاحب التاريخ الشهير

وفي هذه السنة كانت وفاة الامير قرقماز الشهابي في حاصبيا وتولى بعده على الامارة ولده الامير سعد فلم تنجح امارته الا قليلاً · وفي ايامه(١) دخلت المغول الديار الشامية حتى وصلوا الى وادي التيم وجعلوا طريقهم على حاصبيا وقبل وصولهم ببرهة وجيزة اراد الامير سعد ان يجمع جمعاً من رجال وادي التيم و يقف بوجه المغول و يصدمهم و يذب عن بلاده · و يمنعهم عن الدخول اليها · فلم يجبه احد لذلك بل كلٌّ داخله الخوف والرعب مما بلغوا من اخبار المغول وافعالهم واخذت الحيرة قلوب الجميع فلما رآهم الامير عامر تاخروا عن الممانعة والمصادمة علم ان الحضارة تولت عنهم واُخذت الحمية منهم · واشتغل كلٌّ بتدبير نفسه ورزقه وعياله · ونهض مسرعاً واركب الحريم وحمل ماعنده من الاموال وامر الامراء بذلك فصنعوا مثل صنيعه · ولم تكن ساعة حتى صارت العيال على ظهور الخيل خارج البلد وذلك عند غروب الشمس · ووجه اخاه الامير علياً واصحبه بمائة فارس وسير الحريم معه في ذلك الليل الى جبل الشوف

---

(١) اي في ايام الامير سعد ومنهُ يستدل ان موت الامير قرقماز ليس في هذه السنة وهذه الحادثة لم تحدث هذه السنة بل ان ذلك حدث سنة ٦٥٨ السنة التي فيها هجم هولاكو وغزا بر الشام وتملكها كما سبق · وانما الامير حيدر توسع في ذلك كعادته لانه لما يتكلم عن شخص يذكر جميع الحوادث المختصة به ·

واخذت جميع اهالي بلادوادي التيم بالرحيل . وما اصبح الصباح الا وجيوش المغول ملأت بلاد وادي التيم سهلاً وجبلاً من كل جهة فظفروا باهاليها ونهبوا وقتلوا وسلبوا وحرقوا وفعلوا فيها كما فعلوا بغيرها . وسبوا النساء والرجال . فنهض الامير سعد وجمع باقي اخوته واتباعه وغلمانه وفرسانه . واجتمع اليه قليل من اهل البلاد وهرب الباقون . فوقع اكثرهم في ايدي المغول وقام الامير سعد يريد الرحيل . فلم يقدر على المسير بلا قتال . لان المغول احاطوا به من كل جانب . وملكوا البلاد جميعها . فاخذ يدافع و يذب عن نفسه هو ومن معه وكانوا دون الالف . واجتهدوا بالقتال مدافعة عن نفوسهم فقط . وقد شكر الله وحمده على ارسال العيال في الليل الى الجبل . لانهم لو بقوا الى الصباح لكانوا سبوا . وكان الامير سعد كيف ما ادار وجهه يرى السبايا من النساء بايدي المغول ورأى القتل والنهب وسمع الضجة وصراخ الاطفال حتى كادت نفسه ان تذوب من الحزن والانزعاج . فاخذ يدافع ويقاتل فرقةً بعد اخرى وكتيبة بعد كتيبة و يطلب الانصراف ولم يكن له طريق من كثرة الجيوش . ولم يزل هو ومن معه يحاربون و يقاتلون من الصباح الى الظهيرة فبلغوا مرج الشميت وقد عقد التتر عليهم دائرة واحاطوا بهم من كل جانب . واتعبوهم بالقنا والقواضب . فحينئذ ايقن الامير سعد ومن معه من الامراء والغلمان بالهلاك لما رأوا من شدة الضيق وسوء الارتباك . وتزايدت عليهم فرق المغول . واندفقوا كالسيل المهول . فاشتد القتال وعظم عليهم الحال وقاتلوا قتال الاساد . وفعلوا فعل الكرام الامجاد . واختلطوا بتلك الامم الهائجة . والبحار المائجة . ولما تيقنوا الفناء . وعلموا ان المنية تدرسهم بانيابها . وتهلكهم المغول بنصولها وحرابها . نادى الامير سعد اصحابه وجمعهم كتيبةً واحدة وقرأوا الفاتحة على الحملة على تلك الجيوش . وانهم لا يزالون في غارتهم بينهم حتى يخرجوا الى خارجهم وينجوا بانفسهم او يهلكوا باسرهم . ولما صمموا على ذلك رفعوا اصواتهم وودع بعضهم بعضاً . وقوموا الاسنة . واطلقوا الاعنة . وكروا على تلك الجيوش المزدحمة ودخلوا بينهم . وخرقوا صفوفهم وكتائبهم . وجعلوا يقاتلون من يصادمهم و يقابلهم . ولم يزالوا مكرين بين تلك الكتائب . حتى خرقوا جميع المواكب . وادركوا الني من القوم و بلغوا الفضاء في عشية ذلك اليوم . واوسعوا في غارتهم . لما خرجوا من بينهم بجملتهم ولم يقر لهم القرار . حتى بلغوا صحراء كامد من بلاد البقاع . وهناك اعطوا خيلهم راحةً قليلة . ثم اطلقوا الاعنة لان التتر كانوا في الاثر . ولم يزالوا مجدين بغارتهم حتى

وصلوا الى النهر الذي بفيحاء (سهل) البقاع (الليطاني) فوقفوا هناك قليلاً وهم لايعون على شيء لشدة ما اصابهم بتلك الحملة من التعب والجراحات · وكان الليل قد ارخى سدوله على الخافقين · ووقفت التتر عن الطلب · فعندها سار الامير سعد واصحابه خبباً حتى صعدوا الى قمة الجبل · وهناك نزلوا عن خيولهم · واخذوا راحةً وامناً لانفسهم وثبتت قلوبهم وسكن روعهم · واما الامير سعد فشد جرحه وضمده وتمدد لاميتاً ولا حياً · ووقع طريحاً لا يعي من نفسه شيئاً · وباتوا الى الصباح كانهم اشباح بلا ارواح · ولما طلعت الشمس انتبهوا وتفقدوا رجالهم وحالهم فوجدوا انه قد فقد منهم نحو سبعماية فارس واميران من اخوة الامير سعد وثلاثة من بني اعمامه وقد جرح هو ومن بقي معه · ولم يكن منهم احدٌ سالماً بل كلهم مجرحين ومهشمين · فنهضوا وضمدوا جراحاتهم · وجلسوا ينظرون الى ناحية بلادهم فرأوا الحريق قد عمَّ جميع بلاد وادي التيم والبقاع · ولم يروا شيئاً من تكاثف الدخان والعجاج · وبقوا هناك الى ان صلوا صلاة الظهر · وبعد ذلك ركبوا وانحدروا قاصدين اهلهم · وكان الامير علي حين سار بالعيال الى جبل الشوف اختار بطحاء نهر الصفا · وضرب هناك المضارب والخيام · (لربما قرب منبع النهر في قوصرايا او في جهة العديس والبصيل) وانزل العيال وفي اليوم الثاني من نزولهم ركب واخذ معه عشرين فارساً وصعد الى الجبل ليتفقد الخبر بالنظر · ولم يبلغ القمة حتى التقى بالامير سعد واصحابه فترجل وسلم عليه · وساله عن الخبر · فقال دع وانظر الاثر · اين منزلتكم · قال قريبة · ثم امره بالركوب فركب وسار امامهم الى المنزلة · وباتوا تلك الليلة صرعى من تعبهم لا يدركون شيئاً كالليلة الماضية الى الصبح · ولما كان اليوم الثالث وفد اليهم الامير بشير المعني امير الشوف يومئذٍ ومعه الانعامات والميرة فهنأهم بالسلامة وعزاهم على من فقدوا · وترحب بهم واقام عندهم يومين وفي اليوم الثالث رجع الى محله · وبقي الامير سعد مقيماً في ذلك المحل الى ان رجع المغول عن دمشق الى الديار الحلبية وخلت الديار الشامية من جيوشهم فنهض الامير سعد واخذ معه الامراء ومن بقي عنده من الغلمان وكان عدد الجميع دون الخمسماية · وتوجه الى بلاد وادي التيم فراءها محروقة من المغول بلاقعاً تنعق فيها الغربان وتبكي عليها البوم · وقد علاها الدمار والاندثار · وخلت من الانيس وصارت كالقفار · وقد عمها سواد الحريق والدخان وصبغها حتى كانها جبال السودان · فتقطع فؤاده من الحزن والكرب · وسار الى حاصبيا فراءها تخبر عن مدائن صالح بخرابها ·

وتذرف الدموع على فقد احبابها · فزادت احزانه · وتقرحت اجفانه · وارتعد جنانه ولم تطاوعه نفسه على النزول فيها · فنزل خارجها · وضرب المضارب والخيام · واقام مدة من الايام · يبني ما هدم · و يصلح ما عدم · و يبني و يجدد حتى اصلح له مكاناً لاجل سكناه · ثم احضر اهله ورهطه اليها وكانت غربتهم عنها نحو خمسة اشهر · وارجع معه باقي الامراء وغلمانهم · ثم شرع باصلاح الباقي · وكتب الى اهل البلاد في الرجوع اليها · وكان الذي سلم منهم من سيوف المغول وتلك المصيبة نزح الى جبل الشوف · وتفرقوا في صحاريه · ومنهم من انحدر الى الساحل المستامن وتوطنوا هناك · ولما كتب اليهم لم يرجع احد منهم · لان اخبار المغول كانت لم تزل متصلة · وفي كل مدة يحشدون الجيوش و يترددون الى البلاد الشامية · واستولى على الناس منهم الخوف والقلق · وكان ملوك مصر والشام كل هذه المدة لم ينتظم لهم حال · بل في كل مدة يتغلب واحد ثم يقتل فيتولى غيره · ثم يقوم اخر و يخلعه · ثم يعزل وتهيج لذلك الفتن والحروب · والتتر ثائرة من جهة والافرنج من جهة اخرى · فاستولى الخراب على الاقطار الشامية · فمن ثم كان الناس يرغبون في سكنى الجبال العالية الصعبة المسالك وقدم الى جبل لبنان في ذلك الحين خلق كثير ومنهم اهل بلاد وادي التيم واستمرت ديار وادي التيم مقفرة خالية من السكان نحو خمسة اعوام · ولم يكن فيها عمار سوى حاصبيا حتى ركدت زعازع الفتن والمخاوف · فرجع البعض من اهلها وعمروا بعض القرى التي في جبل حاصبيا لاغير · و بقيت على ذلك الحال كل ايام الامير سعد · وحصل في ايامه قحط وجدب حتى اكل الناس بعضهم بعضاً · وجاء بعد ذلك وباء شديد اهلك خلقاً كثيراً · ومات الامير سعد بذلك الوباء بعد ما تولى على الامارة خمس وثلاثين سنة نقضت بالمصائب والمتاعب

(وفي هذه السنة عاد السلطان الى دمشق وجاء اليه الملك المنصور صاحب حماة · ثم عاد كل منهما الى بلاده · وفيها توفي الملك المنصور صاحب حماة وكان ملكاً حليماً واستقر بالملك بعده الملك المظفر محمود وجاءه الاذن بالولاية والحلل السنيـة من سلطان مصر وامر السلطان قلاوون المماليك بتغيير ملابسهم الى لبس رجال الحرب · وفيها زاد نهر دمشق وارتفع الى باب الفرج فذهب من اموال العسكر مالا يحصى · وفيها انتصرت اهالي جنوا على اهالي بيزا في موقعة بحرية · وافتتح اهالي جنوا جزيرة كورسيكا)

وفي السنة ٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م قدم الملك المنصور قلاوون الى دمشق وجمع

العساكر المصرية والشامية وحاصر حصن المرقب وهو في يد الاستبار الافرنجي في غاية العلو والتحصين فنصب عليه المجانيق وامر البنائين بنقبه فطلب اهله الامان فامنهم على شرط ان يخرجوا ويحملوا كل ما يقدرون عليه ما عدا السلاح . ويقال انهم هربوا بنفق كان ينفذ من الحصن الى البحر . وفي التاسع عشر من ربيع اول يوم الجمعة طلعت اليه سناجق السلطان . (قال السلطان عماد الدين في تاريخه كنت حاضره وعمري اثنتا عشرة سنة وعاد السلطان الى بحيرة حمص فورد عليه الخبر بولادة ولده السلطان الملك الناصر فعاد الى مصر مسرورًا فرحًا) وفي هذه السنة ركب الملك المظفر صاحب حماة بالخلعة والغاشية من السلطان قلاوون وحمل الغاشية بين يديه نائب المملكة حسام الدين طارنطاي وفيها توفي فيليب ملك فرنسا وتولى مكانه فيليب الظريف . وفيها توفي اسكندر الثالث ملك اسكوتلاندا ووقع شقاق عظيم اعقبه حروب كبيرة بين اسكوتلاندا وانكلترا

وفي السنة ٦٨٥ هـ = ١٢٨٦ م جهز السلطان عسكرًا مع الامير حسام الدين لمنازلة الكرك فحاصروها وتسلموها بالامان من صاحبيها جمال الدين خضر وبدر الدين سلامش (قيل سلامش) ولدي الملك الظاهر بيبرس . ثم خرج السلطان اليهما وقرّر امرها واحسن اليهما وعاد الى مصر . ثم بلغه بعد مدة طويلة عنهما ما كرهه فامر بسجنهما حتى توفيا

وفي السنة ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م (توجه الملك المنصور قلاوون الصالحي بالعساكر الى طرابلس وحاصرها وفتحها بالسيف وغنم المسلمون مالا يحصى . ثم هدمها الى الارض وكان لها بيد الافرنج نحو ١٥٠ سنة) . وفيها قدم حسام الدين طارنطاي الى دمشق نائبًا بها . ثم توجه لقتال سنقر الاشقر واخذ معه المجانيق والات الحصار . وتسلم حصن برزيه بلا قتال . وتسلم حصن صهيون بالامان . واكرم صاحبها سنقر الاشقر غاية الاكرام . واخذ منه حصن صهيون على شروط التزم له بها طارنطاي وحلف له ودخل مع طارنطاي مكرمًا الى حمص واعطاه السلطان بمصر ميرة مائة فارس وثبت فيها لبعد وفاة مولاه . واما حسام الدين فقبل ان يرجع الى مصر نازل اللاذقية واحاط بها وكان برج للافرنج في البحر فتسلمه بالامان وهدمه . (وفيها ارسل السلطان عسكرًا مع علم الدين سنجار متولي القاهرة الى بلاد النوبة فغزوا وغنموا وعادوا) . وفيها انشأ قجاش الاسحاقي السيفي جامع ابو حريبة شارع الدرب الاحمر

يذكر بارونيوس انه بهذه السنة نمت دولة الاتراك المدعوة آل عثمان ابن سلجوق كما قدمنا عنهم الشرح ونسبهم يتصل بالشعوب السيطيين القاطنين جبل كوكاس (لعله قوقاسوس) . ثم تغلبوا على اعمال اسيا و بلاد العجم . و بعد حروب كثيرة تملكوا تلك البلدان وتركوا عبادة الاوثان ودخلوا في دين الاسلام . وقد كانوا منقسمين الى سبع طوائف . وكانت كورة بيطينيا من قسم عثمان ابن سلجوق فتغلب المذكور بشجاعة عظيمة على الروم واستخلص منهم تلك الكور القريبة منه . وتملك منهم مدينة برصا وجعلها كرسي ملكه

وفي السنة ٦٨٧ هـ = ١٢٨٨ م توفي شيخ الاطباء علاء الدين ابن النفيس الدمشقي وكان الف كتاب الموجز في الطب وله تصانيف كثيرة غيره وتوفي بمصر . وفيها مات الامير الافرنجي صاحب طرابلس . وخرج السلطان قلاوون بالجيوش المصرية واجتمعت اليه عساكر الشام ونازل طرابلس [1] الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الاول فنصب عليها المجانيق الكبار والصغار من جهة الشرق وشدد عليها الحصار والقتال نحو ثلاثة وثلاثين يوماً حتى فتحها بالسيف . وقتل منها خلقاً كثيراً من المسلمين . وقتل السلطان غالب رجالها وسبيت ذراريهم وغنم العسكر غنيمة عظيمة . ولم ينج من الافرنج الا القليل فقصدوا الميناء و بعد مانهبها العسكر امر السلطان بحرقها . وهدمها ودكها الى الارض . وهربت الناس من الميناء الى الجزيرة التي كانت بقربها كنيسة القديس توما . يقول صاحب التاريخ المختصر ابن ايوب الذي كان حاضراً واقتحم العسكر الاسلامي البحر وعبروا بخيولهم سباحة الى الجزيرة فقتلوا جميع من بها من الرجال وغنموا الاموال والنساء والصغار . وكان لطرابلس في يد الافرنج مائة وخمسة وثمانين سنة استولوا عليها في احد عشر ذي الحجة بعد حصار خمس سنين وكان فتح طرابلس في ٢٦ نيسان (ابريل) سنة ٥٠٣ هـ و بقيت في ايديهم الى اوائل هذه السنة . و بعدما احرقها السلطان وهدمت بنيت على بعد نصف فرسخ من محلها الاول وسكنها المسلمون . ولكون سكان كسروان والجرديين نزلوا الى نجدة الافرنج امر حسام الدين لاجين نائب دمشق قراسنقر ان يجمع العساكر الشامية و يزحف بهم الى كسروان وجرده لاستئصال اهلها كما ذكر ابن سباط . ومن جملة اوامر حسام الدين انه كتب لامراء غرب بيروت الامير جمال

---

(1) ذكرنا ذلك بالاختصار تحت سنة ٦٦ هكذا ذكره جملة من المورخين والامير حيدر يذكره سنة ٦٨٧ بتطويل فاثبتناه هنا والله اعلم بالصواب

الدين حجي ابن محمد التنوخي والى زين الدين ابن علي انه اذا بلغهما توجه المقر الشمسي سنقر المنصوري بالعساكر المنصورة الى جهة كسروان وجرده فليتوجها اليه بجموعهما وفوشهما . وان من سبى امراة منهم كانت له جارية او صبيًا كان له مملوكاً . ومن احضر منهم راس رجل فله دينار . وان سنقر توجه لاستئصال الاعداء ونهب اموالهم وسبي ذراريهم وقتل رجالهم .

وفي السنة ٦٨٩ هـ = ١٢٩٠ م توفي سلطان الاسلام سيد الترك الملك المنصور سيف الدين قلاوون ابو المعالي الصالحي النجمي في شهر ذي القعدة . وقد جاوز الستين سنة من العمر . وكان يلقب بالالفي لانه بيع بالف دينار . وكان فارسًا شجاعًا و بطلاً خبيرًا ذا سياسة مهوبًا تام الشكل حسن الصورة كثير الوقار . دريء[1] اللون مستدير الوجه خفيف اللحية قد بدا الشيب بعارضيه . عليه جلالة وعظمة كانه خلق للملك . وكان احد الامراء الاعيان يوم وقعة عين جالوت . ثم كان من اكابر المقدمين في دولة الملك الظاهر . ثم عمل نيابة السلطان للملك العادل سلامس . ثم استقل بالسلطنة وكانت مدة دولته احد عشر سنة واربعة اشهر .

الفصل الثامن

في حكم السلطان الاشرف خليل وهو الثامن من ملوك الترك

ثم تولى على السلطنة بعده ولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل . وذلك في مستهل ذي القعدة السنة المذكورة فقبض على طرنطاي واهلكه . واستولى على امواله الكثيرة فوجد عنده اموالاً عظيمة من الذهب الف الف دينار وستمائة الف دينار فاخذها السلطان جميعها . وكان عمر طرنطاي دون الخمسين سنة . وولى على الوزارة بعده شمس الدين محمد ابن السلعوس وعلى النيابة بدر الدين بيدرًا . وولى على دمشق حسام الدين لاجين وعلى حلب قراسنقر ومن آثار السلطان خليل ابن قلاوون جامعه الشهير ومقامه وكلاهما داخلان في بناء مستشفى المجانين الذي يشاهده المار في شارع النحاسين ومن آثاره خان الخليلي المشهور

وفي السنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ م يقول ابن الحريري ان الملك الاشرف خليل

---

(١) الدريء المتوقد المتلالئ من الكواكب وجمعها الدراري

توجه لغزو عكا ونازلها رابع شهر ربيع الاول بجيوش الاسلام و بام لا يحصى عددهم وجدوا في الحصار فاعانهم عسكر قبرس . وثبت فيها الافرنج ثباتًا عظيماً . فجاء الملك المظفر صاحب حماة وعساكره ومعه الملك الافضل . واصحبوا معهم من حصن الاكراد المنجنيق العظيم الملقب بالمنصوري حمل على مائة عجلة . ولكون الامر حدث في فصل الشتاء قاسوا مشقات كثيرة من الامطار والثلوج في جره من حصن الاكراد الى عكا . فصرفوا نحو شهر مع ان المسافة ليست باكثر من سفر ثمانية ايام . وجمعوا بقية آلات الحصار والمجانيق الكبيرة والصغيرة مما يجمع الى غيرها . وعمل السلطان طبولاً عظيمة وكانت ثلثماية حمل لان الافرنج كانوا تقووا ولم يغلقوا اغلب الابواب . فزحف الجيش الى عكا سحر يوم الجمعة سابع عشر جمادي الاول فارتجت الارض بضرب الطبول واشتد عليها الحصار . وحين لاصق المسلمون السور هربت الافرنج الى البحر . وارتفعت رايات الاسلام ونكست رايات الافرنج . وعمل السيف فيهم عند طلوع الشمس . وهدمت ابراج عكا واسوارها وغنمت العساكر غنائم كثيرة . وقتلوا الافرنج الذين مسكوهم عن آخرهم . ولم يفلت الا الذين هربوا في المراكب . وامر السلطان بهدم المدينة الى الارض فدكت دكاً . وكان هذا الفتح في ١٩ جمادي الآخر . وقد كانت عكا اخذت اولاً سنة ٤٧٨ ه . ثم اخذتها الافرنج بالسيف سنة ٤٩٦ ه . ثم اخذها منهم صلاح الدين يوسف سنة ٥٩٣ه . ثم اخذها الافرنج ودامت في ايديهم الى هذه السنة ٦٩٠ه فلما بلغت اخبار عكا الافرنج الذين في السواحل اخلوا البلاد وهربوا . وكانت البلاد حصينة منيعة الى الغاية . فاقبل عليهم الرعب وقدمت البشائر الى السلطان بان الافرنج خرجوا من صور . فامر باخلائها وهدمها . وكان في صور خلق كثير من عوام المسلمين . فلم يقبلوا واقاموا بها وكانت صور بيد الافرنج مدة ماية وسبعين سنة ثم توجه السلطان الى دمشق مويداً منصوراً فقبض على حسام الدين لاجين نائب السلطنة بدمشق وولى عليها موضعه علم الدين سنجر الشجاعي . وقبض ايضاً على ابن جرص فحبسهما . ثم سار فرقة من الجيش الى صيدا . وكان لها قلعتان عظيمتان احداهما قبلية والاخرى شمالية وكان لها جزيرة في البحر بالقرب منها فدخلتها الاسلام واخربوا المدينة والجزيرة والقلعتين ودكوها الى الارض . ثم ان علم الدين سنجر الشجاعي اخذ الجيش وتوجه الى بيروت . وكان اهل بيروت متمسكين بهدنة وكانوا قد عملوا حيلة على امراء

الغرب الساكنين بالقرب منهم حتى اوقعوهم وقتلوا اكثرهم غدراً . فلما قدم سنجر الشجاعي اغلقوا المدينة خوفاً فحاصرها سنجر الشجاعي واخذها في آخر رجب واسر اهلها انتقاماً منهم لما فعلوه بالامراء المجاورين لهم وهدمت اسوارها ودكت قلعتها وكانت حصينة منيعة جداً . واما اهل عثليت فلما نظروا ماصار بعكا وصور حملوا الذي قدروا على حمله وهربوا بالبحر واضرموا النار فيها . وكان ذلك في مستهل شعبان . وفي خمسة عشر منه نازل الشجاعي طرسوس فسلمها الافرنج بالامان . وكان من سعادة هذا السلطان ما لم يتفق لغيره بفتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال ولا تعب . وامر بخرابها فخربت عن آخرها . وانضفت السواحل من الافرنج بعد ما كانوا اشرفوا على ملك الشام والديار المصرية . والبعض من الافرنج سكنوا في جبل لبنان والباقي عادوا الى بلادهم في المراكب . وفي هذه السنة بنى الشجاعي نائب دمشق دار قلعة دمشق والطارمة وزخرفها واكملها بسبعة اشهر . وفيها كمل قراسنقر بناء قلعة حلب . وكان لها ثلاث وثلاثون سنة خراباً منذ خربها هلاكو سنة ٦٥٨ ه . وفيها امر الشجاعي بالتهديد على كل امراة تلبس طاقية طويلة ام حلى وتخرج بها الى المقابر . وفيها اطلق السلطان الاشرف خليل اسرى بيروت . وكانوا نحو ستماية اسير . واطلق لاجين وسنقر الاشقر والبيسري وسنقر الطويل وتقصواه وفيها امر الخليفة الحاكم بامر الله العباسي بالركوب الى اخذ بغداد من ايدي التتر

وفي السنة ٦٩١ه = ١٢٩١ م دخل الملك الاشرف خليل دمشق . ثم صلى بالمقصورة نهار الجمعة على الخطيب القازوفي . ثم سار الى حلب ودخلها في جمادى الاول . ثم سار بالعساكر في جمادى الآخر الى قلعة الروم . وحاصرها شهراً وثلاثة ايام وفتحها وقلعتها بالسيف وامن الناس على ارواحهم . واسرهم واخذ اموالهم ولما عاد السلطان عزل قراسنقر عن حلب واخذه معه . وولىّ مكانه تلبان الطباخي . وعزل علم الدين سنجر الشجاعي عن دمشق وكان ولاه عليها عند حصار عكا عوضاً عن حسام الدين لاجين . وولى عز الدين ايبك الحموي عوضاً عنه . وامر بهدم قلعة الشوبك ثم قتل لاجين[1] وتقصوا وسنقر الاشقر وكانوا من اعظم الامراء وافرسهم . ثم رجع السلطان . الى مصر بعد شهرين وفيها حصلت محاربة بين فرنسا وانكلترا . وفيها كان مولد ابن الوردي المؤلف المشهور

(١) لم يقتل حسام الدين لاجين ولا رفيقيه بهذه السنة وسياتي ذكرهم في السنين الآتية حتى ان الامير حيدر نفسه يذكرهم صريحاً

وفي السنة ٦٩٢ هـ = ١٢٩٢ م (ذكر الوليد ابن الشحنة انه بهذه السنة توجه السلطان الاشرف من مصر الى الشام ونزل قريباً من حمص فجاء مهني ابن عيسى واخوه محمد وفضل وولده موسى فقبض على الجميع وارسلهم الى قلعة الجبل ثم عاد الى مصر) وفيها كان الفراغ من بناء جسر نهر الكلب الذي شرع ببنائه سيف الدين ارقطاسي المنصور الناصري كافل السلطنة الشريفة في ايام الملك المنصور ابن الملك الناصر محمد قلاوون . وكان بناؤه بعد ماخرب الجسر الذي اقامه السلطان انطونيوس الحليم الذي تملك على رومية بعد المسيح بمائة واربعين سنة . وهو الذي قطع الصخور وبنى البرج ومشى في الطريق التي على شاطي البحر الموصل الى مدينة بيروت كما هو مكتوب على الصخر قبال الجسر القديم مابلي قبليه على هذه الصورة مكتوب . الامير ادوار قيصر ماركوس اوريوس انطونيوس الحليم السعيد اوغسطس كبير الجرمانيين الحبر الاعظم قطع الجبال المشتملة على نهر ليقا ونهج الطريق مسهلاً ولقبه بالطريق الانطونياني . وهذا النهر تلقب بالكلب لكونه بعد ما اصلح انطونيوس الملك الطريق نصب به الكفرة قايمة (نصباً) من حجر كبير على صورة الكلب وقيدوه بسلسلة حديد في الصخر وجعلوا قدامه نقيراً لاجل الطعام . وقيل ان دخله الشيطان وصار رصداً متى قصدوا ان يغزوا سواحل الشام بالمراكب كان الرصد ينبح ليستعدوا لقتالهم . وما زال مستمراً على ذلك . حتى قصده البحرية ورموا النصب في البحر ثم قطعوا راس الكلب وهذا سبب تسميته بنهر الكلب واسمه القديم نهر ليقا . وفي هذه السنة توفي الامير علم الدين سنجر الحلبي وكان من الموصوفين بالشجاعة والفروسية . وكان كبير الدولة وتسلط على دمشق اياماً بعد هولاكو وتلقب بالملك المجاهد . وسجن قهراً . ثم اخرجه الملك الاشرف وانعم عليه وكان عمره ثمانين سنة وفيها طلب الملك الاشرف صاحب حماة وصاحب دمشق الى مصر فحضرا وانعم عليهما . ثم صحبهما الى جهة الكرك . ثم الى دمشق . وفيها سار الملك الافضل من حلب الى دمشق وتوفي بها

وفي السنة ٦٩٣ هـ = ١٢٩٣ م استرجع امراء الغرب ولايتهم على بلادهم بعد ما كانت خرجت الخلعة الطرابلسية (اي لاهل طرابلس) . ثم ترتبوا منقسمين الى بدلات . وجعلوا بهذه السنة على درك بيروت تسعين فارساً تقسم ثلاث بدلات كل شهر بدل . ثلاثون فارساً يقيمون في بيروت وفي انقضاء الشهر يحضر غيرهم . واما ارباب الاتراك فكانت اجناد حلقة بعلبك تتجرد الى بيروت ابدالاً كل بدل عشرون فارساً . وجعلوا

لبيروت مناظرة للبحر (منارة) وحمام بطاق الى مدرج دمشق وخيل بذيل ٠ وكانت النار للحوادث في الليل وحمام البطاق للحوادث بالنهار ٠ والبدل للاخبار وما يتجدد وذلك من خوفهم من الافرنج لئلا يرجعوا ٠ فجعلوا الطريق من بيروت الى دمشق اربع بدلات بدل الى خان الحسين ٠ والثاني الى قرية الزبداني والثالث الى خان معسنون (ميسلون) والرابع منه الى دمشق ٠ ثم قرروا ايضاً ناراً تصل الى دمشق في ليلة واحدة فجعلوا يشعلونها من ظهر بيروت في مكان معلوم فتجاوبها في راس بيروت العتيقة ومنها الى جبل بوارش (او جبل الكنيسة) ومنه الى بيدس ومنه الى جبل الصالحية ومنه الى قلعة دمشق ٠ وفي هذه السنة خرج للصيد الملك الاشرف صلاح الدين خليل الى تروجة فركب عليه مماليك ابيه بيدراً وحسام الدين لاجين الذي كان نائباً بالشام (وقراسنقر الذي كان نائباً بحلب فلحقوه وهو راكب يسير بقليل من خواصه فضربه بيدر ثم لاجين حتى قتل ٠ ثم حمله والي تروجة الى القاهرة ودفنه بمدرسته التي بناها بقرب السيدة نفيسة وقد هدمها الفرنساويون في غزوة بونابارته سنة ١٣١٤ ه واليه ينسب الخان الخليلي ٠ واجتمعت مماليك السلطان وتبعوا بيدراً وقتلوه ورفعوا راسه على رمح واما لاجين وقراسنقر فاختفيا) وكانت مدة دولة السلطان خليل ثلاثة سنين وشهرين ٠ وفيها اكتشف روجير و باكون بارود المدافع

الفصل التاسع

في ملك الملك ناصر الدين محمد ابن قلاوون وهو التاسع من ملوك الترك

وجلس بعد السلطان خليل على سرير السلطنة اخوه السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن قلاوون في العشر الاوسط من شهر محرم وهو التاسع من ملوك الترك ابالديار المصرية ٠ وقبض على بهادر راس النوبة وقوش الموصلي وطارنطاي الساقي وغيرهم من الامراء المشاركين بقتل الملك الاشرف فامسكوا جميعاً وقطعت ايديهم وارجلهم ثم صلبوا ٠ وحصلت الشفاعة في حسام الدين لاجين وفي قراسنقر فظهرا واستترا ولم يطلع لهما خبر حتى تسلط الناصر فاخذ لهما الامان واعطاهما الاقطاعات العظيمة ٠ وذلك من نائب الملة الذي ولاه على النيابة وهو زين الدين كتبغا ٠

الفصل العاشر

في ملك زين الدين كتبغا الملقب بالملك العادل وهو العاشر من ملوك الترك

وفي السنة ٦٩٤ هـ = ١٢٩٤ م انحط الملك الناصر ابن قلاوون عن السلطنة نهار الاربعاء تاسع شهر محرم . وتولى على السلطنة بدله زين الدين كتبغا التركي المنصوري وتلقب بالملك العادل . وخطب له بمصر والشام وزينت له البلاد . وضربت السكة باسمه وهو العاشر من ملوك الترك . فجعل نائبه حسام الدين لاجين . وضبط الملك الناصر محمد ابن قلاوون في قلعة الجبل وحجب الناس عنه . وفي هذه السنة نقص النيل نقصة عظيمة فتبعه الغلاء وحدث بعده وباء وفناء عظيم . وفيها ثارت الفتنة ما بين نصارى بلاد جبيل من جهة الانشقاق الذي وقع بينهم . وسارت اليهم عساكر الاسلام من نواحي الشام[1] وحين بلغ الامير يوحنا صاحب جبيل ذلك هرب في البحر واقلع في الليل . وعند الصباح وصلت عساكر الاسلام وحاصرت جبيل . ثم اجتمعت اهل الجبال نحو ثلاثين الف مقاتل وضربوا عسكر الاسلام . وهجم خالد مقدم قرية شمس وقتل مقدم عساكر الاسلام . وهزموهم عند مدينة جبيل . فوقعت الاسلام بيد الكمين الذى كان في نهر المدفون ولم يسلم منهم انسان . ثم اتت نجدة من طرابلس فالتقاهم عسكر وادي المدفون الى قرب البحر فهزموهم وقتلوا منهم عدداً عظيماً وشقعوا رووسهم كالقلمة . ومن ذلك الوقت سميت تلك الارض الشقعة[2] وقبورهم باقية للان

وفي السنة ٦٩٥ هـ = ١٢٩٥ كان القحط المفرط بمصر لسبب نقص النيل بحيث بلغ اردب الحنطة مائة وستين درهماً . واكل الناس الجيف وعظم الوباء ومات الخلق في الطرق من الجوع . و بلغ الخبز بمصر كل خمس اواق بالدمشقي بدرهم . وصار الغلاء بدمشق فبلغت الغرارة مائة وخمسين درهماً . ويقال انه احصي من مات في مصر في شهر صفر فبلغ ما ينوف عن مائة الف . ثم عقبه الرخص في جمادي الاولى من هذه السنة . وفيها في ذي القعدة قدم السلطان كتبغا الى دمشق وزينت دمشق لقدومه وسار الى جهة حمص . فاشترى

(١) تقدم ان الملك العادل عين نائباً على الشام حسام الدين لاجين . والمرجح انه بامره او بنفسه اتى لهذه الغزوة وتملك قلعة جبيل كما هو معروف عن حسام الدين

(٢) الشقعة هي الجبل المقابل بيروت واخر ما تنظره منها قرب طرابلس

قرية جوسية وهي خراب على طريق بعلبك من حمص وجدد بناءها . ثم عزل نائب الشام ايبك الحموي وولى موضعه مملوكه سيف الدين عزلو . وقبل هذه السنة بايام ناصر الدين الحسين ابن خضر عيّن امراء الغرب تسعين فارساً وانقسموا ثلاث بدلات كما سيأتي في اخبارهم وفيها قدم نحو عشرة الآف من التتر فانزلهم الملك العادل بالحسينية واكرمهم وهم المعروفون بالاويرانية

وفي السنة ٦٩٦هـ = ١٢٩٦م عندما قصد السلطان كتبغا العودة من حمص ومن دمشق الى مصر مع حسام الدين لاجين النائب ومعهما العسكر . وبينما هم سائرون في وادي حماة وثب حسام الدين على تبخاص وبكتون وقتلهما . وكانا جناحي السلطان . ثم ساق لاجين الجيش والخزائن وتبوأ قهرا عرش السلطنة و بايعوه كلهم ودخل ونزل قصر كتبغا فزينت له مصر .

الفصل الحادي عشر

في ملك الملك المنصور لاجين وهو الحادي عشر من ملوك الترك

وعند وصول حسام الدين لاجين الى مصر اجتمع اليه الامراء فحلفوا له و بايعوه بالسلطنة وتلقب بالملك المنصور وهو الحادي عشر من ملوك الترك بالديار المصرية وجعل نائبه بدمشق سيف الدين قبجق المنصوري وفي مصر مملوكه منكوتمر الحسامي . وفي حلب مملوكه اباغدي شقير . وارسل الملك الناصر محمدا ابن قلاوون الذي كان في قلعة الجبل الى الكرك . واما السلطان العادل كتبغا فحينما رأى مافعله لاجين خاف على نفسه ورجع من وادي حماة هارباً الى دمشق ومعه خمسة مماليك . فخرج عزلو مملوكه الذي كان نائباً على دمشق الى لقاه وادخله الى قلعة دمشق ثم انه خلع رداءه وكتب الى لاجين طالباً منه الامان وموضعاً يتآوى فيه فاعطاه صرخد فسار اليها كتبغا واستقر بها

رسالة الملك المنصور حسام الدين ايده الله تعالى . ملك بسيفه ربع الارض المسكون ولم يبلغنا في تاريخ من التواريخ من ادم عليه السلام الى يومنا هذا ان ملكاً ملك من الاقاليم ماملكه . ولا تيسر له من التأبيد ما تيسر له . ونحن سادس ملك من صلبه (كان الكاتب من نسله) . وكان قد سبق في تقدير الله تعالى ان يصيب اولاده ممن سلف قبلنا عين ناقدة فوقع بينهم الاختلاف وطال التنازع سنين كثيرة . فاجتمع من

بقايا سيوفهم ام مستخلفين يستترون في الكنف . و يتغيبون في ابعد المضائق . وكان منهم سكان مصر والشام واجتمع بهم من المماليك والخوارج زمرة غرتهم سلامتهم من المغول المشتغلين عنهم وطفقوا كل مدة يختارون من بينهم مملوكاً من ارذل الاجناس فيملكونه على الاسلام و يحكمونه علي رقاب العباد . وحسبوا ذلك غاية تدبير الملك . ولم يعرفوا سبيل النجاة من سبيل الهلاك حتى وصلت نوبة الملك الينا وزفت عروسها الينا . زين الله قلوبنا بالايمان . وابهجها بانوار السلام وكان من الواجب على المماليك ان يهنئونا بما وهبه الله تعالى لنا من الملك العظيم وهدانا الى الصراط المستقيم . و يرسلون الينا رسلهم بتحف السلاطين . و يجدون في استجلاب مودتنا اوضح القوانين . ولما علموا اننا دخلنا في الاسلام راغبين حسبوا انهم اذا فتحوا لنا طريق المودة جاءنا اكثر عسكرهم هاربين . ولم يكن لهم من التمييز ان يعلموا ان الملك لله يؤتيه لمن يشاء من عباده . وقد ملك كثير من الكفار اكثر بلاده كما بلغهم عن جنكيزخان . وعن كثير ممن كان . ولو كان الملك بالقوى . لكان بنو فاطمة بالخلافة احق واقدر واولى . ولم يرضوا بذلك حتى سلكو من الهجوم والاقتحام اقبح المسالك . وذكروا ان هذه الطائفة من المماليك لهم اربعون سنة يقصدون الحصون والمدن الضعيفة فيخربونها . حتى انهم خربوا كثيراً من البلاد . وقتلوا عدداً من العباد . ما يعادل اهل مصر والشام . واوضحوا ذلك بنقل الكلام اذ قالوا والمصلحة اننا نشنّ الغارات على الشام من غزّة الى الفرات . ونقتل من فيها . ونبني ما خربوا لنقابل الفاسد بمثله . فما قبلنا مشورتهم وقلنا نحن لانرضى بفعلهم لئلا نماثلهم واعرضنا عن ذلك . وقد ارسلنا الى اهل القلاع والجبال والاعرب والاكراد والعشائر بكتب الآمان حتى يكونوا في امان الله تعالى وامامنا . واذ رجعت هذه العساكر عن هذه البلاد ردّ كلّ الى وطنه ورجع الى سكنه . وقصدنا مصلحة الرعايا وحمايتهم فرتبنا مولا جيجك و بشقا ونقا وهلاجر وقرابغا وهلادر مقدمين على الف فارس . وتركناهم على غزة والغور . وامرنا الامير سبا ان يقيم على حلب وحماة في عشرين الف فارس . واعطينا الامير سيف الدين قبجق نيابة السلطنة بدمشق . و بكتمر نيابة السلطنة بطرابلس وجبيل و بيروت وصيدا والسواحل كلها وصفد . وجعلنا ملك الوزرآء والامراء ناصر الدين يحيي ناظراً على الدواوين في هذه الاقاليم كلها . فكل من اعطاه امانًا فهو اماننا . وكل جندي اراد خدمتنا فهو آمن وقد امرنا الحكام ان يعينوا الرعية وليتقوا ما اودعه الله لهم في قلوبنا من الرحمة

وحسن النية ليطيعوا هولاء الامراء طاعة الرعية الموفقة · ولا يتخلف عن طاعتهم احد · فقد اخذنا عليهم العهود بالعدل والشفقة · فان خالف احد وعصا · فلا بد ان يرى و يذوق كاس الردى · والله يجمع قلوب رعايانا على الهدى · ان شاء الله تعالى والسلام · ثم ان غازان اقبل في جيش عظيم وعبر الفرات · وخرج اليه السلطان المنصور لاجين فكانت المعركة في سابع عشر ربيع الاول من هذه السنة بوادي الخزندار · وهي على ثلاثة فراسخ من حمص · فقتل فيها مافوق العشرة الاف من التتر ولاحت امارة النصر · وثبت السلطان بمماليكه ثباتاً حسناً · ثم انكسرت ميمنة السلطان وخذلوا · وهرب السلطان ومن معه وساروا الى ناحية البقاع · واستولى غازان على دمشق · ودخلت التتر اليها وشرعوا في المصادرة والفسق والظلم ونهبوا الصالحية وسبوا اهلها · ووقع الحريق · فاحرقوا جامع العقيبة وما حوله وعدة اماكن اخرى · واسروا من الصالحية نحو اربعة الاف نفس · وعملوا المجانيق والثقوب وحاصروا القلعة · فاحرق اهل القلعة دار السعادة ودار الحديث والعادلية والنورية · وخربت تلك الناحية كلها وهرب اهلها · و بقي باب البريد اسطبلاً فيه الزبل نحو ذراع · وحاصر القلعة حصاراً عظيماً ولم يقدر عليها · وصادر اهل دمشق حتى العامة والحامين · واخذ من الاموال ما لا يحصي عدها · وقتل من اهل دمشق خلقاً كثيراً · وقد جرى على دمشق ماتعجز الاقلام حصره والالسن عن وصفه · وغلت الاسعار وافتقر الخلق · فانا لله وانا اليه راجعون · فيالها من مصيبة وما اعظمها · ثم رجع غازان من دمشق بالسبي والمكاسب · وقد استغنى عسكره وترك قبجق نائباً بها · وعجز عن اخذ القلعة لشدة عزم نائبها علم الدين ارجواش · ودامت التتر بالشام اربعة اشهر · فهذا ما كان من الملك غازان · واما السلطان فانه دخل الى مصر مكسوراً ومعه بعض الجيوش المصرية والشامية · وقد ذهبت اموالهم وسلاحهم واثقالهم · وتلفت اكثر خيلهم وتضعضعوا وتفرقوا ونقصوا · ثم ان السلطان فتح بيوت الاموال وانفق على الجيش نفقة ماسمع بمثلها قط · واشترى الخيل والسلاح وتراجعت العساكر بعضها الى بعض · ووصل السلطان الى العريش والناس في حال شديد · وخاف الغني والفقير واغلقت دمشق وازدحم الخلق بالقاعة واقتسموها بالشبر · وهلك خلق كثير من الثلج والغلاء لاسيما في حلب · و بيع رطل اللحم بدمشق بتسعة دراهم · واشتد الخطب وهربت الخلق وليس الخبر كالعيان · وخرج من دمشق نائبها قبجق و بكتمر السلاحدار · وحضرا الى السلطان فعفا عنهما · ووردت بطاقة السلطان بحفظ اسوار دمشق · فانا لله وانا اليه

راجعون . و بالها من محنة . ومن مصيبة مااعظمها . ثم انه كانت الحرب بينهما على كتف المسري نهاري السبت والاحد . فانكسرت التتر بحمد الله تعالى وعونه . وجاء النصر وولى التتر مدبرين . وذاعت البشائر . وزينت دمشق . فاين سرور يوم الاحد من غمة السبت . وذلك في ثاني شهر رمضان . ولله ماذاقت اهل دمشق يوماً احلى منه . ولا امر يوم مثل الذى قبله . وكان عدد التتر نحو خمسين الفاً . وكان مقدمهم خطلو شا نائب غازان . وكان غازان في حلب ولم يرجع اليه من عسكره الا دون الثلاثة الالاف لسبب الحفاء والجوع والذل الذي لايعبر عنه وتفرقوا لبعد المسافات . ووصل السلطان الى دمشق وكان الخليفة معه مؤيداً منصوراً . ودخل دمشق بالسبايا والاموال وردها الى اربابها . وعيّد عيد الفطر بدمشق . ثم سافر الى مصر ودخل قلعة الجبل اخر شوال

(وفي السنة ٦٩٧ هـ = ١٢٩٧ م جهز السلطان لاجين عساكره الى بلاد الارمن وفتحت جميعها الا سيس = . وفي ١٨ شوال توفي القاضي العلامة جمال الدين محمد ابن سالم ابن واصل قاضي القضاة الشافعية بحماة ومولده سنة ٦٠٤)

وفي سنة ٦٩٨ هـ = ١٢٩٨ م وثب جماعة من المماليك الصغار على الملك المنصور حسام الدين لاجين اول الليل وهو يلعب بالشطرنج وقتلوه في ١١ ربيع الثاني . وقتلوا نائبه منكوتمر وجلس موضعه في النيابة طغجي الاشرف مقدم المماليك وكانت مدة ملكه سنتين وثلاثة اشهر

رجوع الملك الناصر محمد ابن قلاوون الى الملك ثانية

ثم اجتمع الامراء وقتلوا طغجي النائب واعادوا الملك الناصر محمد ابن قلاوون . من الكرك واستقر على الملك رابع عشر جمادى الاول فاتفق مع الامراء على ان يكون سيف الدين سلار نائباً على السلطنة بمصر . وفوض نيابة دمشق الى جمال الدين اقوش الافرم . وفي هذه السنة توفي الملك المظفر محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب . وحين ذل بيت ايوب اعطى السلطان حماة لقراسنقر فسار اليها من الصبيبة . وفي هذه السنة سار الملك الناصر الى بلاد غزة . فاقام هناك حتى نهاية السنة . وكان يتفقد المملكة سلار والجاشنكير استاذ الديوان . وفيها هرب قبجق و بكتر السلحدار ولحقا بغازان ملك التتر فاكرمهما ووعدهما بقتل السلطان ونائبه واضطراب الامور

فعوّل على المسير الى بلاد الشام

وفي السنة ٦٩٩ هـ = ١٢٩٩ م لما سمع غازان (وروي قازان) بن ارغون بن ابغا ملك التتر باختلاف الامراء والعساكر سار بجموع عظيمة من المغول والكرج والمرتدة · وعبر الفرات وداس بجموعه بلاد حلب وحماة ووادي مجمل المروج · وخرج اليه السلطان محمد قلاوون في عساكر مصر والشام والعرب والتركمان · وفي سابع وعشرين ربيع اول من هذه السنة كانت الحرب بوادي الخزنادار · وهي في شرقي حمص على بعد ثلاثة فراسخ · واحاطت التتر بعسكر السلطان وهزموه هزيمة عظيمة · وتبعهم التتر الى ناحية البقاع حتى الى الديار المصرية · واستولى غازان على بلاد الشام · ودخلت التتر الى دمشق وغزة والقدس و بلاد الكرك · وحكموا على كل الشام ماخلا قلعة دمشق التي حاصروها اشد حصار · ونائبها الامير سيف الدين ارجواس المنصوري اقام بحفظها اتم قيام ولم يسلمها (هنا يذكر الامير حيدر خبرًا عن اعمال التتر وعن حال الشام والغلا بالحرف الواحد لفظًا نظير ماذكره عن حروب لاجين للتتر ولا نعلم هل حدثت مرتين او حدثت مرّة واعادها بالغلط فلم نر لزومًا لمراجعتها) ثم انه حينئذ صارت المصالحة بين الملك الناصر ابن قلاوون و بين سلار والجاشنكير والالبكي · فلما بلغ ذلك التتر اخلوا الشام وساروا الى بلادهم فاحسن الملك الى من حضر اليه من الولاة والعساكر · وقرر امور الشام · ورتب النواب في دمشق وحلب وحمص وحماة وغيرها · ثم عاد الى الديار المصرية · وفي هذه السنة توفي الملك عثمان الغازي وكانت مدة ملكه سبع وعشرين سنة وقد ذكر قصته تحت سنة ٦٨٦ هـ فلا لزوم لمراجعتها هنا

وفي السنة ٧٠٠ هـ = ١٣٠٠ م عاد التتر وقطعوا الفرات وعاثوا في بلاد حلب فجفلت اهل حلب وحماة وهربوا نحو الشام · ودخلت التتر بلاد سرمنة والمعرة وغيرهما · فخرج السلطان بالعساكر المصرية والشامية الى العوجاء · ومن شدة الامطار وزيادة الوحول عجزت العساكر عن المسير فرجعوا الى مصر · و بقي التتر نحو ثلاثة اشهر بنهب وقتل في بلاد حلب · ثم في شهر ايار (مايو) رجعوا الى بلادهم بغنائم كثيرة · وفي هذه السنة وصل الى القاهرة وزير المغرب وهو في طريقه الى الحج · فاكرمه واحترمه جميع امرائها وتحدث معهم عن اليهود والنصارى وقال انهم في بلادنا بغاية الذل وانهم لا يركبون سائقة ولا يستخدمون بوظيفة في الحكومة · ونصارى بلادكم و يهودها يلبسون الفخر الملابس و يركبون البغال والخيول الجياد · و يستخدمون في اجل المناصب و يحكمون

على رقاب المسلمين . وان عهد ذمتهم قد انتقض من اول سنة للهجرة . وذكر لهم كلاماً كثيراً من مثل هذا وما يشبهه . فاثر كلامه في السلطان وارباب الدولة . ولما كان يوم الخميس الكبير جمع النصارى واليهود ورسم عليهم ان لا يستخدموا في الاعمال السلطانية ولا عند الامراء مالم يسلموا وعزل المستخدمين منهم . وان يغيروا عمائمهم فيلبس النصارى عمائم زرق . واليهود عمائم صفراء . وعيد النصارى بمصر عيداً مشوماً وكان القائم في ذلك ركن الدين الجاشنكير . ثم امر بغلق الكنائس بمصر والقاهرة . وضربوا على ابوابها الخشب والمسامير . فاسلم منهم جماعة كبيرة . ثم امر السلطان ان يكتب بذلك الى جميع انحاء السلطنة من دنقله الى الفرات . واما اهل الاسكندرية فلما وصلهم هذا الامر سارعوا الى خراب كنيستين عندهم ذكروا عنهما انهما مستجدتان في عهد الاسلام . وكان فيها دور كثيرة من دور النصارى واليهود اعلى من دور المسلمين فهدموها . ووصل المرسوم الى دمشق بذلك . فجمعوا النصارى واليهود وقرأوا عليهم المرسوم . ومنعوهم من الخدمة . ومن ركوب الخيل والبغال ولبسوهم الغيار (علامة اهل الذمة في ذلك اليوم) . الازرق للنصارى والاصفر لليهود والاحمر للسامريين . وثاني يوم ظهروا بذلك الزي الغريب . وفيها توفي عز الدين ايدمز وهو الذي كان نائباً على الشام في ايام الملك الظاهر . وفيها سقط بماردين برد على صورة حيات وعقارب وطيور ورجال واسود . وكتب في ذلك محضر وقرئ على قاضي ماردين ونقل ثبوته الى قاضي حماة . وفي جمادي الاول توفي امير المؤمنين الحاكم بامر الله احمد العباسي بمصر . ودفن عند السيدة نفيسة . وكانت خلافته اربعين سنة وشهراً وكان عالماً فاضلاً خطيباً بارعاً . وخلفه ابنه امير المؤمنين المستكفي بالله . واسمه سليمان وكنيته ابو الربيع ولقبه المستكفي بالله وهو تمام الاربعين من خلفاء بني العباس . والثالث منهم بمصر . عهد بالامر اليه ابوه وقرئ تقليده بعد مأتم والده . وخطب له على المنابر وذلك في جمادي الاول . وفيها جاء جراد الى دمشق لم يسمع بمثله ترك غالب اشجار الغوطة عصياً مجردة ويبست اشجار لاتحصى . وصقع الزرع من مطر لم يعهد بمثله وصقع دود القز كله

وفي السنة ٧٠١ هـ = ١٣٠١ م نزل الافرنج الى نهر الدامور بين صيدا وبيروت وقتلوا هناك الامير فخر الدين ابن جمال الدين التنوخي . واسروا اخاه شمس الدين عبد الله فاستفكه الامير ناصر الدين الحسين ابن خضر بثلاثة آلاف دينار . ثم قدموا الشكوى الى نائب دمشق ضد الجرديين واهل كسروان . فجمع جمال الدين الافرم نائب دمشق

النواب من حماة وطرابلس وخرج بالعساكر من دمشق لقتال الجرديين والكساروة . فاجتمع مقدمو الجبال ولاقوهم الى نواحي جبيل ولم يكن الا ثلاثمائة شخص من كسروان . ونصارى بلاد جبيل الجرديين . وكانت الحرب بينهم عند مدينة جبيل . وكان المقدمون المعروفون من الجبال خالداً مقدم مشمس وسناناً واباه مقدما ايليج . وسعادة وسركيس مقدما لحفد . وعنتراً مقدم العاقورة . والبعض من كسروان . فكسروا عساكر الشام وطرابلس وغنموا مالهم وخيلهم . ثم قدمت الاكراد من الزواق لنجدتهم فوقعوا في كمين الجرديين على الفيدار . فلم يخلص منهم الا القليل . وكان مع جيش المسلمين امراء الغرب التنوخيون . فقتل نجم الدين التنوخي واخوه شهاب الدين احمد ولدا جمال الدين حجي . ثم غزا الجرديون بلادهم فاحرقوا عين[1] صوفر . وشمليخ[2] وعين[3] زونية . و بحطوش وجيرتها من بلاد الغرب . وقتل في هذه الوقعة من الجرديين بنيامين مقدم جردين فدفنوه عند باب الاركان في جبيل . ومن شدة حزنهم عليه لم يرفعوا علماً ولا ضربوا طبلاً ولا نفخوا في بوق . ثم بعد ذلك صعد الجرديون الى معاد واقتسموا الغنائم . فقصد المقدم عنتر الطمع على رفاقه . وصارت بينهم منازعة عظيمة ورجع عنتر الى العاقورة . و بعد وصوله مات

وفي هذه السنة دخلت التتر الفرات وقصدوا بلاد الشام فخرج للقاهم نائب حلب في العساكر . وحدثت بينهم حروب عظيمة قتل بها خلق كثير من الفريقين بقرب حماة . ثم ان غازان ملك التتر استولى على حلب . وارسل خطلو شاه مع العسكر ومعه ما ينوف عن ثلاثمائة طبل خانا الى دمشق فقدم السلطان بالعساكر المصرية واجتمع الشاميون مع العرب والتركمان خارج دمشق ووقع الحرب بينهم و بين التتر يومين بلياليهما . فقتل من الفريقين خلق لا يحصى عددهم الا الله وكانت الهزيمة على التتر . فقصدوا التلال والجبال التي بطرف مرج الصفر . واحاطت بهم عساكر السلطان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . ولم يرجع من عساكرهم الى غازان في حلب الا دون الثلث . ثم رجع غازان الى

(١) قرية على سكة دمشق الشام فيها محطة شهيرة وفيها فندق من اشهر المصائف اللبنانية ماؤها عذبة باردة وهي على قمة جبل لبنان ولعل القرية المشار اليها كانت محل الحديثة او بين الكروم المشهورة هناك (٢) شمليخ الآن خراب ولكن يوجد قرب موقعها القديم مجلس لطائفة الدروز معروف بمقام شمليخ يبعد نحو نصف ساعة عن عين صوفر جنوباً و بقربه جسر شمليخ الذي على الطريق الى قرية العزونية (٣) هي القرية المعروفة الآن بالعزونية احدى قرى الغرقوب الشمالي وهي الى الجنوب الشرقي من شمليخ على الطريق من المتن الى نهر الصفا

بلاده . ودخل السلطان دمشق منصورًا ومعه الخليفة . و بعد ايام رجعا الى مصر ودخلا قلعة الجبل

وفي السنة ٧٠٢ هـ = ١٣٠٢ م فتحت جزيرة ارواد وهي بقرب اللاذقيـة . وحوصرت يومًا . فقتل فيها من الافرنج نحو الفين . ومرّ السلطان على دمشق بالاسرى وهم نحو خمسماية اسير . وفيها رجع غازان من حلب مكسورًا بعد الموقعة المقدم ذكرها التي جرت بينه و بين الملك الناصر محمد بن قلاوون وقد ذكرت في السنة السالفة . و يوم الاضحى من هذه السنة توفي الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري نائب السلطنة بحماة . ثم نقل الى تربته بسفح قيسون وعمره سبع وخمسون سنة . وكان دينًا شجاعًا كريمًا حسن الخلقة . واستقر مكانه قبجق . وفيها توفي قاضي القضاة تقي الدين محمد ابن رقيق العيد قاضي قضاة الشافعية بمصر . واستقر مكانه قاضي القضاة بدر الدين المحمودي المعروف با بن جماعة) . وفيها في ذي الحجة كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام هلك بها خلق كثير (وخربت من اسوار حمص شيئًا كثيرًا و بعض اسوار حماة) وطلع البحر الى وسط الاسكندرية واخذ الرجال والجمال وغرقت مراكب كثيرة . وسقطت بمصر دور لا تحصى .

وفيها قدم امير سلاح في ثلاثة الآف من مصر . وسار معه عسكر دمشق وقبجق في عسكر حماة وسندمر في عسكر الساحل . ونزلوا على تل حمدون واخذوها واسروا منها خلقًا كثيرًا . وضربت البشائر (لا اعلم ان كانت هي بحمدون في لبنان او غيرها والمرجح غيرها لان بحمدون لم تكن يومًا مدينة كبيرة او حصنًا يذكر حتى اجتمع عليها كل هؤلاء الامراء وعساكرهم) . وفيها [1] في شوال منها توفي سلطان العراق غازان ابن ارغون ابن ابغا ابن هولاكو ابن نولي ابن جنكيزخان وكانت وفاته بقرب همدان مسمومًا وكان شابًا لم يكتهل (وكان تملكه ثمان سنين وعشرة اشهر) وتملك بعده اخوه خربندا محمد . وغازان المذكور هو الذي خرج على السلطان ابن قلاوون وجرى بين العسكرين من الامور ما يعجز اللسان عن وصفه . وكان قبل موته قد جهز الفرسان للذهاب الى اعمال الشام وعزم على التوجه اليها مرة رابعة فادركته المنية

وفي السنة ٧٠٤ هـ = ١٣٠٤ م ارسل قوش الافرم نائب دمشق الى الجبلية والكسراوة

(١) حادثة موت السلطان غازان كانت سنة ٧٠٣ هـ بالاتفاق ولكن الامير حيدر لم يذكر شيئًا عن حوادثها فاجملها تحت سنة ٧٠٢ هـ فتأمل

الشريف زين الدين ابن عدنان لاجل الصلح مع التنوخيين وان يرجعوا الى الطاعة . ثم ارسل تقي الدين ابن التميمي وبصحبته بهاء الدين قراقوش فلم يحصل اتفاق . فافتى العلماء ضدهم لانهم فتكوا بجيش الاسلام ولم يرجعوا الى الطاعة . (ثم طلب الشيخ تقي الدين التميمي الى مصر وعقد له مجلس فاودع السجن . فتجردت العساكر من كل بلاد الشام . ولم تزل تزداد الجموع من كل ناحية الى نهاية السنة

وفي السنة ٧٠٥ هـ = ١٣٠٥ م يذكر ابن الحريري وابن سباط انه سار يوم الاثنين ثاني محرم اقوش الافرم نائب دمشق بخمسين الف فارس وراجل الى جبال الجرد وكسروان المقابلة مدينة بيروت . فاجتمع رجال الدروز الجرديين . وكانوا عشرة امراء بعشرة الاف مقاتل والتقوا عند عين صوفر وجرى بينهم قتال عظيم فكانت الهزيمة على الامراء . فهربوا بحريمهم وارزاقهم ونحو ثلاثماية رجل من اتباعهم . واجتمعوا في المغار غربي كسروان المعروف بمغارة نيبية وهي فوق انطلياس . بالقرب من مغارة البلانة . فحموا نفوسهم بالقتال . ولم تقدر العساكر عليهم . ثم بذلوا لهم الامان فلم يخرجوا من المغارة فامر نائب دمشق ان يبنوا على باب المغارة سداً من الاحجار . ثم هالوا على بابه تلاً من التراب والاحجار . وجعلوا حارساً عليهم فهلكوا داخل الردم . ثم احاط العسكر بتلك الجبال من كل الجهات ووطئوا ارضاً لم يكن احد صعد اليها . واخربوا القرى وقطعوا الكروم . ونهبوا وقتلوا كل من وجدوه فخربت تلك الجبال المنيعة وذات قلوب اهلها . وفي ثامن عشر جمادي الاول ركب علاء الدين البعلبكي . وسيف الدين بكتمر وبدر الدين اختاش . وحسام [1] الدين لاجين وعز الدين خطاب العراقي وتوجهوا لاجل بناء الجبال المذكورة وحفظ ميناء البحر الى بيروت وفي هذه السنة توقف المطر حتى الربيع وصار ثلج عظيم فعدمت الفواكه

وفي السنة ٧٠٦ هـ = ١٤٠٦ م استقر التركمان في ساحل بيروت . وهم آل عساف وكان حدودهم من انطلياس الى مغارة الاسد وجسر المعاملتين تحت غزير . وكانوا يمنعون من يستنكرونه عن العبور في نهر الكلب الا بتذكرة مرور من المتولي ام

---

(١) يظهر ان هذا الخبر اجمالي يشمل عدة سنين ولا يمكن ان يكون حدوثه بهذه السنة لان حسام الدين لاجين قتل سنة ٦٩٨ . ومجيئه لبناء قرى لبنان لابد ان يكون قبلما صار سلطاناً وذلك في ايام نيابته على دمشق . والامر معلوم انه بنى قسماً كبيراً من من جبيل وقلعتها لذلك ذكر هنا مع من بنوا في لبنان

من امراء الغرب . وجعل التركمان المذكورين ثلاث بدلات كل بدل مائة فارس لاجل الدرك (او الحراسة والملاحظة) . وكانوا ينزلون في انطلياس وجونية وفي البرج الذي فوق نهر الكلب مما يلي القبلة . وازاوقهم حوله وهي المعروفة بزوق العامرية . وزوق الخراب وزوق مصبح وزوق مكايبل على اسماء مقدمي الازواق . واقاموا بنايات شهيرة و بساتين في عين طوره وعين شقيق يصيفون فيها . وقيل ان جسر المعاملتين من بناء سليمان ابن معراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقي غزير . و يسمى برج المعاملتين لانه بين برج قصيبة و برج جونية . وكان يسمى قديماً جسر الدخلة كما سميت البلاد التي استوطنها كسرى كسروان . وفي هذه السنة توقف المطر من رمضان الى رمضان فلم تمطر في فصل الشتاء ولا في الربيع فخربت حوران ومرج ابن عامر من العطش (القيظ) . ثم بعد ذلك استمر المطر شهرين فصقع الزرع ودود القز ولم يحصل منهما غلة الا القليل . وفيها توفي الامير بدر الدين بكتاش الصالحي امير صلاح وعمره سبعون سنة وقيل ثمانون سنة وكان قائداً لجيوش الفرات موصوفاً بالعقل والشجاعة وحب الخير

وفي السنة ٧٠٧هـ == ١٣٠٧م وصل الامير حسام الدين مهنا الحياري البدوي الى القاهرة وحضر امام السلطان . فاكرمه وخلع عليه وخاطب السلطان في امر تقي الدين ابن تيمية فاجاب سواله فيه . وحضر عندئذ بنفسه الى الجب واخرجه منه ونزل بدار سيف الدين سلار . و بعد سفره عقد مجلساً عظيماً بالقاهرة . وتكلموا مع ابن تيمية وجهزه السلطان الى الشام فحبس في قلعة دمشق وتوفي فيها . وكانت وفاته ليلة الاثنين في عشرين ذي القعدة سنة ٧٢٧ هـ[1] . وهو الشيخ الامام العالم تقي الدين احمد ابن شهاب الدين عبد الحليم ابن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني الدمشقي . وتوفي بقلعة دمشق في الغرفة التي كان مسجوناً بها وغسلوه وكفنوه واخرجوه من القلعة وصلى عليه بباب القلعة الشيخ محمد ابن تمام . ثم اتوا به الى جامع دمشق فاقفلت جميع ابواب دمشق وامتلأ الجامع اكثر من يوم الجمعة . وحضر الامراء والحجاب وصلوا عليه صلاة الظهر وحمله الناس على رؤوسهم وخرجوا به من باب الفرج و بعض الناس خرجوا من باب الفراديس و باب النصر و باب الجابية . ودفن بمقبرة الصوفية بجانب قبر اخيه شرف الدين وعمره سبع وستون سنة . وفيها توفي الامير سيف الدين سلار ابن عبد الله الصالحي

(١) ان هذه عادة الامير حيدر انه عند ما يذكر شخصاً يكمل كل قصته وتاريخه ولو لم تكمل في تلك السنة فقد ذكر موت تقي الدين هذه السنة مع انه صرح بموته انه حدث سنة ٧٢٧ وليس هذه السنة .

المنصوري بقلعة الجبل (في القاهرة) ودفن في رابع وعشرين جمادي الاول من السنة المذكورة بتربته التي انشأها الجاولي ظاهر القاهرة عند الكبش . وخلف من الاموال والجواهر مالم يتركه احد قبله واستخلص السلطان امواله وذخائره . وقيل انها كانت ثلاثماية الف الف دينار . وشيء كثير من الجواهر والحلى والسلاح وغير ذلك . وكان اولاً مملوكاً للملك الصالح علاء الدين علي ابن قلاوون . ولما مات الصالح استمر في خدمة الملك الاشرف لجك و بقي عنده مكرماً الى حين قتله . واعطاه الله من الاموال مالاتحصره الاقلام . وذكر انه كان يدخل له كل يوم من ملكه الف دينار ومن القطائع والاجارات والحمامات تكملة ماية الف اخرى كل يوم . وكان السلطان قد اعطاه الكرك والشوبك واهتم بامرهما . ونقل اليهما ذخائر كثيرة . فلما عاد السلطان الى الملك استوحش من الكرك وحضر الى السلطان بنفسه بجماعة قليلة من مماليكه فعند حضوره عاتبه السلطان لكونه حضر بغير مرسومه ورسم السلطان انه ينزل في بعض الدور. ثم جهز له السلطان طعاماً فأبى الاكل واظهر الكدر . فلما علم السلطان بذلك امر ان لا يعودوا يحضروا له شيئاً من المأكل فبقي اياماً ومات جوعاً . وفي مخازنه فوق الثلاثماية الف اردب حنطة . وقيل انهم اتوا اليه وهو في نزاع الموت فقيل له قد عفا عنك السلطان فوقع ميتاً . وقيل انهم وجدوه قد اكل قطعة من حذاءه . وكان لايخرج عن الشرع الشريف و يسوس مملكته احسن سياسة . وكان اسمر اللون لطيف القد اصيل الجد لحيته في حنكه . وكان ظريفاً في لبسه ينسب اليه نوع من اللباس وكذلك في المناديل والقماش والخيل والات الحرب . قال المصنف رأيت بخط الشيخ علم الدين البرزالي قال دفع الي المولى جمال الدين ابن الغويرة ورقة فيها حساب بعض اموال سلار وقت الاحاطة بداره في ايام متفرقة من التحف والجواهر والاموال شيء يكل عن وصفه اللسان قد اقتصرنا الشرح عنه لزيادته . هذا فضلاً عما وجد عنده من الغلال والخيل والجمال والاغنام والاملاك والمماليك والعبيد والجوار . ومع هذا كله مات جوعاً

وفي السنة ٧٠٨ هـ = ١٣٠٨ م في شهر رمضان خرج السلطان محمد متظاهراً انه متوجه الى الحجاز . ولما وصل الى الكرك اقام بها . وجمع خواص دولته واعلمهم بذلك وارسل نائب الكرك جمال الدين افوش الى الديار المصرية يعلم الناس ان السلطان كره الاقامة بمصر لتغلب بيبرس وسلار عليه وتجاوزهم الحدود ولم يتركوا

للسلطان غير الاسم وارسل مرسوماً الى مصر يامر الناس باجتماع الكلمة والطاعة

الفصل الثاني عشر

في ملك المظفر ركن الدين بيبرس وهو الثاني عشر من ملوك الترك

و بعد ايام من وصول نائب الكرك بمرسوم السلطان اجتمع الامراء واتفقوا على تمليك بيبرس الجاشنكير على عرش المملكة وذلك يوم السبت في ٢٣ شوال وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس وهو الثاني عشر من ملوك الترك بالديار المصرية وعينوا الملك الناصر نائباً بالكرك وخطب له بالقاهرة ومصر

وفي السنة ٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م لما بلغ السلطان محمد جلوس بيبرس على سرير السلطنة خرج من الكرك في شهر رجب وقصد دمشق ليسترد السلطنة لنفسه . فلما قرب من دمشق ارتعب نائبها جمال الدين الافرم . وهرب الى قلعة شقيف ثيرون وخرج الى لقاء السلطان محمد الامير سيف الدين قطلو بك و بهادر و بيبرس القلاب و بيبرس المفتون وشرعوا في اصلاح العصائب وارسل الامراء جمعاً غفيراً لملتقاه . وز ينت دمشق وحصل لاهلها غاية السرور فنزل في القصر الا كبر . وارسل الامان الى الافرم حيث طلبه . وحضر بعد اربعة ايام فاكرمه . واقره على نيابة دمشق . وحين قدم النواب من الولايات وهم قفجق من حماة واسندمر من طرابلس وقراسنقر من حلب تلقاهم السلطان بالبشاشة وخلع عليهم . وورد الذين عزلهم بيبرس الجاشنكير . وخطب له في جميع مدن الشام . ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلثا ثالث رمضان ومعه القضاة والنواب وقصد مصر (ولما وصل الى غزة جاًته امراء مصر اولاً فاولاً طائعين وارسل بيبرس يطلب الامان وهرب الى جهة الصعيد وخرج سلار[1] لملاقاة السلطان)

وجلس السلطان محمد قلاوون ثالث مرة على سرير السلطنة يوم عيد الفطر وخرجت البشائر في كل البلدان والاقاليم . ثم ارسل الافرم نائباً الى صرخد . واستناب بمصر بكتمر خوكندار و بدمشق قراسنقر المنصوري . و بحلب سيف الدين قفجق المنصوري و بطرابلس علياً ابن تامر الساقي . واما السلطان بيبرس[2] فاقره السلطان محمد

(١) ذكر سلار هنا وفي اول الفصل مع انه ذكر قبلاً ان السلطان اماته جوعاً ولعله شخص آخر بهذا الاسم من انسبائه او ان حادثة موته جوعاً متاخرة عن هذا

(٢) الصحيح انه امر بحبسه وكان اخر العهد به

بصهيون . وكانت مدة سلطنته بمصر احد عشر شهراً . وفي هذه السنة هاج بحوران اليمنية والقيسية والتحم القتال بينهما فقتل خلق كثير من الفريقين

وفي السنة ٧١٠ هـ = ١٣١٠ م استناب السلطان بحماة عماد الدين اسماعيل الذي تلقب بالمؤيد صاحب التاريخ وتحوّل من صرخد الى نيابة طرابلس . وفيها تولىّ دمشق كرامة المنصوري عوضاً عن قراسنقر . وفي جمادي الاول تحول عنها فاستناب فيها جمال الدين اقوش الافرم الذي كان نائباً في الكرك . وفيها نزل عسكر على حدود بشرة وصار منه ضرر على القرية وجميع البلاد التي تجاورها . وكان العسكر المذكور قادماً من الشام الى طرابلس على طريق الجرد . (وعاد الملك العادل من دمشق الى مصر . وحصل حرب بين انكلترا وفرانسا)

وفي السنة ٧١٢ هـ = ١٣١٢ م امر السلطان بان يتوجه جيش جمال الدين الافرم من الكرك ويصحبه عدة امراء من دمشق و يكون مقدمهم الحياري البدوي ومعه نائب طرابلس وقراسنقر نائب حلب وثلاثة امراء من مصر مع مماليكهم الى خدمة خربند ملك التتر فلما ذهبوا ووصلوا اليه احتفل بهم واكرمهم . وفي اول رمضان زحفت التتر الى جهة بلاد الشام وعبروا الفرات فذعرت منهم الناس ودخلت اهل الغوطة والحواضر وداريا وبلبيس الى داخل البلد . ونزل خربند بالرحبة وبعد حصار خمسة ايام بالمجانيق ملكها ورجع الى البلاد . وعيد السلطان عيد رمضان بمصر وركب الى دمشق ومن هناك سار الى الحجاز ومعه الملك المؤيد . (ذهاب الملك الناصر للحج مع الملك المؤيد كان سنة ٧١٩ هـ ولعله ذهب مرتين)

وفي السنة ٧١٣ هـ = ١٣١٣ م قدم السلطان من الحجاز الى دمشق في حادي عشر محرم . وعلى يد قطب الدين والامير تنكز تأرخت الاخبار وتدونت المقاطعات بمصر والشام للامراء والمقدمين والجيوش . وحضر كل واحد منهم فتقلد وظيفته وانصرف الى محله . ولما رجع السلطان الى القاهرة كان برفقته عماد الدين اسماعيل ابن الافضل نور الدين علي الايوبي صاحب حماة فولاّه عليها مكان ابيه واجداده وان يخطب له بها . ومشى في خدمته ارغون نائب السلطنة . وعند توجهه الى حماة ارسل السلطان كتابة الى نائب دمشق والى سائر النواب ان يكتبوا له « يقبل الارض » وتلقب بالملك المؤيد . وفيها وصل الخبر ان ملك الروم جهز لخربند ملك التتر شخصاً طوله خمسة عشر ذراعاً . وان المذكور لم يعرف لغة ولم يتكلم وانه اذا جاع بكى . واذا شبع ضحك والله

اعلم • ثم وصلت الاخبار الى دمشق بحفر النهر الذي سعى فيه سودون نائب حلب وان طوله من نهر الجاشور الى نهر قويق اربعون الف ذراع وانه انفق عليه ثمانماية الف درهم • النصف من مال النائب المذكور • والنصف من مال السلطان • وفيها توفي خربند ابن ارغون ابن ابغا ابن هولاكو ملك التتر وعمره خمس وثلاثون سنة • وكان قبل موته قد اظهر الترفض وامر باعمال السيف في اهل باب لازج لامتناعهم من اقامة الخطبة على شعار الشيعة • ومات بهيضة شديدة • وملكوا بعده ولده ابا سعيد • وفيها التجأ حميصة ابن ابي تمام الحسيني المكي الى ابي سعيد ملك التتر وطلب منه جيشاً حتى يغزو به مكة • وساعده جماعة من الروافض • وكان قد عين مقدماً اسمه الدلقندي ومعه اربعة آلاف فارس • وعوّلوا على ان يملكوا مكة و يتوجهوا منها الى المدينة • و يتعرضوا لنبش ضريح ابي بكر وعمر وشاع ذلك • واغتمّ اهل السنة لذلك غمّاً شديداً • ثم ان الامير محمد ابن عيسى ابن مهنا الخياري جمع جمعاً كثيراً من العربان وقصد المقدم المذكور و باغته فكسر عسكره ونهبهم وشتت شمله • واخذ الفؤوس والمعاول التي كانوا هيأوها لنبش ضريح ابي بكر وعمر • وكتب الى السلطان بذلك • وكان لمحمد المذكور مدة ببلاد التتر • وقد خرج عن طاعة السلطان واستاذن في القدوم فاذن له بالحضور فحضر الى دمشق فاكرمه النائب وجهزه الى باب السلطان مكرماً • يذكر بارونيس في تاريخه انه بهذه السنة ابتدع البارود الراهب المدعو برتوليوس الطبيب من بلاد المجر • وكان اولا يصفه دواء • فحين جمع اجزائه وبدا ينشفها على النار احترق البارود • وتحقق ان النار تصعده فابتدأوا يستعملونه في الحرب (وفيها هزمت الانكليز ملك فرنسا لويس)

وفي السنة ٧١٧ هـ = ١٣١٧ م بنى الامير ناصر الدين حسين ابن خضر داراً شريفة في اسفل قرية اعبيه ببرج وحمام وجنينة اجرى لها الماء • وفيها استقرت شرقي بعلبك بعد الظهر سحابة عظيمة ذات برق ورعد ومطر غزير و برد في السابع والعشرين من صفر سالت منها الاودية فانقسم المجرى قسمين • قسم جرى من جهة الشرق فتجمع منه بحيرة عظيمة على السور حتى قاربت شرفاته وارتفعت وانتهت الى النهر • والقسم الثاني عم البلد من جهة الشرق بشمال بين باب دمشق و باب نحلة فخرب السور واخذ برجاً بتمامه وكماله طوله خمسة عشر ذراعاً وعرضه كذلك حملته الماء وهو على حاله نحو خمسماية ذراع واخرب السيل جميع ما كان في طريقه • فجعله خاوياً وللارض مساوياً • ولم يزل حتى دخل الجامع الاعظم وهدم

الجدار الذي غربي الجامع · واخذ جميع ماعليه من البنيان حتى بلغ خندق القلعة وهدم سور البلد الغربي · وخرج الى البساتين · وفي هذه السنة توجه من دمشق بدر الدين ابن معبد الى بعلبك لرؤية هذه الحادثة والكشف عنها فتحررت بخطه شهادة الشهود الذين حضروا · ان السيل اخذ من البيوت والعمار والخراب نحو ثمانمائة وخمسة وتسعين بيتاً · ومن الحوانيت مائة واحدى وثلاثين ومن البساتين ار بعةوار بعين · ومن الجوامع والمساجد والمدارس ثلاث عشرة ومن الافران سبعة عشر عدا الاموال التي هلكت والناس الذين غرقوا · واخبر الثقاة انهم راوْا في اوائل السيل عموداً عظيماً من نار ودخان نازلاً من السماء وسمعوا من الصراخ في ذلك الان مايضعف الابدان · وفي هذه السنة ثار ريح شديد بين الركيل وتل زبيد بقرب طرابلس وعاصف من جهة البحر كونت بالسحاب عموداً غير متصل بالجو بصورة تنين استقر على بيوت التركمان ساعة من الزمان ينتقل يميناً وشمالاً · ولم يترك من البيوت ولا من الاثاث ولا من البشر غير ثلاثة عشر رجلاً تجرحوا من صدمات الاخشاب والحجارة · وحمل الريح جملين غاب بهما عن الابصار · وكان على جانب الزوق نازلٌ قبيلة من العرب خطفت منهم الزوبعة اربعة جمال والقتها في البحر · ثم وقع مطر و برد على هيئة شقف حجارة مثلثة ومربعة ثقل البردة ثلاثة اواق وتحرر ذلك بخط قاضي طرابلس · وفي هذه السنة ظهر من النصيرية بناحية اللاذقية رجل داهية على الخلق ادعى انه المهدي وتبعه نحو ثلاثة آلاف رجل فقتل منهم مائة وعشرين نصيرياً · ثم قتل هو ايضاً · وفيها بيع الورد بدمشق كل عشرة ارطال بدرهم · وفيها برزت مراسيم سلطانية بتبطيل استعمال الخمور في بيروت وصيدا وكل السواحل وقرئت المراسيم السلطانية بذلك وكثر الدعاء للسلطان (وفيها ملكت الافرنج دمياط)

وفي السنة ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م يقول ابن الحريري انه زحف جراد عظيم · ثم تبعه غلاء وقحط مفرط في الموصل واربد والجزيرة وديار بكر ومنى حتى بيعت الاولاد للتتار واشتري كل ولد بعشرة دراهم · و باع رجل ولده برغيف فما اكله ثم مات · وكانت تباع جراءة خبز بدرهم · وقيل ان الغلاء استمر بالموصل اربع سنين · وان رجلاً اكل هو وزوجته في نهار واحد بثمانية عشر درهماً · واكلوا في تلك البلاد الجيف · ومات خلق لا يحصى · وخربت اربد وخلت القرى من سكانها بسبب الجوع · وفي هذه السنة عند طلوع الشمس جاء بدمشق سيل كثير

العكر لم ير سيل اشد عكراً منه وكان الماء يشبه الطحينة . وقيل ان رطل الماء كان يحتوي على ثلاث اواقي تراب . وكان وقوع هذا السيل بارض ابل السقي . وفي مرج بردى في شهر شعبان . ثم ان نهر بردى بقي ثلاثة اشهر ليس فيه قطرة ماء (وفيها اتت نجدات للملك الكامل فاخرج الافرنج من دمياط)

وفي السنة ٧٢١ هـ = ١٣٢١ م خلع السلطان على صاحب حماة عماد الدين اسماعيل ابن علي ولاه ولقبه بالمؤيد (ذكر ذلك الوليد ابن الشحنة تحت سنة ٧١٩ بانه ولاه سلطنة حماة يخطب له فيها ولا يرد عليه توقيع ولا منشور من القاهرة واركبه بشعار السلطنة والغاشية والشبابة ومشى في خدمته ارغون نائب الملك وامراء القاهرة في يوم مشهور . وتوجه الى حماة من يومه . ولقبه بالملك الصالح وامر النواب كما سبق ان يكتبوا له هكذا . . " يقبل الارض " . وفيها توفي شيخ الحرم امام المقام رضا الدين ابن محمد ابن ابراهيم البطري الشافعي وكان من العلماء العالمين . روى عن ابن شعيب وابن الحميري وعمره ست وثمانون سنة . وفي هذه السنة مسك السلطان وكيل كريم الدين المصري وقد ازال سعادته . ثم شنقه . وكان قد بلغ من التقدم والرفعة ما لا مزيد عليه . وكان يركب في خدمته عدة امراء وداره ملآنة من الاموال . وكان نصرانياً ثم اسلم . وكان داهية وذا كرم وسكون والله اعلم بطويته . وهو الذي بنى جامع كريم الدين بالقبوات خارج دمشق . وبنى جامع القابون . ومرض في هذه السنة قبل شنقه وعوفي وزينت له القاهرة وتصدق بمال جزيل ومات بعض الناس من الازدحام على صدقته وعاش سبعين سنة . والقابون محلة خارج دمشق . وفيها كانت وفاة الامير سعد الشهابي وتولى بعده ولده الامير حسين

وفي السنة ٧٢٥ هـ = ١٣٢٤ م جهز السلطان محمد جيشاً الى اليمن نحو الفي فارس ومقدمهم بيبرس الحاجب ودخلوا الى زبيد محمد المصطفى واعلموه ان الامة كفرت وزاد طغيانها . ثم انتدب له عسكراً فقتل من جمعه مائة وعشرون نصيرياً وجرت امور يطول شرحها . ثم قتل وكان خماراً خبيثاً جاهلاً . وفيها ابطلت الفاحشة وبيع الخمور في بيروت وجميع السواحل وقرئت المراسيم بذلك وكثر الدعاء لله

وفي السنة ٧٢٦هـ = ٣٢٥ م يوم الجمعة في الرابع والعشرين من شهر شعبان ادعى قاضي دمشق على عماد الدين ابن كثير انه قال ان التوراة والانجيل بدلا وغير حالهما عما انزلا به وشهد عليه جماعة منهم الشيخ تقي الدين ابن التيمي فاخرج وطوف به ونودي عليه

هذا جزاء من قال ان التوراة والانجيل بدلا . وفيها توفي كبير الامراء بيبرس المنصوري الداوداري صاحب التاريخ . (وفيها تسلم الامبراطور فريدريك القدس من الملك الكامل)

وفي السنة ٧٣٢ = ١٣٣١ م صار سيل عظيم بدمشق وحمص هلك به خلق كثير . ومات في حمام ملك الامراء نحو مائتي امرأة وصبي ودخل جماعة من الرجال ليخلصوا النساء فهلكوا . وفي عشرين محرم توفي الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماة فيها . (وكان عالمًا دينًا له اليد الطولى في الهندسة والرياضة والهيئة اخذ ذلك عن الشيخ اثير الدين الابهري وامتدحه الشعراء منهم الشيخ صفي الدين الحلي عبد العزيز ابن سرايا وللشيخ جمال الدين ابن نباتة المصري كتب مفردة بمدحه وللملك المؤيد عدة مؤلفات فمن مؤلفاته نظم الحاوي الصغير . وشرحه قاضي القضاة شرف الدين . وكتاب نوادر العلم في مجلدين وكتاب الكنائس في مجلدين . وكتاب تقويم البلدان وكتب الموازين وكتاب التاريخ المختصر في اخبار البشر من ادم الى سنة ٧١٦ ﻫ) وتولى بعده ولده الملك الافضل محمد

وفي السنة ٧٣٤ﻫ = ١٣٣٣ م قدمت الى بيروت مراكب الافرنج الجنوية قاصدين اخذ المدينة فخرجوا الى البر وقاتلوا يومين مع اهل المدينة . ودخلوا البرج واخذوا الاعلام السلطانية والمراكب . فلما بلغ ذلك امير الامراء تنكز ارسل وطلب امراء الغرب الذين يقيمون بعرامون الغرب وتركمان كسروان . وعمل لهم اهانة واذية لاجل اهمالهم في المحافظة . وفي هذه السنة خدم رجل يقال له حمزة من تركمان الشرق نائب الشام تنكز . وكان جريئًا مقدامًا عارفًا باخبار ملوك القدس . فجعل يسامره . فاتصل به وعلت منزلته عنده وعمل على قتل جماعة من خواص تنكز لمعرفته باخبارهم . ثم ان المذكور تمرد وتجبر وطغا وبغا وحكم وظلم وبالغ في الفسق . وبنى حمامًا عند القبوات وزخرفه فكثرت الشكايات عليه من فعلة الحمام وغيرهم فاحضره تنكز وعذبه واخذ امواله ورماه بالخندق وهو عريان وحبسه بمجبس باب الصغير . ثم اطلقه فتعرض الى تنكز المذكور فقطع لسانه من اصله وقطع رباعيته فهلك وله من الظلم ما لا يوصف . وفيها توفي ملك العرب حسام الدين مهنا ابن عيسى ابن مهنا الحياري بناحية سلمية وعمره ثمانون سنة .

وفي السنة ٧٣٦ ﻫ = ١٣٣٥ م توفي ملك التتر صاحب الشرق القان ابو

سعيد ابن خر بند ابن ارغون ودفن بالعاصمة وعمره ثلاثون سنة ٠ وكانت مدة دولته عشرين سنة ٠ وكان عاقلاً ديناً عادلاً كتب المنسوب واجاد بضرب العود ٠ وافترق جيش الفرات بعد موته وجرت بينهم حروب شرحها يطول وملكوا ابنه وهو صبي صغير ٠ وقام باموره الشيخ حسن ابن الشيخ حسين ابن ابغا

وفي السنة ٧٤٠ هـ = ١٣٣٩ م يقول ابن سباط انه في شهر شعبان حدثت نار في الدهشة شرقي الجامع واحرقت سوق الوراقين والابدين من جسر الكتب الى باب الجامع واحرقت درابزين المأذنة الشرقية ٠ وانه في مستهل ذي القعدة وقعت النار في سوق السيوف وقيسارية الرماح فاهلكت مالاً وخلقاً كثيراً ٠ فاتهم المسلمون النصارى بذلك بسبب ماجرى على كنائسهم من الخراب ٠ وانه قدم راهبان من القسطنطينية ٠ واجتمعا بارض جبور باناس من قسيسيهم ٠ وصنعا بعض عيدان نفط (كبريت) والقوها في المدينة ولسبب ذلك جمعوا روساء النصارى وهم كتاب الامراء الذين اتهموا بالحريق ٠ وسمروا اربعة عشر رجلاً منهم مصلوبين واخذوا منهم ذهباً وجواهر ماينوف عن الف الف درهم ٠ واخذوا من بقية النصارى مالاً جزيلاً ٠ وفي هذه السنة في ذي الحجة جاء نائب صفد المعروف بذي الأخضر ومعه مرسوم من السلطان محمد بطلب تنكيز النائب فقيده واخذه الى القاهرة ٠ ومنها الى الاسكندرية ٠ واقام بالسجن دون شهر وقضى عليه لاجل فعله بما صنعه بنصارى دمشق ٠ (وكان عنيفاً صارماً انشأ بدمشق جامعه المعروف ٠ وطالت مدته بها نحو ثلاثين سنة ٠ وانشد في ذلك القاضي الفاضل صلاح الدين خليل ابن ايبك الصفدي

الا هل لويلات تقضت على الحمى تعود بوعد للمسرة منجزِ
ليالٍ اذا رام المبالغ وصفها يشبهها حسناً بايام تنكزِ

وفيها نزلت نار سماوية باعمال طرابلس الشام فاحرقت كثيراً من الشجر والزرع والخشب وثلاثة بيوت من عين الفيجة وكثر المرض والوباء في الشام ٠ وفيها كانت وفاة الخليفة المستكفي بالله ٠ ونال الخلافة بعده الواثق بالله واسمه ابرهيم ابن محمد ابن الحاكم بامر الله العباسي ٠ وكنيته ابو اسحق ولقبه الواثق بالله ٠ وقد تلقب بهذا اللقب قبله الواثق بالله ابن المعتصم ابن هرون الرشيد وهو الحادي والاربعون من خلفاء بني العباس والرابع منهم بمصر ٠ و بويع له في شعبان هذه السنة ٠ ذكر نواب قلاوون

على الشام. وهم عز الدين ايبك الحموي . حسام الدين قوش الافرم . سيف الدين قراسنقر . وسيف الدين كرامة . وجمال الدين قوش نائب الكرك . وسيف الدين تنكز . واستمر نحو ثلاثين سنة وقبض عليه نهار الثلاثا الثالث والعشرين من ذي الحجة . وفي اواخر ذي الحجة منها قبض السلطان على تنكز نائب الشام . وقيده ثم ارسله الى الاسكندرية . وهلك بعد ايام وعمره ستون سنة واناب بدمشق بعده الطنبغا . وفي هذه السنة وقعت الفتنة بين الامير حسين و بين المقدم محمد ابن صبيح وجمعة الحرباني حاكمي البقاع لاسباب يطول شرحها . و بعد الوقعة التي حدثت بينهم في سهل عيحا قبض الامير حسين على المقدم جمعة وهرب المقدم محمد ابن صبيح الى الشوف الى الامير سعد الدين المعني وسار الامير المشار اليه الى قرية مشغرا واصلح بينهما . (وفيها احتل الانكليز المقاطعات الشمالية من فرنسا . وتلقب ادوارد الثالث بلقب ملك فرنسا . وهزم الانكليز الفرنساويين في موقعة بحرية يقال لها الكوز

وفي السنة ٧٤١ هـ = ١٣٤٠ م في سادس محرم ارسل السلطان علي الدين طنبغا الى دمشق نائبًا عليها . وقبض على مماليك تنكز ووسطهم وعقلهم على الخشب وضبط جميع اموالهم فبلغت ثلاث كرات وثلاثين الف دينار مصرية نقداً وعشر كرات وخمسماية الف قيمة الجواهر الثمينة واللولو الغريب الحب والنسيج المزركش والاجلة المرصعة والاطالس وتحف النسيج فحملها على ثمانمائة جمل وارسلها الى مصر مع مماليكه وجواريه وخيله الكريمة الثمينة . واما حواصل المغول فرفعها الامير علي وجاء بها الى قلعة دمشق . وفيها في تاسع عشر ذي الحجة توفي السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن قلاوون . (وكان عمره ٥٨ سنة ومدة سلطنته نحو ٤٣ سنة . قال القاضي بدر الدين الحسن ابن حبيب في تاريخه عنه جلس على سرير الملك ثلاث مرات . وظفر بما لا يعد من التهاني والمسرات وكان اول توليه سنة ٦٩٣ هـ (وفيها انشأ نجم الدين دلال جامع نجم الدين خارج باب البحر بطريق بولاق . واهتم الناصر في ايصال الماء الى القلعة فامر بحفر ابار وخليج صغير واعمال قناطر تحمل الماء الى القلعة غير انه مات قبل ان يتم ذلك)

الفصل الثالث عشر

في ملك الملك المنصور وهو الثالث عشر من ملوك الترك

وقبل ان يموت السلطان قلاوون بثلاثة ايام جلس على سرير السلطنة ابنه الملك المنصور ابو بكر وهو الثالث عشر من ملوك الترك بالديار المصرية وضربت له البشائر في كل اطراف السلطنة

وفي السنة ٧٤٢ ه = ١٣٤١ م امر السلطان المنصور بخلع الواثق بالله العباسي من الخلافة . ومبايعة الحاكم بامر الله احمد ابن المستكفي وهو الثاني والاربعون من خلفاء بني العباس . والخامس منهم في الديار المصرية . و بنى الملك المنصور جسر نهر الكلاب وكتب له تاريخ على لوح من رخام .وفي هذه السنة في شهر صفر اجتمع كبار الامراء وخلعوا من السلطنة الملك المنصور ابا بكر لانه تعاطى شرب الخمور والفسق . وقد زنى مع زوجة والده فنفي عن الملك وارسلوه الى قوص وكانت مدة ملكه ثمانية اشهر . وفي يوم خلعه سطا المماليك على نساء ابيه واهانوهنّ ونهبوا متاعهنّ

الفصل الرابع عشر

في ملك الملك الاشرف كجك وهو الرابع عشر من ملوك الترك

وجلس على سرير السلطنة اخوه الملك الاشرف كجك محمد ابن قلاوون وعمره يومئذ ثماني سنين وهو الرابع من ملوك الترك بالديار المصرية .وتولى القيام بامور السلطنة الامير قوصون . فلما سمع سيف الدين طشتمر نائب حلب بسلطنة الملك الاشرف كجك خرج من طاعته وقام بنصرة اخيه احمد بن محمد بن قلاوون الذي كان بالكرك . ولذلك سير قوصون نائب السلطنة الامير قطلو بغا الفخري ومعه ثمانمائة مملوك لحصار السلطان في الكرك . وجهز مع طنبغا نائب الشام عشرة آلاف لمقاتلة طشتمر نائب حلب فعند ماهرب طشتمر من حلب الى درند من اعمال الروم دخل الطنبغا حلب ونهب مخازن طشتمر وامواله . ثم انه وصل الخبر الى الشام بان قوصون قتل ابن السلطان اي الملك الاشرف كجك ورام السلطنة لنفسه

الفصل الخامس عشر

في ملك الملك الناصر احمد ابن قلاوون وهو الخامس عشر من ملوك الترك

حينئذ تغير الرأي واتفق النواب نائب دمشق وحماه وصفد و بايعوا السلطنة للملك الناصر احمد الذي كان في الكرك . و بايعه الجيش ايضاً جميعه في عاشر شوال بعد ما خلعوا الملك الاشرف كجك . وجلس على تخت السلطنة اخوه الملك الناصر وهو الخامس من ملوك الترك . وولّى الفخري على نيابة دمشق وايدغمش على نيابة حلب واعلنت البشائر وزينت البلد وخطب للسلطان بدمشق والكرك والقدس وغزة . ثم ان طنبغا رجع من حلب وقصد الدخول الى دمشق فمنعه الفخري عن الدخول اليها . وجمع كل منهما جماعته فاضطر الفخري ان يسير الى مصر . وكتب السلطان الى ايدغمش امير آخور السلطنة ان يقبض على قوجون (يروى قوصون) فقبض عليه ونهب داره وارسله الى الاسكندرية . وقبض على طنبغا وقيده وارسله الى الاسكندرية ايضاً . ولما توجه السلطان من الكرك الى الديار المصرية امر بقتل قوجون والطنبغا . ثم رجع طشتمر من مدينة راوند فامر السلطان بقتله وقتل الفخري ايضاً

وفي السنة ٧٤٣ هـ = ١٣٤٢ م توجه السلطان احمد الى الكرك وعصى بها فاستقر بالسلطنة بمصر اخوه)

الفصل السادس عشر

في ملك الملك الصالح عماد الدين اسماعيل

وفيها تولى الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون وذلك في ربيع الاوّل فضربت البشائر في دمشق و زينت سبعة ايام . ثم جهز جيشاً لمحاصرة السلطان احمد بالكرك . ونصب عليها المجانيق وحاصرها حصاراً شديداً . وتجهز جيش من دمشق ايضاً . ووقعت بينهما وقعة قتل فيها من الكرك نحو خمسمائة . ومن عسكر مصر والشام بنحو المائتين . ووقع الغلاء والوباء بالكرك واستمر القتال على الكرك الى السنة التالية واتصل الغلاء بدمشق . انا لله وانا اليه راجعون . وفي سلطنة

الملك الصالح اسماعيل جرت الموقعة بين اهل البقاع واهل وادي التيم وذلك في صفر وقتل من الفريقين جماعة كثيرة واحرق ابن صبح من وادي التيم ثلاث عشرة قرية . ومعه جمعة الحرباني النابلسي وسلمت الكنيسة وكفر فوق وعيحا من النهب والحريق وانقطعت الطرق بحيث لم يعد امان وانقطعت طريق الزبداني ايضاً . وفيها توفي الامير علي الدين ايدغمش ودفن بالقبوات خارج دمشق وكان ذا سيرة حسنة . الى هنا انتهى تاريخ الاسلام في ١٩ مجلد . واختصره تاريخ ابن عساكر في عشرة اسفار. وفيها احضر رجل ولداً له امام النائب بدمشق والولد له راسان واربع ايادي وقيل انهما كانا ولدان احدهما ذكر والآخر انثى وان الواحد مات قبل الآخر بيومين

(وفي السنة ٧٤٤ هـ = ١٣٤٣ م حدثت الزلزلة العظيمة بمصر والشام وخرجت الناس الى الصحاري وتوالت بعدها زلازل مدة فانشد بعضهم

زلزلت الارض بنا زلزالها وقال كل من عليها مالها
فقلت اذ فروا الى صحرائها قد اخرجت ارضكم اثقالها

وفيها توفي الطنبغا الماردانى واستقر مكانه يلبغا اليحياوي وبعد سنين نقل الى نيابة دمشق).

وفي السنة ٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م توفي السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل وتولى على السلطنة بعده اخوه الملك الكامل شعبان ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وذلك في خامس عشر ربيع الاول وركب بخلعة الخليفة والتقليد. واستمر في السلطنة الى ان توفي وذلك في خامس عشر ربيع الاول. (قيل ان وفاته كانت في السنة التالية وسببها انه لما قتل اخوه احمد في الكرك احضروا راسه بين يديه فارتعب وخاف ومرض فمات)

وفي السنة ٧٤٦ هـ = ١٣٤٥ م يذكر ابن سباط ان الناس سكان السواحل ارتعبت من ملك قبرس فأرسل الامير الكبير يلبغا الى بيروت فامر ان يشرعوا في بناء القلع وحمالات ومراكب بعدد كثير . واقامت العساكر الشامية ببيروت . والتزم ايضاً امراء الغرب ان يسكنوا في مدينة بيروت ويركبوا ليلاً ونهارا للمراقبة والحراسة . وكان ايضاً تركمان كسروان في بيروت وطلبوا من بيدمر ان يتوجه الف رجل منهم الى قبرس . وفي هذه السنة توفي السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان وكانت مدة ملكه سنة وسبعة عشر يوماً

الفصل الثامن عشر

فى ملك الملك المظفر اميرحاجي

وتولى بعده على الملك ولده المظفر امير حاجي[1] فقرّر شمس الدين يلبغا على نيابة الشام و بنى الجامع المنسوب إليه تحت دمشق وارسل بيدمر البدري الى نيابة حلب وارقطاي الى نيابة السلطنة بالديار المصرية

وفي السنة ٧٤٨ هـ =١٣٤٧ م حضر كتابٌ من السلطان بعزل ملك الامراء يلبغا عن ايالة الشام فقصد العصاوة فجردت عليه العساكر من صفد وطرابلس وحماة وحمص والقوا عليه القبض وقتلوه . واقام السلطان سيف الدين ارغون مكانه على نيابة الشام . وامر السلطان بالقبض على كثير من الامراء وقتلهم . ثم قامت المملكة عليه وخلعوه عن السلطنة وقتلوه

الفصل التاسع عشر

في ملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد

و بايعوا اخاه الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن قلاوون في الديار المصرية[2]

وفي السنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م حدث طاعون شديد عمّ البلدان الشامية والحلبية ولم يبق مكاناً خالياً منه . ذكر الشيخ صلاح الدين ان بعض الايام صلوا في الجوامع بدمشق بيوم واحد على مايتين وثلثين جنازة . واقفل كثير من الدور وخربت اكثر الضياع . وكان مع الطاعون غلاءٌ شديد قيل انها بيعت غرارة القمح بالف وستماية درهم ورطل الزيت بار بعة وعشرين وغلت سائر البضائع . ثم بعد زيادة الموت وقدوم الغلال الجديدة نزلت الاسعار فقيل بذلك شعر

قد اقبل الطاعون وهو بغرة قد جاءَ من قطنه الى بيروت

أخليت ارض الشام من سكانها وحكمت ياطاعون بالطاغوت

---

(١) ذكر عنه الامير حيدر انه الثاني عشر من ملوك الترك بينما ذكر الثاني عشر و١٣و١٤و١٥ قبله

(٢) وهذا ذكر عنه انه الرابع عشر وقد ذكر الرابع عشر الملك الاشرف كجك لذلك لم نذكره حسب ترتيبه

وقال آخر

اما دمشق فانها قد اوحشت من بعد ماشهد البرية انسها
تاهت بعجب زايد حتي لقد خربت بطاعون عظيم نفسها

ثم حدث بعد ذلك بدمشق وما حولها ريح شديد اثارت غباراً عظيماً فاخضرّ الجوّ منه ثم احمرّ ثم اسودّ حتى اظلمت الدنيا نحو اربع ساعات والناس يبكون و يستغيثون وظنوا ان ذلك يكون ختام الوباء ولكنه ازداد شدة . ثم وقع مطر عظيم فاستبشرت الناس بانقطاع الوباء فلم ينقطع بل زاد .وصلى الخطيب يوم الجمعة سابع شعبان على مائة وثلاثين جنازة ولله الامر

وفي السنة ٧٥٠ هـ = ١٣٤٩ م حضر الى دمشق الامير سيف الدين نائب طرابلس و بيده اوامر فقبض على ارغون شاه نائب دمشق وضبط حواصله وامواله ورجع به الى طرابلس . فارسل اعيان الشام يعرضون للسلطان في امره و يترجون خلاصه . فحضر لهم جواب ان لا علم له بما توقع فاجتمع امراء دمشق وسادات طرابلس فقتلوا نائب طرابلس واستخلصوا سيف الدين ارغون منه

وفي هذه السنة كانت وفاة الامير حسين الشهابي حاكم وادي التيم وكان شجاعاً غيوراً . وخلف عدّة اولاد اكبرهم الامير ابو بكر الذي قام بعد ابيه بالامارة والولاية وكان اميراً مهوباً صفت له الاوقات واغتنم سائر اللذات . ولم يكن له منازع ولا مخاصم وفي ايامه توفي الامير سعد الدين المعني وقام بعده ولده الامير عثمان فتزوّج ابنة الامير ابو بكر وزفت له من حاصبيا . وحصل بينهما محبة زائدة وكان الامير ابو بكر يزور الامير عثمان الى الشوف ويقضي معه اللذات . وكان شريف النفس فصيح اللسان يحب الصيد ومولعاً بالآلات الموسيقية والاصوات الرخيمة . وكان كريماً حليما يتجنب الشر والفتنة وهو الذي بنى خان حاصبيا وجعله صدقة لابناء السبيل

الفصل العشرون

في ملك الصالح صلاح الدين صالح بن محمد

وفي السنة ٧٥٢ هـ = ١٣٥١ م اختلف الامراء على السلطان الناصر ناصر الدين الحسيني وخلعوه عن السلطنة واتفقوا على اقامة اخيه الملك الصالح صلاح الدين ابن محمد

وارسلوا فاحضروه من الكرك حيث كان مسجوناً • وركب بخلعة الخليفة • و بايعه القضاة والامراء [1] ثم قدم الامير سيف الدين ارغون الكاملي نائب حلب الى دمشق متوليًا عليها

وفي السنة ٧٥٣ هـ = ١٣٥٢ م توفي الخليفة امير المؤمنين الحاكم بامر الله بمصر • فكانت خلافته عشر سنين ونصف • ثم بويع بالخلافة المعتضد بامر الله ابو بكر بن المستكفي بالله وهو الثالث والاربعون من خلفاء بني العباس • والسادس منهم بالديار المصرية • وفي هذه السنة وقع حريق عظيم عند باب جيرون بدمشق حتى اتصل الى باب الاصفر النحاس فبادر ديوان الجامع اليه فنزعوا ما عليه من النحاس ونقلوه الى خزائن الخزينة • ثم عادوا اليه فكسروا خشبه وكان من الصنوبر وهو في غاية القوة والثبات • وتاسفت الناس عليه لكونه كان من نحاس دمشق ومعاملها • وله ما ينوف عن اربعة آلاف سنة • ولم يرَ في الوجود باب اوسع ولا اعلى منه وهو من العجائب التي لم يسمع بمثلها • وكانت له مسامير نحاس كبار بارزة من عجائب الزمان • ولم يرَ مثله في اشهر الاماكن وعلوّ البنيان • وهو منسوب الى ملك يقال له جيرون بن سعد بن غاد بن عوص بن ارام بن سام بن نوح عليه السلام • وفي هذه السنة اتفق النواب على السلطان للخروج عن طاعته وهم بيتغاروس نائب حلب وتكماس نائب طرابلس واحمد نائب حماة وطمبغه نائب صفد وابن ابي القادر التركاني • وحيار ابن مهنا امير العرب جميعهم اتفقوا على العصيان والخروج عن طاعة السلطان اذا لم يمسك شيخون وطاز وهما من اعيان الدولة المصرية • وارسلوا الى ارغون نائب الشام فأبى موافقتهم • وكتب الى مصر للسلطان يعلمه بما توقع من الامراء وانزعج الناس لذلك • ولما كان يوم الاثنين من رجب جمع نائب دمشق الامراء في قصر الابلق واستحلفهم بطاعة السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح فحلفوا على ذلك واتفقوا على الطاعة • وجمعوا اهل البقاع واهل الاقاليم لاجل حفظ تلك العقاب من هجوم العساكر الحلبية على غفلة • ويوم السبت عاشر رجب المذكور ركب ارغون نائب الشام ومعه عسكر دمشق وصار قاصداً الكسوة • ولم يبقَ في دمشق من الجند احد سوى الجي باغا نائب العقبة واصبحت الناس خائفين وانتقلوا من الصالحية ومن البساتين الى داخل البلد • ونقل الامراء حريمهم وحواصلهم الى القلعة واغلقت ابواب دمشق

(١) ذكر الامير حيدر بعد لفظة الامراء وهو الخامس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية وقد ذكر قبلاً ان الملك الناصر احمد هو الخامس عشر وذكرناه في محله • ثم بعد ذكر الملك المظفر حاجي انه الثاني عشر منهم • ثم ذكر الناصر حسن انه الرابع عشر فتأمل

الى باب الفرج و باب النصر لقربهما من القلعة . ثم دخل نائب حلب ومن معه من العساكر وصحبته تكماس نائب طرابلس واحمد نائب حماة وططبغا نائب صفد وابن ابي القادر التركماني . وحيار ابن مهنا امير العرب وجميع العساكر فدخلوا في سوق الخيل واستعرض الجيوش الذين قدموا معه فأُعرضوا في نظام جميل وكان عدد من معه من امراء الطبلخانات نحو ستين اميراً . ثم ساروا قرب الزوال الى الخيم التي جنوبي المسجد القديم عند قبة يلبغا . وكان يوماً مشهوراً عظيماً هائلاً . وعاين الناس من كثرة العساكر والجنود ما لم يعاينوه قبلاً . وغادر نائب دمشق الناس الذين معه لانهم لم يقدروا على قتال الاعداء . ثم ان نائب قلعة دمشق حصنها ووضع فيها الرجال والرماح والعدد . وامر اهل دمشق ان لا يفتحوا الدكاكين وان يغلقوا الاسواق فاغلقت ابواب دمشق ولم يبق الا باب الفرج لا غير . وعاث العسكر فيما جاورهم من القرى والبساتين والكروم والمزارع . ونهبوا ما وصلت ايديهم اليه . وفجروا بالنساء والبنات . ونقل اهل القرى اثاثهم وابقارهم وحريمهم الى داخل البلد . وكل يوم كانوا يزدادون في الشر والاذى والنهب وانتقل اهل الصالحية واهل العقيبة الى داخل المدينة . وامتلأت الطرق والشوارع والمساجد داخل البلد من الاولاد والنساء . وقال كثير من المشايخ الذين ادركوا غازان ان هذا الوقت كان اصعب من ذلك لما تركه الناس وراءهم من الغلات والاثمار والاقوات . واشتد الحال جداً اشتداداً لا يوصف . ونائب القلعة كان في كل وقت يسكن حواس الناس ويقوي عزمهم و يبشرهم بخروج السلطان واجتماعه بالجيش الدمشقي . وطالت المدة ولم ينر الجامع ليلة النصف من شعبان . ومن نصف شعبان ارتحل بيغاروس عن دمشق بمن معه من العساكر . وتخلف عنه جماعة دمشق خوفاً من الدولة . وفرحوا فرحاً عظيماً . ثم نادى نائب القلعة قائلاً . ان اي من وجد من الحلبيين يكرم ولا يعارض . ومن وُجد من التركمان يقتل و يؤخذ سلبه . وقدم الامير حيار ابن مهنا فاراً من قبضة بيغاروس . وذكر ان ابن ابي القادر التركماني فارق بيغاروس وذهب على طريق بعلبك والبقاع . وفي اول ليلة من رمضان بات اهل دمشق خارج البلد في البيوت النافذة الى الطريق والسطوح وزينت الطرق و باتوا في فرح وسرور . وعند الفجر خرج الناس واهل المدينة حاملون الشموع والمصاحف والتوراة والاناجيل . ولما طلعت الشمس اقبلت القواد براياتها . والعساكر على عاداتها وترتيبها خلقٌ بعد خلقٍ وجيشٌ بعد جيشٍ . في ترتيب عظيم وهيئات حسنة . ثم جاء السلطان وقد ترجع

الامر بين يديه وبسطوا الشقق من الطناس من مسجد الديان الى باب القلعة · وهولابس قباء احمر بفرو وبدلة جميلة · وتحته فرس كريمة من اطائب الخيل وهو حسن الصورة مقبول الطلعة · عليه هيئة الملك · والناس يدعون له باعلى اصواتهم وفرح الناس وسروا به · وكان يوماً مشهوراً عظيماً ونزل السلطان بالقلعة · وقدم معه الخليفة المعتضد بالله ابو بكر العباس ونزل بالدماعية · وفي آخر النهار سار الامراء مع ارغون ومقدماهم طاز وشيخون خلف بيبغاروس ومن معه · و يوم الجمعة حضر الى الجامع الاموي وصلى فيه في المشهد الذي تصلي فيه نواب السلطنة · ثم قدم البريد من بلاد حلب ومعه سيوف الامراء المشهورين من اصحاب بيبغاروس · وبعد ايام دخلت العساكر التي كانت توجهت خلف بيبغاروس ومقدماهم طاز وشيخون · وقد اسروا جماعة من الذين كانوا مع بيبغاروس وهم مقيدون · فدخلوا على السلطان وقبلوا الارض وهنأوه بالعيد ونزل طاز قبله · واما ارغون الكاملي فانه اقام بحلب نائباً لها اذ طلب ذلك · وعيد السلطان بالميدان الاخضر وصلى فيه القاضي تاج الدين المناوي قاضي العسكر · وفي ثالث شوال ركب السلطان الى الطارمة · وعلى راسه القبة والطير يحملهما بدر الدين ابن الخضير فجلس في الطارمة ووقف الجيش تحت القلعة واحضر الامراء الحلبيين الماسورين وامر بجلد وقتل سبعة منهم · ستة قواد وامير مقدم الف ونائب صيدا · وتشفع في الباقين · ثم سافر السلطان الى مصر مؤيداً منصوراً · واستمر في السلطنة الى ان خلع

وفي السنة ٧٥٥ هـ = ١٣٥٤ م امر السلطان بدمشق اهل الذمة ان لا يستخدموا في الدواوين · وان يعرض مواريثهم على الاحكام الشرعية · وأن لا يزيد احد عمامته عن العشرة اذرع · وان لا يركبوا الخيل ولا البغال بل الحمير فقط · وان لا يدخلوا الحمام رجالاً او نساء مع الاسلام بل يكون لهم حمامات منفردة · وان لا يلبسوا الا الازرق نساء ورجالاً وان يلبس اليهود الاصفر والسمرة الاحمر

الفصل الحادي والعشرون

في ملك الملك الناصر حسن ثانية

وفي هذه السنة اتفق جمهور الامراء على عزل الملك الصالح واعادوا اخاه الملك الناصر حسن · فولى على طرابلس الامير منجد وعلى دمشق الامير علي الماريني وعلى

حاب الامير طاز . وقبض على سيف الدين ارغون وارسله الى الاسكندرية معتقلاً .

وفي هذه السنة قدمت مراكب الافرنج الى صيدا . فقتلوا طائفة من اهلها واسروا جماعة . وقتل منهم ايضاً خلق كثير فوصل الخبز الى دمشق . فاجتمعت العساكر وبادروا الى معاونتهم فاستفكوا الاسرى من الافرنج عن كل انسان خمسماية درهم وكان عددهم ثلاثة آلاف

وفي السنة ٧٦١هـ = ١٣٥٩ م توفي الملك اورغان الغازي ابن عثمان وكانت مدّة ملكه خمس وثلاثين سنة يحارب النصارى وافتتح بورصا وتولى بعده ولده السلطان مراد وهو الثالث من آل عثمان

الفصل الثاني والعشرون

في ملك الملك المنصور صلاح الدين محمد

وفي هذه السنة توفي السلطان الناصر نصر الدين[1] الحسن ابن محمد في مصر وتولى بعده الملك المنصور صلاح الدين محمد وهو الثاني والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية . وبعد اربعة اشهر توفي (٢)

الفصل الثالث والعشرون

في حكم الملك الاشرف شعبان

وتولى بعد الملك المنصور صلاح الدين اخوه الملك الاشرف شعبان

وفي السنة ٧٦٣ هـ = ١٣٦١ م توفي الخليفة المعتضد بالله و بويع بعده اخوه الحاكم بامر الله ابو محمد عبد الله . وهو الرابع والاربعون من الخلفاء العباسيين و السابع منهم بالديار المصرية . وفي هذه السنة ايضاً توفي الخليفة الحاكم بامر الله و بويع بعده المتوكل على الله محمد وهو الخامس والاربعون من بني العباس والثامن منهم بالديار المصرية

---

(١) قتله مملوكه الامير يلبغا الخاصكي ودفن بمدرسته المنسوبة اليه بالقاهرة هي المدرسة الناصرية المعروفة بجهة السيدة زينب

(٢) قيل انه خلع سنة ٧٦٤ وتولى اخوه الملك الاشرف شعبان مكانه وقد ذكر موته الامير حيدر ثانية في سنة ٧٧٠ هـ

وفي السنة ٧٦٧ هـ = ١٣٦٥ م قصد ملك قبرس الاسكندرية بجيش عظيم في البحر. فنهبها وقتل منها خلقاً لا يحصى. وفيها توفي القاضي غياث الدين البيصوري وتوفي ايضاً الامير نعم الدين من عيناب . وفي هذه السنة قدم الى دمشق يبدمر نائباً عليها. ثم انه قصد العصاوة على السلطان وتجمع اليه مقدمو البلدان وحضر اليه ابن اكلش ومعه سبعة آلاف ومقدم الزبداني ومعه الف نفس وجرى من الامور ما يطول شرحه. فارسل اليه السلطان الجيوش. و بعد حصار شهرين تسلم دمشق وقبض على النائب وقتله

وفي السنة ٧٧٢هـ = ١٣٧٠ م ظهر في السماء نور عظيم ليلاً انفتحت به الطرق وقارب ضوء النهار الى الثلث الاخير. وفيها توفي الامير علي الماردانی نائب مصر وتوفي الامير جرجي نائب دمشق

وفي السنة ٧٧٣ هـ = ١٧٧١ م رسم السلطان الملك الاشرف شعبان ان يكون للاشراف المتسلسلين من النبي علامة خضراء في رؤوسهم تعظيماً لهم واحتراماً ولاجله قيل شعر

جعلوا لابناء الرسول علامة ... ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوّة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وفي السنة ٧٧٧ هـ = ١٣٧٥ م توفي الامير سيف الدين منجك وهو نائب مصر وكان ولي على نيابة صفد وطرابلس وحلب ودمشق ومصر. وله اثار كثيرة من البنايات فيها . منها الصهريج بالقرب من قلعة الجبل والفنادق في الطرق المخيفة وفي سائر الاعمال التي تولى عليها واوقف الاوقاف الكثيرة على ذريته ودفن بالقرب من قلعة الجبل وانشد له الوليد ابن الشحنة[1] الحنفي على سنان رمح شعراً

انا الاسمر الخطي اسمو الى العلا ... فتعجز عني المرهفات وتقصرُ

حياض المنايا من قناتي قد جرت ... انابيبها تهمي دماء وتهمر

وتجني ثمار النصر مني جنية ... نعودي لعمري ذابل وهو مثمر

وفي السنة ٧٧٨ هـ = ١٣٧٦ م قصد السلطان الحج الشريف فخرج من مصر في بهاء عظيم وخلق كثير فلحقه بعض امرائه بمواطاة طشتمر الداودار فهرب نحو القاهرة فقتلوه في عقبة ايلافي

---

(١) روى الوليد ابن الشحنة ان الكوزبغا الجوناني ارسل الى الناصري يطلب ابياتاً تنقش على سنان رمح مثلث فانشده شعراء دمشق وشعراء حلب وانشده الوليد هذه الابيات وذلك سنة ٧٨٦ هـ

الفصل الرابع والعشرون

في حكم نور الدين علي الملقب بالمنصور

وتولى على الحكم بعد الاشرف شعبان ولده نور الدين علي وهو الثالث والعشرون من ملوك الترك بمصر . وفي هذه السنة توفي الامير سعد الدين خضر ابن عز الدين حسن من الغرب بقرية عراموت وحمل الى قرية اعبيه ودفن فيها . وفيها كانت وفاة الامير ابو بكر الشهابي في حاصبيا . ثم تولى بعده ولده الامير محمد

وفي السنة ٧٧٣ هـ = ١٣٨١ م توفي السلطان الملك المنصور نور الدين علي . وكان ظالماً محباً للمال سفاكاً للدماء . وتولى بعده من هو بلقبه ولده السلطان منصور محمد الا انه بعد ثلاثة اشهر نظره الامراء انه اظلم من ابيه فخلعوه

الفصل الخامس والعشرون

في ملك الملك الصالح حاجي ابن شعبان

و بعد خلع الملك المنصور محمد ولى الامراء عوضه اخاه الاصغر ولقبوه بالملك الصالح وهو الخامس والعشرون من ملوك الترك بمصر . وفي هذه السنة في زمان السلطان الملك المنصور قامت الامراء بمصر وخلعوا الملك الصالح ايضاً عن السلطنة لانه لم يكن تبقى غيره من ملوك الترك ولم يكن اهلاً لذلك فانتهت به دولة الاتراك

الباب الخامس

في دولة المماليك الجراكسة

(ان اصل هؤلاء المماليك من ضواحي بحر قزبين وجاؤا اصلاً من سيبيريا من ضواحي بحيرة بيكال وكانوا يحملون من بلادهم للاتجار بهم كسائر المماليك فاقتنى منهم سلاطين الاتراك المتقدم ذكرهم عدداً وافراً كانوا يستخدمونهم في مصالح الدولة ومن ثم يرتقون من درجة الى اخرى حتى صارت اليهم حماية الحصون والقلع فجعلوا سكناهم في الابراج ولقبوا بالبرجية ثم تاقت نفوسهم الى تسلق كرسي الملك فتأتى لم ذلك

على عهد السلطان حاجي المتقدم ذكره لصغر سنه وضعف عزمه فخلعوه . و بلاد الجركس مشهورة بجمال اهلها وهي الان من املاك روسيا تدعى بلاد كرجستان شمالي ارمينيا في جوار جبال قوقاسوس وعاصمتها تفليس)

الفصل الاول

في ولاية الملك الظاهر برقوق

(لما قويت دولة الجراكسة وضعفت قوة الاتراك اجتمع الامراء والمماليك نواب القلع والحصون وولوا على السلطنة احد كبرائهم المدعو الظاهر برقوق ابن بدر بيك وهو اول ملوك الجراكسة بمصر وكان اشدهم بطشاً واعظمهم حزماً واقداماً . وقد تقلب في عدة مناصب في عهد الدولة السالفة . فهو الطنبغا الذي كان اولاً في نيابة دمشق ولقب الجراكسة منسوب اليه لانه كان اسمه جركس . ولعلّ جامع جركس المعروف بالقاهرة بالقرب من نظارة الاوقاف الجديدة منسوب اليه واوّل جلوسه كان يوم الاربعاء في ١٩ رمضان سنة ٧٨٤هـ)

وفي السنة ٧٨٥هـ = ١٣٨٣ م قبض الملك الظاهر برقوق على الخليفة المتوكل بالله وسجنه واقام عوضاً عنه في الخلافة عمر ابن الواثق بالله وهو السادس والاربعون من الخلفاء العباسيين والتاسع منهم بمصر

وفي السنة ٧٨٨هـ = ١٣٨٦ م توفي الخليفة ابو حفص عمر ابن الواثق وتولى بعده المعتصم بالله ابو يحيى . وفيها قبض السلطان برقوق على نائب دمشق وقتله وولىّ على نيابة دمشق الطنبغا الجوناني . وفي هذه السنة عصا يلبغا الناصري نائب حلب وخرج عن طاعة السلطان فجهز الملك برقوق العساكر المصرية وقدم عليهم جركس الخليلي امير ياخور ووجههم لمحاربة يلبغا . فجمع يلبغا الناصري العساكر والعربان والتركمان واهل طرابلس واهل كسروان والجردين واهل بلاد الغرب وجرت بينهم حروب كثيرة فانتصر الناصر نائب حلب ومنطاش نائب طرابلس على عساكر السلطان برقوق وقتلوا جركس قائد الجيش واستولوا على الديار المصرية لكون العساكر المصرية خانت السلطان . ولما تحقق السلطان برقوق خيانة العسكر اختفى . ثم ان النواب والامراء اخرجوا الملك الصالح المخلوع وولوه على الملك ولقبوه بالملك المنصور وكانت ولاية الملك الظاهر برقوق ست سنين (اوّل مرّة)

وفي السنة ٧٩١ هـ = ١٣٨٨ م كان القتال بين امراء الغرب التنوخية وبين اهل كسروان والتركمان . فالامراء التنوخية كانوا من حزب الملك الظاهر برقوق . واهل كسروان والتركمان كانوا من ميل منطاش نائب طرابلس و بيروت . فاستظهر اهل كسروان على امراء الغرب وقتلوا من جماعتهم نحو تسعين رجلاً واسروا عدداً غفيراً . ثم اتوا الى بيروت ونهبوا جميع ما وجدوه مما يختص ببيت التنوخ . ثم ساروا الى بلاد الغرب (اي ولاية التنوخيين من لبنان المعروفة بالغرب الاعلى والاسفل) واحرقوا عدة قرى ودكوها الى الحضيض وهي عيناب وشملان وعيتات ومعيسنون وشترة العليا والسفلى والبيرتين العليا والسفلى . واجتمع اهل الغرب في قرية الحصن وفي قرية الدوير اي الامراء التنوخيين كافة واتى اليهم لمعاونتهم رجال الجرد[1] والشوف[2] . فرجعت الكساروة والتركمان والجرديون[3] على اعقابهم . وفي هذه السنة ظهر الملك الظاهر برقوق عند الطنبغا نائب دمشق وجمع العساكر الشامية قاصداً دخول مصر فلم يطاوعه الناصري نائب حلب لاتحاده مع الملك الصالح المنصور . ثم ان الملك الظاهر سار الى الكرك . ولما ظهر الملك الظاهر لم يعرف الناصري بظهوره فوقع الاختلاف بينه و بين منطاش وقبض منطاش على الناصري والجوباني وارسلهما الى الاسكندرية . وكتب الى الكلكي نائب الكرك ان يقتل الملك الظاهر . فلم يرضَ بقتله بل افرج عنه وخرج الملك الظاهر كدرويش يستعطي من الناس . ثم اجتمع اليه مماليكه وعسكر الكرك فركب قاصداً باكيش نائب غزة فقتله ونهب داره وتوجه الى الشام . فالتقى بجتكمر نائب الشام . ولما توافقا ظفر الملك برقوق به واستمر على حصار دمشق . ثم حضر اليه كتبغا نائب حلب ومعه جموع كثيرة فقوي عليه الملك الظاهر برقوق وظفر به . ثم ان العساكر الظاهرية قصدوا طومان شيخ التركمان حاكم كسروان فتوافقا في الساحل بالقرب من زوق ميكائيل . وقتلوا من الاكراد الامير علياً واخاه الامير عمراً وجماعة كثيرة ونهبوا زوق التركمان . ثم ان كتبغا منطاش خرج من مصر والسلطان المنصور في العساكر المصرية والتقى الفريقان وجرى بينهما حروب شديدة انتصر بها الملك الظاهر برقوق وقبض على منطاش وعلى السلطان الصالح المنصور . وفي هذه السنة يذكر ابن سباط في تاريخه

---

(١) يراد بالجرد بناثر والرملية ومجد البعنا و بدغان وشارون و بحمدون و رشميا وكفرعميه وغيرها

(٢) يراد بالشوف الشوفين وهما بعقلين وعنبال وغريفه والمزرعة والخربية والمختاره وعماطور ونيحا وكل وما يجاورها (٣) يريد به جرد كسروان

انه لما كان الملك الظاهر متظاهراً بزي الدراويش جاء الى قرية اهدن شرقي طرابلس فقام الشدياق يعقوب بن ايوب بخدمته فكتب له صحيفة بختمه ان يكون شيخاً . ثم نزل الى دير قنوبين فاقتبله الرئيس واكرمه فاعطاه خطاً بان ديره يكون معفىً من الرسوم وتكون له الرئاسة على جميع الاديرة . ثم رجع الملك الظاهر الى الكرك . واما دير قنوبين فبقي اكبر الاديرة وسمي قنوبين اي دير اجتماع الرهبان وكان يقال له دير المائتي راهب وهو الذي بناه الملك طوارسوس ملك الروم في سنة ١٠١٣ م . يذكر بارونيوس انه في هذه السنة ظهر تيمورلنك من ملوك التتر وكان متوالياً من شيعة علي بن ابي طالب . وكان ابوه راعياً للغنم . ثم انه ارتقى الى ان تملك على التتر بعد جحدهم الديانة المسيحية . وظهرت سطوته وتملك على جميع ممالك العجم . وابتدأ يتغلب على ممالك الترك . واستولى على مُدُن كثيرة . وكان كالنار يحرق كل مملكة يجتاز فيها . واي مدينة حاصرها كان ينصب لها اولاً علماً ابيض علامة الرضى . ثم علماً احمر علامة على القتال وسفك الدم . ثم علماً اسود علامة الغضب . ولما استخلص بعض عمال السلطان بايزيد ما كان بيده من المملكة . التجأ السلطان الى تيمورلنك وسأله المساعدة فحياه منه اجاب سؤله لان تيمورلنك كان يحب السلطان بايزيد حباً شديداً ويدعوه ابنه فارسل تيمورلنك له هدية فاخرة . وطلب منه ارجاع أُولئك العمال الى مقامهم . فردّ السلطان بايزيد الهدية وازدرى بها فغضب تيمورلنك وسار بالعساكر الى حصار مدينة سبسطية (السامرة القديمة) وتملكها وقتل ابن السلطان بايزيد بها . وانتقل الى حلب ثم الى حمص التي كانت تدعى اسيا (لم يسمع هذا الاسم لحمص ولربما يراد به افاميا فغيره النساخ الى اسيا والله اعلم)

وفي السنة ٧٩٢ هـ = ١٣٨٩ م (حدثت موقعة بين الملك الظاهر ومنطاش وبصحبته كان الملك المنصور فاستظهر الملك الظاهر عليهما وفر منطاش ودخل الملك الظاهر الى مخيم الملك المنصور حاجي وامسكه وجلس على سرير الملك . فصار كل من اقبل الى المخيم ووجده جالساً على عرش الملك يقبل الارض بين يديه ويخضع له . وبالحال توجه السلطان الظاهر الى مصر فوجد مماليكه قد خرجوا من السجن وامسكوا خلفاء منطاش ومنطاش مقيم بدمشق فدخل السلطان مصر مطمئناً واطلق جميع الامراء الذين كان سجنهم منطاش) . وجلس الملك الظاهر ثانية على تخت السلطنة وخلع عليه الخليفة والقضاة وخلع عن السلطنة الملك المنصور حاجي وكانت مدة ولايته الثانية سبعة اشهر

واعتقل السلطان برقوق الملك حاجي بمصر وامر باخراج الناصري والجوباني من سجن الاسكندرية واعطى الناصري نيابة حلب واعطى الجوباني نيابة الشام . (وجهزهما بالعساكر لمطاردة منطاش لانه كان سمع بانه اقام نائباً على حلب من قبله . وحصل بينهم وقعة مهمة قرب حمص قتل فيها الجوباني وجماعة من الامراء . ثم رجع الناصري الى دمشق وهناك اتاه الامر بتقليده نيابتها . ولما بلغ ذلك كتبغا نائب حلب خاف كثيراً وابتدأ بتحصين المدينة . ولم تكن من عهد قازان بنيت وحصنت كما في ذلك الزمن . ثم وصل منطاش وعساكره الى حلب وحاصروها ولم يفوزوا بها ثم توجه منطاش الى جهة عين تاب) . وفي هذه السنة اخذ قرايوسف بن قرا محمد امير التركمان بالشرق مدينة تبريز وارسل مفاتيحها الى الملك الظاهر برقوق فارسل له خلعة سنية وقلده نيابتها فاستمر نائباً بها

وفي السنة ٧٩٦ هـ = ١٣٩٢ م قدم تيمور لنك ملك التتر الى بغداد فهرب منه السلطان احمد ابن اديس سلطان بغداد وتوجه الى مصر . وتملك تيمور لنك سائر بلاد العجم والعراق وتبريز والديلم . ولما وصل السلطان احمد الى مصر خرج السلطان الظاهر برقوق وسائر امراء مصر الى لقائه ومشى الامراء في ركابه الى داخل البلد . وفي هذه السنة جمع السلطان الظاهر برقوق العساكر وخرج من مصر ومعه السلطان احمد الى دمشق لمعاونة نائبه الناصري بها على مقاومة منطاش لانه كان بلغه ان منطاش يهاجم دمشق و يضايق الناصري بها . ولما بلغ منطاش قدوم السلطان بالعساكر هرب نحو الشرق . فقدم السلطان الى دمشق واستصحب معه الناصري . وقدم الى حلب واقام بها شهوراً . وسير العساكر صحبة السلطان احمد الى بغداد وملكها . وهزم الذي كان بها من قبل تيمورلنك . ثم ضرب السكة باسم السلطان الظاهر برقوق وخطب له ببغداد اولاً و بعده للسلطان احمد العباسي . وفي هذه الايام كان الامير محمد الشهابي والياً على ولاية الامراء آل شهاب ولكنه كان منهمكاً بالملذات وانواع الخلاعة والطرب واستولت النساء على فواده وعقله . وفي ايامه كان البلاء الاعظم الذي عمّ البلاد واهلك العباد . وهو قدوم تيمورلنك الى الديار الشامية

وفي السنة ٧٩٨ هـ = ١٣٩٥ م بعد عودة السلطان برقوق الى مصر حضر اليه رُسل السلطان بيازيد ابن عثمان بهدايا فاخرة وتحف ثمينة في طلب تشريف من الخليفة بعد ما كان بيازيد حاصر سيواس وملكها وملك بلاد قرمان بان يكون سلطان

الروم فارسل له الخليفة التشريف ولقبه سلطان الروم

وفي السنة ٨٠٠ هـ = ١٣٩٧ م توفي الملك الظاهر برقوق ابن عبد الله (قيل وفاته كانت ٨٠١ هـ ودفن عند الشيخ الزهوري و بني عليه تربة عظيمة وكانت مدة ملكه ١٧ سنة صرفها اكثرها بالحروب والجهاد ضد مقاوميه. واخيراً ضد تيمورلنك وله اعمال عجيبة و بنايات غريبة فمن آثاره في القاهرة الجامع المعروف باسمه في شارع النحاسين بجانب جامع الملك الناصر . ومن بناياته الشهيرة الجسر العظيم الذي بناه على نهر الاردن الملقب بنهر الشريعة ونقش عليه هذا التاريخ

بناه الظاهر البرقوق جسراً ... باعمدة واعتدة منيعه

ومهد للورى سبلاً وقد ... امر العباد بان نجوز على الشريعه

(وفيها ابتدىء بضرب النحاس والتعامل به و بطل تقدير الاشياء بالمياداة . وفيها لتشقق الجامع الازهر وميل مقصوراته انتدب السلطان برقوق رئيس التجار يومئذ ابرهيم بن عمر بن علي المحلي وهدم صدره باسره فيما بين المحراب الكبير الى الصحن طولا وعرضاً وازال اللوح الاخضر واعاد البناء كما كان وقيل ان منارته كانت قصيرة فهدمت و بنيت باطول منها

وفي سنة ٨٠١هـ = ١٣٩٨ م نودي في مصر ان صرافة كل دينار ثلاثون درهما ومن امتنع نهب ماله وفيها انشأ بركة مباشر ادارة الامراء جامع بركة وهو بجوار جامع طولون . وفيها في ١٥ ذي الحجة توفي السلطان برقوق وكان عمره حين وفاته ستين سنة ومدة سلطنته ١٦ سنة و بضع اشهر)

الفصل الثاني

في ملك فرج زين الدين الملقب بابي السعادات ولقب ايضاً بالملك الناصر

و بعد وفاة السلطان الظاهر برقوق بو يع بعده بكر ابنائه الملك فرج الملقب بالملك الناصر ابي السعادات . وهو الثاني من ملوك الشراكسة بالديار المصرية وفي السنة التالية ٨٠٢ هـ خرج السلطان الناصر وتوجه بالعساكر الى دمشق لانه بلغه ان تنماً نائبها عصى عليه وارسل تنم المذكور الى اقبغا نائب حلب فوافقه وتوجه اليه فاجتمعت اليه غالب نواب الشام وامرائها وفي مسير السلطان فرج التقى بتنم وحزبه في ارض فلسطين وتواقعا

فانهزم تنم وامسك هو وجماعة من الامراء. ودخل السلطان دمشق واقام بها اياماً وقتل تنماً وايتمش واحمد بن يلبغا وجماعة من الامراء . وعاد الى مصر منصوراً. واستقر سي في نيابة دمشق خال السلطان سودون (و يروى حودون ابن اخت الملك الظاهر برقوق) وفي نيابة حلب الامير دمرادس الخاصكي. وفيها طمع ابن عثمان ونازل ملطية وحاصرها واخذها

وفي السنة ٨٠٣ هـ = ١٤٠٠ م خرج تيمور لنك العدو الطاغي . والمنافق الباغي قال بعض اصحاب التواريخ انه لما تملك تيمور لنك اولاً مدينة بغداد و بلغ من الدهر ما اراد ارسل الى السلطان رسولاً وصحبته كتاب. فاتوا الى رحبة مالك ابن طوق . وقد تعبوا من السير والسوق . فوجد فيها كتبغا مملوك الامير علي نائباً وقتل الرسول وكان اعظم النواب . وارسل الى السلطان الهدية والكتاب . وقد افتتح للشر ابواب . فلما وصل الكتاب اليه . وقرأه وكانت علامة الشر ظاهرة عليه . وجد فيه مكتوباً: بسم الله الرحمن الرحيم . القوة لله . قل اللهمّ خالق السموات والارض عالم الغيب والشهادة ان تحكم بين عبيدك بما كانوا فيه يختلفون . اعلموا انا جنود خلقنا الله من سخطه وسلطنا على من حل عليه غضبه . لا نرق لشاكٍ . ولا نرحم عبرة باكٍ . وقد نزع الله الرحمة من قلوبنا . فالويل كل الويل لمن لم يكن من حزبنا. قد خربنا البلاد . و يتمنا بها الاولاد . واظهرنا فيها الفساد . فخيولنا سوابق . ورماحنا خوارق . وسهامنا موارق . وسيوفنا صواعق. ولتوتنا (فؤوسنا) سواحق. وعددنا كالرمال . وقلوبنا كالجبال . ومن رام سلمنا سلم . ومن نال حربنا ندم . فملكنا لا يرام . وجارنا لا يضام . فان قبلتم شرطنا كان لكم مالنا . وعليكم ما علينا . وان ابيتم . وفي بغيكم تماديتم فلا تلوموا الا انفسكم . فالحصون بين ايدينا لا تمنع . والعساكر لا ترد ولا تنفع ودعاكم علينا لا يستجاب ولا يسمع . لانكم اكلتم الحرام . وارتكبتم الآثام . وضيعتم الجمع وغرقتم في بحر الطمع . وسلكتم في طريق البغي والعدوان . فابشروا بالذل والهوان . فاليوم تجازون عذاب الهون . لانكم بغير الحق في الارض تستكبرون . ودائماً كنتم تفسقون . وقد ثبت عندكم اننا كفرة . كما ثبت عندنا انكم فجرة . وقد سلطنا عليكم الهاً بيده امور مقدرة . واحكام مدبرة . فعزكم لدينا ذليل . وكثيركم عندنا قليل . فاننا ملوك الارض شرقاً وغرباً . واخذون كل سفينة غصباً . وقد اوضحنا لكم طريق الصواب . فاسرعوا الينا برد الجواب . من قبل ان ينكشف الغطا . ويقع الحرب والسطا . وتوقد الحرب نارها . وترمي عليكم شرارها . ولا تبقي لكم بقية و ينادي عليكم

منادي الفنا . هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزاً . وقد انصفنا كم اذ راسلناكم وثرنا لكم جواهر هذا الكلام والسلام .

فاجابه السلطان بكتاب من انشاء بعض الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تولي الملك لمن تشاء . وتنزع الملك ممن تشاء . وتعز من تشاء . وتذل من تشاء . بيدك الخير . وانت على كل شيء قدير . ورد الله الذين كفروا بغيظهم لا ينالون خيرا . وكفى الله المؤمنين القتال . وكان الله قوياً عزيزا . وصل الكتاب المخبر عن الحضرة الايلخانية . والسدة العظيمة القانية . تقولون انكم خلقتم من سخطه . ومسلطون على من حل عليه غضبه . ولا ترقون لشاكٍ . ولا ترحمون عبرة باكٍ . وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم . فذلك من اكبر عيوبكم : وهذه من صفات الشياطين لامن صفات السلاطين : وكفى بهذه الشهادة عليكم واعظاً : وبما وصفتم به انفسكم ناهياً وامراً . قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون . الصورة . ففي كل كتاب لعنتم . وبكل قبيح وصفتم . وعلى لسان كل رسول ذكرتم . وعندنا خبركم من حين خلقتم . وزعمتم انكم كفرة لعنة الله على الكافرين . من تمسك بالاصول فلا يبالي بالفروع . فنحن المؤمنون حقاً . والقائلون صدقاً فلا يداخلنا عيب . ولا يصدنا ريب . القرآن علينا نزل . وهو رحيم بنا لم يزل . وتحققنا تنزيله . وعلمنا تأويله . انما النار لكم خلقت . ولجلودكم اضرمت . والجحيم لكم سعرت . اذا السماء انفطرت . ومن اعجب العجب تهديد الرتوت بالتتوت . والسباع بالضباع . والكماة بالكراع . فنحن خيولنا رقية . وسيوفنا يمانية ورماحنا خطية . وسهامنا خليجية . ولتوتنا مصرية . واكتافنا شديدة المضارب . ووصفها في المشارق والمغارب . فلا بد ما نأتيكم بخيل جياد . وسيوف حداد . ورماح مداد . وابطال شداد . فاذا هجموا على البحر مزقوا امواجه . او على البر الاقفر خرقوا الفجاجه . قوام بالليل . هيام بالنهار . لا تهولهم السباسب ولا بعد الديار . قد نشأوا على الحروب والقراع . والفوا الفروسية من عهد الرضاع . فليس بيننا وبينكم سوى نظرة العين . وزعقة غراب البين . فان قتلناكم فنعم البضاعة . وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة . ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون . واما قولكم ان قلوبكم كالجبال وعددكم كالرمال . فالجزار لا يبالي بكثرة الغنم . وان كثيراً من الحطب يكفيه قليل من الضرم . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . والله مع الصابرين الفارين من الرزايا لامن المنايا . فنحن المنية عندنا غاية الامنية . ان عشنا سعداء . وان متنا شهداء .

الا ان حزب الله هم الغالبون . ابعد امير المؤمنين وخليفة رب العالمين تريدون منــا الطاعة . ليست لكم ولا طاعة . وطلبتم ان ياتيكم امرنا قبل ان ينكشف الغطا . ويقع الضرب والسطا . هذا كلام في نظمه تركيك وفي سلكه تفكيك . لو كشف الغطا لبان الصدق من الخطا بعد تبيان . والكفر بعد ايمان . ام اتخذتم آلهاً ثانياً . لقد جئتم شيئاً اذا تكاد السموات تنفطرن منه . وتنشق الارض وتخر الجبال هدّاً . قل لكاتبكم الذي وصف رسالته ورصف مقالته . وصل كتابه فكان كصرير الباب . او كطنين رباب . سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والسلام

ثم تواترت الاخبار بحركات التتر . وما في عزم تيمور لنك من درس هذه الديار ثم فترت الاخبار وتحدث الناس قليلا وكثيرا . فتعاود الارجاف والضنك . بقدوم تيمور لنك وانه ملك سيواس وملطية . قد شمر ساعد الجد لاخذ البلاد الشامية : وانه لم يبلغ بهسنا ماطلب ورحل عنها قاصداً مدينة حلب . فورد يلبغا الدوادار من الديار المصرية لتجديد العساكر الاسلامية . وقدم نائب صفد الطنبغا العثماني . في العسكر القاصي والداني . وخرج سودون نائب الشام . بالعساكر والاعلام . وخرجوا من دمشق في اول شهر صفر . وسعدهم قد غاب وخمولهم قد حضر . بعد ان بالغ سودون نائب الشام في الاذية . من قطع معاش الامراء والرعية . واتعب الجنود والاقوام على نهر بردى ثمانية ايام . ثم رحل عنها قاصدا حمص . ثم خرج منها ودخل حلب في اول شهر ربيع الاول والعساكر طوع يديه وعليه المعول . هذا وقد فر تيمور لنك فرور العبد الآبق . ونزل على مرج دابق . فراسلهم وراسلوه . وناوشهم وناوشوه . فارسل نائب حلب تقليداً وتاجاً مرصعاً من نكلات السقطية . وسيف مرصع وتركاش . وبعض هدية من القماش . فقتلوا الرسل (١) . ولم يردوا له الجواب وبعثوا الى السلطان بالهدية والكتاب . ثم قدم التيمور لنك الى حلب . واتصل لحربها سبباً بعد سبب . وحاصرها اشد الحصار بالمجانيق والنفط والنار . بعد ان قتل العساكر وافناها . واسر من اسر وسبى من سباها . ورات اهل حلب الاهوال . واستفادت التتر لنكية بالنسيج والخيول والاموال وهدرت دماؤهم ودرست اسماؤهم . وحالت احوالهم وذهبت ارواحهم واموالهم شعر

(١) لا يفهم من هذه الجملة من قتل الرسل ورسل من كانوا والصحيح ان تيمور لنك ارسل المسلمين رسولاً فقتله نائب دمشق

بذا قضت الايام ما بين اهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد
وقال الله تعالى ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفو عن كثير . وقال رسوله ثلاثة من رزقهم فقد رزق خير الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء . والصبر على البلاء والدعاء على الرخاء . وكانت التتار قد وقعت في هوة فزادوا بما غنموا من البلاد الشامية قوة واي قوة . واصبحت شوكتهم قوية . و يدهم ثقيلة على البلاد الحلبية . ورحل تيمورلنك من مكانه ونزل في المطعم . ونار الحرب في جوانب حلب تضرم . وهاجم الامراء القلعة وصعدوا اليها بالحبال . وحصنوها بالميرة والرجال : فحاصرها الى يوم الاربعاء نصف الشهر فانخدع الامراء والنواب سرا وجهرا : ونزل اليه خيتم التركماني وسنبغا الداودار يطلبون الامان منه وسلموه القلعة في ذلك الان : فخلع عليهم وردهم الى القلعة : وهو نازل في مكانه في تلك البقعة . وكتب لهم الامان وامنهم . فنزلت اليه النواب والامراء باجمعهم وتسلم الحصن بما فيه اجمعين . وعم البلاء الصالحين والطالحين . ثم اودع النواب والامراء في القيود . و بعد ان كانوا صيادين اصبحوا مصطادين . وصعد تيمورلنك بنفسه الى القلعة . واخرج في عذاب القوم الصنعة . واستخرج الاموال . واذاقهم الاهوال . وسأل ابن القفصي عن علي ومعاوية وما كان بينهم في السنين الماضية . فكان جوابه كلاما معناه ان الكل مجتهدون فغضب تيمورلنك لذلك غضبا شديدا وقال على علي الحق . ومعاوية ظالم . و يزيد فاسق . وانتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فاخذ الوليد ابن الشحنة في ملاحظته . قال المصنف وكلما نزل على الناس من القضا . علامة السخط لا علامة الرضا . قال الله عز وجل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على وجهها من دابة . وقال النبي لولا مشايخ ركع واطفال رضع و بهائم رتع لصب عليكم البلاء صبا و . قال بعض السلف اذ كان الله في كل شيء عادلا فمصائب العباد لعلة فيهم والدهر يجرح و يدمل . والله يمهل ولا يهمل . فبينما اهل دمشق في غفلاتهم وظلم ولاتهم ولا ينتهون عن منكر ولا يرون مع ارتكاب الكبائر الاكل اية هي اكبر ينتهكون الحرمات و يجنحون الى الملذات بالذات . وقد عقدوا العقود على انية العنقود لا يشغلهم عن ذلك شاغل ولا يدخل على راح راحتهم داخل . ثم ورد الى دمشق الخبر بالكسرة وان العدو على المعرة . فاجفلت دمشق جفلة شديدة لا تعهد . و باتت دمعة من يخاف الله لا تنقطع . ولا تجمد . وانتقلت اهل الحواضر الى البلد وانقلبت افراحهم الى

النكد وكثر صياح النساء والصبيان في الطريق. يبكون على من في الكسرة قد مات. وكانت الائمة تتلو الصلوات وقرىء البخاري بالجوامع والمساجد. وكثر الدعاء من كل راكع وساجد. وانحصرت اهل الحواضر في المدينة. وانقلبت افراحهم الى احزان. وايقن الناس بالهلاك والعطب. وتحققوا المساواة باهل حلب. فاجتمع الاعيان بدار السعادة. وطلبوا التجار واصحاب الاموال على العادة. وامروهم باستخدام الرجال على الاسوار. وان يهتموا بآلات الحصار. وقد وقع التفكير بعسكر الشاميين. وتحققوا عدم خروج المصريين. وايقنوا بالضيق والحصار. الى ان يحضر السلطان بالعساكر من مصر فشرعت الناس في الهزيمة الى القلع والحصون المنيعة في الضياع ومنهم من توجه الى قلعة ارغون. ومنهم من قصد قلعة شقيف ثيرون. وعملت الصقائل على اسوار دمشق ونصبت المدافع. (لربما المجانيق) وحضرت المضرة وغابت المنافع. وقصدت الناس الاسوار. وجروا في الخنادق والانهار. وركب الحاجب ورد الامراء الى المرج. وكثر الناس الهرج وغلا كراء الدواب والخيل. ووقع الناس في العناء والويل. وصار كراء البغل من الشام الى بيروت بمائة. والى الرملة بثلاثمائة. فنادوا بابطال السفر بعد ذلك. وايقن الناس بالمهالك. وحارت الناس في نفوسهم بين التوجه والاقامة. فعطب من تاخر وفاز من توجه بالسلامة. ثم قدمت الاسرى فئة بعد فئه. فامتلأت من الخوف قلوب الرعية. واخبر الاسرى بما نالهم من العذاب الاليم. وماراوه من المنكر والفسق في الحريم. وما قاسوا من مكاوي الحديد. العذاب المتنوع الشديد. ففر اغلب اهل الشام منها وقصدوا الرحيل عنها. فاستدت الطرق واشتدت الطعنات بالمناخس. واشتفى منهم اللعين ابليس. وهمت الامراء بالسفر بفرج ابن منجك. فخاف ان يهلك. ثم نودي من سافر تنهب امتعته. و يردوه. وعن منال ماطلب يصدوه. فتسلط الاعوام عليهم. واوصلوا الاذية اليهم. ونهبوهم وهم خارجون من الابواب. وتقاتلوا بالقسي والنشاب. فورد سنبغا الداودار. الذي دار عليه الفلك الدوار. وهرب من تيمورلنك وخلص من يديه واين يفر العبد من القضاء المقدر عليه. فوصل الى القاهرة. ومات بها والعين ساهرة. وكان موته عند دخولها. ودفن بها عند نزولها. ثم قدم نائب صفد واجتمع بالحاجب. وجلس على باب اسطبل النائب. ونادى في العالم الفرار الفرار. لانكم لا تعرفون عدد التتر. ومن ملك منكم ثمن حذاء فلا يقيم. فانهم كالليل البهيم. فكونوا منهم على حذر. فانهم كالنار التي لاتبقي ولا تذر. ولا عادت

تذكر في الدنيا حلب . وقد اتاها من الاهوال ما لا يحسب . وحرض على السفر . وعن فهم مافي التاخير من الضرر . وظهر بصحة فيما بعد . عند معاينتنا العساكر التي لا تحصى ولا تعد . وعذرناه في جميع ما قال . وصدقت الاسارى القادمين من بلاد الشمال . وقد تواترت عليهم المصائب . والحاضر يرى مالايرى الغائب . فنزلت الناس من الاسوار . و بطلت مداومة الحصار . وتحير حاجب الحجاب في نفسه . وامر ان لا يحمل احد قوساً ولا نشاب . وان يسلموه البلد بالامان . كما اتفق نوبة غازان . وتحققوا تفريط عسكر الشاميين . وعدم خروج عسكر المصريين وكثر قدوم الاسارى فيئة بعد فئة . وتزايد الرعب في قلوب الرعية . والسعيد من الامراء والاجناد . كان المتقفأ بعباة اولباد . واحسنت اهل قارة . الى من مر بهم من الاساري . ثم قدم نائب طرابلس ونائب بيروت ابن سويدان . ودخلوا بالسلب . فضاقت على الناس المسالك . وامروهم بالسفر بعد ذلك . وقد سدت ابواب المدينة وخرجوا من باب النصر . كما تخرج الجبن بعد العصر . وتزايد القلق والطيش . وفر كاتم السر وناظر الجيش . و باقي الاعيان والاماثل . وتاخرت المساكين والاراذل . وتجهز للسفر امير حاجب . فتعلق به عند اسطبل النائب . فمشى بينهم الى حكر السماق . وحلفوه بالطلاق ان لا يسافر . وردوه الى الاسطبل وجلسوا واحاطوا به واحترسوا . وصار في اسرهم مأسوراً . و بمجاورتهم له محصوراً . فدار البلد من خارج وهم معه دايرون . واين ماتوجه هم له طالبون . وصار مع العوام في اضيق مكان . وحلفوا ان لا يسافر من على الشيخ ارسلان . وقطع ماحول البلد من الجسور . وقد نقطعت من العالم الظهور . وجروا فجوراً معهوداً من القدم . وندموا على السفر غاية الندم . ولو علموا ماهو آت لم يتاخر احد . وخرجوا مرة بعد اخرى . وفقد من البلد مايقارب النصف من العدد . ثم وردت بطاقة نائب حمص انه تاخر في قارا فرايت الناس كالسكارى . واخبروا ان ولدي تيمورلنك وهما مهران شاه وماردين شاه قد نزلا على مدينة حماة فتلقتهم اهلها بالضيافة . فسكنت عنهم بعض الخوف . وقبلوا ماقدموا لهم من المدية . وقد كان ذلك من قضاء الكائن في الازلية . ورحلوا عنهم . واستنابوا عليهم واحداً منهم . فقاموا على ذلك النائب وقتلوه . وخابت ظنونهم بما املوه . فرد عليهم مهران شاه ونهبهم واستوفى ثار النائب منهم . وقتل غالب اهلها وما

اقال احداً لعثرة ونهب ما فيها وتركهم عبرة واحرق غالب البلد ولم يترك فيها كهلاً ولا ولد . وحاصر القلعة عشرة ايام فلم يقدر عليها . لان غالب اهل حماة صعدوا اليها . فارسل الى ابيه تيمورلنك يطلب منه نجدة فجهز له عشرين الفاً من العساكر كاملي العدد . فاخذ القلعة بعد ذلك . والقى من فيها بالمهالك . وخرب وعلق وقتل واحرق فدرست محاسنها وتغيرت حالات اماكنها . ثم جفلت الشام لخبر هذا المصاب . وايقنوا بحلول العذاب . ثم تواترت الاخبار بخروج السلطان من مصر . فقال شاعر العصر . وهو الامير ناصر الدين محمد ابن الامير حسن ابن صاحب حماة شعر

اقول وقد دنا سلطان مصر الى بلد بها جزع مريبُ
فاهل دمشق لاتخشون شراً فان امامنا فرج قريبُ

ثم ان اهل دمشق تهيئاوا للحصار . واجروا في الخنادق الانهار . ووقع بينهم الانزعاج . وصعدوا الى الابراج . واهتم القاضي الشافعي . الوارث العلم عن الرافعي . المشهور بالعلم والتقى . علاء الدين ابن ابي البقا . والمتفنن بامور الاسوار . فاستعمل آلات الحصار . واجرى النفقات . واشترى الزردخانات . وباع حواصل الغلال . واستخدم الرجال . وركب وشهر السيف ونشر الاعلام . ونادى بالجهاد في سبيل الملك العلام . وفرق على الناس السلاح وامل بالنجاح . فتمسك الناس بعضهم ببعض والتجأوا الى خالق السماء والارض . وصعد بعض الناس الى القلعة لانها منيعة فلم يساعدهم الزمان . ثم قدم السلطان ونزل بالقلعة وحصنها . ونصب المجانيق وزينها . وحصل بقدومه عند اهل الشام فرح شديد . وعند التيمورلنك خوف شديد . وعزم على الهرب . خوفاً من العطب . وكان السلطان في عسكر كثير . وجمع غفير . وقيل ان تيمورلنك بات ليلة وصول السلطان على اهبة الهرب . لينال بذلك الارب . فدخل على السلطان شخص من خواصه وامرائه وخوّفه وقال له ان تيمورلنك لا بدّ ان يملك الشام . وان مصر تفوتك فلا تنم . وكان السلطان هو السابق بالهرب . ولم يثق بعلام الغيب . وهرب من قلعة دمشق في الليل . خوفاً من البلاء والويل . وترك الشام وراءه . وسلمها لاعداءه . وذهب في طريق البقاع . وقيل انه نام بين نيحاوجباع . وسار على طريق الساحل . لكيلا يعلم به مقيم ولا راحل . ودخل الى مصر وقلعتها . ولم يذكر الشام وجنتها . فلما بلغ تيمورلنك ذهاب السلطان . احاط بدمشق بالامان . ونصب خيامه من قبة يلبغا الى الربوة الى ميسنون فاشتدّ الحصار والقتال . ورأت اهل دمشق من

المصائب والاهوال • مالا عين رأته ولا أذن سمعته • ولا خطر على بال وجرى من الحروب ما لم يجر بين الملوك الاكاسرة • والعرب العرباء والقياصرة • وخلفاء الاسلام وسلاطين العراق ومصر والشام • ولا حرب سابور مع قيصر • ولا اخشيد مع القائد جوهر • ولا لبني امية مع ابي مسلم الخراساني • ولا النعمان ابن خالد مع جبلة الغساني • ولا القائم مع بني كبداد • ولا الامين مع المأمون ببغداد • ولا لبني بويه مع الديلمي • ولا للمستعصم مع وزيره العلقمي • ولا لنور الدين وصلاح الدين مع بني الاصفر • ولا لقلاوون مع سنقر الاشقر • ولا لبني تكش مع جنكيز خان • ولا للملك الناصر مع غازان • ولا لبيبغا ولا ليلبغا • ولا للفخري الطنبغا • ولا لايبك وطشتمر • ولا لصاحب الوقائع بدمر • ولا ادركه سمعي ولا ناظري في وقائع الظاهر مع الناصري • ما حدث على الاسلام من البلاء والضنك • في وقائع الطاغي تيمورلنك • وقاتلت اهل دمشق قتالاً شديداً لا يعهد • و باتت دمعة من يخاف الله لا تنشف ولا تخمد • واشتدّ القتال وكثرت الاهوال وزاد الوبال وراحت الارواح والاموال • فيالها من مصيبة ما اعظمها • ومن محنة ما أولمها • ثم دخل تيمورلنك المخذول الاعرج المشلول الى دمشق واوطاها • وداس اعلاها واوطاها • واهان ازمانها • واذل اعيانها • ونهب وفتك • وفضح وهتك • وشتت وفرّق الاحشاء وحرق الجامع الاموي وسائر المساجد • والمدارس والمعابد • وتركها اطلالاً بلاقع • لا اسواق ولا جوامع • وقطع اشجارها • واباد اثمارها • وهدم قلعتها • ودرست بقعتها • وتغيرت محاسنها • وذهبت اماكنها • وبالجملة يضيق هذا المختصر عن ذكر كلما فعله تيمورلنك ببلاد الشام من القتل والكسر والحريق والنهب والفسق في الحريم والبنات والاولاد • وقتل الاطفال • واخذ الاموال • وقيل عنه انه كان يجمع الاطفال فيرميهم في بئر و يستمر يرمي فيه حتى يمتلىء البئر من الاطفال • ثم يرمي فوقهم الحجارة العظيمة • فتسمع لهم صرخة اليمة • وكان يجمع الاولاد احياناً ويضعهم في الخنادق ثم يدوسهم بالخيل والبقر • ثم استمرّ تيمورلنك في دمشق حتى جاء جرادٌ عظيم غطى السماء وملأ السهل والوعر • واكل النبات والاثمار • والاقوات فامتلأت العيون والانهار و يبست الاشجار • ووقع الغلاء العظيم • واكلت الناس بعضها بعض • وتضرعوا الى خالق السماء والارض • واكلت الناس اولادهم وجواريهم وعبيدهم • وعدم القوت اصلاً فلما عاين تيمورلنك ذلك فرّ منها • ورحل في الحال عنها • فاستمرّت دمشق بغير ساكن • ولم يقم بها ولا قاطن • اللهم عامله بعدذلك فانه من اهلاك برحمتك وفضلك • قال وبقيت دمشق سبعة ايام لم يوجد فيها ديّار • ولا نافخ نار • لانه لما كان

تيمورلنك فيها اخلاها اهلها ٠

وفي السنة ٨٠٤ هـ = ١٤٠١ م بعد ما جرت تلك الامور على دمشق من تيمورلنك وارتحل عنها قدم نائباً عليها الامير اقبغا الجمالي من قبل سلطان مصر وشرع في تجديد بنائها ٠ واستناب السلطان في حلب الامير رقاق الخاصكي ٠ وشرع في تجديد بناء ما هدمه التتر ٠ (وفيها بلغ تيمورلنك وهو بقراباغ ان بايزيد ابن عثمان مشى على ارزنكان واخذها فتوجه تيمورلنك اليه عند ذلك ومشى على بلاده ٠ فخرج عليه ابن عثمان والتقى الجمعان في مدينة انقرة وحصل بينهما قتال عظيم وانكسر ابن عثمان ومسكه تيمورلنك و بقي عنده الى ان مات ٠ ذكر هذا الخبر الامير حيدر نقلاً عن بارونيوس تحت ٨٠٨ هـ ولكن عموم المورخين يذكرونه في هذه السنة) ٠ يذكر بارونيوس انه في هذه السنة تجدد الحرب بين تيمورلنك و بين السلطان بايزيد السلجوقي في سهل جبل طورس ٠ وكانت عساكر تيمورلنك ار بعماية الف فارس وستماية الف ماش ٠ ولما انتشب الحرب انتصر تيمورلنك على بايزيد وقبض عليه ٠ ولما احضروه امامه اكرمه كرامة ملك واجلسه الى جانبه ٠ وقال له قد نظرت اعمالي معك ٠ فقال السلطان بايزيد نعم ٠ فقال تيمورلنك لو ظفرت انت بي ماذا كنت تصنع معي ٠ فقال بايزيد كنت اضعك في قفص من حديد وكنت في كل وقت اركب من فوقه ٠ فقال تيمورلنك وهكذا اصنع معك و بقي كذلك الى ان مات واستولى تيمورلنك على غالب بلاده ٠ (وفيها ارسل تيمورلنك قصاده الى سلطان مصر مع هدية عظيمة يطلب منه اميراً من امرائه اسمه الطنبغا كان قد امسكه من عدة سنين قرا يوسف وارسله الى الملك الظاهر برقوق واستقرّ من جملة امراء مصر محجوراً عليه)

(وفي السنة ٨٠٥ هـ = ١٤٠٢ م عادت رسل تيمورلنك وانعقد الصلح بينه و بين سلطان مصر واعتذر له عما ابداه في دمشق الشام من الجور والمظالم وصار بينهما مودة ومهادنة فارسل التيمورلنك لسلطان مصر هدية نفيسة وفيلاً ٠ وفيها في ١٥ جمادي الثاني توفي السلطان بايزيد خان وعمره ٤٤ سنة ومدة سلطنته ١٣ سنة)

(وفي السنة ٨٠٦ هـ = ١٤٠٣ م ولد السلطان مراد خان الثاني ابن السلطان محمد خان ونودي على الفلوس ان يتعامل بها وزناً سعر كل رطل منه بستة دراهم وكانت قد فسدت حتى صار وزن الفلس ربع درهم بعد ما كان مثقالاً ٠ وفيها انقطع من مصر اسم الدينار والدرهم وظهر البندقي والفندقلي ٠ وكان اول ظهورها في القسطنطينية ٠

وفيها حدثت زلزلة عظيمة بحلب و بلاد آخر كثيرة . وتبعها زلازل عديدة اخف منها . ذكر المورخون انه بهذه السنة خرب اكثر بولاق وتلاشى امرها . وخربت المهمشة ايضاً . لربما بسبب الزلازل المذكورة . وحصل غلاء شديد بمصر بسبب نقص النيل فكابد منه اهالي الصعيد مالا يوصف فمات في مدينة قوص ١٧ الف نفس وفي مدينة اسيوط ١١ الف نفس بسبب الجوع وكانت مدينة اصوان بدون حاكم عرضة لغارات العرب عليها)

(وفي السنة ٨٠٧ هـ = ١٤٠٤م انشيء الجامع الاتربي بجهة الخرنفش بحارة برجوان في القاهرة . وفيها توفي تيمور لنك في اورنادة ببلاد تركستان وعمره ٧١ سنة فاغتنم فرج تلك الفرصة للتخلص من سلطة التتر . وفي هذه السنة كان اختراع البرانيط اخترعها رجل سويسري في فرانسا .) وفي هذه السنة توفي الامير محمد ابن الامير ابي بكر الشهابي وكان كثير الخلاعة فاستولت النساء على عقله فاستخف به اهله وطمع به بنو عمه فكان كل منهم يحكم بذاته ويفرض ما يشاء من المظالم حتى انقسموا فرقاً والامير محمد مشتغل بذاته لا يسأل عن شيء وكان اذا ارتفعت اليه قضية يقلد الحكم بها الى غيره و يبتعد عنها . فمن ثم لم تحمد ايامه وحصلت المظلمة على الرعية . وفي ايامه كانت الداهية العظمى في قدوم التتر فرحلت اهالي وادي التيم الى جبل لبنان وتفرقوا فيه ثم قدم الجراد والقحط والغلاء)

وفي السنة ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥م توفي الخليفة المتوكل على الله محمد و بويع بالخلافة بعده الى ولده العباس . ولقب بالمستعين بالله . وهو الثامن والاربعون من خلفاء بني العباس والحادي عشر منهم في الديار المصرية . وفيها خرج نصير ابن مهنا الحياري البدوي على اعمال الشام . فاخرج يلبغا العساكر وتواقعا بالقرب من قرية غدارة (لربما عندارة) خارج دمشق فانهزمت عساكر الشام وامراء غرب بيروت . واستولت العرب على الشام . وزادوا في الجور والظلم . ثم قدم الملك الناصر من مصر فانهزمت العرب ودخل السلطان دمشق . و بنى ماكان هدم . و بنى الجامع الاموي بعد حرقه وامر الناس بالرجوع . ثم رجع هو الى مصر . (وفيها ضرب الناصر فرج دنانير عيارها اقل من عيار الدنانير القديمة . وفي ١٦ ربيع اول خلع المصريون فرجاً بعد ان حكم ست سنوات وخمسة اشهر و ١١ يوماً . وولوا مكانه اخاه عز الدين عبد العزيز ولقبوه بالملك المنصور . و بعد شهرين مالوا بكليتهم الى فرج ابن برقوق ثانية واعادوه الى منصبه الاول ونفوا اخاه عز الدين الى الاسكندرية . وفيها اكتشف بانكور جزائر كنار با

واستولت اهالي فلورنسا على بيزه)

وفي السنة ٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ توفي الامير محمد الشهابي وتولى بعده ولده الامير قاسم . (وفيها توفي عز الدين عبد العزيز ابن برقوق في الاسكندرية)

(وفي السنة ٨١٠ هـ = ١٤٠٧ م تولى السلطان محمد بن بلدار على الناحية الشمالية وابطل القتال بينه و بين اخوته . وفيها جرت حروب كثيرة بين الخاصكي و بين امراء دمشق)

(وفي السنة ٨١١ هـ = ١٤٠٨ م انشا الامير جمال الدين الاسندار الجامع المعلق او الجمالي بالجمالية تجاه القره قول . وفي ٢٧ جماد ثاني قتل الامير يلبغا خنقاً وهو صائم في السجن .وفيها كان تاسيس وانشاء كلية ليبسك)

(وفي السنة ٨١٢ هـ =١٤٠٩ م زاد فيضان النيل عن حده واضر كثيرًا اذ غرق اكثر من مائتي قرية وعدة بساتين ووصل الماء الى دور الحسينية من نز الارض . وفيها كان اختراع رسم الصور بالزيت)

(وفي السنة ٨١٣ هـ = ١٤١٠ م ظهر بمصر القاهرة ثورة دينية اساسها الشيخ المحمودي والامام المستعين بالله . وفيها قتل الامير موسى چلبي اخاه سليمان الاول وهو سكران واقتسم السلطنة مع اخيه السلطان محمد)

وفي السنة ٨١٤ هـ = ١٤١١ م جمع غروز البدوي جيوشاً كثيرة واستولى على الشام وقتل اعيانها فخصر الملك الناصر بالعساكر من مصر ودخل الشام ونزل في القلعة . ثم قتل برقوقاً نائب القلعة . ووقع الاختلاف بين الملك الناصر والامراء[1] الشام فاعدموه خارج دمشق واتفق راي الامراء وبايعوا المستعين بالله بالخلافة والسلطنة فسار من دمشق الى مصر . وجلس على عرش الملك في قلعة الجبل . وفي ٨ ربيع اول ولى الشيخ المحمودي على نيابة الملك فتمرد الشيخ على المستعين بالله ولم يخلعه بل سجنه في القلعة

---

(١) هذه الحوادث ذكرها بعض المورخين سنة ٨١٥ والله اعلم

الفصل الثالث

في ملك الشيخ المحمودي الملقب بالمؤيد هو الرابع من الجراكسة

لما سجن الشيخ المحمودي المستعين بالله جلس على عرش الملك وتلقب بالملك المؤيد وهو التاسع والعشرون من الاتراك والرابع من الملوك الجراكسة (حسب الملك عز الدين برقوق الثالث مع انه ملك فقط بضعة اشهر ولذلك لم نحسبه وحسبنا المؤيد الثالث.) في الديار المصرية وكان مدبرًا فطيناً. وقيل انه كان بين ابن العيني الذي بنى قصر العيني في مصر وبين شهاب الدين ابن حجر مناقضة. وكان للملك المؤيد جامع بمصر فاوقف العيني مناظرًا على بنايته. فكتب ابن حجر رقعة الى الملك المؤيد وهي

لجامع مولانا المؤيد رونق منارته تزهو على الفخر والزيني
تقول وقد مالت عليَّ ترفقوا فليس على حسني اضر من العيني

فلما قراء الملك المؤيد تلك الرقعة ناولها الى ابن العيني. ففهم انها نظم ابن حجر فكتب هذين البيتين

منارة كعروس الحسن قد جليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا اصيبت بعين قلت ذا خطاء وانما هدمها من خيبة الحجر

فلما بلغ السلطان بغضهما الواحد الآخر اصلح فيما بينهما ثم حضر الى دمشق. (وفيها دخل علم الجبر من بلاد العرب في اوروبا)

(وفي السنة ٨١٥ ﻫ = ١٤١٢ م انشاء الامير الشيخ المحمودي جامع الضوة امام باب القلعة بالمنشأة (المنشية) وفيها اغارت العرب الهوراة على مدينة اصوان فانتصروا على اولاد الكنوز ونهبوا المدينة. كما ذكرنا في الحاشية ان قتل السلطان فرج وتنصيب الخليفة وطمع الشيخ وجلوسه على الملك ذكره كثيرون تحت هذه السنة)

وفي السنة ٨١٦ ﻫ = ١٤١٣ م خرج الملك المؤيد بالعساكر المصرية الى مقابلة نوروز (يظهر انه نائب الشام وكان احب ان يستقل بحكمها) وجرت بينهما حروب كثيرة بظاهر دمشق تغلب فيها الملك المؤيد واخذ دمشق وقبض على نوروز وقتله وقهر اعدائه وتولى السلطنة بالديار المصرية والشامية. وفيها توفي

السلطان بايزيد صاعقة وتولى بعده على تخت الروم ولده السلطان محمد وهو الخامس من آل عثمان في مدينة بورصة وكانت مدة ملكه اربع عشرة سنة وتوفي مسجوناً عند تيمور لنك (وفيها أمر الملك المؤيد شيخاً بضرب الدراهم المؤيدية)

وفي السنة ٨١٧ هـ = ١٤١٤ م بنى السلطان المؤيد في دمشق المدرسة المؤيدية والسوق المنسوب اليه . وعندما دنت الافرنج في المراكب الى سواحل البحر توجه لمقاتلتهم على نهر الدامور بين صيدا و بيروت فظفر بهم ورجع في طريقه فبات في وادي الفريديس على نهر قرية الباروك بسفح جبل لبنان ثم دخل دمشق . (وفيها راجت الدراهم البندقية والنوروزية وسر الناس بالتعامل فيها . وفيها انشاء الاستاذ شمس الدين ابو محمود محمد الحنفي جامع الحنفي بخط الحنفي بين سوقية الالة وسوق مسكة (الموسكي) . وفيها ظهر ميل في منارة الازهر فهدمت وعمل بدلها . وفيها كانت معارضة يوحنا هس اراء الكنيسة الرومانية وحكم عليه بالحرق في مجمع قسطنسية)

(وفي السنة ٨١٨ هـ = ١٤١٥ م صار خلع الامام المستعين بالله من السلطنة والخلافة ونفيه الى الاسكندرية واقامة اخيه داود خليفة مكانه ولقبوه بالامام المعتضد بالله . ووقع بمصر وباء وغلاء واستمر الى سنة ٨٢٣ هـ وفيها ابتدىء بامر المؤيد بحفر اساس جامعه وانشاء في هذه السنة المعتقد احمد بن سليمان المعروف بالزاهد جامع الزاهد بشارع سوق الزلط بجوار منزل الشيخ العروسي . وفي هذه السنة كان نزول الانكليز في اراضي نورماندیا وهزيمة الفرنساويين في ازنكور)

(وفي السنة ٨١٩ هـ = ١٤١٦ م هم السلطان المؤيد بتغيير التعامل بالفلوس وان يضرب غيرها ويرجعها الى ما كانت عليه في الايام الظاهرية . وفيها شرع الملك المؤيد ببناء جامع المؤيد عند باب زويلة . وفيها احرق جروم من مدينة براغ لمناداته باصلاح الديانة المسيحية)

(وفي السنة ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م انشاء الامير فخر الدين عبد الغني ابن الامير تاج جامع البنات وهو بين قنطرة الموسكي وقنطرة الامير حسين . وفيها ظهر شخص اسمه بدر الدين سماويه وادعى السلطنة وجمع جمعاً عظيماً لخلع السلطان محمد زاعماً انه هو الامير مصطفى ابن السلطان بايزيد وكان حقيقة يشبهه فهزمه السلطان محمد وحاصره بمدينة بالمونيكي من الروم)

وفي السنة ٨٢٢ هـ = ١٤١٩ م رجع السلطان المؤيد من دمشق الى مصر مملكته .

(ورتب عند رجوعه الدروس الشافعية والمالكية والحنبلية بجامع المؤيد وكان ذلك بحضور السلطان)

(وفي السنة ٨٢٣ هـ = ١٤٢٠ م وقف النيل عن الزيادة فارتفع سعر القمح فنادى السلطان بصوم ثلاثة ايام فلم يزد شيئاً ثم خرج السلطان والخليفة والقضاة وصلوا صلوة الاستسقاء فزاد قليلاً فاروى فقط نصف اطيان مصر فحصل الغلاء · وفيها هدم السلطان المؤيد جامع المقياس ووسع بنائه ومات قبل فراغه · وفيها اكتشف اهل البرتوغال جزائر ماديرا بواسطة تريستان فازوزاركو)

الفصل الرابع

في سلطنة الملك المظفر احمد والملك الظاهر[1] سيف الدين
والملك الصالح ناصر الدين وهم الخامس والسادس من ملوك الشراكسة بمصر

وفي السنة ٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م في ثامن شهر محرم توفي الملك المؤيد الشيخ المحمودي الخاصكي بالقاهرة وكانت مدة سلطنته ثمان سنين ونصف · وتولى بعده ولده الملك المظفر احمد وعمره يومئذ سنة وسبعة اشهر وهو الثلثون من ملوك الترك والخامس من الشراكسة بمصر · و بعد عشرة اشهر طمع وصيه وحميه سيف الدين بالمملكة فملك وتلقب بالملك الظاهر وهو السادس من ملوك الشراكسة بمصر و بعد بضعة اشهر توفي الملك الضاهر و بويع ابنه ناصر الدين ولقب بالملك الصالح محمد · وكان ابو السعادة برسباباي المتكلم عنه ووصيه لانه كان صغيرًا · وفي هذه السنة توفي السلطان محمد ابن السلطان بايزيد صاعقة سلطان الروم وتولى بعده السلطنة ولده السلطان مراد وكانت مدة ملكه تسع سنين وهو السادس من ملوك الروم في مدينة بورصة

الفصل الخامس

في ملك الملك الاشرف

وفي السنة ٨٢٥ هـ = ١٤٢١ م خلع ابو السعادة برسباباي السلطان الصالح محمد

(١) لكونه لم يبقَ في الحكم اكثر من ثلثة اشهر لم يعد من الملوك وكذا الملك الصالح ناصر الدين

عن الملك وجلس مكانه وكان وصيه . وتلقب بالملك الاشرف وهو الحادي والثلاثون من ملوك الترك والسادس من الشراكسة بالديار المصرية . وفي هذه السنة انتهى تاريخ شمس الدين محمد الزاكاني الذي سماه عمدة الظرفاء في اخبار الخلفاء . (وفيها كانت الحروب بين الامبراطور مناو بل والسلطان مراد الذي سار وحاصر القسطنطينية وتحت امرته مايتا الف شخص فقاومتهم المدينة لانها كانت منيعة واسوارها حصينة فتركها السلطان وتوجه الى اسيا لتسكين الفتنة التي اضرم نارها الاروام .)

(وفي السنة ٨٢٦ هـ = ١٤٢٢ م ابتدأ الملك الاشرف ببناء جامع الاشرفية تجاه سوق العطارين واكمله في السنة التالية . وفيها حصلت تجارب في النقش والرسم على الخشب والنحاس في فلورنسا

وفي السنة ٨٢٧ هـ = ١٤٢٣ م اكمل بناء جامع الاشرفية . وهدمت منارة جامع الازهر حيث مالت وكادت تسقط ثم اعيدت . وفيها ابتدئ بعمل الصهريج الموجود بوسط الجامع الازهر)

وفي السنة ٨٢٨ هـ = ١٤٢٤ م قدمت مراكب قبرسية الى ناحية شطوط مصر وملكوا مركبًا كبيرًا فامر السلطان الاشرف ابو السعادات بان تخرج العمارة من ميناء طرابلس وارسل ثلاثة امراء من مصر وامير من الشام وامير حلب وامير صفد مع امير طرابلس بار بعين مركبًا الى قتال ملك قبرس . فساروا اولاً الى جهة الماغوصه . ثم الى الملاحة فالتقوا باثني عشر مركبًا وعمارة كبيرة صحبة الكندس اخي سلطان قبرس وانتشب بينهما الحرب فكانت الكسرة على اهل قبرس فنهب المسلمون مدنهم واسروا منهم سبعمائة اسير واخذوا خمسين عجلة بمدافعها . ثم قصدت عساكر السلطان الاشرف حصن اللماسون فنهبوه وهدموه واسروا من به ثم رجعوا الى مصر . يذكر بارونيوس انه بهذه السنة صار حرب عظيمة بين ملك الانكليز وملك فرنسا . فملك سلطان الانكليز مملكة فرنسا . ثم استنقذها منه ملك فرنسا وجعل نيشانًا ثلاث زهرات لجنوده الغالبين (هذا كلام مجمل عن هذه الحرب وغلبة الانكليز على الفرنساويين ثم استرجاع الفرنساويين بلادهم فان ذلك يمتد الى عدة سنوات ولم يحصل في سنة واحدة كما سيأتي . وفيها انشأ الامير جانبك الداودار جامع جانبك بشارع المغربلين . وحصلت بمصر زلزلة مهولة)

وفي السنة ٨٢٩ هـ = ١٤٢٥ م خرج السلطان الاشرف في العمارة المصرية الى قبرس وتوافع الجيشان فقتل من القبرسيين نفر لاعدد لهم . وقتل القندس اخو ملك

قبرس . واحرق المصريون دار الملك ودور كثيرة واسروا ونهبوا وعاد الملك الى مصر بغنائم كثيرة فترتبت جنود مصر منقسمة الى صفين امام باب القلعة . ودخل الملك الاشرف بين الصفوف وملك قبرس مقيداً على بغلة . والنهب والاسارى تساق قدامه . فامر السلطان بوضعه في السجن . ثم بعد مدة فدى نفسه بمائتي الف دينار فامر السلطان الاشرف باطلاقه . وجعل عليه ضريبة يحملها كل سنة وخلع عليه خلعة عظيمة واعطاه فرساً بسرج ذهب . وعندما سافر خلع عليه ايضاً فسار ملك قبرس الى الاسكندرية ومن هناك الى قبرس . (وفيها استقر الامر على ابطال التعامل بالدنانير البندقية)

(وفي السنة ٨٣٠ هـ = ١٤٢٦ م انتصر الدنيماركيون على الانكليز في مونتاركيز وفيها انتزع السلطان مراد الثاني اقليم مصر من القرالات (القواد) المتسلطين عليه

وفي السنة ٨٣١ هـ = ١٤٢٧ م استعملت الدنانير الاشرفية بدلاً من الدنانير البندقية وغيرها . وفيها حاصر الانكليز اورليان

وفي السنة ٨٣٢ و ٨٣٣ هـ = ١٤٢٨ و ١٤٢٩ م حصل غلاء شديد لعدم وفاء النيل وعقبه وبالا شديد مات فيه امير المؤمنين المستعين بالله ابو الفضل العباسي . وفيها ظهرت سان جان دارك ابنة فرنساوية لمحاربة الانكليز وتخليص بعض اقاليم فرنسا . وفيها وجد في النيل اسماك ميتة طفت على وجه الماء وقد صبغت بالدم الاحمر وكان بعده الطاعون . وفيها كانت ولادة السلطان ابي الفتح محمد خان)

(وفي السنة ٨٣٤ هـ = ١٤٣٠ م حدثت زلازل عظيمة في لسبون عاصمة البرتوغال وفيها تتوج هنري السادس ملكاً على الفرنساويين وهو في باريس . وفيها حتم السلطان الاشرف على الباعة والتجار بان لايتعاملوا الا بالدراهم والدنانير الاشرفية وان الدرهم يساوي عشرين فلساً والدينار الذهب يساوي مائتي درهم نحاساً ومنع المعاملة بالفضة التركية وغيرها

وفي السنة ٨٣٥ هـ = ١٤٣١ م فتح العثمانيون يانية . وفيها كانت محاكمة سان جان دارك واعدامها حرقاً احرقها الانكليز

وفي السنة ٨٣٦ هـ = قلد الملك الاشرف نيابة الرها الى ابي النصر ينال العلائي الذي صار سلطاناً على مصر سنة ٨٥٧ هـ

وفي السنة ٨٣٦ هـ = ١٤٣٥ م صار طرد الانكليز من باريس)

(وفي السنة ٨٤٠ هـ = ١٤٣٥ م انشأ القاضي يحيي زين الدين الاستداري جامع القاضي يحيي عند قنطرة الموسكي)

وفي السنة ٨٤١ هـ = ١٤٣٧ م توفي الملك الاشرف بعلة الاستسقاء بعد ان حكم ١٧ سنة و ٨ اشهر و٦ ايام · فبويع بعده ابنه جمال الدين يوسف ولقب بالملك العزيز · ثم بعد ثلاثة اشهر من ولايته قبضوا عليه وسجنوه في قلعة الجبل (وفيها كان دخول كارلوس السابع الى باريز · وحصل فيها قحط ايضاً)

(تنبية : اننا فيما ياتي لانذكر ملوك الشراكسة بفصول كما سبق لان دولتهم ابتدأت بالانحلال وترى ان الملك يجلس على تخت الملك بضعة اشهر و يعزل او يقتل وفويت مملكة الاتراك العثمانيين ولذلك نبتدي في ذكر الملوك العثمانيين فقط ·)

وفي السنة ٨٤٢ هـ = ١٤٣٨ م في ١٩ ربيع اول عزل الملك العزيز و بويع رئيس جيشه سيف الدين جقمق ابن عبد الله ولقب بالملك الظاهر · فاضطربت المملكة من ولايته من القاهرة الى حلب وقصد العصيان الامراء الاتية اسماؤهم · قرمش نائب حلب واينال الجكمي نائب الشام · وقراقاش في القاهرة · فقبض السلطان عليهم وقتلهم ثم ارسل الى نيابة الشام جلبان فعدل في الرعية

(وفي السنة ٨٤٣ هـ = ١٤٣٩ م انهزم السلطان مراد الثاني في رودس · وفيها تسلط فريدرك الثالث على المانيا · واكتشف البروتوغاليون الراس الابيض

وفي السنة ٨٤٤ هـ = ١٤٤٠ م انشأ جوهر المنجكي جامع جوهر بشارع الحبالة تحت القلعة · وفيها كان اختراع فن الطباعة في المانيا

وفي السنة ٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م ارجع السلطان مراد الثاني اقليم السرب الى القرالات التي كانت متسلطة عليه)

وفي السنة ٨٤٦ هـ = ١٤٤٢ م (توفي الامام المعتضد واوصى بالخلافة بعده لاخيه فبايعوه ولقبوه بالمستكفي بالله · وفيها تعصبت العبيد في بر الجيزة واقاموا لهم سلطاناً ووزراء فصار القبض عليهم و بيعهم في المملكة العثمانية) · وفيها توفي الامير قاسم ابن الامير محمد الشهابي وكان اميرًا جليلاً مخالفًا لطباع ابيه وعاش في الولاية عيشة حسنة واطاعته اولاد عمه واهالي البلاد · وحين قدمت الافرنج الى الدامور قدم الى جبل لبنان بعساكره وسار مع الامير قاسم المعني لقتال الافرنج فظفر به الافرنج ظفرًا تاماً · و بعد وفاته تولى على الامارة بعده ولده الامير احمد وتزوج ابنة الامير

ملحم المعني امير جبل الشوف وكان اسمها ريحانة النفوس ٠ (وفيها تولى ابو النصر ينال نيابة صفد)

الباب السادس

في الدولة العثمانية

(انه كما يرى من سياق هذا التاريخ لم تنته بعد دولة الاتراك الشراكسة ولكن الامر مقرر كما في حال كل دولة سادت على هذه البسيطة اذ تضعف الواحدة وتقوم الاخرى وتقوى بالتدريج الى ان تستظهر على الدولة المالكة وهكذا حال الدولة العثمانية مع دولة الاتراك الشراكسة فان الدولة العثمانية ابتدأت تقريباً سنة ٧٠٠هـ = ١٣٠٠م ٠

السلطان الاول

السلطان عثمان الغازي

واول ملوكها الذي اسسها السلطان عثمان الغازي وهو ابن ارطغرل ابن سليمان شاه من التركمان الرحل الذين رحلوا سنة ٦٢٩ هـ = ١٢٣١ م من جهات بحر قزبين واتوا الى بر الاناضول الى جبال طورس وكان ملك تلك الجهات حينئذٍ السلطان علاء الدين السلجوقي ٠ فاكرم ملتقى سليمان شاه واستخدمه لانه كان يرأس قبائل كثيرة من التركمان الخاضعين لسلاطين قونية وقد ترأس على هذه القبائل كاميرها مدة طويلة ٠ ولما مات ابوه اتى مع عشائره الى مدينة سرغونة ولما مات ارطغرل خلفه ابنه عثمان وذلك سنة ٦٩٦ هـ = ١٢٩٦ م ٠ وفي غضون ذلك توفي سلطان قونية السلجوقي فثار الامير عثمان لانه كان على جانب عظيم من الشجاعة وقبض على اعنة السلطنة السلجوقية ٠ في اوائل سنة ٧٠٠ هـ = ١٣٠٠ م واستولى على جزء عظيم من مملكة بورصة ٠ وجهز جيوشاً جرارة وحارب حروباً كثيرة وفتح فتوحات عديدة لذلك لقب بالغازي و بقي سلطاناً مدة سبع وعشرين سنة

السلطان الثاني

السلطان اورخان

ولما توفي السلطان عثمان قام عوضه ابنه السلطان اورخان وهو الثاني من ملوك

آل عثمان فسلك مسلك ابيه بالحروب والفتوحات ونقل كرسي مملكته الى بورصة وغير ترتيب الجند وهو الذي انشأ وجاق الانكشارية الذين قيل انهم اصلاً من اولاد اسرى النصارى الذين اسرهم السلطان عثمان وابنه السلطان اورخان وسير جيشه معه وغزا بلاد اليونان وافتتحها وكان يعامل اهلها بالمحبة واللطف فتمكن حب الشعب له ٠ وكانت دولة الروم آخذة في الانحطاط وصارت الى التاخر ٠ وكان الانقسام والاضطراب فيها واشتبكت بينهم الحروب الاهلية ٠ والتجأ حزب منهم الى العثمانيين فامدهم السلطان ونصرهم ففاز العثمانيون بفتوحات عديدة ٠ وارسل ابنه الامير سليمان فاجتاز بوغاز جنق قلعة وفتح مدينة غاليبولي وتوفي السلطان اورخان سنة ٧٦٢ هـ = ١٣٦٠ م

السلطان الثالث

السلطان مراد الاول

وخلف السلطان اورخان ابنه السلطان مراد الاول وكان شجاعاً وبطلاً مقداماً وافعاله تشهد له فانه فتح ادرنه وقليمي السرب والبلغار سنة ٧٦٧ هـ = ١٣٦٥ م واخضع جميع الامراء الذين كانوا لايزالون مستقلين في بر الاناضول واستولى على قرمان ومدينة كوتاهية بتزويج ابنه بابنة اميرها ٠ ثم فتح اكثر مكدونيا و بلاد الارناؤوط وانتصر على الثائرين من اهل السرب والفلاخ والبغدان ودالماتيا والمجر والبلغار ولكنه اخيراً قتل غدراً بيد جندي بلغاري كان مستتراً بين القتلى في اخر موقعة وكانت مدة ملكه ٢٨ سنة

السلطان الرابع

السلطان بايزيد

وخلف السلطان مراد ابنه السلطان بايزيد وكان كاسلافه على غاية مايكون من النشاط والشجاعة والاقدام فافتتح كل ما كان لايزال مستقلاً من الممالك الصغيرة في الاناضول ٠ ثم اخذ الروملي ومكدونية والبلغار وقصد فتح القسطنطينية وسار اليها بجيش عظيم واخذ سالونيكية وغار على الافرنج في بلاد المجر وانتصر عليهم بموقعة سنة ٧٩٩ هـ = ١٣٩٦ م ٠ وحاصر القسطنطينية وامبراطورها مانوئيل باليولوغس ثم عقد معه صلحاً على عشر سنين بشرط ان يدفع الروم للسلطان ثلاثين الف ريال سنوياً وان

يجعل في القسطنطينية قاضياً للاسلام و بنى لهم فيها مسجداً · ثم بعد السحابه عنها رجع بعد مدة وحاصرها وضايقها حتى كاد يفتحها · ولكن قدوم تيمور لنك ملك التتر كما سبق الجأه الى ترك حصارها والرجوع الى بلاده ومحاربته تيمورلنك فانكسرت جنوده واخذ اسيراً ومات في الاسر وكان قد قسم المملكة بين ولديه تجنباً للخلاف ولكنهما عادا واختلفا وتحاربا وكانت مدة سلطنة السلطان بايزيد ١٣ سنة

السلطان الخامس

السلطان محمد الاول

وانفرد بالملك السلطان محمد الاول وكان شجاعاً محبوباً ذا سياسة فارجع لامبراطور الروم الولايات التي كان ابوه قد ضمها الى مملكته وهو اول من شرع بتعليم العساكر البحرية في الدولة العثمانية وفتح ازمير ونقل تخت السلطنة الى ادرنة واعاد للسلطنة الرونق الذي كادت تخسره بحرب تيمورلنك وكانت مدة ملكه ٨ سنوات

السلطان السادس

السلطان مراد الثاني

ولما توفي السلطان محمد تولى على السلطنة ابنه السلطان مراد الثاني وكان مغرماً بالفتوحات وذا حزم وعزم فجهز جيشاً عظيماً وسار الى القسطنطينية وحاصرها · ثم تركها ورجع لاخماد فتنة اضرمها الروم في الداخلية ثم اذن لخليفة ملك الروم ان يستولي على ملكه بدفع جزية معلومة · واستولى السلطان مراد على كل القلاع والحصون التي كانت لم تزل تحت تصرف الروم في سواحل البحر الاسود وشطوط الروملي و بلاد مكدونيا وتساليا · واستخلص كل المدن التي وراء برزخ كورنثس حتى تبطن المورة · وكان البابا اوجينوس عقد محالفة بين عدة من ملوك الافرنج ليأتوا معاً ويساعدوا ملك الروم على محاربة الاتراك وتخليصه منهم ووعده الملك يوحنا ابن مناويل عوضاً عن ذلك ان يساعده لاقناع بطريرك القسطنطينية وجميع بطاركة الشرق بالخضوع للبابا كما سيأتي)

الفصل الاول

في سلطنة السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح وهو السابع من آل عثمان

(قد جرت عادة المؤرخين ان يحسبوا السلطان سليم السلطان الاول على المملكة الاسلامية لانه هو الذي فتح مصر و بر الشام والعراق وجميع الممالك الاسلامية. ولكن كون الامير حيدر ذكر كثيرًا من اعمال السلطان محمد الثاني وحروبه لذلك جعلنا الكلام على تاريخه الفصل الاول من هذا الباب)

وفي السنة ٨٤٧ هـ = ١٤٤٣ م) تعب السلطان مراد الثاني من اعباء السلطنة فتنازل عنها لولده محمد الثاني . وانقطع للعبادة في تكية مانيسا وانتظم في سلك الدراويش . ولما سمعت الافرنج بذلك فسخوا الهدنة بتحريض ملك القرمان وجهزوا جيوشا لمحاربة الدولة العلية . فاجبر السلطان مراد على الخروج من التكية والعود الى السلطنة حيث رآها عرضة للاخطار)

(وفي السنة ٨٤٨ هـ = ١٤٤٤ م قصد السلطان مراد الاعداء بجيش يبلغ ستين الفًا وكان امامه رمح موضوع في اعلاه ورقة الهدنة . وفي ٢٨ رجب التقى السلطان مراد بعساكر المجر وانتصر عليهم في وارنه وقتل في المعركة لارسلاس ملكهم . فتولى بعده دوسنترونيا وكان قاصرًا فتولى هونيادس قيادة الجيوش البحرية والنيابة عنه في المملكة مدة اثنتي عشرة سنة. ولما انتصر السلطان مراد تنازل عن السلطنة لابنه السلطان محمد الثاني وعاد الى التكية وتزيا بزي اهلها. فلم ترض به الانكشارية واجبروه على العود ثانية وتسيير جنوده نحو بلاد الارناؤوط . وفيها انشأ الامير ارغون الاسماعيلي جامع ارغون بشارع الناصرية تجاه درب القرودي بالقاهرة .)

وفي السنة ٨٤٩ هـ = ١٤٤٥ م توفي الامير عز الدين صدقة ابن شرف الدين عيسى التنوخي في مدينة بيروت . وكان عاقلاً شجاعًا وحكم من حدود صفد الى حدود طرابلس بامر النواب من صيدا و بيروت . وكان بينه و بين الامراء بيت الحمراء الذين نزلوا من البقاع وسكنوا راس بيروت عداوة وحسد ففرحوا بموته وطالت يدهم في الحكم . (وفيها حصل طاعون عظيم بمصر مات به كثيرون وجاء بعده غلاء شديد بيع فيه الاردب من القمح بخمسة اشرفيات الى سبعة وغلا سعر كل شيء في سائر البلاد المصرية)

(وفي السنة ٨٥٠ هـ = ١٤٤٦ م كان ظهور صناعة الطباعة في جرمانيا . وفيها غرق مائة الف نفس من هولاندا بسبب طغيان البحر . وفي السنة ٨٥١ هـ ولد السلطان بيازيد الثاني ابن السلطان ابي الفتح محمد خان . وفي السنة ٨٥٢ هـ اكتشف كانتزولوفيلو البرتغالي جزائر ازورس . وفي السنة ٨٥٣ هـ اكتشف انطون نولي الجنوبري جزائر الراس الاخضر)

(وفي السنة ٨٥٤ هـ = ١٤٥٠ م توفي الامام المستكفي بالله فبويع اخوه ولقب بالقائم بامر الله . وفي هذه السنة نقص النيل عن وفائه فحدث بسببه غلاء شديد . وفيها انشأ الملك الظاهر جقمق جامع لاشين السيفي بشارع مراسية قرب الحوض المرصود . وفيها دخلت النورمانديون تحت طاعة الفرنساويين)

(وفي السنة ٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م توفي السلطان مراد خان الثاني وعمره ٤٩ سنة ومدة حكمه ثلاثون سنة ونصف وتولى بعده ولده السلطان ابو الفتح محمد خان)

وفي السنة ٨٥٦ هـ و٨٥٧ هـ [1] و ٨٥٨ هـ — و١٤٥٢ و ١٤٥٣ و ١٤٥٤ م توفي الملك الظاهر جقمق . في مصر وتولى بعده ولده الملك المنصور فخر الدين عثمان . ثم بعد شهر خلعوه و بويع بعده مملوك اسمه ابو النصر اينال . ولقبوه بالملك الاشرف فطمع به المماليك وصاروا يظلمون الناس ويأخذون اموالهم قهراً . (وفيها كان تسليم بوردو للانكليز . وفيها كان انتهاء حرب المائة سنة . وفيها اخرج الانكليز من فرنسا ولم يبق لهم غير كاليه .)

ذكر في تواريخ الروم انه بهذه السنة بعد وفاة مانويل ملك الروم تملك مكانه ولده يوحنا البالاولوغس وكان السلطان مراد العثماني ملك الترك حافظاً العهد مع الروم الا انه لما اراد السلطان مراد المسير بالعساكر الى تسالونيكية طلب اليه الملك يوحنا ان لايفعل ذلك . فاجابه ايها الصاحب لو كانت هذه المدينة مرتبطة بك لما كنت انقض المحبة . ولكن هي بيد البنادقة الذين تملكوا بلادك . ثم سار اليها السلطان مراد وملكها وقتل واسر كثيرا منها . ثم تملك سائر ما يليها من البلدان

---

(١) ذكر الامير حيدر كل ماتحت هذه السنين تحت سنة ٨٥٨هـ وغب مراجعتها وجدت تحت السنين المذكورة فاقتضى وضعها هكذا

نبذة

في مجمع فارّارا وفيورندا المقصود به اتحاد الكنيستين

ولما رأى الملك يوحنا هذه الامور خاف كثيرًا على مملكة الروم وعزم ان يذهب الى بلاد ايطاليا ليعمل اتفاقًا بين الروم والافرنج بحيث تصير الكنيسة الشرقية او كنيسة الروم والكنيسة الغربية اي كنيسة رومية كنيسة واحدة · وكتب الى البابا بذلك فقبل البابا ذلك ووعده جزاء لذلك بان ينجده بالقوات والعساكر لتخليص المملكة من خطر المهاجمين عليها اي الاتراك وارسل له مراكب ونفقة للطريق · ولما رجع الجواب استدعى الملك روساء الكهنة والعلماء والفلاسفة والبطاركة الذين بدمشق واورشليم وانطاكية · ولما اجتمعوا في القسطنطينية سافر الملك والبطريرك يواصف و باقي رؤساء الكهنة والعلماء والفلاسفة ماينوف عن الثلثمائة بحرًا الى البندقية وكان ذلك في اوان الشتاء ووصلوها في تاسع شباط (فابراير) · فخرجت اهاليها الى لقائهم واستقبلوهم بكل اكرام · وتقدم الديوك وحاشيته الى الملك مكشوفي الرؤوس وسجدوا له · وادخلوه الى المدينة · وقد زُينت البلد · وقدموا افضل ما عندهم من عجائب الدنيا ومحاسنها اكرامًا لهم وجلس الملك على الكرسي والى جانبه اخوه والديوك عن اليسار · ثم التمسوا من الملك بان يجعل المجمع عندهم فلم يرض الملك لانه كان سائرًا لمقابلة البابا · واقام في البندقية عشرين يومًا بكل محبة واكرام · وخرج الملك مع حاشيته من البندقية في اخر شباط ومضى الى كاستولي حيث تخرج الركاب هناك من المراكب الصاعدة من البندقية لتذهب برًّا الى مدينة فارّارا · وكان البابا قد خرج لاستقباله مع سائر حاشيته بالموسيقى ولاقى الملك المطارنة والاراخنة مع حاكم فارارا الى خارج المدينة · ودخل بمجد لا يوصف · وعندما اقتربوا من البلاط قام البابا عن كرسيه · ولما نزل الملك عن فرسه استقبله البابا بكل تعظيم · واراد الملك ان يسجد للبابا فلم يمكنه بل اعطاه يده فقبلها · ثم جلس البابا وجلس الملك وجلس الكرديناليون عند اقدامهما وكلم البابا الملك بكل محبة واكرام · ثم بعد ذلك خرج الملك الى البلاط المعد له · وكانوا يخدمونه كما يليق به · واما البطريرك الاكليروس الذين معه فلم يمكنهم السفر برًّا لوجع رجلي البطريرك فحضروا في

المراكب · وعند وصولهم الى مدينة فارارا استقبلتهم مراكب البابا · وعند خروج البطرير يرك ومن معه الى البر ارسل البابا حاكم المدينة والمطارنة والاساقفة والرؤساء ومعهم الخيل واستقبلوا البطرير يرك بكل عظمة واحترام · ولما وصلوا الى بلاط البابا قام البابا عن كرسيه وعانق احدهما الآخر · ثم تقدم الذين مع البطرير يرك وسجدوا للبابا وجلس البابا على كرسيه والبطرير يرك عن يمينه · و بعد ذلك خرج البطرير يرك وجماعته الى البلاط المعد لهم · واقام الملك والبطرير يرك بكل اكرام ثلثة ايام : ثم طلب الملك من البابا ان يجمع مجمعاً يكون فيه نواب من سائر العالم المسيحي و يحضر فيه سائر الاساقفة والروساء و الامراء والدوكات · فالتمس البابا من الملك مهلة اربعة ايام ليرسل الى كل مكان وان كل من يتعذر عن الحضور يرسل وكيلاً من قبله · ومن لم يحضر ولا يرسل وكيلاً فليكن مفروزاً · وعند ابتداء المجمع وقع الجدال فيما بينهم فى ترتيب الكراسي التي للملك وللبابا واستحضروا كتب المجامع السابقة · فراوا فيها ان البابا وجماعته كانوا يجلسون في الجانب الايمن · والملك والبطرير يرك الى الجانب الايسر · فوضعوا الكراسي بحسب هذا الاتفاق وضعوا اولاً كرسي البابا والى جانبه كرسي قيصر ملك المانيا · ولم يكن الملك حاضراً بل كرسيه فقط ودونه كراسي الكردينالية ودونهم كراسي المطارنة · ثم الاساقفة · ثم الروساء على رتبهم وعوائدهم · وكان عددهم ماية وخمسين · واما الامراء والاكابر فكانوا كثيرين · ثم ادخلوا الى الجانب الثاني اولاً كرسي الملك يوحنا ملك الروم والى جانبه كرسي البطرير يرك · ثم وكلاء البطاركة الثلثة ثم المطارنة وغيرهم من الروم · وعلى هذا الرسم اتفقوا ان يكون الجلوس · وفي يوم الاربعاء اجتمعوا وجلسوا في مراتبهم ووضعوا في الوسط كرسياً موشحاً بالذهب وعليه صورة السيد المسيح الذي هو رأس الكنيسة وعلى جانب الكرسي الانجيل الطاهر · واوقدوا الشموع والقناديل وزينوا الكنيسة بافخر الزينة والملابس · وكان الجميع لابسين الحلل الكهنوتية الموشحة بالذهب · ثم بعد ماجلسوا جميعاً نهض البابا قائماً ونادى قائلاً تبارك الله الهنا الى الابد · اعلموا جميعكم باننا في هذا اليوم قد اتفقنا منذرين في المجمع الطاهر المسكوني المزمع ان يصير بحضور روساء كنيسة المشرق والملك الحسن العبادة كير يوحنا البالاوغس والبطرير يرك يواصف مع وكلاء الثلاثة بطاركة المحترمين · ومن يتبعهم من روساء الكهنة المكرمين وهذا المجمع ينعقد هذه المدينة فارارا في كنيسة القديس مار جرجس اللابس الظفر · واعلموا ان في مدة هذه الاربعة اشهر لايجوز ان يتخلف احد عن الحضور من روساء الكهنة والعلماء والملوك والدوكات

ومن لا يحضر الى هذا المجمع من غير علة مرض ولا يرسل وكيلاً نائباً عنه فليكن مفروزاً
من بيعة الله . ثم امر ان تكتب المناشير الى الروم والافرنج في ذلك . وامر البطريرك
يواصف الدورتاوس مطران ميليتي ان يقرأه في الرومي على اهل المشرق . والبابا اعطاه
لرئيس الاساقفة ليقرأه بالافرنجي . وهذه صورة المناشير المرسلة للمشرق والمغرب . افجانيوس
عبد عبيد الله البابا المدون اسمه نخبركم باننا وقفنا بقوة الاله العظيم القادر على كل شيء
الذي يجب علينا ان نشكره دائماً لانه برأفته لاينسى كنيسته بل يوثر نجاحها .
والان نترحب بمن اتوا الى هذه المدينة في هذا الشتاء محتملين الامواج والتجارب المخيفة اعني ولدنا
الروحاني كير يوحنا البلاولغس ملك مدينة القسطنطينية مع اخينا الحسن العبادة بطريرك
يواصف ونظرائه الوكلاء عن الثلاثة بطاركة وما يتبعهم من روساء الكهنة وطغمات
الاكليروس . وقد وافوا بارشاد الله لهداية الكنائس واتحادها لكي يصير اتفاقاً فيما
بيننا . وكان وصولهم في ثامن شهر اذار (مارس) الى مدينة فار ّارا . وقد عزمنا على الاجتماع
بجمع وكتبنا الى سائر العالم المسيحي ان يجتمعوا الان . وهكذا صار الاتفاق والاتحاد خلواً من
الخبث والسجس بل بغاية المحبة . وقد اعلنا لهم من الان الى اربعة اشهر ان كل من لا يحضر
فليكن مفروزاً من الكنيستين الشرقية والغربية . حرر في اليوم التاسع من شهر اذار .
ثم انهم قرأُوا ذلك المنشور في الرومي والافرنجي . ونهض احد الافرنج وقال هل ارتضيتم
جميعكم بذلك . فاجابوا نعم بصوت واحد لقد ارتضينا ونكتب خطوطنا . ثم كتب
الفريقان امضاءتهم بخطوطهم . ووجه البابا السعاة الى كل البلدان . واقام الملك
والبطريرك في البلاط المعدّ لهما . وفي تلك المدة كان ياتي كثير من الافرنج الى الملك كل وقت
و يتحادثون معه كي لا يمضي الزمان بدون فائدة وكانوا يستفحصون عن الاعتقادات وجرى
مسائل كثيرة فيما بينهم . وقد انتخبوا رجالاً علماء من الفريقين من كل فريق ستة
اشخاص كي يتباحثوا في عقيدة المطهر والانبثاق . وما الفرق فيما بين الفطير والخمير في
العشاء السري . وكان اولئك الاشخاص يمضون يومياً الى الكنيسة ويجتمعون فيها . فقال
مرقس مطران افسس هلم نحن الروم لنكتب اعتقادنا ونعمله مسائل ونجاوب عن كل مسألة
بمفردها . ففرح الافرنج بذلك . فقال الروم عن نار المطهر بانها لا تطهر نفوس الخطاة
لان انفس الخطاة التائبين الذين ماتوا وعليهم هفوات نسوها بغير اعتراف تذهب
الى مكان مظلم حتى الهنا الرحيم لاجل التضرعات والصلوات عنهم ينقذهم
من ذلك المكان المظلم و يرسلهم الى الفردوس . ثم عن الانبثاق والفطير صار بينهما

مجادلات كثيرة . وفي السادس عشر من شهر تموز (يوليو) ذهب الملك والروساء والجميع
الى بلاط البطريرك لانه كان مريضاً من وجع رجليه فتخاطبوا ذلك اليوم جميعه
نعرف الملك عزم روساء الروم فرسم ان في الغد يجتمع الافرنج معهم . وفي الغد
اجتمعوا وكانوا ينتظرون رجوع السعاة . وصرفوا ذلك اليوم في المحادثة . ولما عبرت
الاربعة اشهر ولم يحضر احد حزن الروم والملك لذلك . ولما رأى البابا انه لم يات احد
من ملوك الروم والدوكات والاكابر قال يااخوتي لا تحزنوا لاننا نحن هاهنا انا والملك
والبطريرك ووكلاء البطاركة الثلاثة وروساء الكهنة وجماعة من الروم . فنحن نكمل المجمع
وكان ذلك في شهر تشرين اول (اكتوبر) . ثم في الغد جلسوا على كراسي مراتبهم
وجلس الاشخاص المنتخبون للفحص من الفريقين في الهيكل مقابل بعضها البعض ووضعوا في الوسط
الانجيل الطاهر والى جانبه صورة هامتي الرسولين بطرس و بولس . وكان امامها شمعاً كثيراً
موقداً . ثم استاذن الملك البابا والبطريرك مادحاً اياهما بالفاظ حسنة فتعجب الجميع من
عذوبة الفاظه وسمو حكمته وعلمه . وابتدأ مرقس مطران افسس يتكلم قائلاً . اذ كنا
بنعمة الله القادر على كل شيء اجتمعنا فيجب ان نحرص بشوق ومحبة على هذا الامر
لكي تتحد الكنيستان وتصيرا كنيسة واحدة . و بما اننا موثرون ان نتكلم لاجل المطالب
التي طلبتموها منا انتم يااخوتنا الافرنج فنحتاج الى المحبة الخالصة النقية . واذا اتفق في
مجال المجادلة لفظ ثقيل فلا يكون ذلك سبب علة وسجس وشك بل يقبل ذلك كله
بمحبة ووداعة . اجابه اندراوس من قبل الافرنج ولذلك نحن نطلب منكم هذه
المحبة ايضاً . ونحسب ان ما يصدر من الكلام الثقيل في ايراد الحجج والمناضلات بمنزلة لاشي
اعتباري وجميع ماتسالوننا عنه نجيبكم في شانه جواباً كاملاً . فاجابه مرقس مطران
افسس اننا نودان ان نتشاور بعضنا مع بعض ثم نجاوب عن تلك المسائل وعلى هذه الصورة
تمت جلسة ذلك النهار . وفي ثاني يوم اجتمعوا وقرأوا قانون الايمان : نؤمن باله
واحد الذي وضعه الاباء في المجمع الاول ودامت المحاورة ذلك اليوم في موضوع الانبثاق .
وفي ثالث الايام اجتمعوا ايضاً فطلب مطران افسس من البابا واهل المجمع ان يقرأوا
كتب المجامع . فاحضر كتاب المجمع الاول والثاني وقرأوا حد قانون الايمان . فصار
محاورة بين الروم والافرنج من جهة الانبثاق . وان الافرنج اوردوا لهم رسالة كيرلس
الاسكندري التي ارسلها الى يوحنا بطريرك انطاكية قبل المجمع الثالث . وكان
مكتوباً فيها ان نحفظ الامانة التي وضعها الاباء غير متقلقلة . فاجاب مطران افسس

وكان عنيدًا في رايه فصيحًا في كلامه لايرجع عما يقوله . اسمعتم ماقال اننا نحفظ الامانة غير متقلقلة ولا نحرف عن حرف منها . ثم قال اريد ان تقرأوا كتاب المجمع الرابع الذي كان في ايام الملك ركيانوس الذي التأم في مدينة خليكيدونية . وفيه ثبت المجامع الاول والثاني والثالث . وان نحفظ الامانة غير متزعزعة ولا منثلمة وهذه الامانة هي عينها اي نؤمن باله واحد ثابتة غير متزعزعة . وكذلك في المجمع الخامس والسادس يقول اصل الامانة الثانية هي تقليدات الاباء و يجب ان نحفظها حرفًا بحرف غير منثلمة . وكذلك باقي الاباء في المجامع كلها اثبتوا واكدوا الامانة . ولعنوا كل من يحرف عنها . وهي نؤمن باله واحد بكمالها . والمجمع السادس الملتئم في مدينة القسطنطينية في ايام الملك قسطنطين اللحياني يوكد ماقلناه وقرأناه عن الامانة في المجامع التي قبله . كذلك اغاثون بابا رومية كتب الى ملك الروم في المجمع السادس يؤكد عليه ان يحفظ حد الامانة المستقيمة غير متزعزعة اي نؤمن باله واحد الخ . وكذلك اصحاب المجمع السابع المجتمع في مدينة نيقية في ايام قسطنطين وامه ايريني قالوا اننا لانخرج ولا نحيد عما وضعه الاباء في المجامع الستة بل نتمسك به ثابتين وغير متقلقلين الى ابد الدهور . فلما سمع الروم كلام مرقس مطران افسس الذي اورده صرخوا جميعهم نعم واحد . هذه هي امانتنا و بهذا نؤمن ونعترف كلنا ونمضي اسماؤنا بخطوطنا . ونعبد ما عبده الاباء ونبارك كما باركوه ونلعن كلما لعنوه . فعند ذلك احضر الافرنج كتابًا قديمًا جدًا مكتوب فيه امانة المجمع السابع وموجود فيه بان الروح منبثق من الاب والابن وصار على هذا الامر محاورات طويلة فيما بينهم وكان مرقس مطران افسس لايرجع عن كلمته ولا يقدم في الكتب والبراهين . وعند المساء انصرفوا . ثم اجتمعوا نهار الاثنين في ٢٠ تشرين اول (اوكتوبر) فقال الروم اسمعوا ايها الاباء المكرمون اباؤنا اصحاب المجامع المسكونية امرونا ان نحفظ ماقد حتموا به من جهة قانون الايمان ولا يمكن ان نقبل قولاً غريبًا . اجابهم الافرنج ايمكن ان الكتاب المتضمن اعمال المجمع السابع توضع فيه الزيادة غشًا . ثم ابتدأ الفريقان يتجادلان على هذا الموضوع حتى المساء . واوردوا قول غريغوريوس الثاولوغس ورسالته الى كيرللس في تفسير انجيل يوحنا حيث يقول سالت الاب بان يرسل لكم معزيًا آخر وابتداؤا يقدمون ايرادات الاباء الى المساء . ثم في ٢٥ منه اجتمعوا وتكلموا عن الانبثاق حتى المساء . ثم اجتمعوا في اول تشرين الثاني (نوفمبر) وفي الثالث منه والثامن والثالث عشر وما اقتنع الروم .

ثم انه في تلك الايام اتى وكلاء الدوكات وسجدوا للبابا وحده وجلسوا بدون ان يسجدوا للملك ولا اتوا اليه ورفعوا الرسائل التي معهم فقرأوها وكانت مكتوبة بالافرنجية ولم يفهمها الملك ولا جماعة الروم فغضب الملك وقال لا يصير من الان وصاعداً اجتماع . وفي الغد ارسل اليه البابا يسأله ان يكلم المجمع بمجيئه وان وكلاء الدوكات لم يعرفوه واتى الوكلاء وسجدوا له معتذرين بانهم لم يعرفوه فارتضي الملك لاجل خاطر البابا وتوجه الى المجمع . وفي اليوم الرابع من كانون الاول (دسمبر) اتى الملك واجتمعوا حتى المساء ولم يصر فائدة ولا اتفاق . وفي اليوم الثامن كذلك اجتمعوا حتى المساء من غير فائدة . فاتى الروم الى الملك وقالوا له الى متى هذه المحاورات ولم يحدث فائدة فيجب ان نرجع الى القسطنطينية . وكان الملك طويل الاناة والروح . فقال نحن تركنا اوطاننا واتينا الى هاهنا بتعب شديد طالبين المحبة والاتحاد أفنرجع من غير فائدة . واذا قصدنا الرجوع على هذه الحالة فلا نجد لنا مراكب كبيرة لنسافر بها ولا نفقة للطريق . ثم بعد ذلك تكلم البابا مع الملك في الذهاب من مدينة فارّارا الى مدينة فيورندا لانه كان ابتداء الطاعون . ولما عزموا على المسير امر البابا والملك ان ينادوا بان المجمع انتقل الى فيورندا . وفي اليوم الحادي عشر من كانون الثاني (يناير) اعطى البابا النفقات جميعها التي صرفت على المجمع وعلى جميع اعضائه . واعطى الملك عشرة الاف ذهب ليستعين بها وخرجوا في اليوم السادس عشر من فارّارا وركب البابا ومشى قدامه اثنا عشر فارساً على خيول بيضاء وعدد مذهبة والكردنالية راكبين امامه والى جانبه الملك على حصان في عدة الذهب والجوهر التي اهداها له البابا . ولما وصلوا الى مدينة فيورندا خرج حاكم البلد والشعب في الشموع والات الطرب ودخل الملك والبابا وباقي الروم بفرح لا يوصف . وبعد يومين دخل البطريرك في مركبة لانه كان مريضاً ولا يقدر على الركوب فخرج روساء الكهنة لملاقاته . ثم رتبوا الكراسي كالعادة وجلسوا للبحث والمجادلة وتكلموا كثيراً واوردوا شهادات عديدة مدة شهر كامل وكان ذلك في الصوم . ودامت بينهم المحاورات الى العنصرة . وبعد ذلك جمع الملك الروم وقال لهم لاي سبب تغربتم وحضرتم اليس بقصد الاتحاد والاتفاق ولنا الان خمسة (١) عشر شهراً ولم نحصل على فائدة اجاب مطران الروس ومطران

(١) من مقابلة هذه الكلمة مع ماسيذكره البطريرك عند نهاية المجمع بحروفه تبين ان هذا المجمع ابتداء سنة ١٤٤٧م = ٨٤١ ه وانتهى سنة ١٣٩٠م . ومع ان الامير حيدر ذكره تحت سنة ٨٥٨ ولكن ذلك كعادته حيث ذكر الحالفة التي بسببها وعد البابا بمساعدته لحرب الاتراك ذكر ذلك كله هنا

نيقية وكانا من اكبر معلمي الروم · ايها الملك اننا نروم الاتحاد وقد علمنا من اقوال الاباء ماذكره الافرنج · ونحن نعترف ان الروح القدس منبثق من الاب والابن · وحين سمع الروم ذلك هتفوا جميعاً قد صدقنا ونعترف بذلك · فقال الملك اذا كنتم رضيتم جميعكم فاذهبوا الى البطريرك واعترفوا امامه بحقيقة اتحادكم ورضاكم · وفي الغد ذهب الملك الى البطريرك لانه كان مريضاً · واجتمع الروم واقروا جميعهم بانهم قد رضوا وصدقوا وصادقوا على قانون الايمان · وتقدم كل منهم وقرأ صورة ايمانه ورضي باتحاده ماعدا مرقس مطران افسس ومعه ثلاثة اخرون · وهم انطونيوس مطران هيراكلية ودوسيتاوس مطران مونوفاسية وصفرنديوس مطران ايشالوا هولاء الاربعة لم يرضوا بمشاركة الافرنج ولا الاتحاد معهم · وباقي روساء الكهنة اكثرهم رضوا من كل قلوبهم · والبعض رضوا لاجل خاطر الملك والبطريرك · ولما نظر الملك ان الروم قد رضوا بذلك الاتحاد فرح جداً وانتخب مطران الروس ان يسير الى البابا ويعلمه برضى الروم فسار الى البابا واعلمه بذلك ففرح وشكر الله · وفي الغد ارسل البابا الى الملك ثلاثة كردنالية وامرهم ان مهما عملوه من المعونة للملك والروم يكون ذلك ثابتاً · فقال لهم الملك ماهو الذي يجعله لنا البابا عونة لنعرفه · فقال الكردنالية حسب مارسم البابا الكلي قدسه ان يعطيكم جانباً من النفقة والمراكب توصلكم الى القسطنطينية مامونين ونفقتكم جميعاً من عنده ويقدم لكم مركبين كبيرين في البحر بكل لوازمها والمهمات الحربية واذا احتاج الملك الى مراكب او الى عساكر لمحاربة اعدائه يرسل له البابا كل مايطلبه · ففرح الملك بذلك وقال لهم نريد ان يكون ذلك بكتابة · فرجع الكردنالية الى البابا وسار الملك الى عند البطريرك وجمع الروم واعلمهم بذلك · فقال البطريرك انا قد رضيت في مشاركة الافرنج واوثر ان جميع روؤساء كهنة الروم يتفقون معي · فلما سمعت الروساء ماقاله البطريرك اتفقوا جميعهم ماخلا الاربعة اشخاص الذين ذكرناهم قبلاً وهم مرقس مطران افسس وثلاثة غيره · ووافق الملك على قول البطريرك واتفق مع روؤساء الكهنة على الاتحاد مع الافرنج وكتبوا امضاءتهم في الاتفاقية · ثم كتبوا ثلاث نسخ من هذه الاتفاقية واحدة سلمت للبابا وواحدة اخذها الملك والثالثة اخذها البطريرك · وامضاها وختمها الجميع ماعدا الاربعة الاشخاص المذكورين سابقاً · وفيها معلن صورة ايمانهم صريحاً · وفي الغد اتى البابا لزيارة البطريرك وحضر الملك وروؤساء الروم والافرنج وصار مجمع وقرأوا الاتفاقيات وارتضى الجميع بها وقبلوا بعضهم بعضاً وصار فرح عظيم عند الجميع وانصرف كل منهم

الى مكانه . وعند المساء اتى خبر للملك بغتة ان البطريرك توفي فحزن الملك كثيراً . وذهب الى المكان الذي كان فيه البطريرك وسأل عن سبب ميتته فاخبره الخدام انه عند المساء طلب قرطاس ورق وكتب و يده مرتجفة من المرض . و بعد ما أكمل كتابة القرطاس وضعه تحت راسه . ثم اتكى على وسادته وما لبث الا قليلاً حتى فاضت روحه . ووجدوا القرطاس مكتوباً فيه هكذا . ايواصف برحمة الله تعالى وسائر اساقفة القسطنطينية و بطاركة المسكونة . بانه لما انتهت اخر حياتي اردت ان اوضح عزمي ومافي ضميري باني اومن معترفاً بكلما تعتقد فيه الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية التي برومية القديمة . اعتقد انا واتحد بها واعترف بان الكلي الغبطة المتقدم في الاباء البابا في رومية هو وكيل سيدنا يسوع المسيح وخليفة ماري بطرس من بعده وانه المتقدم في الكراسي الرسولية . وقد حققت وكتبت عقيدة ايماني في اليوم السابع من حزيران (يونيو) سنة ١٤٣٩ الذي هو اخر حياتي . وان الجميع على موجب هذا الاعتراف والرضا رضوا . فرضي روساء كهنة الروم وتبعوا اعتقادات الافرنج . ثم اجتمعوا لدفن البطريرك . وجنزه الروم والافرنج باحتفال عظيم . ودفنوه في الكنيسة . و بعد ذلك طلب الملك من البابا ان ياذن له بالسفر . فقال له لنرسل اولاً الى البندقية لكي يعدوا لكم مراكب . وكان قد تشتت رأي البعض من الروم . واما مرقس الافسسي فسافر بعد موت البطريرك في مركب الى القسطنطينية . وحال وصوله جعل يدور ويخبر ان ذلك المجمع باطل . وان البطريرك توفي . وان الملك و بعض الرؤساء انخدعوا واتفقوا مع الافرنج . وفي اليوم التاسع والعشرين من حزيران (يونيو) الذي هو عيد الرسولين عمل البابا قداساً عظيماً ودخل معه رؤساء الروم جميعهم مع باقي الافرنج . وحضر الملك وباقي الاراكنة والحكام وسائر الشعب وصار احتفال عظيم . وبعد القداس امر البابا والملك بان يقرأوا الاتفاقية بالرومية والافرنجية وهي مكتوبة بهما على لوحي ذهب وممضية ومختومة من الملك والبطريرك ورؤساء كهنة الروم مع باقي الكردنالية . و بعد قراءتها أخذها الملك والبابا فتقدم وكلاء البطاركة وطلبوا ثلاث نسخ ليأخذوها معهم الى بطريرك الاسكندرية والى بطريرك انطاكية والى بطريرك اورشليم . فحرروها وختموها بختم البابا والملك طبق الصورة الاصلية حرفياً . وفي السادس من تموز (يوليو) ارسل البابا ودعا رؤساء كهنة الروم فمضى اليه البعض وتكلموا معه قائلين اننا الآن

بنعمة الله قد اتحدنا في الايمان . اذ توفي اخونا المطوب ابواصف بطاريرك القسطنطينية . فأريد ان تنتخبوا منكم واحداً ذا رأي مستقيم وديانة وذا عمل وعلم لاقيمه عليكم بطريركا . لان من الواجب واللائق باتحاد الملك وجميع روؤساء كهنة الروم ان لاتمضوا بدون بطريرك . اجابوه ان هذا الامر يلزم له مجمع بين الروم والملك و بعده نرد على غبطتكم الجواب . ثم مضى اولئك الروساء واعلموا الملك والروم . فقال الملك ارجعوا الى البابا وقولوا له ان عادة الروم متى توفي بطريركهم يجتمع روؤساء كهنة الابرشية و ينتخبون بطريركاً و يسيمونه (يرسمونه) والملك لا يمكنه ان يغير هذه العادة . فرجعوا واخبروا البابا بذلك وفي العشرين من تموز (يوليو) ودع الملك وروؤساء الروم البابا وخرجوا من مدينة فيورندا واتوا الى البندقية . فالتقاهم الوكلاء وشعب المدينة بكل محبة واكرام وعملوا معهم احسانات عظيمة . ووهبوهم هبات جزيلة . و بقي مطران نيقية عند البابا فجعله كردينالاً ثم اقامه بطريركاً على القسطنطينية و بقي عند البابا الى آخر حياته . واما الملك وروؤساء الروم فساروا في مركب من البندقية الى مدينة القسطنطينية فنظروا مرقس مطران افسس قد بث سمه في المدينة وكان الاكليروس الذين في القسطنطينية والقسيسون والرهبان والعوام لم يؤثروا ان يشاركوا في الاسرار احداً من الذين كانوا في المجمع . وكانوا يهربون منهم ويحسبونهم بمنزلة المحرومين . وعوض الاتحاد زاد الافتراق . ولهذه الاسباب لم يقبلوا احداً ان يصير بطريركاً ووقعت البلابل والشرور بين شعب الروم مدة طويلة . وفي تلك السنة توفي البابا افجانيوس وقام مكانه البابا نيقولاوس الذي لما بلغه ان شعب الروم لم يرتضوا بذلك الاتحاد اخذ مركباً واتى به الى القسطنطينية ومكث مقابل اسكودار وارسل يعلم الشعب بقدومه . فلم يرتضوا ان يدخلوه المدينة . فرجع من هناك واتى الى القدس فلم يقبله رئيس دير فاطو باري ورهبان الدير . فحرمهم وامر بهدم الدير . ثم اتى الى دير الافرا فقبلوه باكرام . ثم رجع الى رومية . ومنع عن القسطنطينية كلما كان تعهد لهم به سالفه من العطايا والمعونات . و بعده توفي الملك يوحنا البالاوغس وقام مكانه ولده قسطنطين [1] . وبعد ان توفي السلطان مراد الثاني [2] في الاسم من آل عثمان تملك مكانه ولده السلطان محمد . ثم

---

(١) قد توفي الملك يوحنا سنة ١٤٥٢ م (٢) وتوفي السلطان مراد سنة ٨٥٥ه ولكن الامير حيدر اراد ان يكمل حوادث فتح القسطنطينية و يذكر اسبابها بالتفصيل فاجمل ذلك كله تحت هذه السنة فتأمل

تجهز بعساكر لا تحصى برًا وبحرًا فامتلأ البر من الفرسان والبحر من المراكب ففتح القلاع والحصون وقدم الى القسطنطينية واحاط بالمدينة من كل جانب وهدموا جانبًا من السور الذي لجهة شرصونة الى باب رومانوس . وكانت الرجال تقدم سلالم الرمل الى مكان الهدم وقد مات خلق كثير . وحارب اهل القسطنطينية بشجاعة عظيمة . ونصبوا عليها المدافع والمجانيق وكان من الجملة المدفع الكبير الذي كان يجره سبعون زوجًا من البقر والف رجل و بالصعوبة الشديدة كانوا يسحبونه . وحين يطلقونه كان صوته كالرعد . وحين اطلقوا هذا المدفع العجيب انشق من وسطه وقتل جملة من عسكر الاسلام . فغضب من ذلك السلطان محمد وامر في ذلك اليوم بابطال الحرب . واندهل من شجاعة المحاصرين الذين كانوا بشجاعة عظيمة يحامون عن انفسهم . والذي كان يشجعهم البطل العظيم القائد يوستنيانوس الجنوي الاصل الذي لاجل حسن جسارته وتدبيره اقامه الملك قسطنطين على تدبير المدينة وحمايتها . فلما نظر السلطان محمد ان تعبه ذهب باطلاً لان قوة المحاصرين وتدبير يوستنيانوس يبطلان تلك الحيل التي شرع الاسلام بها . اجتهد السلطان محمد ان يرشي ذلك الرجل بالذهب والفضة والمواعيد لكي يميله اليه . وفي الليل نظرت عساكر الترك نورًا ساطعًا على المدينة جميعها فاضطربوا منه وطفقوا يشتمون السلطان محمد قائلين انه يقصد شيئًا غير ممكن ولم يقدر عليه سلفاؤه الذين اجتهدوا كثيرًا في فتح هذه المدينة العظيمة . وقد كانت اتتهم الاخبار ان القائد هونيادس قادم بجيوش كثيرة من بلاد الهونغار لنصرة القسطنطينية . وقد احتار السلطان محمد فيما يفعل فجمع ثمانية من وزرائه ومن جملتهم علي باشا الذي كان قد اراد اولاً ان يمنعه عن تلك الحروب . وفي ذلك الحين اشار عليه ان يرجع عن المدينة ويرفع الحصار . واما الاخرون من الوزراء فلما راوا ذلك النور الذي ظهر في الليلة الاولى لم يعد يظهر في الليلة الثانية . شجعوا السلطان محمدًا على تكميل قصده . ثم اجتهدان يضرب اسوار المدينة بالنار . وانفق على عسكره مالاً جزيلاً . وامر جميع عسكره بان يصوموا ثلاثة ايام . وان يوقدوا المصابيح وان يواظبوا على الصلوة والغسل كما في دياناتهم لعل الله يعينهم . وقد كان علي باشا الوزير يخبر ملك الروم خفية عن تلك الاحوال و يشجعه على المقاومة لاعدائه . و بعد ثلاثة ايام هجمت عساكر الاسلام بشجاعة على المدينة وقد هدموا البعض من اسوارها ودخلوا بجسارة عظيمة . ووجدوا الملك قسطنطين قد ديس تحت الارجل من تزاحم الجنود . وقد ملكت الاسلام المدينة في اليوم السابع والعشرين من

شهر ايار (مايو) وكان ابتداء حصارها في شهر نيسان (ابريل) · وحين دخلت الاتراك المدينة لم تر عين ولم تسمع اذن بما فعلوه من القساوة والفواحش والشناعة فقد نهبوا الكنائس واحرقوا الاصنام والصور ورموا البقايا المقدسة وعظام القديسين تحت الارجل وداستها الناس وداروا بالصليب في شوارع المدينة ومعهم الطبول والزمور اهانةً له · ثم مضوا به الى خيامهم وعلقوا به رجلاً من ناحية وبرنيطة من الناحية الثانية وبصقوا عليه وصنعوا به كل النجاسات · واذلوا النساء والعذارى وقتلوا القسوس والرهبان ونبشوا المقابر واخرجوا منها الموتى · ولا يقدر القلم ان يصف ما احاط بتلك المدينة من الضيق والتشنيع · ثم ان السلطان محمد سأل عن قسطنطين الملك باجتهاد فوجدوا جسده ميتاً مداساً تحت ارجل الناس · وقد عرفوه من خاتم كان في يده وحذاء كان في رجليه · ففرح السلطان محمد حين تحقق موت الملك قسطنطين · وامر بدفنه بكل اكرام كما كانت العادة ان تعمل النصارى مع الملوك · واما يوستنيانوس فكان قُبض عليه واراد ان يفدي نفسه فما قبل السلطان وامر بقتله وقتل اولاده · ثم بعد ثلاثة ايام امر السلطان بالامان وبرجوع النصارى الى مواطنهم للمدينة التي كانت قد اقفرت من السكان ولم يبق بها غير العساكر · واطلق التنبيه ان لا يعترضهم احد في معتقدهم · وان يسكنوا في مواطنهم بكل حرية · وامر ايضاً الاساقفة والقسوس ان يختاروا بطريركا جديداً لان البطريرك الاول غريغوريوس (ابو اصف) قد كان ترك كرسيه وتمسك في الكرسي الروماني · فاختاروا الصالح الذكر جرجس شكولاريوس الذي كان قاضياً ولقبوه باسم جناديوس · وقد كانت عادة ملوك القسطنطينية انه حين يسام بطريرك يعطيه الملك من يده عصاً من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ويركبه ويطوف به في كل المدينة بكل اكرام · فهذا جميعه صنعه السلطان محمد مع ذلك البطريرك اكراماً له · وسارت جميع ملوك الدولة العثمانية على هذا السبيل · وفيما بعد انطلق السلطان الى البطريرك وصار بينهما جدال في امور الايمان وابتدأ السلطان ان يسأل البطريرك وامر ان تكتب الاسئلة والاجوبة بصحيفة وهي الى الآن محفوظة باللغة اللاتينية واليونانية والتركية والعربية · وابتدأ البطريرك ان يشرح للسلطان والكتبة تكتب بتلك اللغات المذكورة · قال اولاً انا أؤمن بان الله خلق كل موجود مما لم يوجد · وانه غير ذي جسم تام بالحكمة لا بداءة ولا نهاية له موجود في العالم وهو يفوق العالم · لا يخلو منه مكان · وهو في كل مكان · وهو حكيم صالح حقيقي وهو الحق نفسه قد حوث

صنائعه التوزيع بسابق ايعازه وهو وحده ارفع سموًّا وكمالاً . وهذا الكمال حوته خليقته بانعامه عليها . وخليقته هي غيره لانه بما انه حكيم يحكمها . و بما انه الحق يحققها وامثال ذلك من هذه الاشياء بما انه اله ورب قد حواها . واما خليقته فبحسب الشركة والاستئهال فقدانالها ذلك . ونؤمن ايضاً ان الله ثلثة خواص وهي عنصر خواصه و ينبوعها لاجل هذه الثالثة هواله حي ازلي في ذاته قبل ان يبدع العالم منه . ولذلك ابدع العالم وهو مدبر العالم وهذه الثالثة خواص ندعوها الثلثة الاقانيم اي ثلاثة وجوه . وهذه الثلاثة الخواص لا تنقسم بالوحدانية لاجل ذلك هو اله وليس ثلاثة الهة . ونؤمن ان من طبيعة اللاهوت اشرقت الكلمة والروح كما انه من النار يكون النوار والحرارة . وكما ان من النار يُستمد منها النور والحرارة . وهذه النار لا يخلو منها النور والحرارة بل تبعث لنا نورها وحرارتها فعلى هذه الجهة قبل ان يبدع الله العالم كانت الكلمة والروح مساهمين طبيعة اللاهوت لان الله عقل وهذه الثلاثة الاقانيم عقل وكلمة وروح اله واحد كما ان في نفس الانسان الواحدة عقل وكلمة . اي كلمة عقلية ونطق وارادة عقلية وهذه الثلاثة هي نفسها واحدة بحسب الجوهر . وكذلك كلمة الله ندعوها حكمة الله وقوة الله وابنه . لانها مولودة من طبيعته وبحسب ولادة نفسه . وندعوه ايضاً ارادة الله وروح الله ومحبة الله . فندعو العقل ابًا لانه غير معلول وغير مولود . والابن والروح معلولان . وان الله ليس يعقل خليقته فقط بل يعقلها و يعرفها ذاته . لاجل ذلك له كلمة وحكمة . و بها يعقل ذاته كثيرًا . فلذلك كلمته وروحه ازليتان منه . وهو ازلي معهما . وهذان الاقنومان من الله اله واحد . ونؤمن بان الله بواسطة حكمته وكلمته وقوته ابدع العالم و بواسطة ارادته وروحه الصالح يدبر العالم و يحرك كل طبيعة في العالم نحو الخير حسب رتبته . لاجل ذلك نؤمن انه لما اراد الله برحمته ان يرد العالم من ضلالة الشيطان وعبادة الاصنام كون ان ما كان بالله تعالى و بشريعة موسى غيّر موضعاً صغيرًا من الارض وهي ارض اليهودية وكان باقي المسكونة يعبدون الاصنام والالهة الباطلة عوض الاله الواحد الحي الحقيقي فيعبدون و يسجدون كل واحد حسب شهوته . فصنع الله دواء لمثل هذه الخديعة بان اعاد خليقة الطبيعة البشرية بواسطة كلمته وروح قدسه . لان ليس لكلمة الله طبيعة بشركة مثل الانسان كي يخاطب الناس . و بما ان كلمة الله وحكمته تعلم الناس بان يومنوا بالاله الحقيقي الواحد و يسيروا بحسب الشريعة التي سلمها اليهم وايضاً بما انه انسان تكون سيرته شهادة لتعليمه . اولاً حفظ الشريعة التي كان اعطاها للناس بذاته اعني

شريعة موسى · و بما انه كلمة الله وقوته فله القدرة ان يتقن زينة الصلاح بعمله لانه غير ممكن ان قوة بشرية ترد المسكونة الى الله بالكلية · فبما انه كلمة الله زرع تعليم الحق في اورشليم · و بواسطة روح قدسه انار الرسل وقواهم حتى زرعوا هذا التعلم الحقيقي في هذا العالم اجمع لاجل محبة الله الذي ارسله نحبة لخلاص العالم حسبما صار ان يسوع كان نموذجًا الذي مات طوعًا بطبيعته البشرية من اجل العالم ليخلصه · فهكذا نؤمن نحن بالله واحد في ثلاثة آب وابن وروح حسبما علمنا ربنا يسوع المسيح · و بما انه هوالحق لجميع ماهو منه حق · وهكذا علمنا تلاميذه بايضاح بان نومن ونفعل بحكمة الله · وان حياة المسيح في جسده كانت حياة انسان بالقداسة · واما القوة والحكمة وافعال العجائب فكانت قوة الله · ونومن انه كما ان النفس والجسم في انسان واحد يكونان انسانًا واحدًا هكذا كلمة الله التي هي المسيح من جهة واحدة · ومن جهة اخرى هو نفس وجسم ذو طبيعتين تامتين منقسمتين في انسان واحد · وهكذا اللاهوت والناسوت في المسيح الواحد منقسمان وكل طبيعة تامة بذاتها · واما الاقنوم فهو اتحادها بوجه واحد · فلا كلمة الله استحالت الى جسد المسيح · ولا جسم المسيح ونفسه استحالا الى كلمة الله · بل كانت وتكون في المسيح بعد تدبيره ذلك العجيب · اما كلمة الله فهو الكلمة الواحدة من الاقانيم · ومن جهة الناسوت فهو انسان · ولا نقول ان ناسوت المسيح اشتمل على اللاهوت · ولكن اللاهوت كلمة الله اشتمل على طبيعة الناسوت · واتحد فيها قوامًا فكل الامور التي بالله ومن الله فهي طبيعته الالهية فلذلك كلمة الله العقلية ندعوه الهًا ونومن به ان كلمة الله في المسيح الاله والانسان · اما الانسان فلاجل النفس والجسم واما الاله لانه كلمة الله · وكما الشمس التي نورها في كل مكان هكذا ايضًا كلمة الله كانت في المسيح وفي العالم وفي السماوات وفي الله الاب · لان كلمة الله غير محصور كما ان الله جل عزته غير محصور · الذي العقل مولود منه اي الكلمة ولكن في الله الاب · ونومن ان هذه خليقة الله بمساهمتها صلاحه ونعمته لاينالها نقص البتة · لان بصلاح خليقته وفضيلتها يستبان علو شرفه · وبمقدار ماتحسن خليقته يزداد صلاحه وتوضح جودته وقدرته · فعلى هذه الجهة تفاقمت نحبة الله وقدرته وجودته لجنس البشر حتى اتى هو الاله كلمة الله بكامل قدرته يسوع المسيح · ونؤمن ان المسيح صلب ومات طوعًا بارادته لاجل فوائد عظيمة كثيرة · ولمعان جميلة جزيلة فعل ذلك بحسب البشرية · لان كلمة الله لايقع عليها عذاب ولا موت

ولا قيامة . وقام معه جميع الاموات بقيامته بالجسد الذي لبسه . ونؤمن ان المسيح صعد الى السماوات وسوف ياتي بمجدٍ ليدين العالم . ونؤمن ان نفوس الناس غير مائتة وكل اجساد القديسين تقوم عديمة البلاء مضيئة خفيفة لاتحتاج الى طعام ولا لباس . وانهم يتمتعون في الفردوس السماوي بمشاهدة الله تعالى . واما الخطاة الذين ماتوا مصرين على خطاياهم منعكفين على لذات هذا العالم ففي جهنم يعاقبون الى ابد الدهور . واذا وصلت النفس الى هذه المعرفة فتنظر نظراً عقلياً اسرار الله التي لا يعرفها عارف الا بالايمان بيسوع المسيح . وان تجسد كلمة الله كان ضرورياً لمعانٍ جميلة . ونحن نقنع من تلك المعاني لتحقيق امانتنا ان انبياء تقدموا فانبأُوا ونحن نؤمن مصدقين بجميع ماصنعه المسيح . وان سائر الكائنات منه وجميع ماصنعته تلاميذه بقوته . ولمثل ذلك نسب سحراء اليونانيين ومنجمو الفرس بسماح الله . وهولاء كلهم اشاعوا عظائم المسيح واعلنوها لنا وكانوا غير عارفين الكتابة . ونؤمن ان جميع كتب امانتنا متفقة في كل شيء لان الذين كتبوها تلقنوها واوحي اليهم بها من معلم واحد وهو كلمة الله . ونؤمن ان هذه الامانة كانت معجزة جديدة قبلها الناس بنشاط واحتملوا لاجلها شدائد وعذابات كثيرة . وليس فقط الجهال العديمو العلم بل الفهماء والفلاسفة . وبواسطتها انحلت واضمحلت عباده الاصنام والابالسة . وهذه الامانة لاتتضمن شيء غير ممكن ولا غير متفق ولا جسداني بل كلها روحانية جاذبة نفوس الناس الى محبة الله والحياة الابدية العتيدة . ونؤمن ان كل الذين نالوا هذه الامانة وساروا سيرةً فاضلة حسب شريعة المسيح قد اخذوا من الله مواهب جسيمة وصنعوا باسمه قواتٍ كثيرة . ونؤمن ان جميع مايقوله المخالفون لهذه الامانة من الاعتراضات يمكن ان يحل و يدحض بكل سهولة اذ ليس في هذه الامانة شي يضاد الحق . وقد اضطهدها كثيرون من المتعصبين والملوك فلم يقدروا ان يبطلوها بل غلبتهم هذه الامانة ولم تزل ثابتة مستمرة الى مجي المسيح الثاني . لان هذه الامانة هي ارادة الله . ولو لم تكن بارادة الله لاضمحلت بسهولة : . . . فهذا ما شرحناه عن امانتنا باختصار و بكلام وجيز امام مولانا وسلطاننا الملك المعظم ايد الله ملكه بعدل يرضي عزته امين

فلما نظر السلطان محمد الى ما كتبه البطريرك اعجبه كثيراً وامر ان تحفظ هذه الكتابة باللغة العربية والرومية والتركية والاناضولية في خزينة المملكة . ثم ان السلطان محمد خرج بالعساكر الى بلاد بالونسيون فتملك مدنها من غير قتال . ولما وصل الى

مكدونية خرج الى خدمته امير تلك البلاد كيرتوما وسلمه البلاد وسأله ان يجعل له شيئاً يقوم في معاشه ويتزوج بابنته فخطبها منه السلطان محمد كسنة الاسلام وارسلها الى ادرنه الاّ انه لم يتصرف بها خوفاً منها ان تسمه . واما كيرتوما فانه هرب الى رومية وكان السلطان مراد تزوج احدى بناته وهو ابو السلطان محمد فحضرت اليه امرأة ابيه ابنة كيرتوما فاكرمها السلطان وجعل تدبير تلك البلاد تحت امرها . وكان لما اخ فسار مع السلطان محمد وقداحبه حباً عظيماً وعين له علوفات وجرايات وازوجه بسريتين وعاش احسن عيشة . ولما تملك السلطان محمد مدينة طرابزون اقامه حاكماً بها . وتملك السلطان محمد جميع بلاد الكرج مع الحصون والقلع من غير قتال . ذكر بارنيوس المؤرخ ان السلطان محمد بعد ان تملك مدينة القسطنطينية لم يكف عن الغزو والقتال وقد اقسم يميناً قائلاً انا محمد بن مراد الفخر سائر الملوك السعيد المرهوب امير جميع الامراء في الشرق والغرب اعاهد على نفسي بالقسم والايمان الى الاله الواحد الخالق جميع الاشياء وأوعده انني لا ارقد ولا اذوق شيئاً من المأكل والمشرب ولا اتمتع بلذات الدنيا حتى اسحق وادوس الهة الامم المصنوعة من خشب ونحاس وذهب وفضة وحجر والتصاوير المصنوعة بايدي عباد المسيح وانني اقسم ايضاً لاله العساكر الحقيقي ومحمد النبي الكبير ان امحي اسمهم من على وجه الارض . واني اوصي كل امة محمد الذين تحت طاعتي بان ياتو اليّ مستعدين للحرب لكيما يتمم امر الله وامر نبيه محمد . فالله يساعدنا بقدرته على اتمام مشيئته ومحمد يساعدنا بصلواته . قال المؤرخ . ثم اجتاز السلطان محمد بالعساكر والمراكب الى بلاد اناضولي وتملك جزيرة متليني وجزيرة فوكه القديمة والجديدة التي بقرب زمر يني وافسس و بعد ذلك رجع الى القسطنطينية وصحبته اسارى واموال لاتحصى . وفي هذه السنة كانت وفاة الامير ملحم المعني وتولى مكانه الامير يونس (وفيها كان بناء اسكي سراي . وفيها عقدت الشروط بين العثمانيين والبنادقة مقتضاها مراعاة حقوق الجوار)

وفي السنة ٨٥٩ هـ = ١٤٥٤ م خرج السلطان محمد بالعساكر الكثيرة وتملك قسطموني سنان من قزل احمد وهزمه فسار الى الفرس . ثم تملك مستراوالكفا من الجانوفيطس واسر اهلهم وترك تلك البلاد قفراً . ثم رجع الى القسطنطينية ورافت له الاحكام . وابتدأ يهيء للسكن فيها وعدل في الرعية وكان كل يوم يدور في المدينة متخفياً . وفي هذه السنة كانت وفاة الامير احمد الشهابي . فتولى مكانه ولده الامير علي

(وفيها ابتدأت حروب الوردتين في انكلترا وهي حروب اهلية بين حزبين كبيرين)

وفي السنة ٨٦٠ هـ = ١٤٥٥ م خرج السلطان محمد بعساكر كثيرة في البحر والبر لحرب البنادقة فتملك افريبيس وقتل جميع اهلها من ابن اثنتي عشرة سنة وصاعداً وتملك ايضاً فنيالي وغرديكي وخربهما وافر بيون وجاؤا بالنساء والاولاد الى القسطنطينية وكانوا يبيعونهم مثل الغنم . ثم سار الى بلاد البشناق والسرب فاطاعوه من غير قتال . وفيها صار السلطان الى بلغرادا ومعه ١٥٠ الف واغار على المدينة مراراً لكن غاراته بدون طائل فرجع الى مملكته ثم عاد وفتح دوقية اثينا وكانت في يد عائلة من فلورنسا .

وفي السنة ٨٦١ هـ = ١٤٥٦ م كان نزول الفرنساوية بالاراضي الانكليزية

وفي السنة ٨٦٢ هـ = ١٤٥٧ م سير السلطان محمد مسيح باشا بعساكر وافرة الى رودس . ولما انتهوا الى هناك نهبوا ما يليها من الضياع . ووضعوا الحصار على المدينة وحفر اهلها خندقاً داخل الصور وغطوه بالقش والحشيش ولما هدمت العساكر جانباً من ذلك الصور وهجموا وقع اكثرهم في ذلك الخندق فخرج المحاصرون وهزموا الباقين من العسكر . (وفيها فتح السلطان محمد اقليم السرب الذي كان انتزعه السلطان مراد الثاني من قرالات هذا الاقليم كما سبق في سنة ٨٣٠ هـ ورده اليهم في سنة ٨٤٥ هـ)

وفي السنة ٨٦٣ هـ = ١٤٥٨ م وجه السلطان محمد احمد باشا في العساكر الى مدينة البغضان ورجع الى مدينة القسطنطينيه منصوراً وكان لا يفتر عن الحروب والغزوات . وهو الذي غير اسم القسطنطينيه وسماها اسلامبول اي مدينة الاسلام . وكان ثاقب الرأي يحب العلماء والفلاسفة ومحاورتهم وليس فقط الذين من جنسه بل من اي ملة كانت وكان اعز الناس عنده محمد باشا ابن الامير وضي لانه كان فيلسوفاً عظيماً منطيقياً قد تعلم علم اليونانيين ومهر وكان دائماً السلطان يسأله ويباحثه ويحادثه وكان اصله نصرانياً من الروم من عائلة شريفة . وكان دائماً يشرح للسلطان حقيقة الديانة النصرانية ولاجل ذلك استعطف خاطره عليهم . وكان السلطان محمد يرغب العلوم ويبحث عن اسباب الامور وما كان يوثر ان يجهل شيئاً . وكان يدور متخفياً ليتفقد امور الرعية . ويعرف ما يحدث ولا يترك صنعة ولا تجارة (وفيها وقع طاعون بالقاهره ومكث ثلاثة اشهر)

(وفي سنة ٨٦٤ هـ = ١٤٥٩ م كان اختراع الحفر على النحاس . وفيها رصد الكسوف . واستولى السلطان محمد على اثينا)

وفي سنة ٨٦٥ هـ = ١٤٦٠ توفي الملك الاشرف (وهو السلطان نيال بعد ان حكم ٨ سنوات وشهرين وستة عشر يوماً . فتولى على مصر بعده ابنه شهاب الدين احمد الملقب بأبي الفتح ولقب بالملك المؤيد) وهو الثامن والثلثون من ملوك الترك والثالث عشر من الشراكسة بمصر . وبعد اربعة اشهر خلع الملك المؤيد من السلطنة وبويع سيف الدين خوش قدم ولقب بالملك الظاهر ابن عبدالله وهو التاسع والثلثون من ملوك الترك والرابع عشر من الشراكسة (وفيها دمر السلطان محمد الثاني امبراطورية طرابزون وفتح كريزونة وسينوب وفيها طبعت اول رزنامة طبعها جورج فون قرباخ في المانيا)

(وفي سنة ٨٦٦ هـ = ١٤٦١ م احتال خوش قدم على الامراء وجمعهم بالقلعة وقبض على جماعة من الاشرفية وارسلهم الى سجن الاسكندرية فحصلت وقعة بينهم فولوا جرباشاً الاتابكي بالقوة والاغتصاب واقبوه بالناصر ثم حصلت وقعة ثانية انتصر فيها خوش قدم . وفيها توقف النيل ارتفعت الا عار حتى بلغ اردب القمح الف درهم وتغير لون النيل وطعمه حتى عافته الناس)

(وفي السنة ٨٦٧ هـ = ١٤٦٢ م تسلط ايوان الثالث في بلاد روسيا . وفيها أدخل السلطان محمد الثاني تحت طاعته اقليم بوسنه وشن الغارة على ولايات الفلاخ والبغدان والصقالبة . وفيها نقضت البنادقة شروط الصلح المنعقدة بينها و بين العثمانيين .)

(وفي السنة ٨٦٨ هـ = ١٤٦٣ م عرف نظام البريد في فرنسا . وفيها مات البابا بيوس الثاني بمدينة انتونة عقب مرض اصابه على حين غفلة عند ما كان سائراً لمقاتلة العثمانيين)

(وفي السنة ٨٦٩ هـ = ١٤٦٤ م احرقت البنادقة مدينة سبرطه الجديدة (مزتره) وفيها كان اول تاسيس البريد)

وفي السنة ٨٧٠ هـ = ١٤٦٥ م انشا خوش قدم الاحمدي جامعه بشارع درب الحصن لثمن الخليفة بالقاهرة . وفيها نهب الفينيسيون مدينة اثينا . وفيها مات اسكندر بك بحمى شديدة ولموته دخلت مدن الارناووط وحصونهم تحت حكم الدولة العثمانية ماعدا تختها . وفيها ظهر اول فابريقة (معمل) لنسج الحرير في ليون من فرانسا)

وفي السنة ٨٧١ هـ = ١٤٦٦ م يذكر الاسقف داود الخدشيتي انه بان نجم في الشرق بذنب طويل . ثم عقبه قيظ طويل فامحلت الزروع و يبس العشب والاشجار

وصار غلاء شديد حتى بلغ شنبل القمح سبعين درهماً و باقي الحبوب ٥٠ درهماً وبلغ رطل الزيت اربعة عشر درهماً • ومات كثير من الناس ودام الغلاء ثلاث سنين (وفيها اكتشفت الكهربائية في اوروبا على انها كانت معلومة عند القدماء)

وفي السنة ٨٧٢ هـ = ١٤٦٧ م يقول المذكور انه بهذه السنة خرج من المشرق رجل تركماني يعرف بشاه صوار ابن ابي الغادري عن طاعة السلطان فوجه اليه العسكر من جميع البلدان • وقدم على العسكر مراد بك نائب الشام فقصدوه الى نواحي حلب فظفر بهم شاه صوار وغنم سلاحهم واموالهم وما سلم الا القليل وسار بالجيوش الى نهر الاردن وصارت الناس بشدة عظيمة من كثرة العسكر ولولم يرحم الله عبيده بخصب الغلال تلك السنة لماتت الخلق • وفي هذه السنة توفي الملك الظاهر خوش قدم وكانت مدة تملكه ست سنين ونصف وتولى بعده من هو باسمه الملك الظاهر عبد الله وهو الاربعون في العدد من ملوك الترك بمصر • والخامس عشر من ملوك الشراكسة • وفيها خرج شاه صوار الغادري المذكور اعلاه على اعمال حلب فملك ادنه ومصيصة ومرعش وعين تاب وغيرها • ووصل الى قلعة حارم وقتل ونهب وسفك الدماء واستاسر النساء والبنات والاولاد • وقتل كثيراً من الاكراد والتركمان وضرب كثيراً من القرى والبلدان • وفيها توفي الملك الظاهر وكانت مدة ملكه ستة وخمسين يوماً وخلع وجلس بعده على تخت المملكة تمرباغا • وكانت مدة ملكه شهرين وخمسة ايام وهو الحادي والاربعون من الاتراك • ثم قويت عليه الخوشقدمية فخلعوه ليلاً واقاموا عوضاً عنه الملك خير بك ابن عبد الله وهو الثاني والاربعون من ملوك الترك بالديار المصرية • و بعد شهرين من ملكه خلعوه عن السلطنة • ثم بايعوا الامير الكبير الملك الاشرف قايتباي وهو الثالث والاربعون من ملوك الترك • فاستقامت له الامور • وجهز العساكر المصرية والشامية رئيس الجيوش لمحاربة شاه صوار ابن ابي الغادري فقوي عليهم شاه صوار وكسر العساكر السلطانية ونهب اموالها وقرب من مدينة حلب وملك كثيراً من البلاد الحلبية • ثم ان السلطان الاشرف قايتباي جمع العساكر وجهزها مرة ثانية • وكان قائدها امير داودار اسمه يشبك الصغير • وارسل ايضاً صاحب دمشق لملك الامراء برقوق فواقعه شاه صوار وكسروه وقبضوا عليه ومضوا به الى مصر • وقتلوه عند باب زويلة • ثم تولى على مملكة شاه صوار احد اقاربه • ثم حدث الغلاء العظيم العام ببلاد الشام فاصاب الناس شدائد عظيمة منه • (وفيها استولى اورتون حسن التتري

على مملكة العجم من حفدة السلطان تيمورلنك واسس فيها الدولة المعروفة بالشانا البيضاء)

وفي السنة ٨٧٣ هـ = ١٤٦٨ م كان الوباء العظيم بمملكة الشام فهلك فيه خلق كثير (يظهر انه ابتدأ في نهاية السنة الفائتةواستمر الى هذه السنة حتى ذكر في السنتين) وكان يخرج يومياً في دمشق نيف والف جنازة . وفي هذه السنة توفي صاحب دمشق الامير برقوق فتوجه عوضاً عنه اليها قانصوه الحياري . وفيها حدثت نار بمدينة دمشق فاحرقت الجامع الاموي بكماله وثمانية اسواق حوله والمأذنة الغربية وغيرها . (وفيها حدث غلاء شديد بمصر لسبب نقص النيل وقلة وجود القمح . وفيها نهبت البنادقة مدينة اينوا التي على خليج اثينا وعند ذلك امر السلطان محمد خطباء جميع مساجد الدول الاسلامية ان ينادوا بان مقصده محو دين النصرانية ومحو اثاره بالكلية

وفي السنة ٨٧٤ هـ = ١٤٦٩ م مات في الوباء الشديد الذي حدث ببلاد الشام عدد غفير من امراء بني شهاب ومات جميع بني الامير احمد ولم يبق الا ولده الامير علي . (وفيها هجم السلطان على جزيرة تاغريبوز من اعمال البنادقة بعمارة كبيرة تشتمل على جنود كثيرة ففتح تختها عنوةً بعد ان هجم عليه اهلها اربع مرات وذبحوا عساكره .)

(وفي السنة ٨٧٥ هـ = ١٤٧٠ م حصل اول تجربة بفن الطباعة في باريس . وفيها ولد السطان سليم ابن السلطان بايزيد الثاني

(وفي السنة ٨٧٦ هـ = ١٤٧١ م انشأ الشيخ تمراز الاحمدي جامعه بشارع اللبودية الموصل الى السيدة زينب بالقاهرة . وفيها اكتشف البرتوغاليون سواحل كينيا . وفيها اخربت البنادقة بلاد كارية وجزيرة استنكوي وايونية وقد اعانهم الكردينال اوليفيه كرافة قبطان سفن البابا سفسطوس الرابع على حرق مدينة اضاليا ومدينة ازمير)

(وفي السنة ٨٧٧ هـ = ١٤٧٢ م اتحد البابا بولس الثاني واوزون حسن صهرداود قومين اخر امبراطرة طرابزون الذي قتله السلطان محمد واغارا على بلاد الارمن والكرج فهزمهما السلطان بمدينة قرا حصار)

(وفي السنة ٨٧٨ هـ = ١٤٨٣ هزم اسطفان و يوردفي البغدان جيشاً من العساكر العثمانية قريباً من مدينة رافيوز . وانهزم ايضاً بيكار بيك رئيس العساكر العثمانية تجاه مدينة اسكودارئ . وفيها اول ماطبعت العلامات الموسيقية . وفي السنة ٨٧٩ هـ = ١٤٧٤ م استولى السلطان محمد الثاني على القرم)

وفي السنة ٨٨٠ هـ = ١٤٧٥ م انهزم سليمان بك قائد العساكر العثمانية تجاه مدينة ليبنته واتلف احمد باشا نزلات الجنويين وكانت مهمة وفي السنة ٨٨٢ هـ = ١٤٧٧ م هزم العثمانيون البنادقة على شواطي شهرايزونزو وصاروا يخربون بلاد ايطاليا · وفيها لسبب زيادة النيل غرقت اراضي الحسينية وشبرى والروضة وطريق مصر و بولاق وجزيرة النيل وكوم الرئيس وردمت الابار · وفيها وصل العثمانيون الى مدينة بياد من اعمال ايطاليا · وفيها صنعت اول ساعة في نورمبرج من المانيا في السنة ٨٨٣ هـ = ١٤٧٨ م ضرب الالطوني العثماني وسمي باسماء عديدة · وفيها تسلمت العثمانيون مدينة كروية فتم لآل عثمان فتح بلاد الارناووط وخرج منها عائلة كستريو حكامها ونزلوا لمملكة نابولي والتجأوا الى ملكها فاعطاهم اراض والتزامات وهربت طائفة من الارناووط اذن لها بالنزول في اقليم كلا بريه · وفي السنة ٨٨٤ هـ = ١٤٧٩ م حج السلطان قايتباي ولم يحج من السلاطين الجراكسة غيره · وفيها عقد السلطان محمد الثاني صلحاً مع البنادقة · وفيها كان اول انشاء البوسطة في فرنسا لاجل المصالح الملكية · وفيها هزمت الانكليزالفرنساو بين في جينهات · وفي السنة ٨٨٥ هـ = ١٤٨٠ م بنى الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغوري جامع الامام الليث بالقرافة الصغرى · و بنى الامير ابو بكر مزهر جامعه بحارة برجوان بالقاهرة · وفيها ارسل السلطان محمد اسطولاً فيه مائة الف مقاتل لمحاصرة جزيرة رودس ثم ارتحل عنها · وفيها كان ابتداء قيام التفتيش والتجسس الديني في اشبيلية من اسبانيا وابتدأت حروب الاسبانيوليين مع عرب الاندلس واستمرت نحو ١٢ سنة)

وفي السنة ٨٨٦ هـ = ١٤٨١ م جمع السلطان محمد العساكر الكثيرة ماينوف عن ثلثمائة الف · (وارسل جيشاً عظيماً منها لقتال جزيرة قبرس تحت قيادة احد وزرائه وقاد الثاني بنفسه وتوجه بهالقتال ملك العجم) · ولما وصل الى قرب نيقوميديه مرض هناك ومات فرجعوا به الى اسلام بول (وكان عمره ٥٣ سنة ومدة حكمه ٣١ سنه · وقد وصفه جميع مؤرخي العثمانيين بانه اعظم سلاطين الدنيا ففتح سلطنتين عظيمتين واثنتي عشرة مملكة ومائتي مدينة

الفصل الثاني

في سلطنة السلطان بايزيد الثاني وهو الثامن من ملوك آل عثمان

وفي هذه السنة في ١٠ ربيع الاول تولى على السلطنة بعد موت السلطان محمد الفاتح ولده السلطان بايزيد الثاني . وكان وقتئذ في اماسيا بالقرب من المدينة التي توفي بها ابوه . وكان له اخ يقال له تجام . وكان لبايزيد اولاد وهم احمد ومحمود وسليم وكانوا في القسطنطينية فلما بلغهم وفاة جدهم السلطان محمد وقع الاختلاف بين رجال الدولة الى ان قتل الوزير واخرون غيره ولم يزل ذلك الاختلاف بينهم الى ان قدم ابوهم السلطان بيازيد الى القسطنطينية وجلس على كرسي ملكه . فأعطى ولده احمد مدينة اماسيا التي كان هو فيها . واعطى اخاه محموداً قسطمون وما يليها . واعطى سليماً طرابزون وما يليها . ثم بعد قليل توفي محمود في بلاد اناضولي . واما السلطان بايزيد فانه بعد تملكه قتل احمد باشا البطل المشهور في الحرب وهو الذي تملك البغدان والتتر في ايام السلطان محمد . وكان محبوباً عنده وله مناقب عظيمة لاجل الفتوحات التي افتتحها في بوغليا والفانا ولاجل الاسرى والاموال التي اكتسبها ولم يعرف احد لاي سبب قتله . وفي هـذه السنة توفي شمس الدين محمد ابن الصائغ وكان اديباً فصيحاً وله ديوان شعر . وكانت اقامته في قرية بوار الدين من اعمال بيروت وهي بالقرب من رامتون . وكان من المتقدمين عند آل تنوخ وله مصنفات كثيرة

وفي سنة ٨٨٧ هـ = ١٤٨٢ م جمع السلطان بايزيد العساكر قاصداً مقاومة اخيه تجام . فلما بلغ اخاه ذلك نزل في المراكب هارباً الى مصر وكانت وقتئذ تحت حكم الاتراك الشراكسة كما تقدم الشرح بهذا التاريخ . فطلب منهم نجدة ضد اخيه فلم يقبلوا ذلك . فرجع تجام الى الروس . ولما علموا ان السلطان بايزيد سيقدم اليهم بالعساكر طردوه من عندهم فمضى الى جانوفانا . وكان السلطان بوجل عظيم من اخيه لئلا يمضي الى اناضولي ويقيم حرباً وخاف ان فرسا كيدس والقرمانيين يتفق رأيهم ان يقيموا اخاه ملكاً على اناضولي . واما تجام فلما بلغه ان اخاه لم يزل مجداً في طلبه سار الى بلاد ايطاليا ومكث في رومية وقبله اهلها بفرح . ولكن اخاه السلطان بايزيد لم يسكت عنه بل انه عمل صلحاً مع البنادقة وطلب منهم قتل اخيه سراً . فارسلوا اليه رجلاً يعرف اللغة العربية

فابتدأ يتردد اليه ويجالسه الى ان توقع له فرصة فوضع له سماً في الكاس وسقاه اياه فمات فلما علم السلطان بايزيد بموت اخيه جمع العساكر واظهر انه يريد اخذ ثار اخيه من البنادقة ولكنه ارسل اليهم سرّاً طالباً منهم ان يرسلوا له قاتل اخيه وله الامان . وكان ذلك غشا منه فارسلوا له ذلك الرجل لظنهم به انه لا يؤذيه . ولما حضر اليه الرجل الذي خلصه من اخيه فرح فرحاً عظيماً وانعم على ذلك الرجل وعفا عنه واعطاه عطايا ملكيه وصرفه بامان وفي رجوعه مات في الطريق فظن الناس ان السلطان بايزيد سقاه سماً . (وفيها توجهت عساكر مصر تحت امرة يشبك لمحاربة حسن اوزون اي الطويل ملك العراقين فمات يشبك وانهزمت العساكر . وفيها بني الملك الاشرف قايتباي جامع قايتباي بقلعة الكبش وفيها استولت مملكة اوستريا على هولاندة . وفيها ابتدأ البورتوغاليون في التجارة بالعبيد)

وفي سنة ٨٨٩ هـ = ١٤٨٤ سار السلطان بايزيد في العساكر الي المولد في فلاشيا وسبي اهالى مدينة كاليين المسماة بالقلعة البيضاء وسائر مايحيط بها ورجع الى القسطنطينية بالسبايا والاموال . وفيها كانت وفاة الامير احمد الشهابي في وادي التيم فتولى بعده ولده الامير علي . (وفيها حدث رخص عظيم في الحبوب وغلاء شديد في القطن . وفيها اكتشف ديجوكامبو البرتغالي نهر الكونغو في افريقيا)

وفي سنة ٨٩١ هـ = ١٤٨٦ م حدث غلاء شديد في بلاد مصر وخصوصاً في الارز . وفيها اعان مغاربة غرناطـه بالاندلس الاسبانيوليين النصارى فهزم قبودان باشا العثماني عسكراً منهم ونهب سواحل اسبانيا وايطاليا . وفيها اكتشف احد البرتوغاليين رأس الرجاء الصالح وفي السنة ٨٩٢ هـ = ١٤٨٦ م زاد الغلاء فمات كثير من الفقراء على الطرقات من شدة الجوع وفي السنة ٨٩٣ هـ = ١٤٨٧ م زاد الغلاء جداً حتى غلت الماء لعدم وجود جمال اوخيل اوحيوانات تنقلها وفيها عبرت البوسفور الحملة العثمانية التي حشدها السلطان بايزيد تحت قيادة علي باشا لمحاربة المصريين)

وفي السنة ٨٩٤ هـ = ١٤٨٨ م كان الفناء العظيم والغلاء الشديد في الديار المصرية والشامية ومات خلق لايحصى (تقدم ذكر ذلك في السنين الفائتة) وقيل انه مات في دمشق بيوم واحد الفاً واربعة وعشرين انسان حسبما كتب في سجل الاموات . يذكر بارونيوس انه بهذه السنة ابتدأت مملكة المسكوب . وذلك بعدما فتح يوحنا اميرها مدينة نوبوغوارديا التي هي كرسي روسيا وقد كانت حصينة جداً . فبعدما تملكها يوحنا امتنع عن ان يعطى الجزية المرتبطة عليه كل سنة الى ملك التتر . وكان له عادة انه

اذا وفد اليه احد من قصاد ملك التتر يخرج للقائه ويمشي قدامه الى منزله بكل اكرام . ثم يعطيه كاساً مملواً لبناً (حليباً) وهو راكب على فرسه . وكان اذا قطر شيء من الحليب يلحسه بلسانه . وعند قراءة كتاب ملك التتر كان الامير وخواص دولته يجثون على ركبهم خاضعين حتى نهاية قراءة الرسالة . فبعدما تملك هذه المدينة العظيمة خلع عنه الطاعة لملك التتر وصار مستقلاً بنفسه وتغلب على مدن كثيرة من مملكة روسيا وسمي ملكاً (وفيها طبعت التوراة العبرانية بكاملها)

وفي السنة ٨٩٦ هـ = ١٤٩٠ م سار الملك بيازيد في العساكر الى البشناق العالي ولم يقدر عليها لان العبور اليها كان عسراً والطرقات موعرة فلم يقدر على الصعود اليها . فاخذ من وجده اسيراً من رجال ونساء ورجع الى القسطنطينية . وبعد وصوله سار بالمراكب بعساكر قوية الى نواحي البندقية وكان القائد عليها مصطفى باشا . وكان اهلها مؤمنين منه . ولم يعلموا حتى خرجت العساكر الى نحو نغبا كصون وملك البلاد وبقية الضياع سلمت له طائعة . وحاصر مدينة ماتونا فلم يقدر المسلمون عليها لانها كانت حصينة واسوارها منيعة . فحالما نظروا مراكب البندقيين قادمة في ذخائر للمدينة خرجت اليهم مراكب السلطان وصار الحرب . واذ تجمعت اهالي المدينة ليحاربوا و يحاموا عن مراكب البندقية هجمت عساكر السلطان بجسارة وملكوا الاسوار وصعدت الانكشارية اولاً . وركزوا الاعلام على الاسوار ودخل العسكر واختطفوا النساء والاولاد وصار حرب عظيم ثلاثة ايام بين عسكر المسلمين واهل المدينة . وقتلوا اهلها من ابن اثني عشر سنة فصاعداً . ولما نظر اهل كوروني ما جرى على هؤلاء ارسلوا مفاتيح المدينة الى السلطان بيازيد . ثم تملك مدينة نافاير ينوس وهي مدينة نسطور الملحد . ثم رجع السلطان الى القسطنطينية . و(فيها تنازل الملك قايتباي الى السلطان بيازيد عن طرسوس وادنة مرضاة له . وفيها كان خضوع المغاربة الى فرديناند)

وفي السنة ٨٩٧ هـ = ١٤٩١ م قدم من الفرس شاه لواي . وهو عبد اسماعيل شاه في عساكر كثيرة من قرمان ومن انفراسا كيوس والطور . فلما سمع بذلك قرا كوز باشا الذي كان مقيماً بتلك الناحية ارسل فاخبر السلطان بيازيد . فارسل اليه الي (لوبماعلي) باشا مع اجناد كثيرة من الانكشارية . وكانت هذه الزمرة قد انشأها السلطان بيازيد وسماها الانكشارية لان المقدم عليها اولاً كان اسمه انكشار وكان شجاعاً في الحروب وقد قويت زمرته وانشأ ايضاً زمرة ثانية مع اسبهان باشا وسميت اسبهانية . وفي ذلك الوقت

خرجت تلك العساكر لمحاربة شاه لواي . وكان ينهب و يخرب في بلاد قرمان . ولما اقترب منه الي" باشا كان القرمانيون يظهرون انهم من ميل الي" باشا . ولما اشتبكت الحرب ولوامنهزمين فظفرت عساكر لواي بالي" باشا وقتلوه الا ان قراكوز باشا انجد عساكر السلطان وهزم عساكر لواي . ولما بلغ السلطان ذلك لم يقدر ان يصنع مع القرمانيين شيئاً لانه كان مريضاً . ولما تعافى السلطان من مرضه ابتدأ يتجهز للسفر ضد العجم . (وفيها اخرجت المغاربة من غرناطة بعد ما تسلطوا عليها ما يقرب من ٨٠٠سنة وفيها نفي ١٦٠ الف يهودي من اسبانيا . وفيها اكتشف خريستوفورس كولمبس جزيرة سان سلفادور من اميركا وفي السنة ٨٩٨ هـ = ١٤٩٢ م اكتشف جزائر انتليس من اميركا ثم اكتشف اميركا وفي السنة ٨٩٩ هـ = ١٤٩٣ م وضعت اول مطبعة في كوبنهاغن عاصمة الدانمارك)

وفي السنة ٩٠٠ هـ = ١٤٩٤ م كانت الموقعة بين اهل داريا وغوط الشام فخرج العسكر وقتل ما ينوف عن مائة قتيل . وفيها توفي الملك الاشرف قايتباي [1] (و يروى قايدبيه) ابن عبد الله وتولى بعده ولده ابو السعادات ولقب بالملك الناصر محمد قانصوه وهو الرابع والاربعون من ملوك الترك والتاسع عشر من الجراكسة بالديار المصرية . وفيها توفي نائب دمشق وخلت من الحكام وكثر النهب والفسق ووقع الاختلاف بين القيسية واليمنية . فسار اينال نائب حلب الى دمشق ليكون نائباً عليها فمنعه الداودار عن الدخول . ولما بلغ السلطان قانصوه خرج بالعساكر المصرية وكان ملتقى الجمعين عند جب يوسف فكانت الهزيمة على المصريين وقبضوا على السلطان وقتلوه وجلس على تخت السلطنة الداودار وهو الخامس والاربعون من ملوك الترك والعشرون من الشراكسة بالديار المصرية . وفي هذه السنة قام الامير بكر الشهابي وطلب الامارة لنفسه ضد ولد اخيه الامير علي ولذلك قبض عليه ووضعه في السجن . وتربع الامير بكر على دست الامارة و بقي مسجوناً ثلاثة اشهر ثم انه هرب ليلاً الى جبل الشوف ودخل على خاله الامير يونس المعني . ولما رآه تعجب كيف خلص من السجن وسُرّ به غاية السرور . ولما شاع خبره انه في الشوف اتت اليه اتباعه واصحابه وابتداء يراسل اهالي وادي التيم . (وفيها انشأ الامير ازبك اليوسفي جامعه بحارة ازبك بشارع بركة الفيل بالقاهرة وفيها اجرى الخواجه مصطفى بن محمود بن رستم الرومي عمارة الجامع الازهر وصرف عليه

(١) يروي ان وفاته كانت سنة ٩٠١ هـ وقد حكم ٢٩ سنة واربعة اشهر وعشرين يوماً

خمسة عشر الف دينار وفيها كانت ولادة السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم · وفي السنة التالية انتصر كارلوس الثامن على الايطاليين في فورنو · وفي السنة ٩٠٢ هـ = ١٤٩٦ م بني جامع ام الغلام بشارع قصر الشوك · وفيها كان الحروب بين الامير الداودار والناصر ابن محمد ابن الاشرف قايتباي · وفيها اكتشف امريكوس اميركا الشمالية · وفي سنة ٩٣٠ هـ = ١٤٩٧ م اكتشف الانكليز كنادا وفيها سار البرتوغاليون الى الهند على طريق راس الرجاء الصالح · وفي سنة ٩٠٤ هـ = ١٤٩٨ م قتل طومان بابي السلطان محمد ابا السعادات الملقب بالملك الناصر بالقرب من قرية الطالبيه من اعمال الجيزه بعد ان حكم سنتين وثلاثة اشهر فولي السلطنة بعده ابو سعيد قانصوه ولقبوه بالملك الظاهر · وفيها صار اكتشاف الساحل الشرقي لامريكا)

وفي سنة ٩٠٥ هـ = ١٤٩٩ م سار جنبلاط نائب دمشق الى مصر واتفق مع قواد العسكر والامراء · ثم القوا القبض على الملك الداودار وارسلوه الى سجن الاسكندرية ثم اقاموا على السلطنة الملك الاشرف خان · وهو السادس والاربعون من ملوك الترك والحادي والعشرون من ملوك الشراكسة · فنقل من نيابة طرابلس الى حلب ونقل قصرون من نيابة حلب الى دمشق فخالف قصرون الامر السلطاني واظهر العصاوة فجهز السلطان العساكر المصرية لمقاتلته · وكان قائد الجيش طومان ابن الداودار · ولما دنت العساكر من دمشق خرج قصرون فالتقاه احسن ملتقى وانزله في القصر الابلق وانزل العساكر في المرجة واكرم طومان غاية الاكرام · وعند الصباح قدمت امراء مصر على طومان ليقبضوا على قصرون فامر بالقبض عليهم · وحضرت العساكر الشامية وبايعت طومان في السلطنة وتلقب بالملك العادل [1] · وركب بالاعلام السلطانية من القصر الى القلعة وتسلمها وسجن بها امراء مصر · ثم ولى على نيابة الشام الذي كان نائبًا بحلب واخذ قصرون صحبته وسار في العساكر الشامية والمصرية لأخذ مصر · ولما وصل وقع الحرب بين جان بلاط وبين طومان فانتصر طومان عليه وقتله وجلس مكانه على تخت السلطنة · وهو السابع والاربعون من ملوك الترك · والثالث والعشرون من ملوك الشراكسة بالديار المصرية · فاعطى قصرون الامارة الكبرى · ثم بعد مدة ظهر منه خيانة فقتله وولى مكانه على الامارة الكبرى قانصوه الغوري وصار قصرون داودارًا كبيرًا فنفرت الناس منه واجتمعت قواد العساكر واقاموا الغوري سلطانًا وخلعوا طومان عن السلطنة وجلس

---

(١) ذكر بعض المورخين ذلك سنة ٩٠٦ هـ وايضًا اقامة قانصوه الغوري كانت فيه كما سياتي

قانصوه الغوري على تخت السلطنة وبايعه الناس . وهو الثامن والاربعون من ملوك الترك والرابع والعشرون من ملوك الشراكسة فساس الدولة ومهد امورها واطاعته جميع امراء مصر . ثم انه ولى على نيابة الشام قانصوه المحمدي فاتي الى البقاع نهرب منه ناصر الدين ابن محمد ابن حنش مقدم البقاع . وجرت بينهما امور كثيرة . ثم وقعت الفتنة بين اهل الشام ونائبها فاحرق الشاغور وجرت بينهم حروب كثيرة . ثم وقع الصلح عن يد ابن الكسيح شيخ الاسلام بدمشق .

وفي هذه السنة جمع الامير علي الذين اتي بهم من وادي التيم وسير معـه الامير يونس رجال الشوف الي البقاع ولما بلغ الامير بكر قدومه جمع رجال وادي التيم لملتقاه ولكن لم يسر معه احد الا قهراً . وكان القتال بينهما في مرج الشميسة . فانصرفت اصحاب الامير بكر عنه ولم يبق معه الا القليل فدارت حوله اصحاب الامير علي وقبضوا على الامير بكر وعلى ثلاثين من اصحابه فتقدم الامير علي وطعنه بالرمح في صدره فالقاه قتيلا على ظهره والغلمان قتلوا بقية اصحابه . ثم تقدمت اهالي وادى التيم الى الامير علي وهنأوه بالسلامة وسار الى حاصبيا فالتقاه بقية اهالي البلاد والامراء وهنأوه بالسـلامة وساس الرعية احسن سياسة وقرّر كل منهم على رتبته وعاش عيشـة حميدة الى نهاية حيوته . و بعد وفاته تولى مكانه ولده الامير ملحم . (وفيها اشهر السلطان بيازيد الحرب مع البنادقة وكان تعطيل التجارة وصعوبتها سبباً في نقض الصلح وايقاع الحرب دائماً بينهم وبين السلطان وفيها اكتشف البورتغاليون بلاد البرازيل . وفيها كان الطاعون في انكلترا . وفيها اكتشف متسان نيكوف نهر الامازون . وفيها فتح العثمانيون مدينتي مدون وقرون)

وفي السنة ٩٠٦ ﻫ = ١٥٠٠ م في ١٨ جمادي الاخرة خلع قانصوه الثالث وتولى سيف الدين طومان باي ولقبوه بالملك العادل . وفيها انشأ الملك العادل ابو النصر طومان باي جامع العدلي بالعباسية . وفيها اضمر المماليك مكيدة يقتلون بها طومان باي فعلم بذلك ففر واوى الى مكان ظنه ملجأً حصيناً مكث فيه اربعين يوماً . ثم علم به المماليك فامسكوه وقتلوه وولوا مكانه قانصوه الرابع الملقب بالغوري ولقبوه بالملك الاشرف وفي السنة ٩٠٧ ﻫ توجه العثمانيون الى نهر الطونه لقتال ملك المجر حيث كان يشاغلهم لمساعدة البنادقة . وفيها اكتشف حنا توما البرتوغالي جزيرة سنت هيلانه . وفيها ادخلت اول عربة ركوب لاسكوتلاندا لما رجعت الملكة ماري من فرنسا وكانت تخص الاسكندر لوردسيتون . وسنة ٩٠٨ ﻫ انشأ ابو البقا جلال الدين الصديقي جامع

البكرية بالقاهرة بالقرب من جامع الرطلي · وفيها كانت حروب شديدة بين الفرنساويين والاسبانيوليين)

وفي السنة ٩٠٩ هـ = ١٥٠٣ م يذكر ابن سباط في تاريخه بانه قدم الى دمشق رجل في وجهه عين واحدة فوق انفه ونازل من جبهته لحمة على وجهه تشبه كرش الغنم مدلاة من اعلى راسه الى صدره · واذا اراد ان يمشي لا يقدر ان ينظر فيرفعها بيده عن وجهه · و يذكر ايضاً انه قدم الى مدينة بيروت رجل له بكل يد ثمانية اصابع اربعة في المكان المعتاد واربعة مكان الاباهم · وفي هذه السنة اقترنت السيارات الاربع زحل والمشتري والمريخ والقمر في برج السرطان وذلك من نوادر الزمان · ثم انه جاء سيل عظيم دام سبعة وعشرين يوماً لم تبن الشمس والقمر اثناءها · وفاضت الانهر فيضاناً عظيماً حتى ان نهر بردى في دمشق اخذ كثيراً من البيوت والخانات · ونهر البقاع (اي الليطاني) اخذ جسر القرعون [1] · ونهر صيدا المعروف بنهر الفريديس [2] (الاولى) اخرب ماعليه من الجسور (الكباري) والطواحين وقلع اشجاراً كثيرة · ونهر الصفا ارتفع فوق الجسر الذي بناه القاضي [3] ماينوف عن قامة انسان · وحمل الى فوقه شجرة دلب عظيمة · ونهر ابرهيم ارتفع ماؤه الى الجسر · ونهر طرابلس (ابي علي) اخرب بنايات كثيرة من المدينة وهدم بيوتاً كثيرة من القرى لزيادة المطر · وفي هذه السنة كانت وفاة الامير علي الشهابي وتولى بعده ولده الامير منصور · وكان اميراً هماماً وسيداً مقداماً · وفيها كان الفراغ من بناء مدرسة الغوري التي براس الشوايين بالقاهرة · وفيها عقدت شروط صلح بين السلطان بيازيد والبنادقة وبمقتضاه صار البنادقة يتجرون على البحر الاسود بلا معارضة · ورخص لهم في ارسال قنصل الى القسطنطينية لكن نزعت من ايديهم مدائن قورون (قرقره) ومدون (بطون) واينه يختي

---

(١) القرعون بلدة كبيرة في شرقي البقاع مقابل سغبين وعلى نهر الليطاني جسر هناك كان قديماً في ذلك المحل ولو تجدد حديثاً

(٢) الفريديس قرية قديمة من مقاطعة العرقوب الاسفل مقابل الباروك ولقدميتها وشهرتها اكثر من الباروك نسب النهر اليها مع انه الان ينسب للباروك وعلى هذا النهر جسور كثيرة من منبعه الى مصبه بقرب صيدا

(٣) ذكر الامير حيدر ان هذا الجسر بناه القاضي والصواب ان القاضي الذي بنى الجسر محل جسر قديم لم يولد بعد وكان حقه ان يقول ارتفع فوق الجسر الذي كان محل جسر القاضي

وفي السنة ٩١٠ هـ = ١٥٠٤ م جهز نائب دمشق عسكرًا مع جوان بك الى البقاع فقتل عند جسر كامد (هو جسر القرعون و يسمى جسر كامد نسبة الى قرية اخرى بهذا الاسم اقرب اليه لشرقيه . وقتل معه نحو ثلاثمائة شخص . وكانت الموقعة بينهم و بين الامير فخر الدين بن عثمان بن معن امير الشوف من اعمال صيداء . ثم جمع نائب الشام العساكر (قاصدًا محاربة الامير فخر الدين المعني) وقبل خروجه اصابه مرض ومات . وتنصب بعده على دمشق سيباي الاشرف . و بعد ايام قليلة قبض على الامير فخر الدين ابن عثمان بالامان . يذكر بارونيوس انه في هذه السنة تجدد الحرب بين البنادقة و بين السلطان بياز يد الثاني وتملك منهم بعض مدن وهي فرقرا ومدينة مطون الشهيرة . وقتل فيها جمع غفير من النصارى . ثم ان البنادقة تملكوا مدينة مورا . ثم انه تقرر الصلح بين السلطان بياز يد والبنادقة الى زمن لسبب اهتمامه بظهور خارجي في بلاد العجم يقال له اسماعيل الصوفي الذي قد تملك كل مملكة فارس وصار له حزب قوي . وكان يزدري بالاشياء العالمية ويكره الاكرام الدنيوي و يدعي انه من نسل علي ابن ابي طالب . وان لاحد يدخل الجنة الا و يكون من شيعته . فتبعه اناس كثيرون . لاجل ذلك خاف منه كثيرا السلطان بياز يد وعمل الصلح مع البنادقة . (وفيها ارسل الغوري جيشًا من المماليك الى الهند بقصد طرد البرتوغاليين عنها وترجيع التجارة الى طريق مصر لانها كانت اخذت طريق راس الرجاء الصالح ولكنه لم ينجح في هذا القصد بل انكسرت عساكره البحرية . وفيها كان اول ضرب الشلن في انكلترا وفيها استولت الاسبانيول على صوران (لربما يراد بها قسم من اسبانيا). وفيها توفي ايوان الثالث امبراطور روسيا)

(وفي السنة ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م حصلت ثورة جنوا ضد احكام الفرنسويين. واكتشف لوران الميدا جزيرة سيلان وفي السنة ٩١٢ هـ توفي خريستوفورس كولومبس في حالة الفقر والذل والنسيان . وفيها اخمد لويس الثاني عشر ثورة الجنويين . وفيها اكتشف البرتوغاليون جزيرة مداكسكر) .

وفي السنة ٩١٣ هـ = ١٥٠٧ م كان النائب في دمشق سيباي الاشرف وفي المملكة الحلبية خير بك . وفيها في شهر تموز حدث سيل عظيم في جبل الشوف حتى ارتفع نهر الصفا فوق الجسر الذي كان محل جسر القاضي . وقيل انه لم يعهد سيل مثله ولا في ايام الشتاء واعدم كثيرًا من الزرع . وفيها كانت وفاة الامير يوسف ابن الامير

فخر الدين المعني حاكم الشوف من اعمال صيداء وكان عمره سبع عشرة سنة . (وفيها اكتشف سبكير البرتوغالي جزيرة سومترا وشبه جزيرة ملقا)

(وفي السنة ٩١٤ هـ = ١٥٠٨ م انشق جسرام دينار على نهر النيل ليالي الوفاء فاضطربت احوال الناس وحصل بسببه ضرر وصاروا يمسكون الناس من الطرقات ويقيدونهم ويتوجهون بهم الى الجسر (لربما للمعاونة لاصلاحه) وفي السنة ٩١٦ هـ امر السلطان بسد خليج الزربية في مصر وعمل عليه جسرًا فاقام نحو سنتين ثم بطل ذلك واعيد كما كان . وفيها توقف النيل عن الزيادة وفي السنة ٩١٧ هـ اكتشف ايبو البرتوغالي جزائر السند . واجتاز الامير سليم بوغاز القسطنطينية ومعه عشرون الفًا قاصدًا قتال ابيه السلطان بيازيد فخاب سعيه والتجأ الى ارض القرم . ثم عاد للقتال فلم يقدر والده على مقاومته فعهد اليه بالسلطنة وخلع نفسه وطلب ان يذهب الى مدينة ادرنه ليقيم بها فتوجه وسار معه السلطان سليم حتى وصلا الى مكان معلوم فعند ذلك جثا على ركبتيه وسال ابوه الدعاء لكن لما علم منه التواني في السير وقع منه في نفسه شيء وقيل انه امر بسمه)

الفصل الثالث

في سلطنة السلطان سليم وهو التاسع من ملوك آل عثمان

وفي السنة ٩١٨ هـ = ١٥١٢ م مرض السلطان بيازيد ولما بلغ ولده الامير سليم ذلك وكان وقتئذٍ في طرابزون جهز عسكرًا من التتر واتى الى القلعة البيضاء واتى اخوه احمد الى معونة ابيه ودخل احمد الى القسطنطينية متخفيًا واجتمع بابيه وهو مريض بقصد ان يساعده للحصول على السلطنة الا ان الانكشارية لم يريدوا ان يملك بعد السلطان بيازيد غير ولده سليم . ولما وصل سليم الى مدينة ادرنة كان السلطان بيازيد قد غضب على ولده سليم وامر باخراج العساكر وخرج هو من العرش تجاه عسكر ولده سليم فهزمه وهرب سليم مع جماعة قليلة من عسكره الى مدينة ميدية ونزل في مركب الى فرنا . وقبض ابوه على خواص دولته واصحابه وامر بضرب اعناقهم . ولما دخل سليم الى الكيفا وقد خسر كلما كان معه من الخيل والسلاح والمال وتشتت عسكره وبقي حزينًا . ورجع ابوه بيازيد الى القسطنطينية . وازداد مرضه فتشاور رجال الدولة والانكشارية وقرّ رأيهم على تمليك سليم مكان ابيه لما رأوه قد صار شيخًا كبيرًا . وازداد المرض عليه ولم يعد يقدر ان يحارب ويسير صحبة العساكر . فدخلوا على

السلطان بيازيد وطلبوا منه ان يكون هو الجالس على عرش القسطنطينية · وولده سليم يسير قدام العساكر و يتعاطى الامور فغضب السلطان من ذلك الكلام · ولم يوثر ان يسمع كلامهم · ولما رأى الانكشارية انه لم يرضَ بذلك تشاوروا واتفقوا على ان يقتلوا الوزراء و يخربوا المدينة · ثم ارتضى معهم السلطان بكره · وكان كل الشعب يحب سليماً ويميل اليه دون اخوته · ولما بلغ اخاه ذلك حضر بغتة الى بيت الانكشارية وقال لهم انتم تعلمون ان لي استحقاقاً في الملك اكثر من اخي لاني انا الاكبر وجلست على الكرسي حين تملك ابي · والافضل لي ان اموت ولا ارجع الى مغنيسيا خائباً · فاجابوه ان الامر قد فات · وذهب عجم باشا ليدعو اخاك سليماً · وقد ارتضى ابوك بذلك · ولما راى ان ميل الانكشارية كان لاخيه سليم سار الى ابيه ودخل عليه ليلاً وسجد له باكياً · الا انه لم يجد فرجاً من ابيه فرجع حزيناً الى مغنيسيا · ثم قدم سليم ودخل القسطنطينية · وكان نبلاء المملكة قد ذهبوا اليه · واتى الانكشارية مسلحين ودخلوا على السلطان والزموه ان يقلد سليماً السلطنة فالتزم كرهاً وسلمه تقليد المملكة واتى رجال الدولة والاغوات بالسلطان سليم واجلسوه على عرش المملكة وتنحى ابوه عن الملك · وبعد عشرين يوماً توفي فدفنوه في الجامع الذي بناه باسمه · وكانت مدة تملكه في القسطنطينية اثنتين وثلاثين سنة · (وفيها جاء كركوه اخو السلطان سليم الى مصر ملتجئاً اليها بعد ان خاصم اخاه على الملك · وفيها اكتشف بونك الاسبانيولي فلور بدا في الولايات المتحدة)

وفي السنة ٩١٩ ﻫ = ١٥١٣ م حين تملك السلطان سليم ذهب الى بورصا واحضر اولاد اخوته من بلاد قرمان وقتلهم ومضى الى مغنيسيا فهرب اخوه الى اماكن صعبة المسالك · ولم يزل السلطان سليم يطارده الى ان وقع بيده وقتله وافنى ذرية آل عثمان وراق له الزمان · وجعل اثقالاً على الرعية ومظالم جديدة وقتل بعضاً من رجال الدولة فهابته الانكشارية · وبعد ذلك جهز جيشاً ضد الشاه اسماعيل لانه تملك على بغداد والتتر والجزر البحرية · ونمي سلطانه وكثرت اعوانه · فسار اليه السلطان سليم في عساكر لا تحصى فتملك مدينة قاراشا و بناتيور وتدريز · وصار بينهما حرب عظيمة وقتل من العسكرين خلق كثير · وكانت الفرس ذوي خبرة في رمي السهام · ثم ظفرت العساكر العثمانية بالفرس · وقد قتلوا واسروا منهم كثيراً وملكوا اموالاً زائدة · ورجع السلطان سليم الى القسطنطينية بكل عزٍ ظافراً في

اعدائه وكان في رجوعهم انهم قاسوا مشقة عظيمة وجوعاً شديداً . لان الشاه كان قد احرق كل شيء موجود من المأكل وهلك من عسكر السلطان اناس ودواب كثيرة من الجوع وتركوا كثيراً من السبي والغنائم اذ لم يقدروا على حملها . وبعد دخول السلطان الى القسطنطينية ارسل ولده سليمان الى مغنيسيا . (وفيها اكتشف نبخومي بالدور البحر الجنوبي . وبقيت الكرات الحجرية مستعملة في المدافع لغاية هذه السنة)

(وفي السنة ٩٢٠ هـ = ١٥١٤ م اغار السلطان سليم على دولة الصوفية فدخل بلاد الارمن . ثم التقى بالعجم تحت اسوار مدينة طوروس في سهل شلديران فانهزم العجم لكثرة العثمانيين الذين مع نصرتهم قتل منهم اربعون الفاً وفيها الحقت مملكة نافار الى مملكة الكاستيل . وفي السنة ٩٢١ هـ اكتشفت بيرو . وفيها اباد السلطان سليم البادوليت حاكم ارمنستان وعائلته عن اخرهم لكونه خانه في مبداء حربه مع العجم . وفيها تغلب السلطان سليم على ديار بكر بدون قتال)

وفي سنة ٩٢٢ هـ = ١٥١٦ م كانت الموقعة بين قانصوه الغوري ملك مصر وبين السلطان سليم خان ابن عثمان ملك القسطنطينية وبلاد الروم عند مرج دابق الذي بقرب حلب . والسبب ان السلطان سليم ابن بيازيد من حين استقر على تخت ملكه وهو في حرب مستديم مع اسماعيل شاه ملك العجم حتى هزمه ودخل بعساكره وتملك تبريز وكسر عساكر قزل باشا واعطى الرعية تمام الامان وانهزم اسماعيل شاه من قدامه . وكان بين اسماعيل شاه والملك الاشرف قانصوه الغوري ملك مصر محبة واتفاق . فلما كان الحرب بين ابن عثمان والشاه أمدّت الغوري الشاه بالاسعافات وارسل خفراء ليمسكوا الطريق على قوافل ذخيرة ابن عثمان . ومنع الاحمال ان تصل الى عساكر السلطان سليم . وقد قل الزاد والذخيرة عن العساكر حتى بيع رغيف الخبز بعشرة دراهم . ولما انتصر السلطان على الشاه حول العساكر الى قتال ملك مصر . ولما بلغ الاشرف قانصوه الغوري ذلك خرج بالعساكر المصرية الى نواحي حلب وكانت الوقعة كما ذكرنا في مرج دابق . وكانت الديار الشامية في حكم ملوك مصر الشراكسة . وكان في ذلك الوقت خير بك نائباً بحلب . والغزاله (الغزالي) بدمشق فكاتبهما السلطان سليم ووعدهما ان انتصر على الشراكسة بوليهما على الايالات المصرية والشامية ولما التقت العساكر امر السلطان الاشرف قانصوه خير بك والغزالي ان يكونا قائدي العسكر وان يقدما الى الحرب . وكان ابن معن وامراء جبل الشوف صحبة خير بك

والغزالي • فقال الامير فخر الدين لمن معه من رجاله وقومه دعونا ننفرد لننظر لمن تكون النصرة فنقاتل معه • ولما اضطرمت نار الحرب فرّ الغزالي وخير بك الى ناحية عسكر السلطان سليم بمن معهم من الديار الشامية • وبقي الغوري بعسكر المصريين • فقتل سيباي نائب دمشق ونائب صفد • وانكسرت العساكر المصرية كسرة عظيمة • ومن شدة ماجرى على الغوري من الضيق والغضب لسبب خيانة النواب له ضرب نفسه بخنجر فقتل • وقيل ان احد العساكر لما صارت الكسرة قتله وقيل انهُ قتل تحت ارجل الخيل • وغنمت عساكر بني عثمان اموالهم وملك السلطان سليم الوثاق والخيل والخزائن • ثم صعد الى مدينة حلب واعطاهم الامان • وخطب باسمه في الجوامع • ودخل الى قلعة المدينة واقام مدة ورتب الاحكام على الرعايا • وبعد ذلك ملك حماة وحمص وسار بالعساكر الى دمشق فخرجت اهلها الى لقاه واعطاهم الامان • ودخل بفرح عظيم • وبعد ذلك رحل في الجيش الى مصر فلما نزل بغزة سار وحده الى زيارة القدس الشريف ومعه نفر قليل • ورجع الى غزة • (وفي هذه السنة اكمل الغوري انشاء جامعه المعروف عند قره ميدان عند باب المتولي شرقي ساحة المحافظة في سوق الغورية)

واما ما كان في مصر بعد موت الغوري فان امراء الشراكسة اجتمعوا و بايعوا طومان باي الثاني ابن اخي الغوري الذي كان استخلفه الغوري عند مبارحته القاهرة واقاموه نائبًا على المملكة ولقبوه بالملك الاشرف ايضًا • فجمع العساكر وخرج من مصر • ونصب المدفع الكبير وحوله خمسين مدفعًا دونه • وقدم السلطان سليم وتاهبت العساكر لقتاله • واعتق سلطان مصر العبيد واعطاهم السلاح وكانوا يزيدون عن الستين الفًا • وتقلد نساء كثيرات من المصريات السلاح وخرجن للحرب • وصار حرب عظيم بين السلطان سليم والمصريين فملكت الانكشارية باب النصر • ودخلوا المدينة • ودخل السلطان سليم و بقية عسكره • وحدث حرب عظيمة داخل المدينة يومين وليلتين • ثم طلب المصريون الامان فاعطاهم الامان بعد ماقتلوا الشراكسة بشجاعة وقتل في تلك الوقعة الوزير سنان باشا الكبير فحزن عليه السلطان سليم حزنًا عظيمًا • ثم ارسل السلطان سليم الشراكسة الى الاسكندرية وارسل وقتلهم هناك واباد اسم الشراكسة الاتراك من الديار المصرية • وكان عدد الملوك الذين ملكوا من الاتراك والشراكسة تسعة واربعين سلطانًا في الديار المصرية والشامية • واما الذين يحسبونهم خمسين سلطانًا فيكون ذلك باضافة شجرة الدر لانها ملكت باسمها ثلاثة اشهر و يذكر المورخون انه في هذا

الحرب صار ظلم عظيم على الخلق فجمع الخراج في هذه السنة مرتين . وكان غلاء عظيم في كل مكان . وجلس السلطان سليم في مصر وامر ببنيان القصر المشرف على شاطي النيل واعطى الامان الى عيال الشراكسة سمح لهم بالتصرف في املاكهم . واقام خير بك نائباً على الديار المصرية . واستناب (الغزالي) على الديار الشامية . (لهذا السبب يحسب جملة من المورخين ان السلطان سليم السلطان الاول من سلاطين آل عثمان لانه هو الذي ازال حكومة الشراكسة والاتراك وصارت جميع المملكة الاسلامية له) وكتب وهو بدمشق الى امراء جبل لبنان بالامان . وحضر اليه الامير فخر الدين ابن الامير عثمان ابن معن والامير جمال الدين اليمني والامير عساف التركماني وغيرهما من امراء البر . ولكن الامراء التنوخيين (القيسيين) لم يحضروا لانهم كانوا من حلف الشراكسة . و يدعون القرب منهم . ولما حضر الامراء قدام السلطان صحبة خير بك والغزالي تقدم الامير فخر الدين ابن معن وقبل الارض ودعا للسلطان سليم هذا الدعاء : « اللهم ادم دوام من اخترته لملكك وجعلته خليفة عهدك . وسلطته على عبادك وارضك . وقلدته سنتك وفرضك . ناصر الشريعة النيّرة الغراء وقائد الأمة الطاهرة الظاهرة سيدنا وولي نعمتنا امير المؤمنين . الامام العادل . والذكي الفاضل الذي بيده ازمة الامر بادشاه ادام الله بقاه . وفي العز الدائم ابقاه . وخلد في الدنيا مجده ونعماه . ورفع الى القيامة طالع سعده . و بلغه مأموله وقصده . من ملك الملك بالعقل والتدقيق ومده الله بالاقبال والتوفيق . اعاننا الله بالدعاء لدوام دولته بالسعد وتخليد بأنعم العز والتمهيد آمين» . وحين اكمل الامير فخر الدين هذا الدعاء تقدم وقبل كم القفطان . فسأل السلطان خير بك عنه . فاعلمه انه امير من سكان البر يحكم قرى واماكن في جبال ضيقة من اقطاع الشام فاحبه السلطان سليم لاجل فصاحته وجسارته وانعم عليه وقربه لديه . وقال هذا الرجل بالحقيقة واجب ان يدعى سلطان البر . ومن ذلك الوقت لقب ابن معن بهذا الاسم اي سلطان البر . وكان كل من تولى في ذلك الوقت على ولاية يدعى سلطان . ثم طلب غيره من الامراء الاذن بان يدخلوا على السلطان فقيل لهم بان الامير فخر الدين قد دخل فلا لزوم لغيره ان يدخل . وقرر الامير فخر الدين على بلاد الشوف والامير جمال الدين اليمني على بلاد الغرب . والامير عساف على بلاد كسروان و بلاد جبيل وامرهم ان يحسنوا السياسة الى قومهم . وان يسعوا بكلما يؤول لعمار بلدانهم . ولزيادة حلمه رتب عليهم مالاً قليلاً فجعل على بلاد كسروان سبعمائة سلطاني وكان السلطاني يساوي ثلاثين

غرشاً اسدياً واعطاهم بذلك خطاً شريفاً . وعندها اجتهد بعمار البلاد وقدمت اليه الناس من كل جانب . فالمتاولة من بلاد بعلبك اختاروا السكنى في فاريا وجراجل وبقعاتا وقرية السنني من البقاع واستوطنوا في فتقه . وساحل علما وفيطرون وعرامون (عرامون كسروان) وغزير . ثم جاؤا الى المتن والجرد وسكنوا في برمانا ومزارع كسروان وكذلك النصارى النازحون من طرابلس واهالي المجدل سكنوا في عرامون (عرامون كسروان) واهالي ينوح سكنوا في الفتوح . والشيخ حبيش ابن موسى ابن عبدالله انتقل من انوح الى غزير . واما الامراء بيت عساف فكان مقامهم في كسروان في وطاء عين شقيق . وفي الشتاء كانوا ينزلون الى عين طورة وقومهم تفرقت في الزواق وعلى ساحل البحر . فلما اتاهم العفو من السلطان سليم خان انتقلوا الى قرية غزير واستعمروها وهم ثلاثة اخوة حسن وحسين وفائد بيه . ذكر المؤرخ ان السلطان سليم بعد تملكه مصر ابتدأ ينظم امورها فجمع من بقي من مماليك الشراكسة وعين منهم اربعة وعشرين سنجقاً وفرقهم على الولايات . وانشأ منهم سبع وجاقات . فالاول الوجاق المستحفظ . والثاني وجاق العزبان . والثالث وجاق الشاويشية . والرابع وجاق التفكجية والخامس وجاق الجمالية والسادس الوجاق المتفرق والسابع وجاق الشراكسة . وهذه السبع وجاقات متعلقة بسبع وجاقات الانكشارية الموجودين في مدينة القسطنطينية . ورتب عليهم وزيراً قائم مقام في القلعة السلطانية اي قلعة الجبل . وامر ان تسلم ابواب القلعة للوجاقات السبعة . وتعاهد معهم ان يحفظوا الوزير من القتل . وهو ايضاً يحفظ وجاقاتهم من القتل حينما يتوجهوا بالخزينة في كل عام الى القسطنطينية . وفوض اليهم عزل الوزير . وان لهم السلطان بذلك وانهم يقدرون ان يطلبوا غيره من باب الدولة العثمانية . ثم حرّر هذا الملك العظيم مداخيل مملكة مصر بكل عدل وانصاف وقسمها ستة وثلاثين قسماً ورتب تفريقها ترتيباً حسناً . فمنها الى الوجاقات السبعة . ومنها الى الحرمين الشريفين . ومنها الى القلعة . ومنها الى البنايات . ومنها الى الوقوفات . واقتنع هذا الملك العادل بخزينة واحدة من المال ان تورد له في كل عام . وان يخطبوا باسمه في جميع الجوامع كما كانت العادة لمن قبله من الملوك وتضرب السكة باسمه . واستمرت مملكة مصر على هذا النظام عدة سنين وكان الصوت الاول في الحكم الى الوزير ثم الى الوجاقات وحصلت الراحة التامة في القاهرة . ولازال ذلك الحال يتداول على هذا المنوال تداول الايام والليالي . (وفيها استولت الاسبانيول على جميع بلاد اسبانيا)

وفي سنة ٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م رجع السلطان سليم من من مصر الى دمشق وقرّر نيابتها الى جان بردي الغزالي · واضاف اليه القدس وغزة وصفد والكرك · واما حمص وطرابلس والمدن البحرية فجعلها بايدي عماله · ثم انه رجع الى بلاد الروم وتولى على البرين والبحرين والحرمين الشريفين وديار ربيعة وغيرهما · وكتب على السكة سلطان البرين وخاقان البحرين ·

(وفي هذه السنة في ٢ محرم احضر للسلطان سليم مفاتيح القلعة في مصر وهو في بولاق وفي ٣ منه دخل القاهرة من باب النصر · وفي ١١ منه نودي بالامان ذكر ذلك الامير حيدر في السنة السالفة والصحيح انه حدث في هذه السنة · وفي ٦ ربيع اول ضربت اعناق ٥٤ اميراً من المماليك وفي ١٢ منه صار شنق طومان باي على باب زويلة · فانقطع به الحبل مرتين وفي الثالثة قضي عليه وبقي معلقاً ثلاثة ايام · وحدث غلاء شديد بسبب الحرب · وفي ٢٣ شعبان خرج السلطان سليم من مصر الى القسطنطينية واخذ معه ابن الغوري ومحمد المتوكل على الله العباسي وترك في مصر شخصاً يقال له خيربك لقبه باشا وجعله والياً عليها · وفيها استولت الاسبانيوليون على جزيرة سيسيليا)

(وفي سنة ٩٢٤ هـ = ١٥١٨ م ابتدأ الامير حسن ابن عساف في بناء السراي في قرية غزير · وقد كان له ثلاثة اولاد كما سبق الشرح وهم الامير حسن وحسين وقائد بيه · ثم توفي الامير حسين الذي كان حاكماً على بلاد كسروان وجبيل وتولى بعده الحكم من قبل وزير الشام على كسروان اخوه الامير حسن · ثم وقعت الفتنة بينه وبين اخيه الامير قائدبيه · فرحل الامير قائد بيه الى الشويفات الى الامير جمال الدين ثم وقع الصلح بينهما ونزل الامير حسن الى بيروت فغدر به قايد بيه وقتله · واراد ان يقتل منصوراً ابن الامير حسين لكنه تاخر عن ذلك لبينما يرزق ولد يخلفه · حينئذٍ ظفر الامير قائدبيه ببلاد كسروان وحده · وقبض على يوسف ابن حبيش وعلى اخيه سليمان لانهم كانوا عند اخوته فحبسهم وغرمهم ونفاهم الى مصر · وما زال حاكماً البلاد لنهاية حياته · وفي هذه السنة جاء ثلج عظيم احرق الزروع واباد البهائم · (وفيها اكتشف مرتيد كوردوا بلاد المكسيك · وحصل غلاء شديد في بلاد مصر لنقص النيل · وفيها انشأ الشيخ عبد القادر الدشطوطي جامع الدشطوطي خارج باب الشعرية بالقاهرة ·)

(وفي السنة ٩٢٥ هـ = ١٥١٩ م قبض ملك الامراء على جماعة من اليهود من معلمي دار الضرب وامرهم بالتوجه الى اسلامبول لاصلاح المعاملة · وفيها زاد الغلاء كثيراً

لتوقف فيضان النيل في بلاد مصر ٠)

وفي السنة ٩٢٦ هـ = ١٥١٩ م توفي المقدم عساف البشرّاني ٠ وهو الداش ابن جمال الدين يوسف ابن عبد المنعم ايوب ٠ والسبب انه لم يرزق غير ولد وكان قاصرًا في العمر ٠ فتغلب على المقدّمية كمال الدين ابن عبد الوهاب الايطوي المعروف بابن عجرمة ٠ وتزوج بست الملوك ابنة الشيخ علوان ابن حسام الدين ابن قمر البشرّاني ودفع اموالاً جزيلة و بنى برجًا شريفًا في قرية ايطو وحكم نصف البلاد مما يلي الشمال ٠ وفي هذه السنة زحف الجراد في بلاد الشام واكل كل الفواكه والحبوب وصار غلاء عظيم حتى بلغ شنبل القمح في بلاد طرابلس مائة دينار ٠ وفي نواحي بيروت مائة وخمسين ٠ وقال حمزة ابن احمد ابن سباط في اخر تاريخه ٠ ان في هذه السنة غلت جميع الاسعار وخصوصًا الحرير والقطن والصوف والكتان ٠ واصناف كثيرة وكذلك الحيوان بلغ ثمن البغل خمسة الاف غرش والحمار الف وخمسمائة ٠ وراس البقر ثلاثة الاف وراس الغنم والمعزى مائة وخمسين وطير الدجاج ثمانية عشر درهمًا ٠ و بلغ ثمن الزيت عشرين درهمًا في الشامي حتى ان الشجر والخشب والحطب والنحاس والبولاد وجميع الاشياء زادت اثمانها عن جاري عادتها حتى ان حجارة البناء بلغ ثمن الالف حجر مائة درهم ٠ وفي هذه السنة انتهى تاريخ حمزة ابن احمد ابن سباط خادم السيد عبد الله التنوخي وكان شاعرًا فصيحًا ذا خط جميل ولسان فصيح وله مصنفات كثيرة ٠ وقيل انه لم يعرف ابن من هو وانما وجده السيد ولدًا صغيرًا فرباه عنده ٠ (وفيها وقعت الحرب بين اسوج والدنيمارك ٠ واستولى كريستيان الثاني على استكهلم ٠ وفيها ساح مجلان اول سياحة حول الارض ومكث لغاية سنة ١٥٢٢ م ٠ وفيها اكتشف مجلان ارض النار ٠ وفي ٩ شوال توفي السلطان سليم سلطان بلاد الروم والديار المصرية والشامية ٠ وكانت مدة حكمه ثمان سنين وتسعة اشهر وعمره ٥١ سنة

فصل

في تاريخ آل تنوخ ونسبهم واشهر اعمالهم

(تنبيه بما ان تاريخ آل تنوخ مختص بجبل لبنان اضفنا حواشٍ تفسيرية عن الاماكن والقرى المذكورة لاتمام الفائدة

حاشية . قصدنا اضافتها لهذا التاريخ لتكمل معانيه و يلتذ قاريه . وهي نسب آل تنوخ الذين تقدم عنهم الشرح . وقد اخذنا ذلك عن تاريخ حمزة ابن احمد الفقيه المعروف بابن سباط المشهور تاريخه بهذه الديار بصدق الاخبار فنشرح عنهم بالاختصار

وفي السنة ٥٧٠ ﻫ = ١١٧٤ م يذكر ابن سباط انه كان زهر الدولة كرامة ابن بحتر التنوخي في ايام الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي المتقدم عنه الشرح . وكان لزهر الدولة المذكور عنده المنزلة الرفيعة في ايام الافرنج . و بعد وفاة زهر الدولة اقام اولاده الثلاثة مقامه فلاطفهم القيم مقام الافرنجي الذي كان في بيروت واحسن اليهم حتى انه في بعض الايام دعاهم الى وليمة عرس ابنه وعند حضورهم الى بيروت القى القبض عليهم وقتلهم وارسل عسكره الى اوطانهم وكانوا مقيمين في حصن سرحمول (١) وكان خالياً من الرجال فنهبوه . وكان فيه ام حجي وولدها حجي وكان عمره سبع سنين فهربت به الى الدوير (٢) . وهدمت الافرنج الحصن والقوا حجارته الى اسفل ولم يبق له اثار . واحرقوا تلك القرى التي بالقرب منه واسروا من تخلف عن الهرب . وكان الاكثرون قد هربوا الى الاودية والاحراش الكثيفة . وكان عمه الامير علي في قرية عرامون وفي عهد الملك صلاح الدين يوسف ابن ايوب ابن شاذي حضر الامير علي معه لفتح بيروت .

وفي السنة ٥٨٣ ﻫ = ١١٨٧ م كان عمر الامير حجي عشرين سنة فالتقى بالملك الناصر في ساحل خلدة (٤) وسار معه الى مدينة بيروت . ولما فتح المدينة لمس بيده رأس الامير حجي وقال له ها قد اخذنا بثارك من الافرنج فطب قلباً وقر عيناً . ولتكن مستمراً مكان ابيك واخوتك وكتب له منشوراً هكذا « لقد اجرينا الامير جمال الدين حجي على ما كان بيده من جبل بيروت من اعمال الدامور لما تحققنا ماجرى عليه من الكفار خذلهم العزيز الجبار . ورددنا له ما هو ملكه وارثهُ من ابائه وهي القرى المختصة بغرب بيروت منةً عليه وحسنةً منا اليه لما راينا من صحة خدمته . كتب في بيروت في عشرين خلت من

---

(١) سرحمول قرية من الغرب الاقصى قديمة بين عرامون والشويفات (٢) الدوير قرية من المناصف وهي مقابل مجد المعوش او وادي الست (٣) عرامون الغرب قرية قديمة غربي عين كسور وفيها بنايات كثيرة للتنوخيين وتسمى هكذا تمييزاً لها عن عرمون كسروان وهي تابعة الغرب الاقصى (٤) خلدة قرية قديمة على ساحل البحر الى الجنوب من الشويفات والى الغرب من عبيه وكانت تلقب بلدة الملك وفيها بنايات كثيرة تدل على قدمتها

جمادي الاول سنة خمسماية وثلاثة وثمانين . »ولما هادن الافرنج الملك الافضل علي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف كتب الى الامير جمال الدين حجي بن كرامة بن بحتر التنوخي يرغبه في الخدمة . وان يحلف اقاربه على الطاعة السلطانية . وانه طلب من الافرنج ان ال تنوخ يكونوا على عادتهم وان خالفوا الامر لا يلوموا الا انفسهم . وان الامير حجي يطيب خاطره ويشرح صدره . وعاش الامير حجي الى ايام الملك الكامل بعد سنة ٦٠٠ ﻫ . وكان ملازماً الجهاد ضد الافرنج . وبعد هدم حصن سرحمول بنى الامير جمال الدين حجي في قرية الدوير وسكن بها وقويت شوكته . ولما توفى تولى مكانه ولده الامير نجم الدين محمد على قطائعه واملاكه في ايام الملك الصالح ابن الملك الكامل . فكتب اليه الملك الصالح بعد البسملة « نعلم الامير الاجل الاخص . نجم الدين زين القبائل وعمدة الملوك والسلاطين ادام الله توفيقه وحراسته وتشييده ورعايته لقد شكرنا خدمته ومضاء عزيمته وطاعته فليطب قلبه وينشرح صدره . ويكون مكان ابيه على قاعدته . وله منا الاحسان الذي تقر به عينه وينبسط به امله . والزيادة في المعلوم الشريف له ولمن معه . فليستجلب كل من يقدر عليه للخدمة وليعرفهم مالهم منها . وفي المحافظة عليها من سابغ النعمة . ونحن بمشيئة الله واصلون الى البلاد عن قريب . فليكن الامير على اهبة لقائنا هو ومن معه ليظهر عليه اثر الانعام وفريد الاكرام باوفر الاقسام . وليطالع بمجد ذاته والسلام . وذلك المنشور دليل على ان آل تنوخ كان لهم مقام رفيع . ولما توفي الامير نجم الدين ابن محمد ابن الامير جمال الدين حجي سنة ٦٢٤ ﻫ اقاموا مقامه ولديه الامير جمال الدين واخاه الامير سعد الدين خضر وكانا اميرين جليلين وكان يلقب الامير جمال الدين بالامير الكبير تمييزاً له عن اخيه واما اخوه الامير سعد الدين فكان له المقام السامي

وفي السنة ٦٥٦ ﻫ = ١٢٥٨ م ارسل مجدداً الملك صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز سلطان الشام منشوراً الى الامير الكبير جمال الدين حجى ابن الامير نجم الدين بن جمال الدين حجي بن كرامة بن بحتر بعدة قرى في جهات متفرقة . وهي عرامون . وعين درافيل . [١] وعين كسور . [٢] ورنتون [٣] (و يروى رامتون)

---

(١) عين درافيل قرية من قرى مديرية الشحار الى الغرب من اعبيه وقد تقدم الكلام على عرامون (٢) عين كسور قرية من قرى الغرب الاقصى الى الشمال من قرية عبيه . وفيها المشايخ بيت ابي مصلح و يسكنها بعض الشهابين (٣) الى الشرق الجنوبي من قرية كفرمتى من قرايا الشحار وهي خراب واكثر اراضيها مشهورة بالزيتون الجيد وتوجد اثار كثيرة فيها و بعض بنايات

وقدرون ومرتغون [٤] والصباحية وسرحمول [٥] وعيناب [٦] وعين عنوب والدوير

وفي السنة ٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ م توجه الامير زين الدين علي بن كرامة بن بحتر من عرامون الغرب لملاقاة التتر لما ملكوا الشام مخافة منهم ليوقى من شرهم . وكان بها كتبغا نائب هولاكو وكان ابن عمه الامير جمال الدين حجي بن الامير محمد بن الامير حجي بن كرامة بن بحتر التنوخي قد توجه اليهم ايضاً . ولما بلغهما قدوم الملك الظاهر قطز بالعساكر المصرية ولم يعلما لمن يكون النصر منهما اتفقا ان يسير الامير زين الدين ابن علي لمقابلة الملك الظاهر . ويقيم الامير جمال الدين عند التتر . واي من اعطاه الله النصر فيكون احدهما معه . وحضر الامير زين الموقعة التي تقدم شرحها في هذا التاريخ على عين جالوت . ولما انهزمت التتر تحصن منهم جماعة في حقل الجبل . وكان الامير زين الدين ابن علي مع مماليك السلطان في حصارهم . وكان ذا قوة برمي السهام فاعجب مماليك السلطان وقوع سهامه . وكانوا يقدمون له السهام من جُعبهم . ولما قدم السلطان وكان قد بلغه قدوم الامير جمال الدين الى التتر امر بضرب عنق الامير زين الدين . فشهد له المماليك انه كان في حصار التتر في حقل الجبل . وذكروا له ما فعله معهم في اصابة رمي السهام فعفى السلطان عنه . ولما كان الامير جمال الدين حجي في دمشق عند التتر كتب كتبغا الشام منشوراً هكذا « بعد البسملة . من مالك بسيطة الارض هولاكو خان زيدت عظمته . توكلت على الله . رسم بالامر العالي المولى السلطان الملك السعيد المجير زاد الله في علائه . وضاعف مواد انقّاد مضائه . ان يجري على اقطاعه الامير الاجل الوحيد الاغر المختار جمال الدين حجي عمدة الملوك والسلاطين . ادام قيادته وتمكينه وتمهيده

وفي السنة ٦٧٧ هـ = ١٢٧٨ حضرت عساكر الشام الى بلاد الغرب لسبب قتل قطب الدين السعيدي في قرية كفر عميه . (كفر عمية قرية من قرى الجرد الجنوبي فيها معمل مشهور للحرير يخص حبيب افندي العكاوي وهو الى الشمال الغربي من شرتون)

---

(٤) مرتغون بقرب خلدة تخص الامير مصطفى ارسلان وفيها احراج كثيرة وخرائب تدل على قدميتها وكانت مقام قسم من التنوخيين وهي الان خراب . واما قدرون فلم تصل معرفتنا اليها ولا الصباحية . وقد تقدم الكلام على سرحمول فلا لزوم المراجعة . (٥) عيناب قرية من قرايا مديرية الغرب الاعلى على الطريق من بيروت لدير القمر وهي مشهورة بطيب مائها وكمركز صيفي شهير (٦) عين عنوب قرية كبيرة هي مركز قضا الشوف الشنوي وفيها بيت جميل للامير مصطفى ارسلان

وكان المذكور قد استقطع القرية من امراء الغرب آل تنوخ فوجد مقتولاً بها واتهم بيت تنوخ بقتله . وكان وقتئذٍ مسجون منهم ثلاثة امراء في سجن مصر كما ذكر سابقاً في هذا التاريخ وهم الامير الكبير جمال الدين حجي . والامير سعد الدين خضر . والامير زين الدين محمد واقامت عساكر الشام بالغرب سبعة ايام في نهب وحريق وخراب . وهربت آل تنوخ . فامسكوا منهم شرف الدين بن زين الدين ونجم الدين ابن محمد بن حجي وسارت العساكر في طلب المنهزمين منهم الى كفر فاقود فاخفاهم شيخ البلد وهو شيخ علم . ولم يحدث في البلاد حادثة اعظم منها . وذكروا ان غلام قطب الدين اخذ جثة استاذه الى الشام فخرجت تلك العساكر وجرت هذه الحادثة على البلاد ولما بلغ الامراء المسجونين في سجن الملك الظاهر ماجرى على البلاد تلهف وتنهد الامير زين الدين . وقال آه لو كنت حاضراً . فقال المتوكلون عليهما . ماذا كنت تفعل . فرد الامير جمال الدين حجي الجواب عنه وقال كان يصلح الامر . وتكلم الامير بليك الخزندار وتوسط لهما عند الملك الظاهر . فقال الملك الظاهر بيبرس لا أسمح باطلاقهما الا بعد ما املك طرابلس وصيدا و بيروت من الافرنج . و يظن ان الملك الظاهر كان يحسب ان لهم اتفاقاً وعهوداً مع الافرنج . وكان ينظر الى الامراء المذكورين بالعين الرفيعة و يخاف منهم . وكان سبب سجنهما في مصر ما كتبه ابو الجيش ضد الامراء التنوخيين في انهم كانوا يكاتبون الافرنج الى صيدا وعكا . وكتب كتابة مزورة بخطه عن لسان الامراء المذكورين حسداً منهم لما كتب لهم السلطان القطائع التي في جبل بيروت . المؤلف من القرى الاتية وهي قرية القماطية (القماطية قرية من قرى الدرب الشمالي الى الغرب من سوق الغرب مع مزارعها) و بمكين (بمكين قرية من قرى الغرب الشمالي الى الشمال الغربي من سوق الغرب وهي متصلة بها وفيها بناء دير الشير الشهير لطائفة الروم الكاثوليك . وحولها وحول القماطية عدة مزارع معروفة) وشملان (شملان قرية من قرى الغرب الاعلى وهي كانت قديماً تخص بيت شهاب ومنها الامير حيدر مؤلف هذا التاريخ . وفيها معمل للحرير بناه تاجر انكليزي اسمه سكوت و باعه من الخواجه فريج ولبيت فريج فيها بنايات شهيرة وتوجد فيها مدرسة انكليزية للبنات اسستها الست واسطن ووهبتها لسيدة تديرها وعملت مدرسة اخرى للايتام ثم توفت وتركت ارثها للخواجه امين شكور) ومن القبلية بتاثر (بتاثر مركز ناحية الجرد الشمالي . هي اشهر قراه وفيها المشايخ

بيت عبد الملك وهم الحكام عليه ولهم بنايات شهيرة فيها . وفي بتاتر معمل للحرير مشهور بناه فرتونة برطالس وانتقلت بالارث الى اولاده) وكفر عميه ومزرعتها وذلك لما بان لهم من الخدمة منهم . وان يتسلموا ذلك بقلب منشرح . وفؤاد منفسح و يستمروا على صحة الخدمة وحفظ الثغور . وتبقى بيدهم الاملاك المستمرة في الغرب ببيصور و بيصور ومجدليا قر يتان من قرى الغرب الاعلى وراء شملان لجهة الشرق تقابلان ثرتون (بيصور فوق مجدليا ومن بيصور آل القاضي الذي احدهم بنى الجسر الموصل الشحار بالمناصف المسمى جسر القاضي . وقد هدمه واصه باشا وعمل جسراً مكانه واسعاً لتمر عليه سكة العربات . و يقال انهم فرع من التنوخيين كما سياتي عنهم) وكيفون (كيفون قرية من قرى الغرب الشمالي) والبيرتين (البيرتين توجد قرية بهذا الاسم البيرة في العرقوب الشمالي الى الشمال الشرقي من مجد المعوش مقابل كفر نبرخ ولربما هذه كانت قسمين كبثلون الان البيرة العلياوالبيرة السفلى) وقد كانوا نصوحين في الخدمة والمناظرة والشاهد ما كتبه لهم اقوش الافرم النجمي نائب الشام وهذه الكتابة الى الامير زين الدين والى الامير جمال الدين حجي مضمونها: وصلت مكاتيب الاميرين الاعزين جمال الدين وزين الدين عمدة الملوك والسلاطين ادام الله تأييدهما وعلّينا ذكرهما . وشكرنا غيرتهما وقيامهما على ماينبغي فنحن نعلم ذلك منهما . ونحرضهما على القيام فيما هما عليه بالمطالعة على اخبار العدو المخذول . واما الامير حسام الدين نوار فلقد كتبنا اليه بانه متى وقع صوت (يراد بوقع الصوت اي حينما يهجم عدو عليهم ينادون حزبهم للاستغاثة و يقال له طرح الصوت ايضاً ويستعمل كثيراً في تلك الجهات) يسير مع جماعته الى جهتكم و ينفق جهده . واما قضية صاحب بيروت وتزويج ابنته لملك قبرس فقد عمل عملاً ومخالفاً للياقة . ولقد علمنا ذلك . ونعم مافعلا من اطلاعنا على ذلك . ولا تقطعا اخباركما والسلام

وكتب لهما ايضاً . وردت مكاتيب الاميرين الاعزين الاخصين المحترمين المجاهدين الغازيين جمال الدين وزين الدين بهاء الاسلام ومجد الامراء وعمدة الملوك والسلاطين انجح الله قصدهما . واسعد الله مجدهما . وعلمنا مضمونها . وعرفنا ما هما عليه من الاجتهاد والنصح . وهو المعهود منهما والمشهور عنهما . فليطب قلباهما . ولينشرح صدراهما . فهما على ما يشتهيان و يريدان . وما بلغنا عنهما الا الخير . ولا قيل عنهما الا الجميل فليستمرا على ما هما عليه من النصح والاجتهاد . والاستطلاع للاخبار ومساعدة العسكر المنصور الغازي لتلك الجهات . وليجاريا على ما عهد بهما من

النصح في الايام السالفة والدول المتقدمة · فانهما يجنيان ثمرة ذلك والله يؤديهما توفيقاً والسلام » · وكتب لهما ايضاً والي الشام « لقد بلغنا ان جموعكما تفرقت وانتما تعلمان ان في مثل هذا الوقت تظهر قوة الدين والدولة القاهرة · فيلزم ان الاميرين ايدهما الله ان يتقيدا برد الرجال الى جهة صيداء ويجتهدا في المساعدة على حفظ هذا الثغر سائدين مائدين ان شاء الله والسلام » · ثم اتاهما منشور من الملك الظاهر بيبرس يقول فيه « الى الاميرين المختارين المحترمين الاخصين المجتهدين زين الدين وجمال الدين فخر القبائل والعشائر مجد الامراء مختاري الدولة عمدة الملوك والسلاطين ادام الله رفعتهما ووجود مسرتهما · بعد السلام عليهما · واهداء تحياتنا اليهما · نعلمهما باننا وقفنا على مكاتيبهما الواصلة الى نائبنا بدمشق · و يذكران فيها استمرارهما على الخدمة والنصح لدولتنا القاهرة · ووصل الينا كتاب نائبنا بدمشق المحروسة · ويذكر ما للاميرين من الخدمة النصوحة فليستمرا على ذلك وليطب قلباهما ولينشرح صدراهما فسوف يجنيان ثمرة خدمتهما ومحبتهما · وليطلعانا دائماً على الاخبار المتجددة والله يوفقهما والسلام» · فهذا دليل على ان الملك الظاهر كان له الاعتماد على الاميرين جمال الدين وزين الدين · وسبب غضبه عليهما وسجنهما تلك المدة الطويلة ذلك كان من فساد تقي الدين نجا ابي الجيش لانه كان قد امتلأ حسداً منهما لما لهما عند السلاطين والنواب من المنزلة الرفيعة ونفوذ الكلمة فزوّر عنهما تلك الكتابة السابق ذكرها الى الامير الافرنجي صاحب طرابلس واحتال على توصيلها ليد الملك الظاهر بيبرس · فلم يشك بذلك وطلبهما اليه · وامر بسجنهما كما ذكرنا · ولهذا السبب لما تكلم الخزندار معه في امرهما قال الملك الظاهر لا اطلقهما الا بعد فتح طرابلس و بيروت وصيدا · و بقيا في السجن الى ان توفي الملك الظاهر وتولى مكانه الملك السعيد · فافرج عن الامراء وامر باطلاقهما · وجدد لهما منشوراً الى نائب الشام يذكر له فيه ان الامراء الاجلاء الاعزاء زين الدين وجمال الدين وسعد الدين امراء الغرب قد احاط علمكم المبارك ان صداقتنا شملتهم بالاحسان · وهم الآن ملازمون الباب العزيز · وكان ايثاقهم من المفسدين في بلادهم وقد انهوا الى ما بين ايدينا الامر الذي جرى من تجريد العساكر الى بلادهم بسبب قتل قطب الدين السعيدي · وما تم في اخذ حريم فلاحيهم واطفالهم · وان قسماً منهم بيع كعبيد وقسماً اعيد اليهم بالمبيع · وعن اخذ حريمهم وجعلها عبيداً وعن اخذ اولادهم وجعلهم مماليك وعن اخذ خيولهم واغنامهم و بقرهم ومواشيهم · ولما بلغنا هذا

الانهاء لم يسرنا ذلك وعنه عدلنا . وما كان قصدنا الا المفسدين في البلاد ومن وافقهم على ذلك الفساد . وقد التمسوا الينا ان يتوجه الامير الجليل جمال الدين حجي بطلب حريم فلاحيهم واولادهم في اي جهة كانت لكي يعيد مايقدر عليه ممن بيع واسر من الحريم والاولاد . فنامر ان يعتمد بطلب ذلك الشخص الذي عمل هذه الامور ويحصل منه الثمن ويطلب خيلهم واغنامهم وابقارهم ومواشيهم . وليعاد ذلك لهم ان كان عند امير ام جندي ام تركماني ام عند اي شخص كان . وقد انكرنا حدوث ذلك اي ان حريم المسلمين تسبى واولادهم تسرق . وقد سألونا انه ان كان احد اولادهم ظهر انه مفسد فيبقى تحت الاعتقال السلطاني خلد الله بقاءه تحت رحمتنا . ومن كان خلاف ذلك ولم يبد منه شيء فقد طلبوا صدور صدقاتنا وانعامنا عليه . وليعط الامير جمال الدين الاذن في العودة الى الديار المصرية . ولكل من يريد ان يحضر معه من اهله واصحابه . وقد اجبنا سؤالهم في ذلك لانهم دائماً ملازمون الباب الشريف وصدقاتنا تجرى عليهم وهم في احساننا والسلام)

وكتب ايضاً منشور مطلق : هكذا « من السلطان الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس الى نواب الممالك الشامية والصفدية والكردية والبعلبكية والحمصية نعرفكم بانه قد بلغنا ان العسكر المتوجه الى الجهات المستقر بها الامراء الاجلاء زين الدين وجمال حجي وسعد الدين اولاد امير الغرب حصل منه التعرض لحريمهم واولادهم واغنامهم وخيلهم وابقارهم واثاثهم وقد انكرنا ذلك على الذين فعلوه . لان هؤلاء مقيمون في ابوابنا العالية ومستكنون تحت جناحنا منقبلون نعمتنا وملازمون خدمتنا . وتوجه العساكر كان بقصد طلب المفسدين لا هؤلاء المذكورين . وقد رسمنا برد جميع ما اخذ لهم . فمن كان قد اخذ شيئاً فليسترد الثمن من بائعه وليستردوا جميع الحريم والاولاد والخيل والابقار والغنم والانسجة . وكلما ذهب لهم . لان هؤلاء قوم مسلمون مشاركون لنا في شهادة ان لا اله الا الله ولم يصدر منهم سوء . وليحذر كل مخالف لهذا المرسوم اممعطل له ام مماطل لاننا قد رسمنا هذا بامر جازم . ولا يقل احد اني اشتريت بثمن عادل فكل من باع واخذ الثمن فليرده . واملاكهم الثابتة بالشرع الشريف يؤدون خراجها للديوان المعمور والحذر من الخلاف . كتب في جمادي الثاني سنة ستمائة وسبعة وسبعين .

وفي سنة ٦٩٥ هـ = ١٢٩٥ م توفي الامير زين الدين بن الامير علي بن بحتر التنوخي نهار الخميس ثامن عشر ربيع الاخر . وكان مشهوراً بالسياسة والرئاسة وكان شجاعاً مطاعاً . وكان مسكنه بقرية عرامون الغرب وهو الذي بنى الحارة المجاورة العين والجامع .

ثم بني حارة براس عرامون وفي ايام الامير حسين ابن خضر استقرت الامراء التنوخيون في تسعين فارساً واقسموا ثلاثة بدلات في كل شهر بدل كما تقدم عنهم الشرح في هذا التاريخ لاجل حفظ بيروت لما فتحها الملك الاشرف قلاوون · وجعل لها منارة ورهجيه وحمام بطاق ومدرج الى دمشق · وجعل طريق دمشق اربع محطات المحطة الاولى من بيروت الى خان الحسين · ومنه الى الزبداني · ومنه الى خان ميسنون ومنه الى دمشق وجعل ناراً تصل الى دمشق بليلة واحدة كانوا يشعلونها في ظهر بيروت فتجاوبها نار في راس بيروت العتيقة · ومنها الى جبل بوارش ومنه الى جبل يبوس · ومنه الى جبل الصالحية · ومنه الى قلعة دمشق · وكانت النار للحوادث في الليل والحمام للحوادث في النهار

وفي سنة ٦٩٧ هـ=١٢٩٧م توفي جمال الدين حجي بن محمد بن حجي بن كرامه بن بحتر التنوخي نهار الثلاثاء ثاني عشر شوال

وفي سنة ٧٠٢ هـ = ١٣٠٢ م نزل الافرنج الى الدامور واسروا الامير شمس الدين عبدالله وقتلوا اخاه الامير فخر الدين عبد الحميد · ثم ان الامير شمس الدين اشترى نفسه بثلاثة الاف دينار فاطلقوه

وفي السنة ٧٠٥ هـ = ١٣٠٥ م كانت الغزوة من اقوش الافرم نائب الشام على بلاد الغرب في جبل لبنان · وقد هرب الامراء الى مغارة نيبية وطلب خروجهم فلم يخرجوا فحاصرها وهال التراب عليها كما مر في التاريخ فمات داخل المغارة عدة من الامراء من جملتهم الامير نجم الدين محمد والامير شهاب الدين احمد ولدي الامير جمال الدين حجي التنوخي

وفي السنة ٧١٣ هـ = ١٣١٣ م كانت وفاة الامير سعد الدين خضر بن محمد بن حجي بن كرامة بن بحتر التنوخي نهار الخميس ثاني عشر ذي الحجة · وكان جليل القدر عالي الهمة زائد الحشمة حسن الشكل · وقد ذكرنا فيما تقدم جهاده والمناشير التي كتبت له · ولما كبر في العمر تنازل عما كان في يده من الجهات لولده الامير ناصر الدين الحسين · وقد ذكرنا صورة المناشير التي كتبت له · وان الامراء استمروا واضعين ايديهم على الجهات الى ايام الملك المنصور قلاوون · فاخرج بعضاً من هذه الجهات من ايديهم لما فتح طرابلس · وكان اكثرها املاكهم من عهد بحتر بن علي بعقود شرعية من قاضي القضاة · ثم استرجعوها في ايام الملك الاشرف خليل ابن قلاوون · ثم جعلوا عليها جنوداً معلومة لدرك بيروت واستمرت لوقت تجديد الاوامر لهم · فكتب

الامير ناصر الدين الحسين لملك الامراء تنكز ملك الشام هكذا«بعد البسملة يقبل ارض الملك و ينهي بان المالوك واقار به ملتزمون بحفظ ثغر بيروت المحروسة ومجتهدون في خدمة مولانا السلطان خلد الله ملكه . وا كثر قطائعهم التي يخدمون بها الثابتة بالشرع الشريف وهي بيدهم الان مصحوبة بثلاثين فارساً لابي المماليك الى حين اقطعت الاملاك الجبلية . ولما رسم بكشف البلاد وتميز فيها الذي كان المماليك يوفرونه بسبب الرجال التي تساعدهم على حفظ الثغر . ومتى دخلت هـذه الاملاك مع جملة الاملاك السلطانية هلك هولاء العبيد ولا ينتفعون بغيرها لانها مساكنهم و بها رجالهم وعشيرتهم . فيسالون من صدقة مولانا ملك الامراء اعز نصره بان يتصدق عليهم بامر على يد المملوك على الابواب الشريفة . ومهما اقتضى رأي مولانا ملك الامراء بالزامهم بزيادة مطاليب تحملها طاقتهم امتثل هؤلاء المماليك . وما لهم الا الله ومراحم مولانا ملك الامراء والحمد لله وحده » . فرجع لهم الجواب اذا اكملتم الاوراق والكشوف ولم يبقَ عائق نكتب على ايديكم مطالعة بصورة الحال و يتصور الى الباب الشريف . ومهما برز به الامر المطاع يكون الاعتماد عليه والسلام

ثم ان الامير ناصر الدين الحسين قصد التوجه الى مصر فرسم ملك الامراء بابطال توجهه وكتب له كتاب توصية الى السلطان فرجع له جواب ان تستمر في ايديهم . وان الذي يزيد فيها يزيد بعدد الجند . وحضرت المناشير بتضاعف العدد وهي اثنان وسبعون جندياً . واما القائمة التي حضرت من الديوان المعمور باسم من يذكر من الامراء الجبلية اولاد امير الغرب عند الروك المبارك الاستقبال سنة ٧١٣ بمقتضى الاوراق المحضرة من الباب الشريف . للامير ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين امير الغرب عرامون حرف بشالا[1] كيفون[2] بيصور ثلث عين عنوب . عيناب بشمشوم[3] ثلث كفر عميه . ثلث بتاثر بركة شطرة[4] مرتغون . ثلث حصة الملك بخلده .

---

(١) حرف بشالا في اراضي كفر متّى لا تزال معروفة وهي الآن خراب

(٢) كيفون احدى قرى ناحية الغرب الاعلى وهي قرية معروفة و لا تزال عامرة

(٣) بشمشوم يراد بها الاراضي من قبرشمون لحد قرية عرامون ولا يزال يوجد اثارات لها وهي الان خراب واما عرامون و بيصور وعين عنوب وعيناب وكفر عميه و بتاثر فقد تقدم الكلام عنها فلا لزوم لمراجعتها (٤) بركة شطرة الى الشمال الشرقي

معدلا . ومن الفريديس [١] ودان للامير عز الدين الحسين بن سعد الدين نصف عاليه [٢] نصف الخريبة [٣] وعنيتا [٤] ونصف الدوير والصباحية . نصف درب المغيثة [٥] ربع قدرون . نصف قطع ارض بقرطيه . ربع طردلا [٦] ورامتون وربع عين كسور . ومجلس الامير عز الدين الحسين بن شرف الدين علي: نصف عيتات [٧] ونصف دفون [٨] ونصف مجدليا [٩] ونصف شملان وثلث عين عنوب

من قرية بيصور وهي الان خراب ومرتغون بقرب خلدة وقد تقدم الكلام عليهما اما معدلا فلم نقف لها على اثر (١) الفريديس قرية مشهورة من قرى العرقوب الاسفل مقابل الباروك وهي قرية قديمة و يظن انها كانت تخص الامراء بيت معن حكام جبل الشوف ولكنهم سمحوا بجزء منها لكل من الامراء التنوخيين لاجل الصيف

(٢) عاليه قرية عامرة ومصيف شهير في لبنان على طريق سكة الحديد للشام

(٣) الخريبة لا نعلم ان كان يراد بها خريبة الشوف ام خلافها لانه توجد خريبة في المتن واخرى قرب البيرة من القاطع مقابل كفرنبرخ ولا نعلم ايهما يقصد

(٤) عنيتا الان خراب وهي وراء الجبل المبنية عليه شملان وهي معروفة انه سكنها الامراء التنوخيون . واما الدوير فقد تقدم الكلام عليها . واما الصباحية فلم نقف لها على خبر

(٥) درب المغيثة يراد بها الجهات من قمة الجبل من المديرج الى خان مراد وفيها اراضي جيدة وكانت معتبرة قديمًا كالطريق الوحيدة للعبور الى الشام والبقاع . واما قدرون وبقرطيه فهي محلات عفت اثارها واندرست اخبارها ولم تصل معرفتنا الى شيء عنها (٦) طردلا الى الغرب من قرية عبيه وهي الان خراب وموقعها قرب عين الجرب التي كانت عينها وهي مركز مهم للتنوخيين وكانت عامرة قبل عبيه ومنها نقل الامراء التنوخيون الى عبيه واما رامتون فقد تقدم الكلام عليها و هي في اراضي كفرمتى والان خراب . وقد تقدم الكلام على عين كسور فلا لزوم لمراجعته

(٧) عيتات قرية عامرة من قرى الغرب الاعلى بين سوق الغرب وشملان . وفيها مركز قسم من المشايخ التلاحقة وقسم منهم في عاليه (٨) دفون قرية عامرة من قرى الغرب الشمالي بقرب سوق الغرب (٩) مجدليا قرية عامرة من قرى الغرب الاعلى تحت بيصور مقابل شرتون واما شملان وعين عنوب وسرحمول فقد تقدم الكلام عليها .

ونصف سرحمول ونصف عين درافيل[١] . وثلث بتاثر وثلث عيناب . وقطع ارض بالعمروسية[٢] . وثلث حصة الملك بخلدة . وثلث كفرعميه . ومن الفريديس فدان .
مجلس الامير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين . نصف عيناث ونصف دقون[٣] . ونصف مجدليا . ونصف شملان . ونصف عين درافيل . وثلث بتاثر ونصف سرحمول وثلث عيناب وثلاث قطع ارض بالعمروسية . وثلث كفر عميه وثلث حصة الملك في خلده . ومن الفريديس فدان .

و يخص الامير علم الدين سليمان بن غلاب . نصف الخريبة . نصف الدوير . نصف الصباحية[٤] من درب المغيثة . نصف ربع قدرون . نصف قطع ارض قرطيه وربع طردلا وربع رمتون وربع عين كسور

يخص الامير سيف الدين ابرهيم بن نجم الدين محمد بن حجي ربع بطلون[٥] وربع العزانية . ونصف[٦] القبة ونصف بجوارة[٧] . ونصف معيسنون[٨] . وربع الدوير ونصف مزرعة اقطوا

والامير شمس الدين عبدالله بن الامير جمال الدين حجي نصف قدرون . نصف رامطون . ونصف طردلا . ونصف عين كسور

---

(١) عين درافيل قرية عامرة من قرى ناحية الشحار الى الغرب من عبيه . واما بتاثر وعيناب فذكرتا (٢) العمروسية جزء من قرية الشويفات وهي حارة كبيرة منها

(٣) دقون قرية الى الجنوب الغربي من عبيه لاتزال عامرة (٤) الصباحية قرية في راس المغيثة اي قمة الجبل حيث الممر الى الشام (٥) بطلون قرية من قرى الجرد الجنوبي من بحمدون ولا تزال عامرة (٦) القبة جزء من الشويفات و يقال لها حارة القبة و يوجد جزء من عرامون بهذا الاسم والله اعلم . (٧) بجوارة قرية من قرى الغرب الاعلى اشتراها الكولونال تشرشل المتسلسل من عائلة ملبروك الشهيرة و بنى فيها دارًا جميلة وهو الف كتابًا في اللغة الانكليزية عن لبنان من اشهر المولفات ثم صارت الى غيره ثم انتقلت الى غيره ثم انتقلت الى ملك الخواجات فريج واما التعزانية فلربما يراد بها التعزانية وهي قرية من قرى الجرد الجنوبي ومن اختلاف ايدي النساخ تغيرت

(٨) معيسنون لربما هي القرية التي على سكة دمشق معروفة باسم ميسلون وهو الارجح واما اقطوا فلم نقف لها على خبر

والامير عماد الدين موسى ابن الامير مسعود . نصف الفساقين[1] . نصف شطرة ونصف دير قوبل[2] ونصف عين جنيه[3]

والمنشور محرر اعلاه باسم الله تعالى لا يتعرض الى هذه النواحي ولا الى فعلها وحقوقها امتثالاً لما رسم به كتب في ثامن محرم سنة ٧١٤ هـ . ولما جرى ذلك اتفق الامراء على ان يتقسموا ثلاث بدلات بثغر بيروت وحرروا قائمة بخط الامير ناصر الدين الحسين هكذا بدل الامير حسين ابن خضر واخوه الامير عز الدين حسين وابن عمه الامير شمس الدين عبدالله واصحابهم ماخلا خمسة اشخاص تضاف الى الامير ناصر الدين البدل الثاني الامير سيف الدين مفرج والامير عز الدين حسين ابن شرف الدين والامير علم الدين واصحابهما . البدل الثالث الامير ناصر الدين وولداه الامير سيف الدين وابراهيم ابن نجم الدين والامير عمر الدين موسى ابن مسعود واصحابهم والخمسة المضافون اليهم كما سبق

وفي السنة ٧٣٤ هـ = ١٣٣٣ م لما قدمت مراكب جنوا واخذوا مدينة بيروت في ايام السلطان الملك المنصور محمد بن قلاوون طاب نائب الشام الامير ناصر الدين الحسين وقبض عليه فتكلم ساروجا معه في حقه وكان نسيب النائب وينتسب اليه سوق ساروجا فاطلق الامير ناصر الدين وقد مدحه بعضهم بهذه الابيات

اذا رمت من امر الحوادث تفريجا ... فلذ بالعز الاشرف الشهم ساروجا
هو الصارم المشهور في قمم العدا ... وبحر الندى في السلم والموت في الهيجا
حما جحفل الاسلام في يوم شخب ... فكم نهر ماء في دما المقل ممزوجا
وكم يوم حربٍ قد جلاه وكم له ... اياديَ يفيضُ الجود كالغيث منسوجا
فلا عدمته دولة ناصرية ... بها علم بالعدل والنصر منسوجا
ولا زال محروس الجناب وبابه ... محيط رجاء الحمد بالمدح محجوجا

ثم بعد رجوعه الى الغرب اتاهم الامر بان يتوجه خمسمائة رجل منهم مع عسكر

---

(١) قرية من قرى الغرب الاقصى لا تزال عامرة (٢) دير قوبل قرية من قرى الغرب الاقصى (٣) عين جنيه موقعها بقرب البنيه من ناحية الشحار وهي الآن خراب

الملك الصالح لمحاصرة اخيه في الكرك فتوجه الامير عز الدين ابن الامير سعد الدين خضر . ولما وصل امره للبندقدار ان يزحف برفقته زحف وقاتل قتالاً شديداً اوهربت اصحابه وقتل نهار الثلثا تاسع جمادي الاول وكان شجاعاً قوياً يتحرش باخيه ناصر الدين معتمداً بنفسه وعلو همته . واخوه يتغاضى عنه ولا يواخذه . وهو الذي بنى الاقبية والقاعة في اعبيه وهما احسن البنايات واراد ان يجري لهاماء فعمل قناة فوق قناة اخيه ولم تكمل وحين اتاه الخبر بقتل اخيه اصابه حزن شديد فرثاه بقصيدة منها

ان كنت لذي الانام مصاحبا قف بالربوع واندب الحبائبا
نيران قلبي لم تزل مسعرة لم تنطف من مدمعي السحائبا
لما اتت خيوله ملهوفة صاهلة منقادة الجنائبا
ولوا الرفاق والجيوش باسرهم عنه فآنف ان يعود مهاربا
ناديت واويلاه ماذا فعلت صرف الليالي بالعزيز الغائبا
فاجتمع الاوباش اولاد الزنا والترك والاكراد والاعاربا
يا كرك المهدوم سالت الله ان يعدمك الاهلين والحبائبا
حتى يصير البوم فيك قاطناً مع الغراب صائحًا وناعبا
ولاسقاك الله غيثًا انما صعقات نار كانت قطرًا ساكبا
ويلاه من جور الزمان وغدره قد خانني وكان سهمًا صائبا

وفي السنة ٧٥١ هـ = ١٣٥٠ م توفي الامير ناصر الدين الكبير الحسين ابن الامير سعد الدين خضر نهار الثلثاء ثالث عشر شوال وكان عمره ثمانين سنة . وكان هو الكبير في الرئاسة والسياسة . وكانت ايامه احسن الايام وزمانه زائد الابتسام . وكان احسن سيرته من اسداء المعروف واغاثة الملهوف ذا فهم رائق وخط فائق مع بلاغة وفصاحة . وكان يرغب في مطالعة الكتب والاشعار . وقيل انه كان يحفظ اكثر ديوان المتنبي وينظم الشعر الرقيق . واقتنى عدة كتب وتواريخ ودواوين شعر . وحين توجه الى الكرك بعد قتل اخيه عزّ الدين انشد هذه القصيدة يقول

ودعتكم وفؤادي في وديعتكم رهين قلبي ولبي انتم فيه
لا تمنعوا طيفكم بالنوم يطرقني لعله من سقام البعد يشفيه
من الهموم التي جاءت مرادفة لبعد خلانه قومٌ يصافيه
فلا صديق صدوق السرّ ذا كرم يعينه بالذي امسى يعانيه

يحن شوقاً اذا جن الظلام وان ناحت مطوقة في الصبح تبكيه
وان هب نسيم في دياركم معطرٌ بشذاكم فهو يحكيه
مع التعلل باللقيا لرؤيتكم منـاه بلغه ربي امانيه
ليرجع الشمل مجموعاً ومنتظماً على كيـاد عدوٍ لا احاشيه
وينشد الحال عنه لامراء به الحمد لله عاد الما لجاريه
والشكر لله رب العالمين على نعمايه وجزيل من اياديه
ان جاد بالعفو عني فهو ذو كرم وعفوه يسع الجاني بما فيه

وله ايضاً كتبها على باب خان
انشأه تنكز نائب الشام ببيروت

أُنشي بامر للمقرّ الاشرف السيف تنكزُ سيد النواب
ملك حوى العلياء بالسعي الذي انشاه من متقادم الانساب
ببياض عرض واحمرار صوارم وسواد نقع واخضرار رحاب
لازال منصور اللواء لباسه لعفو الملوك وللخضوع رقاب
والدولة الغرا بفائض عدله مشمولةٌ ابداً على الاحقاب
وبه يفوز المسلمون بواسماً عزّاً وقد منعت عن الطلاب
والدين والدنيا بطول بقائه متمتع يزهو بحسن شباب

ولهُ ايضاً كتبها يذم بها مدينة بيروت

ليت بيروت لا اعمرت تحرثها يوماً محـاريث
فما بها خير يراه الفتى الا افاعٍ او براغيثُ
او حاسدٌ نذلٌ قليل الحيا للشرّ مخلوق ومبعوثُ
فشيخهم افسق من ظلمة واولادهم حمقى مخانيث
جعل الله لهم ما اتى لقوم لوط وهو محثوث

وله ايضاً يذم مدينة بيروت

بيروت بيرٌ لو شرب من مائه قسٌ لاصبح الكنا خنـاثا
تصدأُ بها الافهام بعد صقالها وترد ذكران العقول اناثا
فوخيم مرتعها الوبيل لاجله طلقت ايام السرور ثلاثا

وفي سنة ٧٧٧ ﻫ = ١٣٧٥ م توفي الامير الكبير زين الدين صالح ابن الامير ناصر الدين الحسين بن خضر التنوخي . وكان سيد قومه ذا همة علية شديد الغضب حسن الرضا . وقيل ان سبب مماته انه كان تعب وتكلف على اقامة العسكر في بيروت لاجل حفظ الثغر . وهو الذي عمر خان الحسين (١) واوقف له المزرعة المعروفة بجرد الدب وكان له حظ وافر عند منجك صاحب الشام . وحصل عنده على المنزلة الرفيعة . وكتب له هكذا « فرع الاصل الكريم ورأس المجد العظيم نجم اشرق في سما معاليه . وغصن اورق من شجرة جده وابيه . زاد الله باشراق طلعته السعيدة . افق المحافل والجحافل وجمله نحو العلى خير كل كافل . من هو صالح كاسمه وفعله زين كفرعه واصله . وقد جمع فضيلتي السيف والقلم . ومن اشبه اباه فما ظلم . والشبل في المحجر . مثل الاسد المختبر وقيل فيه

فرعٌ زكا من خير اصل طاهرٍ مازال يثمر بالمنـايا والمنى
يخشى ويرجى سطوةً ومكارماً ويرى الثناء اعزَّ شيءٍ يقتني

وكان الامير زين الدين صالح عنده معرفة في علم الطب و يستحضر على ادوية واكحال برسم الثواب ينفع بها الناس ويتصدق بها . وكان عنده ميل شديد للبر والصدقة وكان كثير النظر في اصحاب البيوت الاصيلة يعاملهم بالاكرام وكان صغير النفس عالي الهمة

وفي السنة ٧٨٣ ﻫ = ١٣٨١ م توفي الامير شهاب الدين احمد بن الامير زين الدين صالح بن ناصر الدين الحسين التنوخي . وكان ذا عقل وعلم جمع المحاسن بحسن الكتابة ونظم الاشعار وحسن النظر في معرفة الامور . و بالغ في علم النجو . ومعرفة الكواكب وكان ماهراً في حرفة الصياغة . وكان ذا قوة فائقة في رمي النشاب . ولما حضر الى عند بيدمر نائب الشام امره ان يسير الى قرية عين زحلتا (١) من اعمال الشوف ليقطع ما بها من شجر القوق لعمل النشاب لحضوره وراه مناسباً جداً . ولكن لاجل

---

(١) خان الحسين خان قديم مقابل بحمدون على سكة الشام القديمة . وكان في وقته الخان الوحيد على تلك السكة . ومزرعة جرد الدب بقربه

(١) قرية عين زحلتا من افضل قرى لبنان في جودة مائها وطيب هوائها وحسن مناخها حتى ان فيلسوف الشرق المرحوم الدكتور فانديك كان يصفها لمن لم ينجع

عدم الثقلة على البلاد في قطعه ونقله للشام وكثرة كلفته اجتهد اهل تلك الناحية في قطع شجر القوق وتعطيل نشوه . وفي هذه السنة توفي الامير سعد ابن الامير عزّ الدين ابن الامير سعد الدين خضر بن محمد التنوخي وكان كريمًا ذا حشمة زائدة ووقار وحرمة وكان يتقن الكتابة بليغًا فصيحًا في خطابه مغرمًا في محبة الخيل الجياد والسباق بها و يتباهى في الحشمة واتقان الملبس والات الخيل

فيه دواء فيحضر اليها ويشفى من مرضه وهي مركز ناحية العرقوب الاعلى وفيها مقرّ المشايخ بيت العيد وقد كانوا من افضل اعيان لبنان في الحسب والنسب وللان لهم كبقية الاعيان اربعة عيال يزوجونها ويتزوجون منها وهم بيت ابي نكد وبيت ناصر الدين وبيت ابي هرموش وبيت العقيلي . وكانت عين زحلتا في قديم الزمان مشهورة في كثرة احراشها وغاباتها في جبلها وحول نهرها لانها مبنية على بعد بضع دقائق من ينبوع الصفا الذي هو اصل نهر الدامور. وبقربه ينبوع القاعة المشهور الذي منه استجرّ الامير بشير الكبير القناة المشهورة الى بيت الدين . وهي كثيرة المياه والينابيع ما عدا نهرها . وفي هذه الايام اضيفت اليها قريتي العديس والبصيه وهما الان خراب وفيها كثيرٌ من الينابيع والعيون . ولا نعلم ماذا يراد بشجر القوق ولعله شجر البرقوق الموجود في احراش جبلها ولربما من اختلاف النساخ حصل به ماحصل حتى دعي القوق ولا اثار له الان . واشتهرت هذه القرية مع صغرها بكثرة من نبغ منها من الفضلاء والعلماء بالنسبة لغيرها من قرى لبنان . فان منها المرحوم راشد المغبغب الذي كان له المنزلة الرفيعة عند الامير بشير الشهابي المشهور . ومنها المرحوم فارس زخور والمرحوم فارس شكور الذي صرف حياته قاضيًا للطائفة الكاثوليكية في مجلس الامير امين ارسلان وكان ذا غنى وتدبير وحسن سياسة وله املاك وبنايات شهيرة في عين زحلتا وفي قرية كفر شيما وعند تغيير الاحكام اشتغل بالتجارة واسس معملا للصابون بشراكة خليل نقلا والد سعادة بشارة باشا تقلا . ومنها المرحوم حنا افندي شكور اخوه الذي كان قاضيًا للطائفة الانجيلية في المجلس الاعلى بلبنان في زمن رستم باشا وفرانكو باشا . وكان له ذكاء عجيب ومعرفة فائقة في استكشاف المياه المجهولة وله عيون كثيرة في لبنان وغيره مسماة باسمه . ومنها ينبوع السعلوك المشهور وقد استخرجه من سفح الجبل فوق ينبوع المضيق وقد بذل حياته ضحية ذلك العمل المفيد وقد خلف ثلاثة اشبال اشتهروا كثيرًا في القاهرة وهم المرحومان منصور شكور

وفي سنة ٧٩٠ ﻫ = ١٣٨٨ م توفي الامير سيف الدين يحيى بن زين الدين صالح بن ناصر الدين الحسيني بن سعد الدين التنوخي وكان حسن الترتيب في الرئاسة بين الامراء والاعيان وساد على آل بيته وانقادت اليه اقاربه ٠ وقد حج الى بيت الله الحرام وحج معه ولده فخر الدين عثمان ٠ وهو الذي اضاف قناة الماء الجاري الى حارة عبيه زيادة كبيرة (وتسمى الان عين البادري) وذكر انه حين قدمت العساكر الشامية ووقع الحرب في بيروت مع الافرنج وتقهقرت عساكر الشام وكثر بهم الجراح وخرجت الافرنج الى البرّ لما رأى الامير يحيى ذلك هجم مع اصحابه واقتحم العلم فطعنوهُ برماحهم حتى بركت فيه الفرس٠ ثم نهض وكانت فرسه لها شهرة بين الخيول الجياد ٠ ثم هجم على حامل العلم وقتله واخذ العلم منه فانكسرت الافرنج ورجعوا الى البحر وزحمهم المسلمون فوقعت بهم الصقائل فهلك منهم خلق زائد وكانت كسرة الافرنج على يد الامير يحيى ومدحه احد الشعراء فقال

ولما دخلنا ثغر بيروت لم نجد ... به غير يحيى للمكارم زائدا
نسينا به افضال يحيى ابن خالد ... فلا زال يحيى بالمكارم خالدا

وفي سنة ٧٩٦ ﻫ = ١٣٩٣ م توفي الامير فخر الدين ابن الامير سيف الدين يحيى التنوخي ٠ وكان شاباً ذا معرفة وافرة قد حوى مع صغر سنه فنون الادب والرتب

ويوسف شكور مؤسسا المدارس الانكليزية في الفجالة التي كانت في ايامهما افضل مدارس القطر المصري وقد نبغ فيها مئات من شبان القطر المصري ولا تزال هذه المدارس سائرة بعناية نجل احدهما منصور وهو نجيب بك شكور ووالدته الفاضلة ٠ وقد بذل منصور افندي واخوه حياتهما في هذه المدارس وتوفيا وهما يعملان فيها ٭ والشبل الثالث سعادة ملحم بك شكور المشهور في نظارة الحربية المصريه بحسن السياسية والتدبير وقد صرف حياته في صدق الخدمة والامانة وحسن السياسة وخصوصاً في اعمال السودان وخلف ولداً من امهر المهندسين اقتطف زهور العلم في افضل المدارس الانكليزية وتعين مهندساً في الخزان ومن العلماء الذين نبغوا في هذه القرية ماينوف عن عشرة الذين احرزوا شهادة البكلوريا في المدرسة الكلية الامريكانية ومن اولهم كاتب هذا المؤلف واكثرهم في وظائف سامية وخرج منها ثلاثة اطباء اثنان منهم في خدمة الحكومة الانكليزية في قبرس وواحد في مستشفى يافا الانكليزي واربعة علماء لاهوت وغيرهم

العالية والكتابة الحسنة · وانعكف على علم النحو · وكان له رغبة في مطالعة الكتب والتواريخ · وله مهارة غريبة في النثر والنظم · وكان اذا اخذ يكتب نثرًا ام نظمًا لا يشغله ذلك عن مخاطبة الجلاس · وشهدوا له انه كان يشبه الشيخ تقي الدين الذي كان مناظرًا له على ديوان الجيوش في الشام · وجمع الامير فخر الدين عثمان محاسن كثيرة مع صغر سنه من حزم وعزم وسياسة ورئاسة · ولم ينشأ مثله في ال تنوخ وكان عمره اربعًا وعشرين سنة · وقد حضر حروب كثيرة مع الملك الظاهر · وكان شجاعًا ثابت القدم في الحروب

وفي السنة ٨٢٥ هـ = ١٤٢١ م توفي الامير شرف الدين عيسى ابن الامير شهاب الدين احمد ابن الامير زين الدين صالح ابن الحسين التنوخي وكان جليل القدر عالي المنزلة ذا علم ومهارة في علم النحو وله قصائد واشعار ومن قصائده هذه القصيدة وقد كتبها الى المؤيد صاحب دمشق الشام

لك السعد والاقبال والنصر قد بدا ... وربك في كل الامور مشيدا
لحين حللت الشام اذهبت ظلمها ... واشرق نور بعد ما كان اسودا
ملأت جميع الارض عدلاً ورحمة ... كما ملئت جورًا وظلمًا مع اعتدا
محوت الظلم كان نوريز سنه ... ولم تبق في ذي الشام ظلمًا معددا
سوى كشف بيروت وصيدا فانه ... عليهم به ظلم عظيم تجددا
فابطلت ظلماً في بعلبك عنهم ... مبيد غشى الظلمات كان محمدا
فانت الذي ترجى لكل ملمةٍ ... لك الدهر كان مطاوعًا ثم مُسعدا

وله اشعار كثيرة ضربنا عنها صفحًا · وقد حضر حرب دمياط مع الملك الظاهر · ثم حرب قبرس

وفي السنة ٨٢٦ هـ = ١٤٢٢ م توفي الامير عز الدين صدقة ابن الامير شرف الدين عيسى ابن الامير احمد ابن الحسين التنوخي · وكان اميرًا كبيرًا له الغيرة على جميع الامراء والمقدمين في بلاد الشام وكان جوادًا مسموع الكلمة عند الملوك والنواب وكان يحكم من حدود طرابلس الى حدود صفد وكان متوكلاً على درك بيروت وحراستها وحمايتها من الافرنج · وكانت تقصده الاكابر والاعيان من ابعد مكان · وهو الذي منع اولاد الحمراء حكام البقاع من سكن بيروت

وفي السنة ٨٦٣ هـ = ١٤٥٨ م توفي الامير بدر الدين حسين ابن الامير عز الدين صدقة ابن الامير شرف الدين عيسى ابن الامير احمد ابن الامير حسين التنوخي

الكبير . وكان ذا همة ونجابة وشجاعة عاشر الاتراك وحذا حذوهم حتى انه لم يعرف الا منهم . وكان له عند امير الامراء نائب الشام المنزلة السامية وحضر اليه الى عبيه . ولما عزم على بناء جسر الدامور قدم له الاكرام الزائد . وكان له مهارة غريبة في علم الضرب (لربما على الالات الموسيقية . ولربما الضرب في الحساب) وهو الذي بنى برج المطير فوق قرية عبيه[1]

وفي السنة ٩٦٤ هـ = ١٤٥٩ م توفي الامير سيف الدين زنكي ابن الامير عز

---

(١) عبيه قرية قديمة فيها اثار فاخرة من بناء التنوخيين وهي مركز مديرية الشحار وفيها منازل مهمة للشهابيين وبالاخص كانت مركز التنوخيين . وفيها مقام الامير السيد عبد الله التنوخي . واشهر المحققين الثقاة يوكدان عائلة بيت امين الدين الشهيرة هناك من بقايا التنوخيين كما سياتي بيانه . وفيها مقام القسم الاوفر من المشايخ البيكوات ال نكد ولقاسم بيك وسعيد بيك داران من افضل بناياتها لا تزالان عامرتين . وقد اشتهرت عبيه بمدارسها الذائعة الصيت منها المدرسة الاميركية التي كانت المعتمد قبل تاسيس المدرسة الكلية في بيروت وكانت ترقي الطلبة الى درجة عالية والقطر الشامي عموماً ولبنان خصوصاً مديون للجمعية الاميركية نظراً للخير العظيم الذي حصل منها فانه خرج منها مئات من نخبة الشبان العلماء الاعلام واكثرهم من افاضل واعيان البلاد الشامية . منهم قداسة المطران اغابيوس مطران طرابلس للروم الارثوذكس . ومنهم القس ابرهيم باز والقس مراد الحداد ومحمد بك نصيف وملحم بك ابي نكد وعلي بك ناصر الدين ويواكيم مسعود وخليل سمعان والاستاذ جبر ضومط وملتزم طبع هذا التاريخ والمرحومون شاهين افندي وابراهيم افندي سركيس وداود افندي الحاج ورزق الله افندي البرباري وميخائيل افندي مرهج وكثيرون غيرهم

والمدرسة الداودية وقد انشأها دولة المرحوم داود باشا وذلك من وقف قيمته تنوف عن اربعين الف ليرا اوقفه الشيخ احمد امين الدين ليصرف ريعه البالغ سبعين الف غرش سنوياً على فقراء طائفة الدروز وكان يوزع عليهم سنوياً بكل انتظام فيتقاطر الى قرية عبيه الالوف من فقراء هذه الطائفة من كل الجهات فارتأى داود باشا تحويل هذه الاوقاف الى بناء مدرسة داخلية تعلم فيها ابناء الطائفة الدرزية وان ذلك انفع لهذه الطائفة ولقبها بالداودية نسبة اليه وقد تغير اسمها الان الى المدرسة الدرزية

الدين صدقة وكان مماثلاً لاخيه بدر الدين في السياسة وحسن المعروف · وفي هذه السنة توفي اخوه الامير زين الدين عمر ابن الامير شرف الدين عيسى ابن الامير احمد ابن الامير صالح ابن الحسين التنوخي وكان لطيفاً حسن الكتابة وله اليد الطولى في النسخ وبلغ في ذلك درجة عالية · وكان مغرماً في البناء وهو الذي بنى القصر المشهور في مدينة بيروت وهو قائم الان (لربما يراد به برج الكشاف) الذي كان على ساحة البرج · وكان يفصل النسيج ويفرقه على اكابر البلاد في كل سنة · وفي هذه السنة توفي الامير سيف الدين يحيي ابن الامير فخر الدين عثمان ابن الامير يحيي ابن صالح · و بلغ في حياته اجل المراتب العالية في العلم والعمل وله شعر رقيق وقد نظم قصيدة مدح بها السلطان الظاهر جقمق اجاد بها فاحسن اليه وهي التي مطلعها

قمر المعالي بالسعود موفقُ ... و بنور سلطان البرية يشرقُ

وله اشعار مستقيمة الاوزان معتدلة الاركان بلفظ صحيح ونظم فصيح وخط مليح · و بلغ في الخط رتبة عالية قصر عنها المتقدمون · وكانت اكثر الناس لا تميز خطه عن خط ابن ياقوت · وكان له اليد الطولى في الخط العجمي بمهارة غريبة يحير الافكار بالتزميك · وكان بارعاً بصناعة الصياغة · فأنشأ قوالب فائقة الحسن وصنع تحفاً تحير العقل ومن جملة قصائده هذه القصيدة الآتية

باح الفؤاد بسرٍ غير منكتمِ ... ونمَّ دمعي بما عندي من الالمِ
ورحت اشكو لمن اهوى فعارضني ... وقال انك في الدعوى لمتهم
قلت لو انني قد كنت مدعياً ... ما فاضت العين يوم النوى بدم
ولا تمايلت عن ذكراكم طرباً ... كما تميل غصون البان بالنسم
ولا تنفستُ بالصعداء من كبدٍ ... حرّى ولا زال مني الجسم بالسقم
ولا قضيت الليالي فيك مفتكراً ... من مقلةٍ كحلت بالدمع لم تنم
والله والمصطفى المبعوث منه لنا ... وحرمة الدين والقرآن والحرم
ما لي سواك حبيب لا ولا عوضٌ ... كلاّ ولا بدلٌ في سائر الامم

وكان حقها ان تسمى الاحمدية نسبة لصاحب الوقف المذكور · وفي عبيه احسن البنايات في اجل المراكز لهذه العائلة كدار الشيخ احمد امين الدين ودار الشيخ حسين امين الدين ودار الشيخ رشيد امين الدين

ولا نزعت رداء الصبر عن جسدي صيرته بالجفا لحماً على وضم
ان كان سفك دمي اقصى مرادكم فما غلت نظرة منكم بسفك دمي
ولست للود سالٍ بالجفاء ولا كلا ولا ناقضٍ للعهد والذمم
ولا ابتغي عنك قصراً الى احد بين البرية من عرب ومن عجم
ولو تقاس باهل الارض قاطبةً لكنت عندي بوزن الناس كلهم
ولو قسمت فريقاً والورى فرقاً لكان قسمك عندي وافر القسم
لان حبك سهمٌ قد رميت به ولا يكاد رجوع السهم حين رمي
ولا تمنيت لي في الخلاص ولا داويت داءً ولا مليت من الم
ولا سألت الشفا مهما بُليت به ولا استقال الهوى في عثرة القدم
ولا شغلت بشيءٍ عن هواك ولا سليت عنك بما اوليت من نعم
بل قد وثقت بحب لا يغيره طول البعاد وحبل غير منصرم
ان لم تكن نصب عيني كان شخصك في قلبي وذكرك يحلو ناظري وفمي
لازلت في ناظري مادمت منتبهاً وفي الرقاد معي في الطيف والحلم
اصبحت عبداً اليك بالرق معترفاً لكم ومشتهراً بالاسم والوسم
اني اليك ومحسوبٌ عليك وقد حزت الجمال وحسن الطبع والشيم
لا كنت ان كان لي قصدٌ ولا املٌ الا سواك ولا همٌّ من الهمم
فكم دلالاً وكم عجباً وكم صلفاً وكم تجنٍّ وكم جود وكم اشم
بالغت بالصد والهجران معتمداً قتلي ولم تخش من عارٍ ولا ندم
حتى بخلت على رد الجواب لمن يدعيك حشماً و يحلو منك بالكلم
تبغي مخالفتي حتى كانك لا حفظت شيئاً سوى لا بلا نعم
اشكو اليك كما يشكو الغريق الى حيتان بحر ومقتولٌ الى الرخم
انت الحبيب الى قلبي وفعلك لي فعل العدو وذي ظلم وذي جرم
انت الطبيب ومنك السقم اجمعه والداء ثم الدوا للخصم والحكم
انت المخير فيما شئت تفعله بي وانت المحكم في روحي فاحتكم
حكم الموالي على عبدٍ لهم وقوي على ضعيف ومخدوم على خدم
فلا جناحٌ ولا اثمٌ ولا حرجٌ يعد مني فتحكم فيَّ واحتكم
وكل شيء اتاني منك محتملٌ يوماً ولو كنت فيه غير محتشم

فما رايت لقلبي عنك منصرفاً ولا غدا عنه من جور بمنهزم
فان عود الرضا من بعد هجركم كمثل عود شباب الغصن بالبهم
ونظرة منك ياسوالي افوز بها تشفي العليل وتروي القلب من اضم
كم ذا تعللني بالوصل منك فلا توفي وتوعدني وعداً ولم تقم
حتى فنى الصبر مني بعد ما بلغت نفسي الثرى كذا عاد الجسم كالرمم
لا تحسبوا ان رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الالم
ولا همى القطر يوماً بعد ما احترقت مني الحشا بعد اهمالٍ ومنسجم
فلا ترى عائشاً ان عاد مقترباً ولا اصابت الريُّ مروياً من الديم
مافي المداواة بعد الموت فائدة ولا يفيد اكتحال الطرف حين عمي
وانظر اليَّ ولا تفرط بحبك في متيم فيك من دون الانام سمي
فليس يكفيك مني ما تعاينه شوقاً يزيد وشملاً غير ملتئم
لا يصرف العذل غاوٍ عن غوايته لان ذا الحب في نهج السبيل رمي
والقلب لا ينتهي عما بليت به يوماً ولا يرعوي باللوم والهيم
ياعاذلي اقتصر عما انت طالبه لانني عن سماع العذل في صمم
لا يرجع الصب يوماً عن غوايته في الحب مجبولهُ الشيب في الالم
والحب تعنو له الشجعان خاضعةً قهراً ويسلب عقل الحاذق الفهم
ما للهوى غاية يرجى الوقوف بها لذي الغرام ولا حرّاً لمقتحم
ان كان للطفل فطم عن رضاعته فما رضيع الهوى يوماً بمنفطم
لو ان لي زاجراً عما بليت به يردني عنه رد الخيل باللجم
ما كنت للوجد الا ان لي فرجاً اشكو الهوى بلسان غير منعجم

وفي السنة ٨٧٤ هـ = ١٤٦٩ م توفي الامير علم الدين سليمان ابن الامير احمد ابن الامير صالح الحسين وكان حسن الشكل حريصاً على عمل الخير · وبلغ في صناعة الطب رتبة رفيعة · وكان يمارسها صدقةً اي بدون اجرة · وفي هذه السنة توفي الامير سيف الدين عبد الخالق ولد امير الامراء والاعيان · شيخ العلماء وركن البنيان · فريد العصر والاوان ذو الحسب السامي والفرع النامي الامير جمال الدين عبد الله السيد ابن الامير علم الدين سليمان ابن الامير بدر الدين محمد بن الامير صلاح الدين يوسف بن الامير سعد الدين خضر بن الامير حجي بن كرامة بن بحتر التنوخي بن علي بن

الحسين بن ابراهيم بن محمد المتصل نسبه الى آل تنوخ

ذكر توليد آل تنوخ اذ ان هذه الشجرة الزكية والاغصان النمية . قد تملكوا البلاد وسادوا على العباد . فيجب ان نذكرهم بالافراد حسب الايجاد فنقول ان ابا عبدالله محمد اصل الشجرة التنوخية . وقد افرع الاغصان الزكية فابو عبدالله محمد ولد ابراهيم وابراهيم ولد الحسين والحسين ولد علياً وعلي ولد بحترًا وبحتر ولد كرامة . واما الامير زهر الدولة بن بحتر بن كرامة فهو اول النسب ولد الامير جمال الدين حجي واخوته الثلاثة الذين قتلهم صاحب بيروت الافرنجي كما تقدم عنهم الشرح وكانوا بحصن سرحمول . واما الامير شرف الدولة علي ابن بحتر فولد الامير زين الدين صالح وهو جد الامراء بعرامون . وهو الذي عمر البلاد وشاد العباد . صاحب العزم والحزم والكرم والشجاعة . وهو الذي انشأ البنايات بعرامون . بني الحارة المجاورة العين وحارة الراس . واما الامير زين الدين صالح فولد الامير ناهض الدين بحتر . وكان اميرًا كبيرًا بيده قيادة الحراسة على ثغر بيروت . واخوه الامير شرف الدين علي كان حسن السيرة ذا علم وعمل وتقوى . واخوه الامير بدر الدين يوسف . هؤلاء الامراء اولاد الامير زين الدين صالح بن علي بعرامون . واما الامير ناهض الدين بحتر فولد الامير شمس الدين كرامة وتوفي بلا عقب . واما الامير شرف الدين علي فولد الامير عز الدين الحسين . واخوه الامير بدر الدين يوسف ولد الامير عماد الدين موسى والامير سيف الدين مفرج وكان ذا شجاعة وبأس . واخوه الامير موسى كان دينًا محمود السيرة واما الامير عز الدين الحسين بن علي بن زين الدين صالح بن علي فكان رجلاً وافر العقل كريمًا محبوبًا عند الناس . وجميع هؤلاء الامراء سكنوا قرية عرامون وهم من نسل الامير زين الدين صالح بن بحتر . ثم نشأ من هذا البيت الامير سيف الدين مفرج ولد الامير شمس الدين محمد والامير جمال الدين احمد و يعرف بالاعسر والامير ناهض الدين علي والامير صلاح الدين خليل . وكان الاربعة الامراء المذكورون اولاد الامير سيف الدين مفرج ذوي شوكة ووقار وكرم وشجاعة . واما الامير عماد الدين موسى بن صلاح الدين يوسف بن زين الدين صالح بن علي فولد الامير نجم الدين محمد والامير بدر الدين حسن . واما الامير عز الدين حسن بن شرف الدين علي بن زين الدين صالح بن علي فولد الامير شرف الدين عليًا والامير ناهض الدين والامير بدر الدين يوسف . والامير شمس الدين محمد بن مفرج ولد الامير علي الدين عليًا . والامير

جمال الدين احمد بن مفرج ولد الامير سيف الدين مفرج . والامير ناهض الدين علي بن مفرج لم يخلف ولداً . والامير صلاح الدين خليل بن مفرج ولد الامير جمال الدين احمد . والامير جمال الدين احمد بن مفرج ولد الامير سيف الدين مفرجاً وكان محمود السيرة مشكور السريرة ابطل ضرائب كثيرة كانت تؤخذ من البلاد . وهؤلاء الامراء من قرية عرامون جميعهم من ذرية ناصر الدين محمد . وجدهم الامير زين الدين صالح بن علي بن بحتر وقد اوردنا ذلك عن صفة الشجرة وفروعها . ثم نورد نسب من تبقى من هذا البيت من بني زين الدين محمد بن علي بن بحتر . فالامير جمال الدين احمد بن صلاح الدين خليل بن مفرج اتهم بقتل علي الحريري بدمشق فقبض عليه نائب الشام وقتله . وكان له ولد اسمه ناصر الدين محمد . والامير ناصر الدين محمد آخر ذرية بني زين الدين سنة ٩٢٠ هـ فهذه ذرية الامير زين الدين صالح بن علي ابن بحتر

ثم نذكر ذرية شمس الدولة كرامة ابن بحتر . فالامير شمس الدولة ولد اربعة اولاد الذين قتلهم صاحب بيروت . و بقي الامير جمال الدين حجي ولد نجم الدين محمد والامير شرف الدين علي وهما اللذان قتلا سنة ٦٤٠هـ في مكان يقال له ثغر الجوزفي بلاد كسروان . وكان الامير نجم الدين محمد ولد الامير جمال الدين حجي الكبير واخوه الامير سعد الدين خضر . ومن نسل الامير سعد الدين خضر الامراء الذين سكنوا قرية اعبيه من آل تنوخ . واما الامير جمال الدين حجي الكبير فسكن اولاً في قرية طردلا في حارة بيت الطوارفة . واما نسب الامير جمال الدين حجي الكبير فيجب ان نذكره اذ كنا قد ذكرنا الفرع الاول . وهما امراء عرامون . فجمال الدين حجي الكبير ولد خمسة امراء وهم نجم الدين محمد وشمس الدين عبد الله وحسام الدين عبد الحميد وشهاب الدين احمد وشجاع الدين عبد الرحمن فالامير نجم الدين خالف اباه وسكن عيناب و بنى فيها . فولد بعيناب سيف الدين ابرهيم الذي ظهر بسيرة حسنة مخالفاً سيرة ابيه وجمال الدين يوسف وعماد الدين اسماعيل ونور الدين محمود فهؤلاء الاربعة امراء اولاد نجم الدين محمد بن جمال الدين حجي . والامير سيف الدين ابرهيم ولد صلاح الدين خليل . وصلاح الدين خليل ولد سيف الدين ابرهيم على اسم جده . والامير جمال الدين يوسف ولد الامير نجم الدين علي والامير عز الدين الحسين . والامير جمال الدين اسماعيل ولد محمد الدين حسن ومحمد الدين حسن ولد شهاب الدين احمد . والامير نور الدين محمود ابن نجم الدين محمد ولد عز الدين حسن

والامير معين الدين محمد ابن محمود ابن حجي . فهو الامراء الذين سكنوا قرية عيناب ومنهم نور الدين محمود الاخير وعز الدين وقوام الدين جميع هولاء سكنوا قرية عيناب وكان لنور الدين محمود ولد اسمه زين الدين عبد الباسط قتله الغز غلطاً في مكان يقال له عين نيحا مجاور الحسين . ثم ولد لنور الدين بعد ان قتل عبد الباسط ولدان وهما الان موجودان بقرية عيناب حين تاريخه ٩٢٦ (بشير ابن سباط الى وقت كتابة تاريخه) ولهما اقارب في قرية كفرزبد وهم بدر الدين حسن ابن سيف الدين . واولاد شهاب الدين احمد وهم من ذرية الامير نجم الدين محمد ابن الامير جمال الدين حجي ابن علي بن بحتر التنوخي . واولاد الامير جمال الدين حجي والامير شهاب الدين احمد والامير نجم الدين محمد قتلوا في مغارة نيبية كما تقدم عنهم الشرح سنة ٧٠٥ هو كان ولد الامير شهاب الدين حسام الدين عبد القاهر وجمال الدين حجي وكان فصيح اللسان قوي الجنان له براعة في علم القريض وسمي شاعر البيت في آل تنوخ . ثم توفي حسام الدين عبد القاهر قتلاً من احد اخوته غلطاً في الصيد رمى نبلة فاصابت اخاه ومات . وكان للامير حسام الدين عبد القاهر ولدٌ وهو نجم الدين محمد . والامير فخر الدين عبد الحميد ولد شهاب الدين احمد فنبغ وكان ذا شجاعة ومات قتيلاً . وشنق غرماؤه يوم دفنه . واما حسن الدين فمات مجنوناً . فهذا هو نسب جمال الدين حجي بن محمد بن حجي بن كرامة بن بحتر وانقرض هذا الفرع من شهاب الدين احمد ابن عبد الحميد وهو بيت شهاب احمد ابن جمال الدين حجي . واما نسب بيت شجاع الدين عبد الرحمن ابن الامير الكبير جمال الدين حجي بن محمد بن كرامه بن بحتر الامير الكبير . فكان شجاع الدين فريد عصره ترجمان دهره راغباً فيما لله زاهداً فيما للناس ذا نفس رضية . وقد مدحهُ الغزي بقوله فيه واسطة عقدهم ومحل نقدهم بركة عشيرتهم ورأس مشورتهم قطب فلك المعارف وقدوة كل عارف وانشد بمدحه هذه الاشعار

شجاع الدين خيرٌ من ابيه ... امام زاد في الدنياء زهدا
تعوّد خشية الرحمن طوبى ... لحرّ قد اتى الرحمن عبدا

ومدحه ايضاً

حدث عن الصفح وكثبانه ... وعن معانيه وسكانهِ
منزل احباب عرف الهوى ... به على سالف ازمانهِ
الطرف ساهٍ ساهر بالدجى ... لم يأنس النوم باجفانه

من دمعه قد كان انسانه يغرق في سيل طوفانه
خير امير امره طائع لعلمه الاشياء باتقانه
وحيدٌ عبدٌ سيدٌ في العلى اخلص في طاعة رحمانه
الزاهد العابد المرتجي لدينه فينا وايمانه
والمختلي عن جميع الورى ملازم تشييد بنيانه
اصل زكيّ وفرعه مثله كالغصن غصن النبت ريانه
ان صفي الدين سبل سما كلاً على سائر اقرانه
عقل صغيرٌ وحبٌ وافرٌ تراه كهلاً عند ريعانه
درٌ بحرٍ سابغٌ طعمه بدر درٍّ يسحق بمرجانه
يا زائراً باب ابيه لقد فزت من العلم بافنانه
تقبل ثرى الارض له خدمة من قبل ما تقبل اردانه
فهو هلال الغرب كل وقد يشير بالطرف لا ببنانه
لا زال هذا الغرب مشرقاً به يشرق من شمس على شانه
اجري على مدحي له دائماً وهو على عادة احسانه

وكان شجاع الدين لا يراه احد غضبان قط . وكان يدرس الكتاب العزيز ويتلوه غيباً وكان ينظم الشعر كثير العلم والحلم والعمل . وكان الامير شجاع الدين ابن عماد الدين ولد وهو الامير تقي الدين حسين وكان لطيفاً في ذاته صاحب قلم وخط حسن مع بلاغة جيدة . وولد الامير صفي الدين ثلاثة اولاد وهم جمال الدين حجي وشجاع الدين عبدالرحمن وشمس الدين عبدالرحيم . فهذا بيت الامير شجاع الدين بن الامير الكبير جمال الدين حجي ابن بحتر . ثم الامير شمس الدين عبد الله بن الامير الكبير جمال الدين حجي الذي اسره الافرنج بالدامور . ثم الامير فخر الدين عبد الحميد بن الامير الكبير جمال الدين حجي بن محمد بن بحتر قتل في الدامور يوم اسر اخيه عبد الله سنة ٧٠٢هـ هذا نسب ذرية الامير جمال الدين حجي ابن نجم الدين محمد بن حجي بن كرامة بن بحتر التنوخي . واما نسب اخيه الامير سعد الدين خضر . ولدا الامير ناصر الحسين واخاه الامير عزّ الدين الذي قتل في الكرك كما ذكرنا . ثم اخاه الامير صلاح الدين يوسف فهؤلاء اولاد الامير سعد الدين خضر والامير صلاح الدين ولد الامير سليمان ابا الامير جمال الدين عبدالله السيد شرف الله ذكرهُ . وهو الذي ضريحه الى الآن في قرية

عبيه (تقصده اهل التقى من الطائفه الدرزية للتبرك بزيارته من جميع الاطراف)
وسنذكر تاريخه واعماله في مكانه . ثم ولد الامير سعد الدين خضر فتح الدين محمد
وشرف الدين سليمان . فهؤلاء الستة امراء اولاد الامير سعد الدين خضر وقد بلغ الستة
احسن الرتب في الرياسة والسياسة والعزة والجاه . والعلم والعمل والطبقة العالية والخط
الحسن : وكان اعظمهم قدرًا واوفرهم ذكرًا الامير ناصر الدين الحسين . وولد الامير
ناصرالدين الحسين زين الدين صالح واخاه . واما الامير عز الدين حسن ابن الامير سعد
الدين خضر على اسم جده . واما الامير فتح الدين محمد ابن الامير سعدالدين خضر
الكبير فولد الامير ناهض الدين حمزة . وكان له الباع الطويل في الموسيقى وضرب الالحان
وتوقيعها وله شعر متداول . والامير فتح الدين محمد ابن سعد الدين خضر الكبير ولد
عماد الدين اسماعيل . وكان على اسمى درجة في العقل والحلم وهو الذي بنى البنايات المشهورة
في قرية دفون . وولد الامير ناهض الدين حمزة فتح الدين محمد واخاه صلاح الدين يوسف
وكان صلاح الدين متضلعًا من العلوم والنحو وسكن بنايات عمه اسماعيل في
قرية دفون . واما الامير شجاع الدين عبد الرحمن ابن عماد الدين اسماعيل بن فتح
الدين خضر الكبير فقتل في وقعة عين[1] دارة قتله يلبغا الناصري نائب دمشق خارجها
بعد ما كان اسره في الموقعة المذكورة . واما الامير زين الدين مفرج
فهو اخر الامراء في دفون وكان مغرمًا في الصيد ومات بلا عقب . واما الامير
شرف الدين سليمان ابن سعد الدين خضر الكبير فولد نجم الدين محمد وكان شابًا حسنًا توفي
يافعًا عمره ثماني عشرة سنة . ثم توفي اخوه علي الدين شابًا ايضًا ولم يخلف ولدًا . واما الامير
ناصر الدين الحسين بن سعد الدين خضر الكبير فولد زين الدين صالح وتقي الدين
ابراهيم . وكان ابراهيم شديد القوة ذا هيئة حسنة مشهودًا له بالتقوى والديانة فولد
ولدًا سماه على اسم جده ناصر الدين الحسين . واما زين الدين صالح الذي تقدم
ذكره ووفاته فولد جمال الدين محمد صاحب الخط البديع والعقل الرفيع وكان عند جده
ناصرالدين الحسين في رتبة عالية وتوفي في حياة ابيه وجده . وعمره اثنتان وعشرون سنة

---

(١) عين دارة قرية عامرة من قرى ناحية العرقوب الشمالي تابعة مديرية مجد
المعوش مشهورة جدًا بنشاط رجالها في الحروب و بالوقائع العديدة التي حصلت فيها .
وهي من اعلى قرى الجبل جيدة الهواء وفيها المشايخ بيت عطا الله المشهورون

وكانت زوجته حاملاً . فولدت ذكراً سمي ناصر الدين محمد فكبر وكان ذا معارف وصناعة وتعلم علم الهندسة والفراسة وحرفة الصياغة والنجارة والخراطة وتوفي بدمشق بلا عقب . ثم ان الامير زين الدين صالح ابن الحسين ولد علاء الدين وكان ذا حشمة وحسن الذوق في ترتيب الملبوس وتوفي وعمره ثلاثون سنة . وولد بدر الدين حسن وكان جميل الخلقة والاخلاق . ثم ان بدر الدين حسن ولد ناصر الدين محمد وعماد الدين اسماعيل وانتقل الى قرية رمطون . ثم ان الامير زين الدين صالح ولد الامير شهاب الدين احمد . وقد تقدم ذكر زمانه ووفاته وسنذكر اولاده بعد ذكرنا لاخوته . فالامير بدر الدين موسى كان كريماً جواداً ذا سطوة وكان متقناً صناعة النجارة وكان يعمل النشاب الحسن وهو الرابع من اولاد الامير زين الدين صالح . وايضاً اخوه الامير يحيى وهو الخامس من اولاد الامير زين الدين صالح الحسين والد الامير فخر الدين عثمان المقدم ذكره . ثم الامير الكبير العالم المشهور بعلمه وبعلم الفراسة صاحب العزم والحزم صالح بن يحيى بن صالح ابن الحسين وهو وحيد زمانه . وفائق اقرانه . وقد جمع العلوم في معرفة الكواكب والنجوم . والاسطرلاب ونظم الشعر وترتيب التواريخ . وقد كتب تاريخ بيت التنوخ وهو صاحب الغزوات وقد حضر فتح قبرس . ثم والد الامير عثمان المقدم ذكره سيف الدين يحيى الاخير الذي فاق الاولين والاخرين في فنون عديدة من حسن الخط المشهور والصياغة ونظم الشعر . وترتيب التواريخ وقد تقدم نعته بالاختصار في تاريخه . وكان توفي والده الامير فخر الدين عثمان وعمره سبع سنين فنشأ بعد والده وساد قومه . واما الامير شهاب الدين بن صالح بن الحسين فقد تقدم الشرح عنه عند ذكر وفاته . واما ولده الامير علم الدين سليمان فبلغ منزلة عظيمة في حسن الخط وخصوصاً كتابة الثلث منه وفي نقش الصياغة وقد قتل في حرب التيمورلنك في دمشق سنة ٨٨٣هـ . وولده بهاء الدين داود ولد علم الدين وكان حكيماً بارعاً بصناعة الطب وتوفي بلا عقب . وايضاً من اولاد الامير شهاب الدين احمد بن صالح بن الحسين الامير شرف الدين عيسى فقد تقدم الشرح عنه وسيأتي الكلام على ذكر اولاده . ثم ولد شهاب الدين احمد سيف الدين ابا بكر وكان شجاعاً مقداماً حضر مع الملك الظاهر برقوق حصار دمشق ووقعة شحقب . ثم حضر وقعة يلبغا ووقعة الناصري مع عرب النُضير وتوفي سنة ٨٨٣ هـ ولم يخلف ولداً . واما الامير شرف الدين عيسى بن احمد بن صالح بن الحسين فولد اربعة اولاد وهم ناصر الدين محمد وكان شاباً ذا شجاعة وسخاء كثير الحشمة رفيع

المرتبة توفي في حياة ابيه سنة ٨١٣ هـ . ثم اخاه شرف الدين موسى واخاه عز الدين صدقة واخاه زين الدين عمر الذين تقدم ذكرهم . وعاش شرف الدين موسى بن شرف الدين عيسى مدة طويلة وتعاطى الاحكام واتقنها بحسن نظام . واما اخوه زين الدين عمر بن شرف الدين عيسى فولد ناصر الدين خالد وكان عارفاً باخبار الخلفاء ويود قراءة الدواوين . ثم ولد الامير ناصر الدين خالد الامير زين الدين ظاهر الاول . وكان شاباً حسن المعارف فاز على اقرانه بالقراءة واتقان العلوم ومات يافعاً في حياة والده . ثم ان الامير ناصر الدين خالد ولد له ولد فسماه على اسم اخيه المتوفي ظاهر وكان شاباً حسن السيرة والعقل محبوباً عند الناس مغرماً باقتناء الطيور وتربيتها وتوفي سنة ٩١٠ بدون عقب فانقرض بيت الامير زين الدين عمر بن شرف الدين عيسى . واما اولاد الامير موسى بن شرف الدين عيسى فكانوا اربعة . وهم ناصر الدين محمد وشهاب الدين احمد وزين الدين عبد القادر وجمال الدين حجي . فالامير ناصر الدين محمد توفي في حياة ابيه وكان شاباً حسن المنظر ذا نفس رضية . واما اخوه شهاب الدين احمد فحذا حذو الملوك في الجند والخيل والخدم والترتيب . وكانت الناس تنظر اليه بعين الاعتبار وتوفي شاباً في حياة ابيه سنة ٨٩٢هـ . واما اخوه الثالث زين الدين عبد القادر فكان شجاعاً فائقاً في الفروسية . فاصيب بداء الاسد فتوجه الى دمشق وتوفي فيها . واما اخوهم الرابع الامير حجي الاخير فكان زائد الحشمة ذا هيبة ووقار قريب الى الناس حلو الكلام ذا شدة وباس مهد السواحل البحرية بعد ثورة اهلها . وعاد جماعة من مقدمي البلاد للهياج والثورة فلم يهبهم وخشي سطوته الاكثرون منهم المجاورون للبلاد وكان يقصده النازحون عن اوطانهم من حوادث الايام ليستغيثوا به فيجتهد باعالتهم جهده ويصرف لهم ماله ويحمي الخائف ويعين الملهوف . وكانت له رتبة عالية عند الملوك الشامية . وسار الى الحج الشريف في اول عمره وانفق مالاً زائداً . وكان لا يسمع سوى ما يلائمه . ولا يشارك برايه احداً . ويكتب بخطه جميع اغراضه وكان قلمه دنيئاً لا يليق بمثله ولكنه كان يستحسنه وفي سنة ٩٢٥ هـ سار الى الشام مع جملة من اكابر البلاد واعمال الشام بسبب التجريدة على العربان لما اخذوا الحج ونهبوه بتلك السنة . وكان وصوله الى دمشق بعد خروج النائب فقبض عليه وكبله وسجنه اياماً وتوفي بالسجن وكان له ولد دون البلوغ وهو موجود حي الى يوم تاريخه سنه ٩٢٦هـ ويسمى شرف الدين علي . واما اولاد الامير عز الدين

صدقة بن عيسى بن احمد فهم بدر الدين حسن • وسيف الدين زنكي وقد تقدم ذكرهما ووالد الامير بدر الدين حسين ولد فسماه ناصر الدين محمد وتوفي بعد ابيه • واما سيف الدين زنكي وعز الدين محمود وسيف الدين ابو بكر فكان احدهما عز الدين محمود لا يتعاطى امور الاحكام بل كان عائشاً بذاته وكان يرغب في الصيد والقنص وكان قليل الاذية للناس وتوفي فخلفه ولده بدر الدين حسن • وكان افضل من ابيه وعاش بذاته ولم يتداخل بالاحكام ولا بمعاملة الناس • واما سيف الدين ابو بكر ابن سيف الدين زنكي بن عز الدين صدقة بن عيسى فكان توفي والده زنكي ووالدته وهو صغير وربي يتيماً. فنشأ و بلغ رتبة عالية وحفظ اكثر الصنائع • و برع في قلم التوقيع والمطالعات الموجزة الالفاظ • وفي بديع الاختصار باللفظ المعتبر يكتب شيئاً قليلاً في القرطاس مالا يكتبه غيره بكثير منها والمعنى واحد • وتعلم الفرائض فنال منها درجة عالية • و بلغ في الصنائع درجة الامير سيف الدين عثمان بن صالح بن الحسين المتقدم ذكره • ومهر في التخريم والاشغال اللطيفة الدقيقة ونقش الخواتم الفاخرة واتقن الرسم وحذا حذو الامير عبد الله ابن سلمان في العلم والورع والتقوى • ثم ساس الرعية واحبت الناس احكامه ومهر في الاحكام الشرعية ورغب في مصالح الناس • وكان اذا حضر خصمان امامه يجتهد اولاً في مصالحتهما • واذا لم يمكن يفصل بينهما بحق الله من غير ميل حتى بلغ نفوذ امره الى الفتوى وقصدته الناس من ابعد مكان مع كثرة الكلفة وكان سخياً في العطاء وله صفات اخر كثيرة اختصرناها لطول شرحها • وولد سيف الدين ابو بكر زين الدين صالح وشرف الدين يحيي وناصر الدين محمد • فكان زين الدين صالح صالحاً كاسمه وقد ترك الدنيا ومقتناها من الخيل والسلاح والاثاث وغيرها ورغب في قراءة الكتب وحسن الخط وكان بارعاً في النسخ • ورغب في الرسم والنقش والتزميك • و بلغ من ذلك العلم الرفيع الباهر مبلغاً عظيماً • و برع في علم الشعر والبديع وتوفي حديث السن وعمره ست عشرة سنة في حياة والده • وكان لفقده حزن عظيم ورثاه صاحب هذا التاريخ حمزة ابن احمد الفقيه ابن سباط بهذه القصيدة

تجري الدموع جفون العين كالديم	والقلب ملتذع وجداً من الالم
والطرف يسكب دمعاً سحّ وابله	من لوعة البين دمعاً خلت ذاك دمي
ذا من حزين سخين الدمع من اسف	لطول احزانه جريٌ الدمع من سجم
والجسم في نصب والقلب في تعب	وفي الحشى لهبٌ والسمع في صمم

من محنة احرقت كم مهجةٍ جرحت | جمع الورى لفحة من ريحها الوسم
والروم في حرج والترك في هرج | والعرب في وهج والعجم في وجم
ومحنةٍ فتكت بالغرب اجمعها | والجرد والمتن والاشراف كلهم
لما ترى قطب افلاك المدار بها | بحر العلوم سراج النور في الظلم
شمس الشموس و بدر الافق نورهدى | مجلي الصدا عن وشي الدم منفصم
ان قلت ليثاً فيخشى الليل سطوته | او قلت غيثاً فما للغيث بالسلم
لهفي عليك همام لو بلغت مدى | ما فاتك الشافعي من سالف القدم
ولا ابن حنبل ثم المالكي ولا | ابي حنيفة في الآيات والحلم
ولا ابن برمك في جودٍ وفي سعةٍ | لجود كفيك وبلٌ منه كالديم
لو انصف الدهر ما اودى به قمرًا | تبت يداه بلا عهدٍ ولا ذمم
يغتال كل همامٍ عادلٍ فطنٍ | بجوده يترك الاوباش مع قزم
ان قال قائل من تعني بذاك ومن | اودى فقلت حقيقًا صاحب العلم
امـير صالح بل هو للمصالح وال | بيض الصفائح او للصافن المصم
في ست عشر عام حاز اربعـةً | الترك والروم والعرب مع العجم
وساد بالسيف لما نال اربعةً | الفضل والبذل والتقريض بالقلم
ورتبًا نال بالتشبيه اربعـةً | الغيث والليث او للبدر بالعظم
واختص بالنور ايضًا بعد اربعةٍ | البشر والنور والاخلاص والفهم
لا يوجـد الآن فيه قط اربعةٌ | الحقد والغش مع فرح بلا نجم
قد غرّس الرحمن فيه اربعة | الفكر والذكر بعد الرأي والهمم

وقال ايضًا المصنف لهذا التاريخ مخمسًا

امير صالح الاعمال حرٌّ | حميد الذكر في الايام درٌّ
عفيف خاشٍ الرحمن جهرٌ | وعند وجوده الايام غرٌّ
فاقفرت المجالس والبيوتُ

فتى يزري غصون البان عطفًا | وبدر التم اسنى منه عرفًا
وقد فاق المهى عجبًا ولطفًا | لحى الله الخطوب سقته صرفا
فكان مقدرًا ما منه فوتُ

فيا آل المدائن والقرايا | ويا اهل المدارس والزوايا

مع الجمهور من كل البرايا   فهل لمصابنا رأت الروايا
بان الصالح الزيني يموتُ

واما الامير شرف الدين يحيى بن الامير سيف الدين ابي بكر اخي الامير الصالح فكان شيخاً بطلاً صاحب حزم واقدام لا يهاب سطوة الملوك وسار الى مصر ودخل على الملك قانصوه الغوري بقلعة الجبل ونال منه القبول وقضى ما كان له من الاشغال وحضر الى رئيس العساكر المصرية فاعجبوا به وتفرسوا فيه. وكان الامير الكبير راس اليمنية بمصر حينما يدخل عليه الامير شرف الدين يحيى يقوم له قائماً . ثم حضر مع الملك المظفر سليم شاه بن عثمان ملك الروم في مرج دابق. ولما تملك السلطان سليم الديار المصرية ورجع الى الشام حضر اليه وقدم له الخيل المسوّمة واخذ منه الاوامر بعلم املاكه . ولما عصي الامير ناصر الدين بن الحنش نائب صيدا والبقاع على السلطان سليم جهز امير الامراء جان بردي الغزالي على اعمال صيدا فهرب ناصر الدين الحنش واختبأ . فاتهم به الامير شرف الدين يحيى فقبض جان بردي الغزالي على الامير شرف الدين وعلى اخيه الامير زين الدين وعلى الامير قرقماز والامير سليمان اولاد الامير فخر الدين ابن معن امراء شوف صيدا وارسلهم الى قلعة دمشق . ثم رحل السلطان سليم الى حلب واصحبهم معه معتقلين . ولما وصل اليه راس ناصر الدين ابن الحنش امر باطلاقهم . وتكلفوا بواسطة ذلك اموالاً جزيلة . واستمر الامير شرف الدين يحيى في حلب مدة طويلة . ثم سار الى جهة الفرات وقدم على الوزير الكبير وثبت منه الاوامر التي كانت بيده . وحضر الى الشام وتقرب من امير الامراء جان بردي الغزالي نائب دمشق فاحبه واكرمه . وكان الامير شرف الدين فائقاً في حسن الخط وقلم التوقيع . واما اخوه الامير ناصر الدين محمد ابن سيف الدين ابي بكر فهو موجود الان الى يومنا هذا في تاريخ سنة ٩٢٦ ه (ايام ابن سباط المؤرخ) وولد الامير شرف يحيى الامير شهاب الدين احمد وعمره الان سبع سنين واخاه الامير زين الدين صالح وعمره الان خمس سنوات في سنة ٩٢٦ ه انشأهم الله انشاء صالحاً

فهذا ما شرحناه بالاختصار عن ذرية الامير الكبير ابن الامير ناصر الدين الحسين ابن الامير سعد الدين خضر ابن الامير حجي ابن الامير بحتر ابن كرامة التنوخي

واما الامراء الذين سكنوا قرية رمطون فاولهم الامير علم الدين ابن الامير سليمان

ابن سيف الدين غلاب بن علم الدين ابن معن بن معتب بن ابي المكارم بن عبد الله بن هرماس بن طريف بن طارق الذي تنسب اليه الطوارقة وهم فخذ من آل عبد الله وآل عبد الله نسبة قديمة الى ال تنوخ . وتنوخ ربما كانوا قبل ظهور الاسلام وهم ملوك اليمن من آل قحطان . ثم نرجع الى الكلام عن الامراء الذين سكنوا قرية رمطون اولهم الامير علم الدين فلم يكن في عائلته مثله . وكان سيف الدين غلاب وعبد الحسن كرامة اولاد الامير علم الدين معن فهؤلاء كانوا من سكان قرية عبيه . فرحل سيف الدين غلاب وعبد الحسن الى رمطون وبقي اخوهما كرامة في قرية عبيه . وهم اوّل النسب الذي اوردناه . واما الامير علم الدين الرمطوني فكان رجلاً جليل القدر مشهوراً باعتداد النفس وحدة الطبع . وكان الامير ناصر الدين الحسين الذي تقدم عنه الشرح يداري الامير علم الدين ويكرمه ويجلسه مجلساً ارفع من جميع اقاربه . ولم يكن احد من سلفاء الامير علم الدين معن الرمطوني تزوج بابنة من ذرية الامير ناصر الدين الحسين سوى الامير علم الدين المذكور لان ذرية الامير ناصر الدين كانت بحسب ذاتها ارفع منهم قدراً وشرفاً . فانه لما اخذ الامير ناصر الدين الامارة الكبرى اعطى قطائعه العتيقة للامير علم الدين المذكور وازوجه بابنته فاتصل نسبهم بال تنوخ وصاروا كبيت واحد وذلك سنة ٧٠٩ هـ وولد للامير علم الدين اولاد ينتسبون الى امراء الغرب . وسموا بيت علم الدين[1] . وهم سيف الدين غلاب الصغير وعز الدين جواد وبهاء الدين داود وركن الدين محمد . اما سيف الدين غلاب فكان عاقلاً ديناً ذا خط حسن . ولم يكن احد في عائلته كتب بقلم النسخ قبله . واما اخوه الامير عز الدين جواد فكان حسن الصورة فهيماً وتعلم الخط عن يد بهاء الدين محمود خطيب بعلبك ففاقه بحسن الكتابة وجودة النسخ وله تفننات في الكتابة لم يسبقه اليها احد من العرب والعجم . منها انه كتب آية الكرسي على حبة ارز وذكر لي صالح ابن يحيى انه شاهد ذلك عياناً . وقال لي انه قرأها ولم يعجم عليه حرف منها . واخبرني من لحق بايام الامير عز الدين جواد قال لي ان شخصاً من اجناد الشام رأى حبة ارز عند الامير عز الدين مكتوب

---

(١) علم الدين هو جد الامراء بيت علم الدين اليمنية لان علم الدين هذا وعائلته خرجوا عن حزب التنوخيين القيسيين وتراسوا على حزب اليمنية ومن نسله الامير علي الذي دهم التنوخيين في عبيه وقتلهم وقتل اولادهم وقطع السلالة التنوخية

عليها اية الكرسي . وتحدث عن ذلك في دمشق فلم يصدقه احد من اعيان الشام . فرجع ذلك الجندي من دمشق في اوان المطر الى رمطون في طلب حبة ارز مكتوب عليها . فوجد الامير عز الدين جواد غائباً عن قرية رمطون في مزرعة دميت [1] من اعمال شوف صيدا فتوجه ذلك الجندي اليه ولم تكن الة الكتابة معه في مزرعة دميت فارسل احضرها اليه من رمطون . وكتب في ذلك اليوم آية الكرسي على عدة حبات ارز . ورجع الجندي بتلك الحبات الارز الى الشام . وكتب الامير عز الدين مصحفاً لطيفاً جداً واهداه الى نائب الشام فوضعه حرزاً في زنده . وعمل لتنكز نائب الشام ندب نشاب ميداني من بزور الخروب . فنظر اليه ارباب الخبرة ولم يعلموا واعوده حتى اعلمهم به . وصاغ لجاماً من الفضة لنائب الشام لم يعرف احد كيفية صنعه حتى بين لم طريقتها . وعمل مطابع من البولاد (الصلب) لاجل طبع نقش السيوف وتوفر بذلك على الصياغ تعب زائد واشياء اخر كثيرة صنعها اقتصرنا عنها . وتوفي سنة ٧٥٨ ﻫ . واما اخوه ركن الدين محمود فكان لطيفاً بذاته يعلم صناعة الخراطة والنجارة وعمل لاخيه نصاب اقلام للرسم في غاية اللطافة . وكان له اليد الطولى في صناعة التطعيم (على الخشب) . ثم ان الامير عز الدين جواد ولد الامير ظاهر الدين علياً . وكان عاقلا ذا معارف وخط حسن . وولد ظاهر الدين سيف الدين غلاب وعز الدين حسن . وولد عز الدين حسن ناصر الدين محمداً وتوفي قبل ابيه بمدة قليلة . وبعد وفاتهما انتقلت قطائعهما الامير حسن الدين صدقة ابن شرف الدين عيسى . فهذا نسب الامراء بيت علم الدين بقرية رمطون . ثم يجب ان نذكر القضاة ومن تولاه . فاول القضاة (من التنوخيين عماد الدين حسن وكان جليل القدر فاق على سلفائه بالسياسة وهو الذي بنى الجسر الذي على نهر الصفا (الدامور) بين الغرب والشوف ولا يزال ينتسب اليه الى الان) وقت كتابة الامير حيدر والى وقتنا الحاضر ايضاً) . وكان له رغبة في عمل الخير والصدقات وكان القضاء اولاً في عين كسور بيد رجل يسمى ابو الياس من آل معتب واستمر القضاء متنقلاً الى ان اتصل الى ابي اليقظان عماد الدين حسن بواسطة الامير ناصر الدين الحسين ابن الامير سعد الدين خضر . وكان الامير زين الدين صالح بن الامير ناصر الدين الحسين

---

(١) دميت قرية صغيرة في ناحية المناصف يسكنها الشيخ سليم بن الشيخ عبد اللطيف القاضي . ولعله من نسل هؤلاء القضاة

له عناية زائدة في عماد الدين حسن تشبه عناية والده في علم الدين الرمطوني . وتوفي القاضي عماد الدين حسن سنة ٧٦٨ هـ . واما اخوه بهاء الدين محبوب فكان جاعله الامير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين خضر نائباً عنه في قطائعه وكان ساكناً بقرية كفرز بد [١] . فلما قلت الناس من كفرز بد لضيق المعاش رجع الى قرية بيصور و بناها . وولد القاضي عماد الدين حسن بهاء الدين صدقة وجمال الدين محمد . وتولى جمال الدين صدقة نيابة القضاء في بلاد الغرب [٢] على قاعدة ابيه وجده . ثم ولد بهاء الدين صدقة علاء الدين علي وتولى نيابة القضاء بعد ابيه . واما جمال الدين محمد بن عماد الدين حسن القاضي فلم يخلف اولاداً ذكوراً وكان له بنات فقط . ثم ولد بهاء الدين صدقة شرف الدين حمزة وزين الدين عبد الوهاب وفارس الدين سليمان وعماد الدين موسى . فتولى القضا شرف الدين عبد الوهاب . وكان حليماً كريماً عالماً بالاحكام والفرائض فاغتالوه في بيته وقتلوه . وتولى القضاء بعده اخوه زين الدين وكان حاكماً صارماً وتوفي سنة ٨٩٥ هـ وولد اولاداً هم شمس الدين محمد . وجمال الدين يوسف . وزين الدين عبد الحي و بدر الدين حسن وتولى النيابة شمس الدين محمد واتقن رتبة ابيه في القضاء وتخليص الحقوق . واما اخوه جمال الدين يوسف ابن القاضي زين الدين فاعتنى بتربيته بعد ابيه الامير جمال الدين عبد الله السيد ابن سليمان لانه كان خال والدته . واما اخوه عماد الدين فولد له اربعة اولاد وهم عز الدين صدقة و بدر الدين حسن وزين الدين عبد الرحمن وسعد الدين خضر . اما عز الدين صدقة واخوه زين الدين عبد الرحمن فتوفيا بيوم واحد في الطاعون . ثم توفي بعدهما ولد عز الدين صدقة . واما اخواهما بدر الدين حسن وسعد الدين واولادهما فهم موجودون الى يوم تاريخه سنة ٩٢٦

(عندما شرعت في كتابة نسب وتاريخ الامراء آل تنوخ متبعاً ما كتبه المؤلف الامير حيدر الشهابي بالحرف الواحد اخذتني الغيرة الوطنية ان ابحث وافتش واسأل كثيرين من اصحابي ومعارفي ترى هل يوجد لهذه العائلة الشريفة احد باق للان ينتسب اليها . وكما دأبي في كل مواضيع هذا التاريخ انني لم اكتف بما كتبه المؤلف بل بحثت عن

---

(١) كفرزبد قرية في شرقي البقاع مقابل زحلة والمعلقة لاتزال عامرة الى الشمال من عنجر

(٢) يراد ببلاد الغرب الغربين والشحار والجردين وكان قضا الشوف مقسوم الى قسمين الغرب والشوف فيراد بالغرب الجزء من لبنان الموالي البحر وحده شرقي نهر الدامور الى قمة الجبل ولذلك يحسب الغربان والجردان منه والباقي الشوف

كل حادثة وقضية في تواريخ اخرى واضفت ما رايته لازماً لتكمل الفائدة لذلك كتبت لكثيرين من اصدقائي مستفهماً هل يوجد احد من بقايا هذه العائلة الشريفة فاتحفني صديقي الفاضل الاديب العالم المحقق امين افندي فهد من عبيه الذي ساعدني كثيراً في هذا المشروع بعد ماتحقق من كثيرين من الثقاة بان عائلة امين الدين الشهيرة المستوطنون في قرية عبيه هم متسلسلون من بيت القاضي الذين كانوا في بيصور وهؤلاء كما سبق وكما سياتي في هذا التاريخ فرع من آل تنوخ او عائلة شريفة بالحسب والنسب التصقت بآل تنوخ وتزوجت منها وزوجتها وصارت جزءاً منها وهاك ما كتبه لي بالحرف الواحد .

ان عائلة آل امين الدين العريقة في الحسب والنسب تنتسب الى الامام العالم القاضي امين الدين عرف نسبه السامي ومقامه الوسيم منتسب الى قضاة عين دارة ولد القاضي زين الدين صالح وهذا ولد الشيخ جمال الدين والشيخ جمال الدين ولد الشيخ حسن . وهذا ولد العالم الفاضل الشيخ بدر الدين الذي كان شيخ مشايخ الدروز في جبل لبنان وقت ولاية ابن اخته الامير فخر الدين معن الشهير على جبل لبنان . وانتقل الشيخ بدر الدين الى عبيه قصبة الشحار بعد القبض على الامير فخر الدين واخذه الى القسطنطينية واقام فيها مستحسناً مجاورة انسبائه بالزواج الامراء آل تنوخ . وفي احدى زياراته عين دارة توفي فيها فنقل اهالي الشحار جثته الى عبيه وجرى له مأتم عظيم يليق بمثله ودفنوه في مدفن الامراء آل تنوخ جنوبي مقام الامير السيد عبد الله التنوخي . وكان لهذا الرجل العظيم اراضٍ وقرى كثيرة نذكرها حسبما ورد في وقفيته المسجلة في عدة محاكم . عين دارة وصوفر ورشميا والمغار وسلفايا . جسر القاضي المنسوب اليه . مع المطاحن التي بقرية رحالا والبنيه ودار في عبيه وكان له ولد هو الشيخ علم الدين امين الدين . اخذ بعد ابيه مقامه وسار في سبيله فكان فاضلاً وديناً ورعاً ومات عن ولدين هما الشيخ حسين والشيخ يوسف . فالشيخ يوسف مات بدون عقب والشيخ حسين ولد ثلاثة اولاد احدهم وهو الشيخ عساف الصغير مات يافعاً في سنة ١٠٨٠ هـ وكان تقياً فاضلاً بني له مدفن في احسن بقعة من قرية عبيه يزوره الكثيرون الآن . والثاني الشيخ يونس مات بدون عقب . والثالث الشيخ احمد اكبرهم ولد له ولدان الشيخ عز الدين والشيخ سيد احمد . فالشيخ عز الدين كان محسناً جواداً . ومن مآثره بناء السبيل المشهور في قرية عبيه المسمى بعين علي كما يشهد بذلك التاريخ المحفور فوق

الميزاب على صدر الحائط سنة ١٠١٨ هـ . وبواسطة ذلك (اي ايجاد هذا المنبع كما هو معروف بالتواتر انه وجده او اهداه اليه راعي معزى يدعى علي اذ كان يوجد ثلمة صغيرة ينزل اليها كلب الراعي كلما مرّ من هناك و يشرب منها وكان حول عين علي احراج سنديان وصخور بسفح ذلك التل وكانت مياهها تسير تحت الارض لا يعلم الى اين وعند ما اهتدى اليها وبنى لها هذا السبيل ترك التنوخيون طرد لاواهلها ايضاً ونقلوا مع اسيادهم و بنوا عبيه واهملوا طردلا لحسن مائها وطيب هوائها وافضل مركز في عبيه هو حارة الشيخ احمد امين الدين) فالشيخ عز الدين ولد الشيخ يوسف المشهور بشجاعته الذي اعطاه حاكم الجبل وقتئذٍ الشحار قطعة . والشيخ سيد احمد ولد الشيخ يوسف والشيخ احمد والشيخ حسين والشيخ احمد كان شيخ مشايخ الجبل (شيخ عقل طائفة الدروز) . وهو صاحب المآثر الغراء التي بها يزدهي كل انسان لانه كان مشهوراً بالتقى والصلاح ديناً محباً للخير والسلام . وهو الذي اصلح الامر بين الامير بشير الشهابي الكبير حاكم لبنان و بين الشيخ بشير جنبلاط احد انسبائه وقت اختلافهما اول مرة كما سيأتي تفصيله في محله)

(ومن ذلك يستفاد ان عائلة بيت امين الدين من بقايا بيت القاضي الذي احدهم بنى جسر القاضي وانهم زوجوا وتزوجوا من بيت تنوخ ومن بيت معن ايضاً . وان كثيرين منهم دفنوا في مدافن التنوخيين كما ذكر (وان الامراء بيت علم الدين اليمنية هم متسلسلون من بيت علم الدين سكان رمطون الذين ذكرنا عنهم ان الامير ناصر الدين الحسين اعتبرهم وزوج احدهم ابنته وتزوجوا منهم وصاروا يحسبون منهم . والامر مؤكد ان امراء بيت ارسلان متفرعون من التنوخيين وكلاهما من اصل احد

هذا ما سهل به الايراد من ذكر آل تنوخ ومن انضم اليهم من الرماطنة سكان رمطون . و بيت القاضي سكان بيصور الذين يحسبون خارجين عن النسب الذي ذكرناه اي عن ذرية الامير الكبير جمال الدين حجي واخيه الامير سعد الدين خضر . اما الامير صلاح الدين يوسف بن الامير سعد الدين خضر فقد ذكرنا سابقاً اننا ابقينا شرح نسبه الى الآن . فهو اصل فرع الامير جمال الدين عبد الله السيد ابن سلمان . وكان صلاح الدين يوسف رجلاً ديناً سخياً حاذقاً ذا هيبة ووقار . وكانت افار به تنقاد اليه بعد اخيه الامير ناصر الدين الحسين . فولد الامير صلاح الدين يوسف ثلاثة اولاد وهم بدر الدين محمد واسد الدين محمود وعلاء الدين علي فتوفي اسد الدين في سنة

٧٨٦ ه وكان عاقلاً رضي النفس محباً للخير . واما اخوه علاء الدين علي فكان شجاعاً
قوي القلب والعزم . توفي في مدينة دمشق من عضة كلب كلب في سنة ٧٩٣ ه .
وتوفي بدر الدين سنة ٧٩٨ ه . وكان للامير بدر الدين محمد ولد هو علم الدين سليمان .
فولد علم الدين سليمان الامير جمال الدين عبد الله السيد ثمرة الخير ومعدن البركات
ومفتاح الصدقات المنعوت بحميد الصفات . ثم ولد ايضاً علم الدين سليمان تقي الدين
ابراهيم فتوفي بداء السل بعد ما ولد تقي الدين سليمان . وولد تقي الدين سليمان بن
ابراهيم اولاداً وهم زين الدين وعبد الرحمن وعلاء الدين علي وصارم الدين ابراهيم
فقتل صارم الدين بارض كسروان كما تقدم عنه الشرح بهذا التاريخ

واما السيد جمال الدين عبد الله فولد سيف الدين عبد الخالق وتوفي صغيراً .
ثم ولد له ولد اخر فسماه باسم اخيه المتوفي عبد الخالق . ولما بلغ ولده عبد الخالق
من العمر سبع سنين مال الى العلم والتعليم فنبغ فريد عصره . ونتيجة دهره . وتوفي
في حياة ابيه السيد عبد الله وله من العمر ثمان عشرة سنة كما مر في اول هذا التاريخ
فحصل بموته خطب عظيم وحزن عميم . واجتمع في مأتمه الخلائق وسالت العبرات
وعلت الاصوات . وخرج والده عبد الله وقت دفنه وهو راكب مطية الصبر . مسلم
لله الامر . ووعظ الناس بالمواعظ الفصيحة بالالفاظ الصحيحة فقال : « سبحان الله والحمد
لله لاحول ولا قوة الا بالله . له البقاء الدائم . وهو العليم الحاكم . وله الامر الجازم
فلله الحمد على ما اولى . والشكر على ما ابلى واعطى ومنع . وتكرم واشبع . له الامتنان .
وعليه التكلان . وهو العظيم الجليل . واني العبد الذليل . الواقف بباب الرحمة . الطالب
منه النعمة . ثم عاد بعد الدفن الى منزله وامر باحضار السماط ولبس حلل الطاعة . ورضي
من ربه باخذ الوداعة . وقال « ايها الناس لا فوت من الموت فلكم عند الله من الخير
ما تكسبون . ومن الشر ما تفعلون ونحن واياكم في قبضة مالك الممالك . وهو المنجي من
المهالك . قبول اوامر الله طاعة وصبر . والاتكال عليه عز ونصر . فطوبى لمن قبل
اوامر الله اطاعة . وركب جواداً للقناعة . وجعل مدته من الدهر ساعة . وعلق في محبة
ربه فكرة الماعة . وقيد النفس بقيد الوداعة . ورضي بتسليم الوداعة . اي لايجوز للعبد
ان يعارض ربه فيما ابدع . او يغضب في استرداد ما اودع . او يظن ان اقتضاه الله
مرداً ومندفع . ايها الناظرون الي اتظنون ان صبري على فقد ولدي جهالة . او ترك
تعرضي للقضاء ضلالة . او اني نسيت علمه وفضله وطاعته وصبره . فالصبر مطية من

اتقى » . ولا زال يري الناس الحكمة الباهرة . والمواعظ الزاهرة . حتى تعجب كل من حضر من ذلك الكلام . ثم ان شمس الدين عبد الخالق رثى عبد الخالق المتوفي بهذه الابيات

قف بالديار حيها وناديهـــا   وانظر الى ربها العالي وناديها
ام المعالي فقد دكت مبانيها   من بعد ما كان سيف الدين بانيها
ياعبد خالقنا قد كنت راعيها   فبعدك اليوم من اضحى يراعيها
خير العلوم صغير السن حاويها   والكتب منهاجها قارٍ وحاويها

وقال ايضاً

هوى لمصابنا الركن المشيــد   ومال وغاب طالعنا السعيد
فقدنا ماجداً فاق المنادى   وكاد لفقده رضوى يميــد
فاضحى بالدما السفاح جفني   و بين جوارحي حزن يزيد
امير كان مامون الخفايا   الى التقوى له قلب رشيــد

ثم رثاه غيره بقصائد كثيرة اقتصرنا عن ذكرها خوفاً من الاسهاب . وكان والده الامير جمال الدين عبد الله السيد يعظ الناس و يشرح لهم قصص الانبياء . و يري الناس انه لم يجزع من الصبر . لانه كان لايرى بهجة الا لربه . ولا يبذل مسعاه الا اقربه . لانه كان يتجنب كل مايرضي الناس و يقترب لكل مايرضي الله . ونقل عنه انه لم يكن يلاصق اقرباءه لظنه ان اموالهم مخالطة اموال الدول حتى انه كان يتجنب اضاءة مصباح فيه زيت من ارزاقهم . وكان دائماً يطوف البلاد . و يزور الاجاويد[1] اينما وجدهم . وحفظ الكتاب العزيز غيباً حتى انه ما كان يغبي عليه خطة واحدة وكان يتلوه مقلوباً . وجمع كتباً كثيرة في النحو والفقه والاشعار وتواريخ الملوك . وقيل انه جمع عنده ثلاثماية واربعين مجلداً في شرح العلوم . فارتفعت اعلامه . وظهرت احكامه . فانصف بين الخصوم ونصر المظلوم . و بنا المساجد وجدد الجوامع . وامر بقراءة القرآن في جميع البلدان . ونهى عن شرب الخمر وجميع المسكرات فتابت الناس على يده وانصاعت الى اوامره . وكان يكره بيع الزبيب الى الديار المصرية لئلا يصنعوه خمراً . وكان له تلاميذ كثيرون في البلاد . يأتمرون بامره . و ينتهون بنهيه . وقد

(١) يريد بالاجاويد المتدينين لانه كان درزياً والدروز يقسمون الى قسمين عقال او اجاويد وجهال وهم خلافهم الذين لايؤتمنون على اسرار الدين

جعل له في كل جمعة يوماً معلوماً تاتي الناس اليه ويدرسون عليه ويتعلمون من علمه . ثم امر تلاميذه الكبار والاتقياء الابرار ان كلاً منهم يجعل له يوماً معلوماً ليعلم الناس به في بلدته . وكان يأتيه المتخاصمون من ابعد مكان فيحكم بينهم بالحق الصريح . ويلزمهم في الثبوت عليه ولا احد يخالف مقاله . حكي انه لما ذهب الامير جمال الدين الى دمشق دخل يوماً على ابن الكسيح وهو من علماء الشام وفقهائها وقد ترحّب به . ثم سأله عن بلاده وهل فيها اسلام على التمام . قال السيد عبد الله نعم ويحفظون القرآن . فقال له ابن الكسيح وهل تصلون . قال ومن يقوم بغير صلوة . قال وكيف تكون الصلاة . فقال الامير جمال الدين عبد الله اقوم بالامر وامشي بالسكينة . وادخل بالنيّة وامثل الجنة عن يميني والنار عن يساري . واقول في نفسي ان الله حاضرٌ امامي واني ربما لا اصلي صلاة بعدها . قال فالتفت الى اصحابه وقال لهم صلاتكم جميعها باطلة . وكان السيد يقول دع العلم دليلك والورع مشيرك والحلم وزيرك . وقيل انه مر يوماً ببناءٍ عظيم فرأى اصول (جذور) الشجر داخلة ما بين تلك الحجارة العظيمة التي لم تكن المسلة تدخل ما بين الحجر والآخر لاتقان البنيان فقال هكذا تكون الذنوب فلا يستصغر احد ذنوبه لانها تنشأ في الانسان كنشوء الشجر في البنيان . ولما توفي الامير جمال الدين عبد الله في سابع عشر يوم من شهر جمادي الاخر سنة ٨٨٤ هـ اقام تلاميذه رئيساً يرشدهم بعده ويشير عليهم ابن عمه الامير سيف الدين ابي بكر بن سيف الدين زنكي . فقوي امره وطاعته الناس ولكن كان لفقد الامير جمال الدين عبد الله السيد رجّة عظيمة في البلاد واجتمع يوم مأتمه ودفنه امم لا تحصى من جميع البلدان ورثوه بمراثٍ وتواريخ عديدة اقتصرنا عن ذكرها وقد نسختهم انا الفقير المصنف لهذا التاريخ حمزة بن محمد الفقيه ابن سباط وهم عندي اثنا عشر كراس ولي منهم ست مراث معروفة باسمي

واما نسب الامير فهو جمال الدين عبد الله السيد بن الامير سليمان بن الامير علم الدين بن الامير بدر الدين محمد بن الامير صلاح الدين يوسف بن الامير سعد الدين خضر بن الامير نجم الدين محمد بن الامير جمال الدين حجي الامير شمس الدولة كرامة بن ابي العشائر بن ناهض الدولة بحتر بن شرف الدولة علي بن الحسين بن ابي اسحق بن ابراهيم بن ابي عبد الله محمد بن علي بن حمد بن عيسى بن جمر بن تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندي بن جندب بن مدحج بن سعد بن طي بن تميم بن النعمان

ابن المنذر ملك الحيرة و يعرف بابن ماء السماء

انتهى تاريخ التنوخيين

الفصل الرابع

في سلطنة السلطان سليمان وهو العاشر من آل عثمان

وفي السنة ٩٢٦ هـ = ١٥١٩ م ذكر المؤرخ انه بعد توفي السلطان سليم صاحب الفتوحات تملك مكانه على المملكة في القسطنطينية ولده سليمان ٠ و بعد جلوسه على العرش نظم المملكة مثل ابيه وكان عنده منجم يهودي يعتمد كثيرًا على كلامه و يثق به فاستشاره فيما يلزم لاقامة المملكة والمحافظة عليها فلشدة بغض اليهود للنصارى قال له انه يخشى على مملكتك من النصارى بان يثوروا و يتحدوا مع الروم و يملكوهم المملكة و بالحال امر ان تقتل جميع النصارى الذين في ممالك بني عثمان ٠ الا ان بيروز باشا الوزير لم يطاوع السلطان على ذلك وقال له ان الملك هو من الله ولمن اراد الله ان يعطيه وان فعلت ذلك تخرب المملكة فعدل السلطان عن ذلك ٠ ولما علم الغند بموت السلطان سليم وتملك ولده سليمان اراد ان ينكث العهد و يصير ملكاً على سوريا كلها فاخذ متقدمي الممالك وتملقهم فوافقوه على رأيه واتحد معه جميع العربان واتى لنواحي الشام ٠ فارسل السلطان سليمان فورط باشا بعساكر وافرة اليه وصار بينهما حرب عظيمة فظفر به فورط باشا وذبحه ورجع الى القسطنطينية منصورًا ٠ وفي هذه السنة جهز السلطان سليمان ابن السلطان سليم العثماني العساكر الوافرة لفتح مدينة بلغراد وهي راس مملكة اونيغار على شاطي نهر دانوسيوس (الدانيوب) ٠ وكان عمر ملكها لو يس اربع عشرة سنة ٠ و بعد حصار شهرين ملكها السلطان سليمان وقتل ملكها واكثر القواد والامراء واعمل السيف باهلها واضرم النار في اربع جهاتها ٠ و بلغ عدد القتلى الذين قتلوا فيها ماينوف عن المائتي الف ونقل صور القديسين الى القسطنطينية والزم البطريرك ان يدفع ثمنها اثني عشر الف غرش (وفيها وقعت الحروب بين اسوج والدانيمارك واستولى كريستيان الثاني على استوكهلم ٠ وفيها ساح مجلان اول سياحة حول الارض ومكث لغاية سنة ١٥٢٢ م وفيها اكتشف مجلان المذكور ارض النار

جنوبي اميركا الجنوبية . وفيها توفي رافائيل الرسام الايطالي الشهير . وفيها افتتح فرديناند كورتز بلاد مكسيكو . وفيها ضرب السلطان سليمان نقوداً في القسطنطينية . وفي السنة ٩٢٧ هـ = ١٥٢٠ م انشأ الملك خير بيك جامع خير بيك بباب الوزير في القاهرة واكتشف مجلان جزائر الفيليبين وجزائر لاورون)

وفي السنة ٩٢٨ هـ = ١٥٢١ م كان مقتل حسن وحسين اولاد الامير عساف في بيروت وذلك لما كان الاختلاف بينهما وبين اخيهما الامير قايدبيه على الحكم فتوسط بينهما بعض اناس حتى طلبوا الصلح ونزلوا الى اخيهما قايدبيه لبيروت فغدر بهما وقتلهما . ومن ذلك الوقت حكم قايدبيه بلاد كسروان ومسك الشيخ يوسف واخاه سليمان اولاد الشيخ حبيش الماروني وسجنهما في بيروت وغرمهما (وفيها امرت جميع التجار بان تبطل استعمال الذراع الهاشمي وتستعمل الذراع العثماني . وفيها توفي بالقاهرة خير بيك باشا بمرض جلدي ودفن في مدرسته التي بناها بشارع درب الوزير تحت القلعة وكان ظالماً مستبداً بالاحكام . وقيل ان بهذه السنة افتتح السلطان سليمان جزيرة رودس كما سيأتي ذلك . وفي السنة ٩٢٩ هـ ولى السلطان سليمان على الوزارة صدراً اعظم ابرهيم باشا ونقل احمد باشا الى ولاية مصر وكانا عدوين الواحد للاخر . وفيها استولت الفرنساوية على كندا . وطرد كرستيان من بلاد اسوج)

وفي السنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ م كانت وفاة الامير قايدبيه ابن عساف في قرية غزير فتخلف بعده الامير منصور ابن اخي الامير حسن . وامتد حكمه الى حد عكار . واما طرابلس فكانت بيد النواب . وفي غياب الدولة كان يستاجرها محمد اغا ابن شعيب من اهالي عرقا . ويستاجر الامير منصور بلاد جبيل والبترون وجبة بشرة والكورة والزاوية والضنية . (وفيها اسرّ الصدر الاعظم لامراء القاهرة بقتل احمد باشا الوالي فقبض على المكاتيب قبل ان تصل لاصحابها . ثم استدعاهم واخبرهم انها اوامر سلطانية قاضية بقتلهم فقتلهم ثم صرح باستقلاله وامر ان يخطب له وان تضرب النقود باسمه فثارت الافكار عليه . وفيها كان الوالي يوماً في الحمام فجاءه اميران كان امر بسجنهما وخرجا رافعين العلم السلطاني ففرّ الباشا من على السطح والتجأ الى احد عربان الشرقية فتعقبوه وقطعوا رأسه وعلقوهُ على باب زويلة . فارسل السلطان قاسم باشا والياً على مصر بدلاً من احمد باشا . وفيها كانت ولادة السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان خان . وفي السنة ٩٣١ هـ انهزم الفرنساويون في ايطاليا . وارسل رأس احمد باشا

الى الاستانة. وفيها استبدل السلطان قاسم باشا بالصدر الاعظم ابراهيم باشا وكان نشيطاً محباً للاصلاح . وفيها حصل صلح كرافو بين البروسيا و بولونيا . وحصل صلح بين فرنسوا الاول وهنري الثامن الانكليزي . وفي السنة ٩٣٢ ه حصل صلح مدريد بين فرنسوا الاول وشارلكان . وانتصر السلطان سليمان على المجر . وافتتح ميبزار بلاد بيرو)

وفي السنة ٩٣٣ ه = ١٥٢٦ م خرج السلطان سليمان من القسطنطينية بار بمائة وتسعين الفاً طالباً محاصرة رودس وقد كان جده تعب كثيراً ولم يقدر على تملكها . فنهاه الوزراء عن ذلك فلم يصغ . ولما وصل الى تجاه المدينة ووقع الحصار مات من عسكره خلق كثير بسبب المرض فحار السلطان ماذا يفعل ويئس من تملك المدينة . واما اهالي المدينة فكانوا في حيرة عظيمة فشجعهم الماجسطروس العظيم قائلاً لاتخافوا لان الترك لو بقوا محاصرين هذه المدينة مدة حياتهم لا يقدرون علينا اذا لم يعملوا تلاً من الرمل اعلى من القلعة . و بغير ذلك لايتمكنون من اطلاق المدافع وهذا الامر لايعرفونه . وكان الامير اوفار صاحب اغلياس محاصراً وقد تضايق من طول المدة . وخاب رجاؤه من العودة الى بلاده مدينة اغلياس . فكتب تذكرة الى السلطان يقول له فيها ان لم تصنع تلاً عالياً تجاه القلعة لاتتملك منها شيئاً وربى تلك الورقة في نشاب الى خارج المدينة . وحالما نظر الترك تلك التذكرة احضروها الى الملك وفي الحال امر العساكر ان يصنعوا تلاً من الرمل وكان هو بذاته يحمل التراب في مخلاة قدام العساكر . ولم يمض الا القليل حتى صنعوا تلاً اعلى من القلعة . ووضعوا فوقه المدافع . ومن هذه الجهة تملك المدينة العظيمة وخرج اهلها منها فامنهم السلطان على مالهم وحريمهم وساروا في المراكب الى مالطة . ودخل السلطان رودس واخرب كنائسها وهدم زينتها وكانت كالعروس في جمالها الذي يفوق الوصف . و بعد ذلك رجع السلطان سليمان الى القسطنطينية . وفي هذه السنة جاء جراد من ناحية الجنوب في شهر نيسان (ابريل) فغطى جميع البلاد ماخلا بعلبك وعكار واكل جميع الزروع والنبات . ثم خرج الزحاف فاكل جميع الاشجار وصار بتلك السنة غلاء عظيم فبلغ شنبل القمح مائة وخمسين غرشاً ودام الغلاء نحو تسعة اشهر (وفيها استبدل السلطان والي مصر ابرهيم باشا بسليمان باشا الخادم فمكث في الحكم نحو عشر سنوات . وفيها هجمت جيوش شارلكان على رومية ونهبوها وقبضوا على البابا اكليمنضس السابع وسجنوه (وفي السنة ٩٣٤ ه جرد الفرنساويون حملة على نابولي . واكتشفت بلاد كينيا الجديدة

وفي السنة ٩٣٥ هـ = ١٥٢٨ م خرج السلطان سليمان بالعساكر على الانكليز (المرجح ان هذا غلطة نسخ فان الوصف الذي يصفه لايدل على بلاد الانكليز بل بلاد النمسا . وانما في ذلك الوقت كان السلطان سليمان موصوفاً بكل الصفات الحسنة جامعاً شوارد الفضل والشجاعة محاكياً معاصريه العظام مثل هنري الثالث ملك انكلترا وشارل الخامس وشارلكان امبراطور اسبانيا والمانيا وفرنسوا الاول ملك فرنسا . وكان هولاء الملوك الثلثة يحسبون ملوك اوروبا ولعل بلاد النمسا كانت حينئذ متحدة مع ملك انكلترا او خاضعة له فقال الامير حيدر ان السلطان حارب ملك الانكليز والاصح ملك النمسا والمدن المذكورة هي مدن في النمسا وكل المؤرخين يتفقون انه حارب ملك النمسا هذه السنة وليس ملك الانكليز) واجتاز نهر سافا (هو نهر في النمسا من فروع الدانيوب) وحارب مدينة قرطانا الحصينة عشرين يوماً فسلموها له . ثم اجتاز وقابل الانكليز (النمساويين) واشتد الحرب بينهم وقتل من الفريقين قتلى كثيرون وظفر السلطان سليمان بهم ولم يزل طارداً الامير الى مدينته وملكها واحرقها بالنار (هي ڤينا عاصمة النمسا وهي مدينة امير النمسا ولا دخل للانكليز هنا) ثم رجع الى القسطنطينية بنصر عظيم وجلب معه من الغنائم عمودي النحاس الذين كانا لامير الانكليز (النمساويين) وغنائم واموال كثيرة . وفي هذه السنة وقع القتال بين اولاد شعيب اهالي عرقا و بين اولاد سيفا امراء التركمان فرحل اولاد سيفا من بلاد عكار الى الباروك تحت حماية الامير فخر الدين المعني . فارسل صحبة الامير منصور ابن سيفا ثلاث مائة شخص فباغتوا علي الشعيبي في عرقا فقتلوه وتولوا على بلاد عكار فعظم ذلك على محمد اغا ابن شعيب حاكم طرابلس وارسل الى الامير منصور عبد المنعم ومعه اولاد حبيش وخمسماية نفس وطلب منه الحساب عن المال . وامر المشاة ان تكمن عند حارة النصارى وعند ما دخلوا للمحاسبة في جامع طليان قدام القاضي وثب عبد المنعم ورفقاؤه على محمد آغا وقتلوه وابنه . واصلحوا امورهم مع القاضي واعطاهم فتوى انهم كانوا ابرياء في قتله وهو الزمهم بذلك . (وفي هذه السنة اقام مسيحيو الاصلاح الحجة على مقاوميهم فاطلق عليهم لقب البروتستانت . وفيها كانت معاهدة كبرى بين فرانسو الاول وشارلكان وتسمى معاهدة السيدات لانها تمت بواسطتهن »

وفي السنة ٩٣٦ هـ = ١٥٢٩ م عمل السلطان سليمان حرباً مع البنادقة وارسل مراكبه الى بوغلية والى كرفس وحاربها وملك قرى كثيرة من الكافالينه . ولما وصل

الى كرفس وكان قوادمراكبه زلفا باشا وخيرالدين باشا الذين حاربوا المدينة ولم يقدروا عليها ومضوا الى نابولي . ولما وصل قاسم باشا الى الحصن ولم يقدروا على اخذ المدينة اضرم النار فيها واحرقها فلما نظراهالي المدينة ذلك سلموها . فقتلوا واسروا رجالاً ونساءً كثيرين منهم ثم ان السلطان قبض على كبيرهم اندرونيسكس واخوته واولاد عمه عائلة الباولوغس الذين منهم ملوك الروم وضرب اعناقهم ورجع الى القسطنطينية . وفي رجوعه اجتاز ببلد اجنيان وترسي وامتلكها ونهبها ونهب غيرها من الجزر التي كانت في طريقه ورجع الى اسلامبول . وفي هذه السنة صار ريح عاصف في بلاد النمسا حتى زعزع البنايات العظيمة وابعد مابين سطح واخر وشاهد الناس الاخشاب الضخمة طائرة في الهواء . (وفيها كان تأسيس المدرسة الملكية ومطبعتها في فرانسا . وفي السنة ٩٣٧ هـ = ١٥٣٠ م كان الصلح الديني المعروف بصلح نورمبرج بين البروتستانت والكاثوليك وصادق عليه امبراطور المانيا وقد تجدد هذا الصلح في كل من سني ١٥٣٤ و١٥٣٩ و١٥٤٢ و١٥٤٤ م . وفيها حصلت زلازل مهولة في لسبون . وفيها صنع جرجس اول الة للغزل)

وفي السنة ٩٣٨ هـ = ١٥٣١ م يذكر صاحب كتاب ميزان الزمان انه وقع برد في بلاد ايطاليا كبير بقدر بيض الدجاج واكبر وقيل انه وزنت البردة فبلغت اوقية و٣/٤ ٦٦ درهماً . (وفي السنة ٩٣٩ هـ افتتح بيزا مملكة بيروه وكان التحزب العام ضد فرنسا)

وفي السنة ٩٤٠ هـ = ١٥٣٣ م خرج السلطان سليمان لمحاربة مدينتي نابولي وموتاباسه وقتل من اهلها كثيراً ومات من النصارى نيف وسبع مئة الف . وتسلم قاسم باشا هاتين المدينتين العظيمتين وبها الامراء الكسندروس والكردايوس فاستلم سلاحهما واعتقهما ورجع الى القسطنطينية . وفي هذه السنة كانت المخاصمة بين مالك اليمني وبين هاشم العجمي مشايخ العاقورة فبلغت مالك جبة المنيطرة واحرقها . فعند ذلك اتفق اهل الجبة مع قيسية العاقورة على قتل الشيخ مالك ووضعوا له الكمين في طريق الجرد وقتلوه . ثم ان حنش وحرفوش اخوي مالك توجها للشام وشكيا امرهما للنائب . فكتب النائب للامير منصور ابن سيفا طالباً منه ان يسلم قتلة مالك . وكان الامير منصور قد استقوى عبد المنعم ولم يقدر ان يخضعه حينما قتل محمد اغا ابن شعيب فامره ان يقتل هاشماً ابن عمه فقبل وقتل اخا هاشم . ثم خرج مع الرجال يطلب هاشماً . فانهزم هذا الى كرك بعلبك واحتمى ببيت الحرفوش . ثم ان الامير منصور واتباعه نهبوا لاسا واحرقوها فخافت قيسية العاقورة وهربوا الى طرابلس فنهب الامير منصور دورهم واحرقها . ثم ان عبد المنعم

كاتب الامراء الحرافشة على قتل ابن عمه هاشم وتعهد لهم بقتل الامير منصور وان يسلمهم تلك المقاطعات التي بيده فقبل الحرافشة ذلك وغدروا بهاشم وقتلوه فوق الكرك ورموه في بئر وكنيت تلك البير بئر هاشم الى الآن . واما اخو هاشم فهرب الى الامراء الشهابية في وادي التيم . ثم ان عبد المنعم كي ينال غرضه من الاميرمنصور ابتدأ يوشي ببيت حبيش و يسعى في هلاكهم ففهموا ماهو مدبر واعلموا الامير منصور سرًا وكيف انه متعهد للحرافشة بقتله . فاعطاهم اذنًا في قتله فباغتوه في بيته ليلاً وقتلوه وقتلوا اولاد عمه . وكبر قدر بيت حبيش عند ابن سيفا وصاروا متصرفين في تدبيرحكمه وبقيت العافورة خرابًا سبع سنين لم يقطن فيها احد . ثم ان القيسية سكنوا في بلاد طرابلس . واما اليمنية فحصلوا امرًا من نائب الشام ورجعوا فبنوا العافورة ثانية : يذكر بارونيوس في تاريخه انه بهذه السنة قصد السلطان سليمان ان يعمل صلحًا مع ملك الهونغار خوفًا من الافرنج لتملكهم جزيرة رودس فابى هذا الملك ان يصالحه فجهز السلطان سليمان عساكر قوية وغزا بلاد الهونغار وافتتح مدينة بودي واسر منها الفًا وخمسمائة اسير وقتل صاحبها وفتح مدنًا كثيرة وجال بعساكره في جميع انحاء تلك المملكة وكان عدد الذين قتلوا منها ماينوف عن المائتي الف من رجال ونساء واولاد . ثم اتت الاخبار للسلطان سليمان بان خارجيًا ظهر في جهة الاناضول يقال له قلندار . فرجع السلطان الى اسلامبول ووجه عساكره صحبة ابرهيم باشا ضد هذا الخارجي فظفر به وقتله وبادت شيعته . ثم افتتح عسكره مدينة جبايسيا كرسي مملكة البوسنه وتملك كورها . (وفي هذه السنة ترجم لوثيرس الانجيل الى اللغة الالمانية . وفيها كان اتحاد اوجسبورج بين فرانسوا الاول والامراء البروتستانت من المانيا ضد شارلكان والكاثوليك . وفيها انعقدت معاهدة بين جمهورية البندقية والسلطان سليمان الاول . وفي السنة ٩٤١ هـ استولى بارباروس على بلاد تونس . وفيها استقدم السلطان سليمان باشا والي مصر الى الاستانة وسلمه قيادة حملة لمحاربة الفرس والهند وقد اناب عنه في غيابه خسرو باشا نحو سنة وعشرة اشهر . وفيها انعقدت معاهدة بين فرانسوا الاول ملك فرانسا والسلطان سليمان الاول . وفي السنة ٩٤٢ هـ استولى شارلكان على تونس . واستولى كورنيثر على بلاد كاليفورنيا . وفيها بسبب غيرة الوزراء وحسدهم للصدر الاعظم ابرهيم باشا الذي ولي على مصر وشوا به للسلطان سليم قائلين له انه يريد قتلك والاستقلال بالسلطنة فقتله السلطان لذلك . وفي السنة ٩٤٣هـ نسجت اهالي جنوا الانسجة الحريرية في معامل ليون .

واعاد السلطان سليمان باشا والي مصر اليها · وكانت معاهدة بين فرانسوا الاول والسلطان سليمان · وفي السنة ٩٤٤ هـ كان الصلح بين بلاد اسوج وروسيا · وفيها اجتمعت مراكب البنادقة مع مراكب العثمانيين واتحدوا على حرب البرتوغاليين وكانت التجارة اتبعت طريق راس الرجاء الصالح وتركت طريق مصر فعمل البنادقة عند عيون موسى اقنية مبنية لتوصيل مائها الى حوض عملوه على ساحل البحر الاحمر لتنتفع به مراكبهم · و بعد العيون من الساحل نحو ٥٠٠ متر واثار الاقنية والحوض باقية للان)

وفي السنة ٩٤٥ هـ = ١٥٣٨ م كانت وفاة الامير منصور الشهابي وكان مدبرًا عاقلاً وكريمًا عادلاً وصرف حياته في سيرة حميدة وايام سعيدة وتولى بعده ولده الامير ملحم فكان اميرًا عادلاً يرغب في الصلاح · (وفيها عهدت ولاية مصر الى داود باشا فبقي فيها ١١ سنة و٨ اشهر · و بنى جمال الدين ابن شاهين الخلوتي جامع سيدي شاهين الخلوتي بسفح المقطم · وفيها كان ابتداء استعمال المدافع في السفن · وانعقدت معاهدة بين جمهورية البندقية والسلطان سليمان الاول · وفي سنة ٩٤٦ كان اول استعمال اللوترية (يانصيب) في فرانسا · وفي سنة ٩٤٧ هـ اسس اغناطيوس لويولا جمعية اليسوعيين وا كتشفت جزائر ليو بوكيو)

وفي السنة ٩٤٨ هـ = ١٥٤١ م وقع الاتفاق بين ميخائيل صاحب زوق مكائيل وبين اولاد شعيب امراء افقا على قتل الامير منصور ابن سيفا · وعندما ساروا اليه بهذه النية الى غزير فهم قصدهم واظهر لهم الاكرام · ولما كانوا على السماط وثبت عليهم جماعته وقتلوهم · ويذكر بارونيوس انه بهذه السنة تجهز السلطان سليمان بعساكر قوية وسار الى مدينة ويفانا كرسي مملكة المجر فلم يقدر على تملكها وقتل من عساكره نحو ٦٠ الفا فرجع عنها · ثم ارسل اسطولاً في البحر بقيادة بربارزوشا (اي ذي اللحية الحمراء) فتملك مدنًا وجزائر من البنادقة ومن نواحي نابولي فاضطربت منه جميع ممالك النصارى حتى مدينة رومية · وفيها خرج امر السلطان سليمان بهدم جميع كنائس النصارى الذين مدنهم اخذت بالسيف في مملكته فالتجأ نصارى اسلامبول الى الوزير فابطل ذلك الامر · وفيها خرج السلطان سليمان بعساكر وافرة فافتتح مدينة البارجيا وخمسة مدن عظام وملك قلعة ظمارأو يا الحصينة الكائنة على شاطيء نهر طمروس بين لبيا و بغداد · (وفيها كان الاتحاد الاول بين فرانسا والدانيمارك · وافتتح الاسبانيوليون بلاد شيلي · وكان اول اختراع الطبنجة وفي السنة ٩٤٩ هـ كانت حرب بين فرانسوا الاول وشارلكان في ايطاليا · وكان اتحاد فرانسا

واسوج مع تركيا . وشن الغارة جاك الايقوسياني على انكلترا . وحصلت معاهدة بين شارلكان وهنري الثامن ضد فرانسوا الاول . وفي السنة ٩٥٠هـ اكتشف موسكوسو الفاردو نهر المسيسبي . وكان اول استعمال الدبابيس في انكلترا)

وفي السنة ٩٥١ هـ = ١٥٤٤ م يذكر صاحب ميزان الزمان انه وقع برد في مدينة بولونيا مثل قطع الصخور . وفي بلاد اليمن وقع برد مثل جمجمة الانسان وفيه مثلث ومربع . وفي هذه السنة توفي الامير فخر الدين بن عثمان بن معن وكان رجلاً شجاعاً حكم بلاد عرب سنان من حدود يافا الى طرابلس وكانت جميع تلك البلدان تحت امره . و بنى بنايات وقلعاً عظيمة واستراح في حكمه واطاعته العرب . و بعد وفاته خلفه ولده الامير فرقماس . (وفيها كان انتصار السلطان سليمان على المجر ثانية . وتقرر الصلح بين تركيا وجمهورية البندقية . وفيها كان التئام المجمع التريدنتيني . وفي السنة ٩٥٢هـ كان اول اصطناع الابر في انكلترا واستعمالها . وفي السنة ٩٥٣ كانت ولادة السلطان مراد خان الثالث بن السلطان سليم الغازي . وحصلت معاهدة بين فرنسوا الاول وهنري الثامن مآلها تعهد انكلترا برد بوابنا التي على البحر مقابل اخذها ٤٢ مليون فرنك . وفي السنة ٩٥٤ هـ حصلت معاهدة بين فرنسوا الاول وادوارد السادس ملك انكلترا)

وفي السنة ٩٥٥ هـ =١٥٤٨ م كان مقتل عبد المنعم مقدم بشرة وذلك ان زوجة كمال الدين ابن عجرمة اتفقت مع الشيخ حمادي واهالي عين حليا . ووضعوا الكمين له خارج البرج وقتلوه وقتلوا اولاده . فقتل ارفاق عبد المنعم الشيخ حمادي وهو الذي افتتح توريز (اوتبريز) وانتقل من بلاد العجم الى قرية قمز . وفي مقتل عبد المنعم انقرض مقدمو بشرة خلفاء سيفا وانتقلت الى خلفاء قمر الدين . (وفيها بنى داود بك مدرسة سويقة اللالا . وكان اول نقش صور الملوك على النقود . وفي السنة ٩٥٦ هـ توفي داود باشا والي مصر فتولى مكانه علي باشا ولم يحكم الا اربع سنوات ونصف . وفيها كان اول دخول الديانة المسيحية لليابان . وفيها طبع اول كتاب للصلوة بامر ادورد السادس واستعمل بامر البارلمنت في احد المنصورة . وفي السنة ٩٥٧ هـ ابتدىء بادخال قوانين الضبط والربط والانقياد في الجيوش . وفيها حصل الصلح بين فرنسا وانكلترا . وفي السنة ٩٥٨ هـ كان استيلاء المسلمين على طرابلس . وفيها حصلت معاهدة سرية بين فرنسا وموريس الساكسوني وفي السنة ٩٥٩هـ اعدمت كتب الجغرافية والفلك في انكلترا بدعوى انها منجسة بالسحر . وحصلت معاهدة بين هنري الثاني ملك

فرنسا والبابا جول الثاني · وفيها كانت هدنة باسو الضامنة حرية البروتستانت · وفي السنة ٩٦٠ هـ تبوأ ايفان الرابع تخت روسيا وفي السنة ٩٦١هـ حدث غلاء شديد واكلت الناس بزر الكتان · وتولى ولاية مصر محمد باشا دوفراكين زاده وكان مبغضاً من الناس ولم يحكم الا ثلاث سنوات · وفيها استولى الروس على استرخان · واستولى البرتوغاليون على كينيا · وفي السنة ٩٦٢هـ كان صلح اوجسبرج وهو ثاني صلح ديني بين الكاثوليك والبروتستانت وتضمنت المعاهدة حرية الاعتقاد والضمير · وفي السنة ٩٦٣ هـ استقدم السلطان سليمان محمد باشا والي مصر الى الاستانة لكثرة الشكايات ضده · وبعد محاكمته حكم عليه بالقتل وتولى مصر بعده اسكندر باشا فحكم ثلاث سنوات وثلاثة اشهر ونصف · وفيها استولى العثمانيون على بلاد المورة وفي السنة ٩٦٦ كان صلح كامبري بين هنري الثاني ملك فرنسا واليزابيث ملكة الانكليز وفيليب الثاني ملك اسبانيا · وفي السنة ٩٦٧ تقرر ونودي بان تكون مادريد عاصمة اسبانيا · وفيها كان صلح ايدمبورج بين فرانسوا الثاني وماري استوارت الايقوسيانية واليزابيث الانكليزية · وفيها استعملت اول سكين ببلاد الانكليز واول عربة ذات عجل (كوتش) : وفي السنة ٩٦٨ تولى مصر علي باشا الخادم ولم يحكم الا سبعة اشهر وفي السنة ٩٦٩ تولى مصر مصطفى باشا الثاني · واستولى الانكليز على هافر · وفيها كان اول استعمال الدخان (التبغ) في فرانسا وفي السنة ٩٧٠ كان ذبح البروتستانت في ڤاسي · وكان ابتداء الحرب الدينية · واعطيت الحرية الدينية للهوكونيوتوس في فرانسا · وفي السنة ٩٧١ هـ تولى مصر علي باشا الصوفي مدة سنتين وثلاثة اشهر · وفيها كان تاسيس قصر التوليري بباريس)

وفي السنة ٩٧٣ هـ = ١٥٦٥ م جمع السلطان سليمان العساكر العثمانية بمائتي مركب فيها نحو اربعين الف مقاتل لافتتاح جزيرة مالطة · واسعفه اهل المغرب في الجيوش والعساكر والمراكب لان اهل مالطة كانوا قد تمردوا وقطعوا طريق البحر ومنعوا المسافرين من بلاد المغرب ومصر الى القسطنطينية · فاستعد اهل مالطة بخمس مائة مقاتل وعشرة الاف من اهالي البلدان التي بقربها · وبعد حرب شديدة فتح الترك الحصن الواحد واستبشروا بتملك جميع الجزيرة · ولكن عندما بلغهم قدوم اهالي صقلية لنجدة المالطيين كبروا الوهم على الاتراك ورحلوا راجعين الى القسطنطينية · وقيل انه قتل من عساكر السلطان سليمان نحو خمسة عشر الفاً ومن اهالي الجزيرة نحو ثلاثة الاف وكان قائد

عساكر السلطان مصطفى باشا . وكان قيام الترك من الجزيرة نهار عيد مولد السيدة (مريم العذراء) . ولاجل ذلك يعيد اهالي مالطة كل سنة هذا العيد بفرح واحتفال الى يومنا هذا ويسمونه عيد النصر . يذكر بارونيوس انه في هذه السنة قتل السلطان سليمان ابنه مصطفى وكان ذا اخلاق جميلة محبوباً عند سائر ابناء دولته . وفيها كانت وفاة الامير ملحم ابن الامير منصور الشهابي . وتولى بعده ولده الامير منصور البقري وسبب نسبته لذلك انه قدم الى الشام الولي الصالح والامام العالم الشيخ محمد ابن فايز البقري فمر على وادي التيم فالتقاه الامير ملحم احسن ملتقى واعتبار وكان الشيخ محمد مصحباً ابنته معه . وبما انه كان ذاهباً الى ايقونيــة لزيارة الصدر الاعظم الايقوني فاراد ان يبقي ابنته في حاصبيا فساله الامير ملحم في زواجها فاجابه الشيخ محمد الى ذلك وثاني يوم عقد عقده عليها فولدت ولده الامير منصور فتلقب بالبقري . (وفيها كان تأسيس الاتحاد المدعو مقدساً في فرنسا لاجل ملاشاة الهرطقة . وفيها استبدل علي باشا الصوفي بمحمود باشا وهو اخر من تولى مصر في ايام السلطان سليمان . وفيها تعينت فارسوفي لتكون عاصمة بولونيا .)

وفي السنة ٩٧٤ هـ = ١٥٦٦ م قصد السلطان سليمان جزيرة صاقص وكانت لما بيد اهالي جنوا مايتي سنة فملكها من غير قتال . ثم ان السلطان قصد الدخول الى بلاد المجر لافتتاح مدينة زيجات وكان بينهم نهر رنوس وهو نهر كبير وعميق جداً فامر السلطان ان يصنعوا عليه جسراً (كبريا) . وفي مدة اثني عشر يوماً اقاموا عليه جسراً من خشب عرضه اربعة عشر ذراعاً وطوله ميلاً فجازت عليه العساكر نحو مائتي الف وشدد الحصار على مدينة زيجات . وبعد قتال ومواقع كثيرة تملكوها . وبعد تملكها بثلاثة ايام توفي السلطان سليمان ابن السلطان سليم في القسطنطينية وكانت مدة تملكه ثمان واربعين سنة وعمره ٧٢ سنة . وهذا السلطان فتح لونكارية ورودس

الفصل الخامس

في سلطنة السلطان سليم الثاني وهو الحادي عشر من سلاطين آل عثمان

(وبعد موت السلطان سليمان استولى على العرش بعده ولده السلطان سليم الثاني بالاسم . وفيها ضرب السلطان سليم الثاني نقوداً في حلب . وفيها كانت بداءة عصيان

الهولانديين على فيليب ملك اسبانيا بسبب تعرضه لمذهبهم · وفي ذي القعدة منها كانت ولادة السلطان الغازي محمدخان الثالث)

وفي السنة ٩٧٥ هـ = ١٥٦٧ م بعد ما تملك السلطان سليم الثاني جمع المراكب والعساكر وخرج لمحاربة البنادقة · فارسل بيالاباشا الى تين فلم ياخذها ورجع الى ساقص · وسار ببعض المراكب الى رودس و بالبعض الآخر الى فينيكا · وفي شهر حزيران (يونيو) وصلوا الى قبرس فملكوا اللمسون واحرقوها · ثم اتوا الى اليكاس ونهبوها · وقدم مصطفى باشا بباقي المراكب من طرابلس وسار الى الافقسية (نيقوسيا) واجتمع هناك عساكر لاتحصى ومن يقدر يصف عظم ذلك الحرب وتملكوا الافقسية في ٩ ايلول (سبتمبر) وتملكوا جميع القرى والبلاد وقتلوا قتلى لايحصي عددهم الا الله حتى انتنت جميع الاماكن من رائحة القتلى واسروا نساءً واولاداً كثيرين · وصنعت العساكر جميع الفواحش من الفسق والسبي وكانوا يبيعون النساء كما تباع البهائم · و بعد تملك السلطان سليم جميع ديار قبرس رتب امورها واقام عليها والياً لمحافظتها ورجع الى القسطنطنية · وقيل ان عدد القتلى والاسرى من جزيرة قبرس بلغ ثلاثمائة الف · وكانت مدة تملك البنادقة عليها ٩٧ سنة وقيل ٩٨ (وفيها كان اكتشاف جزيرة سالمون · وفي غرة جمادي الثاني كان محمود باشا والي مصر ماراً بموكبه الاعتيادي بين البساتين فقتل برصاصة اصابته ولم تقف الحكومة على القاتل فاتهمت اثنين من الفلاحين وقتلتهما ظلماً · ولما بلغ السلطان سليم شاه قتل محمود باشا امر بنقل سنان باشا والي حلب الى مصر فتولاها في ٢٤ شعبان · وفي السنة ٩٧٦ تعين سنان باشا قائداً لفتح اليمن · وفي ٤ شوال منها سار من مصر لفتحها ومعه حمزة بك ومراد بك وغيرهما واستخلف على مصر اسكندر بك الجركسي · وفي السنة ٩٧٧ هـ انعقد معاهدة بين السلطان سليم الثاني و بين حكومة فرنسا · وفيها كانت معاهدة صلح استيتين من شروطه ان دينمارك تعترف باستقلال بلاد اسوج)

وفي السنة ٩٧٨ هـ ١٥٧٠ م امر السلطان سليم بتوجه العساكر الى جزيرة قبرس فخرجت المراكب من طرابلس وملكوا الملاحة وانتقلوا الى الافقسية وشددوا عليها الحصار اربعة اشهر · ثم نقلوا الحصار الى الماغوصة · وقيل انه كان فيها نحو الف مدفع فقتل من المسلمين مالايحصى عددهم · ولكن لعدم الذخيرة والميرة التزم اهلها للتسليم · وقيل ان الذين سبوهم من النصارى نحو ثلاثين الفاً نساءً واولاداً ورجالاً · واما القتلى فلا يحصى عددهم · وتسلمت المسلمون تلك الاماكن و بنوا الجوامع ورتبوا على النصارى

الخراج . وفيها كان صلح سان جرمان بين الكاثوليك والبروتستانت وفي السنة ٩٧٩ﻫ عاد سنان باشا بعد مكثه سنتين واربعة اشهر في فتح اليمن الى مصر منصوراً)

وفي السنة ٩٨٠ ﻫ = ١٥٧٢ م بعد وفاة الامير فخر الدين المعني امتد حكم الامير منصور ابن عساف من نهر الكلب الى حدود حمص وحماة وقوي في المال والرجال و بنى قصراً عظيماً في جبيل و بنى جامعاً وخاناً في قرية غزير وجرَّ ماء النهر من تحت عرامون (كسروان) الى وسط البلد . (قيل ان كرنيليوس اخترع المكرسكوب هذه السنة ولكن ذلك مشكوك فيه . وفيها كانت مذبحة البروتستانت الكبرى في باريس المعروفة بمذبحة سنت برثاماوس . وفيها خلف حسين باشا سنان باشا على ولاية مصر وفي السنة ٩٨١ فتح سنان باشا حلق الوادي ببلاد تونس واستولى على قلعته التي بنيت في ٤٣ سنة بعد ان حار بها ٤٣ يوماً . وفيها كانت معاهدة صلح بين البنادقة والاتراك الذين ابقوا قبرس في ملكهم . وفي السنة ٩٨٢ ﻫ ضرب السلطان مراد صنفين من النقود في القاهرة . وفيها عين السلطان مراد الثالث حسين باشا مسيح والياً على مصر فتصدى لكبح المفسدين وقتل منهم في ولايته نحو عشرة الاف نفس . وفي ٢٧ شعبان منها كانت وفاة السلطان سليم الثاني وعمره ٥٠ سنة وفي ٨ رمضان تولى السلطنة ولده السلطان مراد خان الثالث[1] . وفي السنة ٩٨٣ وقيل في التي قبلها انشأ الوزير مسيح باشا جامعه بقرب عرب يسار)

الفصل السادس

في سلطنة السلطان مراد الثالث ابن السلطان سليم الاول وهو الثاني عشر من سلاطين آل عثمان

وفي السنة ٩٨٤ ﻫ = ١٥٧٦ م توفي السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان في القسطنطينية وهو الثاني عشر من آل عثمان والخامس منهم في القسطنطينية وكانت مدة حكمه ثمان سنين وخمسة اشهر وتولى بعده السلطان مراد الثالث ابن السلطان سليم الثاني . وكانت في ايامه تودي مملكة النمسا كل عام للدولة العثمانية ثلاثماية الف .

(١) سيذكر ذلك الامير حيدر تحت سنة ٩٨٤ ﻫ والصواب انه حدث هذه السنة ٩٨٢ ﻫ

وفيها كانت وفاة الامير ابي بكر الشهابي في حاصبيا . (وفي السنة ٩٨٥ هـ كانت سياحة دراك حول الدنيا . وفيها انشأ الامير رجب آغا جامع نعمان الذي بالداودية بالقاهرة . وفي السنة ٩٨٧ هـ انعقدت معاهدة بين السلطان مراد الثالث والملكة اليصابات ملكة انكلترا تقضي بالرخصة لرعاياها بالتجارة في الممالك العثمانية . وفيها كان استقلال بلاد هولاندا واتحاد سبع ولايات منها . وفيها بنى القاضي بركات قراميط جامع القاضي بركات بشارع المقاصيص في القاهرة بقرب حارة اليهود)

وفي السنة ٩٨٨ هـ = ١٥٨٠ م ظهر الطاعون في الديار المصرية والشامية ومات به خلق لا يحصى . ثم صار بعده الغلاء حتى بلغ كيل القمح مائة وخمسين غرشاً . وفي هذه السنة تقدمت الشكايات للباب العالي ضد الامير منصور بن عساف لانه قتل الامراء اولاد شعيب امراء عكار (لربما افقا) وعبد الساتر وغيرهما . وخرج امر شريف ان طرابلس تكون باشاوية وتولى عليها يوسف بن سيفا . وحضرت له الباشاوية من الباب العالي وصارت المناداة على تابعي بن عساف (التفتيش عليهم ليمسكوهم) فهرب الشدياق خاطر الى بلاد بعلبك والمقدم مقلد الى ناحية الشوف فارسل يوسف باشا الامان الى الشدياق خاطر وحكمه على جبة بشرة . ثم انه بعد شهرين توفي الامير منصور بن عساف وانعزل يوسف باشا بن سيفا عن طرابلس وتولى عليها جعفر باشا الطواشي وكانت وفاة الامير منصور بن عساف في قرية غزير . (وفيها ولي على مصر حسن باشا الخادم وفي مدة حكمه كثرت الرشوة حتى صارت امراً معتاداً وكان يحصل المال بكل حيلة لا يراعى حلالاً ولا حرمة . وقد غير زي اليهود والنصارى فالبس اليهود الطراطير السود والبس النصارى البرانيط السود وكانت العمائم السود زي النصارى والعمائم الزرق زي اليهود قبلاً . وفيها كان استيلاء فيليب ملك اسبانيا على مملكة البرتوغال . وفيها كانت معاً لمدة فيلكس القاضية بانتهاء الحرب الدينية . وفي السنة ٩٨٩ هـ كان اول استعمال النحاس في فرنسا . وفيها انعقدت معاهدة بين السلطان مراد الثالث و بين حكومة فرانسا . وفي السنة ٩٩٠ هـ اصدر البابا غريغوريوس الثالث عشر امراً مقتضاه ان صباح الرابع من اوكتوبر سنة ١٥٨٢ م يعتبر الخامس عشر من الشهر المذكور وهذا هو مبدأ التاريخ الغريغوري المسمى بالتاريخ الافرنجي المستعمل الآن عند اغلب الامم . والمعتبر في مصر من ابتداء سنة ١٨٧٥ م بمقتضى ديكريتو من خديوي مصر وقتئذ اسماعيل باشا . ولذلك ٢٩ اوغسطس آب) على حساب الاروام يوافق ٨ سبتمبر (ايلول) حسب التاريخ الجديد

المتبع عند باقي الامم وهو الجاري العمل به الا عند طايفة الروم والمسكوبيين لم يقبلوه لانه صدر الامر به من البابا وهم لايخضعون له · ومع انه الحساب الصحيح الفلكي لم يقبلوا به للآن لكون البابا رسمه · وفيها كانت الحملة الفرنسوية على جزاير اسورة) (ازورس)

وفي السنة ٩٩١ ﻫ = ١٥٨٣ م سار السلطان مراد بالعساكر الكثيرة الى الفرس فظافر بهم وتملك منهم بلداناً وحصوناً كثيرة ورجع الى اسلامبول · وهذا الملك كان يامر في القسطنطينية بفتح قبور ملوك الروم ورمي عظامهم في الازقة والطرقات · وظلم هذا الملك كثيراً مضاداً بذلك سلفائه · وامر بان العملة تكون دون ما كانت قبله واضاف الى الفضة قدر الربع نحاساً فتذمرت العساكر والانكشارية من ذلك وابغضوه واتفقوا على قتل الوزير فهرب الى داخل السرايا · ولما نظر السلطان هيجان العساكر ارضاهم وسلم اليهم الوزير فقتلوه · ثم ان السلطان مراد سار بعساكره الى مدينة طورلس من بلاد الارمن ووجه عساكره الى جبل لبنان لحرب النصارى الموارنة القاطنين بها والسبب انه تقدم له شكايات من طائفة الروم القاطنين في سواحل مدينة طرابلس بانهم اخربوا تلك الكور · (وفيها عزل السلطان حسن باشا الخادم عن ولاية مصر وولى عليها ابراهيم باشا · وفيها كان ابتداء الحرب بين اوستريا وتركيا · وفيها جعل ابراهيم باشا ماموراً خصوصياً في جامع السلطان فرج ابن برقوق لسماع شكوى المتظلمين من الوالي السابق فاطلع على مظالم لاتحصى · وفي السنة ٩٩٢ ﻫ استقال ابراهيم باشا من منصبه وتولى مكانه على الديار المصرية سنان باشا الثاني · وفيها كان انتصار الاسبانيوليين على الهولانديين · وتوفي ايفان الرابع امبراطور روسيا)

فصل

في حكم الامير فخر الدين المعني الكبير

وفي السنة ٩٩٣ ﻫ = ١٥٨٥ م كانت الخزينة متوجهة من طرابلس حسب العادة فلما وصلت الى جون عكار اعترضها اناس ونهبوها فصدر امر من الباب العالي الى باشا طرابلس بجمع العساكر لمحاربة يوسف باشا ابن سيفا فسار اليه باشا طرابلس واحرق بلاد عكار · ثم تقدمت الشكايات من جعفر باشا الطواشي والي طرابلس ضد الامير محمد ابن الامير منصور ابن عساف · وضد امراء بلاد الدروز انهم هم الذين سلبوا الخزينة

فخرج ابراهيم باشا الذي كان واليًا على مصر وصار الان وزيرًا اعظم وجمع العساكر ولما وصل الى مرج عشر موش ارتعبت منه جميع بلاد الغرب وارسل يطلب من الامير قرقماز ابن معن نفقة للعساكر · وامر بقطع الطرق عن الساحل والبقاع عن الدروز فحضر الى الوزير الامير محمد ابن جمال الدين اليمني من عرامون الغرب وابن عمه الامير منذر ابن تنوخ من عبيه والامير محمد ابن عساف من غزير · واما الامير قرقماز[1] المعني فلما تحقق ان الجميع صاروا اعداءه هرب الى مغارة في بلاد الشوف تحت جزين واختفى هناك مدة فحدث له مرض ومات وكان له ولدان هما فخر الدين ويونس · واما الوزير فلما بلغه هرب الامير قرقماز قدم بالعساكر الى عين صوفر فحضرت اليه عقال بلاد الدروز فغدر بهم وقتل منهم نحو ستماية رجل وتوجه الى طرابلس وصحبته الامراء الذين حضروا اليه فمضى بهم الى اسلامبول فصار لهم كرامة من الباب العالي وخلع عليهم واطلقهم وفرر لكل منهم بلاده · فاعطى امراء الغرب كل ما كان بيدهم · واعطى الامير محمد ابن عساف بلاد طرابلس · فرجعوا الى اوطانهم مسرورين · وتقدم الشيخ ابو فانصوه حمادي عند الامير محمد ابن عساف وسكن في غزير · واما الامير فخر الدين واخوه يونس اولاد الامير قرقماز ابن معن فعضدهم خالهم الامير سيف الدين التنوخي بعد موت ابيهم وتسلموا حكم بلاد الشوف وقواهم بالمال والرجال · يذكر بارنيوس انه في هذه السنة تجهز دورلفس قيصر ملك النمسا لحرب المسلمين وعزم على استخلاص جميع المدن والبلدان التي تملكها المسلمون واقام قائدًا على عساكره نيقلدس المشهور بمهارته في ضروب الحرب وحاصر مدينة ستريقونيا عاصمة مملكة الهونغار · وحينما احاطت العساكر بها هجمت العساكر الاسلامية بجسارة عظيمة ودخلوا المدينة ليعينوا اهلها على الحصار · وفي تلك الوقعة قتل قائد عسكر النصارى نيقلدس فاقاموا مكانه اوستر وكان شديد القوة في القتال ودام الحصار مدة طويلة · ثم تملك عسكر النصارى المدينة عنوةً · وتملكوا ما حولها من المدن · ثم سارت العساكر النصرانية نحو مدينة بودا ولسبب قدوم الشتاء ساروا الى ديانة مدينة السلطان وتملكوا ايالة السكور وملكوا حصن مارجرجس · وقد كان له بيد المسلمين نحو مائة سنة · ثم حصل حرب عظيمة فيما بين عساكر النصارى وعساكر المسلمين نواحي كورة دلماسيا فظفرت عساكر المسلمين ورجع النمساويون مغلوبين

(١) ذكر الامير حيدر وفاة الامير قرقماز سنة ٨٩١ هـ ثم ذكر عنه انه حي الى سنة ٨٩٣ وفيها ذكر موته وسببه لذلك اهملنا ما ذكره عن موته سنة ٨٩١ وابقينا ما ذكره هنا

وهرب الامراء والقواد · وكان قد تجهز ملك فرنسا للمعاونة · فلما بلغه خبر تلك الكسرة عدل عن ذلك · (وفيها توفي البابا غريغوريوس الثالث عشر · وتغلبت الفرس على طوريس واخذتها من العثمانيين · وفي السنة ٩٩٤ ه تولى على مصر عويس باشا الذي كان حضر من الاستانة ليتحرى امر التشكيات التي رفعت ضد سنان باشا الثاني الذي حالما علم بمجيء عويس باشا فر هاربًا · وفيها قامت العساكر على والي مصر عدة مرات ورفضوا طاعته واوقعوا السلب والنهب بالتجار والاهالي واشتدت الفتن في مصر · وفي السنة ٩٩٥ ه كان قطع راس ماري ستوارت ملكة اسكوتلاندا بامر اليصابات ملكة انكلترا · وفيها كانت سلطنة عباس الاكبر شاه العجم · واكتشف بوغاز دانيس · وفي السنة ٩٩٧ ه عقدت معاهدة صلح بين الفرس والعثمانيين · وفيها قتل هنري الثالث · واكتشفت سواحل بلاد شيلي · وفيها عصت الجند على عويس باشا واهانوه ونهبوا بيته وذبحوا قائد وجاق الجاويشية واخربوا بيت قاضي العسكر وقتلوا قاضيين من قضاة مصر ثم نهبوا الحوانيت وكل ذلك حدث لكون الباشا اراد ان يعيد تعليم العسكر · وقد اشتد الامر حتى انهم قبضوا على اولاد الباشا رهنًا وفيها انشئت اول جريدة في انكلترا · وقيل انه في هذه السنة كان اول استعمال عربات الركوب فيها · وفيها كانت ولادة السلطان الغازي احمد خان · وفيها كان اختراع التلسكوب في المانيا)

وفي السنة ٩٩٩ه = ١٥٩٠ م جمع الامير محمد بن عساف الرجال وسار لطرد يوسف باشا بن سيفا من بلاد عكار · فلما بلغ يوسف باشا ذلك جمع رجاله وكمن له في العقبة التي بين مدينة البترون وبين المسيلحة وقتلوه هناك ولم يكن له ولد وانقطع ذكر بيت عساف وكان لهم في بلاد كسروان مايتان واثنان وثلاثون سنة · ثم ان يوسف باشا قدم الى غزير بعد قتل الامير محمد وضبط جميع ارزاق واموال بيت عساف وتزوج بامراءة الامير محمد فهربت اولاد حبيش الى الشويفات وضبط اموالهم وهدم دورهم في غزير واعطى النيابة لاولاد حمادي · (وفيها اخترع الهولاندي زخريا جونس النظارة المعظمة المسماة بالمكرسكوب · وفيها تولى على مصر احمد باشا الملقب بالخادم عوضًا عن عويس باشا الذي خابت مساعيه مع العسكر والتزم ان يستقيل وفي السنة ١٠٠١ ولد السلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد خان · وفيها تملك هنري الرابع على فرانسا بعد جحده الديانة البروتستانتية · وفي السنة ١٠٠٢ طرد اليسوعيون من فرانسا)

الفصل السابع

في سلطنة السلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث وهو الثالث عشر من آل عثمان

وفي السنة ١٠٠٣ هـ = ١٥٩٤ م توفي السلطان مراد الثالث بن السلطان سليم الثاني في القسطنطينية وعمره ٥٠ سنة ومدة حكمه ٢٠ سنة و٨ اشهر وتولى بعده ولده السلطان محمد الثالث وهو الثالث عشر من آل عثمان والسادس منهم في القسطنطينية . وحال جلوسه على العرش قبض على اخوته الاحد والعشرين وقتلهم جميعًا وهم اولاد السراري . وحينما بلغ رودلفس قيصر موت السلطان مراد وتملك ولده بدله قصد ان يستخلص جميع ما كانت الترك تملكته من بلاده ونادى في الحرب وولى على عساكره منغلدوس القائد وحيد دهره في معرفة الحرب وحاصروا مدينة ستريغونيا كرسي مملكة الهونغر . وقد قتل القائد منغلدوس وتولى القيادة على العساكر الافرنجية متياس[1] القائد وكان بطلاً مشهورًا في الحرب وكان لهذه المدينة بيد المسلمين اثنان وخمسون سنة . وفتحوا ايضًا يساغر وحصن مارجرجس . ولما بلغ السلطان محمد ذلك خرج بعساكر الترك مما ينيف عن الاربعين الفًا . فاشتد القتال بين عساكر المسلمين والافرنج في نواحي كورة دالماسيا فظفر الافرنج اولاً بالمسلمين . ثم هجم حسن باشا وظفر بالافرنج وقتلوا منهم نيف وخمسة عشر الفًا . ثم تملك مدينة ثانيسا في بير الاغراد (بلغراد) وقد كان استنجد ملك المجر في ملك فرانسا فاتت اليه العساكر وحاصروا مدينة البارلفس وافتتحها عنوة من الترك . ثم رجعت العساكر الفرنساوية الى فرانسا لسبب موت قائدهم . (وفيها كان اكتشاف جزائر ملونية واكتشاف جزائر الماركيز . وفيها تولى على مصر قورط باشا بدلاً عن احمد باشا الملقب بالخادم الذي حكم في مصر ٤ سنوات . وفيها ضرب في مصر في عهد السلطان محمد الثالث زر محبوب بلغت قيمته سنة ١٢١٣ ٣٠٠ نصف فضة = ١١ فرنكاً وثلاثة ارباع الافرنك . وفي السنة ١٠٠٤ توفي سنان باشا وهو الذي فرش الحجر الاسود بمد صحن المطاف بالمسجد الحرام و بني سبيل التنعيم واجرى اليه الماء من بئر بعيدة وحفر ابارًا بقرب المدينة المنورة وعدا ذلك

---

(١) ذكر هذه القصة الامير حيدر نقلاً عن بارونيوس تحت سنة ٩٩٣ . ثم ذكرها هنا باختلاف قليل وهذا القائد متياس ذكره باسم اوستر ولعل له اسمين . ثم ذكر هناك رجوع الفرنساوية لسماعهم بكسرة النمسويين وهنا ذكرانه لسبب موت قائدهم

مآثر جميلة وآثار حميدة وخيرات لا تنقطع بمقتضى وقفية مورخة في ٢٠ ربيع الاول سنة ٩٩٦ · وفيها ابدل فورط باشا بعدان حكم سنة وثمانية ايام بالسيد محمد باشا الشريف وبعد توليه بقليل حصلت حروب في الرميلة و باب الوزير · وفيها صار تجديد ما تخرب من الجامع الازهر · ورتب به كمية معينة من العدس تطبخ للفقراء وفي السنة ١٠٠٥ ه حصلت زلازل عظيمة في بابونيا)

وفي السنة ١٠٠٦ ه = ١٥٩٧ م توفي الامير منصور الشهابي وكان له ولدان وهما الامير علي والامير احمد · (وفيها انعقدت معاهدة بين السلطان محمد الثالث وحكومة فرنسا · وفيها انتشبت ثورة عسكرية بمصر فيها اطلق على واليها السيد محمد باشا النار ولم يتخلص من ايدي العصاة الا بشق النفس وعلى كل فر الى القلعة وقفل ابوابها وتفرقت العصاة بالمدينة وقتلوا الامير محمد بك والوالي محمد وعلقوا راسيهما على باب زويلة · وفيها ابدل السيد محمد باشا بخضر باشا بعدان حكم على مصر ٣ سنوات و١٢ يوماً)

وفي السنة ١٠٠٧ ه = ١٥٩٨ م كانت الموقعة في نهر الكلب بين الامير فخر الدين بن معن و بين يوسف باشا بن سيفا بسبب بلاد كسروان · فكانت الكسرة على بن سيفا وقتل بن اخيه الامير علي وتشتت جيوشه وتولى الامير فخر الدين على بلاد كسروان و بيروت وضبط ارزاق بيت العساف · ولكن لم يبقوا بعدها غير سنة فوقع الصلح وتركهم ورجع الى بلاد الشوف · (وفيها كان تاسيس المدارس الابتدائية بفرنسا · وحصل طاعون عظيم وقحط اليم وحدثت حروب عظيمة في الرميلة و باب الوزير وفي السنة ١٠٠٨ ه كان اول تاسيس الشركات الانكليزية للهند الشرقية · وفي السنة ١٠٠٩ ه كان ابتداء استعمال الترمومتر (مقياس الحرارة) · وفيها اجتمع الضابطة والعلماء والفقهاء بمصر بسبب قطع مرتباتهم وساروا الى قاضي العسكر واتحدوا معه وتوجهوا الى الديوان وقتلوا كخيا اكبر خدم الباشا وامراء اخرين فخاف الباشا واجاب طلباتهم · ثم استقال وولى مكانه الوزير علي باشا السلحدار · وفي السنة ١٠١٠ ه فشا استعمال شرب الدخان في مصر ولم يكن معروفاً قبل ذلك · وفيها كان تاسيس مستشفى الصدقة بفرنسا · وكان بدء تاسيس الشركة الهولاندية للهند الغربية)

وفي السنة ١٠١١ ه = ١٦٠٢ م باغت الامير يونس بن الحرفوش جبة بشرة · فلما بلغ ذلك يوسف باشا بن سيفا جمع السكمان الذين عنده واهل البلاد وهاجم مدينة بعلبك فاجتمع بيت الحرفوش في القلعة ونهبت بنو سيفا بلاد بعلبك وحاصروا قلعة الحدث

خمسين يوماً وملكوها وقتل بن فاطمة وابن رعد الذي كان مع الامير فخر الدين في وقعة نهر الكلب . ثم نادوا بالامان . (وفيها كان اتحاد انكلترا وسكوتلاندا في ايام جمس لاول من عائلة ستيوارت)

الفصل الثامن

في سلطنة السلطان احمد الاول بن السلطان محمد الثاني وهو الرابع عشر من ملوك آل عثمان

وفي السنة ١٠١٢ هـ = ١٦٠٣ م توفي السلطان محمد الثالث ابن السلطان سليم الثاني في مدينة القسطنطينية وعمره ٣٧ سنة وكانت مدة حكمه تسع سنين وتولى بعده على السلطنة ولده السلطان احمد الاول (وله من العمر ١٥ سنة فقط ولم يسبق جلوس من كان في سنه على سدة الخلافة العثمانية . ولما مات وزيره استدعى مراد باشا بكربك من مصر وكان كهلاً مسناً فاخذ بانفاذ رغائب والده وارسل جيشاً لقتال العجم وكان النصر سجالاً) . وفي هذه السنة انعقد الصلح بين يوسف باشا ابن سيفا و بين علي باشا ابن جنبلاط [1] والي طرابلس . واتحدا معاً وتجدد وجاق ابن جنبلاط الذي سموه تفكجية . وفيها كان ابتداء تملك الامير فخر الدين على بلاد صفد . (وفي هذه السنة كانت وفاة اليصابات ملكة الانكليز وتبوأ عرش الملك بعدها جاك الايقوسي المسمى جاك الاول . وفيها تولى على مصر ابراهيم باشا فحكم فيها مدة قصيرة . وفيها كانت حرب بين اسوج و بولونيا)

وفي السنة ١٠١٣ هـ = ١٦٠٤ م قدم علي باشا ابن جنبلاط على الشام وحاصرها مدة طويلة فقدم اهلها له مالاً كثيراً فتحول عنهم وكان الامير فخر الدين المعني بصحبته فاعطاه علي باشا الف غرش اكراماً له . (وفيها كانت ولادة السلطان عثمان خان الثاني وانعقدت معاهدة بين السلطان احمد الاول وحكومة فرنسا . وفيها تحالف الجند بمصر على قتل الباشا بسبب ابطال طلباتهم وفي الغد انتظروه عندما كان عائداً وهاجموه

(١) ان عائلة بيت جنبلاط المشهورة في بلاد الشوف هم من اقرباء علي باشا وسيأتي الكلام على كونهم ارتحلوا من حلب الى بلاد الشوف بعد ما حارب مراد باشا علي باشا جنبلاط وغلبه وذلك لاتحاد علي باشا مع بيت معن

وقتلوه وقتلوا الامير محمد ابن خسرو وعلقوهما على باب زويلة وقيل ان ذلك حدث سنة ١٠١٣ هـ . ولما علم ديوان الاستانة بقتل ابراهيم باشا ارسل عوضاً عنه الوزير محمد باشا الكورجي الملقب بالخادم الذي لم يحكم اكثر من سبعة اشهر وتسعة ايام)

وفي السنة ١٠١٤ هـ = ١٦٠٥ م كانت موقعة جونية بين يوسف باشا ابن سيفا و بين الامير فخر الدين ابن معن فكانت الكسرة على عسكر يوسف باشا . ثم رجع الامير فخر الدين الى الشوف منصوراً . (وفيها قتل محمد باشا الكورجي زعماء الثورة وكانوا نحو مائتي شخص في مدة حكمه القصيرة . وفيها استبدل محمد باشا الكورجي بالوزير حسن باشا . وفيها كان اكتشاف اوستراليا بمعرفة الهولانديين . وفيها اكتشف جون سميث خليج شازبيك في اميركا وفي السنة ١٠١٥ هـ تملك الفرنساوية كندا . واخترع المعلم ليبرشي بمجدبرج النظارات المقربة اي التلسكوب وفيها تصالح السلطان مع الامبراطور رودولف قيصر ملك المانيا وذلك بان تتوقف النمسا عن دفع الجزية المعتادة وان تكون الرسائل المتبادلة بغاية الوداد ككتابة اخ الى اخيه وان يتبادل السفراء . وكان ذلك اول العهد عند العثمانيين . ثم عادوا فعقدوا مثل ذلك مع فرنسا .)

وفي السنة ١٠١٦ هـ = ١٦٠٧ م وقع الاختلاف بين ابن سيفا وعلي باشا ابن جنبلاط . فسار ابن جنبلاط الى حلب وخرج عن طاعة السلطان . فتوجه اليه مراد باشا الوزير في العساكر السلطانية من اسلامبول وقبل ان يصلوا الى اراضي حلب خرج علي باشا جنبلاط الى لقائهم في عساكره فظفروا به وكسروا عسكره . فرجع الى حلب وحصن القلعة . ورفع اليها عياله واسبابه . وولى عليها اطلي طوماش باشا وامره بحفظها لمدة ثلاثة اشهر ليرجع اليه بالنجدة من الشاه سلطان العجم . ثم تجهز للسفر وحال خروجه من اراضي حلب وصل مراد باشا الوزير ومعه احمد باشا حافظ الشام و يوسف باشا ابن سيفا وشددوا الحصار على حلب وافتتحوها . ثم امر الوزير ان ينصبوا المنجنيقات على القلعة . وارسل الى اطلي طوماش ووعده بالنيابة على حلب فاطمأن وسلم القلعة . ثم قبض عليه وقتله وضبط القلعة و باع عيال علي باشا ابن جنبلاط بيد الدلال فبيعت والدته بثلاثين غرشاً . ثم وقعت المناداة على كل جنس التفجكية وكان عددهم نحو ثمانين الفاً فقتلوهم في اماكن مختلفة واتوا برؤوسهم الى الوزير ولم ينجُ منهم الا القليل . وكان الرجل يقتل العشرة منهم . وقيل انه مر على فلاح خمسة تفجكية هاربين فمسكهم وسلبهم واخذ سلاحهم ولم يقدر احد ان يؤذيه . ثم طلبوا منه ان يكتم امرهم . واما الوزير فمهد امور حلب

وخدمته جميع امراء العرب . واما الامير فخر الدين فكان ميله الى علي باشا جنبلاط وكان معه في ارض عراض عند ما كسر العساكر الشامية . فغضب عليه الوزير فالتزم الامير فخر الدين لتوجيه ولده علي بتقدمة عظيمة الى حلب . وكان عمره تسع سنين فقدم له ثلاثمائة الف غرش استعطاف خاطر فعفى الوزير عنه وانعم على ولده الامير علي بسنجقية صيدا و بيروت وغزير . وفي هذه السنة صار القشلاق (او بمايراد به اخذ العساكر بالقرعة) وتفرقت عساكر السلطان على جميع البلدان الا بلاد الشوف وكان عدد العساكر نحو اربع كرات (الكرة مائة الف) . وكانت الناس في ضيق عظيم من الغلاء والرمايا (اي المطالب غير القانونية) التي كانت على القرى من بن الملقاش الترزاني البيروتي التي كان يجمعها و يرسلها ليوسف باشا وتكفل له باخذ القرعة وتقديم الميرة والذخيرة الى العساكر المجموعة في البلدان خمسة اشهر . ثم ارسل الوزير مراد باشا جمعة الى حلب . (وفيها تولى على مصر محمد باشا بدلاً من حسن باشا الوزير . وفيها زاد الفساد وحصلت في موسم الحج بمصر حروب بين عساكر الوالي والعساكر القائمة مع الامراء العصاة . وفي السنة ١٠١٧ هـ في اخر رمضان ثارت الجيوش على الوالي واجتمعوا في برج سيدي احمد البدوي وتحالفوا على ان لا يوافقوه على تعيين الضرائب غير العادلة وولوا عليهم سلطاناً وتقاسموا مصر . وفي ٩ ذي القعدة قام محمد باشا وضم اليه العربان و ردع العصاة وقتل منهم ٧٧ شخصاً . وفيها استعمل اول تلسكوب في بلاد الانكليز . وفي السنة ١٠١٨ اكتشف هدسن البوغاز المسمى باسمه في اميركا الشمالية . وفيها كانت ولادة السلطان الغازي مراد خان الرابع . وفي السنة ١٠١٩هـ قتل رافلييك اليسوعي هنري الرابع ملك فرانسا . واكتشف غاليلو البقع الشمية ودوران هذه الكواكب واكتشف ايضاً اقمار المشتري .)

وفي السنة ١٠٢٠ هـ = ١٦١١ م توفي مراد باشا الوزير وتولى على الوزارة بعده نصوح باشا وتوجه الى ديار بكر وقدمت اليه الامراء والمقدمون الهدايا والتقادم . وفي هذه السنة صار حريق مهول في مدينة اسلامبول احرق ماينيف عن ثلث المدينة . واحترق مكتب المفتي الكبير وكان فيه اكثر من ثلاثة آلاف مجلد في اللغات الشرقية . العربية والتركية والفارسية وهي في مواضيع مختلفة الاجناس . (وحدث طاعون بالاستانة مات فيه نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس وحصل فيها زلازل عظيمة . وفيها طرد عدد غفير من المغاربة من اسبانيا في ايام ملكها فيليب الثالث . وفيها طرأ على كبلر اول فكر بخصوص

النظارات الفلكية ذات العدسيتين المحدبتين . واكتشف غاليلو اوجه الزهرة)

وفي السنة ١٠٢١ هـ = ١٦١٢ م بعد ان حصلت الموقعة بين الوزير الاعظم مراد باشا وعلي جانبلاط بمدة توفي مراد باشا وتولى على الوزارة العظمى نصوح باشا كما سبق . وكان عادة الامير فخر الدين انه اذا تولى احد على الصدارة يخدمه بشيء جزيل من الاموال فوجه كتخدا (خادمه الخصوصي) مصطفى بخدمة الاستقبال وقدرها خمسة وعشرون الف غرش وجملة من الخيل والانسجة . وحين وصول مصطفى المذكور لم ير من الوزير البشاشة المعهودة . ثم حين انصرافه خلع عليه وكتب الجواب الى الامير فخر الدين وذكر له انه قطع تعيينات الذين عنده من السكمان وامر بتسليم قلعة بانياس وقلعة شقيف ارنون . وكان سبب انحراف خاطر الوزير نصوح باشا على الامير فخر الدين هو انه لما كان في حلب قطع خرج العساكر الشامية فاتفقوا مع الامير فخر الدين على محاربته . وجمع جميع امراء العرب وسار الى حلب واعان علي باشا ابن جنبلاط لما انهزم العسكر الشامي . ولما اصطلح امر الباشاوات بعضهم مع بعض اصلح الامير فخر الدين امره وانما بقي الوزير متكدر الخاطر باطناً عليه . ثم ان الوزير جرد جيشاً على ابن سيفا يوسف باشا بيكلر بيك طرابلس فهرب منه ولاقاه الامير فخر الدين ولم يمكنه من الدخول الى طرابلس . فنزل في البحر وطلع في بلاد حارثة وطلب من الامير احمد ابن طرابيه ان يوصله الى دمشق الشام . ولما وصل حاصر فيها فدفع (الامير فخر الدين) مائة الف غرش فعفا الوزير عنه . وتوجه ابن سيفا الى حصن الاكراد . وارسل الامير فخر الدين ولده الامير علياً الى استقبال الوزير الاعظم ودفع له ثلاثين الف غرش فعفا الوزير عنهما . واعطاها سنجقية صيدا وبيروت ولكن مع ذلك لم يصف قلبه على الامير فخر الدين بل عمل ذلك حباً في ولده ولم يأخذ المال المذكور . ثم ان نصوح باشا ارسل الى الامير فخر الدين علي جاويش يطلب تقدمة الى السلطان احمد فارسل الامير خمسين الف غرش والى نصوح باشا ٢٥ الف غرش واعطى علياً الجاويش ٥ الاف غرش وارسلها جميعها مع مملوكه مصلي آغا فانعم عليه الوزير وجعله جاويش السلطان وعاد وصحبته خلعة فاخرة للامير فخر الدين . ولما كان الحافظ احمد باشا بالشام واراد الركوب على ابن الحرفوش اعان الامير فخر الدين ابن الحرفوش . وايضاً لما اراد الحافظ توجيه عسكر ضد الامير احمد ابن شهاب الى وادي التيم ارسل الامير فخر الدين عسكراً لاعانة الامير احمد ومنع الحافظ احمد باشا عن اذيتهما . ثم ان الحافظ احمد باشا توجه الى حلب لمقابلة الوزير نصوح باشا

وصحبته كنعان بكباشي اعيان انكشارية الشام . وكان يبغض الامير فخر الدين وفخر بك . فاعطاها سنجقية عجلون ونابلس والكرك وعزل ابن قانصوه . وذكر الحافظ احمد باشا للوزير مافعله الامير فخر الدين وشرح له ان بلاده عامرة وانه يحصل منها اموال جزيلة لخزينة السلطان . ثم ان الوزير عزم على تجريد العساكر ضد الامير فخر الدين ورجع الحافظ احمد باشا الى الشام ورجع الوزير الى الباب العالي . ولما استقر الحافظ بالشام اظهر ما كان يكنه في باطنه فسلم عجلون الى فروخ بك وطرد ابن قانصوه والشيخ عمر شيخ عرب المفارجة من بلاد حوران . واقام على حوران شيخًا عوضه الشيخ رشيد شيخ عرب السردية . فتوجه الشيخ حمدان ابن قانصوه والشيخ عمر وعربهما الى الامير فياض الحياري . فلما علم الامير فخر الدين بذلك تحقق ان نية الدولة رديئة من نحوه . فارسل كتخدا (كبير خدمه) مصطفى الى نصوح باشا الوزير مصحوبًا بتقدمة . ووجهه في البحر وصحبته مراكب موسوقة صابونًا وقماشًا . وفي هذه السنة ظهر جراد عظيم واكل الكروم والاشجار وجميع النباتات وكان في تلك السنة امطار كثيرة واشتد الغلاء حتى بلغت غرارة القمح في دمشق ثمانين [1] غرشًا . وازداد الغلاء في حلب حتى بيع مد البلوط بغرش وفيها خرج احمد باشا ابن الوزير بالعساكر من الشام الى وادي التيم ونزل في خان حاصبيا . فهرب بيت شهاب منها فهدم دورهم واتلف املاكهم ونهب حاصبيا . وبعد خمسة ايام عزم على المسير الى بلاد الشوف فخاف منه بيت معن وتعهدوا له بدفع مائة الف غرش وسلموه رهنًا على ذلك المقدم شرف الدين بن مزهر والامير عليًا ابن ارسلان من الشويفات . ثم رجع الى الشام فهرب الامير خفية . ثم بعث له بيت معن ما تعهدوا به بعد ماهرب الامير علي بن ارسلان من الرهن وحضر الى الغرب وشرع في بناية الدار الكائنة الآن في قرية بشامون وجعل بناءها برسم الحصار وحصنها كتحصين القلع . ثم تزوج بابنة الامير محمد بن الامير علي بن شهاب حاكم وادي التيم لانه كان قد وُعد بها حين مسيره ليكون رهنًا وكان اسمها الست اسماء . وفيها وقعت النفرة بين الامير علي الشهابي واخيه الامير احمد فاقتسما بلاد وادي التيم . وسار الامير احمد الى راشيا . وقضيا حياتهما في البغضة والمخاصمة . وكان الامير علي متحداً مع الامير فخر الدين المعني وازوج ابنته بالامير علي بن الامير فخر الدين . ومن بعد جدال ومخاصمة عظيمة سار الامير فخر الدين الى

---

(١) هذا الثمن لا يعتبر غلاء ولكن من تامل قلة الدراهم بوقتها وان اجرة العامل كانت لا تساوي بارة يوميًا يرى ان ذلك غلاء فاحشًا وقد تقدم ان الغرارة = ٧٢ مدًا والمد = ١٤ اقة

وادي التيم وقسم البلاد بينهما فسكن الامير علي في حاصبيا واخوه الامير احمد في راشيا ٠ (وفيها تولى على مصر محمد باشا الملقب بالصوفي ٠ وانعقدت معاهدة تجارية بين السلطان احمد الاول وحكومة الفلمنك مصرحة لرعايا الفلمنك بالتجارة في الممالك العثمانية واقامة قناصل وسفراء ٠)

وفي السنة ١٠٢٢ هـ = ١٦١٣ م الشيخ حضر عمر واحمد بن قانصوه بعربهم من بلاد الحياري الى حوران وضربوا عرب السردية واخذوا منهم خيلاً ومواشي كثيرة وكان الشيخ عمر سبق ليعلم الامير فخر الدين ٠ولما وصل الى قلعة بانياس ودخل على الامير فخر الدين واعلمه بما توقع معهم فبالحال ركب الامير فخر الدين بمن عنده من الرجال وتوجه الى القنيطرة ٠ واقام الامير ذلك اليوم وامر لهم بالذخائر والعلوفة ووعدهم بالمساعدة وطلب منهم المهلة الى ان يرجع كتخدا مصطفى من عند الوزير ٠ وفي ذلك الوقت حضر الحاج كيوان من صيدا فتكلموا معه ان يسيّر الامير فخر الدين معهم عسكراً وكان الحاج كيوان اصله من انكشارية الشام ولكنه مقيم الآن في صيدا ٠ وكان الامير فخر الدين يعتمد عليه كثيراً ويعتقد في رأيه ولم يزل يلح على الامير الى ان عين معهم عسكراً صحبة ولده الامير علي وكان عمره خمس عشرة سنة ٠ ثم رحلت العساكر ونزلوا في مرج البرغوث ٠ ثم رحلوا الى الميدان والتقوا هناك بعسكر الشام وحدثت الموقعة بينهم في غزة ٠ فوقعت الهزيمة على فروخ بيك وكنعان والعرب السردية واخذوا منهم نحو مائة راس خيل ٠ واخذوا اعلام فروخ بك وهي سنجق عجلون ٠ ودخل الامير علي ومن معه من العساكر والعرب الى عين جالوت ٠ وكان قصدهم ان يطاردوا الشيخ رشيداً وعربه لانه كان نازلاً على الزرقاء شرقي حوران فلم تقبل طائفة السكمانية لما بلغهم بعد المكان ٠ ثم سار الامير علي الى بلاد البلقاء ونزل على نهر حسبان وتسلم الامير حمدان سنجقية عجلون ٠ ولما طالت الاقامة في بلاد حوران رجعت العشائر التي كانت مع الامير علي ولم يبق معه غير السكمانية ٠ وكانوا نحو الف نفس ٠ وفي ذلك الوقت خرج كنعان في العسكر من الشام الى قرية بصرة بقرب الشام (التي تدعى بصرة اسكي شام) ٠ فلما بلغ الامير علي والشيخ عمر انتقال عسكر الشام نقلوا من بلاد عجلون الى قرية اربد ٠ وسار الشيخ عمر وعربه وصحبته مايتا خيال من السكمانية وباغتوا الشيخ ناصر النحيلي وعربه وكانوا في لجاء حوران فاخذوهم عن اخرهم ولم يسلم لهم عقال (العقال ما تلبسه العرب فوق الكوفية وهو معتبر عندهم كثيراً فلا

يسلم العربي بسلبه منه الا بعد شق النفس ولذلك يضرب به المثل اي انه لم يبق لهم شيء) وعادوا بالمكسب . ثم انه قدمت اليهم العساكر من عند الامير فخر الدين لانهم كانوا ارسلوا واعلموه عن خروج العسكر من الشام فارسل لهم عسكرًا نحو عشرة الاف من السكمان ورجال الامير احمد ابن شهاب ورجال الامير يوسف الحرفوش . ومن رجال يوسف ابن سيفا . وكانوا جميعهم صحبة حسين اليازجي وكذلك ابن قانصوه جمع رجال بني عبيد واحمد الكنانة ورجاله . ولما بلغ عسكر الشام قدوم عسكر الامير فخر الدين رجع من غير قتال . ثم ان الامير علي رجع في العسكر الى عند والده وابقى عند الشيخ عمر وابن قانصوه خمسين بكباشيا من السكمان برجالهم في عجلون وحوران . و بعد ذلك حضر اناس من عند مصطفى كاخيه (الكاخي والكتخدا بمعنى واحد) واخبره انه حين وصولهم الى اسلامبول دخلوا على الوزير وحصل لهم تطييب خاطر . وقبل التقدمة ووعدهم بسنجقية نابلوس . ثم انه حين عزموا على الانصراف حضرت شكايات من الشام من الحافظ احمد باشا ان الامير فخر الدين اغار بعسكره على حوران وعجلون وانه حاصر دمشق فالقى الوزير القبض على مصطفى كتخدا الامير وعين في الحال اربعة عشر بيكلر بيكا وخمسين سنجقا وجعل الحافظ احمد سردارًا عليهم ووجه الباشاوات المذكورين بالعساكر ووجه الفين من انكشارية اسلامبول صحبة اباز آغا في البحر الى بانياس . فلما وصلت العساكر الى الشام وعزم الحافظ احمد باشا على الركوب لمحاربة الامير فخر الدين توجه الامير يوسف الحرفوش والامير احمد الشهابي لمواجهة الحافظ احمد باشا . فلما بلغ الامير فخر الدين قدوم العساكر حصن القلاع بكلما تحتاج اليه وجعل في قلعة بانياس حسين اليازجي مع الف شخص من السكمان وفي قلعة الشقيف حسين الطويل ومعه اربعمائة شخص ووضع حريمه في القلعتين . ولم ياخذ معه الا واحدة . ثم اوصاهم بالحرص والتيقظ . وانه اذا قدر الله ورماه في يد الدولة وطلبوا منهم تسليم القلع ليطلقوه فلا يقبلوا ذلك لانه يكون خداعا . ثم انه ارسل ولده الامير عليا الى عرب البيرة مع الامير حمدان والشيخ عمر وكان ذلك في جمادي الثاني من السنة المذكورة . ثم ان الامير فخر الدين وجه اناسا في مكاتيب الى الحافظ احمد باشا والى قاضي الشام وعلمائها والى الباشاوات الاخرين صحبة زين العابدين والشيخ خالد من اهالي صفد والشيخ محمد الحاوي والشيخ محمد الحمودي من صيداء واربعة من علماء بيروت . فتوجهوا الى الشام واعطاهم مائة غرش للنفقات . ولما

وصلوا للشام عملوا اتفاقاً بعضهم مع بعض ان كلا منهم ينزل في مكان يعرفه وفي الغد يكون اجتماعهم الجامع في الاموي . ولما وصلوا علم بهم الحافظ احمد باشا وارسل لهم الجاويشية وقبل ان يوصلوا الكتابات لاربابها احضرهم امامه وامر بالقبض عليهم وطلب منهم مامعهم من المكاتيب التي كانت صحبة الشيخ محمد الحاوي وكان قد هرب الى قرية خارج الشام فاحضروه ولما فهم الباشا مضمون الكتابات قال لهم ارسلوا الى الامير فخر الدين ان كان يروم الصلح فليحضر وليدس البساط وعليه امان الله . فرجع الرسل واعلموا الامير فخر الدين بذلك الجواب . وقد تحقق انه خداع و بعد رجوع الرسل نقل الحافظ احمد باشا الى سعسع فعزم الامير فخر الدين ان يتوجه الى العرب في البرية فاتاه خبر ان الحافظ احمد وجه عسكراً صحبة الامير احمد شهاب وفروخ بيك واحمد ابن طربيه الى جسر المجامع ليربطوا الطريق على الامير وقد حاصروا البكباشية في الخان فعند ذلك عزم الامير على قتالهم وصار من طربيا الى قلعة الشقيف . وفي وصوله حضر اليه اناس واعلموه ان اولاد علي الصغير سلبوهم في الطريق . فبالحال توجه وباغتهم في قرية الكوثرية . وقبل وصوله بلغهم الخبر بقدومه فهربوا فنهب الامير القرية ورجع الى القلعة . و بعد وصوله حضر اليه الخبر ان السكان الذين كانوا في خان المجامع هربوا في الليل فلحقهم عسكر الباشا الى جب يوسف وما سلم منهم الا القليل . ثم انه بعد يومين حضر للامير خبر بانه قدم الى اسكلة صيدا محيي الدين باشا رودس . ومعه عشرة مراكب ليطوفوا المين (الارض) ويمنعوا الامير عن السفر في البحر . فعند ذلك توجه الامير فخر الدين مع جميع من معه الى صيدا واجتمع بمحيي الدين باشا وشرح له التعدي والظلم الذي صدر ضده من الحافظ احمد باشا مع ان له مالاً سلفة في الخزينة نحو خمسين الف غرش . ولما فهم محيي الدين باشا ذلك طيب خاطر الامير وامر اهالي صيدا ان يكتبوا عرضحالاً الى الدولة العلية في تبريئة الامير فخر الدين وان الحافظ احمد باشا مفتر عليه في الشكايات ضده . وتوجه في العرض الشيخ ابو اللطف والحاج محمد خضر وسارا صحبة محيي الدين باشا في المراكب لانه كان حضر للباشا المذكور علم من القبودان محمد باشا ان مراكب جزيرة مسينا التقت بتسع مراكب للمسلمين فاخذوا منها سبعة مراكب . فبالحال سافر محيي الدين باشا من اسكلة صيداء وحين وصوله الى القبودان الكبير محمد باشا تقدم الشيخ ابو اللطف والحاج محمد خضر وقدموا العرضحال الى القبودان وزير البحر وهذا الوزير كان له معرفة قديمة بالامير فخر الدين لانه حين كان معزولاً من مصر

ومر على عيون البحر ثم الى جسر بنات يعقوب متوجهاً الى الباب العالي قدم له الامير فخر الدين ذخيرة وتقدمة خمسة الاف غرش . ثم بعد توجه محيي الدين باشا من اسكلة صيدا قدم غليونان (مركبان) فرنساويان وغليون فلمنك مع اناس تجار . وحينما تحقق الامير فخر الدين ان الحافظ احمد باشا لايزال طالباً اياه جوراً وظلماً وتعدياً . طاب اخاه الامير يونس والامير منذراً والامير ناصر الدين التنوخيين وجميع مشايخ البلاد والخوازنة الى نهر الدامور وطلب منهم الاسعاف وان يحاربوا معه عسكر الحافظ احمد باشا ونظر من الجميع قلة اهتمام فكبر عليه الوهم فتركهم ورجع الى صيدا وعزم على السفر في البحر الى بلاد الافرنج . وكان عند الحاج كيوان رجل يهودي اسمه اسحق فارسله الى قنصل صيداء كي يستاجر له تلك المراكب فتدبر له مركبان اجرة الواحد منهما خمسماية غرش . وارسل الحاج كيوان احضر عياله من شقيف تيحا . وفي الحال انزلهم في قارب الى المركب . وانزل الامير عياله الى المركب الثاني وهم بنت الشيخ مظفر واولادها واخاها الحاج علي . ثم امر الامير فخر الدين اخاه يونس ان يقيم في دير القمر لحين عودته . ودفع الى السكمان علوفة كل واحد ايرتين واوصاهم في طاعة اخيه ووكل بهم محمداً اليازجي وارسل زوجته الثانية ابنة الامير علي ابن سيفا الى شقيف تيحا . واقام عندها مملوكه مصلي اغا بخمسين رجلاً . ونزل الامير الى المراكب التي استاجرها وصحبته من خدمه ستة عشر رجلاً . وقبل ان يسافر من صيدا حضر الشيخ يوسف السليماني من غزير فسلمه الامير ثلثمائة ذهب (ليرا) امانة لكي يوصلها الى البكباشية الذين في حارة غزير . وسافر الامير فخر الدين في البحر في غرة شعبان . وبعد توجه الامير طمع الشيخ يوسف السليماني بالدراهم التي استلمها ولم يوصلها الى البلكباشية فاخلوا سراية غزير وحضروا الى دير القمر . فهذا ما كان من الامير فخر الدين واما الحافظ احمد باشا فحينما بلغه توجه الامير فخر الدين في البحر رحل من سعسع الى القنيطرة ثم الى الحولة . وارسل ثلاثة اشخاص ليعطوا الامان الى الذين في قلعة بانياس كي يسلموه القلعة . وعند وصولهم رموهم من فوق السور فماتوا وحين تحقق الحافظ احمد باشا انه لاانتفاع من حصار قلعة بانياس رحل الى مرج عيون وارسل محمد آغا حاكماً على صفد . واراأوط حسين آغا حاكماً على صيداء . وبيروت وكسروان ردهما الى يوسف باشا ابن سيفا . فحصلوا من اتباع الامير فخر الدين مالاً جزيلاً . واعطى الشيخ مظفر العيندراي حكم الجرد والمتن وعين عليه ثلاثة الاف غرش . ثم رحل الى ارنون ونزل تحت القلعة فخرج منها جملة

اناس فقاتلوهم كل النهار فقتلوا من الدولة نحو خمسين قتيلاً · ورابع يوم حاصر الباشا برج الظاهرية المقابل قلعة الشقيف فقتل من عسكره ثلاثون رجلاً · ولكن رجلاً من داخل البرج كان يملا جعبته باروداً و بيده فتيل شاعل فاحترق البارود وقتل جملة اشخاص من الذين داخل البرج · ووقع حائط البرج فقتل جملة اناس من الذين خارجه لانهم كانوا ملاصقين حائط البرج · و وقع ماينوف عن السبعين رجلاً في المزحلق · فملكت الدولة البرج وقبضوا على الذين بقوا من السكمان واحضروهم الى امام الحافظ احمد باشا فطيب خاطرهم واطلقهم وكان قصده بذلك اطمئنان الذين في القلعة · وثاني يوم من رمضان قطعوا اشجار الزيتون لاجل عمل المتاريس عند برج الظاهرية وعملوا تلاً من التراب الى ان اوصلوه الى خندق القلعة · وبقي الحصار ستين يوماً لا يبطل اطلاق المدافع والبنادق ليلاً ولا نهاراً · وفي اخر رمضان ارسل الذين في القلعة الى الامير يونس معن ان يرسل لهم السكمان و يحضر هو برجال الشوف ليشغلوا العسكر من خارج · فلما وصل كرد حيدر بتلك الرسالة الى الامير يونس لم يرتض احد ان يتوجه الاَّ جلب حسين بلك باشي الذي حضر من غزير فعين معه الامير يونس مائة وخمسين رجلاً واعطى لكل رجل خمسة غروش فلم يتوجه معه الا خمسين رجلاً وسار قدامهم كرد حيدر من دير القمر · وكان في الدير جماعة من البكباشية يكاتبون الحافظ احمد باشا فاعلموه بمسير جلب حسين ففي الحال ارسل حسين باشا بن سيفا والامير يونس بن الحرفوش فمسكوا الطريق على جلب حسين · وصادفوهم في البقعة التي فوق جسر الخردلة ليلاً فصار بينهم موقعة عظيمة فمسكوا من جماعة جلب حسين اثنين ونجا سيف الباقين الى ان وصل الى المتاريس فاستلوا سيوفهم على الذين في متاريس تركجية آغا فانهزموا من قدامهم واخذوا منهم علمين ووصلوا الى متاريس الامير احمد · ونزل ابن محمود بن سيفا فانهزموا من قدامهم فغنموا اعلامهم وجرحوا الامير احمد · ونزل جلب وارفاقه الى الخندق وداروا الى جنب المزحلق وفتحوا لهم باب السر فدخل اربعة وثلاثون رجلاً منهم وامسك الباقون وعددهم اثنا عشر رجلاً · وصار في تلك الليلة اضطراب عظيم في العسكر من جرى ذلك · وعند الصباح نصبوا الاعلام التي غنموها على جوانب القلعة · ولما تحقق الحافظ احمد ان تلك النجدة من عند الامير يونس معن امر حسين باشا بن سيفا ان يرجع الى بلاده وان يجمع عسكراً و يحضر به الى الدامور · وامر الشيخ مظفراً ان يجمع رجال الغرب والجرد والمتن وطلب من مؤمن

ابن سيفا الى غزير ورجع الشيخ مظفر الى الشويفات ورجع مؤمن باشا بمن معه من نهر صيدا الى الشقيف ٠ وبعد ذلك رحل الحافظ احمد باشا في العسكر عن القلعة في اول شهر ذي القعدة واخذ معه السيدة الوالدة بكل اكرام ٠ وكانت عساكره نيف وخمسين الف من اولاد العرب ٠ ومع ذلك كان الرخص موجوداً حتى كان يباع مدّ الحنطة بثلاث بارات لان محصول تلك السنة لم يكن له حدّ يوصف زائد الاقبال ٠ وحين وصل الحافظ احمد باشا الى نهر حاصبيا امر خمسين نفساً من الانكشارية بالاقامة هناك بالخان ٠ وطلب من الامير يونس الحرفوش ان يسلمه حصن قب الياس وحصن اللبوة وطلب من الامير احمد شهاب ان يسلمه مفاتيح دورهم (اي دور الشهابيين) ٠ فاجابه ليس بامكاني تسليمها فامر بالقبض عليه واطلق اخاه الامير علياً ليحضر المفاتيح ٠ وانتقل الحافظ الى تحت راشيا فقدم له الامير احمد عشرة الآف غرش وجوادين فاطلقه وخلع عليه ٠ ورجع مصطفى باشا الى ديار بكر وعمر باشا الى بعلبك ٠ وبعد دخول الحافظ الى الشام بخمسة ايام خرج في العسكر الى بعلبك ليستلم القلعة وحصن اللبوة فارضاه ابن الحرفوش بخمسين الف غرش ٠ هذا ما كان من الحافظ احمد باشا ٠ واما الامير علي ابن الامير فخر الدين فاننا قد ذكرنا مسيره مع الشيخ عمر الى البرية فنزلوا في قرية سحرة من بلاد عجلون ٠ ولما بلغهم سفر الامير فخر الدين في البحر رحلوا الى نهر الزرقاء ٠ وفي ثاني يوم نزلوا في قصر شبيب ٠ وبعدها انتقلوا الى قلعة الزيداء ٠ وعند الصباح خرج اليهم الشيخ رشيد وانكسر السردية واستمروا وراءهم الى العصر وعادوا الى منزلة الشمر ٠ ثم رحلوا الى قصور بشير والكرك وارسلوا الشيخ حسين بن الشيخ عمر الى الامير فياض الحياري ليطلب اذناً منه بالنزول اليه فما رضي الامير فياض وقال للشيخ حسين سلموني بن معن حتى استحصل لكم حكم حوران ٠ فرجع الشيخ حسين ٠ ثم انهم باغتوا تركمان السويدية شرقي الشام واخذوا منهم نحو ثلاثين الف راس غنم ٠ وقتل في تلك المعركة الشيخ احمد ابن عمر وكان اكبر من اخيه حسين سناً ٠ وتوجهوا الى البرية فاتاهم نذير يخبرهم بان الامير فياض الحياري عين الامير سلطان ابن عبد الله طوقان فرحلوا الى منزلة عرات ٠ وكان التركمان الذين نهبت اغنامهم قد تشكوا الى الحافظ احمد باشا ٠ فعين عسكراً من الشام صحبة ناصر الفحيلي ٠ وكان ملتقاهم بهم بقرب قصر كنعان وكانوا نحو خمسمائة فارس فوصلوا اليهم عند الصباح وصار بينهم موقعة تشيب منها الاطفال وبقي الحرب من طلوع الشمس الى المغرب ٠ وفروا من

امامهم بحمية وما خذوا من خيلهم شيئاً ولكنهم اخذوا الغنم · وقد فعل الشيخ عمر وعربه في ذلك اليوم افعالاً تعجز عنها الجبابرة وقتل تحت الشيخ عمر ثلاثة رؤوس من الخيل وكانوا قبل ذلك قد ارسلوا حسيناً بن الشيخ عمر الى ناصر الدين من آل مهنا ليستجلبوا خاطره فترحب بهم ورجع حسين اليه بكل اكرام · واراد الامير علي ان يذهب اليه ولكن الشيخ عمر منعه خوفاً عليه · وعزم الامير علي ان يرجع الى البلاد لان العرب ضجرت من الطراد وقلت مؤونتهم ولم يبق مع الامير علي شيء لاجل نفقاته فرجع الى اللجاء وصحبته الشيخ عمر ومعه عشرون فارساً من افضل عربه و باتوا تلك الليلة عند عرب زبيد · وثاني ليلة باتوا في قرية خراب بجبل حوران الشرقي وعند الصباح سقط عليهم الثلج وكابدوا مشقة عظيمة الى ان وصلوا الى قرية عمار في اطراف حوران و باتوا هناك · وفي الليل اتاهم نذير بان صو باشي حوران ارسل لهم عدداً من الخيل فركبوا الى القنيطرة وارسلوا اعلموا حسين اليازجي بقدومهم · فخرج من القلعة الى لقاء الامير علي ودخل الامير علي الى القلعة واكرم الشيخ عمر واعطاه خمسمائة غرش وخلع عليه وعلى جماعته ورجعوا الى عربهم ولما وصل توجه الى الامير فياض · وبعد رجوع الامير علي الى بانياس قدم مصطفى خادمه الذي كان مسجوناً في اسلامبول · وكان خلاصه عن يد خليل باشا القبودان (القبطان) وزير البحر فاطلقه واكرمه غاية الاكرام · واما الامير فخر الدين فبعد نزوله في البحر كما ذكرنا سافر متوسطاً في البحر تجنباً الشطوط خوفاً من القرصان فصادفهم مركب قرصان مالطية فقصدوا المركب الفلامنكي وسالوا الرئيس من اين قادم فاجابهم من بلاد الشرق · ولما تحققوا انهم لا يقدرون عليه تركوه وساروا · ولم يزل هذا المركب الفلامنكي سائراً الى ان وصل الى مدينة صقلية واجتاز جزيرة سردينيا وقرصقا ووصل الى مرسى ليكورنا من بلاد ايطاليا من الغرن وكانت مدة سفرهم من صيدا الى ليكورنا ثلاثة وخمسين يوماً فخرج اليهم قارب عليه علم الدوك وفيه اناس يعرفون اللغة التركية والعربية وسألوهم من اين انتم مسافرون وما بضاعتكم · فاجابوهم ان المركب فلامنكي واخبروهم عن الامير فخر الدين وانه حاكم اكثر بلاد الشرق فجار عليه المسلمون واتى ملتجئاً اليهم · ثم طلب منهم الامير ان ينزل الى البر وكانت قد فرغت ذخيرته لانه لم يكن يظن ان المراكب الفرنساوية تفارقه · وكانوا طلبوا من الرئيس ان يعطيهم ذخيرة فاعتذر لهم انه مسافر · ثم اعطى كل شخص سبع كعكات بقسماط و بقوا يشترون من النوتية كعكة البقسماط بعشر بارات · ورجع القارب الى ليكورنا واعلم الحاكم بذلك

فامر ان يحضر الامير فقط فانزلوه في القارب خوفاً من الطاعون وصحبته خادمه مسرور . ولما وصل الى البر ادخلوه الى غرفة وبخروه باعشاب ومواد مطهرة و بدلوا ثيابه وحضر اهالي المدينة ومشوا امام الامير الى منزل الدوك . وحضر حاكم البلد وسأل الامير فخر الدين عن احواله وعن سبب حضوره فاخبره ما تمّ لهُ مع الدولة من الظلم والتعدي . فارسل الحاكم واعلم الدوك بذلك وكان حينئذٍ مسافراً في بلاد فرنسا . ولما وصل لهُ الخبر ارسل وزيره يطلب الامير فخر الدين اليه . وامر الحاكم باخراج اولاد الامير واتباعه والحاج كيوان الى البر بعد ما تحققوا انهُ لا طاعون في بلادهم . وتوجه الامير والحاج كيوان و بعض الخدم صحبة وزير الدوك الى مدينة بيزا (١) وهي مدينة عظيمة وثغر مهم . فمنها تطلع القوارب من النهر الى فرانسا . ومن هذا النهر يوجد خليج او ترعة مفتوحة الى ليكورنا فتحه ابو الدوك لدخول القوارب فيه الى مدينة بيزا الابيض وفي وسط هذه المدينة ثلاثة جسور عظيمة وقبة عوجاء مبنية من الرخام والاسود ومعلق في راسها النواقيس . وهي مبنية باعوجاج حتى يخاف الغريب ان يمر من تحتها لئلاَّ تسقط عليه وهي مبنية على مبداء حفظ مركز الثقل ضمن القاعدة . ثم ان الامير فخر الدين دخل المدينة فالتقاه عم الدوكا وامراء فرانسا واخذوه في عربة وادخلوه الدار فالتقاه الدوكا وارباب دولته وسلموا عليه وطيب خاطره وانزله في البلاط الملكي واجلسه معه على الطعام . فابتداء ياكل من المآكل التي ليس فيها لحم فعرفوا انه لا ياكل من ذبائح الافرنج . فامر الدوكا ان يقدموا الغنم والطيور الى تابعي الامير ليذبحوها واقام عندهم مكرماً الى العيد الكبير فصنعوا حينئذ اللاعيب متنوعة وسمح الدوكا الامير بان يرى كل الصنائع والتحف والصور الموجودة في تلك البلاد المصورة من سبعة اقاليم ايطاليا وصور المنجنيق الذي كان يستعمل قديماً في الحصار واروه الكنائس المملوءة من النقوش البديعة والصناعة واروه صور الحواريين والسيد المسيح كانها اشخاص ناطقة واعجب ما رأى الكنيسة التي بناها ابو الدوكا . ومحل ضرب النقود المركب على الماء واروا الامير البساتين والاشجار التي في صناعتها العجب وقالوا ان هذا الامير الدوكا اكبر من جميع امراء الافرنج وتفسير اسمه الدوكا اي الامير الكبير وكان اكثر ميله الى مملك اسبانيا . واقام الامير فخر الدين بكل انعام . ثم ان الامير طلب من الدوكا ان يأمر

---

(١) يظهر ان مدينة بيزا كانت حينئذ تابعة لفرنسا . وهي الان مدينة معروفة في ايطاليا مشهورة بقبتها العوجاء

بارسال مركب الى الشرق ليعلم اولاده بوصوله سالمًا وليستفهم منهم ما توقع معهم بعد مسيره · فامر الدوكا بتجهيز مركب · وكتب الامير فخر الدين معه مكاتيب لاهله يعلمهم بها بوصوله الى ليكورنا بكل سلامة · ووجه معهم في المركب من تابعيه ابن العيسوق ومحمد ابن علي كاور وساروا جميعًا بهذا المركب وظلوا سائرين الى ان وصلوا الى فرضة مدينة بيروت · وفي طريقهم مروا على قبرس وصرفوا مدة هناك · وكان وصل الخبر الى بيروت عنهم مع قارب كان هناك · ولما نظر اهالي بيروت المركب قادمًا ضجوا من الفرح وخرج اكثر اهالي المدينة الى قرب النهر منتظرين وصول المركب ليمسكوا كل من كان فيه لانهم تحققوا ان المركب افرنجي من بلاد الدوكا · هذا وجميع الافرنج الذين في المركب خافوا كثيرًا على انفسهم ويئسوا من السلامة لانهم كابدوا في البحر مشقات عظيمة ومخاطر جسيمة من النوء الشديد الذي اصابهم · وقالوا اننا اذا خرجنا الى البر فلا يمكننا الوصول الى الشوف بيوم واحد · وكانوا في حالة خطرة من شدة النوء اذ لم يقدر المركب ان يقابل البحر من شدة الرياح فرموا المراسي على صخر في قاع البحر فوقف المركب عن المسير وحينئذ استبشروا بالسلامة ولم يمض اكثر من ساعة حتى هدئت الرياح وامنوا على انفسهم · واما الناس الذين خرجوا من المدينة فلما رأوا ان المركب توقف عن المسير رجعوا الى ديارهم · وبقي المركب راسيًا عند نهر بيروت ثلاثة ايام (في الغناس) حتى حققوا الاخبار وعلموا ان جميع ساحل البحر صار بيد الدولة وابن سيفا فاقلعوا الى قرب مدينة صيدا ونزل ابن العيسوق ومحمد كاور والقبطان وعشرة من الافرنج وصعدوا الى دير القمر الى الامير يونس · فلما راهم فرح فرحًا عظيمًا واعطوه المكاتيب التي له والى جميع اعيان البلاد ثم توجهوا الى شقيف نيحا · ثم الى بانياس · وتفرج القبطان على جبل الشوف وارسل الامير يونس والامير علي معن وحسين اليازجي وحسين الطويل الى جميع اعيان البلاد مكاتيبهم واحضروا الجوابات من جميعهم وعرفوه عن احوال البلاد وعن يوسف باشا ابن سيفا وولده حسين باشا وما بدأ منهما في غيابه · ووصل كتاب من جملة المكاتيب لاحد الاعيان فلم يجب عليه بل ارسل الامير يونس يقول ان اخاه مغضوب الدولة فلا نقدر ان نجيبه · ورجع بعد ذلك ابن العيسوق ومحمد كاور وقبطان المركب في الجوابات وتوجه معهم الشيخ يزبك [1]

(١) الشيخ يزبك احد اجداد بيت عماد المشهورين في الباروك وكفر نبرخ وبريح · وخصمه الشيخ جنبلاط جد آل جنبلاط في المختارة وعين قنية وبعذران وهما من قديم الزمان في منافسة ·

ابن العفيف من اعيان الشوف لان الامير كان يحبه كثيراً وكان حكمه على بلاد صفد و بلاد المتاولة سنة وقد انصفه من خصمه الشيخ جنبلاط ووضعه في قلعة الشقيف مسجوناً . وتوجه ايضاً الشيخ خطار ابن الخازن من عجلتون من مقاطعة كسروان وتوجه جملة اناس من اهالي الشوف ومن خدم الامير نحو خمسين شخصاً . وكان سفرهم في اول شهر ربيع الاول . وارسل حسين اليازجي يشكو من السكمان الذين في القلاع انهم اخذوا العلوفة ثلاث مرات وكل مرة لكل رجل خمسة غروش في الشهر (تأمل ندور الدراهم وقيمتها فان اجرة العسكري خمسة غروش ويحسب ان ذلك كثير عليه في الشهر) . وفي جمادي الاول وصل بستاني حسن باشا من الباب العالي حاكماً على صفد وصيدا و بيروت وغزير وجميع الايالات التي كانت بيد الامير فخر الدين وجلس في صفد وكان في خدمته مصطفى كتخدا ابن معن الذي كان ارسله الى اسلامبول فجعل يفهمه عن احوال البلاد مفصلاً . واقام حاكماً من تحت يده يسمى شعبان . واقام في بيروت ابراهيم آغا التكلا . واراد ان يقيم حاكماً على غزير فلم يرتض ابن سيفا ولم يسلم المدينة له وحدثت موقعة بينهما على نهر الكلب ورجع بدون ان يستلم بلدة غزير . وكان مع الدولة طائفة من كسروان من اقارب الشيخ ابي نادر الخازن لانه قبل ذلك بايام قليلة كان توجه الشيخ ابو نادر من دير القمر الى كسروان ومعه اثنا عشر رجلاً وجاء الى كسروان متخفياً ليترصد ابن سكيكر من افقع . لانه حينما نزح الخوازنة من بلادهم اعطى يوسف باشا جميع ارزاقهم الى اولاد سكيكر فصدفه تحت عجلتون فقتله وقتل فرسه واطلق جماعته فلما بلغ يوسف باشا بن سيفا ذلك ارسل حسن آغا وجملة اناس احرقوا دور بيت الخازن في عجلتون واتلفوا املاكهم في مزرعة كفرذبيان وغيرها ولم يبق لهم شيء . وانهزم تابعوهم الى بيروت وخدموا عند ابراهيم اغا وحضروا الموقعة التي حدثت عند نهر الكلب وانكسروا هم ورجال الدولة لان عدد العدو كان كثيرا . (وفيها وفيل في سنة ١٠٢٧ ارسل الصدر الاعظم عشرة الاف عسكري الى اليمن عن طريق مصر فلما وصلوها امتنعوا عن السفر واتخذوا لهم منازل عند باب النصر واقاموا لهم متاريس وتحصنوا بها فحاصرهم الباشا بكل مالديه واجترأ علي عابدين بك على الدخول الى حصنهم وجبرهم على التسليم والسفر من المدينة . و بعد قليل عزل محمد باشا الصوفي وتولى بعده احمد باشا الدفتردار وقد تسبب عن هذه الثورة خراب جهة الجمالية والخرنفش و باب الشعرية والحسينية وما جاورها)

وفي السنة ١٠٢٣ هـ = ١٦١٤ م ارسل الامير يونس معن الى حسن باشا الف غرش تقدمة فاقطعه قطيعة الشوف وارسل له خلعة الالتزام . ثم ان حسن باشا حضر من صفد الى صيدا واقام نحو شهر ثم انتقل الى بيروت ووافق انه حينئذ رجع الشيخ يزبك بن عبد المغيف من بلاد الدوكا من عند الامير فخر الدين وحين وصوله الى الدامور لاقاه من البلاد نحو خمسين شخصاً وحين مرور حسن باشا في طريقه الى بيروت راءهم على جسر الدامور فطلب منهم حسن باشا ان يفسحوا له طريقاً للمرور فاجابوا طلبه ومر مع ارفاقه . ثم طلع الشيخ يزبك والحاج علي ابن ظافر ومن معهم الى الامير يونس لدير القمر . وكان سبب رجوعه انه لما رجع المركب المرسل من قبل الامير فخر الدين ومن معه في الجوابات الى ليكورنا واعلموا الامير ان الشيخ عمر رجع ولده الامير علياً الى بانياس . وان جميع القلع والعيال بكل خير كما فارقهم . ولكن المال الذي اعطاه الى حسين اليازجي انفق علوفات لزم انه رجع الشيخ يزبك والحاج علي وجملة اناس من خدمه والذين ذهبوا مع الشيخ يزبك وارسل معه عشرة الاف ذهب لتنفق على العلوفات وارسل الى اخيه واولاده ومحبيه تحفاً من مصنوعات الافرنج . وكان حسين اليازجي تضايق لقلة الدراهم حتى انه باع بعضاً من اثاث القلعة ومن مصوغات حريم الامير . وفيها خرج الحافظ احمد باشا من الشام الى المزة . ثم انتقل الى الديماس ثم الى جسر دير زينون . ومنها الى قب الياس واقام بها نحو عشرين يوماً . فاجتمع اليه حكام صفد وصيدا و بيروت ومحمد باشا والي غزة وفروخ بك والامير احمد ابن طربيه وحسين بك ابن الاعوج حاكم حماة وعشائرهم وحضرت امراء الغرب . وهم الامير يونس الحرفوش . والامير احمد شهاب وذهب اخوه الامير علي الى الامير علي المعنى لانه كان تزوج باميرة منهم . ثم ان الحافظ احمد ارسل الشيخ مظفر بجميع رجال الجرد والغرب والمتن الى الشوف . فالتقاه اهالي الباروك وعين زحلتا و بعض قرى اخرى مما يجاورها نحو ٤٠٠ شخص من راس الشوف ووقع بينهم القتال من اول النهار بقرب الباروك . فلما وصل الخبر الى الحافظ احمد باشا عين ثلاثة باشاوات والامير احمد الشهابي و بيت الحرفوش وارسلهم من قب الياس بعسكر الى معونة الشيخ مظفر . فوصلوا العصر وكانت تكاثرت اهالي الشوف وكسروا الشيخ مظفر ولما وصلت النجدة له رجع الشيخ مظفر وكسر اهالي الشوف الى الباروك فباتوا هناك وقاتلوا بذلك النهار قتالاً شديداً الا ان الجمع كثر عليهم . ودام القتال الى ان غربت الشمس

وعندها تكاثرت رجال العدو لقدوم النجدة كما سبق • فخرج الامير يونس من دير القمر واتى الى نجدة اهالي الشوف فكسروا الشيخ مظفرًا وعسكر الدولة كسرة عظيمة ولكن الليل فصل بينهم • ثم ان الامير يونس بات في الباروك • وعند الصباح جمع اهالي الشوف وقال لهم ان هذا الظالم لم يرتجع عنا ولا عن بلادنا وقد قدمنا له جميع المال فما كان يرضيه منا شيء ولا اطلق الوالدة • فلم يبق امامنا غير القتال • وكان الامير احمد شهاب حين انكسرت عساكر الدولة خان وانضم الى اهالي الشوف بجميع رجاله • ولما وصل عسكر الدولة مكسورًا الى قب الياس كان عزم الحافظ احمد علي الركوب بنفسه الى البلاد • ولكنه لاسباب عدل عن ذلك و بقي في قب الياس وابتدأ يكاتب بعض اهل الشوف الذين من غرض الشيخ جنبلاط الذي كان سجنه الامير فخر الدين في قلعة الشقيف فاتى اليه بعض اهالي الشوف وقابلوه فخلع عليهم وعادوا الى قراهم وابتدأوا يتملقون الاخرين حتى كثرت الخيانة في الشوف • فالتزم الامير يونس ان ينهض من الباروك وتوجه صحبة ابن شهاب ومعه نحو مائة وخمسين رجلاً من اعيان الشوف ونزلوا في بانياس واجتمعوا هناك بالامير علي وحسين اليازجي • فلما بلغ الحافظ احمد قيام الامير يونس من البلاد طلع بعسكره الى الباروك • ثم انتقل الى دير القمر واحرق قصر بيت معن • وارسل الشيخ مظفر وحسين آغا ليهاجما الامير ناصر الدين التنوخي الى قرية عبيه فحاصروه في داره واحرقوا البلد و بعد ذلك اخذوه بالامان واتوا به الى دير القمر • فطيب الحافظ احمد خاطره وكتب له امرًا مانحًا اياه مقاطعة الشوف • وكان ابن عمه الامير منذر قد اختفى ولم يعرف له قرار • ثم انه اخبر الحافظ احمد باشا بان اناسًا من حزب المعنيين مجتمعين في قرية بسري • فارسل حسن آغا حاكم صيداء ومعه محمد اليازجي والسكمان الذين خانوا الامير فخر الدين حينما كان الحافظ محاصرًا قلعة الشقيف ليهجموا عليهم بغتة فوصلوا اول النهار وصار بينهم القتال فانكسرت جماعة احمد باشا وقتل منهم نحو خمسماية قتيل واكثرهم من السكمان فقاتل ذلك اليوم اهل الشوف ودافعوا عن الحريم وقتلوا من الجملة محمدًا اليازجي • و بعد ذلك ارسل اهالي الشوف واخبروا الامير يونس عن الانتصار الذي حازوه • وكان يوسف باشا بن سيفا في الدامور مع رجاله • فارسل له الحافظ احمد باشا ان يحضر الى الدير لانه خاف ان اهالي الشوف يباغتونه ففي الحال حضر • و بعد وصوله رحل مع عسكره الى قرية عين قنية في الشوف • ثم نزل بالعسكر الى مرج بسري • ولما وصل راى اهالي الشوف

مجتمعين نحو اربعمائة رجل لانه حينما قام الامير يونس من البلاد تفرق اهالي الشوف في المتن والجرد ولم يبق غير الشجعان والذين ليس لهم عيال . وكان عسكر الدولة نيف وعشرين الفاً فوقع الحرب بينهم . وقاتل اهل الشوف قتال الابطال الى ان دخل الليل . و بعد رجوع الدولة عن القتال قام اهل الشوف ورحلوا باكراً جداً ولم يطلع الصباح لهم حتى وصلوا الى الجرمق فالتقوا في الامير يونس ومعه اربعمائة سكماني كان قد جاء الى معونتهم وبصحبته الامير علي بن شهاب ورجاله فعاد الامير يونس الى بانياس وتفرق اهالي الشوف بعيالهم في وادي التيم . فنهب عسكر الدولة تلك الاماكن ووجدوا في قلعة روم نحو مائة نفس اولادا ونساء فاخذهم العسكر ثم انتقل الحافظ احمد باشا الى قرية نيحا وطلع الى قلعة شقيف ثيرون فرآها لا ينفع فيها الحصار . وبعد ثلاثة ايام وقعت مشاجرة بين حسين باشا بن سيفا وحسين باشا البستاني حاكم صيداء . والسبب ان البعض من عسكر ابن سيفا سلبوا غنيمة من اتباع حسين باشا البستاني لانه كان بينهم بغضة من جهة حارة غزير والموقعة التي في نهر الكلب فاصلح بينهما الحافظ . وبعد ذلك قام في العسكر الى قب الياس بعد ان احرق قرى الشوف . فلما بلغ الامير يونس رجوع الدولة الى قب الياس رجع هو ايضاً الى دير القمر . ثم ان الحافظ انتقل الى جسر قبر عباس ومنه الى البقيعة . ثم الى نبع عين نجور ثم الى خان حاصبيا . ثم اتى الى مرج عيون . وعيد هناك عيد رمضان سنة ١٠٢٣ وانتقل الى حصار قلعة الشقيف . فاخبر ان السلطان احمد قتل نصوح باشا الوزير وتولى على الوزارة محمد باشا قبودان الذي كان ساري عسكر على البحر . وقد كنا ذكرنا ان الامير فخر الدين قدم له تقدمة لما مرّ عليه معزولاً من مصر . فلما عرف بذلك الحافظ احمد باشا رجع الى الشام وكل من كان معه رجع الى مكانه . وعين مع الامير احمد ابن شهاب مائتي شخص ليقيموا في دار اخيه الامير علي لانه كان مرافقاً ابن معن . وان يقطعوا الطرق عن القلع . وكان الامير علي الشهابي ساكناً في راشيا الفخار فباغتوا اخاه الامير احمد وقتل من جماعة الامير علي نحو عشرين قتيلاً . وكان اخوه الامير احمد يبغضه لعدم قبوله بتزويج ابنته بابنه . و بعد هذا رحل الامير علي بعياله وسكن في عرمتة في جبل الريحان . وبقي ساكناً هناك الى ان عزل الحافظ احمد باشا عن الشام . وفي هذه السنة كان حسين الطويل محافظاً لقلعة الشقيف فارسل اناساً من السكمان الى القرى المجاورة صيداء لينهبوها لاجل علوفتهم . فبلغ ذلك حسين اليازجي الحافظ لقلعة بانياس فارسل

ثلاثمائة رجل الى حسين الطويل لينهبوا من القرى التي تحت ادارته شيئاً لاجل العلوفة فارسل حسين الطويل ثانية مائتي شخص و باغتوا قرية عيناتا من بلاد بشاره فتكاثرت عليهم الرجال فكسروهم وقتل منهم نحو عشرين قتيلاً . (وفيها كان اختراع جداول اللوغارتمات . واستوطن الفلمنكيون في نيو يورك)

وفي السنة ١٠٢٤ هـ = ١٦١٥ م كنا ذكرنا ان الامير فخر الدين والحاج كيوان تعين لهم الراتب من الدوكا من كلما يلزمهم . ولكن لما طالت اقامتهم جعل لهم كل سنة الفي غرش فقط . فصاروا هم يشترون لوازمهم وظلوا سنتين مقيمين في ليكورنا وكانوا ساكنين في دار عظيمة لها بساتين واشجار من سائر الانواع . وكان في تلك البساتين قبة مصور عليها اثني عشر شخصاً . و بيدهم آلات تضرب على سائر النغمات ولها دواليب تدار على الماء وفيهـا كل شيء من الات الطرب . وقد انشرح خاطر الامير ونسي بلاده لحسن نظامات تلك البلاد والاكرام الزائد الذي حصل له . و بقي في فرانسا لا يأكل في الشهر مرة في بيته لكثرة الدعوات التي كانت تأتيه الى الجنائن والمتنزهات الفاخرة . وكان يدور يومياً في عدة اماكن لاجل الفرجة . فكان يرى كل يوم شيئاً جديداً . ودخل الى البنك (المصرف) ولم يكن قد رأى بنكاً في حياته ولا سمع عنه . وكان نظام البنك في تلك الايام انه كلما زاد شيء من المال بيد انسان يدفعه الى البنك و يأخذ سنداً به فيتاجر البنك بالدراهم ومهما ربحت فلصاحبها نصف الربح غير انه اذا اراد احد استجرار ماله من البنك لا يمكنه لان الذي يدخل للبنك لا يعود يخرج منه ولكن ارباحه تصل اليه والى نسله من بعده . و يسلف البنك الدراهم لكل من رغب في استلافها على شرطان يضع رهناً يزيد الثلث عن قيمة الدراهم المستلفة . ويخصص جزء من ارباح هذه الاموال للفقراء . و بالاختصار تفرج الامير على اشياء كثيرة يطول شرحها . ثم انه لما كان الامير فخر الدين في فرانسا عند الدوكا حاكم الطوسقانا (يظهر ان هذه الاماكن التي هي من مملكة ايطاليا الآن كانت تحت حكم فرنسا حينئذ) حضرت مكاتيب من حاكم مسينا الذي هو تحت حكم سلطان اسبانيا الى الدوكا يطلب الامير فخر الدين ان يحضر اليه . فاعلم الغراندوكا الامير بذلك . فاجابه الامير ان امرتمونا بالذهاب فالامر لكم . ثم ان الغراندوكا كتب الى حاكم مسينا يوصيه في الامير وجهزله مركباً فسافر الامير فخر الدين الى مسينا و بقي الحاج كيوان عند عياله . ولما وصل الامير الى مسينا ارسل حاكم مسينا رجالاً لملاقاته وانزله

في دار عظيمة · و بقي عنده مدة ثم سافر الى اسبانيا والامير صحبته · ولما وصل خرجت الوزراء لملاقاته ودخل حاكم مسينا والامير فخر الدين على السلطان فترحب بهما واكرم الامير اكراماً زائداً واخلى له داراً عظيمة وخرجت عيال الامير من المركب ودخلت الدار المعدة لهم و بقي الامير عند سلطان اسبانيا ماينوف عن السنة فاكرمه السلطان واعطاه اموالاً جزيلة وتفرج على تلك البلاد · واتفق انه كان في ذلك الوقت ثلاثة مراكب اميرية مسافرة من اسبانيا الى الشرق فدخل الامير على السلطان وطلب منه ان ياذن له في السفر الى بلاده بعد ما كان اعلمه باحواله وكيف فارق اخوه وولده وعياله تحت غضب الدولة · فاذن له السلطان بالسفر واعطاه مؤونة تكفيه للوصول الى بلاده · وامر له بعشرة الاف ذهب · فودعه وانزل عياله في المركب وسافر الى ليكورنا وخرج هناك الى الغراندوكا وسلم عليه فساله عن احواله فاخبره بكلما جرى له · ثم اخبره بما توقع اي بما انه وجد مراكب مسافرة الى الشوف فقصد الذهاب معهم فاذن له بذلك · وقال له خذ معك بعض اناس من جماعتك · و باقي جماعتك وعيالك فليبقوا هنا بكل اكرام لبينما ترجع · فبقل الامير ذلك واعطاه كلما يحتاجه من الذخيرة وودعه وسافر · و بقيت المراكب سائرة الى ان وصلت بين صور والناقورة (اي ناقورة عكا) فنزل الشيخ خطار الخازن وتوجه الى دير القمر ليعلم الامير يونس فيلاقوا الامير الى الدامور · ولما وصل الى قرب قرية دير يسيم تصادف مع انسان من ارفاق الامير يونس فعرفه وساله عن احوال البلاد فاخبره ان الامير يونس في الدير وضامن البلاد وهو بالف خير · وانه ضامن صيدا و بقية الاماكن · ثم توجه معه يعقوب هذا الى دير القمر ودخلوا على الامير يونس و بشروه بقدوم اخيه ففرح فرحاً عظيماً وصار في جميع الشوف فرح عظيم · ثم ان جميع اهالي البلاد توجهوا برفقة الامير يونس الى الدامور · وكان الامير فخر الدين اعطى الشيخ خطار ثلاثة اسهم وقال له متى حضر اخي الى الدامور ورايت المراكب اقبلت فارم الاسهم في الجو بعد ما تشعلها · ولما وصلوا الى الدامور واقبلت المراكب رمى الاسهم فتحقق الامير انهم حضروا لملتقاه فقربت المراكب الى البر ورمت المراسي وابتدأت القوارب تاتي الى البر وتاخذ الرجال ليسلموا على الامير و يرجعوا · و بقي الامير يونس عند اخيه حتى انتهوا واعلمه بكل ماتوقع في غيابه · ثم انه طلب منه ان ينزل الى البر لكي تراه الناس لان اكثر الاهالي حضروا الى ملتقاه من كسروان الى الشوف · فنزل الى البر و بقي الامير يونس والبعض

من اعيان البلاد في المراكب لان القبطان لم يرض ان يسمح للامير بالخروج بدون ان يكون عنده رهن عوضه في المراكب لكونه وعد الغراندوكا بالرجوع • وبقي الامير في البر ثلاث ساعات ونظره الجميع وسلموا عليه • ثم رجع الى المركب ورجع الامير يونس ومن معه • و بعد ذلك رفعت المراكب مراسيها من الداموور واقلعت فحملها النوء الى رأس الخنزير قرب انطاكية فرسوا هناك مدة لاخذ المال والذخيرة • ثم سافروا غربًا وعندماوصلوا بين قبرص و بلادقرمان صادفهم نوء شديد ساقهم الى جزيرة زنتوا في حكم البنادقة (زانته وسفالونيا غربي بلاد اليونان وتابعة لها الآن) ولبثوا في البحر يحملهم النوء الى ان دخلوا جزيرة مالطة • ولما علم اهلها بالامير فخر الدين ارسلوا ودعوه اليهم لان اخباره كانت معلومة في جميع بلاد الغرب • فنزل هو والقبطان والتقوا بكران مايسطروا حاكم مالطة فاكرمهم غاية الاكرام • واطلقوا له المدافع من القلعة والاسوار و بقي عنده ثلاثة ايام يتنزه و يتفقد خندق المدينة والحصون • ثم انهم صنعوا له وليمة في بستان كران مايسطروا لانه من عجائب الدنيا • و بعد ذلك ودعهم وشكر فضلهم ورجع الى المراكب فارسل له زادًا من جميع اصناف المآكل • وسافرت المراكب قاصدة ليكورنا فوصلوها ورجع الامير الى الدوكا وكانت مدة غيابه سبعة اشهر • وقد صادفوا في البحر اهوالاً عظيمة وسلم على الغراندوك فترحب وسأله عن بلاده فاخبره بكما جرى في غيبته من المظالم عليه وعلى اقربائه • فهذا ما وقع للامير فخر الدين في سفره • واما الحافظ احمد باشا في هذه السنة في ربيع الاول خرج من الشام بعسكر الى سعسع • ثم الى القنيطرة • ثم الى الملاحة قاصدًا حصار قلعة الشقيف وحضر اليه حسين باشا البستاني معزولاً من صفد فهبت عليهم ريح عاصفة قلبت المضارب جميعها • وكابدوا من جراء ذلك ضيقًا عظيماً • ثم حضر له علم في شهر ربيع الثاني انه معزول من الشام • وحضرت له الاوامر ان يتوجه الى الاناضول وحسين باشا البستاني الى القرمان • ودخل الشام متسلمًا جركس محمد باشا • وفي تلك الايام توجه الامير حمدان بن قانصوه الى الشيخ عمر الى حوران لان الشيخ عمر كان قد رجع من عند فياض الحياري ومعه ابن عمه الامير سلطان وكان شجاعًا فطرده الشيخ رشيد شيخ عرب السردية • فذهب الى البلقاء وابقى الشيخ عمر والامير سلطان في حوران • وعابت عرب الامير فياض الحياري وذهب الى ابن عمه الامير سلطان • فارسل الامير فياض للشيخ عمر ان يطرد الامير سلطان • فلما بلغ الامير سلطان ذلك رحل من عند الشيخ عمر ونزل على الشيخ

رشيد . وكان الامير فياض قد ارسل هذا الطلب للشيخ عمر . وفي الحال جرد بعربه السليمة وخرج حالاً من مدينة دمشق الشام . وكان فيها حينئذ متسلم جركس محمد باشا . وطلع من باب الله وبقي سائراً الى بلاد حوران . ولما قرب من منزل الشيخ رشيد والامير سلطان اطلق الغارة عليهم وبقي الامير فياض بالمعقودية فكسبت الغارة كثيراً من مواشي العرب . وبعد كسبهم هذا ردت عليهم العرب السردية وكسروهم وخلصوا منهم بعض الماشية التي غنموها . ورحلت السردية بمواشيها الى اطراف اللجاه من جهة حوران . ونصب الامير فياض خيامه ونزل . وكان فروخ بك في ذلك الوقت متولياً على سنجق عجلون وكوجك كنعان بلوك باشي سرداراً في بلاد حوران . فتوجه الامير سلطان ووقع عليهم . فاجابه كنعان ووافاه الى منزل الامير فياض وكانت النصرة عن يده . وبعد ذلك توجه الامير فياض وعربه الى بلادهم كاسبين غانمين . واخذ معه الامير سلطان وكذلك الشيخ عمر وعربه توجهوا صحبتهم . لانه لم يمكنه الاقامة في مشيخة حوران فتوجه باهله مع الامير فياض . وكذلك الامير حمدان بن قانصوه كان قد فارق الحافظ احمد باشا وجاء الى الشيخ عمر وتوجه معه الى بلاد الحيار . فلما وصل الامير فياض الى العزيز بين اخذ جميع ماشية الامير سلطان وطرده . فذهب الى الشيخ ناصر المهنا شيخ بلاد العراق . ولم يستقر هناك ولكنه ابتداء يهاجم ويباغت عرب بلاد فياض ويسلب عابري الطرق حتى قيل انه في تلك المدة اخذ قافلة من قوافل حلب بقرب قارة . وكان معها نقود وبضائع تساوي خمسين الف غرش . ولما اتعب الامير سلطان خاطر الامير فياض دعا الامراء اليه وهم الامير نجم والامير فاضل مع اخوته والامير عبد الله واولاد عمهم والامير احمد ابن الحياري وابن الامير حسن ابن مراد . وعمل لهم وليمة في سلمية . فلما استقرت الاربعة امراء المذكورون عند الامير ناصر مسكهم وسجنهم في قلعة سلمية ثم قتلهم . وبعد مدة فارق الامير سلطان ناصر مهنا وجاء ونزل في اللجاة وباغت عرب سعيدة وقتل شيخهم فتكاثروا عليه وقتلوا فرسه من تحته وحكموا عليه وعلى ابن عمه علي بن عرار وقتلوهما جميعاً عوضاً عن شيخ قبيلتهما . وجاوا براسيهما الى دمشق في شهر رجب السنة المذكورة . وفي غرة جمادي الثاني دخل جركس محمد باشا بيكلربيكي الى الشام وفي الحال اطلق والدة الامير فخر الدين وارسلها الى ولدها الامير يونس وكتب مكاتيب الى الامير فخر الدين طالباً منه ان يرجع الى بلاده وتوجه بها الشيخ شهاب الدين بن عون والشيخ يوسف بن السلماني . وتوجها في مركب

فرنساوي الى مدينة ليكورنا من بلاد اغران · وكنا ذكرنا ان الامير فخر الدين رجع بالمراكب وحدث له نوء شديد وابعد في البحر الى ان دخل الى مالطة · ولما توجه الشيخ شهاب الدين والشيخ يوسف باوامر محمد باشا ووصلوا الى ليكورنا لم يجدوا الامير ولكنهم قابلوا الحاج كيوان فعاد معهم بعياله · ولم يحصل لهم اجتماع بالامير · وكانوا يظنون انه سبقهم الى البلاد · ولما وصلوا الى ميناء صيداء وكان جركس محمد باشا بعد ارساله الاوامر الى الامير فخر الدين ارسل ايضاً عبد الرحمن آغا من الشام ليتكلم مع حسين اليازجي لكي يمكنه من الدخول الى قلعة بانياس فرد الجواب انه لايمكنه تسليمها بالكلية ولكن لاجل حرمة السلطان يوجه الباشا متسلماً الى بانياس بثمانين شخص والى قلعة الشقيف اضا باشي بعشرين شخصاً و يكون لحضرة مولانا السلطان تقدمة عوضاً عن ذلك مائة الف غرش · والى محمد باشا الوزير الاعظم ٢٥ الف غرش والى جركس محمد باشا عشرون الف غرش بشرط ان يكون للامير يونس معن سنجقية بلاد صفد والى ابن اخيه الامير علي سنجقية صيدا وتوابعها كما كانت سابقاً · فلما عرض عبد الرحمن آغا على جركس محمد باشا ذلك الجواب بالحال قدم جركس باشا هذا الشرط نفسه الى محمد باشا الوزير الاعظم الذي كان حينئذٍ في حلب · وفي هذه السنة توجه الامير محمد ابن يوسف باشا ابن سيفا الى محمد باشا الوزير فاعطاه سنجقية جبلة لان خاطره كان منحرفاً على يوسف باشا وعزله عن ولاية طرابلس واعطاها الى جلالي حسين باشا · وفي هذه السنة اعطى جركس محمد باشا مقاطعة البقاع الى الامير شلهوم الحرفوش واخذ على ذلك اثني عشر الف غرش خدمة له ووجه معه عسكراً نحو خمساية خيال · وكان الامير احمد ابن شهاب من حزب الامير شلهوم فحاصر الامير حسين الامير يونس في قب الياس ولم يسلمها وحضر الى معونة الامير شلهوم الشيخ مظفر شيخ اليمنية ومقدمي كفر سلوان وحسن آغا مملوك حسين باشا ابن سيفا · لان الامير شلهوم له قرابة ببيت سيفا · واجتمع العسكر في قرية مكسة وحضر الامير يونس الحرفوش الى الكرك وجرت مكاتبات فيما بينهما وطلع الامير حسين من قب الياس وتوجه الى والده · واستلم الامير شلهوم قلعة قب الياس · ثم ان جركس محمد باشا ارسل صو باشي (وكيلاً) الى مدينة بعلبك فتوجه الامير يونس الى حلب واصحب معه اربعين الف ذهباً خدمة للوزير وارباب الدولة · فقرر عليه البقاع و بلاد بعلبك ورجع وصحبته الاوامر الى جركس محمد باشا برفع الامير شلهوم عن البقاع فتوجه الامير شلهوم الى

الشام . ثم رجع الى المرمل بلاد ابن سيفا وتسلم الامير يونس البقاع واقام في قلعة قب الياس ولده الامير احمد . وفي بعلبك ولده الامير حسين . ولما كان الامير يونس في حلب تكلم معهُ الوزير بخصوص تسليم قلاع ابن معن وانهُ يتوسط بذلك . وبعد رجوعه ارسل الى حسين اليازجي مكاتيب يفهمهُ عن ذلك . واشار عليه ان يعمل صالحه في زمان الوزير الموصى اليه . لانهُ كان لهُ ميل زائد الى بيت معن . وبعد ذلك بمدة يسيرة وصل يوسف آغا من قبل الوزير الاعظم الى دير القمر الى الامير يونس ابن معن وبيده اوامر تدل على الرضا والانشراح منه . وحضر حسين اليازجي والفوا جمعية فقرَّ رأيهم على ان يتوجه الامير ناصر الدين التنوخي ومصطفى كتخدا صحبة يوسف آغا الى حلب لمقابلة الوزير . وعاد حسين اليازجي ويوسف آغا الى بانياس . ومرَّ يوسف آغا على الشام لانه كان معهُ اوامر الى جركس محمد باشا . ثم التقى بالامير ناصر الدين ومصطفى كتخدا في بعلبك . وتوجهوا من هناك معاً الى حلب فخلع الوزير عليهما واكرمهما . ثم اعطاهما اوامر بحكم صفد للامير علي ابن معن . ورجع يوسف آغا ومحمد آغا بخمسين رجلاً ليكونوا في القلع كما صار الاتفاق . وفي اخر ذي القعدة وصلوا الى مدينة صيدا في الساعة المذكورة وصارت جملة مكاتبات ومراجعات حتى امكن اخراج حاكم صيدا القائم من قبل جركس محمد باشا . ثم تسلم الامير يونس ابن معن صيدا ومعه مائتا رجل من الشوف

وفي السنة ١٠٢٥ هـ = ١٦١٦ م في شهر محرم الحرام حضر الامير علي ابن الامير فخر الدين معن من قلعة بانياس الى صيداء . وحضر الامير يونس الحرفوش والامير ابن الشهاب وكان الامير علي الشهابي مؤملاً ان يخرج ولده الامير محمد مع الامير علي من القلعة . وفي ذلك الوقت صار اتفاق وكتبوا كتاب الامير علي ابن معن على كريمة الامير علي ابن الشهاب . وارسلوا يطلبون الامير محمد من القلعة . فلم تمكنه طائفة السكمانية من ذلك فامتنع الامير علي الشهابي من تزويج ابنته مالم يحضر ولده . فالزم الامير علي المعني بدفع خمسة الاف غرش الى السكمان ترضية وان يوفيه اياها الامير علي الشهابي وكفل ذلك الامير يونس الحرفوش . فلما قبض السكمان الخمسة الالاف غرش توجه الامير علي وابنه الامير محمد الى حاصبيا . وهيأوا جهاز ابنته واخته فتوجه جماعة بيت معن واحضروها الى مدينة صيداء . ثم ان حسين اليازجي سلم القلع الى يوسف اغا . ولكن يوسف آغا لم يرض الا باخراج طائفة السكمانية منها . وانه لا يبقى

فيها الا حريم الامير فخر الدين و بعض خدم ووقع الاختلاف على ذلك . ثم توجه يوسف اغا الى الشام . ومنها سار الى حلب . وعرض الى الوزير ان بيت معن لا يريدون ان يسلموا القلع . وما قصدهم الا الخداع . واما الامير علي والامير يونس وحسين اليازجي فبقوا في صيدا وجعلوا يرسلون الميرة الى القلاع . ولكن حسين اليازجي حسن عنده ان يتوجه الى حلب و يراجع الوزير بما صار عليه الشرط والاتفاق ولما وصل الى قرية جون لحقه الامير يونس وطلب منه ان يسلمه شقيف نيحا. فلم يرض بذلك . ولما رأى من الامير يونس التشديد في الكلام كتب ورقة الى مصلي آغا ان يسلمه القلعة فلم يرض مصلي اغا بذلك . ورجع الامير يونس وحسين اليازجي الى صيداء . واشاع حسين اليازجي انه عدل عن التوجه الى حلب . وفي الليل توجه هو ومصطفى كتخدا من غير ان يعلما احداً . ومرا على بعلبك فتوجه معهما الامير يونس الحرفوش . ولما دخلوا على الوزير خلع عليهما واشترط عليهما ان يهدما القلعتين والمال الذي تعهدا به يبقى على حاله . وان يكون حكم صيدا وصفد للامير علي ابن معن . فقبلوا ذلك واعطاهم الوزير اوامر بما ذكر . وما كان يصدق ان هذا الامر يتم معه على هذه الصورة . واوعد ابن الحرفوش بسنجقية حمص وفي ذلك الوقت كان موجوداً عنده الامير حمدان ابن قانصوه فاعطاه سنجقية عجلون وعزل عنها مصطفى بك ورجع الجميع من حلب . ولما وصل الامير حمدان الى عجلون رجّع الشيخ عمر اهله واهل الامير حمدان لانهم كانوا مطرودين في القفر من وقت الحافظ احمد باشا . ووجد ايضاً اخاه الامير يوسف قد صالح مصطفى بك فالقى عليه القبض وقتله . ولما اخبروا الامير بشير ان اخاه الامير حمدان قتل الامير يوسف رحل بعياله ونزل على الشيخ رشيد شيخ عرب السردية في بلاد البلقاء . وارسلوا تفقدوا الامير حمدان فما وجدوا احداً عنده فباغتوه ليلاً ولم يستيقظ من نومه الا والخيل كانت احاطت بالخيمة من كل جهة . ولكن لم يتجاسر احد ان ينزل عن فرسه بل قطعوا اطناب الخيمة واسقطوها على الامير حمدان وضربوه اكثر من مائة رمح . ولما سمع السكان الصياح ووجدوا الامير بشير والشيخ رشيد فهاجموهم وطردوهم عن الخيمة . ولما كشفوها وجدوا ان الامير حمدان مجروح و بقي عشرة ايام ومات . فتولى على سنجقية البلاد ولده بمساعدة الشيخ عمر وعربه . ثم نرجع الى حسين اليازجي والامير يونس الحرفوش . فانهما لما رجعا من عند الوزير كان وجه معهما قبجي باشي يسمى

ابا كيراغا · فلبسوا الامير يونس الخلع التي جاءت معهم الأ انه لم يسر الامير علي ولا الامير يونس بهدم القلع ولكن كان نفذ الامر والوقت لم يكن مساعدهم · وكان الامير علي يعتمد كثيراً على راي حسين اليازجي ووالده الامير فخر الدين كان اوصاه فيه · ثم انه توجه حسين اليازجي ومصطفى كتخدا و باكير بك والامير يونس الحرفوش الى القلع فاخرجوا جميع الحريم منها · ولم يتركوا في القلعة احداً · وجيء بهم الى صيدا · واما بقية محتويات القلعة فالتي لم تبع معهم نقلوها الى قلعة نيحا · واما حواصل الغلال فبقي منها بعد كل النفقات هذه المدة نحو ٥٠٠ غرارة فباعوها · ثم استحضروا بنائين وهدموا القلع واستمروا في هذا العمل نحو ٤٠ يوماً · وكان ابتداء ذلك في ٢١ ربيع الاول · ولما فرغوا من الهدم عين حسين اليازجي اضا باشى ذا الفقار وارسله الى صفد بعد خروج مؤمن باشا واعطى باكير اغا ثلاثة الاف غرش هدية · و بعد ذلك توجهوا ليردوا جواباً على الوزير بان القلع هدمت · وكان متوجهاً الى بلاد العجم فلحقوه في منزلة ازرنكان واخبروه بذلك فخلع عليهم واعطى الامير يونس الحرفوش سنجقية حمص · وترك لحسين اليازجي نصف المال الذي كان قد دفعه وجملها خمسة وعشرين الف غرش لان حسين مادفع المال الا على شرط ان تبقى القلع · ثم عادوا من عند الوزير واعطاهم اوامر مقررة مبينة ذلك · وخلع على بيت معن وارسل اوامر الى ابن سيفا برفع يده عن كسروان و بيروت و بعدم مساعدة الشيخ مظفر وابن الامير محمد بن جمال الدين وبيت الصواف المقدمين · وامر الى حسين باشا الجلالي والي طرابلس بذلك · وايضاً اوامر الى جركس محمد باشا · ولكن ابن سيفا لم يقبل ذلك · و بقي يقوي الشيخ مظفر واليمنية · فلما لم يقبل ارسل الامير علي الى عمه الامير يونس ان يجمع رجال الشوف الى نهر صيدا · وكتب الى الامير علي الشهابي ان يحضر برجال وادي التيم واجتمع الجميع في نهر الدامور وكان ابن سيفا جمع الامير شلهوماً والامير ارسلان والامير موسى من راس نحاش الى بيروت لاجل مساعدة الشيخ مظفر · فارسل الامير علي شرذمة من عسكره فحرقوا حارة الناعمة · وكان فيها بلوك باشية من جماعة ابن سيفا وحاصروها طول النهار ولما غابت الشمس رجعوا وتركوهم · فارسلوا اعلموا الشيخ مظفر فحضر الى الناعمة وحضر ايضاً العسكر الذي كان في بيروت · وعملوا متاريس عند عين الناعمة وكانوا الفين شخص فاخبر الامير علي ان عسكر اليمنية اجتمع في الناعمة فركب صباح الاثنين ثاني شعبان في هذه السنة مع السكمان المشاة والامير يونس في اهل الشوف

على جانب الجبل • والامير علي الشهابي و رجاله ورجال بلاد بشارة ورجال صيدا بجانب البحر • والتقى الجمعان على عين الناعمة ودارت رحى الحرب فانكسرت اليمنية وقتلت فرس الشيخ مظفر فولوا منهزمين وتبعتهم عساكر ابن معن الى قرطية قرب الشويفات • وقتلوا منهم نيف ومايتين قتيل ولم يقتل من عسكر ابن معن غير ثلاثة اشخاص • وكان عسكر ابن معن نحو ثلاثة آلاف شخص • ثم رجعوا عنهم الى الدامور • وكان قد صار في ذلك النهار اربعة مواقع في اربعة اماكن • حرب في قرية اعبيه وحرب في قرية اغميد وحرب في عين دارة بين المشارعة و بين المطاوعة والحرب الكبير هو الذي حدث في عين الناعمة • وفي جميع هذه المواقع كانت النصرة للقيسية حزب بيت معن • وفي ثاني يوم رحل بيت معن والامير علي شهاب في العسكر من الدامور ونزلوا على نهر بيروت فخرج اهل بيروت وقابلوا الامير فطيب خاطرهم واعطاهم الامان وجعل عليهم خدمة (جزية) الف غرش • وحول عليهم السكمانية في علوفتهم لكل شخص خمسة غروش • وارسل رجال الشوف الى الجرد والغرب والمتن فنهبوها واخذوا ارزاقها واحرقوها عوضاً عن نهب الشوف التي أُحرقت لما كان الحافظ احمد باشا والشيخ مظفر شيخ اليمنية ورجاله معه وهم الذين نهبوا وحرقوا الشوف • وارسل الامير علي وهدم قصر الشويفات المختص بالامير محمد ابن جمال الدين • وهدموا حارة عرامون لانها كانت امنع البنايات وكانت لبيت علم الدين • وهدم حارة بيت الصواف في قرية الاسبانية بقرب الشويفات وكان الامير حسين ابن يوسف ابن سيفا في قرية غزير • فلما وصلت له اخبار الكسرة في عين الناعمة انهزم في عيال اخيه حسين باشا وتوجه نحو عكار • فعلم به حسين باشا والي طرابلس فارسل رجالاً ومسكوا عليه الطريق • ولما وصل خرجوا اليه فانهزم في جماعته فاخذت الدولة حريمه وكل ماكان معه • ولما وصل الى بلاد عكار ارسل اباه يوسف باشا عار بتقدمة الى حسين باشا الجلالي واستخلص الحريم لاغير • و بعد انهزام الامير حسن من غزير ارسل الامير علي مملوكه ذا الفقار والشيخ ابا نادر الخازن واخاه الشيخ يونس الى غزير وحكموا كسروان و بعد يومين رجع الامير علي الى صيدا • (وفيها ورد امر لوالي مصر من الاستانة ان يرسل الفاً من جنود مصر لتنضم الى الجيش العثماني الذاهب لمحاربة الفرس فارسلهم تحت قيادة صالح بك امير الحج • وفيها انشأ البرديني شارع البرديني بشارع الداودية النافذ الى شارع محمد علي بالقاهرة • واكتشف يعقوب لمير بحر بافين وراس هورن

وانعقدت معاهدة تجارية بين الباب العالي و بين حكومة اوستريا تقضي بالتصريح لرعايا الاخيرة بالتجارة داخل الممالك العثمانية)

وفي السنة ١٠٢٦هـ = ١٦١٧م بعد رجوع الامير علي بن معن الى صيداء ولّى على حكم بلاد الشوف و بلاد بشارة الامير يونس . واعطى حكم مدينة بيروت الى الامير منذر التنوخي . واعطى حكم الغرب والشحار والجرد الى الامير ناصر الدين التنوخي . واعطى حكم بلاد المتن الى مقدمي كفرسلوان بيت ابي اللمع . واعطى حكم بلاد مرج عيون و الحولة الى الامير علي بن شهاب نبع حكم وادي التيم . واعطى حكم بلاد صفد و بلاد الشقيف الى حسين اليازجي واعطى حكم مدينة صيداء وتوابعها الى الشيخ حسين الطويل. لانه تولّى استلامها من حين نزل من قلعة الشقيف . وقد تفرق كل واحد منهم الى مكانه . ولكن لم يرتض احد بما اعطي لانه لا يرضي العباد الاّ الله تعالى . ثم ان الامير يونس ولّى من تحت يده الشيخ ابا نادر الخازن على بلاد كسروان . وفي تلك الايام في آخر شهر محرم وصل احمد آغا التوتنجي مندوباً من قبل الصدر الاعظم محمد باشا في طلب المال الاميري وقدره خمسة وعشرون الفاً . والمال الذي تعهد به هبة مائة الف غرش . وبقي في صيداء اربعة اشهر ولم يحصل على شيء لان حسين اليازجي كان ضابطاً بلاد صفد . ويحتج انه استدان مائة الف غرش لكي يفي عنه مال الحج الشريف والامير يونس كان يحتج بخراب البلاد . فلما شاهد ذلك الامير علي ورأى تهاون عمه في دفع الجزية سلخ بلاد بشارة عن حكم الشوف وسلمها الى حسين اليازجي لتتبع بلاد صفد . ووضع عليه المال المقرر عليها للدولة واعطاه ايضاً بلاد الحولة . وارسل حسين الطويل الى حارة غزير ليضبط بلاد كسروان . ولم يبق في يد الامير يونس ابن معن غير بلاد الشوف واستمر الامر على ذلك . وفي هذه السنة اخبر الامير علي ان الامير سليمان محاصر في برج تولا . وكان السبب في ذلك ان اولاد حمادي واولاد الشاعر خدموا عند الامير سليمان لما حكم البلاد وجعلوا يحسنون له ان يصرف الرجال الذين عنده من قبل ابن معن وانهم هم يكفون لخدمته . فاعطى اجازة لكل من كان عنده في الانصراف من اولاد الخازن ومن اهالي كسروان . ثم ان اولاد حمادي واولاد الشاعر ارسلوا الى يوسف باشا ابن سيفا فباغت الامير سليمان وحاصروه في برج تولا . وعند ذلك ارسل واعلم الامير علياً ابن معن . وفي الحال ارسل مصطفى كتخدا الرجال الذين كانوا عنده في صيداء . ورجال الغرب والجرد مع الامير ناصر الدين

التنوخي وارسل الى المقدمين بيت ابي اللمع ان يتوجهوا في رجال المتن. وعرَّف حسين الطويل ان يتوجه في رجال كسروان . وعرَّف حسين اليازجي ان يحضر الى صيدا برجال بلاد صفد و بلاد بشارة حتى اذا احتاج الامر فيتوجه بنفسه. وفي وصول حسين اليازجي الى صيداء حضر خبر ان الامير سليمان سلم لعدم وجود الذخيرة والميرة في البرج فاخذوه الى عمه يوسف باشا الى عكار مخفوراً مع حشمه. وكان الامير علي اعطاء حكم بلاد جبيل والبترون نكاية في عمه يوسف باشا لانه خاله . ولما وصل عسكر ابن معن الى نهر ابرهيم و بلغهم تسليم الامير سليمان ارسلوا حالاً واعلموا الامير علياً فامرهم ان ينهبوا قرى بيت حمادي و بيت الشاعر و يحرقوها. ففعلوا كما امرهم الامير ورجع كل منهم الى موضعه. وكان ذلك في شهر ربيع الاول في السنة المذكورة. وفي هذه السنة في شهر ربيع الثاني ورد الخبر ان حسين باشا ابن سيفا قتل. والسبب انه كان مسافراً مع الوزير محمد باشا في بلاد روان ولما رجع الوزير من السفر طلب حسين باشا اجازة بالرجوع الى بلاده فارسل الوزير اناساً سبقوه الى فراقاش وامر باشا حلب ان يقبضوا عليه فما رضي الوزير ان يمسكه لانه كان معه في السفر . ولما وصل قبضوا عليه وقتلوه وكان ذلك جزاء افعاله لانه كان متكبراً جباراً فاسداً قبيح الاخلاق فانه دخل مرة على الحريم في طرابلس في الحمام وسط النهار. ولما قتلوه ارسلوا راسه الى السلطان احمد. واما جسده فاحضره تابعوه الى عكار الى والده يوسف باشا. وفيها في شهر جمادى الاول وردت الاخبار ان السلطان احمد عزل محمد باشا الوزير لانه لم ينجح في حصاره روان . وبعد شهرين جرد عليها ولم يفتحها وقتل في الحصار اغا الانكشارية . ولم يكن السلطان راغباً في حصار روان بل كان مراده ان يتقدم الوزير الى بلاد الشاه . ولما بلغ الوزير ان السلطان غضب عليه ترك العسكر وحضر الى اسلامبول متخفياً الى ان رضي السلطان عليه ولكنه بقي كل حياته بلا وظيفة. وقد تولى الوزارة خليل باشا قبطان . فحضر في عساكر المسلمين وسار الى ديار بكر . ثم ارسل قبجي باشي رستم اغا مطالباً للامير علي بن معن بمال الجزية لسنتين . فاقام رستم اغا عند الامير نحو شهرين فاداه الامير عشرين الف غرش من المال والفين غرش تقدمة لباقي باشا الدفتردار. وكتاباً يتشكى به ان البلاد قد نهبها الحافظ محمد باشا الوزير. وحصل بعدها القحط والغلاء . والان لاطاقة للرعية على تأدية المال . وارسل صور الوصولات التي بيده بمبلغ الايراد لخزينة الشام . وانه قد اوصل مال الحج تماماً وادى الى رستم اغا هدية

اربعة الاف غرش والف غرش الى تابعيه وكانوا مائة شخص . وتوجه رستم آغا بالمال الى حلب الى خليل باشا الوزير وصحبه عثمان بلوكباشي الحاج كيوان . وفي هذه السنة ارسل جركس محمد باشا الى حسين اليازجي يأمره بالركوب لمحاربة الامير علي الشهابي . فحضر الى الشام ووجه محمد باشا وحسن آغا وكجك كنعان مع حسين اليازجي والامير احمد شهاب اخي الامير علي . ولما وصلوا الى نهر حاصبيا هرب الامير علي الى مجدل بلهيص في اطراف البقاع وارسل عياله الى راشيا . وصعد العسكر الى حاصبيا وهدموا بعض اماكن من داره وبعض بيوت تابعيه . ثم رجع العسكر الى الشام وبقي حسين اليازجي والامير احمد في حاصبيا . وضبط حسين اليازجي مرج عيون وجعلها تابعة للحولة واقام من قبله الشوباصي (الوكيل) خير الله العبد . وارسل الامير علي هدية الى جركس محمد باشا فصفا خاطره عليه . ورجع الى حاصبيا بعياله ثم زوّج ابنته الى ابن عم الامير سلمان . وفيها وقع الاختلاف بين حسن اغا والانكشارية في الشام . فحاصروه في داره وحرقوها فانهزم من باب السر وجاء الى القنطرية . فلم يقدر محمد باشا ان يردهم عنه . وكنا ذكرنا عن توجه رستم آغا وعثمان بلوكباشي بالمال الذي ارسله الامير علي ابن معن الى الوزير الاعظم فما قبل ذلك الا بشرط ان يوردوا المال جميعه . ورجع البلوكباشي بهذا الجواب . وفيها تواردت الاخبار انه في ١٢ ذي الحجة وقيل في ٢٣ ذي القعدة توفي السلطان احمد ابن السلطان محمد وعمره ٢٨ سنة ومدة حكمه ١٤ سنة

الفصل التاسع

في سلطنة السلطان مصطفى اخي السلطان احمد وهو الخامس عشر من آل عثمان

وبعد وفاة السلطان احمد تولى على السلطنة مكانه اخوه السلطان مصطفى . ولم يتفق قط في خلافة آل عثمان ان يتولى على السلطنة اخوان واحدهما يخلف الاخر . ولما تولى السلطان مصطفى ارجع الوزارة الى خليل باشا وامره ان يتوجه بالعساكر الى بلاد الفرس واستبدل احمد باشا والي مصر بمصطفى باشا الفقلي وكانت مدة حكم احمد باشا سنتين وعشرة اشهر و١٢ يوماً

وفي السنة ١٠٢٧ هـ = ١٦١٧ م في شهر محرم ارسل رستم اغا بطلب المال من

ابن معن بسرعة · واعطى اوامر السنجقية صفد الى حسين اليازجي وقيل له انه اذا لم يرسل لك ابن معن المال فاظهر هذه الاوامر لحسين اليازجي · وكان حسين المذكور قد ارسل عرضحالات الى جركس محمد باشا والى ابرهيم باشا يطلب هذه السنجقية وتعهد بتقدمة وافرة · ولما وصل رستم آغا بقي عند الامير علي نحو شهر فجمع له نحو عشرين الف غرش · وطلب من حسين اليازجي نظيرها فاجابه معتذراً انه ليس معه من مال صفد شيء · ولكنه يطلب من الامير ان يوجه رستم اغا الى الشام ليستدين له المبلغ و يسلمه اياه · فصدق الامير علي كلامه وسلم رستم اغا العشرين الف غرش · ولم يعلم ما في باطنه وادى ايضاً رستم اغا نفقة الف غرش واصحبه بمكاتيب الى الوزير والى الدفتردار · فالتقى بها في مدينة الشام

الفصل العاشر

في سلطنة السلطان عثمان الثاني وهو السادس عشر من ملوك آل عثمان

وفي هذه السنة في ٤ صفر خلع السلطان مصطفى خان وكانت مدة ملكه ثلاثة اشهر وثمانية ايام · وتولى مكانه السلطان ابو النصر عثمان خان الثاني ابن السلطان احمد الاول · وكان ذلك بتدبير الوزير محمد باشا لانه كان متزوجاً شقيقة السلطان عثمان · وقد عزل السلطان عثمان جركس محمد باشا عن ولاية دمشق وولى عليها محمد باشا الشهير المكنى بالجوقدار · ثم نرجع الى اعمال حسين اليازجي فانه استدان بمساعدة الحاج كيوان وكرد حمزة لانهما من حزبه اثنين واربعين الف غرش بالربا · واخذها من اعيان البلوكباشية · وعندها عقدوا الديوان بحضور رستم آغا والبسوا حسين اليازجي الخلعة واعطوه احكام السنجقية · فتسلم رستم آغا اثني عشر الف غرش وخمسمائة عن نصف مال الارسالية · وجعل العشرين الف غرش التي اداها الامير علي تقدمة نفقة لوالي الشام · ودفع حسين المذكور عشرة الاف اخرى منه تقدمة للوالي المذكور · وللدفتردار للكتاب خمسة آلاف غرش والى رستم اغا خمسة الاف غرش · والعشرة الاف الباقية من المبلغ اشترى بها الة السنجقية من طبول وزمور · واسرف في اعطاء المال للناس بغير قياس · وتوجه رستم آغا الى استاذه · واقام حسين اليازجي في دمشق نحو ثمانية ايام حتى تدارك مصالحه جميعها · وكتب الى جميع اهالي بلاد صفد

يعلمهم بتقرير سنجقية صفد لعهدته . فالبعض من مشايخها لم يوافقوا على ذلك والبعض وافقوا مثل بيت منكر و بيت شكر و بيت علي الصغير . فلما بلغ الامير علي هذا الخبر عين مصطفى كتخدا وطويل حسين بلوكباشي ومعهم اربع اعلام سكمانية . وجمع رجال بلاد صيداء وخادمي املاكه وتابعيه . و بعض اناس من مشايخ الشوف . وكان عدد الجميع نحو خمسمائة شخص وامرهم بالدخول الى صفد حتي يجمع بقية رجال الشوف والغرب والجرد والمتن فيتوجه هو بنفسه معهم . وارسل الى عمه الامير يونس في دير القمر فجاء الى صيداء بنحو اربعمائة رجل . ولولا اشتغال الناس بتربية دود الحرير لاتى معه خلق كثير . وايضاً ما كانت الناس تعتقد في حسين اليازجي انه يفعل ذلك للصداقة التي كانت بينه و بين بيت معن ونصحه لهم في جميع الامور فجلب لهم المنافع ورفع عنهم المهالك . فامر عمه المذكور ان يتوجه برجاله الى صور . وامر مصطفى كتخدا وطويل حسين البلوكباشي ومن معه بالتوجه الى صفد . وان لا يمكنوا من الدخول اليها احداً . وكان توجههم في غرة جمادي الاول في السنة المذكورة فباتوا تلك الليلة على بركة قرية تبنين . ثم قاموا منها الى قرية سعد بن ابي وقاص . فوجدوا ان حسين اليازجي قد سبقهم الى صفد بليلة . وكان معه رجل من خصيان والي الشام يدعى مزباد حسن بلوكباشي ومعه مقدار مائة انكشاري . وكان في صفد عند حسين اليازجي محمد بلوكباشي ببرق دار . فلم يرض ان يبقى عنده وتوجه بطائفته الى الاقاص وباتوا تلك الليلة هناك ينتظرون كيف يكون الامر . وثاني يوم ارسل حسين اليازجي قاسماً بن شبل الى اعيان الشام والى مصطفى كتخدا وطويل حسين يقول لهم انا لم اخذ السنجقية الا غصباً عني فاجابوه انك ضبطت سنجق استاذك ومولاك بدون ان تحسب حساباً . وكان قد طلع اناس الى تنيت الهواء اخذوا من بقرها وماعزها فاخبروا حسين اليازجي فركب من صفد . ومعه مايتا شخص ولما وصل الى تنيت الهواء فرق خيله وعين عليهم العبد خير الله وارسلها الى طريق السكة ومشي هو مع المشاة في العرقوب على طريق العموقية . فلما نظر جماعة الامير علي الخيل انها قد وصلت اخذ مصطفى كتخدا المشاة ولاقى حسين اليازجي . وطويل حسين ركب مع الخيل ولاقى العبد خير الله . ولما صار الحرب كسروهم الى جسر بنات يعقوب . وانهزم حسين اليازجي . وصادف مكاناً وعراً وما عادت مشت فرسه فتركها واختفى في مكان مملوء بالاشجار . فصادفه جماعة الشيخ هاشم ابن برقا من كفر حوينة فقتلوه وقطعوا راسه واخذوه الى صيداء . فرماه الله بما يستحق

لانه خان مولاه بعد مارقاه الى تلك الدرجة . ثم بعد ذلك طلع مصطفى كتخداء وطويل حسين بن معهم الى مدينة صفد . وكان دخولهم بعد غروب الشمس فتفرق عسكرهم في المدينة . وابتدأ في النهب فدار مصطفى وحسين الطويل ومنعا الناس عن ذلك . وارجعا كلما كانوا نهبوه . وعند الصباح نادوا بالامان . وبعد ذلك امر الامير ان يبقى مصطفى كتخدا في صفد . ورجع حسين الطويل الى صيداء متصرفًا في جميع بلادها . ورجَّع بلاد بشارة ليد عمه الامير يونس . ومرج عيون والحولة ليد الامير علي الشهابي . وعرض الامير علي المعني لمحمد باشا طالبًا سنجقية صفد ان تكون له كما كانت فاجابه ان ذلك لا يتم ما لم تتعهد بالار بعين الفًا التي استدانها حسين اليازجي من اهالي الشام . لانك قتلته وضبطت امواله . فالتزم الامير علي ان يقبل ذلك وكفل المبلغ الامير يونس الحرفوش . واداه عشرين الف غرش ووعد بتأدية الباقي في نهاية رمضان . وعند ما اتى الاجل المعين وجه الامير علي المبلغ المذكور ليد ابن الحرفوش وارسل يشكره علي كفالته . ثم ان محمد باشا ارسل فاخبر بكل ما حدث للوزير الاعظم خليل باشا . ولما وصلته الاخبار وجه الوزراه وامر ابن معن بان يكون حاكمًا على الايالات التي كانت بيد والده . وحضر احمد اغا قبجي بالخلع الفاخرة . وفي وصوله الى صيداء التقاه الامير علي بكل اكرام . وحضر جميع اهالي البلاد وقرئت الاوامر الرسمية بتقرير وتثبيت الامير علي على حكم صيداء وصفد وبيروت وغزير فجمع الامير علي الاموال الاميرية وارسلها الى الشام حسب المعتاد . وفي هذه السنة عقد الامير علي المعني عقد ابنته فاخرة على الامير احمد ابن الامير يونس الحرفوش فجاء وسكن في قرية مشغرة واسس بها اساس بناء عظيم ليسكن هناك وابتداء يكاتب بني متوال (المتاولة) فحضر اليه اولاد داغر واولاد علي الصغير وبيت منكر . فلما بلغ الامير علي المعني ذلك ارسل الى والده الامير يونس الحرفوش ان يمنع ولده عن السكنى في قرية مشغرة . فارسل له جوابًا ان ولدي مراده القرب منكم وان يكون هو وزوجته بقربكم وتحت انظاركم فما قبل الامير علي بذلك والزمه ان يرجع الى بعلبك . وفي ذلك الوقت ارسل الامير منذر التنوخي ابن اخيه الامير ناصر الدين ومقدمي بيت ابي اللمع وبعض مقدمي ومشايخ البلاد الى الامير علي المعني لكي يتكلموا معه برفع جماعته من حارة الناعمة لانها كانت للامراء ال تنوخ . وحين حرقها الشيخ مظفر بناها الامير علي . ووضع بها جماعة من قبله برضى الامير منذر فرد الامير علي جوابًا بعدم القبول . وزادوا عليه

الالحاح بكلام قاس فخرج من بينهم وهو غضبان ورجعوا اليه علي غير رضى . و بعد رجوعهم كتب الامير علي الى مصطفى كتخدا متسلم صفد ان يحضر الى صيداء بجميع السكمان . وطلب اهالي الشوف ان يحضروا الى صيداء جميعاً . وعزم على انه اذا الح الامير منذر وارسل جماعته الى حارة الناعمة ان يقاومه بالسلاح . هذا ما كان من احوال البلاد . واما ما كان من الامير فخر الدين فاننا ذكرنا قبلاً انه حضر الى الدامور ورجع الى المراكب . فارسلت له مكاتيب من جركس محمد باشا ولم تصل له لانه لما كان عند الدوكا سافر الى مدينة بيزا واقام هناك نحو سنة . ثم حضر الى الدوكا اعلام وتوجه الى نابولي واخذ الامير وعياله معه وانزل الامير في دار عظيمة . وحصل له اكرام زائد وبقي مدة في نابولي ورأى جميع الصنائع والبساتين العظيمة ورأى الجبل المثقوب من مدينة نابولي الى بلد يقال لها البصولة ورأى المحلات التي يصنع فيها الكبريت وهو اصله تراب كيف يصنعونه في القدور و يحرونه الى ان يذوب . ثم يصفونه ويصنعونه اقراصاً . ورأى الاماكن التي يوجد فيها تراب الكبريت وانهم يعرفونها من اللهيب الذي يصعد من الارض شبه النار (بركان يزوفس) . وهذه النار من خواصها اذا وضع الحطب اليابس عليها فلا يحترق . واذا وضع الحديد يذوب لساعته (لاصحة لذلك) . و يوجد خارج المدينة جامع عظيم ذكروا انه من عهد الملوك الفاطميين . وفي هذه المدينة ثلاث قلع . الواحدة منها مبنية في البحر . وشاهد الامير فخر الدين في نابولي عجائب لاتوصف . ومن جملة الاشياء التي رآها صخراً مثقوباً يخرج منه دخان (بركان يزوفس) وفوق ذلك الصخر قبة فاذا اصاب احد داء المفاصل يرقد بتلك القبة الى ان يعرق فيبراء . وفي احد الايام حضر اناس الى الامير فخر الدين وسالوه اذا سافرنا الى بلادك فكم يلزمنا من الرجال فاجابهم لااعلم ولا اقدر اكفل الا نفسي . فقالوا له واذا لم يحضر معنا احد اولا يبيعنا اهلها الذخيرة اللازمة . فقال لهم انتم تعلمون قوة دين الاسلام وعظم قوة ال عثمان . والذي يقصد ان يقهر الملوك فلا يتكل على مشترى الذخائر من الناس . فصعب عليهم هذا الجواب . ثم سالوه كم كنت تجمع من العساكر في بلادك . فقال لما كان المنصب لي كنت اجمع نيفاً وعشرين الفاً ما عدا الذين يتاخرون في البلاد لاجل المحافظة . واما الآن فليس لي حكم الا على نفسي فتعجبوا من جوابه وتركوه . ومن ذلك الوقت لم يعد يصرله واجب كالمعتاد و بقي يبيع من المصوغات الذي عنده و يصرف . وفي احد الايام دخل اليه القنصل الذي حضر معه

من صيداء ومعه مكاتيب الى الامير من سلطان فرنسا يقول له فيها لقد بلغنا دخولك الى هذه البلاد . ومرادنا ان نتعرف بك ونرسل مكاتيب توصية الى سلطانك فيك لاننا واياه اخوان . فما اراد الامير ان يذهب اليه بل ارسل جواباً يتشكر من افضاله و يعتذر اليه . وفي ذلك الوقت جاء احد الامراء الى الشيخ ناصر الدين الذي كان عند الامير وقال له لقد اخبروا الدوكا انكم عاملون مكاناً للصلوة مثل الجامع فقال ليس لذلك صحة . ثم جاء اناس الى الامير وقالوا له لقد سمعنا انكم تصلون جملة وعملتم مكاناً خصوصياً وله مأذنة . فقال الامير صحيح اننا نصلي ولكن ليس في محل خصوصي . فقال له نحن لا نمنعكم عن الصلوة . و بعد ذلك رجع الشيخ ناصر الدين الى الامير وقال له يوجد اناس يريدون ان يجتمعوا بك في جنينة الدوكا وسار قدامه . فلما دخل الشيخ ناصر الدين الى البستان نظر الدوكا وحاكم نابولي جالسين هناك فسلم عليهم وجلس . فقال له الدوكا مرادنا ان نرسل معك كلاماً الى الامير . وعرض عليه مكتوباً من ملك اسبانيا يقول فيه ان كان الامير فخر الدين يعتنق ديننا نوليه حكماً قدر ما كان يعطيه سلطان المسلمين واكثر من ذلك باضعاف . وان كان لا يرضى بذلك فان اراد ان يقيم او اراد ان يرجع الى بلاده فله الخيار . فرجع الشيخ ناصر الدين واعلم الامير بذلك فقال له ارجع رد الجواب وتشكر من افضال السلطان وقل له اننا لم نات الى بلادهم في طلب حكم ولا دين بل جارت علينا الحكام فدخلنا بلادهم نحتمي بها . فان رضوا بنا اقمنا ولهم الفضل . وان ارسلونا الى بلادنا فهو المراد . ثم انه بعد عدة ايام حضر مركب من فرضة صيداء ومعه مكاتيب الى الامير من والدته تعلمه انها رجعت من الشام وارسلت له اوامر من جركس محمد باشا فيها تطييب خاطر الامير وان الرسل ذهبوا اليه فما وجدوه ورجعوا ومعهم الحاج كيوان بعياله . وذكرت انها صارت امرأة كبيرة في العمر وتريد ان تراه قبل موتها . واقسمت له بتربيتها له . ولما وصلت المكاتيب توجه الامير فخر الدين الى الدوكا وقد انشرح صدره وسئم الغربة وكبرت نفسه عنده مما كتب له وقال له هذه المكاتيب اتتنا من الوالدة . وقد اقسمت علي ان اتوجه وانا لا اقدر ان اخالف امرها . فان لم تامرني بالسفر فما يبقى علي خطية . فقال الدوكا هل تريد ان تسافر في هذا المركب ولو لم يكن فيه عدة حرب . فقال الامير ان المركب سافر مرتين وثلاثة ورجع سالماً وما احد اعترضه . فقال الدوكا ان اردت السفر فلا نمنعك . ففرح الامير بذلك . واعلم اهل بيته ففرحوا هم ايضاً . وكان قد توفى له ابنة فاقسمت زوجته انها لا تدفنها في بلاد

النصارى · فوضعوها في صندوق مدهون بالقير · وثاني يوم انزل عياله ولوازمه الى المركب · ولم يبق شيء يعيقه عن السفر غير ورقة الاجازة · وبقي الامير يطلب الورقة من الدوكا وهو يماطله · وكان السبب في ذلك ان اناساً اتهموا الدوكا ان الامير فخر الدين قد صار يعرف البلاد كما هي · ويحتمل ان يتوجه الى اسلامبول فيخبر الدولة عن كلما وجد في بلاد النصارى واحوالهم · فندم الدوكا عن السماح له في السفر · وبقي ثمانية ايام وعياله في المركب وكلما طلب ورقة الاجازة يحاوله الدوكا · وكان عند الدوكا ترجمان اسمه قارلو وكان يحب الامير فاستاذن قارلو ان يذهب الى المركب ليطيب قلب العيال ويرجع فاذن له · ولما نزل الامير الى المركب اخفى صندوق بارود تحت عياله · وقال في نفسه انهم اذا لم يعطونا اجازة السفر يكون في نيتهم الغدر فاحرق نفسي وعيالي ورجع من المركب على هذه النية · وذهب الى الدوكا يطلب منه ورقة الاجازة · فقال للدوكا نحن مانزلنا عيالنا الى المركب الا بامرك · وقد صار لهم الآن ثمانية ايام بالانتظار · فسأله الدوكا الى اين تريد ان تذهب فقال الامير الى صيداء · فقال من هو حاكم صيداء · قال له ولدي · فقال له اما تخاف من اهلك وبلادك · فقال الامير وكيف اخاف وهم كلهم اخوتي واولادي وتابعيَّ · فقال الاتخاف من العثمانيين · فقال الامير انا قاصد ان انظر والدتي واهلي وان جرى لي اضطهاد فالدنيا واسعة · فقال الا تذهب الى اسلامبول · فقال الامير لو كنت قادراً على الذهاب الى اسلامبول لما دخلت بلادكم · وكان ظنهم به انه يذهب الى اسلامبول ويخبر عن بلادهم واحوالهم · فلما تحققوا انه لا يقدر على الذهاب الى اسلامبول قال له الدوكا فليطب خاطرك غداً نعطيك ورقة الاجازة مع قارلو الترجمان · ولما اعطاه الورقة اخذ الامير الكيس الذي في جيبه واعطاه للترجمان · وقال له خذ الورقة الى العيال وطيب خواطرهم · ولما طلع الترجمان للمركب واعطى الورقة للسيدة خلعت سوارها عن زندها واعطته للترجمان لاجل بشارته · ثم توجه الامير الى الدوكا ليودعه ونزل في المركب وكان ذلك في ٢٧ رمضان وسافر من نابولي ولم يزالوا مقلعين الى ان اشرفوا على مرسى عكا فضادهم الريح وما امكنهم الدخول فقصدوا ميناء حيفاء · ولم يقدروا ان يدخلوها ايضاً · ثم اشتد عليهم الريح حتى انكسر قريّة القلع الكبير ويئسوا من السلامة و لبثوا طول الليل حتى قدروا سمّروا القريّة · وما اصبح الصباح الا وهم بقرب غزة وهناك سكن الريح وهجع البحر · وكانوا وهم مارون بين نابلي ومسينا راوا جبل النار · وكان اذا قربوا منه المركب

يسمعون اصواتًا هائلة وحجارة ترتفع وتسقط وهي كالنار . ومنها ما يصل الى البحر . وحجر
الخفان من تلك الحجارة التي يقذفها البحر وهذه النار من الكبريت . وقد ذاقوا في البحر مشقة
عظيمة . و بعد ذلك وصلوا الى ميناء عكا في ٩ شوال . ولما قدم الامير الى البر كتب
مكاتيب الى ولده الامير علي يعلمه بقدومه سالمًا . وارسل لهم مملوكه سرورًا فغير ثيابه
ونزل الى البر وتوجه الى صيداء . وفي ذلك الوقت كان عند الامير علي الامير ناصر الدين
التنوخي ومقدمو بيت ابي اللمع واكابر الشوف لاجل حارة الناعمة . لان الامير
منذر الح على الامير علي قائلاً له انك اذا لم ترفع جماعتك والا فاصلي الشر معهم . وفي
ذلك اليوم وصل سرور في بشائر السرور . ودخل على الامير علي واعطاه المكتوب فقرأه
وما عادت تسعه الدنيا من الفرح . وجمع الجميع واعطاهم مكتوب والده بخطه وختمه
فاخذهم الرعب وداخلهم الخوف والجزع وصاروا يتوسلون للامير علي ان لا يسود
وجوههم قدام والده . وفي ذلك الوقت امر الامير علي بالافراح وكان يومًا عظيماً .
واما الامير فخر الدين فحينما نزل الى البر سأل عن الاخبار ومن هو الحاكم في تلك
الديار فقالوا له ولدك الامير علي وكتخدا مصطفى وهو الان في ابي سنان يجمع المال
فارسل يطلبه ولما وصل له العلم حضر وهو لا يملك عقله من الفرح . و بعد ذلك حضر
اخوه الامير يونس ومشايخ الشوف ومشايخ بلاد صفد و بلاد بشارة والشقيف . واجتمع
كل من هو من حزب بيت معن لعكا . وقد بلغ الامير مقابلة بني متوال الى ابن
الحرفوش في مشغرة . وحين حضر الحاج ناصر الدين ابن منكر قبض عليه وتوجه
الامير الى صيداء فلاقاه ولده الامير علي الى جسر القاسمية ودخلوا الى صيداء بالفرح
واطلاق البنادق . وكانت مدة غياب الامير خمس سنين وشهرين . و بعد ذلك حضر
الامير علي بن شهاب وولده الامير محمد والامير قاسم وحضر الامير احمد ابن الحرفوش
والامير احمد بن شهاب اخو الامير علي والامير احمد ابن طربيه ارسل ولده بتقدمة
من الخيل وحضر الامير احمد بن قانصوه واستلم سنجق عجلون . وكذلك الامير حسن
ابن يوسف باشا ابن سيفا . وحضر الجميع بالتقادم والهدايا . فقبل الامير هدايا الجميع
وخلع عليهم واكرمهم ورجعوا مجبوري الخاطر ماعدا جماعة بيت سيفا والامير حسن لم
يقبل منه الهدية وقال له قل لوالدك نحن مانريد هدايا منه وانما مرادنا اخشاب لنبني بها
دارنا التي حرقها بدير القمر . ومواشينا ومواشي تابعينا من زمان الحافظ احمد ارسلناها
اليه وديعة فضبطها لنفسه . ولم يبالِ بحلول رمسه . وكل من توجه من جماعتنا اليه

اخذ منه غرامة . والان مراده ان ينسينا اعماله بهذين الراسين من الخيل ورجع الامير حسن وهو غير راض . و بعد رجوع الامير حسن ابن سيفا قال الامير فخر الدين للامير علي الشهابي نحن حضرنا ورأينا على ولدنا جملة ديون . فاكتب الى يوسف باشا ابن سيفا ان يرسل لنا الاثنين وعشرين الفاً التي اخذها بصير الصلح بيننا عن يدك . فارسل الامير علي مكتوباً الى يوسف باشا . فرد له جواباً قائلاً صحيح اننا اخذنا من جماعته ذلك ولكن ذلك كان مقابل غلات ارزاقنا التي ضبطها في بيروت وانطلياس . وفي ذلك الوقت ارسل الامير يونس الحرفوش كتخدا حسين يستعطف الامير في الحاج ناصر الدين ابن منكر الذي امسكه في عكا فقبل الامير رجاه واطلق الحاج ناصر الدين تحت اثني عشر الف غرش كفلها الامير يونس الحرفوش (وفيها كانت بداءة حرب الثلاثين سنة . وانعقدت معاهدة بين فرنسا و بين السلطان عثمان . وفيها ضرب في مصر زر محبب قيمته حينئذ = ١١ ٣/٤ فرنكاً . وفيها نشأت ثورة عسكرية بمصر فقتل الثائرون عدداً كبيراً من الاهالي ولم يسكن الحال الا بعزل مصطفى باشا فتولى مكانه الوزير جعفر باشا الذي لم يحكم الا خمسة اشهر ونصفاً)

وفي السنة ١٠٢٨ ﻫ = ١٦١٨ م الح محمد اغا قبجي باشي في الطلب على الامير فخر الدين في الاموال الاميرية الباقية عن ثلاث سنوات . فتوجه الامير فخر الدين الى عكا لانه ميعاد جمع اموال بلاد صفد وبلاد بشارة . فرحل المشايخ بيت منكر و بيت علي الصغير الى الامير يونس الحرفوش . وكذلك رحل الشيخ احمد الجلالي واقرباؤه من بلاد صفد الى وكيل القنيطرة . فلما بلغ الامير فخر الدين ذلك ارسل واحرق بعضاً من اماكنهم وضبط املاكهم فرحل جماعة من ساحل عكا الى ابن طربيه و نزلوا في قرية فيق في الجولان . فتوجه الامير من عكا الى قرية حطين وتظاهر انه يقصد الصيد وركب ليلاً وهجم بغتة على قرية فيق وكان معه اربعمائة شخص من السكمان فضبط جميع مواشيها وقتل من النازحين خمسة عشر رجلاً . ورجع ومعه جميع حريم النازحين الى صفد . وحضرت مشايخ بلاد صفد وترجوا الامير وكفلوا النساء النازحين وانهم يرجعون الى بلادهم و يؤدون الذي عليهم . وحضر جمهور من اعيان الشام واستاذ قرية فيق ليتشفع و يترجى في ارجاع مواشيهم فقبل الامير رجاءه ورد لهم المواشي . واعطى السكمان من جيبه كلاً منهم واحداً وعشرين غرشاً بدل المواشي التي نهبوها وارجعها . واقام الامير في صفد الى ان كمل

جمع المال ورجع بعدها الى صيداء · واعطى محمد اغا قبجي باشي ستة وثلاثين الف غرش تكملة المال عن ثلاث سنوات · واعطى محمد اغا ثلاثة الاف غرش اجرة خدمته وارسل معه عثمان شراق والحاج كيوان الى خليل باشا الوزير · وفي هذه السنة حضر للامير كتابات من عمر باشا التوتنجي والي طرابلس يخبره عن احوال يوسف باشا ابن سيفا · وانه ضبط بلاد طرابلس ولم يرسل عنها شيئاً للخزينة · وطلب من الامير ان يركب بعسكره · وان الباشا يوافيه فيهاجما يوسف باشا · وانه كافل ملامة الدولة · ويطلب منه الجواب بسرعة · وكان ذلك غاية مرغوب الامير فخر الدين · فتوجه الى مدينة بيروت في شهر صفر · وفي تلك الايام وردت الاخبار بعزل خليل باشا عن الوزارة وتولى عليها محمد باشا وكان الامير فخر الدين في بيروت · فارسل الشيخ ابا نادر الخازن ليمسك طريق نهر ابرهيم · ولما تكاملت العساكر عنده من الشوف والمتن والجرد والغرب ركب من بيروت وارسل الى ولده الامير علي ان يجمع رجال بلاد صفد وبلاد بشارة و بلاد الشقيف الى صيداء · وارسل الى الامير علي الشهابي ليحضر في رجال وادي التيم الى صيدا وان يلحقوه الى بلاد عكار · ولما وصل الامير الى نهر ابرهيم وجد الشيخ ابا نادر الخازن واهالي كسروان في انتظاره · وعند الصباح انتقل الى جبيل فوجد اناساً في القلعة من جماعة بيت سيفا · وايضاً في قلعة قسم جبيل وجد اناساً من تابعي بيت سيفا فلم يكلمهم ولكنه ارسل اليهم طالباً منهم تسليم القلعة فلم يقبلوا فتركهم وتوجه الى قرية اميون · وفي الغد رحل الى قرية بخعون في بلاد الضنية · ثم انتقل الى قرية قبولا · و بقي العسكر هناك وركب في ثلاثمائة خيال ليكشف احوال عكار · ولما وصل مقابلها عند غروب الشمس نزل بمن معه و بقي نحو ساعة واذا بمشاعيل خارجة من عكار الى الحصن فتحقق الامير ان ابن سيفا هناك · فنزل الامير عن فرسه ومشى قدام عسكره لان تلك الاراضي وعرة وتبعه الرجال الذين معه · واوصاهم ان لا يلتهي احد في الكسب · وكان قد بلغ يوسف باشا ابن سيفا قدوم الامير فخر الدين فاراد ان ينقل الى الحصن · وكان للحصن طريقان فمشى ابن سيفا على طريق · واحماله على طريق اخرى · ولما سمع صوت دوس الخيل اطفأ المشاعيل واسرع بالمسير · وكان من جملة التقادير ان الامير فخر الدين جاء على طريق الاحمال فكسبت جماعته مكسباً عظيماً من اصناف الحرير والانسجة وغير ذلك · واستمر الامير فخر الدين سائراً ومعه بعض اناس حتى وصلوا الى قرية شدرا المحل الذي كان الشيخ مظفر شيخ اليمنية ساكناً فيه لما هرب بعد وقعة الناعمة · ولما وصل الامير وجده قد هرب من القرية

والليل ستره · فرجع الى عكار ووجد ان العسكر قد غنم كثيراً · وعند الصباح دخل جميع العسكر وكان بينهم اناس من دير القمر قد صادفوا الامير محمد ابن حسين باشا ابن يوسف باشا الذي قتله الوزير لما رجع الى حلب · وهذا الولد كان ابن بنت جنبلاط اخت علي جنبلاط الذي عصا على السلطان · وحدث له موقعة مع مراد باشا الوزير · وكان عمر الامير محمد هذا خمس سنين فجاؤا به الى الامير فخر الدين فارسله مع والدته الى حارة صير في الضنية · وفي هذه السنة في تلك الايام عزل احمد باشا عن الشام وتولى مكانه مصطفى باشا الذي كان كتخدا نصوح باشا · ودخل الشام والامير فخر الدين في عكار · وكان ولده الامير علي والامير علي الشهابي قد وصلا الى غزير فارسل الامير اليهما ان يحضر الامير علي الشهابي اليه في العسكر ويبقى ولده الامير علي في غزير · وبعد ثلاثة ايام امر الامير ان يسير العسكر الى الحصن فمن التعب تكاسلت الرجال ولم يخرج مع الامير اكثر من الف رجل من كثرة الامطار · ولما وصل وجد بيت سيفا متأهبين للقتال فوقع الحرب بينهم · واعطى الله النصر للامير فخر الدين فهرب يوسف باشا واقار به الى قلعة حصن راويد ودخل هو وجميع اولاده واقار به · واما اولاد اخيه الامير محمد والامير سلمان فلم يدخلوا الحصن بل بقوا سائرين الى بلاد جبلة · ودخل ايضاً الى القلعة الشيخ مظفر قبل وصول بيت سيفا ومقدمي بيت الصواف · وبعد ذلك وصل الامير فخر الدين والامير علي الشهابي والعسكر وحاصروا القلعة وجعل الامير يواظب بنفسه ملاحظة المتاريس · وثالث يوم وصل عمر باشا والي طرابلس · وفي ذلك الوقت توجه الامير يونس ابن الحرفوش وحاصر برج القيرانية الذي كان فيه جماعة ابن سيفا من السكمانية وتسلمه في ثلاثة ايام وضبط ناحية القيرانية والهرمل مع كل غنائمها · وغنم ايضاً جميع المعزى والمواشي التي انهزمت من بلاد عكار والحصن جميع ذلك ضبطه واخذه لنفسه · وفي زمن المحاصرة اتى تقرير طرابلس من قبل محمد باشا الوزير على يد باكير اغا لابن سيفا · فارسل بن الحرفوش اربع بلوكباشية من سكمانيته الى الامير فخر الدين الى الحصن لاجل المحاصرة · وتضايق جميع من كان في القلعة من الحصار من قلة الذخيرة والميرة لانهم دخلوا القلعة على حين غفلة · ولم ياخذوا معهم ميرة كفاية فاكلوا لحوم الخيل لعدم وجود الخبز عندهم · فطلب الامير فخر الدين وعمر باشا من ابن سيفا ثلاثمائة الف غرش · وخمسين الف غرش لاجل الدين الذي له عليه من جهة محصول مدينة بيروت و بلاد كسروان والمواشي التي ضبطها بخمسين الف غرش · ومائة وخمسين الف غرش عن مال القرى التي

ضبطها في ايالة طرابلس ولما طال الحصار على ابن سيفا واشتد به الامر قال لولده اخرج الى عمر باشا والامير فخر الدين وتعهد لهما بالمال ففعل ولده ذلك . ولكن لم يرفعوا عنه الحصار الا بعد ارسال المبلغ . ولما نظر الامير فخر الدين الى انتهاء امر ابن سيفا ركب ليلاً بمائة فارس الى قرية عكار وحرق سرايات بيت سيفا والبلد وعين فعلة ليهدموها جميعها ما عدا دار الامير محمد . وارسل من قبله اناساً اخذوا الامير محمد ووالدته الى حارة الناعمة ورجع بالحال الى العسكر . ثم ارسل اناساً الى قلعة جبيل وقلعة قسم جبيل فتسلموها من غير قتال واخرجوا السكمان منهما . فذهبوا الى حلب . وارسل الى ولده الامير علي بان يوجه فعلةً ليهدموا قلعة جبيل . وكانت قلعة عظيمة الشان منيعة البنيان من زمن الكفار . واما قلعة قسم جبيل فوضع فيها جماعة ولم يهدمها . وكان بيت سيفا قد تضايقوا الضيق الشديد ولم يجدوا لهم فرجاً فارسلوا عرضحالات الى مصطفى باشا والي الشام والى كرد حمزة آغا البلوكباشي والى اباظا محمد باشا وارسلوها مع رسول اخرجوه ليلاً فاوصل العرضحالات الى الشام وحلب فخرج باشا الشام بعسكره الى القصير . واباظا محمد باشا اتى من حلب الى حماة . وارسلوا الى عمر باشا وللامير فخر الدين ان يرفعا الحصار عن بيت سيفا . ولما بلغ ذلك يوسف باشا قويت عزائمه وانما تضايق بالحصار . وفرغت من عنده الميرة فالتزم ان يقبل بتأدية المطلوب . وصار الاتفاق انه يؤدي مائة الف غرش نقداً . وارسل ولده الامير حسناً اخرج المال من حظيرة معزى من تحت الارض وادى المبلغ الى عمر باشا وللامير فخر الدين وكتب على نفسه سندات بخمسمائة الف غرش تحت رهن الاملاك التي له في بيروت وطرابلس وغزير . فلما قبضت الدراهم قال الامير لعمر باشا انت عليك مال للسلطنة وانا عليَّ ايضاً والان عندك سليمان اغا من قبل الوزير فدعنا نرسل معه المائة الف غرش عنا وعنك . فاستصوب الباشا ذلك وسلم الدراهم الى سليمان اغا وتوجه . ولما وصل الى اسلامبول وقدم المال صار له قبول ولم يعاتبوا الامير فخر الدين بكلما صنع بل ارسلوا يتشكرون منه على صدق ولائه . وكان بعدما قبض الامير فخر الدين الدراهم ووقع الاتفاق ارسل جميع ما كان عنده من الذخيرة الى يوسف باشا ابن سيفا والى الشيخ مظفر الى القلعة فكان لها وقع عظيم لانهما كانا متضايقين . وبعد ذلك رحل الباشا والامير عن القلعة في ٢٠ ربيع الاول من هذه السنة ونزلوا في البقيعة . ثم انتقلوا الى طرابلس واقام الامير ثلاثة ايام . ثم ودع الباشا وتوجه الى بيروت وبقي مصطفى كتخدا والسكمان

عند الباشا في طرابلس · وانصرفت جميع المشائر كل الى بلاده · وكان قد ضمن الامير بلاد البترون و بلاد جبيل من عمر باشا و وكل بها الشيخ ابا نادر الخازن والمقدم يوسف الشاعر لانه واجه الامير وطيب خاطره · و بعد وصول الامير الى بيروت حضر اليه الامير عباس بن الامير احمد والامير حسين بن العبس والامير دندن اخو الامير فياض بعربهم مطرودين من الامير نياض حاكم الحياري فاكرمهم الامير غاية الاكرام وقدم لهم كلما يحتاجونه · وكان السبب في عداوتهم ان خليل باشا الوزير اعطى الامير عباس سنجقية السلمية فجاء الامير فياض وطرده عنها · وكان يوسف باشا بن سيفا بعد رجوع الامير فخر الدين وعمر باشا عن القلعة ارسل الى محمد باشا عشرة الاف غرش والى ابازا محمد باشا والي حلب عشرة الاف غرش و رجع كل منهما الى مكانه ولم ينفعاه بشيء · وفي هذه السنة في ربيع الثاني حضر قبجي من الباب العالي باوامر شريفة بتقرير ولاية طرابلس علي يوسف باشا بن سيفا فخرج عمر باشا من طرابلس وتوجه الى الباب العالي · ورجع مصطفى كتخدا والسكمان الى الامير فخر الدين · وفي تلك الايام حضر مكاتيب من عثمان بلوكباشي الذي كان توجه مع الدراهم الى اسلامبول · انه لما وصل الى اسلامبول وجد خليل باشا معزولاً عن الوزاره · وتولى مكانه الوزير السابق محمد باشا وانه تسلم منه المال واعطاه وصلاً عن ثلاث سنوات · والسبب في عزل خليل باشا من الوزارة انه لما وصل بعسكر الاسلام الى بلاد الشاه عباس ودخل مدينة اردويل ارسل له الشاه يطلب الصلح وانه يحضر الحرير كالعادة · فارسل الوزير اناساً لاجل الاتفاق معه على رابطة · وفي عودتهم وجدوا اكراداً وتركماناً من رعايا الشاه ومعهم مواش فاعلموا الوزير بذلك وعين نحو عشرين الفاً هاجموهم بغتة فوصل العلم الى الشاه عباس فركب بعسكره والتقى بعساكر الوزير وكسرهم وقتل منهم قتلى كثيرين لا يعلم عددهم الا الله · ورجع الوزير من بلاد الفرس مكسوراً في الشتاء فسقط عليه وعلى جنوده الثلج وامات منهم جانباً عظيماً وقتل الوزير تجك كنعان الذي كان مملوكاً لعلي باشا جنبلاط · ولهذه الاسباب جميعها غضبت الدولة على خليل باشا وعزلته عن الوزرة · وفي هذه السنة وقعت الفتنة بين الامير احمد واخيه الامير علي الشهابي وصار بينهما حرب في مكان يسمى بشوياً في وادي التيم فقتل اناس من الفريقين وكانت الكسرة على الامير احمد وجماعته · وكانت النصرة في وجه الامير محمد ابن الامير علي فارسل الامير علي يخبر الامير فخر الدين بما توقع بينه وبين اخيه · فركب من مدينة بيروت الى قرية مشغرة · وارسل مشايخ

الشوف الى وادي التيم فوفقا بين بني شهاب وصار الاتفاق ان يقسموا وادي التيم قسمين . واتفقا بعضها مع بعض وعاد الامير فخر الدين الى بيروت . وفي هذه السنة في شهر جمادي الثاني وصل مصطفى آغا قبجي باشي السلطان عثمان مطالباً يوسف باشا بمال ايالة طرابلس فتكلم معه يوسف باشا بان يكون واسطة في الصلح بينه و بين الامير فخر الدين . فارسل مصطفى اغا الامير موسى من راس نحاش . ولما وصل الى الامير فخر الدين قبل كلامه وسلمه الامير محمد ابن حسين باشا ووالدته وجميع الاحمال والاثقال التي لها . ولما وصل الى طرابلس اخرج يوسف باشا اوامر بمقاطعة بلاد البترون و بلاد جبيل مدة اربع سنوات للامير فخر الدين وان يكون المال المطلوب عليهما من اصل الذي تعهد له به وهو محاصر في قلعة الحصن . وفي هذه السنة في شهر رجب عزل الامير احمد بن حمدان عن سنجقية عجلون . وعزل الشيخ عمر عن مشيخة حوران وتولى على عجلون ابن قلاوون . و مشيخة حوران الشيخ رشيد . وحضر الامير احمد والشيخ عمر الى ابن معن فنزلا في مرج الاصفر ومرج عيون طالبين الامير ان يكون مساعداً لهما . فقال لهما الامير انتما تعلمان الذي جرى علينا لاجل مساعدتكما في ايام حافظ محمد باشا . ولكن كونا طيبي الخاطر حتى نرسل نعرض عنكما للباب العالي . ونحضر لكما اوامر ببقاء وظيفتيكما . وفي هذه السنة في شهر رجب حضر عثمان بلوكباشي من اسلامبول وصحبته مصطفى جاويش و بيده خلع الى الامراء بيت معن . وفي هذه السنة في اواخر شهر رجب وصل الى ثغر صيداء علي باشا القبطان وصحبته خمسون مركباً واقام في صيدا ثلاثة ايام وقدم له الامير فخر الدين وولده خمسين الف غرش تقدمة ماعدا الذخائر . وخرج الى صيداء وطلب الامير ان يحضر اليه . فرد له الجواب مصطفى اغا انه اذا حضرنا الى مقابلتك فما هولائق بشانك ان تمسكنا . وان اطلقتنا ربما يصير عليك ملامة من الدولة . فاستحسن علي باشا جوابه . وكان موجوداً في ميناء صيداء مركب فلامنكي احتج عليه الباشا انه قرصان واخذه وكان فيه اربعون الف غرش . ثم سافر الى صور وصعد الى دار الامير يونس بصور لانه كان بلغه انها قلعة ووجه عشرة مراكب الى ميناء عكا . فوجد مركباً افرنسياً فاخذه بما فيه . ثم سافر الى فرضة طرابلس . وقدم له ابن سيفا تقدمة بدون ان يحضر اليه وعاد الى اسلامبول . وفي هذه السنة في شهر شعبان ولد للامير فخر الدين ولد من سرية كانت له وسماه منصوراً . وفي شهر رمضان توجه الى عكا لاجل جمع المال من بلاد صفد و بنى هناك برجاً . وحضر اليه الشيخ عمر . و بعد جمع

المال رجع الى صيدا . فطلب الشيخ من الامير المساعدة . فقال له ان شاء الله عن قريب يحضر جوابنا ونساعدك بكلما تريد . وفي هذه السنة في شهر شوال رجع جواب عرضحالات الامير وتقررت حوران وعجلون على الامير احمد والشيخ عمر فركب الامير بعسا كره . ولما وصل الى جسر المجامع بلغ قلاوون الشام والشيخ رشيد فقاما من البلاد . ونزل ابن قلاوون الى الشام والشيخ رشيد نزل على الامير مدلج الحياري . ثم نقل الامير فخر الدين الى الغور . ووجه الامير احمد الى عجلون والشيخ عمر الى حوران . و رجع الامير فخر الدين وجعل طريقه على صفد . ومنها نزل يستكشف البناء الذي اقامه في تل الريح . فوجد مصطفى كتخدا مريضاً في قرية شفا عمر . فلما رأى انه لم يحصل انجاز في البناء ضرب خيمته وبقي لكي يكمل البناء . فبقي شهر ذي الحجة ومرض الامير واكثر رجاله . وبقي مكابراً على حاله حتى تم بنيان السور . وفي ذلك الوقت حضر الامير طربيه ابن الامير احمد الحارثي ومعه تقدمة فحصل على مجابرة زائدة وعاد الى والده . ثم توجه الامير فخر الدين الى صيدا . وفيها باغت الامير احمد حاكم راشيا اخاه الامير علياً وكان وقتئذ في قرية شويا متوجهاً للصيد وصحبته اولاد الامير محمد والامير قاسم . ولما رآه الامير قادماً يروم القتال التقاه الامير علي واولاده وكانوا من الابطال المعدودين . ولم يمض الا ساعة حتى فرت اصحاب الامير احمد راجعين فتبعهم اولاد الامير علي حتى المساء . ولما بلغ الامير فخر الدين المعني ذلك سار من مدينة بيروت الى وادي التيم واصلح بينهما (وفيها من اواخر ربيع الاول الى آخر جمادي الثاني انتشر في مصر وباء فتك باهلها واعظم عدد مات به كان بين ١٥ و٢٥ من ربيع الثاني و بلغت جملة الوفيات به ٦٣٥٠٠٠ نفس وفيها عزل جعفر باشا وتولى بعده مصطفى باشا وقبض على زعيم ثورة السنة الماضية واعدمه . وفيها حصل غرق عظيم وتلاه وباء اليم وقحط مهين وفيها اكتشفت الدورة الدموية بواسطة هارفي)

وفي السنة ١٠٢٩ هـ = ١٦١٩ م في شهر محرم عزل مصطفى باشا كتخدا نصوح باشا سابقاً وتولى الشام سليمان باشا المعزول عن بغداد . فارسل الامير فخر الدين ولده الامير علياً بتقدمة لاستقباله ثلاثة آلاف غرش . وفي الشهر المذكور جاء خبر ان الامير فياضاً حاكم العرب آل ابو ريشة توفي واخذ منصبه ابن اخيه مدلج ابن ظاهر . وفي هذه الايام أرسل للامير فخر الدين مظفر شيخ اليمنية الذي كان نازحاً و بعد رجوع الامير حضر والتجأ اليه فطيب خاطره واعطاه حكم الجرد لان

اهله منها . ومن قديم الزمان اجداده حكام فيها . وبعدئذٍ عين مع الشيخ مظفر اناساً وارسلهم بهدية الى الامير مدلج ليهنئهُ بوظيفته . وكان بينهُ وبين الامير معرفة قديمة . فتوجه الشيخ الى كلز وغراز مع عسكر الشام . فارسل الامير مدلج يشكر فضل الامير وارسل لهُ فرساً عظيمة من جياد الخيل لم يوجد نظيرها في ذلك الوقت .

وفي هذه السنة في شهر صفر ارسل الامير فخر الدين خمسين الف غرش صحبة مصطفى كتخدا الى الباب العالي . واعطاهُ أُجرتهُ ثلاثة آلاف غرش وارسل معهُ محمّداً بلوكباشي العينتابي . ولما وصلا الى اسلامبول وجدا أن محمد باشا عزل عن الوزارة وتولى مكانه علي باشا الذي كان قبطان باشي وجاء الى صيداء . فتوجه جماعة الامير فخر الدين اليهِ وأعطوهُ المكاتيب المرسلة لهُ فلم يرضَ أن يأخذ منها شيئاً . بل قال ان بيت معن أصحابي وأنا مرادي أن يوفوا الذي عليهما فتوجه جماعة ابن معن وسلموا الخمسين الف غرش تماماً الى الخزينة وأخذوا وصلاً بالمبلغ المذكور . وأعطاهم وصلاً ثانياً بالخمسة والعشرين الفاً الباقية من المال وأخرج البراءة (الفرمان) الجديدة باسم السلطان عثمان . وفي هذه السنة في شهر جمادي الاوّل حضر الامير محمد ابن اخي يوسف باشا ابن سيفا الى الامير فخر الدين طالباً الصلح بينهم وأن الذي مضى لا يعاد . وطلب ان الامير يرفع يده عن بلاد جبيل والبترون ويتصرف بحارة غزير فتحصل المصافاة . فلما سمع الامير هذا الكلام نفرَ منهُ وقال أنتم أرسلتم شكوتم للباب العالي وعمك افرغ جهدهُ في الشكايات والآن مرسل الينا هذا الكلام . ولكن اخبره انا اؤدي مائة الف غرش زيادة في ايالة طرابلس . واما أن ينزع نعمتي أو أنزع نعمته . وعاد الامير محمد غير راضٍ من الامير فخر الدين . ثم ان الامير فخر الدين وجه كتخدا مصطفى الى اسلامبول ليقدم على ايالة طرابلس زيادة وان لم يمكن اعطائها للامير فخر الدين فلتكتب الى حسين باشا الجلالي الذي كان بها سابقاً . ولما وصل مصطفى كتخدا الى اسلامبول ووجد علي باشا القبطان صار وزيراً فتكلم معه في امر طرابلس . وان يوسف باشا بن سيفا متاخر في دفع المال . ومتاخر عنده مبلغ وافهمه عن الزيادة فقبل الوزير بذلك وكتب ايالة طرابلس مع الزيادة المذكورة على حسين باشا الجلالي . وكتب سنجقية جبلة واللاذقية على مصطفى كتخدا حرمةً واكراماً لمولاه الامير فخر الدين . ثم طلب ان يؤدي دراهم سلفاً للخزينة فاستدان مصطفى كتخدا من الخواجه مقصود في اسلامبول اربعين الف غرش ونقدها . وكان الامير علي موسلاً مركباً

من الصابون فباعه وقدم تقدمة الى الوزير خمسة الاف غرش ومال البلاد عن سنة ١٠٢٩ هـ ٠ واستخرج اوامر بهدم قلاع ابن سيفا وضبط ارزاقه وارزاق رجاله ٠ وان يكون الامير فخر الدين مباشراً مع حسين باشا الجلالي اتمام ذلك ٠ ولما وصل حسين باشا الجلالي الى طرابلس ارسل يوسف باشا بن سيفا ولده الى الامير فخر الدين ليلتجيء اليه في الصلح فقبله الامير وتعهد له ان ترجع له ايالة طرابلس بشرط ان يعقد زواج ابنته بابنه الامير علي المعني ٠ فرجع الامير حسن الى عكا وتكلم مع والده فقبل ذلك وطلب اخت الامير علي الى ولده الامير بلك ٠ وعقد زواجهما بالمبادلة ووقع الصلح بينهما ٠ ثم ان الامير فخر الدين ارسل عرضحالات صحبة كواخي ابن سيفا الى الباب العالي والى الوزير علي باشا ٠ وقبل ابن سيفا الزيارة ونقدها الى علي باشا الوزير ثلاثين الف غرش وتقرر عليه حكم ايالة طرابلس وانعزل حسين باشا الجلالي ٠ ثم حضر الخواجه مقصود في طلب الاربعين الف غرش التي استدانها الامير فخر الدين لانه بعد عزل حسين باشا وتقرير يوسف باشا على طرابلس صارت مستحقة على ابن سيفا ٠ فارسل الامير كتخدا مصطفى الى عكار ٠ ولما وصل ردله جواباً انه يرسل الى الباب العالي ليجاب له الوصل من الخزينة وعين الامير موسى من راس نحاش ان يرد جواباً على الامير ٠ فلما وصل اليه وفهم ان قصد يوسف باشا المماطلة القى القبض على الامير موسى ووضعه في قلعة بيروت ٠ فلما بلغ يوسف باشا ذلك استدعى كتخدا الامير موسى وارسل معه خمسة عشر الف غرش ورهن حلي في الباقي فارسل الامير موسى المبلغ الى الخواجه مقصود ٠ ورجع الى اسلامبول مجبور الخاطر ٠ وفي هذه السنة في ربيع الاول جاء الشيخ رشيد شيخ عرب السردية من بلاد الحيار من النجاة وصارت عرب الجبل تتطاول على غوط الشام ٠ فركب العسكر من الشام ولحقهم وعاد الشيخ رشيد الى بلاد الحيار ونزل على بحيرة حمص وكان الحاج كيوان قد اتفق مع انكشارية الشام وصار متسلماً على حمص وصارت المحبة متصلة بينهم ٠ وفي هذه السنة توجه فروخ باشا امير الحج ال اسلامبول لانه لما كان سليمان اغا في الحج وقع بينه وبين فروخ باشا الاتحاد والمحبة ٠ وحين رجع من الحج حسن للسلطان عثمان ان في طريق الحج مكان يسمى المعظم ويحتاج الى بناء قلعة لاجل منع العرب عن استقاء الماء من البركة ويستمر لنفع الحج ٠ فوقع هذا الكلام عند السلطان محل القبول ٠ وقال الى القرزال من يصلح لتدبير هذا الامر ٠ فقال له فروخ باشا ٠ فامره بالحضور الى اسلامبول فتوجه صحبة الامير بشير عم الامير احمد ابن قانصوه ٠ فصار له حظ كبير عند الدولة واعطاه خمسين

الف غرش لاجل بناء القلعة . فترجى السلطان عثمان بنقر ير سنجق عجلون على الامير بشير ومشيخة حوران على الشيخ رشيد ليقدرا على بناء القلعة فامرلهما السلطان بذلك . ورجع فروخ باشا وتولى الامير بشير وطرد ابن اخيه الامير احمد . وطرد الشيخ عمر واحضر الشيخ رشيداً من الحيار . فتوجه الامير احمد والشيخ رشيد الى بلاد صفد . وفي هذه السنة في شهر رجب جمع يوسف باشا ابن سيفا عسكراً وارسله صحبة ولده الامير حسن الى بلاد صافيتا ليطرد ابن اخيه الامير سليمان . واحتج بانه متاخر عليه المال للدولة . وكانت الحقيقة لاجل محبه الامير سليمان للامير فخر الدين . ولما وصل العسكر الى تل عباس ابقى الامير سليمان حريمه في برج صافيتا . وتوجه الى بلاد جبلة الى مقدمي الكابرين من معاملة قدموس وارسل يستنجد بالامير فخر الدين . فعند ذلك جمع الامير رجال البلاد والسكمانية وتوجه الى البترون . فلما علم يوسف باشا بقدوم الامير فخر الدين ارسل و رجع ولده من تل عباس . ووجه كتخدا الامير موسى من راس نحاش ليعتذر الامير انه لم يقصد الا ليوهم بن اخيه ليؤدي ما عليه من المال وذلك لكثرة الطلب عليه من قبل الوزير الاعظم . ثم انه ارسل خلعة لابن اخيه بمقاطعة صافيتا . ورجع الامير موسى الى طرابلس واخبر يوسف باشا ان الامير صرف رجاله . و بالحقيقة انه صرف بعضاً منهم . و بعد ثلاثة ايام ركب الامير فخر الدين وتوجه على طريق الحدث الى بلاد بعلبك ونزل على المجر فبلغ الامير يونس الحرفوش ذلك وهو بحصن اللبوة فصار عنده خوف فبلغ الامير فخر الدين ذلك فركب في عشرة فرسان وتوجه اليه وكان الامير يونس في طريق اللبوة فتصادفا ونزل الامير يونس وسلم على الامير . وعاد الى الخيام وصحبته الامير يونس . وثاني يوم دعا الامير فخر الدين الى اللبوة و بات تلك الليلة هناك . وانتقل الى الهرمل ثم الى معان ومنها الى قرية صدارة قرب بلاد عكار وحضر اليه الامير سليمان فتوجه معه الشيخ ابو نادر الخازن والسكان ليحاصروا سكمانية عمه في حصن عكار . وكان يوسف باشا بنى حاراتهم في عكار و بقي الحصار على عكار عشرين يوماً ففرغت مؤونتهم وطلبوا الامان وسلموا وتوجهوا الى يوسف باشا الى طرابلس . فهدم الامير فخر الدين جميع الدور التي جددها بيت سيفا في عكار . وما بقي غير دار الامير محمد فسكنها الامير سليمان . و بعد ذلك رجع الامير فخر الدين الى بعلبك على طريق المسقية الى مدينة بيروت . (وفيها حصل غلاء ووباء في مصر . وفيها كان انضمام نافارا الى فرنسا . وفيها كان ظهور

نواميس وقوانين كبلر المشهورة في علم الفلك)

وفي السنة ١٠٣٠ هـ = ١٦٢٠ م حضر مصطفى اغا قبجي باشي مطالباً يوسف باشا ابن سيفا بالمال المتاخر عنده • واقام عنده مدة وهو يماطل • وكان معه مكاتيب من الوزير الى الامير فخر الدين • حتى اذا ما ادى ابن سيفا الذي عليه من المال يكون الامير مطالباً له • وكان هذا الامر طبق مطلوب الامير • ثم جمع الامير عسكره وتوجه الى البترون • فهرب يوسف باشا الى جبلة • وابقى ولده الامير حسناً في قلعة طرابلس • وانتقل الامير فخر الدين الى برج الجصاص • واقام فيه عشرة ايام وهو يكاتب الامير حسن في طلب ايراد المال فلم يورد شيئاً • وطلب منه ان يبيع بالوكالة عن والده جميع الاملاك التي اشتراها من مخلفات محمد ابن عساف في بيروت وانطلياس وغزير وهو يفي عنهُ المال الذي عليه فرد عليه جواباً انهُ يرسل يشاور والده في ذلك • وبعد يومين حضر الجواب من يوسف باشا مع وكالة الى ولده الامير حسن في المبيع فكتب عقداً عند قاضي طرابلس بحضور اعيان البلد بجميع املاك بيت سيفا وثمنها خمسون الف غرش • وارسل الامير العقد الى اسلامبول وصادق عليها ونقد المال • ثم طلب من ابن سيفا الاثني عشر الف الباقية عنده من دراهم الخواجه مقصود ومال البترون وبلاد جبيل في زمان حسين باشا • وانه لايقوم المطالب عن طرابلس الا بايراد المال • وانه لما تحقق من ابن سيفا انه مماطل ولا يرغب في ايراد المال امر السكمان ان يهجموا على طرابلس • فتوجهوا وقربوا من السور فاطلقوا عليهم من الداخل البنادق فقتل منهم اربعة اشخاص • وكان بين هولاء السكمان رجل يسمى قندقجي مصطفى فتعلق بحائط السور وطلع ورمي نفسه الى داخل البلد • وتبعه عشرة اشخاص ايضاً ولما صاروا داخل الصور هرب بيت حمادة الذين من قبل ابن سيفا على الباب • فكسر السكمان الباب ودخل باقي العسكر ووصلوا الى دار حسن باشا الذي بقرب القلعة فاطلقوا عليهم البنادق من القلعة فقتل منهم ثلاثة اشخاص • ووصل الخبر الى الامير فركب ودخل المدينة ولم يسمح لاحد من العسكر ان ياخذ شيئاً من الرعايا • وارسل للامير سليمان بن سيفا لحضر اليه هو ومن معه من السكمان • واقاموا الحصار على القلعة • وكان داخلها الامير حسن واولاد عمه جميع بيت سيفا وحريمهم واستمر الحصار عليهم مدة • فقاتل سكمانية بيت سيفا من داخل القلعة • وفي احد الايام نزل جماعة من سكمانية الامير الى الميناء وصار الحرب بينهم وبين الذين في البرج من سكمان بيت سيفا فقتل من جماعة بن معن

عشرة رجال ومثلها من الخيل وطال عليهم الامر . وتضايف جماعته ضيقاً شديداً فلما سمع الامير فخر الدين ذلك ركب وتوجه اليهم . ولما وصل هجم على المتاريس وتبعه من معه وكان يوماً عظيماً وحالوا بين الذين في المتاريس و بين الذين في البرج وما سلم منهم الا القليل وفعل الامير فخر الدين في ذلك اليوم فعلاً تعجز عنه الابطال . وفتك بيده وسيفه فتكاً ما عليه من مزيد . وعند تلك الهجمة التقى الشيخ ابو نادر في ابي جمال الدين بن عبروش من معراب كسروان وكان من المتقدمين عند بن سيفا . وكان بينه و بين المذكور بغض قديم . ففي الحال قتله واخذ عدته وسلاحه . وما كان سبب هذه النصرة الا هجمة الامير فخر الدين على القوم وعاد بعد ذلك الى طرابلس مع جماعته غانمين و بالنصر فرحين . وما منهم احد الا و يدعو للامير و يثني عليه لسبب مافعله ذلك اليوم وكيف اباد الاعداء بتلك الهجمة . وما عاد احد خرج من الجماعة التي في الابراج لانكسارهم وذلهم الذي حصل لهم . واما الامير محمد اخو الامير علي واولاد اخي يوسف باشا فاستمروا مقيمين في بناية سير من اعمال الضنية. وارسل الامير المذكور ولده الامير علياً الى الامير فخر الدين الى طرابلس مع هدايا سنية وكان الامير فخر الدين نازلاً في دار حسين باشا ابن يوسف باشا وهي دار معتبرة مكلفة نحو خمسين الف غرش (الخمسين الف غرش بتلك الايام تساوي ٥٠٠ الف غرش الان) . فنزل احد الايام الامير موسى من راس نحاش من القلعة الى الامير فخر الدين ليتكلم معه في امر الصلح ورفع القتال من بينهم . فتكلم معه وعاد الى القلعة . وذكر لهم عن الامير فخر الدين انه يجلس في الايوان المعرض لمدافع القلعة . وقال لهم اذ اخربتموه حبستموه وكان ذلك في شهر رمضان . وفي وقت الافطار اطلقوا ثلاثة مدافع على الايوان المذكور دفعة واحدة فهدم جانب من ترس الايوان . ومن حسن الحظ والتقدير لم يكن الامير فخر الدين ولا احد من جماعته في الايوان . انما الامير كان توجه تلك الليلة الى مصطفى كتخدا لكتابة مكاتيب فكان ذلك من اعجب الصدف . فلما بلغ الامير ماحدث قال اذا لابد من هدم دارهم وانتقل ثاني يوم الى مكان اخر وعين بنائين وقلاعين فهدموها الى الارض . فندم من في القلعة على ذلك العمل الذي فعلوه وتحسروا على الدار لانه لم يكن يوجد بناية افضل منها . وفي هذه السنة في شهر رمضان توفي الامير احمد ابن الامير يونس الحرفوش وكان صهر الامير فخر الدين لانه كان متزوجاً بنته . وفي شهر شوال توجه فروخ باشا

مع الحج ومعه البناؤون لاجل بناء القلعة في المعظم فاصابه مرض في الطريق ومات ٠
ثم نرجع الى اخبار يوسف باشا ابن سيفا فانه لما كان في بلاد جبلة ارسل عرضحالات
كثيرة الى الدولة متشكياً من ابن معن لحصاره طرابلس كما سبق ٠ وكان السلطان
عثمان في تلك الايام مسافراً الى بلاد المسكوب ٠ فلما وصلت له العرضحالات امر مصطفى
اغا احد اقرباء مفتي اسلامبول ان يتوجه بخمسة مراكب ليمنع ابن معن عن حصار
طرابلس ٠ وكان يوسف باشا بعدما ارسل العرضحالات جمع اولاده عمر والامير
قاسماً الذين في قلعة الحصن ٠ وجمع عسكراً من تلك النواحي الى البقيعة ٠ وحضر
اليه ارسلان بك بن علي باشا بن علوان والامير نصيف بن دندن من آل ابي
ريشا وتركمان السويدية والعرب وتوجه بهم الى جون عكا ٠ وكان جماعة من عسكر ابن
معن نازلين في البداوي خارج طرابلس ٠ فوصلت اليهم مقدمة عسكر ابن سيفا وثار
الحرب بينهم ٠ فوصل الخبر الى الامير فركب وخرج العسكر من طرابلس فهربت من
امامهم فرسان بن سيفا ٠ وتبعهم جماعة ابن معن الى نهر البارد ٠ وامسك عليهم الطريق
ارسلان بك الذي كان مع جماعته الكمين وكسرهم الى المنى فالتقوا بالامير فخر الدين ٠
ولما نظر ارسلان بك وجماعة بن سيفا قدوم الامير رجعوا الى الجون ووصل الامير الى
النهر البارد ٠ ورجع الى طرابلس وكان قد قتل من جماعته نحو اربعين رجلاً ٠ واما
الذين في الحصار فلم يخرج منهم احد ٠ ولما رجع الامير الى طرابلس وصل الحاج كيوان وكرد
حمزة من الشام مرسلين من سليمان باشا لاجل المصالحة ٠ وفي ذلك الوقت دخلت ميناء
طرابلس الخمسة المراكب المرسلة صحبة مصطفى آغا الذي خرج الى الامير وبيده خلعة شريفة
من السلطان الى الامير واوامر لكي يقوم من طرابلس ٠ فلبس الخلعة وامتثل للامر العالي ٠
وقال لمصطفى اغا ان ابن سيفا لا يخشى الفضيحة ٠ واذا ارتددنا عنه لا يعود يؤدي المال ٠
ثم انه تم الاتفاق كما سبق ان الاملاك التي اعطاها بن سيفا لابن معن في بيروت
وغزير تكون بدل المال الذي عنده للخواجه مقصود وبدل مال جبيل والبترون ٠ واتفقوا
ايضاً انه بعد ثلاثة ايام من رجوع ابن معن ينقد بن سيفا المال المطلوب منه للباب العالي ٠
وبعد ذلك الاتفاق رحل الامير بمن معه عن طرابلس واعطى مصطفى آغا لاجل خدمته الفين
وخمسمائة غرشاً وكان ذلك في ٧ ذي القعدة من هذه السنة ٠ ولما وصل الامير الى بيروت
وصحبته الحاج كيوان وكرد حمزة وجماعتهم اكرمهم غاية الاكرام واعطى كل واحدٍ
منهم الف غرش فتوجهوا الى الشام ٠ واما يوسف باشا ابن سيفا فبقي يماطل مصطفى آغا

في ايراد المال حتى دخل موسم الحرير فقدم له شيئاً يسيراً مما يطلب منه · وفي هذه السنة حضر الشيخ عمر والامير احمد ابن قانصوه الى مدينة بيروت وطلبوا من الامير المساعدة في ارجاعهم الى مناصبهم · فاجابهم بما ان الشيخ رشيد والامير بشير تعهدا لفروخ باشا بالمساعدة في بناء القلعة فلا يمكننا في هذا الوقت التعرض لهما واذا تعرضنا لهما يكون علينا الملام من الباب العالي · ولم يكن يعلم الامير بموت فروخ باشا في الحج · فرجع الامير احمد والشيخ عمر من عند الامير على غير رضى · ولما وصلا الى بلاد صفد نهضا بعيالهما الى الامير احمد ابن طربيه الحارثي · و بعد وصولهم ببرهة توفي الشيخ عمر ودفن بجنين · و بعد وفاته توجه ولده الشيخ حسين الى الامير مدلج الحياري · واما الامير احمد ابن قانصوه فتوجه الى اسلامبول الى باكير اغا · وفي هذه السنة ولد للامير فخر الدين ولد من ابنة الامير علي اخي يوسف باشا ابن سيفا اخت الامير سليمان فسماه حسيناً · (وفيها حصل غلاء شديد في مصر وعقبه وباء ثقيل ابتداء في شهر ذي الحجة · وكان ابتداء وجود حزبي الاحرار والمحافظين في انكلترا · وكان تأسيس مدينة نيو يورك وكلية بطرس برج · و ثار الكردينال ريشيليو حرباً على البروتستانت وحصرهم في قلعة روشيل واخضعهم)

وفي السنة ١٠٣١ هـ = ١٦٢١ م عزل سليمان باشا عن ايالة الشام وتولى مكانه مرتضي باشا فارسل له الامير فخر الدين خمسة الاف غرش تقدمة عن يد الحاج كيوان فصار له ميل زائد الى بيت معن · وفي غرة شهر ربيع الاول ارسل الامير الاموال الاميرية المستحقة عليه صحبة عبد الرحمن جاويش الذي جاء مطالباً من قبل الوزير الاعظم بالمال المعتاد · وفي هذه السنة في ربيع الثاني وردت البشائر برجوع السلطان عثمان من السفر منصوراً على الكفار وان مراده الحضور الى الشام لاتمام الحج الى بيت الله الحرام · وفي هذه السنة في جمادي الثاني مر حسين باشا الشهير على عيون التجار وجسر بنات يعقوب وكان معزولاً عن ولاية مصر ومستقدماً الى الاستانة · وتولى عليها محمد بك ابن فروخ باشا المتوفي بمكة فارسل الامير فخر الدين الى الطويل حسين بان يقدم ذخيرة الى الباشا في الثلاثة منازل فامتثل ذلك · وكان حسين بلوكباشي في صيداء ولما وصل حسين باشا الى القنيطرة نزل في البناية التي انشأها لالا مصطفى باشا وكان ولده باقياً هناك فلم يخرج لملاقاته ولم يقم لخدمته فامر حسين باشا بمسكه وضربه مائة كرباج · ثم وضع في رقبته مخلاة ملآنة تبغاً وتبناً · وقال سمعنا انك تحب التدخين ووضع عليها

النار فكاد ان يموت اختناقاً · ثم اطلقه وتوجه حسين باشا الى اسلامبول · وفي هذه السنة
عد ماتوفي علي باشا الوزير تولى مكانه حسين باشا الى ان رجع السلطان عثمان من
السفر فعزل حسين باشا عن الوزارة وولى مكانه دلوار باشا فصار يكسب المنجنيقات ويمسك
من العسكر السباهنية والانكشارية و يغرقهم في البحر فقتل منهم نحو الف نفس · فاجتمع
العسكر وطلبوا من السلطان ان يسلمهم دلاور باشا وسليمان قزلار عيسى و باقي باشا
الدفتر دار فابى السلطان تسليمهم وادخلهم الى السرايا فهجموا عليها حتى وصلوا بقرب
دار الحريم · وطلبوا السلطان مصطفى عم السلطان عثمان كي يولوه على تخت السلطنة
فلم يكن لهم اليه وصول فنقبوا الحائط ودخلوا اليه فوجدوه مع جاريتين فاخرجوه من
ذلك المكان وقصدوا ان ينادوا باسمه سلطاناً · ولما نظر السلطان عثمان ان الملك قد خرج من
يده · سلمهم عند ذلك دلاور باشا الوزير والقزلار و باقي باشا فقطعوهم بالسيوف
وهجموا على دور الوزير واعيان الدولة ونهبوها جميعاً · وعمل العسكر في اسلامبول
اعمالاً لم يحدث نظيرها في زمن السلاطين السالفة من بني عثمان · ومن خوفهم على
السلطان مصطفى اخذوه الى مسجد واحاطوا به تلك الليلة · واما السلطان عثمان فانه
رجَّع حسين باشا للوزارة وتوجه واياه الى بيت حمصومجي علي اغا الانكشاري بالباب
العالي واعطاه اربعة وعشرين الف درهم ليفرقها على اكابر العسكر فيسكتون عنه · و بات
السلطان تلك الليلة في بيت علي آغا · وعند الصباح توجه علي آغا الى اغاوات الانكشارية
وقال لهم ان السلطان مرسل لكم هذه العطية ومهما اردتم يعطكم · فقالوا له انت الان
تذكر السلطان عثمان · وفي الحال قتلوه وتوجهوا الى بيته فنهبوه ووجدوا حسين باشا
الوزير فقتلوه · ودخلوا الى دار علي آغا فوجدوا السلطان مختفياً فيه فاخرجوه مكشوف
الراس وركبوه واتوا به للمسجد الذي فيه عمه السلطان مصطفى · وكان جميع العساكر
والمسلمون حاضرين · ثم احضر نقيب الاشراف وشيخ الاسلام وشرع المنادي يقول
ياعسكر المسلمين هوذا السلطان مصطفى والسلطان عثمان جالسين بمكان واحد فاي
منهما تختارون سلطاناً · فصرخ الجميع بصوت واحد الله الله السلطان مصطفى هو السلطان
وكان هذا النداء على ثلاث مرات · فقال نقيب الاشراف وماذا تصنعون في السلطان
عثمان · فقالوا يسجن وعند ذلك اخذوا السلطان مصطفى الى البلاط الملكي · و بعضهم
اخذ السلطان عثمان الى السجن وفي الليل قتلوه وكان ذلك في شهر شعبان سنة ١٠٣١ هـ ·

فصل

في رجوع السلطان مصطفى للسلطنة ثانية وهو الخامس عشر من ملوك آل عثمان كما سبق

وجلس السلطان مصطفى على تخت الملك · وجعل داود باشا وزيره وتغيرت في ذلك النهار جميع المتوظفين في الدولة · وفي هذه السنة وردت الى ميناء صيداء المراكب السلطانية وكان القبطان عليها خليل باشا الوزير السابق · وخرج الى البر وجال في صيداء متفقداً · وفي الحال لاقاه الامير علي ابن معن وقبل ذيله ودعاه الى داره وقدم له الاكرام وتقدمة خمسة الاف غرش وحصان فقبلها · واولم له وليمة في داره فحضر واكل معه ورجع الى المراكب · وكان في ذلك الوقت في فم نهر بيروت مركب قرصان فارسل الامير فخر الدين الى ولده علماً بذلك لكي يعرف الوزير عنه · فارسل الامير علي كتخدا واخبر خليل باشا فعين له تسعة مراكب فسافروا من صيداء عند الضحى ولما قربوا من بيروت وعلم بهم مركب القرصان نشر شراعه وسافر ولكن الريح جعلت سيره نحو المراكب فمر عليها ولم يقدر احد ان يقرب اليه · فاطلق عليهم مدفعين قتل ممن في المراكب السلطانية نحو عشرة اشخاص وغاب في البحر · وبعد ذلك حضر خليل باشا الى ميناء بيروت فارسل اليه الامير فخر الدين ولده الامير حسيناً وكان عمره نحو ست سنين · واعتذر له انه لا يقدر على النزول للبحر من المرض · فخلع الباشا على الولد وقبل التقدمة واعطى الامير حسيناً اوامر بسنجقية عجلون · ثم توجه الباشا الى ميناء طرابلس فحضر اليه يوسف باشا وطلب منه ان يعمل مصالحة بينه وبين الامير فخر الدين ويتشفع فيه عنده ويسأله بان يعطيه مخطوبة ولده الامير بلك ابنته التي وعده بها سابقاً · فارسل الوزير احمد آغا وصحبته سليمان الاسكندري كتخدا ابن سيفا · ولما وصلا الى الامير فخر الدين وكلماه قبل الكلام ورجعا بكل اكرام · وبعد ذلك ارسل يوسف باشا اخاه الامير احمد الى صيداء فاصلحوا شان المخطوبة واحضروها وتوجه معها من تابعي بيت معن عدد عظيم · وفي هذه السنة كان في بر الروم محمد باشا الشهير المعروف بابازا باشا · ولما قتل السلطان عثمان كان عند محمد نحو الفين من طائفة القبافول الذين قاموا على السلطان · فلما بلغهم مافعلت طائفتهم في اسلامبول لم يعودوا يهابون الباشا بعد حتى منعوه عن تعاطي الاحكام · وفي بعض الايام تعرض البعض

منهم في الكلام مع سراري محمد باشا ومن ذاهبات الى الحمام . فلما نظر ابازا باشا خروجهم اتفق مع السكمان الذين عنده وطائفة الاسبهانية وغيلان وضربوا القباقول بالسيف وقتلوا منهم نيف والف رجل . ونقل في عساكره الى مدينة بيرا وقتل من فيها من القباقول . وانتقل الى مدينة ارزنكان وقتل من وجده بها منهم . ثم الى قلعة اخسكار فحاصرها مدة وكان فيها عسكر اهلي فسلمهم القباقول له فقتلهم . وانتقل الى قلعة حسن شيق ومنها الى قلعة كمامي ثم الى مدينة سيواس ومنها الى طوقات فقتل كل من كان فيها منهم . واعطى جميع ارزاقهم الى من كان اسبهانيًا وغيلان واتفق مع كل من كان في تلك البلدان ضد طائفة القباقول . ومحمد باشا ابازا هذا هو الذي كان واليًا على حلب لما كان الامير فخر الدين محاصرًا ابن سيفا في حصن وادي راويد سنة ١٠٣٨ ه . وفي هذه السنة ورد الخبر ان القباقول في اسلامبول خلعوا داود باشا عن الوزارة وتولى مكانه حسين باشا الشهير والي مصر . فقرر علي محمد بك ابن فروخ باشا سنجقية نابلس وعزل مصطفى بك واقام حسين باشا في الوزارة اقل من شهر . وتغير خاطر العسكر عليه فاختفى ونهبوا بيته واقاموا في الوزارة مصطفى باشا الشهير فعزل محمد بك ابن فروخ باشا وارجع مصطفى بك . وكان الامير فخر الدين قد ارسل الى خليل باشا يخبره بانه لم يباشر الحكم بسنجقية عجلون . وفي هذه السنة باغت الامير بشير ابن قانصوه ابن اخيه الامير احمد وهو نازل عند الامير احمد ابن طربيه . واخذ منه جملة مواش فعظم ذلك على ابن طربيه . وكتب مكاتيب وارسلها مع الامير احمد الى الامير فخر الدين . فطيب خاطره ووعده بالمساعدة . وفي ذلك الوقت طرد الامير مدلج الامير حسينًا ابن فياض الحياري فحضر الامير فخر الدين فاكرمه وانزله عنده في بلاد صفد . و بعد ايام غزا الامير حسين من صفد عرب الشيخ رشيد في حوران وغنم نحو اربعمائة جمل ومر في طريقه على وادي زبيد فخرج اليه اهلها واستخلصوا منه جانبًا من الجمال ورجع بالباقي الى عربه وفي ذلك الوقت كان بين الامير فخر الدين و بين الشيخ رشيد محبة فالتزم الامير حسين ان يرجع له جميع الغنائم . ولما علم الامير مدلج بنزول الامير حسين عند الامير فخر الدين ارسل له طالبًا منه ان يقتل الامير حسينًا ابن فياض وهو يعطيه مقابل ذلك ابنته زوجةً لولده الامير علي وعشرة آلاف غرش وعشرة رؤوس خيل فرد عليه جوابًا اننا لا نريد ان آل ابي ريشة ينسبوننا الى شيء ضد عوائدنا مع النزيل . وفي هذه السنة بعد خروج الحج عزل عن الشام مرتضي باشا من المزاريب وتولى عوضًا

عنه مصطفى باشا الذي كان كتخدا مراد باشا الوزير . وفي دخوله ارسل الحاج كيوان الى الامير فخر الدين بطلب المال لمساعدة الحج وتقدمة الاستقبال عشرة آلاف غرش . ولما بلغ الامير يونس الحرفوش توجه الحاج كيوان الى الامير فخر الدين كي يتكلم معه ان يبقي ابنته زوجة الامير احمد الحرفوش المتوفي لتربي ولدها الصغير و يتزوجها اخوه الامير حسين و يدفع له ثمانية آلاف غرش . فتكلم الحاج كيوان مع الامير بذلك فقبل سؤاله وسمح له في زواجها للامير حسين اخي الامير احمد ووكل الحاج كيوان بذلك . وطلب ان يؤدي الثمانية آلاف غرش الى خزينة الشام من اصل المال . واوصاه بان يرجو الباشا باعطاء سنجقية عجلون الى الامير محمد ابن قانصوه . وانه هو يكفل عنه مصالح الجردة [1] . ورجع الحاج كيوان الى بعلبك . ورد جواباً على الامير يونس الحرفوش بما أمر به الامير . وقبض منه الثمانية آلاف غرش وتوجه للشام وعرض للباشا بخصوص اعطاء سنجقية عجلون للامير احمد ابن قانصوه فطلب منه ثلاثة آلاف غرش فدفعها الحاج كيوان وكرد حمزة آغا واخرجوا الاوامر بذلك وارسلوها للامير فخر الدين فوجه لهم المبلغ وخمسمائة غرش فوقه عطية الى الحاج كيوان وكرد حمزة . ثم ان الامير جمع سكمانيته وفرسان البلاد وتوجه بهم من صيداء الى ساحل عكا ولاقاه الامير قاسم ابن الامير علي الشهابي بفرسانه . ولما وصل الى جسر المجامع لاقاه ايضاً الامير طربيه ابن الامير احمد الحارثي بخيله وعربه . فلما بلغ الامير بشير ابن قانصوه قدوم ابن اخيه الامير احمد صحبة الامير فخر الدين ركب بخمسة بلوكباشية وتوجه الى عجلون وقابلته اهل البلاد واجر الغور الغربي ناحية بيسان لابن الامير فخر الدين (لربما حسين) . فوجه الامير من قبله الشيخ يزبك وامره ان مهما تحصل من ناحية الغور يوجه الى الامير احمد ابن طربيه . وكانت سنة شديدة الغلاء من قلة الامطار حتى بلغ مد الحنطة ثلاثة غروش . و بيع مد الشعير بقرش صاغ (سبق ان ندور الدراهم في تلك الايام ومقابلة اجرة العامل التي كانت تساوي اقل من نصف بارة يومياً بالاثمان يحسب غلاء فاحشاً) . و بيع اردب الارز بخمسة وعشرين غرشاً وصار بسبب ذلك ضيق لجميع الناس وللحيوانات وقلت الخيل لموت اكثرها لعدم وجود المرعى والعليق لها . و بلغ قنطار السمن ١٥٠ غرشاً وكذلك الزيت . ولاجل ذلك

---

(١) اي ما يلزم للحج من المؤنة والذخيرة والرجال للمحافظة عليه

لم يكلف الامير الرعية شيئاً من المال المطلوب للحكومة في بلاد صفد . واما ما كان من الامير فخر الدين فانه سلم بلاد عجلون الامير احمد ابن قانصوه واكرم الامير طربيه ابن الامير احمد ابن طربيه واعطاه خيلاً ودراهم ورجع الى والده مجبور الخاطر . وبعد ذلك رجع الامير الى صيدا ثم الى بيروت وكل من تابعيه رجع الى مكانه . وبعد وصوله الى بيروت ارسل دراهم الى الحاج كيوان ومصطفى جاويش لكي يدبروا ما يلزم للجردة عما يخص سنجقية عجلون . وهو ايضاً تدارك ما كان موجوداً في بلاده ففاضت تلك السنة لوازم الحج عن المعتاد . وفي هذه السنة وصل الى طرابلس متسلماً عمر باشا الكتانجي فما مكنه ابن سيفا من استلام البلد ولا دخولها وكان معه مكاتيب من عمر باشا الى الامير فخر الدين بانه اذا ماسلمه ابن سيفا المدينة يكون الامير مساعداً له في استلامها . فارسل المكاتيب الى الامير فلما وصلته جمع اهالي البلاد وعزم على التوجه الى طرابلس . ولما علم يوسف باشا ابن سيفا بذلك قام من طرابلس بجميع اهله وتابعيه الا الامير بلك فلم يرافق والده ولكنه حضر الى الامير فخر الدين لانه صهره . ولما بلغ الامير قيام ابن سيفا من طرابلس بقي مكانه في بيروت وانما ارسل الشيخ ابا نادر الخازن واهالي كسروان فطردوا جماعة ابن سيفا من جبة بشرة وضبطوا برج بشرة وكلما فيه . وابقى الشيخ اباصافي الخازن متسلماً في الجبة . ولما وصل عمر باشا الى طرابلس ارسل الامير يطلب منه ان يسلم حمصاً للامير يونس الحرفوش وادى له عليها اثني عشر الف غرش فأصدر له اوامر بذلك . وارسل الامير يونس ولده الامير حسيناً حاكماً على حمص فجمع منها مالاً زائداً وادى الاثني عشر الف غرش الى عمر باشا . (وفيها حصل فيضان عظيم للنيل في مصر اضر كثيراً بالزروع واتلفها وعقبه غلاء شديد وعقب الغلاء طاعون ثقيل . وفيها عينت الضريبة اول مرة على التبغ في فرنسا)

وفي السنة ١٠٣٢ هـ = ١٦٢٢ م عزل عمر باشا عن طرابلس وابن الحرفوش عن حمص وتولى عليهما عمر بك ابن يوسف باشا ابن سيفا . وفي هذه السنة رجع محمد ابو شاهين في الجواب من خليل باشا مع خلعة سنية بتقرير سنجقية عجلون على الامير حسين ابن الامير فخر الدين . فارسل كتخدا مصطفى آغا بخمسين فارساً من السكمان ومعه مملوكه ذو الفقار بلوك باشي . ولما وصل مصطفى كتخدا للشام خلع عليه الباشا واعطاه اوامر باسم الامير حسين ان يحكم في سنجقية عجلون . واعطى الحاج كيوان

والبلوك باشية خمسة الاف غرش . وتسلم الجردة الحاج كيوان ومصطفى كتخدا والبلوك باشية (اي المحافظة على الحج وتقديم ما يلزم له) وخرجوا من الشام وكتبوا للامير فخر الدين بان يلحقهم فتوجه ومعه السكمان لا غير . ولما وصل الى جسر الجامع لاقاه الشيخ حسين ابن عمر والامير احمد ابن قانصوه بعربهم والامير حسين ابن فياض الحياري وتوجه على طريق الغور الى الدير علي ومنه الى كمزين . ثم الى بلاد البلقاء ثم الى قطرانة واجتمع في الحج هناك . فوجد عثمان بك امير الحج والاعيان متشكرين من مصطفى كتخدا لانه وصل في الجردة الى منزلة تبوك . وارتفع الغلاء من الحج بعد ما كان وصل مد الشعير الى الغرش ومن هناك افترق عنهم الامير فخر الدين اي من البلقاء والكرك وبقي مصطفى كتخدا مع الحج . و باغت الامير عرب الجاحوشة في مكان يقال له جيد الصوان وغنم مواشي كثيرة من جمال وغنم نحو خمسة الاف راس . ولكن وهم راجعون في الطريق سقط عليهم الثلج فمات اكثر الغنم وما بقي الا اليسير ورجع الامير على الطريق التي ذهب فيها الى غور بيسان . وابرز الاوامر التي معه بسنجقية عجلون الى ولده الامير حسين . فاجاب الامير حمدان بالسمع والطاعة . وامره الامير ان يكون وكيلاً عن ولده فابى قبول ذلك فامر الامير محمد اغا ابا شاهين ان يتسلم السنجقية واوصاه بمراعاة الرعية . وارسل الى الحاج كيوان ثلاثة الاف راس غنم ومائة جمل باسم مصطفى باشا والي الشام وعاد الامير الى جسر الجامع ومنه الى صيداء . واقام عند ولده الامير علي ثلاثة ايام ثم توجه الى بيروت في ٦ ربيع الاول من هذه السنة . واما الامير احمد ابن قانصوه فتوجه الى الشيخ حسين ابن عمر الى حوران . وفي هذه السنة وصل من الحاج درويش مكاتيب من اسلامبول يخبر ان مصطفى باشا عزل عن الوزارة وتولاها محمد باشا الشهير وانه قدم له تقدمة نيابة عنا لامير ثلاثة الاف غرش والى الباب العالي الفين غرش . وان مصطفى بك عزل عن نابلس وتقررت على مصطفى كتخدا الامير وارسل الاوامر بذلك . وكان مصطفى كتخدا باقياً في الشام فارسل الامير الاوامر له فقدم للباشا تقدمة ثلاثة الاف غرش واخذ منه تقرير التحويل بموجب الاوامر . فوجه مصطفى كتخدا من قبله مصطفى الانكجري الى نابلس وتوجه هو الى مدينة صيداء . وفي هذه السنة تولى عمر باشا على طرابلس وعزل يوسف باشا ابن سيفا . وامر الوزير بسجن جماعة ابن سيفا الذين في اسلامبول لسبب المال الباقي عندهم واعطى سنجقية حماة لاحمد بك ابن شربدال . وسنجقية جبلة لجعفر افندي . وارسل اوامر للامير فخر الدين وللامير يونس الحرفوش ان يكونا

ساعدين لهما على ضبط املاك ابن سيفا · وقبل خروج عمر باشا من اسلامبول طلب من جماعة ابن سيفا بان يدبرا كفيلاً عنهما بالعشرة الاف غرش المطلوبة منهما وان يحضرا معه لايراد المبلغ · وحضر عمر باشا الى طرابلس وصحبته جماعة ابن سيفا · فلما علم يوسف باشا باخذ الوظيفة منه و بتدبير اخيه ارسل ابن اخيه الامير محمد ابن الامير علي الى اسلامبول وصحبته سليمان الاسكندري طالبًا تقرير حكم طرابلس عليه · ولما وصلوا الى مدينة ايقونية حصل للامير محمد مرض وتوفي هناك وضبط مامعه للخزينة العامرة · وارسل عمر باشا الاوامر للامير فخر الدين وللامير يونس طالبًا مساعدتهما اياه على ابن سيفا · فاجابا بالسمع والطاعة · وارسل الامير فخر الدين مع الرسوم مملوكه سرور اغا حاكم بلاد كسروان · فكتب عمر باشا مقاطعة بلاد جبيل والبترون وجبة بشرة وعكار الى الامير فخر الدين بشرط ان يؤدي عليها عشرة آلاف غرش سلفًا · فادى الامير العشرة الآف غرش المطلوبة و جمع رجال البلاد والسكمانية والامير محمدًا شهاب ورحل من بيروت الى مدينة طرابلس · ولما وصل لقرب المدينة خرج عمر باشا واعيان المدينة لملاقاته فدخل المدينة في ١١ جمادي الاول من السنة المذكورة · وثاني يوم خلع الباشا على الامير فروًا ثمينًا وشقة نفيسة · وخلع خلعًا اخرى على الامير محمد ابن الشهاب وعلى الامير بلك ابن يوسف باشا ابن سيفا الذي هو صهر الامير فخر الدين · ثم خرجوا الى بركة البداري ومكثوا هناك يومين · فوردت حينئذ اوامر شريفة بعزل عمر باشا عن طرابلس وتقريرها على يوسف باشا ابن سيفا · وسبب ذلك ان محمد باشا الوزير الشهير عزل عن الوزارة ورجع اليها حسين باشا · وحضرت اوامر شريفة بتقرير سنجقية عجلون على الامير حسين ابن الامير فخر الدين ابن معن · وكان عمر باشا اراد ان يراجع الباب العالي بطلب منصب طرابلس فما مكنه الامير فخر الدين من ذلك · وقال له لايمكن مخالفة الاوامر العلية · فالتزم عمر باشا ان يتوجه صحبة الامير فخر الدين الى مدينة بيروت واتى معه احمد بك مامور سنجق حمص وجعفر افندي مامور سنجق جبلة وجميع سكمانيتهم وكانت نحو اربعة الاف · فاقام عمر باشا نحو شهر في بيروت في ضيافة الامير فخر الدين · وتوجه منها الى الباب العالي وهو يشكر من الامير فخر الدين · وفي هذه السنة تقررت سنجقية نابلوس على محمد بك ابن فروخ وحضر بالاوامر الى الشام وطلب من مصطفى باشا ان يعطيه تحويلاً بذلك على موجب الاوامر · فقال له ان مصطفى كتخدا ابن معن اورد للخزينة ثمانية

الاف غرش • وللان لم يد خل ليده من البلاد شيء • فلما سمع ابن فروخ ذلك الكلام رجع الى اسلامبول في ١١ رجب من هذه السنة • وفيها توجه الامير سيف الدين ابن الامير ناصر الدين التنوخي الى نابلس حانقاً على الامير علي ابن معن لسبب حكم الغرب • فارسل الامير فخر الدين ارضاه ورجَّعه • وفي هذه السنة عزل والي حلب وتحارب ابن ابي زيد مع قبي قول حلب فكسره • وفيها ارسل يوسف باشا ابن سيفا يستعطف خاطر الامير فخر الدين طالباً منه ان يرد له ولده الامير بلك فقبل الامير سؤاله ورده مع جماعته وعياله الى ابيه مجبور الخاطر واعطاه حكم عكار وملحقاتها • وفي هذه السنة ارسل الامير مدلج الحياري معتمداً الى الامير فخر الدين يطلب منه سكمانية لكي يعينوه على التركمان • فوجه له سكمانية عمر باشا الذين خدموه وكانوا مقدار اربعمائة رجل • وكان قائدهم محمد بلوكباشي العنبقلي • ولما وصلوا الى الامير مدلج فرح بهم واكرمهم وتوجه بهم الى بلاد حلب فغنموا في سفرتهم غنائم كثيرة • وفيها ارسل يوسف باشا ابن سيفا وجمع السكمان من نواحي حلب فالتقاهم ابن اخيه الامير سليمان للطريق وقتل منهم نحو ستين شخصاً • ولما بلغ يوسف باشا ذلك ركب لمحاربة ابن اخيه الى بلاد جبلة فقام الامير سليمان الى الضنية وارسل الى الامير فخر الدين يطلب منه المساعدة • ففي الحال ارسل اليه جميع السكمان وجمع جميع اهالي البلاد • وكان يوسف باشاقد وصل الى صافيتا وحاصر جماعة الامير سليمان في البرج • ولما بلغه ان الامير فخر الدين ارسل السكمان ومراده ان يركب بنفسه ارسل معتمد الامير مدلج الحياري وكان نازلاً في سلميا وطلب منه ان يكون واسطة في الصلح بينه و بين ابن اخيه فحضر الامير مدلج الى صافيتا واصلح بينهما • ورجع ابن سيفا الى طرابلس وابن اخيه الى صافيتا • ورجعت السكمان الى الامير فخر الدين • وفي هذه السنة حضر الى عكا مركبان تجاريان فرنساويان ليوسقا قطناً من عكا ونواحيها • فوصل الى الميناء المذكور ثلاثة مراكب مغاربة وطلبوا من المراكب الافرنجية تقدمة فامتنعوا عن العطاء فصار حرب بينهما يومين باطلاق المدافع من الفريقين فدارت الدائرة على الافرنج ونزلوا من المراكب في القوارب الى البر • واخذت المغاربة المراكب من الافرنج واسروا عشرة اشخاص منهم • و بعد ذلك بساعة وصل مركب فرنساوي كان في ميناء صيداء وحضر لعكا ليوسق قطناً وكان فيه اربعون الف ريال فدخل الميناء ولم يعلم ان المغاربة فيها • لان مراكب المغاربة كانت ناشرة اعلاماً فرنساوية عليها •

فظنوها مراكب فرنساوية • ولما رأى رئيس التجار ذلك طار عقله من راسه لان اكثر الدراهم التي كانت في المركب تخصه فتوسل الى كيوان آغا شو باصي عكا ان يطلع الى موكب المغاربة و يعمل مصالحة بينهم • فطلع في القارب اليهم • واجتمع بقبطان المغاربة • فساله عن هذا المركب الآتي من صيداء فاجابه بان هذا المركب ارسل كل مامعه من المال الى البر لاجل مشترى قطن وهو آت ليوسقه وليس فيه شيء من المال فظن ذلك صحيحاً وتصالح معه بالكلام حتى قرب المركب الى الميناء • فاخبره بالاشارة ان المراكب مغاربة فبعد ما كان قد القى المراسي رفعها وتوجه لجهة نهر الناعمين قرب عكا ودخل الى قرب البر • فنزل كيوان آغا من عند المغاربة الى عكا وركب بفرسانه ورفاقه وتوجه الى فم الناعمين وصحبته الرئيس • وما عاد يمكن للمغاربة ان يلحقوه لان مراكبهم كبيرة ولا يمكنهم ان يدخلوا بها الى الموضع الذي دخل اليه المركب الفرنساوي فجهزوا ثلاثة قوارب وارسلوها الى جهة المركب • وكان كيوان آغا وصل الى قرب المركب وحافظ عليه بالبنادق والنشاب • واطلعوا جميع المال الذي فيه وحملوه على الجمال واتوا به الى الخان • وبعد ذلك ارادت المغاربة ان يحرقوا الثلاثة المراكب الفرنساوية او يغرقوها في البحر • فطلع اليهم كيوان اغا ثانية بعد ان اخذ منهم قولاً وجعل لهم اربعة الاف غرش تقدمة فقبضوها واطلقوا الذين كانوا مسكوهم من الافرنج واقلعوا من عكا • فلما بلغ الامير فخر الدين هذه الاخبار وكان متضايقاً جداً من جهة مال الارسالية توجه بنفسه الى عكا وتسلم من الافرنج ستة عشر الف غرش سلفة واتي بها الى بيروت • وكمل مال الارسالية وارسل ماعدا ذلك الى الوزير قرا حسين اربعة الاف غرش • والى الدفتر دار الكبير الف غرش • وارسل الفين غرش احتياطاً لبعض مصالح والى مصطفى آغا الحوالي الف غرش • واخرج الارسالية من مدينة بيروت نهار السبت في ١٨ شعبان من هذه السنة على طريق بعلبك وحمص • وارسل معها جلب حسين بلوك باشي وخمسين خيالاً اجتازوا بها بلاد حماة • وعادوا في ثاني شعبان في مركب صغير الى ميناء صيداء ومعه اوامر بتثبيت نابلس الى مصطفى كتخدا • وبعد شهرين وفى الامير فخر الدين وولده الامير علياً الستة عشر الف غرش من غلة حريره واملاكه ليفي الافرنج ما استدانه منهم • وكان قصدهما بذلك استجلاب التجار وعمار الميناء • ولم يفعلا كما فعل يوسف باشا ابن سيفا في طرابلس لانه في ٦ شعبان عزل محمد باشا الشهير عن ولاية القدس وتعين بدله محمود افندي الدفتردار • وقبل هذه الحادثة بمدة وجيزة جاء

الى ميناء طرابلس مركبان فرانساويان . وكان معهما ثمانون الف غرش لاجل مشتري بضائع . فارسل ابن سيفا وامسك ولدين صغيرين من المراكب وعلمهما ان يقولا ان المركبين مركبا قرصان . وانهما اخذا في طريقهما مركب تجار . وزعم ايضاً انه وجد في المركبين اسباباً لمداخلة المسلمين ولم يكن ذلك صحيحاً . وانما جعلها طريقة ووسيلة لاخذ المال فضبط جميع ما في المركبين من البضائع والاموال . وامسك جميع من فيهما من التجار والنوتية وقتلهم جميعاً . و بعد ذلك باع المركبين بثلاثة الاف غرش . ومن حين حدوث هذه الفعلة لم يدخل الى ميناء طرابلس من تجار الافرنج احد . وتوجه اناس من الافرنج الى الباب العالي للشكوى عليه بسبب ذلك . ولكن من كثرة اختلال الاحكام وعزل الوزراء لم يلتفت احد اليهم وراحت على من راح . وفي الشهر المذكور اتفق الامير بلك بتدبير كتخدا منصور البلوكباشي هو وابن عمه الامير سليمان على اخراج سكمانية يوسف باشا من عكار وان يكون حاكمها الامير بلك مستقلاً . فارسل الامير سليمان من جماعته بلوكباشية وسكمان بحجة انهم مغتاظون منه فلما وصلوا الى عكار استقبلهم الامير بلك وادخلهم الى الدار و بعد ان استقر به المكان اعطى الامير بلك سكمانية والده الاجازة ووجههم من عنده وصار يكاتب الامير فخر الدين وكذلك الامير سليمان قائلاً انما مافعلنا ذلك الا لاجلك واعتماداً عليك . وهذه الحادثة تحتمل الوجهين . اما ان تكون بتدبير يوسف باشا وقصد بذلك ان يكون ولده حاكماً على عكار وتظاهر ان ذلك كان بغير خاطره او ان ولده كان مائلاً الى الامير فخر الدين حتى لايعود يصير ضد عكار ثورة من قبل الامير فخر الدين او ان ذلك كما سبق بقصد الامير بلك والامير سليمان ليستقلا بالحكم . وفي اخر شهر شعبان جاء الحاج كيوان من قبل مصطفى باشا من الشام يطلب تأدية مال الحج الى خزينة دمشق من الامير فخر الدين . فادى له ذلك وصار اتفاق ان في هذه السنة يكون امير الحج اما احد اولاد الامير فخر الدين او مصطفى كتخدا الذي مع الحجاج بتوك . واعطى الباشا الاقرار بذلك حتى انه اخذ من الامير اموالاً كثيرة بحجة ذلك على طريق الاستجرار . وفي اخر هذا الشهر وقع بين مصطفى كتخدا والشيخ عاصي من مشايخ بلاد نابلس اختلاف . فاظهر الشيخ عاصي العداوة . وقوى قلبه بالامير احمد ابن طربيه . لانه كان صهره زوج اخته . وكان ابن طربيه ايضاً حاقداً على مصطفى كتخدا من جهة قرية قباطيه و بعض مزارع فارسل مصطفى كتخدا يعلم الامير فخر الدين بذلك و يستنجده بالرجال ليركب

لمحاربة الشيخ عاصي . فاجابه الامير ان هذا الوقت لايناسب للحرب كونه وقت موسم الغلال ووقت طلب مال الحج . فكل الشعب يحاز الى الشيخ عاصي ويحارب معه . فكرر مصطفى كتخدا على الامير وطلب الرجال والفرسان والابطال . فلما رأى الامير اقدام الكتخدا على ذلك كتب الى محمد آغا ابي شاهين ان ياخذ عشيرته من بلاد عجلون و يأتي الى نابلس . وكذلك كتب الى الشيخ احمد الكناني ان ياخذ عشيرته و يتوجه اليها وارسل ايضاً ثلاثة بلوكباشية من الطايفة السكمانية . فلما وصل محمد اغا والشيخ احمد بعشائرهما الى قرب مدينة نابلس من نهر فارع تركا العشائر وكان عددهم خمسماية فارس وطلما الى نابلس للاجتماع بمصطفى اغا كتخدا . فنزل على العشائر عسكر كان تجمع من قرى نابلس . وكانوا قد علموا بان قوادهم غائبون . فانكسر اهالي جبل عجلون . واما البلوكباشية الذين كانوا مع ابي شاهين من جماعة حسين الطويل فقاتلوا اشد قتال كل النهار الى ان دخل الليل وكانوا نحو اربعين فارساً . ولما رجع ابو شاهين والشيخ احمد الكناني من عند مصطفى كتخدا سمع اطلاق البنادق فاسرعا الى ان وصلا ونظرا الحرب قائمة على السكمانية فهجم السكمان على اهالي نابلس وكسروهم وقتلوا منهم اربعة وثلاثين قتيلاً وقتل من السكمان قبل وصول ابي شاهين خمسة اشخاص . ومن جملة القتلى فندقجي مصطفى بلوكباشي الذي ذكرنا عنه سابقاً انه طلع على سور طرابلس . و بعد ذلك ارسل الامير احمد ابن طربيه للمصالحة بين الشيخ عاصي ومصطفى آغا كتخدا . وكفل الامير احمد ان يكون الشيخ عاصي في يد مصطفى آغا . فعند ذلك وعدهم انه يقبله . ورجعت العشائر . وفي هذه السنة ارسل والي الشام الى الامير فخر الدين ان يرسل له مصطفى كتخداه حتى ينتخب اميراً للحج في هذه السنة . فارسل رسل الامير وراءه وحضر الى بيروت . وفي اثناء ذلك اخبر ان حسين باشا الوزير وجه محمد بك ابن فروخ اميراً للحج وقرر عليه سنجقية نابلس . واعطى الامير بشيراً ابن قانصوه سنجقية عجلون . واعطى البستاني سنجقية صفد . وارسلوا اكواخيهم ليخرجوا الاوامر من والي الشام بذلك . فاجابهم ان هذه الايالات جميعها تخص ابن معن ولا يمكن عزله عنها . وارسل الحاج كيوان الى الامير يخبره بذلك و يقول انه لا يمكن ان يعطيهم الامر بالحكم عليها . و يطلب من الامير فخر الدين ان يرسل تسديد مال الحج . وانه راجع الباب العالي في ذلك . فارسل الامير كمالة مال الحج تماماً . و بعد وصول المال اعطى مصطفى باشا الامر الى ابن فروخ والى البستاني على ان يحكموا بموجب الاوامر .

فلما بلغ الامير فخر الدين ذلك ارسل السكمانية والمتاولة الى مدينة صفد الى الطويل حسين . وارسل الى الامير مدلج ان يرسل السكمانية الذين كان ارسلهم له لانه كان بلغه ان الامير بشير نزل على الاميرمدلج السكمان الذين حضروا من عندالامير. وارسل سكمانيته صحبة كتخدا محمد العيتنابي ولما وصلوا الى البقاع نزلوا عندالامير حسين الحرفوش بحارة قب الياس . وارسلوا يعلمون الامير ويسألونه الى اين يتوجهون . فامرهم ان يمكثوا في قب الباس لينظر الى ما يأول اليه الامر . وفي هذه الايام حضر اعلام الى الامير من حسين الطويل ان الامير بشير ابن قانصوه حضر الى عجلون وتعصب معه بنو عبيد . وباغتوا ابا شاهين والذين معه وبقوا في حصارهم ثلاثة ايام . و بعد ذلك خرجوا بالامان بخيلهم وسلاحهم وجاؤا الى الشيخ احمد الكناني ومنه الى جسر الجامع . وضبط الامير بشير جميع المواشي والخيل . وفي هذه السنة اخبر الامير ان مركب قرصان مالطيا راسياً مقابل صور وكان في ذلك الوقت في ميناء بيروت مركب محمدبك ابن الوردي الذي كان سابقاً متسلماً ملاحة قبرس فاخبر الامير فخر الدين القبطان عن مركب القرصان وقال له اني ارسل معك مائة شاب . ومهما حصل من المكسب يكون لك ولنا مناصفة . فقبل ذلك وارسل الامير معه مائة شخص من السكمان ومن اهالي بيروت عدة شبان مقذفين ومحاربين . واقلعوا من مدينة بيروت فاصبحوا قرب راس صرفند فوجدوا المركب في المكان المذكور فطاردوه وكان الريح غربياً فانهزم امامهم الى قرب صيداء . فبنت اهالي صيداء نقائر وارسل معهم الامير علي من السكمان جملة شبان وبقي المركب منهزماً الى قرب قرية الاوزاعي . ولما يئس الافرنج من الفرج وجهوا المركب الى البر ورموا بانفسهم فصعدوا اليهم وامسكوهم وكانوا نحو ثلاثين رجلاً وجاءوا بهم الى بيروت فقسم الامير فخر الدين الاسرى وما كان معهم واعطى النصف الى القبطان محمد . و بعد يومين ورد خبر من صور ان مركباً ثانياً موجوداً في تلك الناحية فاخبر الامير القبطان وارسل معه اناساً فاقلع من بيروت ولما وصلوا الى صور وجدوا الذين في المركب يستقون ماء من نهر القاسمية فلما رأوا مركب محمد قبطان مقبلاً عليهم رفعوا المراسي وقصدوا الهرب في البحر فما قدروا على ذلك لسبب الريح فرجعوا الى البر وكان الامير يونس قد ركب برجاله من صور فقبض على جميع من خرج من المركب وكانوا خمسة وعشرين رجلاً فارسلوهم الى مركب محمد قبطان وعادوا الى بيروت فاخذ الامير المركبين المكتسبين فاغتاظ محمد بك قبطان وتوجه

لى طرا باس . وفي هذه السنة تسلم محمد بك ابن فروخ المحمل كامير حاج . واعطى
حسين ابن عمر الصرة الهمايونية كالعادة . وفيها حضر مكاتيب من كرد حمزة مامور
سنجق حمص يخبر بها الامير انه اتفق مع محمد باشا الشهير ابازا يوسف باشا الذي كان
بحلب سابقاً ومؤمن باشا الذي كان بصفد سابقاً واصلان بيك الذي كان مأموراً لسنجق عينتاب .
وجملة سناجق و بلوكباشية فصاروا عسكراً كبيراً نحو عشرين الف راجل فتملك نواحي حلب
وعصا على ابن جنبال فباقول واسبهانية وغيلان . وخرج في العساكر من اسلامبول في ١٠
شوال ووصل الى مدينة انكورية واقام فيها مدة شهرين . فتوجه ابازا باشا الى انكورية .
فلما علم محمود باشا بقدوم ابازا باشا اليه رحل عن انكوريا الى بورصة . وعين حسن
باشا البستاني الذي كان في صيداء في زمان الحافظ احمد محافظاً على مدينة ازمير .
فدخل ابازا محمد باشا بعسكره الى مدينة انكورية . وحاصر القبي قول الذين في قلعتها
وكانت قلعة حصينة . واتفق ان الامير يونس ابن الحرفوش ارسل مكتوباً الى الكرد
حمزة يعلمه بما توقع للامير فخر الدين وعن عزلته عن بلاد صفد ونابلوس وعجلون .
وعن ضبط ابن قانصوه للمواشي والجمال و يطلب من الكرد حمزة ان يشد همته و يغتنم
الفرصة . فلاجل التقادير اختلط هذا المكتوب بالمكاتيب التي ارسلها الكرد حمزة الى
الامير فخر الدين التي بها يخبره عن ابازا باشا . فلما وصل ذلك المكتوب للامير فخر الدين
تغير خاطره على ابن الحرفوش وفي الحال رتب واخذ ما وجد عنده من السكمان لان اكثر
سكمانه كانوا من بلاد صفد . ولما وصل الى قب الياس نزل الى النهر فعلم به الامير حسين
ابن الحرفوش ونزل اليه ودعاه الى داره فقبل دعوته وطلع معه الى القلعة بجميع
السكمانية . ولما استقر الامير فخر الدين بالقلعة اظهر صكوكاً واوامر سلطانية بمشتراه قلعة
قب الياس من تركة الامير منصور ابن عساف واعطاها للامير حسين الحرفوش . وقال له
على موجب هذه الحجج الدار هي ملكنا ونحن سكنا كم بها هذه المدة والان لزمتنا .
فتوجه انت الى والدك بالامان . فلما سمع الامير حسين الحرفوش ذلك الكلام تغيرت
احواله وما امكنه ان يرد جواباً . وودع الامير فخر الدين وتوجه الى والده الى بعلبك
وحقيقة كانت هذه الحجج صحيحة . انما وقع في الدار المذكور السماح من قديم الزمان
ولكن الامير قصد ان يغيظ ابن الحرفوش لاجل ما كتبه في حقه . وكان في ذلك
الوقت صحبة الامير الحاج كيوان لانه كان وقع بينه و بين اهالي الشام اختلاف ومنافرة
وكان قاسي الطبع عنيداً فاتى الى الامير فخر الدين . ولما وصل الامير حسين الى

بعلبك واخبر والده فرحل بعياله الى الزبداني وخربت بلاد بعلبك . ثم امر الامير فخر الدين بهدم دار قب الياس وارسل ابنته زوجة الامير حسين الحرفوش وولدها الى والدتها الى صيداء . وامر بالهجوم على غلال اهل بلاد ابن الحرفوش ونهبها فهجمت العساكر ونهبت البقاع . وارسل الامير وضبط جميع مواشيهم التي كانت في البقاع . وارسل واستدعى بنائين وشرعوا في هدم الدار . وفي ذلك الوقت حضر من الشام الباباشا و بلوكباشية لاجل ارضاء الحاج كيوان فتوجه صحبتهم الى الشام . وصارت مخابرة عظيمة بحضور الباشا واعيان البلد . الا انه صار مشاجرة بين حزب الحاج كيوان و بين حزب كرد حمزة . وكان حزب كرد حمزة اقوى ولم تحصل نتيجة للمصالحة بينهما . ورجع الحاج كيوان وصحبته الذين من حزبه ومصطفى بلوكباشي ابن علي الى الامير فخر الدين الى قب الياس . ثم انه حضر ايضاً الامير سليمان ابن اخي يوسف باشا ابن سيفا واجتمع بالامير فاكرمه وبقي ثلاثة ايام في ضيافته ثم رجع الى بلاده . وفي هذه الايام حضر ساع من اسلامبول بمكاتيب من الحاج درويش تخبر الامير انه تقرر سنجق عجلون على الامير حسين معن كما كان اولاً . وسنجق نابلس على مصطفى كاخيه . واما سنجق صفد فلم يات عنه جواب بعد وارسل له صور الاوامر . ولما وصلت هذه الاخبار ارسل الامير فخر الدين الى الامير علي ابن الشهاب ان يجمع رجال وادي التيم وارسل الى حسين الطويل ان يجمع الرجال السكمان او بني متوال و يوافوه الى جسر المجامع . فبالحال فعلوا كما امروا . ولما وصلوا الى جسر المجامع علم بهم الامير بشير ابن قانصوه فرحل بعياله من عجلون الى نابلس الى ابراهيم شيطان متسلم ابن فروخ . ولما بلغ الاميراحمد الشهابي والشيخ حسين الطويل رحيل الامير بشير دخلوا عجلون فقابلهم بعض اهالي القرى . ثم ان شيطان ابرهيم جمع اهالي بلاد نابلس وعربها واتى مع الامير بشير الى قرية فارا فركب الامير علي وحسين الطويل الى فارا وكان وصولهم بعد غروب الشمس فانهزم الامير بشير ومن معه الى نابلس و بات الامير علي والطويل حسين في فارا . وعند الصباح احرقوها مع قرية الخربة وقرية حلاوي . وكانت اكبر قرى عجلون . وكان مقصدهم الامير بشير فقط . ثم حضرت مكاتيب الى الامير علي الشهابي وطويل حسين ان يبقيا في عجلون ابا شاهين متسلماً . و يوافيا الامير الى جسر المجامع . وفي اخر شهر ذي القعدة ركب الامير فخر الدين من قب الياس بعدما ابقى الحاج كيوان هناك . وكتب الى الشيخ مظفر شيخ الجرد ان يحضر اليه رجاله . و بات

الامير في القرعون بجميع السكمان الذين معه · وعند الصباح انتقل الى مرج عيون · ثم الى قرية الملاحة ثم الى قرية المنيا · ثم الى جسر المجامع · واجتمع بالامير علي الطويل حسين · وحضر اليه حسين ابن عمر شيخ عرب المفاجرة والامير احمد ابن قانصوه والشيخ احمد الكناني بجمع عربهم · واما الامير يونس الحرفوش فانه حين بلغه توجه الامير فخر الدين ارسل الى كرد حمزة ان يوافيه الى الشام واجتمعوا بمصطفى باشا · وجعل له تقدمة على بلاد صفد ثلاثة الاف غرش زيادة عن المال المربوط عليها · فكتب الباشا له الاوامر باحالة سنجقيتها اليه عن يد كرد حمزة بلوكباشيه · وكان بعد خروج الحاج كيوان من الشام ابقى اهل الشام كل شي بيد كرد حمزة · وكتب للامير بشير قانصوه سنجق عجلون · وادى الامير يونس مال ملاقاة الحج عن جبل عجلون · فلما بلغ الامير فخر الدين ذلك كتب الى مصطفى باشا واغاوات الانكشارية في الشام هكذا "بلغنا ان ابن الحرفوش زاد على سنجق صفد الف ذهب وقبلتم ذلك منه واحلتموه اليه فنحن عندنا تقدمة الى مولانا السلطان على بلاد بعلبك ماية الف ذهب · وان كان ذلك لحزازة في الصدر وقصدكم حدوث الفتنة وما قبلتم المال يصل لديكم فالامر لله ثم اليكم فلما وصلت هذه المكاتيب الى مصطفى باشا لم يقدر ان يرد عليها جوابًا خوفًا من كرد حمزة · وبعد ان قضى ابن الحرفوش مصالحه في الشام رجع الى بعلبك · واما الامير فخر الدين فانه لما كان على جسر المجامع حضر مكتوب من الامير احمد ابن طربيه للشيخ احمد الكناني مضمونه الطلب منه بان يكون من حزب الامير بشير · فوقع المكتوب بيد الامير فتغير خاطره على ابن طربيه وارسل له امرًا بالنفي وان يقوم من تلك البلاد · وارسل الى نصوح شوباصي حيفا وكيوان اغا شوباصي عكا ان يلقوا القبض على جماعة ابن طربيه ويركبوا سكمانيتهم ويحرقوا قرى جبل الكرمل جميعها ففعلوا ذلك · ورحل الامير احمد ابن طربيه والامير بشير ابن قانصوه · ونزلوا على نهر العوجاء بقرب حدود غزة · ثم ان الامير ارسل مصطفى كتخدا وعشر بلوكباشية مع رجالهم الى مدينة نابلس · ورحل الامير بجميع السكمان الذين في بابه وكانوا نحو الفين وثمانمائة رجل ونزل الى جنين · واعطى الامير عليًا ابن الشهابي اذنًا في الرجوع الى بلاده · وكان مصطفى باشا وكرد حمزة قد خرجوا من الشام الى المزة · فارسل الامير مشاة السكمان الى صفد وركب مع الفرسان من جنين وباغت الامير احمد والامير بشير قرب نهر العوجاء · فانهزم الامير احمد والامير بشير وكسب جماعة الامير فخر الدين

بيوتهم ومواشيهم · ولما اصبح الصباح اجتمع عرب الامير احمد وعرب الامير بشير وتبعوا جماعة الامير فرجع اليهم حسين ابن عمه ومعه نحو عشرين فارساً من عربه فكسروهم حتى اوصلوهم قرب اعلام السكمان فلما نظر هؤلاء الكسرة على عرب الشيخ حسين وخيل ابن طربيه تطاردهم الووا اعلامهم وانكسروا ايضاً · وكانت تلك الاراضي ذات حفر فكبا جملة فرسان وقتل نحو اربعين قتيلاً · رجع الامير فخر الدين بثلاثين فارساً اليهم وصدم القوم حتى توقفوا عن اتباع العسكر · ولم يزل سائراً الى ان دخل الليل · واستخلصت عرب ابن طربيه جميع المكسب والمواشي التي اخذت منهم قبلاً وظلوا تابعين الامير وعسكره الى خان جلجالية فنزل الامير فخر الدين عن فرسه والذين تبقوا معه اطلقوا عليهم عدّة طلقات حتى رجعت العرب عنهم وبقي الامير وعسكره سائرين تلك الليلة الى ان وصلوا الى عرارة عند الصباح فالتقاهم اهالي قرى نابلس وصار بينهم اطلاق بنادق وقتل بعض اناس · ولم يزل العسكر راجعاً الى ان وصلوا الى جنين · حيث بقوا يومين الى ان استراح العسكر · وكان قصده العودة للحرب فاتاه اخبار ان الامير عمر ابن سيفا متولي سنجق حمص اجتمع بالامير يونس الحرفوش · وحضر معه جميع السكمان الذين عند والده وان الامير مصطفى اليزيدي حاكم الدراكيش اتى برجاله الى طرابلس · ومعه الامير حسين الفياضي وعربه فاقتضى رأي الامير العودة الى البلاد · وارسل امراً الى مصطفى كتخدا ان يحضر بجميع السكمان الذين عنده في نابلس والسكمان الذين في عجلون · ورحل من جنين الى خان عيون التجار · وارسل مع السكمان الذين في جسر المجامع واحرق باب البرج وبات الامير ومن معه في المنية · وارسل الى السكمان الذين في صفد ان يلاقوه الى الملاحة · وفي ذلك الوقت جاء الامير علي ابن طربيه ابن اخي الامير بشير بجميع عربه واغار على ساحل عكا وغنم مواشي كثيرة وعاد الى بلاده فطلع اليهم شو باصي حيفا مع السكمان الذين عنده واراد ان ياخذ منهم المواشي فاغاروا عليهم بالخيل وقتلوا نصوح آغا وثلاثة من جماعته وهرب الباقون الى البرج · ونزلوا في مركب وجاؤا الى عكا · وظل عرب ابن طربيه يشنون الغارة علي ساحل عكا وينهبون ماتصل اليه ايديهم · واما الامير فخر الدين فحضر له مكاتيب من ولده الامير علي بعد رجوعه الى الملاحة · و بصحبتها ايضاً مكاتيب من الحاج درويش كتخدا في الباب العالي ومعها اوامر له بتقرير سنجقية صفد ونابلس وعجلون عليه · وكان السبب ان حسين باشا الوزير زاد الظلم والبلص فقامت عليه القبي قول والقضاة وطلبوا

عزله فلم يطاوعهم السلطان مصطفى على ذلك ٠ وانحازت اليه الانكشارية ٠ فوقعت الخصومة بين الوجاقات ٠ وارسل حسين باشا يرشي القضاة ومفتي افندي وقضاة العسكر ٠ وارسل اغا الانكشارية ليدبر اموره ٠ فقامت الوجاقات ورجموه وارسلوا الى السلطان قائلين ان لم تعزل حسين باشا نهجم على السرايا ونقتله ٠ فلما تحقق الوزير ان ليس له امل باحد نزل ليلاً في البحر وهرب ٠ وعند الصباح تولى علي باشا الوزارة ٠ وهو رئيس السقاة ٠ وضبط السلطان دار حسين باشا الوزير وجميع املاكه وكان ذلك في شهر شعبان

الفصل الحادي عشر

في سلطنة السلطان مراد الرابع ابن السلطان محمد الثالث وهو السابع عشر من ملوك آل عثمان

وفي هذه السنة نزل السلطان مصطفى عن تخت السلطنة وتولاها ابن اخيه السلطان مراد ابن السلطان احمد ٠ وكان ذلك بتدبير علي باشا الوزير ٠ وعند ذلك قدم الحاج درويش الى الوزير بخمسة الاف غرش واخرج اوامر بسنجقية صفد ونابلس وعجلون الى بيت معن وارسل الكتابات على طريق البحر ليد الامير علي ابن معن ٠ ولما وصلت له ارسلها الى والده ٠ فوصلته وهو في الملاحة كما ذكرنا فصعد بمن معه الى مدينة صفد وقرأ الاوامر على اهالي البلد فاجابوا بالسمع والطاعة ٠ ثم انه كتب مكاتيب الى مصطفى باشا والي الشام وارسل له صورة الاوامر وكتابات علي باشا الوزير وطلب منه باخراج التحويل لهم حسب منطوق الاوامر ٠ فلم يصدق الباشا ذلك وظن انها تزوير ٠ ولم يلتفت احد من مأموري الدولة بالشام اليها ٠ فلما رجعت الرسل بغير جواب واعلموا الامير علياً بما توقع لهم ركب بالحال بمن معه من صفد ٠ وارسل الى ولده الامير علي ان يجمع رجال البلاد ويوافيه الى قب الياس ٠ ولما وصلت الاوامر الى بيروت ركب الامير علي وارسل يستنجد البلاد فالتقوا في قب الياس ٠ وحضر عمه الامير يونس وصحبته نحو الف رجل ٠ ووصل الامير فخر الدين والامير علي الشهابي الى القرعون ٠ وفي ذلك الوقت كان الامير يونس الحرفوش وابنه الامير حسين وجميع اقاربهم في بعلبك ٠ وعندهم الامير عمر ابن سيفا وجميع سكانه وعربه ٠ فلما بلغهم اجتماع بيت معن وعساكرهم في قب الياس توجهوا بعسكرهم الى مصطفى باشا والي الشام ٠ ونزلوا على جسر دير زينون ٠ وبعد

ماطعموا خيلهم ركبوا وعند الصباح كانوا في الديماس . واتقوا بعسكر الشام . واما الامير علي فركب من القرعون الى قب الياس . ولما وصل بمن معه لم يرد النزول الا لكي مدبر امر العليق وظل سائراً الى الكرك بجميع الخيل وكان في الكرك نحو مائة رجل من سكمان ابن الحرفوش فلما هجمت الخيل دخل هولاء الى مزار سيدي نوح وصاروا يطلقون البنادق على العسكر . فلما رأى الامير ذلك امر ان يكسروا الباب بالفؤوس فقتل من جماعة بيت معن خمسة اشخاص وتسلموا المزار . وقتل من الذين كانوا فيه نحو اربعين قتيلاً . وعند ذلك ارسل الامير الى ولده الامير علي ان يحضر في باقي عسكر الفرسان . وان المشاة تبقى مع اخيه الامير يونس في الخيام . وحضر الجميع الى مدينة الكرك وعند الصباح احرق العسكر جميع مافيها حتى لم يبق بيت . ثم توجهوا الى قرية سرعين التي كانت قديماً مسكن بيت الحرفوش فوجدوا اهلها راحلين الى الزبداني فاخذوا منها العليق . ثم حرقوها ورجعوا الى الشرقي فاحرقوا جميع قرى بلاد بعلبك واما اهل بعلبك فلما علموا بما جرى تحصنوا في القلعة . ورجع الامير الى قب الياس . وفي هذه السنة كما سبق خلع رجال الدولة السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد عن تخت الملك وكانت مدة حكمه هذه المرة سنة واربعة اشهر

ثم اجلسوا مكانه السلطان مراد الرابع ابن السلطان احمد وكان السبب ان الوزير ظلم الرعايا والتجار والاعيان . وشكى له بعض القضاة عن خصم كان له فغضب عليه وجلده مائة جلدة ومن جرى ذلك هاجت القضاة والاعيان والعلماء على الوزير واجتمع نحو عشرة الاف الى جامع السلطان محمد فبالحال سار الوزير الى بيت اغا الانكشارية وهو علي آغا الشهير وادى له جانباً من المال . ومثله الى مفتي افندي والى قاضي العسكر فمالوا اليه وعينوا عسكراً وارسلوه الى جامع السلطان محمد يأمرون اولئك القضاة والعلماء ان يرجع كل منهم الى مكانه . فلم تقبل اولئك الجماهير ذلك ووقع الحرب بينهم فقتل من العلماء والقضاة ماينوف عن المائة وتفرق الباقون . واجتمع الوجاقات من اصبهانية واغلان وغيرها وطلبوا الوزير . فلما حقق القبى قول تلك الفتنة طردوا الوزير فهرب في البحر ليلاً واقيم مقامه علي باشا

وفي السنة ١٠٣٣ هـ = ١٦٢٣ م حضر مكتوب من المقدم يوسف ابن الشاعر الذي عينه الامير وكيلاً على بلاد البترون يذكر فيه ان مصطفى بك اليزيدي جاء بسكمانيته الى طرابلس وانه متوجه على طريق المسقية الى والي الشام . فركب الامير

فخر الدين بالحال من قب الياس واخذ معه اهالي المتن والشوف والجرد والغرب وتوجه بهم الى قرية عيناتا من بلاد بعلبك وامرفامسك عليهم طريق المسقية ٠ فحضرت له اخبار من اهالي بشرة ان مصطفى بك المذكور توجه من طرابلس على طريق حمص للشام ٠ فلما تحقق الامير ذلك رجع الى قب الياس و بقي يومين ٠ فوصله علم ان عسكر الشام نقل الى خان ميسلون ٠ فارسل الامير الى الامير محمد ابن الامير علي الشهابي ان يجمع بقية اهالي وادي التيم ويحضر الى قرية حلوا من اطراف بلاد البقاع ٠ ولما وصلوا اعلموا الامير فخر الدين ٠ وجمع ايضاً الامير احمد رجال وادي التيم العليا وحضر الى ابن اخيه الامير محمد الى قرية حلوا٠ وقصد بذلك اصلاح حاله مع الامير فخر الدين ٠ ثم انتقل الباشا في العسكر الى سهل الجديدة (على طريق الشام) فارسل الامراء الشهابيون يعلمون الامير بقرب عسكر الشام منهم ٠ وانه ليس لهم مقدرة على الوقوف امامه ٠ فارسل اليهم ان يحضروا الى ينبوع عنجر ٠ وانه يلاقيهم بعسكره من قب الياس ٠ فنقلوا من حلوا الى عنجر ٠ ولما وصلوا الى البرج الخرب على التل المقابل ينبوع عنجر جاءتهم من وادي المجدل طليعة عسكر الشام وكان كالبحر الزاخر لكثرة عدده لانه كان ينوف عن اثني عشر الفاً ٠ فعند ذلك مسك رجال بني شهاب التل والبرج وارسلوا يعلمون الامير فخر الدين بوصول العسكر ففي الحال ركب الامير من قب الياس وقسم العسكر اربعة اقسام ٠ فجعل الطائفة السكمانية الجديدة والذين كانوا عند الامير مدلج ورجال الغرب والمتن والجرد قسماً معه ٠ والسكمانية القدماء واهل كسروان قسماً مع اخيه الامير يونس واهل الشوف مع ولده الامير علي و بني متوال مع مصطفى كتخدا قسماً وساروا من قب الياس مقابل بعضهم البعض وكان عدد الجميع اربعة آلاف ٠ ولما وصل عسكر الشام الى ينبوع عنجر انتشب القتال بينهم و بين رجال بني شهاب فهجم عليهم عسكر الشام هجمة واحدة فاخرجوهم من قرية المجدل (مجدل عنجر) ٠ وملك سكمانية ابن سيفا وسكمانية ابن الحرفوش البلدة ٠ وحاصر رجال بيت شهاب في البرج ٠ وظل دخان البارود صاعداً الى السماء ٠ وقد سد الفضاء ٠ وسمع الامير فخر الدين فرقعة البارود فغار في عساكره الى ان وصل ٠ ولما علم رجال بيت شهاب بقدوم الامير هجموا على الذين في القرية واجتمعوا مع فرسانهم واصطف العسكر قبالة ينبوع عنجر بزمورهم وطبولهم ونشروا الاعلام و بقيت الساقة والذخيرة وراءهم ووقفوا لانتصار عسكر ابن معن فجاءت مشاة الامير فخر الدين من جانب الشمال عند الثغرة التي تنفذ على ينبوع عنجر ٠ واتى عسكر الامير علي من

ناحية برج الجدل • وعسكر الامير يونس من الناحية الجنوبية تحت قرية الجدل • ولما ظهرت العساكر المذكورة خرج من عسكر الشام نحو الف فارس واغاروا على العسكر فثبتت قدامهم عساكر ابن معن وكانت هجمتهم نحو عسكر الامير علي فثبت رجال البلاد • ولما رأى الامير ميل الفرسان نحو عسكر ولده اغار في فرسان السكمان على مقدمة عساكر الباشا • واجتهد مصطفى كتخدا ان ينجد الامير علياً بمن معه • الا انه لما ضرب الامير فخر الدين مقدمة الجيش ولت من امامه والووا السنجق الذي فوق راس الباشا ونادت عساكر ابن معن في النصر • فلما رأت الفرسان ان مقدمة جيش الباشا وابن سيفا وابن الحرفوش انكسرت من وراء ردوا رؤوس خيولهم ورجعوا وكانت لهم كسرة عظيمة لم يحدث نظيرها • والتهت عساكر ابن معن في الغنيمة والمكسب ونهب الخيم • ولولا ذلك اراح من عسكر الشام قتلى لاتحصى • واما مصطفى باشا فلم يمكنه الفرار واحاطت به خيل السكمانية من كل جانب وامسكوه بايديهم واتوا به الى امام الامير فخر الدين والامير علي فلما رأوه نزلوا عن خيولهم وقبلوا ذيل ثيابه • وقدم له الامير فخر الدين فرسه واركبه عليها • وامر محمد بلوكباشي ان يتوجه معه الى قب الياس ولم يبق معه من عسكره سوى مملوكين امسكهما السكمان • فامر الامير برد سلاحهم وخيلهم والذين امسكوا من العسكر ووصلوا سالمين امر الامير باطلاقهم واما الامير يونس الحرفوش والامير عمر ابن سيفا ورجالها وكرد حمزة و بلوكباشيته فلم يبيتوا الا في مدينة بعلبك • وعند الصباح توجه الامير يونس الى حصن اللبوة وابقى عياله في القلعة واما الامير عمر وكرد حمزة فتوجها الى حمص • وبعد ثلاثة ايام ارسل الامير يونس عياله الى قلعة حصن راويد وتوجه هو الى حماة • واما الامير فخر الدين فانه بعد النصرة نزل بعسكره على ينبوع عنجر الى بعد العصر حتى حملوا الغنائم والاحمال وكان عدد القتلى الذين فقدوا من عسكر الشام نيف ومائتين قتيل • ومن جملتهم مصطفى اغا رئيس الانكشارية وكان من مبغضي الامير فخر الدين • واجتمع الامير فخر الدين بالامير احمد الشهابي وشكره على مافعل وصفا قلب الواحد على الآخر • ووعده الامير ان يكون مساعداً له كل الاوقات • و بعد العصر صلي الامير علي على ينبوع عنجر وركب قاصداً قرية قب الياس • وحين وصل دخل على مصطفى باشا • وحياه تحية الاعتبار و بقي واقفاً الى ان امر له الباشا بالجلوس ثلاث مرات واعتذر الى الباشا انه ما فعل ذلك بارادته ولكنه التزم ان يحامي عن نفسه • والباشا اعتذر له ان هذا الحرب لم يكن بخاطره وان الكرد حمزة هو الذي سبب

ذلك مع ابن الحرفوش . وفي اليوم الثاني اجتهد الامير ان يردسبايا الباشاوسبايا تابعيه فاستخلص الذي وجده ودفع من جيبه الحلوان لكل من استخلص من يده . وفي ذلك النهار حضر الامير سليمان ابن سيفا بجميع اهل صافيتا وسكانه فالتقاه بيت معن بالاكرام . وتحسر كثيراً لكونه لم يحضر الموقعة وهنأ الامير بالنصر على اعدائه . ثم ان الامير استأذن الباشا في ضبط جميع اراضي كرد حمزة في بلاد بعلبك فاذن له . وعين له الامير من يعتمد عليه . وضبط جميع اراضي كرد حمزة ومواشيه واغلاله . ثم ان الامير فخر الدين امر ولده الامير علياً ان يرجع الى بيروت . واخاه الامير يونس ان يرجع الى دير القمر . وصرف اهالي البلاد كلاً الى وطنه . ورجعت بنو شهاب الى وادي التيم . ولم يبق عنده غير السكمانية نحو ثلاثة الاف . وبعد ذلك طلب الامير من الباشا التوجه الى بلاد بعلبك لينظم احوالها . وركب الباشا والامير والحاج كيوان ونزلوا في قرية تبنين . ومنها رحلوا الى مدينة بعلبك فرأوها خراباً . ولم يكن فيها غير السكمانية نحو مائتي شخص في القلعة . فنزل مصطفى باشا والحاج كيوان في دار الامير شلهوب الحرفوش ونزل الامير فخر الدين في دار الامير يونس والامير سليمان ابن سيفا في دار الامير حسين . واما الامير يونس الحرفوش فلما بلغه ان الامير فخر الدين دخل بعلبك توجه هو وكرد حمزة الى حلب ونزلوا على وجاق الاسبهانية . وقابلوا مراد باشا الوزير . وكان الامير شلهوب الحرفوش رجع من حمص وقابل مصطفى باشا والامير فخر الدين فطيبوا خاطره وتصرف في املاكه . والامير حسين بقي في حمص عند الامير عمر ابن سيفا . وبعده عند وصول مصطفى باشا الى بعلبك كتب الى متسلمه في الشام واعيان البلد ان يلقوا القبض على الانكشارية الذين بيد كرد حمزة . فنهضت اهالي الشام وامسكت منهم كرد باكير اخا كرد حمزة وخمس بلوكباشية وخنقوهم وانهزم منهم جماعة الى حمص وحماة . وحضر من الشام ابرهيم باشا المعزول و يوسف كتخدا وجماعة من اعيان الشام الى بعلبك لافتقاد الباشا ونزلوا على راس العين واجتمعوا بمصطفى باشا والامير فخر الدين وبقوا عدة ايام وطاب لهم المكان واحب مصطفى باشا الامير فخر الدين لحشمته وتواضعه . وقدم الاكرام للاغاوات والمفتين الذين حضروا من الشام . واتفق رأي الجميع ان يكون الحاج كيوان آغا الانكشارية في الشام . وان يكون طابقي حسن آغا كتخدا . وخلع مصطفى باشا على الحاج كيوان وعلى حسن آغا فتقرر عليهما المنصب . وبعد ثلاثة ايام حدث نفار بين الحاج كيوان وسلحدار مصطفى باشا . فضرب الحاج كيوان

السلحدار · فلم يهن ذلك على مصطفى باشا واظهر الكدر · فاغتاظ الحاج كيوان وحمل اثقاله وطلب الخروج من بعلبك · ولما وصل الى البوابة منعه السكمان لان الامير كان سدّ جميع البوابات وما ابقى غير البوابة التي تفتح لناحية راس العين واوقف عليها حراساً من السكمان بحيث لا يدخل ولا يخرج احد الا بامره · فلما علم الامير بامر الحاج كيوان وانه مغتاظ وان السكمان منعوه عن الخروج ركب الامير وتوجه لمقابلته ليراضيه · ولما قابله كلّ الامير من الكلام لارضاءه فلم يقبل بل تكلّم ضد الباشا والامير لم يطق سماع ذلك · ومن جملة كلامه انه يطلب التوجه الى اسلامبول ليشكو امره هناك · فتحصل النتيجة عليهم ام عليه · وعند ذلك حنق الامير عليه ونزل عن فرسه وتقدم اليه وجذبه عن حصانه فالقاه الى الارض وضربه بيده فصرعه واجهزت السكمان عليه · ورجع الامير الى مصطفى باشا واعلمه بما حدث · فقال الباشا هو كان مستحق القتل قبل الان ولعل الله يفعل بكرد حمزة مثلما فعل به لتستريح الشام من شرهما · واما اعيان الشام فلما بلغهم ما توقع مع الحاج كيوان صار عندهم خوف · فارسل الامير مصطفى كتخدا افهمهم عن السبب وطيب خواطرهم · وبعد ذلك عزم الباشا على الرجوع الى الشام واعطى الامير فخر الدين قطيعة غزة وملحقاتها · واعطاه اوامر ايضاً بتقرير سنجقية صفد الى ولده الامير علي · وتقرير سنجقية عجلون الى ولده الامير حسين وسنجقية نابلس الى مصطفى كتخدا · فقدم الامير للباشا ثلاثة آلاف ذهب واثني عشر جواداً بعددها · وخلع الامير على اعيان الشام واعطاهم خمسة آلاف غرش هبةً · وركب مصطفى باشا وتوجه بعز عظيم وكان ذلك في سنة ١٠٣٣ فتوجه الامير معه لوداعه وشيعه نحو ساعة وعاد الى بعلبك · فخلع عليه الباشا ثانية ونزل الامير ولبس الخلعة وقبل ذيل ثياب الوزير · وثاني يوم وصل الامير بلك ابن سيفا المتزوج بكريمة الامير الى بعلبك فالتقاه الامير احسن ملتقى واكرمه وخلع عليه الخلعة التي لبسها من الباشا · واما مصطفى باشا فبات تلك الليلة في قرية سرغايا وذهب منها الى قرية السوق · ثم دخل الشام بعزّ واكرام · وبعد وصوله هدم دار كرد حمزة وضبط جميع املاكه وبلص اعيان الشام ولم يترك احداً الا اخذ منه مالاً حتى من حسن باشا الدفتردار وظلم اهل الشام · وكان قبلاً لا يقدر على احد فصار الآن يقتل اكبر من يكون بعد قتل الحاج كيوان وذهاب كرد حمزة · وبعد ذهاب مصطفى باشا من بعلبك ارسل الامير فخر الدين الى جبة عسال ضبط معزى ابن الحرفوش

وكانت نحو عشرة آلاف راس فارسل منها الفين الى مصطفى باشا · وفي تلك الايام حضر الى الامير جنبلاط كاخية الامير مدلج الحياري لان الامير حسين ابن عم الامير مدلج كان قد رحل الى مصطفى بك اليزيدي حاكم الدراكيش وتبعه جانب من عرب الامير مدلج لانه كان سابقاً الحكم لوالده · فزوج مصطفى بك باخته · وجاء الامير حسين وباغت الامير مدلج في بيته فما قدر عليه · ثم دامت عربه تغير على عرب الامير مدلج وانحازت اليه اكثر العرب · فارسل الامير مدلج يستنجد بالامير فخر الدين · وفي الحال ركب الامير من بعلبك بمن كان معه وارسل الى ولده الامير علي ان يحضر الى بعلبك في السكمان الذين عنده في بيروت وابقى مصطفى كتخدا لمنع طلوع سكمانية ابن الحرفوش المحاصرين في القلعة · وتوجه معه الامير مع جميع خرسان السكمان نحو خمسمائة ومشاة مثلها · وتوجه معه الامير سليمان والامير بلك اولاد سيفا · والامير شلهوب الحرفوش في اواخر شهر صفر · ولما وصلوا الى الراس من اعمال اللبوة رحل من هناك الى المدورة · ثم الى قرية مهين · فوجد عرباً هناك اخذ منهم نحو مائة جمل وباغت تركمان السودية فاخذ منهم خمسة الاف راس غنم وبات في القنيطرة · ورجع الغنائم مع المشاة الى بعلبك · واستمر الامير متوجهاً الى ان وصل الى الامير مدلج فالتقاه المذكور في الفرسان المجتمعة عنده وهم لابسون دروعاً وسلم على الامير مدلج · فاخلى الامير مدلج جانباً من البيوت وانزل الامير فيها · وثاني يوم عمل ضيافة عظيمة · ودعا الامير الى بيوته · وبعد اكل الطعام عزم الامير علي العودة الى خيامه فقدم له فرساً شهباء تسمى السعدا لم يكن يوجد نظيرها · وثاني يوم رحلوا الى مابين حمص وحماة المكان الذي كان الامير مدلج نازلاً فيه فباتوا هناك تلك الليلة · وعند الصباح اخبروا ان الامير حسين توجه لنواحي حلب · فقال الامير مدلج للامير فخر الدين انه لم يبق لزوم لمطاردته وكانت ايام الشتاء · ثم ان الامير فخر الدين ودع الامير مدلجاً ورجع وابقى الامير سليمان ابن سيفا · واما الامير بلك فاخبر ان اخاه الامير حسيناً توفي فتوجه الى طرابلس · وبات الامير تلك الليلة في مهين · ثم انتقل الى صدد من اعمال تدمر · ثم الى الزرعية · ومنها الى قاع بعلبك · ثم الى اللبوة · ودخل بعلبك نهار الاربعاء · وبعد وصوله ارسل مكاتيب الى يوسف باشا ابن سيفا يعزيه من جهة توفي ولده الامير حسين زوج ابنته · ثم يستأذنه برجوع البنت الى امها · وارسل هذه المكاتيب الى محمد آغا العينتابي · فلما وصل الى طرابلس · واخذ

بخاطر الباشا . ثم كلمه في رجوع كريمة الامير فكان جوابه ان ولدي ليس له زمان توفي . واخذ الزوجة الان يكون كسر خاطر لها ولنا . وانما مرادنا من لطف الامير ان يتمهل علينا لبعد مدة . وان صار منه لطف وسمح ان تبقى البنت عندنا فنزوجها باحد اخوته فذلك غاية المراد . وان كان يقول ان اخذها لازم . وهو بذلك جازم . وعليه عازم وحازم فتعود تحضر بعد مدة وتاخذها . ورجع محمد اغا بهذا الجواب بعد ان عمل معه كل اكرام . ولما وصل وعرض ذلك للامير قبل طلبه . وفي هذه السنة حضر مراد باشا الى حلب و باغت احمد بك المتسلم بعينتاب وقتله وقتل من البلد نحو مائتي قتيل فصار لمراد باشا اسم عظيم . واما ما كان من الامير فخر الدين فانه بعد رجوعه الى بعلبك امر السكمان ان تحيط بالقلعة و بان يشددوا عليها الحصار . وفرق عليهم هبةً لكل واحد خمسة غروش ولكنه لما وجد منهم اهمالاً في امر الحصار خرج بنفسه ونصب خيامه على الخندق فراءت البلوكباشية ان الامير تغير خاطره عليهم وحينئذ شرعوا في بناء المتاريس وعملوا خنادق وشددوا الحصار الى ان صاروا تحت حائط القلعة . فامر البنائين بان يفتحوا لغومة فلم يقدروا لان بناء تلك القلعة من عجائب الدنيا . وكان الامير لا يفارق المتاريس ليلاً ولا نهاراً . ووضعوا اخشاباً من الحور على حائط القلعة بحيث اذا رموا الحجارة لا يصيبون البنائيين . و بقي الحصار مدة طويلة . وفي تلك الايام وصل الى حماة محمد باشا وصحبته كرد حمزة آغا . وكان قد توجه الى الباب العالي . ولما حضر محمد باشا الى الشام حضر بصحبتــه . ولما وصل الى حماة ارسل الى الشام وعزل مصطفى باشا وارسل الى الامير فخر الدين ان يمتنع عن مساعدة مصطفى باشا فكان جوابه له انتم باشاوات ووكلاء السلطان فما لنا مدخل بينكم . واي من تولى نقدم له الطاعة والخدمة المتوجبة علينا . وكانت اهالي الشام والانكشارية قد اتفقوا مع مصطفى باشا و براي واحد و يدٍ واحدة منعوا محمد باشا عن الدخول . وارسلوا له قائلين ان كرد حمزة اصل الفتن ومتى رجع للشام ترجع الفتن معه فلذلك لا يسمحون بدخوله . فبقي محمد باشا في القطيفة . فعين مصطفى باشا طر بقي حسن آغا الذي صار رئيس الانكشارية ووجه معه عسكراً وخرجوا قاصدين القطيفة . فلما بلغ محمد باشا ذلك رجع الى حماة . وارسل عرض للباب العالي . وكذلك مصطفى باشا ارسل عرضحالات من اهل الشام الاعيان والمفتين بان محمد باشا صحبته كرد حمزة وانه يخرب الشام ويعطل الحج الى بيت الله الحرام من كثرة الفتن وارسل العرضحالات مع كتخدا سليمان اغا الى الامير فخر

الدين الى بعلبك فارسل معه فرسانًا اوصلوه الى الامير مدلج . والامير مدلج واصله لقرب حلب . وظل الامير محاصرًا قلعة بعلبك ليلاً ونهارًا . وارسل مصطفى باشا يطلب مصطفى كتخدا فتوجه اليه . واستمر السكمان الذين في بعلبك يذهبون الى الشام لاجل قضاء اشغالهم . ولطول المدة حدث منهم اثقال على الرعايا ولقصد الاحتماء تعين جملة اناس في وجاقهم فارسل منهم خمسة بلوكباشية برجالهم الى بلاد صفد . ولما وصلوا الى جسر يعقوب صار منهم اذية على الرعايا فلحقهم اهل تلك البلاد وكسروهم . واخذوا خيلهم وسلاحهم فرجعوا الى الشام . وفي تلك الايام ارسل مصطفى باشا طر بقي حسينًا ومعه خمسمائة فارس ليباغتوا عرب الجبل ففعل هولاء كما فعل اولاد قيس في السكمان كسروهم وقتلوا منهم ثمانية اشخاص . وعاد العسكر الى الشام مكسورًا . وفي ذلك الشهر حضر كتاب من الامير مدلج الى الامير فخر الدين يخبره ان مراد باشا امسك ابن عمه الامير حسينًا الحياري وقتله . وسبب ذلك ان الامير مدلج لما رحل ابن عمه الى بلاد حلب من امام الامير فخر الدين ارسل الى مراد باشا يطلب منه قتل ابن عمه الامير حسين ابن فياض وانه يودي له الفي غرش على ذلك . فارسل مراد باشا الامان الامير حسين وطلبه ليحضر اليه ليعطيه سنجقية سلميا . وحلف له ايمانات معظمة . ولما حضر قتله وارسل يطلب الالفين من الامير مدلج فارسلها له . ثم ارسل كتخدا في عسكر ليهاجم بغتة عسكر الامير حسين . فلما وصل العسكر الى العرب واخذوا مواشيهم انثنوا عليه وكسروه وخلصوا المواشي منه واستمروا يطاردونهم الى قرب حلب . ثم رجعوا ونقلوا بيوتهم ورحلوا . ورحل فارس الليفي واقرباؤه الى ناصر الدين المهنا الى العراق و باقي العرب رجعت الى الامير مدلج . وفي تلك الايام حضر الى الامير فخر الدين الامير قاسم ابن الامير علي الشهابي . وتكلم معه طالبًا ان يكاتب مصطفى باشا ليعطيه مقاطعة الزبداني . فكتب الامير فخر الدين الى الباشا فلم يقبل ذلك لانه كان متكدر الخاطر على بيت شهاب لسبب اذيتهم لقرى الشام . فما قبل الامير قاسم . والح على الامير في المراجعة . ولكثرة الالحاح سمح الباشا اكرامًا للامير فخر الدين . وارسل خلع التسليم فادى الامير قاسم الف غرش للباشا وتصرف في بلاد الزبداني . وفي ذلك الوقت حضر الى الامير فخر الدين مصلي اغا وطاط موسى اغا من قبل الامير عمر ابن يوسف باشا متولي سنجق حمص بمكاتيب وتقادم خيل لكي يترجوا في ان تكون كريمة الامير فخر الدين ارملة الامير حسين الى اخيه الامير عمر وانه يقدم خمسة الاف

غرش . فقبل الامير رسالتهم وسمح بذلك ورجعوا مجبوري الخاطر . وصار اتفاق
بين الامير فخر الدين والامير عمر وارتفع النزاع من بينهما . وفي هذه السنة وصل الى
بعلبك احمد اغا قبجي باشي من قبل السلطان مراد مصحوبًا باوامر بتقرير الايالات
على بيت معن ومطالبًا بالاموال الاميرية . واوامر ايضًا الى يوسف باشا ابن سيفا طالبًا
ايراد ماهتوجب عليه . فاعطاه بيت معن خمسمائة غرش هبة . وقالوا له توجه انت
وحصل من ابن سيفا . والذي عندنا ليس منه عائق . فتوجه احمد اغا الى طرابلس .
وفي تلك الايام حضر الامير حسن ابن الحرفوش في اواخر شهر ربيع الثاني وقابل
الامير فخر الدين عن يد خاله الامير شلهوب فاقام في بعلبك . وفي هذه السنة وردت
الاخبار ان باكير اغا حاكم بغداد قام على يوسف باشا وقتله . وصارت جميع اهالي
البلد من حزبه فطرد جميع السكمان الذين كانوا عند يوسف باشا وهدم القلعة . فجاء
من السكمان عدد غفير وتعينوا عند محمد باشا المقيم في حماة التابعة لايالة الشام .
ولما اظهر باكير اغا تلك العصاوة عين السلطان مراد واليًا على بغداد الحافظ احمد باشا
والي الشام سابقًا . ومعه اثنا عشر الفًا من بلاد كردستان وتلك الاطراف . ولما وصلوا
الى قرب بغداد خرج اليهم كرد باكير اغا بعسكر من بغداد ووقع الحرب بينهم .
فانكسر عسكر بغداد . ودخلوا المدينة وحاصروا فيها . وارسل باكير اغا يستنجد بالشاه
ووعده بالدخول تحت امره . فوافق ذلك الشاه وفي الحال وجه له عشر خانات مع كل
خان الف رجل . فلما بلغ حافظ احمد باشا قدوم الخانات ارسل في الحال الى
باكير اغا اوامر باحكام بغداد وخلعة سنية . وان يكون وكيلاً للسلطان
مكان يوسف باشا بشرط ان لايسلم البلد الى الشاه . فقبل ذلك ووافق حافظ
احمد . ثم ان عسكر السلطان رجع الى ديار بكر . ثم ارسل باكير باشا الى الخانات يخبرهم
ان العدو رجع فارجعوا انتم وتشكروا من رحمة الشاه . فلم يقبلوا هذا الكلام . وقالوا
نحن ارسلنا الشاه لكي ندخل بغداد ونجعل السكة والخطبة باسمه . فامتنع باكير باشا عن
ذلك . و بقي عسكر الشاه نازلاً بالقرب من بغداد . ثم ارسلوا واعلموا الشاه عباس فجاء
بنفسه بجميع عساكره . واحاطوا ببغداد وضيقوا عليها الحصار مقدار شهر فتضايق باكير
باشا والعسكر واهل البلد من عدم وجود الميرة . فلما ضاق بهم الامر توجه درويش محمد
ابن باكير باشا ليلاً بدون علم ابيه واجتمع بالشاه فطيب خاطره واعطاه الامان ووجه
معه نحو الفين من العسكر فدخلوا البلد من الباب الذي خرج منه . وعند الصباح هتف

نفير الشاه داخل البلد · والدرويش محمد قدامهم · فارتجت المدينة · وانقطعت ظهوراهلها · واختفى كل في مكانه · وكثر حزب الدرويش محمد · وتفتحت ابواب البلد ودخل عسكر الشاه في ٩ شوال سنة ١٠٣٣ المذكورة · وقبض الشاه على باكير باشا واولاده وضبط جميع امواله · ونادوا بالامان · وطيب خاطر درويش محمد · وثاني يوم جمع الشاه اعيان بغداد والتجار واخذ منهم مالاً لا يحصى · وقتل اكثرهم · واما باكير باشا وبقية اولاده فانه عذبهم بانواع العذاب الشديد حتى اماتهم · واقام الشاه في بغداد نحو شهرين · وحضر لزيارة قبر الحسين · وقابله ناصر الدين المهنا شيخ العراق · ثم انه عاد الى بغداد · واقام نائباً عنه صفي خان ومعه خمسة الاف عسكري ورجع الى بلاده · وفي هذه السنة ورد الخبر ان مراد باشا جمع عساكر وسكمان وتركمان · وارسل الى مدلج الحياري طلب منه نجدة فارسل سكمانه وعربانه وتوجه مراد باشا لمحاربة علي مصطفى بك اليزيدي وهو في انطاكية · فلما قرب مراد باشا في العسكر الى قرب انطاكية وقع الحرب بينه وبين عسكر الامير مصطفى فانكسرت فرسان مراد باشا ولحقتهم مشاة مصطفى بك الى السهل فرد مراد باشا العسكر وانكسرت المشاة ولم يسلم منهم الا القليل · وانهزم مصطفى بك الى بلاد جبلة · فارسل مراد باشا مكاتيب الى يوسف باشا ابن سيفا والى ولده الامير قاسم والى الامير سليمان ان يلقوا القبض على مصطفى بك · فلما وصل مكتوب مراد باشا الى ابن سيفا وجه مملوك حسن اغا بعسكر ليمنع مصطفى بك عن الدخول الى بلاده · فارسل مصطفى بك الى الامير سليمان ابن سيفا لياخذ له منه الامان ويحضر اليه فرد له جواباً واعطاه قولاً واماناً · وكان حسن آغا قد وصل الى برج جبلة وامسك على مصطفى بك الطريق · ولما بلغ مصطفى بك ذلك عاد الى مدينة بانياس الخراب التي تحت قلعة المرقب · وابقى احماله وسكمانيته فيها · وتوجه بنحو ثلاثين فارساً الى الامير سليمان ابن سيفا · فتوجه حسن آغا الى بانياس وضبط جميع احمال مصطفى بك · ولم يقدر السكمان ان يمنعوه · ورفعه الى قلعة المرقب فهربت السكمان · واما مصطفى بك فانه لما توجه الى الامير سليمان التقاه الى صافيتا · ولما وصل وسلم احدهم على الاخر القى الامير سليمان القبض عليه وعلى حاشيته ورجع بهم الى برج صافيتا · ثم ان الامير سليمان ارسل الى مراد باشا يعلمه بامساكه بك مصطفى وطلب منه سنجقية حماة فارسل له تحويلاً بها · وارسل مراد باشا قرط اغا الى حماة على نوع انه يكون متسلماً من قبل الامير سليمان · وارسل الامير سليمان جماعة ليتسلموا مصطفى بك اليزيدي

فسلمهم اياه · ورجعوا به الى حلب فرفعه الباشا الى القلعة · ثم ان الامير سليمان ارسل جماعة من قبله الى حماة فمنعهم قرط آغا عن الدخول وطردهم فرجعوا واعلموا الامير سليمان بذلك · فارسل اعلم مراد باشا وانه ارسل متسلمه فمنعه قرط آغا عن استلام حماة فكان الجواب من مراد باشا اننا ارسلنا نعرض الى الباب العالي ونحضر لك الاوامر فيها ومتى حضر الجواب نسلمك المنصب • وكان جوابه مجاملة وما استفاد الامير سليمان غير وصمة الخيانة مع نزيله · و بعد رفع مصطفى بك للقلعة صرف مراد باشا اصحاب العشائر التي كان قد جمعها · واوصى الامير خالداً الذي حضر اليه من قبل الامير مدلج ان يمر على معرّة النعمان و يقبض على الامير يونس الحرفوش و يرفعه الى القلعة فامتثل الامر وقبض عليه وارسله الى قلعة سليمة وكان ذلك في اخر جمادي الاول من السنة المذكورة · فلما بلغ الامير حسين القاء القبض على والده وكان في حماة عند محمد باشا خاف على نفسه وخرج ليلاً بسكمانيته وجاء الى بلاد الحصن لان عيالهم كانت هناك · وارسل الى خاله الامير شلهوب ان يتكلم مع الامير فخر الدين في المصالحة · وان لاتجري منه مراسلات الى مراد باشا في ضرر والده وان يكون له ار بعون الف غرش فقبل الامير فخر الدين ذلك · وفي هذه السنة حضر من اسلامبول بحرًا درويش اغا الذي كان مقيماً من قبل الامير وصحبته عثمان آغا قبجي الوزير علي باشا ومعهما احمد آغا متسلم عمر باشا على طرابلس وابراهيم افندي دفتر دار الشام سابقًا · فوصلوا الى بيروت · ومنها ركب الى بعلبك · فلما علم بهم الامير فخر الدين ركب الى لقاهم وصحبته ولده الامير علي الى تل درويش · فالتقوا هناك وسلموا على الامير وعلى ولده والبسوهما الخلع التي معهم على تثبيت الايالات بايديهما · وطلبوا المال المعتاد على بلاد عجلون و بلاد صفد ونابلس · وثاني يوم ارسل الامير الحاج درويش وعثمان آغا ليتكلما مع السكمان المحاصرين في القلعة · و يقولوا لهم ان بعلبك كتبت على ابن معن وان يسلموا له عن يدهم · وكان المحاصرون تضايقوا غاية الضيق · لانه لم يكن باقيًا عندهم من المؤونة غير القمح · وكانوا يجرشونه ويخبزونه على زبل الخيل · وقد تضايقوا كثيراً من قلة الحطب · ولما تكلم معهم الحاج درويش كان جوابهم له ان بقينا كل عمرنا تحت الحصار فلا نسلم وفينا روح ورجعوا من عندهم على غير فائدة · وفي تلك الايام سلم السكمان الذين كانوا محاصرين في حصن اللبوة وحضروا الى بعلبك لما تاكد عندهم ان مراد باشا القى القبض على ابن الحرفوش · فارسلهم الامير كي يخبروا اصحابهم الذين

في القلعة عن ذلك . ولما اخبروهم يئسوا من الفرج . واعطوا قولاً في التسليم بشرط ان يخرجوا بسلاحهم وخرج منهم ثلاث بلوكباشية وحضروا الى الامير فطيب خواطرهم واعطاهم الامان ثم رجعوا وفتحوا باب القلعة . وخرج جميع من فيها بسلاحهم وسباياهم . وعين الامير عنده جماعة منهم وكانت مدة الحصار اربعة اشهر . ودخل الامير الى القلعة ومعه درويش اغا والدفتردار . وداروا في القلعة فراءوا فيها اعجوبة الزمان في الجدار الواحد ثلاثة احجار كل حجر ينيف عن ٢٦ ذراعاً وبقية الجدران حجارة كبيرة . وفيها خمسون عموداً بعضها مقابل بعض . وقيل انه كان مبنياً فوقها من قديم الزمان حصن ليكشف على جميع جوانب القلعة . وطول العمود ثلاثون ذراعاً . ليس له الا ثلاث اوار بع قطع بعضها فوق بعض . و بين القطعة والتي فوقها منزل رصاص لاجل الحفظ ولمتانة البناء . وفي هذه القلعة نقوش وحفر واشكال يطول شرحها . وفي اعلى القلعة ابراج ومحلات في بنايتها ونقشها العجب . وقيل عنها انها اول البنايات والحصون في الدنيا كلها . لانه لايوجد في الدنيا بناء اعظم منها اومساو لها في العظمة . وزعم البعض انها وتدمر من بناء الجان . وقد استخدمهم سيدنا سليمان ابن داود عليه السلام فبنوها قصراً لامرأته بلقيس . وهو المكان الذي بنته هيكلاً للبعل الصنم الذي كانت تعبده . وعملت الباب واطئاً ليسجد له الملك عند دخوله . وقد ذكر في التوراة ان سليمان شيد قصراً في وعر لبنان . و بني بعلة وتدمر في البرية . والمرجح ان هذه الاية تشير الى هذه القلعة . وكانت تسمى قديماً مدينة الشمس . والاسم بعلبك يفيد هذا المعنى ايضاً . ولما تسلم الامير فخر الدين القلعة امر البنائين بهدمها فظلوا مدة ولم يهدموا منها الا اليسير . و بعد تسليم القلعة ارسل الامير فخر الدين الى الامير مدلج يستعلم منه عن اخبار ابن الحرفوش . فرجع له الجواب ان مراد باشا ارسل واحضره الى حلب . وحال وصوله توسطله كرد حمزة واطلقه تحت ضمانة مالية لم تعرف كميتها . ولم يزل مقيماً في حلب وفي هذه السنة وصل من الباب العالي سليمان اغا قبجي باشي محمد باشا الذي في حماة و بيده اوامر في تقرير ولاية الشام على محمد باشا . فتوجه الى الشام بالاوامر . وحضر مكاتيب من مراد باشا والي حلب الى الامير فخر الدين نصيحة له فيها . وان مشرب الدولة ان يكون مساعداً لمحمد باشا . فارسل الامير فخر الدين صور المكاتيب الى مصطفى باشا للشام . فرد مصطفى باشا جواباً انه كان مراده التوجه الى الباب العالي قبل الان فكم بالحري بعد ورود هذه الاوامر . فلما حضر الجواب كتب في الحال الى محمد باشا ان يتوجه الى منصبه ويجعل طريقه على بعلبك ليكون مساعداً له

وفي خدمته وارسل بالجواب محمد اغا العنتابي ولما وصل الى حماة ودخل علي محمد باشا واعلمه
ان مصطفى باشا يقصد السفر الى اسلامبول ركب من حماة الى ناحية بعلبك حالاً ٠
وفي ٢٠ من الشهر المذكور وصل الى اللبوة واخبر الامير بقدومه ٠ فركب الامير ومعه
بلوكباشية السكمان وولده الامير علي ومحمود آغا قبوجي باشي الوزير وعثمان آغا والحاج درويش
ومصطفى كتخدا ٠ والتقوا في الباشا ٠ ولما قرب الامير وولده لانز عن خيلهما وتقدما الى
محمد باشا وقبلا ذيل ثوبه فسلم عليهما ونزل في ذلك المكان لشرب القهوة وخلع على
الامير وولده ٠ ثم ركبوا معاً واتوا الى بعلبك ٠ ودخلوا باستعراض عظيم ونزل الباشا في
راس العين وقدم الامير جميع اللوازم من ماكل وعليق وبقي الباشا ثلاثة ايام ٠ واحب
الامير فخر الدين وولده محبة عظيمة لحسن خدمته التي خدمه بها ٠ وتفرج الباشا على القلعة
والبلد ٠ وفي ٢٣ منه رحل الباشا من راس العين الى بلاد الزبداني ٠ فالتقاه الامير
قاسم ابن الشهاب وقدم له الذخيرة وخدمة واهداه حصاناً من جياد الخيل ٠ ثم رحل
الباشا في اليوم الثاني الى الشام ٠ وكان الامير فخر الدين قد اهداه الفرس الشهباء التي
من الامير مدلج ٠ ولم يكن فرس مثلها في تلك الايام ٠ فلما اقبل الباشا على الشام ركب
تلك الفرس وقد خرجت لملاقاته جميع اعيان الشام وعظماؤها ولما وصل محمد باشا الى بعلبك
ارسل الامير فخر الدين اخبر مصطفى باشا بوصوله ٠ فطلع من الشام وتوجه الى اسلامبول
على طريق قارة والنبك ٠ ثم دخل محمد باشا للشام ونادوا باسمه بالامان ٠ وفي هذه
السنة في رجب حضر للامير فخر الدين مكاتيب من عمر باشا انه قدم الى ميناء طرابلس
فمنعه ابن سيفاء عن الدخول فرجع وطلع الى البترون ومعه اوامر من الباب العالي ان
يكون الامير فخر الدين مساعداً له ٠ ولما وصلت هذه المكاتيب الى الامير فخر الدين
ركب بخمسين خيال حالاً وابقى العسكر وولده الامير علي هناك ٠ وتوجه الى البترون
على طريق المسقية ٠ واجتمع في عمر باشا ٠ فوجد معه اوامر بولاية طرابلس ٠
ولما بلغ يوسف باشا ابن سيفا حضور الامير فخر الدين الى البترون ٠ ارسل يترامى عليه
ويترجاه في عدم مساعدة عمر باشا ٠ ويطلب منه ان يعرض الى الباب العالي بتقرير الايالة على
ابن سيفاء ٠ وكان في ذلك الوقت بينهما محبة ومودة شديدة فوعده بذلك ٠ ثم ان الامير فخر
الدين اعتذر الى عمر باشا بانه لا يمكنه الاقامة كونه يطلب منه ايراد المال المعين عليه ٠
وركب من البترون الى بيروت ثم الى قب الياس ثم رجع الى بعلبك ٠ وكان في غيابه
قد وقع اختلاف بين السكمان ٠ وخرجوا من البلد الى راس العين وعملوا ميدان سياق

وارسلوا يطلبون من الامير علي ان يسلمهم محمد اغا القزرار . فركب الامير علي الى راس العين ليراضيهم ويتملقهم فطلبوا منه المرتبات المتاخرة لهم . فوعدهم بها عند حضور والده فما قبلوا ذلك وركبوا وهجموا على المدينة فاغار الامير علي وسبقهم الى البوابة وجعل يتملقهم بالكلام و يترضاهم فما سمع كلامه احد منهم . ثم توجه منهم قسم ودخلوا من باب القلعة وانقسموا الى فرقتين فرقة توجهت الى الخان في طلب القزرار والثانية ذهبت الى منزل الامير . وكان واحد سبق واخبر محمد اغا القزرار فهرب واختفى في الخندق فنهبوا امتعته وخيله من الخان . وخرجوا ليرحلوا الى الشام . فالتزم الامير علي انه ارضاهم بالف غرش هبة حتى سكنت خواطرهم وتوسل اليهم ان يصفحوا عن القزرار وتوجه الامير وصالحه مع ذي الفقار البلوكباشي . ولما وصل الامير فخر الدين واخبروه بما توقع من العسكر ارسل وفرق البلوكباشية وعاتبهم على ذلك ثم اعطى كل واحد عشرة غروش . وكان الامير احتاج الى الدراهم فارسل الامير علياً الحرفوش الى اخيه الامير حسين يطلب منه المال الذي وقع عليه الصلح . وفي ١٩ رجب حضر الى الامير مكاتيب من الشام بان محمد باشا توفي فجأة من غير مرض ولا سبب يعرف . فلما علم الامير بذلك ارسل حالاً الف غرش صحبة مملوكه ذي الفقار الى الشام الى البغداديين الذين كانوا اتوا من عند باكير اغا وخدموا محمد باشا . وكانو نحو ار بعمائة خيال و بلوكباشيهم يسمى فراشاهين . وكان قد وقع بينه و بين الامير صحبة ومودة لما كان محمد باشا في راس العين . فحضروا صحبة ذي الفقار الى بعلبك . واستخدمهم الامير عنده . ثم ان الامير فخر الدين ارسل رسولاً الى سكان بلاد بشارة وصيدا والى الامراء بيت الشهاب والى اخيه الامير يونس ان يجمع رجال الشوف والغرب والجرد والمتن وكسروان . وان كلاً منهم يحضر برجاله الى الامير لمساعدة عمر باشا على ابن سيفا . فاجتمع اليه ثمانية الاف . وعزم على القيام من بعلبك فحضر له مكاتيب من ابن سيفا ومعها العشرة الاف التي صار الكلام عليها مهر ابنته زوجة الامير حسين المتوفي . فلما وصلت الدراهم عدل الامير عن عزمه وقام في العسكر نحو نابلس . واما مصطفى باشا فلما وصل الى بانياس التقى في اعيه الذين كان وجههم الى الباب العالي راجعين و بيدهم الاوامر له بتقريره على ايالة الشام . فرجع وهو في الطريق التقى بالرسل الحاملة الاخبار من طريقي حسن آغا يخبره بموت محمد باشا وانه سلم الخزنة التي كان حصلها من مال كرد حمزة وملحقاته وارسلها صحبة اسماعيل آغا ليوصلها الى الباب العالي . و بقي راجعاً الى ان دخل الشام .

وكان الامير فخر الدين حين دخوله الى الشام نازلاً على نهر قبر عباس من اعمال البقاع . فارسل له نقادم وتهاني بالرجوع فلم يرد عليه جواباً لانه كان بلغه عن الخدمة التي خدمها الامير محمد باشا . واما الامير علي الحرفوش فانه عاد من عند اخيه الامير حسين وصحبته اخوه الامير سيد احمد واقار به ووكيل الامير مدلج الحياري ومعه ستة عشر الف غرش وابقى الباقي الى عيد رمضان . فاستلم الامير علي ابن معن المال ووقع الصلح بينهما وعاد وكيل الامير مدلج والامير سيد احمد مجبوري الخاطر . وكان الامير فخر الدين حين حضرت له الدراهم مهر ابنته من ابن سيفا عدل عن توجهه الى طرابلس فوجه الحاج درويش الى البترون ليعتذر الى عمر باشا لعدم توجهه اليه . وان السبب كونه عليه مهمات لايراد المال المتوجب عليه من بلاد صفد ونابلس وعجلون . وان الاهالي مستعصون ولم يدفعوا المال فالتزم ان يتوجه اليهم بعسكر بعد ما كان عزم على التوجه طرابلس . وافهم الحاج درويشاً ان يمر على طرابلس ويكتب عقد زواج ابنته ارملة الامير حسين المتوفي على اخيه الامير عمر ابن سيفا . وكانت اقامة الامير فخر الدين على جسر قبر عباس نحو عشرين يوماً وحين بلغه رجوع مصطفى باشا ودخوله للشام ارسل الى وولده الامير علي فحضر من بعلبك وطرد جميع السكمان . و بعد ذلك قام من جسر قبر عباس في شهر شعبان ونزل على نهر حاصبيا . ثم انتقل الى مرج عيون . وحضر اليه الامير علي الشهابي وقدم له الذخيرة الى ذلك المكان . ثم توجه الى بركة الملاحة في اطراف بلاد صفد . ثم انه فرق على العسكر علوفة اربعة ايام وركب مع فرسان جميع اولاد العرب والسكمان وابقى المشاة هناك مع ولده الامير علي . وتوجه الى جسر بنات يعقوب وقسم الخيل قسمين . فجعل السكمانية معه واولاد العرب مع الامير احمد ابن الشهاب وابن اخيه الامير محمد . وقام من الجسر الى منزل الشيخ عمر فركب معه الشيخ حسين وعربه و باغتوا الشيخ رشيداً والامير بشيراً ابن قانصوه وكانوا نازلون في سحرية بلاد عجلون . وكان من التقادير ان الشيخ رشيداً ركب بعشرين خيال وجاء يترصد عرب الشيخ حسين . وكان نازلاً على البجة فما درى الا والخيل قادمة عليه . وفي الحال ركب الشيخ رشيد وعربه وتحاربوا ليلاً مع عرب الشيخ حسين . فاخذ عرب الشيخ حسين من عرب الشيخ رشيد ستة رووس خيل وهرب الباقون . واعلموا الامير بوصول العسكر فرحل الجميع الى البلقاء . ووصل الامير فخر الدين الى عجلون . وكان الامير علي بعد ركوب والده سار في عسكر المشاة من بركة الملاحة ونزل الى المنية . ثم رحل الى وادي الفيجاس ومنه الى جسر

الجامع وحضر اليه الشيخ احمد الكناني فخلع عليه . وهناك حضر له خبر من الامير ابيه انه ابقى في عجلون طويل حسين متسلماً ومعه خمسة بلوكباشية برجالهم . وتوجه بجميع الفرسان الى قلعة السلط من اطراف بلاد عجلون . وطلب من الامير علي ان يلاقيه بالمشاة من هناك الى منزلة الفاطور من بلاد غور بيسان . فرحل الامير علي الى هناك ووجد والده نازلاً في ذلك المكان . وكان الامير لما ترك قلعة السلط ابقى فيها الدالي خليلاً بلوكباشي ومعه خمسون خيال . وارسل في ذلك الليل عبد الله بلوكباشي ومعه عشرون خيال الى نابلس ليقرأ على اهلها الاوامر و يكون متسلماً من قبل مصطفى كاخيه . ومن ثم رحل الى الفاطور فوصل الامير علي و باتوا جميعاً هناك وفي اليوم التالي قاموا الى جنين . و ارسل الامير الى عيون التجار (اسم بلدة) جمالاً فاحضرت غلالاً . وكانت اهالي تلك البلاد قاصدين الرحيل فجمعهم وطيب خواطرهم . واقام في جنين اربعة ايام . فوصل له اخبار هناك ان شو باصي ابن فروخ هاجم عبد الله بلوكباشي نابلس بغتةً واخذ منه بعضاً من الخيل وتوجه الى نواحي غزة . لان محمد بك ابن فروخ وسليمان اغا وشيطان ابراهيم كانوا رحلوا الى ناحية القدس والرملة . واما الامير احمد ابن طربيه وعربه فكانوا رحلوا الى الرملة ونزلوا علي عرب السوالمة . والامير بشير ابن قانصوه والشيخ رشيد رحلوا الى نواحي غزة . فعزم الامير فخر الدين على المسير الى نواحي غزة فلم ترض بذلك طائفة السكمان وطلبوا منه الهبة فامر لكل شخص بغرشين وبقي في بناية جنين اربعة ايام . وهذه البناية بنتها فاطمة خاتوم ابنة السلطان الغوري من الشراكسة . فابقى الامير بها بلوكباشية بثلاثين رجلاً ورحل الى الجون وصار ذلك النهار على العسكر عطش عظيم من شدة الحر . ثم رحل الى قاقون وامر تابعيه ان يحملوا عليق اربعة ايام ورحل الى ام العليق حيث حضرت مكاتيب من الامير احمد ابن طربيه الى الامراء بيت الشهاب يرجو منهم ان يدخلوا في الصلح مع الامير و يصلحوا ذات البين . فرد لهم الامير جواباً ان لم يحضر بنفسه فلا يمكن ان يصير سماح عن ذنبه . وان حضر نسمح عن خطاه ونرده الى بلاده . فارسل بنو الشهاب جواباً الى ابن طربيه كما امر الامير فخر الدين . ثم ان الامير رحل من ام العليق الى السيد علي ابن عليل وزاره . ووجد في سوق الخراب برجاً عامراً منيع البنيان فابقى فيه بلوكباشي مع رجاله . وتوجه بالعسكر ذلك النهار الى نهر العوجاء واستقر هناك . ولم يتكامل العسكر في النزول حتى ابتدأ قسم منه في عبور النهر الى الجانب المقابل اي

الى ناحية يافا طلباً لجاب العليق . وكان الامير محمد اخو الامير احمد ابن طربيه ومعه فرسان من عربه وعرب السوالمة قد جاءوا ليستكشفوا العسكر فالتقوا بالفرسان التي عبرت للجانب الاخر وثار القتال بينهم فوصل الصوت الى العسكر فصار كل يركب ويعبر من محله من غير ترتيب . وكان الامير لا يريد ان يعبر احد في تلك الليلة ولكن ماامكنه ان يضبط الناس . فالتزم ان يامر ولده الامير علياً والامير احمد ابن الشهاب ان يلحقا العسكر . وقال لهم حيث ان العسكر قد عبر فلا يمكن ارجاعه مالم يحضر عايقاً فيرجعوا . فركب الامراء المذكورون وعبروا النهر وعبر معهم من المشاة نحو مائتين بدون اذن الامراء . واستمروا كلما يقربون من ساحة القتال تبعد العرب من قدامهم . فركب الامير محمد الشهابي بجماعته الى جهة العدو فتقهقرت العرب الى ان قربوا من المعقودية (اي الجماعة من العسكر المعدة خلفه لاجل نجدته عند الحاجة) . فغار عليهم فرسانها فكسروا جميع الفرسان التي كانت في المقدمة فلحقتهم العرب جميعاً ومالوا عليهم نحو الميسرة وكان في الميسرة اعلام السكمان فارتدوا الى الوراء فتبعتهم الخيل جميعها وانكسروا كسرة مهولة . واما الامير علي المعني فانه بقي ثابتاً الى ان اجتازته الخيل ولم يبق عنده غير عشرين فارساً . فدفع فرسه خلف عسكره فضايقته خيل الاعداء فارتد عليهم مملوكه كنعان . فضربه واحد بزراق رماه . واستمر الامير علي راكضاً حتى وصل الى تل ٍ عال ٍ فوقف بخيله هناك . واجتمع مع الامير احمد شهاب وابن اخيه نحو مائتي خيال . ونزلوا عن خيلهم وصاروا يطلقون البنادق على العرب فكفت العرب عنهم بعد ما جمعت خيل القتلى وكانوا نحو عشرين قتيلاً . ولما كان الامير علي ومن معه على التل وصل اليهم الامير فخر الدين وكان العسكر تفرق من الكسرة فقال الامير لولده علي اذهب بنفسك وراء العسكر وانا اقف في هذا المكان فركض الامير علي بنفسه . وصار كلما وصل لجماعة يوبخهم بالكلام . ويضرب بعضهم بقفا السيف ويردهم لجهة والده . فلم يجد من الناس فائدة ولو بالوثاق . ولما رأى ان اكثر الناس عبروا النهر رجع في من تدبر معه الى نحو والده وبيت الشهاب . ولما وصل الى والده واعلمه بعدم سماع الناس لكلامه وان الاكثر وصلوا الى خيامهم دفع الامير فرسه ليرد الناس وطلب الامير علي ان يبدل فرسه فركضت جميع الخيل التي على التل وصارت كسرة اعظم من الاولى . فلما نظر الامير احمد ابن طربيه ومن معه من العربان ان الخيل انصرفت عن التل طمعوا بهم وصاروا يقتلون كل من لحقوه . واما الامير فخر

الدين فبقي يحاول رد الرجال ولكن لم يلتفت لكلامه احد . ولما صار قرب النهر تجمع عنده نحو خمسين فارساً فارتد على العرب وصدمهم فتقهقروا الى الوراء ونزلت الفرسان والامراء في الخيم لان المشاة كانت لا تزال باقية في عبر النهر . وافتقدوا القتلى فراوا انه قتل منهم نحو ١٥٠ قتيلاً . واكثرهم من المشاة الذين ذهبوا مع الفرسان اذ داستهم الخيل . وقتل من العرب نحو عشرين قتيلاً . وعند غروب الشمس جاء ابن طربيه ومحمد بك ابن فروخ ونزلا مقابل خيمة ابن معن على شاطيء النهر وباتوا هناك . وعند الصباح قام عسكر الامير فخر الدين وكل منهم حمل احماله ورحلوا من نهر العوجاء الى ناحية الشمال . فالتزم الامير ان يقوم واختار خيالة السكمان والرجال الذين عليهم الاعتماد وتاخر الى خلف الجمال والاحمال . واما الامير علي وبنو شهاب ومشاة السكمان فساروا قدام الاحمال والجمال وجعلوا طريقهم على تلول الرمل العالية على البحر المعروفة بحيطان الشباك لانها مرتفعة عن البحر ومتصل بعضها ببعض حتى كأنها الحائط واكثر نباتها من السيرس . ثم انه عند طلوع الشمس لحقهم الامير احمد ابن طربيه وابن فروخ وكانوا نحو الفي خيال وانقسموا قسمان وهجموا على الامير فخر الدين وعلى ولده الامير علي فارتد هولاء عليهم باطلاق حتى كان الرصاص كالمطر فانكف العرب ولم يزل الامير يرتد بخيله على العرب بقوة . والعرب تراقبه حتى كل مافات العسكر تلحقه الى ان اقبلت المراكب في البحر . وكان الامير مصحباً معه مركبين لاجل حمل الذخيرة . ولما رأى الذين في المراكب ان العرب يهجمون على عسكر الامير تقدمت المراكب قريباً الى البر واطلقت عليهم المدافع . فاوقعوا بطلق واحد من مدفع خياليين . فانكفت العرب عن البحر ولم يزالوا مقتفين اثار عسكر ابن معن حتى وصلوا الى السيد علي ابن عليل . فانقسمت العرب قسمين قسم بقي مقتفياً اثار العسكر . وقسم سبق ليمسك عليهم طريق برج ارسوف . ولما وصلوا وجدوا السكمان الذين ابقاهم الامير هناك . فلم يقدروا على ما كانوا اضمروه . ولما وصل عسكر ابن معن الى تحت برج ارسوف واصطف هناك الالاي ونزلت البلوكباشية وشرب العسكر واستراح ساعة مشي . وبعد ان اجتاز عسكر ابن معن برج ارسوف اقتفى اثاره العرب وسكمانية ابن فروخ وصاروا يطلقون عليه البنادق على مرمى الرصاص . فارتد من العسكر خمسمائة رجل على سكمان ابن فروخ فكسروهم . ورجعت العرب عن العسكر وبقي العسكر سائراً على مهله . وكان جماعة من العرب الذين سبقوا الى برج ارسوف نزلوا ليسقوا خيلهم من عين ام العليق وبينما هم راجعون بين شجر البلوط انفرد اليهم قراشاهين ومعه

من البغداد بين نحو خمسين خيال وصار بينهم السباق فكسروا العرب وكانو نحو مائتي خيال واخذوا منهم خمسة رؤوس من الخيل وقتلوا الامير حسناً ابن اخي الامير احمد ابن طربيه ٠ ولم يزل الامير فخر الدين وعسكره سائرين الى ان صار قرب غروب الشمس فنزلوا على نهر القاقون وباتوا هناك ٠ وعند الصباح رحل الامير فوصل الظهر الى مدينة قيسارية (بين يافا وحيفا) وهي مدينة عظيمة باسوار عالية لكنها خراب ٠ فاستقر في العسكر هناك واحضروا عليقاً من تلك القرى المجاورة و بات العسكر هناك ٠ وفي الصباح رحلوا من قيسارية فالتقوا بعشرين علم سكمان كانوا عند ابن سيفا واتوا ليخدموا ابن معن ٠ فعين لهم تذاكر ورجعوا معه الى ان وصلوا الى عتليت الخراب وهي مدينة اكبر من قيسارية و بناؤها اعظم فباتوا هناك وكانوا مصحبين معهم عليقاً وما كلاً ٠ ومنها رحلوا الى حضيض جبل الكرمل ٠ ونزلوا على نهر السعادة و بقوا هناك ثلثة ايام ٠ واراد الامير الرجوع الى جنين ليحضر السكمان الذين ابقاهم هناك وان يتوجه منها الى عجلون ليحضر طويل حسين فما احد طاوعه على ذلك فالتزم ان يعطي اجازة الى اهالي الشوف والى بيت شهاب وما بقي معه غير الطائفة السكمانية و بقي هناك حتى دخل شهر رمضان ٠ ثم ابقى في برج حيفا ثلاثة بلوكباشية برجالهم ٠ ورحل الى مطاحن كوردانة على ساحل عكا واقام بها يومين حتي فرق علي السكمان علوفة شهر رمضان ٠ وحضر له خبر ان جماعة ابن طربية وفلاحي بلاد حارثة حاصروا السكمان الذين في بناية جنين ٠ و بعد يومين نقبوا الحائط وطلعوا بالامان واخذوا عددهم وامتعتهم ٠ فعين الامير فخر الدين العشرة بلوكباشية الجدد والذين حضروا واعطاهم علوفتهم وارسلهم الى عجلون الى الطويل حسين ليقيموا عنده اذا امكنه الاقامة والا فيحضروا صحبته ٠ وارسل الى مدينة صفد ثمانية بلوكباشية الى محمد القزاز لانه كان متسلماً في صفد ٠ و بعد ذلك رحل الامير وولده الامير علي من كوردانة الى مدينة عكا ونزل على عين المشرفية ٠ وكان العسكر قد اعياه التعب ٠ وثاني يوم رحل الى راس العين بقرب صور ٠ وكان عثمان باشا جاء من بيروت الى صور ٠ فاجتمع بالامير فخر الدين وكان معه دالي بلوكباشية من جانب ابن سيفا واخبروه ان الخمسة عشر الف وصلت ليد الحاج درويش ورجع الى مدينة صيدا ٠ وعند غروب الشمس ورد الخبر من صيداء انه قدمها ثمانية مراكب مغاربة من جهة تونس ٠ وكان راسٍ في الميناء مراكب فرنساوية وفلامنكية فطالبوا منهم عشرة الاف غرش فامتنعوا عن اعطائهم ٠ وفربوا مراكبهم لتحت قلعة البلد ٠ فاتت

المغاربة على نية الحرب وضربوهم بالمدافع · فالشواطيء حمت نفسها · واستمر اطلاق المدافع بينهم ذلك النهار بطوله وعند الغروب ذهبت المغاربة ورست المراكب بعيدة عن الميناء · وهذا جرى بين المغاربة والفرنساوبين · اما مراكب الفلامنك فلم يتعرضوا لها · فلما سمع الامير فخر الدين ذلك الخبر رحل من صور الى صيداء ليلاً فوصلها عند طلوع الشمس · وارسل الى المغاربة قوارب تسألهم عن مرادهم · فلما علموا بوصول الامير والعسكر اقلعوا وابعدوا في البحر · واقام الامير في صيدا ثلاثة ايام · واخذ معه نصف السكمان وتوجه الى بيروت وابقى ولده مع الباقين في صيدا · ولما علم مصطفى باشا بعودة الامير فخر الدين ارسل طر بقي حسن آغا كتخدا بعسكر الى المزاريب ليطرد الشيخ حسيناً ابن عمر وعربه من حوران والطويل حسين من عجلون · فرحل الشيخ حسين الى الامير مدلج · واما الطويل حسين فابقى بلوكباشية في القلعة وعندهم مؤونتهم وذخيرتهم ورحل وكان معه نحو سبعماية رجل الى ان وصل الى طبرية ومنها صعد الى صفد · واستقر بها على عادته متسلماً · وظل عرب ابن طربيه يغزون البلاد الى نهر المفشوخ وباتوا في قرية ابي سنان فخرج اليهم الشيخ بازدوجماعته فكسروهم · وجاء الخبر الى كيوان اغا شوباصي عكا فركب بجميع من معه ووقف في طريق العرب فهجمت عليهم العرب وكسروا كيوان آغا وجماعته وقتلوا منهم عشرة اشخاص · ولما بلغ الامير علياً ماتوقع من العربان طار عقله ولم يعد يطيق القيام · وكان حاضراً عنده مصطفى كتخدا فابتدأ يعنفه قائلاً ان جميع ما اصابنا من الخراب والخسارة كله من تدبيرك واخذك سنجقية نابلس · ثم انه قبض عليه ووضع عليه بلوكباشية تحرسه وضبط داره وجميع موجوداته · واقام مصطفى كتخدا تحت الحفظ الى ختام شهر رمضان فارسل الامير فخر الدين من بيروت الى مدينة صيدا اوامر باعدام مصطفى كتخدا · وفي هذه السنة صار مراسلات بين الامير فخر الدين والامير احمد ابن طربيه · وتم الاتفاق بينهما ان الامير فخر الدين يرفع السكمان من برج حيفا والامير احمد يمنع عربه من التخريب في بلاد صفد · وتم الامر على ذلك · فارسل الى الامير امراً وهدم برج حيفا ورفع السكمان الى بلاد حارثة · وفي هذا الشهر ارسل مصطفى باشا والي الشام يوسف آغا منزل باشي وعبد اغا الكاتب يطلب المال المرتب على بيت معن · وارسل يقول للامير فخر الدين انه متعتب عليه بسبب ركوبه الى بلاد غزة والرملة من غير مشورته · وانه اذا ارسل المال يرجع خاطر الباشا يصفى عليه كما كان · وفي الحال ارسل الامير فخر الدين المال

المعين تماماً وقدرة خمسون الف غرش . ارسل لمصطفى باشا ثلاثة الاف غرش تقدمة ٠ وكان مصطفى باشا بعد دخوله للشام قوي في الجاه والغنى فباص وظلم جميع اهالي الشام واخذ منهم اموالاً لاتقدر ولا تحصى ٠ وفي هذه السنة رجع الامير يونس ابن الحرفوش من حلب الى جبة عسال وارسل هدية الى مصطفى باشا عند رجوعه الى بلاد بعلبك ان يسمح له في قتل ابن عمه الامير شلهوب الحاكم من قبل الامير فخر الدين ٠ وجعل الى مصطفى باشا عوضاً عن ذلك ثلاثين الف غرش هبة ٠ فلما قبض الباشا المال ارسل وامسك الامير شلهوب الحرفوش ورفعه الى القلعة وضبط جميع مقتنياته ٠ و بعد يومين قتله ٠ و بعد ذلك طلع الامير علي ابن الحرفوش وتاهل بزوجة الامير شلهوب ٠ وفي هذه السنة وردت الاخبار ان جركس محمد باشا الوزير الاعظم خرج من اسلامبول الى اسكودار في عسكر المسلمين لاستخلاص بغداد من الشاه عباس ٠ ولسبب تمرد ابازا محمد باشا الذي قتل القباقول وتمرد على الدولة ٠ وكان ابازا باشا محاصراً لقلعة انكورية ٠ فلما علم اباز باشا بخروج الوزير رحل الى انكورية من الجهة مولي ٠ وقام الى اسكي شهر و بقي فيها نحو عشرين يوماً ٠ ثم رحل الى ايقونية وبقي هناك نحو شهرين ودارت المراسلات بين الوزير جركس محمد باشا وابازا باشا في الصلح ٠ فما رضيت القباقول ان تصالح ابازا باشا لانه قتل منهم نحو عشرة الاف رجل ٠ وفيها ورد الى ميناء بيروت مركبان وفيهما علي باشا التنوخي الذي كان اغا الانكشارية في الباب العالي وهم راجعون من مصر لان الدولة كانت انعمت عليه بباشوية مصر ولم يقبلوه فالتقاه الامير حسين ابن الامير فخر الدين وخرج الباشا الى بيروت في عياله فقدموا له كل اكرام و بقي عشرين يوماً في بيروت وتوجه الى اسلامبول ٠ (وفيها تثبت مصطفى باشا ثانية في ولاية مصر ٠ واستولى الهولانديون على سانت سلفادور)

وفي السنة ١٠٣٤ هـ = ١٦٢٤ م كان عمر باشا الذي حضر الى ايالة طرابلس مقيماً في بيروت منتظراً الامير فخر الدين ليرجع من سفرته ليكون مساعداً له ٠ وذكرنا انه حضر الى صور واجتمع بالامير في راس العين ٠ وكان مع عمر باشا السند الذي كان على يوسف باشا بخمسين الف غرش لما كان محاصراً في قلعة الحصن ٠ و بعد رجوع الامير فخر الدين اعطاه عمر باشا السند المذكور مقابل ما يتكلفه لقيامه معه ٠ فارسل الامير فخر الدين الى يوسف باشا يطلب المال المذكور ٠ فرد له جواباً يعتذر له وانه يعطيه مقابل ذلك مقاطعة بلاد جبيل والبترون وطلب من الامير ان يتمهل عليه بتسليم

الايالة نصف شهر حتى يا تيه جواب العرضحالات من الاستانة · وطالت بينهما المخابرات واخيرًا حضر الجواب من اسلامبول بتقرير عمر باشا على طرابلس · وطلب من الامير ان يقوم معه · فعند ذلك ارسل الامير جميع السكمان وارسل الى اخيه الامير يونس ان يجمع رجال الشوف · والى الشيخ مظفر ان يجمع رجال الجرد وبيت تنوخ ان يجمعوا رجال الغرب · ومقدمي كفر سلوان بيت ابي اللمع ان يجمعوا اهالي المتن · واجتمع الجميع في بيروت · ولما تكاملت الرجال رحل الامير وصحبته عمر باشا الى نهر ابراهيم ومنه الى البترون · فوصل اليه صورة الاوامر بتقرير ايالة طرابلس على يوسف باشا ابن سيفا ومع صورة الاوامر مكاتيب من الوزير الاعظم الى الامير فخر الدين ان لايعارضه في ذلك · فلما وصلت تلك الاوامر رجع الامير من البترون الى بيروت ومعه عمر باشا فطلب عمر باشا منه ان يوجه معه جماعة توصله الى حماة فارسل معه خمسمائة خيال سكمان اوصلوه الى حماة ورجعوا وتوجه عمر باشا الى الباب العالي · وبعد رجوع الامير الى بيروت بمدة شهر حضر ساع من السكمان الذين بقوا في قلعة عجلون وقلعة السلط يعرفون الامير بان الميرة والذخيرة خلصت من عندهم · وان الامير بشير ابن قانصوه محاصرهم · وان لم يدركهم الامير يلتزموا ان يسلموا · فلما وصلت له تلك الاخبار ركب في الحال من بيروت الى صيدا مع السكمان · وفي وصوله حضر له مكاتيب من الامير علي الشهابي يخبره ان الامير حسينًا الحرفوش حضر الى حاصبيا · وانه مستعد لتأدية الدراهم التي صار الكلام عليها على شرط وقوع الصلح التام وان ترجع له زوجة ابنته الامير فخر الدين التي اخذت منه لما ضبط قلعة قب الياس · فرد الامير جوابًا للامير علي طالبًا الامير حسينًا ان يحضر ويكون طيب الخاطر · فحضر الامير علي وولده الامير قاسم ومعهم الامير حسين الحرفوش · ولما وصلوا الى مدينة صيداء التقاهم الامير فخر الدين وولده بكل اعزاز واكرام الى خارج المدينة · وبقوا عند الامير عشرة ايام · وادى الامير حسين المال الذي تعهد له به واخذ زوجته بنت الامير فخر الدين ورجع الى بعلبك وهو مجبور الخاطر في غاية الفرح والسرور · وفي تلك الايام حضر مكاتيب من طويل حسين شوباصي صفد ان السكمان الذين في قلعة عجلون سلموا الامير بشير ابن قانصوه بالامان · وبعد خروجهم اخذ خيلهم وامتعتهم وحضروا الى صفد حفاة عراة · فعندها اسرع الامير في التوجه خوفًا على الذين في قلعة السلط · وتوجه بجميع السكمان على طريق

الحولة · وامر اخاه وولده ان يجمعوا رجال البلاد والمتاولة ويتوجهوا الى مدينة صفد · واما الامير فخر الدين فانه توجه الى المنية على شاطيء البحيرة وامر فرسان السكمان ان يحملوا عليق ثلاثة ايام وعزم على الرحيل · وعندها وصل اليه اربعة من مشايخ بلاد عجلون بمكاتيب من الامير بشير بها يقول انه طالب الصلح ويحب ان يكون في خاطر الامير كيفما اراد فتأخر الامير لهذا السبب ورد الجواب له ان يحضر وعليه الامان وانه يجعله قائماً مقام ولده الامير حسين في عجلون كما كان وارسل الامير ذا الفقار بلوكباشي بهذا الجواب وان لم يحضر فالعسكر واصل اليه · وكان مع الامير نحو خمسة آلاف سكماني · وامر ذا الفقار ان يمر على الشيخ احمد الكناني يصحبه معه حتى يطيب خاطر الامير بشير ويأمن · فلما وصلت رسل الامير بشير وذو الفقار والشيخ احمد وعلموا الامير بشيراً بالجواب توجه الى الشيخ رشيد واجتمع به فعدل الامير بشير عن المواجهة ولكنه قال اني تحت امره بكلما يريد · ولما حضروا الى المنية ومعهم مكاتيب من الشيخ رشيد الى الامير يستعطفه بذلك قبل الامير التماس الشيخ رشيد وشفاعته والتماس الشيخ احمد وسمح له بدون مواجهة · وقال ردوا جواباً على الامير بشير بان يكون طيب الخاطر ويكون في عجلون مقام ولدنا الامير حسين وسمحنا له بالمواجهة لاجل اطمئنان خاطره · وانما نحن مرادنا ان نتوجه الى قلعة السلط حتى نبدل السكمان الذين فيها ونقدم لهم المؤونة فقالوا له لا يلزم ان تتعب نفسك بذلك فالذي تريده نرسله والميرة التي تريدها نحن نتسلمها ونوصلها ونحضر لك السكمان الذين هناك والامير بشير يورد الغلال الى القلعة · فقبل ذلك بكفالة الشيخ احمد الكناني الذي ارسل مائة جمل محملة ميرة وبقسماطاً وارسل من السكمان خمسين نفساً · وبقي الامير وولده واخوه في المنية ينتظرون جواب وصول الميرة · فسار الشيخ احمد الكناني بنفسه ورافقهم الى القلعة واخرج حسيناً البلوكباشي الذي كان في القلعة واحضره معه وارسله الى الامير فخر الدين مع الجمال · ولما وصل حسين البلوكباشي الى الامير خلع عليه واعطى كل واحد من رجاله خمسة غروش هبة · فسروا وطابت قلوبهم بخلاف ما حصل للسكمان الذين كانوا في قلعة عجلون · وكان حضر ايضاً الامير احمد ابن طربيه الى جنين وراسل الامير فخر الدين بالصلح · وبعد مخابرات كثيرة وقع الاتفاق بينهم عن يد الشيخ رشيد فصار اتحاد زائد بين الامير والشيخ رشيد · واستمر الامير بشير في عجلون نائباً عن الامير حسين المعني · وفي هذه السنة وردت

الاخبار بان جركس محمد باشا الوزير الاعظم رحل في عساكر المسلمين الى نهر حاجز وبقي بينه وبين محمد باشا ابازا النهر فقط . فعبر عسكر اباز باشا النهر بدون امره فركب القبا قول والتقوهم . ولما ابتدأ الحرب انكسروا امامهم الى قرب المدافع وتبعهم عسكر ابازا باشا . ولما صاروا تجاه المدافع اطلقوها عليهم فقتل منهم عدد لا يحصى . وتبعهم عسكر الوزير وعبر النهر واستولى العسكر على كل خيام ابازا باشا فهرب ابازا باشا الى سيواس من ارض الروم وتبعه الوزير فرحل ودخل بلاد الروم ونزل الوزير في مدينة طوقات . ثم نرجع الى حديث ابن معن فانه بعدما وقع الاتفاق امر عسكر اهالي البلاد بالانصراف كلاً الى مكانه وقسم السكمان قسمين فجعل النصف عند الحاج حسن بلوكباشي في القرية المذكورة (عجلون) . ورحل في الباقي الى البقاع على طريق الحولة ونزل في قب الياس ومنها الى بيروت . وكان قد أمر ولده الامير عليًا ان يطلع ببقية السكمان الى صفد . وفي هذه السنة بنى الامير منذر ابن الامير سليمان ابن علم الدين ابن محمد التنوخي سرايا عظيمة في قرية عبيه في الشحار من الغرب . وبقي مدة اربعين سنة ولم يكملها لزيادة اتساعها وكان البناؤون من اسلامبول . وفي هذه السنة في نصف شوال توفي يوسف باشا ابن سيفا التركماني وهو اول باشا تقرر على مدينة طرابلس وكان اميرًا جليلاً . وقد احتمل في حياته مشقات عظيمة من ابن معن . وعند وفاته حضر اولاده الامير قاسم من جبلة . والامير محمود من حصن الاكراد . والامير بلك من عكار . وخلفه الامير قاسم ورجع الباقون الى مواطنهم . وبعد موته بسبعة اشهر نهبت المدينة لان الامير فخر الدين قدم في الجيوش الى بعلبك . ثم الى جبة بشرة . ونزل الى طرابلس ونهب المدينة . وبقي فيها الى ان دخل والي حلب اليها . ثم انه حضر مصطفى باشا ابن اسكندر من قبل الصدر الاعظم حافظ احمد وتولى على طرابلس وكان ظالمًا فكتب عكار الى الامير سليمان . وطرد اولاد عمه الى الحصن . وفي هذه السنة دخل شهرا كانون الثاني وشباط (اي يناير وفبراير) ولم تهطل الامطار الا قليلاً وظهر الجراد في ارض بعلبك والحصن والجون . وفيها اجتمع الامير قاسم ابن سيفا والشيخ علي ابن حمادة ويوسف آغا صاحب قلعة المرقب في المرقب فركب لحربهم مصطفى باشا بعسكر طرابلس فقدموا له عشرين الف غرش وطيبوا خاطره ورجع الى طرابلس . ثم انه ارسل الى الامير فخر الدين وطلب منه النجدة . فجمع الامير العسكر من سكمان وعرب واهل البلاد ولحقوهم من بيروت الى البقاع ثم الى بعلبك ثم الى الهرمل . وكان الامير سليمان ابن سيفا في

صافيتا ومعه نحو اربعمائة رجل · فلما بلغه قدوم الامير فخر الدين اطلق جماعته وهرب الى سلمية من اعمال حوران ونزل على الامير مدلج البدوي فكان الامير مدلج راكباً مع الوزير حافظ احمد لتخليص مدينة بغداد · فاستظهر عليهم الشاه وقتل من عسكر الوزير عدداً عظيماً · ورجع الوزير الى ديار بكر · فرجع الامير مدلج الى سلمية فقبض على الامير سليمان والقاه في نهر الفرات · ثم ان بني سيفا طلبوا رضى الامير فخر الدين وسلموه قلعة الحصن وقلعة المرقب فطاب خاطره عليهم ومنع عنهم باشا طرابلس · وفي هذه السنة كانت وفاة الامير محمد ابن الامير علي الشهابي ولم يترك عقباً

وفي السنة ١٠٣٥ هـ = ١٦٢٥ م ارسل حافظ احمد الوزير الاعظم وعزل مصطفى باشا عن ولاية طرابلس وولى عليها عمر باشا الدفتردار · واستدعى مصطفى باشا اليه اليه وحال وصوله الى ديار بكر قتله واخذ ماله · ثم تقدمت شكايات ضد ابن معن بانه ظلم الرعايا ونهب مدينة طرابلس · ولما عزل حافظ احمد عن الوزارة تولى عليها خليل باشا فتوجه الى حلب في العسكر لكي يحارب الامير فخر الدين وينهب بلاده · وحال وصوله عزل عمر باشا عن ولاية طرابلس واعطاها لابراهيم باشا · واما الامير فخر الدين ابن معن فحين بلغه قدوم الصدر الاعظم ارسل عبد الله بلوكباشي يستعطف خاطر الوزير ويعده بمال جزيل وبتسليم قلع الحصن وصافيتا وسلمية (او سليمة) وشميس والمرقب · فقبل الوزير ذلك · وعندما صار الاتفاق على ذلك قتل الوزير الامير يونس الحرفوش وتحولت الحملة على مدينة الشام · وفي هذه السنة صار فناء عظيم في البهائم وغلت الاسعار كثيراً فصارت قلة الزيت بستة غروش وشنبل الحنطة بغرشين وبيع رطل الحرير بعشرين غرشاً · (وحدث وباء ثقيل بالقاهرة مات به اكثر من ٣٠٠٠٠٠ نفس · ولتسكين روع الخلق منع الباشا الصياح فكان الميت يمر بالحارة ولا يسمع به · وكان الباشا يستحوذ على التركات وكان انتشار الوباء في ربيع اول = (دسمبر) وانتهى في رمضان = (مايو) في تلك السنة · وفي السنة المذكورة وردت اوامر سلطانية للامير فخر الدين (فرمان عالي شاه) خط هما يون لانه كان متولياً على بلاد عربستان من حدود حلب الى حدود القدس ومعطى اسم جده المرحوم المغفور له الامير فخر الدين سلطان البر (اشارة الى الامير فخر الدين الاول الذي قابل السلطان سليم) على المقاطعات المذكورة بحيث يؤدي ميرتها الى الخزينة العامرة ويحافظ على سلوك طرقها وانتظام بنائها وذلك بسعي مدبر الحاج درويش · وذكر

في مكاتيبه طالباً ان يباشر في ذلك وجعل لخروج هذه الاحكام الشريفة الى خزينة مولانا السلطان مائتي الف ذهب . وتوجه في هذه الاوامر محمد آغا السلحدار. فلما وصل الى حضرة الامير فخر الدين واطلع الامير على مضمونها رد الجواب حالاً انه لا خلاف للاوامر الشريفة وقبلها بالسمع والطاعة واعطى محمد آغا ثلاثة آلاف ذهب هبة . ثم ان الامير جمع السكمان الذين عنده واولاد العرب وسار بهم الى بيروت ثم الى جبيل ثم الى بلاد عكار وطلب ذخيرة من تلك المقاطعات . ثم سار الى الشيزر فحضر اليه والي حلب لاجل السلام وقدم له الذخيرة . ثم سار لغربي حماة ونادى بالامان فقابله اهل حماة وقدموا له هدية خمسين الف غرش ثم طلب ذخيرة من عرب الموالي فلم يقبلوا ذلك . ورحلوا من ارض حماة فلحقهم الامير بالخيل فقط حتى عبرهم النهرين . ورجع يطلب ذخيرة من تلك المقاطعات . ثم انتقل الى اللاذقية . ثم ابتدأ في بناء قلعتين الواحدة شمالي قلعة الشماميس مقابل حلب على كتف الروج . والقلعة الثانية فوق انطاكية وبعد ان اكمل بناءها وضع فيها بلوكباشية ورجع الى بعلبك واصلح قلعتها ووضع فيها سكمان من قبله وارتحل الى بر الياس و بنى القلعة التي فوق حارة قب الياس واقام على البقاع حاكماً سليمان ابن حيمور ووكله في بناء القلعة . (وكانت قب الياس عاصمة البقاع والقلعة باقي آثارها للان فوق قب الياس والقلعة القديمة المذكورة سابقاً كانت تحتها قرب محل الكنائس) . وفيها كانت وفاة الامير علي امير حاصبيا وحاكم وادي التيم السفلي فتولى بعده ولده الامير قاسم . (وفي السنة ١٠٣٦ هـ لسبب اخذ مصطفى باشا التركات تظلمت الورثة الى الاستانة فعزل وولي مكانه بيرام باشا الذي اخذ في تحقيق ما اتهم به مصطفى باشا . فحكم عليه بارجاع الاموال التي اختلسها فباع كل ماله ومقتنياته وسافر الى الاستانة . وفي السنة ١٠٣٧ هـ عندما وصل مصطفى باشا الذي كان والياً على مصر للاستانة حكم عليه بالاعدام فاعدم)

وفي السنة ١٠٣٨ هـ = ١٦٣٨ م سار الامير فخر الدين الى وادي التيم فالتقاه الامراء بيت شهاب وقدموا له ذخيرة . ثم سار الى بانياس واستقر فيها يبني القلعة وطلب الذخيرة من تلك المقاطعات ومن قرى الشام . (وفيها حصلت معاهدة بين فرنسا وفينيسيا والبابا ودوك السافوا تقضي باستقلال ايطاليا . وفيها نشر ديكارت قوانين الانكسار في علم البصريات . وفي السنة ١٠٣٩ هـ جهز محمد باشا الذي تولى مصر بعد بيرام باشا حملة مؤلفة من ٣٠ الف رجل تحت قيادة قشوبك لردع قبائل اليمن فتوقف هذا القائد عن

السفر بعد ماقبض الاموال اللازمة للحملة ولكنه اذعن اخيرًا وسافر . وفيها جاء سيل عظيم في مكة فخرب اغلب المدينة وهدم حيطان الكعبة فكتب السيد مسعود شريف مكة الى والي مصر وارسل الكتابة مع كاتب الاستانة فامر ببناء الكعبة وارسل من مصر جميع اللوازم لذلك وصرف على ذلك نحو مائة الف غرش = ١٦ الف جنيه الآن

وفي السنة ١٠٤٠ هـ = ١٦٣٠ م قدمت المراكب من بلاد الافرنج الى عكا وصور والرملة وطرطورة لاجل مشترى القمح لان الغلة كانت قليلة فاشتروها باغلى ثمن . وكان الامير فخر الدين معاضدًا لهم . و بلغ عدد المراكب في ميناء عكا نحو مائة وخمسين برشًا (اي مركبًا صغيرًا) وكلها لمشترى القمح . وزادت الاثمان حتى بيع بطرابلس شنابل الحنطة بثلاثةعشر غرشًا وربع . ولم يوجد في كل سواحل البحر . وفي هذهالسنة توزع القشلاق على بلاد الشام (عسكر بجمع الاموال الاميرية) فصار ضيق عظيم على السكان بسببهم وضاقت الاماكن من كثرة الناس . وعند ماقدم الامير فخر الدين من صيداء الى طرابلس خرجت الناس الى ملتقاه وطلبوا منه ان يمنع القشلاق عنهم وكانت المدينة تتدبر منذ خمس سنين بالمتسلمين . فارسل الشيخ احمد ابن حمادة مع بعض اناس الى الامير يعدونه بمبلغ دراهم اذا لم يدخل المدينة فما رضي بذلك . وفيها بنى الامير فخر الدين في بيروت برج الكشاف والحوش . وفيها سار الامير فخر الدين الى بلاد حوران و بنى قلعة سلخد . وجمع الذخيرة من تلك البلدان فتضايق اهل الشام من الغلاء وارسلوا شكوا احوالهم اليه فارسل لهم الفين جمل محملة حنطة من حوران . وامر جميع جمال حوران ودوابها ان ينقلوا الحنطة الى الشام . وارسل مناديًا ينادي في المآذن في الشام حسب امر الامير فخر الدين يلزم ان يباع رطل الخبز بارتين والذي يخالف يندم (تأمل هذا السعر الغالي ولكن من اعتبر اجرة العامل = بارة يرى انه غلاء فاحش) . ثم حضر الامير فخر الدين الى المرجة وخرج اليه اكابر الشام وقدموا له الهدية . وفيها تقدمت الشكايات ضد الامير فخر الدين الى الباب العالي . فحضرت الاوامر الى الكجك احمد باشا والي الشام بان يوجه العساكر ضد الامير فخر الدين . وفيها كانت وفاة الامير احمد حاكم راشيا وخلفه ولده الامير حسين فضم الامير قاسماً اليه وحسنت بينهما الالفة والمحبة . واستقر الامير قاسم اميرًا على حاصبيا وما يليها والامير حسين اميرًا على راشيا وما يليها وكان الاميران المذكوران ينهضان في كل وقت لمعونة الامير ملحم المعني على قتال اليمنية . وكان الامير حسين

متزوجاً بابنة الامير ملحم وكان بينهما محبة عظيمة · (وفي السنة ١٠٤١ هـ وصل الى مصر خليل باشا البستاني والياً عليها واستلم ازمتها · وفيها زينت مصر خمسة ايام لسبب حصول الرخص والرخاء وفيضان النيل · وفيها ثار جماعة من اللصوص تحت رئاسة شخص يدعي الشرف ونهبوا مكة فارسلت جيوش من القاهرة بقيادة قاسم بك لاخماد ثورتهم والاقتصاص منهم فساروا وحاربوهم وقتلوا زعماءهم · وفيها احتلت اهالي اسوج مدينة مونيخ · وفي السنة ١٠٤٢ هـ عاد قاسم بك بجيشه الى القاهرة ظافراً · واستقال خليل باشا من ولاية مصر · وتعين والياً على الروملي وولي على مصر الوزير احمد باشا الملقب بالكرجي · واكتشف الفرنساويون لوسيانا)

وفي السنة ١٠٤٣ هـ = ١٦٣٣ م خرجت عساكر كثيرة من الشام و باغتوا بلاد ابن الشهاب اي وادي التيم فنهبوها واحرقوا قراها · ثم نزلوا الى الخان الجديد الذي تحت حاصبيا · وكان الامير في صفد فزحف برجاله الى بانياس · ثم قام و باغت الدولة صباحاً فظفر بهم ورجعت عساكر الدولة الى الشام ولكن اصاب الامير علياً رمح في كتفه فوقع الى الارض قتيلاً (لربما الامير علي المعني) · وفي هذه السنة قدم جعفر باشا الرباث بالمراكب الى طرابلس ثم الى بيروت · فتجمع بنو سيفا واصحاب الاحزاب بعسكر وافر ومشوا مقابل المراكب على طريق البر · فانهزم بيت معن من بيروت وصيداء وتشتتوا فالامير حسين ابن الامير فخر الدين احتمى مع نوفل مدبر الشيخ ابي نادر الخازن في قلعة المرقب وابن عمه الامير ملحم ابن الامير يونس هرب الى الامراء بيت طربيه في بلاد عجلون · والامير فخر الدين ادخل عياله الى شقيف تيرون الذي فوق قرية نيحا واختبأ مع الشيخ ابي نادر الخازن وسرور اغا وابي علوان وابي صافي · ثم انه حضر كجك احمد الى مدينة صيدا وكتب للامير يونس ابن معن في الامان فنزل من دير القمر الى صيدا · وفي حال وصوله اليه قتله · ثم ركب في عساكر الدولة الى بلاد الدروز فنهبوا وقتلوا وسبوا · وتولوا على جميع القلاع والحصون · ثم ان الكجك احمد باشا ولى على حكم بلاد الدروز الامير علياً ابن علم الدين اليمني · ثم القى الحصار على قلعة نيحا اي شقيف تيرون · ومسكت الدولة حسيناً من قلعة المرقب مع الشيخ ابي نادر واخذوهما الى الوزير الاعظم الى حلب · وبعد حصار طويل على قلعة نيحا كشفوا الماء المنحدر الى القلعة فافسدوه بالدماء وكروش البهائم · وقيل انه اهداهم الى ذلك الخادم الذي كان داخل القلعة واشار الى الخدم الذين عند الباشا · واهداهم بنفخ الزمر على مجرى الماء ولما افسدت

الماء تدلى الامير فخر الدين وعياله من قفاء القلعة في الجبل الى تحت واختفى في قلعة جزين . وعند الصباح خرجت الخدم والذين كانوا باقين في القلعة وطلبوا الامان فملكت الدولة القلعة . وعرفوا بهرب الامير فخر الدين الى مغارة جزين وهي مغارة منيعة في وسط الجبل لا يسلك اليها احد الا على الاخشاب والماء من داخل المغارة . ولما بلغ الكجك احمد باشا انتقال الامير الى تلك المغارة سار بعساكره الى حصارها . وابتدأت النقابين تنقب الجبل من اسفل وصاعداً وما زالوا يقطعون في الصخر حتى بلغوا المغارة . وفي آخر جمادي الثاني ملكوها . واوثق الكجك احمد الامير فخر الدين واولاده منصور وحيدر و بلك مع مدبر بهم ورجع بهم الى الشام . واما الامير ملحم فكان عند الامراء بيت طربيه . ولما بلغهم ان اباه الامير يونس قتل وعنده اسر اسلمه اولاد طربيه بيد مدبره . فاتى به قاصداً دمشق . ولما نزلوا في قراخان واهل تلك البلاد يعرفونه بخان العبيد فرّ ليلاً عن سطح الخان وقصد النهر واختفى تحت العبارة على صفصافة . ولما هرب احسّ به العسكر وتفرقوا في طلبه وفتشوا كل تلك النواحي فلم يقفوا له على اثر فرجعوا الى الخان . ثم ان الامير ملحم بعد رجوعهم من مطاردته سار ليلاً وهو عريان فصادف راعياً طلب منه ان يأتي له بشيخ عرنة لحضر اليه فعرفه بنفسه فاخفاه في داره ثلاثة اشهر . واما الخوازنة فاطلق الامير علي علم الدين الشيخ ابا نادر تحت مبلغ من الدراهم وولده ابو نوفل هرب من حلب وكذلك سرور . واما الامير فخر الدين فأُخذ الى اسلامبول مع اولاده وهناك لامه السلطان على افعاله . فقدم اعذاره واحتج عن ذاته انه جمع الرجال لامور مختصة بالوزراء او النواب . وما قتل غير العصاة على السلطنة العلية . وان القلع التي استولى عليها وفتحها كانت بيد العصاة وسلمها للسلطنة فاقتنع السلطان من كلامه وعفا عنه انما ابقاه مخفوراً . وكان الامير علي ابن علم الدين اليمني بعد ما اخذوا الامير فخر الدين الى اسلامبول ضبط جميع ارزاق بيت معن وقبض على تابعيهم وقتل بعضاً منهم . ثم توجه الى اعبيه وباغت الامراء بيت التنوخ فكانوا في الحمام في السرايا التي تحت القرية فقتل الامير يحيى العاقل والامراء محموداً وناصر الدين وسيف الدين وردم البرج على اولادهم الصغار فقتل الثلاثة . ولم يترك من بيت التنوخ ولا ذكراً يخلفهم . فلما بلغ ذلك الامير ملحم ابن معن جمع من كان معه من القيسية وركب على اليمنية . وكانوا مجتمعين في القبيط فوق مجدل المعوش ومعهم

مدبر كجك احمد فظفر بهم الامير ملحم وقتل من الفريقين نحو اربعمائة نفس وقتل مدبر كجك احمد باشا . فانهزم الامير علي ابن علم الدين الى الشام وخرج بعسكر من الشام نحو خمسمائة رجل . وعندما وصل تحت قب الياس نزل سيد احمد (١) ابو عذرا الى مقاتلتهم برجال العرقوب نحو اربعمائة رجل فاخلت له الدولة الخيام حتى دخل بالرجال ثم طبقوا عليهم وما سلم منهم الا القليل . فرجع الامير ملحم واختبأ في الشوف . فتجددت الشكايات علي الامير فخر الدين الى الباب العالي بسبب الامير ملحم بانه جمع الرجال وقتل مدبر كجك احمد باشا وفتك في عسكر المسلمين وقصد حصار الشام . وعند ذلك امر السلطان بقتل الامير فخر الدين واولاده . وتولى بنو سيفا ايالة طرابلس . واليمنية بلاد الشوف . وفي دولة الامير فخر الدين قويت النصارى . وركبوا الخيل بسروج ولفوا عمائم بيض وكرور ولبسوا مناطق وسيوفاً مرصعة وحملوا السلاح المرصع . وقدم المرسلون من بلاد الافرنج واخذا يسكنون في جبل لبنان وكان اكثر مدبريه وخدمته نصارى . وكان الامير حسين ابن الامير فخر الدين ولداً صغيراً فرضيت عنه الدولة و بقي مقيماً في اسلامبول وسوف ياتي عنه الشرح وهو الذي ذكرنا عنه ان اباه ارسله وعمره نحو اربع سنين الى ملتقى محمد باشا الذي قدم الى مدينة بيروت في البحر وقدم له الذخائر وقيل هذا كان سبب العفو عنه من الدولة العلية (والامير فخر الدين المعني اشهر جميع من تولى على لبنان منهم وقد بنى بنايات عديدة كما ذكر وقلعاً وحصوناً لا تحصى وامتدت ولايته الى اكثر اطراف سوريا وعندما حصل اختلاف بينه وبين بيت سيفا واتى بنو سيفا فاحرقوا ونهبوا الشوف قيل انه اقسم هكذا . « وحق زمزم والنبي المختار لا عمرك يا دير بحجر عكار » . وهكذا لما فاز على بني سيفا وحاصر قلعة الحصن واخذها وهدمها جعل الجمال بالالوف تجلب الحجارة من قلع عكار الى دير القمر و بنى جميع الدور القديمة في دير القمر ووزع في جدرانها من حجارة عكار . وهي الحجارة الصفراء الموجودة في الخرج وفي جميع بنايات بيت معن القديمة وهي باقية الان وفيها وردت اوامر شاهانية الى مصر بارسال

---

(١) احمد ابو عذرا احد سلفاء آل عماد المشهورين في لبنان في القوة والبطش . ويراد برجال العرقوب سكان العرقوب بين الاعلى والاسفل وقرى الاعلى عين زحلتا و بمهرين واغميد والورهانية وقرى الاسفل الباروك والفريديس و بتلون وكفر نبرخ و بريح وعين وز يه وبجدل المعوش والحرف باسره مع العزونية وعين دارة . وهم اشد رجال لبنان قوة في الحروب واسمهم معروف في ذلك من قديم الزمان .

الفي عسكري مصري الى سوريا لمحاربة دروز لبنان مع ارسال ٥ آلاف قنطار بقسماطاً و٤ الآف قنطار باروداً)

وفي السنة ١٠٤٤ هـ = ١٦٣٤ م تولى على ايالة طرابلس قاسم باشا ابن يوسف باشا ابن سيفا . ولما حضر له الامر في السفر الى بلاد الفرس وعزم على التوجه لم تطاوعه مدبروه وكبر عليه الوهم فتظاهر بالجنون وانهزم من المدينة . واجتمعت الاعيان وحكموا ابن اخته الامير علياً ابن الامير محمد و بقي شهرين . فركب لحربه خاله الامير عساف ابن يوسف باشا وطرده من طرابلس الى بيروت فاتفق الامير علي ابن سيفا مع الامير علي ابن علم الدين الدرزي اليمني وصاروا يداً واحدة و برأيٍ واحد مع حسن آغا وحضروا بالعسكر الى الجرد فحكموا بلاد جبيل والمنيطرة . فركب لحربهم الامير عساف و بيت حمادة واحرقوا بلاد جبيل والمنيطرة وقتلوا ابا جمال الدين سيالة وابن اخيه في بيت الخلاء . ثم ان المقدم زين الدين ابن الصواف اتحد مع الامير علي ابن سيفا وسارا برجالهما الى قرية ايعال التي على نهر رشين فباغتهم الامير عساف والمشايخ بيت حمادة فظفر بهم الامير علي وقتل الشيخ كنعان ابن الشيخ قانصوه حمادة وجماعة كثيرة من تابعيهم . فانهزم الامير عساف ونزل الامير علي ابن سيفا واستلم طرابلس وتولى حكم المدينة وجبيل والبترون . وكثرت الحكام و لاحزاب وظلموا الرعايا واخذوا المال الاميري مرتين وقبضوا على رؤساء القرى وشددوا عليهم ليخبروا عن ارزاق بيت معن و بيت الخازن . (وفيها كان تطبيق النظارات على الاقواس المدرجة اي المنقسمة الى درج . وفيها انشأ سلامة ابن احمد ابن علي الشهير بالمعرف جامع المعرف ببولاق بالقاهرة . وفيها عقدت معاهدة بين السلطان مراد الرابع وحكومة فرانسا . وتجددت المعاهدة ايضاً بينه و بين حكومة الفلمنك مؤيدة المعاهدة السابقة)

وفي السنة ١٠٤٥ هـ = ١٦٣٥ م تولى ايالة طرابلس مصطفى باشا البستاني . ففوض حكم جبيل والبترون الى الامير علي ابن سيفا . وعكار وصافيتا والحصن الى عساف ابن سيفا . وجبة بشرة الى يعقوب الحدثي والى الشيخ ابي جبرائيل الاهدني . وكان حكم الامير عساف عادلاً ولما امره السلطان في التوجه لحرب الشاه الذي كان تملك مدينة ارزن قدم محافظة البر الى الامير عساف فما هان على ابن اخته الامير علي و باغت قرية اميون و نهبها واحرق و بدد زينتها . وكان معه محمد ابن علي الصواف . فجمع خاله الامير عساف الرجال وسار اليه ودارت رحى الحرب بينهما في ارض عرقة في طرف الزاوية فانكسرت

جماعة الامير علي وانهزم الى بلاد الدروز وكانت عياله في قرية سير فباغتهم الامير عساف وطردهم الى عكار وتولى على بلاد جبيل · ثم ان الامير علي جاء بنجدة من بلاد الدروز وهاجم خاله الامير عساف بغتة في قرية اغاز من بلاد الحصن فظفر به الامير عساف وقتل من جماعته مقتلة كبيرة وصار ضيق شديد على رعايا تلك البلاد · (وفيها اسس روشيلو نادي المعارف بفرنسا (اكادمي فرنسيس) · وفيها رصد سورات اول رصد للكواكب والنجوم في النهار · وفيها استدعي احمد باشا والي مصر الى الاستانة فسار وقد توقف عن تأدية المبالغ التي جمعت فرفع المصريون التقارير اللازمة فحكم عليه بالاعدام · وتولى مكانه الوزير حسين باشا فجاء مصر في زمرة من رجال الدروز التقطهم من كل ناد فجعلوا يسومون المصريين جميع انواع العذاب)

وفي السنة ١٠٤٦ هـ = ١٦٣٦ م قصد احمد الشمالي اغا الانكشارية مقاتلة الامير علي ابن علم الدين لعصاوته في عدم ايراد المال السلطاني · واتفق مع احمد الشمالي متولي سنجق صفد ومتسلم بيروت والمقدم مراد ابي اللمع والامير عساف ابن سيفا · فانهزم قدامهم بعياله ورحل معه يمنية بلاد الغرب والجرد والمتن والشحار والشويفات بعيالهم ومواشيهم وكانوا نحو سبعة الاف نفس فدخلوا بلاد كسروان · وانهزم من قدامهم القيسية وكسروهم في مرحاتا · وقتل الشيخ ابو فارس ابن حبيش · ثم اقتتلوا في المروج فقتل الشيخ حمزة ابن القاضي · ثم طردوهم من بلاد كسروان فساروا الى بلاد عكار على طريق الجرد واجتمعوا مع رجال الامير علي ابن سيفا في مدينة عرقا الخراب · واما عسكر الدولة فساروا على طريق الساحل ودخلوا مدينة طرابلس وخرجوا الى نهر البارد فانهزموا من قدامهم ولحقوهم بين شجر البلوط فوق برج تيب بارض الجون فكسروهم وسبت الدولة حريمهم واخذت مواشيهم · ثم ان طربيه البدوي تداخل بالصلح بين الامير عساف وابن اخته الامير علي وصار الصلح بينهما في قرية المنية ورجعوا ابن علم الدين الى بيروت

فصل

في حكم الامير ملحم المعني

فلما توقعت هذه الاحوال ظهر الامير ملحم ابن معن وحكم بلاد الشوف · وفي هذه السنة نزل في ارض الزاوية والضنية برد زانوا الواحد فبلغت اوقية (الاوقية ٣/٢ ٦٦ درهماً) ·

و بعد ذلك حدث قيظ شديد . فدخل شهر كانون الاول (دسمبر) والهواء حارّ ولا مطر البتة واكلوا الفواكه والتين عن الشجر وغلت الاسعار فبلغ شنبل القمح قرشين ونصف . وفي هذه السنة ذكر في التواريخ انه وقع الحرب بين كجك احمد باشا وبين الشاه . وان الشاه ظفر بالمسلمين واسر كجك احمد وقتل من عسكره خمسين الفاً . ثم حضر قبجي يطلب ذخيرة الى السلطان مراد فاقفلت ابواب طرابلس لشدة الغلاء ودخل مرتضى آغا المتسلم من قبل مصطفى باشا ونادى بالامان . وقرر بلاد عكا على الامير عساف وجبيل والبترون على الشيخ احمد والشيخ علي ولدي قانصوه . وفي هذه السنة جمع بيت الحرفوش سكمانهم وعربانهم واتوا ليسترجعوا بلاد بعلبك . فلما بلغ ذلك نائب الشام خرج بعسكره ووقع بينهم الحرب فظفر النائب ببيت الحرفوش وقتل منهم مقتلة عظيمة . وفيها قدم متسلم محمد باشا الى ايالة طرابلس . فلما بلغ ذلك مصطفى باشا ارسل ارجعه من الطريق الى حماة . وارسل علي اغا المدبر والبعض من تابعيه الى قرية بقرزلا ليجتمع مع الامراء بيت سيفا والحمادية . ولما تواجهوا لم يقبل بيت سيفا بالمصاوة على الدولة العلية . فوقع الاختلاف بينهم فقتلوا الشيخ احمد حمادة وعلي اغا مدبر مصطفى باشا ومن كان معه . وارسلوا واستحضروا متسلم محمد باشا . فلما بلغ ذلك مصطفى باشا هرب من طرابلس ليلاً ودخل المتسلم المدينة مع الامير عساف سيفا والامير علي . وفيها غلا ورق التوت جداً حتى وصل القنطار (الحمل) الورق الى عشرة غروش . (وفيها اضطربت الاحوال في مصر لسبب ما كانت تاتيه الدروز اعوان الوالي من الاعمال . وفيها ابطل حسين باشا حقوق الوراثة فاذا مات احد استولى هو على تركته واحرم ورثاؤه الثكالى او الايتام وكان لا يمر يوم الا ويقتل رجلاً او رجلين . وكان عدد الذين ذهبوا فريسة ظلمه نحو الف ومائتي نفس)

وفي السنة ١٠٤٧ هـ=١٦٣٧ م انتقل الامير عساف الى بلاد جبيل وصار الاتفاق بينه وبين الامير ملحم ابن الامير يونس ابن معن وارسلوا رجالهم ورجال مدلج الحياري الى عكار فطردوا الامير علياً ابن علم الدين والامير علياً ابن سيفا وظلوا وراءهم حتى جبال الكابية . ولما وصلوا الى كفر طاب بلغهم ان محمد باشا عزل عن ايالة طرابلس وحضر بدله شاهين باشا فرجعت عساكر ابن معن والامير عساف . ورجع الامير ملحم الى الشوف والامير عساف الى البقيعة . وحين وصول شاهين باشا ارسل الامير عساف له التقادم والهدايا فارسل له جواب الرضى والقبول وأمنه وطلبه ان يحضر اليه . وكان قد تقدم شكايات

كثيرة على بيت سيفا انهم اخربوا البلاد . ولما عزم الامير عساف ابن يوسف باشا سيفا على الحضور أنصحه رفاقه ان لايحضر فما قبل ذلك. ولما وصل امام شاهين باشا امر برفعه الى قلعة الحصن . وثاني يوم شنقه على البوابة وقتل من كان معه . ثم عين لخدمته الامير اسماعيل ابن موسى الكردي من راس نحاش والشيخ علياً حمادة وامرهم بالنهوض لحرب بيت سيفا فقبضوا على قاسم باشا المجذوب وعلى الاولاد والنساء ووقع التفتيش على ارزاق بيت سيفا وهرب الامير علي وتشتت بنو سيفا وهربوا من ايالة طرابلس . واما الامير علي ابن علم الدين الذي كان قاطناً عند الامير علي ابن سيفا في صافيتا لما بلغه ما جرى على بيت سيفا نزل حالاً للشام فهرب الامير ملحم من الشوف . وفي هذه السنة كانت الاغلال مخصبة فبيع شنبل القمح بثلاثين بارة وقلة الزيت بثلاث بارات (تامل) . (وفيها كانت وفاة فرديناند الثاني امبراطور المانيا . وعزل الوزير حسين باشا عن مصر وتولى مكانه محمد باشا ابن احمد باشا وابن ابنة السلطان سليم)

وفي السنة ١٠٤٨ هـ = ١٦٣٨ م قدم السلطان مراد خان الى مدينة حلب بعساكر وافرة قاصداً بغداد فخاف الامير علي ابن علم الدين وانتقل الى بلاد بشارة . وكان الامير ملحم ابن معن في وادي التيم فارسل الى رجال الشوف وسار بهم الى بلاد بشارة وباغت الامير علياً علم الدين في قرية انصار فهرب ابن علم الدين . وارسل الى متسلم الشام يطلب المعونة فارسل له عسكراً من السكمان وزحف بهم لمحاربة الامير ملحم فهرب امامه وخرب الشوف والمتن والغرب والجرد من القيسية (اي هاجروها) . وفيها حضرت البشائر ان السلطان مراد ملك مدينة بغداد فزينت المدن واظهرت فرحاً عظيماً . وفي هذه السنة حضرت اوامر شريفة ان بلاد جبيل والبترون وجبة بشرة تنسلخ عن ايالة طرابلس وتتبع ايالة الشام . وفيها تعين احمد اغا الشمالي حاكماً على صيدا وبيروت . فكمن له الامير علي ابن علم الدين وقتله في ارض خلدة . وفيها احترق الزيتون في ارض كسبا وكفر عقا ماتبلغ قيمته نحو خمسين الف غرش وباد من تلك الارض . (وفيها ارسل والي مصر احمد باشا ١٥٠٠ مقاتل تحت قيادة قنسو بك لمساعدة الحملة العثمانية الذاهبة للاستيلاء على بغداد اطاعة للاوامر الشاهانية . وفيها وصف المعلم مبزرين وشرح التلسكوب « المرقب » ذا الانعكاس)

وفي السنة ١٠٤٩ هـ = ١٦٣٩ م عزل شاهين باشا عن ايالة طرابلس وخلفه محمد باشا الارناووط . وكان مدبره مصطفى بك ابن الصهيوني . وفي هذه السنة باغت الامير

علي ابن علم الدين قرية مشغرا ونهبها . ثم نزل الى بيروت وسكن فيها . وفيها صارت زوبعة مريعة دامت ثلاثة ايام بريح شديد كسر الاشجار وغرق المراكب في البحر . وفي هذه السنة توفي السلطان مراد الرابع ابن السلطان محمد الثالث وهو الرابع عشر من ملوك آل عثمان والثاني عشر منهم في القسطنطينية . وهو الذي تملك بغداد من الفرس وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة

الفصل الثاني عشر

في سلطنة السلطان ابراهيم ابن السلطان احمد وهو الثامن عشر من ملوك آل عثمان والثالث عشر منهم بالقسطنطينية

ثم تولى السلطنة بعد السلطان مراد الرابع بالقسطنطينية والثالث منهم اخوه السلطان ابراهيم ابن السلطان احمد وضرب نقوداً في القاهرة . وفي هذه السنة ركب باشا طرابلس لحرب الامير سليمان ابن سيفا فظفر به ونهب عكاراً . وهرب الامير سليمان وكان صحبته حمدان ابن الشاعر من قرية فاريا الذي هو من انسباء الشيخ علي حمادة . (وفيها استبدل والي مصر محمد باشا اخر والٍ ولاه السلطان مراد على مصر بمصطفى باشا الملقب بالبستاني وفي مدته وقع الغلاء والقحط . وفي السنة ١٠٥٠ هـ تسلط فريدرك (غليوم الاول) على المانيا . وذبح ٤٠ الفاً من البروتستانت في ايرلندا . وانعقدت معاهدة بين السلطان ابراهيم وحكومة فرانسا . وفيها تولى مصر مقصود باشا وكان فيها طاعون لم يسمع بمثله وكان ابتداؤه ببولاق . ثم ظهر بالقاهرة بعد شهرين وتوفي به ٩٠٠٠٠٠ نفس ولكثرة الموت دفنوا الاموات بدون صلاة عليهم . وخرب بهذا الطاعون ٢٣٠ بلدة من الجهات البحرية)

وفي السنة ١٠٥١ هـ = ١٦٤١ م وقع الاضطهاد على بيت حمادة من والي طرابلس فطردهم من وادي علمات ومن بلاد جبيل وقتل محمد ياغي ابن قمر الدين وصحباً ابن حيدر و بعض تابعيهم وتولى على بلادهم الامير علي ابن علم الدين . وفي هذه السنة جردت العساكر العثمانية في البحر لقتال اهل البندقية في قريطش (كريت) لانهم قبضوا على اخي السلطان وعمته وهما سائران في البحر الى مكة . وفي اخر هذه السنة حضرت اوامر شريفة من الباب العالي الى محمد باشا الارناووط والي طرابلس ان تكون صيدا

و بيروت في تسليمه · فارسل مدبره زلفه آغا متسلماً · وكان الامير ملحم ابن معن في بلاد الشوف · والامير علي ابن علم الدين في بشتودار من بلاد البترون · فباغت الامير علي ابن علم الدين الشيخ سرحان حمادة في قرية غبالة من فتوح جبيل فقبض على خمسة من اولاد الشيخ سرحان وقتلهم ونهب القرية · وهرب الشيخ سرحان الى الامير ملحم وكان معه الامير اسمعيل الكردي والمقدم علي ابن الشاعر والبعض من بيت حمادة · (وفيها حصلت ثورة عظيمة في البورتغال · وعقدت معاهدة بين السلطان ابراهيم الاول وكارلوس الاول ملك انكلترا · وفيها كانت ولادة السلطان محمد الرابع · وفي السنة ١٠٥٢ ه ولد السلطان سليمان ابن السلطان ابراهيم · وفيها اغتصب البرلمان الانكليزي الاحكام · وحدثت بانكلترا حروب اهلية · وحصل غلاء شديد بمصر · واكتشف فاسمان زيلاند الجديدة واراضي الالماس · وولد السلطان احمد الثاني ابن السلطان ابراهيم · وفي السنة ١٠٥٣ ه اخترع تورشلي البارومتر وهو ميزان حالة الجو من حر وبرد · وحصلت ثورة بالاسكندرية وذلك ان ٦٠٠ من المسيحيين كانوا مسجونين ففروا من السجن والمسلمون في الجوامع يصلون فنهبوا الحوانيت والمخازن والبيوت وهربوا في مركب كان بانتظارهم في البحر)

وفي السنة ١٠٥٤ ه = ١٦٤٤ م عزل محمد باشا الارناووط عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا · وكان مدبره الشدياق رزق البشعلاني · وقدمت الشكايات الى الباب العالي ضده · فحضر كاتب ليعد الاشجار والرجال والبيوت والمنازل · و بعدما سافر المحرر ابطل الباشا جميع ذلك واعاد الاحوال الى ما كانت عليه وكانت الناس لكثرة المظالم تبيع كل ثلاث شنابل قمح بقرش · وفي هذه السنة عزل محمد باشا عن ايالة طرابلس · وعاد اليها محمد باشا الارناووط · واقام مدبراً له الحاج قمر الدين ابن الصهيوني واجرى المظالم على الرعايا حتى خربت قرى كثيرة ورحل اهلها · وفي اخر هذه السنة عزل محمد باشا الارناووط · وتولى ايالة طرابلس محمد باشا الصوفي · وقيل ان في تلك السنة رجع محمد باشا الارناووط · وفرق في العيد هدايا على جميع الرعايا وكان شنبل الحنطة بقرش ونصف وصارت الناس بوجل عظيم · وفي هذه السنة توفي الشيخ ابو نادر ابن ابي صقر الخازن مدبر ابن معن · وكان بعد قتل الامير فخر الدين سكن في وطنه بلاد كسروان · (وفيها تواطئت السناجق على عزل منصور باشا وشكوه للباب العالي · ولما علم بذلك منصور باشا صمم على قتل زعماء هذه العصابة فلم ينجح · ثم ورد امر بعزله

وتولية سفيان بك موقتاً مكانه · وفي السنة ١٠٥٥ هـ تولى ايوب باشا على مصر · وفي السنة ١٠٥٦ بنيت الكنيسة الكبيرة المعروفة بكنيسة سان سولبيس بباريس · وفي السنة ١٠٥٧ هـ استقال ايوب باشا من ولاية مصر قصد الخلوة للعبادة · وخلفه محمد باشا ابن حيدر باشا · وفيها ثارت الانكشارية بالقاهرة فتهددهم والي الشرطة فازدادوا تمرداً وطلبوا من الباشا قتل والي الشرطة فاجابهم لذلك فتمردت الجاويشية واتفقوا بالشكايات ضد الباشا وضد فنسو بك وضد حمادة بك واشتكى الباشا على رضوان بك وعلي بك · و بنى الامير سليمان بك الخربوطلي جامع يحيى بالكعكيين بالقاهرة

وفي السنة ١٠٥٨ هـ = ١٦٤٨ م خلع رجال الدولة السلطان ابرهيم عن تخت السلطنة وقتلوه · وكانت مدة حكمه ٩ سنين و٩ اشهر وقيل ٨ سنين وعمره ٣٤ سنة · وقد تملك كيرونيا من كريت ·

الفصل الثالث عشر

في سلطنة السلطان محمد الرابع وهو التاسع عشر من آل عثمان و ١٤ منهم بالقسطنطينية

وفي ذات اليوم الذي مات فيه السلطان ابرهيم اقيم مكانه ولده السلطان محمد الرابع بهذا الاسم · وفي هذه السنة عزل محمد باشا الارناووط عن ايالة طرابلس وخلفه عليها صهره عمر بك فعين مدبراً له حسن ذيب ابن حمادة · وفيها جاء جراد اكل كل ما كان اخضر وصار غلاء حتى بيعت قلة الزيت بخمسة غروش · (وفيها اجاب الباب العالي علي بك ورضوان بك بامر للنظر في مسئلة الشكوى وايضاً اجاب الباشا الوالي فاستدعى الباشا فنسو بك وحمادة بك للقلعة وامر بقتلها · وفيها وردت اوامر الى علي بك ان يترك القاهرة و يتوجه الى حكومته بجرجا · وفيها اعيد محمد باشا الى منصبه ثم حضر امر بعزله وتولية احمد باشا · وفي السنة ١٠٥٩ هـ امر القائد الانكليزي كروميل بقطع راس كارلوس الاول ملك انكلترا · وانعقدت معاهدة بين السلطان محمد وحكومة فرانسا · وفي السنة ١٠٦٠ حدث غلاء شديد في مصر لانخفاض النيل فتعطلت الاموال وكثرت المظالم وفشا النهب والسرقة · وفيها كانت وفاة ديكارت الرياضي الشهير · وفيها صنعت اول مضخة هوئية)

وفي السنة ١٠٦١ هـ = ١٦٥٠ م اعطى عمر باشا بلاد البترون للامير ملحم المعني

فولى نائبه الشيخ ابا نوفل الخازن . وكتب عمر باشا امارة الجردة (اي تقديم لوازم الحج والمحافظة عليه) على ابن الصهيوني فتوجه الى نابلس ولقب بمصطفى باشا . وفي هذه السنة حدثت الوقعة الشهيرة في وادي القرن . وذلك ان ابن علم الدين نقد بشير باشا والي دمشق مبلغاً من المال على بلاد ابن معن فوجه معه عسكراً للحرب فالتقى برجال ابن معن في وادي القرن فوقعت الكسرة على عسكر الشام وتشتتوا وكانت النصرة للامير ملحم المعني . وكان في هذه السنة جراد كثير فاكل جميع الحبوب وغلت الاسعار . وفي هذه السنة حضر الى دير القمر الامير حسين المعني ابن الامير فخر الدين وكان مرسلاً من قبل الدولة العلية الى الهند . وهو الامير الذي كان صغيراً حين قبضت الدولة على والده واخوته وقد تشفع به محمد باشا المقدم ذكره . وارتقى هذا الامير في مراتب الدولة الى ان صار خوجكان عظيماً وكانت ترسله الدولة في المهمات وحين حضوره الى دير القمر لاقاه ابن عمه الامير ملحم وقدم له كل اكرام . ثم عرض عليه الاقامة فيسلم ليده الاحكام فابى حسين بك قبول ذلك وسار في طريقه بعدما اقام نحو عشرين يوماً بكل اكرام . وفيها كانت وفاة الامير قاسم الشهابي في حاصبيا وكان اميراً جليلاً خلف ثلاثة اولاد وهم الامير منصور والامير حسن والامير نصيف . فتوفي الامير حسن صغيراً بعد ابيه . وكان الامير نصيف بسيطاً ساذجاً فتولى الامير منصور مكان ابيه . وضم اليه اخاه وازوجه جارية واقطع له عقارات تكفي لمعاشه . (وفيها ورد امر من الباب العالي بعزل احمد باشا عن مصر وتولية الوزير عبد الرحمن باشا وسجن سلفه في القلعة ولم يفرج عنه حتى قدم للخزينة مبالغ وافرة)

وفي السنة ١٠٦٢ هـ = ١٦٥١ م عزل محمد باشا عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا وسلم امورها الى الشيخ ابي رزق البشعلاني . واتفق المذكور مع الامير اسمعيل الكردي والمقدم علي ابن الشاعر ضد بيت حمادة . واعطوا حكم بلاد عكار لحسن اغا ليستوفيها من تحت يد ابن معن . ثم ان ابن الصهيوني تقوى عليهم واخذ وظيفة مدبر منهم . واعطى حكم جبة بشرة الى ابي شاهين علي ابن الغالي . واعطى عكار للشيخ سرحال . وفي هذه السنة بان نجم بين الثريا والميزان في الشرق وله دائرة على شبه هالة القمر الا ان نوره كان مغشى كانه مكسوف . ثم حدث في الليل ريح عاصف كسر جملة اشجار وخرب عدة بنايات وبقي النجم ثلاثين يوماً واختفى . وفيها حدث الطاعون الشديد فمات به خلق لايحصي عددهم الا الله . وفي هذه السنة رجع محمد باشا

الارناووط الى ايالة طرابلس واقام ابا رزق مدبراً له . وبعد مدة اخبروه ان مراده ان يخرج من طرابلس فقبض عليه وعلى عياله وضبط بيته وارزاقه . وبعد خمسة اشهر وردت الاخبار بان محمد باشا الارناووط معزول . واقيم على طرابلس مكانه قرا حسن باشا . فاخذ محمد باشا ابا رزق والمقيدين معه الى حماة . وعندما وصل قرا حسن باشا الى حماة اطلق سراح ابا رزق واولاده تحت تسعة اكياس (الكيس خمسماية غرش) التي نقدها عنه ابن الصهيوني . ورجع الى خدمة قرا حسن باشا . وبعد وصول محمد باشا الارناووط الى اسلامبول حضر امر شريف مع قبجي مخصوص بقطع راس ابي رزق حبيش فطلب منه قرا حسن باشا بان يسلم ليعفي عنه فقبل ذلك ونطق بالشهادة قدام القاضي واعيان طرابلس ورجع القبجي الى اسلامبول . ثم ان قرا حسن باشا اعطى ابا رزق حكم جبلة واللاذقية . وعندما اراد التوجه الى اللاذقية اوصى اخاه ان ياخذ عياله الى حكم ابن معن . وبعد توجهه الى اللاذقية اخذ اخوه اولاده . (وفيها امر الباب العالي بعزل عبد الرحمن باشا وتولى بدله الوزير محمد باشا . وفي السنة ١٠٦٣ ﻫ كان دخول محمد باشا السلحدار الوالي الجديد الى مصر . وفيها صار كرومويل محامياً للجمهورية الانكليزية . وفيها ظهر اول اعلان بجريدة . وفي السنة ١٠٦٤ ﻫ انعقدت معاهدة صلح بين انكلترا والفلمنك . وفيها تنازل كرستيان ملك اسوج عن الملك)

وفي السنة ١٠٦٥ﻫ = ١٦٥٤ م دخل ايالة طرابلس محمد باشا الكبير فاعطى حكم البترون الى المقدم علي ابن الشاعر وجبة بشرة الى الشيخ احمد ابن محمد عيادة . وفي هذه السنة اعطي السلطان محمد اختام الوزارة الى بشير باشا والي حلب . فتوجه اليه الامير علي ابن علم الدين اليمني وابن الصهيوني . ولما رحل الوزير الى اسلامبول ليمهد اموره عرضوا له ان ابارزق حبيش بعد ما اسلم واخذ حكم اللاذقيه ارسل عياله الى بلاد ابن معن فامر الوزير بقتله . وارسل اناساً احضروه وقتله في ايقونية . وفي دخول بشير باشا الوزير الى مدينة اسلامبول امر السلطان بقتله وتولى الوزارة مراد باشا . فلما بلغ الامير ملحم ابن معن ذلك ارسل مدبره محمداً القهوجي ومعه ثلاثون الف غرش الى مراد باشا ليستعطف خاطره فصفا خاطر الدولة عليه واعطاه سنجقية بلاد صفد مع ثقر بيره على بلاد جبل الشوف وملحقاته . (وفيها استولت انكلتره على جاميكا واخذتها من الاسبانيوليين عنوة . وكان ادخال البن اول مرة لفرنسا . وفيها اكتشف هوجين رابع اقمار زحل)

وفي السنة ١٠٦٦ هـ = ١٦٥٥ م استقرت ايالة طرابلس على ابن الكبرللى فعين اسمعيل الكردي مدبرًا له ولما رأى انه لا يركن اليه هرب بعياله الى بلاد ابن معن فاسكنه في مدينة صور . وفي هذه السنة عزل مراد باشا عن الوزارة . وتسلم اختامها محمد باشا الذي كان على ايالة طرابلس سابقًا . فتولى طرابلس محمد آغا الطباج . وتولى صيداء و بيروت اسمعيل آغا وتولى صفد بشناق محمد آغا . وضمن المقدم فارس ابن مراد ابن ابي اللمع جبة بشرة من محمد اغا الطباج . (وفيها بنى الوزير محمد باشا السلحدار جامع سيدي عقبة بالقرافة الصغرى بالقرب من الامام الليث بالقاهرة . وفيها كان اول استعمال البندول (الرقاص) في الساعات . ووضع لاول مرة قانون للعربات في باريس . وتوجه كرستيان ملك اسوج سابقًا الى باريس . وفيها كان انتهاء وتتميم مرصد كوبنهاغن . وفي السنة ١٠٦٧ هـ عزل والي مصر غازي باشا وتولى بعده عمر باشا . وفي السنة ١٠٦٨ هـ حاصر الاسوجيون مدينة كوبنهاغن)

وفي السنة ١٠٦٩ هـ = ١٦٥٨ م تثبت الطباج على ايالة طرابلس . فاعطى عكار والجبة للمقدم فارس ابن ابي اللمع . و بلاد البترون للمقدم علي ابن الشاعر ويكون استيفاء مالها على يد ابن معن . وفيها تولى الامير ملحم ابن معن احكام صفد فتوجه ليجمع مالها . ولما وصل الى عكا حصل له مرض شديد فنقلوه الى صيدا بهودج . وفي سادس عشر ايلول (سبتمبر) توفي . فحزنت عليه اهالي الشوف حزنًا عظيمًا لوفرة عدله وحلمه وكرمه . وكان اميرًا جليلاً ارضى الدولة . وعمل له اولاده مناحة اربعين يومًا . وفي هذه السنة حضر الى ايالة طرابلس قبلان باشا وبيده اوامر شريفة ضد بيت حمادة فهربوا الى كسروان بعيالهم . فهدم الباشا بناياتهم في وادي علمات ونزل الباشا الى جبيل بالعسكر وضبط الحنطة التي كانت لاهالي كسروان . ثم قرر عكار على المقدم فارس ابن مراد ابي اللمع . و بلاد جبيل على جاور اغا وبجبة بشرة على المقدم قائد بيه ابن الشاعر . و بسبب فساد بيت حمادة واختلافهم بعضهم مع بعض تضعضعت احوال الرعايا واتفق المال فقبض على جاور اغا وقتله . وفيها اتى جراد اكل الزروع والاشجار و بلغ ثمن الغرارة من القمح اثنين وسبعين غرشًا .

فصل

في ولاية الامير احمد المعني وهو اخر حكام بيت معن

ثم بعد وفاة الامير ملحم المعني استقر على حكم جبل الشوف ولداه الامير قرقماز والامير احمد . (وفيها كانت وفاة الجنرال او ليفر كرومبل . ونسر هوجين واوضح ماهية الظاهرة الحلقية في اقمار المشتري . وفي السنة ١٠٧٠ هـ توجه كرستيان ملك اسوج سابقاً الى رومية . وفيها كان عود شارل الثاني الى الملك ببلاد الانكليز بواسطة الجنرال موتك وتعرف هذه المدة عند الانكليز بمدة العود والاسترجاع . وفيها كان تاسيس الجمعية الملكية بلوندرا . وغلت المواشي كثيراً في بلاد مصر .)

وفي السنة ١٠٧١ هـ = ١٦٦٠ م تقدم عرضحالات الى الباب العالي من مرتضي باشا والي الشام ان بيت شهاب و بعض اغاوات الشام منعوه عن الدخول والتصرف . فارسل محمد باشا الوزير ابن الكبرلي ولده احمد باشا الى نيابة الشام ومحمد باشا الارناووط الى صيداء و بيروت . وقرر قبلان باشا على طرابلس . وعندوصول ابن الوزير الى الشام كاتب باشا القدس وقبلان باشا والي طرابلس وباشا غزة وابن طربيه البدوي بالركوب لحرب بني قيس . فاتى اليه الامير علي ابن علم الدين وولداه الامير محمد والامير منصور وابن الصيهوني والمقدم علي ابن الشاعر واكثر حزب اليمنية . فمات في الشام المقدم علي ابن الشاعر والامير علي ابن علم الدين بالطاعون . ثم ان احمد باشا ابن الكبرلي زحف في العساكر من الشام الى سعسع . فكاتبه بنو شهاب وعرضوا عليه جانباً من المال فما قبل ذلك . فهربوا بعيالهم الى بيت حمادة وسار معهم نحو ستمائة رجل الى قمر في اطراف كسروان الى الجرد . ثم سار احمد باشا ابن الكبرلي الى وادي التيم فهدم سرايات بيت شهاب في حاصبيا وراشيا و بيوت مدبريهم . وقطعوا نحو خمسين الف شجرة من توتهم في مرج عيون والبقاع . واعطوا حكم وادي التيم الى ابن علم الدين والى المقدم زين الدين وابن اخيه عبد الله . و بعد ما انتقل الباشا الى قب الياس وكاتب الامير احمد واخاه الامير قرقماز اولاد الامير ملحم ابن معن في طلب الشهابية والحمادية . وكان بيت معن انتقلوا من بعقلين الى عين زحلتا بنحو سبعة الاف من القيسية . فاجابوا ان بيت شهاب و بيت حمادة ما دخلوا بلادهم فطلب منهم خمسمائة كيس (الكيس

خمسمائة غرش) . فقبلوا ان يودوا ما ئتي كيس . وصار الرضي ان تصل ليده على اربعة اقساط كل شهر قسطاً . وارسلوا اليه الامير قاسم امير الشويفات وشرف الدين قدم حمانا رهناً تحت المبلغ المذكور . ثم رجع ابن الكبرللي الى الشام . واخذ معه احمد بك باشا غزة فقتله و بلص اهله واخذ من بيت طربيه اربعين الف غرش . ورجع قبلان باشا بطريق الهرمل الى طرابلس . وارسل الى الامير اسمعيل الكردي الامان . فانتقل بعياله من صور الى طرابلس . فقبض عليه وقتله لانه حضر مع المعنية الى عين زحلتا . واما بيت معن فظهر منهم اهمال في ايراد المال الذي تعهدوا به . فخرج ابن الكبرللي في العسكر الى المرجة . ثم انتقل الى مرج عيون . ثم الى قب الياس . وحضر اليه باشا غزة و باشا طرابلس وابن علم الدين واولاد طربيه . فاجتمع المعنية والشهابية وبيت حماده في قمز . واتفق الراي بينهم ان يصرفوا رجالهم . وان يرسلوا السكمانية واللاوند الى الامير عساف الحياري . وان الامير فرقماز والامير منصور والامير علي يتوجهون بخمسين رجلاً الى بلاد جبيل ليختفوا بها وان الامير احمد المعني واخاه يختبئان في بلاد جبيل ايضاً . ثم ان الشيخ سرحال شيخ الباروك ومشايخ بلاد الدروز كاتبوا الباشا ان بيت معن و بيت الشهاب انهزموا من تلك البلاد جميعها . فارسل اليهم نفقة عسكر فقبلوا ذلك . ثم اعطى حكم جبل الشوف الى الشيخ سرحال العماد شيخ الباروك . واعطى حكم المتن والجرد والغرب الى اولاد الامير علي ابن علم الدين . و بلاد كسروان الى محمد آغا . ووزع على كل مقاطعة عشرين الف غرش عدا المال المعتاد . واقام على صيداء باشا وتعينت باشاوية من ذلك الوقت حتى يرفع اولاد العرب . واعطاها الى علي باشا الدفتردار . ولما بلغه ان بيت معن مختفون في كسروان ارسل الى قبلان باشا يطلب اليه ان يبحث عنهم في جبال كسروان فسار بخمسة الاف ومعه بنو يمن وصالح اغا . ولما وصل الى عين حنين ثم الى الجوزات ثم الى المنيطرة احرقوا دور بيت ابي اللمع ودور بيت الخازن و بيت حمادة وقطعوا ارزاقهم وصار اولاد علم الدين روساء حزب اليمنية . وفعلوا كذلك في وادي علمات واتلفوا احراش مشمش والحفدوارض جبيل والبترون وجبة المنيطرة والعاقورة . فبلغ الوزير انه صار ضيق وخراب على الرعايا منهم فامر بصرف العساكر ورجع الى الشام . فاما بيت الشهاب فهربوا بعيالهم الى الجبل الاعلى قرب حلب . (وفيها حصلت وقعة السناجق وهي وقعة هائلة انقسمت فيها الامراء احزاباً واشتعلت نيران الحرب في شوارع القاهرة وامتد ذلك الى الاقاليم القبلية وجهز فيها عدة تجريدات حتى انتهت بقتل اغلب الامراء

الفقارية · وفيها انشأ امير اللواء عابدين بك جامع عابدين بك بمصر القديمة)

وفي السنة ١٠٧١ هـ = ١٦٦١ م حدث طاعون في بلاد الشام اهلك كثيرين · وكانت الناس بوجل عظيم من الوباء والظلم الذي جرى · وفيها اجرى علي باشا الدفتردار الظلم على كنيسة القديس جرجس التي هي خارج بيروت لجهة الشمال نحو النهر · واذ لم يقبل النصارى بالبلص امر ان تصير الكنيسة جامعاً وبنى لها ماذنة وسميت مقام الخضر · ولما شرعوا ببناء الماذنة وحفروا للاساس الى ناحية الجنوب من الكنيسة وجدوا ناووساً من حجر وجسد الميت داخله محفوظ من الفساد · وعلى راسه تاج و بيده كاس · فاخذوها ودفنوا الميت مكانه وكان ذلك بجانب بئر الكنيسة · وفي هذه السنة قدم علي باشا الى صيداء وهو اول من تولاها من الباشاوات وكانت فتنة عظيمة بينه و بين مشايخ المتاولة · وهذه السنة كانت كثيرة العجائب ففي اول الربيع قدم الجراد الطيار فاظلم الجو منه واكل الزروع والخضر · ثم فقس وغطى وجه الارض فاكل الزيتون والتوت والكروم حتى لم يبق شيء اخضر في جميع البلاد الا بساتين الشام · وعندما طار الصغير منه حجب الشمس · وعندما دخل الشتاء حدث برد عظيم وشتاء زائد وتراكمت الامطار والثلوج التي لم يسمع بمثلها · وزاد الثلج في السواحل حتى تكسرت منه الاشجار والزيتون ووصل الى البحر ودام ذلك مدة · فاشتد الجوع وزاد الغلاء الى ان بلغ ثمن غرارة القمح الاثني عشر غرشاً · وانقطع وجود الملح الى ان بيع الفنجان بمصرية (بارة) ثم زادت الاسعار الى اخر الشتاء فبلغ ثمن الغرارة ثمانين غرشاً · وزاد الى ان بلغ مد الطحين خمسة غروش · ومات اناس كثيرون من الجوع · واكلت الناس لحوم الحيوانات المائتة · ثم ارسل احمد باشا ابن الوزير الى مصر واحضر قمحاً الى الشام حتى بيعت بمد ذلك الغلاء غرارة القمح بثلاثين غرشاً · ثم كثرت الاوجاع والامراض في الناس ومات اكثرهم · ثم دام الغلاء الى السنة التالية حتى ظهور الاغلال فرخصت الاسعار الى ان بيعت غرارة القمح بعشرين غرشاً · وفيها كانت وفاة الامير حسين امير راشيا وله ولدان وهما الامير علي والامير بشير ووالدتهما ابنة الامير ملحم المعني وكان الامير بشير صغيراً فتولى الولاية الامير علي · (وفيها كان تاسيس سراي فرساي بفرنسا)

وفي السنة ١٠٧٣ هـ = ١٦٦٢ م عزل علي باشا الدفتردار عن مدينة صيداء وتولى مكانه محمد باشا فكتب الى الامير قرقماز والامير احمد المعنيين بالامان · وان

يوجهاله مدبرها ليردها الى بلادها. فارسلا له مدبرها لحمله على الطأنية . وطلب منه ان يحضر الاميرين ليواجها مدبره في عين مز بود فنزلا للمكان المذكور . ولما شربا القهوة امر المدبر السكمان فضربوهما . فقتلوا الامير قرقماس واما الامير احمد فحامى عنه تابعوه وهرب سالماً ولكنه اصابه سيف سيف في رقبته فتصلبت ومات بعد مدة طويلة . ثم ان محمد باشا اعطى حكم البلاد الى الامير محمد ابن الامير علي ابن علم الدين ومعه الشيخ ابو علوان من قيسية الباروك . (وفيها كان اختراع المكرومتر ذي القرص . وفي السنة ١٠٧٤ هـ كانت ولادة السلطان مصطفى خان الثاني ابن السلطان محمد خان الرابع)

وفي السنة ١٠٧٥ هـ = ١٦٦٤ م في اخر تشرين الاول (اكتوبر) صارت زلزلة عظيمة قتل بها خلق لا يحصى في الموصل وفي بلاد الشوف . وهدمت بنايات واماكن كثيرة . وخربت قلعة بعلبك (في هذه الزلزلة هدم حائط الشمالي للقصر في عين زحلتا الذي هو الان كنيسة الانجيليين فيها) وفي هذه السنة كانت الوقعة في الفلفول عند برج بيروت بين القيسية واليمنية . فقتل من اليمنية عبد الله ابن قائد بيه ابن الصواف وانكسرت اليمنية وانهزموا الى بلاد الشام . وتولى الامير احمد حكم بلاد الشوف والمتن والجرد والغرب وكسروان . وارسل فاحضر بيت شهاب من مدينة حلب وكانوا في الجبل الاعلى . وفي هذه السنة ظهر في السماء كوكب شبه السهم بين الجنوب والغرب واُتلف التوت والزرع وجميع الاشجار وصار غلاء عظيم . وفيها حدث الطاعون فاقفلت بسببه بيوت كثيرة لموت جميع سكانها . وقيل ان قاضي حلب ضبط عدد الاموات به فبلغ مائة واربعين الفاً . وفيها تملك السلطان محمد جزيرة فريطش (كريت) بعد ما حاصرتها العساكر العثمانية سبعة وعشرين سنة . وقيل انه قتل في هذا الحصار ماينوف عن اربعمائة الف من العساكر . (وفيها توفي ٦٨ الف نفس بالطاعون في لندره وقيل مائة الف . واخترع كرشير المصباح السحري . واكتشف كاسيني دوران المشتري . وفي السنة ١٠٧٦ هـ حصل طاعون وحريق هائل في لندن دمرت فيه النار ثلاثين الف بيت و ٤٠٠ شارع . وكان فيها اول ادخال الشاي في انكلترا . وفيها كانت حرب بين انكلترا وهولاندا . وفي السنة ١٠٧٧ هـ تولى مصر احمد باشا بعد عزل عمر باشاواليها السابق . واكتشف كاسيني دوران الزهرة والمريخ . وكان اختراع الميكرومتر ذي الشعر . وفيها كان تاسيس مرصد جوبلين . وكانت انارة شوارع

باريس بالمصابيح . وفيها اخذت الانكليز مدينة نيو يورك من الفلمنكيين ووقع الصلح بينهم . وفي السنة ١٠٧٨ هـ تولى مصر ابرهيم باشا بعد عزل عمر باشا الذي كان حكمه سنة واحدة . وفيها كان تاسيس مرصد باريس وشنت التتر والقوقاز الغارة على بولونيا . وحصل الاتحاد الثلاثي ضد الملك لويس الرابع عشر . وفي السنة ١٠٧٩ هـ كان استقلال البرتوغال عن اسبانيا . وصار الشروع في بناء مرصد باريس . وفي السنة ١٠٨٠ هـ استولى العثمانيون على كانديا)

وفي السنة ١٠٨١ هـ = ١٦٧٠ م صار وباء عظيم في الشام وما يليها حتى ان الناس تركت اشغالها لدفن الاموات وقيل انه مات في ثلاثة ايام ثلاثة الاف . (وفيها حصل حريق هائل في جهة باب زويلة بالقاهرة واستمر اياماً حتى مات فيه خلق كثير وتخربت فيه بنايات تلك الجهة . وفيها كان اول استعمال البنادق ذات الشطفة اي ذات الحجر الصوان وعليها الحربة) .

وفي السنة ١٠٨٢ هـ = ١٦٧١ م استنجد الامير علي الحرفوش بحكومة الشام وخرج بعسكر فهزم اولاد عمه الامير عمر والامير شديداً والامير يونساً فنهب ارزاقهم وحرق دورهم وتولى بعلبك . وفي هذه السنة ركب الامير فارس الشهابي لحرب بيت حيمور في البقاع وقتل منهم جملة رجال . ثم انهم استنجدوا بدولة الشام فانجدتهم بعسكر وكان صحبته الامير موسى والامير منصور ولدي الامير علي علم الدين فداسوا وادي التيم وحرقوا دور وقرى بني الشهاب . وفيها نهب ملك الهند مكة والحجاج وقتل كل من فيها من العثمانيين . وفي اخر هذه السنة عزل محمد باشا عن ايالة طرابلس وتولى مكانه حسن باشا . فاعطى المشايخ بيت حمادة قطيعتهم ولم يكلفهم سفراً او تكاليف اخر عليها فاخذهم الطمع وانفقوا المال وظلموا الرعايا فخربت القرى من الظلم . وفي هذه السنة اهتم ابو فارس واخوه الشيخ ابو ناصر اولاد الحاج منصور الاهدني واستاذنوا الامير احمد ابن معن لكي يهدموا كنيسة السيدة في دير القمر ويبنوها قبواً عقداً فاذن لهم وعملوا كذلك . وفيها صار هذه السنة عكس ما حدث سنة احدى وسبعين من كثرة المطر وحسن الطبيعة في اول الخريف في الجبال ماعدا السواحل وتتابع الوي كل مدة يسيرة . وكان الفلاح في شهر كانون (يناير) يتغدى غالب الاوقات في الظل . وفي شهر شباط (فبراير) اذا اراد الانسان سفراً قريباً الى مكان يقال له اجلس لبعد ما ينخفض الحرا . وفي هذه السنة اقبلت الزروع للغاية . وكذلك الكرم

والزيتون وصار في هذه السنة رخص في الاسعار زايد الحد . فكان في بلاد الشام سعر الاربعة اكيال القمح اي ٣٦٠ اقه = غرش (فتامل) والفول الغرارة بغرش (اي مايساوي ٩ ارادب بغرش) والكرسنة ثمانية اكيال بغرش . وثمن السمنة ارطال (اي ١٢ اقة بغرش والعسل كذلك . و بيع الجبن في بعض الاسواق الثلاثون رطل (٦٠ اقة) بغرش وقيل ان اهل حوران كانت تكلفهم الغرارة في الشام غرشين . وقيل انه في نواحي حماة و بلاد نابلوس لم يمكن ان تباع الغرارة الشعير باجرة حصادها . فسبحان من اذا اراد ان يقول للشيء كن فيكون . (وفيهاتم بناء مرصد باريس فكلفت مليوني فرنك . وفيها اكتشف كاسيني خامس اقمار زحل . وفيها شن الغارة التتر والقوقازوالترك على بولونيا ثانية . وفي السنة ١٠٨٣ ه نكث كرلوس الثاني ملك انكلترا معاهدته مع الفلمنكيين وحاربهم بعد اتحاده مع فرنسا . وفيها كان تشغيل تيلسكوب نيوتن ولمح كاسيني ثالث اقمار زحل . وكان اول معرض لرسوم الصور في باريس . وفي السنة ١٠٨٤ ه كانت ولادة السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع . وعقدت معاهدة بين السلطان محمد الرابع وحكومة فرنسا : وكان صلح و يستمنستر بين انكلترا وهولاندا)

وفي السنة ١٠٨٥ ه = ١٦٧٤ م استمر حسن باشا على ايالة طرابلس . فاعطى الشيخ سرحان بلاد جبيل والبترون . ولما نزل اليه الشيخ احمد ابن قانصوه ليأخذ حكم الجبة قبض عليه بسبب الخراب الذي بدا فيه . وقبض على الشيخ محمد ابن حسن ذيب لتاخر مال الضمنية . وارسل ابرهيم آغا للجبة وكان قدامه ابو كرم الاهدني . وفي هذه السنة في اخر تشرين الاول (اوكتوبر)دام المطر نحوعشرين يوماً . وحمل السيل املاكاً كثيرة واخرب بنايات حصينة . وصار ثلج عظيم حتى وصل الى البحر ووصل الى مدينة رشيد . وفيها كانت وفاة الامير منصور . وكان له ولدان الامير موسى والامير قاسم . (وفيها عزل ابراهيم باشا والي مصر وتولى بعده حسين باشا . وفيها استولى الانكليز على نيو يورك . وطلبت اهالي مسينا من فرنسا ان تملكها . واكتشف رومير سرعة النور)

وفي السنة ١٠٨٦ ه = ١٦٧٥ م استمرت ايالة طرابلس بيد حسن باشا وصيداء بيد اسمعيل باشا ودمشق على حسين باشا . فركب مدبر حسن باشا لمحاربة بيت حمادة وطردهم حتى الى عين التقير فوق افقا . ثم ان المدبر احضر الشيخ احمد وابن محمد عيادة وابن حسن ذئب وامر اولاد عمهم ان يقتلوهم . فلما شاع خبر قتلهم وثب ارفاقهم على

بلاد جبيل ونهبوا وحرقوا قرى كثيرة في البترون فسكوهم وسجنوهم في جبيل وتضعضعت احوال الرعايا . فعرض حسن باشا للباب العالي عن عصاوة البلاد فحضر امر الى باشا الشام و باشا صيداء ان ينجدا باشا طرابلس على العصاة . وفي اول تشرين الاول (اكتوبر) اجتمعت النواب والعساكر نحو خمسين الفاالى بلاد البقاع ونزلوا في قب الياس وكاتبوا ابن معن كي يسلمهم العصاة . وكان اسمعيل باشا صيدا يحب الامير احمد ابن معن . فارسل اليه سرًّا ان لا يكبر الوهم عليه . فجمع الامراء آل شهاب من وادي التيم ومشايخ البلاد في دير القمر وكانو نحو اربعة آلاف شخص واجابوا ان آل حمادة ليسوا في بلادهم . وكتبوا الى اسمعيل باشا ان ابن معن يكفل المال المتأخر على بيت حمادة بشرط ان يرجعوا المسجونين المرهونين في قلعة طرابلس . فتعاطى باشا صيدا صرف امرهم . واحضروا الرهون اليهم . وقدم الباشا العشرين الف التي كانت عليهم . وانصرفت العساكر ورجع باشا طرابلس وعسكر الشام . وفي هذه السنة صار رخص عظيم حتى بيعت غرارة القمح بدمشق بثلاثة غروش . وفيها نهب العرب الحج الشامي وما يضاف اليه من الهنديين والفرس والترك والروم نهبًا فظيعًا وذلك عند رجوعه حتى ان الذي فقد من الاموال والتحف والذخائر والدواب والانسجة واصناف التجارة والاشياء الثمينة وغيرها ما ينيف عن عشرة ملايين . وليلة الاربعاء ثامن شهر تموز الرومي الموافق رابع عشر ربيع اخر من السنة المذكورة انخسف القمر انخسافًا كليًا حتى ذهب جميع ضوءه ولم يظهر منه شيء للعيان الا بعض رسمه . واظلم الافق واكفهر الجوو بانت النجوم . وكان زحل والمريخ مقارنين تلك الليلة في الشرطين نور العيان ما بينهما فرجة مقدار نجم واحد بروءيا العين . والمشتري في الزبانى والزهرة في برج الاسد والقمر في سعد ذابح . وظهر نجم ابي ذوءاب و بانت ذوابته من الغرب ليلة الاحد غرة شهر ذي الحجة الحرام الموافق ثاني عشر كانون الاول (دسمبر) بالرومي وهو اول دخول الشمس برج الجدي . وكانت الزهرة في برج الجدي وكانت ذوابتها تقترب في طلوعها الى نصف الفلك وهي عظيمة هائلة وفي ليلة ثاني احد بان ذات النجم واستمر اخذاً في الارتفاع من الغرب الى الشرق من اول ظهوره . وكلما ارتفع الى جهة الشرق وفي الفلك يميل الى الجهة الجنوبية . و بعد مغيبه ومغيب ذوابته تظهر ذوءابة الى جهة الغرب الشمالي وكان ارتفاعه من الغرب الى الشرق كل ليلة مقدار نصف ارتفاع الهلال في روءيا العين وحد زوايته من الجنوب كان كحد السيف . ومن الشمال بخلاف ذلك .

واما راس الذؤابة الى جهة وسط السماء فبانت عريضة مقدار قوس قزح نحو ثلاث او اربع مرات بغير نور ساطع . واسفلها عند النجم اقل من عرض قوس قزح مرة بنور ساطع مشرق . ولما وصل في ارتفاعه الى قرب وسط السماء في مدة شهر صارت ذؤابته تتلاشى وتظهر ضعيفة بالتدريج في طولها ونورها كما كانت اولاً واستمر اخذاً في الارتفاع الى جهة وسط السماء في رؤيا العين حتى وصل الى برج الثور في نحو خمسين يوماً من مبتداء ظهوره واختفى . (وفيها اتحدت الدنيمارك وهولاندة على الاسوجيين . وعقدت معاهدة تجارية بين السلطان محمد الرابع ودولة بريطانيا)

وفي السنة ١٠٨٧ هـ = ١٦٧٦ م حضرت اوامر تثبيت الى حسن باشا على ايالة طرابلس . فولى الحاج حسيناً ابن الحسامي [1] وابا حيدر على بلاد جبيل . والحاج بازاً ابن ابي رعد ومرعب ابن الشاطر على البترون وابا كرم على جبة بشرة . ووزع السكمان على جميع اصحاب القطائع خوفاً من آل حمادة . ثم جاء الامر بالسفر لمحاربة تركمان البغدلة . فمات مرعب ابن الشاطر في القلمة والشيخ حسين ابن احمد قتل الحاج بازاً في ارض الخند . ولما رجع حسن باشا من السفر واخبروه بقتل الحاج باز والخراب الذي حدث بغيابه سار بالرجال الى بلاد جبيل فقتل شيخ قرية البربارة . وقبض على ابن الحسامي وعلى مشايخ غرزوز وغرمهم لانهم صرفوا آل حمادة في املاكهم . ثم امر بحرق قرى وادي علمات وقرى جبة المنيطرة . وبعد مارجعت الدولة حضر آل حمادة واحرقوا بلاد جبيل وبلاد البترون فخربت جميع البلاد ونزح الرعايا الى بلاد ابن معن . وتفرقوا في جميع البلاد واستوطنوا بها . وما عاد رجع احد منهم الى بلاد جبيل (وفيها تولى مصر حسن باشا جنبلاط . وتم انشاء مرصد جرينويش واحترقت العمارة الهولاندية في بالرم . وانعقدت معاهدة بين السلطان احمد وكارلوس الثاني مجددة لجميع الامتيازات السابقة وهي اساس جميع الشروط الموجودة الان . وفي السنة ١٠٨٩ هـ حدث غلاء شديد بالقاهرة . وحصل في لندن ظلمة دامسة وقت الظهر)

وفي السنة ١٠٨٩ هـ = ١٦٧٨ م توفي في اسلامبول ابن الكبرلي محمد باشا الوزير واستولى على اختام الوزارة مصطفى باشا . فغير النواب في جميع الايالات . وارسل محمد باشا الى طرابلس . فاعطى بلاد جبيل الى الشيخ سرحال . والبترون الى ولده الشيخ

---

(١) حسين الحسامي هو من اسلاف بيت الحسامي الموجودين في مدينة بيروت والذين حكموا بلاد جبيل مدة

حسن • وجبة بشرة الى الشيخ حسين ابن احمد • وامرهم ان يحملوا الرعايا على الطمانينة ويردوا النازحين • وفي هذه السنة في اول اذار (مارس) امتنع المطر وخرج الجراد وعم الطيار منه جميع البلدان من سواحل البحر الى دمشق ولم يزل طائرًا اثني عشر يومًا فرعى جميع الخضر • ثم غرز لالقاء البزر في السواحل كبروفقس وطار في تموز (يوليو) فاتاه السمرمر وانسكب عليه البرد في تموز فمات وتجمع في بعض مواضع كالتلول حتى وكرت به الوحوش •

وفي السنة ١٠٩٠ هـ — ١٦٧٩ م تولى خليل ابن كيوان على صيداء فبدا منه ظلم عظيم على الرعية • وفيها توفي الشيخ احمد ابن علي الصغير شيخ المتاولة • وفي هذه السنة كانت التجريدة على الامراء آل الشهاب من والي صيداء ووالي الشام وكان النصر للباشاوات • فهربت عائلة شهاب من وادي التيم الى بلاد الشوف • وتحولت وادي التيم الى سنجقية وتولاها سليمان اغا ابن تركمان • (وفيها كان انشاء مدارس الحقوق في فرنسا)

وفي السنة ١٠٩١ هـ = ١٦٨٠ م تولى ايالة صيداء خليل باشا ابن كيوان • وصرف محمد باشا آل حماده في قطائعهم • وفي هذه السنة توفي الامير ملحم ابن الامير احمد ابن الامير ملحم ابن الامير يونس اخي الامير فخر الدين ابن معن وكان عمره اثنتي عشرة سنة • وفي هذه السنة انتقل محمد باشا من طرابلس الى مدينة صيداء • وتولى طرابلس باشا اخر اسمه كاسمه • فصرف آل حمادة في مقاطعاتهم • وفيها استأجر الامير فارس ابن الشهاب بلاد بعلبك فتوجه الامير عمر ابن الحرفوش الى آل حمادة وجمع الرجال وباغت الامير في نيحا فوق الفرزل فقتله وقتل خمسين رجلاً من شيوخ وادي التيم فجمعت اسرة شهاب العساكر وساروا الى بلاد بعلبك • فتداخل الامير احمد ابن معن بالصلح وجعل جزية على آل الحرفوش كل سنة خمسة الاف غرش وراسين من اطايب الخيل • وفي هذه السنة قبض باشا حلب علي ملحم الظاهر امير العرب وارسله الى الباب العالي فقتلوه وتولى امارة العرب العباس • وفيها دخل كانون الاول والثاني (دسمبر ويناير) ولم يحدث مطر الا القليل • وظهر شهاب في السماء بين الجنوب والشمال • وبقي نحو شهرين وغاب • وفي ١٥ كانون الثاني (يناير) حصلت زلزلة قوية • ثم كان فصل الربيع باردًا فاتلف الاشجار وجاء برد كبير وزن الواحدة اوقية وثلث وقيل انه في حوران كان وزنها اوقيتين (الاوقية ٦٦ ٢/٣ درهماً) فكسرت الشجر وابادت الزروع واهلكت كثيرًا من البهائم • ثم صار وباء دام ثلاث سنوات الا انه كان قليل الضرر • (وفيها تولى مصر عثمان باشا • وفاض النيل

فيضانًا تامًا ٠ وبنى ذو الفقار بك بشارع اللبودية بدرب الجماميز جامع ذي الفقار بالقاهرة٠ وفيها كان انضمام الالزاس الى فرانسا ٠ وتجددت المعاهدة بين السلطان محمد الرابع وحكومة الفلمنك وهي اساس الشروط المعمول بها الان ٠)

وفي السنة ١٠٩٢ هـ = ١٦٨١ م قتل المشايخ آل حمادة ابن اخت باشا حلب في بلاد عكار ٠ و بعد عزل الباشا عن طرابلس نزلوا واخرجوا رهونهم من القلعة بالسيف و باغتوا قرية عشقوت من كسروان ٠ وقتلوا بعضًا من اهلها وعند ذلك حضر فرمان الى الامير احمد ان يتولى على جميع قطائع آل حمادة ٠ فتوجه الامير بالعسكر الى غزير وارسل قومًا ليباغتوهم فهربوا الى بلاد بعلبك فاحرق القرى وقطع املاكهم ٠ ثم رجع الى الشوف ٠ ولم يقبل ان يتولى مقاطعاتهم كما امره باشا طرابلس ٠ وفيها تولى على مدينة صيداء احمد باشا التفنتجي فغضب على الامير احمد ابن معن وركب بعساكره لغزو بلاد الدروز فهرب الامير احمد واختفى عند ابنته حرمة الامير موسى الشهابي في وادي التيم وحكمت البلاد الامراء آل علم الدين اليمنية ٠ (وفيها اخترع رافوسي الاسكتلندي الاسينوغرافيا وهي طريقة الكتابة المختصرة وابتدأ استعمالها في مصر ١٣١٠ هـ ٠ وفي السنة ١٠٩٣هـ كان اطلاق المدافع على بلاد الجزائر وعلى جزيرة ساقس ٠ واسس وليم پن مدينة فيلادلفيا ٠ وتملك بطرس الاكبر على روسيا ٠ واكتشف نيوتون قوانين الجاذبية العامة ٠ وكانت ولادة كرلوس الثاني عشر ملك اسوج ونروج ٠ وفي السنة ١٠٩٤ هـ حاصر العثمانيون مدينة فينا عاصمة النمسا فانجد سوبياسكي النمساويين فمنعوا العثمانيين من الاستيلاء على فينا)

وفي السنة ١٠٩٥ هـ = ١٦٨٣ م عزل احمد [1] باشا التفنتجي عن ايالة صيداء ورجع الامير احمد ابن معن الى بلاد الشوف ٠ وهرب الامير موسى ابن علم الدين الى طرابلس ٠ وفيها في شهر كانون الثاني (يناير) حدث برق ورعد وعقبه شتاء عظيم وسيول عظيمة حتى حفرت خنادق في الارض ووقع ثلوج زائدة ٠ وكان الحج في ارض حوران فمات منه كثير من البرد ٠ (وفيها استمر اطلاق المدافع على الجزائر ٠ وكذا كان اطلاقها على جنوا ٠ واكتشف كاسيني القمر الاول لزحل ٠ وفي السنة ١٠٩٧ هـ طبعت ونشرت فلسفة نيوتن الشهير ٠ وتقهقر الجيش العثماني في هنكاريا واتحدت هولاندا

---

(١) هذه الجملة ذكرها الامير حيدر منفصلة عن سنة ١٠٩٢ ولم يذكر سنة حدوثها فلا ندري هل حدثت سنة ١٠٩٢ او ١٠٩٤ او ١٠٩٥ كما ذكرناها

واسبانيا وانكلترا ضد فرانسا في معاهدة اوكسبرج).

وفي السنة ١٠٩٨ هـ = ١٦٨٦ م استقرت ايالة طرابلس على علي باشا النكدي وجاء الامر له في الركوب ضد عرب البكدلة . ولما توجه هاجت آل حمادة على البلاد فقتلوا اخا داغر شيخ حردين وعلياً ابن رعد شيخ الضنية . ولما رجع الباشا قبض على اثني عشر رجلاً من تابعيهم وقتلهم ثم حضر امر الى الباشا ان يركب لحرب الامير شديد الحرفوش لانه خرب قرية الراس وهدم قلعتها . فجمع الباشا المقدم قائد بيه ابن الشاعر واخا علي الرعد وابن دندش . وكتب الى الامير احمد معن ان يلاقيه في رجاله فلاقاه وهرب الامير شديد الى بلاد جبيل الى آل حمادة . فنقل الباشا الى العاقورة وحرقها وحرق قرى غيرها وقطع املاك آل حمادة وهدم دار الشيخ حسن وضبط ودائعهم . وعندما كان عسكر الباشا نازلاً على عين الباطية باغتهم آل حمادة ليلاً فقتلوا منهم خمسة واربعين رجلاً . ففروا وانهزم العسكر الى بعلبك . ورجع كل الى بلاده ورجع الباشا الى طرابلس . فنزل آل حمادة وحرقوا قلعة جبيل ونهبوا المدينة . فهرب ابن الحسامي[1] بعياله الى مدينة بيروت . وفيها توفي الامير موسى حاكم حاصبيا وكان حسن الاخلاق ذا صفات حسنة . ولم يكن له الاّ ولد واحد وهو الامير حيدر وكان عمره ثماني سنين فتولى بعده الحكم الامير نجم . (وفيها حدث غلاء شديد بمصر اهاج الاهالي حتى حرقوا باب الرفعة بجانب باب قراميدان)

وفي السنة ١٠٩٩ هـ = ١٦٨٧ م حضر الى ايالة طرابلس حسين باشا فقبض على الشيخ يونس واخيه عبد الله واولادهما بسبب دعوى والدهم على ابي رزق البشعلاني فهربوا ليلاً الى بلاد كسروان تحت حماية ابن معن وعصوا على الباشا . وفي هذه السنة خلع رجال الدولة السلطان محمداً الرابع عن تخت السلطنة وكانت مدة جلوسه ٤١ سنة وهو التاسع عشر من ملوك آل عثمان والرابع عشر منهم في القسطنطينية . وفد تملك جزيرة كريد من يد البنادقة

(١) هذا يثبت التقليد المعروف المتداول بين آل الحسامي ان اصلهم حكام قلعة اجبيل ومنها رحلوا الى بيروت

الفصل الرابع عشر

في سلطنة السلطان سليمان الثاني ابن السلطان ابراهيم وهو العشرون من آل عثمان والخامس عشر منهم في القسطنطينية

و بعد خلع السلطان محمد الرابع تولى بعده السلطان سليمان الثاني ابن السلطان ابراهيم وفي هذه السنة تولى على صيدا عبدون باشا فاهان البلاد بمظالمه وغلت الاسعار وقلت الامطار . وفي اخر تلك السنة عزل . واتى في ازمير ريح حار محرق فاحرق كثيراً من اهلها وقد كانت مدينة عظيمة . (وفيها دام اطلاق المدافع على الجزائر . وتولى مصر حسن باشا السلحدار . واستولى زعيم البافييره على بلغراد من العثمانيين . وجدد الامير مصطفى اغا ابن حسين جوربجي جامع الزعفراني بشارع السيدة زينب في القاهرة . واعلن الفرنساويون الحرب على هولاندا وفي السنة ١١٠٠ هـ حصلت زلازل في ازمير هدمت جانباً عظيماً منها . وحصلت ثورة في انكلترا وتنازل جمس الثاني . واستدعى الانكليز الامير اورانج الفلمنكي واقاموه ملكاً ولقب بوليم الثالث . وصار غلاء شديد في مصر وفي السنة ١١٠١ هـ افتتح الترك مدينة بلغراد ثانية . وانشئ مرصد ليون . واخترع انيس بابين الالة البخارية)

وفي السنة ١١٠٢ هـ = ١٦٩٠ م توفي السلطان سليمان الثاني ابن السلطان برهيم عمره ٥٠ سنة وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وثمانية اشهر . (وفيها توفي احمد باشا والي مصر وتولى مكانه علي باشا قلج . وانهزم الانكليز امام برست)

الفصل الخامس عشر

في سلطنة السلطان احمد الثاني ابن السلطان ابرهيم وهو الحادي والعشرون من ملوك آل عثمان والسادس عشر منهم في القسطنطينية

و بعد وفاة السلطان سليمان الثاني تولى المملكة اخوه السلطان احمد الثاني ابن السلطان ابراهيم

وفي السنة ١١٠٣ هـ = ١٦٩١ م حضر الى ايالة طرابلس محمد باشا . فصرف مشايخ

آل حمادة في قطائعهم . واعطى الشيخ حسينًا ابن سرحان بلاد جبيل والبترون واعطى ابنه الشيخ اسمعيل الكورة . والشيخ موسى ابن احمد الجبة . واعطى اولاد حسن ذيب الضنية . (وفيها انتهت الحرب في ايرلندا وسلم ليماريك للملك وليم)

وفي السنة ١١٠٤ = ١٦٩٢ م عزل محمد باشا عن ايالة طرابلس . وحضر مكانه علي باشا فقرر آل حمادة في مقاطعاتهم . ثم ان محمد باشا المعزول عن طرابلس صار قائم مقام الدولة العلية . فارسل له اذن بحكم بلاد بعلبك حتى اذا هرب احد من آل حمادة الى بعلبك تمسكه يده . وعند ذلك غير الحكام . فاعطى عكار والهرمل لمزيم اغا ابن دندش . وجبيل لحسين اغا ابن الحسامي والبترون للمقدم قائد بيه ابن الشاعر . والضنية للشيخ ابي نوفل رعد . والزاوية والجبة للشيخ ميخائيل . وكتب الى الامير احمد ابن معن ان ينجده بالرجال . فارسل له المشايخ الخوازنة بنحو الف رجل . ولما بلغ ذلك الحمادية . انهزموا على طريق العاقورة فلحقتهم العساكر ومات منهم ومن عيالهم نحو مائة وخمسين نفسًا من الثلج . وعندما وصلوا الى قرية الفرزل التهم العساكر وابادتهم . ولولم يعف عنهم المشايخ الخوازنة ماسلم منهم احد . فانهم دافعوا عنهم وقادوا الجيش الى جهة اخرى بعدما هرب الذي سلم منهم . ثم رجع آل الخازن عنهم معتذرين للباشا ان ابن معن لم يعطهم اذنًا ان يجتازوا ايالة طرابلس . ثم حرق الباشا القرى واستناب في بعلبك احمد اغا الكردي ورحل بالعسكر . ثم ان احمد اغا كتب الى آل حمية طالبًا حضورهم . وعندما حضروا اليه غدر بهم وقتل منهم ستة عشر شخصًا . وارسل كبيرهم الحاج ياغي واولاده الى علي باشا فقتلهم . ثم ان حسن باشا اعطى امرًا للتفتيش على آل حمادة في بلاد جبيل فالمفتش قبض على الشيخ حسن ابن سرحال وابن اخيه والشيخ حسن ذيب وسبعة من رفاقهم . وارسلهم جميعًا الى الباشا وحال وصولهم قتلهم . وما عاد ظهر احد من آل حمادة . وفي هذه السنة توجه الامير يونس ابن الشهاب ودخل بلاد بشارة بعسكر عظيم ونهب وقتل ورجع الى وادي التيم . (وفيها كان انشاء مرصد نورمبرج . واستولى العثمانيون على مدينة ازوف . وفي السنة ١١٠٥ هـ استعمل الفرنساويون البنادق ذات الحربة في حربهم ضد الدول المتحدة في تورينو)

وفي السنة ١١٠٦ هـ = ١٦٩٤ م ارسل السلطان احمد اختام الوزارة الى علي باشا . وقلد الحكم مكانه على ايالة طرابلس مملوكه ارسلان باشا المطرجي . فارسل الى الامير

احمد ابن معن يعرض عليه القطائع التي كانت لآل حمادة فلم يقبل ابن معن ذلك ·
واجاب انه لا يمكنه قبولها لسبب خراب البلاد · فاعطى الباشا بلاد جبيل الى الاميرحسن
ابن صعب الكردي من راس نحاش · و بلاد البترون الى المقدم قائد بيه ابن الشاعر·
وعند ما توجه الباشا الى اسلامبول سار بخدمته الامير احمد الكردي والامير موسى ابن
الامير علي ابن علم الدين اليمني · ثم ان ارسلان باشا ارسل مدبراً للتفتيش على آل حمادة
على طريق الجرد · وارسل الامراء الاكراد مقدمي بيت الشاعر على طريق الساحل·
فلما صعدوا الى الفتوح ونزلوا الى عين قبعل قصدهم اولاد الشيخ حسين حمادة وكانوا مختبئين
في بتاتر · ومشى معهم من الجرد (اي جرد الشوف) نحو مائتين رجل و باغتوا الذين ارسلهم
ارسلان باشا ليفتشوا عليهم ليلاً فظفروا بهم وقتلوا منهم نحو اربعين رجلاً · وكان من
جملة القتلى الامير حسن الكردي وابن الامير موسى ابن الامير علي ابن علم الدين ·
وكان محافظاً لقلعة جبيل · والامير احمد قلاوون · والمقدم نصور من بيت الشاعر ابن
قائد بيه · وما زالوا يطاردونهم حتى نهر ابرهيم · ولما بلغ ارسلان باشا ذلك ارسل
عرضحالات الى الباب العالي يشتكي فيها على ابن معن انه مرسل رجاله مع آل حمادة ·
وخرج الباشا في العسكر الى نهر ابرهيم و بقي ينتظر الجواب · ولما وصلت الشكايات
للباب العالي اصدر اوامر في عزل ابن معن واعطاء الامير موسى اليمني ابن علم الدين
السبع مقاطعات التي بيد ابن معن · وهي الشوف والجرد والعرقوب والمتن والغرب واقليم
جزين وكسروان وامر احمد باشا التفنجي والي الشام ومصطفى باشا والي صيداء واسمعيل
باشا الاسير والي حلب واحمد باشا خوزدار والي غزة وارسلان باشا والي طرابلس ان يساعدوا
ارسلان باشا فاجتمع نحو ثلاثة عشر الفاً في وطا عرجموش في البقاع · وحضر اليهم من المشايخ
القيسية النكدية والعيدية وسيد احمد ابو عذره من اليزبكية والشيخ حصن من
الخوازنة · واما الامير احمد ابن معن فحين تحقق خيانة البلاد اختفى ففتشت
الدولة عليه في وادي التيم والمتن وكسروان فلم تقف له على خبر · ثم توجه
الامير موسى ابن علم الدين في قسم من عسكر الدولة مع الذين توجهوا اليه من القيسية الى
دار ابن معن في دير القمر · وتملك جميع المقاطعات التي كانت لابن معن · وانصرفت
عساكر الدولة ورجع الباشاوات للشام · و بعد ذلك ظهر ابن معن عند آل شهاب في
وادي التيم فكبر الوهم على ابن علم الدين وانهزم من دير القمر الى صيداء الى مصطفى باشا
الذي كان سابقاً وزيراً اعظم · وفي تلك الايام توفي السلطان احمد الثاني وكانت مدة

حكمه ٤ سنين وثمانية اشهر وعمره ٥٤ سنة

الفصل السادس عشر

في سلطنة السلطان مصطفى خان الثاني وهو الثاني والعشرون من آل عثمان والسابع عشر منهم في القسطنطينية

وبعد وفاة السلطان احمد الثاني تقلد السلطنة السلطان مصطفى ابن السلطان محمد · فكتب مصطفى باشا للباب العالي عرضحالاً به يخبر انه لا يمكن ان يحكم بلاد الدروز هذه غير بيت معن ويظهر لياقة الامير احمد ابن معن لذلك ودفع مايتي كيس (الكيس = ٥٠٠ غرش) للمطبخ فحضر لابن معن عفو نامة مع اوامر بولاية البلاد كعادته ففرحت القيسية بذلك · ورجع الامير احمد الى دير القمر · (وفي السنة ١١٠٧ هـ تولى مصر اسمعيل باشا بدلاً عن واليها علي باشا قلج الذي عزل · وفيها كان تاسيس مصرف لوندرا)

وفي السنة ١١٠٨ هـ = ١٦٩٦ م نضبت العيون وشحّت الانهار وبطلت الطواحين وتحرك الجراد لسبب قلة الامطار · وغلت الاسعار حتى بيع شنبل القمح في بعض الاماكن باربعة غروش · وفرض ابن معن فريضة على بلاده سماها مسعدة · وارسلان باشا والي طرابلس زاد في طلب المال فتشتت كثير من الرعايا من مواضعهم من شدة الغلاء والظلم (وفيها كانت ولادة السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى الثاني · وحدثت موقعة زنتة انتصر فيها البرنس اوجين على العثمانيين · وفيها حدث غلاء شديد في مصر حتى اكل الناس الجيف ومات كثير من الجوع · ثم عقبه وباء شديد فامر الوالي بتكفين الفقراء والغرباء من بيت المال)

وفي السنة ١١٠٩ هـ = ١٦٩٧ م أُنعم بامارة الحج على ارسلان باشا · وتولى ايالة طرابلس اخوه قبلان باشا · وفيها في ١٥ ايلول (سبتمبر) كانت وفاة الامير احمد ابن معن · وبموته انقرضت دولة المعنية لانه لم يكن له ولد ذكر (وفيها كانت معاهدة تقسيم اسبانيا · وفيها بني جامع يوسف الفرغلي الكائن بشارع الزراريب في القاهرة · وتولى على مصر حسين باشا بعد عزل اسمعيل باشا واليها السابق)

الى هنا انتهى الجزء الاول من هذا التاريخ ويليه الجزء الثاني

الجزء الثاني

(من تاريخ الامير حيدر)

المسمى كتاب نزهة الزمان في تاريخ جبل لبنان

وهو يتضمن ولاية الامراء الشهابيين على جبل لبنان مبتدئاً
من وفاة الامير احمد المعني وانتقال الحكم للشهابيين
الى ولاية الامير بشير عمر الكبير وهو يشتمل
على تاريخ ١٠٦ سنين من سنة ١١١٠
هـ — ١٢١٦ هـ

(تنبيه) ان تاريخ سلاطين آل عثمان يستمر في هذا الجزء
كما سبق ولكنه يبتدي بتقسيم جديد لاجل سهولة
المراجعة في حكم لبنان

طبع بمطبعة السلام باول شارع كلوت بك سنة ١٩٠٠ بمصر

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الكبير الذي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . اما بعد فهذا تاريخ جليل الشان . في حوادث جبل لبنان . قد وضعه المرحوم المبرور المغفور له الامير حيدر الشهابي طاب ثراه . وقد اضاف اليه مايتصل بالقطر المذكور من حوادث عربستان . ثم مايتصل بها من الحوادث الاجنبية مبتدئًا فيه من انقراض دولة الامراء بني معن من جبل الشوف وولاية الامراء الشهابيين مكانهم فقال

انه قد كانت وفاة الامير احمد ابن معن في السنة ١١٠٩ هـ — ١٦٩٧ وبموته انقرضت الدولة المعنية لانه لم يكن له ولد ذكر . وبعد وفاته دفنوه في برج قبة الشربين فوق دير القمر وكان وقتئذ فضلي آغا مطالبًا بالدير من قبل مصطفى باشا والي صيدا . فختم خزينة الامير احمد وداره وارسل اخبر الباشا بذلك . فارسل الباشا من صيدا القاضي والمفتي ونقيب الاشراف فكتبوا تركة الامير احمد وضبطوها تحت الباقي عليه من المطلوب للباب العالي وقدره خمسة وخمسون الف غرش

الفصل الاول

في ولاية الامير بشير الاول الشهابي

وبعد ذلك اجتمعت مشايخ البلاد من السبع مقاطعات وهي الشوف والمناصف والعرقوب والجرد والمتن والشحّار والغرب واختاروا الامير بشيرًا ابن شهاب ان يكون حاكمًا مكان الامير احمد . وارسلوا الى الباشا تكفلوا له بالباقي على الامير احمد من المال واستاذنوه في تولية الامير بشير فارتضى بذلك وارسل اخبر الدولة الدولة العلية به

وكان الامير بشير في وادي التيم فاحضروه وتولى البلاد مكان الامير احمد ۰ واحبته الناس وطاعوه لعدله وكرمه ۰ وكانت البلاد يومئذ حزبين احدهما بنو قيس والآخر بنو يمن ۰ وكانت القيسية اكثر واقوى وكانوا راضين بولاية الامير بشير ۰ واما اليمنية فلم يرتضوا به ولكن لم يمكنهم التظاهر بالتعصب عليه لضعفهم وقلتهم ۰ وفي هذه السنة تظاهر غرض اليمنية وفي تلك الايام وجد قبر في بلاد الشقيف ووجد فيه ميت قد بلي الا قليلاً وفي عنقه سلسلة من حديد وفي يديه ورجليه قيود من حديد ايضاً فما قدروا على فتح تلك القيود حتى كسروها وكان وزن السلسلة اربعة وعشرين رطلاً = ٤٨ اقه ۰ وفيها انعم بامارة الحج على ارسلان باشا وتولى ايالة طرابلس اخوه قبلان باشا ۰ وفيها جاء قحط عظيم وظهر في السماء كوكب له ذنب وكانت تلك السنة كثيرة الاعاجيب ۰ (وفيها كان ابتداء استعمال ميزان الحرارة

وفي السنة ١١١٠ هـ = ١٦٩٨ م حضر امر من الباب العالي ان يكون الامير حيدر ابن الامير موسى الشهابي حاكماً على مقاطعات ابن معن لانه ابن ابنته ۰ وان الامير بشير يكون وكيله لانه يومئذ كان قاصراً ابن اثنتي عشرة سنة ۰ فاعترض الباشا ان الامير حيدراً قاصر وان اكابر المقاطعات التي كانت بيد ابن معن لا يقبلونه

وفي هذه السنة تولى ايالة طرابلس ارسلان باشا ۰ وايالة صيدا اخوه قبلان باشا وكان الشيخ مشرف ابن علي الصغير حاكم بلاد بشارة قد قتل اناساً من رجال الدولة وقصد العصاوة فاستنجد قبلان باشا بالامير بشير ۰ فجمع الامير بشير ثمانية الاف رجل وكبسوه في مكان يقال له المزريعة ۰ فقبض عليه الامير بشير وعلى اخيه الحاج محمد وعلى حسين المرجي وسلمهم الى الباشا فامر الباشا بشنق حسين المرجي ووضع الشيخ مشرفاً واخاه في السجن ۰ واعطى الامير بشيراً ايالة صيدا من طرف بلاد صفد الى جسر المعاملتين ۰ وصار له اسم عظيم عند الدولة ۰ وكان ارسلان باشا والي طرابلس قد غضب على المشايخ بني حمادة ونزع من ايديهم ولاية بلاد جبيل فتشفع فيهم الامير بشير وكفل كلما يحدث منهم واعادهم الى ولايتهم ۰ و بعد ان قبض قبلان باشا على الشيخ مشرف واخيه اجر الامير بشير بلادهما واقام عليها متسلماً من قبله الشيخ محمداً ابا هرموش ۰ وفي هذه السنة توجه احمد ابن دو يعر الى القسطنطينية لكي ياخذ ايالة الشام واخذ معه الامير موسى ابن الامير علم الدين اليمني ليرده الى حكم بلاد الشوف وعند وصولها امر الوزير بقطع راس احمد

ابن دو يعر وارسل اوامر بالقبض على ابن عمه الامير علي ابن دو يعر وفوض امارة الحاج الى قبلان باشا . (وفيها كان اول استعمال التبغ في بلاد مصر . وسنة ١٠١١ ه كان اتحاد انكلترا باسكوتلاندا في ايام جمس الاول من عائلة استوارت . واستدعى اليسوعيون هنري الرابع)

وفي سنة ١١١٢ ه = ١٧٠٠ م تقررت ايالة طرابلس على ارسلان باشا وايالة صيداء على قبلان باشا . وكانت تلك السنة كثيرة الامطار والثلوج وكثرت فيها الامراض . (وفيها توفيت اليصابات ملكة الانكليز وملك بعدها جاك الاول . وتولى مصر ابرهيم باشا فحكم فيها مدة قصيرة فقام عليه الجند وقتلوه وتولى بعده محمد باشا الكورجي الملقب بالخادم . وفي السنة ١٠١٤ قتل محمد الكورجي زعماء الثورة في مصر . وفيها استبدل محمد الكورجي بالوزير حسن باشا . واكتشف اهل هولاندا قارة اوستراليا . واكتشف جون سميث خليج شازبيك)

الفصل السابع عشر (تابع الجزء الاول)

في سلطنة السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الثاني وهو الثالث والعشرون من آل عثمان والثامن عشر في القسطنطينية

وفي سنة ١١١٥ ه = ١٧٠٣ م خلعت رجال الدولة السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وكان له على تخت السلطنة ثمان سنين وتسعة اشهر وعشرة ايام وهو الثاني والعشرون من ملوك آل عثمان والسابع عشر في القسطنطينية واقاموا مكانه السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الثاني في الاسم . (وفيها تملك الفرنساويون كندا . واخترع ليبرشي من مجد برج التلسكوب (المرقب) . واستوطن الانكليز باميركا)

وفي سنة ١١١٩ ه = ١٧٠٧ م توفي الامير بشير الشهابي في بلاد صفد وحملوه الى مدينة صيدا ودفنوه في مدفن آل معن . وكانت مدة ولايته تسع سنين وكان شهماً شجاعاً جريئاً على لقاء الدول كريماً حسن الصورة اشقر اللون طويل القامة . وقيل ان سبب موته انه كان قد خرج في جباية الاموال السلطانية كما كانت العادة في تلك الايام فاعترضه في الطريق اولاد عمه الامراء من حاصبيا وسألوه ان يضيفهم فاجابهم وقدموا له تلك الليلة سماطاً من الحلوى فيه شيء من الجوارش بعضه ابيض و بعضه احمر وكان

الاحمر مسموماً فكانوا يجتنبونه فاكل منه الامير بشير و بات عندهم تلك الليلة . ومن الغد مضى في طريقه . فاخذ السم يؤثر في صحته شيئاً فشيئاً لانه كان ضعيفاً وما زال كذلك حتى مات . وكان مرادهم بذلك ان يقيموا مكانه الامير حيدر ابن الامير موسى الذي تقدم الكلام عنه اولاً وكان كذلك . (وفيها اكتشف غاليلو البقع الشمسية ودوران هذه الكواكب . واكتشف ايضاً اقمار المشتري)

الفصل الثاني

في ولاية الامير حيدر الشهابي

وفي سنة ١١٢٠ هـ = ١٧٠٨ م ركب الامير حيدر لغزو بلاد المتاولة لان المشايخ بني علي الصغير بعد وفاة الامير بشير كانوا قد تولوا بلاد بشارة من يد بشير باشا . وبقي في يد الامير حيدر حكم بلاد الشوف وكسروان فغزاهم الامير حيدر برجال بلاده وتجمعت المتاولة الى قرية النبطية فاوقع بهم هناك وظفر بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى بلاده . فعظم ذلك على بشير باشا وكان متولياً ايالة صيدا فارسل يقوي الامراء اليمنية الذين كانوا في الغرب والجرد من بني علم الدين وغيرهم . (وفيها كان طاعون بالاستانة مات فيه ٣٠٠٠٠٠ نفس وحصلت زلازل عظيمة . وطرد عدد من المغاربة من اسبانيا في زمن فيليب الثالث . واكتشف غاليلو اوجه الزهرة . وافتكر كبلر بالنظارات ذات العدسية)

وفي سنة ١١٢١ هـ = ١٧٠٩ م تعاظم غرض اليمنية في بلاد الشوف وتظاهر الامراء بنو علم الدين بذلك وساعدهم الامير يونس ارسلان حاكم الشويفات ومال اليهم من القيسية الشيخ محمود ابو هرموش وبعض اناس من البلاد فهرب الامير حيدر وارسل اهل بيته الى كسروان عند المشايخ بني الخازن . واختفى الامير حيدر في مغائر عزرائيل في جبل الهرمل ومعه نفر من خدمه وكان المشايخ بنو الخازن يقدمون له الذخائر سراً الى هناك . وحكم الامير يوسف علم الدين واخوه الامير منصور وخرجت لهم خلع الولاية من بشير باشا وكان مدبر امرهم الشيخ محمود ابو هرموش وكان زمام الولاية بيده فجاروا على القيسية وظلموهم ولم يبقوا لهم منزلة ولا حرمة . وفي هذه السنة كان حريق غزير وكان سببه ان امراء اليمنية لما تملكوا حكم الشوف وجلسوا في دير القمر وارسلوا اربعين خيالاً من رجال الدولة يطالبون المشايخ بني الخازن باموال السلطنة . فحضر

الشيخ ابو نادر الخازن واخوه الى دير القمر يتلطفان في رفع الخيالة عنهما · فعرض عليهما الشيخ محمود كتاباً من المشايخ بني حبيش من غزير يذكرون فيه ان بني الخازن يعرفون مقر الامير حيدر وان عياله مختفية عندهم وهم الذين يقدمون له الذخائر الى مكانه · فانكر الشيخ ابو نادر ذلك وقال انما هو فساد من بني حبيش واذا اراد بيان ذلك فليسأل الحكومة ان تنقل من عندهم الخيالة الى غزير فان قبلهم بنو حبيش يكونوا صادقين والا فهم مفسدون · فامر الشيخ محمود والامير يوسف علم الدين بانتقال خيالة الدولة من عند بني الخازن الى غزير فانتقلوا ولما ارادوا الدخول الى غزير منعهم بنو حبيش وقتلوا منهم ثلاثة اشخاص وخمسة افراس فرجعوا الى دير القمر واخبروه بما كان · فغضب الامير يوسف وركب بعسكر الدولة لحرب بلدة غزير فانهزم الحبيشيون من قدامه الى نواحي طرابلس · فاحرق غزير ونهبها ورجع الى دير القمر · وقيل في ذلك شعر

نكب الحبيشيون اعظم نكبةٍ لما اغار عليهم الجمع الغفير
هذا جزا من زاد في طغيانهِ فلاجل ذا ارختها ندمت غزير

وفي هذه السنة بعد دخول الباشا الى الشام سار بالعسكر الى جبل عجلون و باغت بلاد نابلس وقتل منهم مقتلة عظيمة وسبى عسكره نحو ار بعمائة امراءة · وكان السبب في انقلاب غرض الشيخ محمود ابي هرموش من القيسية الى اليمنية انه لما غزا الاميرحيدر بلاد المتاولة كما مر واستنأجر جبل عامل من بشير باشا والي صيدا وولى عليه الشيخ محموداً من قبله لم يفِ المال السلطاني المرتب على الجبل المذكور فاضطر الاميرحيدر الى رفعه من هناك · وكان الشيخ محمود قد اتصل بوالي صيدا لسبب توليه على الجبل المذكور فطلب منه ان يأتي له باوامر من الدولة العلية ليتولى مكان الامير حيدر · فطلب الباشا له الاوامر التي سألها وحضرت له ودعي امير ميران فحضر حاكماً الى بلاد الشوف ولكنه كونه يعلم ان مشايخ البلاد لا يمكن ان يرضخوا لامره ويبدوا له الطاعة لانهم مثله في الرتبة والحسب ولو كانت عليه الرتب السلطانية وكانت امراء اليمنية بنو علم الدين في دمشق فاضطر الى احضارهم ليكونوا هم اصحاب الولاية و يكون شريكاً لهم فيها · ولذلك تعاظم غرضهم وحضروا كما ذكرنا · وفي هذه السنة بعد رجوع نصيف باشا العظم من الحج قتل ابنه في المزار فبيدواتهم بذلك أهل جبل نابلس وكان هذا السبب في غزوه لهم كما تقدم الكلام سابقاً · (وفيها كان اختراع عمل الخزف الصيني في سكسونيا وانشئ مرصد بولونيا ومرصد برلين) · وعزل حسين باشا بعد ان حكم مصر سنتين وتولى مكانه

ابراهيم باشا قبطان)

وفي سنة ١١٢٢ هـ = ١٧١٠ م تظاهر الامير حيدر في المتن عند المقدم حسين ابي اللمع وانفذ امرًا الى قيسية الشوف فحضر اليه الشيخ قبلان القاضي من جباع الشوف والشيخ سيد احمد ابو عذرا من الباروك وعلي ابو نكد من المناصف ومحمد تلحوق من الغرب والشيخ سرحان والشيخ خازن من بني الخازن من كسروان ومعهم خلق كثير وحضر المقدم مراد ابن المقدم محمد ابي اللمع وتكاثر عنده رجال القيسية واجتمعوا جميعًا الى راس المتن . فلما بلغ اليمنية ذلك ارسلوا الى بشير باشا والي صيدا فحضر الى حرش بيروت . وارسلوا الى نصوح باشا والي دمشق فحضر الى البقاع . واجتمع القيسية من الغرب والجرد والشوف الى عين زحلتا في العرقوب . ثم انتقلوا الى عين دارة وصار الاتفاق ان تطلع عساكر الدولة التي في حرش بيروت الى بيت مري في اول المتن . ونصوح باشا يطلع الى المغيثة في طرف المتن واليمنية الى حمانا في وسط المتن وتمشي الثلاثة عساكر في يوم واحد على القيسية . ولما بلغ الامير حيدر هذا الاتفاق اجتمع بالقيسية وتداولوا في امرهم فاشار المقدم مراد ابو اللمع بالقيام الى كسروان من وجه الدولة فما قبل احد رايه . وقيل ان ذلك كان منه خيانة لاجبانة . ثم اجمع رأيهم على ان يباغتوا اليمنية في الليل في عين دارة . وفي تلك الليلة ليلة الجمعة الخامسة عشرة من شهر محرم ركب الامير حيدر ومحمد تلحوق ومن معهما ومشوا الى وادي الجوز [1] . و بنو ابي اللمع مشوا على طريق قطاليج [2] الى راس القرية واهل الشوف مشوا الى غربيها . فكان اول من وصل بنو ابي اللمع فدخلوا القرية بالسيف وانتشب القتال بينهم و وصل الامير حيدر واهل الشوف . واعترك القوم شديداً وقاتلت اليمنية اشد القتال وما زالوا كذلك حتى ملكت القيسية عين دارة وما سلم من اليمنية غير القليل . وقتل في تلك الليلة خمسة امراء من بني علم الدين وأُمسك الشيخ محمود ابو هرموش اسيراً فاراد الامير حيدر ان يقتله فلم تجبه المشائخ الى ذلك خوفاً من ان تجري بذلك عادة عليهم فقطع لسانه وابهام يديه ولكن لم يمنعه ذلك من

(١) وادي الجوز شمالي عين دارة الى جهة الجبل اي انهم اتوا من عين زحلتا على طريق وادي العليق ونزلوا الى وادي الجوز ليمسكوا طريق الجبل عليهم

(٢) قطاليج يراد بها الوادي عند جسر شمليخ والطريق على جسر شمليخ الى عين دارة تصل الى راس القرية كما ذكر

الكلام الا قليلاً . اما الدولة فلما بلغها ماجرى على اليمنية رجع نصوح باشا الى دمشق و بشير باشا الى صيدا . وتوجه الامير حيدر الى دير القمر . وقويت شوكة بني قيس في البلاد وعظم امرهم ونزح كل من كان يمنياً . وخربت اوطانهم و باد ذكر بني يمن من بلاد الشوف ولم يبق احد يذكر انه يمني . وحكم الامير حيدر في دير القمر وهابته الدول واعطى الذين كانوا معه كل ما كان قد وعدهم به فاطلق اسم الامارة على بني ابي[1] اللمع وتزوج طفلاً بنت المقدم حسين . وزوج اخته غضية بالمقدم عبد الله واعطاه قاطع بيت شباب بجميع محاصيله . واعطى المقدم مراد نصف حكم المتن . وتزوج بوالدته ام محمد لان اباه كان قد توفي واحبه محبة شديدة لاجل فعله في عين داره . واعطى الشيخ قبلان القاضي اقليم جزين واعطى علياً ابا نكد الناعمة . ومحمد تلحوق الغرب الاعلى . واطلق على كل واحد منهما اسم شيخ . واقام الشيخ محمد تلحوق ضد الامير يوسف ارسلان حاكم الغرب الادنى . لانه قبل ذلك كان حكم الغربين في يد الامراء آل ارسلان وكان بنو تلحوق من عامة رعاياهم . فلما بدت خيانة الامير يوسف على القيسية وظهر ميله الى اليمنية خلع الامير حيدر نصف الغرب من يده وسلمه الى محمد تلحوق . وقيل ان ابا شاهين محمد تلحوق ظل يأخذ عطاء الامير اسمعيل ارسلان حسب العادة حتى مات . وانعم الامير حيدر على كل من كان معه من القيسية بحسب حاله و رتبته وكثرت مشايخ البلاد في ايام الامير حيدر واطلق لكل من اعطاه ولاية من المقدمين وغيرهم كتابة الاخ العزيز في مكاتباته لهم وعدل في حكمه واحبته اهالي البلاد وخافت سطوته . وفي هذه السنة باغت ناصيف باشا المتن واسر منها اناساً كثيرين وسبي النساء والاولاد . وقيل ان عسكره دخل الى حرش العبادية وسبي منها كثيراً من النساء . (وفيها كثرت الفتن بمصر وقام العسكر وحاصر الوالي ومنعوا المرور للقلعة فخرب الدرب الاحمر وسوق السلاح والداودية ومصر العتيقة وعزل واليها خليل باشا وتولى مكانه ولي باشا . وانشيء جامع الخلوتي بقنطرة اق سنقر بالقاهرة . وانتصر العثمانيون وتغلبوا على بطرس الاكبر عند نهر البروت)

وفي سنة ١١٢٤ هـ = ١٧١٢ م تأخر عند الامير حيدر من الاموال السلطانية

---

(١) روى بعضهم انه عند انتهاء الموقعة تقدم احد تابعي المقدم مراد ابي اللمع ونادى مولاه باسم مقدم فغضب وهجم عليه وقال له قد قتلت بهذا السيف خمسة امراء والان تدعوني مقدماً وضربه به فقتله . ومن ذلك الوقت دعي آل ابي اللمع امراء

عشرون الف غرش فاجتمع باكابر بلاده واتفقوا على انهم يرسلون الى الباشا رهناً على هذا المال فارسل الامير حيدر ولده الامير احمد وارسل الامير حسين ابي اللمع ولده الامير حسناً . وارسل الشيخ قبلان القاضي المقدم شرف الدين مزهر من حمانا لانه لم يكن له ولد . وتوجه من بني بز يك احد بني الشنيف . وتوجه الامير مراد ابو اللمع اذ لم يكن له عوض وكان له اصحاب من بني يارد في بيروت فوفوا ما عليه من المال و بقي من كان مرهوناً سنتين عند عثمان باشا والي صيدا . ثم عزل عثمان باشا وارسل الى البصرة فاخذهم معه وكابدوا مشقة عظيمة وهواناً منه بعد اكرامه لهم في صيدا واقاموا في البصرة سبع سنين ثم رجعوا الى اهلهم . وفي هذه السنة حكم الامير قاسم الشهابي حاكم حاصبيا على بلاد بشارة من يد والي صيدا وانشأ بها مظالم كثيرة . وقبض عثمان باشا قبل عزله على الشيخ منصور ابن علي الصغير وقتله . (وفيها بني جامع قلطاي الكائن بدرب الحصر)

وفي سنة ١١٢٥ هـ = ١٧١٣ م تولى على دمشق شركس محمد باشا وكان والي صيدا قبلان باشا وكان الامير حيدر قبول عظيم عند الدول وكانوا يهابون سطوته و يقدمون له الحب والاكرام . (وفي السنة ١١٢٦ استولى الروس على فينلانده من اسوج . وكانت حروب العثمانيين مع الفينيقيين . وافتتحوا بلاد المورة . وتوفي لويس الرابع عشر وتولى مكانه لويس الخامس عشر . واستولى النمساويون على سردينيا)

وفي سنة ١١٢٧ هـ = ١٧١٥ م تولى على دمشق يوسف باشا وعزل قبلان باشا عن طرابلس وتولى مكانه بشير باشا الذي كان والياً على صيدا قبلاً . (وفيها عزل ولي باشا عن مصر بعد ما حكم ٤ سنوات وتولى مكانه عابدين باشا . واخترع كراهام الرقاص المتعادل)

وفي سنة ١١٢٨ هـ = ١٧١٥ م تولى دمشق ابراهيم باشا قبطان ولم يزل بشير باشا على ايالة طرابلس . وفيها توفي الشيخ قبلان القاضي ولم يكن له ولد ذكر غير الذي قتل في مغر عزرائيل لانه كان مع الامير حيدر فسقط من مكان عال ومات وكان الشيخ قبلان قد اوصى بنصف ماله للامير حيدر (والنصف الآخر للشيخ علي جنبلاط) وكان الشيخ علي جنبلاط قد تربى عند الشيخ قبلان من حين وفاة ابيه فاعطاه الامير حيدر ما اوصى له به الشيخ قبلان واقامه شيخاً على الشوف وكان يومئذ صغير السن واعطى الشيخ علي الامير حيدر خمسة وعشرين الف غرش نظير تلك العطية وابقى الامير حيدر في يده من تركة الشيخ قبلان مرج بسرة ومزرعة بحنين فقط . (وفيها

بني جامع يوسف عزبان الكائن بدرب البرابرة بالموسكي بالقاهرة . وحاصر العثمانيون جزيرة كورفو . وضرب في اسلامبول الذهب الفندقلي)

وفي سنة ١١٢٩ هـ = ١٧١٦ م تولى دمشق الشام عبد الله باشا الكمركجي وكان عادلاً حكيماً . (وفيها كانت ولادة السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد الثالث . وعزل عابدين باشا بعد ما حكم مصر سنتين وتولى مكانه علي باشا الازميرلي . وفيها اتحدت فرانسا وانكلترا واوستريا وهولاند ضد اسبانيا لمنعها عن الاستيلاء على فرانسا و بعض ايطاليا)

وفي سنة ١١٣٠ هـ = ١٧١٧ م تولى على دمشق رجب باشا وعلى صيدا عثمان باشا ابو طوق ثاني مرة وفيها توفي الامير عبد الله ابو اللمع زوج الست غضية اخت الامير حيدر الشهابي ولم يكن له ولد فادعى الامير حيدر بميراث اخته من رجلها فنالها من الميراث بستان ابي كعكه في ساحل بيروت . والجزيرة على نهر بيروت تحت بيت مري . وفيها قتل ناصيف باشا العظم في الرملة . (وفيها استقلت سردينيا وصارت مملكة يملكها دوك سافوا . وعقدت معاهدة بين العثمانيين وحكومة اوستريا . وعزل علي باشا الازميرلي عن مصر وتولى عليها رجب باشا . وتنازل العثمانيون عن بلغراد وبعض السرب والفلاخ الى اوستريا . واستولوا على المورة من مشيخة البندقية

وفي سنة ١١٣١ هـ = ١٧١٨ م انتقل عثمان باشا ابو طوق الى ولاية دمشق الشام . وفيها سقط نيزك من الشرق الى الغرب فضاءت به الارض وحدث منه رعد عظيم نحو نصف ساعة وكان ذلك في نصف شهر شعبان . وفيها كانت وقعة القرية بين الامير حيدر والمشايخ المتاولة وكانت النصرة للامير حيدر . (وفيها كانت حرب بين فرانسا واسبانيا . واستولى الانكليز على فيجو من اسبانيا . وفي السنة ١١٣٢ هـ عزل رجب باشا بعد ما حكم سنتين وتولى مصر محمد باشا . وحصلت زلازل عظيمة في الصين . وكان الصلح بين اسوج و بولونيا و روسيا والدانيمارك . وحصل طاعون بمرسيليا)

وفي سنة ١١٣٣ هـ = ١٧٢٠ م كانت الفتنة بين مشايخ المتاولة والشيخ ظاهر العمر حاكم بلاد صفد وجرى بينهم قتال شديد فانهزم عسكر الصفديين وقتل منهم خلق كثير ثم خرج عثمان باشا بالعسكر على بلاد صفد وقتل منهم اكثر من ثلثماية رجل وقتل البشناق اولاد مشايخ بلاد صفد . (وفيها استولى السافوا على سردينيا . وفي السنة ١١٣٤ انشيء مرصد لسبون)

في السنة ١١٣٦ هـ = ١٧٢٣ م كان في دمشق الشيخ عبد الغني النابلسي وكان عالمًا شاعرًا . وكان اهل عصره يعتقدون انه ولي عظيم وكان الشيخ المذكور على مذهب الصوفية الذين يعتقدون ان الله تعالى موجود في كل انسان بذاته وصفاته الربانية وكان الشيخ عبد الغني يشير في بعض قصائده الى ذلك وفي تلك الايام شاعت له قصيدة قد تناهى فيها بذكر هذا المذهب والتصريح به وهي قوله

وجودي جل عن جسمي ... وعن روحي وعن عقلي
وعن شرعي وتكليفي ... وعن حكمي وعن نقلي
وامري مطلق حتى ... عن الاطلاق يستعلي
وعن ذاتٍ وعن وصفٍ ... وعن بعضٍ وعن كلّ
وعلمي ليس يدركه ... سوى من لم يزل مثلي
ولو زال الغطاءُ عن ... علم اهل العقد والحلّ
لاضحى علمهم في بحـ ... ـر علمي قطرة الطلّ
وعلم الجفر من علمي ... وموسى رشحة البلّ
واني هدهد الاخـ ... ـبار للقوم الالى قبلي
وعن قولي انا اعني ... واني فوق ماامْلي
علـيٌّ الله قيوم ... بلا شبـه ولا مثل
واني ذلك القيوم ... لما قمت عن حملي
وقد جردت عن ملكي ... وعن علمي وعن جهلي
ووجهي قد غسلت الكو ... ن عنه ايّما غسل
واني لست مخلوقًا ... ولا شربي ولا اكلي
ولا اني انا الخلا ... ق ذو صنع وذو فعل
ولا من انبياء الله ... اني او من الرسل
واني ماانا عيسى ... ولا المهدي الى السبل
انا بي حارت الافهام ... مايدرون من اصلي
انا الشامي انا الهندي ... انا الرومي انا الصقلي
انا الاكوان بي قامت ... انا الافلاك من اجلي
انا الاملاك بي تدري ... ومني ترتجي وصلي

انا المعروف في الدنيا　وفي الاخرى بذي الفضل
واني لست انسانًا　ولا من ذلك النسل
ولا قوم يرى قومي　ولا اهلاً ترى اهلي
ولا اني جنين او　بمولودٍ ولا طفل
واني مطلقٌ والكل　في قيدٍ وفي غلّ
وما في عالمي غيري　تخفضْ عنك ياخلي
وما عبد الغني اسمي　وهذا مقتضى شكلي
ولكن عالم الاوهام　يمشي بي على مهلي
فيامن رام في الدنيا　يراني طالبًا وصلي
تجرّد وانتزح واخرج　عن الاكوان بالعقل
وكن خمراً بلا كاسٍ　وكن شمسًا بلا ظل
وحقّق واقطع الاحبا　ل وامسك دونها حبلي
وصابر واصطبر واعلم　فلبس المسك كالزبل
ولا حق اليقين الصر　ف في الاقساط كالعدل
كعين او كعلم لا　يقين الصائب النبل
وسدّ الباب عن غيري　وعالج وافتح قفلي
صلوة الله من قبلي　على قلبي بلا فصل
كذلك انبياء الله　نور الفضل والنقل
مدى الايام ماسحت　سحاب الجود بالهطل

فردّ عليه الشيخ ابرهيم الحر الشيعي من مدينة صور بقوله

رويدًا ياأخا الفضلِ　مزجت الشهد بالخلّ
اذعت السر ياهذا　شربت الجور بالعدلِ
فتحت القفل ياشامي　فقدت العلم بالجهلِ
تعالى الله ذو الفضل　عن الاشباه والمثلِ
وعن كيفٍ وعن اينٍ　وعن ادراك ذي عقلِ
وعن قبلٍ وعن بعدٍ　وعن بعضٍ وعن كلّ
وعن كمٍ وعن لمّ　وعن جنس وعن فصلِ

وعن تمثيل ذي وصف　　وعن تشبيه ذي بطل
وهذا الخطب قد اعيي　　جنود العقل والجهل
فنوح لا يدانيه　　وموسى خالع النعل
وابراهيم مع لوطٍ　　وعيسى صاحب الفضل
واسمعيل مع يحيى　　ولا كل من الرسل
اياعبد الغني مهلاً　　فليس القول كالفعل
لقد اكثرت من هذر　　يضاهي صبوة الطفل
دعاوٍ لا يدانيها　　سوى عارٍ من العقل
فما هذا الذي تهذي　　رويداً ياابا الجهل
حلول واتحادٌ ثم　　تشبيهٌ مع البطل
وقد اردفت ياهذا　　مجاز القول بالفعل
فليس الدر كالحصبا　　وليس المسك كالزبل
فياعبد الغني الشامي　　تفطن واستمع نقلي
فما المشكاة ياروبي　　وما المصباح ياصقلي
وما الزيتون ياهندي　　فقل يا فاتح القفل
وما ذي الكوكب الدريّ　　وما النور الذي يجلي
وما علم القين الصرف　　فاخبر ياأخا النبل
الا ياهدهد الاخبار　　خبرٌ بالورى واجل
فكم من هدهدٍ اضحى　　كفرخ البوم ياخلي
وكم من طالبٍ نوراً　　هوى في غيهب الجهل
وكم من ضل في هذا ال　　طريق المهلك المبلي
ايا عبد الغني اكثرت　　من هذرٍ ومن هزل
لقد ابرزت مكنوناً　　خلاف العقل والنقل
وقد اظهرت مخزوناً　　عن الاوهام يستعلي
تسامى قدر باري الكل　　مبدي الفرع والاصل
عن الاضداد والانداد　　د والاولاد والمثل
وعن ادراك ذي علمٍ　　وعن تحقيق ذي فضل

وعن افكار مغرور عمي عن واضح السبل
لقد حارت به الباب اهل العلم والعقل
واصحاب النهى طراً مع الاملاك والرسل

وكان للشيخ عبد الغني تلميذ يقال له السيد عبد الرحمن ابن محمد شاكر النجلاوي فامتدحه بقصيدة افتتنت بها الشعراء حتى قال بعضهم ان الجن لقنه اياها . والمشهور عند الجمهور ان روح الشيخ عبد الغني حلت عليه فاستفاد بها ذلك وسيظهر مافي القصيدة من التركيب الغريب في شرحه له اياه الذي صدر القصيدة به وهو قوله . متع الله الوجود بجناب جمال درة اكليل تاج المحققين . وواسطة عقد المدققين . و بهجة عقيدة الواثقين . من سما الى سما اسرارحقيقةحق اليقين . انسان عين روح البلاغة المالك مقاليد البراعة من تحلي بحسن وصفه الطروس . وتحن شوقاً الى طيب ذكره النفوس الذي حل ذرى المجد ورقي بحبوحة الادب واوتي الحكمة وفصل الخطاب شمس . افضال تلألأت في سماء المعارف . وكعبة اجلال اشرقت بسنى العواطف . كما قيل فيه

من لي بكوكب عرفان و بدر وفا بسعده شرف قد جاوز الشرفا

اكرم به من حبر على لطف شمه انعقدت الخناصر . واذعنت لجلال قدره الانام واعترفت بان هذا الشهاب قد بزغ من اطيب العناصر . فلا غروان يملك بيديه ازمة الفضائل والمفاخر اذ قد قرع بسودده الاوائل والاواخر كيف لا وهو منهج الاحكام الدينية . ومورد العلوم الدنيوية فتراه حيث يرتع في رياض انسه وادابه . و يجلوعرائس ابكار افكاره على اصحابه وطلابه . ان يقل نثراً يخلب الاسماع . او ينظم شعراً يحير العقول بما يذعن لبلاغته كل مفلق طويل الباع تهفو الى حسن محاضرته القلوب . وتطيب بعطارحته التي تفصح عن كل مامول ومطلوب . نشر اردية علوم الحقيقة بعد طيها فدانت لعلومه بلغاء العجم وفصحاء العرب قبيلتها وحيها . ولقد شرح الصدور وزحزح الكدور بشرح بديع بل خلعة سنية وضعها على متن النصوص فيالها من خلعة غراء كللت بجواهر الادلة القطعية والنصوص . ان هو الا وحي يوحى . منزل من فلك يرحى . اذ قيل فيه

لله در همام جهبذ وطئت اقدامه شرفاً هام السموات
حباه مولاه ماشادت مكارمه و بالفتوحات قد حاز الفتوحات

ولما لزم باب الافتقاد والعبودية لمولاه الغني نال بذلك الافتخار والمقام الاقدس السني سيدي ومولاي المشار اليه . من جعل مقاليد الكمال والسيادة طوع يديه اما

بعد فقد تجاوز القاصر حده وتعداه بالهجوم على جناب ذي الفضل والجاه . ولكن توقع الصفح الجميل حملني على مدح هذا السيد الجليل بسجعات معتلة . ولفظات مختلة . وقصيدة هي وان كانت عن منظومات البلغاء بمعزل . لكنها بمحاسن اوصافكم تفضل عن ذكرى حبيب ومنزل . طابت بكم القريحة السليمة . يا مرآة هذه الدرة اليتيمة فجاءت بحمد الله منقحة مهذبة عرباء تتباهى تيهاً وتفتخر عجباً . وتسمو على كل نظم شرقاً وغرباً . فياحسنها منظومة لم ينسج على منوالها . ولم تسمع قريحة بمثالها . قد افتر ثغر البلاغة عن حسن معانيها وتهلل محيا الفصاحة بطلاوة مبانيها

اي اجل الانام عزاً ومجداً ... وسناء اليك بكراً سنية

من ذوات الخدور وافت تهنيك ... بعيد ياذا الحلى القدسية

ضمنت كلها تواريخ اذ قد ... نضدت من جواهر معدنية

كل بيت منها يشير بتاريخين ... باسامي الصفات الذكية

عد ابياتها ثمانون بيتاً ... كنجوم وتسعة درية

هاكها غادة تزف بهاء ... بنت فكر شامية عربية

فاغمرنها بذيل عفو وصفح ... من تجلي اخلاقك المرضية

قد افتتحت اوائل ابياتها بحروف احاطت بها احاطة الوضح بكعب كعوب . وقد جمعت تلك الحروف وركبت كلمات صارت بيتين كالفرقدين يترنم بهما كل طروب وقد اشتمل كل بيت منهما على اربعة تواريخ نضيرة . كانها مصابيح منيرة . وقد ختما باسمك الشريف البهي البهيج المنيف . وهذان البيتان المشار اليهما . فاسبل ذيل الستر عليهما

اهديك مدحاً بليغاً . ياسني غدا ... بحر الفتوحات باهي الفضل والمنن

١١٣٦ ١١٣٦ ١١٣٦ ١١٣٦

الفاظه كنجوم فهي تشرق ما ... بدا سنا بدرها ارخه عبد غني

١١٣٦ ١١٣٦ ١١٣٦ ١١٣٦

فحروف البيت الاول من هذين البيتين ثمانية واربعون حرفاً كل حرف مبدأ بيت غزل من القصيدة مما راق وطاب . ونقر بسماعه اعين اولي الافهام والالباب . والبيت الثاني واحد واربعون حرفاً . كل حرف افتتاح بيت مديح في اوصافكم السنية مما هو ارق من مساجلة ذوي الاداب . واطيب نفحاً من عرق الرضاب . واعذب من ارتشافه للمشوق المصاب . واشهى الى النفوس من اعتناق الاحباب . وقد قلت شعراً

مولاي دونك الفاظاً بها سمحت　　قريحة من بقايا عز عدنان
حوت بدائع من فنّ البديع وقد　　روت معاني عن قسٍ وسحبان

فاليكها عروساً ارق من نسمات السحر بالسحر الحلال . والطف من صفاء الود وصافي الزلال . ليس مهرها الا الاغضاء وحسن القبول . ولعمري ان هذا هو غاية المسأول والمأمول . ولم تكمل لها هذه الاوصاف الحسنى الا بتضمنها مديحك الاسنى وهي هذه كما ترى

ابيات حق بهيج الحسن تاليها　　تزهو ونجم الهنا بالحمـد تاليها
هي البدور بنور العلم لايحة　　ام جنة الانس مصداح قماريها
داعي السعود دنا حيث الهناء فقم　　لحانة الراح نعطى كاس صافيها
يديرها شادن صرفاً يقدسها　　ذوو العلاء وكم بالعز حاميها
كم راق لي طعمها الأهنى بمأسة　　تسمو باذكى جمالٍ في تهاديها
من لي بها وردة قد زانها عنق　　حكى اللجين تعالى الله منشيها
درّ وراح مباح حيث مبسمها　　يفترّ مع حببٍ بالنفس افديها
حسناء طلقاً محياها برهرهة　　كالشمس فالبدر جزءاً من مرائيها
اردانها بعبير فاح نامية　　مجامر المسك عطراً من حواشيها
بوجنتيها نعيم الحسن راق حلا　　والخال من علة بالند يسقيها
لابل بخديك نار والقليب به　　من حرّها لهب يذكو و يزكيها
ياربة الحسن عطفاً فالفواد وها　　وعبرة العين قدماً طاف هاميها
غليل وجدي واهاً زائد ابداً　　لم يُشف الا بكاس من تدانيها
استودع الله في حيّ الملاح حشى　　فرط الجوى والاسى والشوق يصليها
ياحسن اوقات ايام جلوت بها　　حزني وطبت سروراً في لياليها
ابهج بها والحسان العين ترفل في　　ربى حبورٍ زهت معنى اقاحيها
سقى الحيا عهد ريعان الصبا فرعى الا　　باري ربوعاً ونمت يمناً اهاليها
نعم المنازل هاتيك الربوع بما　　تقي الاحبة يزهو جاههنا فيها
يهيم وجد فوادي في الذين لهم　　في السر عندي اياد لست احصيها
غدوا بابهى حمى زهى وطاب به　　غذا النفوس اذا جدوا امانيها
دعني وسهدي هدير الورق ارقني　　وجد بي طربي تسجاع قمريها

الا ترى الدوح ينمو نده عطراً ... بروح امن نما عرفاً شماليها
بديع حسن بنامي النور مبتسم ... ازهاره حيث وجد الورق يبكيها
حدائق احدقت سمرُ القيان بها ... يحيي شجوني بالحان مثانيها
رُبي بصيافها طير السعود شدا ... فصفق النهر دفقاً من روابيها
افنان اشجارها والورد نمّقها ... مادت بزاهي نسيم لدنها تيها
لله جنات عدن بالبها مدحت ... ازهت بها الحور في وشي يحليها
تحيي قومي على دار بها قطنت ... بيض ملاح فان الحيُّ حاميها
تسلُّ سيف طرف دونها واقد ... نمت بهيجا القنا فرسان اهليها
وبي مهاة حوت لب الجمال فما ... ازكى حلالها وما احلى تثنيها
حديثها حسن كالمهد راق فوا ... توقي الى يمر في حسن ناديها
الى م حتى م اشجي بالحسان قلبي ... ولات حين لقايا سوء ناديها
تبارك الله من بالامر ابدعها ... من لطف ورد فبات الجفن يدميها
بحرمة الود مع انس المنا بمنى ... وسرّ عيش لنا مع عرب واديها
الا عطفت على روح المحب فكم ... يميت روح الهوى روحي فيحييها
هوى كعوب رخيم الدل طال اسى ... عليَّ وازددت وجداً من تجافيها
يزيدني ذكرها وداً واني ما ... حييت لست بناس عهد حبيها
ارواح نجد لها ارواحنا نعمت ... حيٌ اهاليها حباً لغواليها
لي معهد ولقا حيث النقا سكني ... بصحبة اكؤس الافراح نسقيها
فيا بروحي طيب الراح نشربها ... من راح من فيهم يسمو تعاطيها
ضياؤها لاح يعلو من جوانبها ... وندها ضاع زاكي من نواحيها
لم يجنها من فتى الا نما فرساً ... طوبى لمن بالتقى والود اوتيها
وفي الصبا طيب عطر من لطافتها ... فبالملا برق انس من تجليها
احبب بها قرقفاً من قد ذكت حبباً ... والدر يشرق من اسنى اوانيها
الطف لها الكاس فادخل حانها بوفا ... عهدها وداً من خمر معيطها
مدامة وبها لاح السرور علا ... لنا ودانت باحسان تهانيها
نعم جات بالصفا نعم كوس وفا ... على اللاء بالحمى اضحوا محبيها
نديمي ارتع وقم فاجل البلابل في ... تسجاعها فاجلها واشرح هنا فيها

ادر طلا الود لاتجزع فنحن عن ال   قطب الزكيِّ فريد العصر نرويها

لله ندب به ازدان الفخار بلا   شكٍ ذكا رتبًا يزهو معاليها

فمن يحاكي ذكيًا راق مشربه أل   محمدي وعلاه من يضاهيها

اكرم بشهمٍ وجيهٍ طاب محمدةً   حاوٍ علوم هدىً بالفيض يبديها

غلبا كواكب املاه لحسدّه   أوست واهدت سنا هديٍ لواعيها

هلمّ نلتقط الدر العجيب من ال   كنز الزكيّ كذا والنفس زكيها

كيما نشاهد نوراً صافيًا ونرى   اسراره بالسريّ القدر حاويها

ندٌ حسيبٌ جوادٌ لوذعٌ افقٌ   علا"مةٌ عطر الاوصاف ناميها

جلّ الذي زادهٍ نوراً وابدعه   من روح اسني معانٍ عزّ تنزيها

وكيف وهو سما العلم النفيس سمت   عن عالم السر اعلى الوحي يأتيها

من لي به سامياً امست شمائلهُ   وقع النسائم لطفًا ليس يحكيها

فؤادهُ طاب زاهٍ بالصفا فلذا   لك النفس قد اسلمت حبًا لباريها

هلّت لديه بدور السعد حارسها   اذكى كواكب فضلٍ عزّ مبديها

يجني اليه ثمار الحمد من ابقٍ   اضحى الزمان باهنى ما يجنّيها

شادوا عُليّ بالمنى قد بات تحسده   ذوو العلا وبه يسمو نواحيها

راق معارج عرفانٍ بطيب وفا   انعم بازكى عُلاً عزت مراقيها

قد أيد الله بالعز العزيز ذوي   جاهٍ اثيلٍ فاعطى القوس باريها

منى يفه بيد دراً زاكيًا فترى   بحار نطقٍ صفت حسنًا لآليها

أنّى وشمس الهدى فيه سنا زهيت   فبهجة الحق صدقًا هلّ ساريها

به الزمان نما والوقت راق هنًا   كذاك عين الذكا فيه نجيّها

ولت علي حلمه ادابه ونمت   علاؤهُ رفعةً فالله يبقيها

احيي فاوعى تصانيف المحقق مح   يي الدين اذ بعلاه اليمن يمليها

سبحان من بالعلا والنصر توجه   جوداً واعداؤهُ بالذل يرميها

نما فخاراً وهدىً وازدهى بسنا   معارفٍ بمقام الحق أؤتيها

اكعبة اليمن من بالغرب اودعها   مبدي الورى كنز ارشادٍ لراجيها

بمجدها من يلذ نال الاماني وال   على فلا زال رب العرش يحميها

دم فاهن انسًا ابيت اللعن في نعم   ادام باري الورى صفواً تواليها

رفقًا وعفواً بهي الجود ان عجزت　　مدح الورى بصفات ليس تحصيها
هيهات لم يعقل الافهام ايسرها　　فاحنن بلطف وصفح عن تعديها
اكوكب العفو بل ياذا المحامد بل　　ياشمس حسن (أولو) العليا دراريها
اليك بكرًا بريا الندّ قد مزجت　　بل مُوِّهت بجلاء النطق تمويها
رافت بمجدكم معنى محاسنها　　بطيب وصفكم رقّت معانيها
خير المديح واسناه واصوبه　　ابيات ودٍ لكم تهدى قوافيها
هنتك يمنًا باعيادٍ بكم بهجت　　بل فيك ياذا العلى عزاً اهنيها
عليك جاءهُ من العرش العلي قداس　　ثوى كما جاءنا في الوحي تنبيها
بكم شدا فرقي نهج العلى فنما　　حسبي باوصافكم ان دمت شاديها
دم زاهيًا ما جنا فصح الثنا زهرا　　بدوحة المدح من تزكو مجانيها
غدا الوجود بهيجًا باهيًا بحلا　　حلت ودمتم باوفى المجد حاويها
نادى بشير سرورٍ بالهناء زها　　في حسن ابهى معالٍ انت زافيها
ياوحداً سد ودم بالعز ماتليت　　ايات حق بهيج الحسن تاليها

وكان هذا السيد عبد الرحمن شاعرًا فصيحًا جيد القريحة وهو الذي اخترع فن التاريخ على حساب الجمل . لاننا لم نجد تاريخًا على هذا الحساب قبل عهده ولم نقف له على منظومة غير هذه القصيدة . وفي هذه السنة تحقق الامير حيدر ان بعض مشايخ البلاد يميلون الى الامير احمد ابن الامير منصور الشهابي فخاف ان تقوم البلاد معه و يولوه مكانه فاستدعاه من راشيا ووعده ان يزوجه بابنته فحضر الى دير القمر والتقاه الامير حيدر بكل اكرام وارسل الى الامير نجم الشهابي حاكم حاصبيا يعلمه انه يريد ان يقتل الامير احمد وعند قتله يرسل اليه فيقتل ابنه الامير سيد احمد . واقام الامير احمد عند الامير حيدر اياماً وهو يزيد في اكرامه حتى ارسل اليه ولديه الامير ملحم والامير احمد في بعض الليالي فقتلاه وهو نائم في مضجعه . وفي الحال ارسل الى الامير نجم ان يقتل الامير سيد احمد . وكان مع الامير احمد عبدٌ له فهرب لما قتل سيده وسبق الرسول فاخبر الامير سيد احمد . فهرب من فوره الى دمشق ولم يظفر به الامير نجم . وفيها سار الامير حيدر بالعسكر الى بلاد المتاولة فهربوا ونهبت الدروز جميع تلك البلاد . (وفيها قتل اسمعيل بك شيخ القاهرة ابن قاسم بك عيواظ شيخ البلد السابق قتله

شخص يقال له ذو الفقار بايعاز من الباشا الوالي ودسيسة من جركس بك الذي تولى المشيخة بعده . اما امواله وتركته ونساء القتيل فاعطيت الى قاتله مكافأة لاتعابه . وفيها كان تتويج كاترينا ملكة روسيا . وفي السنة ١١٣٧ هـ كانت ولادة السلطان عبد الحميد ابن السلطان احمد الثالث . وفيها كان انشاء مرصد بطرسبرج . وفي السنة ١١٣٨ هـ تولى مصر علي باشا ولم يحكم الا شهرين . وفيها حصلت فتنة بمصر فعزل العسكر علي باشا واعادوا محمد باشا قبل ان يسافر من مصر وسافر علي باشا . وفي السنة ١١٣٩ هـ استقلت روسيا كمملكة بعد ان كانت امارة . وفيها كانت وفاة الفيلسوف اسحق نيوتون الشهير . وفي السنة ١١٤٠ هـ افتكر دوكاي الفرنساوي باختراع رفاص للوابورات البحرية . وانشئ مرصد او ترخت . واطلقت الدولة الفرنساوية القنابل على تونس . وفي السنة ١١٤١ هـ عزل العسكر محمد باشا الباشيمي بعد ان حكم مصر تسع سنين وتولاها بعده باكير باشا . وفيها ابتدئ بوضع النمر على منازل باريس . وفي اخر هذه السنة عزل العسكر باكير باشا عن مصر وحكم نحو سنة . وفي السنة ١١٤٢ هـ تولى مصر عبد الله باشا الكبرلي . وحصل طاعون شديد يعرف في كتب الافرنج بطاعون كاوى واستمر مدة مع قحط شديد . ووقعت عدة حروب بين جركس بك وذي الفقار قتل فيها جركس بك وبعدها بيومين قتل ذو الفقار في وسط ديوانه بعيارين ناريين اطلقا عليه دفعة واحدة بمكيدة من البكوات الذين حصلت بينهم مقتلة عظيمة بخصوص مشيخة البلد فتولى فيها عثمان بك . وتوفي بطرس الثاني . وعصت اهالي جزيرة كورسيكا على الجنويين)

وفي سنة ١١٤٣ هـ = سنة ١٧٣٠ م توفي الامير حيدر في دير القمر وكانت مدة حكمه في الشوف من حين حضوره من حاصبيا ستاً وعشرين سنة وكان حاكماً عادلاً حليماً كريماً واحبته اهالي البلاد وارضى الدولة واستراح في ولايته الى النهاية وكان حسن التدبير شديد الراي شجاعاً حسن الصورة اسمر اللون جسيماً تزوج باربع نساء حسب السنة وثلاث سراري ورزق تسعة اولاد ذكور وهم الامير ملحم والامير احمد من ام واحدة والامير منصور والامير علي والامير معن والامير حسين من ام اخرى وهي اخت الاولى من بنات عمه من حاصبيا . والامير عمر من ام الامير مراد ابي اللمع والامير بشير من بنت الامير حسين ابي اللمع

الفصل الثالث

في ولاية الامير ملحم الشهابي

وبعد وفاة الامير حيدر اجتمعت اهالي البلاد وعزموا ان يقيموا مكانه الامير ملحماً والامير احمد من اولاده · فابى الامير ملحم ان يشارك اخاه في الحكم وتوجه الى صيداء وطلب من الوالي عن يد ابن محاسن فلبس على حكم البلاد ورجع حاكماً · فاوصاه ابن محاسن انه لا يعود الى مواجهة وزير واستقر حكمه مكان ابيه · وكانت هل البلاد قد حزنت على الامير حيدر حزناً عظيماً · واقاموا له مناحة ار بعين يوماً ولم يبق في جميع البلاد امرأة الا ولبست عليه ثوب الحداد لانه هو الذي احيي ذكر القيسية · وبعد ما استقر ولده الامير ملحم في الحكم خافت منه الناس وهابته الدول وعدل في حكمه وكان صارماً لا يعفو عن ذنب الا بقصاص يساويه ولا يقبل دية ولا فداء والقى الفتنة في ايامه بين مشايخ البلاد فاختلفوا وتشعبت آراؤهم وبذلك تملكهم وتغلب عليهم وكانت الدولة لا تقدر عليه · وتطاولت اهل بلاده على من يليهم في ايامه · وكان اسعد باشا العظم والي صيدا يبغض الامير ملحماً بغضاً شديداً حتى قيل انه كان لما يصل اليه كتاب من الامير ملحم يضع يده على اسمه لئلا يقع نظره عليه ومع ذلك لم يقدر عليه ان يضره ولا يغيره من حكمه · في هذه السنة تولى على دمشق علي باشا ابن مقتول وتنازل السلطان احمد الثالث عن ملكه باختياره[1] وكان له في الملك ثمان وعشرون سنة وهو الثالث والعشرون من ملوك آل عثمان والثامن عشر منهم في القسطنطينية · وفي ايامه اثار حرباً على الروم واخذ منهم قلعة القرق وجزيرة المساد ثم اخذ ايضاً من النمسا مائر بين الاغراض (بلغراد) ثم اصطلح مع النمسا ثم اقام حرباً على الفرس واخذ كثيراً من اموالهم

الفصل الثامن عشر (تابع الجزء الاول)

في سلطنة السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى الثاني

وهو ٢٤ من العثمانيين و١٩ منهم بالقسطنطينية

---

(١) اكثر المؤرخين متفقون بانه لعدم قيامه باعباء المملكة وتساهله مع شاه العجم ثار عليه الانكشارية والجند وخلعوه وقتلوا الوزير

(وقام بعده باعباء المملكة السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى في هذه السنة واقتفى آثار اجداده بالغزو والجهاد و بقي في الملك ٢٤ سنة)

وفيها بنى الامير حسين ابو اللمع داراً عظيمة في صليما وقطن بها · وفيها بنى الامير فارس ابو اللمع داراً في الشبانية وتزوج سلمى ابنة الامير ملحم الشهابي ·

وفي سنة ١١٤٤ هـ = سنة ١٧٣١ م استاجر الامير ملحم الشهاب بلاد بشارة من يد وزير صيدا بموافقة الشيخ سليمان الصعبي وقبض على الشيخ نصار ابن علي الصغير و باغت اخوته في قرية جويا فهربوا الى بلاد القنيطرة وقتل ثلاثة عشر قتيلاً من قبيلتهم ونهبت الدروز تلك البلاد ثم رجع اولاد الشيخ نصار وفكوا اخاهم واستأجروا بلادهم من الامير ملحم · وكان في تلك السنة موت عظيم في العالم وتوفي الشيخ سليمان الصعبي · وفيها ركب سليمان باشا العظم والي دمشق الى البقاع فوعده الامير ملحم بنقد خمسين الف غرش ووضع اخاه الامير حسيناً رهناً عنده لوقت ايرادها فرجع الباشا الى دمشق · (فيها اخترع هاللي الة الانعكاس المسماة بالسدس · ونجحت الحملة الاسبانيولية في سواحل افريقيا · وفيها عزل محمد باشا الكبرلي بعد ان حكم سنتين وتولى مصر محمد باشا السلحدار · وفي السنة ١١٤٥ هـ اختلس كولي خان تخت مملكة العجم وفتح مملكة المغول وعاد ومعه ٢٣١ مليون جنيه انكليزي · وفيها انشأ محمد الشرابي جامع الشرابي بشارع بركة الازبكية بالقاهرة · وفي السنة ١١٤٦ هـ تولى مصر عثمان باشا الحلبي عوضاً عن محمد باشا السلحدار الذي عزل ·)

وفي سنة ١١٤٧ هـ = ١٧٣٤ م انتقل اسعد باشا العظم من ايالة صيداء الى ايالة دمشق وتولى ايالة صيداء اخوه سعد الدين باشا والي طرابلس · وتولى طرابلس سليمان باشا العظم وقويت شوكة بني العظم في عربستان وعظمت دولتهم · وفي هذه السنة توفي الامير عساف ابو اللمع وكان له اولاد صغار فتوفوا بعد ابيهم ورجعت زوجته الى بيت اخيها الامير ملحم واخذت ما استحقته من ميراث زوجها بساتين في نهر بيروت · (وفيها انشأ الامير عثمان جامع الكيخيا بالازبكية بجوار ضريح محمد ابي قوطة بالقاهرة · وكان صلح فينا بين اوستوريا وفرنسا · وفي السنة ١١٤٨ هـ افتتح الفرنساويون مملكة نابولي · واعلن صيرورة كورسيكا جمهورية · وعزل عثمان باشا الحلبي عن ولاية مصر وتولى بعده باكير باشا ثانية · وفي السنة ١١٤٩ هـ عزل باكير باشا وتولى مصر مكانه مصطفى باشا · وفيها اتحدت النمسا وروسيا ضد العثمانيين · وفي السنة ١١٥٠ هـ كان ايجاد السخرة او العونة في فرنسا لحفظ الطرق ·

وفي السنة ١١٥١ هـ هزم العثمانيون النمساويين في كورسيكا · وفيها كان التحاق الفلاخ والبغدان السرب بالممالك العثمانية)

وفي سنة ١١٥٢ هـ = ١٨٣٩ م كان عثمان باشا المحصل واليًا على دمشق · وفيها تزوج الامير ملحم بابنة لامير نجم قايدبيه من بني ابي اللمع في بيروت وكان متسلم البلد ياسين بك · وفيها كبس وزير صيدا بلاد الشقيف وقتل الشيخ احمد فارس واولاده وهرب اخو الشيخ حيدر الى بلاد الشوف واحتمى عند الامير ملحم · (وفيها قام الامراء في مصر على الباشا وتحصنوا بجامع السلطان حسن · وفيها عزل مصطفى باشا بعد ان حكم مصر ثلاث سنين وتولى بعده سليمان باشا الشهير بابن العظيم · واعلن الحرب بين انكلترا واسبانيا · وضرب كولي خان بلاد الهندستان · وفي السنة ١١٥٣ هـ كانت حروب الوراثة النمساوية ضد الملكة ماريّا تريزه · وعقدت معاهدة بين حكومة فرانسا بسيادة لويس الخامس عشر والسلطان محمود · وانشئ في انكلترا اول معمل لصب الحديد · وذبح المولا نديون صينيو جافا · وعزل سليمان باشا وتولى مصر بعده علي باشا حكيم اوغلي واتحد لويس الخامس عشر مع دوق بافيبره · وفي سنة ١١٥٤ هـ عزل علي باشا حكيم وتولى مصر بعده يحيي باشا · وخلع القيصر ايفان السادس وتبوأ عرش سلطنة روسيا الملكة ايليصابات · وفي السنة ١١٥٥ هـ افتتح فريدرك الثاني جزيرة سيسيليا · وشن الاسبانيوليون الغارة على السافوا)

وفي سنة ١١٥٦ هـ = ١٧٤٣ م هاجم الامير ملحم بلاد المتاولة لانهم كانوا تطاولوا على اطراف بلاده وعصوا في ايراد المال السلطاني على سعد الدين باشا والي صيدا فارسل الى الامير ملحم ان يسير اليهم بعسكر بلاده · فلما وصل الامير ملحم الى جسر الاولي بالقرب من صيدا ارسل اليه الباشا ان يرجع لانهم سلموا الى امره · فعظم ذلك على الامير ملحم لانهم سلموا عن غير يده وتحرك الانتقام منهم نظير مطاولتهم على بلاده وامر الوزير برجوعه على غير طائل فلم يقف عند امر الوزير وفات بالعسكر مارًا على صيدا الى بلاد المتاولة حتى وصل الى قرية نصار فالتقاه مشايخ المتاولة بعسكرهم وانتشب بينهم القتال فكسرهم كسرة هائلة وقتل منهم الفًا وستماية قتيل ومسك منهم اربعة مشايخ ونهب بلادهم واحرقها ورجع حتى مر على صيدا فارسل المشايخ الى الباشا وطلب منه ذخيرة للعسكر وبات تلك الليلة على جسر الاولي · وفي الغد رجع الى دير القمر بعز عظيم وخافت منه جميع الاطراف وهابته الدول وارتفع شان بلاده على كل مايليها · وفيها تولى دمشق سعد الدين باشا العظم واقام اربع سنين

على ولايته وكان والي صيدا عثمان باشا المحصل فتأخر عند الامير حيدر ملحم جانب من المال السلطاني · فعرض عثمان باشا الى الدولة العلية فحضر فرمان الى وزير دمشق ووزير طرابلس بامرهما بالقيام مع عثمان باشا على الامير ملحم فخرج عثمان باشا بعسكره الى جسر صيدا وحضر اليه وزير دمشق ووزير طرابلس وتقدموا الى اطراف بلاد الامير ملحم فاحرقوا اقليم التفاح ومرج بسرة · فتوجه الامير ملحم بعسكر البلاد الى قرية مز بود بالقرب منهم وعول على قتالهم ثم دخل في الصلح محيي الدين اغا وارسل الامير ملحم المال الذي كان متأخرًا عنده ورجع كل فريق الى مكانه · وفيها خرج سليمان باشا العظم والي صيدا بالعساكر الكثيرة ونزل في مرج قدس فنزل من وجهه اهل بلاد بشارة وبلاد الشقيف واقليم التفاح واقام الباشا هناك ثلاثة عشر يومًا ورجع · وفيها وقع الاختلاف بين الامير ملحم والامرآء بني اللمع وتوسط في الامر قوم فاصلحوا بينهم ورجعوا الى الانس والالفة وقيل في ذلك شعر

ثغر الزمان لقد غدا متبسما وشذا الامان لقد بدا متنسما
وانجابت الاغساق من آفاتها يومًا وكان الكون اربد معتما
وبدا الاماني كفت الاظلام اذ صدعت ردآء الشك مما اوهما
بالسيد المولى المفدى بالورى نجم الكرام اضا سناه الانجما
اعني به الندب الكريم المعتني اوج العلى مولى الموالي ملحما
شهم اذا ماحال برد ملاحم اسدى قناه في الكماة والحما
بطل اذا ما فر لا متأخرًا عنه واما كرَّ لا متقدما
واذا عطى كان الغمام اذا همى واذا سطا كان الحمام الضيغما
فلذاك امته الوفود لانهم نالوا به عزًّا سما وتكرما
ادنى ذوي القربى اليه لكونهم في قربه حلوا محلاً اعظما
وتواصل الارحام اما واصلت بالود جلت عصمة وتعظما
والصفح من شيم الكرام وانما من كان اسبق فيه كان الاكرما
واذا رجعت الى الرضا فتحيل حلواً كل ما قد كان مرًّا علقما
ان العظيم تهون كل عظيمة جليّ لديه وجد بها لن يعظما
كم عاذلٍ اغرى بنوّ مقاله حتى احال السلم سفكاً للدما
ولكم عدوٍّ خيل خلاً صادقا اذ كان في ما قد اتى متكتما

ولكم صديق صادق اودى به — رجم الظنون وكان ذاك توهما
ولكم فتى خال الصديق عدوه — وهو الصديق ولم يزل ابداً كما
ومخادعٍ وافى بصورة ناصحٍ — ويخترقٍ جمر العداوة اضرما
ان الغريب وان تقرب بالدهى — فهو البعيد وان دنا وتقدما
وحؤول هذا الدهر نبأ جازماً — ان لايزال بآله مستعصما
من كان مختبراً بودك لم يكن — ممن يعد من العدى مستخصما
وتلاقي الاعراس قبل تلافها — احرى بمن يبقى بان لا تهدما
واذا تمادى الاعتناه فانها — تذوي وما تخضلُ لو همت السما
اتعاف معتزياً اليك بنسبة ال — ود الذي فيه لعزتك انتمى
ارفد جراحاً بالقلوب ثخينةً — وانقض لما أُسّ العدو وابرما
واستل اضغان القلوب بصفوةٍ — يجلى بها ما كان قبلاً مظلما
اذ كان رايك للسقيم الراي طبـاً شـافياً — ولكل جرحٍ مرهما
وارأب صدوع الجاهلين بحكمةٍ — يا احكم الحكام في ما احكما
حتى يبدل بالولا ذاك القلا — و يعاض يوماً بالروى ذاك الظما
واسلم ودم عالي الجناب ممتعاً — بظلال عز لايزال مخيما
تولي معارفك العوارف دايماً — بنضير عيش منعماً ومنعما

وفيها حصل طاعون شديد في سيسيليا . وعزل يحيي باشا بعد ان حكم مصر سنتين وتولى بعده محمد باشا اليدلشي . واخترع بوجيه الهيلومتر لمقياس قطر الشمس الظاهري . وحصلت فتنة في القاهرة بين عثمان بك شيخ البلد والبكوات انتهت بفرار عثمان بك الى سوريا ومنها الى الاستانة . وحرق الاهالي بيته واقتسموا امواله وتركته . و بعد مقتلة عظيمة بين البكوات تولى ابرهيم كخيا مشيخة البلد ورضوان بك امارة الحج .)

وفي السنة ١١٥٧ هـ = ١٧٤٤ م كانت وفاة سعد الدين باشا العظم في ظابريا . وفيها كانت الموقعة في مرج عيون بين المشايخ المتاولة واهالي وادي التيم ومعهم دروز جبل الشوف وكانت الكسرة على الدروز وعسكر وادي التيم وقتل منهم نحو ثلثماية قتيل وحرقت المتاولة جميع قرى مرج عيون . ثم اجتمعت المتاولة في قرية النبطية وارادوا ان يغزو جبل الدروز فمنعهم وزير صيدا . وفيها ابتنى الامير منصور الشهابي قيسارية في مدينة بيروت ونظم بعضهم لها هذا التاريخ شعراً

منصورة تزهو محاسنها شيدها المنصور ذو القدر
ابن الشهاب الاشهبي فقل تاريخها منصورة النصر

(وفيها كان اعلان الحرب بين فرانسا وانكلترا • فاستولى فردريك الثاني على براجوى . و برهنت علماء فرانسا على تسطيح الكرة الارضية بقياس عدة درجات من الخطوط الجابيه . وفي السنة ١١٥٨ هـ عزل محمد باشا البدكشي وتولى بعده على مصر محمد راغب باشا . واخذ الانكليز لو بز برج من الفرنساو يين في اميركا . وفي السنة ١١٥٩ هـ وصل ابرهيم كخيا للاستحواذ على مصر بكثرة رجاله وجيشه لانه كان من مماليكه ثمانية حكام بالمديريات اشترى مناصبهم لهم من الباشا الوالي فكان ذلك داعياً لعلو كلمته وصارت اوامر الوالي منبوذة واستمر ذلك حتى مات . واستولى المار يشال دوساكي على بروكسيل . واستولى النمساو يون على جنوا . واستولى الانكليز على مدراس وحصلت زلازل في ليما من بيرو)

وفي سنة ١١٦٠ هـ = ١٧٤٧ م رزق الامير ملحم ولداً من ابنة الامير نجم حاكم حاصبيا ابن الامير محمد وسماه الامير يوسف . وفي هذه السنة كان اسعد باشا العظم واليًا على دمشق وركب بعسكر لغزو البقاع فركب الامير ملحم بعسكر بلاده الى المغيثة ونزل اليه الى بر الياس فانكسر الباشا ووصل الامير ملحم بعسكره الى سهل الجديدة . ثم رجع واحرق جميع قرى البقاع ورجع الى بلاده منصوراً وهابته الدولة . وكان سعد الدين باشا يحبه لانه كان يبغض اخاه اسعد باشا . وكان سبب خروج اسعد باشا الى البقاع ان الامير ملحم اخذ حكم بلاد بعلبك واقامها اخو يه الامير احمد والامير منصوراً . فتأخر في دفع الاموال الاميرية التي كان تعهد بها الامير ملحم الى اسعد باشا . وفي ذلك الوقت عمل الامير ملحم جمعية في الباروك وجمع البلاد فبلغ اسعد باشا ذلك فارسل حسن آغا الشكرلي الى الامير ملحم . وكان ظاهر الامر ان حضوره لاجل طلب المال المتأخر وباطنه لاجل معرفة ذلك الاجتماع ورجع حسن آغا على غير طائل فخرج اسعد باشا في الحال الى جديثة وكان قصده ان يباغت الامير ملحم عند ينبوع الباروك . فلما بلغ الامير ملحم خروج الباشا جمع اهالي البلاد وتوجه الى المغيثة . فلما رأى اسعد باشا النيران تحقق حضور عسكر الدروز فثنى عزمه عن المسير وبعد ثلاثة ايام وقع القتال وانكسر اسعد باشا كما ذكرنا . واقام اسعد باشا على ولاية دمشق عدة سنين وبنى ابنية عظيمة فيها وجمع مالا

لايحصى ومشى الحج مواسم كثيرة فانعمت عليه الدولة العلية برتبة علامة الرضى وامرت ان لا يشهر عليه سلاح ولا يقتل . ثم ارسلت الدولة قتلته في الحمام طمعاً بكثرة امواله وضبطت ماله واملاكه . وتولى مكانه ابن عمه سليمان باشا ورجع ثانية سليمان باشا الى دمشق . وفي هذه السنة حاصر سليمان باشا العظم الشيخ ظاهر العمر في قلعة طبرية و بقي الحصار ثلاثة اشهر فادركه ركب الحج وارتفع عنها . وقد ذكرنا الواقعة التي كانت بين اسعد باشا العظم والامير ملحم وكان مع الامير ملحم يومئذ الامير حسين الحرفوش وكان اخوه الامير حيدر الحرفوش مع الباشا وهو حاكم بعلبك في ذلك الوقت . ولما خرج الباشا الى الحج ارسل الامير ملحم عسكراً الى بلاد بعلبك فطرد الامير حيدر وولى مكانه الامير حسيناً وخرَّبت الدروز بلاد بعلبك وقطعت اشجارها . وفيها بعد رجوع الباشا من الحج حضر خط شريف بقتل اغوات الانكشارية بدمشق فقبض الباشا على البعض منهم وقتل ابن الفلاقنسي . وفيها كان المتولي على مدينة مصر الامير ابرهيم كتخدا المستحفظ والامير رضوان كتخدا عريان فعظم امرهما وصار لهما سمعة شهيرة وكان الامير ابرهيم يحب السياسة والاحكام والامير رضوان يميل الى الملاهي والتنزهات وكانت مدة جلوسهما على تخت مصر سبع سنين . (وفيها اكتشف برادلي حركة محور الارض . وقتل كولي خان غدراً . واكتشف سكر الشمندور (البنجر)

وفي سنة ١١٦١ هـ = ١٧٥٨ م غضب الامير ملحم على مدبره الشدياق بطرس العشقوتي و وضعه في السجن وضبط جميع املاكه وكان السبب ان الشدياق بطرس كانت قد كبرت نفسه عنده وطمع في حقوق الامير ملحم . وكان هذا الشدياق ابيّ النفس فعظم عليه ذلك وكره الحيوة فدخل الى بيت الخلاء يوماً واخذ قلم الطراش من دواته وقطع به خصيتيه . ثم دخل عليه السجان فرآه قد مات . واخبر الامير بذلك فشق عليه جداً لانه لم يكن يريد قتله ولكن يريد ان يؤدبه و يعيده الى وظيفته لانه كان نافعاً له بحسن رأيه وتدبيره . وفي هذه السنة كان سليمان باشا والياً على دمشق فغضب على الانكشارية واخرجهم من المدينة فحضر رئيسهم احمد آغا القلطقجي ومعه جملة آغوات الى جبل الدروز والتجأوا عند المشايخ بني يزبك وكانوا ينزلون و ينهبون من نواحي دمشق و يقطعون الطريق فارسل سليمان باشا الى الامير ملحم ان ينفيهم من بلاده فأبت اليزبكية . فاحرق الامير ملحم ديار بني تلحوق في الغرب وديار بني عبد الملك في الجرد ونزح بنو تلحوق واحمد آغا الى نواحي البقاع .

ثم ان الانكشارية نزلوا الى نواحي دمشق واصطلحوا مع الباشا ورجع الشيخ شاهين تلحوق الى البلاد وعوض عليه الامير ملحم عما كان اتلفه له لان الامير فعل ذلك به لاجل امر الباشا . وفي هذه السنة كان غلاء عظيم حتى وصل ثمن الغرارة من القمح الى اثنين وستين غرشاً وغرارة الشعير الى اربعة وعشرين غرشاً . وفيها تسلم الامير ملحم مدينة بيروت من صيدا وانعزل ياسين بك وسكنت الامراء الشهابية في بيروت (وفيها قامت فتنة بين اهل دمياط ورئيسهم علي بك وبين القطامشة ورئيسهم ابراهيم بك . وبعد حروب انتصر اهل دمياط على اخصامهم . وعزل محمد راغب باشا بعد ان حكم مصر سنتين ونصفاً جرى فيها فتن كثيرة فتولى بعده احمد باشا المعروف بكور وزير)

وفي سنة ١١٦٣ هـ = ١٧٤٩ م تطاولت المشايخ المناكرة على اقليم جزين وقتلوا رجلين من خدم الشيخ علي جنبلاط فعظم ذلك على الامير ملحم وجمع عسكر البلاد وركب لحرب جباع الحلاوي فهربت المتاولة من وجهه واحرق اكثر بلادهم ورجع منصوراً الى دير القمر . وكان قد اصاب منهم جماعة في جبل الشوك الذي فوق جباع وقتل من المتاولة نحو ثلثماية نفس وحرق حارة جباع وقطع الاشجار التي هناك واحرق بلاد الشقيف وبلاد بشارة . وفي هذه السنة انفق الامير ملحم الاموال السلطانية فوزع على اهل البلاد غرامة من كل رجل غرشاً فقط فأبت اهالي البلاد ذلك وعقدوا مجمعاً في عين السوق (قرب السمقانية) فلما رأى الامير ذلك عدل عن مطلوبه ثم اخذ يلقي العداوة بين بعض الطوائف في البلاد وفتن بين الامراء اللمعية والمشايخ النكدية وتغلب على البلاد بذلك والجميع احتاجوا اليه . وفي اثناء ذلك حدث من الشيخ شاهين تلحوق ظلم في البقاع على المسافرين في طريق دمشق فوجه سليمان باشا نائبه بعسكر فباغت الشيخ شاهين الى قرية تعنايل فهرب وقتل من حاشيته ثلاثة رجال فلما بلغ الامير ملحم ذلك جمع اهالي البلاد حالاً وباغت نائب باشا وقتل من عسكره جملة اشخاص وهزمه الى دمشق . فعظم ذلك على سليمان باشا وعزم على الخروج بالعساكر الى بلاد الشوف وكان يومئذ والي صيدا مصطفى القواص فحضر الى البقاع ودخل في الصلح بين الامير ملحم وسليمان باشا تحت خمسة وسبعين الف غرش يوديها الامير ملحم بدلاً عن مصروف عسكر سليمان باشا وارسل الامير ملحم اخاه الامير علياً رهناً الى مدينة صيدا ولعدم الاركان في الدولة وضعوا الرهن في خان الافرنج فاقام خمسة اشهر وقد كان الامير

ملحم اراد ان يوزع مالاً على البلاد وصدوه عنه كما مر فقيل ان سبب ركوبه ضد نائب سليمان باشا كان لكي يضطر اهالي البلاد الى القتال او ايراد الاموال وكان كذلك فالتزموا بايراد مصروف العسكر المذكورين ووزع الامير ملحم المال السلطاني مضاعفاً في تلك السنة وفك اخاه من الرهن . وفي هذه السنة صار ثلج عظيم حتى وصل الى ساحل البحر وصار على المراكب ينيف عن ثلاثة اشبار . (وفيها كانت سلطنة يوسف الاول على البرتوغال . وعزل احمد باشا عن مصر بعد ان حكمها سنتين وتولى بعده شريف عبد الله باشا . وحدثت زلازل عظيمة في انكلترا . وفيها كان اول ترتيب الجندرمة في فرانسا . وفي السنة ١١٦٤ هـ كان ايجاد مهندسي القناطر والجسور في فرانسا وتأسست المدرسة الحربية الفرنساوية في شان دومارس)

وفي سنة ١١٦٥ هـ = ١٧٥١ م دعا الامير ملحم مصطفى باشا القواص والي صيدا الى دير القمر ثم الى ينبوع البارك وقدم له كل اكرام . وكان الباشا مغرماً في اطلاق البنادق بارعاً فيه حتى قيل انه كان يرمي الرصاص من دار الامير ملحم في الدير الى قاطع بعقلين فيصيب الهدف المنصوب له ولذلك لقب بالقواص وخافت اهل البلاد والمشايخ من دخول الباشا الى دير القمر واخذوا المال السلطاني مرتين . وفي هذه السنة وقعت الفتنة بين المشايخ بني ابي نكد فغضب الامير ملحم عليهم وارسل ونفاهم من البلاد فنزحوا الى وادي التيم وهدم منازلهم في دير القمر . ثم توسط في امرهم الامير اسمعيل حاكم حاصبيا ورجعوا الى البلاد وسكنوا في قرى المناصف . وكان سبب الفتنة بينهم من الامير ملحم لانهم كانوا هجموا على السجن لكي يقتلوا رجلاً كان قد سجنه الامير لانه قتل رجلاً من تابعيهم وكان القاتل غير محكوم عليه صريحاً بتعمد القتل فابقاه الامير لاستقصاء النظر في امره وعرضت امه مبلغاً عظيماً من المال تفديه به فاراد ان يطلقه ولما علم بذلك المشايخ هجموا على السجن ليقتلوه ولكنهم رجعوا من الطريق ولما رأى الامير ملحم هياجهم اضطر ان يقتله مراعاة لهم والقى الفتنة بعد ذلك بين اكابرهم الشيخ خطار والشيخ كليب حتى وقع الشر بينهم فنفاهم كما ذكرنا . وبعد ذلك توفي الشيخ خطار ورجع الشيخ كليب وسكن في دير القمر . وفي هذه السنة بعد رجوع الامير ملحم عن المتاولة وانتصاره عليهم خاف الشيخ ظاهر العمر وجدد سور عكا وقيل في ذلك شعر

سورٌ منيعٌ عاصم عكا فما   تغتال اذ قد عيد منه الدابرُ
من ظاهر العمرِ الذي اشتهرت له   بين البرية انعم ومآثر

تمت محاسنة فيرانو ناظر في حسن مبناه و يحسا ناظر
لما بناه الشيخ ظاهر عنوة اعناه تاريخ بناه ظاهر

(وفيها انشأ الامير عبد الرحمن المدبر جامع رحبة عابدين بالقاهرة . وابتدأ الانكليز باستعمال التقويم الغريغوري . واكتشف فرانكلين مانعة الصواعق . وفي السنة ١١٦٦ هـ عزل شريف عبد الله باشا والي مصر بعد ما حكمها ثلاث سنين . وتولى بعده محمد امين باشا . وفيها انشئ المتحف البريطاني . وتوفي محمد امين باشا والي مصر وتولى عليها بعده مصطفى باشا)

وفي سنة ١١٦٧ هـ = ١٧٥٣ م دخل شوكة صبر في يد الامير ملحم فآلمته جدا ثم لم يكترث بها فدخل الحمام وتطيب فورمت يده ورماً عظيماً وخبثت القرحة حتى عجزت عنها الاطباء وضعف جسمه من جرى ذلك واشتغل بنفسه فطمعت فيه مشايخ البلاد واتفقوا عليه مع اخوته فتنازل عن الحكم . وفي هذه السنة حضر الشيخ عثمان ابن الشيخ ظاهر العمر الى دير القمر مغتاظاً من ابيه فتوسط الامير ملحم في امره فرجع الى عكا واصطلح مع ابيه . وفي هذه السنة قتل الامير اسمعيل ابو اللمع ابن عمه الامير اسعد فركب الامير منصور الى المتن واتلف ابنية واغراساً وضبط ما بقي من املاكه ثم رضي عنه واخذ منه عشرين الف غرش . (وفيها وقعت حروب بين الفرنساويين والانكليز في كندا . وكانت معاهدة مدراس بين الفرنساويين والانكليز . وعصت اهالي كورسيكا على الجنويين . واعيد ترتيب البارلمان في باريس . وحصلت زلازل عظيمة في الاستانة ومصر)

وفي سنة ١١٦٨ هـ = ١٧٥٤ م توفي السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى الثاني في الاسم من آل عثمان وله من العمر ٦٠ سنة حكم منها ٢٥ سنة وهو الرابع والعشرون منهم في الملك والتاسع عشر منهم في القسطنطينية وكان هذا السلطان حين جلوسه اصطلح مع الفرس واخذوا بلادهم منه واتى الروس واخذوا منه قلعة الفرق وداسوا القرم واخذوا من التتر خلقاً كثيراً ثم داسوا الروس مرة ثانية الى القرم واخذوا قلعة اوزه ونهضت النمسا واخذت قلعة الميس

الفصل التاسع عشر (تابع الجزء الاول)

في سلطنة السلطان عثمان الثالث ابن مصطفى الثاني وهو ٢٥ من ملوك آل عثمان والعشرون في القسطنطينية

وتولى السلطنة بعد موت السلطان محمود اخوه السلطان عثمان الثالث · وكان يحب الانفراد وليس له في زمانه من الامور مايستحق الذكر وتوفي بعد ان حكم ١٣ سنة · ولم يسترجع شيئاً مما اخذ من المملكة ولكن السلطان مصطفى الثالث استرجعها بعد ما قتل من عسكره جمع غفير ثم رجع النمساويون واخذوا قلعة البونضا ثم قام البشناق وطردهم واخذ البلاد منهم فجرد السلطان مصطفى عساكره لحرب النمساويين واهلك منهم عساكر لاتحصى واستخلص قلعة الروس العظيمة التي كان بناها النمساويون على نهر ديروث ثم ركب السلطان ثانية على النمسا وتملك قلعة (بلغراد) ثم حضر الى القسطنطينية سفير الروس وسفير النمسا واخذا عهود الصلح من السلطان مصطفى وكانا قد استأسرا فليج باشا ويحيي باشا فاطلقاها كما سيأتي · وفي هذه السنة توفي الامير ابرهيم المستحفظ والي مصر الملقب بالقازضغلي وخلف ثلاثة سناجق وهم عثمان بك الجرجاوي وحسين بك كشكش وعلي بك الكبير · وبعد وفاته عقدوا ديواناً والبسوا سنجقين وهما حسين بك الصغير والجن علي بك وكان ذلك بامداد الامير عبد الرحمن عريان · وكان الامير عبد الرحمن يضمر في نفسه اتلاف بيت الامير رضوان وفيها وقع الاختلاف بينهم وثارت الحرب فاستظهرت غزاة ابرهيم بك على رضوان بك فخرج من بركة النيل الى الرملة وقصد ان يملك باب الغرب فانجرح في الطريق جرحاً بليغاً وهو قاصداً بلاد الصعيد · وفي وصوله الى القرب من مدينة جرجامات · واما سناجقه الخمسة فساروا الى جهة الشرق حتى دخلوا مدينة حلب ومن هناك ساروا الى القسطنطينية وكان يومئذٍ الوزير الاعظم محمد راغب باشا فاكرمهم وانعطف اليهم وطابت مصر لعائلة ابرهيم بك المعروفين بالعائلة القازضغلية · (وفيها استولى الانكليز على ٣٠٠ سفينة تجارية فرنساوية · وحدثت زلازل في كيتو وفي لسبون · واكتشفت اثار بومباي)

وفي سنة ١١٦٩ هـ = ١٧٥٥ م ابتدأ الامير حسين بك يعمل على نفي اخوته السناجق واستوثق من علي باشا الحكيم وتمكن في الرباط مع الوجاقات ثم خرج الى

باب الغرب واحضر علي باشا واخذ منه امراً بنفي الاربع سناجق كل واحد منهم الى جهة من الاقطار المصرية والبس عوضهم اربع سناجق وجلس الامير حسين بك على تخت القاهرة وقويت شوكته وعظم امره وكان اميراً عادلاً كريماً الى الغاية ووجدت اهل مصر في ايامه الراحة والامان والانصاف وخرج الى الحج ورجع سالماً واستراح الحج في ايامه راحة عظيمة ·

الفصل الرابع

في ولاية الاميرين احمد ومنصور الشهابيين

وفي هذه السنة سلم الامير ملحم الحكم الى اخويه الامير احمد والامير منصور فاقاما في دير القمر واقام الامير ملحم في بيروت وصرف حاشيته الا اربعة اشخاص من المسلمين واتخذ كتباً في العبادات وتورع في الديانة الاسلامية · وفيها كان نائباً على دمشق عبد الله باشا الشتجي وكانت الدولة انعمت عليه بهذه الوظيفة لاجل العداوة التي كانت بين وجاق الانكشارية والقباقول في دمشق فحضر عبدالله باشا الى هناك ومعه ثلثة عشر الف رجل فاجتمعت اهالي دمشق الى الميدان ليمنعوه عن الدخول فدهمهم ليلاً وقتل منهم مقتلة عظيمة ودخل الى المدينة وخافت منه الناس وقيل انه كان يتنكر كل ليلة ويدور في شوارع المدينة واي من وجده في الليل يقتله فكبر اسمه عند الدولة لاجل ظفره باوباش الشام وكان يقول انه لا يوجد في الدنيا مارد غير عبد الله باشا الشتجي والامير ملحم الشهابي والشيخ ظاهر العمر وكان يحب الامير ملحم محبة عظيمة وقيل انه كان مملوكا كرجياً وكان يحب النصارى كثيراً واكثر خدمه منهم ثم عزل عبد الله باشا وتولى مكانه حسن باشا · وفي هذه السنة انقضّت صاعقة على قلعة بيروت فهدمت بعضها وقتلت ثلثة انفس من اهلها ثم امر الامير ملحم ببناء ماهدم فيها · (وفيها كان ابتداء حروب السبع سنين · وكان اتحاد الانكليز وبروسيا · وعزل مصطفى باشا بعد ان حكم مصر ثلاث سنين وتولى بعده علي باشا حكيم اوغلي ثانيةً على مصر · وانهزم النمساويون امام البروسيانيين في لو · وكانت معاهدة فرساليا بين اوستريا وفرانسا)

وفي سنة ١١٧٠ هـ = ١٧٥٦ م خرج الامير حسين بك في الحج المصري ورجع سالماً بكل راحة وكان نائباً على دمشق حسن باشا ابن ملكه وانتهب الحج في ايامه ·

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الامير احمد والامير منصور و بين ابن اخيهما الامير قاسم ابن الامير عمر ونزح الامير قاسم من البلاد الى نواحي البقاع وقطع الطرق ثم ارسل الامير احمد والامير منصور استرضياه واعطياه غزيراً فاقام بها وتزوج بابنة الامير منصور · وفي هذه السنة كان غلاء عظيم في بلاد الشمال حتى انه في حلب بيع رطل الخبز بنصف غرش وقل وجوده ودام الغلاء سنة كاملة وقيل ان الناس في بلاد الرهاو بغداد اكلوا الخيل والحمير والبغال ونحوها · وفيها نهبت العرب الحجج عند قلعة القطرانة وحاصروا الباشا في القلعة مقدار نصف شهر واخذوا المحمل وقيل كانت ام السلطان عثمان في الحج فماتت خوفاً وفني الحج ولم يسلم منه غير القليل وكان احد امراء العرب صديقاً للباشا فاخرجه من القلعة ليلاً ومضى الى غزة وقيل ان العرب كانوا يطبخون اللولو و يظنونه ارزاً (وفيها مات ابرهيم المدبر فانتقلت الكلمة لعتقائه · وانشأ الامير عبد الرحمن المدبر جامع الكردي بالحسنية · وكانت سيادة الانكليز في الهند بعد حرب پلاسي)

وفي سنة ١١٧١ هـ = ١٧٥٧ م وقع بين انكشارية دمشق والقباقول شرور كثيرة وكانت دروز الجبل تعين الانكشارية في القتال فانتصروا و قتل من الفريقين اربعون قتيلاً · وحاصرت القباقول في القلعة وجرى بينهم اربع وقائع والانكشارية تنتصر بامداد الدروز. ثم ان عبدالله باشا الشتجي بعد رجوعه من الحج امر عسكره ان يكون مسعفاً للقباقول وطلب من الانكشارية عشرة الاف غرش وكان رئيس الانكشارية يومئذ محمد آغا ابن والي فامتنع عن ذلك ورد رسول الباشا فغضب من ذلك وامر العسكر ان يباغت منازل الانكشارية فوقع بينهم القتال وانكسر عسكر الوزير وقتل منه عشرون رجلاً · وخرجت الانكشارية من دمشق نحو الف خيال · ووقع القتال بين اهل البلد وعسكر الوزير فقتل من اهل البلد نحو مائة قتيل ثم نادى الباشا بالامان · وكان في هذه السنة غلاء شديد حتى بلغ ثمن كيل الحنطة ستة غروش ثم نادى الوزير على خزنة الحنطة ان يبيعوا الكيل بغرشين ونصف وكان كذلك · وفي هذه السنة حضرت خلع الولاية من صيدا الى الامير منصور والامير احمد فانشد بعض الشعراء هذه القصيدة للامير منصور

قرت لحاظ والفواد قرير   لما استقر لسعدك التقرير
هتفت لبشراك الحمام بايكها   اذ جاء في بشرى السرور بشير

واهتزت الاعطاف من البابنا ... طرباً وكادت بالحبور تطير
امنت بامنكم الجواد وآمنت ... كل البلاد بانك المنصور
وصدعت عظم الدهر صدعة فاتك ... فغدا يئن وعظمه مكسور
افديك من شهم سعيد الحظ ما ... ناداك الا جاهل مغرورُ
البابنا بكماله مفتونةٌ ... ولبابنا بجماله مبهور
لما غدا وتر الورى صدر الورى ... صدر الحسود وصدره موتور
فالمستميح سواك ممطولٌ ولكن ... مستميحك بالندى ممطور
والخير في الدنيا لعمرك متجرٌ ... وافي المكاسب فهو ليس يبور
وكذا الصنيع من المحامد منهلٌ ... عذب الموارد فهو ليس يغور
لكم التهاني ماصفا ورد وما ... سمحت لحكم العادلين ثغور
مازلت اثني عن مناقبكم وان ... زعم الحواسد انني لجسور
لو تعلم الشعراء في شعري بكم ... ذاب الفؤاد فرزدق وجرير
وترى الحسود معذباً فكأنه ... ميت اتاه ناكر ونكير
لكم البقا كبراً عليهم ارغماً ... مذ احرزتهم تربة وقبور
انتم نسيمٌ ان هببتم شمألٌ ... والقبر ريح ان يهب حرورُ
لو ان حللتم في سباخ اصبحت ... خصباً سميناً ليس فيها بور
ما امّ قومٌ مثله يوماً ولا ... كبنيه ام مصاحبٌ وعشيرُ
كلا ولا الديباج ضم نظيره ... وكطفله ما ضم قط سريرُ
فكأنه شمس بافاق العلى ... وبنوه في افق العلاء بدور
شمس اضت وبنوه زهرٌ لمع ... لمجرّة المجد الاثيل تسيرُ
قوم بعرفهم بلوغ أشدهم ... هز الغلاصم والغبار يثير
مجموعهم بالفضل جمع سالمٌ ... لكن سواهم جمعه تكسير
قد جمعت فيه مناقب جمةٌ ... فوق الجموع وجمعها تكثيرُ
لهم باكبار العظائم موردٌ ... وعن الدنايا الهينات صدور
يجرون في يوم الوغا حتى ترى ال ... ارضين راجعة تكاد تمورُ
واذا امتطوا متن الخيول كأنهم ... احد ورضوى يذبل ويثيرُ
لا بدع ان هجروا غمود نصالهم ... فلها غمود اروُسٌ ونحور

فكأنما الاسياف حب خرايدٍ ضمت عليه ترائب وصدورُ
سيماوهم طول النجاد فقد يرى الـ ـمران معتقل السلاح يسير
وكأنما جفن الغزالة ارمدٌ وافاه منهم في العجاج ذرور
وتفردوا بالمجد حتى ان غدت تومي اليهم انمل وتشيرُ
ان شئت تبلغ شاو نعتِ خلالهم هذا محالٌ والمحال غرورُ
وبيان اني عاجزٌ مع ذا الورى ولسان كلٍ عنه فيه قصورُ
سيما قصوري المستعاز وانما سيماه مثلي العجز والتقصير
واذا رويت الخبر عنكم مسنداً مافهت زوراً والشهود حضورُ
الفضل منكم والصيانة والتقى والمكرمات مع الحجى والخير
اني بليدٌ في مديح سواكم لكن بمدحك شاعرٌ نحرير

(وفيها عزل علي باشا حكيم اوغلي بعد ان حكم مصر سنتين وتولى بعده محمد سعيد باشا . وفيها كان انشاء بر يد صغير لباريس و بناء البانتليون)

الفصل العشرون (تابع الجزء الاول)

في سلطنة السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد الثالث

وهو ٢٦ من آل عثمان و ٢١ في القسطنطينية

وفي سنة ١١٧٢ هـ = ١٧٥٨ م توفي السلطان عثمان ابن السلطان مصطفى وقيل انه مات مسموماً وكانت مدة ملكه ثلث سنين وثمانية اشهر وهو السادس والعشرون من ملوك آل عثمان والحادي والعشرون منهم في القسطنطينية وخلفه السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد الثاني . وهذه السنة ابتدأ الاربع سناجق اخوة حسين بك الذين كان نفاهم كما ذكرنا يكاتبون الكشاف الموجودين في مصر وهم حسن كاشف جوجو واساعيل كاشف ابومدفع وعلي كاشف جولان وعلي كاشف المرجي وهؤلاء كانوا من مماليك ابراهيم بك قازضغلي واخذوا يراسلونهم على قتل حسين بك و يعدونهم بكل جميل فهؤلاء الكشاف انصاعوا لكلامهم وصاروا يترقبون الفرصة لقتله حتى خرج الى خارج البلد وسار الى مصر القديمة ونزل في دار السعادة ودخلوا عليه وهو جالس وحده وقتلوه وفروا هاربين وارسلوا اعلموا السناجق الذين كانوا بغضب منهم حسين

بك كشكش والجن علي بك ثم حضر عثمان بك وعلي بك الكبير وعقدوا ديوانًا وقدموا عليهم الامير علي بك الكبير واقاموه شيخ البلد · وفي هذه السنة ظهر في البحر قرصان واسروا سفينــة لاهالي بيروت فهاجت المسلمون في بيروت وقاموا على الافرنج الذين في البلد ودخلوا دير البادرية وقبضوا على الرهبان ونهبوا الدير واتلفوا كثيرًا من الاواني والتماثيل فغضب الامير ملحم من ذلك وقبض على الذين ابتدأوا في هذه الثورة من مسلمي بيروت وشنق اثنين منهم واستخلص ما كانوا سلبوه من دير البادرية · وفي هذه السنة توجه الامير قاسم الى القسطنطينية وكان ذلك بتدبير الامير ملحم لان اخوته بعد توليهم على حكم البلاد استهانوا به ولم يبق له حرمة عندهم فارسل الامير قاسم الى مصطفى باشا القواص لكي يخرج له حكم البلاد باسمه وكان مصطفى باشا محبًا قديمًا للامير ملحم من ايام ولايته على ايالة صيدا كما تقدم عنه الكلام · ولكن لم يأذن الله بالتوفيق · حكى الامير قاسم قال كنت ساهرًا ذات ليلة عند مصطفى باشا فدخل عليه رجلان بايديهما مصابيح واعطياه بطاقة صغيرة فقرأها ونهض من فوره وذهب معهما قال وعند خروجه قال لنا امكثوا هنا الى ان نعود وكان هناك الامير قاسم ومدبر الباشا · قال الامير قاسم فمكثنا نتحدث في ذلك ولا نعلم السبب حتى بعد نصف الليل فرجع مصطفى باشا ومعه الرجلان بالمصابيح فنهضنا عند دخوله حتى جلس فامرنا بالجلوس وتقدمت اليه الخدم بآنية البخور والقهوة ثم قال لنا هل علمتما السبب الذي مضينا لاجله · قلنا لا · قال مولانا السلطان عثمان انتقل الى عفو الله فذهبنا صلينا عليه ودفناه واقمنا مكانه السلطان مصطفى ابن المرحوم السلطان احمد وباركنا له بالملك وفي غد تصير الزينة في البلد ويخرج السلطان الجديد الى الجامع ثم قال الباشا لمدبره استأجر لك مكانًا كاشفًا تتفرج فيه انت والامير فارسل استأجر بدينارين مكانًا مشرفًا على الطريق قال وعند الصباح ذهبنا وجلسنا هناك ثم ابتدأت ترد الفيالق كل فيلق بزيه وملبوسه والمدبر يعرفني باسمائها والقابها حتى تكامل ورودها اثنين وسبعين فيلقًا ثم قدمت رجال الدولة بالجواهر والحجارة الكريمة ونورها يدهش البصر ومر السلطان وعليه كرك اخضر وقاووق اخضر وقد ظللته مراوح الريش وهو شاب اشقر اللحية متقلد سيفًا مذهبًا مرصعًا بالجواهر وفي يده مصحف مدبج ومرصع بحجارة كريمة وظل في مروره الى الجامع فصلى ورجع من هناك في البحر الى داره ورجعت تلك المراكب على ترتيبها · (وفيها اخترع دولاند النظارات التي ترى الصور بدون

الوان اجنبية · وفيها كان طرد الجزويت من البرتوغال · وانشا الامير عبد الرحمن جامع الحفني بقنطرة الموسكي بالقاهرة · واستولى الانكليز على كيك وانتصر الروس على البروسيانيين في كوترسدروج)

وفي سنة ١١٧٣ هـ =١٧٥٩ م توفي الامير ملحم في مدينة بيروت وحزنت عليه طائفة بني الشهاب لانه كان بمنزلة اب لهم وكان قد اعطاهم كثيراً من الاملاك وهو الذي ربى جميع اخوته لانه حين توفي ابوه الامير حسين لم يكن بلغ اشده في اخوته الا هو واخوه الامير احمد وكان الامير ملحم يحب الجميع ولم يكن عنده ميزة بينهم وتوفي عن اولاد صغار وكان الوكيل عليهم سعد الخوري صالح من رشميا لانه كان مربياً لهم وكان قد سلم الولاية كما سبق لاخويه الامير احمد والامير منصور · وفي هذه السنة رجع الامير قاسم من القسطنطينية الى دمشق · وذلك انه بعد وفاة السلطان عثمان وقيام السلطان مصطفى امر السلطان مصطفى بنفي مصطفى باشا القواص من القسطنطينية و بقي الامير قاسم ليس له مسعف هناك بعد ان كان حصل له الوعد باجابة سؤله الا ان مصطفى باشا لم يهمله بل كتب الى شرافه علي باشا الحكيم ان يكون مسعفاً له في حاجته · ولاضطراب الاحوال في القسطنطينية لحدوث الدولة الجديدة امر علي باشا الامير قاسماً ان يتوجه الى دمشق واصحبه بكتاب الى عبد الله باشا الشتجي الذي كان يومئذٍ والياً هناك فحضر الامير قاسم وقدم له عبد الله باشا كل اكرام · وكان قد حان خروج الباشا الى الحج فعرض على الامير قاسم ان يعطيه الولاية التي يريدها في ايالته فابى ومكث في دمشق حتى رجع الباشا من الحج فسار الامير قاسم الى ملتقاه وقدم له ثلثة عشر حصاناً من جياد الخيل وكان في صحراء المزاريب وهناك ورد كتاب الى عبد الله باشا بوفاة علي باشا الحكيم و رجع الامير قاسم من هناك مع الباشا الى دمشق فاقام اياماً وعزل عبد الله باشا وتولى مكانه شاليش باشا فخرج الامير قاسم واتى الى فالوغة في المتن ونزل عند الامير شديد ابن الامير مراد ابي اللمع واقام عنده سنة ثم ارسل عمه الامير احمد والامير منصور فاسترضياه وحضر الى حدث بيروت حيث كانت عياله · وفي هذه السنة حدث الوباء فحضر الامير احمد الى الغرب ونزل في دير الشير فامتدحه بعض شعراء العصر بهذه الابيات

اي محتد الخطر المؤيد وارومة الفخر الموطد
لا زلت تزهو بالهنا وتزيد في عز مؤبد

ضاءت بطلعتك البلا د كأن وجهك ضوء فرقد
طلقت بكم غصن الجبا ه وزال منها ماتجعد
يوم ركاب القيل حل بر بعنا يثني ويحمد
سعد السعود وعزة ال ايام بل اسني واسعد
لم يحصر ما فيك من حسن الثناء ولو تعدد
قد ناسب الاسم المسمى والخلال العز تشهد
بل قد نرى كل المحا مد فيك اما قبل اسد
قد عدت عن مدحي علا ك مقهقراً والعود احمد
أنت الشهابي الشها ب العزم والماضي المهند
دم سالماً من حادثٍ ما ان شدا طير وغرد
ولتبقَ ما بقي الزما نُ على الدوام وما تجدد
عدلاً بحكم سيدي هذا الذي يرجى و يقصد

(وفيها حصلت زلازل شديدة في بر الشام فاخربت طرابلس · وعزل محمد سعيد باشا بعد ان حكم مصر سنتين وتولى بعده مصطفى باشا · وجدد الامير عبد الرحمن رحاب السيدة زينب ووسعه وبنى بجوارها رحاب سيدي محمد العتريس اخي سيدي ابرهيم الدسوقي · وجدد المذكور ايضاً جامع السيدة سكينة بشارع الخليفة · وافتكر جورج تبراج الفرنساوي باصطناع الة التلغراف ولم يتمه · وحاصر البروسيانيون درسدن على غير فائدة · وفيها كان اول استعمال مانعة الصواعق التي اكتشفها فرانكلين)

وفي سنة ١١٧٤ هـ = ١٧٦٠ م نهض الامير منصور والامير احمد الى نواحي دير القمر وبما ان الوباء كان لم ينقطع من البلاد نزلا في قرية المعاصر السفلى الى ان تومن الغائلة · وفي هذه السنة ولد للامير احمد ولد وسماه الامير حيدر وهو صاحب هذا التاريخ · وفي هذه السنة قبل دخول الحج الى مصر التقى به حسين بك كشكش وبيده فرمان من الدولة العلية بنفي علي بك امير الحج يومئذٍ الى الاقطار الحجازية فسلم علي بك المحمل الى سردار وجاق المتفرقة وسار برجاله الى جهة غزة ورجع حسين بك الى مصر والبسوه امير حج للسنة القادمة واما علي بك فانه بعد وصوله الى غزة ابتدأ يكاتب الوجاقات والامراء طالباً الدخول الى مصر وكانوا قد اتفقوا واقاموا خليل بك الذي كان قد البسه سنجقاً حسين بك شيخاً على البلد فاجابوه

وحينما علمت جماعة ابراهيم بك ان بقية الامراء والسناجق يريدون رجوع علي بك وافقوهم على ذلك واخرجوا له كتاباً من الوزير ان يرجع وهم يضمرون قتله . ولما حضر قابلوه بكل اكرام وصاروا يحضرون كل واحد منهم بمفرده يقدمون له الاكرام اللائق بمثله فاضطر علي بك بعد ذلك ان يرجعهم بالسلام الى منازلهم حسب العادة واخذ يزور منزل كل واحد منهم ولكنه لم يزل على يقظة من غدرهم فلا يأكل ولا يشرب عند احد منهم ورجاله لا تزال حوله الى ان دخل في بعض الايام الى بيت اسمعيل بك عريان وهو من اخوته و بعد جلوسه طلب الماء فنهض اسماعيل بك واخذ الاناء من الخادم بيده وشرب منه قليلاً لدفع الشبهة فتناولهُ علي بك بكل طمانينة وبعد قليل خرج الى بيته و بعد وصوله سرى السم في بدنه لكنه بقي سالماً . وفي هذه السنة كان والياً على دمشق عثمان باشا الكرجي وكان يلقب بالصادق وكان سبب هذا اللقب انه كان من بعض مماليك اسعد باشا العظم وكان اسعد باشا يحبه لاجل نباهته وحين توفي اسعد باشا وضبطت الدولة العلية داره وامواله طلبوا عثمان المذكور فاخبرهم بخزائن مولاه . ثم وجدت قائمة تبين تلك الاموال فكانت مطابقة لكلامه فانعمت عليه الدولة بثلثة نياشين وقيل له عثمان باشا الصادق . وفي هذه السنة مرض الامير قاسم واصطلح مع عميه الامير منصور والامير احمد وسكن في قرية بشامون في الغرب الاسفل . (وفيها استولى النمساويون على غلاتز والروس على برلين . وافتتح الانكليز كندا . وتوفي جورج الثاني ملك انكلترا وتولى مكانه جورج الثالث . وعزل مصطفى باشا بعد ان حكم مصر سنة وتولاها بعده احمد كامل باشا . وانهزم الفرنساويون بحرًا في هندستان واستولى الانكليز على بوندشيري)

وفي سنة ١١٧٥ هـ = ١٧٦١ م ولد للسلطان مصطفى غلام فارسل كتاباً الى جميع المدن والبلدان وكانت هذه صورته .

دستور مكرم ومشير مفخم عالم بنظام العالم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهمات الانام بالراي الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال . المتحف بعواطف الملك المتعال وزيري والي صيدا نعمان باشا ادام الله تعالى اجلاله . وقدوة القضاة والحكام معدن الفضل والاكرام مولانا قاضي صيدا زيد فضله . و بعده نعلمكم في هذا الكتاب الرفيع السلطاني الواصل اليكم بان حضرة واهب الوجود الذي تقدست ذاته عن الوالد والمولود بارادته الالهية ومشيئته الازلية ومن عطاياه السنية

ان تكون من هذه الدولة سلاطين عظام وخواقين كرام . وعلى تخت سلطنتها وتاج مجدها بزيادة الامن والامان . والحماية لعباد الرحمن . وجعلهم وسيلة لقطع عروق ارباب البغي والطغيان باتصال جوهر نسبها الجليل وبروز سلالتها الطاهرة بالتناسل السلسل مستكملا في ذلك ترتيب نظام العالم ومستحكماً رباطات سعود بني آدم . ومن حينما تيسر جلوسنا على هذا التخت المأنوس العالي القوي السلطاني الى الان . نعم ان العطايا كيف كانت فهي من الرب الكريم يهب لمن يشاء الذكور . فقبل الآن نلنا من مواهبه الربانية هبة الله والآن اشرق في طالع سلطنتنا نجل طالعه في كوكب السعادة والاقبال التي كانت جميع الاقطار تسترصد موقعه . وتترقب ظهوره ومرتعه . فالآن انارة على انارة وقد اشرقت العطية السبحانية وتلألأت انوار المنحة الصمدانية في اليوم السابع والعشرين من جمادي الاولى نهار الخميس المبارك قد بزغ هذا الكوكب المنير من سلالتنا السلطان سليم اقرن الله تعالى شأنه بالبقاء والتكريم وجعله متعافياً في مهده راضعاً ابن المسرة من نهده فاقتضى اننا اشهرنا واظهرنا بشائر البهجة والافراح وعلائم السرور والانشراح لجميع من هم تحت ذرى حمايتنا وسلطتنا داخل وخارج مملكتنا وقد اشهرنا هذه المسرات العظيمة أولا في مقر تختنا وعتبتنا العلية واجرينا مراسيمنا الى جميع ممالكنا المحروسة ومسالكنا المأنوسة . والى جميع العبادان يحمدوا الله تعالى على هذه النعمة الكبرى والعطية العظمى . لانها نعمة من خالق جليل . يجب لها التعظيم والتبجيل . فلزم اصدار بشارتنا لكم عن يد فخر الاماجد الاكارم . جامع المحامد والمكارم . قبجي باشي دام تمجده . ففي وصوله اليكم تعملون دعاء في دوام سلطنتنا وامتداد عمر سليلتنا انتم وجميع العباد والزهاد . وتشهرون ذلك في المحافل والمساجد بالدعاء على قديم المعتاد . وتزينون الاسواق والامصار والحصون والقلع والشوارع . وتتابعون اطلاق البنادق والمدافع . وتظهرون انواع المسرات من غير أذية ولا مضرة على الرعية . واتبعوا مضمون فرماننا هذا واعتمدوا عليه غاية الاعتماد حرر في أواخر جمادي الاولى سنة ١١٧٥ هـ ولما وصل هذا الفرمان اقاموا الافراح في جميع المدن والبلدان ونظم بعضهم في ذلك تاريخاً

لما بدا بدر العلى   في ذروة المجد العظيم
فالسعد قد عمَّ الملا   أرخت محفوظاً سليم

(وفيها بنى الامير عبد الرحمن بناية عظيمة في جامع سيدنا الحسين وزاد في تحسينه ورونقه وفعل مثل هذا في جامع السيدة عائشة النبوية بقرب ميدان محمد علي في القاهرة . وحصلت

زلازل شديدة في سوريا . وعزل العسكر احمد كامل باشا بعد ان حكم سنة وارجعوا مصطفى باشا وعرضوا للباب العالي فأمر ان احمد باشا يكون واليًا على قونية ومصطفى باشا على حلب وباكير باشا على مصر فتولاها شهرين وتوفي)

وفي هذه السنة ١١٧٥ هـ = ١٧٦١ م وقع الاختلاف بين طائفة الروم وطائفة الكاثوليكيين في مدينة حلب واخرجت الروم اوامر سلطانية بالقبض على البعض من جماعة الكاثوليكيين واضطهدوهم وقبضوا على بعضهم بأمر الوزير المتولي يومئذٍ على حلب ثم عرضت طائفة الكاثوليكيين الى الباب العالي وخرجت فتوى بعدم المعارضة لهم وهذه صورتها . ما قولكم دام فضلكم في رجل ذمي تولى بطركًا او مطرانًا على النصارى الذميين الاروام وغيرهم من الغرباء القاطنين في مدينة حلب او في دمشق او في باقي مدن المملكة العثمانية بموجب خط شريف من حضرة مولانا السلطان لتعاطي امورهم الكلية والجزئية في دينهم من عقد نكاح وصلوات ودعاوٍ وغير ذلك من الاحكام . ثم ان فرقة منهم تعدت عليه وخانته ضد امر مولانا السلطان واختلطت بالافرنج الحربيين وتدينت بديانتهم وصلّت في كنائسهم تريد بذلك مخالفة امر مولانا السلطان والاستعلاء على المسلمين فهل يجبرون على اطاعة الامر العالي بامتثالهم الى البطرك والمطران المذكورين وان خالفوا امر مولانا السلطان واستعلوا على المسلمين فهل يكونون حربيين وينتقض عهدهم وتجرى عليهم احكام الحربيين وتكون دماؤهم هدرًا واولادهم غنيمةً للمسلمين ام لا افيدوا الجواب ولكم الثواب

الجواب

الحمد لله مانح الصواب انت خبيرٌ بما هو مصرح في كتب ائمة مذهب امامنا النعمان المثبتة وشرحه وفتاويه ان الكفر ملة واحدة فان تدين النصراني بما تدين به اليهودي او تدين اليهودي بما تدين به النصراني او بما تدينت به الافرنج فلا يكون ذلك ناقضًا لعهدهم لتصريح صاحب الكنز وغيره من معتمدي ايمتنا بان الذمي لا ينقض عهده الا بلحاقه بدار الحرب او بالغلبة على موضع الحرب . فاذ علمت ما قررناه لك ظهر لك ان الفرقة من النصارى الذميين ان اجتمعوا بالافرنج وتدينوا بدينهم وصلوا في كنائسهم لا يكون ذلك تعديًا منهم ولا استعلاءً على المسلمين ولا نقول انهم قد انتقلوا من دين الى دين كما قررناه ان جميع الاديان المخالفة لدين الاسلام في الكفر على حدٍّ سوى فلذلك لا ينتقض عهدهم ولا تجري عليهم احكام الحربيين بما ان الافرنج الحربيين اذا دخلوا دار السلام بامان

يكونون مستأمنين واذا مكثوا سنةً ولم يعودوا الى دارهم يكونون ذميين وتجري عليهم احكام اهل الذمة ولا يجوز سفك دمائهم ولا اخذ شيء من اموالهم مادامو في دارنا كما هو مصرح فيما مر ولا يكون عدم ادائهم الجزية مبيحاً لشيء من ذلك ولا عدم اخذ الجزية من الافرنج القاطنين دارنا تقصير منا بل ان ابوا اداءها ايضاً كقول صاحب الكنز لا ينقض عهدهم بابائهم عن الجزية ولا نقول انهم حربيون فاذن لا يجوز لنا سفك دماء الافرنج المذكورين في دارنا ولا اخذ شيء من اموالهم بغير حق فالاولى ان لا يجوز لنا ذلك بالنسبة الى الذميين الخاضعين لاحكامنا ولا يجوز لاحد ممن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يتعرّض للفرقة الذميين سواء كانوا جبليين او شاميين او غيرهم او يامرهم بالطاعة للبطرك او المطران المشهورين بالكفر وقد تقرر في قواعد اهل السنة ان الرضى بالكفر كفرٌ هو نعوذ بالله من ذلك وقد ولينا عليهم حاكماً بخط شريف من حضرة مولانا السلطان لا ينافي تدينهم بدين غيره فان وجد في الخط الشريف مايشعر بامتثالهم للبطرك والمطران فانه يكون قد وقع سهواً مرتباً على التماس البطرك او المطران لاستحالة وقوع ذلك قصداً من مولانا السلطان ايده الله تعالى بالنصر فيثيب حضرة مولانا الوزير احكام المسلمين على منع الذمي البطرك او المطران من تعرضهما للذميين الغرباء وهذا الجواب المعتبر المعول عليه ولا يعمل بغيره ولا يلتفت اليه والله اعلم

حرره الفقير سليمان المنصوري الحنفي

(وفي السنة ١١٧٦ هـ كانت نهاية الحروب بين بروسيا واوج . وتولى مصر حسن باشا بعد وفاة باكير باشا . وجدد الامير عبد الرحمن جامع الامام الشافعي بالقرافة الصغرى . وعزل بطرس الثالث الروسي وسجن ثم قتل . وعقدت معاهدت الصلح النهائي بين انكترا وفرانسا واسبانيا والبرتوغال وذلك في باريس . وفيها كان انتهاء حرب السبع سنين ومعاهدة باريس)

وفي سنة ١١٧٧ هـ = ١٧٦٣ م اختلف الامير احمد والامير منصور على الحكم فنزل الامير منصور الى بيروت واستحضر محمد باشا العظم والي صيدا الى حرش بيروت وطلع به الى دير القمر فقام الامير احمد من الدير الى كفر نبرخ فانقضت عليه مشايخ اليزبكية وحضر الى دير القمر الشيخ عبد السلام العماد والشيخ شاهين تلحوق وتوجه الامير يوسف واخوته وعيالهم الى المختارة وضبط الامير منصور جميع املاكهم . ثم توجه الامير يوسف الى راشيا فالتقاه الامير منصور الشهابي حاكم راشيا بكل اكرام . ثم تداخل في الصلح الشيخ علي جنبلاط والشيخ كليب ابو نكد بينه وبين عمه الامير منصور وحضر

والامير يوسف من راشيا الى بشامون حيث كان قاطناً هناك عند ابن عمه الامير قاسم ابن الامير عمر كان المتقدم ذكره وكان مدبره سعد الخوري حضر الى بسكنتا واقام عند الامير احمد ابن الامير حسين ابي اللمع حاكم بسكنتا وابتدأ الشيخ علي جنبلاط يلتمس الامير منصوراً في رفع الضبط عن املاك عائلة الامير ملحم وكان الامير منصور مستوثقاً بالدولة فلم يقبل سؤال الشيخ علي . في ذلك وكان الشيخ علي والشيخ كليب متفقين في ذلك الوقت ولها شعبة شديدة للامير يوسف وكان في ذلك الوقت شيخ العقل في البلاد الشيخ اسمعيل ابو حمزه فأرسله الشيخ علي جنبلاط في الظاهر لكي يحافظ على الخلوات حسب العوائد وفي الباطن لكي يتفق مع اهالي البلاد على قيام مصلحة الامير يوسف . ولما حضر الشيخ اسمعيل الى الغرب اتفق الشيخ علي جنبلاط والشيخ كليب مع الامير يوسف ان يتوجه الاخير الى دمشق وجميع البلاد من غرضه فتوجه الامير يوسف الى قب الياس وحضر اليه سعد الخوري من بسكنتا وتوجه به من هناك الى دمشق فالتقاه الباشا بالاكرام وانزله احسن منزل . واما الامير منصور فرجع الى بيروت ومحمد باشا رجع الى صيدا وقدم له الامير منصور عشرة آلاف غرش ثم توجه الشيخ كليب الى حاصبيا خوفاً من الامير منصور . وكان في تلك الايام نائباً على دمشق عثمان باشا الكرجي الصادق وكان ولده محمد باشا نائباً على طرابلس واعطى عثمان باشا للامير يوسف كتاباً الى ولده محمد باشا ان ينعم عليه بحكم بلاد جبيل فتوجه الامير يوسف الى طرابلس ووافاه الشيخ كليب من حاصبيا فالتقى به في الطريق وبعد وصول الامير يوسف الى جبيل اتى اليه اكثر مشايخ بلاد الدروز . وكان له من العمر يومئذ اثنتا عشرة سنة وانما سعد الخوري كان يدبر اموره وكان الامير يوسف كريماً فهابته الناس وعظم اسمه عند اهالي البلاد . (وفيها كان طرد اليسوعيين من فرانسا واقامة الحجة من طرف البابا . وفيها كان تأسيس مدرسة الخيالة بسومور من فرانسا . وفيها تمكن علي بك من استلام مشيخة البلد في القاهرة . وانشئت المدرسة البيطرية في طور من فرانسا)

وفي سنة ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م ركب عثمان باشا الصادق لحرب محمد الجزار الى قلعة سانور وارسل الى الامير يوسف فجمع عسكراً من البلاد والتقى به عثمان باشا فعظم امره عنده واكرمه غاية الاكرام وفي هذه السنة اتفق الامير منصور والامير قاسم والامير علي والشيخ عبد السلام العماد على مقاص الشيخ علي جنبلاط ولما بلغ الشيخ علياً ذلك ارسل ودفع الى الامير يونس اخي الامير منصور سبعة آلاف وخمسمائة

غرش كي يتحول اليه الى الشوف فقبل الامير يونس وتوجه من الدير الى مزرعة الشوف واجتمعت الى هناك رجال الشوف وبعض رجال البلاد واشتدت الثورة واتفق في ذلك الوقت انه عزل محمد باشا العظم من صيدا ومات السيد محمد المراوي في دمشق وهما كانا يقويان الامير منصوراً فضعف عزمه وعدل عن قصاص الشيخ علي جنبلاط وحضر الشيخ علي والامير يونس الى الدير وواجها الامير منصوراً . ورجع الامير منصور الى بيروت .
وفيها كان امير في مصر حسين بك كشكش وكان بطلاً شجاعاً فكان يخرج بالحج ويرجع من غير ان يودي عوايد العربان وقتل شيخهم الشيخ هزاع وما زال كذلك دأبه الى هذه السنة . وكان امير الحج الشامي عثمان باشا الصادق فوقع بينهما خصام هناك وكان الشريف مساعد ابن زيد سلطان مكة يميل الى عثمان باشا وبعد ذلك رجع الحج المصري بكل راحة وسلامة وبعد رجوعه الى مصر البس علي بك خزنداره محمداً كاشفاً على المنوفية . وبعد مدة قليلة البسه سنجقاً . وكانت عادة الغز حين يلبس احدهم السنجقية يخرج من دار استاذه وينثر الفضة على الخدم فمحمد هذا حين لبس سنجقاً خرج من باب الديوان وصار ينثر الذهب عوض الفضة فلقبوه بابي الذهب . وأما استاذه علي بك فانه بعد رجوعه الى مصر ابتدأ يتمرد على اخوته السناجق فاعتصبوا عليه عصبة واحدة وأخرجوه من مصر بموجب فرمان من الوزير ونفوه الى الاقطار الحجازية . فاقام في العريش مدة ورجع سراً ومعه مملوكه ابو الذهب ودخل الى بيت الامير حسين كشكش وأرسل مملوكه الى بيت عثمان بك الجرجاوي فقبله بكل اكرام . ولما علمت السناجق بذلك عقدت ديواناً فحتم الامير خليل بك شيخ البلد والبعض من السناجق بنفيه ورجوعه الى الحجاز فأبى ذلك الامير حسين كشكش وعثمان بك الجرجاوي لكونه دخل منازلهما . وأخيراً لم يكن بدٌّ من ذلك فتوجه علي بك ومملوكه محمد ابو الذهب الى بلاد الصعيد ثم انزلوهما في سفينة واعطوهما ما يحتاجون اليه وارسلوهما الى مدينة اسيوط في نواحي المنيا . وكان قد نفي قبل ذلك صالح بك تابع مصطفى بك فابتدأ علي بك وصالح بك المذكور يكاتبان البعض من السناجق والوزير فاستمالا اليهما الامير حسين بك جوجو واتفق مع حمزه باشا والبعض من الوجاقات على قتل الامير خليل بك شيخ البلد وعثمان بك الجرجاوي وحسين بك كشكش وارتضى الوزير بذلك وتم الاتفاق انهم متى حضروا ليهنئوا الباشا بعيد رمضان يثبون عليهم ويقتلونهم . ولما كان العيد حضروا لتهنئة الوزير فدخل عليهم اربعة رجال واطلقوا عليهم الرصاص فأصابوا عثمان بك الجرجاوي فقتل والباقون فرُّوا هاربين الى الباب الغربي

الشامية · واما علي بك وصالح بك فانهما وصلا الى قرب البلد ونصبا خيامهما هناك عساكر الغزّ الخارجين من مصر · ورجعوا الى ناحية الشرقية وقصدوا بلاد غزّة والاقطار لملتقاهم التقت تلك العساكر في مكان يقال له البياضية وانتشب بينهم القتال فانكسرت ولما بلغ خبرهم خليل بك شيخ البلد والسناجق الذين في مصر جهزوا عساكرهم وخرجوا المنفيون من قديم الزمان الى بلاد الصعيد وساروا بعساكر غفيرة قاصدين مدينة مصر · يحب علي بك محبة عظيمة فجهز معهم عسكرًا من العرب والهوارة وانضمت اليهم الغزّ بعلي بك وصالح بك واخبروهما بقتل عثمان بك الجرجاوي · وكان الشيخ همام حاكم الصعيد وطلبوا حسين بك جوجو والذين فعلوا ذلك اختفوا في البلد · ثم خرجوا الى الصعيد والتقوا و باب الانكشارية وقامت لحمايتهم بقية الوجاقات وقاموا على الوزير والقوا عليه القبض فخرجت اكابر الوجاقات وعلماء البلد ونائب الوزير وادخلوهما الى مصر في موكب عظيم وصعدوا الى القلعة واقاموا الوزير حمزة باشا السجين فخلع على علي بك وصالح بك وجعل علي بك شيخ البلد وصالح بك متوليًا · وفي هذه السنة اصلح الامير اسمعيل ابن الامير نجم حاكم حاصبيا قلعة بانياس و بنى ما كان قد هدم منها من زمان معن واقام بها فحضر اليه عثمان باشا الصادق الكرجي والي دمشق وحاصره مدة وجيزة وكان حين بلغ الامير اسمعيل خروج عثمان باشا من دمشق ارسل استنجد بالامير منصور وقبل ان تحضر نجدة الامير منصور سلم القلعة عن يد يوسف باشا نائب عثمان باشا فقبض عليه عثمان باشا واخذ منه اثني عشر الف غرش ونهب كل ما كان في القلعة ثم امر بهدمها · واطلق الامير اسمعيل فاراد الامير اسمعيل المسير الى القسطنطينية وتوجه الى نواحي بعلبك فارسل الامير منصور اخاه الامير علي وابن اخيه الامير قاسم الى بعلبك فمنعاه عن ذلك · وحضروا جميعًا الى بيروت واصلح الامير منصور بين الامير اسمعيل واخيه الاكبر الامير سلمان لانهما كانا مختلفين على حكم وادي التيم · ورحل الامير سلمان الى بيروت واقام مدة ثم رجع الى حاصبيا واصطلح مع اخيه · ثم ان الامير اسمعيل غدر باخيه الامير سلمان وقتله وكان له ولدان فهربا الى بيروت وتمكن الامير اسمعيل من حكم حاصبيا وخافت منه اهل تلك البلاد وعظم اسمه واتفق مع المشايخ المتاولة والشيخ ضاهر العمر وكان قد زوج اخته بالامير منصور وصار بينهما محبة عظيمة وكانت اخته الاولى زوجة الامير ملحم واتخذ الامير اسمعيل كثيرًا من الخدم والخيل وصار ذ ثروة عظيمة واما اولاد اخيه الامير سلمان فاصلح الامير منصور امرهما وعين لهما

راتباً ورجعا الى حاصبيا . (وفيها عزل حسين باشا بعد ان حكم مصر سنتين . وعقدت معاهدة بين السلطان مصطفى وفريدرك الثاني ملك بروسيا . وانشئت مدرسة الرسم المجانية في باريس . وفي السنة ١١٧٩ هـ تولى مصر حمزة باشا بعد عزل حسين باشا)

وفي السنة ١١٨٠هـ=١٧٦٦م حضر الشيخ عثمان ابن الشيخ ضاهر العمر غضباناً على ابيه لان اباه كان قد غضب عليه واعتقله فاقام الشيخ عثمان مدة عند الامير منصور الى ان اصلح امره مع ابيه. وكان الشيخ عثمان شاعراً فصيحاً اديباً حسن الصورة طويل القامة وقد انشأ في شرح حاله قصيدة عارض بها معلقة عنتر الميمية وهي هذه

كم غادر الشعراء من متردمِ ... وعرفت ربع الدار قبل توهمِ
كيف الضلال عن المجرة والدجى ... طلقٌ لناظرِ مقلةٍ غير العمي
دارٌ لمشرقة الجبين كأنها ... بدر انار بجنح ليلٍ مظلمِ
عهدي بها وبها الظباءُ او انسٌ ... يرفلنَ بالوشي الزهي المعلم
من كل طاوية الحشى دعبوبةٍ ... تزهو بطرفٍ ناعمٍ وبمبسم
ادماء فاتنةٍ لعوبٍ بالنهى ... ترمي لواحظها القلوب باسهم
رودٍ برهرهة المجرة بضةٍ ... ترنو بمقلة جوذرٍ لم يقطم
مياسة لعب الدلال بعطفها ... فترنحت كالسمهري اللهزم
ريمية اللحظات واللفتات بل ... قمرية الوجنات والمتبسم
روحيـة الفاظها لو كلمت ... ميتاً لقام الى حيوة المنعم
عقدت شبوح السحر من اجفانها ... بابلاً لهم بالسحر لم يتكلم
جعلت ليالي بينها فرعاً لها ... ودنت بصبح وصالها من معصم
وانتك سافرةً فذو جهلٍ بها ... كالشمس تغشى ناظر المتوسم
وتبسمت بعنابها فالدرُّ بين ... منثرٍ في ثغرها ومنظم
لـما تبدت والعيون ثوابتٌ ... في نحرها ونطاقها المستهضم
غرس الحياء بوجنتيها وردةً ... أنف اللواحظ نشرها لم يشمم
ناءت بمثل الحقف لبده الندا ... وسما بجرعوبٍ اقل بمنعم
وانت تهادي بالقوام مهفهفا ... والردف رجراجاً وخصر اهضم
يحيى بها ذيل الزمان فريدةٌ ... ما شأنها ياليتها لم تحرم
فسقيت يادار الاحبة واكفاً ... بشمت لوامعه نجاش بجرزم

لله حبك يافريدة انهُ / هون الكميّ الفاتك المتجهم

حبيك معنىً في الفواد مبلبلُ / لا تعتريه وساوس المتلوم

فعلى مَ تعطين الوشاة اصاخة / وهذاهم من ضرب مالم يفهم

افريد ماحب السلامة بعد ما / بلغ الشماتة بي العداة بمغنم

ان لم ازرهم في سماء عجاجةٍ / تهوى كواكبها بكل ملثم

واجس خلال ديارهم في جحفلٍ / متأشب يغدو بجلة شيهم

بحرٍ يضيق الرحب عن اركانه / متكردس يطوي البقاع عرمرم

اني من النفر الذين اذا اعترى / ضيم ابوه بكل عضب مخذم

واذا الخطوب رجت بكل مهولة / بزغوا شموساً في الملم المظلم

واذا السنون ترادفت ازمانها / سالوا سيول سماحةٍ وتكرم

فتلوا الزمان تجارباً وتحارباً / وجروا على سنن بمجد اقدم

هم ينقمون على الانام فعالهم / وفعالهم مرضيـة لم تنقم

كم منهم من اصيدٍ ذي رفعةٍ / او احيدٍ ذي منعة او منعم

او ابلجٍ قد تستضاء بوجهه / وبرأيه في المدلهم المبهم

لو فاخرته النيرات لبذها / في خير نحو في المآثر معلم

او ساجلته الغاديات بسحها / لشكت فضيحة جودها المتصرم

من كان منهم مقتراً فسؤاله / بحسامه والناس تسأل بالفم

شمسٌ على كبد الزمان وغيرهم / متضائل في الحادث المتجهم

لا يربعون على الانام وان هم / قلوا ولا يعطون طاعة ملزم

تجفو جفونهم المنام اذا هم / ثئروا وتستطوى اقط المجثم

حتى توفي بيضهم ورماحهم / بضمانها في كل يوم مقتم

كبرت فايمُ الله عدوانيةٌ / دبت على الحسب الكريم الانجم

تتهافت الايمان في غمراتها / تشكو لباريها انهتاك المجرم

ما عذر قومي لي وقد سالمتهم / الا سواد في وجوه الانجم

بل من غدا الغيار وهو دليله / سبل الخراب بغيرها لم يحسم

ما كنت غراً في الامور وانما / علم الامانة والديانة موهمي

ما كان في حكم الخسوف نقيصة / للبدر يجنيج خاطر المتجهم

وسراؤه بسراره نهج الى اوج الكمال بما اتم ينتمي

عجباً لهم كيف استمالوا للتي سقطت وكانت وصمة المتكلم

فسيعلمون اذا الحروب تسعرت و بدت تكلح حاسراً عن أشرم

وسيفقدوني والامور تفاقمت فقد المنير بصدر ليلٍ ادهم

ما بالهم بالامس وهو يشلهم جمع بوارقه تخضَّب بالدم

هلاَّ هناك حميةٌ مشهورةٌ وغني كما زعموا لمن لم يعلم

هلا استبان الشان عند عميدهم شتان بين عقابها والقشعم

أفريد ان نقموا عليَّ وحاولوا خفضي بنكث اليدِ وتحرُّم

وتألبوا متبطنيها غـلة تغلي صـدورهم لها بتضرم

فلطالما نظروا اليَّ محلقاً في قمة الفلك الأثير الاعظم

بمآثرٍ ومفاخرٍ مشهورةٍ غرر تلوح بوجه دهر أدهم

وجواهرٍ من منطقي يتلونها آيات مجد في المقام الافخم

ونوافلٍ وفضائلٍ وفواضلٍ مثل الشموس ضواحياً لم تكتم

وقضيةٍ خفي الصواب بطيها حتى زلفتُ لها برأي محكم

ولربَّ خيلٍ قد كررت وراءها فتنفست من بعد نكظٍ مؤلم

وبعيدةٍ اقطارها ملمومةٍ حملت فكنت سنانها في المقدم

ومغيرةٍ شعواء ترعف بالقنا نهنهتها عن مغنم بمقوم

وكتيبةٍ غراء قد وازرتها فتراجعت بعد الهلوع المغنم

وفريق خمسينٍ تولى حربها الف وكنت زعيمها لم تهزم

أفريد لو عينت خيل عميدهم في المازق الضنك المكر على الكمي

لما تحللت الحلل وقد دعا اهلوه شهماً في اللقا لم يحجم

وتقحمي لما فللت جموعهم بمهند شطب الفرار مصمم

ايقنت اني لم يضعضع جانبي حالٌ تأخر فيه كل مقدم

وعلمت ان عزيمتي مانهنهت عن قصد كل عظيمة وتهجم

قسماً بحبك يافريدة انني لي همة تعلو محل المرزم

فصلي تريحي القلب من برحائه بتعلةٍ من ثغرك المتبسم

ما أنتِ اهلاً ان تميني بالذي منيت من وصل كصب مغرم

شرس على الشوس العداة من العنا ... لكن لديك له ضراعة مهزم
هلاّ سألت بنو ابينا اذا اتوا ... يتضامرون على جياد عزّم
يتبادرون الى الوطيس لوابساً ... وحواسراً يزجون كل مطهم
حيث التقى الجمعان واتسمت بنا ... حربٌ خروسٌ كيف كان تقدمي
لما تراأوا زرتهم بغمامة ... زرقت صواعقها بسوء محجم
ومساعرٍ الفوا الحروب كانهم ... أسدٌ تزأر وسط غيل غيلم
من كل خوّاض العجاج مقذفٍ ... بهجٍ الى داعي النزال غشمشم
ما زلت ارميهم بصدر منعة ... فرواء تنقض انقضاض القشعم
شعثاء مطلقة العنان طمرّة ... تخط فيهم كالقضاء المبرم
حتى تدكدك جمعهم متداعياً ... واسلن فارطهم لضنك المهرم
متسابقين الى الفرار كانهم ... لم يسمعوا بهوان من لم يقدم
يتنابهم من سنّ كل مثقف ... صدفٍ ومضرب كل عضب مخذم
طعنٌ كافواه المزاد يحفه ... ضرب كاشداق المخاض الهيمِ
وابيك لو بعد المدى لتفاقدوا ... ما بين مكلوم وآخر معدم
لكنهم جنحوا لاقرب موئل ... هرباً عواثر بالقنا المتحطم
لما راوا ان لارماح ولا ظبيً ... تغني ولا لجب ولا انف ...ي
وتلمظت حربٌ اكولٌ فاغرٌ ... صدروا برغمهم لرأي اجذم
مابالهم لادرّ درّ مشيرهم ... وهم بمجش لهيبها المتضرم
لم يبذلوها حسبة واظنهم ... يعطونها مكسوبة بتذمم

وفي هذه السنة رجع الامير خليل بك والامير حسين بك كشكش ومن معهما من الامراء والكشاف من بلاد غزة وصحبتهم جملة عساكر من العربان والمغاربة والدالاتية ووصلوا الى مدينة المنصورة . ولما بلغ الامير علي بك ندومهم جهز لهم العساكر مع مملوكه محمد بك ابي الذهب وخرجت معه الوجاقات السبعة . ولما وصلت العساكر الى نواحي المنصورة التقى الجيشان وانتشب بينهما القتال ماينوف عن اربع ساعات فانكسر العسكر الخارج من مصر وولى راجعاً على اعقابه . فخاف علي بك من ذلك خوفاً عظيماً وجدد حملة ثانية وخرج صالح بك ومحمد بك ابو الذهب والوجاقات السبعة بعساكر كثيرة يطلبون المنصورة . واما الامير خليل بك والامير حسين بك فحين بلغهما خروج العساكر ثانية من

مصر عزما على المسير الى الناحية الغربية من بلاد الصعيد فلم يطعهما العسكر الذي معهما ورجع كل واحد منهم الى بلاده . وسار خليل بك وحسين بك بخواصهما الى هناك ونزلا في قرية طلدة (طنطا) التي بها مقام السيد احمد البدوي وعزما على ترك القتال ومراسلة السناجق الذين في مصر ان يرجعوا الى منازلهم . وكان قد بلغ صالح بك انهما دخلا الصعيد فسار اليهم وسار معه محمد بك ابو الذهب ولما اقتربا من طلدة اجتمعت اكابر الوجاقات بصالح بك وقالوا له ان الافضل لنا ان لانتعاطى امر هؤلاء الامراء لانهم جميعهم من بيت واحد وعائلة واحدة ونحن نعلم ان محمد بك ابا الذهب لايغدر بهم وفي وقت الحرب يتخلى و يتركنا في المقدمة . والاصوب ان نفوض الامر اليه . فقبل صالح بك رايهم وساروا الى خيمة محمد بك ابي الذهب . وقالوا له انت ابن الامير علي بك وهؤلاء الامراء اخوتك وانتم جميعكم عائلة واحدة وهؤلاء تعبهم وراحتهم عائدان اليك . ونحن مفوضون التدبير الى ماتراه . فلما سمع محمد بك كلامهم دعا كاشفاً يقال له ذو الفقار الفيومي واتفق معه ان يسير الى طلدة و يشيع هناك انه قد ترك صحبة ابي الذهب و يحتال في قتل خليل بك وحسين بك كشكش فضمن له ذو الفقار قتلهما . وسار برجاله الى المكان الذي فيه حسين بك وعند وصولهم هجموا عليه و رماه عبد ذي الفقار برصاص في صدره فقتله . وكان الى جانبه مملوك له فقتلوه ايضاً وقطعوا راسه . وكان القوم مطمئنين ثقة بذي الفقار واصحابه لانهم من عائلة واحدة فلم يظنوا ذلك فيهم ولذلك لم يحذروا لانفسهم منهم . واما خليل بك شيخ البلد فانه لما علم بما جرى لاخيه حسين بك وجماعته هرب ودخل مدفن السيد احمد البدوي واحتمى مع مماليك علي بك الملط وعثمان بك واما حمزة بك والوالي فلحقتها جماعة ذي الفقار وعبده وقطعوا رؤوسهم خارج المقام . واسمعيل بك ابو مدفع فر هارباً الى الجهة الشرقية ودخل مدينة المنصورة . ثم ان ذا الفقار ارسل الرؤوس الى محمد بك ابي الذهب واعلمه بدخول خليل بك ومماليكه الى مدفن السيد البدوي فارسل محمد بك اعلم مولاه علي بك بذلك . فاجاب بما ان خليل بك و جماعته احتموا بمدفن السيد فليخرجهم بالامان و يرسلهم الى الاسكندرية واستخرج لهم امراً من الوزير بذلك وان محمد بك يطوف في جميع الاقاليم المصرية وكل من يجده من السناجق والكشاف يقتله حالاً . ثم رجع محمد بك وصالح بك الى المنصورة وقبضا على اسمعل بك ابي مدفع وحسين كاشف ومحمد كاشف وقطعا رؤوس الثلاثة و رجعا الى مصر في موكب عظيم وتلك الرؤوس قدامهما على الصواني الفضية . فارسل علي بك الرؤوس الى القسطنطينية وعرض للدولة العلية بان القوم كانوا عصاة مفسدين

وانهم سجنوا الوزير في القلعة واخرج فتوى من العلماء والاشراف بذلك · ثم ارسل الى الاسكندرية وخنق خليل بك في القلعة و رافت لعلي بك الاحكام وخافت من سطوته اهالي تلك الديار وكان رجلاً جباراً يحب الرئاسة والانفراد بها ولا يريد ان يكون له فيها شريك · وعلى ذلك لم يزل يفرغ جهده وجعل يتخذ رجالاً جدد ويكثر من العساكر · وقد حدثته نفسه ان يسطو على الحجاز واليمن و يعيد دار الخلافة الى مصر كما كانت في ايام الملوك الشراكسة · وابتدا هذا الامير يحذو حذو ابيه ابرهيم بك قازضغلي في فرض اخوته وهلاك عشيرته حتى افنى الجميع · واعلم ان المماليك المتملكين في الاقطار المصرية ليس لهم بنون من نسائهم لان الله قد قطع نسلهم من زمان فرعون وقيل ان في مصر توابع من الجان كانت تقتل اولادهم فان اتفق ان يعيش لهم ولد لا يتفق ان يكون مفلحاً ولا يكون له يد في مصر ولكن البنوة عندهم من طريق الولاء بين المالك والمملوك فمتى قيل فلان ابن فلان كان المراد انه مملوكه ومتى قيل الغز كان المراد جماعة المماليك · واما علي بك فانه بعد ان مهد البلاد اقام على البلد والياً يقال له احمد الجزار وكان هذا الرجل من بلاد البشناق من اقليم البوضة · فحضر الى مصر وخدم في بيت احمد كاشف ولبس ملبوس المماليك · ولما مات سيده انتقل الى خدمة رجل من السناجق يقال له عبد الله بك · واقام عنده حتى في احد الايام كان في البحيرة فقتلته العرب الهنادي فانتقل احمد هذا الى خدمة ذي الفقار كاشف فولاه ذوالفقار على قرية في جهة البحيرة فكان يترصد العرب و يقتل من ظفر به منهم حتى قتل اربعة من مشايخهم وارسل رؤوسهم الى مصر · فهابته العربان وكان كلما قتل منهم رجلاً يقول هذا ثار سيدي عبدالله بك · فصار له بذلك حظ ولقبوه احمد الجزار · واحبه علي بك وقربه اليه حتى جعله والياً كما مر · وبقي احمد بك الجزار في رتبة عظيمة عند علي بك الى ان دعاه بعض الايام وامره ان يذهب مع محمد بك ابي الذهب فيقتل حسن بك جوجو · فذهب وانتظره حتى خرج من منزله ومعه الجن علي بك فمشيا وراءهما عن بعد في الليل حتى بدت لهما فرصة فهجما عليهما وقتلاهما فهربت اصحابهما و رجع محمد بك وصاحبه فاخبرا علي بك بذلك فاغتاظ من قتل الجن علي بك · فاعتذرا اليه انه قتل غلطاً في سواد الليل فقبل اعتذارهما والبس احمد بك الجزار سنجقاً لكنه خاف بعد قتل حسين بك والجن علي بك من صالح بك لانه لم يكن راضياً بذلك · فعزم على قتله ايضاً ودعا احمد بك الجزار ان يذهب في امره مع محمد بك ابي الذهب كما ذهب بامر حسن بك فامتنع احمد بك من ذلك وقال ان بيني

و بين الرجل عهوداً منذ كنا في الصعيد ان لا يتعرض احدنا لصاحبه بسوء . والآن لا يمكن ان اخونه فقال له علي بك حياك الله يا احمد بك الآن عرفت انك تحفظ الوداد . وانا اردت ان اختبرك . وكتم ذلك علي بك في نفسه وخرج من عنده احمد بك الجزار وقصد صالح بك فاخبره وحذره . فقال صالح بك هذا الامر يمكن ان يكون لان بيني و بين اخي علي بك عهوداً واقساماً . ومن الغد حضر الامير علي بك الى بيت صالح بك وهو يعلم ان الجزار لا بد ان يخبره بذلك وقال له يا اخي . هل اخبرك احمد بك الجزار بما قلته له قال نعم . فقال و ينبغي لك يا اخي ان تختبر رجالك ايضاً لئلا يكون بينهم خيانة . وانا قد اختبرت الجزار فوجدته نصوحاً . و بعد رجوع علي بك الى منزله اخبر محمد بك ابا الذهب بذلك . وقال له الاصوب لنا قتل صالح بك واحمد بك الجزار لاننا لا نأمن شرهما . ومن ذلك الوقت ابتدأ محمد بك ابو الذهب يترصد الفرصة حتى في بعض الايام خرج صالح بك واحمد بك الجزار فخرج معهما محمد بك الى ان كانوا في بعض الطريق خارج البلد فمشى محمد بك خلف صالح بك وضربه بالسيف فسقط على الارض مائتاً وهربت اصحابه . وكان الجزّار متأخراً ومضى محمد بك الى الجيزة ولحق به الجزار حتى وصلا . فجلسا هناك . ثم استل ابو الذهب سيفه وجعل يمسحه من الدم و يعجب من جودته . وقال للجزار يا اخي ارني سيفك هل هو هكذا وكان قصده ان ياخذ السيف منه ثم يقتله . فقال الجزّار ان سيفي لا يخرج من غمده الا ليدمي ونهض قائماً . فضحك ابو الذهب ليريه أنه يريد المزاح معه ورجعا بعد ذلك الى البلد فسافر الجزّار الى منزله ولبس لباس المغاربة ومضى الى بولاق . ثم الى الاسكندرية ومن هناك نزل في مركب اميري وسافر الى القسطنطينية . واقام مدة هناك ثم سافر الى حلب واخذ يجول في بر الشام . وسياتي تمام الحديث عنه . واما علي بك فانه حين رجع اليه محمد بك ابو الذهب واعلمه بقتل صالح بك وما تم بينه و بين احمد بك الجزّار امر علي بك غلمانه ان يدعوا احمد بك الجزّار من منزله فاعتذر انه مريض . و بعد ثلثة ايام مضى ابو الذهب الى منزله فلم يجده . لانه كان قد سافر كما مر فارسل علي بك في طلبه بحراً و براً فلم يجده واعلموه انه سافر في البحر فطابت نفسه بذلك وتفرد بالولاية وتمهدت له السبل فاخذ يسطو على الوجاقات و يقتل بعضاً و ينفي بعضاً الى ان تلاشي امرهم واستولى على كل مالهم من الاملاك والمنازل . وجعل يتخذ انصاراً واعواناً جديدة حتى جمع كثيراً من الاجناد واعظمهم محمد بك ابو الذهب وكان على جانب عظيم من الشجاعة والخبرة بالقتال وكان

رجلاًمهوباً جميل الصورة سعيداً في اموره موفقاً في تصرفه . واتخذ الامير علي بك كثيراً من المماليك والبس منهم سناجق وكشافاً ومهد امور مصر وقطع اللصوص والخطفة واطاعته الناس وخافت سطوته وشاع ذكره في جميع البلاد . وعظم امره عند ارباب الدول . (وفيها ساح بوغنفيل حول الدنيا . وكانت زلازل عظيمة في الاستانة . وحصلت ثورة في انكلترا لغلاء اسعار الحبوب . وطرد اليسوعيون من بوهيميا و الدينيمارك . وحصل انقلاب في مدريد بسبب ترتيب ضرائب جديدة . وفيها انشأ محمد بك ابو الذهب جامعه بجوار الجامع الازهر . واخترع مابير دائرة الانعكاس

وفي سنة ١١٨١ هـ = ١٧٩٧ م خسفت الارض جانب نهر الصفا تحت قرية كفرنبرخ وتزلزلت تلك الارض وانتقل الجبل الذي تحت قرية كفرنبرخ المذكورة الى عبر قرية مجدل المعوش وتلفت ارزاق لا تحصى تحت الردم و بيوت بما فيها من الناس والمواشي . وعطل الردم جميع تلك الارض حتى احتبس نهر الصفا عن جريه اياماً وظل ماؤُهُ معتكراً جملة سنين . وكان يسمع صياح الديوك من تحت الردم وقيل ان رجلاً كان حاملاً قفيراً من النحل على ذلك الجبل فما درى الا والجبل يمشي به حتى وجد نفسه في الجانب الآخر فاندهش وذهب عقله وعاش بعد ذلك مجنوناً حتى مات . وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول (دسمبر) والى الان يقال لذلك المكان زحلة كفرنبرخ . وفي هذه السنة توفي الامير قاسم ابن الامير عمر الشهابي في قرية غزير وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من نيسان (ابريل) ودفن في تربة الامراء آل عساف في القبة الكائنة جنوبي القرية المذكورة . وكان اميراً مهوباً جليل القدر محمود الطريقة وكان لا يخشى المخاطر وكانت تهابه جميع اعيان البلاد ولم يكن بالغاً من العمر اكثر من اربعين سنة وتوفي عن ولدين صغيرين احدهما الامير حسن والآخر الامير بشير وهو الامير بشير الكبير الذي تولى ولاية جبل لبنان وغيرها زمناً طويلاً كما سيأتي عنه) ونظم بعض شعراء العصر تاريخاً لوفاته فقال

اباقاسماً قد فقت فضلاً على الورى وسرت الى مولاك حين مسيركا
فمن بالشهابيين قبلك قد رقي الى درج العلياء ارخ نظيركا

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الشيخ كليب ابي نكد واولاد عمه الشيخ فهد والشيخ شاهين وحضروا الى دير القمر وحدث بينهم خصومات كثيرة وكان ذلك بتدبير الامير منصور لانه كان يبغض الشيخ كليباً لاجل محبته لابن اخيه الامير يوسف

ثم حضر الامير منصور وفصل بينهما · وفيها كان الحرب العظيم بين عساكر السلطان وعساكر المسكوب وانكسر عسكر المسلمين · (وذلك لان العثمانيين سجنوا سفير روسيا واعلنوا الحرب عليها · وفيها طرد اليسوعيون من اسبانيا وفينسيا وجنوا ونابولي · وعزل حمزة باشا بعد ان حكم مصر سنتين وتولى بعده محمد راقم باشا)

وفي سنة ١١٨٢ هـ = ١٧٦٨ م كان في بلاد الصعيد الشيخ همام الذي مر ذكره قبل الآن وكان شيخ مشايخ العرب وتحت يده جيوش لاتحصى وقد ذكرنا ان الامير علي بك لما نفوه الى بلاد الصعيد التجأ اليه فجيش معه عربان الصعيد وادخله الى مصر بالسلامة · واما علي بك فانه لما تمكن في مصر وخلا باله من غائلة السناجق استدعى اليه الشيخ هماماً فحضر وهو يرجو ان ينال المكافأة منه · فلما دخل مجلس علي بك امر بقتله على غير ذنب ولا سبب وتشتت اصحابه · (وفيها عزل العسكر محمد راقم باشا بعد ان حكم مصر سنة وتولى بعده محمد باشا الاورفلي · وفيها طلب الباب العالي من مصر ١٢ الف جندي لمحاربة روسيا فاوقع المماليك والباشا الفتن في حق علي بك فورد امر سلطاني بقتله وارسال راسه الى الاستانة ولكنه علم بذلك وكمن لحامل الامر ورفقائه الاربعة وقتلوا باامره واعلن استقلال مصر وكتب الى الشيخ ظاهر امير عكا بذلك)

وفي سنة ١١٨٣ هـ = ١٧٦٩ م ابتداء الامير علي بك ان يجمع العساكر من تلك الاطراف الى ان اجتمع عنده خلق كثير لا يحصى عدده · واقام على تلك العساكر مملوكه محمد بك ابا الذهب وارسله مجهزاً الى الاقطار الحجازية لاخراج الشريف من مدينة مكة · ولما وصلت العساكر المصرية الى مدينة جدة تملكتها بالامان وولى ابو الذهب عليها حسن بك · ومن ذلك قيل له حسن بك الجداوي · ثم انطلق بالعساكر الى مكة وطرد الشريف مساعداً واقام مكانه الشريف عبد الله و رجع الى مصر وشاعت سطوة الامير علي بك في جميع الاقطار وضربت السكة باسمه في القاهرة ونفي الوزير القائم من قبل الدولة العلية واقام مكانه والياً من قبله · وتسلم قلعة السلطان والبس السبع وجاقات من عشيرته وصار في ايامه امن عظيم للرعايا · واسعفه الزمان في ذلك الوقت بوقوع الحرب بين السلطان والمسكوب فلم يسأل عما يفعل · واشتد الامر بعد ذلك بين السلطان مصطفى والدولة المسكوبية وضعفت عساكر السلطان وعصت عليه النواب في اكثر المملكة · وفي هذه السنة تظاهرت امور الشيخ ظاهر العمر حاكم مدينة عكاء وعظم اسمه عند الجمهور · وكان اصل هذا الرجل من اهالي بر المدينة المذكورة من مشاهير البيوت واراد

الله السعادة له فتقدم حتى تولى مدينة عكاء من قبل وزير صيداء . وكانت تلك الاطرف قبل ذلك تحت ولاية الامراء بني معن ثم تسلمها الامير بشير الشهابي فاقام عليها الشيخ عمر ابا زيدان حتى توفي الامير بشير فبقيت في يد الشيخ عمر الى ان توفي فقام مكانه ولده الشيخ ظاهر وتزوج بنساء كثيرات وولد له جملة اولاد ذكور . وكان يقدم الاموال السلطانية الى وزير صيداء القائم من لدن الدولة العثمانية ويتصرف في الاحكام بامره . وكان متفقاً مع مشائخ المتاولة حكام مدينة صور وبلاد بشارة . وكان في تلك الايام اعظمهم جاهاً واكثرهم مالاً ورجالاً الشيخ نصيف النصار وكان تحت يده حصون منيعة وابطال اشداء فطابت لهم الايام وغفلت عنهم حكام بلاد الشوف من الغارات والغزوات المعتادة بينهم . وكان في تلك الايام نائباً على دمشق عثمان باشا الصادق . وكان بينه وبين الشيخ ظاهر العمر نفور . فجمع عثمان باشا كثيراً من العساكر واتفق مع امراء جبل الشوف وعزم على غزو الشيخ ظاهر العمر . فلما بلغ الشيخ ظاهر ذلك كتب الى الامير علي بك والي مصر وكان قد بلغه خبر الفتنة التي وقعت بين علي بك وعثمان باشا في مكة . فترجى ان ذلك يحمله على اجابته وارسل اليه هدية معتبرة وطلب امداده بالعساكر . وكان علي بك قد عزم على عصاوة الدولة العثمانية وفي قلبه حقد على عثمان باشا فهش لسؤال الشيخ ظاهر . ورأى ان ذلك غاية مراده . لانه كان يريد امتلاك عربستان من عريش مصر الى بغداد . وكان قد راسل الملكة كاترينا المسكوبية طالباً منها ان تمده بالمراكب والرجال وهو يملكهم المدن البحرية التي في عربستان . ولما وصلت اليه رسالة الشيخ ظاهر جهز له ستة سناجق كبار ورأس عليهم اسماعيل بك الذي مر ذكره واصحبهم بعشرة الاف من الغز والعربان والمغاربة وامرهم ان يكونوا في طاعة الشيخ ظاهر العمر . ولما وصلوا الى غزة كان عثمان باشا الصادق في اراضي القدس الشريف لاجل جمع الاموال السلطانية . فارسل سألهم عن سبب قدومهم فلم يجيبوه فارتاب عثمان باشا من ذلك ونهض من وقته الى جبال تلك البلاد ثم رجع الى دمشق . وارسل الشيخ ظاهر العمر اولاده فالتقوا بالسناجق في ارض يافا وحضروا بهم الى عكاء فالتقاهم الشيخ ظاهر بكل اكرام وقدم لهم مايحتاجونه من الذخائر . واما عثمان باشا فكان حتى ذلك الوقت لم يتظاهر بشيء ضد الشيخ ظاهر العمر ولما علم بقدوم العساكر اليه عدل عما في نفسه وبدا يتجهز للحج حتى قرب اوان خروجه فنهضت العساكر المصرية من عكاء وقدامهم الشيخ ظاهر

العمر واولاده ورجاله وساروا الى اراضي المزاريب وكانوا نحو عشرين الفاً . فطلب الشيخ ظاهر من السناجق ان يسيروا الى دمشق فابى اسمعيل بك وقال لا يجوز لنا ان نحارب زائري بيت الله . وانما نرسل عثمان باشا ان يبرز بعساكره الحربية لانه هو المقصود عندنا . وارسل الى عثمان باشا يخبره بذلك فاجاب انني قد عولت على المسير الى الحج الشريف فلا يمكنني ان اتأخر . وان كنتم تريدون قتال زائري بيت الله الحرام فنحن استعنا بالله عليكم . ولما رجع الرسول بهذا الجواب قال اسمعيل بك اعوذ بالله من التعرض لزوار بيته والدخول تحت غضبه . وكان اسمعيل بك قد اشمأزت نفسه من اولاد الشيخ ظاهر وعشيرته لتمردهم وطغيانهم فكان ذلك منه كراهة لهم لا خشية من قتال الحجاج . وبعد ذلك رجعوا الى نواحي يافا وذهب سعي الشيخ ظاهر باطلاً فشق ذلك عليه وكتب الى الامير علي بك يشكو من مخالفة اسمعيل بك له ويذكر له ما حصل بينهما . ولما وصلت رسالة الشيخ ظاهر الى الامير علي بك ابتداء يجهز العساكر والجنود على نية الخروج لتملك بلاد بر الشام . وفي هذه السنة قبض الامير يوسف علي جملة من المشايخ آل حمادة . فالتجأوا الى وزير طرابلس واتوا بعسكر الى قرية بزيزا فسار اليهم الامير يوسف ووقع القتال بينهم في قرية اميون فانكسر عسكر طرابلس وحاصر البعض منهم في البرج الذي اسفل القرية وقتل جملة اشخاص ثم سلموا وساروا الى طرابلس ورجع الامير يوسف الى مدينة جبيل . (وفيها بلغ الباب العالي ما فعله علي بك فامر والي دمشق ان يسير بخمسة وعشرين الفاً لمنع جنود عكا من معاضدة علي بك الوالي فسار الوالي بالعسكر فلاقاه الشيخ ظاهر العمر في ستة آلاف ما بين جبل النيران وبحيرة طبرية ورده على اعقابه . وفيها ارسل علي بك محمد ابا الذهب لمحاربة الشيخ هامان وقبيلته الهوارة فحاربهم وتغلب عليهم . وفيها كانت سياحة كوك حول الدنيا . وابطلت الضرائب الانكليزية على المستعمرات الاميركية . وفيها كانت ولادة نابليون الاول والمار يشال اني والحاج محمد علي باشا صاحب مصر .)

وفي السنة ١١٨٤ هـ = ١٧٧٠ م توفي الامير اسمعيل ابن الامير يوسف ارسلان حاكم الغرب الادنى ولم يكن له ولد ولا عوض فاوصى بماله للامراء آل شهاب . وبعد وفاته اختلفوا على التركة وكان الاكثر جهاداً في ذلك الخلاف الامير علي اخو الامير منصور واخوه الامير يونس واشترك معهم الامير سيد احمد ابن الامير ملحم . ثم تداخل

الامير منصور بينهم في الصلح وترك لهم نصيبه من الوصية وقسم بينهم بالسوية فاخذ الامير علي رزق وادي شحرور واخذ الامير يونس عقار برج البراجنة · واخذ الامير سيد احمد طاحون الخاضة و بعض العقار في نهر بيروت · وارتضى كلٌّ منهم بما اخذه · وفي هذه السنة توفي الامير احمد الشهابي في دير القمر وحضر مناحته الامير يوسف واخوه الامير افندي والامير مراد ابن الامير منصور · و بعد ذلك اقام الامير يوسف في دير القمر وكان الامير منصور في بيروت · وفي هذه السنة خرجت العساكر المصرية قاصدة الاقطار الشامية وكان قائد تلك العساكر محمد بك ابو الذهب ولما وصل الى اراضي غزة والرملة التقى باسماعيل بك والسناجق الذين تقدم الكلام عنهم وكانوا لم يزالوا في تلك النواحي · وحضر اليه اولاد الشيخ ظاهر العمر ومشايخ المتاولة وانضموا الى عسكره فصار جيشاً عظيماً ينيف عن الستين الفاً · وسار محمد بك بتلك العساكر طالباً دمشق الشام · وكان عثمان باشا قد رجع من الحج ودخل البلد في تلك الايام · ولما بلغه قدوم محمد بك ابي الذهب وقع الرعب في قلبه ولكنه تجلد وجمع عساكره وخرج لقتال القوم فما لبثت عساكره الا قليلاً حتى انهزمت فخيم ابو الذهب حول المدينة قاصداً حصارها · وارسل الى اهلها الكتاب الذي اصحبه معه لهم من الامير علي بك وهذه صورته صدر هذا الفرمان العظيم الشان من ديوان مصر القاهرة المحروسة المعالي · دامت لها السعادة على توالي الايام والليالي · من منّ من منّ به الكريم المنان · فاظهر العدل والامان وعم بالفضل والاحسان جميع القرى والبلدان · وارغم اهل الجور والطغيان امير الامراء الكرام · وكبير الكبراء المختص بمزيد عناية الملك العلام امير اللواء الشريف السلطاني · والعلم المنيف الخاقاني الامير علي بك امير الحج سابقاً وقائم مقام مصر المحروسة حالاً دام عزه و بقاؤه · و رفع بالسعد لواؤه · مضمونه حمد باري النسم ومحيي الرمم الذي قدس وعظم قدر الحرم · وامر بالعدل في جميع الامم · و وعد الظالم بالهلاك والنقم · القائل في كتابه المبين ان الله لا يحب الظالمين · ولا يصلح عمل المفسدين · والصلوة والسلام على رسوله الامين · سيد الخلق اجمعين · القائل وهو اصدق من يقول · الضرر يزول · وعلى اصحابه الذين ساروا وشادوا الدين صلوةً وسلاماً دائماً الى يوم الدين · ومزيد السلام والتحيات · بعميم الامن والبركات · على حضرات العلماء المحققين · والفقها المدققين قضاة الاسلام والمفتين بشريعة سيد الانام وارباب المناصب والحكام · والخاص والعام · من اهالي

دمشق الشام اعزهم الله بنور عدله واحكامه . واجارهم من الظلم وظلامه . اما بعد فالذي يحيط به كريم علمكم وزكي فهمكم ان الامة لا تجتمع على الضلالة وقد علمتم ما صنعه عثمان باشا في ارضكم من الظلم والجهالة . انه قد اهان الحجاج والزوار . وسلط عليهم الاشرار والفجار . وظلم المسافرين والتجار . واذل الاماكن الشريفة . وبدل من الحرمين بالخيفة . وتعدى حدود الدين . وفعل مالايليق بالمسلمين . وقال من لاتراه العيون من يتعدى حدود الله فاولئك هم الظالمون . فلما بلغنا عنه مابلغ . وعلمنا انه في الارض المقدسة قد ولغ . بادرنا لسوء اعماله بالنقض . كما نقضنا في العام الماضي من ظلمه البعض . واردنا ان نطهر منه تلك الارض . نصرة للدين وغيرة على المسلمين . ولما جاء في الحديث الشريف ماحل بجرمكم حل بكم . وقد بلغكم مافعل بعلماء غزة . كيف ابتلاهم بالذلة بعد العزة . ودفنهم في الارض وهم بالحيوة وقد جاء في الحديث النبوي من اذل اولياء الله اذله الله . فان كنتم بذلك غير راضين . وعلى رفع حضرته غير قادرين . فنحن بعون الله قادرون على ذلك وقد افتتنا المذاهب الاربعة بذلك . واستخرنا الله وهو نعم الولي وسألناه ان ينصر دين محمد بعلي . وصرفنا العساكر والاموال في رضى الملك المتعال . ليردوا الظالم ويستردوا المظالم ويحرزوا العطب من السالم . فالمراد منكم ترك الظالمين . والبعد عنهم اجمعين . واجتهدوا فيما يجلب لكم السرور . ويرفع عنكم الشرور . ونحن نولي امير الحج الشامي من طرفنا حفظًا وصيانة لحجاج بيت الله فتعاونوا على عمل الخير . وذهاب الضر والضير . ولا تتعاونوا على الاثم والعدوان . والضلالة والطغيان . وهانحن قد اخبرناكم وانذرناكم . ومن اقامة هذا الظالم في ارضكم حذرناكم . وهذه العساكر ذاهبة اليه . والجميع مائلون عليه . فلا تدعوه ان يقيم بارضكم ولا بين عيالكم . وقد سلطنا غضب الله وسخطه عليه . فاحفظوا منه جميع اموالكم واحوالكم . ورأي العلماء والاكابر اعلى . وانتم بفعل الخير اولى . وعلى الغريب منكم والبعيد . والطارف والتليد . والاحرار والعبيد . امان الله ورايتنا السعيد والله يفعل مايشاء ويحكم بما يريد . والخير يكون والصعب يهون بعون الله والسلام .

فلما وصل هذا الفرمان الى اهل دمشق خرجت العلماء والعوام كافة الى محمد بك وطلبوا منه الامان فامنهم واكرمهم غاية الاكرام . ودخل الى المدينة وجلس في دار الوزارة ونادى بالامان . وكانت القلعة لم تزل محاصرة . فامر باطلاق المدافع عليها . ولما راى من بها تلك الاحوال نصبوا السنجق النبوي على اعلى جدار وطلبوا الامان . فامر

بابطال اطلاق المدافع عليهم وتسلم القلعة . وكان الامير منصور الشهابي يحب الشيخ ظاهر العمر محبة شديدة . وسر بقدوم محمد بك ابي الذهب الى بلاد الشيخ ظاهر لاجل الوسيلة التي بينه و بين الدولة المصرية . وتكلم الشيخ ظاهر مع محمد بك في شان الامير منصور واستماله اليه واخرج له منه كتاب امان يطيب قلبه به . واحبه لاجل بغضه لعثمان باشا الكرجي . لان عثمان باشا كان يحب الامير يوسف . وولاه حكم بلاد جبيل كما سبق . ولما علم الامير منصور بدخول محمد بك ابي الذهب الى دمشق الشام ارسل اليه ثلثة افراس من جياد الخيل بالملابس الفاخرة وكتب له جوابًا يستعطف خاطره به وهذه صورته

الجناب العالي صاحب الفخر والجلال دامت له رتب المعالي بالسعادة والاقبال مشيد اركان الرتبة العلية عسجدي الالقاب السنية صدر صدارة الدولة المصرية امير لواء عالي الشان دام اجلاله على ممر الزمان . بعد ابهى واشرف ماسجعت به اطيار منابر الاغصان على قدود افنان الاشجار بالحان نشائد الاوزان الشجية . واشهى والطف مانظمته افكار الاعيان من عقود جمان الاشعار وحسان قلائد البيان الوضية . يهدى الى جناب من قد جلا سيوف الانتصار و بدد اعداءه في جميع الاقطار الذي ربيع اسمه في اوج العلى وارتفعت اعلامه على رؤُوس الملا وحاز الفخار . بقائم السيف البتار . لازال متشحًا بالمجد والسيادة . وركابه محفوظًا بالنصر والسعادة . اما بعد فانه في ابرك الاوقات واشرفها وايمن الساعات والطفها . قد ورد علينا كتاب الجناب الشريف وفهمنا فحواه السامي المنيف واتضح انا حلولكم السعيد بدمشق الشام على حسن تأييد . واكمل نظام فقد حصل عند المخلص لكم بهجة لاتجدوسرور ليس له ند . وقد طربت لقدومكم الاقطار واستأمنت البلاد . واطمأنت خواطر العباد . فيالهمن فرح عظيم لايدرك قراره . ولا يعرف تياره . والحمدلله على ما انعم واجاد واكرم . فقد انتشر عرف سجاياكم وفاضت لجج عطاياكم وانجلت بقدومكم اسرار الحوادث . فياخبر مبعوث واكرم باعث . وقد بلغنا عند حلولكم السعيد انه تبددت الاعداء واي تبديد فلا زالت رايات عزكم خافقة و رؤُوس اعدائكم مطرقة ومن باب التهجم على مكارم اخلافكم نلتمس ان تصرفوا انظاركم السنية . الى الملاحظة نحو الرعية . كما هو المعهود من اخلاقكم الرضية وليس القصد الأ ان تغتنموا الدعاء المديد . و يكون لكم الثناء والحمد عند الله والبعيد . وقد وجهنا حامل صحيفة الدعاء ينوب عنا في تهنئة الجناب . و يعرض لديكم ما يغني عن الاسهاب . والدعاء

ختام والسلام

ولما وصل رسول الامير منصور الى دمشق انعطف خاطر محمد بك على الامير منصور واجابه احسن جواب

وكان عثمان باشا بعد خروجه من دمشق وفراره من وجه العساكر المصرية توجه الى حمص وارسل نائبه يوسف آغا ابن جبيري الى الامير يوسف يستنجده على ابي الذهب وابتدأ عثمان باشا بجمع العساكر من تلك الاطراف حتى اجتمع عنده خلق كثير . واما محمد بك ابو الذهب فابتدأ اسمعيل بك بعد دخوله الى دمشق يغير قلبه ويثني عزمه ويخوفه عواقب الامور بان الدولة لابد ان يخلو بالها فتلتفت الى مصر بعين الانتقام . وان من عصى السلطان عصى الله والرسول . والخروج عن طاعته خروج عن دين الاسلام . واراه انه قد صار حربيًا في دار المسلمين وانه قد حل لكل مسلم دمه وماله واخذ يشكوله بغي اسرة الشيخ ظاهر العمر وغيهم واستكبارهم ويعيب على من يصاحبهم في امر من الامور . وقال له الا ترى الشيخ علي الظاهر كيف يجلس امامك كأنه في مجلس الصعاليك وما زال به حتى ثنى عزمه عن الاقامة في بر الشام . وكان في تلك الايام قد وفد الى دمشق امين الصرة مع الحج فقابله محمد بك واسماعيل بك ونهاهما عما هما فيه من الخروج فاعتذرا اليه وقالا انهما يريدان الانصراف الى الديار المصرية وكشفا له عما في نفسيهما اذا رحلا الى تلك البلاد فعاهدهما انه اذا نال وظائف الدولة يعتذر عنهما ويبررهما بقدر ما يستطيع . ثم ان محمد بك ابا الذهب نهض بعساكره ليلاً من دمشق وسار طالبًا الديار المصرية وشاع رحيله في الغد فتعجب اهل الشام كل العجب من ذلك ولم يعلموا السبب فيه ورجعت اولاد الشيخ ظاهر العمر والمشايخ المتاولة كل منهم الى مكانه . وقد ذهلوا من قيامه وتأسفوا على سعيهم الباطل وكان عثمان باشا لم يزل في حمص فلما بلغه رحيل ابي الذهب رجع الى دمشق وحضر اليه الامير يوسف الشهابي لانه كان قد ارسل اليه نائبه يوسف اغا ابن جبري يستنجده . وكان الامير يوسف قد جمع عسكرًا وتجهز للمسير فاتفق قيام ابي الذهب عند ذلك . وكان الامير يوسف قد خرج الى ارض البقاع فلم يزل مجدًا في مسيره حتى دخل الى دمشق فاكرمه عثمان باشا غاية الاكرام واقام عنده اياماً . ثم استأذنه في الرجوع فانعم عليه انعامًا جزيلا ورجع الى بلاده وعظم امره في البلاد ومالت اليه الناس . فلما رأى الامير منصور ميل الناس الى ابن اخيه الامير يوسف ارسل اليه يشكو عجزه عن معاطاة

الاحكام لكبر سنه وضعف جسمه وانه يريد ان يسلمه الحكم فاجاب الامير يوسف انه لا يقبل ذلك بل هو قدامه في كل ما يعسر عليه

الفصل الخامس

في ولاية الامير يوسف الشهابي

وكان الامير منصور قد تحقق ميل حكام البلاد الى الامير يوسف وانه لا يثبت له الحكم على الحالين وعلم ان جواب الامير يوسف خداع فارسل وطلب الامير اسمعيل ابن الامير نجم حاكم حاصبيا فحضر اليه الى مدينة بيروت وشرح له الامير منصور ما في نفسه وطلب منه السعي في ذلك فتوجه الامير اسمعيل الى دير القمر وبلغ ابن اخته الامير يوسف تلك الرسالة فاجاب طلبه . وكان هذا اقصى ما يتمناه . ولكنه امتنع منه اولاً حياء من عمه واجلالاً لشانه . وعند ذلك ارسل الامير اسمعيل كتاباً للامير بذلك فحضر الامير منصور الى ينبوع الباروك . ومعه البعض من الامراء بني الشهاب . وحضر اليه الامير اسمعيل والامير يوسف من دير القمر واجتمعت اكابر البلاد من امراء ومشايخ وشيوخ عقل واعيان والتأمت جمعية عند ينبوع الباروك . وتفاوضوا في ذلك وكتبوا الى عثمان باشا الصادق والي دمشق يعرفونه ان الجميع راضون بولاية الامير يوسف عليهم وكتب الامير منصور ايضاً انه قد تنازل لابن اخيه بارادته فرجع الجواب بالايجاب . وارسل عثمان باشا خلع الاحكام للامير يوسف ورجع الامير منصور الى بيروت والامير يوسف الى دير القمر واستقر في حكمه واطاعته البلاد

واما محمد بك ابو الذهب فانه بعد قيامه من بر الشام دخل الى مصر فتعجب الامير علي بك من رجوعه غاية العجب لعلمه انه ملك دمشق الشام وطرد الوزير عنها ومهد تلك البلاد فسأله عن ذلك فشكا من تصلف الشيخ ظاهر العمر وعشيرته عليه وقال انهم قوم عتاة لا يعرفون الوفاء ولا يرعون حرمة صاحب وانهم اولياء في الظاهر واعداء في الباطن لانهم كانوا يغتالون كثيراً من العساكر . ونحن غرباء في بلاد بعيدة والامداد قريب اليهم من الدروز وتلك العشائر . وعثمان باشا طردناه الى اقصى مكان وخشينا ان تنوبنا نائبة في تلك البلاد فرجعنا . ولما سمع علي بك ذلك الاعتذار طار فؤاده غيظاً واسفاً وكتب الى الشيخ ظاهر العمر يلومه ويعاتبه على هذا التقصير . فاجابه الشيخ

ظاهر ان هذا الكلام لا صحة له قطعاً وانه قد ساءه ما كان من محمد بك اكثر مما ساء علي بك لانه كان قد تملك الاقطار الشامية والجميع سلموا اليه ودخلوا تحت طاعته . ثم تركها و رحل من غير سبب . ولم يعلم احد كيف ذلك ولا لماذا . فتعجبت الناس غاية العجب ولم يهتدوا الى ما في نفسه . وان كان عندكم شك في كلامنا فنحن نرسل اليكم احد اولادنا رهناً على ذلك ولكم الفحص عن حقيقة الحال . فان وجدتم ادنى خلل في كلامنا فدمه لكم مباح . واحتال الشيخ ظاهر على ولده الشيخ عثمان وارسله الى مصر . وعند ذلك انتفت الشبهة من عند علي بك وتحقق خيانة ابي الذهب . و بعد ذلك ابتدأ محمد بك ابو الذهب يضم اليه رجالاً واجناداً وكان كريماً للغاية فاجتمع اليه ... كثير وقويت شوكته في تلك الديار . ولما استتم امره اظهر ما في نفسه وخرج برجاله الى الصعيد وبقي علي بك في مصر وقد اشتغل قلبه كثيراً من تلك الاحوال . واما عثمان بك الصادق فانه بعد رجوعه الى دمشق الشام خلا باله وصفت له الايام وقبض على نائبه يوسف اغا ابن جبري رئيس الانكشارية فقتله ونهب امواله واقام مكانه رجلاً من اهل دمشق يقال له عثمان اغا ابن شبيب . ثم خرج بعسكر عظيم الى ارض الحولة يريد قتال الشيخ ظاهر العمر والمتاولة الذين كانوا السبب في ذلك التشويش فجمع الشيخ ظاهر رجاله واجتمعت المتاولة من تلك البلاد وكبسوا عثمان باشا في ظلام الليل فانذعرت عساكره وقتل منها خلق كثير وهزمهم الشيخ ظاهر وما زال في اثرهم حتى وصلوا الى بحيرة الحولة فالقى الاكثرون منهم انفسهم في البحيرة وماتوا غرقاً وهرب عثمان باشا بنفر قليل واستولى الشيخ ظاهر العمر والمتاولة على اسبابه واسلابه وكتب الشيخ ظاهر الى الامير علي بك يخبره بما كان ويحقق له خيانة محمد بك ابي الذهب . فجمع علي بك كثيراً من العساكر واقام عليها اسماعيل بك واخرجه الى قتال ابي الذهب وكان اسماعيل بك مضمراً الشر في نفسه لعلي بك فسر بذلك . ولما وصل الى الصعيد كتب الى ابي الذهب واتفق معه و رجع به الى مصر ومعهما تلك الجيوش الغفيرة . فارتاع علي بك وخرج من مصر وقصد مدينة عكاء ومعه الشيخ عثمان الظاهر . فالتقاه الشيخ ظاهر العمر بكل اكرام ودخل به الى المدينة . وجلس محمد بك ابو الذهب على تخت القاهرة ونادوا باسمه وطاعته اهالي الديار المصرية . وكان في تلك الايام درويش باشا ابن عثمان باشا الصادق والياً على ايالة صيداء . فلما انكسر عسكر ابيه في الحولة انهزم من صيداء الى دمشق واقام بها اياماً . رجع الى صيداء وفي مروره على المغيثة حدث من عسكره اعتدوا على الزروع التي هناك

فاجتمع عليه اهل عين دارة ولاقوه الى الطريق فقتلوا ثلث خيله وبات تلك الليلة بجانب ينبوع الباروك . فلما بلغ الامير يوسف ذلك غضب على اهل عين دارة واخذ منهم غرامة ثلثة الاف غرش وقدم لدرويش باشا خيلاً عوض الخيل التي فقدت له واستعطف خاطره وحضر اليه بنفسه يعتذر عن جهل القوم . ثم انصرف الوزير الى صيداء . ورجع الامير يوسف الى دير القمر . وبعد وصول درويش باشا الى صيداء عصت عليه مشايخ المتاولة وارسلوا يتهددونه كي يقوم من صيداء . فارسل درويش باشا واعلم الامير يوسف وفي الحال ارسل له عسكرًا يحافظ على المدينة . فترك له مطلوب بيروت والجبل تلك السنة . ثم انه رأى ان الشيخ ظاهر العمر ومشايخ المتاولة لم يزالوا متشددين في العصيان نخاف على نفسه لانه كان جبانًا فاخلى صيدا ورجع الى دمشق الشام وفي وصوله الى نواحي الشوف بات على عين السمقانية فقدم له الامير يوسف الذخائر وسأله ان يرجع الى صيداء ويكون بعساكر بلاده في خدمته . فابى وسار الى دمشق وبعد وصوله الى هناك ارسل ابوه عثمان باشا يحمس الامير يوسف على المسير لغزو المتاولة . (وفيها تولى مصر قرا خليل باشا . وابتدأ القحط والضيق بمصر بسبب النفقات المسببة عن الحروب التي اقامها علي بك ومحمد بك ابو الذهب فان تجريدة مكة وحدها كلفت ٢٦ مليون فرنك . وفيها انتصر الروس على الاتراك . وفيها كان اقتسام بولونيا الاول بين روسيا وبروسيا واوستريا)

وفي السنة ١١٨٥ هـ = ١٧٧١ م بعد حضور علي بك الى عكا ارسل كتبًا منه ومن الشيخ ظاهر العمر الى ملكة المسكوب يسألانها الاسعاف على الدولة العثمانية . وان ترسل اليهما المراكب الحربية ليسلماها الديار المصرية . واقام علي بك ينتظر الجواب . ولما تقوت المشايخ المتاولة على الدولة تطاولت على اطراف جبل الشوف ومرج عيون والحولة . فاتفق الامير يوسف وخاله الامير اسمعيل حاكم وادي التيم الادنى وجمع الامير يوسف عسكرًا بنحو عشرين الف مقاتل وسار به في شهر ربيع الاول الموافق لشهر تشرين الاول (اوكتوبر) وفي وصوله الى جسر صيدا ارسل عقال الدروز للمحافظة على صيداء مع الشيخ علي جنبلاط . وسار بالعسكر قاصدًا قرية جباع الحلاوي وفي مروره احرق قرى اقليم التفاح . وكان الشيخ حيدر الفارس في جباع فهرب ووصل العسكر الى جباع فاحرقها وقطع اشجارها وهدم ابنيتها وبات هناك ليلتين وسار الى ينبوع المادنة وبات هناك . فحضر له كتاب من خاله الامير اسمعيل انه قادم اليه بعساكره

وانه اتاه كتاب من مشايخ المتاولة عن يد الشيخ علي الظاهر يسألون العفو عنهم . وانهم يقدمون للامير يوسف كل ما يريده منهم . وسأله الامير اسمعيل ان يتأخر الى حين وصوله اليه . فابت مشايخ البلاد وفي الحال مشى العسكر . وكان عسكر المتاولة مجتمعاً في قرية النبطية نحو ثلاثة الاف وعندهم الشيخ علي الظاهر . وفي وصول الامير يوسف الى قرية كفردمان احرقها وتوجه الى النبطية فالتقى بشرذمة من عسكر المتاولة نحو خمسمائة خيال ووقع بينهم القتال فانكسر عسكر الامير يوسف كسرة هائلة لم يكن مثلها في عسكر اخر على عهد هذه البلاد حتى ان كثيراً من العسكر مات تعباً وعطشاً ومنهم من اختلت عقولهم فلم ينتبهوا لانفسهم ومنهم من القوا ثيابهم واسلحتهم غنيمة للعدو يشتغل بها . وقيل ان رجلاً علقت ثيابه بشجرة هناك فوقف الى ان وصلوا اليه وقتلوه . ومات في تلك الموقعة من عسكر الامير يوسف اكثر من الف وخمسمائة قتيل ولو وصل اليهم باقي عسكر المتاولة لما سلم منهم احد . واتفق في ذلك الوقت وصول الشيخ كليب نكد ومعه جماعة من رجال المناصف فناوشهم في وعرة هناك واشغلهم عن العسكر المنهزم . ثم وصل الامير اسمعيل فابعد المتاولة عن الشيخ كليب وارتفع القتال ولولا ذلك لم ترجع المتاولة عنهم حتى افنتهم لانهم كانوا كالغنم بين ايدي الذئاب . وبعد ذلك رجع الامير اسمعيل الى حاصبيا والشيخ كليب معه . ورجع الامير يوسف ومن بقي من عسكره الى البلاد وضجت الارض بالبكاء والعويل وتسربلت النساء باثواب الحداد حتى كنت ترى نساء البلاد كالغربان . واما الشيخ علي جنبلاط وعسكر العقال الذين معه فلما بلغتهم الكسرة تركوا مدينة صيداء ورجعوا الى البلاد . وقيل انه كان لا يخلو الشيخ علي والامير منصور من مداخلة بوسيلة ما مع المتاولة وقيل ان الشيخ عبد السلام العماد كان مع الامير يوسف وكان يميل الى الامير منصور ويريد حفظ شان الامير يوسف فكان يمنعه عن التساهل مع المتاولة ويحثه على قتالهم ويراسلهم سراً ان يقدموا على الامير يوسف وانه متى وقعت الواقعة ينكسر قدامهم فيتبعه العسكر وهكذا كان . وماصدقت المتاولة حتى رات الكسرة . وغنموا ذلك اليوم من اسلاب العسكر وخيله وسلاحه ما لا يحصى ورجعوا سالمين غانمين . ولما انصرف الشيخ علي جنبلاط عن صيداء وخلت من الرجال ارسل اليها الشيخ ظاهر العمر متسلماً من قبله رجلاً مغربياً يقال له احمد آغا الدنكزلي وكان له مدة طويلة في خدمته . وبعد ذلك اعتذر الشيخ ظاهر وجماعته المتاولة وصاروا يتطاولون على اطراف البلاد مثل اقليم الخرنوب واقليم جزين اكثر من الاول .

وكان الشيخ كليب نكد قد رجع من حاصبيا الى دير القمر فركب الى قرية برجة وغزا المتاولة في قرية علمان فهزمهم ومنعهم عن الحضور الى اقليم الخروب وتلك الاطراف . وفي هذه السنة حضر الى دير القمر احمد بك الجزار ومعه مملوكه سليم وعبده ابو الموت لا غير فاقام اياماً واكرمه الامير يوسف وارسله الى بيروت فاقام بها اياماً وتوجه الى دمشق . واما عثمان باشا الكرجي فقد ذكرنا ما كان بينه وبين الشيخ ظاهر والمتاولة من الضغينة . وفي تلك الايام لما بلغه عصيانهم وتملكهم مدينة صيدا عرض ذلك الى الدولة العلية . فحضر خط شريف الى الامير يوسف بالقيام لحرب الشيخ ظاهر العمر والمتاولة وان يكون المال السلطاني المرتب على بيروت والجبل نفقة عسكر له تلك السنة وكانت الدولة في تلك الايام مشتغلة بالحروب مع الدولة المسكوبية . وفي هذه السنة توفي عثمان باشا الكرجي في دمشق فحضر مكانه عثمان باشا المصري وكان قد خرج ساري عسكر على عربستان فكتب الى الامير يوسف يعرفه بقدومها . ثم ارسل يامره بان يجمع العساكر لحروب المتاولة وارسل اليه خليلاً وزير كوت سابقاً وكان يقال له الدالي خليل لخفة في طبعه لان الدالي في لغة الاتراك بمعنى المجنون . وهم كثيراً ما يلقبون بالصفات كالشلق عثمان اي الطويل . والكور ابرهيم اي الاعور والطبل علي اي الاعرج . والقرا محمد اي الاسود . ثم اصحاب هذه الالقاب لا يستنكرونها . ولا يخجلون منها فيستعملونها جميعاً استعمال الالقاب الحسنة وكان هذا الدالي خليل بطلاً في الحرب لا يطاق . فحضر معه احمد بك الجزار ومعهما الف فارس ومدافع وزنبركات وذخيرة وعند وصولهم الى عين السوق التقاهم الامير يوسف بكل اكرام وجمع عساكر بلاده وساروا جميعاً الى حصار مدينة صيداء وكانت عساكرهم اكثر من عشرين الفاً فاقاموا على حصار صيداء سبعة ايام وتضايق احمد آغا الدنكزلي وعزم ان يسلمهم المدينة ويطلب الامان . وفي اثناء ذلك رجع اكثر عسكر الدروز الى البلاد فسكن روع احمد آغا بذلك . وقد ذكرنا ان الامير علي بك والشيخ ظاهر العمر كانا قد ارسلا الى ملكة المسكوب ان تمدهما بالمراكب الى بلاد العرب . واتفق في ذلك الوقت وصول تلك المراكب الى عكا وهي خمسة مراكب كبار وجملة مراكب صغار . وعند وصول المراكب الى هناك ارسلها الشيخ ظاهر الى صيداء وكان عسكر الامير يوسف وعسكر الدولة لم يزل على حصار صيداء فاطلقت المراكب عليهم المدافع فرحلوا الى حارة صيداء وحضر الى الامير يوسف

رسالة من الشيخ ظاهر العمر ان يرجع بعسكره الى جسر صيداء وهنالك يصير الاتفاق بينهما . والا تصل اليهم العساكر . فابى الامير يوسف الرجوع . ولما وصل جوابه الى الشيخ ظاهر سار بعساكره وعسكر المتاولة وجملة خيل من الغز التي حضرت مع علي بك من مصر فكان عسكراً ينيف عن عشرة الاف نفس حتى وصل الى براك التل الذي في اول سهل الغازية بالقرب من مدينة صيداء فبات هناك . وعند صباح ٢٢ ايار (مايو) الموافق شهر رجب نهار الثلثا التقى العسكران في سهل الغازية فضربت عساكر الدولة عساكر المتاوله الغز بالمدافع والزنبركات فقتل منهم نحو ماية قتيل وهجم الدالي خليل واحمد بك الجزار على القوم وانتشب بينهم القتال فانكسر عسكر الدروز من خلفهم وهجمت الغز على الدولة وفي اوائلهم علي بك الطنطاوي . وهذا كان اشجع غز مصر ودام ضرب السيف بينهم برهة فانكسر عسكر الدولة وقتل منه نحو خمسماية نفس وانقلب راجعاً الى دمشق فكان عسكر الدروز الذين معه يسلبون منهم ما يقدرون عليه من سلاح وغيره . وعند رجوع الامير يوسف الى دير القمر جمع بعضاً من سلاح الدولة ورجعه لهم . ورجع الدالي خليل ومن معه الى دمشق . وكان قد فعل في تلك الموقعة افعالاً تعجز عنها الاسود ولولاه ماسلم احد من الدروز والدولة . ووصل الى دمشق وهو يذم الدروز ويشتمهم بكل شفة ولسان . واما المراكب المسكوبية فانها بعد كسرة العساكر في صيدا سارت الى مدينة بيروت . وعند الصباح ملكت جانباً من البحر واحرقت بعض الابراج . فهربت الامراء الشهابية من المدينة وخرج اهلها الى البر ودخلت الافرنج بيروت ونهبت كل ما وجدته فيها . ورجعت الى المراكب خوفاً من تكاثر العساكر عليها . ولما وصل الخبر الى الامير يوسف توجه من دير القمر برجال البلاد الى حدث بيروت . فارسل ساري عسكر المراكب يطلب منه نفقة عسكر ليسافر عن المدينة فارسل له ٧٥٠٠ غرش فاخذها وسافر الى عكا . ثم ان الامير يوسف عرض الى عثمان باشا المصري ذلك الامر فارسل نائبه محمد اغا ومعه احمد بك الجزار ومعهما ٣٠٠ نوتيّ الى مدينة بيروت وتسلم الجزار بيروت من تحت يد الامير يوسف . وفي هذه السنة حضر الى الامير يوسف كتاب من محمد بك ابي الذهب والي مصر يعرفه بان الجزار رجل خبيث الفعال غير مأمون الجانب ويأمره ان يقتله ويرسل اليه راسه وله على ذلك مائتا الف ريال ويحذره من شره وافعاله التي فعلها بمصر فاعتذر الامير يوسف انه يخاف من ملامة الدولة لانه حضر امر عثمان باشا المصري . وكان القصد في تسليم بيروت للجزار نكاية بعمه

الامير منصور لانه كان قد تظاهر بالخيانة مع الشيخ ظاهر العمر ومشائخ المتاولة ·
وفي هذه السنة اجتمعت المشائخ بنو حمادة على الامير بشير السمين عم الامير يوسف الى العاقورة · وكان الامير يوسف لما حكم البلاد اقام عمه الامير بشير واليًا على بلاد جبيل وكان حينئذٍ في العاقورة · فوقع القتال بينه و بين الحماديين فقتلوا من تابعيه ثلثة انفس وقتل منهم ثمانية · وارسل يعلم الامير يوسف بذلك الى بيروت · فنهض وسار حتى وصل الى جبيل فبلغه الخبر ان الحمادية جمعوا عيالهم ونزحوا من البلاد فالحق بهم الشيخ سعد الخوري وادركهم في القلمون · وكانوا نحو الف نفس من الحمادية ومتاولة بلاد جبيل فوقع بينهم قتال شديد وحضرت اهالي جبة بشرة لنصرة الشيخ سعد الخوري فانهزمت المتاولة وقتل منهم نحو مائة قتيل · وكان الامير يوسف بعد مسير سعد الخوري جمع رجالاً من جبل الشوف وتقدم الى قرية افقا · وعند وصوله رجع سعد الخوري والتقى به هناك · فرجع الامير يوسف الى دير القمر والمغاربة الى بيروت · وكان احمد بك الجزار عند قدومه الى بيروت مرَّ على طريقه بميدان البلشة فوق البلد فرماه مغربي كان كامنًا له هناك يقال له ابو غقلين برصاص فاصاب الرصاص عنقه وجرحه جرحًا بليغًا · فثارت اصحابه في طلبه حتى ادركوه فقتلوه · وقيل ان ذلك كان بتدبير الامير منصور · فاقام الامير يوسف الاطباء والجراحين على الجزار حتى برأ جرحه · وفي هذه السنة توفي الامير مراد ابن الامير محمد ابي اللمع وكان شجاعًا كريمًا للغاية · وقدمر ذكره في حديث حرب القيسية واليمنية في عين دارة وحرب المتاولة في قرية نصار من جبل عامل وخلف عدة اولاد ذكور · واليه تنتسب عائلة آل مراد الى يومنا هذا

وفي السنة ١١٨٦ ھ = ١٧٧٢ م توجه الامير يوسف بعسكر من البلاد الى الضنية لانه كان قد بلغته خيانة المشائخ بني الرعد حكام الضنية مع المشائخ بني حمادة · وعند وصوله الى قرية عفصديق احرقها لانها كانت للامير احمد الكردي · وكان يميل الى الحمادية ثم حضر كتاب من متسلم طرابلس عن يد قبجي كان يومئذ في طرابلس من قبل الدولة العلية · وفي وصوله الى الامير يوسف اصلح امور بني الرعد ورجع الامير يوسف الى جبيل ثم الى بيروت فالتقاه محمد اغا نائب عثمان باشا المصري واحمد بك الجزار وبعد ذلك طلب محمد اغا الرجوع الى دمشق فسأله الامير يوسف ان يصحب الجزار معه فأبى الا ان يضمن جميع بني الشهاب مدينة بيروت من غائلة المسكوب فابى الامير منصور ذلك وتوجه محمد اغا وبقي احمد بك متسلمًا في بيروت · و بعد ذلك

توجه الامير يوسف الى دير القمر . وكان الامير منصور مقيماً في قرية بعبدا * وفي هذه السنة توجه علي بك ومعه عساكر الشيخ ظاهر العمر طالباً الديار المصرية . وعند وصوله الى غزة التقاه محمد بك ابو الذهب بعساكره وانتشب بينهم القتال فانكسر علي بك كسرة هائلة . وقتل علي بك الطنطاوي وسحقته حوافر الخيل حتى لم يعرف بعينه . وجرح علي بك الكبير في وجهه جرحاً بليغاً وسقط الى الارض . وتقدموا اليه وقدموه الى محمد بك ابي الذهب فانكب عليه محمد بك وقبل يده وبكى عليه واقبلت عليه السناجق والكشاف يقبلون يديه وحضروا به جميعاً الى مصر . واحضر له محمد بك الجراحين فداووا جرحه حتى اوشك ان يبرأ . ثم دسوا السم له بالجرح فمات . وفي هذه السنة طلب الامير يوسف من عثمان باشا المصري رفع الجزار من بيروت فأبى وعلم الجزار بذلك فأخذ يصلح سور المدينة ويتاهب للحصار . ومنع خروج الناس من البلد . ومنع اهل الجبل من الدخول اليها . فلما بلغ الامير يوسف ذلك جمع عسكراً واحضر به الى قرية بعبدا وجعل يراسل الجزار ويذكره بالصنيعة التي له معه . فطلب الجزار الامير ان يواجهه بجماعة قليلة وهو يخرج الى مواجهته ايضاً كذلك . فنزل الامير يوسف الى المسيطبة بالقرب من المدينة ومعه البعض من اكابر البلاد . وخرج الجزار بنفر من عسكره وصارت المواجهة هناك فطلب الجزار من الامير يوسف ان يمهله اربعين يوماً فيسلمه المدينة . وكان البعض من اكابر البلاد وهم اليزبكية يميلون الى الجزار لانه كان يكرمهم بالهدايا ويستجلب خواطرهم . فاضطر الامير ان يمهله حسب مطلوبه ورجع الجزار الى بيروت واجتهد في تحصين المعاقل واخذ الاهبة في الرجال والزاد . وفي تلك الايام ارسل الامير سيد احمد يطلب من وزير دمشق حكم البقاع بامر اخيه الامير يوسف فقبل الوزير بذلك تحت ايراد مقدار من المال . وحضر له امر في تصريف البقاع وتوجه الامير سيد احمد الى قلعة قب الياس في البقاع . وبنى ما كان هدم فيها من الزلازل وحصنها بالمدافع والرجال . واما الجزار فانه بعد فراغ الاربعين يوماً طلب منه الامير يوسف تسليم بيروت فابى ذلك ونكث عهده واظهر العصاوة . وكان في بيروت مغاربة فكانوا يخرجون الى ضواحي المدينة وينهبون ويقتلون من اهالي الجبل . فجمع الامير يوسف عساكر البلاد واتفق مع عمه الامير منصور واقام الحصار على بيروت . وارسل الامير منصور الى الشيخ ظاهر العمر ان يرسل له مراكب المسكوب . وكانت في ذلك الوقت في قبرس وقد ازدادت عن الاول فحضرت جملة مراكب كبار مع ساري عسكرهم الكونت جوني . وصار الاتفاق

بينهم و بين الامير يوسف والامير منصور انهم متى ملكوا بيروت ينقدانهم ثلثمائة الف غرش وانهم يحاربون بحراً و براً واخذوا رهناً على ذلك المال الامير موسى ابن الامير منصور . فاكرموه غاية الاكرام و بقي عندهم في الجزيرة المقابلة لبرج ابي هدير . ومن هناك شرعوا في الحصار فاطلقوا ستة الاف مدفع دفعة واحدة حتى ظنت الناس ان القيامة كادت ان تقوم وسمع صوت المدافع الى قبة السيار التي فوق دمشق كالرعد القاصف . واحاطوا بالمدينة بحراً و براً مدة اربعة اشهر فتضايق المحاصرون فيها ونفد من عندهم الزاد فكانوا يأكلون لحوم الخيل والحمير والكلاب . وهناك اضطر الجزار الى التسليم وطلب الامان عن يد الشيخ ظاهر العمر . فقبل الامير يوسف . وحضر يعقوب الصيقلي من قبل الشيخ ظاهر وتسلم الجزار ومن عنده وسار بهم الى عكا . وتسلم الامير يوسف بيروت وضبط سلاح المسلمين وغرمهم بثلثمائة الف غرش وسلمها الى ساري عسكر المراكب المسكوبية . وسافروا واقاموا وكيلاً من قبلهم في قلعة بيروت عوض محافظ المسلمين ورفعوا راية الصليب فوق القلعة . واما الجزار فانه اقام في عكا مدة يسيرة واختلس جملة بغال للشيخ ظاهر العمر وسافر ليلاً . ثم رجعت الامراء الشهابية الى بيروت . واتفق الامير يوسف مع الامير منصور وتزوج بابنته . وبلص الامير يوسف الشيخ عبد السلام العماد والشيخ حسين تلحوق بمبلغ من المال لاجل اتفاقهما مع الجزار . وكان ساري عسكر المسكوب قد اقام القبطان اسطفان في قلعة بيروت كما مر تحت شيء من المال كان باقياً له فنقده الامير يوسف ما اخذه من الشيخ عبد السلام والشيخ حسين تلحوق كمالة مطلوبه . فاخذه وانصرف . واقام الامير يوسف ماموراً في القلعة صادق ابادية من اكابر مسلمي بيروت . وفي هذه السنة حضر كتاب من عثمان باشا المصري والي دمشق الى الامير يوسف يعرفه انه ارسل الى الدولة العلية يسأل الصفح عن عصاوة الشيخ ظاهر العمر . فاجيب الى ذلك وهذه صورته

افتخار الامراء الكرام . عين الاماجد ذوي الاحترام . جناب
الامير يوسف الشهابي دام موفقاً لما فيه السداد ورضى رب العباد

غب اهداء ما يليق من التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم . والسوال عن خاطركم السليم . ننهي اليكم انه قد سبق في قضاء الله وقدره بهذه السنين الماضية كثير من الخلل والتشويش في الاقطار العربية . والبقاع الشامية بسبب الظلم الحادث من بعض ولاة الامور وظهور علي بك وفساده . فلما اراد الله رفع الفتن امر به فكان .

ولكن بقي اثار منه الى هذه المدة لان الحاجات مرهونة بالاوقات • فقلد جيدنا حضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن حسم هذه الطائلة وحراسة الخاص والعام • فراينا الشفقة على العباد من اسد السداد • واجتهدنا في حقن دماء المسلمين وصيانة الاعراض • واعرضنا عن تلفيق اصحاب الفتن والاغراض • وقد انتهت الامور الى استكشاف ما في الصدور • والهم الله كلاًّ من ذوي العقول رشده • وطلب نجاحه وسعده • فمن اجل من طلب النجاح • وغرد طائر سعده بحيي على الفلاح قدوة المشايخ الكرام • وعين اعيان العقلاء الفخام صاحب المقام المعتبر اخونا الشيخ ظاهر العمر • وقد حرر الى نادينا الدستوري وسال الدعاء وتمسك بحبل العهود والوفاء واعلن الطاعة لحضرة مولانا السلطان ظل الله في ارضه • نصره العزيز الرحمن على شروط وعهود معلومة واستعطف ان ينعم عليه بايالة صيداء على وجه الملكية • ويرسل البقايا الباقية عليه في ايالة صيداء خمسمائة الف غرش عاجلاً • ويرسل كل سنة مائتين وخمسة وعشرين الف غرش عن المال السلطاني ويؤدي خدمة حراسة ولوازم المحمل الشريف كجاري المعتاد • فلما راينا رجوعه عن العناد واقباله على السداد • انعمنا له بذلك على ماعندنا من التحقيق بكوننا مرسلين لنظام الاقطار العربية ومدرجين في دفتر اعتماد الدولة العلية • واننا اذا املنا من كرمها شيئاً لايخيب الامل ولا يضيع العمل • ولذلك قد اجبناه وانعمنا عليه بما تمناه • واشعنا في دمشق بنداء المنادي بين الخاص والعام • وعرضنا الامر الى الدولة العلية والاعتاب الملوكية بالتماس هذا الانعام • والان وردت اوامر العفو والقبول واجابة المسؤول فحررنا من نادينا الدستوري مراسيم الى كل من بيده مقاطعة من الايالة وابتدأنا بكم • لانكم ترغبون في هذه الحالة اذ ان جناب اخينا الشيخ ظاهر في مقام والدكم وعلى الخصوص انه من سبعين سنة موصوف بحماية البلاد وصيانة العباد • لانهم وديعة الله الملك الرحمن لحضرة مولانا السلطان • وهم من الطرف الخاقاني وديعة ولاة الاحكام • فبوقوفكم على كتابنا هذا تتحققون نجاح القصد ونمو السعد • وتكونون على قدم الطاعة لولاة الامور عملاً بقوله تعالى اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم • واشتغلوا بمداومة الدعاء لحضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن • واعلموا واعتقدوا بما حررناه والحذر من خلاف مارسمناه والسلام حرر في ٢٧ ذي الحجة سنة ١١٨٦ هـ • (وفيها حصلت موقعة عظيمة بين جنود علي بك الطنطاوي تحت قيادة اسمعيل بك عند البياضة وكان قصدهم صد محمد بك ابي الذهب ومن معه فانهزم فيها علي بك وجماعته فرجع علي بك القهقرى ودخل من باب القرافة الى منزله وبعد ان

اخذ امواله خرج من مصر وذهب الى الشام وصحبته علي بك الطنطاوي ولذلك حدث يوم الخميس في ٢٧ محرم واضرم عسكر ابي الذهب النار في الدبر بعد ان نهبوه وتملك مصر واستحضر عبد الله المدبر وقطع راسه . وفيها انتصر الاتراك على الروس)

وفي السنة ١١٨٧ هـ = ١٧٧٣ م وصل هذا الكتاب الى الامير يوسف فاجاب جواباً حسناً لاجل خاطر الشيخ ظاهر العمر ولكنه في الباطن كان يكره ان يكون الشيخ ظاهر العمر والياً على ايالة صيداء ويكون هو حاكماً من تحت يده

الفصل الحادي والعشرون (تابع الجزء الاول)

في سلطنة السلطان اورخان الملقب بعبد الحميد الاول وهو ٢٧ من آل عثمان و٢٢ في القسطنطينية

وفي هذه السنة توفي السلطان مصطفى عثمان الثالث وكانت مدة جلوسه في الملك ١٦ سنة وهو ٢٦ من ملوك آل عثمان و٢١ منهم في القسطنطينية وكانت ايام ملكه حروباً مع الدولة المسكوبية وتعبت عساكر المسلمين في دولته تعباً عظيماً وتملك المسكوب مملكة القرم . وجلس بعده السلطان اورخان واقب بعبد الحميد الاول فكتب الى امراء البندقية يخبرهم بجلوسه على السدة الملكية وهذه صورة الكتاب

انها لاتحصى ولا تدرك من العقول البشرية مراحم الله تعالى خالق البرية . ومانح كل عطية . الذي لايتغير بل هو ثابت في ذاته الازلية . ولاندرك عدة آيات رئيس الانبياء وسيد الاولياء محمد عليه وعلى ذريته افضل الصلوة والتحية . انا من الجود الاعلى خادم ومدير اكثر الامصار وانخر الانصار والمدن الواسعة . والبلدان الشاسعة تشد اليها الرحال مدى الازمنة والاجيال . وتزورها النذور بالاجلال . وهي مكة الطاهرة والمدينا الفاخره . واورشليم الظاهره انا السلطان الكلي العدل . ملك الملوك ذوي الفضل . مالك المدن العظام . المحسود من سائر الآنام . مالك القسطنطينية و بورصا ودمشق الشام . ومصر القاهرة وحلب الشهباء والقيروان . والكلدانيين و بلاد فارس ومادي وشيراز وارن والقرمان . انا حافظ البر بر . وسيد العبيد والصعيد والحبشة وترسيس وطرابلس الشام وقبرس ورودس وكريت والمورة . والبحر الابيض والبحر الاسود والبحر الاحمر . و بلدان اسيا الصغرى وممالك الروم وسواحلها والعشر الايات البر بر والكلدان والروم والتتر

والتركمان والاكراد والارمن والكرج وتخوم الارناووط المتسعة ٠ والبشناق العالي ٠ وقلعة بير الاغراض (بلغراد) الماخوذة من ملك السويس ٠ وجميع قرى ومدن البغضان وكل الفلاخ والتخوم الهندية وغير ذلك من قلع وحصون اهملنا ذكرها لكثرتها ٠ انا الشاه العالي السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد ابن الشريف احمد خان من ذرية السلطان عثمان شاه جل الاله الذي علاه وولاه ٠ قد ابرزت هذا الدستور المكرم الى فخر الامراء المسيحيين الذين تلتجي اليهم اشراف واعيان عباد المسيح ٠ السادات الشريف قدرهم ٠ والجليل ذكرهم ٠ العالي مقامهم ٠ والجزيل احترامهم ٠ امراء البندقية جعل الله لهم النهاية السعيدة والهداية المفيدة ٠ الى سبيل الخلاص في الحيوة العتيدة ٠ امابعد فاننا نوضح لكم انه قد درج بالوفاة الى سعادة مولاه السيد العظيم اخي الاكبر السلطان مصطفى تغمده الخالق ٠ بنور مجده الفائق واسبغ عليه نعمه الالهية ٠ ومراحمه الازلية ٠ وبموجب حقوق الخلافة المستقيمة والقوانين القديمة ٠ قد ارتقينا بالاختيار ٠ الى سدة العز وتخت الانتصار ٠ في نهار الجمعة السعيدة العاشر من شهر ذي القعدة سنة ١١٨٧ الموافق لستة ايام خلت من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٧٧٣ وقد درجت اسماؤنا في السكة الملكية وانذرنا في جميع مملكتنا قيامنا وعدلنا ورفعنا الظلم الكثيف ٠ باشراق حلمنا اللطيف ٠ وحسب العوائد القديمة من سلفائنا الكرام وجب اننا نعلن جلوسنا السعيد على السدة الملكية ٠ لاصحاب الدولة العلية ٠ المرتبطين معنا بالصداقة الحقيقية ٠ وحفظ الزمان بكتاباتنا الى السيد المعظم والامير المفخم المشهور بالفضل اليقين بين دول المسيحيين بولس دينار خان ٠ والى امراء البندقية ذوي المناقب الملكية ٠ ختم الله نهاية حياتهم النقية بالسعادة الابدية ٠ والى سائر الامراء الكرام اصحاب الدولة المشهورة ٠ في البلدة المذكورة لكي يحصلوا على افراح جلوسنا السعيد ٠ وقيامنا المجيد كما يقتضي منهاجهم الحميد ٠ بموجب التعهدات المتفق عليها والشروط القانونية المرتبطة مع بلاطنا الملكي في بابنا العالي يقدرون ان يوضحوا سرورهم ٠ ويشهروا حبورهم لارباب الدول التي في حكمهم لكي يثبتوا على حفظ العهود والشروط وعلى اتصال العمل بها ٠ وقيام جميع الشروط القديمة من كل حكمنا السعيد ٠ ولا يبدو منهم شيء يفسد السلامة ٠ ومن جلالتنا الملكية لا يمكن ان يصنع شيئاً حديثاً ضد ماذكر وذلك لكي تنمو وتزداد المحبة والصداقة من الطرفين ولاجل رد الراحة والطمأنينة الى رعايا الفريقين حرر في عاشر ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ ٠ وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين عثمان باشا المصري والي دمشق والامير يوسف فجهز الباشا عسكراً وخرج به الى

البقاع وضرب خيامه في بر الياس وكان عسكره اكثر من خمسة عشر الفاً فجمع الامير يوسف عسكر البلاد وتوجه الى المغيثة ٠ وجرت جملة وقائع بين العسكرين فارسل الامير يوسف الى الشيخ نصيف نصار ان يحضر لمساعدته ٠ وفي الحال حضر الشيخ نصيف بجبال بني متوال وفي وصوله الى القرعون هرب عثمان باشا ليلاً بعساكره الى دمشق وترك اكثر الميرة والذخيرة والمدافع ٠ وعند الصباح حضر عسكر الامير يوسف الى القرعون فاخذوا ماوجدوه واحضروا المدافع الى قلعة قب الياس ٠ وارسل الامير يوسف الى الشيخ نصيف ان يحضروا للمواجهة والاكرام لاجل سعيه ٠ فاجاب بما انه لم تبق حاجة لايمكنه المكث وانثنى راجعاً الى بلاده ورجع الامير يوسف الى دير القمر ٠ وصفت له الايام وصار بينه وبين الشيخ نصيف وبني متاول محبة عظيمة ٠ وزالت من بينهم جميع الاحقاد القديمة ٠ واخذوا بعضهم على بعض العهود والمواثيق ٠ (وفيها حارب علي بك ابا الذهب وكادت عساكره ان تظفر ولكن علي بك الطنطاوي قتل وجرح علي بك بعد ان قاوم مقاومة عنيفة وحمل الى القاهرة ومات ٠ وقيل مات مسموماً ٠ وفيها ابطلت عادة تقبيل رجل البابا ٠ وفي اوائله شرع ابو الذهب في تاسيس مدرسته)

وفي السنة ١١٨٨ هـ = ١٧٧٤ م عزل عثمان باشا المصري عن دمشق وتولاها محمد باشا العظم وحضر ولده يوسف باشا الى طرابلس ٠ وفي هذه السنة تظاهر الامير احمد بالعصيان على اخيه الامير يوسف واتفق مع الذين ابعدهم اخوه من اليزبكية مثل الشيخ عبد السلام العماد والشيخ حسين تلحوق وغيرهما وابتدأ بالمطاولة على قرى الشيخ علي جنبلاط فجمع الامير يوسف عسكر البلاد وتوجه الى المغيثة ٠ ثم نزل وحاصر الامير سيد احمد في قلعة قب الياس ٠ وبعد شهر رجع اكثر عسكر البلاد ٠ فاستحضر الامير يوسف مغاربة من دمشق واقامهم على حصار القلعة حتى فرغ ما فيها من الماء والزاد ٠ فارسل الامير سيد احمد الى الشيخ علي جنبلاط والشيخ كليب ابي نكد انه يريد التسليم عن يديهما فقبل الامير يوسف ذلك ٠ وخرج الامير سيد احمد من القلعة بعياله وحواشيه وتوجه الى حدث بيروت ٠ وكان معه ابن عمه الامير فارس ابن الامير يونس محاصراً في القلعة ٠ فتسلم الامير يوسف القلعة واراد ان يهدم حائطها مما يلي الباب فلم يقدر الا على هدم القليل منه لمتانة بنائه ٠ ثم ارسل الامير يوسف الى محمد باشا العظم والي دمشق يطلب ولاية البقاع فارسل له الخلعة وصرفه بها فاقام وكيلاً مكانه اخاه الامير قاسماً ورجع الى مدينة بيروت ٠ ورجع

لاخيه الامير سيد احمد ما كان ضبط له من غلال وحرير عوض القافلة التي كان الامير سيد احمد نهبها لاهل دمشق في الطريق ٠ وتسلم منه مال التجار الذي كان نهبه من القافلة ورجعه الى اصحابه ٠ ٠ وكان قد تظاهر بالخيانة مع الامير سيد احمد الامير منصور حاكم راشيا ٠ فادعى عليه الامير يوسف بدين كان عليه للمشايخ النكدية يبلغ الف غرش واخذ يحسب لها ارباحاً مضاعفة فبلغ ذلك سبعة آلاف وخمسمائة غرش ٠ فارسل عمه الامير حسناً مطالباً الامير منصور بذلك المال فاقام عنده شهرين ومات ٠ وقيل ان الامير منصوراً سمه ٠ ولما بلغ الامير يوسف وفاة عمه الامير حسن حضر الى دير القمر ٠ واقام له مناحة كالعادة ٠ ثم ارسل ابن عمه الامير اسعد ابن الامير يونس مكانه ٠ فارسل الامير منصور يطلب من سعد الخوري اصلاح امره مع الامير يوسف ونقده خمسة عشر الف غرش وصفا خاطره عليه ٠ ثم حضر الى دير القمر الامير محمد اخو الامير منصور المذكور وطلب من الامير يوسف تحصيل حقوقه من اخيه عما يخصه من ميراث ابيهما فقسم الامير يوسف وادي التيم الاعلى بينهما ٠ وفي هذه السنة توفي الامير منصور الشهابي في بيروت وحزن عليه اهل البلاد حزناً عظيماً لما كان من كرمه وعدله واقاموا له مناحة عظيمة وكان قد بلغ من العمر ستين سنة واستراحت الناس في ايامه ٠ وتملكت عائلته في مدة ولايته املاكاً كثيرة في بيروت وغيرها وكانت مدة حكمه ١٨ سنة ٠ ودفن في جامع الامير منقذ التنوخي ونظم له تاريخاً السيد احمد البربير

سقا هذا الضريح سحاب فضلٍ وعمّ بالرضى من في ثراهُ
اميراً كان في الدنيا شهاباً ومنصوراً على قومٍ عصاهُ
فان يك من عيوني قد توارى فحسبي ان قلبي قد حواهُ
ولما سار للفردوس فوزاً وقربه المهيمن واصطفاهُ
اتى تاريخه في بيت شعرٍ يود البدر لايعطى سناهُ
فمهمله ومعجمه وكلٌّ من الشطرين تاريخاً تراهُ
شهاب الرحمة المولى عليه هوى للترب بدر من رباهُ

وبعد ستة وعشرين يوماً في الخامس والعشرين من شهر شوال توفي اخوه الامير بشير الذي يلقب بالسمين وكان عظيم الجثة ضخم الجسم لانظير له في ذلك وكان له قوة عظيمة ٠ حتى قيل انه كان يوماً في دير القمر فسمع ضجة بجانب الدار فخرج وقيل له ان

اناساً من اهل الدير يقتتلون فنهض وذهب اليهم · وكان في ساحة الدير خيل مقيدة بقيود من الحديد فعثرت رجله بقيد منها فقطعه ومر في طريقه · وقيل انه لم تكن تحمله الخيل لثقله فكان يركب البغال وكان اذا اراد الركوب وقف على درجة عند الباب حتى يقدم اليه البغل فاذا قاربه اخذ باذنه وجذبه اليه فاوقفه حيثما شاء ومات عقيماً لانه كان قد تزوج بامرأة فلم يقدرن ابطاها لافراط سمنه · وبعد وفاته ضبط الامير يوسف جميع املاكه ومنع اخوته من الوراثة منه · وفي هذه السنة توفي الامير حيدر الحرفوش وكان قد هرم كثيراً فتولى مكانه على بلاد بعلبك اخوه الامير مصطفى · وكان للامير حيدر ولد يقال له الامير درويش فحضر الى دير القمر يرجو من الامير يوسف ان يكون حاكماً مكان ابيه فلم يقبل الامير يوسف لان الامير مصطفى كان اهلاً للحكم اكثر منه · فتوجه الامير درويش الى عكاء الى الشيخ ظاهر العمر يطلب منه الولاية فكتب الشيخ ظاهر الى الامير يوسف ولاجل خاطره قسم حكم بلاد بعلبك بين الامير مصطفى والامير درويش · وقد ذكرنا ان عثمان باشا المصري حين كان والياً على دمشق عرض الى الدولة العلية عن اطاعة الشيخ ظاهر العمر فوردت اليه اخبار القبول · وفي هذه الايام حضر قبجي من الباب العالي وبيده فرمان للشيخ ظاهر العمر وهذه صورته

قدوة الاماجد والاعيان الشيخ ظاهر العمر زيد قدره

نعرفك انه بعد وصول امرنا هذا فليكن معلوماً انك من قديم الزمان من المتنعمين بنعيم الدولة العلية · وقد حقق صدق عبوديتك برهان الخدامات الصادقة · وكنت صاحب الشهرة والشان · وبصدق النية واخلاص الطوية يشار اليك بالبنان · وكنت تودي الاموال السلطانية قبل كل انسان وقط ماعرجت عن صدق الخدامة وطرق الاستقامة الا منذ ازمنة قريبة لحدوث بعض اسباب نفسانية اظهرت التردد والوحشة خمس سنوات · ولكن في هذا الوقت وصل الى سدتنا الملكية عرض حال بواسطة الدستور المكرم والمشير المفخم الصدر الاعظم عليّ الهمم وزيرنا عثمان باشا ادام الله اجلاله وضاعف بالتأييد اقباله · وكان مافهم من عرض حالك انك اذا حصلت على العفو عما جرى منك من الحركات غير المستحسنة وصرت منظوراً اليه بعين الرحمة لتضع قلادة الطاعة في عنق العبودية فبناء على ظهور طاعتك وثبوت عبوديتك واتباعاً لقوله تعالى من عفا واصلح فاجره على الله · واقتداء بقول الحديث النبوي من اقال نادماً اقاله الله يوم القيامة قد عفونا عن كل ما قد سلف منك وحبذا هذا لانه من الشيم السلطانية والسجايا الملكية بشرط ان تسلك بعد الان

سلوك الطاعة والعبودية • ولا تنحرف عن منهج الاستقامة المرضية • ولو باقل الامور واصغرها • ولا تصرف وجهك عن نظام حال الرعية وتحصيل الاموال السلطانية سابقاً ولاحقاً ومن كل الوجوه اصرف سعيك في تحصيل رضانا الكائن عنه النمو والسعادة • وعلى هذه الشروط المذكورة قد اجرينا قلم مضى ما مضى على صفائح ذنوبك الى يومنا هذا وصفحنا عن كل ما صدر من رفاقك واصحابك وتابعيك ولاحقيك وعشائرك وصاروا جميعهم مشمولين بالعفو السلطاني• فاشكروا نعمة الله ان كنتم تعبدون • وعدوا هذه الرحمة السلطانية من النعم العظيمة وقدموا شكراً الى يوم القيامة • وان دمت على طاعة الاحكام الجليلة السلطانية • قائماً بالخدمة المرضية • مظهراً حسن الصداقة وخلوص الطوية• فلا تشاهدن طرفنا السلطاني غير اللطف والعناية وكن امين البال مطمئن الخاطر وامرنا هذا اربطه على عضدك الايمن • ولاظهار انعطافنا اليك ارسلنا هذا الخط الهمايوني صحبة افتخار الاماجد الكرام قبجي باشا احمدي هاشم دام مجده • وليكن معلوماً عند الجميع ان سلطنتنا المخلدة البنيان المشيدة الاركان قائمة على اساس الرحمة والرضوان • فاذا صدر بحسب الضعف ذنب من اهل البيوت القديمة واتبعوه بالتوبة والانابة • وتعلقوا باذيال المغفرة • فالعفو عنهم من خصائص اجدادنا الكرام • ونحن اقتداءً بهم قد عفونا عن ذنوبك لكبر سنك وشيخوختك • وشفقة منا على الرعايا والبرايا• فعليك راي الله وامانه ورأي الرسول ورأينا السعيد • فاحفظ همايوننا هذا عقد جوهر في عنقك واعتمد عليه والحذر ثم الحذر من الخلاف حرر في شهر ذي القعدة سنة ١١٨٨

وحين حضر هذا الفرمان الى الشيخ ظاهر اطمأنت نفسه وعزم على ايراد ما كان متأخراً عنده من الاموال السلطانية•وكان حكمه على صيدا وعكاء وحيفا ويافا والرملة وجبل نابلس و بلاد نابلس و بلاد اربد و بلاد صفد •وكانت جميع المتاولة تحت امره • وفي هذه السنة توفي السلطان مصطفى الثالث العثماني • وفيها عرض محمد بك ابو الذهب الى الدولة العلية عما صدر من علي بك من العصاوة والطغيان حتى آل الامر به الى الموت بهذه الجريرة • وفي اثناء ذلك شرح واقعة الحال التي كانت له مع الشيخ ظاهر العمر وطلب الاذن في المسير الى الاقطار الشامية لاجل تأديب الشيخ ظاهر وتحصيل اموال علي بك منه واستخلاص مدن المسلمين من اسره فاذنت له الدولة بذلك فجهز الامير محمد بك العساكر العديدة والبس كثيراً من السناجق والكشاف منهم ابرهيم بك ومصطفى

بك وسليمان بك وايوب بك . وخرج من مصر خروجاً ملكياً طالباً الاقطار الشامية . ولما وصل الى اراضي غزة ارتعبت منه البلاد وكان جيشه ينوف الستين الفاً . وكان الشيخ ظاهر العمر قد حصن يافا بالرجال والمدافع وكان المتسلم بها الشيخ كريم الايوب ابن الشيخ ظاهر فاغلق الابواب واحاطت بها عساكر ابي الذهب من كل مكان ودام الحصار ستين يوماً . ثم تملكها الغز بالسيف . فاهلكت الرجال والنساء والاطفال ونهبت الاموال ولم يسلم ممن كان فيها غير القليل . ولما بلغ الشيخ ظاهر ان محمد بك فتح يافا ارسل الى الامير يوسف يستنجده . وكان الامير يوسف في مدينة بيروت . فجمع اكابر البلاد وعقد ديواناً في الحرش وتداولوا في ذلك فرأوا غير صواب خوفاً من سطوة ابي الذهب . وكره الامير يوسف ان يتخلى عن الشيخ ظاهر بالكلية . فكتب الى محمد بك ابي الذهب يستعطف خاطره على الشيخ ظاهر وارسل الكتاب الى الشيخ ظاهر واعتذر اليه عن القيام معه فرد الشيخ ظاهر الكتاب لعلمه انه لايفيد شيئاً . وفي ذلك الوقت كان ابو الذهب قد فرغ من امر يافا . فاقبل الى عكاء وقبل وصوله هرب الشيخ ظاهر بمن عنده الى صيداء . ولما وصل ابو الذهب الى نواحي عكاء ارتاعت منه الناس وهرب الامراء الشهابية من بيروت الى الجبل . وارسل الامير يوسف اليه التقادم والهدايا وقدم الطاعة والخضوع فارسل له الامان وكان القبجي الذي حضر بالفرمان الى الشيخ ظاهر باقياً عنده فذهب معه الى صيداء ومن هناك رجع الى القسطنطينية . وطلب الشيخ ظاهر العمر من الامير يوسف ان يواجهه على جسر صيدا ليتفاوض معه في امره . فاعتذر الامير يوسف عن ذلك . وكان الشيخ علي ابن الشيخ ظاهر بعد حضور ابيه الى صيداء حضر من عكا ونهب جميع الاموال الموجودة في خان الافرنج . ولما علم محمد بك بذلك غضب على الشيخ علي غضباً شديداً . واما الشيخ ظاهر فانه قام من صيداء الى بلاد صفد وهرب باولاده جميعاً الى عرب عنزه . فارسل احمد آغا الدنكزلي عرض حال الى محمد بك ابي الذهب انه تحت امره وكان الدنكزلي حينئذ متسلم صيداء فرجع له جواب الطمئنان وتقرير على ولايته ثم ارسل متسلماً مكانه الى صيداء بمائتي نفس من الغز ثم حضر الشيخ نصيف النصار الى مقابلة محمد بك ابي الذهب واصحب معه عشرين حصاناً من جياد الخيل . فقدمها اليه فطيب قلبه وامره ان يقيم عنده الى ان تحضر بقية مشايخ المتاولة . وكان ابو الذهب لما فتح يافا قبض على صاحبها الشيخ كريم الايوب واحضره معه الى عكاء ثم خلع عليه واطلقه . وقبل وصوله الى صور

مات كمداً . وامتلك محمد بك بلاد صفد فهدم قلعة دير حنا وهدم ايضاً دير مار الياس الكرمل وقتل من به من الرهبان وكان في نفسه انه بعد ان يتملك الاقطار الشامية يخرج عن طاعة الدولة و ينفرد بنفسه في الاحكام ولكن لم تساعده الاقدار لكثرة بغيه وظلمه فانه كان بعض الايام جالساً في خيمة فسقط مغشياً عليه وكان يصرخ و يقول ردوا عني هذا الشيخ المفترس والناس لا يرون حوله احداً . وما لبث قليلاً حتى مات [1] وشاع الخبر عند جميع الناس ان سبب موته هدم ذلك الدير وقتل رهبانه وسر بذلك الرعاة والرعايا في كل مكان وقيل فيه تاريخ

لما دنا كل المني والهم عن قلبي ذهب

والسعد اقبل ظاهراً ارخت مات ابو الذهب

و بعد موت ابي الذهب رجعت عساكره الى مصر واخذوا جسده محنطاً في تابوت الى هناك و بعد وصولهم عقدت له مماليكه مناحة عظيمة ودفنوه في الجامع الذي كان قد بناه وجلس مكانه اسماعيل بك شيخاً على البلد وطاعته اخوانه وعشيرته وسميت هذه العائلة العائلة المحمدية نسبة الى محمد بك ابي الذهب . ولما نهضت عساكره للرجوع كان الشيخ نصيف النصار لم يزل عنده فنهب من معسكرهم اموالاً لا تحصى ورجع الى بلاده . وكان الامير يوسف مرسلاً هدايا لابي الذهب وقبل وصولها الى صور شاع الخبر فرجعت الرسل بها من هناك الى صيداء ولحقتهم خيل المتاولة . وجرى بين المتاولة والغز الذين في صيدا قتال عظيم فانكسرت المتاولة كسرة هائلة وقتل منهم جماعة . (وفيها عزل قرا خليل باشا والي مصر وكانت مدة ولايته ٤ سنين وتولى بعده عليها مصطفى باشا النابلسي . فيها كان انتهاء بناء مدرسة ابي الذهب و بناء جامع الخضيري . وتبوأ عرش فرانسا لو يس السادس عشر بدلاً من جده لو يس الخامس عشر المتوفي . واكتشف الكيماري الانكليزي بر يستلي غاز الاوكسجين . وفيها عقدت معاهدة صلح كوجك قينارجي بين الترك و روسيا . وسافر قرا خليل باشا من القلزم قاصداً جدة . وتمم جورج لوزاج اختراع الة التلغراف ولعدم استيفائها لم يتيسر العمل بها)

وفي السنة ١١٨ ه = ١٧٧ م بعد ما بلغ الدولة العلية موت ابي الذهب تجهز

(١) ان موت ابي الذهب حدث سنة ١١٨٩ بالاتفاق في ٢٤ ربيع اول قيل انه مات بداء السكتة وقيل خلاف ذلك ودفن في الايوان الشرقي من مدرسته تجاه الازهر وتولى مشيخة البلد مكانه اسماعيل بك رغماً عن ادعاءات مراد بك وابرهيم بك

حسن باشا غازي في العمارة الهمايونية وحضر الى مدينة يافا . وكان الشيخ ظاهر العمر قد رجع الى عكاء . و بعد وصول حسن باشا الى يافا ارسل الى الشيخ ظاهر فرمانًا فحواه ان يرسل المتاخر عنده من الاموال السلطانية حسب تعهده للدولة و يكون له الامان وتكون الايالة بيده كما كانت . فلما وصل الفرمان الى الشيخ ظاهر جمع اولاده وارباب دولته وعقدوا ديوانًا واخذوا يتداولون في ذلك الامر . فمنهم من قال نترك البلد ونتحصن في الجبال ومنهم من قال نحاصر في البلد ونثبت للحرب ومنهم من قال نودي الاموال ونغتنم الراحة . وكان في الديوان احمد آغا الدنكزلي الذي كان متسلم صيداء وكان يومئذ رئيس المغاربة في عكاء فقال للشيخ ظاهر يامولاي ان سيف الدولة طويل ومثلنا لايخاصم مثلها وليس علينا عار في طاعتها والذي يفرط من مالنا في رضاها يتكفل ببقاء الولاية في يدنا بخبر منه . فقال الشيخ ظاهر هذا هو الصواب وانا قد طعنت في السن ولم يبق لي جلد على الحرب والفرار وقد شخت في خدمة الدولة وبقي الاقل من ايامي فليكن الباقي كالماضي والله المستعان . وكان عند الشيخ ظاهر رجل من نصارى عكا يقال له ابراهيم الصباغ وكان متسلماً جميع امور الشيخ ظاهر وامواله واولاده ونسائه ولم يكن الشيخ ظاهر يتحرك ادنى حركة بخلاف رايه . فقال له يا ابراهيم استحضر لنا جانبًا من المال لنرضي به الدولة ونستريح فقال ابراهيم ليس عندنا مال يقوم بالمطلوب . وان ارسلنا كثيرًا ام قليلاً لاتقنع الدولة منا . فقال له احمد آغا الدنكزلي اعطني مائة الف غرش وانا اسير بها الى حسن باشا قبطان ولا ارجع الا بالامان والعفو . فقال ابراهيم ليس عند الشيخ ظاهر الا رجال وسلاح فليفعل حسن باشا ماشاء . وخرج من الديوان فانفض المجلس على هذا الوجه . وخرج احمد آغا الدنكزلي وقد اشمأزت نفسه من ذلك لانه يعلم ان عند الشيخ اضعاف المال المطلوب منه . وخشي من عاقبة العصيان فدخل على جماعته وكانوا قائمين على الابراج الحربية فقال لهم ان الشيخ ظاهر يريد ان يلقي نفسه في النار فاسلموا بانفسكم . وحدثهم بما كان وامرهم ان يسدوا براغي المدافع فلا يطلق منها مدفعًا ولا يدعوا غيرهم يقربها . ولما ابطأ على حسن باشا الجواب تقدم بالعمارة الى جهة عكا وارسل الى محمد باشا العظم وزير القدس ان يحضر بعساكره برًّا وارسل من قبله وزيراً الى صيدا فتسلمها . ونادوا باسمه . ولما اقبل حسن باشا على عكاء ارسل اليه احمد آغا الدنكزلي يخبره بما كان و يقول له ان يقدم ولا يحذر . وجعل حسن باشا يطلق القنابل على المدينة ولم يحاربه احد . فارسل الشيخ ظاهر المغاربة لكي يطلقوا المدافع على

المراكب . فقالوا اننا قوم مسلمون لا يجوز لنا ان نحارب السلطان وحاصروا الابراج ولم يدعوا احداً يدخل عليهم . فلما رأى الشيخ ظاهر ذلك جزع جزعاً شديداً وفر هارباً من البلد . وبينما هو خارج من باب المدينة رماه احد المغاربة برصاصة في صدره فخر على الارض قتيلاً . وكان اولاده قد خرجوا في جميع الذخائر والرجال فهربوا الى بيت الشيخ نصيف النصار وهرب ابراهيم الصباغ فنزل عند الشيخ علي الدرويش . ودخل حسن باشا قبطان الى عكاء وضبط خزائن الشيخ ظاهر العمر التي تحت يد ابراهيم الصباغ فكانت تنوف عن اربعين الف الف غرش نقوداً ما عدا الحلى والسلاح والخيل والتحف والبساتين والابنية والذخائر الثمينة حتى قيل انه كان عنده دواة يوسف الحسن من ايام فرعون كانت عند الامير علي بك في مصر ولما حضر الى عكا كانت بين امواله وذخائره . فلما رجع الى مصر ترك اثقاله في عكا فاحتوى عليها الشيخ ظاهر ومن جملتها هذه الدواة وهي قطعة واحدة من الزمرد الاخضر . وقيل ان حسن باشا لما امر بنقل تلك الاموال الى المراكب كان في دار الشيخ ظاهر صندوق من الحديد فتكاثرت عليه الرجال وجروه بعنف عظيم حتى ارادوا ان ينزلوه من درج هناك فلم يقدروا الا بالجهد العنيف وتكسر منه اكثر الدرج وكان مشحوناً بالدنانير . وبعد دخول حسن باشا الى عكا وصل محمد باشا العظم بعساكره . وارسل حسن باشا الى اولاد الشيخ ظاهر كتاب الامان وامرهم ان يحضروا ويكونوا مكان ابيهم في طاعة السلطان فعزموا على الحضور وكانوا لم يزالوا عند الشيخ نصيف النصار فحذرهم من الغدر فلم يقبلوا كلامه وحضروا حتى دخلوا على حسن باشا فالقى القبض عليهم وكانوا اربعة وهم الشيخ عثمان والشيخ سعيد والشيخ احمد والشيخ صالح . واما اخوهم الشيخ علي فكان مقيماً في بناية دير القدس يوحنا ولم يحضر الى ابيه من اول الامر لان اباه كان يكرهه لشراسة اخلاقه . ولما وقع القبض على اولاد الشيخ ظاهر تكلم الشيخ سعيد كلاماً قبيحاً في حق الدولة لاجل خيانتها فامر حسن باشا بقتله وانزل اخوته الى المراكب وارسلهم الى القسطنطينية مع راس ابيهم . وبعد وصولهم انعمت عليهم الدولة العلية وجعلت الشيخ عثمان وزيراً على مدينة جدة والشيخ احمد وزيراً على مدينة في بر الروم . واما ابرهيم الصباغ فقبض عليه الشيخ علي الدرويش الذي كان نزيله وارسله الى حسن باشا فعذبه حتى اقر بكل ما يعلم من ذخائره وذخائر مولاه ثم امر بشنقه في احد المراكب فعلقوه وكان عبرةً لكل بخيل . وكان الامير يوسف قد ارسل التقادم والخدم الى حسن باشا فحضر له جواب الطمئنان . ثم بلغ حسن باشا ان اولاد ابرهيم

الصباغ قد اختفوا في جبل الدروز فارسل يطالبهم من الامير يوسف فاعتذر الامير انه لاعلم له بذلك وانه يفحص عنهم فاذا وجدهم يرسلهم اليه وحضر منه جملة كتب في ذلك والامير يوسف يحامي عنهم ولا يريد ان يرسلهم . وخرج الامير يوسف من بيروت خوفاً من حسن باشا وعرض عليه الخط الشريف الذي بيده في ترك الاموال السلطانية المرتبة على بيروت والجبل عن سنتين فقبل بذلك وطلب منه المتأخر عنده عن السنين الماضية فارسله حالاً وصفا خاطر حسن باشا على الامير يوسف واحبه كثيراً . وعرض الامير يوسف عما توقع له من الحروب مع الشيخ ظاهر العمر والمتاولة وانه في طاعة الدولة على كل حال . فلما وقف حسن باشا على طاعة الامير يوسف وعلم انه سار الى قتال ابي الذهب وحماية دمشق الشام ارسل له ورقة المخالصة عن كما مضى بشرط ان يؤدي مائة الف غرش . فجمع الامير يوسف اكابر البلاد واستشارهم في ذلك فاشاروا عليه ان يضع يده على القرى التي بيد الامراء بني عمه مما ينسب الى جانب الحكم و ياخذ المطلوب من غلاتها لان اهل البلاد لا يسلمون له بهذا المطلوب . وفي هذه السنة كانت ولاية دمشق الشام على احمد باشا الجزار واقام مكانه على عكا مملوكه سليم باشا . ثم عزل احمد باشا عن دمشق و رجع الى عكاء . (وفيها كان ابتداء الحرب بين انكلترا والولايات المتحدة تحت قيادة واشنطون . وتعيين مصطفى باشا النابلسي لولاية جدة . وابرهيم باشا عرب كبرلي بدله على مصر ومات في السنة نفسها . وفي السنة ١١٩٠ هـ تولى مصر محمد باشا عزة و رئيس الامراء اسماعيل بك . وتوفي الامير عبدالرحمن المدبر صاحب البنايات المشهورة بمصر بعد ان اقام ١٢ سنة منفياً بالحجاز بامر علي بك وفي ٤ يوليو نادى الاميركان باستقلالهم . وفي ١٨ منه استولى الجنرال واشنطون على بوسطن . واكتشف ادورد جنر الانكليزي تطعيم وتلقيح الجدري وكوفي على ذلك بمقدار ٣٠ الف ليرا . واخترع روشون الميكرومتر ذا البلور الصخري . ونفى مراد بك ابرهيم بك طنان . الى المحلة الكبرى)

وفي السنة ١١٩١ هـ = ١٧٧٧ م حضر احمد باشا الجزار والياً على ايالة صيداء . وعزل منها محمد باشا الذي كان والياً من قبل حسن باشا غازي . فعظم على حسن باشا تولي الجزار واضمر له الاذى اذا فرغ من نظام عربستان . وابتدأ الجزار في جمع العساكر وتحصين الحصون والاسوار وارسل اليه الامير يوسف الهدايا فقبلها وطيب قلبه . ثم ان الامير يوسف ضبط جميع الاماكن التي كانت للامراء بني الشهاب على الوجه المشروح سابقاً فرحلوا جميعاً الى البقاع

وضبطوا غلال مشايخ البلاد لان ذلك كان تدبيرهم فجمع الامير يوسف عسكر البلاد وسار اليهم . ولما وصل الى قب الياس انصرفوا الى وادي التيم . فارسل الامير اسمعيل حاكم حاصبيا اخاه الامير بشير وسعى بينهم وبين الامير يوسف بالصلح بشرط ان الامير يوسف ينقدهم من يده عوض محاصيل الاماكن التي ضبطها منهم . ورجعوا الى منازلهم الا الامير سيد احمد اخا الامير يوسف واخاه الامير افندي فانهما كرهاذلك وتوجها الى اقليم البلان فارسل الامير يوسف وارضاهما ورجعا . وكان الامير يوسف يخاف من اخيه الامير سيد احمد ان يستميل الدولة اليه ويأخذ الولاية . وبعد ذلك رجع الامير يوسف الى دير القمر . وارسل الى حسن باشا تلك الاموال فقبلها وارسل للامير التقرير على ولاية جبل الشوف ومدينة بيروت والبقاع وبلاد جبيل . وان والي صيداء لايكون له اعتراض عليه الاَّ في الأموال السلطانية حسب العادة . وكان حسن باشا رجع الى عكاء وامر بقتل احمد آغا الدنكزلي . واما الجزار فانه بعد رجوع حسن باشا الى عكاء ارسل وضبط مدينة بيروت وجميع غلال الامراء الشهابية . وطلب من الامير يوسف الاموال السلطانية عن ثلاثة سنين . وكان قد حضر الى عكاء ستمائة خيال قبسيس لانه كان وجاق في الدولة يقال له لاوند وهم اللذين يلبسون الطرابيش الطوال وخرج بنفيهم خط شريف وكانوا ستة عشر الفاً فما سلم منهم غير هؤلاء فقصدوا الجزار . وهم رجال اشداء في القتال لايهابون الموت . وكان المقدم عليهم بيق عبدالله آغا واظن علي آغا . والامير خليل والاظن ابرهيم آغا . وكان منهم رجل يقال له علي آغا القيصرلي تحت يده ثلثماية خيال فتعين عند محمد باشا العظم في دمشق . لانه كان بينه وبين عبد الله آغا نفار فلم يصاحبه . وفي تلك الايام ارسل الجزار هذا العسكر الى مدينة بيروت . فلما بلغ الامير يوسف مسير عسكر الجزار من صيداء الى بيروت ارسل المشايخ النكدية ليلاً بمائتي رجل وامسكوا عليهم الطريق في نقار السعديات بالقرب من نهر الدامور . وصباح الثلثاء في ١٤ آب (اوغسطس) وصل اليهم العسكر فثاروا في وجهه وانتشب القتال وكانوا يظنون بأن الخيل لاتسلك في تلك الارض الاَّ على الطريق فهجمت عليهم خيل القبسيس الى الوعر واستطالت عليهم فلم يسلم منهم غير القليل . وقتل الشيخ ابو فاعور نكد وقبضوا على ولده الشيخ محمود . وعلى الشيخ واكد ابن الشيخ كليب وتركوا اخاه الشيخ بشير مجروحاً بين حي وميت . ورجع عسكر الجزار الى صيدا . ومعه الاسارى الذين قبضوا عليهم فسجنوهم هناك . وبعد رجوع العسكر توجه اناس الى السعديات

فراوا الشيخ بشير مسلوباً طريحاً بين القتلى وقد اثخن بالجراح فحملوه الى دير القمر . وارسل الامير يوسف الى حسن باشا يعلمه ان الجزار كبس اطراف بلاده وقتل ونهب وذلك لاجل ايراده المال السلطاني الى حسن باشا . وكان حسن باشا يكره الجزار لانه حضر من القسطنطينية واليا على صيداء بغير امر ومع انه متسلم نظام عربستان . فغضب حسن باشا على الجزار في ذلك الوقت . وحضر بالمراكب من عكاء الى صيداء . ولما خرج الى البر التقاه الجزار وتقدم ليقبل ذيل ثيابه فنفر منه حسن باشا واصاب الخنجر وجه الجزار فجرحه . واعتذر اليه الجزار انه كان مرسلاً عسكره الى بيروت فامسكت الدروز عليه الطريق . ثم ان حسن باشا ارسل الى الامير يوسف يطيب قلبه ووعده انه بعد رجوعه الى وظائف الدولة يعزل الجزار عن ايالة صيداء . وفي تلك البرهة سافر حسن باشا الى القسطنطينية . وفي هذه السنة ابتداء مراد بك في مصر يتمادى بالظلم والطغيان فوقع النزاع بينه وبين اسمعيل بك واشتد الامر بينهما وكان اسمعيل بك اعظم مقاماً واقدم عهداً في مصر . وكان من أيام علي بك الكبير هو العمدة في الدولة المصرية وعليه المعول في المهمات وقد ذكرنا ماتوقع له مع محمد بك ابي الذهب في دمشق الشام . وكان لما سار ابو الذهب الى نواحي عكاء اراد ان يقيمه شيخاً على البلد فامتنع وكان رجلاً مستقيماً منصفاً لايحب الجور فلما تمرد مراد بك اخذ اسمعيل يضم اليه عائلة علي بك الطنطاوي واستمال اربعة سناجق من العائلة المحمدية . ولما بلغ مراد بك وابراهيم بك ذلك جمعا احزابهما ومسكا ابواب القلعة ووقع بينهما القتال سبعة ايام فاستظهر حزب اسمعيل بك على المحمدية وطرد مراد بك وابرهيم بك الى خارج البلد . واستولى اسمعيل بك على تخت القاهرة . وكان من السناجق المحمدية الذين انضموا اليه رجل يقال له يوسف بك وكان شرس الاخلاق غداراً لا يؤمن اليه فارسل اسمعيل بك وقتله ليأمن شره . ثم ان الامراء المحمدية جمعوا جيوشاً كثيرة من العربان وتجهزوا لقتال اسمعيل بك فخرج اليهم وانتشبت الحرب بينهم في مكان يدعى البتيين بعيداً عن مصر مسافة ست ساعات الى الجهة الشرقية . فبرز الامير ابرهيم بك وكان بطلاً في الحرب يُعد بالف بطل . فخاض بين القوم وفتك بالرجال ولم يثبت قدامه احد منهم . وكان يصرخ في كل حملة اين اسمعيل بك فبرز اليه كاشف يقال له عمر ظلام وسطا عليه فلم يصبر ابرهيم بك على قتاله وانهزم من وجهه فتبعه حتى خرج من بين العسكر وما زال في اثره حتى اوصله الى خليج ماء فقفز ابرهيم

بك بجواده من فوق ذلك الخليج وكان عرضه كما زعموا نحو خمسة اذرع فرجع عنه كاشف عمر وانفصلت العساكر بعضها عن بعض . وقد امتلأت تلك الارض من قتلاهم وانجرح مراد بك في فرجه جرحاً بليغاً . ثم رجع اسمعيل بك الى مصر وجازت الامراء المحمدية من الجهة الشرقية الى الجهة الغربية . وفي هذه السنة تواصلت المراسلات بين احمد الباشا الجزار والامير يوسف في اطلاق المشايخ النكدية المسجونين في قلعة صيداء من وقت وقعة السعديات . فحضر الى دير القمر من قبل الجزار نائبه مصطفى أغا ابن فرولا ومعه اربعمائة خيال قبسيس والمقدم عليهم بيق عبد الله آغا الذي صارت الواقعة معه في السعديات فأقاموا في الدير اربعة ايام . وقيل ان سبب حضورهم في الباطن كان لاجل قتل الامير يوسف وظهر منهم علامات تدل على ذلك لانهم ثقبوا حائط الدار في الليل . واما في الظاهر فكانوا مطالبين الامير يوسف بمائة الف غرش كان قد تعهدبها للجزار . وكان الامير يوسف قد خاف من حضورهم لما رأى الدلائل المذكورة وتكلم مع مصطفى آغا ان يصرف الخيل التي معه ويبقى ببعض اصحابه في الدير حتى يتيسر المال وراءى مصطفى آغا انه لايقدر على قتل الامير يوسف في داره فاجابه الى ذلك ورجع العسكر الى صيداء واقام مصطفى آغا في الدير عدة ايام . وكان الشيخ عبد السلام العماد قد اشار على الامير يوسف ان يفرق خيل القبسيس كجباة ويرسل الاهالي سراً ان كل من عنده احد منهم ان يقتله فيهون بذلك امر الجزار ولان ليس عنده من يغني عنهم في الحرب . فلم يوافقه الشيخ كليب نكد على ذلك خوفاً على اقاربه المسجونين في صيداء . فوزع الامير يوسف ذلك المال على اهل البلاد وحكامها فرضوا بذلك الا الامراء بني ابي اللمع . فارسل الامير يوسف مصطفى اغا الى بيروت واستدعى اليه خيل القبسيس من صيداء فحضروا وامر بقصاص الامراء المذكورين في املاكهم التي هناك وكان اقصى بغية الامير يوسف ان يصرف مصطفى آغا عنه لانه كان خائفاً من غدره . ولما اجتمع العسكر في بيروت طلع به مصطفى آغا الى المكلس والجديدة والدكوانة فاحرقها وقتل اناساً من اهلها . ثم كبس الشويفات فلم يقدر عليها . وقتل جملة اناس من اهالي الجبل واقام في بيروت الى ان دخل الصيف . ثم رجع الى صيدا وطلع بجميع العساكر التي معه الى البقاع وضبط جميع الغلال التي هناك فجمع الامير يوسف عسكر البلاد واتفق مع امراء المتن واجتمع العسكر في المغيثة وصار بينهم وبين عسكر مصطفى آغا جملة وقائع انتصرت الدولة فيها على اهل البلاد وقتل منهم قتلى

كثيرة واكثرها من اهل المتن . وقتل الشيخ سيد احمد العماد اخو الشيخ عبد السلام . والشيخ طاهر عبد الملك . ثم ان مصطفى باشا كبس الامراء بني الحرفوش في بعلبك فهربوا منه ورجع . فاحرق زحلة واقام في البقاع نحو شهرين . ولكن لاجل خلاص الناس من شره اتفق مع عبد الله آغا وخيل القبسيس انهم يرجعون الى عكاء وهو يقتل الجزار ويتولى مكانه . وكان معهم خليل آغا وهو احد آغواتهم كما ذكرنا فارسل اعلم الجزار بذلك . وفي الحال ارسل الجزار خاتم مصطفى آغا من خدمته وامر برجوع العسكر الذي معه الى عكاء فذهب مصطفى آغا الى بلاده وكان أصله من جبل الاكراد الذي في نواحي حلب . وبعد وصوله الى هناك وقع بينه وبين اولاد عمه خصومة فقتلوه وكان ظالماً غداراً يحب سفك الدماء صاحب مكر وخداع بطلاً عظيماً في الحرب وكان طويل القامة رقيق الجسم اصفر اللون بلحية سوداء ولم يكن بلغ من العمر اكثر من ٢٥ سنة . وكان مولعاً بالصيد وركوب الخيل . وكان يطلق الجريدة من نصف ميدان دير القمر الى الغرب فتمر فوق المأذنة التي هناك والى الشرق فتمر فوق الدار التي على التلة وكلاهما على أمد بعيد لا يناله غيره . وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الامير منصور حاكم وادي التيم الاعلى وبين اخيه الامير محمد فحضر الى الامير محمد الى دير القمر ومعه عبد الله مالك الذي كان نائب اخيه . فارسل الامير يوسف عسكراً من البلاد مع الامير محمد فعزل الامير منصور وتولى مكانه . فمضى الامير منصور الى عكاء والتمس من احمد باشا الجزار ان يعيده الى ولايته فقبض عليه ونفاه الى جزيرة رواد ومات هناك . وكان ظالماً مفترياً له الفاظ كفرية وكان له ولدان فخافا من عمهما الامير محمد وحضرا الى دير القمر يلتجئان الى الامير يوسف فاصلح امرهما فرجعا الى بلادهما . وبعد مدة غدر بهما الامير محمد فقتل احدهما الامير موسى واعمى اخاه الامير اسعد واقام على ولايته بعد ذلك مطمئن البال . وفي هذه السنة جرت حروب كثيرة بين الشيخ علي ابن الشيخ ظاهر العمر وعساكر احمد باشا الجزار وقتلوا ولديه الحسن والحسين فضاقت به البلاد واضطره الامر ان يلتجئ الى جبل الشوف فحضر الى قرية نيحا وارسل الى الامير يوسف ان يقبله في بلاده وهو يكفيه مؤونة الجزار في القتال فلم يقبل الامير يوسف بذلك خوفاً من الجزار ورجع الشيخ علي الى بلاد نابلس . وقد ذكرنا ان علي آغا القيصرلي احد اغاوات القبسيس الذين تقدم الكلام عنهم سابقاً كان قد تعين عند محمد باشا العظم في دمشق وكان الجزار قد سعى ضد محمد باشا عند الدولة العلية واتهمه بدسائس جرت

بينه وبين الشيخ علي الظاهر فانحرف خاطر الدولة عليه . واراد ان يدفع الشبهة عن نفسه ويسترضي الدولة عنه فامر علي آغا القيصرلي ان يراسل الشيخ علي سرًّا بانه يريد ان يتعين عنده ويسعفه على قتال الجزار . ولما وصلت رسالته الى الشيخ علي استوثق به وقبله لانه يعلم العداوة التي بينه وبين عبد الله آغا المتعين عند الجزار وقد ذكرنا ان ذلك كان هو السبب في انصراف القيصرلي عن اصحابه الى دمشق وتجنده لمحمد باشا العظم . وطلب الشيخ علي من علي آغا القيصرلي ميثاقاً على النصيحة فعاهده وحلف له باعظم الاقسام وسار اليه حتى دخل عليه في خيمة فاكرمه الشيخ علي ورحب به وامر له بالقهوة فحضرت وكان بين علي آغا وجماعته اتفاق على قتل الشيخ علي عند اعطاء اشارة فلما شربوا القهوة لوح بها فوثبوا على الشيخ علي وقطعوا راسه وانصرفوا به الى دمشق فارسله محمد باشا الى القسطنطينية ونال به العفو والقبول . واندثر اسم الزيادنة بعد علي الظاهر وتملك الجزار بلادهم وجمع منها اموالاً لاتحصى واجرى عليها مكساً ومظالم جديدة ورتب عوائد لم تكن جرت في ايام ظاهر العمر وعشيرته . وقيل ان شفا عمر فقط كان اجارها خمسماية وخمسين الف غرش ولم يكن في ذلك الزمان افرس من علي الظاهر ولا اشجع منه ولا اكرم ولا افصح ولا اكبر نفساً منه حتى انه كان لايزوج بناته حتى لايقال ان بنت علي الظاهر لها بعل يامرها وينهاها . وقيل انه مرة كان يدخن بالنارجيلة فوقعت جمرة منها على يده فنادى غلامه كي يرفعها ولم يرمها من يده حتى رفعها الغلام بملقط الحديد كأنها على مجمرة (هذه القصة رويت عن اولاد الحرافشة ايضاً) . وقيل ان عبداً صادمه في موقعة فاستكبر قتاله . ثم لم يزل العبد يصدمه حتى ضجر منه فضربه بالسيف فوقع السيف في وسطه وهو راكض بجواده . ومر الجواد به خطوات وهو جالس في سرجه ثم سقط نصفه الاعلى الى الارض وبقي نصفه الاخرى في السرج . وقد رأينا في هذه الايام (ايام الامير حيدر) بنت الشيخ علي الظاهر واخته تسألان صدقات الناس والعوذ بالله من انقلبات الزمان . وفي هذه السنة توجه حبيب ابن المعلم ابرهيم الصباغ الى عكاء وكان قبل ذلك مختفياً في كسروان كما ذكرنا ومازال حتى ضاق به الوقت فقصد الجزار . ولما دخل عليه قبله واعطاه الامان وسلمه جميع دايرته واحبه واعجب به لانه كان فريد زمانه في المعرفة والحساب وكان جسوراً على مقابلة الدول . وبعد ذلك تقدمت عليه وشاية من مخائيل السكروج واخيه بطرس حسداً فقبض عليه الجزار وطلب منه بقية مال ابيه . وكان حسن باشا قد استنفد مال ابرهيم الصباغ حتى لم يترك

شيئاً منه وكان ابنه هذا يومئذٍ في كسروان ولم يقف على اثر من كل ما كان لابيه . لكن الجزار لم يقبل له عذراً في ذلك فمات كمداً في السجن . وتسلم وكالة دائرة الجزار بعده السكارجة وهم من اهالي عكاء . وكانوا في ايام الشيخ ظاهر العمر من بعض خدم ابرهيم الصباغ . وفي هذه السنة ارسل يوسف باشا والي طرابلس نائبه عثمان بك الشديد فكبس الامير حيدر اخا الامير يوسف الشهابي في قرية اهدن من مقاطعة جبة بشرة وحاصره بها يومين فاتت الرجال من بلاد جبيل والمشايخ بنو الرعد من الضنية ولما تكاثرت الرجال على عسكر طرابلس انقلب راجعاً الى اميون . وبلغ الامير يوسف ذلك فمد اخاه بعسكر وكبس به عسكر طرابلس في اميون فكسره و رجع الى طرابلس وقتل منه جملة اشخاص و رجع الامير حيدر الى مكانه . (وفيها ثارت المغاربة بالازهر وقفلت العلماء ابواب الجامع وغلقت الدكاكين والاسواق وحصلت مقتلة جرح فيها كثيرون وقتل ثلاثة من المغاربة . وذلك بسبب تعضيد يوسف بك المجعف المغاربة بحقهم في وقف آل لهم ولا نتهاره العلماء فسكن اسمعيل بك الفتنة وانتصر لاهل الازهر . ثم تآمر مراد بك وجماعته على قتل اسمعيل بك فخرج الى جهة العادلية فتملك ابرهيم بك ومراد بك القلعة و بعد حرب وحصار فر ابرهيم بك ومراد بك الى البساتين ومن ثم الى الصعيد فدخل اسمعيل بك القلعة . فتوجه عبد الرحمن بك العلوي و بعض جماعته لمنزل يوسف بك وفتك به . ثم قامت تجريدة تحت امرة اسمعيل بك الصغير وتقابلت مع الامراء الذين ذهبوا الى الصعيد وكانت الهزيمة على التجريدة فتحصن اسمعيل بك في متاريس برية بين حلوان والتبين . ثم انتصر عليهم فرجعوا الى الصعيد ودخل اسمعيل بك منتصراً . ثم في ١٩ رمضان خنق اسمعيل بك الصغير)

وفي السنة ١١٩٢ هـ = ١٧٧٨ م وقع الاختلاف بين الامير يوسف والمشايخ النكدية لانه قصر في استخلاص اولادهم المسجونين في صيداء فاتفقوا مع اخويه الامير سيد احمد والامير افندي وارسلوا المشايخ بني جنبلاط جميعاً واتفقوا . فلما علم الامير يوسف بذلك قام من الدير الى غزير وكان ذلك في شهر تشرين الاول (اوكتوبر) . وفي هذه السنة قتل المشايخ بنو ابي علوان ابن عمهم الشيخ ظاهر لانه كان من حزب الشيخ عبد السلام العماد فحضر الامير يوسف من غزير لقصاصهم فرحلوا من البلاد ونزلوا الى عكاء وتعهدوا للجزار انه اذا ارسل معهم عسكراً يسلمونه البلاد . فارسل معهم خيل القبسيس وحضروا الى صيداء ثم طلعوا قدام العسكر الى نهر الحمام حيث عرف الناس بهم فسار اليهم الشيخ كليب نكد ومعه جماعة

من اهل المناصف يوقع بينهم القتال الى وقت العصر فرجعت عساكر الدولة الى الوراء .
وبعد ثلاثة ايام طلعت عساكر الدولة الى البرجين وتوجه الشيخ بشير نكد برجاله ولما وقع
القتال انكسرت رجال الشيخ بشير وقتل منهم جملة اشخاص ورجع عسكر الدولة الى صيداء .
وفي هذه السنة هرب الشيخ واكد نكد وابن عمه الشيخ محمود من قلعة صيداء بواسطة
رجل من ساحل صيداء يقال له حنا بيدر كان يتردد عليهما ففك قيودهما وانزلهما من كوة القلعة
ليلاً فوهباه قرية الوردانية (ولا تزال هذه القرية ملك نسله بيت بيدر للان) . وصار
لقدومهما فرح عظيم في البلاد . وفي هذه السنة نهض الامير اسمعيل بك على اسمعيل
بك الصغير وقتله (ذكرنا ذلك في حوادث السنة السالفة) لانه كان احد الاربعة سناجق
اخوة يوسف بك فهربت بقية السناجق واستغاثوا بعائلتهم المحمدية . فجهز الامير
اسمعيل بك العساكر وارسلهم مع جملة سناجق وكشاف الى قتال السناجق المحمدية .
وبعد خروج عساكر الامير اسمعيل بك من مصر اجتمعت جملة سناجق من عائلة علي
بك الكبير منهم حسن بك الجداوي ورضوان بك وغيرهما . وقالوا هذا الرجل قتل
يوسف بك واسمعيل بك بعد ما تركا عيالهما وتبعاه وفي نفسه ان يقرضنا واحداً بعد
واحد كما فعل علي بك . ومن ثم تعصبوا براي واحد وكاتبوا العائلة المحمدية واتفقوا معهم
سرًّا وارسلوا الى الامير اسمعيل بك يعلمونه ان السناجق المحمدية قد جمعوا جيوشاً
كثيرة وان لم تخرج اليهم بباقي العساكر اخذهم الطمع فينا ولا تقدر على تلافي امرك
معهم فجمع اسمعيل بك من عنده من الرجال وسار قاصداً بلاد الصعيد . ولما وصل
انفردت عنه السناجق القازضغلية وتحولوا الى السناجق المحمدية فلما رأى اسمعيل بك
تلك الخيانة قفل راجعاً الى مصر واخذ مسافة عشرين يوماً بسبعة ايام . وبات
ليلة في مصر على خوف عظيم . وعند الصباح نهض بماله وعياله الى غزة . ومن
هناك الى القسطنطينية واما الامراء المحمدية فكانوا قد ساروا على اثار اسمعيل بك بعد رجوعه حتى
دخلوا مصر وجلس ابراهيم بك شيخاً على البلد . وفي هذه السنة في شهر تموز (يوليو)
توفي الشيخ علي جنبلاط وكان اكبر مشايخ البلاد وقد كبر في السن حتى جاوز الثمانين
سنة فحضر الامير يوسف من غزير الى مناحته واجتمع خلق كثير هناك من اهل البلاد
وغيرهم نحو عشرين الف نفس وبعد دفنه رجع الامير يوسف الى ينبوع الباروك وعقد
ديواناً مع اكابر البلاد وترك الحكم لاخويه الامير سيد احمد والامير افندي ورجع الى
غزير . فكتبت اعيان البلاد الى احمد باشا الجزار بطلب خلع الامير سيد احمد والامير

افندي فابيَّ الطلب · وكان اقصى مراد الجزار ان يكون الاختلاف دائمًا بين اهل البلاد
ليئلاً يتعصبوا عليه · وحضرا لامير سيد احمد والامير افندي الى دير القمر بعيالهما
واطاعتهما اهل البلاد · وفي هذه السنة رجع اسمعيل بك من القسطنطينية الى بلاد الصعيد
فوجد هناك حسن بك الجداوي و باقي عائلة علي بك القاز ضغلية فاتفق معهم · وفي هذه
السنة توفي الامير يونس الشهابي في قرية عبيه فحضر الامير افندي الى هناك ودفنوه في
مقام الامير عبد الله التنوخي الملقب بالسيد · ثم رجع الامير افندي والبعض من بني
عمه الى دير القمر واقاموا له مناحة هناك · وفي هذه السنة في ١١ كانون الاول (يناير)
وقع ثلج عظيم حتى بلغ حدود البحر ينيف عن شبر وفي دير القمر بنيف عن ذراع ونصف ·
وفي هذه السنة بعد رجوع الامير يوسف من ينبوع الباروك الى غزير ابتداء يراسل
اكابر البلاد سرًّا و يبعدهم عن اخويه الامير سيد احمد والامير افندي · وحضر اليه
البعض من مناصب البلاد واتفقوا معه · و بلغ ذلك اخويه فاخبرا الجزار ان اخاهما
يريد تعطيل الاموال السلطانية وطلبا عسكرًا · فارسل الجزار عسكرًا الى حرش
بيروت وحضر بنفسه من صيدا الى بيروت · وتوجه الامير سيد احمد قدام العسكر
الى مدينة جبيل · وجمع الامير افندي عسكر البلاد وتوجه الى الزوق · وحاصر الامير
سيد احمد جبيل وكان اخوه الامير حيدر حاكمًا بها من قبل اخيه الامير يوسف فهرب الامير
يوسف الى بسكنتا واقام الامير سيد احمد على حصار جبيل · وحفر نفقًا في الارض
الى القلعة فلم ينفعه شيئًا وكان الامير يوسف عند وصوله الى بسكنتا ارسل ووعد الجزار
بمائة الف غرش زيادة لاجل حكم البلاد عن يد اسعد بك طوقان الذي كان يومئذٍ
حاكمًا من قبل الجزار · فقبل الجزار ورجع الى صيداء وطلب عسكره · وحضر
الامير يوسف الى بعقلين فهرب الامير سيد احمد ليلاً الى المتن وتبعه الامير افندي
ورجع من كان معهما من حكام البلاد الى اوطانهم وعند وصول الامير
يوسف الى بعقلين حضر اليه الشيخ حسين ابن الشيخ علي جنبلاط · وكان
المشايخ النكدية قد رجعوا الى دير القمر وجمعوا رجالهم وارادوا ان يمنعوا الامير يوسف
عن الدخول الى الدير · ولما حضرت اليه الخلعة ارسل اليهم اسعد بك ابن طوقان
يطلب المائة الف غرش التي تعهد بها للجزار فرحلوا بعيالهم الى بلاد المتاولة · ونزلوا عند
الشيخ نصيف النصار فقبلهم بكل اكرام · ودخل الامير يوسف الى دير القمر باحتفال
عظيم وحضرت اليه مناصب البلاد جميعًا واصلحوا بينه و بين اخويه واحضروهما الى دير

القمر فتصافيا واقاما عنده بمقام ار باب المشورة واعطاهما منازل النكدية و بعض املاكهم وضبط الباقي من املاك المذكورين واموالهم . واخذ اخواه في التفتيش على ودائع الشيخ كليب نكد واولاده فوجد كثيراً منها . وكان بعد رجوع عسكر الدولة من حصار جبيل قد حدث مطر شديد حتى هدم جسر نهر الكلب الذي بناه الملك الظاهر برقوق بعد هدم الجسر الاول الذي كان بناه الملك انطونيوس قيصر كما سبق فصارت الناس تعبر النهر بالقوارب . وكان في هذه السنة غلاء عظيم حتى بلغ ثمن مد الحنطة غرشاً ور بعاً . وكان ثمن رطل الحرير خمسة وعشرين غرشاً ثم ارتفع الى ار بعة وثلاثين . (وفيها غنم الجنرال كاستون الانكليزي مدينة فيلادلفيا في الولايات المتحدة من اميركا . واعلنت فرانسا الحرب على انكلترا . وشرع الاسبانيوليون في حصار جبل طارق . وا كتشفت جزائر ساندويتش . وغدر مراد بك بعبد الرحمن بك فقتله في القاهرة . وحصلت فتنة شديدة اطلقت بسببها المدافع على المدينة . ثم ثارت العساكر وعزلت محمد باشا عزت الوالي وانزلته من القلعة الى الداودية . ثم قام المذكور من الداودية يقصد القصر العيني . ثم ارتحل من مصر)

وفي السنة ١١٩٣ هـ = ١٧٧٩ م وزع الامير يوسف على اهل البلاد مائة وعشرين الف غرش سلمها الى احمد باشا الجزار وأرضى خاطره بها . وفي هذه السنة ارسل الشيخ كليب نكد الى سعد الخوري ان يرجو الامير يوسف بصفو خاطره عليه ويسمح برجوعه الى البلاد وكان بين الشيخ كليب وسعد الخوري محبة عظيمة من قديم الزمان فقبل التماسه ورجع الشيخ كليب واولاده الى البلاد ونزل في المناصف . وكان في هذه السنة ثمن رطل الحرير خمسة وعشرين غرشاً وثمن كيل الحنطه اربعة غروش . (وفيها وصل اسمعيل باشا الوالي الجديد للقاهرة ثم صعد الى القلعة . وحدثت معركة في الازهر بين الشوام والاتراك فعزل الشيخ ابرهيم بك العريشي ظلماً ثم مات المذكور كمداً . ثم حضر امر عالي بنقل اسمعيل باشا والي مصر الى جدة واستبداله بواليها ابرهيم باشا . فنزل اسمعيل باشا واقام بالداودية . ثم توفي ابرهيم باشا والي جدة فاستقر اسمعيل باشا في ولايته على مصر ثانية فصعد للقلعة . وفيها كانت معاهدة صلح تشين بين اوستريا و بروسيا بتوسط فرنسا وروسيا .)

وفي السنة ١١٩٤ هـ = ١٧٨٠ م وزع الامير يوسف مالاً على البلاد سمي بزر بة لانه فرض خمسة غروش على كل ما يربي من شجر التوت اوقية من بزر دود القز . واجتمعت عقال البلاد

الى السمقانية ومشوا جمهوراً الى دير القمر لكي يطردوا الامير يوسف . وكان ذلك بتدبير المشايخ بني جنبلاط والامير سيد احمد والامير افندي لانه اصطلح مع المشايخ النكدية عن غير يدهم وكان هؤلاء قد اتفقوا على الامير يوسف سرًّا واجمع رايهم على اتلاف بصره وقتل سعد الخوري وانهم متى فرغوا من ذلك يرجعون الى المشايخ النكدية فيقتلون من ظفروا به منهم وتمهد لهم السبيل غير انهم كتبوا المشايخ النكدية على الاتفاق معهم خداعاً ولم يظهروا لهم شيئاً مما اضمروه . فوافقهم الشيخ كليب واولاده واظهروا لهم انهم يرغبون في الاتفاق واعلموا الامير يوسف ان القوم يريدون الاتفاق معهم ولا يعلمون السبب فاذن لهم ان يوافقوهم ويعلموا ما في انفسهم فوافقوهم على غش لعدم الثقة بالامير سيد احمد والامير افندي لانهم كانوا اكبر المساعدين لهما في الولاية قبل ذلك فاتفقا مع اخيهما عليهم وضبطا املاكهم ونهبا دوابهم وكانا لهم اكبر الاخصام . (وفيها ابتداءت السلطة الحقيقية ليوسف الثاني على مملكة المانيا عوضاً عن والدته ماري تريز التي توفيت • وحصل في انكلترا تمرد وتعصب ضد الكاثوليك . واعلنت انكلترا الحرب على هولانده . وتغلب ابراهيم بك على ولاية مصر بعدما انزلت الامراء اسمعيل باشا الوالي وهذا الباشا في الاصل سيد مملوكه ابراهيم بك . وشرعت الامراء في جمع تجريدة تحت امرة مراد بك لتلاقي حسن بك ورضوان بك الذي استفحل امره في الصعيد)

وفي السنة ١١٩٥ هـ = ١٧٨٠ م في اول شهر كانون الثاني (يناير) الموافق شهر محرم ليلة الجمعة طلب الامير سيد احمد والامير افندي من الشيخ كليب نكد واولاده ان يحلفوا لهم بكنيسة التلة . واجتمعوا جميعاً في دار الامير افندي لكي يتوجهوا الى الكنيسة وكان المراد بذلك ان يستوثق منهم على حفظ العهد الذي شرحنا عنه فارسل الشيخ بشير نكد الى الامير يوسف واعلمه بما تدبر عليه . وكان عند الامير يوسف قوم من المغاربة فارسلهم ليكمنوا في الحوانيت التي على طريق الكنيسة . وبعد ذلك توجه الامير سيد احمد والامير افندي ومعهما الشيخ كليب واولاده حتى صاروا غربي الكمين فاعتزل الشيخ كليب واولاده وخرجت المغاربة وقبضوا على الامير افندي وادخلوه من باب البهو وكان مفتوحاً للبناء وعند وصوله الى قدام اخيه قتله واما الامير سيد احمد فكان لما رأى اخاه قد وقع في ايدي المغاربة هرب فتبعه العم علي رئيس المغاربة وكان في الميدان حفرة لاجل بناء البهو فسقط الامير سيد احمد فيها فنزل اليه العم علي . وكان بالقرب منه رجل من حاشية اخيه الامير افندي فضرب

العم علي بخنجر في راسه فالقاه صريعاً واخذ الامير سيد احمد بيده وانتشله من الحفرة وهرب الى دار اخيه الامير افندي ولم يأمن ان يلبث هناك فخرج الى القبة وادركه احد حاشيته بفرس اخيه فركب وهرب الى الشوف ونزل ضيفاً على المشايخ بني جنبلاط. وعند الصباح جمع الامير يوسف من كان في دير القمر من بني عمه واخبرهم بما كان. وكتب الى بقية الامراء واعيان البلاد واخبرهم بواقعة الحال دفعاً للملامة عنه بقتل اخيه. ولما وصل الامير سيد احمد الى دار المشايخ الجنبلاطيين في المختارة جمعوا رجالهم وتوجه الشيخ حسين جنبلاط الى العرقوب وقدم للشيخ عبد السلام العماد كمية دراهم ليستميله اليه فقبل الشيخ عبد السلام وعزموا جميعاً على المسير الى الامير يوسف في دير القمر. وكان الخبر قد شاع في البلاد والجميع انكروا ذلك على الامير يوسف وكرهوه لان ذلك لم تكن سبقت به العادة بين بني الشهاب. وكان الامير سيد احمد يدعي ان مراده بالحلف من المشايخ تأكد الاتفاق بينهم فقط دون مضرة اخيه. ولما راى الامير يوسف كراهة البلاد له نهض ليلاً من دير القمر الى عكاء ولم يتبعه من جميع البلاد سوى خدمه والشيخ كليب نكد واولاده وكان ذلك في اليوم الخامس من شهر كانون الثاني (يناير). وعند وصوله الى بلاد المتاولة التقاه الشيخ نصيف النصار ونهاه عن النزول الى عكاء وقال له انه يسلمه بلاد المتاولة ويكون هو تحت يده فما قبل الامير يوسف ذلك وظل سائراً في طريقه. ولما بلغ الجزار قدوم الامير يوسف ارسل عسكره لملاقاته ودخل به الى عكاء باكرام عظيم وطيب الجزار قلبه ووعده بارجاع الولاية اليه. ثم جهز معه ابا عزة بعسكر المغاربة ورجع بعد عشرة ايام الى قرية عانوت. وكان الامير سيد احمد بعد قيام اخيه من دير القمر حضر الى هناك بجميع مناصب البلاد وجلس حاكماً وكتب جميع الاعيان الى الجزار تشكوا اليه من ظلم الامير يوسف ويقولون انهم لا يمكن ان يقبلوه بعد حاكماً عليهم وطلبوا خلعة الولاية باسم الامير سيد احمد. ولكن من عدم ثقة الناس بالامير سيد احمد لكثرة تقلبه ارسل اكثر مناصب البلاد سراً الى الامير يوسف انهم اضطراراً وحياة كتبوا مع الامير سيد احمد ولم يكن احد سالماً من الخيانة مع الامير يوسف غير بني جنبلاط واصحابهم. وبعد ذلك جمع الامير سيد احمد عسكر البلاد لقتال اخيه الامير يوسف وفي ١٨ كانون الثاني (يناير) مشى عسكر الامير سيد احمد مع ابن اخيه الامير قعدان. وقبل وصولهم الى عانوت التقاهم عسكر المغاربة وحاشية الامير يوسف والبعض من بني تلحوق وبني عبد الملك الذين

تركوا الامير سيد احمد وتحولوا الى عسكر اخيه الامير يوسف • ولما وقع القتال انكسرت البزبكية من الخيانة فقتل جملة اشخاص من اهل البلد وقبضت المغاربة على جملة اناس من الدروز ولما احضروهم امام الامير يوسف امر باطلاقهم • وقتل في تلك الواقعة الشيخ حمود[1] العيد وكان احسن طائفته فرجع عسكر البلاد مهزوماً الى دير القمر ورأى الامير سيد احمد خيانة اهل البلاد عليه فعزم على القيام من البلاد واما المشايخ بنو جنبلاط فانهم خافوا من سطوة الامير يوسف وكانوا يعلمون ان قيام دولته بتدبير سعد الخوري فدعوا رجلاً عبداً وتعهدوا له بالف غرش اذا قتل لهم سعد الخوري فانطلق الى شأنه وكان رجل من خدم الامير سيد احمد قد اطلع على ذلك السر فارسل الى سعد سرًّا وانذره بما سيكون • وعند وصول علامة قبض عليه الامير يوسف فاقرّ برسالته فاطلقه سعد وعفا عنه وكان قد تعاظم غرض الامير يوسف في البلاد فاضطر الامير سيد احمد الى القيام من الدير والمشايخ الجنبلاطية الى القيام من الشوف خوفاً من الكبسة • وارسل الامير يوسف الى بني عمه القاطنين في دير القمر ان يرحلوا باسرهم • فعند ذلك نهض الامير سيد احمد ومن معه الى البقاع وحضر الامير يوسف بعسكر الجزار الى الشوف وحضرت اليه مناصب واعيان البلاد • وضبط جميع عقار بني جنبلاط وهدم

---

(١) الشيخ حمود العيد احسن طائفة بيت العيد هو جد فرع المشايخ آل العيد يعرف للان ببطن آل حمود الذي كان له ثلاثة اولاد وهم الشيخ سيد احمد والشيخ خطار والشيخ محمود العيد الذي هو اشهر رجال هذه العائلة وهم من المناصب المشهورين في لبنان وحكام العرقوب الاعلى ولهذه العائلة فرعان او ثلثة اخرى وهم اسرة حاطوم واسرة سرحان والفرع الثاني ومنه المشايخ آل العيد في بعقلين الذين من انسبائهم المدير الحالي الشيخ عبد الحميد ابن الشيخ حمد ابن الشيخ خطار وهذا الفرع اشتهر في الورع والتقوى • واولاد الشيخ سيد احمد الشيخ حسن واولاده الشيخ سليم والشيخ نسيب واولاد الشيخ خطار الشيخ محمد و يوسف بك العيد والشيخ حمود ومات يوسف بك وخلف الشيخ داود والشيخ حمود بقي اعزب • والشيخ محمود وهو اشهرهم وفي ايامه ارتفع شان هذه العائلة لمداخلته وحسن سياسته وغناه فان هذه العائلة كانت ولاتزال من حزب الجانبلاطية وهي تقابل العماديين في العرقوب وفي ايام الشيخ محمود الذي كان حاكم المقاطعة زمناً طويلاً وكان من الاشداء الابطال في الحروب كان لها اسم عظيم • وكان يعتمد عليه

وظلم واذل من كان من حزبهم في البلاد (كآل العيد وآل حمدان و بيت ابي شقرا وآل ابي هرموش وآل العقيلي) . وارسل طلب نفقة العسكر من امراء المتن لانهم قبلوا حريم بني جنبلاط عندهم وارسل جانباً من عسكر الدولة الى ساحل بيروت لاجل قطع اغراسهم التي هناك مع ابن عمه الامير حسن والاظن ابرهيم آغا الذي كان احد آغاوات اللاوند الذين حضروا الى عكاء ثم صار دالي باش فنزلوا في الاشرفية . ثم تداخل الشيخ كليب نكد في الصلح واستعطف خاطر الامير يوسف على امراء المتن فرفع القصاص عن بساتينهم وادوا غرامة خمسة وعشرين الف غرش . وحضروا الى دير القمر وطيب قلوبهم . واما الامير سيد احمد والمشايخ بنو جنبلاط فانهم بعد قيامهم الى البقاع ارسلوا وطلبوا من محمد باشا العظم والي دمشق ان يمدهم بالاسعاف فارسل لهم ثلثمائة خيال . ولما بلغ الامير يوسف ذلك عرض هذا الى الجزار وكان يومئذٍ قد حضر الى صيداء فامر عساكره ان تسير مع الامير يوسف الى حيثما اراد . وتوجه الامير من الشوف وكان ساري العسكر سليم باشا الذي كان مملوكاً للجزار حين حضر من مصر ثم صار باشا على صيداء واغوات العسكر البيرق عبدالله آغا الذي كان في وقعة السعديات ثم صار دالي باش وابو عزة رئيس المغاربة . وحضر العسكر الذي كان في ساحل بيروت وقصدوا البقاع جميعاً . ولما وصلوا الى المغيثة ورأى الامير سيد احمد طلب الامير يوسف انه ارسل سراً يطلب منه الامان وانه ترك بني جنبلاط ويرجع الى طاعته فاجابه الى ذلك . ثم حدثت واقعة بين العساكر في ارض قب الياس وحصل مقتلة عظيمة

كثيراً سعيد بك جنبلاط في اعماله وسياسته . وهو الذي اصلح بين بني شقرا وبين بيت عبدالصمد في عماطور عندما شب الحرب بينهما فدخل بشجاعته بين الفريقين وفصلهما الواحد عن الآخر بعد ما ابتداء الحرب . وله افعال مشهورة في حروب سنة ١٨٦٠ حتى كان يعد مع رجاله من اهم رجال الدروز وله افعال تذكر في واقعة ظهر البيدر وفي زحلة وخلافها وتوفى في قنوات من اعمال حوران لما هرب من امام الدولة لانه كان بين المطلوبين وخلف ولداً واحداً وهو الشيخ فارس العيد ولم ينقص شيئاً عن والده في الشجاعة الا انه كان مسرفاً وعديم الحكمة فبدد كل تركة والده الشهيرة في برهة قصيرة من الزمان . وبذلك انحطت هذه العائلة كثيراً وافتقر افرادها والتزم كثيرون للاشغال الجسدية لتحصيل معيشتهم

وانتصر عسكر الجزار على عسكر الامير سيد احمد . فتوجه الامير سيد احمد ليلاً بخدمه الى المتن وترك بني جنبلاط . ولما رأوا خيانة الامير سيد احمد لهم بعد ما جرت عليهم تلك المخاطر لاجله توجهوا بعسكر دمشق من البقاع الى الظهر الاحمر . ولم يثبت معهم غير الامير بشير ابن الامير قاسم الشهابي لانه كان مرافقاً للامير سيد احمد في ذلك الوقت . فلما قبلهم الامير محمد حاكم راشيا ووقع القتال بينهم وبينه . وكان الامير يوسف قد ارسل جانباً من عسكر الجزار الى هناك فاتصل القتال منه وكانت الموقعة في الظهر الاحمر وثبت الامير بشير قدام عسكر الجزار وقاتل معهم جهده على صغر سنه لانه لم يكن بلغ من العمر اكثر من خمس عشرة سنة . وبعد ذلك رجع عسكر دمشق . فتوسط الامير اسمعيل حاكم حاصبيا بالصلح بين الامير يوسف وبني جنبلاط وتعهدوا له بايراد مائة وخمسين الف غرش نفقة عسكر ورجعوا الى اماكنهم . وصفا خاطر الامير يوسف عليهم . ورجع الامير الى دير القمر وعاد عسكر الجزار الى صيداء . وخافت من الامير يوسف البلاد ودانت له الاحكام . ثم حضر الامير سيد احمد الى دار عمه علي في عاليه وتشفع فيه الامير علي عند الامير يوسف بالصفح عنه ورفع الضبط عن املاكه . فقبل سؤاله وسمح له ان يسكن في الشويفات . وصفا خاطره ايضاً على الامير بشير ابن الامير قاسم واسكنه بالقرب منه في قرية بيت الدين . وكان دائماً يداري خاطره ويخاف منه اكثر من جميع قومه . وحين كان الامير يوسف في علمان وُلد له ولد وسماه بالامير حسين وكان ذلك في ١٨ كانون الثاني (يناير) . وفيها انغلب الاسبانيوليون على جزيرة مينوركا . وانتصر الماركيز دوسوفرين في الهند . وانهزم الاسطول الفرنساوي امام الاسطول الانكليزي . وعقدت معاهدة تجارية بين الباب العالي واسبانيا . وفيها طلب محمد باشا مالك للاستانة ليتولى الصدارة وحضر الوالي الجديد عوضه الشريف علي باشا القصاب

وفي السنة ١١٩٧ هـ == ١٧٨٢ م بعد رجوع احمد باشا الجزار الى عكا جعل يفرغ جهده في امتلاك بلاد بشارة كما امتلك بلاد صفد . وكان المتاولة متحصنين في القلع ومستعدين للقتال . وهم ثلاث قبائل تحت رئاسة ثلاث عائلات وهم بنو علي الصغير ومقدمهم الشيخ نصيف النصار واخوته . وبنو منكر فريق منهم مقدمه الشيخ محمد الحسن وعشيرته . والاخر مقدمه الشيخ حيدر الفارس . وكان عندهم ابطال لا تطاق في الحرب . وكان قد جرى بينهم وبين الجزار وقائع كثيرة ولم يظفر منهم بطائل . فجهز لهم هذه المرة

عسكراً عظيماً . ولما بلغ الشيخ نصيف النصار قدوم العسكر جمع رجاله ونادى بقبائل بني متوال فاجتمعوا اليه من القبائل الثلاثة . لانه كان كبير المشايخ والجميع ينقادون اليه . وسار بتلك العساكر قاصداً عسكر الجزار حتى التقوا بهم فهجم عليهم عسكر الجزار وانتشبت بينهم الحرب . وحمل في مقدمة العسكر الشيخ نصيف النصار ولم يلبث ان اصابته رصاصة في راسه فقتل ثم قتل اخوه الشيخ ابو حمد وكان يعد في الحرب بالف فارس فانهزمت المتاولة واخلت البلاد ودخل عسكر الجزار الى بلاد بشارة وتسلموا قلعة هونين وقلعة يونين وحاصروا قلعة شقيف ارنون وكان بها الشيخ حيدر الفارس وبعد ايام سلم فاخذوها بالامان . ثم قتلوا كل من فيها . وتسلموا قرية صباع وتفرق عسكر الجزار في تلك البلاد . وباد اسم بني علي الصغير وبني منكر . والذين سلموا من الحرب هربوا مع اولاد الشيخ نصيف النصار الى بلاد عكار واجتمعوا بمحمد بك الاسعد . وتملك احمد باشا الجزار تلك البلاد وصفت له الايام . وفي هذه السنة حضر الامير محمد الحرفوش الى دير القمر مطروداً من اخيه الامير مصطفى . فجهز الامير يوسف معه عسكراً واقام عليه البعض من بني عمه والبعض من مناصب البلاد . وكان عدد العسكر نحو خمسة الاف رجل . ولما وصلوا الى بلاد بعلبك هرب الامير مصطفى واولاده الى حمص . وتولى الامير محمد بلاد بعلبك . والتقى الامير مصطفى في طريقه بعبدالله باشا والي طرابلس وهو متوجه الى الحج ووعده بخمسة وعشرين الف غرش اذا جعل طريقه على بعلبك فابى وسار معه الامير مصطفى الى دمشق ومكث هناك ورجع عسكر الامير يوسف الى البلاد وتمهدت ولاية بعلبك للامير محمد . واقام الامير مصطفى في دمشق حتى رجع عبد الله باشا من الحج فرجع الى بعلبك بعسكر من رجال الدولة . وهرب الامير محمد باسرته ومعه جماعة من بني الحرفوش فاقاموا في المجدل التي في جرد المتن واصلح الامير مصطفى امره مع الامير يوسف ونقده المعتاد المرتب عليه واقام حاكماً في بلاد بعلبك . وفي هذه السنة ولد للامير يوسف ولد وسماه الامير سعد الدين . وفيها تسلم الامير يوسف اقليم جزين وجبل الريحان من المشايخ بني جنبلاط . وجعل تصرفهم فيهما من يده . ثم فرض جزية في البلاد وسماها شاشية لانه كان ياخذ من كل رجل غرشين وارسل لجباية هذا المال الامير مراد ابن الامير منصور الشهابي . وكان قبل ذلك عين جزية اخرى وجمع بها اموالاً كثيرة فاجتمعت اهالي البلاد في خان الحسين واتفق رأيهم ان لا يقبلوا جباة الامير ولا يعطوهم

شيئاً . وكان الامير مراد في الشويفات فمشوا ضده وطردوه واهانوا حاشيته ومن معه و بطل التوزيع . فعظم ذلك على الامير يوسف وعلم انه من بني جنبلاط و بني يزبك فارسل خيالة الى الشيخ عبد السلام العماد واخذ منه عشرة الاف غرش . وفي هذه السنة حضر والياً على طرابلس الاطن ابرهيم الذي تقدم الكلام عنه انه كان من جملة اغوات القبسيس ثم صار دالي باش ثم صار باشا على القدس ثم انتقل الى طرابلس فاقام عثمان الشديد احد المراعبة حكام بلاد عكار متسلماً تحت يده وتزوج بابنته . (وفيها حاصر الفرنساويون والاسبانيوليون جبل طارق ضد الانكليز . وفيها كان اصعاد اول بالون من ورق . وحدثت معاهدة صلح بين فرانسا واسبانيا وانكلترا . وحدثت زلزلة عظيمة في مسينا مات فيها ٤٠٠٠٠ . وكان طاعون في الاستانة)

وفي السنة ١١٩٨ هـ = ١٧٨٣ م توفي محمد باشا العظم والي دمشق وحضر مكانه محمد باشا ابن عثمان باشا الصادق الكرجي . و بعد ثلثة اشهر توفي . فحضر مكانه اخوه درويش باشا . وكان محمد باشا العظم وزيراً جليلاً عاقلاً حسن التدبير وكان مولعاً بالخيل الجياد حتى قيل انه كان عنده خمسمائة فرس من جياد الخيل لاجل ركوبه . و بعد تولي درويش باشا على دمشق ارسل عسكره لكبس الامير مصطفى الحرفوش في بعلبك فقبضوا عليه وعلى اخيه وسبوا حريم بني الحرفوش ونهبوا المدينة واخذوا الامير مصطفى واخاه الى دمشق فامر درويش باشا بشنق الامير مصطفى وارسل من قبله متسلماً (حاكماً) الى بعلبك فعدل في حكمه وارتاحت الرعايا ورفع عنهم المظالم التي اجرتها عليهم الامراء بنو الحرفوش . وكان يقال له سليم آغا . وفي هذه السنة ارسل الامير يوسف متوسلاً الى الجزار ان يسلمه حكم مرج عيون . وكانت بيد خاله الامير اسمعيل حاكم حاصبيا الا انها لم تكن تابعة ايالة دمشق مثل وادي التيم بل تابعة ايالة صيداء . وكان حاكم حاصبيا يودي عنها كل سنة الى والي صيداء ستة الاف غرش . وكانت نفقات حاكم حاصبيا ونفقات اولاد عمه واكابر بلاده كلها تحصل من مرج عيون . فلما انعم الجزار بها على الامير يوسف ارسل وكيلاً من قبله لضبط محصولاتها فبلغت خمسين الف غرش . فتضايق الامير اسمعيل من ذلك وحضر الى دير القمر يتحبب الى الامير يوسف ووعده بخمسة وعشرين الف غرش اذا سمح له بمرج عيون فلم يسمح والح عليه بالسؤال حتى انه قبل قدميه فلم يزل مصراً على رده . ورجع الامير اسمعيل الى بلاده خائباً . و بعد رجوعه نزل الى عكا ووعد الجزار بثلثمائة الف غرش على حكم جبل

الشوف فقبل الجزار ولكن طلب منه ان يكون معه شريك من بني الشهاب القاطنين في الجبل لاجل استئناس الرعايا . فارسل الى ابن اخته الامير سيد احمد وكان يومئذٍ قاطناً في الشويفات فتوجه حالاً الى بيروت وسافر في البحر الى عكا . فانعم عليهما الجزار والبسهما خلعة الولاية وارسل معهما عسكرًا الى صيداء . وكان الشيخ قاسم ابن الشيخ علي جنبلاط من حزبهما لان الامير يوسف كان قد رفع يده عن اقليم جزين وجبل الريحان كما ذكرنا . وكان الجزار قد اقام عسكرًا في جباع من الارناووط . فلما بلغ الامير يوسف قدوم عسكر الجزار مع اخيه وخاله الى صيداء جمع عسكرًا من البلاد وارسله الى جزين مع البعض من بني عمه . ووقع بينهم وبين الارناووط جملة معارك وقتل من الارناووط ماينوف عن المائتي نفس . وحضرت الى الامير يوسف اولاد المشايخ المتاولة الذين كانوا هاربين من الجزار الى بلاد عكار فاكرمهم وقواهم بالخيل والسلاح فتوجهوا الى بلادهم وكبسوا متسلم قلعة يونين وقتلوه وطردوا عسكر الجزار الذي كان مقيماً في بلاد المتاولة . وفي ٢٢ حزيران (يونيو) حضر الامير اسمعيل والامير سيد احمد الى قرية علمان . وحضر امر من الجزار الى الشيخ قاسم جنبلاط فتوجه الى هناك . وظهرت الخيانة في البلاد . فارسل الامير يوسف اهل بيته الى المتن وخرج من دير القمر الى الجرد . ثم انتقل الى بسكنتا . فحضر الامير اسمعيل والامير سيد احمد ومعهما الشيخ قاسم جنبلاط وعسكر الجزار الى دير القمر . وحضرت اليهما اعيان البلاد وسلمت لامرهما . ثم ان الامير اسمعيل ركب بعسكر الجزار المغاربة الى الباروك . وركب الامير سيد احمد بعسكر الفرسان الى حرش بيروت فنهض الامير يوسف ورجع الى المتين . وحضر اليه كتاب من حسن باشا ابن اخت حسن باشا غازي انه حضر في مراكب اميرية وسار ساري عسكر البحر من قبل خاله وانه لا بد يتوسط له مع احمد باشا الجزار فاطمأن الامير يوسف وامل بالفرج . ولكن الجزار لم يقبل كلام حسن باشا . ثم حضرت مشايخ البلاد الى الامير يوسف من قبل الامير اسمعيل طالبين ان يكون الامير يوسف حاكماً في بلاد جبيل من تحت يدخاله فلم يرض الامير يوسف . وقام من المتن الى جرد كسروان ثم الى بلاد جبيل . فقام الامير اسمعيل الى بسكنتا ثم الى ينبوع الحديد بالقرب من قرية لاسا . وقام الامير سيد احمد بالخيالة الى البترون . ولما رأى الامير يوسف طلب خاله واخيه له نهض الى جرد عكار الى بلاد صافيتا والتقته ولاة تلك البلدان وقدمت له الذخائر والاكرام . وحضر اليه الشيخ صقر المحفوظ من بني شمسين

حاكم بلاد صافيتا وانزله في قرية سرستان المقابلة مدينة طرابلس واقام هناك ثلثة ايام فحضر اليه كتاب من المعلم ميخائيل السكروج الذي كان يومئذٍ مدبر الجزار وحضر معه الى بيروت وكان الكتاب باسم سعد الخوري نائب الامير يوسف يقول له فيه ان يرجع بمولاه الامير وان الوزير يطيب قلبه و يعيده الى ولايته · فنهض الامير يوسف من ساعته ورجع بمن معه من بلاد النصيرية الى عكار ثم الى الكورة · فلما بلغ الامير سيد احمد رجوع الامير يوسف علم ان ذلك لابد ان يكون عن اتفاق مع الجزار فهرب بالعسكر من البترون الى جبيل · وكان الامير اسمعيل بعد ما بلغه وصول الامير يوسف الى صافيتا توجه الى وطاء الجوز وكان جميع الامراء الشهابيين واكابر البلاد عنده · ولما وصل الامير يوسف الى قرية حبالين في بلاد جبيل كتب الى الجزار يستعطف خاطره فرجع اليه الجواب انه ان حضر اليه فليكن طيب القلب والخاطر والا فليس له قبول · وارسل المعلم ميخائيل السكروج الى سعد الخوري ان يحضر بمولاه ولا يخاف فتوجه الامير يوسف ومر على باب مدينة جبيل واخوه الامير سيد احمد بها · ولم يزل سائراً الى بيروت · وقبل دخوله ارسل كل من معه من الامراء والمشايخ وغيرهم الى حدث بيروت مع غندور ابن سعد الخوري (هو جد غندور بك الخوري المعروف) · ودخل الامير يوسف الى بيروت ومعه سعد الخوري والبعض من حاشيته · ومن هناك ذهب ودخل على احمد باشا الجزار وفي عنقه منديل الخضوع فطيب الجزار قلبه · وبعد ساعة نزل الى الميناء وطلب الامير يوسف فحضر وعند وصوله نزل الجزار الى سفينة وامر الامير يوسف بالنزول معه فخاف جداً ولكن لم يكن له سبيل الى الخلاف فنزل ومعه خادم فقط · وبقية حاشيته اخذهم معه سعد الخوري وتوجه بهم براً الى عكا · والذي كانوا في الحدث هرب كل منهم الى مكانه وغندور الخوري اختفى في صليما عند الامير علي ابي اللمع · واما الامير اسمعيل فلما بلغه نزول الامير يوسف الى بيروت هرب من وطا الجوز الى بسكنتا · وهرب الامير سيد احمد من جبيل ورجع العسكر الى بيروت · ولما بلغ الامير اسمعيل والامير سيد احمد توجه الوزير والامير يوسف الى عكا · ورجعا الى غزير وكتبا الى الجزار يعدانه بخمسماية الف غرش اذا حصلا على قتل الامير يوسف · وكان رسولهما الشيخ محمد القاضي (هو جد القاضي المشهور في جبل لبنان في اكثر مدة الامير بشير الذي كان له ملك عين سلقايا وغيرها بجوار دير القمر وقد باع اكثرها الشيخ حسين القاضي الذي كان غضب عليه الامير يوسف وهرب الى حوران فرجع لهما جواب اطمئنان وانه لا يغير

ميثاقه معهما فمضيا الى عيثات الى الغرب الاعلى واجريا الباص على جميع البلاد لكي ينقدا الجزار ما تعهدا به اليه . واما الامير يوسف فانه بعد وصوله الى عكاء اكرمه الجزار وجعله مطمئناً وتعهد له بالف الف غرش اذا خوله حكم البلاد مقبوضة في ثلاثة اشهر . فقبل الجزار بذلك لعلمه ان البلاد ترغب في حكم الامير يوسف وان الامير اسمعيل ليس له خبرة في امور بلاد الشوف وطرقها وقل من يقبله من اهلها . وفي الحال انعم على الامير يوسف وخلع عليه وجهزه من عكاء بعسكر من رجاله وابقى عنده سعد الخوري رهناً على المال الذي تعهد له به . وسار الامير يوسف من عكاء نهار الاحد في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) الموافق لغاية ذي الحجة . وتوجه الامير اسعد ابن اخي الامير اسمعيل الذي كان عند الامير يوسف مطروداً من عمه كما مر والامير محمد حاكم راشيا بعسكر من قبل الجزار الى حاصبيا . واما الامير يوسف فانه بعد خروجه من عكاء واصل سير الليل بسير النهار حتى دخل دير القمر قبل طلوع الفجر وما علم به احد . وكان الامير اسمعيل والامير سيد احمد هناك فاحاط عسكر الامير يوسف بالدير والقى القبض على الامير اسمعيل ومن معه ووضعه في السجن ولما احس الامير سيد احمد بالامر هرب ونجا معه جماعة من خاصته . وكان الشيخ محمد القاضي قد هرب الى دار الشيخ كليب نكد فعلم الامير يوسف بمكانه واحضره الى السجن مع الامير اسمعيل وعذبه وكان حنقاً عليه لمسيره بتلك الرسالة الى الجزار فعذبه عذاباً اليماً حتى ان المغاربة الموكلين به كانوا يقطعون لحمه و يطعمونه منه . ثم سملوا عينيه وقطعوا لسانه . واما الخيالة التي كانت في البلاد من قبل الامير اسمعيل والامير سيد احمد فكل من كان عنده واحد منهم القى القبض عليه فامر الامير يوسف ان يأخذوا اسلحتهم و يطلقوهم وسجن بعضاً منهم واخذ منهم مالاً . ثم اطلق الشيخ محمد وجميع المسجونين و بقي الامير اسمعيل في السجن والحراس عليه ليلاً ونهاراً . وكان الامير بشير الذي في حاصبيا اخو الامير اسمعيل واولاده قد اتاهم نذير بوصول العسكر فهربوا الى حوران . وهرب الامير سيد احمد الى هناك وانضم اليهم . و بعد مدة رجع وانزوى في بيت اخيه الامير يوسف في المتن . ولما بلغ غندور الخوري حضور الامير يوسف الى دير القمر حضر وتسلم الخدمة مكان ابيه وانتقم الامير يوسف من كل من تظاهر من البلاد مع الامير اسمعيل واخذ من المشايخ بني جنبلاط اموالاً جزيلة لاجل تظاهرهم السابق في اول الثورة . (وفيها حضر محمد باشا السلحدار والي مصر الجديد وصعد الى القلعة وسافر مراد بك الى منية ابن خصيب

غضباناً . ثم حضر مراد بك بجمع كبير الى بر الجيزة وخرج الامراء الى المعادي ومن بعد المكالمة في الصلح وعدم الاتفاق صار اطلاق نيران المدافع من الطرفين مدة ٢٠ يوماً ورحل بعدها مراد بك بمن معه الى الصعيد . ثم حضر مراد بك ثانية الى غمازة فتحصن ابرهيم في القلعة فسار مراد بك الى قناطر ابي المنجي ونزل هناك ثم رجع الى مصر ورحل ابرهيم بك مختفياً الى الوجه القبلي واصبح مراد بك منفرداً في مصر حتى انه عزل محمد باشا السلحدار واستولى على مصر . وفيها كانت معاهدة الصلح بين انكلترا والولايات المتحدة . واسس فالنتين هاوي مدرسة للعميان في باريس واكتشف هرشل تسطيح كوكب المريخ واكتشف الفلكيون بركاناً في القمر)

وفي السنة ١١٩٩هـ = ١٧٨٤ م تقدمت الشكايات من مصر الى الباب العالي على العائلة المحمدية ابرهيم بك ومراد بك ومن يليهما لانهم بعد ما تمكنوا من الاحكام ركبوا مطية الغرور وظلموا الرعايا وارباب الوجاقات واتصلوا الى الافرنج وهدموا كنائسهم فتقدمت عليهم الشكوى من جميع الطوائف وكان خاطر الدولة متكدراً من الامور السابقة فبرز الامر العالي لحسن باشا غازي قبطان العمارة الهمايونية ان يسير بالعساكر البحرية الى مصر فينتقم من هذه العائلة الفاجرة ويقيم مكانها من يقوم بحق الولاية فسار حسن باشا بالمراكب الى الاسكندرية ثم الى رشيد ولما بلغ الاسرة المحمدية قدومه تركوا مصر وهربوا الى الصعيد ودخل حسن باشا الى مصر وضبط بيوتهم وباع املاكهم ونساءهم واولادهم واقام مكانهم ستة سناجق . واقام منهم علي بك مقام شيخ البلد الى ان يحضر اسمعيل بك وكتب الى اسمعيل وحسن بك الجداوي ورضوان بك الذين كانوا مطرودين . فحضروا واقام اسمعيل بك شيخاً على البلد . ثم اخرج عسكراً الى الغز المحمدية مع عابدين باشا وجوبان اوغلي ولما تقابلت العساكر كانت النصرة للغز المحمدية . وظهر في هذه المعركة لاشين بك مملوك مراد بك فخاض في جواده في تلك العساكر حتى وصل الى شرخ الفلك وهو رماح من حديد مركوزة في الارض صفاً كالحائط ومن ورائها العساكر فلما وصل اليها لاشين بك اراد ان يقفز بجواده من فوقها ويدخل بين العسكر التي خلفها فاصابته رصاصة فقتل وتعجبت عساكر الاتراك من هذه الجسارة العظيمة ورجعوا الى مصر وهم يشكون مما لقوه من قتال هؤلاء الابطال . وكان اسمعيل بك لما رأى تلك العساكر قد خرجت الى قتال الغز المحمدية خاف على انقراض دولة الغز فارسل اليهم يشجعهم ويقوي عزائمهم وبعد ذلك ابتدأ حسن باشا يظلم الرعايا اشد من ظلم الغز وصار خوف عظيم على

النصارى وسلب منهم اموالاً جزيلة وامرانهم , لا يركبون الخيل ولا يستخدمون مسلماً ولا يسمون احداً باسم مشترك مع المسلمين كيوسف ونحوه ولا يكون لهم بيوت عالية ولا ملابس زاهية الالوان · وفي هذه السنة في مدة هذا الوزير حدث موت عظيم في المواشي · وكانت تصاب البهائم بمرض كالطاعون وفقد في هذه المملكة كثيرٌ من مواشيها وتضايقت الناس من ذلك · وكانت مدة حسن باشا في مصر سنتين · وفي مدته عمرت الوجاقات وثبتت القناصل الافرنجية واستخلص ما كان لهم من الديون وشيدوا الكنيسة المهدومة في الاسكندرية · وفي هذه السنة وزع الامير يوسف على جميع البلاد من امراء ومشايخ اموالاً جزيلة وجمع كثيراً من المال وارسل الى الجزار ما كان تعهد به · وفيها في شهر ربيع الاول الموافق لشهر كانون الثاني (يناير) توفي الامير اسمعيل في سجن الامير يوسف فاخفى الامير يوسف موته خوفاً من الجزار لانه كان ارسل اوصاه به وظل السجانون ملازمين الحراسة عليه مدة ثلاثة اشهر بعد وفاته · وفي هذه السنة حدث وباء (طاعون) في بيروت وامتد الى الجبل وكان سببه فارس الدهان لانه كان زاد الاتاوة للجزار على يونس نقولا الجبيلي وتسلم ديوان بيروت · وحدث انه اقبل مركب من مصر فيه مرضى بهذا الداء فقبله فارس الدهان فسرت العدوى الى اهالي بيروت واكثر اهالي الجبل · وفي هذه السنة في ٢٩ ايلول (سبتمبر) توفي الامير فارس ابن الامير يونس الشهابي في قرية مجدل معوش · وفيها توفي الشيخ حسين ابن الشيخ علي جنبلاط وكان على جانب عظيم من الحكمة وسداد الراي · وفي هذه السنة حضرت اوامر من الدولة العلية الى احمد باشا الجزار ان يرجع والياً على ايالة دمشق الشام · وتوفي بالوباء سليم باشا الذي كان مملوكاً عند الجزار وحضر معه من مصر فارسل الجزار يطلب رتباً لمملوكيه سليمان وسليم الصغير فاقام سليم باشا على ايالة صيداء وسليمان باشا على ايالة طرابلس · ثم سار الجزار من عكاء الى جبل نابلس لاجل تحصيل الاموال السلطانية مصحوباً بسعد الخوري · ومضى سعد من هناك الى القدس الشريف · ثم رجع فاخذه الجزار معه الى دمشق بكل اكرام ولما اراد الجزار الخروج الى الحج امر باقامة سعد في قلعة دمشق الى حين رجوعه · وارسل الى الامير يوسف ان يقبض على المشايخ المتاولة الذين كانوا نازلين في قرية مشغرة · فارسل قبض على سبعة عشر منهم وارسلهم الى عكاء الى سليم باشا فامر بشنقهم

ولامت الناس الامير يوسف على ذلك لانهم كانوا قد نزلوا في بلاده باذنه واستامنوا به . وفي هذه السنة كان ثمن رطل الحرير ١٩ غرشاً وكيل الحنطة ستة غروش . وكان الذهب المشخص باربعة غروش ونصف . والاسلامبولي بثلاثة غروش وربع والمصري بثلاثة غروش والاحمدي باربعة غروش والريال الافرنجي بغرشين وربع . (وفيها رجع ابرهيم بك بعد ما صالح مراد بك . وتقلد ابرهيم بك القائمقامية . وحدث طاعون بمصر ومات به و بالحمى خلق كثير . وحصلت فتنة في الاسكندرية بين الاهالي واغاوات القلعة بسبب قتيل قتله احد تابعي رئيس العساكر فقبض عليه الاهالي وحلقوا نصف لحيته وشهروه على حمار . وفيها حصلت ثورة في الازهر فقفلت بسببها الجوامع وصار المجاورون يخطفون ما يجدونه في الاسواق بسبب قطع رواتبهم)

وفي السنة ١٢٠٠ هـ = ١٧٨٥ م بعد رجوع احمد باشا الجزار من الحج مرض سعد الخوري بداء الاستسقاء واشرف على الموت فاذن له الجزار بالرجوع الى البلاد وحضر في هودج واحتفلت به الناس ولاقوه الى الطريق . وكتب له الامير يوسف الاخ العزيز (اي رقاه الى رتبة المشيخة لان الاصطلاح عندما يكتب الامير لاحد العوام الاخ العزيز يكون رقاه الى رتبة المشايخ ومن نسله المشايخ آل الخوري في رشميا وعين تراز ومنهم غندور بك وولده الذي ارتقى الى رتبة الباشاوية مؤخراً ومن هذه العائلة الشيخ بشارة الخوري الفقيه الذائع الصيت وخلفه ولده خليل بك الخوري وهي عائلة من اعيان ومناصب النصارى في لبنان وهم على جانب من الثروة وخصوصاً آل غندور بك وولده) وفي وصوله قصد جبور الجندي الطبيب في زوق مصبح ثم انتقل الى جبيل وفي خامس شهر اذار توفي . وكان الشيخ سعد رجلاً عاقلاً سديد الراي جسوراً على مواجهة الدوَل وهو الذي ربّى الامير يوسف واخوته . وارتقى الامير يوسف الى تلك الدرجة بحسن تدبيره وكرمه ونظم المعلم الياس اده تاريخاً لوفاته فقال

فلا ريب بعد السعد لاشيءَ فاخرُ وقد قرحت بالدمع منا المحاجرُ
لقد غبت ياشمس الكمال فارعدت فرائصنا والحزن للقلب فاطرُ
وفاضت مياه الدمع منا فما لنا وحقك قلب بعد فقدك صابر
وليل الشقا فينا اكفهرّ ظلامه وضاقت علينا بالفراق السرائر
لتبكِ المعالي بعد بعدك حسرةً كما لبست ثوب الحداد المفاخر

اياالوذعيا كان للدهر سيداً ومن كفه للجود هام وهامر
عليك من الرحمن اضعاف رحمة ورضوانه ماناح في الروض طائر
وما قال بالاحزان فيك مؤرخ فلاريب بعد السعد لاشيء آخر

سنة ١٧٨٦ م

وفي هذه السنة امتد الطاعون في اكثر البلاد وكان رديئاً جداً ومات به كثير من الناس . (وفيها وصل والي مصر الجديد محمد باشا يكن وصعد الى القلعة . وفيها سافر مرادبك للوجه البحري لاخذ ضريبة لمشترى طريق وهدم وحرث القرى التي تتاخر . وثارت اهل الحسينية بسبب مافعله حسن بك الجفت من النهب والهجوم على البيوت . وثار المجاورون الصعايدة بسبب نهب سفينة لاحد تجارهم . وحدثت معركة في طنطا بسبب نصف ريال ضربه الكاشف على كل جمل يباع في السوق مدة المولد . وفيها احضر مراكب وعساكر عثمانية لرشيد واسكندرية بقيادة القبطان حسن باشا لردع البكوات . فنهض وفد لمقابلته وسافر مرادبك مع رجاله لمصادمته فلم ينجح فدخل القبطان باشي حسن الى مصر وصعد الى القلعة وهرب مرادبك وابرهيم بك الى الصعيد

وفي السنة ١٢٠١ هـ = ١٧٨٦ م بعد رجوع احمد باشا الجزار من الحج حضر له امر شريف من الباب العالي برجوعه الى ايالة صيداء لانه كان قد تقدمت عليه شكايات كثيرة من اعيان دمشق بسبب ظلمه لهم فسلم المحمل وتوجه الى عكاء وتولى مكانه حسين باشا بطال . ثم عزل سليمان باشا مملوك الجزار عن طرابلس وحضر مكانه اظن ابراهيم باشا . فاقام نائباً له عثمان بك الشديد من المراعبة (اي بيت مرعب) . وفي هذه السنة ارسل الامير يوسف كتاب اطمئنان للامير بشير اخي الامير اسمعيل حاكم حاصبيا فحضر من دمشق الى دير القمر . وعند وصوله قتله بيده وكان معه عبد الله مالك نائب الامير محمد حاكم راشيا . وكان قد ظهرت منه خيانة ضد الامير يوسف فقبض عليه واخذ منه اثني عشر الف . ثم سمل عينيه وابقاه في السجن ثم قتله . وفي هذه السنة بعد دخول بطال باشا الى دمشق الشام ارسل محمد آغا العبد الذي كان حاكماً في البقاع متسلماً على بلاد بعلبك وكان قد رجع الامير جهجاه ابن الامير مصطفى الحرفوش فجمع عسكراً وكبس محمد آغا في بعلبك وقتل جماعة من اصحابه وهرب محمد آغا الى دمشق . وكان الوزير يومئذ قد هم بالخروج الى الحج فلم يتمكن من ارسال عسكر الى بعلبك . وفي هذه السنة صار ثلج عظيم حتى امتد الى البحر وكسا المراكب . وفيها توفي الامير مراد ابن الامير منصور الشهابي . وفيها في ٣٠ تموز (يوليو) ارسل الامير يوسف محمد آغا المغربي

وجماعة معه فكبس اخاه الامير سيد احمد في الرمتانية وفقا عينيه واتوا به الى دير القمر ثم ارسله الى بيته في عبيه . وكان الامير سيد احمد من حينما هرب من دير القمر لما حضر اخوه من عكاء وقبض على الامير اسمعيل اقام مدة في البقاع ثم حضر الى بيت الامير يوسف في صليما مستشفعًا فاعطاه الامان ورفع الضبط عن املاكه وسكن في بحمدون . ولكنه بقي على حذر ولبثت الحراس عنده الليل والنهار . ولما طال الامر ورأى اخاه متغافلاً عنه استامن وخرج الى الرمتانية لاجل الصيد فحصل له ما كان . وفي هذه السنة نال الشيخ غندور ابن الشيخ سعد الخوري وظيفة القنصلية الفرنساوية وكتب له الامير يوسف جناب الاخ العزيز قنصل بك المحترم في نصف طلحية ورق (اي نال رتبة المشيخة كالاعيان) وصار له جاه عظيم واتته الهدايا والخدم من جميع البلاد . وفي هذه السنة كان الامير محمد الحرفوش ملتجئًا الى الامير في دير القمر ملتمسًا رجوعه الى بلاده فحدث له مرض ومات هناك فمشى الامير يوسف قدام جنازته باحتفال ودفنوه في تربة بني الشهاب . (وفيها اسست كاترينا الثانية ملكة روسيا مدينة سباستبول . وكانت معاهدة سانت بطرسبرج بين فرنسا وروسيا . واكتشف هرشل قمري الكوكب اورانس . ونودي في مصر بابطال المعاملة بالذهب الفندقلي . واستلم عابدين باشا الشريف ولاية مصر بدلاً من محمد باشا يكن . وغلت الاسعار فعزت الاشياء وقل وجودها وزاد الضيق بموت الابقار في سائر الاقليم البحري حتى وصل الى مصر . وفيها سجن سفير روسيا في الاستانة)

وفي السنة ١٢٠٢ هـ = ١٧٨٧ م رجع حسن باشا قبطان الى القسطنطينية وارتقى في الاحكام الى ان صار وزيراً اعظم ومات مسموماً هناك . وبقي اسمعيل بك شيخ البلد في مصر . واتخذ كثيراً من المماليك . وصارت مماليكه ومماليك حسن بك الجداوي الفا وار بعماية مملوك وكان قد عزم ان لا يقاتل الا بمشترى ماله خوفاً من خيانة العسكر وعمرت الوجاقات في ايامه عماراً عظيماً وارتاحت الرعايا واطمأنت . واتخذ ايضاً عساكر كثيرة من الارنا ووط والاروام وسار في موكب عظيم واخذ يبني في الجزيرة خارجاً من مصر اسواراً وحصوناً لاجل منع الغز الخارجين من مصر . وفي تلك الايام حضر الى مدينة دمياط رسول من عند الملكة كاترينا سلطانة المسكوب بمكاتيب باللغة التركية الى امراء مصر اسرة محمد بك ابي الذهب تذكر لهم فيها انه قد وصل اليها عرض حالهم وصار معلوماً لديها انهم قد جعلوا اتكالهم عليها فهي قد اجابت سؤالهم وامرت بخروج

عمارة عظيمة ثلثمائة وثمانين مركباً . فيها خمسة واربعون الف محارب . ولما وصل هذا الرسول الى دمياط اخبروه ان اسرة محمد بك ابي الذهب قد طردتهم الدولة العلية الى بلاد الصعيد . وان والي مصر يومئذٍ اسمعيل بك بامر الدولة . وهو لا يمكن ان يقبل هذه المكاتيب وربما يخشى عليه منه ان يقتله . فقال الرسول ان لا بد له من الوصول اليه حسب امر مولاته . فارسل وكيل جمرك دمياط اخبر اسمعيل بك بذلك . فامره ان يرسل الرسول الى بولاق فارسله . وعند وصوله حضر اليه اسمعيل بك فاخذ المكاتيب منه ورجع به الى مصر . وفي الغد عقد اسمعيل بك ديواناً واحضر فيه القضاة والعلماء والاعيان واراهم تلك الكتب فاجمع رأيهم على ارسالها الى الدولة العلية فارسلها ورفع الرسول الى القلعة السلطانية . واما عمارة المسكوب فحين خرجت الى البحر وارادت الخروج من بوغاز السيسي اعترضتها عمارة سلطان السويس ومنعتها عن الخروج . وصار بينهم حرب هائلة وغرق كثير من مراكب الفريقين ورجعت العمارة المسكوبية فغضبت الملكة كاترينا غضباً شديداً واشهرت الحرب على سلطان السويس فانتصرت عليه انتصاراً بليغاً وقبضت عليه قبض اليد واستولت على مملكته واهلكت منها خلقاً كثيراً . وبعد ذلك عقدت معه الصلح ورجع كل منهما الى مملكته . وفي هذه السنة في ٢٤ حزيران (يونيو) الموافق ١٥ رمضان نهار الاربعاء في الساعة الثالثة انكسفت الشمس وصارت ظلمة على الارض ساعة ثم انكشفت وبعد خمسة ايام امطرت السحب ووقع من البرد قطع كبيرة مثلثة ومربعة . وفي هذه السنة بعد رجوع بطال باشا من الحج عزل عن دمشق وتولى مكانه اظن ابرهيم باشا . وبعد دخول ابرهيم باشا الى دمشق ارسل عسكره الى بلاد بعلبك وكبس الامير جهجاه الحرفوش فانكسر عسكر الدولة وقتل منهم جماعة . ثم ارسل الامير يوسف استعطف خاطر ابراهيم باشا على الامير جهجاه ورجع الى حكم بلاد بعلبك . وفيها طلب الوالي ضريبة وافرة من الاهالي باسم قرض فلم يودوها واهانوا الشيخ العروسي وسعوا في قفل باب الجامع الازهر . وحصلت معركة بين اهالي بولاق والعسكر بسبب فسادهم وفسقهم واذيتهم السوقة وخطفهم الاشياء بدون ثمن وبلغت قربة الماء ١٥ فضة وزاد الطاعون . ونهبت العرب قافلة الحجاج مع ٦٠٠٠ جمل للتجار واسروا النساء ثم باعوهن لاصحابهن عراة وثارت جماعة من المغاربة والشوام بسبب الجراية وقفلوا في وجه الشيخ العروسي باب الجامع الازهر .)

وفي السنة ١٢٠٣ ﻫ = ١٧٨٨ م توفي السلطان عبد الحميد وكانت مدة جلوسه

على تخت الملك ١٦ سنة وهو السابع والعشرون من ملوك آل عثمان والثاني والعشرون منهم في القسطنطينية وعمره ٦٦ سنة وكانت مدة حكمه خمس عشرة سنة وثمانية اشهر

الفصل الثاني والعشرون (تابع الجزء الاول)

في سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى وهو ٢٨ من آل عثمان و٢٣ في القسطنطينية

وعند موت السلطان عبد الحميد جلس مكانه السلطان سليم ابن السلطان مصطفى وكانت الدولة العثمانية في ايام السلطان عبد الحميد قد تعبت في الحروب تعباً عظيماً وتملكت الدولة النمساوية قلعة بلغراد وتملكت الدولة المسكوبية قلعة الاوزي ومن سواحل البحر الاسود مقداراً عظيماً . وحين جلس السلطان سليم عقد الصلح بين الدولتين واسترجع بلغراد من النمسا وجملة قلع من المسكوب . وبقيت قلعة الاوزي واقليم قرمان بيد الروسيين . وفي هذه السنة توجه الامير علي ابن الامير اسمعيل حاكم حاصبيا وابن عمه الامير يوسف الى عكاء فقبلهما الجزار وطيب قلبيهما فخشي الامير يوسف الكبير من ذلك وجمع من البلاد مالاً جزيلاً وارسله الى الجزار . وارسل المعلم ميخائيل البحري الشاعر الحمصي برسالة الى الجزار فقبض عليه وابقاه في السجن . وفي هذه السنة بعد رجوع الاظن ابرهيم باشا من الحج قامت عليه اهالي دمشق ومنعوه عن الدخول وكان رئيسهم احمد آغا ابن الزعفراني فانصرف الباشا الى حمص وعرض الحال الى الدولة فحضر امر برجوعه الى دمشق فطلب من الامير يوسف عسكراً فارسل له الامير اسعد حاكم حاصبيا ومعه عسكر من البلاد فدخل ابرهيم باشا الى دمشق وتملك القلعة وهرب احمد آغا الى حلب . وكان عثمان باشا الشديد والي طرابلس توجه الى ابرهيم باشا فقبض عليه وسجنه مدة طويلة ثم اطلقه فتوجه الى وطنه في عكار . وفي هذه السنة توفي الامير اسمعيل ابو اللمع وكان اكبر امراء المتن وله فطنة جيدة وراي سديد . وفي هذه السنة انعم الجزار على الامير علي ابن الامير اسمعيل بحكم وادي التيم واصحبه بعسكر فكبس ابن عمه الامير اسعد في حاصبيا وقبل ان يصل هرب الامير اسعد الى راشيا . ثم توجه الى جبل نابلس وشكا امره الى ابرهيم باشا . وفي هذه السنة في اليوم

الثالث من شهر ايار (مايو) قامت المماليك على الجزار واطلقوا عليه اربع رصاصات فاصابته وجرح جرحًا سليمًا وهرب المماليك الى دار سليم باشا . وكان السبب ان الجزار بلغه ان بين المماليك والخيالة خناء في داره فعزم على قتلهم وترقب الى ان دخل بعضهم من باب السر فهجم عليهم يريد قتلهم فاطلقوا عليه الرصاص كما ذكرنا وخرج سليم باشا والمماليك من عكاء وتبعته اغوات العسكر والساري محمد دالي باش والشريف علي ومحمد اغاشوشان اغوات الموارة . وابو عزة رئيس المغاربة . وما بقي عند الجزار من جميع العسكر سوى الشالق عثمان قائد الارناووط ومشماش اغا مع بعض مغاربة . وسار سليم باشا وسليمان باشا بالعسكر الى صور وضبطوا جميع ايالات الجزار. وحضرت اليهم المتاولة والصفدية وسلموهم امو بلادهم . وارسل سليم باشا الخلع الى الامير يوسف واستبشرت الناس بذلك وتوقعوا انقراض دولة الجزار . ثم رجع سليم باشا بالعساكر الى نواحي عكاء واقام عليها الحصار . وفي ٢٨ ايار (مايو) جمع الجزار كل من عنده من العسكر واضاف اليه البنائين والفعلة واقامهم على السور . وعول على النزول ليلاً في البحر والتوجه الى مصر . وكان عنده في ذلك الوقت الشيخ محمد القاضي الذي فقأ عينيه الامير يوسف وقطع لسانه وكان قد صار يستطيع الكلام . فاشار عليه ان يخرج الرجال الذين عنده ليلاً بالمدافع والات الحرب ويكبس عسكر المماليك ويتأهب للسفر فان ظفر بهم اغناه الله . والا فالسفر لا يفوته . فقبل الجزار رأيه . فامر العسكر الذي عنده بالخروج ليلاً واخرج معهم المدافع على العجلات ولما قربوا من عسكر سليم باشا اطلقوا المدافع فانتبه العسكر مذعوراً ولم يجد له سبيلاً غير الفرار فانكسرت تلك العساكر وقتل منهم مقتلة عظيمة اكثرها من قتل بعضهم البعض . لانهم لم يفرقوا بين الصاحب والعدو . وهرب سليم باشا الى دمشق وسليمان باشا الى دير القمر . ومعه ابرهيم ابو قالوش ونفر قليل من حاشيته فاستأمن الجزار بعد ذلك وقتل جميع السراوي والمماليك التي بقيت في عكاء . واما سليم باشا فانه بعد مسيره الى دمشق اقام اياماً وسافر الى القسطنطينية وتقدم في الوظائف ثم صار شاري عسكر في حرب المسكوب ومات بالوباء . وبعد تبديد تلك العساكر استخدم الجزار عوضهم القوا محمد دالي باش وعبد الرحمن الطوير هواري باشي وبعض اغوات وجنود . وفي شهر آب (اوغسطس) ارسل احمد باشا الجزار الامير علياً ابن الامير اسمعيل وابن عمه الامير يوسف من حاصبيا والامير محمد من راشيا وارسل معهم عسكراً الى البقاع برجال وادي التيم ومعهم

محمد اغا العبد بمائة خيال من وجاق الدولة لقتال سليمان باشا والامير يوسف . فارسل اليهم الامير يوسف عسكراً من رجال البلاد مع البعض من اولاد عمه وسليمان باشا وحضر ايضاً الامير جهجاه الحرفوش بعسكر من بلاد بعلبك واجتمع عسكر الامير يوسف في قب الياس فرجع عسكر الجزار الى ينبوع الفالوج فوق كامد اللوز . وعند العصر في ٢٥ تموز (يوليو) وصل اليهم عسكر الامير يوسف وانتشبت بينهم الحرب في وادي ابي عباد فانكسر عسكر الجزار كسرة عظيمة وساق عسكر الامير يوسف وراءهم الى خربة روحا وقتل منهم في ذلك اليوم اكثر من ستين قتيلاً . وعند المساء بات عسكر الامير يوسف في تلك القرى الى الصباح وانتقل الى الظهر الاحمر ومنها الى راشيا فهربت امراء حاصبيا والامير محمد الى عكاء . وفي ٢٨ تموز (يوليو) سار عسكر الامير يوسف وبات عند النهر الحاصباني . وعند الصباح حضر الخبر ان الامراء رجعوا من عند الجزار بالفي فارس مع القرا محمد وعبد الرحمن الطوير . فرجع عسكر الامير يوسف الى القرعون في البقاع . وكان قد رجع اكثر العسكر الى البلاد وما بقي مع قواد الامير يوسف سوى خمسمائة رجل والبعض من امراء المتن ومشايخ البلاد وفي تلك الليلة رجع الامير جهجاه الحرفوش الى بلاده فانتقل الباقي من العسكر الى الخريزات (ينبوع ماء قرب الخربة غربي البقاع) . وكان الامير يوسف ارسل الى حمص استخدم الشريف علي آغا ومحمد آغا شوشان وفي ذلك الوقت حضر الى البقاع بمائتي فارس وفي ٧ آب (اوغسطس) وصل عسكر الجزار الى القرعون . وحضرت خيل الهوارة المذكورة الى الخريزات . وعند العصر مشى عسكر الجزار الى نواحي جب جنين فالتقته الدروز والهوارة الى الطريق وانتشب بينهم القتال فانكسر عسكر الامير يوسف وقتل منه مقتلة عظيمة وهرب من سلم منهم الى ينبوع الباروك . وفي ١٧ آب جمع الامير يوسف عسكر البلاد وارسلهم مع سليمان باشا والهوارة الى عين دارة فالتقوا بعسكر الجزار في قب الياس فانكسر ايضاً عسكر الامير يوسف ورجع الى دير القمر . وكان الامير يوسف من اول هذه الثورة قد ارسل عسكراً من البلاد الى جزين مع بعض اولاد عمه والشيخ قاسم جنبلاط . وكان للجزار عسكر في جباع فصار بينهم جملة وقائع انكسر عسكر الامير يوسف بها . وفي ٢١ آب توفي الشيخ كليب ابو نكد وكان عضداً للامير يوسف ورأى الامير يوسف ان الخيانة قد ظهرت في البلاد من بني جنبلاط وغيرهم وانه لا يقدر على مقاومة الجزار فصرف عسكر الهوارة وتوجه سليمان

باشا وابرهيم ابو قالوش الى نواحي طرابلس وارسل الامير يوسف حريمه الى المتن وجمع اكابر البلاد . وطلب منهم ان يختاروا لهم حاكماً من اولاد عمه القاطنين في الجبل خوفاً من ان يحكم احد من امراء وادي التيم . وكان الجزار قد طلب الامير بشير ابن الامير قاسم الشهابي الذي كان امره الامير يوسف بالاقامة في بيت الدين . وعلم الامير يوسف ان الجزار يريد ان يعطيه الولاية فوقع عليه اختيار الجمهور وارسله الامير يوسف الى عكاء واعطاه كلما يلزمه من نفقة وغيرها وعاهده انه لا يضره

الفصل السادس

في ابتداء ولاية الامير بشير قاسم عمر الكبير

(تنبيه ان ولاية الامير بشير المذكور لم تستمر زمناً طويلا لانه تولى مدة ثم خلع وتولاها الامير يوسف ثم رجع للولاية الامير حيدر والامير قعدان . ثم ارجع الامير بشير للولاية ثم اولاد الامير يوسف ولم يستقل بالولاية حتى اباد جميع اعدائه ومقاوميه وذلك سيأتي الكلام عليه في الجزء الثالث المخصص لولايته

وفي ٢٢ آب توجه الامير بشير الى عكاء . وفي اخر الشهر رجع حاكماً على البلاد ومعه عسكر من قبل الجزار الف جندي من المغاربة والارناؤوط وعند وصوله الى صيداء توجه الامير يوسف من دير القمر الى بيصور في الغرب الاعلى ومعه اكثر الامراء الشهابية واكثر مشايخ البلاد . ولما وصل الامير بشير الى دير القمر حضرت اليه المشايخ الجنبلاطية والنكدية والشيخ عبد السلام العماد . وفي ٢٢ ايلول (سبتمبر) انتقل الامير يوسف من الغرب الى حمانا في المتن ومعه بعض الامراء الشهابيين وبعض المشايخ فحضرت اليه امراء المتن . وفي ذلك الوقت حضر امر من الجزار مع الشيخ محمد القاضي الى الامير بشير ان يقوم بعسكره ويطرد الامير يوسف من جميع البلاد . فارسل الامير بشير اعلم الامير يوسف بذلك وطلب منه ان يقوم الى نواحي جرد كسروان فتوجه الامير يوسف الى بسكنتا وانتقل الى وطاه الجوز وسار الامير بشير بعسكر الجزار الى بوارش فارسلت اهالي المتن الى الامير يوسف ان يرجع وهم يقاتلون قدامه فرجع وعند وصوله الى المتن انتقل الامير بشير الى الجدل وفي الحال حضر اليه اكثر اهل المتن فارسل الى الامير يوسف ان يقوم الى بلاد جبيل والا ينهض في اثره الى اكثر من اطراف البلاد حسب امر

الجزار · فرجع الامير يوسف بمن معه الى بلاد جبيل وعند وصوله الى جبة المنيطرة انتقل الامير بشير بعسكر الجزار ومشايخ البلاد الى وطاء الجوز فانتقل الامير يوسف الى لحفد · وعند وصول الامير بشير الى وطاء الجوز صار سباق فسقط الشيخ بشير ابو نكد عن فرسه وغاب عن رشده فحملوه الى عجلتون و بقي هناك اياماً لا يعي على احد ثم حملوه في سرير الى دير القمر · وقام الامير بشير من هناك الى العاقورة ورأى الامير يوسف ان الامير بشير لا يزال مجداً في طلبه ولا يقدر على حفظ عهده خوفاً من الجزار فجمع رجال جبة بشرة والمشايخ الحمادية بمن يتبعهم وارسلهم مع الذين كانوا معه الى وادي المجات وهو مكان صعب المسلك لا تجوزه الخيل الا على الطريق فقط وكمنوا هناك وكان ذلك في اول شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ولم يكن للامير بشير علم بذلك حتى وصل العسكر الى الوادي · فثار في وجوههم الكامنون واعملوا فيهم السلاح فانكسرت المغاربة والارناووط وقتل منهم مقتلة عظيمة ·وطمع فيهم عسكر الامير يوسف ·فعند ذلك هجم الامير بشير والاغوات وردوا العسكر الى القتال فكسروا عسكر الامير يوسف كسرة عظيمة · وقتل الشيخ ابو دعيبس جنبلاط وجماعة من العسكر ·وهرب الامير يوسف الى جبة بشرة · ووصل الامير بشير الى لحفد واقام هناك ينتظر العسكر الذي كان طالبه من الجزار · وكان الجزار قد ارسل له الف خيال على ساحل البحر · وفي ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) وصلت الخيل الى البترون وحضر كتاب من محمد الاسعد متسلم طرابلس الى الامير يوسف ·وكان صديقاً له ينذره بان عمه عثمان باشا الشديد وزير طرابلس امره ان يسير بالعسكر من طرابلس ليكبس الامير يوسف في قرية اهدن فلما وصل كتاب محمد الاسعد الى الامير يوسف قام صباحاً بمن عنده من اهدن على طريق جبل المسقية الى بلاد بعلبك وبات في طاريا · وكان قد ارسل الامير اسعد حاكم حاصبيا الى ابرهيم باشا وزير دمشق عن يد الملا اسمعيل دالي باش فحضر منه جواب الطمئنان · فانتقل الامير يوسف من بلاد بعلبك الى الزبدانة وارسل الى ابرهيم باشا يعلمه بقدومه ويستعطف خاطره فحضر اليه الجواب بهذه الصورة

« افتخار الامراء العظام مستجمع المحامد الكرام · الامير يوسف الشهابي زيد اقباله ·

ننهي اليك اننا قد علمنا ان مرامك الاقامة في قرية الزبدانة فذلك مفوض اليك اينما شئت الاقامة في داخل حكمنا وذلك مقبول لدينا وكل من اتى اليك من رعايا الشوف وغيرهم فليكن في راحة البال ولاجل طمأنينتكم وابعاد الفكرة عنكم قد اعطي لكم

من لدننا راي الله وامان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ٠ ثم امرنا الذي لا ينتقض ٠ وبناء على ذلك قد اصدرنا اليكم هذا من ديوان دمشق الشام مع منديل الراي والامان فان شاء الله بوصوله اليكم واطلاعكم على مضمونه تطيبون قلباً وتقرون عيناً ٠ فاعتمدوا على رأينا هذا غاية الاعتماد ٠ حرر في ١٧ جمادي سنة ١٢٠٣ هـ ٠ وبعد ذلك حضر الى الامير يوسف كتاب من ابرهيم باشا يطيب قلبه به ويأمره بالقيام الى نواحي دمشق ٠ فقام الامير يوسف الى قرية منين شرقي المدينة واقام هناك ثمانية اشهر ٠ وفي تلك الايام حضر اليه كتاب من ابرهيم باشا وهذه صورته ٠ « افتخار الامراء الكرام الموقرين ولدنا العزيز المكرم الامير يوسف المحترم سلمه الله تعالى ٠ غب ابلاغ تحيات فاخرة ٠ وتسليمات عاطرة ٠ واشواق وافرة الى رؤياكم في كل خير ٠ نبدي اليكم انه قد احاط علمنا من القادمين بانه حاصل لكم رشح فلا بأس هذا شيء يصير لكثرة رطوبة الهواء ٠ وبلغنا حضوركم الى قرية منين فسرنا ذلك وجميع المحلات محلاتكم فحيثما شئتم النزول انزلوا ٠ لانكم خاصة لنا ومن اخص المتقربين الينا وانتم اولادنا ان شاء الله كلما ترجونه منا تنالونه فوق مامولكم ٠ لانكم متمسكون باذيالنا وبعد الان لا تقطعوا اخباركم عنا مع مايلزم لكم منا يكون معلومكم ذلك والسلام ٠ وفي هذه السنة بعد ان وصلت حريم بني الحرفوش الى دمشق ارسل ابرهيم باشا متسلماً الى بعلبك يقال له ابرهيم آغا فعدل في حكمه واحبته الرعايا ٠ وفيها ايضاً توفي الامير علي ابن الامير اسمعيل حاكم حاصبيا وكان له من العمر ١٧ سنة ٠ وكان شجاعاً عاقلاً فصيحاً وتولى بعده ابن عمه الامير يوسف وكان بخيلاً جداً الا انه كان صاحب معرفة ودهاء ٠ وفي هذه السنة وقع ثلج عظيم حتى صار على ساحل البحر نصف ذراع ٠ وفيها اطلق الجزار مخائيل البحري الذي كان مسجوناً عنده بعدما صلم اذنيه وجدع انفه ٠ (وفيها انتصر العثمانيون على يوسف الثاني ملك هنكاريا في واقعة لوجوش ٠ وكان تأسيس جريدة التيمس الانكليزي ٠ ورفع عابدين باشا من مصر وتولى مكانه اسمعيل باشا التونسي ٠ واكتشف هرشل دوران زحل وسادس وسابع اقماره ٠ وقررت حكومة فرنسا حرية المطبوعات)

وفي السنة ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م كان الشيخ محمد القاضي قد حضر مع الامير بشير من عكا بمنزلة نائب له فحضر اليه كتاب من الشيخ غندور الخوري ان يستعطف خاطر احمد باشا الجزار على الامير يوسف فتوجه الى عكا لاجل ذلك ٠ ولما بلغ الامير بشير نزوله الى عكا عرض الى الجزار مقصوده فامر بقتله ٠ وكان الشيخ محمد على جانب عظيم من الحكمة والدهاء والجراءة وكان يتكلم بعد ان قطع الامير يوسف لسانه كما مر ونظم

بعضهم في قتله هذا التاريخ

هلك القاضي وكنا نبتغي في الجرن دقه
وجميع الناس كانت تشتهي بالنار حرقه
انما الباشا عليه بتّ حكماً فاستحقه
قال لما ارخوه احذفوا بالسيف عنقه

وفي هذه السنة بعد رجوع الاظن ابرهيم باشا من الحج انعم على الامير يوسف بحكم بلاد جبيل . فرجع في شهر ايار (مايو) من منين الى بلاد جبيل . ولما بلغ ذلك الجزار ارسل عسكره الى حوش (حرج) بيروت وامر الامير بشير ان يسير اليه . ولما بلغ الامير يوسف حضور عسكر الجزار رجع الى نواحي دمشق وفارقه الشيخ غندور الخوزي واختفى في قرى الضنية . وبعد وصول الامير يوسف الى الزبداني صرف من كان معه من حاشيته الى نواحي حوران وارسل عرضحال الى الجزار يطلب منه الامان والاذن بالحضور الى عكاء فاعطاه الامان واذن له بالحضور . فحضر حتى دخل على الجزار وفي عنقه منديل التسليم فطيب قلبه واعطاه الامان . واقام عنده خمسة اشهر بكل اكرام . ولما حضر الامير يوسف الى عكاء خشي الامير بشير من نقض العهد عند الجزار لما يعهد من تقلبه . وصار يجتهد في تقديم الوسائل اليه . وبعد ذلك طلب الامير يوسف من الجزار ان ينعم عليه برجوعه الى ولايته . وتعهد له بايراد ستمائة الف غرش على سنة كاملة . فاجاب الجزار سؤاله وطلب حضور الشيخ غندور لكي يبقى في عكاء رهناً على ايراد المال . فطلب له كتاب الامان فاعطاه وحلف له انه لا يصادف منه الا كل ما يسره . فحضر الشيخ غندور ونال من الجزار كل اعزاز واكرام . وفي هذه السنة في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ولد للامير بشير ولد وسماه الامير قاسم باسم ابيه . وفيها حضر الامير اسعد ابن الامير سليمان من حاصبيا ملتجئاً الى الامير بشير فاعطاه حكم حاصبيا وارسل معه عسكراً . فهرب الامير يوسف ابن الامير فارس الى دمشق . وارسل الامير اسعد يتعهد الى ابرهيم باشا بقدر من المال على قتله فقتله . وفي هذه السنة رجعت ايالة دمشق الشام الى احمد باشا الجزار . وتوجه ابرهيم باشا الى بلاد الروم ومات هناك . وارسل الجزار متسلماً من قبله الى دمشق يقال له محمد آغا ابن عرفا اميني وبقي الجزار في عكاء . وفي هذه السنة حضر الى دير القمر الامير قاسم ابن الامير حيدر الحرفوش ملتجئاً الى الامير بشير فارسل معه عسكراً ليرفع الامير جهجاه عن حكم بلاد بعلبك ويولي الامير قاسماً

مكانه · وحين وصل العسكر الى بلاد بعلبك التقاهم الامير جهجاه وكسرهم وسلب منهم كثيرًا من الخيل والسلاح ولم يرد ان يقتل احدًا منهم وأسر الامير مراد ابن الامير شديد ابي اللمع · ولما وصل امام الامير جهجاه اطلقه مكرمًا · ثم ان الامير قاسمًا جمع عسكرًا من بلاد الشوف و بلاد بعلبك وكبس ابن عمه الامير جهجاه في مدينة بعلبك فخرج اليه برجاله والتقوا خارج المدينة فهجم الامير قاسم على الامير جهجاه الى وسط العسكر وقبل وصوله اليه اصابته رصاصة فقتلته · وكان شجاعًا كريمًا كوالده ولم يكن ظالمًا مثل بقية بني الحرفوش · وكان له من العمر سبع عشرة سنة · (وفيها استولى اهل اوستريا على بلغراد · واتحدت بروسيا مع تركيا · واخترع نيكلسون الانكليزي اول مطبعة ميكانيكية · وحصلت معاهدة بين بروسيا و بولونيا ضد روسيا · وقررت حكومة فرانسا ان الشعب هو الذي يامر بالصلح او بالحرب)

وفي السنة ١٢٠٥هـ = ١٧٩٠ م حدث في مصر طاعون شديد فكان كل يوم يموت في المدينة ماينوف عن خمسة الاف وفي ايام كثيرة كان يموت بنحو عشرة آلاف وكان اكثر فعله في المماليك · وفي يوم واحدا قيم على المدينة ثلاث ولاة وماتوا ومات اسمعيل بك شيخ البلد · وخلت بيوت كثيرة من الغز · وعقدوا ديوانًا واقاموا شيخًا على البلد عثمان بك الطويل · و بلغ ابرهيم بك ومراد بك ان اسمعيل بك قد مات فاقبلا من اراضي الصعيد الى جهة مصر فخافت الامراء الذين في مصر · واجتمع الامير عثمان بك الطويل وحسن بك الجداوي وعلي بك مدير الشاويشية وعثمان بك حسن واجمع رايهم على ان يقسموا العسكر فرقتين · حسن بك ورجاله فرقة الى طراي لمقابلة ابرهيم بك · وعثمان بك ورجاله فرقة الى وراء الجبل لمقابلة مراد بك · وكان عثمان بك مضمرًا في نفسه ان يسلم المدينة الى مراد بك لانه كان خائفًا من كثرة رجال المحمدية ومن شراسة اخلاق حسن بك الجداوي · ثم خرجوا من مصر على هذا الترتيب · ولما وصل مراد بك الى وراء الجبل ارسل اليه عثمان بك ان يدخل مصر ولايخشى · فحضر اليه ودخل به المدينة و بلغ ذلك حسن بك ففر هاربًا الى الصعيد · ثم دخل ابرهيم بك وجلس على تخت القاهرة واشترك مع مراد بك في الاحكام وسكن مراد بك في الجزيرة خارج المدينة وصنع جملة مراكب ووضع فيها عساكر غريبة وتمكنت · العائلة المحمدية من مصر وقويت شوكتهم · واتخذوا كثيرًا من المماليك والاغوات · واضعفوا الوجاقات اضعافًا شديدًا وسطوا على املاكهم وافنوا جميع الأسر القديمة · وكانت مدتهم امان وراحة للرعايا وحصل الرخاء في ايامهم

وزادت زمرة الغز عن عشرة الاف من كل بطل شديد . وكان كبيرهم ابرهيم بك حسن الشمائل حميد الخصال قريب الرجوع الى الخير . فضم اخوته وعاشرهم بمعروف فمالوا اليه ووثقوا به وخضعوا له قولاً وفعلاً . وداموا على تلك الصولة عدة سنين . وفي هذه السنة حضر السيد احمد ابن عمر ديوس حاكماً على البقاع . وكان ابوه سابقاً مدبراً عند الامير ملحم في بيروت . ولما توفي الامير ملحم رحل عمر بعياله الى دمشق . وكان يتردد على الامير يوسف ويخدمه في بعض المهمات حتى نزح الامير يوسف من البلاد كما ذكرنا . فتوجه السيد احمد الى دمشق . وبعد حضوره حاكماً على البقاع حضر الى دير القمر فاتهمه فارس نصيف مدبر الامير بشير انه كان السبب في نزول الامير يوسف الى عكاء وان الامير يوسف كان يرسل المكاتيب الى الجزار عن يده فالقى الامير بشير القبض عليه وقتله . وفي هذه السنة في اول شهر كانون ثاني (يناير) حضر خبر من الامير يوسف من عكاء ان احمد باشا الجزار انعم عليه بحكم بلاد الشوف وارسل الى اخيه الامير سيد احمد ان يرسل له ولده الامير حسيناً ليتركه في عكاء رهناً على المال الذي تعهد به للجزار . ففرح كل من كان من حزبه واستبشرت اصحابه بذلك . ولما علم الامير بشير بذلك نهض من دير القمر الى نيحا في الشوف . لانه لم يكن له صديق في البلاد غير الشيخ قاسم جنبلاط ابن الشيخ علي جنبلاط . وحضر الى دير القمر الامير سيد احمد اخو الامير يوسف وابن اخيه الامير قعدان بالنيابة عن الامير يوسف الى ان يحضر من عكاء . وحضر اليهما البعض من الامراء الشهابيين ومشايخ البلاد ينتظرون قدوم الامير يوسف . وكان الامير يوسف قد اتفق مع الجزار انه يقدم كل شهر خمسة وسبعين الف غرش . وان يبقى الامير حسين ابن الامير يوسف والشيخ غندور الخوري عند الجزار رهناً على ايراد المال . ويحضر فارس الشدياق مع الامير يوسف عوض الشيخ غندور . ولما رأى الامير بشير ان ليس له سبيل نزل الى عكاء . وتعهد للجزار كل شهر بمائة وخمسة وعشرين الف غرش . فقبل الجزار وانعم عليه بالرجوع الى الحكم . وامر على الامير يوسف وعشرة اشخاص من خدمه بني الدحداح وسمعان البيطار وفارس الشدياق وابن ابي مراد بالسجن . وبقية الذين مع الامير يوسف امر باخذ عمائمهم واسلحتهم واطلاقهم بعد ذلك . وفي الحال البس الامير بشير خلعة الولاية ورجع الى البلاد في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ومعه الامير حسين ابن الامير يوسف واخوه الامير حيدر . ولما حضر الامير بشير الى دير القمر هرب كل من كان

اجتمع هناك من حزب الامير يوسف . وقبض الامير بشير على كثير من اهل البلاد . وفرق الخيالة في كل مكان حتى ان البعض من اهل البلاد تركوا اوطانهم ونزحوا الى خارج البلاد . وكانت الخيالة المطالبون بالاموال عند بني شهاب وعند بقية الاعيان من الامراء والمشايخ . وعند الرعايا عموماً والح عليهم بالطلب والاستعجال والقى الرعب في قلوب مناصب البلاد وجميع الناس . ولم يكن احد يخلو من وجود محصلين عنده في البلاد غير الذين كانوا معه . فكانت الاملاك تباع بابخس الاثمان حتى بلغ ثمن كرم الزيتون الذي ينتج قنطار زيت ثلاثين غرشاً وكان هذا الظلم كله من مدبريه فارس نصيف وجدعون آغا الترك . وارسل الامير بشير الاموال التي جمعها الى الجزار كما تعهد له وارضاه . وكان في هذه السنة كيل القمح بغرشين وكيل الشعير بغرش . وفيها وشي ابو عسكر يونس نقولا الجبيلي من بيروت بفارس الدهان من بيروت ايضاً عند الجزار فقبض على فارس واخذ منه مائة الف غرش . وكان ابو عسكر متسلماً ديوان بيروت ففهمن فارس الديوان وسعى عند الجزار حتى قبض على ابي عسكر واخذ منه خمسين الف غرش واطلقه . فحضر الى بيروت ومات . وكان رجلاً عاقلاً وديعاً . وكان الديوان في تسليمه من ايام حكم الامير ملحم في بيروت ولم يتغير عن وظيفته . وفي نصف شهر اذار (مارش) حضر فارس الدهان الى بيروت وتعهد للجزار ب ٢٥٠ الفاً مقابل باص النصارى الذين في بيروت . واحضر امراً بالقبض عليهم وقبض على الجميع . وفي اثناء ذلك حضر الى عكاء لياس نصير الى بيروت وزاد على فارس الدهان في باص النصارى . وكتب في ذلك دفتراً بثمانمائة الف غرش . فقبل الجزار وارسل بذلك الى فارس الدهان . فقبل فارس بتلك الزيادة تحت قتل لياس نصير . فامر الجزار بقتله . وقبض فارس الدهان على جميع النصارى في بيروت بامر المتسلم وسجنهم واقام عليهم العذاب حتى باعوا كلما يملكونه . وكان المسلمون يشترون كل املاك النصارى قيمة الالف بمائة فما دون حتى لم يبق عندهم شيء علاوة عن العذابات التي كابدوها . حتى قيل ان رجلاً من اكابرهم خرج من السجن بكفالة ليسعى في المطلوب منه فلم يتيسر له شيء منه وعلم انه سيعود الى سجنه وعذابه فالقى نفسه في البحر ومات غريقاً . ولكن الله انتقم من فارس الدهان والهم الجزار فالقى القبض عليه . وارسل الى بيروت عثمان اغا جاويش متسلم صيدا فاوقف اضطهاد اهالي بيروت وسجن فارس الدهان . واقام عليه العذاب الشديد واخذ منه مائة الف غرش . ومات تحت العذاب فكانت شماتة اهل بيروت به سلوة

لهم عن تلك المصيبة · ونزحت بعد ذلك اهالي بيروت الى الجبل · وفي هذه السنة في اول شهر رمضان الموافق شهر ايار حصل ثورة في البلاد ضد الامير بشير · وطرد الاهالي محصلي الاموال من المتن فجمع رجاله وقام من دير القمر الى عين دارة · وكان معه نحو ثلثمائة نفس مغاربة · وحضرت اليه مناصب البلاد خوفاً منه وكان الجميع لهم يد في تلك الثورة · ثم ارسل الامير بشير ابن عمه الامير حيدر بخمسين شخص الى كفر سلوان ليلقي القبض على اناس من طوائف المتن من بني حاطوم الذين كانوا منشأ هذه الثورة · فاستنجد الناس بعضهم بعضاً عليهم · واجتمعت اهالي المتن الى هناك ودام القتال بينهم حتى فرغ البارود من اصحاب الامير · فدخلت اهالي المتن الى القرية وتسلموها · وقتل من اهل المتن في تلك المعركة خمسة قتلى ومن اصحاب الامير ثلاثة · ثم خرجوا من القرية ورجعوا الى عين دارة · واجتمعت اهالي المتن في حمانا · وحضر الامير حيدر ابن الامير ملحم الى دار ابن اخيه الامير قعدان في عبيه وحضرت الى هناك المشايخ النكدية وبعض المشايخ من بني عماد · فلما بلغ الامير بشير ذلك رجع من عين دارة الى الدير وارسل الى الامير حيدر والامير قعدان ان يرفع البلص عن البلاد وكل من عليه سند بالمال المطلوب منه رجع اليه فارتضوا بذلك · وحضر الامير قعدان والمشايخ النكدية الى الدير ورجع الامير حيدر الى مكانه · وكان الامير بشير قد عرض الامر الى الجزار وطلب منه عسكراً · فارسل له الف جندي من الارناووط الى حرش بيروت مع الشلق عثمان · وفي اول شهر حزيران (يونيو) ارسل الامير بشير اولاد عمه والبعض من مشايخ البلاد من غير بني عماد الى حدث بيروت لاجل قصاص اهل المتن · وقال الامير بشير للجزار ان تلك الثورة التي حدثت في البلاد جميعها بتدبير الامير يوسف وغندور الخوري لاجل تعطيل الاموال المطلوبة الى الخزينة فامر الجزار بقتل الشيخ غندور · وقيل انه حالما اخذوه للقتل مات خوفاً قبل ان يقتلوه · وبعد مدة يسيرة امر بشنق الامير يوسف · واما بقية حاشيته الذين كانوا بالسجن فتعهد الامير بشير عنهم بخمسين الف غرش واخرجهم ما عدا سمعان البيطار · وفي الخامس من حزيران حضر عسكر الجزار الى البقاع مع الامير اسعد حاكم حاصبيا · وتوجه الامير حسن اخو الامير بشير الى هناك وصار بينهم وبين اهالي المتن جملة وقائع · وكان الامير حيدر ابن الامير ملحم في العبادية وعنده امراء المتن واهلها · ولما حضر العسكر الى ساحل بيروت لاجل قصاص اهل المتن توجهوا الى هناك وصار بينهم وبين الارناووط حرب فانكسرت اهالي المتن واتت اهالي الغرب والجرد والشحار عند سماع الاستنجاد

وظهرت الخيانة في البلاد · وحدثت معركة بين اهل دير القمر والمغاربة الذين هناك فقتل ثلاثة انفس من المغاربة · ورأى الامير بشير ان جميع اهالي البلاد قد خانوه فاخذ المغاربة الذين في الدير وتوجه الى صيداء · وطلب الارناووط الذين في حرش بيروت ان يحضروا اليه · فامسك المشايخ النكدية عليهم طريق السعديات · ولما وصلوا الى هناك ثاروا في وجوههم فقتلوا منهم نحو مائتي قتيل وغنموا اسلابهم · وفي اثناء ذلك حضر امرٌ من الجزار الى الامير بشير ان يتوجه الى ساحل بيروت ليكون قريباً من المتن · ومن هناك يرسل عسكراً الى المتن على طريق الساحل وعسكراً على طريق الجرد من البقاع · فرجع الامير بشير ومعه الارناووط ومائتا فارس دالاتية مع خستا محمد وهوارة مع ابن رمضان · ولما وصل الى صحراء الشويفات لاقته اهالي الغرب والشحار · وفي ٢٠ تموز (يوليو) وقع القتال بينهم غربي ذلك المكان · وكان الامير بشير شجاعاً في الحرب فهجم عليهم برجاله وكسرهم وقتل منهم نحو ٢٠ قتيلاً ودخل في طريقه الى الحرش · وبعد وصوله الى هناك حضر اليه البعض من اولاد عمه والمشايخ · وكان عنده جماعة من بني جنبلاط وغيرهم كانوا توجهوا معه الى صيداء ورجعوا معه لى هناك · واما اهل المتن و بقية البلاد فاجتمعوا والفوا فيلقين وساروا الى العبادية وقب الياس · وفي ٢١ تموز (يوليو) طلع عسكر الارناووط واحرق الشياح ورجع · فارتفع صوت النجدة في البلاد ونزل العسكر من الغرب والمتن الى حرش بيروت وانتشب بينهم القتال فانكسر عسكر البلاد · وقتل منه نحو ٣٠ جندياً · ولو لم يرفق الامير بشير بهم ويرجع بالعسكر من الشياح لم يسلم منهم غير القليل · ورجعوا بعد ذلك الى الشويفات · وحضر الامير قعدان والمشايخ العمادية والنكدية الى هناك وتوجه الامير حيدر الى حمانا واجتمعت اهالي البلاد والفوا جيشين فانتقل الامير بشير بعسكره من الحرش الى راس بيروت · وفي ٢٨ تموز حضرت رسالة من اهل البلاد يطلبون الشيخ قاسم جنبلاط للمواجهة فحضر اليهم وتكلموا معه انهم يتعهدون بخمسمائة الف غرش الى الامير بشير اذا صرف العسكر ورجع لمحل حكمه · فلم يقبل الامير بشير ذلك خوفاً من الغدر به · وكان في بعبدا جملة اناس من اهل البلاد · فارسل الامير بشير عسكر الارناووط اليهم فحاصروا القرية وحضر عسكر الشويفات لاسعافهم فانكسرت الارناووط وولوا هاربين وفقد منهم اكثر من مائة نفس وغنموا خيلهم وسلاحهم · وفي ١٩ آب حضر كتاب من اهل البلاد

يريدون ان يكبسوا الدولة في راس بيروت فسار الامير بشير بالعسكر الى المقسم وارسل الجزار طلب الخيالة الذين في البقاع ورجع مع الامير حسن الى صيداء . ورجع الامير اسعد الى حاصبيا . وعند وصول الامير اسعد الى هناك كان معه الامير علي اخو الامير يوسف . فغدر بالامير اسعد وقتله . ثم قتل الامير قاسماً اخا الامير اسعد ومدبره وهبة توما واستولى على حكم حاصبيا . وكان اخوه الامير قاسم عند الامير حيدر في المتن مع جملة امراء من حاصبيا . وبعد وصول الامير حسن الى صيداء مع العسكر الذي كان في البقاع سافر الجزار الى الحج واخذ الفرسان جميعهم فاضطر الامير بشير ان يرجع الى صيداء . وكان يخاف من الكمين في السعديات فسافر بحراً بجميع العسكر . واما الخيل فوسقوها في المراكب . وكان معه من اهل البلاد ورجال الدولة نحو خمسمائة خيال . وبعد وصولهم الى صيداء في ٢٤ آب سافر عسكر الدولة جميعه وبقي الامير بشير واخوه الامير حسن واولاد عمه والمشايخ الجنبلاطية في صيداء . ثم نزل البعض من بني جنبلاط وطلبوا الشيخ قاسماً للمواجهة فخرج اليهم ورجعوا به الى الشوف . ورجع الامير حيدر والامير قعدان الى دير القمر . واجتمعت اكابر البلاد وسلموا الحكم للاميرين المذكورين . واجروا بينهم عهوداً ومواثيق ان لا يقبلوا حكم الامير بشير . وفي نصف شهر ايلول توجه الامير بشير من صيدا الى ملاقاة الجزار في طريق الحج وبقي اخوه واولاد عمه والشيخ خطار جنبلاط والامير مراد ابو اللمع في صيداء وكان متسلم صيداء يومئذ عثمان اغا جاويش . وكان رجلاً عاقلاً كريماً اصله من رجال الدولة من اسلامبول . وفي ١٤ تشرين اول حضر كتاب من الامير بشير ان الجزار رجع من الحج الى دمشق وانعم عليه وارسل معه عسكراً الى حاصبيا فتوجه اليه اخوه الامير حسن وابن عمه الامير اسعد . وفي ٢٥ من الشهر حضر الامير بشير بالعسكر الى صيداء وابقى الامير اسعد مع عسكر الارناووط في حاصبيا . ثم تقدم الامير بشير بالعسكر الى قرية علمان بالقرب من صيداء . وفي ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ولد للامير بشير ولد وسماه الامير خليلاً وكانت اسرته قاطنة في بتدين . ثم اعلم ان عسكر البلاد توجه الى حاصبيا وحاصر الامير اسعد والارناووط في السرايا فنهض الامير بشير حالاً بعسكر الدولة الى حاصبيا . وبات تلك الليلة في بلاد المتاولة وعند الصباح توجه الى مرج عيون وكان ذلك في ١١ تشرين الثاني ومن هناك توجه الى حاصبيا ووقع القتال بين عسكر الدولة الذي معه وعسكر البلاد فانهزمت عساكر الدولة من حاصبيا الى الخان وتبعهم عسكر البلاد

وكسب منهم جملة خيل . ثم كرَّ الامير بشير والقرا محمد ومن معهما ورجعت الهوارة وصدموا عسكر البلاد فكسروه كسرة هائلة . وقطعوا منه مائة وثمانية عشر راساً . وخرجت الارناووط من الحصار بعد ما كانوا اشرفوا على التلف من قلة الماء والزاد . ثم احرقت الدولة حاصبيا واكثر القرى التي حولها . ورجع الامير بشير وعسكر الدولة الى الخان (وهو محل معروف بخان حاصبيا) . وكان الجزار قد رجع من دمشق الى عكاء وابقى في دمشق متسلماً محمد آغا ابن عرفا اميني وبعد وصوله الى عكاء ارسل كتاباً الى اهل البلاد وهذه صورته

صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول والاتباع . الى امراء ومشايخ وشيوخ عقل وعقال ورعايا جبل الشوف والمتن وكسروان بوجه العموم ليعلموا . نعرفكم لما عزمنا على المسير في طريق الحج الشريف وزيارة نبينا السيد البشير النذير عليه افضل الصلوة والسلام من العلي القدير كشف الله لنا عما لا ابد ان يقع ويصير فانذرناكم وحذرناكم غاية التحذير . وقبل نهوضنا السعيد من صحراء المزاريب عرفناكم عن هذه الافعال السيئة الرديئة والطرق المعوجة الغير المرضية فلم يكن لكم بد من المسير بها والسلوك في شوارعها . وقد اتخذتم المشتري وهاروت كعقيدة ودين وبعدتم عن قبول الحق المبين . يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم . فاطعتم غرور انفسكم واقتفيتم اثار من تقدمكم من الظالمين . ونسيتم ماحلّ بهم من العذاب المهين . واشهرتم الجود والاسراف . وهجرتم الصواب والانصاف وسعيتم في الارض بالفساد . وما جزاء من يفعلون ذلك الا ان يقتلوا أو يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف . فكان ذلك امداداً لنحسكم في حنسكم . ورأى الله الذين كفروا لم ينالوا خيراً وتراكمت عليهم النحوس فما ازددتم الاَّ شراً . وكنا نظن بذهابنا المنيف في طريق الحج الشريف ان يتغير الخبث الذي بانفسكم . ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . فبقيتم على ما انتم عليه من الطغيان والنفاق والبهتان . وفي غيابنا طلب منكم افتخار الامراء الكرام ولدنا الامير بشير الشهابي الخدمة بحسب عهدكم فاذا انتم بمعزل عنها . وصدق عليكم قوله يا ايها الناس ان بغيكم على انفسكم » . وكان يلزمكم طاعة خليفة رسول الله مالك ازمة الخليفة شمس فلك الدولة العثمانية والسلالة الخاقانية . فاظهرتم النفور والجحود وتيقنتم انني من هذه الرحلة لا عود . فكل منجم كذاب . والآن فاعلموا وتحققوا انكم ان سلكتم في طريق الطاعة لولدنا المشار اليه فعليكم من طرفنا امان الله وامان رسوله . ثم اماننا . ولا تشاهدون منا الا المسرة . وان ثبتم على حالكم وسوء اعمالكم فبعناية الملك القاهر .

لانشبنّ بكم الاظافر . ولاَّ تركنكم كالامس العابر . فسلموا تسلموا . وان عاندتم تندموا ولا تدخلوا في حيز قوله تعالى من نكث لا ينكث على نفسه . واياكم المكر ومخالفة الصواب وايقاع انفسكم في هلكات الحساب واعتبروا قوله تعالى فوقاهم الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب . فانهضوا الى الاطاعة والتسليم . تحظوا ان شاء الله بالراحة والنعيم . وتوكلوا على الله . وفوضوا امركم اليه . وان تخيتم عن الطاعة ننشر اعلام الحروب نحوكم ونرسل عساكرنا الظافرة . كالبحور الزاخرة . فمن قتل منهم فالى جنة رضوان خالدين . ومن قتل منكم فالى سعير جهنم منقلبين . فان كنتم من اهل السداد . فادخلوا في خير الطاعة . ويد الله مع الجماعة . وان ابيتم ترون اشر الاحوال والتنكيل . والله حسبنا ونعم الوكيل

واما الامير بشير فانه عرض للجزار عن تلك النصرة التي حصلت له وارسل اليه تلك الرؤوس وسار بعسكر الدولة الى نواحي البقاع يريد ان يدخل الى البلاد . فحضر اليه امر من الجزار ان يرجع الى صيداء ويكون قتاله في نواحي الاقليم لاجل قرب الذخائر الى العسكر . فرجع العسكر الى جسر صيداء . وفي اول شهر كانون الاول سار الامير بشير بعسكر الدولة الى اقليم الخرنوب . وكان ساري العسكر عثمان اغا جاويش متسلم صيداء الذي تقدم الكلام عنه . ولما وصل الى عانوت اجتمع جميع اهل البلاد والمناصب والامير حيدر والامير قعدان الى بعقلين وعنبال . وفي ٢٧ من الشهر طلع عسكر الدولة الى نهر الحمام . فالتقاه عسكر البلاد ووقع بينهم القتال . وعند المساء رجع كل فريق الى مكانه . وقتل من عساكر الدولة ثمانية قتلى ومن اهل البلاد واحد . وفي هذه السنة زادت اثمان المعاملات فصار الذهب المشخص بخمسة غروش ونصف والاسلامبولي بار بع غروش ونصف والاحمدي بخمسة غروش . والريال الافرنجي بغرشين ونصف . وكان ثمن رطل الحرير خمسة وعشرين غرشاً وكيل الحنطة ثلاثة غروش ونصف . وقد ذكرنا في هذا التاريخ انه حين هرب الامير يوسف من البلاد كان عنده سليمان باشا مملوك الجزار فتوجه الى نواحي الشمال ومعه ابرهيم ابو قالوش . فسار سليمان باشا الى حلب . واقام ابرهيم ابو قالوش في وادي راويد عند اولاد موسى الحنا حكام تلك البلاد . ففي هذه الايام ارسل الجزار الى المذكورين ان اقتلوا ابراهيم فغدروا به وقطعوا راسه وارسلوه اليه . واما سليمان باشا فانه سار من حلب قاصداً يوسف باشا الذي كان وزيراً ثم صار والياً على مدينة جدة . واقام عنده وتسلم جميع مقتنياته . وبعد وفاة يوسف باشا سافر الى بلاد الروم وقضى مشقة عظيمة . (وفيها تبوأ ليوبولد الثاني امبراطورية

المانيا . واكتشف هرشل ثالث ورابع اقمار اورانوس . وحدثت قلاقل في باريس واحيطت المدينة بعساكر وهدم سجن الباستيل . وقررت حكومة فرنسا اعتبار الملوك بالغي الرشد في سن ١٨ . وتوفي فرانكلين مخترع مانعة الصواعق والمساعد على تحرير الولايات المتحدة . وحدث طاعون شديد بمصر مات فيه بالقاهرة ١٠٠٠ نفس يوميًا . وتولى محمد عزة باشا بدلاً عن اسمعيل باشا . ودخل مراد بك وابرهيم مصر عائدين من الوجه القبلي)

وفي السنة ١٢٠٦ هـ = ١٧٩١ م في ٥ كانون الثاني (يناير) وقع القتال في غريفة بين اهل البلاد وعسكر الدولة الذي مع الامير بشير فانكسر عسكر البلاد ودخلت المغاربة الى غريفة . ثم كسرهم عسكر البلاد . وقتل من المغاربة نحو خمسين نفس . ولم يزل مجدًا في طلبهم حتى مقابل القرية . فرجع اليهم الامير بشير بالخيل وهزمهم الى النهر وقتل منهم ٢٧ قتيلاً ودام القتال الى المساء . ورجع كل فريق الى مكانه . وفي ذلك اليوم صار وقعة ايضًا بين البعض من عسكر الدولة ورجال المشايخ النكدية في الجاهلية فانكسرت الدولة . وفي ١٦ من الشهر صار ايضًا واقعة بين الدولة واهل البلاد فانكسرت اهل البلاد . وقتل منهم ستة اشخاص وكانوا قد وصلوا في كسرتهم الى نهر الحمام فثبتوا هناك . وصار عند العصر مطر عظيم ورجع كل فريق الى مكانه . وفي ٧ شباط (فبراير) حدثت موقعة في غريفة ونهبت الدولة مزرعة الشوف وسبت كثيرًا من النساء والاولاد . وفي ١٠ منه حدثت معركة اخرى في غريفة ايضًا فانكسر عسكر البلاد وحرقت الدولة غريفة . وفي ١٥ منه كبس عسكر البلاد الدولة في شحيم فانهزمت الدالاتية وقتل الملاّ محمد وهرب القرا محمد واغتنم اهل البلاد اسلابهم واخذوا منهم ١٠٦ افراس . وكان في ذلك النهار قد حضر كتاب الى الشيخ قاسم جنبلاط من ابن اخيه الشيخ خطار انه يريد مواجهته في عين بزون فتوجه اليه وسار معه الى عانوت وانضم الى الامير بشير . ولما علم الشيخ حسن ابن الشيخ قاسم بما كان من ابيه اخذ الامير حسنًا ابن الامير علي الشهابي ورجع الى داره في بعذران . فخاف العسكر والامراء وباتوا تلك الليلة عازمين على الهرب ولكن اسعفتهم وقعة شحيم التي انتصر قومهم بها . وكان الشيخ بشير ابن الشيخ قاسم جنبلاط قد ثبت في عينبال فثبتت اهل الشوف وتجلد العسكر . وفي ٩ اذار كبسوا الدولة في عانوث . ودام القتال بينهم كل الليل وعند الصباح رجعوا وقتل ثمانية اشخاص . وفي ١٢ منه طلعت عساكر الدولة الى عين بال وصارت واقعة

عظيمة هناك وانكسرت اهل البلاد وهربوا . ووصلت عساكر الدولة الى مرج بعقلين . ولكن صار اختلاف بين قواد الدولة فلم يقاتل القرا محمد لان الملا اسمعيل كان قد حضر حديثاً من دمشق وكانت النصرة عند قدومه . فرجع عسكر الدولة الى عانوت وعسكر البلاد الى عنبال . وفي ١٤ منه كبسوا الدولة في عانوت ثانية في الليل ودام القتال بينهم الى الصباح ورجعوا الى عنبال . وفي ٢٢ منه توجه مائة نفس مع حنا بيدر الذي كان اطلق المشايخ النكدية من سجن صيدا قديماً فاخذ ذخيرة عسكر الدولة من جسر صيداء وكانت ٢٨ بغلاً وطلع بها الى جبل الريحان ومر في الشوف فلاقاه الامير حسن ابن الامير علي والشيخ حسن جنبلاط لياخذوها منه . فارسل الامير حيدر والامير قعدان ابن عمها الامير حيدر والشيخ بشير جنبلاط وابن عمه الشيخ احمد وجماعة من العسكر فمنعوهم منها وحضروا بها الى عنبال . وفي ٢٣ اذار (مارس) قام عسكر الدولة من عانوت راجعاً الى صيداء لانهم كانوا قد ارتاعوا من كبسات عسكر البلاد لهم ليلاً ويئسوا من تملك البلاد . وطالت مدة القتال فرجعوا بدون امر الجزار واضطر الامير بشير ان يرجع معهم الى صيداء ورجع معه الشيخ قاسم جنبلاط وكان عسكرهم ينوف عن اثني عشر الفاً دالاتية وهوارة وارناووط وسكمان ومغاربة وعرب عقيل . ثم اجتاز الامير بشير الى عكاء والشيخ قاسم معه . فامر الجزار ان يكون الشيخ قاسم تحت الحفظ مكرماً وبعد رجوع عسكر الدولة رجع الامير حيدر والامير قعدان الى دير القمر ورجعت اهالي البلاد الى اوطانها . وكان في هذه السنة غلاء في الحنطة حتى صار كيل القمح بسبعة غروش ونصف لكثرة العساكر وكان مع الامير بشير في هذه الثورة جدعون آغا الترك . ولما توجه الامير بشير الى عكاء رجع جدعون آغا الى البلاد ملتجئاً الى الامير حيدر والامير قعدان . فامر بالقبض عليه وعذباه عذاباً اليماً واخذا منه المال الذي كان جمعه من الظلم ثم قتلاه . وكانت اهالي البلاد قد تمردت واستطالت لسبب رجوع عسكر الدولة عاجزة عن اخضاع البلاد . فكان جماعة من اهل المتن في ساحل بيروت يسلبون كل من وجدوه من اهل المدينة . فارسل الامير حيدر والامير قعدان قبضا على البعض منهم وقتلاهم . وبعد ايام قتل رجل من اهالي بيروت خارج البلد فاغلقوا الابواب وقبضوا على كل من وجدوه من اهل الجبل وكانوا نحو ستين نفساً فقتلوهم جميعاً . وفي هذه السنة ظهر الطاعون في البلاد . وكان سببه المكاسب التي اخذتها اهالي البلاد من عسكر الدولة وتكاثر الوباء في عكاء وصيداء وكان الامير بشير لم يزل في عكاء

لحضر الى صيداء ومعه اخوه الامير حسن واحضر عيالها واقاما هناك · واعطى الجزار النفقات وبقي تحت امره · واما اهل البلاد فارسلوا عرضحال الى الجزار يعتذرون بانهم لم يتظاهروا بتلك العصاوة الا من شدة الظلم الذي جرى عليهم · وطلبوا خلعة الولاية للامير حيدر والامير قعدان وجعلوا له هدية الفي الف غرش مقسطة على ست سنين · وختم ذلك الكتاب جميع مناصب البلاد (يراد بمناصب البلاد الامراء والبكوات والمشايخ اصحاب الولاية وهي كلمة اصطلاحية في لبنان يراد بها الامراء بنو الشهاب والامراء الارسلانيون وبنو ابي اللمع و بنو جنبلاط و بنو عماد و بنو ابي نكد و بنو تلحوق وبنو عبد الملك و بنو العيد و بنو حبيش و بنو الخازن و بنو الخوري في راشيا وعين تراز وغيرهم) · فاجاب الجزار طالباً ان يحضر اليه اربعة اشخاص من احسن عقال البلاد فلم يجسر على ذلك الا رجلان احدهما يقال له نخور من بهرين والآخر محمود يوسف من عنبال · ولما دخلا على الوزير سألها عن المال الذي اخذه الامير بشير من البلاد وعن سبب قيام الرعايا فلم يعرفا ان يجيباه · ولما رآهما في تلك البلادة امرهما بالرجوع · وطلب الشيخ عبدالله القاضي من بصور وكان يعرفه من زمان الامير يوسف · فخاف الشيخ عبدالله من الحضور واعتذر انه مريض لا يقدر على السفر · فطلب ان يرسل الامير حيدر والامير قعدان اليه الهدايا وخمسين الف غرش ليرسل لهما خلعة الولاية · لانه كان ادركه المسير الى الحج · فارسلا اليه اربعة من جياد الخيل وعشرين الف غرش فقبلها وارسل الخلعة · وكان ذلك في اوائل شهر حزيران (يونيو) · وتسلم الامير حيدر والامير قعدان حكم البلاد · وجمعا المال السلطاني عن سنتين وسلماه الى متسلم الجزار في دمشق كما امرهما قبل مسيره الى الحج · وذهبا بعد ذلك الى بلاد جبيل ورتبا امورها · وحضرت لهما الخلعة من وزير طرابلس · وفي هذه السنة في ١٤ آب توفي الشيخ عبد السلام العماد وكان قد بلغ من العمر نحو ثمانين سنة · وكان فريد زمانه في الفصاحة وحسن التدبير والشجاعة وكان كبير بني يزبك · وفيها بعد رجوع احمد باشا الجزار من الحج ارسل خلعة التقرير الى الامير حيدر والامير قعدان لانه وجدها قد صدقا في ايراد المال الذي تعهدا به · وطلب منهما البغال التي اخذها حنا بيدر مع الذخيرة لانها كانت مدموغة جميعها بعلامة تميزها · فجمعاها وارسلاها له حالاً · وصار لهما دالة عليه ·

فارسلا يطلبان منه حكم وادي التيم الاعلى للامير محمد من راشيا . وحكم وادي التيم الادنى للامير قاسم اخي الامير يوسف من حاصبيا . وكفلا المال المرتب عليهما فانعم الجزار بها وارسل لها خلع التصريف . وفيها غدر المشايخ بنو عطاالله من عين دارة بالمشايخ بني العقيلي من المكان المذكور وقتلوا الشيخ يوسف العقيلي اخا الشيخ نجم وابن عمه وكان مرادهم ان يقتلوا الشيخ نجماً فما ظفروا به لانه هرب الى دار المشايخ اولاد الشيخ قاسم جنبلاط . وكان الامير حيدر والامير قعدان في ذلك الوقت غير راضيين عن المشايخ بني العقيلي . وفي هذه السنة توفي الامير محمد الشهابي ابو الامير قعدان واخو الامير يوسف . وفيها تعهد حسن بك يوسف اخد المراعبة بقدر من المال الى خليل باشا والي طرابلس كي يقتل ابن عمه محمد بك الاسعد الذي كان متسلم طرابلس فقبل خليل باشا وقبض على محمد بك فحضر اخوه شديد بك الى دير القمر ملتجئاً الى الامير قعدان . فجمع الامير قعدان عسكراً وتوجه الى البترون وكاتب خليل باشا واطلق محمد بك وكفله بخمسين الف غرش . وفيها رجع الجزار الى عكاء وجاء الامر بالحكم على ايالة دمشق الى محمد باشا العظم . (وفيها كانت معاهدة صلح ياسي بين كاترينا الثانية والسلطان سليم فيه تحصلت روسيا على قسم مهم من تركيا كالقرم وجزء من بسارابيا والبلاد التي بين نهر بوغ ودنيستر . واعلنت فرنسا الحرب على اوستريا . وسجن الفرنسويون ملكهم لويس السادس عشر)

وفي السنة ١٢٠٧ هـ = ١٧٩٢ م صار غلاء عظيم حتى بلغ كيل القمح ٢٥ غرشا وكيل الشعير ١٠ غروش . وفي ٨ شباط (فبراير) غضب الجزار على الامير حيدر والامير قعدان وامر بالحجز على القوت في بيروت وصيداء فاشتد الغلاء لاجل ذلك وتضايقت الناس اشد الضيق حتى مات كثيرون جوعاً . ومرض كثيرون لاكلهم ما لا يوافق الصحة . وفي تلك الايام ارسل الجزار امراً الى البلاد انه انعم على الامير بشير بالولاية وانه يلزم ان يكونوا بطاعته . ودام الغلاء نحو ثلثة اشهر . ثم خرجت مراكب اروام في البحر تجلب الحنطة الى الشقعة في نواحي طرابلس وكانت اهالي البلاد تجلب الحنطة من هناك الشنبل بثمانية عشر غرشاً ولولا ذلك لهلكوا من الجوع . وبعد انعام الجزار على الامير بشير توجه الشيخ حسن جنبلاط لمواجهته على جسر صيداء فاتاه حذير ان الامير بشير يريد

ان يرسله الى الجزار و يطلق اباه الشيخ قاسماً فهرب . وكتبت اكابر البلاد الى الجزار انه لا يمكن ان يقبلوا حكم الامير بشير وطلبوا صفو خاطره على الامير حيدر والامير قعدان . فخلع عليهما كما طلبت اهالي البلاد . وفي هذه السنة حدث طاعون في الغرب ودير القمر فتحول الامير حيدر والامير قعدان الى عين تراز . ووقع الاختلاف بينهما وبين الشيخ حسن جنبلاط واخيه الشيخ بشير لسبب محبة الاميرين للشيخ ابي قاسم جنبلاط وتقديمهما اياه على الشيخ حسن والشيخ بشير مع ان الشيخ بشير كان قد ترك اباه حين نزل الى عانوت وانضم الى الامير حيدر والامير قعدان . وهو الذي ثبّت اهل الشوف في عنبال كما ذكرنا . ولولا ذلك لكان طلع الامير بشير الى الشوف وتسلم البلاد . ثم اتحد مع الشيخ حسن والشيخ بشير الامير منصور مراد والامير فارس قائدبيه . وفي شهر تموز (يوليو) عقدت اكابر البلاد جلسة في خان الحسين واجتمعوا جميعهم ما عدا الشيخ حسن والشيخ بشير جنبلاط والامير منصور والامير فارس ابا اللمع واجمع رأيهم على جباية المال السلطاني . وارسل الامير حيدر والامير قعدان ابن عمهما الامير حيدر احمد (مؤلف هذا التاريخ) في الجباية فتوجه الى عين السمقانية . فنادى الشيخ حسن والشيخ بشير في الشوف ان لا يؤدوا احد درهماً ونادى الامير فارس والامير منصور كذلك في المتن . ولما امتنعت اهالي الشوف والمتن عن الايراد امتنع باقي البلاد وبقي الامر كذلك نحو اربعين يوماً . ثم دخل الامير حيدر احمد واسطة في الصلح بين القوم واصطلحوا . وحضر معهم الى دير القمر . واجابهم الى الشروط التي كانوا طالبيها من منافع ومقاطعات وغيرها وكان الامير حيدر والامير قعدان قد اتهما سلوم الدحداح انه يعلم ودائع الشيخ غندور الخوري فقبضا عليه وسجناه وهرب اخوته الى المتن . فكان من جملة الشروط اطلاقه من السجن فاطلقاه والبساه خلعة وجبي المال السلطاني بعد ذلك . وفي هذه السنة تعين جرجس باز ابو شاكر من دير القمر ابن اخت الشيخ سعد الخوري مدبراً عند اولاد الامير يوسف . ومضى بهم الى بلاد جبيل واستأجروها بتدبيره من الامير حيدر والامير قعدان بستين الف قرش . واخذ بعد ذلك يستميل مشائخ البلاد و يعطي و يكرم حتى احبه الجميع مالت اليه البلاد . وكان على جانب عظيم من كرم النفس حتى لا يقاربه احد في ذلك من اهل عصره . وفي هذه السنة توفي الامير محمد حاكم راشيا

وكان مصاباً بداء الجذام ومات عن ولدين صغيرين . فاخذ حكم وادي التيم الاعلى ابن اخيه الامير حسين ابن الامير اسعد الذي سمل الامير محمد عيني ابيه . وكان قد حضر الى عنبال وقت الثورة (الحركة) ونفع في القتال . ولكنه لم يقم في الحكم الاَّ قليلاً ومات وكان ما بلغه من العمر اكثر من عشرين سنة . فقسموا حكم وادي التيم بين اخيه الامير افندي و بين اولاد الامير محمد . وكانوا جميعهم صغاراً فاقاموا لهم وكلاء . وفي هذه السنة عزل خليل باشا عن ايالة طرابلس وتولاها حسين باشا وحين طلع في الجردة اتى حذير الى الجزار ان خليل باشا يريد ان يقتله فسقاه سماً ومات في الطريق وضبط الجزار جميع امواله . (وفيها كان تأسيس الجمهورية الفرنساوية ومحاكمة لويس السادس عشر وقتله . واعلنت فرنسا الحرب على انكلترا . وحصل غلاء شديد في مصر مات بسببه كثيرون جوعاً . وابتداء تقرير وضع التلغرافات في فرنسا)

وفي السنة ١٢٠٨ هـ = ١٧٩٣ م كان قد بقي علاقه للشيخ حسن والشيخ بشير جنبلاط مع الامير بشير ورأى الامير حيدر والامير قعدان ان البلاد قد تمردت وخرجت عن طاعتهما . فخشيا ان الجزار يعطي الولاية للامير بشير . فارسلا الى جرجس باز ان يتعهد للجزار بقدر من المال على حكم البلاد وهما راضيان بذلك . وكان ذلك بتدبير الشيخ بشير نكد والشيخ عبد الله القاضي فكتب جرجس باز الى الوزير فاجاب سواله فارسل له ماية الف غرش واخاه عبد الاحد رهناً على بقية المال وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر اذار ارسل الجزار خلع الولاية الى اولاد الامير يوسف مع معتمدهم عرب الشلفون . فلاقوها من جبيل الى ساحل بيروت والتقاهم الامير حيدر والامير قعدان واكابر البلاد ولبسوا الخلع في حدث بيروت وتوجهوا جميعاً الى دير القمر . وحضرت جميع البلاد وسلمت لامرهم عدا الشيخ حسن والشيخ بشير جنبلاط والامير منصور مراد والامير فارس قايدبيه فانهم لم يرضوا بهذه الدولة . واجتمعوا في الشوف واستحضروا اليهم الامير حسناً ابن الامير علي الشهابي . فارسل جرجس باز طلب عسكراً من الجزار فارسل له الشلق حسن دالي باش وجماعة مغاربة . وجمع عسكر البلاد وتوجه بهم الى جديدة الشوف فتداخلت مشايخ العقل في الصلح وسلم الشيخ حسن والشيخ بشير وصرفا رجالهما ورجع الامير منصور والامير فارس الى المتن والامير حسن الى وادي شحرور واولاد الامير يوسف وجرجس باز الى دير القمر وفي شهر نيسان كبس الشيخ حسن والشيخ بشير جنبلاط ابن عمهما الشيخ ابا قاسم واخاه الشيخ احمد في بيوتهما في المختارة ليلاً وقتلاهما . فعظم ذلك

على اولاد الامير يوسف وطلبوا عسكرًا من الجزار فحضر الملا اسمعيل وطاع الامير قعدان ومشايخ البلاد والامير حسين ابن الامير يوسف والبعض من اولاد عمه الى الباروك . وحضر الشيخ خطار جنبلاط وسلم ورجع الى مكانه . وبعد ذلك انتقل الامراء الى المعاصر العليا وحضر الملا اسمعيل الى شاوية مرستة ورأى الشيخ حسن والشيخ بشير جنبلاط انهما لا يقدران على مقاومة الدولة بالبلاد فصرفا من كان عندهما وانصرفا الى وادي التيم وكان الامير حسن علي قد حضر الى نيحا فبقي هناك . وتوجه الامير قعدان والامير حسين وجرجس باز ومن عندهم من رجال البلاد الى بعذران والملا اسمعيل وجماعته الى الخريبة وهدموا منازل بني جنبلاط في بعذران وضبطوا املاكهم وغلالهم . وكان الامير حيدر قد توجه الى ساحل بيروت بالمغاربة لاجل قطع اشجار بساتين الامير منصور والامير فارس ابي اللمع فحضرا اليه وسلما عن يده . ثم اختفى الشيخ حسن جنبلاط في وادي التيم وتوجه الشيخ بشير الى حوران ثم الى قبائل العرب . واما اولاد الامير يوسف فرجعوا الى الدير وفتكوا بكل من كان من حزب الشيخ قاسم جنبلاط . ثم عرضوا الى الجزار ان كل الامور التي حدثت وتحدث في البلاد هي بتدبير الامير بشير واخيه الامير حسن . وانهما ما داما في صيداء وبيروت يتعطل ايراد المال العائد الى الخزينة . فامر باحضارهما الى عكاء وامرهما ان يقيما بالناصرة . وسافر الى الحج . واقام اولاد الامير يوسف على ولاية البلاد الامير حسينًا في دير القمر والامير سعد الدين والامير سليمان في جبيل . وفي هذه السنة حين دخل الباشا الى دمشق احضر احمد اغا ابن الزعفرنجي من حلب واقامه متسلمًا على حمص . وفيها ارسل الامير حسين ابا دعيبس عبد الصمد بكباشي فمسك المشايخ اولاد الشيخ يوسف من بني ابي نكد لانهم كانوا مع الامير بشير وحضروا الى قليم التفاح واتى بهم الى سجن الدير فدخل الشيخ بشير نكد وقتلهم في السجن وهم الشيخ يوسف والشيخ فهد والشيخ جهجاه اولاد الشيخ خطار . وفي هذه السنة في شهر ايلول (سبتمبر) . توجه الامير بشير واخوه الامير حسن لملاقاة الجزار لما رجع من الحج . فانعم على الامير بشير واعاده حاكمًا على جبل الشوف . وحضر اليه الشيخ بشير جنبلاط من حوران وتوجه الامير بشير بالعسكر الى صيداء وحضر اخوه الامير حسن والشيخ حسن جنبلاط بخيل الدالاتية مع الملا اسمعيل الى المختارة . فتوجه اولاد الامير يوسف ومناصب البلاد بالعسكر من دير القمر الى بعقلين . فحضر الامير بشير بالعسكر الى عانوت ورتب اولاد الامير يوسف عسكرًا لاجل كبسة المختارة بالليل نحو الف رجل وارسلوا معهم المشايخ العمادية والنكدية . فانتشب بينهم القتال نحو

ثلث ساعات ولما طلع الصباح انكسر عسكر اولاد الامير يوسف وساقت الدولة العسكر في طلبهم الى مرج بعقلين وكان ذلك من خيانة بني عماد . ولما وصل الخبر الى الامير بشير حضر بالعسكر من عانوت الى السمقانية فرجع اولاد الامير يوسف الى دير القمر . وفي تلك الليلة توجهوا الى عبيه وعند الصباح نهض الامير بشير بالعسكر الى كفر حمد (كفر حمل) وحضرت اليه امراء المتن والمشايخ بنو عماد وجميع البلاد . فتوجه الامير حسين والامير حيدر والامير قعدان والمشايخ النكدية والشيخ عبدالله القاضي الى جبيل . وانتقل الامير بشير بالعسكر الى الغرب ونهب العسكر اكثر قراه . واقام الامير في عاليه وارسل البعض من اولاد عمه الشيخ حسن جنبلاط الى جرد بلاد جبيل . وفي اخر تشرين الاول توجه الامير بشير بعسكر الدولة الى حرش بيروت وارسل الجباة الى المتن وجميع البلاد فاجتمعت اهالي المتن على الجباة وطردوهم . وارسلوا الى اولاد الامير يوسف ان يحضروا الى المتن . فعرض الامير بشير الى الجزار فارسل الجزار الى العسكر ان يسير مع الامير بشير الى المتن . وفي خامس كانون الاول (دسمبر) توجه الامير بشير الى المتن بعسكر الدولة وعند وصوله الى طريق القفل عند خان الكحالة التقاه البعض من اهالي المتن واطلقوا الرصاص على العساكر فهجم بعسكر الدولة على المتن ونهبوا العبادية . وكان بها ودائع من جميع البلاد تنوف عن خمسة الاف غرش من دراهم وحلي وامتعة وغير ذلك . ثم سار الامير بشير بالعسكر الى بحمدون وكان عسكر الدولة ينوف عن ستة الاف فبات هناك . وعند الصباح اقام العسكر سوقاً من ذلك النهب فكان من جميع البضائع . وبعد يومين توجه الامير الى راس المتن بالعسكر وهربت اهالي المتن وخربت اكثر القرى . ولم تكن المتن قبل ذلك انتكبت هذه النكبة من عهد نصوح باشا . واقام الامير في راس المتن واعطى الامان ورجعت الناس الى اوطانها . وقدموا الذخائر للعسكر وحضرت امراء المتن لمقابلة الامير بشير فاعطاهم الامان . وكان اولاد الامير يوسف والامير قعدان والامير حيدر لما وصلهم الخبر من المتن قد حضروا من بلاد جبيل وما علموا بدخول الامير بشير الى المتن حتى وصلوا الى بعبدات وكان وصولهم ثاني يوم وصول الامير بشير فباتوا تلك الليلة في بعبدات وهم على خوف من الكبسة . وفي الغد حضر الامير حيدر والامير قعدان الى المتن وكتبا الى الامير عن يد الامير منصور مراد وسلما نفسيهما اليه فقبلهما وحضر الامير قعدان الى مواجهته في الراس فطيب قلبه ورجع الى منزله في عبيه . وحضر الامير حيدر الى داره في بشامون من غير مواجهة لانه كان يخاف الامير بشير فاعتذر

عن المواجهة وقبل عذره . ورفع الضبط عن املاكهما . واما المشايخ النكدية فتحولوا عن اولاد الامير يوسف وحضروا الى المتن وسلموا . وتعينت الجزية عليهم عن يد الامير منصور مراد مقدار خمسين الف غرش . وبقي منهم مع اولاد الامير يوسف الشيخ قاسم واخوه والشيخ مراد فرجعا معهم الى جبيل و بلص الامير بشير اهالي المتن واخذ منهم اموالاً جزيلة . وفي تلك الايام توفي الشيخ قاسم جنبلاط في عكاء

وفي السنة ١٢٠٩ هـ = ١٧٩٤ م في شباط (فبراير) رجع الامير بشير بالعسكر من المتن الى حرش بيروت . فشكاه ساري العسكر عبد الله آغا العبد وآغاوات العساكر انه لم يؤدهم الجزية مع انه جمع اموالاً لاتحصى من البلاد . فحضر لهم امر بالقبض عليه واخذه الى عكاء . وفي ٢٥ شباط توجه الامير حيدر ملحم الى مواجهة فارس ناصيف مدبر الامير بشير وكان راجعاً من صيداء الى بيروت . فلاقاه في الطريق وحضر معه لمواجهة الامير بشير . فحصل على اكرام جزيل وزال ماعنده من الخوف ورجع الى بيته في بشامون . وفي ١٠ اذار (مارش) صار حرب بين عسكر الدالاتية والمغاربة فقتل من المغاربة مقتلة عظيمة . وفي ذلك النهار القي القبض على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط وفارس نصيف واخذوهم بحراً الى عكاء . فحضر البعض من اهالي البلاد وتكلموا مع الامير حيدر والامير قعدان ان يرسلا يستعطفان خاطر الوزير باعادتهما الى حكم البلاد وان جميع اهل البلاد يريدون حكمهما فما قبل الامير حيدر لانه كان قد اتحد مع الامير بشير . ثم حضر امر من الجزار الى اولاد الامير يوسف ان يحضروا الى البلاد . وفي نصف شهر اذار حضروا الى ساحل بيروت ولاقتهم الخلع الى الحدث وتوجهوا الى دير القمر . ورجع الامير سعد الدين الى جبيل . واما الامير بشير واصحابه فعند وصولهم الى عكاء امر الجزار بسجنهم . وعند وصول الامير حسين الى دير القمر ارسل الجباة الى المشايخ الجنبلاطية والعمادية وكل من هو من حزب الامير بشير وجار عليهم بالظلم والبلص فاتفق الشيخ حسن جنبلاط والمشايخ بنو عماد وحضروا الى بعقلين وحضر اليهم الامير عباس ابن الامير اسعد . فجمع الامير حسين اكابر البلاد وبني الشهاب ما عدا الامير حيدر ملحم لانه كان مخاصماً ابن اخيه الامير قعدان الا انه ما تظاهر بشي في هذا الامر . ثم عرض الامير حسين الى الجزار ان سبب قيام البلاد هو من تحريك الامير بشير لهم . فامر ان يضعوا الامير بشيراً واخاه في السجن الكبير مقيدين بالسلاسل ومنع الناس عن مواجهتهما .

وارسل الملا اسمعيل بعسكر الى البقاع · وفي ذلك الوقت توجه الى الحج · ولما بلغ الشيخ حسن والمشايخ العمادية ما كان للامير بشير في عكاء ولم يكن قدامهم احد من بني الشهاب غير الامير عباس اسعد وهو يومئذٍ صغير ورأوا ان جميع اهل البلاد اجتمعوا الى الدير اضطروا ان يرجعوا من بعقلين الى مواطنهم · وحضر الشيخ حسن الى عبيه ملتجئاً الى الامير قعدان فلم يقبله ورجع الى الشوف واختفى هناك · ورحلت المشايخ بنو عماد الى حوران والامير عباس حضر الى الدير وصفا خاطر الامير حسين عليه · ثم ان الامير حسين ارسل الامير حيدر احمد (مؤلف هذا التاريخ) الى الشوف لاجل قصاص الشيخ حسن والشيخ بشير جنبلاط في املاكهم وحضر الملا اسمعيل بعسكر الدولة الى الشوف وتفرقت الجباة على كل من تعصب لاولاد الشيخ قاسم جنبلاط وجمعوا من الشوف ما ينوف عن مائة الف قرش · وتظاهر في ذلك الوقت الشيخ بشير ابن الشيخ نجم جنبلاط ومالت اليه اهالي الشوف واحتموا به من البلص · وشرعوا بالتفتيش على ودائع الشيخ حسن والشيخ بشير · واجتهد الشيخ بشير نجم وابو دعيبس عبد الصمد (هو جد رافع عبد الصمد المشهور من عماطور) في التفتيش والبحث عن الشيخ حسن جنبلاط ليقتلاه عوض من قتل لهما · وكان مختفياً في الجبل الذي فوق مرستة · وكان الامير حيدر احمد يرفق بالناس على قدر ما يمكنه · ولو كان غيره مكانه لخرب الشوف · ثم امتد البلص الى جميع البلاد حتى الى المتن · فحضر اكثر اهل المتن الى دار الامير حيدر ملحم حتى عزم على القيام معهم لو لم يدركه الامير قعدان وجرجس باز · وحضر الامير قعدان الى حمانا وابطل ثورة المتن · ثم حضر بنو عماد الى البلاد ونقدوا الامير حسيناً خمسة آلاف غرش فصفا خاطره عليهم واقاموا في اماكنهم · وبعد ذلك ظهر الشيخ حسن جنبلاط في حاصبيا عند الامير قاسم · وفي هذه السنة ركب خليل باشا والي طرابلس على بلاد عكار وقطعوا اشجار بساتين محمد بك الاسعد واخوته · وفي هذه السنة قتل الامير جهجاه الحرفوش ابن عمه الامير داود وسمل اعين اخوة اولاد الامير عمر

وفي السنة ١٢١٠ هـ = ١٧٩٥ م حضر الشيخ بشير جنبلاط الى الشوف بواسطة الامير قعدان وصفا خاطر الامير حسين عليه وصار عنده اعزّ من الجميع · وفي هذه السنة بعد رجوع احمد باشا الجزار من الحج زالت عنه ولاية دمشق وتولاها

عبدالله باشا ابن محمد باشا العظم فرجع الجزار الى عكاء وصفا خاطره على الامير بشير واخرجه من السجن وانعم عليه بولاية جبل الشوف . وفي ١٩ حزيران (يونيو) البس الامير بشير واخاه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط الخلع واعطاهم الخيل بالعدد الكاملة ورد لهم كل ما كان ضبط لهم من خيل وسلاح لما اسروا في حرش بيروت . وارسلهم الى البلاد فلاقتهم جميع اكابر البلاد ما عدا اولاد الامير يوسف والامير قعدان والمشايخ النكدية . والشيخ عبد الله القاضي فانهم انهزموا الى بلاد جبيل ومعهم الشيخ حسن جنبلاط والشيخ قاسم العماد . وبعد وصولهم ودخول الامير بشير الى الدير ارسل لهم امراء المتن كتاباً كي يحضروا الى البقاع وان جميع اهالي المتن من حزبهم . فقاموا الى قرية جديثة . ولما بلغ الامير بشير ذلك طلب من الجزار عسكراً وتوجه الى الباروك فارسل عسكراً مع ابن عمه الامير حيدر احمد (المؤلف) الى قب الياس . وارسل الامير حيدر ملحم الى المتن لان اهل المتن كانوا يثقون به فابطل الثورة وعدلوا عن ملاقاة اولاد الامير يوسف خوفاً من الدولة . وفي ٥ تموز (يوليو) حضر البعض من عسكر اولاد الامير يوسف الى قب الياس ووقع القتال بينهم وبين الذين في قلعة قب الياس من عسكر الامير بشير . فطردوهم عن المكان . فركب اولاد الامير يوسف والامير قعدان وجميع عسكرهم وحاصروا القلعة . فخرج اليهم الامير حيدر احمد وعسكر الامير بشير وكسروهم وقتل الشيخ نمر ابن عم الشيخ بشير نكد ورجعوا الى جديثة . وفي ١٣ تموز حضر الامير حيدر ملحم وامراء المتن الى خان مراد وطلبوا الامير قعدان للمواجهة وتكلموا معه ان يتداخلوا في الصلح بين الامير بشير واولاد الامير يوسف بشرط ان يكون الامير بشير حاكماً في دير القمر واولاد الامير يوسف حكاماً في بلاد جبيل فلم يقبل بذلك واشترط شروطاً لا تقبل فرجعوا وتركوه . وفي ١٥ تموز حضرت للامير بشير عساكر الجزار فركب الى المغيثة . ولما بلغ ذلك اولاد الامير يوسف والامير قعدان هربوا حالاً في الليل نحو بلاد جبيل ووصل الامير بشير الى بوارش . وقتل العسكر في الطريق جملة اناس من اهل المتن . ثم نهض بعسكر الدولة وبني جنبلاط وبني عماد الى ينبوع صنين . ثم الى وطاء الجوز . وحضر بنو الدحداح من عند اولاد الامير يوسف . وعينهم الامير بشير في خدمته حسب عوائدهم . ثم سار الامير بشير الى جسر المعاملتين . واشاع بان الجزار لم يسمح له ان يترك ايالته ويدخل في ايالة طرابلس . وفي ٢٠ تموز ارسل الخيالة ليلاً مع اخيه

الامير حسن والبعض من اولاد عمه ومشايخ البلاد وكبسوا اولاد الامير يوسف ومن معهم في البترون · وركب هو ايضاً في رجال الدولة في اثرهم وعند الصباح وصلت الخيل الى البترون · ولكن قبل وصولهم كان سبق الشيخ اسعد نكد وانذر الحراس بقدوم العسكر · واعلموا الامراء بذلك فهربوا من البترون وما وصل عسكر الدولة حتى دخلوا المسيلحة · ووصل الامير بشير برجال الدولة عند طلوع الشمس ونزل في البترون · واما اولاد الامير يوسف فلم يزالوا هاربين حتى دخلوا طرابلس · وكان متسلم طرابلس الشيخ فاضل الرعد حاكم الضنية وكان صديقاً لهم من ايام ابيهم فاكرمهم وقدم لهم الذخائر · ثم ان الامير بشير ارسل عسكر الدولة مع اخيه الامير حسن الى قرية زغرتا وحاصر طرابلس · وتوجه هو بعسكر البلاد الى قرية اهدن بحدود الضنية · وكان قصده في الباطن ان يفارق الدولة لانه خائف من غدرها · ثم ارسل الشيخ نجم العقيلي يعرض الى الجزار بما توقع ليقف على مراده · وكان الشيخ نجم عاقلاً فصيحاً · وكان مدبر الامير بشير مكان فارس نصيف · وكان من حينما قتلوا اخاه واولاد عمه المشايخ بني عطا الله لم يفارق بني جنبلاط · ونزل الى عكا واقام عند الجزار الى ان حضر الامير بشير فحضر معه · وفي اخر تموز حضر الجواب من الجزار مع الشيخ نجم ان يرفع الامير بشير الى بلاده ويرجع العسكر مع اخيه الامير حسن الى جبيل · فرجع الامير بشير الى دير القمر ورجع اخوه بعسكر الدولة الى جبيل · وضبط الامير بشير املاك المشايخ النكدية · واملاك الشيخ عبد الله القاضي بجميع غلالها وهدم منازلهم عوض ماهدم اولاد الامير يوسف منازل المشايخ بني جنبلاط · وغرم من رافقهم وجمع الاموال السلطانية وارسلها الى الجزار وارضاه · وفي ٢٢ ايلول (سبتمبر) اذن الجزار بخروج حريم الامير بشير من صيداء وحريم اخيه الامير حسن من بيروت · وتوجه البعض من اولاد عمه فاحضروا حريمه الى بتدين وحريم اخيه الى غزير · وكان بعد رجوع الامير بشير الى الدير ورجوع عسكر الدولة الى جبيل طلع اولاد الامير يوسف من طرابلس الى راس كيفا من مقاطعة الزاوية واقاموا هناك فركب الامير حسن بعسكر الدولة من جبيل الى البترون · وفي ذلك الوقت وقعت مخاصمة بين الامير قعدان والمشايخ النكدية · ورجع الامير قعدان وابن عمه الامير سلمان سيد احمد والشيخ حسن جنبلاط · ولما وصلوا الى بسكنتا توجه الشيخ بشير جنبلاط الى ملتقاهم وحضروا الى دير القمر وصفا خاطر الامير بشير عليهم · وكان حضر معهم من المتن الامير فارس قائد بيه والامير منصور

مراد لانهما كانا لم يواجها الامير بشيراً بعد وصفا خاطره علي الجميع وانصرف كل منهم الى محله . ثم رجع الشيخ قاسم العماد ايضًا ولم يبق من اولاد الامير يوسف غير المشايخ النكدية واولاد الشيخ بشير تلحوق والشيخ عبد الله القاضي . ولما وصل الامير حسن بالعسكر الى البترون هرب اولاد الامير يوسف الى عكار . فرجع الامير حسن والعسكر الى جبيل . وبعد رجوع خليل باشا من محافظة الحج اقام الامير سليماً ابن الامير يوسف على حكم بلاد جبيل وكان صغيراً جداً ولم يرد ان يولي احداخويه لان الجزار كان ولاهما في جبل الشوف . ثم غضب عليهما وارسل خليل باشا عسكرًا مع مدبره الى البترون . وحضر محمد بك الاسعد برجال عكار والشيخ عباس الرعد برجال الضنية وكانوا نحو ستة الاف . ولما بلغ الامير بشير قدومهم الى البترون ارسل عسكر البلاد مع ابن عمه الامير حيدر (المؤلف) الى جبيل . وفي اخر كانون الاول (دسمبر) قدم عسكر اولاد الامير يوسف الى عمشيت فخرج عسكر الدولة من جبيل نحو الف فارس وراجل وركب عسكر البلاد وصار القتال في عمشيت . فانكسر عسكر طرابلس وقتل منه مقتلة عظيمة . ورجع اولاد الامير يوسف هاربين الى طرابلس . وقيل ان محمد بك الاسعد قد خانهم . وفي هذه السنة حدثت زلزلة عظيمة في جهة الشمال فهدمت اكثر الابنية وهدم في طرابلس جملة اماكن

وفي السنة ١٢١١ هـ = ١٧٩٦ م ارسل عبد الله باشا والي دمشق الى ولده خليل باشا والي طرابلس ان يوجه الامير حسيناً ابن الامير يوسف لملاقاة العسكر في البقاع . ويوجه عسكراً من طرابلس الى بلاد جبيل فحضر الامير حسين الي زحلة بموافقة اهل المتن والامير فارس والامير منصور وغيرهما من امراء المتن وحضر الملاّ اسمعيل من دمشق الى البقاع . فعرض الامير بشير الى الجزار فارسل امراً الى عسكره الذي في جبيل ان يقوم الى البقاع فقام من جبيل الى صيداء ثم الى عنبال . وحضر الامير عباس اسعد والمشايخ النكدية الى المتن . وارسل الامير بشير اولاد عمه الامير حيدر والامير حسن الى البقاع قدام عسكر الجزار . وكان ثلج عظيم في المغيثة فباتوا في قب الياس . وعند الصباح ذهبت خيالة الملا اسمعيل من المرج الى مندرة . فالتقاهم عسكر الجزار واهل البلاد وصار القتال في مندرة . فانكسر عسكر دمشق كسرة عظيمة وقتل منه جماعة . ولم يزل عسكر البلاد والهوارة مجداً في اثارهم الى وادي المجدل واغتنموا خيلهم وسلاحهم . وبات عسكر الامير بشير في المجدل وحمارة . وعند الصباح ذهب الى سهل الجديدة . وذهب البعض من

اهل البلاد فاحرقوا البترونة التي بقرب الزبدانة ورجعوا الى قب الياس . واما عسكر طرابلس فانه بعد ماخرج الى اميون بلغه ماتوقع لعسكر البقاع فرجع الى طرابلس واولاد الامير يوسف هربوا من زحلة الى بلاد بعلبك ثم الى دمشق . ورجع عسكر الامير بشير الى دير القمر والهوارة الى عكاء وكانت ضباطهم ميلاداغا وابو جراد آغا والحاج نجاطرة . واما المشايخ النكدية والشيخ عبد الله القاضي فشفعت فيهم امراء المتن وادوا جانبًا من المال ورجعوا الى البلاد واصطلحوا مع الامير بشير ظاهرًا ولكنهم في الباطن ما زالوا يسعون بمفاسد ضده كما ثبت من كتب نشروها في البلاد . وفي ٢٣ شباط (فابراير) ارسل الامير بشير يطلبهم الى سرايا الدير لكي يخلع عليهم خلعة الرضى وكان الاتفاق بين الشيخ بشير جنبلاط والمشايخ العمادية على قتلهم بموافقة الامير بشير . ولما دخل السرايا الشيخ بشير واخوته الشيخ واكد والشيخ سيد احمد والشيخ قاسم والشيخ مراد ادخلوهم الى القاعة وقاموا عليهم وقتلوهم جميعًا . ثم ذهبوا الى بيوتهم في عبيه فهربت اولادهم واختفوا في وادي مغرلا غربي الناعمة فنهبوا بيوتهم واخذوا منها اموالاً جزيلة وبعد ثلاثة ايام اقر بالمختفين منهم رجل من تابعيهم من كفر متى فارسل الامير بشير احضرهم الى السجن . وكانوا خمسة اولاد الشيخ بشير والشيخ علي والشيخ جهجاه والشيخ سعد الدين والشيخ كليب وابن الشيخ واكد . فقاموا في السجن مدة تحت العذاب . ثم دخل عليهم المشايخ بنو عماد وقتلوهم في السجن واما النساء والاولاد الصغار فهربوا مع الشيخ سلمان الى دمشق . وبعد مدة حدث مرض الجدري هناك فمات اثنان من اولاد الشيخ سيد احمد . وما بقي من عائلة كليب سوى ثلاثة اولاد صغار والشيخ سلمان واولاده . واندثر اسم بني ابي نكد من البلاد وقسمت املاكهم بين الامير بشير واخيه الامير حسن وبين بني جنبلاط وبني العماد . وكان للامير بشير من ذلك املاك الشيخ بشير نكد فانعم بجانب منها على المشايخ بني القاضي والشيخ نجم العقيلي . وكان ذلك لشدة ظلم المشايخ النكدية وطمعهم فامر الله بالانتقام منهم لانهم كانوا ظالمين سفاكين للدماء بخلاء . وقد جمعوا اموالاً جزيلة من الربا فراحت في النهب . وكان الاكبر فيهم الشيخ بشير وكانت له سطوة عظيمة . واستراح الامير بشير بعد ذلك في حكمه ووفق بين بني جنبلاط وبني عماد وارضى الجزار واصلح شان الرعايا . واما اولاد الامير يوسف فانهم مكثوا في دمشق الى ان عزم عبد الله باشا على المسير الى الحج فامرهم ان يتحولوا الى حماة الى حين رجوعه وبقي

جرجس باز في دمشق والشيخ سليمان نكد توجه الى عكاء وطيب الجزار قلبه · واعطاه امراً الى اولاد الامير يوسف ان يحضروا الى عكاء ولهم الامان والمسرة فحضروا الى نواحي دمشق واظهروا انهم يريدون ان يلاقوا عبد الله باشا الى المزاريب ومن هناك توجهوا الى عكاء فقبلهم الجزار واكرمهم وطيب قلوبهم · وكان معهم الذين بقوا من بني ابي نكد · فخاف الامير بشير من ذلك وعرض للجزار فرجع له جواب الطمئنان انه لا يمكن ان يغير معه · وفي هذه السنة توفي محمد بك الاسعد حاكم عكار · وكان يحب الامير بشير محبة عظيمة ولهذا قيل انه كان سبب كسرة عسكر طرابلس في عمشيت · وفي هذه السنة كبس الشيخ حسن جنبلاط بني عبد الصمد في عين عماطور وقتل اكثرهم وهرب منهم رجل يقال له علي الى عكاء · وكان الشيخ عبد الله القاضي بقي عند بني عماد في الباروك لانه لم يركن ان يحضر الى دير القمر · فاعطاه الامير بشير الامان ولكن لم يرفع الضبط عن املاكه لعدم حضوره · وبعد رجوع عبد الله باشا من الحج خرج في جباية الاموال السلطانية حسب العادة الى جبل نابلس فارسل الجزار وقتل منه مقتلة عظيمة · وكان في هذه السنة رطل الحرير بستة وثلاثين غرشاً وكيل الحنطة بستة غروش

وفي السنة ١٢١٢ هـ = ١٧٩٧ م بعد قيام بطال باشا عن حلب قامت الانكشارية على السادات في حلب وقتلوا كثيراً منهم حتى انهم كانوا يقتلون السيد وهو يصلي في المحراب فعرضوا الحال الى الدولة العلية فحضر شريف باشا والياً على حلب · وقبل دخوله منعته الانكشارية فارسل طالباً ان يدعوه يدخل المدينة وتعهد ان يكون مسعفاً لهم فدخل واتت اليه السادات وقوي بأسهم على الانكشارية · وبعد ذلك ارسل الى الانكشارية سراً ان يقوموا على السادات فكبسوهم ليلاً وقتلوا منهم مائتين وخمسين نفساً واخذ منهم شريف باشا خمسمائة الف غرش وقدمها للدولة وقويت شوكة الانكشارية في حلب · ثم اجتمعوا على شريف باشا وطردوه من المدينة · وفي هذه السنة في شباط (فابراير) ظهر الطاعون في بيروت وعكاء ومات به خلق كثير ومن جملتهم طنوس اخو جرجس باز واخوه الاخر فرنسيس وسمعان البيطار ايضاً · وفي سابع الشهر المذكور حضر مرسوم من الجزار انه قد انعم على اولاد الامير يوسف بحكم جبل الشوف · وفي تلك الايام تكاثرت الاخبار بقدوم الافرنج الى الاسكندرية واشتغل بال الجزار بذلك · ثم حضر الخبر ان الافرنج تملكوا مصر وهرب مراد بك والغز فخافت اهل المدن

والاسلام · وامر الجزار بخروج النصارى من المدن التي في ايالته ومنع مجيء المراكب اليها وانقطعت البضائع المصرية عن عربستان · وفي هذه السنة في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ولد للامير بشير ولد وسماه الامير امين · وفيها حضر كتاب من اولاد الامير يوسف ان الجزار انعم عليهم بحكم البلاد · وكان قد حضر مرسوم من الجزار بذلك كما مر · ثم وصلت الاخبار بقدومهم الى البلاد بعسكر من قبل الجزار فركب الامير بشير واعلن ذلك في البلاد ولما وصل الى نهر الحمام بلغه انهم لم يزالوا في عكاء لانه في ذلك الوقت كانت قد تكاثرت الاخبار بقدوم الافرنج الى عكاء فاشتغل بال الجزار وعدل عن اخراج اولاد الامير يوسف من عكاء · ثم حضرت امراء حاصبيا الامير عثمان اخوالامير قاسم واولاد عمه الى دير القمر مطرودين من الامير قاسم فعزم الامير بشير ان يصحبهم بعسكر الى حاصبيا وكان ذلك بتدبير الشيخ بشير جنبلاط لان الامير قاسم كان يميل الى بني عماد فعرض الامير قاسم الامر الى الجزار وحضر منه امر الى الامير بشير بعدم التعرض لذلك · وفي تلك الايام تواترت الاخبار ان سلطان الانكليز اتحد مع السلطان سليم وحضرت عمارة الانكليز واحرقت اربعة عشر مركبًا للفرنساويين كانت راسية في ابي قير ومن جملتها المركب الذي يقال له نصف الدنيا · ثم حضرت مراكب الانكليز الى عكاء مع القبطان سميث ساري عسكر الانكليز · وحضر فرمان من السلطان سليم بهذه الصورة

بسم الله الرحمن الرحيم · الحمد لله رب العالمين · والصلوة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين · اما بعد ياجماعة الموحدين · وملة المسلمين فاعلموا ان الطائفة الفرنساوية جعل الله ديارهم دارسة واعلامهم ناكسة (منكسة) · هم الكفرة الطغاة والفجرة البغاة لا يؤمنون بوحدانية رب السماء والارض ولا برسالة شفيع يوم العرض : بل تركوا جميع الاديان وانكروا الاخرة والديان · فلا يعتقدون بيوم الحشر والنشر · ويقولون لا يهلكنا الا الدهر · وما هي الا ارحامٌ تدفع · وارض تبلع · وليس وراء ذلك بعث ولا حساب · ولا بحث ولا عقاب · ولا سؤال ولا جواب · حتى انهم نهبوا اموال كنائسهم · وزينة صلبانهم · واغاروا على قسوسهم ورهبانهم · وزعموا ان الكتب التي جاءت بها الانبياء تلفيق اباطيل · وليس القرآن والتوراة والانجيل · الا اساطير واقاويل · والذين يدعون انبياء كموسى وعيسى ومحمد وغيرهم · ماهم الا بشر

مثلهم . والناس في البشرية سواء كلهم . ليس لواحد على اخر فضل ولا مزية . بل الجميع مشتركون في الانسانية على السوية . وكل منهم في ذاته . يدبر امر نفسه في حياته . وعلى هذا الاعتقاد الباطل والراي السقيم بنوا قواعد جديدة . وقوانين شديدة وثبتوا على ما وسوس لهم الشيطان . وهدموا قواعد الاديان . وحللوا لانفسهم جميع المحرمات واستباحوا كل ماتميل اليه الشهوات . واضلوا بشقاقهم العوام . الذين كالهوام . وقد فتنوا الملل . والقوا الفساد بين الملوك والدول . وهم يخاطبون كل طائفة اننا منكم وعلى دينكم ويعدونهم بالمواعيد الباطلة . ويحذرونهم بالتحذيرات الهائلة . وقد انهمكوا في الفسق والفجور . وركبوا مطية الغرور . وخاضوا في بحر الضلال والطغيان . واتحدوا تحت راية الشيطان . فلا حاكم يرعاهم . ولا دينهم يردعهم . وقد قهروا من لم يطعهم و يتبعهم . فصارت سائر طوائف الافرنج من جرى ذلك في اشتغال بال واشد بلبال . وهؤلاء يهرون هرير الكلاب . و ينهشون نهش الذئاب . وقد جمعوا على تلك الطوائف الرجال يريدون هدم قواعد دينهم . وسبي النساء ونهب الاموال . فجرت الدماء بينهم كالماء وقد نالوا منهم المراد . وتحكموا فيهم بالجور والفساد . والان قد اتصل شرهم الى ان قصدوا ابطال الامة المحمدية . والملة الاحمدية . وقد وقع لدينا بواسطة بعض الجواسيس الكتب التي كتبها اليهم مدبر جمهوريتهم وصاحب دستورهم بونابارته القائل لهم فيها ان ركن الكلام قوي متين ذو صلابة في الدين . فاذا وصلتم الى بلاد المسلمين ودخلتم اقطارهم . وتملكتم ديارهم . ينبغي عليكم ان تعاملوهم بحسب مقتضى الحال . فالضعيف منهم بادروه بالحرب والقتال والنهب . والقوي انصبوا له اشراك الحيل والمكر . وخذوه بالاغتيال والغدر . وسلطوا الادنى على الاعلى . والقوا بينهم الفتن باي وجه كان . لاسيما بين خواقين العجم و بني عثمان . ليقع بينهم النزاع وتخرج الناس عن طاعة السلطان فيفسد بذلك نظامهم . و ينقطع زمامهم . ويهون عليكم امتلاكهم . و يسهل هلاكهم . وفي خلال ذلك ينبغي لكم اعانة ضعفائهم على اقويائهم . لانه اذا اضمحلت حال الاقوياء هانت عليكم ابادة الضعفاء . وبعد ان نظفر بهم نهدم كعبتهم و بيت مقدسهم وجميع معابدهم . ونلاشي كل جوامعهم او مساجدهم ونقتل من ظفرنا به من الرجال . ثم نقسم بيننا مالهم من الديار والاملاك والاموال . و بذلك ندرس رسم الاسلام . و نظفر بالمرام والسلام . انتهت عبارتهم الخبيثة سطرًا سطرًا . سلط الله عليهم دائرة السوء فلا يستطيعون نصرًا . واذا كان هذا قصد الفرنساويين الكافرين .

فكيف لا يكون قتالهم فرضاً على المسلمين · فيا ابطال الحرب · ورجال الطعن والضرب · ويا ايمة الشريعة المحمدية · وفواعد الله الحنفية · ويا جميع المسلمين المؤمنين بالله وبرسوله الامين · اظهروا الهمة المحمدية · في حرب هذه الملة الردية · لانهم يزعمون ان زمرة الموحدين كالكفرة الذين فتنوهم بفسادهم واستولوا على بلادهم · وحولوهم الى اعتقادهم · ولم يعلم هؤلاء الملاعين ان الاسلام مغروس في احشائنا · والايمان ممزوج بدمائنا · فكونوا على حذر من مكائدهم ومفاسدهم · ولا يرعكم تهددهم وتوعدهم · لان الاسود لا تبالي بجمع الثعالب · ولا افاعي بجمع العقارب · وكونوا على قلب واحد واتفاق محض · فان المؤمن كالبنيان يشد بعضه البعض · وابذلوا الجهد في الحب والوفاق · وارفعوا من بينكم اهل النميمة والنفاق · واعلموا ان الامة الفرنساوية بالاموال والدسائس تفسد من عقله سخيف ودينه ضعيف · فلتكن عقولكم حاذقة · وسيوفكم بارقة · ورماحكم فارقة · وسهامكم راشقة · وخيولكم سابقة · ورجالكم في الحرب متلاحقة · بنيات صادقة · لان عون الله معكم · ونعمته عليكم · وعينه ناظرة اليكم · ونحن في طرف السلطنة العلية · قد اشهرنا الاوامر الهمايونية · على جميع العساكر والاجناد في سائر البلاد · وبحول الله عن قريب تجتمع عساكر وافرة · كالبحار الزاخرة · وسفن كالجبال تجري بقدرة الملك المتعال · ومدافع كالرعد القاصف · والبرق الخاطف · ورجال لاتبالي بالموت غيرة لله وحباً في دينه · ولعل الله يامر ان يجعلهم هباء منثورا · وقد خاب من عمل ظلماً وارتكب غرورا والسلام · وحضر فرمان ايضاً الى اهل طرابلس بهذه الصورة

افضى قضاة المسلمين نائب افندي بطرابلس الشام واعيانها عموماً زيد قدرهم

فليكن معلوماً   كما لايخفى ان الفرنساوية من الاوغاد قد هجموا على اخذ مصر القاهرة وما يليها من البلاد · والان قد اختلسوا يافا وغزة والرملة وملحقاتها وعلى زعمهم الفاسد يريدون تدمير امة الاسلام · وهدم كعبتها وجوامعها فاقتضت صداقة المحب الصادق والخل الموافق اجل الاحباب وكريم الانساب سعادة اخينا المحترم سلطان الانكليز المفخم المتحد معنا باخلاص الطوية على تدمير الامة الفرنساوية · انه لغزير مكارمه · ووافر مراحمه قد سير مع عمارتنا الهمايونية عمارة انكليزية واقام عليها ساري عسكر افتخار الامراء الكرام في الطائفة المسيحية · وعظيم الكبراء الفخام في الملة العيسوية جناب محبنا المحترم السنيور بلمام سدني سمث الاكرم · فوجهناه من لدننا بالتفويض الخاقاني · والتوقيع

السلطاني مشيراً مطلقاً في نظام تلك الديار كما يراه بعين الاعتبار فعليكم ان تجبوه · ومها صار عليكم من مراكبه وحاشيته تقدموا لهم الاكرام وحفظ الحرية والمقام · وليعلم الخاص والعام حسن صداقته مع الاسلام · والاعانة لنا على الدوام اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد والسلام ·

وحضر فرمان ايضاً الى احمد باشا الجزار بهذه الصورة

دستور مكرم مشير مفخم · مدبر امر الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهات الانام بالرأي الصائب · ممهد بنيان الدولة والاقبال · مشيد اركان السعادة والاجلال · المتحف بعواطف الملك المتعال · والي صيداء الحاج احمد باشا الجزار ادام الله اجلاله

نعرفك بخصوص الكفرة اللئام الملة الفرنساوية انهم في العام الماضي قد هجموا على اخذ مصر القاهرة · والان قد اختلسوا يافا وغزة والرملة · فاقتضى اننا بمشيئة الله تعالى قد صممنا النية على توجيه سعادة الدستور الموقر صاحب الامر الاعظم تاج الوزراء العظام مالك زمام الخاص والعام الحاج يوسف ضياء باشا ادام الله اجلاله وادام في السعادة اقباله · والآن ها انا مرسل اليكم دفتراً مختوماً بطلب ذخيرة الى بلقيند فليكن ارسالها باسرع مجال وافضل منوال · وعند حضور سعادة وزيرنا المشار اليه قد امرناك ان تبادر الى القيام لقتال الفرنساويين اللئام مصحوباً بالذخائر والعساكر · عرفناكم ذلك فاعتمدوه غاية الاعتماد والسلام · وحضر مع هذا الفرمان كتاب من يوسف باشا بهذه الصورة

صاحب التدبير الحسن المهتم بالامور الخالصة اخونا الاكرم دام محفوظاً سليماً · وفي طاعة الدولة مقيماً

بعد ما يجب الاتحاف به من التحيات ولطائف التسليمات · نعرفكم انه سابقاً قد تقدم منكم عريضة لسدة الدولة العلية مما توقع لكم مع اخينا امير الحج سابقاً الحاج عبد الله باشا العظم زيد قدره والحاج ابراهيم باشا وسألتم رفع تصرفهما في اماكنهما وكفلتم رفع يد الكفرة الفرنساويين من مصر القاهرة · والسعادة العلية قد انعمت عليكم بالتفويض التام ملخصاً للخاص والعام · والآن قد صار الامر بالخلاف · وصرتم لدى الدولة العلية في غير دائرة الانعطاف ولذلك عزمنا عند انتصاف شهر نيسان المبارك ان ننهض لغزو هذه الامة الكافرة · وان شاء الله تدور عليهم الدائرة · والآن ها انا مرسل لكم دفتراً ممضياً

بطلب ذخيرة حسب الامر السلطاني للعسكر المنصور · المراد ان تباشروا بالامر بوجه السرعة ولا تحجبوا اخباركم عنا والسلام ·

وفي السنة ١٢١٣ هـ = ١٧٩٨ م في ٤ اذار (مارش) حضرت العساكر الفرنساوية الى عكاء واقاموا عليها الحصار · وكانوا في الطريق حاصروا يافا ثلثة ايام و ملكوها بالسيف وكان فيها عسكرًا من المسلمين ينوف عن اثني عشر الفًا فما سلم منه الا القليل · وقتل كثير من النساء والاولاد حتى جرى الدم في اسواق يافا · ولما وصلوا الى عكاء حضرت اليهم مشايخ المتاولة فاعطوهم الحكم الذي كان بايديهم في بلاد بشارة · وحضر الشيخ صالح ابن الشيخ ظاهر العمر فاعطوه حكم بلاد صفد · وفرحت اهالي الجبل بقدومهم لسبب ظلم الجزار · واتت اليهم الناس بالخمر والبضائع واخذت منهم اموالاً جزيلة · وخافت منهم دروز الجبل فعزم اكثرهم على الرحيل الى الجبل الاعلى وحوران فما طاوعتهم اصحاب الادراك على ذلك · واجتهد الشيخ بشير جنبلاط والمشايخ في ترحيل اهل الغرب والساحل فما طاوعهم الشيخ عبد الله القاضي لاجل خاطر الامير بشير لانه كان غير راض بذلك · فصفا خاطر الامير بشير عليه وصفح له عما مضى · وعقدت اهالي البلاد اجتماعًا بغير علم الامير بشير · واستهانت به مناصب البلاد · ولم يعودوا يشاورونه في شيء · وحضر امر من الجزار يطلب الاسعاف من الامير بشير فلم يقدر على ذلك واجاب ان البلاد ليست في يده · وشددت الافرنج الحصار على عكاء وهرب المسلمون من المدن البحرية الى نواحي دمشق واكثرهم ارسلوا امتعتهم واسبابهم الى الجبل · واخذت المشايخ العمادية طريق الشام فكانوا ينهبون القوافل الاتية من المدن · فانكر الامير بشير ذلك ولكنه لم يعترضهم خوفًا من الجزار · ومرت قافلة من قاطع بكفيا تحمل خمرًا للافرنج فنهبوها · وعظم ذلك على امراء المتن لان القافلة من رجالهم فكاتبوهم مرات ان يرفعوا الضبط عنها فلم يفعلوا · فارسلوا كبسوا قرية كامد من قرى المشايخ ونهبوها · وفي هذه السنة قدمت عساكر المسلمين الى الجزار من دمشق الشام واتت على طريق جبل الشوف الى صيداء فقدم لها الامير بشير الذخائر وكان معها سناجق من مصر · وحضر كتاب من بونابارته الى الامير بشير فلم يجبه · فارسل اليه كتابًا يعاتبه بعدم الاجابة · فوقع الكتاب في يد متسلم صيداء فارسله الى الجزار فسر بذلك · وارسل الى الامير بشير كتاب رضي · وطلب الاسعاف فلم يقدر على اسعافه كما مر · وضايقت الافرنج عكاء وهدموا كثيرًا منها حتى صاروا يدخلون الى وسط المدينة ·

وملكوا برج علي و بعض اما كن . وكانوا لايهابون الموت حتى قيل ان رجلاً منهم تسلق على حائط السور ولما وصل الى اعلى الحائط مد يده الى فوق الحجارة لكي يستوي على السور فجاءته ضربة قطعت يده فمد الاخرى ولم يسقط حتى قطعت الثانية . وكان الواحد منهم يطلق الرصاص في الساعة ثلثمائة مرة . وكانوا قد اخذوا خنادق حول المدينة وجعلوا لهم سوراً يستترون به . ونصبوا السلالم على حيطان السور وكانوا يطلقون القنابل من المدافع على المدينة من كل جانب حتى لم يبق منها قائم غير القليل . وارتعدت الناس من هولهم . والفرامانات التي حضرت من الدولة لم ينتبه لها احد لضعف الدولة وقوة الافرنج . ثم اقبلت عساكر من دمشق الشام نحو عشرين الفاً فالتقاها الف جندي من الافرنج وكسروها وقتلوا منها مقتلة عظيمة . واندهشت الناس من ذلك . ولولا الانكليز لم يثبت الجزار في الحصار الى ذلك الوقت . و بعد سبعين يوماً وقع الطاعون في عسكر الافرنج . وعلموا انه قد اقبلت الى مصر عساكر في البحر والبر فقاموا من عكاء في ١٦ ايار (مايو) فخاف الامير بشير وجميع الناس من الجزار لعدم اسعافهم له . وهربت المتاولة يحتمون بالامير بشير فلم يقدر ان يحميهم . واتفق انه قبل قيام الفرنساويين من عكا كان قد اخذ رجل نصراني الى متسلم بيروت وكان جالباً خمراً الى الافرنج فانزله المتسلم في سفينة وارسله الى عكاء فالتقى بمركب انكليزي قادم الى بيروت . ولما رأى الرجل ذلك المركب استغاث به ففهم القبطان مراده من الاشارة وامر باطلاقه من يد المسلمين واخذه الى مركبه . ولما احضروه اليه سأله عن شأنه فاخبره انه رجل نصراني من جبل بني معن . وكان القبطان هو السنيور سمام سدني سمث الذي ذكره السلطان سليم في الفرمان انه ساري عسكر الانكليز والاسلام . فسأله عن حاكم الجبل فاخبره عن الامير بشير ووصف له مكارم اخلاقه ومحافظته على الامن وانه يحامي عن دين الاسلام و يقدم ذخائر الى العساكر التي تقدم الى حماية عكاء . ولما واجه القبطان الجزار تكلم معه كلاماً حسناً في شان الامير بشير واستأذنه ان يكتب اليه كتاب الرضى ويتخذه صديقاً له فاذن له بذلك فكتب القبطان الى الامير بشير يلتمس صداقته وطلب منه ان يرسل اليه من يعتمد عليه لكي يوقفه على ما في نفسه وكان ذلك الرجل باقياً عند القبطان فارسل الكتاب معه . ولما وصل الكتاب الامير بشير كانت الافرنج تركت عكاء . وكان القبطان في ريب من امر الجزار . فارسل الى القبطان رجلاً من اهل الشوف يقال له حسن ورد كان فصيحاً بليغاً . وكان ابوه شيخ عقل في البلاد . ولما وصل الرجل

اكرمه القبطان غاية الاكرام ووعده بانه يكون واسطة بين الامير بشير والجزار ولا يدع الجزار يتعرض له بسوء . وارسل معه هدية الى الامير بشير وكان عنده ابن اخته مجروحاً فارسله معه ايضاً . ورجع حسن ورد ومعه ابن اخت القبطان فاكرمه الامير بشير وقدم له السلاح والخيل . وبعد ذلك حضر القبطان الى بيروت فطلب الامير بشير من ابن اخته القبطان ان يذهب الى بيروت ويوفق بينه وبين خاله . فذهب وارسل الى الامير بشير ان يحضر الى الغرب وتكون المواجهة هناك . وفي ٨ حزيران (يونيو) حضر الامير بشير الى عين عنوب وارسل الخيل الى القبطان فحضر وصار بينه وبين الامير بشير محبة عظيمة . ووعده انه لا يدع الجزار ان يغير معه الكلام . ورجع من هناك الى بيروت ثم سافر الى عكاء فلم يقبل الجزار شفاعته في الامير بشير . وسافر من عكاء . وكتب الى الدولة انه اذا صار تغيير من الجزار مع حاكم جبل بني معن تكون العهود التي بينها و بين الانكليز مفسوخة . و بعد سفر القبطان ارسل الجزار عسكراً الى صيداء وعزم على اخراج اولاد الامير يوسف . فارسل الامير بشير جمع اهل البلاد وحضر اليه كل من هو من حزبه الاً بني عماد . وكان ممن تظاهروا بالمصاوة على الامير بشير الشيخ بشير لكنه ندم ورجع الى حزبه واتحد معه . وفي تلك الايام تواردت اخبار قدوم الوزير الاعظم بعساكر المسلمين الى نواحي حلب لاجل قتال الفرنساويين فاشتغل الجزار عن الامير بشير . ولما علم الامير بشير بقدوم الوزير ارسل اليه هدايا من جياد الخيل مع حسن ورد وبيده كتاب يستعطف خاطره به فالتقاه القبطان في اراضي حلب وعرض له ظلم الجزار والاموال التي سلبها من الرعايا والدماء التي سفكها . وكان القبطان سميث قد كتب اليه يعرفه عن ذلك و يشكو له تقصير الجزار مع الانكليز بعد حمايتهم له وكيف انه لم يقبل شفاعته في الامير بشير وردّه خائباً وكان الامير بشير قد شرح للقبطان مظالم الجزار عند مواجهته له في عينوب . ولما قدم الوزير الى حماه ارسل اليه الامير بشير ذخيرة بمائة الف غرش الى الطريق . ولما دخل الى دمشق ارسل الى الامير بشير كتاب انعطاف خاطر واطمئنان وطلب منه ارسال الف غرارة حنطة وشعير من البقاع فارسل الامير بشير حالاً رجالاً فجمعوا الغلال المطلوبة واوردوها الى دمشق . فعند ذلك ارسل له الوزير خلعةً وانعم عليه بحكم جبل بني معن ووادي التيم وبلاد بعلبك وبلاد المتاولة و بلاد جبيل ملكاً له دائماً لا ترجع تحت يد الدولة ولا يكون للوزراء عليه تسلطٌ بل يكون قائماً بنفسه يؤدّي الاموال السلطانية الى خزينة الدولة العلية من يده

كما كانت في ايام بني معن وارسل عبد الله آغا المهردار لاجل ايراد المال السلطاني . فلبس الامير خلعة الوزير ووزع المال السلطاني على البلاد وكان الايراد ليد المهردار . وكان الجزار حين قدم الوزير لم يحتفل به ولا قدم له ذخائر ولا افتقد خاطره بسؤال فغضب الصدر الاعظم من ذلك واضمر له الضرر وبعد ذلك احضر عبد الله باشا العظم وولاه على دمشق واوصاه بالامير بشير واسعافه بكل ما يحتاجه من عساكر وغيرها . ورحل من دمشق طالباً نواحي مصر . وكانت عساكره نحو مائة الف نفس . وظن الامير بشير بعد ذلك ان الجزار لم يعدله عليه يد . وكان قد نهض الى الشوف لاجل جمع الاموال السلطانية . فاراد ان يذهب الى العرقوب فلم تقبله المشايخ العمادية لخوفهم منه لانهم كانوا قد تظاهروا بالخيانة مع اولاد الامير يوسف . وكتبوا الى الجزار ان الامير بشير يسعف الفرنساويين وهم لا يرضون بذلك وانهم كانوا ماسكين الطرق على الذين كانوا ياخذون الخمر والبضائع الى الافرنج ولاجل ذلك اختلاف بينهم وبين الامير بشير . ولما كان الامير بشير في الشوف طلب من عبد الله باشا العظم عسكراً فارسل له نحو ٢٠٠ فارس وجمع رجال الشوف ايضاً . وعزم على غزو بني عماد واحضر عسكر الدولة الى ينبوع الباروك فهربت المشايخ العمادية الى وادي التيم ونزلوا عند الامير قاسم في حاصبيا لانه كان من حزب الجزار . وعرضوا الامر هم والامير قاسم الى الجزار وطلبوا منه عسكراً فارسل عسكره الى خان في حاصبيا وحضروا جميعاً الى البقاع . ولما بلغ الامير بشير ذلك جمع عسكر الشوف وارسله مع الشيخ بشير جنبلاط الى سغبين في غربي البقاع وصار القتال بينهم في ارض الخريزات . فلم يظفر احدهم بالآخر . ورجع كل منهم الى مكانه . وكان ذلك في ١٢ تشرين الاول (اوكتوبر) . ثم طلب الامير بشير عسكراً آخر من عبد الله باشا العظم . فارسل له امرًا الى الملاّ اسمعيل دالي باشي وكان في حماة يقول له فيه ان الامير بشير قائمٌ بامر الدولة العلية وقد صار من رجال الدولة فالمراد ان تحضروا الى اسعافه حالاً لان خدمتك هذه عائدة الى مصلحة الدولة . لان الساعين في هذه المفاسد مرادهم تعطيل الاموال السلطانية . فنهض الملا اسمعيل حالاً وحضر الى البقاع . وعند وصوله الى قب الياس ارسل الى دالاتية الجزار ان يرجعوا الى حاصبيا فهرب الامير قاسم و بنو عماد الى مرج عيون وتوجهوا من هناك الى عكاء . وحضر الامير افندي من راشيا والامير بشير ابن الامير محمد الى سغبين حيث الملا اسمعيل والشيخ بشير . ثم سار الملا اسمعيل والشيخ بشير الى حاصبيا . وبقي الامير افندي والامير

بشير ابن الامير محمد هناك . وفي ٢٧ تشرين الاول غدر الامير افندي بابن عمه الامير بشير وقتله وتوجه الى راشيا وضبط داره واملاكه وتزوج بامرأته . وكان للامير شيراخ صغير قد هرب مع الامير قاسم لان امهما من خوفها عليهما لم تكن تجمعهما في مكان واحد . ثم ان الملاَّ اسمعيل بعد انصراف العسكر رجع الى البقاع . وبقي الشيخ بشير عند الامير عثمان في حاصبيا . وكان الامير قاسم والمشايخ العمادية لما دخلوا على الجزار حدثوه بما توقع معهم ومع عسكره فغضب وامر بركوب العساكر . ولم يقف عند امر الدولة . والبس الامير حسينًا ابن الامير يوسف واخاه الامير سعد الدين خلعة الولاية وارسلهما الى البلاد . وابقى اخاهما الصغير الامير سليمًا رهنًا في عكاء . فتوجه الامير حسين وجرجس باز بالفرسان الى البقاع والامير سعد الدين وعبد الاحد اخو جرجس باز الى اقليم الخرنوب فلما بلغ الامير بشير ذلك ارسل ابن عمه الامير حيدر (المؤرخ) والشيخ بشير جنبلاط بعسكر من الشوف الى غريفة . وارسل المهرادار الذي كان عنده من قبل الوزير الاعظم وارسل كتابًا معه بواقعة الحال الى الوزير . وسار هو الى عنبال واستعان باهالي البلاد فما لباه احد . وحضرت المشايخ النكدية الى دير القمر فتوجه الامير بشير الى الشوف وارسل عياله الى المتن ورجع الشيخ بشير جنبلاط الى الشوف وطلب الملاَّ اسمعيل ان يحضر الى الشوف فما حضر . ورحل من البقاع الى الزبداني فحضر الامير سعد الدين وعسكره الى مزرعة الشوف وحضرت اليه جميع اليزبكية وكثيرٌ من اهل البلاد . وكانت امراء المتن عند الامير بشير فانصرفوا عنه الى منازلهم . ولما رأى الامير بشير خيانة البلاد وتقصير اهل الشوف نهض بمن عنده من اولاد عمه وبني جنبلاط من المختارة الى البقاع وكان ذلك في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) . ولما وصل الامير بشير الى قب الياس وصل الامير حسين وعسكر الجزار الى جب جنين . وكان العسكر نحو ثمانية آلاف خيال . فتوجه الامير بشير الى حمانا في الليل وكانت ليلة مظلمة شديدة الريح والبرد . وطلب امراء المتن فما حضر منهم احد . وكان يأمل ان الامراء وجميع اهل المتن يقاتلون معه لانه وافقهم على ضرب بني عماد لما كبسوا كامدًا ونهبوها كما مرّ

وفي السنة ١٢١٤ هـ = ١٧٩٩ م في ١٩ كانون الاول (ديسمبر) توفي الامير سيد احمد اخو الامير يوسف الشهابي في قرية الحدث وكان قد اتاه خبر قدوم اولاد اخيه من عكاء فخرج من الدار فوقع عن الدرج وقتل . وفي اليوم الثاني توفي الامير منصور . وكان مريضًا في الغرب الاعلى . وبعد مسير الامير بشير الى حمانا قام الامير

حسين بالعسكر من جب جنين الى قب الياس . وارسل الى اهالي المتن ان يصرفوا الامير بشيراً من عندهم او يمشي بعسكر الدولة الى المتن . فارسلت اهالي المتن وامراؤها الى الامير بشير ان يذهب عنهم فقام قاصداً بلاد جبيل وما تبعه من البلاد احد سوى بني جنبلاط ومن حزبهم نحو خمسمائة نفس ومن اولاد عمه الامير حيدر ملحم والامير حيدر احمد والامير حسن علي وكان الامير حسن قاسم اخو الامير بشير في بلاد جبيل فلاقى اخاه الى الطريق . ولما وصل الامير بشير الى كسروان اتاه كتاب من القبطان سميث لانه كان حضر الى بيروت وسأل عنه فاخبروه ان الجزار غضب عليه وارسل له عسكراً طرده من البلاد فكتب اليه بهذه الصورة

من سميث ساري عسكر سلطان بلاد الانكليز ونائب حضرة السلطان سليم الى الاخ الحبيب الامير بشير الكلي الشرف والاحترام

اما بعد فانني لما وصلت الى بيروت سألت عن احوالك ياأخي وصديقي المحبوب فبلغني ما توقع لك من احمد باشا الجزار فانه قد ولى مكانك اولاد الامير يوسف وطردك من الولاية التي انعمت بها عليك الدولة العثمانية عز نصرها فحالاً صرت اتوجه الى غزة لمواجهة احيننا الصدر الاعظم وقائم مقام الدولة العلية . وان شاء الله عن قريب تصل مني الاخبار التي تسرك . ولا تظن ياأخي الحبيب ان انقطاعي عنك لسبب غير كثرة الحروب والاتعاب التي حصلت لي في ابي قير والاسكندرية وذلك لعدم اسعاف الجزار باشا اياي لانه تعهد انه يوجه اليَّ الاسعاف بالمراكب والذخائر وآلات الحرب ونكث وعده وعهده . والان قد صار عدواً لي وللدولة العلية لان العهد بيننا ان عدو الدولة عدو الدولتين وصديق الدولة صديق الدولتين . وانت ياأخي كن براحة بال ان شاء الله قريباً تنال كل ما ترغب فيه . وقد تركت لك مركباً في بيروت لاجل كل ما يلزمك من الذخائر وغيرها . وان شاء الله لا ابطيء عنك في الاخبار . وانا اعلم ان بعض الوشاة في دولتك يوصلون صورة كتابتي هذه الى جزار باشا . ولكن فليعلم انه سيحل به الندم وتنزل عليه النقم وقد حررت لك هذه الاسطر من ظهر الطامور في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ولا بد ان تخبرني دائماً عنك والسلام .

وحضر امر من عبد الله باشا العظم الى البلاد بهذه الصورة « صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى امراء ومشايخ وشيوخ عقل وعقال ورعايا جبل الشوف بوجه

لعموم كي يعلموا . انه قد طرق مسامعنا ما ارتكبتموه من العصاوة في قبولكم اولاد الامير يوسف ولاةً عليكم و بلغنا ان البعض منكم قد اشتركوا معهم في القيام بهذه المهمة مع انكم تعلمون ان جناب ولدنا الامير بشير المحترم معين من لدن الدولة العلية اعز الله انصارها وارفع شوكة اقتدارها . وان كل من خرج من تحت اوامره يكون قد وقع تحت غضب حضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن . ولاجل ذلك قد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا ففي حال وقوفكم عليه يجب ان تتركوا ما عندكم من العصيان . وتذكروا ما حلّ بقومكم في سالف الزمان . وكيف سبيت النساء وقتلت الاطفال لما عصى الدولة الامير فخر الدين ابن معن في ايام الكجك احمد . وسوف ترد اليكم العساكر كالبحار الزواخر ان لم ترجعوا الى جناب ولدنا المشار اليه طائعين . وتكونوا لاوامره سامعين . واعلموا انه هو المؤيد عليكم وانه قد صار من رجال الدولة العلية . ويجب على العاقلين منكم ان يفتكروا في عواقب الامور ولا تكونوا كمثل قوم غدروا بانفسهم . وان لم تفعلوا ما امرتكم به تندموا حيث لا ينفعكم الندم وتكون خطيئة النساء منكم والاطفال في اعناق الرجال فاحذروا من الخلاف . واعتمدوا مرسومنا هذا غاية الاعتماد والسلام

ولما حضر هذا الكتاب لم يكترث به الامير بشير لعلمه انه لايفيده ولكنه اكراماً لخاطر عبد الله باشا ارسله الى البلاد فما اعتبره احد لان البلاد لاتقدر على مقاومة الجزار مع وجود الخيانة بين اهلها . وبعد ذلك توجه الامير بشير من كسروان الى بلاد جبيل ثم الى الكوره الى راس كيفا . وكان ذلك في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) وكان والي طرابلس رحمون بك ابن عم عبد الله باشا العظم فارسل الى الامير بشير خلعة ببلاد جبيل . وتوجه الشيخ حسن بكتابة الى عبد الله باشا اخباراً بما توقع واهتماماً في أمر الكتابة التي ارسلها الى الوزير الاعظم فارسل الكتاب الى عبد الله باشا واختفى في اقليم البلان . وكان بعد توجه الامير بشير من المتن حضر الامير سعد الدين بعسكر الى دير القمر وسار الامير حسين من قب الياس الى حمانا وطلب ذخيرة من جميع المتن وفرّق عليهم الجباة بمطالب ما سلف في الزمان . واخذت المشايخ العمادية ثارها من اهل المتن وكلفوهم ان يقدموا بقدر مانهبوا من كامد اضعافاً كثيرة فندم اهالي المتن على قيام الامير بشير من عندهم . ثم توجه الامير حسين بالعسكر الى بسكنتا ثم الى كسروان . ونهب العسكر جميع القرى التي في طريقه حتى وصل الى غزير وتفرقت الدولة في ضياع كسروان ونهبوا كل ما وجدوه . وقيل انه من غزير وحدها انتهب مقدار

ثلثمائة الف غرش من دراهم وحلي وغيرها لان جرجس باز ما كان يقدران يضبط العسكر
ثم اقام عسكر الدولة على نهر ابرهيم ثلثة ايام وذخائره من كسروان وتقدم الى البترون
ولما بلغ الامير بشير وصول الدولة الى البترون قام من راس كيفا الى سبعل فقام
عسكر الدولة الى الكورة . ولما رأى الامير بشير ان العسكر لايزال يجد في طلبه عزم
على التوجه الى ارض دمشق . وفي ٤ كانون اول (دسمبر) نهض بمن معه من سبعل في
الليل على طريق جرد الضنية ولم يزل سائرًا ذلك الليل والنهار الى آخر الليل الثاني
فوصل الى الهرمل وقد كابد في تلك السفرة مشقة عظيمة من البرد والتعب لبعد المسافة
وعسر الطريق واستراح يومًا في الهرمل وسار الى بعلبك . ثم الى الزبدانة . وعزم ان
يتقدم من هناك الى حوران . و ينتظر هناك الجواب من الصدر الاعظم . وكان لما عزم
سابقًا على التوجه الى اراضي دمشق رجع الامير حيدر ملحم الى البلاد والمشايخ المتاولة
الى منازلهم في عكار . واما الامير حسين فانه عند وصوله الى الكورة نهب عسكره
البلاد ولم يعد يوجد قدامهم ذخائر فرجع العسكر الى ساحل بيروت واقام هناك . وقدم
الحاج يحيى المجذوب حاكم بيروت ذخيرة العسكر فبلغت نحو مائتي الف غرش . وكان
الامير بشير قد نهض من الزبدانة طالبًا حوران فالتقى بالطريق بامر من عبد الله باشا
المعظم ان يرجع الى بلاد جبيل ومعه اوامر الى علي بك الاسعد والشيخ صقر المحفوظ والشيخ
فاضل الرعد والدنادشة حكام عكار وصافيتا ووادي راويد والضنية ان يجمعوا رجالهم
ويمشوا مع الامير بشير و يقدموا له الذخائر . وامر الى الملا اسمعيل و بقية العساكر ان يكونوا
في صحبته حيثما كان فرجع الى الزبدانة والتقاه الشيخ ظاهر التل واكرمه فوق المعتاد مع ان
الشيخ ظاهر كان من حزب اولاد الامير يوسف وقدر بى الصداقة في حياة ابيهم . وبعد
رجوع الامير بشير حضر اليه رسول من قنصل الانكليز في طرابلس بكتاب من القبطان سميث
يطلبه ان يحضر اليه الى غزة لمواجهة الصدر الاعظم هناك وهو قد ارسل مركبًا له الى
طرابلس نكتم الامير بشير ذلك ثلثة ايام الى ان خرج الملا اسمعيل من دمشق وفي ١٣ كانون
الاول (دسمبر) رجع الامير بشير الى بلاد بعلبك وقدم له الامير جهجاه الحرفوش الذخائر
الوافرة . ثم سار الى الهرمل . ثم الى عكار على طريق الجرد وكان طريقًا عسر المسلك
الا انه اقرب مسافة . ولما وصل الى عكار حضر اليه علي بك الاسعد واخوته وانزلوه ضيفًا
عليهما . ثم تحول الى قرية المنية بالقرب من طرابلس . وابقى عند علي بك ولده الامير
خليلًا . وكان لما عزم على التوجه من سبعل الى اراضي دمشق ارسله الى الضنية فما

قبله الشيخ فاضل الرعد فرجع وتوجه مع ابيه حتى وصل الى عكار فابقاه هناك . ولما وصل الامير بشير الى المنية (و يروى المني) علم قنصل طرابلس المذكور بقدومه فحضر حالاً اليه ومعه قبطان المركب الذي ارسله له القبطان سميث وعول على السفر الى غزة . ولما صحا الجو في ٢٣ كانون اول الموافق ٩ شباط نهار السبت سافر في المركب وارسل الى عبد الله باشا يعلمه بذلك وطلب منه الاسعاف بالمكاتبة والملاحظة على اخيه الامير حسن واصحابه . و بعد نزول الامير بشير جمع الامير حسن من كان باقياً عنده من اولاد عمه والمشايخ وسار بهم من المني الى راس كيفا . ووصل الملاَّ اسمعيل بعسكره الى طرابلس . و بعد ايام طلب الامير حسن من الملاَّ اسمعيل المسير معه الى بلاد جبيل فأبى . وكان الامير حسن يعلم خيانة الملاَّ اسمعيل وميله الى اولاد الامير يوسف لان له صداقة معهم من حين حضور ابيهم الى الاظن ابراهيم باشا عن يده ولذلك لم يكن يأمن ان يواجهه خوفاً من الغدر . ولما امتنع من المسير معه الى بلاد جبيل ارسل له الجراية عن الايام التي له من حين خروجه من دمشق فبغت اثنين وعشرين الفاً وخمسماية غرش ورجع الملاَّ اسمعيل الى حماة واخبر الامير حسن عبد الله باشا ان الملاَّ اسمعيل لم يرد ان يصحبه الى بلاد جبيل فارسل عزله من خدمته . و بعد قيام الملاَّ اسمعيل من طرابلس . حضر عسكر الجزار والامير حسين وجرجس باز . فانصرف الامير حسين ومن معه الى بلاد عكار ليلاً . وكانت ليلة حالكة الظلام . ولما وصلوا الى النهر البارد التقاهم عبود بك ابن عثمان باشا الشديد وقبلهم كضيوف تلك الليلة في قرية بقر زلا . وكان عبود بك خفيف الطبع وميله لاولاد الامير يوسف . فارسل تلك الليلة جماعة من حاشيته اطلقت بنادقها في الليل واشاع الخبر ان عسكر الجزار دخل عكار في طلب الامير حسن ومن معه . فلم يصدقه احد ولم يحتفل بذلك لانهم يعلمون خيانته . وعند الصباح توجه الامير حسن ومن معه ودخلوا بلاد عكار . فالتقاهم علي بك الاسعد وسأله الاقامة عنده فأبى الامير حسن خوفاً من طلب العسكر . وتقدموا الى بلاد صافيتا وكان ذلك في ١٢ كانون الثاني (يناير) . وارسل الامير حسن الى الشيخ صقر المحفوظ امر عبد الله باشا العظم انه اينما حل تقبله اصحاب المقاطعات وتقدم له الذخائر و بات تلك الليلة في اوائل البلاد . وعند الصباح دخل الى النهر الابرش فالتقاه الشيخ صقر واولاده وقدم له الذخائر . وتفرقت اصحابه في بلاد النصيرية واقاموا هناك اربعة ايام . فحضر الى الامير حسن كتاب من علي بك الاسعد ان عسكر الجزار والامير حسين

رجعوا من بلاد طرابلس الى جبيل · فرجع الامير حسن الى خان الشيخ عياش واقام هناك وفرق جماعة في ضياع عكار عند علي بك الاسعد واولاد عمه · واما الامير حسن فلما وصل الى الكورة وعلم بمسير الامير حسن الى صافيتا رجع الى حرش بيروت واخبر الجزار بانصراف العسكر الى عكاء · وطلع الى دير القمر · وتوجه اخوه الامير سعد الدين الى جبيل مع ثلثمائة مغربي وقائدهم الجوري · وجمع الامير حسين والامير سعد الدين الاموال السلطانية من بلاد الشوف و بلاد جبيل ثاني مرة مقداراً مضاعفاً · ووزعوا الجباة في البلاد وظلموا الرعايا وضبطوا املاك النازحين مع الامير بشير · وكانت سنة غلاء فصار مد القمح بثلاثة غروش · ولم يعد يوجد من كثرة العساكر · واقام الامير حسين حاكماً في دير القمر والامير سعد الدين في جبيل واخذ كل منهما اموالاً لاتحصى من الرعايا و بذرها كلها ولم يبق منها شيء · واما الامير بشير فانه بعد مسيره من طرابلس اقام في البحر سنة وعشرين يوماً تقذفه الامواج من شدة النوء · ولم يقدر ان يصل الى العريش · وسارت به الرياح الى بلاد المغرب بالقرب من طرابلس الغرب · ثم الى مقابل الاسكندرية · وصادف اخطاراً عظيمة في البحر حتى اقبل على العريش فالتقاه القبطان سميث بكل اكرام وانزله معه الى عرضي همايون وجعله يواجه الوزير الاعظم الذي التقاه بكل اكرام واحبه حباً شديداً · واقام عنده اربعة ايام · ووعده الوزير بكما طلبه وعرض عليه ان يرسل معه احد الباشاوات بعشرة الاف عسكري لاجل حصار الجزار فما قبل لانه يعلم انه ليس كفواً لحصار الجزار وتقديم الذخائر للعسكر · فوعده الوزير انه بعد فراغه من مهمة مصر يرجع بجميع عساكره الى حصار عكاء · وحصلت في ذلك المخابرة بين الفرنساو بين والمسلمين عن يد الانكليز · وحضر من الفرنساو بين اناس للسلام على الصدر الاعظم فانعم عليهم واكرمهم ورجعوا بسلام وامان · وفي ٦ كانون الثاني عزم الوزير الاعظم على القيام من العريش الى نواحي مصر بعد رجوع الفرنساو بين عنها · فامر الامير بشير ان يسير معه فطلب السماح واستأذن ان يسافر مع القبطان سميث الى قبرس فاذن له واقام معه هناك ثمانية عشر يوماً · ثم سافر مع القبطان طالباً مصر لكي يتلقى اوامر الوزير الاعظم قبل رجوعه · و بينما هو في ذلك السفر هاج البحر وظلَّ المركب مدة شهرين ينقلب في جوانب البحر ولا يتيسر له الدخول الى نهر النيل لشدة امنازعة الرياح · وكابد هو ومن معه اخطاراً ومشقات لا توصف حتى اقبل على لاسكندرية · فلاقته الاخبار ان الافرنج الذين كانوا في مصر قاموا على عسكر

المسلمين وكسروا الوزير الاعظم وقتلوا من عسكره خلائق لاتحصى · وطردوا نصيف باشا والغز الذين كانوا دخلوا مصر · ورجع الوزير الى يافا وما بقي معه من عسكره غير القليل · فلما تحقق الامير بشير تلك الاخبار طلب من القبطان ان يرجعه الى طرابلس وفي ٦ ايار (مايو) وصل الى طرابلس · والتقاه اخوه ومن معه الى النهر البارد ورجعوا جميعاً الى بلاد الحصن واقاموا عند علي بك في وادي راويد لانه كان قد تولاها من يد عبد الله باشا العظم وتسلم قلعة الحصن وطرد الدنادشة منها · وفي هذه السنة حضر الى الجزار جانب من العسكر الذي كان مع الوزير الاعظم بعد ان حضر الى يافا · ومن الجملة عثمان باشا واسمعيل باشا هذان كانا في مصر مع نصيف باشا · وغضب الوزير عليهما فحضرا الى الحولة · وحضر امر من الجزار الى الامير حسين ان يقدم لهما ذخيرة · ثم حضر لهما امر من الدولة العلية ان يكونا متسلمين على حمص وحماة · ولما وصلا خارج البلد قامت عليهما اهالي حمص وقدامهم شيخ علم يقال له شيخ دندش فطردوهما واحرقوا خيامهما · وقام الشيخ دندش متسلماً على حمص · وفي هذه السنة حضر الى البقاع الف خيال دالاتية من قبل الجزار مطالبين الامير حسين بالمطلوب منه للجزار فجهز قسماً وارسله مع عبد الاحد باز وكان عشرين الفاً · ولما وقف عبد الاحد قدام الجزار سأله ان يسترجع هو المطالبين من البقاع والامير حسين يتعهد باداء المطلوب من نفسه فغضب الجزار واستقل المال الواصل فشكا عبد الاحد اليه ان هؤلاء الجباة جائرون على الرعايا · وانهم اتراك لا تعرف لغتهم ولا يعرف مطلوبهم فامر الجزار باسترجاع الولاية وارسال ستمائة خيال هوارة مكانهم والح على عبد الاحد بسرعة الايراد · فاعتذر عبد الاحد ان جميع المال الذي جمعوه من البلاد صرف في نفقات العساكر · وانهم لولا اسعاف الحاج يحيي المجذوب متسلم بيروت ما كانوا قدروا على القيام قدام العسكر فغضب الجزار على الحاج يحيي · وارسل قبض عليه وطلب منه مائة الف غرش · فباع جميع املاكه وارسل ثمنها الى الجزار وبقي عليه جانب من المال · فارسل حريمه الى بيت جرجس باز فلم يسعفه بشيء من اثمان تلك الذخائر التي قدمها له · ثم خرج من السجن وهرب الى جبيل وبعد مدة مات هناك وبقي اخوه عند جرجس باز في طلب المال فلم يعطه شيئاً

وفي السنة ١٢١٥ هـ = ١٨٠٠ م زاد الجزار الطلب على الامير حسين فطلب منه ثلثمائة غرارة قمح والف راس غنم وثلثمائة راس بقر وثلثمائة قنطار بارود · واكثر اللجاج

في ايراد المطلوب · وكان قصده بذلك خراب البلاد وتعجيز الامير حسين · وفي هذه السنة بعد رجوع عبد الله باشا العظم من الحج طلب علي بك الاسعد واعطاه حكم وادي راويد · وكان الامير بشير واصحابه عنده في البقيعة · وفي هذه السنة حضر يوسف باشا اخو عبد الله باشا العظم الى طرابلس فما قبلوه · وكان اخوه يكرهه · فقاموا عليه واخرجوه الى الميناء · ودام القتال بينه و بينهم عدة ايام وقتلوا من عسكره جملة انفس · ثم نزل في البحر وسافر الى اللاذقية · واقام عبد الله باشا مكانه ابرهيم سلطان من اهالي البلد · وجعل مصطفى بربر دزداراً (محافظاً) على القلعة وضبط ابرهيم آغا خزينة يوسف باشا ورجعت اهالي طرابلس الذين كانوا نزحوا الى بيروت · وفي هذه السنة زاد الامير حسين الباص في البلاد وقد فرض غرامة شهرية حتى ضاقت صدور الناس ولم يعد لهم طاقة على الايراد · فشبت الثورة في المتن في شهر نيسان وكان في المتن طائفة يقال لها بنو القنطار فكبسوا نصيف الحويس مدبر الامير منصور سيف المتين واحرقوا بيته وتعطلت اشغال الامير حسين في المتن فركب جرجس باز والامير قعدان و بعض اكابر البلاد الى حمى كفرسلوان بالمغاربة الذين عند الامير حسين وابطلوا الثورة وادبوا البعض من اهالي المتن · وجمع جرجس باز المال السلطاني ضعفين · ثم جمع المال ايضاً ضعفاً ونصفاً فتضايق الناس من ذلك اشد الضيق · وكان الامير بشير عرض هذا الى الجزار بعد رجوعه من البحر عن يد الشلق عثمان سكمان باشي · وكان له صداقة معه فوعده بصفو الخاطر عليه ولاجل ذلك زاد الطلب على الامير حسين · وارسل الامير حسين ابن عمه الامير سلمان ابن الامير علي لفرض الضرائب على المتن فطردوه وضبطوا خيله فعرض الامير حسين هذا الى الجزار فارسل عسكر ارناووط نحو ثلثمائة رجل · فاتحد اهالي المتن وخابروا بقية اهالي البلاد وصار الجميع يداً واحدة وتعاهدوا انهم لايقبلون مطالب باص · ولما بلغ الامير حسين ذلك ورأى ان العسكر الذي ارسله له الجزار غير كاف طلب عسكراً ايضاً من الجزار وعزم ان يهاجم المتن · وارسل الى الامراء اللمعية ان يقيموا عيالهم من المتن فارسلوها الى قاطع بكفيا واجتمعت اهالي المتن ما عدا الامراء واجمع رأيهم على احضار الامير بشير من بلاد الحصن وكتبوا له ميثاقاً ان يقاتلوا قدامه · وانهم لا يرضون حاكماً غيره · ورضي جميع اهل البلاد بذلك وتوجه من اهل البلاد نحو مائة خيال الى بلاد الحصن · ولما رأى الامير بشير اختيار اهل البلاد له · وقد كانت مناصبها تخابره سراً ما عدا بني عماد منذ رجوعه

وراى ان الفرج من الجزار بعيد · واذا كان فلا بد ان يكون تحت معاليب يظلم بها البلاد · فاستخار الله وركب مع القوم · ومشى معه علي بك واولاد عمه الى قرب طرابلس · وفي ٢٥ تشرين الاول (اوكتوبر) وصل الى كسروان واخبر جميع البلاد بوصوله · ولما رأى جرجس باز ان جميع البلاد خانته واحضرت الامير بشير توجه الى صيداء وعرض الامر الى الجزار ولج في طلب عسكر فارسل اليه نحو الفين رجل من الارناووط المشاة · ووعده بارسال الفرسان الذين في البقاع وارسل الى العسكر ان يحضر الى صيداء · وفي آخر تشرين الاول وصل الامير بشير الى المتن · وكان لوصوله بهجة عظيمة ولاقته جميع اهالي المتن باحتفال عظيم · ولاقته المشايخ النكدية وكثير من اهالي البلاد ومناصبها من دون بني عماد · وحضرت امراء المتن · واتفقوا مع اهالي البلاد ولكن البعض منهم بقي لهم علاقة مع جرجس باز · ثم ان الامير بشير في ثاني تشرين الثاني (نوفمبر) توجه بجميع من عنده من حمانا الى الشوف وسبق الشيخ حسين ماضي شيخ العقل وجماعة من العقال الى العرقوب وحتم على المشايخ بني عماد بالدخول في ساحة رضى الامير بشير فاجابوا ولكن تحت شروط لم يقبل بها الامير بشير · ثم وصل الى ينبوع الباروك وطلبهم فلم يحضروا · وقصد المسير الى دير القمر فمنعه المطر والتزم ان يبيت في كفر نبرخ وفي ذلك النهار اخبر جرجس باز بهذا فحضر بعسكر الارناووط من صيدا الى دير القمر والمطر متساقط بشدة · ولما بلغ الامير بشير قدوم جرجس باز وكثرة العسكر الذي معه ورأى انه لا يقدر على الدخول الا بعد قتال شديد اضطر ان يقبل شروط بني عماد · وقام بالعسكر الذي معه الى بعقلين وحضر جميع المشايخ بني عماد · ووقع الصلح بين اولاد الشيخ قاسم جنبلاط وابن عمهم الشيخ بشير نجم اخي الشيخ ابي قاسم والشيخ احمد اللذين قاتلوهم قديمًا · واصلح الامير بشير الامر بين المشايخ بني عطاالله والشيخ نجم العقيلي الذي كانوا قتلوا اخاه وابن عمه سابقًا وكان الشيخ نجم قوي عليهم في حكم الامير بشير · وكان الامير بشير قد طردهم الى حوران وقطع اغراسهم وهدم منازلهم في عين دارة وضبط غلالهم · واصلح الامر ايضًا بين المشايخ النكدية والعمادية والجنبلاطية · وصارت جميع البلاد يدًا واحدة في طاعته · وكان قبل وصول الامير الى بعقلين أخبر الشيخ بشير جنبلاط ان عسكر الجزار الذي كان في البقاع حضر الى صيداء وهو قادم الى دير القمر فركب من بعقلين بنحو خمسمائة جندي والتقاهم الى نهر الحمام فكسرهم وظل في

آثارهم الى عين "مز بود وكسب منهم كثيرًا من الخيل والسلاح . ولما كانوا في بعض الطريق التقوا بالقرا محمد دالي باش طالعًا الى دير القمر فرجعوا جميعًا الى صيداء . وارسل المشايخ بنو عماد الى جرجس باز ان يقوم بالارناووط من الدير وبعد انصراف العسكر ينعقد الصلح بينه وبين الامير بشير ويكون مولاه الامير حسين حاكمًا في بلاد جبيل فرضي بذلك وطلب ان لا يعارض اذا خرج بالعسكر لكنه يمشي معه الى ساحل بيروت حتى يصل الى صحراء الشويفات فيعرج بالامير حسين ومن معه من اهل البلاد على الشويفات ويذهب العسكر الى بيروت . وفي ٦ تشرين الثاني قام من الدير بالعسكر . وحضر الامير بشير الى هناك . وكان لدخوله فرح عظيم . وفي الحال ارسل اخاه الامير حسنًا واهالي الغرب الى الشويفات لملاقاة الامير حسين . وكان جرجس باز لما وصل الى صحراء الشويفات اراد ان يفارق العسكر حسب العهد السابق فاشار عليه بعض خواصه ان لا يترك خاطر الجزار وانه لابد ان ياخذ البلاد بالسيف فاستمر في مسيره مع العسكر الى ساحل بيروت . وارسل طلب عسكر الفرسان من صيداء فحضرت حالاً وكانت تنوف عن الفي فارس لانه كان قد حضر جملة خيل هوراة مع عبد الرحمن الطوير . واجتمع العسكر في ساحل بيروت وكان يزيد عن الستة آلاف . ولما بلغ الامير بشير ذلك نام من دير القمر الى الغرب وبقي الشيخ بشير والبعض من المشايخ بني عماد في دير القمر خوفًا من جهة صيداء . ورتب الامير بشير اخاه الامير حسنًا واهل الغربين والشحار في الشويفات . وتوجه الى عاريا في اوائل مقاطعة المتن وجمع اهالي المتن والجرد وفي ١٤ تشرين الثاني انتشر عسكر الدولة على ساحل بيروت فحرق كل ما وصل اليه من البيوت حتى انتهى الى برج البراجنة . وفي ١٦ من الشهر طلع عسكر الدولة الى الشويفات ووقع القتال مع الارناووط في حارة العمروسية وحاصروها اشد الحصار وكانوا نحو ثلثة آلاف . ثم طلعت الهوارة الى حارة القبة وملكوها فتكاثرت عليهم الناس وكسروهم وقتلوا ضابطهم ابن اخت عبد الرحمن الطوير . واقتحمت الارناووط حارة العمروسية حتى وصلوا الى قرب بيوتها ولكن لم يتمكنوا من الدخول لاطلاق الرصاص الذي كان ياتيهم من سطح الكنيسة . وتكاثرت عليهم الناس فقتل منهم نحو مائة قتيل ورجعوا مكسورين . ولم يكن في الشويفات من اهل البلاد اكثر من الف نفس . ولما علم الامير بشير بقيام العسكر الى الشويفات توجه بعسكره الى نواحي بعبدا وكان عنده نحو الفي نفس من المتن والجرد . ولما وقع القتال في الشويفات مع الارناووط

والهوارة مالت بحوه خيل الدالاتية فلما رأتهم اهالي المتن ولوا هاربين . فطمعت بهم الدولة ووقع القتال بين الدولة والامير بشير ولم يكن باقيًا عنده سوى حاشيته واولاد عمه والبعض من المشايخ بني عبد الملك والشيخ جهجاه العماد . ولم يزل يقاتلهم حتى لم يبق حوله غير القليل من بني عمه وحاشيته . فهجمت عليهم خيل القرا محمد فردهم الى وادي شحرور وقتل منهم نحو عشرين قتيلاً . وكانت خيل الدولة طلعت الى نواحي بعبدا فقتلت من ادركته من المتن ورجع عسكر الدولة الى ساحل بيروت . ورجع الامير بشير الى عاريا . وكان عسكر الدولة في رجوعه الى الساحل احرق جملة بيوت من بعبدا والحدث وسبي النساء وقتل العجائز والاولاد فاجتمع معه اربعة وخمسون راسًا من القتلى فارسلوها الى عكاء ونهبوا من تلك الاراضي اموالاً كثيرة ومواشي . وفي ١٨ منه طلع العسكر الى سكة دمشق فالتقاه الامير بشير الى القفل عند الكحالة وكان معه الف وخمسمائة نفس من المتن والجرد ووقع بينهم القتال فارتد عسكر الامير نحو الوادي والجزيرة ومن عسر المكان لم يقتل سوى اربعة انفس . واجتاز عسكر الدولة في طلب الامير بشير الى عاريا وكان معه الشيخ جهجاه العماد فادركوه وقتلوه واخذوا راسه واحرقوا عاريا . وكان الشيخ بشير جنبلاط حضر الى الشويفات فركب ومعه البعض من المشايخ النكدية والتلاحقة ومن يتبعهم ثلثمائة رجل ولما وصلوا الى الكحالة صدموا عسكر الدولة وانتشب بينهم القتال ساعة من الزمان . فرجع عسكر الدولة وتجمع في القفل بعد ما فات عاريا فصدمه الامير بشير وتكاثرت الرجال ورجع البعض من المكسورين وعند العصر انكسر عسكر الدولة وقتل منه نحو عشرين قتيلاً . ورجع الامير بشير بعسكره الى العبادية . ووقع الرعب في قلوب اهل البلاد لاسيما اهل المتن اذ لم يكن قدامهم من يشددهم من امرائهم ولا من يحتم عليهم ويخافون منه مثل اهل الشوف وغيرهم فانصرفوا الى شانهم ولم يعد يجتمع منهم عند الامير بشير غير القليل . والذي كان يحضر منهم يرجع قريبًا وصار الامير بشير يرسل اولاد عمه يطوفون في المتن ويحرقون بيوتًا ولا يحضر غير القليل . ولما رأى الامير بشير ذلك ندم على حضوره الى البلاد . ولكن الله الهم جرجس باز في ذلك الوقت ان يعود الى ما كان قد عزم عليه من امر الصلح لانه كان قد ضاقت يده ورأى انه اذا ملك البلاد بسيف الدولة لا يقدر على تقدمة الذخائر والنفقات والدولة لا تقنع منه . وان بلص البلاد مثل العادة ترحل الناس من قدامه وتخرب البلاد . وقيل انه كان له امل في الشيخ جهجاه العماد فصار بعد قتله عدواً لبني عماد . وفي ذلك

الوقت كتب الى الشيخ علي تلحوق ولمشايخ بني العماد الذين كانوا مع الامير بشير ان يخرجوا الى مواجهته . فلم يسمح لهم الامير بشير بذلك فاجابوا جرجس باز ان يرسل اليهم من يعتمد عليه و يفهمهم ما في نفسه . فارسل يوسف اغا الترك وطلع الى الشويفات فرجع اليه الجواب انه يرجع بمولاه الامير حسين من حكم الدولة و يرجع الى البلاد . و يكون حكم بلاد جبيل للامير حسين كما طلب وتمحى من بينهم تلك البواعث القديمة . وارتضى الفريقان بذلك واجروا بينهم عهوداً ومواثيق فعرض جرجس باز الى الجزار ان البلاد طاعت وسلمت وانه متى طلع الى البلاد يطرد الامير بشير ومن يتبعه فصدق الجزار وارسل رفع العسكر . وابقى منه ثلثمائة نفس من الارناووط كما طلب جرجس باز . وفي ١٢ كانون الاول (ديسمبر) توجه العسكر من ساحل بيروت الى صيداء . و بعد مسيره ركب الامير حسين وجرجس باز وجميع من معهما الى الحدث واظهر انه يريد ان يقابل اكابر البلاد الاطمئنان . ثم يرسل لهم ان يحضروا فمكثوا مكانهم . ولما وصل جرجس باز الى الحدث لم يزل سائراً بمن معه . وكان قد ارسل الى الامير حسن والمشايخ الذين معه ان يلاقوه الى نهر الغدير بين الحدث والشويفات فالتقوا هناك . ولم يكن للذين مع جرجس باز عارفين بما تدبر فخافوا و رجع اكثرهم . و بنو عبد الصمد كانوا خائفين من بني جنبلاط فرجعوا الى منزل الارناووط والتقى الامير حسن بالامير حسين والجميع و رجعوا ببهجة عظيمة الى الشويفات . وشاع الخبر في البلاد وسرت الناس بذلك الاتفاق . وفي الحال ارسلوا الى الامير سعد الدين ان يرتفع من جبيل خوفاً عليه من جهة البحر . وحضر الامير بشير الى عيناب والتقوا جميعاً هناك وتصالحوا وتوجهوا جميعاً الى دير القمر . ووقع الحب بين الامير بشير وجرجس باز وتوجه الامير بشير الى منزله وجرجس باز معه . ثم سار جرجس باز الى جبيل وبقي الامير حسين في دير القمر . ولما علم الجزار بذلك عظم عليه و راعه ذلك الاتفاق لانه لم يكن يقدر على البلاد الا بخيانة بعضهم بعضاً . فترك الامر وبقي ينتظر الفرصة .

وفي هذه السنة مر اناس بالقرب من مدينة بعلبك الى جهة الجنوب في مكان يقال له عمود الذهب فرأوا حفرة في الارض فتأملوها واذا فيها علامات توهم انها كنز وكانوا ثمانية انفس فحفروا في ذلك المكان حتى انتهوا الى باب من حجر عليه صخرة فرفعوها ودخلوا واذا مغارة منحوتة في صخر وسعها نحو سبعة اذرع وفي جانبها ناووسان كبيران من حجر طول الواحد منهما اربعة اذرع ونصف وعلى كل واحد منهما غطاء من حجر على

هيئة قبة مثلثة وفوق الغطاء سلسلة من حديد مقفولة بقفل مستدير قد علاه الصداء من تمادي الايام فكسروها ولم يقدروا على رفع الغطاء حتى كسروه فوجدوا في الناووس الواحد ميتاً قد بلي وصار تراباً الا عظامه وعلى وجهه غشاء من ذهب رقيق جداً وفي يده خاتمان من ذهب حجر الواحد منهما احمر والثاني ازرق منقوش عليه صورة طائر وفي الناووس الاخر ميتاً كالاول وعلى وجهه غشاء من ذهب ايضاً وفي يده خاتم واحد من ذهب وحجره اخضر فاخذوا الجميع . ثم اتوا الى الجانب الاخر من المغارة فوجدوا ثلثة نواويس من رصاص ثخن الواحد منها ثلثة اصابع وطوله ذراع وربع وفوقها اغطية من حجر عليها كتابه مجهولة فكسروا تلك الاغطية واذا في النواويس موتى قد صاروا تراباً ولم يبق منهم شيء . ولم يجدوا عليهم شيئاً ولكن وجدوا بين ذلك التراب قطعاً من الذهب صغيرة كالعدس . ووجدوا ايضاً في الجانب الاخر من المغارة ناووساً صغيراً جداً من رصاص وعليه كتابة مثل تلك فكسروه ولم يجدوا فيه الا شيئاً كالتراب . ثم اخذوا تلك النواويس الرصاصية ورجعوا الى بعلبك واقتسموها فكانت قنطاراً واربعين رطلاً والذهب واحد وعشرين مثقالاً فباعوا الرصاص للمكارين الرطل بثلاثين من الفضة والمكارون باعوه للسيد عبدالقادر قرنفل الرطل بغرش ونصف والسيد عبد القادر باعه للافرنج الرطل بخمسة غروش . واما تلك الكتابة التي على النواويس فلم يعرفها احد من الافرنج ولا من الاروام ولا من اليهود . واما حجارة الخواتم فقالت الصاغة ان الازرق فيروز والاحمر عقيق

(انتهى الجزء الثاني المعروف بنزهة الزمان ويليه الجزء الثالث)

الجزء الثالث

(من تاريخ الامير حيدر)

المسمى الروض النضير

في ولاية الامير بشير قاسم الكبير

واعماله حتى موته

وهو يشتمل على تاريخ ٢٨ سنة

من سنة ١٢٢٧ ه الى سنة ١٢٦٧

طبع بمطبعة السلام باول شارع كلوت بك سنة ١٩٠١ بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القدير الازل · اصل كل الاصول وعلة العلل · الذي لا تغيره حوادث القرون والدول · يغير ولا يتغير وهو على كل شيء قدير

الفصل الاول

في قتل عبد الاحد وجرجس باز والتخلص من اولاد الامير يوسف الشهابي واستقلال الامير بشير بالحكم

اما بعد فاننا قد ذكرنا فيما تقدم من تاريخ جبل الشوف ما كان من امر جرجس باز ابي شاكر وكيف قام بخدمة الامراء اولاد الامير يوسف الشهابي حتى اقامهم على ولاية البلاد في ايام احمد باشا الجزار · ثم شاطرهم الحكم الامير بشير ابن الامير قاسم الشهابي · فاقتصروا على ولاية بلاد جبيل وما يليها · وكانوا قاصرين في السن والراي وكان جرجس باز مدبرًا لهم · بصفة خادم في القول و بصفة مخدوم في العمل لانهم كانوا تحت امره في كلما يفعلون · وكانوا لا يصدرون امرًا الا باذنه حتى في ملابسهم وتنزهاتهم وغلمانهم وخيلهم وسلاحهم ونفقاتهم · ولم يكن في ايديهم امر ولا نهي حتى ولا خاتم يختمون به مايكتب باسمائهم من رقاع الديوان · لان اختامهم كانت بيد جرجس باز يكتب ويختم كما يشاء بغير اذن منهم · ولا علم لهم · فكان لا يسأل عما يفعل وهم يسألون · وكان هذا الرجل حاذقًا كريم النفس واليد سهل الاخلاق طيب الحديث ياخذ لقاؤه بقلوب الناس فيميلون اليه حتى انه كان يبقى عنده نفقات عسكر الجزار ويتظاهر انه لا يتيسر له اداءها فيغضب القائد ويهجم عليه قائلاً بيّن السبب لتاخرك فيجلس امامه و يخاطبه بكلامه الرائق و يبسط له المعذرة فيسكن

به تلك الحمية ويخرج من عنده صابرًا شكورًا · وقيل ان بعضًا اعطاه مالاً جزيلاً ليتسع به في نفقاته الى ان يفتح الله له بالميسرة · وكان متلافًا يستهلك الاموال غير محتفل بها في الشدة والرخاء · وكان للناس طمع في سعة صدره حتى انه ربما اهدي اليه فرس او سيف او ثوب · فيتناوله بعض حاشيته قبل ان يراه · ثم يخبره به فيقول له بارك الله لك فيه · وكان طروبًا يحب الملاهي والغناء فلا يخلو محله من منشد الا نادرًا · وكان فيه تيه واقدام فلا يبالي في امر ولا يراعي جانب من يراعي جانبه · وكان له كثير من الاصدقاء والاعداء وكان اخوه عبد الاحد يقرب منه في هذه الصفات الا انه لم يكن يجاريه في النباهة وكان مسرفًا متنعمًا كثير البذخ في الملابس حتى كان يستبدل في اليوم الواحد خمس حال كاملة من العمامة فما يليها · وطابت لهما الايام زمانًا طويلاً وعظمت منزلتهما · وكان لهما دولة زاهرة نضيرة · ومال اليهما كثير من عمد البلاد فاستطالا ولم يكن للامير بشير حرمة عندهما · وكان كثير من الامور تجري على غير رضاه · ولا يتمكن من دفعها فكان يضمر السوء لهما · واتفق في تلك الايام انه حدث سبب من المشايخ بني تلحوق اغضبه فارسل اليهم رسلا يطلب اموالاً منهم · وكان خاطره منحرفًا عن المشايخ بني عبد الملك · فارسل اليهم رجالاً يضيقون عليهم تأديبًا لهم · وكان جرجس باز يحرضه على الانتقام منهم فشدد عليهم الامير بشير حتى رحلوا من منازلهم ونزلوا على اخيه الامير حسن في غزير وسالوه ان يتوسط في امرهم عند اخيه وهناك جرى حديث جرجس باز واخيه فشكا الامير بشير لاخيه سوء تصرفهما وجورهما فاتفقا على قتلهما وعقد اتفاق بين الامير بشير والشيخ بشير وغيرهما من ارباب الكلام وسأل الامير حسن اخاه رفع المطالبين عن المشايخ فلم يفعل وتظاهر الامير حسن بالغيظ عليه · وسأله ليفهم جرجس باز فاجابه واطمأن بذلك على التمكن من خاطر الامير وكان جرجس باز في دير القمر واخوه عبد الاحد مع الامراء اولاد الامير يوسف في جبيل فاتفق الامير بشير وحاشيته على ان المشايخ يسيرون الى جبيل فيقتلون عبد الاحد والامير بشير يقتل اخاه في دير القمر وجعلوا لذلك يومًا معلومًا في ٥ ايار الموافق ٨ ربيع اول سنة ١٢٢٢ · وسار الامير حسن من غزير بالمشايخ اليزبكية قاصدين مدينة جبيل · وارسلوا رجالاً يسبقونهم الى المدينة لئلا يقفل اهل المدينة الابواب اذا رأوهم مقبلين · واشاعوا انهم يريدون السلام على اولاد الامير يوسف · ولما اقبلوا · نظروا انهم جمهور كبير فحذر بعض الناس عبد الاحد واشاروا عليه ان يمنعهم عن الدخول

فلم يسمع لهم حتى دخلوا المدينة . وعرف ان الشر بادٍ على وجوههم فايقن عبد الاحد بالهلاك ودخل الى داره وتقلد سلاحه وجمع اليه قومه . وبينما هم كذلك هجموا عليه فاطلق الرصاص على خطار المصفي فقتله وجرح الشيخ ناصر الدين العماد في يده واحاطت به الجماعة فالقى نفسه من نافذة كانت هناك من محل عالٍ واراد ان يقوم منهزم فلم يقدر لشدة الصدمة التي اصابته فادركوه وقتلوه ونهبوا كلما وجدوه في داره وكان مقداراً عظيماً . وقبضوا على عرب الشاقون والياس ادّي والبعض من حاشية اولاد الامير يوسف . ونهبوا اسواق المدينة وبيوتها واغتنموا الخيل والسلاح . وكان الامير حسن عند دخولهم الى جبيل جعل طريقه على القلعة وقبض على اولاد الامير يوسف وهم الامير حسين والامير سعد الدين والامير سليم وكان ذلك يوم الجمعة عصر يوم الميعاد بين الامير بشير واخيه الامير حسن . وفي ذلك اليوم نفسه دعا الامير بشير جرجس باز ليحضر اليه لاجل التفكر في بعض المهام فحضر وجلس عنده ساعة ثم خرج الامير من مجلسه واغلق الباب وامر الشرط بني زين الدين فدخلوا عليه وقتلوه . وفي الحال ارسل قبض على يوسف ابن نصيف اغا الترك وامر بقتله ايضاً لانه كان من ارباب دولة جرجس باز . وامر بعدم التعرض لبقية تابعيه وطيب قلوبهم سوى غالب ابي شاكر وبطرس ابي نجم فامر بالقبض عليهما وضبط دار جرجس باز وامر باخراج زوجته واولاده منها بالسلامة والامان . وكان لا يثق بان اخاه يتمكن من الدخول الى مدينة جبيل فركب من ساعته ومعه الشيخ بشير جنبلاط برجالهما وسار طالباً جبيل . وكان اخوه لما قتل عبد الاحد بادر بارسال الخبر اليه فالتقى برسوله في عين عنوب وكان قد اقبل الليل فرد الرسول الى اخيه بخبر جرجس باز وبات تلك الليلة هناك . وفي الغد انحدر الى الشويفات وصرف من كان معه من الرجال واقام هناك خمسة ايام . ومنها سار الى جبيل وبعد وصوله امر بتوجيه اولاد الامير يوسف ليقطنوا في قرية درعون من اعمال كسروان فتوجهوا الى هناك . وامر بسمل أعينهم فاستراح من ذلك النزاع الذي كان فيه وطابت له الايام . وفي ٢٣ ايار (مايو) رجع الى دير القمر فارتجت منه البلاد وخلا باله من كل معارض ومنازل . وتأسفت الناس على ابي عساف جرجس باز لانه كان مقبولاً بلطفه وكرمه قاضياً للحاجات . وكان اكثر اصحابه يخشون مثل هذا الامر فكانوا ينصحونه ويحذرونه وينذرونه حتى انه بعدما قتل وجد في منطقته كتاب من الشيخ ظاهر عطاالله من عين داره ينصحه فيه ويحذره من غائلة الامير بشير وهو لا

يلتفت الى مآل ذلك حتى قضي الامر فصح قول الشاعر

واذا رأيت مقدراً من قادرٍ وفررت منه فنحوه كان السرى
ان المقدر كائنٌ لاينمحي ولك الامان من الذي ماقدّرا

وجار الامير بشير بعد ذلك على اولاد الامير يوسف فضبط املاكهم واقام لهم نفقة يسيرة يعيشون بها كالصعاليك . ومنعهم ان يتزوجوا خوفاً من اعقابهم فلم يأذن لهم بالزواج الى حين . وكان احدهم الامير سعد الدين خاطباً ابنة الامير حيدر احمد . ففسخ عقد الخطبة وزف البنت لابنه الامير امين

وفي السنة ١٢٢٣ هـ = ١٨٠٨ م كان الامير حسن اخو الامير بشير مريضاً في غزير لآفة كانت في طحاله فسار الامير بشير الى هناك يفتقده . وكان ذلك في اوائل شهر محرم . فاقام عنده اياماً . وكان اختلاف بين مصطفى اغا بربر واصحاب مقاطعات طرابلس فركب الامير الى جبيل وتوسط بينهم فاصلح ذات بينهم في ذلك الوقت . وليلة الاربعاء في رابع شهر صفر الموافق ١٨ اذار (مارس) اشتد المرض على اخيه الامير حسن وتوفي في رابعة النهار فاقام له ماتماً عظيماً ودفن في غزير في القبة التي دفن بها ابوه وهي قبة الامراء بني سيف الدين ولاة مقاطعة كسروان سابقاً ونظم المعلم نقولا الترك تاريخاً لوفاته فقال

مات الذي قد كان عوناً للورى فبكى الوجود لفقده لما ارتقى
حسن الوجود اميرنا المولى الذي قد كان للدنيا شهاباً مشرقا
فالجسم وسّد في ضريحٍ كان مضـ ـجعاً به قبلاً ابوه ذو التقى
والنفس منه مع ابيه ارخوا حقت بنعم الفوز في دار البقا

سنة ١٢٢٣ هـ

وبعد دفنه ركب الامير بشير وعاد راجعاً الى مدينة جبيل . وكان معه ولداه الامير قاسم والامير خليل . وعرّف بوفاة اخيه جميع المقاطعات وصار عليه حزن عظيم في جميع البلاد . وكان الامير حسن رجلاً لبيباً فطناً محباً للعلم والعلماء سديد الراي ابيّ النفس صعب القياد وكان مسعفاً لاخيه في جميع الامور وركناً لدولته

وفي السنة ١٢٢٤ هـ = ١٨٠٩ م في شهر صفر الخير حضرت الى الامير خلعة الولاية من سليمان باشا والي صيداء حسب العادة وكان ببابه الشاعر نقولا الترك فقال يهنئه

فخر الوجود امير العالمين كسي ابهى سنا خلعة بالسعد مقترنه

هو البشير الذي مولاه قلده ... مراتب العز دون الخلق وائتمنه

ادام رب العلى ايام دولته ... وخلد الله في هذا الورى زمنه

لما زها طالع الاقبال وانتشرت ... اعلامه البيض بالافراح معتلنه

انشدته بيت شعر نظمه عجب ... قد حاز خمس تواريخ انت حسنه

فمهمل البيت تاريخ ومعجمه ... وكل سطر حوى التاريخ واحتضنه

كذاك منطوقه يبدي الدعا ابداً ... لسيد اجزل المولى له مننه

عام اربع بعد عشرين يسد ويدم ... الفاً و ينفق دهر المئتين سنه

سنة ١٢٢٥ هـ

وفي هذه السنة شرع الامير بشير في بناء جسر نهر الكلب الذي كان قد بناه الملك انطونيوس قيصر . ثم هدم فبناه الامير حسن الشهابي . ثم هدم . ولما تم بناؤه كتب عليه الشاعر المذكور يقول

بنته الملوك القدم والماء هده ... على نهر كلب حل ارصاده الاسد

وفي رمضان قام عاماً مؤرخاً ... ببيتين كل منهما فيه قد ورد

فمهمل كل ضم تاريخ عامه ... ومعجمه والشطر قد ضمن العدد

بشير مجيد قاهر قام حكمه ... شهابي بنى جسراً متيناً الى الابد

بالف اشيد ومائتين واربع ... وعشرين دهراً احمد الدهر والامد

وفي هذه السنة لما رأى سليمان باشا والي صيداء حسن قيام الامير بشير بمهمات ولاية جبل بني معن وصدق خدمته وطاعته . فانعطف خاطره وارسل اليه خلعة فاخرة وكتاباً يقول فيه

صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول واللازم الاتباع . الى افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام . والوقار والاحتشام . ولدنا الامير بشير الشهابي زيد مجده . فليكن معلوماً لدى الامراء والمقدمين والمشايخ وشيوخ العقل والعقال وارباب الكلام ومباشري الامور والرعايا في جبل الشوف وكسروان بوجه العموم

انه غير خافٍ عليكم رضانا على جناب الامير الموى اليه لاجل نجابته وحسن درايته وادائه الاموال السلطانية . وطاعته للدولة . العلية وثباته على صدق الخدمة وحسن الاستقامة . وضبطه وربطه وتأمينه الطرق وتمهيده السبيل . وقيامه بكل فعل جميل .

و بناء على اطواره المرضية · وارتفاعه على جميع اقرنه في صحة الخدمة والعبودية · وبحسب تعهده لنا بموجب سند محفوظ في خزينتنا على شروط معلومة الكمية والكيفية · قد انعمنا عليه بالتزام جبل الشوف وكسروان وتوابعهما في مدة حياته ما دام مراعياً لتلك الشروط الممضاة · وبما ان الترتيب القديم والقانون المستديم ان تجدد الشروط عند دخول شهر مارث الجديد كل عام يتشرف الموى اليه بخلعتنا · و يصدر اليه الانعام · والان اذ قد دخل شهر مارث هذه السنة المباركة اقتضى تجديد العهود واصدار هذا الكتاب الكريم لكي تعلموا ان الامير الموى اليه مقرر على ما كان عليه · ومتصرف بضبط جبل الشوف وجبل كسروان · وما يليهما · فليكن فيما بينكم مسموع الكلام مرفوع المقام · ومهما كان مرتباً عليكم من الاموال السلطانية · والعشور والرسوم الوفية والضرائب على الاشجار توردونه على يد الامير الموى اليه · وكل منكم يسعى في امر معاشه وعمار منزله كجاري عادته طيب القلب والنفس · و بحوله تعالى وقدرته لا تشاهدون من لدننا الا كامل الحماية والصيانة والرفاهية من جميع الوجوه · ونخبركم ياايها الامير الموى اليه ان درايتك وادراكك وحسن سلوكك وضبطك وربطك واداءك الاموال الاميرية · وطاعتك للدولة العلية · وقيامك بجميع المهات والملمات المفوضة الى عهدتك كل ذلك مقبول لدينا · و بناء على وعدنا السابق وحسن قيامك بكل ماذكر قد اثبتنا وقررنا التزام جبل الشوف وجبل كسروان وتوابعهما عليك · فينبغي من مزيد همتك وعلو نعمتك ان تشمر عن ساعد الاهتمام في الضبط والربط والقطع والمنع واجراء الاحكام الشرعية · وتأييد الرسوم الوفية وتسعى في عمار البلاد وراحة العباد وتأمين ابناء السبيل وقطع دابر اهل النفاق والفساد وتستجلب الدعوات الخيرية من الخاص والعام بدوام سرير سلطنة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين قاطع الكفر والمشركين ناشر الوية العدل والدين سليمان الزمان واسكندر العصر والاوان وخليفة الملك الرحمن · ولاجل رفع شانك على اقرانك قد انعمنا عليك بالشروط الزاهرة · وخلعة من ملابسنا الفاخرة عن يد رافعه قدوة الاماثل والاقران وكيلنا حالاً الحاج عثمان آغا زيد قدره · فالمراد بوصول الموى اليه ان تبادروا لملتقى خلعتنا بالاجلال والتكريم · وتشهروا علائم التبجيل والتعظيم · وتتلوا مرسومنا هذا على رؤوس الاشهاد · وتنشروه على جميع العباد في جميع البلاد · و بناء على ذلك قد اصدرنا لكم مرسومنا هذا من محروسة عكاء المحمية فاعملوا بموجبه واعتمدوه غاية الاعتماد والسلام

الفصل الثاني

(في ثورة الوهابيين واخضاعهم بقيادة الامير طوسون باشا)

وفي السنة ١٢٢٥ هـ = ١١٨٠ م تواردت الاخبار بقدوم الامير عبد الله ابن سعود الوهابي من بلاد الحجاز الى بلاد حوران · وكان والي دمشق الشام الكنج يوسف باشا · فخشي من قدومه لانه كان يريد ان يسطو على الديار الشامية و يتملكها فخرج بالعسكر الى صحراء المزاريب وارسل الى سليمان باشا يطلب منه النجدة على هولاء العرب القادمين فنهض سليمان باشا من عكاء الى طبرية وارسل الى الامير بشير يدعوه الى اسعافه برجال البلاد · ولما وصل كتاب سليمان باشا الى الامير بشير بادر باطلاق التنبيه في جميع البلاد وجمع كثيراً من العساكر وخرج من دير القمر الى جزين ثم الى مرج عيون · وكان قد اجتمع عنده من العسكر نحو ١٥ الف رجل فسار بهم الى طبرية وعند وصوله الى خان المنية التقته عساكر سليمان باشا وساروا قدامه بالطبول والزمور واطلاق البنادق حتى وصل الى جانب المدينة فوجد الخيام قد نصبت له وكانت نحو ٤٠٠ خيمة سلطانية فنزل في تلك الخيام ورتب العساكر التي معه ومشى بثلاثة من عبيده للسلام على الوزير · فلما قابله حياه احسن تحية وقبله بين عينيه ولطف به واقام عنده ساعة ورجع الى خيامه · ولما كان الصباح حضر الوزير الى خيمته وفوض اليه امر تلك المهمة وسلمه كلما يلزم لتدبيرها · واقاموا ينتظرون ما يرد من جهة يوسف باشا من الاخبار · وبعد ثلاثة ايام ورد الخبر برجوع العربان الوهابيين عن تلك الديار بعد ما فعلوا افعالاً بربرية في بلاد حوران من سبي النساء وقتل الاطفال ونهب الاموال واحراق المنازل والغلال حتى قيل انهم اتلفوا في تلك البلاد مايبلغ نحو ثلاثة الاف الف درهم · وكان قائد هذه الجيوش رجل يقال له عليان من بني حبيب وكان متقدماً عند الامير عبد الله ابن سعود رئيس الوهابيين الذي انشأ هذه البدعة · وكان هؤلاء يعتقدون بوجود الخالق لاغير و ينكرون كل مادون ذلك من نبي او رسول اوفرض اوسنة الى غير ذلك · ولما خلا بال سليمان باشا من امر القوم استحضر اليه الامير بشير وخلا به وعرض عليه امراً سلطانياً من لدن الدولة العلية كان قد حضر اليه في تلك الايام بولايته على دمشق واستشاره في ذلك لانه كان يعلم ان يوسف باشا تنقاد الايالة اليه طوعاً · وهو لايقدر على اغتصابها

منه لانه كان كثير المال والرجال · وقال للامير ان كنت تقدر ان تساعدني على ذلك فدعنا نسير الى دمشق ونغتنم الفرصة في غياب يوسف باشا · والا فانا ارد الفرمان الى صاحبه سراً وعليك العهد ان لا تبوح بذلك لاحد من الناس · فقال لبيك يامولاي فانا ورجالي في خدمتك نقاتل حتى نقتل ونبلغك ماتريد · قال حياك الله انت لها وابيك · ولئن بلغت ذلك عن يدك فلك الجميل الذي لاينسى · والذكر الذي لايبلى · وكتب سليمان باشا من ساعته الى جميع الاعمال التابعة ايالة دمشق الشام يعلمهم بذلك ويدعوهم اليه · واحضر قواد عساكره واعلمهم بما في نفسه · وامرهم بالتأهب للسفر · وارسل رجالاً يمسكون الطرق على كل رسول لئلا يصل الخبر الى الكنج يوسف · وفي الغد رجع الامير بشير الى مرج عيون وارسل خبر وصول الوزير الى اصحاب المقاطعات الشمالية مثل الملاّ اسمعيل صاحب حماة وعلي بك الاسعد صاحب طرابلس وبقية المتسلمين والولاة في تلك الاطراف · وارسل جدد التنبيه في البلاد ان يحضر اليه كل من تخلف من الحملة الأولى · وكان الشيخ بشير متوعك المزاج قبل ذلك فلم يصحبه في اول سفره فارسل اليه ان يحضر · وفي الحال بادر الى جمع رجاله وحضر الى مرج عيون · وفي الغد وصل سليمان باشا الى خان حاصبيا وسار الامير بعساكره اليه · وتوجهوا جميعاً الى الظهر الاحمر · ثم الى قرية قطنا · وكان في ديار الشام اعرابي من عرب بني صخر · فاعتسف الطريق اختلاساً واتى الى يوسف باشا واخبره بما هناك · فقام من فوره عن المزاريب ورجع الى دمشق · فدخل المدينة · وتحصن بالرجال والمهمات · وبلغ سليمان باشا ذلك فارسل الى اهل دمشق يعلمهم بما نعمت الدولة العلية عليه وانه يريد الدخول الى المدينة حسب الاوامر السلطانية · فخرج اليه البعض من اكابر المدينة ووقفوا على الفرمان الذي بيده واشار عليهم الامير بشير بالتسليم · وقال اني آخذ بيد صاحبي وساجلب عليكم عساكر مثل قاطع الغمام ولا احول عنكم حتى اسلمه المدينة ولو خراباً · فان قبلتم نصيحتي فاطردوا يوسف باشا من عندكم · ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة · وكان للامير بشير هيبة عظيمة وقد وقع رعب مواطنيه في قلوب اولئك الاهالي · وكان قد ارسل الامراء بني عمه بان يباشروا بجمع العساكر بانفسهم من جميع البلاد فجعلوا يطوفون المقاطعات ويرسلون اليه الرجال فكان وصول عساكره متصلاً · ولما رأى ذلك اولئك الدماشقة اضطربوا وطلبوا المهلة ثلاثة ايام · فاجابهم الى ذلك · وعادوا الى يوسف باشا فأخبروه بما رأوا وسمعوا

واشاروا عليه بالتسليم الى امر الدولة · فأبى وعول على العصيان والحصار في القلعة · واستعد وتأهب الى ان مضت الثلاثة الايام · واما سليمان باشا فلما تم الميعاد ولم يحضر اليه جواب علم ان الرجل يريد الخروج · فنهض بمن معه الى الجديدة ودار با في ارجاء المدينة والتقاهم البعض من عساكر يوسف باشا ووقع بينهم القتال نحو ثلاث ساعات فخرج يوسف باشا بجميع العساكر التي عنده · وانتشب الحرب بينهم واشتد الكفاح وصدمتهم عساكر سليمان باشا وعساكر الامير بشير صدمة عظيمة فظفرت بهم وانهزموا حتى دخلوا المدينة وقتلوا منهم قتلى كثيرين · واغتنموا كثيراً من خيلهم وسلاحهم · ورجعوا عنهم وباتوا تلك الليلة في الجديدة · وكان ذلك في اول شهر رجب · واما يوسف باشا فانه بعد تلك الكسرة جمع امواله واثقاله وعزم ان يخرج ليلاً من المدينه ويباغت عسكر سليمان باشا والامير بشير فان ظفر بهم والاوسع في القفار الى حيثما شاء الله · وبلغ الامير بشير ذلك فنادى بالاهبة في رجاله وفرق الخيل ثلاث فرق واقام ينتظر حضور الكنج يوسف · واما عساكر يوسف باشا فلما علمت بما في نفسه وهي تعلم انه اذا انكسر ايضاً لايرجع الى دمشق وكان قد تأخر لهم عنده كثير من النفقات والرواتب فصاروا ينهبون من تلك الاحمال والاموال ورأى يوسف باشا عساكره تنهب امواله فخاف من غدرهم وفر من بينهم هارباً · ولم يأمن على نفسه حتى خرج من المدينة وضرب في تلك البراري والقفار · وعند الصباح وصلت الاخبار بانصراف يوسف باشا من تلك الديار · ففرح سليمان باشا بذلك التوفيق وقام من ساعته ودخل الى المدينة بصحبة الامير بشير ورجاله · فالتقاه اهل المدينة بالاعزاز والاكرام وجلس في دار الوزارة ونادى بالعدل والامان · وحضر اليه الملاّ اسمعيل صاحب حماة · وبقية اصحاب المقاطعات · وفوض جميع الامور والتدابير الى الامير بشير · فارسل مصطفى آغا بربر متسلماً على مدينة طرابلس الشام قبلما يتسلم القلعة · لانه كان قد حدث شغب بسببها · وارسل الملاّ اسمعيل على حمص وحماة وتلك الاطراف · وحسين آغا سرجي متسلم بيروت على اللاذقية وعلي آغا الخزندار قائم مقام في عكاه · والامير جهجاه الحرفوش على بلاد بعلبك · والكنج احمد آغا الذي كان متسلماً في دمشق من ايام احمد باشا الجزار اعاده الى ولايته · وانعم الوزير على الامير قاسم ابن الامير بشير واعطاه ولاية بلاد جبيل · واعطى اخاه الامير خليلاً ولاية البقاع ومايليها · وعزم الامير بشير على الانصراف بعد ذلك · وكان احمد الذي اقامه سليمان باشا على دمشق قد ظلم القوم

في ولايته السابقة فخافوا من ظلمه . وتعصب الانكشارية والقبي قول وكثير من اهل المدينة وعساكر يوسف باشا التي كانت بافية هناك . وكان متسلم القلعة رئيس القبي قول . فاغلقت الابواب ووجه المدافع على دار الوزارة وعول على الفتنة و بلغ سليمان باشا ذلك فاضطرب فؤاده وارتبك في امره ودعا الامير بشير واستشاره في ذلك وفوض اليه تدبير الامور فعزل الكنج احمد من ساعته وارسله متسلماً الى القدس الشريف واقام مكانه درويش آغا ابن جعفر آغا الذي كان متسلماً في ايام عبد الله باشا العظم قديماً . وكان ذلك منية اهل المدينة فسروا بذلك وارتفعت الفتنة وسكنت البلابل ولما انفصلت تلك الاحزاب استخدم سليمان باشا عساكر يوسف باشا وفرقهم على المدن ليأمن شرهم . وكان شملين آغا جرة تلك العساكر فاقامه دالي باش وارسله الى عكاء وانقطع الخصام بعد ذلك . وخلا بال سليمان باشا . ثم ان الامير بشير استأذنه في العودة الى بلاده فأذن له ورجع الى منزله عزيزاً مكرماً . ولم يكن احد من اسلافه وصل الى ما وصل اليه من العزة والاقتدار . وكان لقدومه بهجة عظيمة في البلاد وقال المعلم نقولا الترك يمدحه ويهنئه ويذكر تلك القصة شعراً

عرا الناس خطبٌ هوله لا يقدَّرُ	اثارته اوغادٌ من البدو فجَّروا
جموعٌ كاعداد الرمال خوارجٌ	شرودٌ لدين الله والكتب انكروا
فلوا ارض نجدٍ والعراقين منهم	فساروا وفي الطغيان للناس هوَّروا
وحاطوا باقصي مكةٍ و بيثرب	وهدوا القباب العالياتِ ودمروا
وطافوا على قطر الحجاز بامره	و بثوا به ما ابدعوه واشهروا
وقاموا بهذا العام يبغون بعده	دمشقاً وفي ارض المزاريب جمهروا
فبادرَ والي امرها الكنج يوسفٍ	الى صدهم لما اتاهُ المخبر
ومن حصن عكا سار للحرب مسرعاً	سليمانها الشهم الوزير الغضنفرُ
ونادى باقطار البلاد الوحى الوحى	الى مشهدٍ فيه الفتى ليس يخسرُ
فلبي الندا بحر الندى قاهر العدى	شهاب الهدى ذاك السعيد المظفرُ
بشير الملا بالنصر واليمن والعلا	امير به اعتز الولا والتأمرُ
وساروا ومن احزاب قيسٍ امامه	رجالٌ كاساد الفرائس تزأرُ
قرومٌ صناديدٌ قرونٌ اماجدٌ	اسودٌ صعابٌ للوغى قد تصدروا
امامهم الشيخ الذي شاع بطشه	امام شديد الباس في الحرب مشهر
هو الجنبلاطيُّ البشير الفتى الذي	هو الركنُ فيه طود لبنان يعمرُ

لديه رجال كالشواهين ان سطت ترى القوم منها كالعصافير تنفرُ
فقل لاسود البدو ترتد خشعا فقد جاءهم ليثٌ هزبر يزمجرُ
اميرٌ لهُ في كل نقعٍ وغارةٍ فعالٌ واهوالٌ الى الحشر تذكرُ
اذا غشيَ الهيجاء وانقضَّ هاجماً على الجيش قالوا ما دريدٌ وعنترُ
لهُ في الوغى للفتك باعٌ مشرعٌ وساقٌ لخوض النائبات مشمرُ
صبورٌ على الجلى وان طال جورها حزومٌ سديد الرأي لا يتعسرُ
باقباله قد طاب قلب وزيرنا فبات يذيع الحمد عنه و يشكرُ
ولما سرت اخباره للعدى نأوا ومن بعد اقدام لووا وتأخروا
وفروا جزاعاً من سطاه وهكذا يفر جراد اذ اتاه السمرمرُ
وما طال هذا الحال الا واقبلت فرامين سلطان تشير وتأمرُ
بعزل وزير الشام مع ضبط ماله لامر قضاه الله وهو المقررُ
وولى سليمان على تخت جلقٍ ووافى لهُ الخط الشريف المغررُ
وسار على تلك التخوم باسرها ولم يبق من صدر سواه مدبرُ
فقام مجدًّا نحوها بعزائم تقد الجبال الشامخات وتفطرُ
وطنب اطناباً لهُ حول جلقٍ ونادى مناديه وصاح المبشرُ
واشعرَ والي امرها بمصابهِ وقد جاءه عند المزاريب منذرُ
فطارَ حثيثاً طالباً دارَ جلقٍ ولما نوى فيها طغاهُ التكبرُ
واغراهُ بالعصيان شيطان بغيهِ ومن يعصِ والي امره ليس ينصرُ
وفي الغدوافى طالباً حومة الوغى ولم يدر انَّ الطالب الشر يخسرُ
وخاض غبار الحرب تحمل خلفه ثلاثة الاف تصولُ وتخطرُ
فلاقته فرسان المنايا مغيرة تنادي على الباغين الله اكبرُ
وثار الوغى والسيف قد قارع القنا وغطى الفريقين الغبار المكدرُ
فولى على اعقابه كل ظالم وفي سهل داريا الاعادي تقهقروا
وكم من سراياهم ترامت جماجم كاوراق اشجار على الارض تنشرُ
واصحابنا ظنته عيداً وموسماً فباتت باعداها تضحي وتنحرُ
وتم لهم نصرٌ من الله مقبلٌ بوجه ابي سعدى (1) وفيه تبشروا

(1) كنية الامير بشير معروف بهذه الكنية عند جميع معاصريه

وفرت اعاديهم وفر وزيرهم ذليلاً واعياه الاسي والتحير
وجهز احمالاً من المال بادرت الى نهبها اقوامه وهو مدبر
وسار باشخاص قليل عديدها وقد بات يطوي البيدطياً وينشر
وراح وفيع البدو نزالة الفلا يروم من العربان نصراً و يؤثر
بهذا يجازى من تعدى حدوده ومن سار في طرق الغواية يعثر
وجاز سليمان الوزير بموكب عظيم نظيم مثله ليس ينظر
وعم الملا صفو ملا القطر فانجلي قتام البلى عنه وزال التكدر
واهدى البشير الناس خير بشارة لها زينوا كل البلاد ونوروا
وذاع ثناه انه الفاتح الذي له نخوة عن وصفها اللسن تقصر
وعاد سليمان الى دار مجده عزيزاً كريماً ظافراً يتصدر
وقرر ارباب الولايات كلها واولى من النعماء ماليس يكفر
واصرف مولانا البشير مكرماً حميد الثناء يثني عليه ويشكر
فعاد الى الاوطان عودة ظافر بعز الى يوم القيامة يذكر
ولاح علينا منه اشراق طلعة من الكوكب الوضاح ابهى وابهر
وشرف اوطاننا به طاب عيشها وانشا لها شاناً الى الدهر يذخر
وابقى لها جاهاً خطيراً مخلداً بذكراه كم تطوي دهور واعصر
واعقب في الافاق من طيب فعله عبير ثناء من شذا المسك اعطر
واولى الهناء للناس ارخت كلها فوالوه حمداً مستديماً وكرروا

سنة ١٢٢٥

وفي هذه السنة تكاثر مرض الجدري في جميع البلدان والمدن حتى لم يخل منه مكان . ومات به اناس كثيرون . وفي ذلك الوقت تحقق عند الناس صدق تطعيم الجدري الافرنجي الذي كان قد استعمل سنة ١٢٢٢ كما هو المشهور الان . وذلك ان الافرنج نظروا بعين المعرفة والاختبار ان هذا المرض من الامراض الوافدة التي تصيب الجسم مرة ولا تعود اليه الاَّ نادراً غير انه حاد تخشى عواقبه ورأوا ان ابدان البقر باردة بالنسبة الى ابدان الناس فجربوه في ابدان البقر اولاً بان جرحوا انثاها في ضرعها الذي هو ابرد من بقية اعضائها لانه مجتمع اللبن وجعلوا في ذلك الجرح شيئاً من تلك المادة ايضاً وجرحوا الانسان في عضده الذي هو ابعد عن اعضائه الرئيسة

وجعلوا فيه شيئًا من المادة فتسري تلك المادة في بدنه ويكون كأنه تد جدر فلا يتأثر الجدري ولو خالط المجدورين . وكان قدوم مادة التطعيم عن يد القنصل لورلاً وفد به على الامير بشير فاستعمله لبعض حاشيته . وكان يومئذٍ في قرية برجة اناس مصابون بهذا المرض فارسل المطعمين الى هناك وكانوا ممن يعتقدون بالقضاء والقدر فدخلوا بين اولئك المجدورين وخالطوهم بجرأة وعادوا سالمين . فوثق الامير بذلك واستعمله لنفسه ولاهل بيته فشاع ذلك في البلاد فاستعمله كثيرون . ولما حدث هذا المرض هذه السنة وجد ان الذين كانوا قد تطعموا به سلموا فوثق الناس به واستعملوه كبارًا وصغارًا . وفي هذه السنة شرع الامير بشير في بناء جسر على نهر الصفا الذي هو اسفل قرية عين زحلتا وهو على الطريق من جهة العرقوب والشوف الى جهة المتن (ونقش عليه هذا التاريخ

انشاه خير العالمين اميرنا ذاك البشير المرتجي رب الوفا
وبأمنه ارخت جاد لانه امر العباد بان تجوز على الصفا

سنة ١٢٢٥

وفي السنة ١٢٢٦ هـ = ١٨١١ حدثت فتنة بين الدروز القاطنين في الجبل الاعلى التابع ايالة مدينة حلب وبين اهالي تلك البلاد وجرى بينهم حروب كثيرة . واتفق جميع اهل تلك الاطراف فارسلوا يستغيثون بالامير بشير فارسل مباشرين من قبله الى تلك البلاد . وكتب الى حكامها واستخلص الطائفة المذكورة واحضرهم الى بلاده وفرقهم للسكنى في مقاطعات البلاد . وامر لهم بمئة الف درهم لاجل معاشهم وكانوا اربع مئة بيت . ومات منهم كثير من النساء والاولاد في الطريق وكابدوا مشقة عظيمة قبل وصولهم الى هذه البلاد (في اكثر مقاطعات جبل الشوف تسمع اسم فلان الحلبي المنسوب الى حلب وهو من هذه العيال) . وفي هذه السنة أنعم بحكم مقاطعة بلاد جبيل على محمود بك ابن سليمان باشا والي صيداء وانعم على عبدالله بك ابن علي باشا الخزندار بالحكم الدائم . وفوض سليمان باشا ذلك الى الامير بشير .

وفي السنة ١٢٢٧ هـ = ١٨١٢ م في شهر ايار (مايو) الموافق لشهر جمادى الاول قدم الى هذه البلاد جراد من نواحي بلاد نابلس وغرز في السواحل البحرية من بلاد صفد الى طرابلس وكان جيشًا عظيمًا للغاية اذا انتشر حجب الشمس . فهال الناس امره وايقنوا باتلاف الاغراس والغلال تلك السنة . ففرض الامير بشير على جميع اهل بلاده ان يحضر كل

رجل نصف مد من بزر ذلك الجراد المدفون في الارض · واقام على ذلك مباشرين في كل مكان يجمعون اليهم ذلك البزر ويحرقونه بالنار فاخذت الناس تحرث الارض وتستخرج ذلك البزر · واجتمع الى هذا العمل كل من كان في البلاد من جميع اقاصي الجبال الى اطراف السواحل · فجمعوا منه ما ينوف عن خمسين غرارة · والباقي منه فقس قبل استيفاء جمعه وسعى في اراضي السواحل وكان كثيراً جداً · فامران تبادر الناس اليه و يصنعوا له حفرًا و يطردونه اليها · وكان يرسل الامراء بني عمه واكابر اعوانه لمراقبة ذلك فاهلكوا منه مالا يقدر · وغلب الباقي قبل استيفاء العمل فزحف الى حيث لا يحفر له حفر في ارض صلبة · لذلك جمعوا له اغصاناً يابسة وبلاناً وخلافه مما يسهل حرقه وكسوها باغصان مورقة رخصة وصاروا يطردون الجراد اليها وحالما تمتلىء منه يحرقونها فابادوا قسماً اعظم · وما زالوا مواظبين على ابادته وحرقه حتى ابادوه ولم يتضرر منه احد وكان ذلك التدبير اختراعاً من الامير بشير لم يسبقه اليه احد · واما بقية الاماكن التي غرز فيها ولم يجمع فانه فقس فيها وانتشر حتى لم يدع فيها خضرة وفيها حضر حسين افندي المرادي الى دار الامير بشير من دمشق الشام وكان هارباً خوفاً من سليمان باشا والي دمشق لفتنة كانت بينه و بين المفتي ابن المحاسني · وكان المفتي له قبول عند الباشا فخاف حسين افندي على نفسه ونزل على الامير بشير فالتقاه احسن ملتقى واكرم مثواه واقام عنده اياماً ثم سار الى عكاء فتوسط في امره سليمان باشا والي صيداء مع سليمان باشا والي دمشق ورجع الى مكانه · وفيها امر الامير بشير بابطال الخفارة من جميع اطراف بلاده وكانت عادة قديمة مرسومة على خان الحسين وخان المديرج في الطرق الجبلية وعلى خان الناعمة وفرضة جونية وجبيل في الطرق البحرية واذن ان تسير القوافل والتجار على جميع الطرق بالامان والسلامة بدون ان يغرموا بشي فكانت رحمة عظيمة للناس · وفيها في شهر رمضان حضرت الى مدينة بيروت نساء سليمان باشا والي دمشق من القسطنطينية فارسل سليمان باشا نحو مائتي فارس لكي يسيروا معهم الى دمشق · وبلغ ذلك الامير بشير فارسل من خواصه نحو خمسين فارساً الى بيروت وامر بتقديم الذخائر الى الطريق · ولما وصل الظعن الى هناك ورأوا تلك الذخائر ارسل ضابطهم رسولاً الى سليمان باشا يخبره بذلك فسر به وارسل الى الامير بشير فروًا ثميناً من ملابسه وكتاباً يثني به عليه وهذه صورته « افتخار الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام الامير الاجل الامجد ولدنا الامير بشير

الشهابي المحترم زيد مجده . غب اهداء الدعوات الصافية . والتسليمات الوافية . انه قد طرق مسامعنا اهتمامكم في اسداء الجميل والاكرام الى ولدنا البك المحترم حين وصوله الى مدينة بيروت فحصل لنا بذلك مسرة عظيمة بارك الله في غرتكم ولا زلتم اهل المعروف والكرامة والآن واصل لكم فرو سمور من ملابسنا نتسر يلون به ان شاء الله بالهناء والسرور ومن الآن فصاعدًا مهما لزم لكم اعرضوه لدينا والسلام ختام . وفي هذه السنة اطلق الامير بشير لحية فقال المعلم بطرس كرامة في ذلك شعرًا

ان البشير الذي فاز الزمان به   قد ساد بالمجد والافضال واللطف
بدا عذار البها في حسن طلعته   يحكي اساطير بسم الله في الصحف
الله عظمه قدرًا وجمله   ارخ وزينه في حلية الشرف

وقال المعلم نقولا الترك

لما تبدى ذو المعالي مسبلاً   ابهى عذار لاح في وجناته
انشدت فيه لك الهنا يامن به   ارخت عش عمرًا عديد نباته

سنة ١٢٢٧

وفي السنة ١٢٢٨ هـ = ١٨١٣ م وقع القتال بين العساكر المصرية والعرب الوهابية في بلاد الحجاز وظفرت عساكر مصر بالعرب وطردوهم وتملكوا المدينة المنورة وجدة ومكة . وكان قائد العساكر المصرية طوسون باشا ابن محمد علي باشا عزيز مصر . وكان شجاعًا عظيمًا . وكان ابوه يمده بالمساعدات الملكية وحضر كتاب الى الامير من سليمان باشا المعظم والي دمشق الشام يخبره بتلك النصرة وهذه صورته . افتخار الامراء الكرام ذو القدر والاحترام جناب ولدنا الاعز الامجد الامير بشير الشهابي زيد مجده . بعد التحية والسلام . بمزيد الاعزاز والاكرام . نبدي اليك انه يوم تاريخه قد ورد لنا كتاب من سعادة الاخ الافخم والي مصر القاهرة المحترم يخبرنا ان سعادة ولده طوسون باشا بعد استيلائه على المدينة المنورة . توجه بعساكره المظفرة الى مكة المطهرة . وقطع دابر الطائفة الوهابية الكافرة وادار عليهم الدائرة . بقدرة ملك الدنيا والاخرة . وتطهرت منهم تلك الرحاب الشريفة . والديار المنيفة . واستولى على مكة المعظمة وجدة وتلك البقاع المكرمة . ولم يبق احد في تلك الديار من اولئك الكفار . وبما ان هذه البشارة تجلب السرور التام الى جميع الاسلام . ارسلنا اليكم مرسومنا هذا لكي تشهروه على الخاص والعام . وتستجلبوا الدعوات الخيرية لحضرة مولانا السلطان الذي هو ظل

الملك العلام وخليفة سيد الانام . ولنا ولجميع المسلمين من الرعايا وولاة الاحكام . وليكن ذلك معلوماً عندكم تعتمدونه والسلام .

وفي هذه السنة غضبت الدولة على سعيد آغا حاكم اريحا والطبل علي حاكم الشغر فهربا من تلك البلاد وكان طريقها على بلاد الامير بشير . فلم يقبلهما فانصرفا الى نواحي حماة . وبلغ سليمان باشا حضورهما الى هذه البلاد فكتب في طلبهما كتاباً الى الامير بشير بهذه الصورة : الى افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام . ذي القدر والاحترام الامير بشير الشهابي زيد مجده . والى مفاخر الاقران الاعزاء والمقدمين والمشايخ وارباب الكلام وسائر الرعايا في جبل الشوف وكسروان بوجه العموم كي يعلموا . انه بتاريخه وفد علينا ثلثة اوامر سلطانية من جانب الدولة العلية . صانها رب البرية عن يد افتخار الاماجد الكرام سر بوابين دركاه عالي ابرهيم آغا رشيد دام مجده . ومضمونها السامي انه منذ سنوات لسبب خلو ايالة حلب الشهباء من صيانة الوزراء وقع الفساد من بعض العتاة الاشقياء . ومن جملتهم محمد سعيد متولي اريحا والطبل علي ضابط جسر الشغر . فانهما ظلما العباد وافسدا نظام البلاد . وخرجا من قيد الطاعة والانقياد . ولاجل تنظيم الايالة المذكورة . اقتضى توجيهها الى عهدة الدستور المعظم والمشير الخطير المفخم سعادة اخينا محمد هلال الدين باشا المكرم والمشار اليه بحسب الامر العالي قد حضر بالعسكر المنصور الى قتالهما واذلالهما فثبتا على قتاله حتى دارت عليهما الدائرة وغلبا فانهزما باموالهما وعيالهما الى بلادكم . ولا يخفى عليكم ان عدو الدولة العلية هو عدو الله ورسوله فيجب عليكم القبض عليهما وارسال راسيهما الى العتبة الملكية وضبط جميع اموالهما واسبابهما حسب الشرع الشريف . لان سعادة والي حلب المومى اليه قد قرر في العتبة العلية وصولهما الى بلادكم . وقد صار ذلك عين اليقين من غير شك ولا ريب فاقتضى اخباركم بذلك على وجه التفصيل وارسال الاوامر السلطانية بعينها اليكم عن يد قدوة الاماثل والاقران معتمدنا محمد اغا ومعتمد المومى اليه شاطر احمد اغا زيد قدرهما . فالمراد منكم بوصول مرسومنا هذا اليكم ان تتلوه علناً على رووس الاشهاد لكي يعلم الخاص والعام ان هذين الرجلين تحت غضب حضرة مولانا السلطان . ودمهما مباح . ومالهما مضبوط ويجب عليكم جميعاً ان تشمروا عن ساعد الاهتمام بانفاذ الاوامر السلطانية في ارسال راسيهما الى طرفنا لكي نقدمهما الى العتبة العلية . وضبط اموالهما بمعرفتكم حسب الشرع الشريف وبمعرفة المباشرين المذكورين بموجب دفتر ممضي من

الحاكم الشرعي واياكم ثم اياكم ان يكون منكم ادنى مخالفة الامر العالي . اوتقديم عذر بوجه من الوجوه لئلا تجلبوا عليكم الاتعاب والاضرار وتسلب منكم لذة الراحة والامان ولا ينفعكم الندم فيما بعد . وبناءً على ذلك قد اصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان عكاء فاعتمدوه واعملوا بموجبه والحذر من الخلاف

" ولي النعم علي الهمم حميد الشيم الدستور الوقور المفخم . والليث الجسور المعظم . بنم افندم سلطانم . دامت عليه سوابغ النعم . غب اثم اذيال السعادة والاجلال . وبسط اكف التضرع والابتهال . الى حضرة الملك المتعال . بدوام دولتكم الزاهرة . في داري الدنيا والاخرة . نعرض انه في اشرف الساعات والطف الاوقات . قد تشرفنا بورود المرسوم الشريف . وفهمنا فحواه السامي المنيف . ودعونا لسعادتكم بهدو البال . ودوام العز والاقبال . وبه رسمتم ان قد حضر الى سدتكم الخطيرة فرامين شريفة . من لدن الدولة العلية . صانها رب البرية . تتضمن ان سعادة افندينا والي حلب قد قرر في العتبات الشريفة ان محمد سعيد والطبل علي حضرا الى هذه البلاد . ويطلب ان نقبض عليهما ونرسل راسيهما واموالهما الى الباب العالي . فعند ماتشرفنا بتلاوة الامر الكريم . بادرنا الى طلب جميع اهالي البلاد من جميع المقاطعات فحضروا واشهرنا عليهم الاوامر السلطانية ومرسوم سعادتكم . فاجاب كل من الجمهور بالسمع والطاعة للاوامر العلية وضجوا بالادعية الخيرية لهذه الدولة الآصفية . والذي تقرر عندهم بعد الفحص والتشديد والتهديد ان هذين الرجلين مارأهما احد . ولا سمع بهما في هذه البلاد غير انه من برهة ثلاث سنوات اذنب ثلاثة اشخاص من اهل بلادنا ورأينا ان اقامتهم بيننا مفسدة لنظام البلاد فطردناهم من بيننا فتوجهوا الى نواحي حلب . والآن لما وقعت هذه الواقعة وجدوا سبيلاً للفتنة فوشوا الى سعادة الوزير المومى اليه كي يطلب الرجلين منا فلا نجدهم ويكون ذلك سبباً لانحراف الخواطر الشريفة علينا وسعادة المشار اليه بما انه غريب الديار غير مختبر اطوار هولاء الاشخاص . وثق بكلامهما وعرض ذلك الى الباب العالي وسعادتكم لايخفى عليكم طاعة عبيدكم وحسن سلوكهم في الاستقامة لدى ولاة الامور لاسيما في امر مثل هذا لاننا اذا تمكنا من تأدية هذه الخدمة ننال الرضى ولا تضرنا ادنى ضرر . فنرجو من مراحمكم العميمة ان تتقدموا بالرجاء عنا الى العتبة العلية وتبرروا من هذه التهمة الباطلة وحاشا ان يقبل ضدنا كلام الوشاة المفسدين . وغاية مانرجو عدم براحنا من دائرة الخاطر الشريف وادام الله

دولتكم الزاهرة على الدوام · ثم ختم هذا الجواب الامير بشير وجميع اكابر البلاد · وارسلوه الى سليمان باشا مع محمد آغا واحمد آغا · فارسله الى الدولة العلية وارتفعت الشبهة عن اهل البلاد · واما سعيد آغا والطبل علي فانهما خرجا الى نواحي بغداد · فاقاما مدة هناك · ثم رحلا الى مصر ونزلا على محمد علي باشا فقبلهما وشفع عند الدولة العلية فيهما لحضر العفو عنهما واقاما عنده الى ماشاء الله

وفي هذه السنة حضرت خلعة الولاية المعتادة من سليمان باشا والي صيداء الى الامير بشير فانشد المعلم بطرس كرامة يهنئه بها

ورق التهاني الوافية فوق الارائك شاديه
وبلابل الافراح عن سعدٍ ومجد راويه
وميامن الاقبال في اوفى سرورٍ باديه
واهتزت الاغصان من طرب لخودٍ غانيه
والبشر عمَّ وقد زهت بالعز كل الناحيه
واعتادنا من نشره نفحات طيب زاكيه
وهدية التمليك قد وافت بنص هاديه
وسما الهناء بخلعة لثبات حكمٍ وافيه
وردت بابهى بهجةٍ فيها المسرة ناميه
ومشارب الايام قد راقت بامنٍ صافيه
بشراك يالبنان اذ فيك البشائر ساريه
فيك الاماني قد سمت وبك التهاني جاريه
وتأيد العدل السني بابي المعالي الساميه
اعني بشير المجد من فيه الامارة راقيه
مولىً بنور شهابه غرر المعالي باهيه
ملك العلى بيدٍ علا فلك السماحة واليه
فاقت به ايامنا تلك الدهور الماضيه
شهم بغيث يمينهِ سحب المكارم هاميه
لله راحته التي ابدًا بجودٍ راويه
فكأن بين بنانه فاضت بحورٌ ظاميه

اضحت محاسن فضله   عن كل وصف عاليه
ليث تزين في حلى   تلك الخلال الراضيه
يامن لرتبة عزه   عين العناية راعيه
يهنيك دهراً سرمداً   بولاية لك باقيه
وبحلية الاحكام لا   زالت سعودك حاليه
قد اصبحت اوقاتنا   بسناء عدلك زاهيه
وبتحفة العلياء قد   ابدت وجوهاً ضاحيه
اكرم بها ميمونةً   بالخير جأت تاليه
للمجد ابهى حلية   ثوب السيادة كاسيه
من فوقه بسعادة   بصفا الهناء مناديه
تجلى باجمل رونق   لمقام عزك صابيه
وتمنعت بمقامها   عن غير مجدك قاصيه
بذلت لديك جمالها   لكن لغيرك غاليه
فاغنم بروضة عزها   فقطوفها لك دانيه
لازلت فيها فائزاً   بمدى السنين التاليه
بسمت مباسم شكرها   لمديد عمرك داعيه
مولاي يامن كفه   عن كل كف كافيه
اسلم ودم بمحامد   فيها المدايح ناشيه
دامت لك العليا الى   ابد الدهور مواليه
ارخت فزت بنعمة   بكل عام اتيه

وفي السنة ١٢٢٩ هـ = ١٨١٣ م حضرت الخلعة ايضاً من سليمان باشا الى الامير بشير فقال الشاعر المذكور يهنئه بها شعراً

بسم السرور فسرّت الاحياء   وسمت بسامي سعدك العلياء
وروت عن الشرف الرفيع محاسن   طابت بنشر حديثها الارجاء
وسرت بروق بشائر قد زانها   من ثغر عدلك بهجة وسناء
اضحى الفخار بمجد فضلك باهياً   واعتز في باهي علاك علاء
سادت بسوددك الشريف مآثر   دلت على اقمارها الاضواء

والى شهامتك السنية اذعنت … رتب العلي والهمة القعساء

راق الزمان وقد صفت ايامه … لما تبلج من سناك ضياء

وتزينت بخلاع عزك رتبة … انت الهناء لها وانت مناء

بسمت ثغور النصر لما اقبلت … تهدى اليك الحلة الحسناء

ياحبذا لبنان قد صدحت به … طربًا بوافر حمدك الورقاء

سقيت بهتان الحياء ربوعه … وزهت بعارض كفك الافياء

شهد الورى لما ظهرت بانه … طود الاماني والمجاء وحماء

صبت القلوب لنحوه بصبابة … لما اتت بثناك منه صباء

حكت الجنان رحابه لما جرى … بصفا السريرة فيه منك صفاء

لو جفّ ماء النيل كان لاهله … بوفاء نيل بنانك استغناء

اوكرر اسمك من فمٍ قد شفّه … سغبٌ لكان لهُ بذاك غذاء

انىّ تحدُّ هبات راحتك التي … حجّت لقبلة كفها الانواء

فتدللي يا تحفة العلياء في … روض البشير فقبلتاك اباء

فزتِ باسعد كوكبٍ ذي غرةٍ … تجلى بنور شهابها الظلماء

بشراك في تلك الخلال وحسنها … وله البشارة فيك والنعماء

تفنى المحابر في معاني وصفه … انىّ تقوم بجمعها الشعراء

شهم اذا هزّ الحسام مغرّبًا … لاحت لاهل الشرق منه ذكاء

يسقيه من ثغر النحور سلافةً … صرفًا فتمزجها بفيه لظاء

ملأَ العداة غلافه رعبًا وفي … جفنيه نحو نفوسهم ايماء

ان سله بيمينه سالت على … صفحاته الارواح والاحشاء

فكانها ذات الوقود وانفس الا … عدا مجوسٌ عبدها الانضاء

ليثٌ بيمناه المنية ان بدا … فيها اليماني والنوال حياء

فاعجب لها هل ان سمعت بمثلها … كفًا بها صحب الحياة فناء

نعم الامير وخير من سعدت به الا … يام والآمال والانباء

جادت معالمه سحائب جوده … وتدفقت فعلى الثراء ثراء

كشفت دياجي الخطب همته التي … قد اشرقت بسمائها الاراء

ياايها المولى الموشح بالرضا … خلع الهناء وبابه الالاء

فاهنأ بتثبيت بخير ولاية خضعت لماضي امرها الامراء
ولك التهاني في قدوم خليلة مقرونة بسعادة غراء
ميمونة بذات لديك جمالها يعلو سناها بهجة ورخاء
سمياء ثابتة العهود وصادق منهاة الوداد وصح منك اخاء
جاءت فكانت خلعة خلعت بها ارقاب حساد ومات عداء
معنية تعني اليك بان لا اهل سواك لها ولا ابناء
وردت فاهدت للانام مسرة وجلت جبيناً دونه الجوزاء
ولها السعود مناطق بمعاطف عطفت على تعظيمها العظماء
فاسلم لها ياذا البشير وخير من جاد المديح به وطاب ثناء
والحظ فيها كل عام ما انجلى صبح وهب صباً وفاح شذاء
ولديك بكر الفكر خود امثلت تهدي الدعا و بطرفها استحياء
حلت بدر ثناك عاطل جيدها وعن الجمان لها بذاك غناء
هبها القبول وان تكن قد قصرت فلها بعفوك مأمل ورجاء
لازلت ذا همم وذا نعم وذا مجد ويهمي من بديك نداء
ومؤيداً بعناية يزهو بها ثغر الزمان و يستديم هناء
قد جاء عبدك بالهناء مؤرخاً زد مشرقاً دامت لك العلياء

سنة ١٢٢٩

وفي هذه السنة غضب سليمان باشا على اولاد المقدم عذرا حكام المرقب فحضروا بعيالهم الى دير القمر وتوسط الامير بشير في امرهم واسترضى الوزير عنهم وعادوا الى بلادهم . وفي هذه السنة كان درج طريق نهر الكلب و رصيف المعاملتين قد تهدما من طول الزمان وكثرة وقع الحوافر فامر الامير بشير باصلاحها وانفق عليها مالاً كثيراً الى ان تمهد الطريق . وفي هذه السنة في شهر حزيران (يونيو) الموافق لشهر رجب نهار الاثنين ولد للامير خليل ابن الامير بشير وسماه الامير محموداً وفي ٢٣ تشرين الثاني الموافق ٢٣ ذي الحجة ولد لاخيه الامير قاسم ولد وسماه الامير ملحم .

وفي السنة ١٢٣٠ هـ = ١٨١٤ م في شهر محرم الموافق لشهر كانون الاول (ديسمبر) حدث وباء في جباع الشوف فاقام الامير بشير حراساً على القرية المذكورة كي لا يدعوا احداً يدخل اليها ولا يخرج منها فسلمت تلك الاطراف . وفي اواخر شهر صفر

ظهر الوباء في دير القمر . وكان الامير بشير يومئذٍ في وادي التيم لاجل الصيد . وبعد رجوعه امر باخراج الذين اصيبوا بهذا المرض وكل من اختلط بهم من الجيران الى وادي الدير واخلى لهم هناك نحو ثلاثين منزلاً واقام عليهم حراساً يمنعون الناس عن الوصول اليهم وصار كلما اصيب احد يفعل به كذلك . واقام ايضاً مباشرين على دير القمر يمنعون الخارجين منها والداخلين اليها خوفاً من امتداد الوباء في البلاد . وجعل للمصابين بالوباء نفقات من ماله وكانوا نحو ثلاثمائة نفس فمات منهم سبعون نفساً . ودام ذلك نحو ثلاثة اشهر وانقطع ولم يحل الوباء في مكان اخر من البلاد . وفي هذه السنة في شهر ربيع الثاني توفي علي باشا الخزندار نائب سليمان باشا والي صيداء وكان له مقام عنده بمنزلة اب له . فارسل الامير بشير يستأذنه بالسير اليه ليفتقد خاطره و يعزيه فاذن له . وركب الامير بشير من دير القمر في ثالث جمادي الاول . وكان سليمان باشا لما علم بقدوم الامير بشير اليه كتب الى جميع المتسلمين والولاة المجاورين للطريق ان يلاقوه و يقدموا له الذخائر والاكرام . فلما وصل الى جسر صيداء التقاه القاضي والمفتي وسائر اكابر المدينة . ودخلوا قدامه الى صيداء باحتفال عظيم وقدموا له كل ما امكنهم من الاكرام و بات تلك الليلة عندهم . وعند الصباح خرجوا معه يشيعونه الى عين القنطرة وترجلوا معه هناك ساعة ثم ودعوه و رجعوا وسار الامير طالباً مدينة عكاء حتى وصل الى جسر القاسمية فالتقاه ابراهيم آغا متسلم قلعة هونين و بلاد المتاولة ومعه مشايخ تلك البلاد وقدموا له الذخائر وضربوا له الخيام وتقدموا الى ملاقاته مشاةً الى ماوراء الجسر ومشوا قدامه الى الخيام . وقدم له ابرهيم اغا فرسين من جياد الخيل وسار معه الى اطراف تلك البلاد ثم ودعه ورجع . واخذ الامير بشير في مسيره حتى اقبل على مدينة صور فالتقاه المتسلم واكابر البلد . ودخلوا قدامه باحتفال عظيم وقدموا له كل اكرام . و بات تلك الليلة عندهم . وعند الصباح خرج المتسلم معه الى خارج المدينة وقدم له جواداً وودعه وقفل راجعاً . وسار الامير فالتقى به اولاد الشيخ نصيف النصار ودعوه الى منازلهم وقدموا له الذخائر و بالغوا في اكرامه وقدموا له جوادين و بات تلك الليلة في الناقورة . وفي الغد وهو نهار الجمعة تقدم الامير في مسيره حتى اقبل على عكاء فالتقاه عبد الله بك الى السميرية بجميع رجال الدولة من الضباط والافندية والمهرخانة . وعند وصول الامير التقوه بالموسيقى وضرب الطبول وساروا قدامه الى عكاء حتى دخل على سليمان باشا فنهض ولاقاه الى باب الديوان واعتنقه فاراد الامير ان يقبل ذيل جبته حسب عوائد الوزراء

فلم يمكنه من ذلك ولكن سمح له بتقبيل يده واجلسه بجانبه و بالغ في ملاطفته واكرامه . وكان قد اعد له منزلاً فاستأذن وخرج اليه . و بعد وصوله الى هناك ارسل له الوزير خنجراً مذهباً مرصعاً جميعه بحجارة كريمة وصرة فيها ملابس ثمينة فاخرة وارسل له عبد الله بك خنجراً ايضاً مرصعاً بحجر الماس . وفي الغد ارسل الوزير فطلبه اليه ولاطفه واكرمه اكراماً لا يوصف واقام معه النهار اجمعا . وفي اليوم الثالث حضر الوزير الى منزل الامير بشير فالتقاه وقبل يده وجلس عنده ساعة . ثم انصرف فقدم له الحصان الازرق النجدي الذي كان يقال له ابو عرقوب وكان ليس له نظير في ذلك العصر وحصاناً آخر من جياد الخيل وكلاهما بالعدة الكاملة . وكان الامير قد قدم له ولنوابه عشرة افراس جياد واربعة بغال كان قد اصحبها به لذلك واقام في عكاء خمسة ايام . واستاذن الوزير بالرجوع الى بلاده فاذن له والبسه خلعتين من نفائس الخلع احداهما عنوان الرضى والاخرى وثيقة الولاية حسب العادة . وقدم له حصاناً مزيناً بسرج ثمين يبلغ ثمنه عشرة آلاف درهم . وقدم له ايضاً عبد الله بك حصاناً كذلك وخرج من عكاء في ثاني عشر جمادى الاول بموكب عظيم . ولم يكن حصل لاحد قبله ما حصل له من الجاه والانعام . وكانت جميع الدول تراعي جانبه وتقدم له الهدايا . و بعد حضوره الى البلاد اخذت الامراء والمشايخ تحضر اليه للتسليم والتهنئة وتقديم الخيل والهدايا . وجعل يرسل الهدايا والتحف الى المتسلمين والولاة الذين اكرموه في الطريق

الفصل الثالث

(في استجلاب قناة الماء الى بيت الدين من منبع الصفا)

كان الامير بشير قد اهتم في استجلاب ماء الى منزله في بيت الدين القرية التي انزله الامير يوسف قديماً فيها واتخذها مسكناً له ولم يكن بها الا ماء قليل من منهل يقال له عين المعجن . وكان في دار الامير بشير من الاعوان المقيمين ببابه نحو ثلاثة آلاف شخص عدا الخيل والبغال ونظائرها . فلم يكن الماء يكفي هؤلاء الشاربين فضلاً عن غيرهم من زائر وطارق وذي حاجة . وكان رجل من اهل دمشق ممن يشتغلون بجر المياه يقال له خليل عطيه من (بنو عطية موجودون في بلاد عكار

ومعروفون بانهم من نسل خليل عطية ولربما ان اصلهم من دمشق) فارسله ينظر له ان كان جرّ المياه ممكناً الى داره من المياه الغزيرة . فسار في تلك الاطراف ونظر فوجد ماء على مسافة ثلاث ساعات تحت عين زحلتا من ينبوع يقال له ينبوع القاعة بجانب نهر الصفا . وهو ماء غزير بارد صحيّ عذب فخضر وانبأه به . فامر بجرّه وشرع في فتح قناة له في تلك الجبال ودام العمل المذكور من اليوم العاشر من شهر تموز (يوليو) الى آخر تشرين الاول (اوكتوبر) . فامتدت القناة الى القبو الموجود في مزرعة البصية . وحل الشتاء فتركها الى شهر ايار (مايو) من السنة المقبلة . فعاد الى اتمام عمله ودام الى آخر تشرين الاول ايضاً فامتدت القناة الى عقبة الزامل التي بين كفر نبرخ ومعاصر المناصف . وكان اكثر بناء القناة عالياً في جوانب الاودية لتساوي سطح المجرى وعلى الخصوص في زحلة كفر نبرخ . وفي شهر ايار من السنة التالية عاد الى اتمامها . فاصلح ما كان قد تعطل منها بسيلان مياه المطر وفتح لها المجاري واقام الابنية الى آخر تشرين الاول ايضاً . فامتدت القناة الى قرب الدار . واقبل الشتاء فتركها الى شهر ايار في السنة القادمة وعاد الى اتمامها . وفي اول شهر تموز وصل الماء الى الدار . وكان ذلك فتوحاً عظيماً لم يقدر عليه احد من اسلافه لبعد المسافة وعسر المكان فانفق على ذلك ماينيف عن المائتي الف درهم وكانت جميع اهالي البلاد تحضر في كل سنة يومين تعمل في هذه القناة بغير اجرة اكراماً له وكانت جميع مدة العمل اثنين وعشرين شهراً تماماً و بعد وصول الماء الى الدار ظهرت ينابيع كثيرة حول تلك المجاري على بعد منها . وانشد المعلم بطرس كرامة في ذلك شعراً على اسلوب الموشحات الاندلسية فقال

صاح قد وافى الصفا يروي الظما بشراب كوثريّ العسِ
وافاض الشهد في روض الحما لجلا الغمِ وبرء الانفسِ

دور

حبذا الفوار منه حين راق فارانا ماؤه ذوب اللجين
نزّه القلب عن الهم وراق بسنا صافي صفاه كل عين
نثر الدرّ بفيضٍ واندفاق وسقى الوارد اهنى الاطيبين
قد جرى عذباً فاغنى الندما بزلالٍ عن رحيق الاكؤس
وعلى الاغصان القى النعما فزهت مثل ندامى العرس

دور

نشرت بالقاع اعلام الزهور حينما القاع جرى نعم الغدير
من رآه في سواقيه يدور ظن ساقٍ في جواريه يدير
فاشرب اللذات من كاس السرور وانطرب سمعاً بانغام الغدير
ان ثغر الزهر منه ابتسما وانجلى قدُّ الغصون الميّس
وكسا الارض طرازاً قد حمى وجنة الورد بعين النرجس

دور

ياله نهراً رويّاً واردا في قناةٍ اصبحت سلك العجب
منهلاً يعطيك كاساً بارداً بالصفا يمزج فوارَ الطرب
ياهنا من كان منه واردا امنت احشاؤه حر اللهب
نادت القيعان لما قدما مرحباً في ذا الحبيب المونس
وعلى الكثبان لما سلما نعمت في حالٍ من سندس

دور

جدولٌ اهدى لنا ماء الحيوة من ميازيب الشفا يشفي الجوى
اخبرت عن جنةٍ منه المياه وروى عن كوثرٍ لما روى
من يقل ان الصفا مثل الفراه قيل لا اخطأت في ذكر السوى
قد صفا ماءً واضحى مغنما لا أقسه بالسوى لا تقس
وجرى بين الروابي منعما فزها كل هشيمٍ يبس

دور

فاملَ لي يا صاح منه القدحا واسقنيه فالصفا من ذا الصفا
ان صوت الماء صبحاً صدحا فردوه بهناءٍ وشفا
كل من وافاه نال الفرحا وسقي التسنيم لما رشفا
فابتدر سلساله مغتنما مورداً يحيي فواد المحتسي
فترى ما كان قفراً معدما بربيع الخير اضحى مكتسي

دور

جاء باسم الله مجراه الى بيت دين المجد منقاداً مطيع
كانفجار الصبح يبدو من على ذلك السفح الى الروض البديع

وتباهى جارياً يعلو على   كل طودٍ شامخ الانف منيع
مُلئت منه السواقي وطما   دافقاً كالعارض المنبجس
فغدا بالخصب يزهو منعما   كل ربع مقفرٍ مندرس

دور

دار في دارِ السني مثل العريس   يتهادى في رداءٍ جوهري
حوله السرو كعشاقٍ تميس   في رداءٍ من حريرٍ اخضرِ
تبتغي لثم محياه النفيس   والحيا يمنعها بالنظرِ
خلتهن قائماتٍ خدَّما   حوله منعطفات الاروُس
وعليه ساهراتٌ هيماً   تلتوي اعناقها بالنعس

دور

اطلع الزنبق يسقي الياسمين   من ندى اقداحه صرف العقار
فاعتلى المضعف بالحسن المبين   وانثنى البان عليه ثم غار
وشذا النسرين بالعطر الثمين   فتدانى نحوه انف البهار
نقل النمام ان العنما   عانق النوفر جنح الغاس
والاقاحي قد اعار الخزّما   خفيةً تاج الشقيق الاطلس

دور

غرد الميزاب كالصب الولوع   وتصابى حين صب الدررا
رقصت تلك السواقي والربوع   وتغنت جاريات سحرا
لاعب الطالع من تلك النبوع   نوفراتٍ مسفراتٍ غررا
وسبيل الصفو منه قسما   موكب الحزن بافواح القسي
طفح الانبوب شوقاً عندما   شاهد البدر لديه يحتسي

دور

قد بدا من بركة فوارها   اخذ الجوهر تاجاً ساطعا
وانثني اذ ضمه دوارها   يتسامى في سعودٍ طالعا
شاهدت لما اتت زوارها   عمد البلور منها لامعا
تحسبنه اهيفاً محتشما   قائماً في وسطها بالحرس
ضمن الفضة والدر فما   خشية من خلسة المختلس

دور

وانجلى في بركة تحكي العروس　　والانابيب لديها كالجوار
اشرفت من صدرها تلك الكؤوس　　كنجوم اشرقت تحت الخمار
حسنها الزاهي يفدى بالنفوس　　وانجلت في قاعة من خير دار
اظهرت صدراً عليه رُسما　　بلآلٍ وعقيقٍ انفس
وعلى جبهتها قد رُقما　　ايها الظامي هناء فاحتس

دور

نجحت امالنا فيه وزاد　　كل ماء في الربى من فيضه
كيف لا يصبو اليه ذو الرشاد　　والاماني تنجلي في روضه
دفق الخير بصحرا كل واد　　اذ رأوها جرّعت من بعضه
جاءنا في جدولٍ قد الجما　　وصفه كل حكيم هندسي
وبدا ابهى عجابٍ محكما　　فائق الوزن غريب المقيس

دور

خلته كالعقد في جيد الهضاب　　ووشاحاً جاء في خصر الربى
فيه لا في عقد ربات الخضاب　　نجتلي النشأة ثم الطربا
فهو كالحرز على تلك الشعاب　　يمنع الجدب ويشفي اللغبا
سلسل الامواه تدعوا المغرما　　برخيم الصوت قم وائتنس
وشدا الورق على غصنٍ نما　　بشروا الدوح بحسن المغرس

دور

ياسقاة الراح هبُّوا للسرى　　وارشفوا راح الهنا من مائه
واملأوا الاقداح منه جوهرا　　فالصفاء الوافي من اسمائه
ودعوا الخمر الرحيق الاصفرا　　نخمول العقل من اغوائه
ماترون الانس فيه رغما　　ان ذا الماء شفاء الاخرس
وعلى عقد التهاني زمزما　　بجواري الماء لا بالكنس

دور

جاء للامر مطيعاً مقترن　　بفيض السعد والخير علا
لم يذقه خائف الا أمن　　وغدا اعجوبة بين الملا

ساد بالمولى الذي اجراه من   مربعٍ يعجزُ عنه ذو العلا
وحكى فياضه جوداً همى   من يدي مولاه بدر المجلس
هو ذو المجد امير العظما   دام محفوظاً بروح القدس

دور

كوكب العدل البشير المرتضى   والهمام الاروعيُّ الاوحدُ
جاء بالنصر بشيراً فأضا   بشهاب السعد منه فرقدُ
وشح الايام اثواب الرضى   فغدت ذات ابتسامٍ يحمدُ
جاء في كفي نوال منهما   اصبح الطائيُّ نسياً منتسي
يقتني من من يديه لثما   راحةٌ هي راحةٌ للبئس

دور

سيدٌ اهدى المعالي سوددا   وحباها كل عزٍ شاملِ
خرق الصخر واجرى موردا   فاض من نهر الصفا بالنائل
انشدت من كفه سحب الندى   لا يضيع الله اجر العامل
فباعيان ثناه قد سما   غزلي لا بالعيون النعس
و بجياس قناهُ نظما   عقد قدحي لابقدرِ امِيس

دور

نعم شهم ضاء في اوج السعود   من سناه قمر العز ولاح
سيد السادات بل عين الوجود   مورد الاموال بل غيث النجاح
وهب العلياء من علمٍ وجود   اذ علاها خير عقدٍ ووشاح
وعلى تخت العلى اذ حكما   جلبب الفضل بابهى ملبسِ
وبهذا العصر لما نجما   فاخرت بالشهب شهب الاطلس

دور

ذو يمين قذفت بحر النوال   وبها اعتزَّ اليماني والأسل
سلب العقل بلطفٍ وكمال   واذا صال بحربٍ لا تسل
منعمٌ قد جاء يعطي بالشمال   فوق ماجادت به يمنى الاول
وغدت راحته مذ فطما   منحة الآمال للملتمس
وبشيراً قد اضاء الهما   بشهاب السعد للمقتبس

دور

ظفرت همته فيما يشا حين سل الحزم من غمد الصواب
قد نشا المجد به لما انتشا في معاليه مطاعاً ومهاب
ينشل الارواح من بين الحشا سيفه يغمز من جفن القراب
جهبذٌ من فتكه قد علّما خيله صيد العداة الخنس
وعلى الفرسان لمّا هجما اسكن الفارس بطن الفرس

دور

قد سما في نسب باه صحيح مشرقٍ من آل مخزوم الكرام
جده الحرث ذو الفضل الرجيح والصحابيّ الجليل ابن هشام
حاز بالاصل وبالفصل المديح حين وافي نعم جوابٍ همام
اصبح الدهر به مبتسما وانجلى وجه الزمان المعبسِ
وبماضي خير عدل حسما هامة الظلم وجيد الدنس

دور

اشبهت اثاره زهر النجوم وعلى اعلامه تثني الامم
جاء من نهر الصفا الماء يعوم في قناة عندما ابدى الهمم
شكر الله وبالشكر تدوم نعم الله على اهل النعم
ظفرت كفاه بالاجر لما شيدته من ربوع دُرَّس
وجزي اعظم اجرٍ مثلما اورد الماء الغزير اللعس

دور

هل في غرة شعبان الصفا وبمسرى خمس ساعات يسير
بعد حفر في ترابٍ وصفا عاش من اجرته كل فقير
واتى في خير عامٍ وصفا هو في تاريخه جود غزير
كلف العمال عاماً تمّاً ثم عاماً قد خلا من سدُس
زادا اذ اجراهُ مولى الكرما البشير الغيث ليث الوطس

دور

ايها الشهم الذي افنى المدى وعلى الطف خاق قد ملك
ماراَينا قطُّ قبلا اسدا فانكاً مثلك في انس ملك

اسبغ الله عليك المددا ثم امسى في نجاح عملك
زد هناء بالصفا محتكما في سرور بالثناء الاقدس
خلد الله عليك العز ما طلع البدر بداجي الحندس

دور

خذ عقود المدح بالنظم السليم لا ببدرٍ او بنجم او غزال
من عبيد يرتجي العفو الكريم مثلما قلدته در النوال
غاص في بحر معانيك العميم فاتى بالدر في سلك المقال
وشح المدح نطاقًا ختما بدعاء فاخرٍ اندلسي
تحسد الاقمار منه الكلما واعار الصبح نور القبس

سنة ١٢٢٠

وكان سليمان باشا والي صيداء قد امر الامير بشيرًا ان يبني جسرًا على نهر الدامور في طريق صيداء الى بيروت • فلما رجع من عكاء شرع في بنائه وجمع اهل الصناعة اليه فكانوا اكثر من مائة وخمسين رجلاً واقام عليهم وكيلاً يدعى انطون خضراء من زوق مكائيل · وفي مدة شهرين تم البناء وانفق عليه نحو مائة الف درهم وكتب الشاعر المذكور آنفاً تاريخًا باسم الوزير المشار اليه على جانب الحائط البحري وهو قوله

بناه سليمان الزمان الذي سما بعدل وحلمٍ فاستعز حصينا
وزيرٌ بشهرين استتم بناؤه فقلد نصرًا بالصواب مبينا
ينادي به الاجر العظيم مورخًا الا فادخلوا بالسلم رحبًا امينا

سنة ١٢٣٠

وفي هذه السنة حضرت خلعة الولاية الى الامير بشير فانشد هذا الشاعر يقول

لك الهناء بنيل المجد والنعم ياذا البشير الذي قد جاء بالهمم
اولاك مولاك اجلالاً ومكرمة فكنت بين الورى كالمفرد العلم
ان اجدب الناس والانواء ماسكة فجود كفيك يغنينا عن الديم
جاد الاله على هذا الزمان بكم حتى تفاخر اهل الاعصر القدم
وان يكن بالغ المداح في سلف لكن فيك خلالاً فوق مدحهم

فكلما كررت عينٌ بكم نظرا ‌ ‌ رات من الحسن معنى قبل لم يشم
تبدي ابتساماً بما توليه من نعمٍ ‌ ‌ فيالها نعماً من خير مبتسم
تسقي يمينك الاحباب غيث ندى ‌ ‌ وللرماح من الاعداء غيث دم
ماعمرو ماالاحنف ما حاتم كرماً ‌ ‌ فعند ذكراك يطوى نشر ذكرهم
ومن يلذ بذرى علياك من وجلٍ ‌ ‌ ان خاصم الدهر والاساد لم يُضم
لولا حسامك يافتاك ماانشدوا ‌ ‌ السيف اصدق انباء من القلم
ان ظل يا ابن شهاب من اجرت دحى ‌ ‌ تهديه نسبتك الغراء في الظلم
وان يؤملك يانعم البشير بنو ال ‌ ‌ آمال كان اسمك البشرى بفوزهم
لله لبنان اذ شرفت قمته ‌ ‌ باخمصيك فاضحى مورد الامم
وساد حتى غدا فوزًا لذي املٍ ‌ ‌ لكنه مانع بالكظم لم يرم
مما بهمتك العلياء مفتخرًا ‌ ‌ بما اشدت له من شامخ الارم
جعلته بسيوف العدل نعم حمى ‌ ‌ يرعى به الذئب في امن مع الغنم
اقبلت بالنصر لما ابت من سفر ‌ ‌ احييت فيه الربى كالهاطل العرم
زهت منازل بيت الدين مشرقةً ‌ ‌ بكم وجددت الاطيار بالنغم
وعود المجد في لقياك زد هماً ‌ ‌ فالعود احمد ياذا الفضل والهمم
وفاز كل مقام حل ركبك في ‌ ‌ رياضه بالثنا واعتز ذاشمم
اصبحت كالكوكب السيار مبتهجاً ‌ ‌ وبات اعداك في غيظ وفي ألم
وقابلتك المعالي وهي باسمة ‌ ‌ تميس بالعز مثل الشارب النهم
مازرت ربعاً ولا امسيت في بلدٍ ‌ ‌ الا واصبح خصباً موضع القدم
لو زرت بحرًا غدا عذبًا اشار به ‌ ‌ وفاز راكبه بالامن والسلم
اشرقت في كل قطرٍ منك نورسنا ‌ ‌ كالبدر يشرق في سهل وفي علم
قاسوك بالبدر من جهلٍ فقيل لهم ‌ ‌ من اين للبدر كف فاض بالكرم
سريت في ساحل الرومي فانبسطت ‌ ‌ ربوعه واكتست بالرند والخزم
جاءت للقياك كل الناس مسرعةً ‌ ‌ ما بين منتصرٍ منكم ومغتنم
واقبلوا بازدحامٍ يهرعون الى ‌ ‌ روياك بعضهم يثني لبعضهم
ياخجلة البحر لما جئت ساحله ‌ ‌ ببحر جودٍ عذيبٍ غير ملتطم
وسرت بالامن مصحوباً الى بلد ‌ ‌ اضحت لايدي المعالي خير مستلم

عكاء قاهرة الاساد في اجم ... علياء فاخرت الافلاك بالانجم
ما مثلها بلد بالمجد سامية ... بالعز طيبة من بعد ذي سلم
من امها وهو ذو عسر ومسكنة ... نال اليسار وعزاً غير منهدم
فيالها قبلة للعدل طاب بها الا ... ورى فلبوا لحازوا جل قصدهم
سمت بخير وزير قد سما اصفاً ... اذ هو سليمان هذا العصر بالحكم
مولى له الفضل في خلق وفي خلق ... كما له العدل في سلم وفي كظم
انعم به من همام دام سودده ... للحق منتصر بالله معتصم
ضاءت سيادته بالحلم وافتخرت ... به الوزارة بين العرب والعجم
عمَّ الانام برفد من سماحته ... وعلم الدهر طبعاً وافي الذمم
شهم اذا سلَّ في الهيجاء صارمه ... قدَّ الجبال وردَّ السهل الاكم
لما رآك تعزى بعد لهفته ... على عليّ عليّ الجاه والشمم
ذاك الذي كان بدراً للعلى وقضى ... فيا لبدر بفم الارض ملتقم
لو كان للناس خلد او لهم قدم ... لكان اجدر بالتخليد والقدم
او كان يمنع خاضت دونه اسد ... بحر المنايا بعزم غير منفصم
ومنك قد طاب عنه النفس سيدنا ... وسيد الوزرا المبعوث بالعظم
وهام فيك لما ابديت من شمم ... أنى يراك اخو نجد ولم يهم
شرفت منه بانعام مجملة ... اذ انت ذو شرف ياخير محتشم
والبستك ايادي عزه خلعاً ... قد شرفت بنوال اللثم كل كمي
ومذ اتيت بتقرير الولاية قد ... احيي السرور قلوب الخلق كلهم
واصبحوا يتهادون الدعا سحراً ... سد في علاك مدى الايام واحتكم
اليك اهدي الهنا يامن لرتبته ... يهدي التهاني وحسن المدح كل فم
وحيث مدحك فرض والثناء سنى ... ارخت خذ نعمة دامت نعم ودم

سنة ١٢٢٠

وفي السنة ١٢٣١هـ = ١٨١٥ م حضرت الخلعة ايضاً من سليمان باشا والي صيداء الى الامير بشير فقال الشاعر المذكور

صدحت على غصن السرور قماري ... وروت سعودك عن ضيا الاقمار
وجلا الزمان مطالعاً قد زانها ... من نور مجدك طالع الانوار

واتى الهنا يهدي القلوب مسرةً	تروي المسامع اطيب الاخبار
وعلا الحمى برفيع عزك بهجةً	عمت بعدلك ربع كل ديار
وسرت نسيمات الهناء بشائرًا	اهدت ثناك بعاطر الازهار
وزهت بنور شهابك العليـا وقد	ابدت لديك جواهر الاسرار
واهتز لبنان البهيج وقد غدا	بك مخصبًا متدفق الانهار
طابت مرابعه فاصبح مطلعًا	لكواكب العلياء والاسحار
قلدته نعماً وقد طوقته	كرمًا بعقد محاسن الاثار
ووهبته شرفًا بحسن امارةٍ	وكسوته ثوب الثنا المعطار
وجعلته بالامن ربعًا ترتعي	فيه السخال مع الهزبر الضاري
وافضت فيه جداول الخيرات من	صافي سحائب جودك الفوار
لله درك من كريم اصبحت	كفاه يحسدها السحاب الساري
زادت به الايام ضوًا وانجلت	دُهمُ الليالي في ضياء نهارِ
احيي العفاة برفدِ راحته التي	تفني العدا بمهندٍ بتار
شهمٌ اذا اقتحم العجاج محاربًا	يجلى دجى الاخطار بالخطار
ليثٌ تخاف الاسد في اجامها	سطواته والامن اصبح جاري
سجدت نفوس بني العداة لصارمٍ	قد ضمهُ بالخمسة الابحار
مولىً خلائقه السنية خلقها	عزُّ النزيل وحفظ عهدِ الجار
نعم البشير سرت محامد عدله	بين الملا كالكوكب السيار
ياسيد الامراء والكبراء بل	يامفرداً بمهابةٍ ووقار
هنئتَ في ثوب السعادة والعلى	اسمى هناء دائم التكرار
ولك الهناء بخلعةٍ ميمونةٍ	تجلى بحسن سعادةٍ وفخار
غرَّاء قد وردت بابهج رونقٍ	قرت بمهد العزّ ايَّ قرار
حسناء جاءت والسعود تزفها	لمقامك السامي بكل يسار
عقدت لدى علياك صادق عهدها	وتمنعت عن الفةِ الاخبار
فاخذتها ملكاً وانت كفيلها	بل كفوُها شرفًا مدى الاعصار
فاغنم بها طيب التهاني والمنى	وهناؤُها بك زايد المقدار
واسلم ودم بالعز ماطلع الضيا	تهدى اليك عرايس الافكار

واتى عبيدك بالسرور مؤرخاً   نل بهجة دامت مدى الادهار

وفي السنة ١٢٣٢ هـ = ١٨١٦ م في شهر ايار (مايو) الموافق لشهر رجب قدم الجراد الطيار الى هذه الاطراف وغرز في اراضي يافا حتى اللاذقية وامتد الى ولاية دمشق وعم وادي التيم والحولة . وكان جيشاً هائلاً فارتاعت الناس منه . وبعد ايام فقس وزحف حتى ملأ الارض فامر الامير بشير بمداركته بالحريق والقتل حتى اباده ولم يتضرر منه مكان في بلاده الا قليلاً . واما في بقية الاماكن فلم يدع شيئاً من النبات . واقام الى ان نبتت اجنحته وطار فكان يحوم في كل مكان ويهلك كل ما وجده من الاغراس ولبث على ذلك الى اواخر شهر تموز فاتاه الله بالسمرمر فافناه . وفي تلك الايام قدم مركب من الاسكندرية الى بيروت وكان فيه مكروب الوباء فاصيب به قوم من اهل المدينة ثم تعدى الى الشويفات ثم انتقل الى اماكن اخرى في البلاد فاقام الامير بشير مباشرين يخرجون المصابين من القرى الى البراري ويمنعون الوصول اليهم فسلمت البلاد وكان ذلك الوباء قاتلاً رديئاً فلم يسلم الا القليل ممن اصيبوا به . وفي هذه السنة حضرت خلعة الولاية الى الامير بشير من سليمان باشا حسب العادة فانشد المعلم بطرس كرامة

هبت نسيمات السرور   بحديث ربات الخدور
وسرت فاهدت للفوا   دِ عرار ذياك العبير
مرت بهن سحيرةً   فتحملت نشر الثغور
وتأرجت اذ لاثمت   تلك المباسم في البكور
جاءت ضحى فتماوجت   في عرف لبنان المطير
والروض قد خلع الربيـ   ـع عليه كالثوب النضير
يزدان بين مسلسل   مثل العذار ومستدير
والزهر يشرق ضاحكاً   في غرة السنج المطير
لعبت به ايدي الصبا   تلوي النحور على الخصور
والغصن صفق راقصاً   يهتز من فوق الغدير
ولهان هاج به الهوى   لحنين ساجعة الطيور
ياصاح هل للصب من   الم الصبابة من مجير
ام للمتيم غير تذ   كار الاحبة من سمير

من لي بها قناصة ولعت بتعذيب الاسير
هيفاء يشرق وجهها كالبدر في ليل الشعور
ميادة لعبت بقا متها الصبا عند المسير
ياظبية سلبت بدو ر التم بالوجه المنير
ماقيل فيك ظبية الا لفرطك بالنفور
قل لي لقد اسرفت في فتك الفؤاد المستطير
تهداك والعينان تف تن بالنشاط و بالفتور
افدي بروحي مبسماً ققل العقيق على الخمور
من منجدي في حبها ياصاحبي او من عذيري
ادر المدامة . واسقني واشرب مع الظبي الغرير
وتعاطها ان لم تجد ورد الخدود على الزهور
صهباء حال مزجها بنت الشموس الى البدور
سكبت لنا في الراح ا ك سيرا لتذهيب الكرور
حيي بتدين الاله وجارها غيث السرور
دار تضوع مسكها ريح الصبا عند العبور
اجرى الصفاة بروضها شهداً من الماء النمير
وتدفقت من حولها غدران هاتيك النهور
رقصت جواري مائها اا غفي تصدح بالهدير
سقت الغصون فمسن كا ندمان سرت بالحضور
لله بركتها الكبير رةمورد الطرب الوفير
حفت بسرو كالقيا ن تأزرت خضر الحرير
يلحظن سلسالاً يدو ر بهن كالساقي المدير
واستنهضت فوارها يهدي لنا درر النحور
سامي القوام يميس في ثوب اللجين على سرير
دارت ميازيب السبا ع به تمثل كالنسور
يزداد رقصاً كلما غنت لديه كالزمور
متدفقاً فكانه كف الشهابي البشير

فهو الامير ابن الامير وابن الامير ابن الامير
والماجد الباني ذرى الـ عَلياء بالعدل الشهير
مولىً ايادي بذله اربت على فيض البحور
ابدًا ترى امواله مقبوضةً بيد الفقير
ذو كيمياء الحمد اذ هو جابر القلب الكسير
طوبى للاثم كفه قد فاز بالكرم الغزير
قرمٌ كريمٌ اروعٌ شهمٌ عزيز المستجير
بطل يحكم سيفه في جبهة الاسد الهصور
ظفرت يداه بالعلى رغماً على كيد النظير
فكانه والحرب تضـ ـرم والكماة على الظهور
ليث يلاعب ارقماً من فوق سرحان درير
يمحو ظلام سوادها بضيا صوارمه الذكور
ذو اسمرٍ جعلت له مهج الفوارس كالنذور
عسَّال الأ انه يسقي مراراً في سعير
فكأنه هاروت في اخراجه كنز الصدور
ياسيداً سادت به اطلال لبنان الفخور
وافت لبابك غادةٌ هيفاء من خدر الضمير
عذرا تفاخر فيكم شعر الفرزدق او جرير
تهديك موفور الدعا والمدح من عبدٍ شكور
تمَّ الهناء بخلعة لم تلقَ غيرك من نظير
غرآءِ جاءت بالسعو د الى علاك وبالحبور
بسامةٌ قد غازلت علياك في طرف قرير
وتفاخرت اذ اصبحت مخطوبة المولى الكبير
ميمونةٌ ارختها دامت تزفُّ مدى الدهور

سنة ١٢٣٢

وفي هذه السنة وقعت العداوة بين اهالي شارون واهالي شانيه من قرى الجرد في عهدة المشايخ بني عبد الملك فظهر تعصب من المشايخ. فغضب عليهم الامير بشير ورفع

يدهم عن الجرد

وفي السنة ١٢٣٣ هـ = ١٨١٧ م حضرت خلعة الولاية الى الامير بشير من سليمان ثانيًا فانشد المعلم بطرس كرامة الشاعر المذكور مهنئًا

جاءت تميس وقدها الخطارُ ... هيفاء تحسد وجهها الاقمارُ
ودنت تروم تحيةً فتسابقت ... للقائها الالباب والافكارُ
تهتز من تحت الحليّ وتنثني ... كالغصن اشرق فوقه النوار
تجلو عوارض ذي حباب عاطرٍ ... يصبو اليه الخمر والخمار
سمحت بنضو لثامه لكنه ... يحميه عقرب صدغها الدوار
آنست في الخدين نارًا عندما ... سفرت وفي قلبي لذلك نارُ
جعلت تغازلني بغنج لحاظها ... حتى سكرت وما لديَّ عقارُ
فرأيت من ذاك المحيا كوكبًا ... يهفو اليه الكوكب السيارُ
عجبي لطرة شعرها وجبينها ... انى يكون مع الظلام نهارُ
باتت تنادمني وفي اجفانها ... اثر الحياء وللهوى آثارُ
تملي عليَّ من الحديث طرائفًا ... فكانها عند الحديث هزارُ
فكأن مافي جدها في لفظها ... وكان اقداح السلاف تدار
تجني لحاظي ورد وجنتها فيا ... لله مافازت به الانظار
اشكو لديها مالقيت من الهوى ... فتزيد وجدًا والوقار وقار
حتى الصباح بدا فقمت مودعًا ... والدمع من اجفانها مدرار
جادت وما ضنت بحسن زيارة ... لكن اوقات الصفاء قصار
فوددت ان الليل دام وزدته ... من ناظريَّ ولم تكن اسحار
يالائمي اني جننت بحبها ... اقصر فليس على المتيم عار
لو كنت تدري ماالصبابة والصبا ... كانت لديك اقيمت الاعذار
الله يعلم ما اراش بمهجتي ... عند التداني لحظها السحّار
فكانما اجفانها لما رنت ... سيف الامير الصارم البتار
اعني الشهابي البشير المرتضي ... رب الحجى والفارس الكرّار
من جاءنا بالمكرمات فاصبحت ... تجلى بنور جبينه الاخطار
صدر السعادة والسيادة ماجد ... اعدى الاعادي عنده الدينار

شهم اذا سل الصفيحة في الوغى سالت على صفحاته الاعمار
او هزَّ خطياً فهذا واقعٌ فوق الثرى خوفاً وذا فرَّار
مولى لاسمره العلى مملوكةٌ ولبذله تستعبد الاحرار
هذا الذي قد قيل فيه انه يمناه يمنٌ واليسار يسار
وهو الذي من فيض راحة جوده اضحت تفيض على الانام بحار
سادت به العلياء وانكشفت له منها معاني المجد والاسرار
مذ ضاء في لبنان كوكب سعده امست تقرُّ لفضله الامصار
يا ايها المولى الذي بوجوده سعد الزمان وراجت الاشعار
بكت السحائب خجلةً لما رات سحبان كفك فيضهن نضار
ان قيل اي الناس اكرم نسبةٍ فاليك يا بدر الكرام يشار
فاهناء بتشريفات عز اقبلت تزهو وفيها من ثناك نخار
خلعٌ اتت بالسعد وهي انيسة لكن لها بجمالك استكبار
زفت اليك شريفةً لم يرضها في غير مهد علائك استقرار
فاض السرور على الورى بورودها وتنورت بسنائها الاقطار
لا زلت يا مولاي احسن سيدٍ تحظى من العليا بما تختار
واسلم ودم بالامن ما طلع الضيا وشدت على غصن الربى الاطيار
وبخلعة العام السعيدة ارخوا هنئتم ما دامت الادهار

سنة ١٢٣٣

وفي السنة ١٢٣٤ هـ = ١٨١٨ م حضر الشيخ علي العماد متظاهراً بانه يريد ان يشتري خيلاً لمحمد علي باشا عزيز مصر وهو يريد باطناً الحضور الى البلاد طمعاً في رجوعه. لان الامير بشير كان قد غضب عليه فنزح من البلاد. ولما بلغ الامير بشير قدومه منعه عن الدخول في البلاد فرجع. وفي هذه السنة حضرت خلعة الولاية ايضاً من سليمان باشا والي صيداء الى الامير بشير فانشد المعلم بطرس كرامة يقول

اقبلت تنجلي وتسحب ذيلا ذات قدٍّ تميس تيهاً ودلاً
غادةٌ تفتن الظباء بجيدٍ وغصون النقا اهتزازاً وميلا
اطلعت كوكب الصباح لدينا من جبينٍ على الجمال تولى
اخجلت بدراً رقت حديثاً وخصراً فاسترقت منا جناناً وعقلا

وغزتنا بجرد القد رمحاً ‏ ‏ سمهرياً واشهر الطرف نصلا

بالقوى من ذات تيهٍ سبتني ‏ ‏ بالتجلي وليس تنصف خلا

ظبيةٌ من ظباء لبنان لامن ‏ ‏ ظبيات ترعى بعسفان رملا

شغلتني وكنت قبلاً خلياً ‏ ‏ فدعتني لااستطيعنَّ شغلا

من مجيري من لحظها حين يرنو ‏ ‏ بجفونٍ يرشن سحراً ونبلا

اطرباني بذكرها ياخليليَّ ‏ ‏ وزيدا ولو ملاماً وعذلا

يامهاةٌ لها الحشاشة مرعى ‏ ‏ عمرك الله قد فتكت فمهلا

اتقي الله في فواد حليم ‏ ‏ صيرته عيناك مجنون ليلى

ان بعدي يامي انحل جسمي ‏ ‏ وفوادي بنار هجرك يصلى

لا تظني البعاد مني سلواً ‏ ‏ او جفاءً أو ان قلبي ملا

لاوحبيك ماسلوتُ ولكن ‏ ‏ قد رأيت الصدود ابقى واولى

ان لحظيك عاهداني على ان ‏ ‏ لااطيع السلو جداً وهزلا

لست انسى ايام انسٍ تقضت ‏ ‏ وليالٍ مضين يامي وصلا

هزني ذكرها الطروب غراماً ‏ ‏ كاهتزازي لمدح اعظم مولى

الشهابي البشير رب المعالي ‏ ‏ والهمام الشهير جوداً وعدلا

سيد المجد والمكارم شهمٌ ‏ ‏ ذو ايادٍ تحكي السحائب نيلاً

جهبذٌ غنمه الثناء فاضحت ‏ ‏ للعلاه ذرى السماك محلاً

بدر صدر العلاء قداً ‏ ‏ خذ الحسن تماماً وبالكمال تملى

حازمٌ ذو عزيمة تخجل السيـ ‏ ‏ ـف مضاءً وتجعل الحزن سهلا

ماجدٌ ساد همةً ومقاماً ‏ ‏ وتسامى فتكاً وحلماً وبذلا

اسدٌ يقهر الاسود اذا ما ‏ ‏ سل سيفاً اوهز للحرب ذبلا

كم كميٍ ارداه يوم نزا ‏ ‏ ل وخميسٍ من فتك يمناه ولى

يارعى الله بيت دين التهاني ‏ ‏ وسقاها الحياة طلاً ووبلا

فاخرت بالبشير كل محلٍ ‏ ‏ واستعزت به جمالاً ونبلا

ياكريماً طابت بطيب ثناه ‏ ‏ نفحات الازهار ايات تتلى

أتهنى بخلعةٍ ذات سعـ ‏ ‏ ـدٍ ودلالٍ لم ترض غيرك اهلا

بنت عزٍ تنال منك سمواً ‏ ‏ ماتمادى الزمان حولاً فحولا

لتثنى الى لقاك وتهتز كصب ادار ذكر الاخلا
زادك الله سوددًا وسعودًا وهناء وزادك الله فضلا
خذ بعفو فتاة فكر تدانت من عبيد يهدي من المدح فصلا
وتهني بخلعة ارخوها دم سليماً دامت لعلياك تجلى

سنة ١٢٣٤

وفي هذه السنة ارسل محمد آغا ابو نبوت يطلب من الدولة العلية ولاية صيداء . وكان سليمان باشا قد اقام نائبًا مكان علي باشا الخزندار بعد وفاته وانام في وظيفته الى ان عزل سليمان باشا عن ولاية دمشق ورجع الى عكاء فارسله متسلماً الى يافا . واقام مكانه عبدالله بك ابن علي باشا الخزندار . واحضر له نياشين من الدولة العلية وكان محمد اغا المذكور من مماليك احمد باشا الجزار فاقام نحو سبع سنوات في يافا . ثم حدثته نفسه بالحصول على مسند الوزارة . وكان لسليمان باشا قبول عند متوظفي الدولة لصدق خدمته واستقامه سلوكه . فلم تجب الدولة سؤال محمد آغا . وبلغ سليمان باشا ذلك فارسل العسكر الى يافا قاصدًا قتل محمد آغا ففرهذا هاربًا الى مصر . وسار سليمان باشا الى يافا فضبط كل ما كان لمحمد آغا من الاموال والامتعة ورجع الى عكاء . وبينما هو في الطريق مرض وبقي مريضًا نحو شهرين وتوفي في عكاء وكان ذلك في ١٧ ذي القعدة . وكان سليمان باشا وزيرًا حليماً عادلاً . وحصلت في ايامه الراحة والامان في جميع اياالته . وبعد وفاته عرض نائبه عبد الله باشا امير ميران ابن علي باشا الخزندار الى الدولة العلية وطلب ايالة صيداء مكانه فانعمت عليه بها وحضر مأمور لضبط متروكات سليمان باشا

وفي السنة ١٢٣٥ هـ = ١٨١٩ م في ١٠ اربيع الثاني حضر الفرمان من الدولة العلية بتوجيه المنصب الى عبد الله باشا على جميع الايالات التي كانت بيد سليمان باشا . وحضر منه كتاب الى الامير بشير وهذه صورته افتخار الامراء الكرام مرجع الكبراء الفخام صاحب القدر والاحترام الامير بشير الشهابي ملتزم جبل الشوف وكسروان وتوابعهما زيد مجده غب التحية والتسليم . بمزيد الاعزاز والتكريم . ننهي اليكم انه بتاريخه قد وفد علينا قدوة الاماثل والاقران خليل آغا قبوجي دركاه عالي شان وامين المطبخ العامر السلطاني مدبرنا حالاً عثمان آغا دام مجدهما وبيدهما اوامر خاقانية مضمونها السامي انه قد فاضت ابحر المكارم الملكية بترفيع قدرنا الى رتبة الوزارة بتوجيه

ايالة صيداء وصور و بيروت وايالة طرابلس الشام . و باشبوغية الجردة ومحصلية لاذقية العرب ولواء غزة والرملة و يافا واللد . وجميع الممتلكات المحاولة من عهد سالفنا المرحوم الحاج سليمان باشا طاب ثراه . فبادرنا الى استقبال هذه الاوامر الشريفة بالاجلال والتعظيم وعقدنا ديوانًا حافلاً من الخاص والعام وتلوناها على رؤوس الاشهاد وهتفنا جميعنا بالدعاء والابتهال الى حضرة الملك المتعال بدوام سرير سلطنة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين . ظل الله الممدود على العالمين الى انتهاء الزمان وانقضاء الدوران . ونشرنا اعلام الفرح والسرور : وامرنا بعمل احتفال حسب المشهور . و بناء على ذلك اقتضى انحافكم بهذه البشارة لكي تجمعوا اليكم العام والخاص . من كل دان وقاص . وتتلوا مرسومنا هذا علنًا على الجميع ليكون معلومًا عند الرفيع والوضيع . وان شاء الله كل منكم لا يشاهد من طرفنا الاَّ الصيانة والحماية والعدل والرعاية . وليكن كل منكم طيب الخاطر . قرير الناظر . ويجب ان تبادروا الى عمل الاحتفال الشهير وتستجلبوا الدعوات الخيرية الى الملك القدير بتأييد دولة مولانا السلطان . نصره العزيز الرحمن . وقد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا من ديوان محروسة عكاء دار الجهاد المحمية عن يد رافعه قدوة الاماثل والاقران مدبرنا حالاً ابرهيم آغا . فاعملوا بمضمونه واعتمدوه غاية الاعتماد والسلام

ولما وصل هذا الكتاب فعل الامير بحسب الامر وقامت الافراح والتهاني في جميع البلاد . ثم ارسل اليه تقادم الخيل بالسروج المزينة وكتب اليه يهنئه بمنصب الوزارة فاتاه الجواب بهذه الصورة : افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام ولدنا الامير بشير الشهابي الجزيل الاكرام دام مجده . غب التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم والسؤال عن خاطركم الكريم ننهي اليكم انه قد وصل كتابكم العزيز و كل ما ذكرتم من التهاني صار معلومًا لدينا . وقد سررنا باخلاصكم لنا . وهذا هو المعهود بصدق مودتكم . وبحوله تعالى لا ننظر اليكم الا بالكرامة والرعاية كما تاملون فكونوا آمنين مطمئنين من جميع الوجوه . وقد وصلت تقدمتكم وصادفت القبول وسررنا بذلك فنسأله تعالى الاعانة والتوفيق الى ما فيه تحصيل رضى الباري جل شأنه ورضى الدولة العلية وعمار البلاد وراحة العباد اقتضى اصدار مرسومنا هذا اليكم والسلام ختام . و بعد ايام ارسل اليه خلعة الولاية وشروط الالتزام على جبل الشوف وكسروان حسب العادة على هذه الصورة

صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول والاتباع الى افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام ولدنا الامير بشير الشهابي دام مجده على الدوام . والى الامراء والمقدمين والمشايخ وشيوخ العقل والعقال وارباب الكلام والمباشرين والوجوه والرعايا في جبل الشوف وكسروان وتوابعهما على وجه العموم ليعلموا انه غير خاف عليكم التكريم الرباني والامداد الصمداني بفيض مراحم حضرة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ولي نعم العالم . معدن الراحة لبني ادم . ظل الله على العالمين خلد الله سرير سلطنته على مدى الايام والسنين . وانعطافه علينا برتبة الوزراء السامية وتوجيه ايالة صيداء وطرابلس الشام وقيادة المحمل الشريف ومحصلية لاذقية العرب . ولواء غزة هاشم والرملة ويافا واللدو جميع الاملاك التي كانت لسالفنا المرحوم المبروك المغفور له الحاج سليمان باشا طاب ثراه مع الانعام علينا بكامل مخلفاته ومتروكاته . فسبحان الله تعالى شكراً على هذه المنة العظيمة والموهبة الجسيمة . وبسطنا اكف التضرع والابتهال . الى حضرة الملك ذي الجلال بدوام دولته الزاهرة . وتأييد صولته الفاخرة على ممر الايام والليالي وعلى الله الاجابة والقبول فانه خير مسؤول . واكرم مأمول . والان قد قررنا وابقينا التزام جبل الشوف وكسروان وما يليهما على الامير الموى اليه لاستقامته ونجابته وكفايته ودرايته فليكن ذلك معلوماً عندكم وتكونوا تحت طاعته وتوردوا عن يده الاموال الاميرية . والمطالب السلطانية . وتتعاطوا اشغالكم واعمالكم آمنين مطمأنين وتواظبوا على بذل الادعية الخيرية الى حضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن . ونخبر الامير الموى اليه انه يجب عليك الاهتمام في راحة العباد . وعمار البلاد والاجتهاد في حسن الضبط والربط . واقامة العدل والانصاف . وابطال الجور والاسراف . وليكن كل ماتأمر به وتتصرف فيه مطابقاً للشرع الشريف . وموافقاً للقانون المألوف من كل تالد وطريف . والان لاجل رفع شانك على اقرانك قد ارسلنا اليك خلعة فاخرة من ملابسنا عن يد افتخار الاماجد والاعيان خزندارنا حالاً محمد آغا زيد مجده . فيقتضي ان تبادر الى ملتقاها وتتسربل بها . وتتلو مرسومنا هذا علناً على رؤوس الاشهاد . وان شاء الله تكون هذه السنة ابرك السنين على جميع العباد . والجميع لايشاهدون منا الا كل مايسر الخاطر ويقر الناظر . وبناء على ذلك قد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا من ديوان محروسة دار الجهاد . فاقرأوه واعتمدوه غاية الاعتماد . ولما حضرت الخلعة الى الامير بشير التقاها مسافة غلوة كما جرت العادة وتسربل بها . واطلق البشائر في البلاد فحضرت الناس تهنئه وهناه ولده الامير امين

بهذه الابيات

تثنت بقد كالرديني المقوم   وصالت بلحظٍ كالحسام المصمم
ونضت جبيناً يستضيء بنوره   اذا جنّ ليل الشعر كان متيمي
وابدت لنا ثغراً يريك ابتسامه   قلائد درٍ بالعقيق منظم
غزالة انسٍ ترتعي روضة الحشا   وقد سفكت اسياف مقلتها دمي
مهفهفة الاعطاف معسولة اللمى   موردة الخدين معطارة الفم
لها البدرُ وجه والثريا غرة   يناظرها جيد تحلى بانجم
تميس بقدٍ يتقي بلواحظٍ   وتعجب في خدٍ وتزهو بمبسم
مولعة في فتك مهجة عاشقٍ   ممنعة لم تدع ذمة مغرم
سبتني وقالت من سباك وماالذي   على قلبك استولى فقلت مكلمي
فتاهت دلالاً ثم قالت تجاهلاً   فمالي ارى دمعاً بعينك كالدم
اعاذل دعني ان قلبي متيم   ولكن شفاه مدح مولى معظم
بشير بني العليا شهاب منور   دجى ليل خطبٍ بالحوادث مظلم
امير به ركن الامارة ثابت   همام كريم خير شهم مقدم
رعى الله يمناه الشريفة انها   تفيض بجودٍ كالعباب العرمرم
وكم دوخت يوم الهجاجة فارساً   يذل لديه كل اروع ضيغم
الا أيها المولى الذي بجماله   غدا ثغر هذا الدهر باهي التبسم
سليلك يهديك التهاني بخلعةٍ   تميس بدلٍ الناعم المتنعم
جليلة قدر ذات عزٍ وبهجةٍ   مقلدة عقدي جمال ومغنم
تزيد افتخاراً في لقاك ورفعة   وتهتز شوقاً هزة المترنم
فلازلت تحظى في لقاها مدى المدى   بعزٍ ونصرٍ بالسعادة مفعم
ولا زلت مأموناً ومجدك ارخوا   يدوم وزر سعداً ياخير منعم

سنة ١٢٣٥

وفي هذه السنة في شهر نيسان (ابريل) الموافق لشهر رجب قدم الجراد لهذه البلاد . وغرز من تخوم يافا الى اطراف بلاد عكار وكان جيشاً هائلاً . فاطلق الامير بشير التنبيه على اهل بلاده بمداركته على الوجه السابق من جمع البزر الى احراق الزحاف فتلاشى وسلمت البلاد من اذاه ومشى عبد الله باشا على هذه الطريق . وخرج بنفسه

الى جهاده ودعا الرعايا اليه وتحمس كل عامل في ايالته ففعل كذلك فاهلك منه كثيراً ولم يقدر على قطعه بالكلية لقصورهم في تدبيره

وقد ذكرنا ما كان من امر الفتنة التي وقعت بين اهالي شارون وشانيه سابقاً وان الامير بشير كان قد غضب على المشايخ بني عبد الملك لسبب ذلك ورفع يدهم عن مقاطعة الجرد . وكان قد اقام الشيخ محمد القاضي قاضياً على البلاد . وكان الشيخ شرف الدين من حزب المشايخ بني ابي نكد فكان يكره الشيخ بشير جنبلاط ويميل الى بني يزبك . وكان الشيخ علي العماد في هذه الايام موجوداً في دمشق الشام فراسله سراً بموافقة اولاد الشيخ كايب عبد الملك واولاد الشيخ بشير تلحوق والشيخ حمود ابن الشيخ قاسم نكد وابن عمه الشيخ نصيف ابن الشيخ سيد احمد ان يحضر الى البلاد ويكونون جميعاً يداً واحدة . واشار اليه بان ذلك مما يرغب فيه الامير بشير باطناً ولكنه لا يتظاهر به مراعاة لخاطر الشيخ بشير جنبلاط . ولان الشيخ شرف الدين القاضي كان له قبول ووجاهة عند الامير بشير صدقوا جميعهم قوله وكتبوا بينهم عهداً وثيقاً على ذلك . ولما تم الامر كذلك بلغ الامير بشير فغضب غضباً شديداً خوفاً من وقوع الفتنة بين الجنبلاطية واليزبكية كما كانت بين القيسية واليمنية وخشي من خراب البلاد بكثرة المخاصمات والفتن فابرز في الحال امراً الى جميع البلاد بانه قد خلع الشيخ شرف الدين من وظيفة القضاء لسوء افعاله ومساعيه في الفساد . فكل من والاه يكون تحت غضبه . وضبط جميع املاكه ونفاه من دير القمر واقام مكانه على القضاء رجلاً من قرية برجة يقال له الشيخ احمد البزري . وامر بتاديب ونفي اولئك المشايخ فهرب حالاً الشيخ حمود والشيخ نصيف نكد الى نواحي دمشق وتخلف الاخرون . فارسل اليهم فرساناً ومشاة ليمسكوهم ففروا الى اراضي البقاع . ثم خرجوا الى نواحي دمشق الشام وكان قد انضم اليهم المشايخ بنو عطا الله فانهزموا معهم وظهرت دخيلة معهم لرجال من البلاد فقبض عليهم الامير بشير وامر بتاديبهم . واما المشايخ فانهم دخلوا دمشق ونزلوا على عبد الله القادر آغا الكولاهلي وسالوه ان يتوسط في امرهم مع الامير بشير وكان الامير يومئذ قد توجه للصيد الى بلاد جبيل فكتب اليه عبد القادر آغا في ذلك فلم يقبل سؤاله . ولما علم وزير دمشق غضب الامير عليهم لم يقبلهم في المدينة فخرجوا وساروا الى عكاء . وعند وصولهم طلبوا الاذن بالدخول . فلم ياذن لهم عبد الله باشا وكان يومئذ يتنزه في بساتين المدينة . فارسلوا الى المعلم حايم اليهودي وكان مدبراً في دولة عبد الله باشا وسالوه ان

يسعى في اصلاح شانهم · فاجاب ان الوزير قد سلم الامير ولاية جبل لبنان ولا يعترضه في تدبير رعاياه · واتفق في ذلك الوقت حضور مصطفى آغا بربر متسلم طرابلس الى عكاء فالتقوه الى الطريق والتمسوا منه ان يستعطف خاطر الوزير برجوعهم الى بلادهم فوعدهم انه يتذلل الى الوزير في السؤال والشفاعة · وقال لهم ان يقيموا في انتظار جوابه فاقاموا حتى دخل المدينة وشفع فيهم عند الوزير ولما لم يفلح اخبرهم بالنتيجة · فساروا طالبين مدينة بيروت · وعند وصولهم الى قرب الشويفات انصرف الشيخ حمود والشيخ نصيف نكد الى الشويفات ونزلا على الامراء بني ارسلان وسالاهم ان يتوسطوا في امرهما · واعتذرا ان الشيخ شرف الدين القاضي اوقعهما في الغلط · واما بنو عبد الملك و بنو تلحوق فانهم بعد وصولهم الى بيروت بلغهم ان مصطفى آغا بربر رجع من عكاء فالتقوه الى الطريق وطلبوا مواجهته فلم يواجههم · وارسل يقول لهم ان الوزير لم يقبل الشفاعة فيهم · وكان الامير يومئذ قد رجع من الصيد · فلما انقطع املهم من قبل الوزير انصرفوا الى اراضي دمشق · وكان الشيخ علي العماد لما رأى امره لاينجح رجع الى مصر · وفي اثناء ذلك حضر منه مكاتيب باسم الشيخ شرف الدين القاضي والمشايخ المذكورين فوقع الرسول في يد الامير بشير واطلع على تلك المكاتيب فازداد غضبه على الشيخ شرف الدين القاضي · وارسل اولاد الشيخ سليمان نكد ليقتلوه فقصدوه الى منزله وقتلوه وقبضوا على اولاده فالقاهم الامير في السجن الى مدة ثم اطلقهم تحت ايراد خمسة وعشرين الف درهم · وكان الشيخ حمود نكد والشيخ نصيف باقيين في الشويفات · فلما بلغهما قتل القاضي وقع الرعب في قلوبهما وانهزما ليلا الى نواحي دمشق الشام · وكان الامير راضياً على الشيخ ابرهيم تلحوق والشيخ شبلي عبد الملك فلم ينزحا مع من نزح · لكنهما لما علما بقتل القاضي ارتاعا وخشيا من شائبة فيهما او تهمة فرحلا وتبعا اولاد عمهما النازحين فامر الامير بضبط املاكهما واملاك كل من يتبعهما من اهالي البلاد   وفي هذه السنة خرج سليمان باشا العظم والي دمشق الى الحج ولما كان في المزاريب ارسل عبد الله باشا الخزندار والي صيداء يطلب منه طرد المشايخ النازحين من جبل لبنان فامر بطردهم من تلك الديار · فاتوا الى قرية معذر في شرقي البقاع واقاموا مدة يسيرة · فارسل عبد الله باشا يلتمس منه ان يطردهم من جميع ايالته فامر الامير افندي صاحب راشيا ان يسير بعسكر الى طردهم من هناك وكتب الى الامير امين الحرفوش ان يلاقيه من الجهة الاخرى · ولما بلغهم قدوم العساكر اليهم من وادي التيم و بلاد بعلبك فروا هاربين ونزلوا في قارة والنبك

نواحي المشرق · وفي شهر ذي الحجة حضر الشيخ علي العماد من مصر بكتاب من نائب محمد علي باشا يتضمن التوصية به لانه يريد الاقامة بمنزله من دون تعرض لسبب من الاسباب المزعجة · فارسل عبد الله باشا الى سليمان باشا ان يأمر الشيخ عليًا ان يكف عن المشايخ النازحين ولا يكون بينه وبينهم علاقة بوجه من الوجوه · وفي اثناء ذلك وقع كتاب من الشيخ علي الى المشايخ النازحين ان يحضروا الى دمشق وهو يصلح احوالهم ويكون معهم يدًا واحدة · ووصل ذلك الكتاب الى الامير بشير فارسله الى عبد الله باشا · وارسله عبد الله باشا الى نائب سليمان باشا في دمشق · فامر حالاً بطرد الشيخ علي من المدينة · وكان قد حصلت الشفاعة في المشايخ النازحين عند قدومه فلما خرج مطرودًا حضروا اليه ورحلوا جميعًا الى بلاد حوران · فنزلوا في مكان يقال له ديرعلي · ولما بلغ عبد الله باشا نزولهم في حوران كتب الى نائب دمشق ان هؤلاء القوم يريدون القاء المفاسد في البلاد وانهم قد خرجوا من بلاده تحت غضبه والتمس منه ان يطردهم فانقلبوا الى قرية معذر · وتخلف عنهم الشيخ شبلي عبد الملك واخوه واولادهما · وكان في ذلك الوقت مريضًا · واختفوا في قرية معربون في اراضي الزبدانة · وسار الشيخ علي العماد وجماعته الى مشارق تلك البلاد ثم الى بلاد عكار فلم يقبلهم علي بك الاسعد لانه كان قد سبق امر من عبد الله باشا الى جميع تلك الاطراف بان لا يقبلهم احد فرجعوا الى البقاع واجمع رايهم ان يحضروا الى المتن فحضروا الى قرية كفر سلوان · وعند وصولهم الى هناك قامت اهالي المكان في وجوههم وطردوهم فرجعوا الى البقاع واقاموا في معذر · ولما بلغ الامير بشير حضورهم الى المتن ارسل لطردهم ولده الامير امينًا بعسكر فقصدهم الى معذر · ولم يشعروا حتى دهمهم على غفلة فهربوا الى نواحي الزبدانة · وادركتهم اوائل الخيل عند خروجهم وجرى قتال بينهم فانجرح الشيخ كنج ابن الشيخ حمد تلحوق وقتل رجل من تابعي الشيخ حمود نكد وراسان من خيلهم · وقتل رجل من عسكر الامير امين كان في صدور الخيل وفرس لفارس ابي حاتم · ومازالوا سائرين في هزيمتهم الى مشارق تلك البلاد · وبات الامير امين بعسكر في عين الحور · ثم تقدم الى معربون · ثم الى جبة عسال الورد · ولما علم انهم ابعدوا الى شرقي دمشق رجع الى زحلة · ثم الى منزله · واما اولئك النازحون فكان قد رجع اكثر اصحابهم الى البلاد فاذن لهم الامير في الاقامة ولم يتعرض لاحد منهم بسوء · وكان الشيخ شبلي عبد المللك واخوه واولادهما بعد رجوع

الشيخ علي عماد واصحابه من المتن فارقوهم من البقاع واتوا الى الشوف ونزلوا على الشيخ بشير جنبلاط لكي يتوسل الى الامير بالصفح عنهم فلم ياذن له الامير في قبولهم فطردهم وعادوا واما باقي المشايخ النازحين فمازالوا في مسيرهم حتى وصلوا الهيجانة في مشارق دمشق الشام واقاموا عند العرب السردية في تلك الاطراف مدة يترددون الى اراضي حوران

وفي السنة ١٢٣٦ هـ = ١٨٢٠ م في شهر ربيع الثاني الموافق لشهر كانون الثاني (يناير) ارسل عبد الله باشا والي صيداء الى الامير يطلب منه الاسعاف بايراد جانب من المال وكانت صورة كتابته هكذا افتخار الامراء الكرام مراجع الكبراء الفخام الامير بشير الشهابي زيد مجده . بعد التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم . والسوءال عن خاطركم الكريم . ننهي اليكم انه لايخفى عليكم كثرة المطاليب منا في هذه الايام الى الدولة العلية . صانها رب البرية . و بمقتضى وحدة الحال لزم ان نكافكم لايراد جانب من المال لاننا نعلم صدق خدامتكم المرضية لدينا . واجتهادكم في كل مايعود الى راحتنا ونمو شاننا . فالمراد منكم ان تشمروا عن ساعد الاهتمام وتبادروا في الايراد على جناح السرعة اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد . وحضر بهذا الكتاب خليل آغا مسكوب من خدام عبد الله باشا . فعظم ذلك على الامير بشير لانه لايقدر على اداء المطلوب مالم يوزعه على اهالي البلاد . وهم لايحتملون مثل هذه الضرائب . فارسل المعلم بطرس كرامة ليتوسل الى الوزير برفع هذا الطلب عنه وان لم يرتفع بالكلية فيمهله الى ان يتيسر المطلوب . وكان عبد الله باشا مضطراً الى ذلك المال لان الطلب كان متواصلاً عليه من قبل الدولة . فغضب وصرف الرسول وامر بتوجيه العساكر الى حدود البلاد فحضر نحو اربعمائة جندي ارناووط الى جباع الحلاوي . وحضر شملين آغا من طبرية الى مرج عيون ومعه ثلاثمائة خيال دالاتية . وحضر نحو مائة خيال هوارة الى صيداء وامر بالقبض على كل من يوجد في بيروت وصيداء من اهالي البلاد . وعند وصول الامير الى بيروت عشية الثلثاء في ٢٥ كانون الاول قبضوا على مائة وسبعين رجلاً في بيروت وكانوا من ادنياء الرعايا الا الشيخ قاسم زينية من العبادية . وفعلوا في صيداء كذلك وامر باغلاق ابواب المدن في وجه اهالي الجبل . وارتاع الامير بشير واهل البلاد من ذلك وعظم الامر عند الامير بشير لانه لم يكن يظن ان عبد الله باشا يغضب ذلك الغضب لصدق خدمته له . وفي الحال ارسل اليه المعلم بطرس المذكور مع خليل آغا الذي حضر في طلب المال وكتب اليه يقول انه لا يمتنع عن تقديم مايامر به وانه لم

يعتذر ذلك الاعتذار الا شفقة منه على الرعايا لانه بعهده شفوقاً واذا كان لا سبيل الى العفو فهو قائم بالمطلوب . ولما دخل المعلم بطرس عليه ووقف على رسالته لان جانبه وامره ان يرجع الى مولاه و يرسل اليه صكاً بالف الف درهم يقدمها في شهرين . واما زمرة المشايخ بني يزبك النازحين فانهم كانوا في تلك الايام متفرقين في بلاد دمشق وحوران ولما بلغهم ذلك الاختلاف الذي وقع بين عبدالله باشا والامير بشير اغتنموا الفرصة وكان قد تجهزوا للمسير الى مصر فجعلوا طريقهم على عكاء ونزلوا على الشيخ مسعود الماضي في داره . وكان له قبول ومنزلة عند عبد الله باشا فعرض الشيخ مسعود الى الوزير امر حضورهم فامر باحضارهم اليه فحضروا ما عدا الشيخ علي العماد فانه انصرف الى الخليل ومن هناك الى مصر . وصحبه البعض من بني عبد الملك . واما الذين حضروا الى عكاء فطيب الوزير قلوبهم وفرض لهم نفقات واسعة واصدر امراً الى الشيخ علي العماد ان يرجع ويكون طيب الخاطر . ولما علم الامير بشير بذلك اضطر الى التسليم بمطلوب الوزير ورجع بطرس كرامة ثالثة الى عكاء وبيده صك التعهد لعبد الله باشا بالمطلوب فسر بذلك وخلع عليه . وارسل اوامر الى المدن باطلاق المسجونين ورجوع العساكر . وفي رابع جمادي الاول الموافق ٢٧ كانون الثاني حضر الى الامير بشير كتاب من عبد الله بهذه الصورة . صدر مرسومنا المطاع الواجب القبول والاتباع . الى افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام . ذي القدر والاحترام الامير بشير الشهابي دام مجده على الدوام . والى الامراء والمقدمين والمشايخ ومشايخ العقل والعقال والمباشرين والوجوه وسائر الرعايا في جبل الشوف وكسروان بوجه العموم ليعلموا . انه لا يخفى عليكم صفو خاطرنا على الامير بشير المشار اليه ورضانا عليه بالمودة القديمة لاجل حسن قيامه بالخدمات الصادقة المرضية لدينا . وقد اصدرنا اليكم قبل هذا مرسوماً من ديواننا مشعراً بذلك . والان تأكيداً لاشهار تمام رضانا وميلنا القلبي اليه قد امرنا بتوجيه خلعة الرضى من لدننا اليه جلد سموره من ملابسنا وعلبة مجوهرة عن يد قدوة الاماثل والاقران خزندارنا حالاً شاهين آغا زيد قدره . فليكن معلوماً عندكم جميعاً توجيه رضانا وصفو خاطرنا على الامير المومى اليه فكونوا في طاعته وتحت اوامره . وان شاء الله لا تشاهدون منا الاّ كل ما يسر خواطركم ويقر نواظركم . ونخبر الامير المومى اليه ان اطاعتك وحسن انقيادك وثباتك على انفاذ اوامرنا واقامتك على صدق خدامتنا ما دمت حياً قد صار كل ذلك مقبولاً عندنا . وبحوله تعالى ما دمت مراعياً هذه المناقب تتضاعف رتبك عندنا وتحصل على احسن الميل التام ودوام

الرضي وعلو المقام . و بناء على ذلك قد اصدرنا مرسومنا هذا اليكم من ديوان دار الجهاد فافرأ وه واعتمدوه والسلام . وجعل الامير بشير بعد ذلك يهتم في تحصيل المال المطلوب فاقترض من تجار البلاد وغيرهم . وطلب من النصارى الاموال المرتبة عليهم من الخراج والجزية . واقترض من الشيخ بشير جنبلاط مائتين وخمسين الف درهم . وارسلها في الحال الى خزينة عكاء وعرض الى الوزير انه مهتم في ايراد الباقي . فاجابه باحسن جواب وطلب منه ايراد المائتين وخمسين الف تتمة نصف المطلوب . وسمح بتأخير النصف الثاني الى وقت ايراد الاموال السلطانية فجمعها حالاً وارسلها واتاه الجواب كالاول فقرت عينه بذلك واطمأن . ومضى على ذلك خمسة ايام . فحضر كتاب من عبدالله باشا الى الامير بشير يذكر فيه انه قد اهدى الى رجال الدولة كل ما كان عنده من التحف الجوهرة ولم يبق عنده ما يليق لاستعماله . وانه قد اتخذه كبعض اهل بيته ويطلب منه الخنجرين المجوهرين اللذين كان قد اهدى اليه احدهما لما نزل الى عكاء يعزيه بوفاة ابيه واهداه الاخر سليمان باشا كما تقدم الكلام في موضعه ويعده بانه سيعوض عليه اضعافاً متى صفا الوقت فارسلهما اليه في الحال وكتب اليه كتاباً لطيفاً يذكر فيه انه دائماً مستعد لعمل كل ما يؤمر به . وليس عنده شيء الاّ وهو من انعامه وانعام ابيه علي باشا . وما مضى على ذلك ايام يسيرة حتى حضر منه كتاب اخر يطلب فيه خمسين الف وربع دينار فندقلي نفقة جيب له . وكان لما طلب الامير بشير من النصارى ذلك الطلب امتنعوا عن الايراد واجتمعوا عند نهر انطلياس وتحالفوا جميعاً ان لايودوا في كل عام الا المطلوب القديم في وقته . وتلك الزيادات التي جدت عليهم لايرضخون لها ولا يؤدون منها درهماً واحداً . وتجمهروا من بلاد الشوف وكسروان وجبيل وكتبوا الى عبد الله باشا بان الامير قد ظلمهم دون غيرهم . والتمسوا منه ان يبقوا على عوائدهم القديمة فاجابهم بالايجاب والقبول . وامرهم ان لايرضخوا له بشيء من ذلك

الفصل الرابع

في ترك الامير بشير البلاد والحكم وتغربه في نواحي حوران والشام

فلما رأى الامير انحراف خاطر الوزير باطناً عليه لكثرة الطلب منه وموافقته اهل البلاد على الامتناع المذكور علم انه لابد ان يعجز عن اتمام رضاه . ويكون ذلك سبباً

لغضبه عليه ظاهرًا فعزم على ترك الولاية والقيام من البلاد · فكتب الى عبد الله باشا هكذا انه اذ قد رأى عدم قبوله عنده وقيام اهل البلاد عليه عجز من معاطاة الاحكام فترك البلاد وخرج الى ايالة دمشق ينتظر صفو الخاطر عليه · وكان وقتئذ قد عزل سليمان باشا العظم عن دمشق الشام وسافر الى حماة وقام مكانه درويش آغا ابن جعفر آغا نائبًا الى ان يحضر الوزير القادم · وفي ١٠ اذار (مارس) الموافق ٢٠ جمادى الاخرى نهار السبت قام الامير بشير الى حمانا بجميع اولاده وجماعته ومن يخصه من البلاد وصحبه الشيخ بشير جنبلاط باولاده وعياله ورجاله · واصحب الامير اولاد عمه الامير حيدر احمد والامير عباس ابن الامير اسعد واجتمعوا جميعًا في حمانا · وانشد المعلم بطرس كرامة في ذلك شعرًا

رحلنا وخلينا المنازل بعدنا ... تشير بكف ايبض و بنانِ
ابينا احتمال الذل اونهلك الورى ... فقمنا وخلينا بغير طعانِ

و بعد دخول الامير بشير الى حمانا حضر اليه جميع الامراء اللمعيين وجميع عقال البلاد من الاربع مقاطعات · وتحالفوا انهم لا يقبلون حاكمًا على البلاد غيره · وكان الامير حسن ابن الامير علي الشهابي القاطن في وادي شحرور يرشح نفسه للولاية من قديم الزمان و يؤلف العصابات والاحزاب من الامراء والمشايخ سرًا · وكان اجتماع النصارى في نهر انطلياس بوسيلة منه · وكان ذلك السر مستودعًا مع الشيخ فضل الخازن ورجال من الوجوه وكان الشيخ فضل رئيس ذلك المحفل · وكان التحالف بين هولاء الاشخاص ان لا يودوا للامير بشير بحسب مطلوبه ولا يقبلوا حاكمًا عليهم غير الامير حسن · واتحدوا مع عامة الجمهور ان يكونوا يدًا واحدة ورايًا واحدًا في مصلحة الجماعة لانهم لم يريدوا ان يفشوا لهم ذلك السر · ولما قام الامير بشير الى المتن تظاهر الامير حسن بالموالاة وحضر الى دار الامير سلمان ابن الامير اسعد احمد في حدث بيروت وسأله القيام معه والاشتراك في الولاية · وكان الامير سلمان لا يهوى تلك الولاية خوفًا من عدم ثباتها او كراهة في مخاصمة الامير بشير · وكانت المراسلة متصلة بين الامير حسن والمشايخ اليزبكية الذين هم في عكاء · وفي ذلك الوقت حضر بعضهم سرًا و بيده امر من عبد الله باشا بحضور الاميرين الى صيداء لكي يوليهما على البلاد مكان الامير بشير · وفي ٢٤ جمادي الاخرى ركب الامير حسن والامير سلمان الى جسر صيداء ومعهما الامير فارس اخو الامير سلمان والامير حسن ابن الامير اسماعيل اللمعي والامير منصور

ابن الامير بشير قائدبيه والامير حسن ابن الامير يونس ارسلان والبعض من اهالي البلاد · ولما راى الامير بشير ذلك رحل بجميع من يتبعه من حمانا وكان ذلك في ٢٥ جمادي الاخر الموافق ثاني اذار وكانت جماعته تزيد عن خمسة الاف نفس · وكان قد حضر الى الشيخ بشير كثير من اهالي المتن وسألوه ان يترك نساءه عندهم وضمنوا صيانتهم من الوزير وغيره ولو هلك كل اهل المتن· فأبى وارسلهن الى قب الياس في البقاع وكن نحو خمسين امراءة من نساء بني جنبلاط و بني ارسلان· وسار الامير بجميع اصحابه الى ناحية البقاع فنزل في قب الياس وقيل في ذلك شعر

اهجنا العيس اذ ناخت بروضة قبر الياس
وقلنا الله ينصرنا و يغنينا عن الناس

واما عبد الله باشا فانه لما وصله كتاب الامير بشير بانه قد اعتزل الولاية وخرج من البلاد سر بذلك سروراً عظيماً لانه لم يكن يظن انه يقدر على خلعه من الولاية لان احمد باشا الجزار قضى مدة حياته وهو يحاول ذلك ولم يقدر عليه غير ان الامير بشير كان قد ضجر من كثرة الحروب والمخاصمات وحتم على نفسه ان لا يقاوم الدولة · ولما تحقق عبد الله باشا قيام الامير بشير من البلاد اخرج المشايخ المقيمين عنده وارسل معهم عسكراً من رجاله وخلعتين للامير حسن وللامير سلمان فالتقوا على جسر صيداء ولبس الاميران الخلعتين وساروا جميعًا الى دير القمر وكان العسكر سبعمائة رجل منهم مايتان دالاتية مع شملين آغا ومثلهم هوارة وثلثمائة ارناووط وهم الذين كانوا في جباع · واما الامير بشير فانه قام من قب الياس الى الكفير احدى قرى وادي التيم على مسافة ١٢ ساعة وقيل في ذلك شعر

تنكرت كفرات الديار لقربنا ونعمتنا لما حللت كفيرا
وقلت لاصحابي الكرام تحملوا فان بهجران المنازل خيرا

وبات الامير واصحابه في الكفير ليلتين فرجع البعض من الذين كانوا معه من المشايخ بني القاضي و بني ابي علوان وسار الامير الى مجدل شمس من اعمال الحولة وبات هناك ثلاث ليالٍ · وكان الشيخ بشير جنبلاط قد ابقى عياله في خلوات الكفير · و بعد وصول الامير حسن والامير سلمان الى دير القمر سار الامير سلمان بخيل الدولة وبعض رجال البلاد الى وادي التيم · ولما شاع خبر وصوله الى البقاع ارسل الشيخ بشير اخذ عياله الى مجدل شمس · واذ كان الامير في المجدل حضر اليه رجل من حاشية يوسف

آغا حاكم القنيطرة يدعو اليه ليقيم عنده لكثرة وجود المرعى والذخائر هناك فلم يحضر واكرم الرسول بمال · وسار الامير من هناك يطلب بلاد حوران بجميع من معه واخذ الشيخ بشير والامراء بنو ارسلان عيالهم معهم · ولما وصل الى العين البيضاء التي في ارض الجيدور التقته اكابر العرب السردية آل فواز وهم نمر الفياض واولاد عمه · وكانوا نازلين في مكان يقال له تل الفرس من اراضي الجيدور ودعوه الى المبيت عندهم وتعهدوا له انهم يمشون قدامه بجميع خيلهم وظعنهم حيثما اتجه · فاجاب دعوتهم وسار معهم وبينما هم في الطريق لاح لهم من نواحي ارض الجولان نحو ٢٠٠ فارس ومعهم جماعة من المشاة · وظهر انهم يريدون القتال · فما احتفل الامير بهم واستمر في طريقه حتى اقترب منهم · فوثب عليهم نحو خمسين فارساً من خيله واطلقوا عليهم الرصاص · فهربوا من امامهم وادركت خيل الامير البعض منهم · فرموا خمسة قتلى وثمانية جرحى واغتنموا منهم فرساً وشيئاً من الاسلحة · وبحث الامير عن تلك الخيالة فاذا هي يوسف آغا حاكم القنيطرة الذي كان ارسل يدعوه الى منزله · ومعه جماعة من العرب والهوارة · ولو اراد الامير ان يلحقهم بخيله لما سلم منهم احد · وبات الامير بعسكره تلك الليلة في تلك الارض على نهر الرقاد · ولم يصل الى منزل السردية لانه كان قد زال النهار · وفي الغد تقدم الى اراضي حوران على الطريق الغربية ومعه اكابر العرب المذكورين حتى وصل الى قرية نوى عند نصف النهار · فنزل هناك وارتاح بقية ذلك النهار · وفي اول الليل سار الامير بعسكره واكابر العرب قدامه حتى وصل الى نهر الحمان فنزل هناك الى الصباح وكانت ليلة باردة · وعند طلوع الشمس سار الى ان وصل الى داعل نصف النهار وهي شرقي المزاريب فاخذ عسكره منها شيئاً من الزاد واستمر في طريقه حتى وصل عند غروب الشمس الى قرية يقال لها الغارية فبات هناك وعند الصباح سار طالباً مدينة البصرة بصرة حوران · فالتحق به في الطريق الشيخ محمد المطلق وهو سيد فريق من العرب السردية والامير بركات امير عرب النجيلية · وصحباه في طريقه · ثم التقى بمحمد آغا بوزه والي حوران من قبل وزير دمشق فسلم عليه وسار معه ساعة · ثم ودعه ورجع فاكرمه الامير باهدائه له سيفاً وبارودة · ثم التقى به شيخ مشايخ حوران وكان يقال له الشيخ احمد الشبلاق ودعاه الى منزله في قرية شمسكين فاعتذر · ورجع الشيخ احمد · وسار الامير والعرب السردية قدامه · وفي اخر النهار وصل الى مدينة بصرة وهي التي يقال لها اسكي شام بالتركية او مدينة الشام العتيقة

يريدون بها دمشق لان العامة تطلق اسم القطر على المدينة) . وكان العسكر قد تضايق ذلك اليوم من الجوع والتعب . ولما وصلوا الى هناك اشتروا شيئاً كثيراً من الزاد ولكن باغلى ثمن . وبات الامير تلك الليلة في تلك المدينة وهي مدينة خربة قديمة العهد فيها كثير من الابنية والآثار مما يدل على اتساعها وتحصنها . وفي مكان منها آثار معبد قديم وفي ذلك المكان اربعون عموداً من الرخام الابيض يبلغ طول العامود اربعين ذراعاً ومحيطه ثلاثة اذرع وهي في غاية الصقال . وقد نقش على بعضها كتابة قديمة وتوجد خطوط كثيرة ايضاً في محلات اخر . وفي جانب المدينة الى الغرب قلعة حصينة حجارتها سوداء كحجارة الرحى التي ترد من هناك الى هذه البلاد (بر الشام) وفوق كل حائط منها صف من الحجر الابيض على جميع دائرتها وكله منقوش بخطوط مختلفة . وعلى بابها بعض اسطر بالعربية منطوقها هكذا « قدامر بيناء هذا البرج مولانا السلطان ناصر العالم العادلي المؤيد المنصور صلاح الدين والدنيا سلطان السلاطين قاتل الخوارج الشهيد الملك العزيز ابن محمد الشهيد الظاهر الغازي ابن الشهيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب في ولاية العبد الفقير الى رحمة الله تعالى افتخار الدين ياقوت الملكي الناصري . ولم يكن في تلك المدينة ماء . وى مصانع يجتمع فيها ماء المطر من نهر يجري في الشتاء من اعالي حوران وتلك المصانع مبنية اقوى بناء واشده . طول الواحد منها مائة ذراع وعرضه كذلك وعمقه عشرة اذرع . وفي اليوم الثاني نهض الامير بعسكره الى قرية حبران وهي قرية دروز في تلك البلاد وفي اطراف حوران نواحي المشرق ولم يبق مكان عامراً من نواحي المشرق والجنوب الا هذه القرية وقلعة سلخد وهي حصن عظيم . ولما قام الامير من البصرة رجعت العرب السردية فاكرمهم الامير بالمال والسلاح والبسهم الخلع الثمينة ووعدوه انهم يرجعون اليه بعيالهم ويقيمون حيثما اقام . ثم لم يصدقوا فيما وعدوا . وظهر فيما بعد ان اعتراض يوسف آغا حاكم القنيطرة للامير في الطريق كان بموافقتهم . وفي تلك الايام كان قدم الى دمشق الشام وزير من قبل الدولة العلية يقال له درويش باشا وكان مرسلاً لانشاء النظام في عربستان . ولما علم الامير بقدومه ارسل المعلم بطرس كرامة قبل حضوره الى حبران . وكان الوزير قد وصل الى حماة وكتب الامير اليه يعلمه بحضوره الى حوران وانه يريد الاقامة هناك تحت لوائه الى ان تطيب نفس عبد الله باشا الخزندار والي صيداء وينعم عليه بالرجوع الى بلاده . وكان مسير المعلم بطرس كرامة في خامس شهر رجب وبات الامير في حبران ليلة وعند

الصباح سار الى مرج الدولة في اعالي حوران طالباً للمراعي التي هناك فاقام خمسة ايام . وسار الى مكان آخر مخصب يقال له برك الحلاب فاقام يومين وسار الى مرج الروم . واما الامير حسن والامير سلمان فانهما بعد طلوعهما الى دير القمر اول يوم شهر رجب اجتمع اليهما كثير من اهل البلاد والنصارى الذين كانوا مجتمعين في انطلياس ونادوا في دير القمر باسم ساري عسكر الدولة حاكماً . ووقع الضبط على املاك جميع الغائبين مع الامير بشير وكانت نساؤه باقية في داره فحضر ساري عسكر الدولة وارسلهن الى بجد المعوش وضبط كل ماوجد في الدار وارسله الى صيداء . واعلم عبد الله باشا بذلك . فامره برده الى مكانه فرده واخذ منه كثيراً من التحف والنفائس . وكان الامير بشير بعد وصوله الى مرج الروم في ثالث عشر رجب كتب الى عبد الله باشا يستعطف خاطره و يستحلفه بتربة ابيه علي باشا ان لا يسمع كلام الوشاة فيه لانه ترك بلاده واهله وابتعد الى اطراف حوران خوفاً من وقوع حادث يوجب انحراف خاطره . وكتب الى الشيخ مسعود الماضي يلتمس منه ان يقدم كتابه الى الوزير و يكون مساعداً له في استعطافه وارسل بتلك الرسالة رجلاً من تلك البلاد يقال له الشيخ قاسم الزغبي . فغاب اثني عشر يوماً ورجع وبيده جواب من عبد الله باشا وهذه صورته

افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام ولدنا الامير بشير الشهابي زيد مجده .

بعد التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم . انه قد وصل عرضحالكم وجميع ماشرحتموه صار معلوماً لدينا فنحن من حين صدور امرنا السابق وارسالنا اليك الخلعة لم يختلج في نفسنا انحراف خاطر عنك قط . ولكن دخلت في عقلك وساوس ابعدتك عن خدمتنا . ومن المعلوم ان الخادم اذا ابتعد عن خدمة مخدومه فالمخدوم يستخدم غيره . وبناء على ذلك اقتضى اننا نصبنا مكانك امير بن من الجبل . والان بحسب استعطافك خاطرنا وطلبك الرحمة منا فلك الامان من لدننا بقول الله ورأي الله ورأي سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسك وما لك وحاشيتك ولتكن طيب الخاطر قرير الناظر وعند وصول امرنا هذا اليك يجب ان تبادر بالحضور الى هذا الطرف . واذا تأخرت عن الحضور يكون مرادك التعلق بخدمة غيرنا ولا يعود يحصل لك قبول منا بعد ذلك وتفوتك هذه الفرصة . وان شاء الله لا تشاهد منا الا كل اعزاز واكرام . ونعين لك نفقة واسعة الى ان يقع من ذينك الاميرين ذنب يوجب انحراف خاطرنا عنهما فحينئذٍ ترجع الى مقامك لانه ليس من شيمنا الاخلاف لغير سبب . بناء على ذلك قد اصدرنا اليك امرنا هذا

من محروسة عكاء دار الجهاد فاقرأه واعتمده غاية الاعتماد والسلام . وحضر جواب ايضاً من الشيخ مسعود الماضي مصادقاً على ذلك . فكتب الامير ثانياً اليه يذكر فيه انه قد عاش مدة حياته السابقة في انعام اسلافه ويريد ان يقضي بقية حياته في رضاه . وقد كان الاحب اليه ان يتوجه للشام ذاته ولكنه كونه في جبل حوران ومعه عساكر وعيال فلا يمكنه ان يتركهم في البراري بين العربان ولا ان يصحبهم به الى تلك الديار فاذا شاء خاطره ان يرسل اليه اولاده محباً وكرامةً . وكتب ايضاً الى الشيخ مسعود الماضي كذلك . وارسل الشيخ قاسم الزغبي رسوله الاول واقام في مرج الروم ينتظر الجواب . وفي ذلك الوقت حضر المعلم بطرس كرامة من حماة . وكان قد قابل درويش باشا ونائبه هناك وقدم اليه كتاب الامير وشرح كل ما توقع من الامير من حين وفاة احمد باشا الجزار الى ذلك اليوم . وكيف خدم الوزراء وجاهد في خدمة سليمان باشا . وعرض له عن عدله وضبطه وحسن سير الامير وتأمينه ابناء السبيل وطاعته للدولة العلية . فانعطف خاطر درويش باشا على الامير بشير وكتب اليه جواباً بهذه الصورة

افتخار الامراء الكرام صاحب القدر والاحترام الامير بشير زيد مجده على الدوام

بعد السلام التام . بمزيد الاعزاز والاكرام . انه قد ورد علينا كتابكم . وما شرحتموه صار معلوماً لدينا . وقد التمستم منا الاقامة في ايالة دمشق الشام فلكم الامان تنزلون حيثما شئتم بكل راحة واطمئنان . واما من نحو انحراف خاطر سعادة الدستور المكرم ولدنا عبد الله باشا عليكم فهذا حال اولياء الامور فيغضبون على خدامهم ثم يرضون عنهم وان شاء الله بعد وصولنا السعيد الى دمشق الشام نرسل الى سعادة ولدنا المشار اليه ان ينظم احوالكم فلا يكن عندكم ارتياب من هذا القبيل . وبناءً على ذلك قد اصدرنا مرسومنا هذا اليكم فافهموه والسلام . وحضر جواب من نائبه ابراهيم بك ايضاً بهذا الفحوى . وبعد ايام دخل درويش باشا الى مدينة دمشق وكان معه ابراهيم آغا قبجي باشي فكتب اليه الامير بشير ان يستعطف خاطر درويش باشا و يلقي نظره عليه وكان جميع اكابر دمشق يرغبون في مصلحة الامير بشير مثل عنبر آغا القزرار ودرويش آغا جعفر الذى كان متسلماً في دمشق . وابو عرابي عبد الغني الشوملي كبير المقدمين في الحج وغيرهم . فكانوا يتكلمون خيراً في حق الامير ويخبرون درويش باشا عن اخلاقه واطواره . فامر نائبه ومتسلم المدينة ان يكتبا اليه بان يكون طيب القلب

و يقيم حيثما شاء في بلاد حوران · وفي اليوم العاشر من شهر شعبان رجع الشيخ قاسم الزغبي من عكاء و بيده جواب من عبد الله باشا بهذه الصورة

افتخار الامراء الكرام · مرجع الكبراء الفخام · ولدنا الامير بشير الشهابي دام بحفظ الملك العلام .

بعد التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم · والسؤال عن خاطركم السليم · ابدي انه قد وصل كتابكم الينا · وفهمنا كل ما شرحتموه لدينا · وقد تحقق عندنا حسن طاعتكم وصدق عبوديتكم · و بناء على ذلك لكم الامان الاكيد والراي الوطيد · وان شاء الله لا تشاهدون منا الا كل ما به راحتكم · وقد التمستم منا الاذن بالاقامة في بلاد جبيل فلكم الاذن بذلك · تقيمون ان شئتم هناك تحت راية الامان · اعلموا ذلك واعتمدوه والسلام · وحضر ايضاً جواب من الشيخ مسعود الماضي يذكر فيه ما حاصله · « اننا قد عرضنا عرض حالكم لدى سعادة ولي النعم وانشرح خاطره الشريف بحسن طاعتكم وصدق مودتكم وقد سمعنا من فمه العزيز ان هذا الرجل لاجل حسن تدبيره وجودة رايه لا يزال ساعياً في صدق الخدمة ولم يتعلق بخدمة غيرنا · ولما تحقق الامير بشير صفو خاطر عبد الله باشا عليه اتكل على الله وتوجه من مرج الروم قاصداً عكاء · وكانت الاخبار تواترت ان امراء البغضان اظهروا العصيان على الدولة العثمانية وانحازوا الى المسكوب · ونودي بالحرب بين المسكوب والمسلمين · وحضر امر من الدولة العلية بتحصين المدن البحرية وجمع سلاح النصارى فباشر عبد الله باشا ذلك حسب الامر وارسل عساكر كثيرة الى قبرس بموجب الاوامر السلطانية · واخرج اكثر النصارى من عكاء · وكان خروج الامير بشير من مرج الروم نهار الاثنين في ١١ شعبان فبات جنوبي شبكين وسار في الغد الى وسيعل و بات على جسر الكسور ومنه سار الى قرية فيق ثم الى الهريج وهي قرية خربة · وعند الصباح دخل مرج ابن عامر · وكان عسكر عبد الله باشا نازلاً هناك لاجل المرعى فلاقى خيالة شملين آغا الامير واضافوه عندهم واكرموه غاية الاكرام · وفي اثناء ذلك حضر الشيخ قاسم الزغبي بجواب من الوزير عن كتاب كان الامير قد ارسله اليه يخبره بحضوره و به يأمره بالنزول في شفا عمرو · وحضر تابع الشيخ مسعود الماضي باوامر الى متسلم شفا عمرو واهاليها ان يقدموا الى الامير كل ما يحتاجه من الذخائر · فاقبل الامير بشير على المكان والتقى به المتسلم والاهالي بكل اكرام وترحاب وانزلوه احسن منزل · وكان عبد الله باشا لما قام الامير بشير من البلاد واطلق

التنبيه على الامراء الشهابيين ولاة وادي التيم وهم الامير منصور والامير افندي واولاد عمهما ان لا يقبلوا الامير بشيراً في بلادهم · وكتب الى درويش آغا نائب دمشق ان يعزل الامير افندي صاحب وادي التيم الاعلى· ويجعل الولاية كلها لابن عمه الامير منصور ابن الامير محمد · لان الامير افندي كان يميل الى الامير بشير · فاجاب درويش آغا سؤاله وعزل الامير افندي · ولما مر الامير بشير على وادي التيم في مسيره من البلاد التقى به الامير افندي وسار معه الى حوران فاقام الى ان اراد الامير بشير النزول الى عكاء فارسله الى دمشق وبيده كتاب الى درويش باشا والي دمشق يخبره عن الامر الذي حضر اليه من عبد الله باشا وعن مسيره الى عكاء لانه بلغه الخوف الواقع على المدن من جهة المسكوب · فتوجه لكي يقدم نفسه للجهاد قدام ولي نعمته · وفي اثناء ذلك يلتمس من درويش باشا ان يكون له حسن النظر على اولاده وجماعته الذين تركهم في جبل حوران · وارسل مع الامير افندي خمسة احصنة من جياد الخيل منها ثلثة للوزير واثنان للقبجي والقزرار · وبعد توجه الامير الى عكاء سارت اولاده والامير حيدر احمد والامير عباس اسعد والشيخ بشير جنبلاط ومن معهم من الامراء بني ابي اللمع وبني ارسلان والمشايخ وبقية العسكر من مرج الروم الى قرية الكفر التي جنوبي جبل القليب واقاموا ينتظرون اخبار الامير · وقبل وصول الامير الى مرج ابن عامر بثلثة ايام وصل الشيخ علي العماد والشيخ حمود نكد والشيخ علي تلحوق الى عكاء ومعهم ثلثة احصنة هدية الى عبد الله باشا · والتمسوا منه اهداء الخلع للامير حسن والامير سلمان عن السنة الجديدة لانه كان قد دخل مارث الجديد من سنة ٣٧ فانعم الوزير بذلك · واتفق وصول الامير بشير فامر اولئك المشايخ ان يتعهدوا له بايراد الف الف ومائة الف درهم على عجل · منها خمسمائة الف درهم عن بلاد جبيل · ومايتان وثمانون دخل املاك الامير بشير واصحابه النازحين ومائة الف عن المال السلطاني عدا جزية الذميين ومائتا الف نفقة عسكر والباقي عن بقية انواع الجزية فاعتذروا انهم لا يقدرون على ذلك · فامر ان يبقوا في عكاء تحت الحفظ الى ان يؤدي الامير حسن والامير سلمان ذلك المال فلما رأوا ذلك كتبوا على انفسهم صكاً بالحال ورجعوا الى البلاد بالخلع والشروط واخبروا الامير حسناً والامير سلمان مادار بينهم وبين الوزير · وكان عند اجتماع النصارى في انطلياس قد تقدم كلام لعبد الله باشا ان النصارى يبلغون ثمانين الف رجل · فامر ان يعدوا وتوخذ الجزية ثلاث مراتب الاولى ثمانية عشر درهما والثانية اثنا عشر درهما والثالثة ستة

دراهم . فامر الامير حسن والامير سلمان بعد النصارى . وطلبا الاموال السلطانية مضاعفة .
وخصصا بعض ارباب المال بطلب معلوم واما الامير بشير فانه بعد وصوله لتلك الديار ارسل
جدعون الباحوط يلتمس من عبد الله باشا الدخول الى عكاء . فاعتذر الوزير بانه قد
ارسل الخلع الى الامير حسن والامير سلمان ولا يمكنه الاخلاف معهما لغير سبب فاذا دخل
عليه الامير لا يمكنه ان يتركه يرجع من قدامه بدون ان يخلع عليه خلعة الرضى لاجل تطييب
قلبه واذا كان كذلك فيعلم الامير حسن والامير سلمان فيتأخران عن ايراد المال . وقال
لجدعون الباحوط اني راغب في رؤية الامير ولكني استحي منه لان الذي صدر مني في امره كان
بغير ذنب . وانما لابد ان اعيده الى احسن ما كان والان هو مخير في الاقامة فليقم
حيثما شاء . فقال جدعون ان بلاد جبيل قد صدر الانعام بها على الامير حسن والامير
سلمان فهو يريد الاقامة في جزين فاذن له في ذلك وكتب اليه جوابًا يقول بعد
الديباجة . انه قد وصل لدينا عرضحالكم عن يد معتمدكم المعلم جدعون وعرض لدينا
ماافهمتموه من الكلام . وقد تحقق عندنا حسن طاعتكم ودرايتكم فالكم منا امان الله
ورأي الله وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم رأينا الوثيق . ولا يكن عندكم ادنى
ارتياب من سائر الوجوه . وقد طلبتم منا الاذن بالاقامة في جزين فلكم الاذن في ذلك
تتوجهون بحفظ الرحمن الى ذلك المكان وتقيمون فيه انتم وجميع من يلوذ بكم . والان
واصلة اوامرنا الى المتسلمين ان يقدموا لكم كل مايلزمكم من الميرة والذخائر . وقد التمستم
منا امراً الى اولادكم وحاشيتكم لذلك فكل ذلك سهل لدينا . واصل منا امر لهم
وللشيخ بشير جنبلاط ان يحضروا ويقيموا عندكم في جزين وعليهم الامان التام . وقد وجهنا
كتابًا الى سعادة اخينا الدستور الافخم الوزير المحترم درويش باشا والي دمشق
برفع الضبط عما يخصكم ويخص اصحابكم في اراضي البقاع . ومن الآن فصاعداً كلما
يلزم لكم اعرضوه لدينا والسلام . وكان ضمن هذا الكتاب كتاب الى متسلم اقليم جزين
بهذه الصورة . افتخار الاخوان الكرام محسوبنا ابرهيم آغا زيد قدره . انه قد
حضر لدينا افتخار الامراء الكرام مرجع الكبراء الفخام ولدنا الامير بشير
الشهابي وبما انه لم يزل يستعطف خاطرنا تذكرنا خداماته الصادقة التي سلفت
للمرحومين اسلافنا والتي ابداها لدينا من قديم الزمان الى الان فصفا خاطرنا عليه
الصفاء التام واذناً له بالاقامة في اقليم جزين بجميع حاشيته واصحابه . والمراد منكم
عند وقوفكم على امرنا ان تقدموا له كل ما يحتاجه من الميرة الى مرج عيون لانه يود

المكث هناك اياماً الى ان تحضر جماعته من جبل حوران . اعلموا ذلك واعتمدوه . وحضر امر الى علي آغا الصوري متسلم جباع ان يخلي له منازل في جزين و يقدم له الاكرام مدة اقامته . وحضر كتاب ايضاً الى اولاد الامير بشير وارفاقهم في جبل حوران بهذه الصورة . مفاخر الامراء الامير حيدر والامير عباس والامير قاسم والامير خليل والامير امين زيد مجدهم . غب التحية والتسليم . بمزيد الاعزاز والتكريم . والسؤال عن خاطركم الكريم . المنهي اليكم انه الان قد صفا خاطرنا على افتخار الامراء الكرام مرجع الكبراء الفخام ولدنا الامير بشير المكرم وعفونا عن كل مامضى . واذنّا له بالاقامة في اقليم جزين مع كل من يتبعه و يلوذ به . وكذلك بحوله تعالى قد صفا خاطرنا عليكم جميعاً فاحضروا واقيموا عند ولدنا المومى اليه وكونوا في طيب نفس وقرة عين عليكم امان الله وامان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اماننا . ولا يكن عندكم ارتياب من شي . اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد . وارسل الى الشيخ بشير كتاباً آخر بهذه الصورة . افتخار المشايخ الكرام محسو بنا الشيخ بشير جنبلاط زيد مجده . بعد السلام التام ننهي اليكم انه قد صفا خاطرنا على افتخار الامراء الكرام ولدنا الامير بشير الشهابي واذنا له بالاقامة في اقليم جزين مع كل من يلوذ به وانت ايها الشيخ المومى اليه صفا خاطرنا عليك الصفو التام . وعفونا عن كل مابدا منك من الهفوات فكن طيب القلب والخاطر وعليك آمان الله وآمان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اماننا . فالمراد منك ان تحضر وتقيم عند جناب ولدنا المومى اليه ولا يكن عندك ادنى ارتياب ولا خوف . اعلم ذلك واعتمده غاية الاعتماد . وفي ٢١ شعبان ارسل الامير هذه الاوامر الى اولاد عمه والى اولاده والى الشيخ بشير جنبلاط الى جبل حوران وكتب لهم كتاباً يقول فيه بعد الديباجة انه بعون عناية المولى العزيز قد تيسر وصولنا الى ارض شفا عمرو . وحضرت رُسلنا التي كنا ارسلناها امامنا الى محروسة عكاء وبيدهم مرسوم شريف من لدن سعادة افنديناولي النعم ايده الله تعالى وصحبتهم مباشر بيده مرسوم من لدن سعادته الى اخينا متسلم شفا عمرو وان يفتح لنا منازل و يقدم الذخائر وبحسب الامر الشريف لاقانا الاخ المومى اليه واخونا علي آغا ضابط المغاربة ووكيل اخينا الشيخ مسعود الماضي ومشوا قدامنا حتي وصلنا الى شفا عمرو . واتفق انه في ذلك الوقت حضرت التقادم من جناب ابن عمنا الامير حسن والامير سلمان وتوجهت لهما الخلعة فلم يحسن لدى ولي النعم مواجهتنا لئلا يقع اخلال في الاحكام فصدر الاذن لنا بالاقامة في اقليم جزين بجميع حاشيتنا

واصحابنا . وارسل امرًا الى اخينا علي آغا متسلم جباع باقامتنا في المكان المذكور بكل راحة واكرام وامر بالمرسوم الواصل الى جنابكم . فيقتضي بعد اطلاعكم على فحواه ان تحضروا على جناح السرعة جميعًا . وان شاء الله نشاهدكم بخير وتفهمون منا لسانًا استيفاء الحديث عما فاضت به المراحم العميمة والسلام ختام . وليلة الاربعاء بعد ارسال هذه الكتب قام الامير الى ترشيحه ثم الى هونين . وفي ٢٥ شعبان وصل الى مرج عيون . واما الامير افندي فانه بعد وصوله الى دمشق الشام قدم الخيل التي جاء بها الى الوزير والقبجي والقزرار فوقعت موقع القبول وكتب درويش باشا الى اولاد الامير بشير الشهابي كتابًا هذه صورته افتخار الامراء الكرام اولاد الامير بشير الشهابي دام مجدهم . بعد التحية والتسليم بمزيد التكريم نبدي اليكم انه قد وصل عرضحالكم وصار معلومًا لدينا فكونوا في طيبة نفس وقرة عين ولكم من لدنا امان الله ورايه وامان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم اماننا الوثيق . وان شاء الله لا تشاهدون منا الاَّ كل ما يسر خواطركم ويقر نواظركم اعلموا ذلك واعتمدوه . واشهر رضاه ايضًا على الامير افندي وولاه على وادي التيم الاعلى والادنى والبسه خلعة فاخرة تحت ايراد خمسة وسبعين الف درهم . وارسل معه عسكرًا . واما اولاد الامير بشير ومن يصحبهم من العشائر فانهم بعد وصول امر عبد الله باشا ارسلوا رسولاً الى الامير بشير واقاموا ينتظرون الجواب الى ان حضر بعد ثمانية ايام فنهضوا من قرية الكفر نهار الاحد في ثاني رمضان الى خرانة شرقي السويداء وحضرت المشايخ بنو حمدان لوداعهم وكانوا قد فعلوا كل جميل مع الامير واصحابه مدة اقامتهم هناك . وقدموا كل ما قدروا عليه من الذخائر والاكرام وهم مشايخ دروز حوران وكان اصلهم من جبل الشوف من مقاطعة الغرب الاعلى من قرية كان يقال لها كفرة وهي الان خربة فوق عيناب فيها اثار ورسوم كثيرة . وكان جدهم القديم يقال له حمدان رحل الى حوران وكان حاذقًا متدربًا فاتخذ قرى ومزارع واقتنى مواشي وتظاهر عند الدول فعلت منزلته وصار سيداً لعشيرته في تلك البلاد ثم قامت اولاده خلفاء له في الرياسة وهكذا استمروا رؤساء هذه العشيرة الى الان وكان من اكابرهم يومئذٍ الشيخ يوسف والشيخ يحيى والشيخ حمد واخواه الشيخ محمود والشيخ خطار . وكانوا جميعهم يترددون على الامير ويقدمون له الذخائر ويعرضون انفسهم لكل خدمة يحتاجها . وفي اقامة الامير في تلك البلاد حضر اليه جميع اكابر عرب عنزة وهم الامير ودخي والامير صالح وكانت لهما الرئاسة على طاري ولد علي .

والامير حمود الضريجي والامير خلف الطيار والامير نائف الشعلان من الرولى واشترى كثيراً من جياد الخيل التي لعشائرهم ٠ و يوم الاثنين ثالث رمضان سارت جماعة الامير من السويداء يطلبون مرج عيون وترك الشيخ بشير عياله وعيال من ينتمي اليه عند المشايخ بني حمدان و باتوا تلك الليلة في قرية نجران ٠ وكانت مرحلتهم سبع ساعات فمن الغد تقدموا الى قرية خبب ٠ وكان وصولهم اليها عند الظهر فلبثوا فيها الى المساء ونهضوا فساروا تلك الليلة جميعها الى ان وصلوا الى قرية يقال لها كناكر في وادي العجم ٠وكان وصولهم اليها بعد طلوع الشمس فلبثوا فيها نحو ثلاث ساعات وساروا ذلك النهار الى قرية بتيما التي في اقليم البلان وكانت مرحلتهم من خبب الى كناكر اثنتي عشرة ساعة لان سفرهم كان في الليل وطريقهم وعير محجرة وان كانت مستوية ٠ ومن كناكر الى بيتيما اربع ساعات ٠ و باتوا في بيتيما تلك الليلة ٠ وعند الصباح ساروا الى راشيا ٠ وكان يومئذٍ الامير افندي في حاصبيا لاجل تحصيل المال المطلوب منه الى خزينة دمشق الشام فارسلوا اليه ان يوافيهم الى مرج الشميسة فحضر ومعه جميع امراء حاصبيا الشهابيين ٠ وصار الاتفاق ان الامراء الذين كانوا على وادي التيم الادنى يبقون متصرفين فيه كما كانوا ٠ و يكون الحكم والتصرف باسم الامير افندي حسب امر درويش باشا ٠ ورجع الامير افندي واصحابه الى حاصبيا ٠ واولاد الامير بشير ومن معهم تقدموا يطلبون جزين وكان الامير بشير ذلك اليوم قد اقبل الى جزين من مرج عيون فالتقوا به في الطريق ووصلوا الى جزين معاً وكان ذلك يوم الجمعة ثامن رمضان فالتقتهم رجال الدولة المقيمون هناك واهالي جزين واقاموا عراضة (اي اطلاق بنادق) سمعتها جميع البلاد ٠ و بعد وصول الامير بشير الى هناك شاع خبره في جبل الشوف فهربت اليه الجباة الذين كانوا في البلاد من قبل الامير حسن والامير سلمان لطلب الاموال السلطانية والقرض وصار اضطراب عظيم في جميع البلاد ٠ واستحوذ الخوف على ذينك الاميرين ومن يلتحق بهما واقاما عيوناً وارصاداً في في نواحي الشوف يراقبون الليل والنهار خوفاً من الامير بشير ان يفاجئهما بغتةً ٠ وطالت اعناق الذين من حزب الامير بشير ٠ واتفق الامير بشير ابن الامير قاسم ملحم والامير ملحم ابن الامير حيدر مع امراء المتن وتظاهروا بالتعصب للامير بشير وطردوا جباة الامير حسن والامير سلمان الذين كانوا في ساحل بيروت لاجل استلام الحرير الذي هناك للامير بشير واصحابه ٠ وارسل الشيخ بشير جنبلاط قوماً من تابعيه

لاخذ الحرير الذي له في اقليم جزين وساحل صيداء الذي كان قد ضبطه عبدالله باشا. ولما راى الامير حسن والامير سلمان ومن يليهما من المشايخ اليزبكية والنكدية. توقف احوالهم وتعصب جميع اهالي البلاد للامير بشير طلبوا مشايخ العقل الذين في جبل الشوف . وهم الشيخ يوسف الحلبي والشيخ يوسف الصعيدي والشيخ يوسف البردويل من راس المتن والشيخ عز الدين والشيخ ناصر الدين من كفرنبرخ وكبيرهم الشيخ ابو علي شرف الدين . والتمسوا منه ان يكونوا مباشرين امر الصلح مع الامير بشير على ان الجميع يسلمون امرهم اليه . وفي الحال توجهوا الى جزين وخاطبوا الامير بذلك . وكان الشيخ بشير جنبلاط يرغب في ذلك الاتفاق لانه لم يكن له رغبة في مصادمة الدولة . فاجاب الامير سؤالهم وبعد اخذ ورد تم الاتفاق ان الجميع يكونون يداً واحدة . والامير حسن والامير سلمان يتنازلان عن الحكم والذي تختاره اهالي البلاد يكون حاكماً عليهم . وتوجه الشيخ علي العماد والشيخ حمود نكد والبعض من المشايخ بني عبد الملك وبني تلحوق الى جزين فواجهوا الامير وصفا خاطره عليهم . وطلبوا منه ان يحضر الى الشوف وان الامير حسن والامير سلمان يواجهانه وتقع المصافاة بينهم . فاجاب الامير سؤالهم وسار من جزين الى عماطور وارسل ابن عمه الامير حيدر احمد لاجل اطمئنان الامير حسن والامير سلمان لانهما كانا خائفين على انفسهما . فتوجه الامير حيدر الى دير القمر ومعه البعض من المشايخ الذين كانوا مع الامير بشير في حوران وعند وصولهم صباحاً الى دير القمر قابلوا الامير حسن والامير سلمان وحملوهما على الطمانينة وازالوا ما كان عندهما من الخوف ورجعوا بهما الى قرية السمقانية

الفصل الخامس

في رجوع الامير بشير وانتخاب اهل البلاد اياه حاكماً عليهم

وحضر الامير بشير واصحابه الامراء بنو ابي اللمع واجتمع اكثر اهالي البلاد من امراء ومشايخ ورعايا . وفي ٢٥ رمضان توافقوا وتواثقوا وكتبوا بينهم عهوداً ان الجميع يكونون يداً واحدة في مصلحة البلاد والذي تختاره اهالي البلاد حاكماً من بني الشهاب يقبلونه ويطيعونه ويؤدونه الاموال السلطانية . وبعد ذلك رجع كل منهم

الى مكانه · وطلب الامير حسن والامير سلمان من الامير بشير ان يكون حاكماً ·
فأبى لانه قصد الراحة من متاعب الولاية وسألهما ان يلبثا على ولايتهما فقبلا ذلك
وارتضت اهالي البلاد · ثم رجع الامير بشير الى الشوف ورجع الاميران
الى دير القمر وهما في الباطن غير راضيين بذلك الاتفاق ولكنهما اضطرا اليه · لان
المشايخ الذين من حزبهم رغبوا فيه ليحصلوا على رضى الامير بشير · ولما رجع الامير الى
الشوف رجعت اولئك المشايخ معه وتعهدوا انهم يكونون في خدمته ماداموا في قيد الحيوة ·
واما عبد الله باشا فلما بلغه ذلك الاتفاق امر عساكره ان تحضر الى صيداء ومرج
عيون · وارسل يطلب من الامير حسن والامير سلمان المال الذي تعهدا به · فاجابا
معتذرين بانهما قد عجزا عن تحصيل الاموال ومعاطاة الاحكام لان اهل البلاد خرجوا
من ايديهما واتفقوا مع الامير بشير وعزموا على العصيان فارسل عبدالله باشا يسأل الامير
بشير كيف اتفق مع اهالي البلاد بعد ما كان قد نال رضاه ووعده انه يرسل اليه الخلعة
الى جزين فاجاب ان ذلك الاتفاق ليس بخارج عن طاعته · ولكن لكثرة طلب الاموال
وشدة الظلم الذي وقع عليهم من الامير حسن والامير سلمان هاجوا وطلبوا الخروج عن
طاعتهما واختاروا الاتفاق معنا على ان نكون نحن وهم جميعاً في طاعتك وتحت اوامرك
فان شئت ذلك ولا فنحن معتزلون عن كل ذلك وليس لنا رغبة الاَّ في صفو خاطرك
فقط · فسر الوزير بذلك الجواب · وعلم انه لايقدر احد على حكم جبل الشوف غير الامير
بشير وكان اكثر رجال دولته يميلون الى الامير بشير ويتكلمون فيه خيراً · وكان عنده
امام من تلك الناحية يقال له الشيخ صالح قاضي ترشيحه · فارسله الى الامير بشير يقول له
ان الوزير يرغب في توليته على البلاد لكنه مشتبه في ما وقع بين اهل البلاد وهو يريد
ان يعرفه حقيقة الامر فشرح الامير للشيخ صالح مايدفع تلك الشبهة · وكان الشيخ
صالح شاعراً فصيحاً وكان عنده حب شديد للامير بشير لانه كان يتردد اليه ويمدحه
بالقصائد · وكان الامير يكرمه بالصلات والجوائز فرجع الى عبد الله باشا وقرر له
ماوقف عليه من كلام الامير بشير واطنب في مديحه والثناء عليه فصفا خاطر الوزير من
نحوه وكتب اليه كتاباً بخط يده على هذه الصورة

جناب ولدنا الامير بشير الشهابي دام مجده · بعد السلام التام ننهي اليكم انه قد
قرر لنا ولدنا افتخار العلماء الكرام الشيخ صالح افندي بانه حضر اليكم واستكشفكم ووجد
ان الذي توقع كان ظاهراً لاباطناً وانه عن غير رضاكم وانكم في الاطاعة والانقياد

الى جميع ما نامركم به واذا كتبنا لكم ميثاقاً وعلمتم باطننا معكم تحضرون حالاً الى حيث نامركم بالحضور . وكتبنا لكم هذه التذكرة بخطنا لكي تزيلوا من انفسكم كل شبهة وتحضروا الى شفا عمرو . واذا حضرتم فلكم منا الامان التام والرأي الوثيق اعلموا ذلك واعتمدوه . وارسل الشيخ صالح بهذا الكتاب فسر الامير به . واجاب الوزير عنه احسن جواب . وسأله ان يقيم في مكان من جبل الشوف تحت صفو خاطره ولا يطلب ولايةً ولا نعمة الا رضاه لاغير . وقال للشيخ صالح ان الوزير اذا كان يريد ان يستخدمه فهو خادمٌ له . ولكن كما كان قبلاً لا كما خدمه الامير حسن والامير سلمان تحت مطاليب وتكاليف باهظة يتعهدان بها ثم يعجزان عنها فيتكدر منه . ورجع الشيخ صالح ثانية الى عكاء بذلك الجواب فانعطف خاطر عبد الله باشا الى الامير بشير . وكتب اليه كتاباً يقول فيه بعد الديباجة المعتادة . انه قد تأكد عندنا حسن اقامتكم وثباتكم وعدم خروجكم عن حد الادب والرصانة ووقوفكم تحت امرنا واهتمامكم في الدخول تحت لواء مرضاتنا فسررنا بذلك وتضاعف حسن الظن بكم وزال من فكرنا كل ارتياب من نحوكم وصفا خاطرنا عليكم من كل الوجوه . وبما انكم مختبرون من قديم الزمان في صدق الخدامة وصحة الاستقامة وفائقون على جميع اقرانكم في الحزم والسداد ولعدم الكفاية عند انجالكم في القيام بحق الولاية ولتأكيد وعدنا السابق لكم قد صممنا النية بعد الاتكال على الواحد الاحد الفرد الصمد على توجيه ولاية جبل الشوف وكسروان وتوابعهما ومقاطعات بلاد جبيل الى عهدة لياقتكم فارسلوا الينا معتمداً من قبلكم وبيده صك الالتزام عن هذه السنة المباركة . وان شاء الله بوصوله نرسل لكم الخلعة وعهدة الولاية حسب المعتاد . وبحوله تعالى وقدرته اذ قد تاكدنا حسن استقامتكم وصحة طويتكم لا يحصل معكم ادنى نقض ولا تغيير بوجه من الوجوه فطيبوا نفساً وقروا عيناً وعلى ذلك امان الله ورأي الله فلا يكن عندكم ادنى شبهة ولا ارتياب . وبعونه تعالى في ايامنا تحصلون على كمال الراحة انتم وجميع الاهالي والرعايا . وفي كل وقت يرتفع مقامكم عندنا وتجنون ثمرة صدقكم وصداقتكم وحسن سلوككم الذي صار عندنا واضحاً كالشمس في رابعة النهار وبهذا كفاية لفطنتكم . وفيما بعد لا تمنعوا عنا اخباركم السارة . ولما حضر هذا الكتاب الى الامير بشير وشاعت الاخبار بصفو خاطر عبد الله باشا عليه سرّت جميع اهالي البلاد . واما الامير حسن والامير سلمان فداخلهما الارتياب وكتبا الى عبد الله باشا يستعطفان خاطره فلم يردّ لهما جواباً . وجميع المشايخ الذين كانوا معهما تركوهما وانضموا

الى الامير بشير . فعزما على القيام من البلاد فارسل الامير بشير طيب قلبيهما . وقال اني مسامح لكما عن كلما فعلتماه قبل الان فاقيما على الامن والراحة . واحذرا من سبب يكون في ما بعد . وكانا قد اخذا كثيرًا مما كان في داره من الامتعة والتحف فتركه لهما وسامحهما به . ثم ارسل الى عبد الله باشا ثلثة افراس من جياد الخيل هدية حسب المعتاد وحضر الى السمقانية فحضر اليه الامير سلمان وسلم الى امره ورد كل ما كان اخذه من امتعة داره . فصفا خاطر الامير عليه . وبعد قليل حضر الشيخ صالح ومعه قفطان آغاسي وبيده خلعة الالتزام وكتاب بهذه الصورة

صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول والاتباع . الى افتخار الامراء الكرام مرجع الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام والعز وعلو المقام ولدنا الامير بشير الشهابي دام مجده على الدوام . والى الامراء والمقدمين والمشايخ ومشايخ العقل وارباب التكلم ومباشري الامور والوجوه والرعايا في جبل الشوف وكسروان وتوابعهما بوجه العموم فليعلموا . انه لا يخفى عليكم حسن ظننا بالامير المومى اليه لحسن رشده ودرايته وادراكه ومهارته في تدبير المهمات واعتراك الملمات وجودة اطواره المرضية وصدق ادائه الاموال السلطانية وثباته على الخدمات الصادقة وضبطه وربطه وجعله الطرق امنة لابناء السبيل . وبناء على حسن طاعته واذعانه وسموه في السداد والحزم على اسلافه واهل زمانه قد انعمنا عليه بالتزام جبل الشوف وكسروان وما يليهما مدة ايام حياته . واقتضى اصدار مرسومنا هذا اليكم لكي تعلموا اننا مفوضون ولدنا المومى اليه وهو ماذون من طرفنا بالضبط والربط والفصل والوصل . فليكن بينكم مسموع الكلام مرفوع المقام ومهما كان مرتبًا عليكم من الاموال السلطانية والرسوم العرفية والضرائب التجارية توردونه الى خزينتنا عن يد الامير المومى اليه وتتعاطون عمار محلاتكم واسباب معاشكم كجاري عوائدكم . وان شاء الله تكون هذه السنة ابرك السنين والاعوام . على جميع الانام . والجميع لا يشاهدون من طرفنا الا الحماية والصيانة من جميع الوجوه . ونخبر الامير المومى اليه ان ضبطك الامور واستقامة سلوكك وصدق خدامتك كل ذلك مقبول عندنا وحسن لدينا . والآن قد فوضنا الى عهدتكم التزام جبل الشوف وكسروان وتوابعهما مدة ايام حياتك مادمت مراعيًا للشروط والقوانين المألوفة وحافظًا للرسوم المعروفة فيلزم من حميتك ان تشمر عن ساعد الاهتمام في اجراء الاحكام الشرعية وضبط اعمال الرعية . وتجتهد غاية الاجتهاد في راحة العباد وعمار البلاد وحفظ الطرق آمنة

وقطع دابر اهل الفساد . وتبادر في ايراد الاموال السلطانية كما لوف عادتك المرضية وتستجلب الادعية الخيرية . بكرةً وعشية . ببقاء جلالة مولانا سلطان السلاطين . وخاقان الخواقين . ظل الله على العالمين . ادام الله سرير سلطنته مدى الايام والسنين . والآن لاجل رفع شانك على اقرانك قد انعمنا عليك بالشروط والعهود وخلعة من ملبوسنا ستفقأ بها عين الحسود عن يد رافعه قدوة الاماثل والاقران قفطان اغاسي حالاً فعند وصوله يجب ان تبادروا الى ملتقى خلعتنا وتتسربلوا بها . وتتلوا مرسومنا هذا على رؤُوس الاشهاد . لكي يكون بعلم الجميع حسن رضانا عليكم وتظهروا الافراح والتهاني في جميع الاطراف . و بناء على هذا قد اصدرنا مرسومنا اليكم فاقراوه واعتمدوه واحذروا الخلاف . وحضر كتاب ايضاً الى اكابر البلاد بهذه الصورة . مفاخر الامراء والمقدمين والمشايخ بني ارسلان و بني ابي اللمع و بني جنبلاط و بني عماد وبني ابي نكد و بني العيد و بني تلحوق و بني عبد الملك و بني الخازن وسائر اعيان جبل الشوف وكسروان المكرمين . بعد السلام التام والسوءال عن احوالكم نبلغكم اننا قد اطلعنا على عرضحالكم المتضمن ان الرعايا في جبل الشوف وكسروان قد ساءت احوالهم وضاقت ايديهم من جرى محل الارض وغلاء الاثمان ولذلك لم يعد لهم احتمال على المطاليب الزائدة عن الاموال السلطانية المعتادة وانكم واياهم تتطلبون منا الحلم والرأفة برفع هذه الزيادات والضرائب الخارجية . وانه قد زال ما كان بينكم من الوساوس والبواعث وصرتم جميعكم كرجل واحد في طاعتنا وتقدمة الخدامات المرضية لدينا وجميع ذلك قد صار معلوماً عندنا . اما زيادة المطاليب فهذه لا نريدها ولا نأمر بها لانكم رعايانا وتحت حمايتنا . وفي وقت كدرنا على افتخار الامراء الكرام ولدنا الامير بشير الشهابي واقامتنا الامير حسن والامير سلمان مكانه حصل التنبيه على جميعكم انه لا يوخذ من الرعايا غير المال السلطاني المرتب عليهم وجزية الذميين فقط . ولا يكون ظلم ولا غبن على احد . واما اتفاقكم تحت امرنا وازالة الشر من بينكم فهذا مما يسر خاطرنا ونرغب فيه اشد رغبة ولانه في السابق في ايام ولاية ولدنا الامير بشير المومى اليه ما طرق مسامعنا قط شكوى من الظلم والاسراف ولا طرق احد بابنا بهذه الشكوى الاّ في زمان الاميرين المومى اليهما . فالان رحمةً بالرعايا قد خلعناهما عن التزام جبل الشوف وكسروان وتوابعهما وفوضنا ذلك الى عهدة ولدنا الامير بشير المومى اليه لانه قادر على حسن التصرف بهذه الاعمال وعفيف النفس عن الطمع الذي يوجب الاخلال وقد اخبرناكم بذلك لتكونوا جميعكم في قيد

الطاعة له بكل ما يأمركم به ٠ وكل من خالفه لا يقدر ان يعطي جوابًا عن نفسه ٠ اعلموا ذلك واعتمدوه ٠ ولما حضرت هذه المكاتبات تليت على ذلك الجمهور ولبس الامير بشير تلك الخلعة واقبلت الناس تهنئه وتدعو له والجميع اطاعوا امره وسلموا اليه وانشد المعلم بطرس كرامة في ذلك شعراً

ساقي المدام فزند الشوق قد قدحا ... قم واسقنيها سلافًا واملى لي القدحا

وعاطنيها صبوحًا كالصباح لقد ... رقَّ النسيم ورافت والزمان صحا

واخلع عذارك اذ تجلى عليك ولا ... تطع مقالة لاحٍ لامَ او نصحا

فانما الراح راحات النفوس فقم ... واغنم من العيش واللذات ما منحا

و باكر الروض وانشق عرفه سحرًا ... واجل الكؤوس وخذها بكرةً وضحى

بكرًا معتقةً شمطاء محدثةً ... عهد السرور لصبٍ هام واصطبحا

مدامةً اطلعت فوق الكؤوس لنا ... من الحباب نجومًا اشرقت فرحا

دخلت حانتها ليلاً اطوف بها ... فاشرق الدن صبحًا والشذا نفحا

فكال خمارها من دنه ذهبًا ... وكلته فضة تالله ما ربحا

كم ليلةٍ بتها والكاس دائرةٌ ... يديرها اهيفٌ كالظبي ان سرحا

مهفهفٌ مائس الاعطاف معتدلٌ ... بلين قامته غصن النقا فضحا

ساقٍ تداوي الحشا اقداح خمرته ... لكنه بسهام اللحظ قد جرحا

اذاع وجدي به سحار مقلته ... والحب احسنه ما كان مفتضحا

عذاره الذهبي روحي به ذهبت ... وجفنه الادعج السفَّاح قد سفحا

تريك غرته من تحت طرته ... ليلاً وصبحًا معًا جل الذي منحا

اصبحت لا ارعوي عن حبه ابداً ... ولا اراعي عذولاً لامني ولحا

اسلو محبته ان اسل مدح اخي ... عزٍ لغير اكتساب الحمد ما جنحا

اعني الامير الذي من فيض راحته ... سحائب الجود تهمي كلما سمحا

مولىً كريمٌ سما قدراً وطاب سنًا ... ومنعمٌ من تراث المجد قد رجحا

بشير نصرٍ ارانا بدر طلعته ... شهاب سعدٍ بافلاك العلى لمحا

ليثٌ تذيب العدى رعبًا مهابته ... ان هز صارمه البتار او رمحا

صافي السريرة ما هاجت خواطره ... لنيل مكرمةٍ الاَّ بها نجحا

يغرد العدل في ساحاته طربًا ... و يرتع الامن في روضاته مرحا

كم مجرمٍ بات ظمآناً بسطوته ومعدمٍ في ندى كفيه قد سبحا
اضحت له رتب العلياء زاهرةً لما تردى بثوب المجد واتشحا
عم الانام سروراً عود رتبته وان تكن جمحت فالعز ما جمحا
مافارقته فلي بل اظهرت حكماً وطرفها لسواه قط ما طمحا
اليك اهدي الهنا يامن بسودده كاس المسرة والافراح قد طفحا
بخامةٍ زفها مجدٌ وجاء بها سعدٌ فلا زال يجلوها ولا برحا
غراء جاءت تنادي وهي باسمةٌ ان الصباح لذي عينين قد وضحا
فافتر ثغر المعالي عندما ابتسمت لك الاماني وراق الدهر واصطلحا
واقبلت بنت فكر تنجلي طرباً من خادم مخلص هنّا وقد مدحا
هبها القبول ودم بالنصر ذا سلم ماطائر فوق افنان الربى صدحا

وكان الامير حسن ابن الامير علي شريك الامير سلمان في الولاية السابقة مريضاً فلم يحضر ليسلم على الامير بشير و يستعطف خاطره . وكان خائفاً على نفسه منه لانه كان هو الركن في تلك الثورة فحضر اليه الامير حيدر احمد والامير عباس اسعد والشيخ بشير جنبلاط لاطمئنانه وحضر معهم لمقابلة الامير فطيب قلبه وصفا خاطره عليه . وكان في تلك الايام قد ارسل الامير سلمان والامير حسن عرضحال سرًّا الى عبد الله باشا يطلبان صفو خاطره ويسألانه ان ياذن لهما في الحضور اليه لانهما كانا لم يزالا خائفين من الامير بشير وكان رسولهما الامير ملأ ارسلان من غريفة . فلما دخل على عبد الله باشا بتلك الرسالة امر بشنقه وارسل الكتاب الذي اتى به الى الامير بشير وكتب اليه تذكرة بخطه على هذه الصورة .
جناب افتخار الامراء الكرام . ولدنا الامير بشير الشهابي زيد مجده بعد السلام التام نبدي انه ورد لنا عرضحال من الامير حسن والامير سلمان وهو واصل اليك والرسول امرنا بقتله . ومن الان فصاعداً كل من حضر من ذلك الطرف بدون علمك فهذا مصيره . فقصدنا تعريفك بذلك والسلام . واقام الامير بشير بعد ذلك عند عين السمقانية نحو عشرين يوماً . ثم عزم على المسير الى بلاد جبيل لاجل جباية الاموال السلطانية وايرادها الى خزينة الوزير . وكان الامير حسن والامير سلمان قد جبيا اموال بلاد الشوف وكسروان الا قليلاً . وفي ٢٣ تموز (يوليو) الموافق ٢٥ شوال نهض الامير من عين السمقانية الى حمانا في المتن لانه كان

قد وقع اختلاف بين الامراء بني ابي اللمع واهالي المتن على فوائد الاموال السلطانية التي كانت تاخذها الامراء فوفق الامير بينهم . وجمع ما كان بقي من الاموال عندهم بعد الذي اخذه الامير حسن والامير سلمان . وفي ثاني ذي القعدة خرج من المتن طالباً بلاد جبيل . وطلب الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ابا سلمي العماد والشيخ نصيف نكد والشيخ ابرهيم تلحوق والشيخ شبلي عبدالملك ان يوافوه الى نهر الكلب و يسيروا معه الى تلك البلاد . واصحب معه اربعة من الامراء اللمعيين وبات تلك الليلة عند نهر الكلب . ثم تقدم بمن معه الى نهر ابراهيم وبات هناك وعند الصباح حضر اليه كتاب من ولده الامير قاسم من لحفد احدى قرى بلاد جبيل يعلمه ان اهالي تلك البلاد قد اظهروا العصيان وامتنعوا عن ايراد الاموال السلطانية . فاقبل الامير على لحفد حتى وصل الى قرية يقال لها غرفين شرقي عمشيت فوق مدينة جبيل. فاتاه الخبر ان اهالي تلك الاطراف قد اجتمعوا في شامات يريدون ان يمنعوه عن العبور في الطريق فغضب الامير من جسارتهم ولكنه اظهر الحلم عليهم وارسل يتهددهم و ينذرهم و يعدهم بالرحمة وانه لا ياخذ منهم كما اخذ من بلاد الشوف والمتن . وسار في طريقه حتى وصل الى لحفد ونزل تجاه القرية لاجل قرب الماء . وفي اثناء ذلك اجتمعت اهالي بلاد جبيل والبترون والبعض من اهالي كسروان الى قرية حاقل واجتمعت اهالي جبة بشرة الى قرية همج والمتاولة الى وام شمس وتاهبوا جميعاً للخروج واقاموا لهم من كل مقاطعة رجالاً بالوكالة عن الجمهور يدبرون كما يرون كما كان في جمعية انطلياس . ودارت المراسلات بينهم وبين الامير بشير فطلبوا ان لا يودوا المال السلطاني والجزية الا مرة واحدة . وان يخصم لهم من اصله ما ادوه للامير حسن والامير سلمان . فاجابهم ان الامير بن طلبا منكم المال مضاعفاً وارتضيتم به فقدموا الباقي عندكم مما طلباه والواصل نخصمه لكم منه . فلم يرتضوا وهموا بالخروج وارسلوا صورة شروط لا يقبلها العقل . ومن جملتها ان كل من يتولى عليهم لا تكون ولايته من الدولة . فرفضها الامير . وكان الامير حسن عندما بلغه قيامهم وعصاوتهم ارسل يشددهم ويشجعهم ان يتصلبوا ولا يخافوا وهو يحضر اليهم ويكون قدامهم فاشتد بأسهم بذلك . وامسكوا الطريق ليقطعوا وصول النجدة الى الامير بشير من بلاد الشوف. وفي ٢٧ آب الموافق ١١ ذي الحجة ظهر على سفح الجبل المقابل عسكر الامير

نحو الفي رجل · وتحقق انهم اولئك الذين كانوا مجتمعين في حاقل ثم انتقلوا الى ميقوق وحضر اليهم جماعة من اهل بشرة · ثم تقدموا الى راس الهضبة مقابل لحفد · وظهر مقابلهم الى الجهة الجنوبية جماعة من المتاولة · وكان الامير في صباح ذلك اليوم قد ارسل رجلين من خواصه الى اهمج ليتكلم مع القوم المجتمعين هناك ان الامير قد ارتضى منكم بمال واحد · وهو يقوم من هذه البلاد ويرجع الى بلاد الشوف وانتم تجمعون الباقي عندكم من المال وتوردونه اليه من غير وضع محصلين ولا مباشرين · وقبل رجوع الرجلين حضرت اولئك الجماهير وظهروا في ذلك المكان · فلما راءهم الامير امر اصحابه ان لا يتعرضوا لهم بشيء فكفوا عنهم · واذا بهم قد اشرفوا وابتداوا باطلاق الرصاص على عسكر الامير الذي لم ياذن لاحد من اصحابه في القتال · وجمع من بالقرب منه اليه واستتر من رمي الرصاص · واصيب البعض ممن كانوا حوله والبعض من خيله فعند ذلك ثار بعض الرجال ولم ينتظروا اذنه واقتحموا ذلك الجمهور · وتبعتهم الخيالة من الامراء والمشايخ والجنود نحو خمسمائة رجل واطبقوا على القوم حتى تسوروا تلك الرابية واعملوا فيهم السلاح فاستظهروا عليهم وهزموهم وقتلوا منهم نحو مائة وخمسين رجلاً · وكان البعض منهم اذا ضاق عليه سبيل الهزيمة يلقي نفسه الى اسفل فيموت وما زالوا في اثارهم حتى ابعدوهم مسافة ساعة عن المكان واقبل الليل فرجعوا عنهم · وساقوا منهم كثيرًا من الجرحى والاسرى الى الامير فعفا عنهم واطلقهم · ولم يقتل من عسكر الامير سوى ستة رجال واربعة افراس وجرح بعض اشخاص قلائل · واما المتاولة الذين كانوا في رام مشمش فلما رأوا ذلك العسكر قد انخذل ضعفت عزائمهم وتظاهروا بانهم حضروا الى هناك لاجل الدخول في خاطر الامير · وحضر البعض منهم اليه فطيب قلوبهم واعطاهم الامان وصارت رجال الامير تقدم له رؤوس القتلى وتاتيه بالاساري وهو يعطيهم الجوايز ويطلق الاسرى بقية تلك الليلة · وكان بعد رجوع عسكره من القتال قد نهض من مكانه الى قرية لحفد · وعند الصباح نهض من هناك راجعًا الى قرية عمشيت (عامشيت) لانه كان قد ارسل يطلب الشيخ بشير جنبلاط وبقية المشايخ الذين في البلاد ان يحضروا اليه بعسكر · فابطأ خبرهم بسبب صعوبة الطرق ورأى اجتماع تلك الجماهير في تلك الاطراف فاعتزل ولما رجع الامير ظن القوم انه هرب خوفًا منهم فطمعوا فيه وتبعوه الى عرفين · ولما علم الامير بوصولهم الى هناك جمع من كان عنده الى مكان واحد واقاموا

متاريس في الكنيسة التي في اعلى القرية · وارسل الامير نحو عشرين فارساً كي يقاتلوا القوم · ثم ينكسروا قدامهم ويجذبوهم الى قرب المتاريس فخرجوا وحملوهم على القتال فقاتلوهم · ثم رجعوا منقهقرين فلم يجسروا على اتباعهم فعادوا وكان ذلك دابهم حتى الليل · فرجعوا وبات الامير باصحابه هناك يتوقعون نزول القوم اليهم حتى اصبحوا فلم يطرقهم احد وظلوا يومهم كذلك والقوم يحومون ولا يردون الى ان غابت الشمس فبات كل فريق في مكانه

وفي ذلك الوقت حضر الى الامير بشير كتاب من عبد الله باشا بهذه الصورة ·

افتخار الامراء الكرام مرجع الكبراء الفخام ولدنا الامير بشير الشهابي الامجد دام مجده على الدوام · بعد السلام التام ننهي اليكم ان حسن انقيادكم وطاعتكم وانفاذكم جميع اوامرنا وسعيكم والخدامات الصادقة كل ذلك مقبول عندنا وحسن الدينا واضح امامنا كالشمس في رابعة النهار وبحوله تعالى مابقي عندنا ادنى اشكال ولا اشتباه في صداقتكم بوجه من الوجوه · والآن لاجل تاكيد حسن رضانا عليكم قد سمحنا لكم في ارجاع بلاد جبيل الى التزام ولدكم يتصرف بها كما كنتم متصرفين قبلاً · واصدرنا امرنا الى متسلمينا بها سابقاً اسماعيل آغا مير مقربيان بابنا والحاج عرب آغا ان يخرجا منها ويسلما كم اياها فتسلموها وكونوا على طيب ودعة من جميع الوجوه · وان شاء الله ان حبنا لكم في ازدياد ولا تعتريه شوائب النقصان ودائماً لا تمنعوا رسائلكم عنا والسلام ·

ولما حضر هذا الكتاب نهض الامير من عام شيت الى جبيل ونزل خارج المدينة وعند الصباح اتاه الخبر ان الشيخ بشير جنبلاط والشيخ علي العماد والبعض من المشايخ التلاحقة والملكية قادمون بعسكر نحو الفين وكانوا قد حضروا الى الغرب وباتوا هناك · وفي الليل اتاهم الخبر ان الامير سلمان والامير حسناً متوجهان تلك الليلة الى كسروان ليمسكا الطريق في نهر الكلب ويمنعا المشايخ المذكورين عن الوصول الى جبيل وفي الحال نهض الشيخ حمود نكد بجماعة من اصحابه الى ارض الشياح وكمن هناك · وكان الامير حسن حضر ذلك النهار من عين تراز الى منزله في وادي شحرور وقام في الليل طالباً كسروان ومعه نحو خمسمائة رجل حتى وصل الى ارض الشياح فنهض الشيخ حمود واصحابه وثاروا في وجه الامير حسن فرجع ادراجه فباغته الشيخ حمود بالفرسان الذين معه وقبض على بعض اشخاص من حاشيته واخذ البغال التي كانت والسياس · ومازال مجداً في طلبه حتى وصل الى الحدث وفي مروره من هناك اضطر الامير سلمان الى القيام معه فقام وتبعه اخوه الامير فارس وتوجهوا على طريق بعبدا ورجع الشيخ حمود الى الشويفات ونهبت حاشيته بعض بيوت الحدث وكان الشيخ

بشير قد بلغه خبر الشيخ حمود مع الامير حسن فركب حالاً من الشويفات وتوجه على طريق الحدث فالتقى بالشيخ حمود راجعاً وتوجها جميعاً الى نهر الكلب . وعند وصولهما بلغهما ان البعض من اهالي كسروان قد اجتمعوا هناك ينتظرون الامير حسن فتوقفا واذا بالقوم قد اطلقوا عليهم الرصاص . فهجمت عليهم الجنود وفي الحال هربوا من امامهم وقتل من اهل كسروان اربعة اشخاص . ونهبت رجال الشوف زوق مصبح واغتنموا الاموال . وبات الشيخ بشير والشيخ حمود تلك الليلة عند نهر الكلب . وعند الصباح تقدما الى نهر ابرهيم وعند وصولهما الى الفتوح لاح لهما نحو خمسين رجلاً على تلك التلال وكان معهما الشيخ علي العماد فعمد اليهم بنفر من رجاله ولما رأوه هربوا . فنهب تلك القرى المجاورة للطريق وساروا جميعاً الى جبيل . وبعد وصولهم لمقابلة الامير ظهر لهم عسكر فوق جبيل وكان الذين تجمعوا في عرفين قد طمعوا في الامير واملوا قيام كل كسروان وحضور الامير حسن ومنع اهل الشوف عن وصولهم الى نجدة الامير فعظم جمهورهم واجتمعت اليهم المتاولة . وعند الصباح نهار الاربعاء في اول شهر ايلول (سبتمبر) الموافق لنصف ذي الحجة نهض الامير في موكبه من جبيل وفرق العساكر ثلث فرق فارسل الشيخ بشير ورجاله على طريق دير البنات والمشايخ بني يزبك على طريق عمشيت . وسار هو واصحابه على طريق ادة وكان فيها عسكر من القوم . ولما رأت تلك الجماهير المجتمعة في تلك القرى اقبال العساكر اليها تفرقت وطلب كل واحد مكانه . فنهب العسكر تلك القرى واحرقها بالنار ورجع الى جبيل . وبعد ذلك اخذوا يتقاطرون اليه ويطلبون العفو معترفين بالخطاء والجهالة والامير يعطيهم الامان ويأمرهم بايراد المطلوب حسب المعتاد . وفي اليوم الثالث نهض الامير من جبيل الى البترون وبات تلك الليلة هناك . وفي الغد تقدم الى نهر ابي علي بين مقاطعة الكورة ومقاطعة الزاوية ونزل العسكر هناك . وكان عسكره ينيف عن ثلاثة الاف رجل . وحضرت مشايخ جبة بشرّي في طلب العفو من اهالي الجبة لان اولائك المشايخ لم يكونوا راضين بقيام اهالي بلادهم . لكنهم لم يقدروا ان يصدوهم عن القيام فصفح الامير عنهم واقام هناك ثمانية ايام ونهض الى اهدن الجوز ومرض كثير من عسكره لرداءة هواء ذلك النهر . واما ما كان من الامير حسن والامير سلمان فانهما بعد ماهربا من الحدث تلك الليلة جعلا طريقهما على قاطع بكفيا فلم يقبلهم الاهالي فيها . فتقدما على طريق كسروان الى وطاء الجوز . ثم الى حدث الجبة فقامت عليهم اهالي تلك الاطراف وطردوهم فانصرفوا الى بلاد بعلبك . وكان عند وصولهم الى حدث

الجبة اصاب الامير فارس سيد احمد اخا الامير سلمان مرض فتخلف عنهم ثم تقدم الى بلاد الضنية ونزل على المشايخ بني الرعد الذين توسطوا في امره عند الامير فلم يقبل سوء الهم . وكان الامير عرض الى عبد الله باشا كل ما توقع من اهالي بلاد جبيل وتلك الاطراف و بعد قيامه الى الجبة حضر اليه الجواب من عبد الله باشا يقول فيه بعد الترجمة المعتادة . اننا اطلعنا على كتابكم الاول ثم الثاني فكل ما شرحتموه من الغرور الذي ارتكبه اهالي بلاد جبيل وكسروان والطائفة الحمادية صار معلومنا بالحرف الواحد وقد سررنا بمزيد نشاطكم وفراستكم واقدامكم على تأديب مثل هؤلاء العصاة . وتحقق عندنا حسن اهتمامكم و بصيرتكم ودرايتكم في تدبير الامور . فبارك الله فيكم ولا زلتم من اهل الفلاح والنجاح . وقد حسنت لدينا اعانة سرمغربيان الحاج عرب آغا فاصدرنا اليه الكتاب الواصل نريد ان تدفعوه اليه وتكونوا دائمًا مشددين عزائمكم ولا تتراخوا في اموركم . ونحن بحوله تعالى دائمًا نرغب في نجاح اموركم وانشراح صدركم وعلو قدركم ومهما اقتضى لكم من المساعدة فلا اغضاء عندنا عنه فكونوا على احسن حال وانعم بال . ولا تسامحوا ادنى مسامحة في تاديب كل من يجب تاديبه . والان قد اصدرنا مرسومًا من ديواننا الى الرعايا المذكورين يتضمن التهدد والتوعد بالتشديد والتاكيد على الانقياد اليكم فارسلوه اليهم لكي يتلى عليهم وتنقطع آمالهم وآمال المحركين لهم لا تقطعوا اخباركم عنا عما يجد و يلزم والسلام . وكان كتابه الى الرعايا . بهذه الصورة صدر مرسومنا المطاع . الواجب القبول والاتباع الى رعايانا اهالي كسروان و بلاد جبيل والطائفة الحمادية ليعلموا . انه قد طرق مسامعنا ان بعض ارباب الفساد واصحاب المآرب في هذه الايام قد ادخلوا بينكم الدسائس والوساوس وسعوا في اثارة الرعايا وسلب راحتهم . و بناء على ذلك قد هاج منكم اقوام وتصدوا للخلاف مع افتخار الامراء الكرام ولدنا الامير بشير الشهابي الجزيل الاكرام تريدون ان لا تؤدوا له سوى مال واحد من الاموال المرتبة عليكم حسب العادة القديمة . واذ كان ولدنا المومى اليه حاضرًا الى بلادكم لاجل تنظيم اموركم قابلتموه بالحرب والقتال اولاً وثانيًا في منزلة لحفد وساحل جبيل . و بما ان ذلك كان منكم افتراء وعدوانًا خذلكم الله . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ان الله مع الصابرين . و بعد ذلك ما زلتم مصرّين على عنادكم متمسكين بفسادكم فاستغرب بنا هذه الحال منكم والجسارة التي ما سبقكم اليها احد من الرعايا لانكم تعرفون انفسكم انكم رعايا ضعفاء لا تقدرون على احتمال الملمات ولا قيام لكم الاّ بالرحمة والشفقة . ونحن بحوله تعالى كل وقت قادرون على اذلالكم واخضاعكم .

وهذا الذنب منكم غير قابل العفو . والسكوت عنه اخلال بالاحكام وقد اشتهر عند الخاص والعام صفو خاطرنا على ولدنا المومى اليه واحالتنا الجبل و بلاد جبيل وتوابعها الى عهدته . وفضلاً عن ذلك اننا قد فوضنا مدينة جبيل الى ولايته ورفعنا متسلمنا منها وفوضناه في جميع المهمات في البلادين . وهو مأذون من طرفنا في جمع الاموال السلطانية مضاعفة من غير تاخير ولا تقصير . وقد عجبنا من دعواكم ان المال ضعف لاضعفان لان هذه المطالب مفروضة على اخرجة الارض والشجر بحسب اسعار ذلك الوقت لما كان رطل الحرير يباع بعشرين درهماً فما دون . وقد مضى على ذلك اعصار وادهار وتضاعفت الاثمان وتغالت الاسعار فكيف يخطر في عقولكم السخيفة . وافكاركم الضعيفة ان تدعوا هذه الدعوى الباطلة التي لا صحة لها ولا ثبوت وتتجرأون على شق عصا العصيان وتتجمهرون كانكم عسكر تر بدون القتال وقوتكم اوهن من خيط العنكبوت . وعلى هذا كان يجب ان نقابلكم بفعلكم ونقوم بتأديبكم الى ان تصيروا عبرةً من العبر . ولكن بما انكم رعايانا اخذتنا الشفقة عليكم واعتمدنا على نصحكم هذه المرة فيجب عليكم ان تتأملوا سماجة هذا الخروج . وتتبصروا في سوء عواقبه . وتعرفوا انكم رعايا ضعفاء ينبغي لكم التوسل لنوال الرحمة والانعطاف وليرجع كل منكم الى منزله . و يستقر فيه و يتعاطى اسباب معاشه و يؤدي المطلوب منه . وتحضر اكابركم الى ولدنا الامير المومى اليه لاجل الاتفاق على الضرائب المطلوبة لان اوامرنا متصلة اليكم بالاستفهام عن ايراد الاموال . فان سلكتم هذا المسلك فقد كفيتم غضبنا ونلتم راحتكم وعمار دياركم وان تماديتم في غيكم فبحوله تعالى نمد ولدنا المومى اليه بالعساكر ونضيق الدنيا عليكم ولا تعودون تستحقون من طرفنا عفواً ولا رحمة . اعلموا ذلك واحذروا من الخلاف والسلام . و بعد وصول الامير الى اهدن ارسل مائتي فارس مع بعض اولاد عمه الى بلاد بعلبك على طريق المسقية لاجل طرد الامير حسن والامير سلمان . ولما بلغهما حضور العسكر في طلبهما كانا في الزبدانة ففرا هاربين الى ارجاء دمشق الشام . ونزلا في قرية منين وكان قد تظاهر بالخيانة من اهالي تلك البلاد الامير سلطان الحرفوش واخوه الامير امين والشيخ حمود حمادة تعصباً منهم للمشايخ الحمادية فانعطف عسكر الامير بشير الى الهرمل لاجل طردهم من هناك . وكان المقدم عليهم الامير ملحم الشهابي . وكان على ولاية بعلبك الامير نصوح الحرفوش . وكان بينه و بين الامير سلطان تنازع على الولاية . فلما وصل الامير ملحم باصحابه الى بعلبك التقاه الامير نصوح وسار معه

الى الهرمل . وقبل وصولهم هرب الامير سلطان والامير امين الى بلاد عكار واما الشيخ حمود حمادة فحضر لمواجهة الامير ملحم فقبله وضمن له رضى الامير بشير عنه وانصرف من هناك راجعاً والامير نصوح الحرفوش معه فرحب به الامير بشير واكرمه . وكان يومئذٍ قد نهض من اهدن الجوز الى بشرة فاقام فيها اياماً الى ان جمع الاموال السلطانية كما كان طالباً من اهالي تلك البلاد . ولما فرغ من جباية الاموال طلب منهم مائتين وخمسين الف درهم نفقة عسكر وانتقم من كل من سعى في تلك الثورة من ارباب الفتن والفساد ثم رجع الى مدينة جبيل في شهر تشرين الاول . واقام ما كان قد تهدم من قلعة المدينة وحصنها حسب امر عبد الله باشا واورد الاموال التي كان قد تعهد له بها وكان نصوحاً في خدمته وزادت محبة عبد الله باشا له وعظمت منزلته عنده . واعطى الامير اكابر بلاده ما كان لهم من الانعامات المعتادة وزاد لهم في العطايا فازدادوا رغبةً في خدمته لا سيما المشايخ اليزبكية . ورجع كل واحد منهم الى مكانه . وكان عبد الله باشا خائفاً على مدينة جبيل وبقية المدن البحرية من مراكب الاروام وامر الامير بشيراً ان يبقى هناك لاجل المحافظة فبقي وابقى معه الشيخ بشير جنبلاط وغرَّم اهل كسروان بمائتي الف درهم واهالي قاطع المتن بمائة الف درهم لانهم كانوا قد تظاهروا ايضاً بالخيانة مع الامير حسن والامير سلمان . وكان الامير قد اقترض من الشيخ بشير جنبلاط مالاً في حملة حوران لاجل نفقة السفر عدا المال الذي اقترضه منه واورده الى عبد الله باشا فردَّ له ذلك المال جميعه وكان قد بلغ نحو ستمائة الف درهم .

وفي تلك الايام حضر حسن اغا العبد حاكم البقاع الى عميق احدى قرى غربي البقاع لاجل الضيافة فلم يقبلوه وطردوه فنهب المواشي التي هناك لاهل الجبل وانطلق الى دمشق . ولما بلغ الامير بشير ذلك ارسل الى اهالي البقاع ان يرحلوا الى الجبل والى زحلة وعزم على ارسال عسكر الى بلاد دمشق . وكان في دمشق فيزو باشا قائم مقام درويش باشا . فلما وصلت المواشي التي اخذها حسن اغا فرقها على اهالي القرى المجاورة للمدينة واخذ ثمنها منهم فبلغت مقدار اربعمائة الف درهم . وفي نصف شهر صفر دخل ركب الحج الى دمشق وشكا حسن آغا العبد الى درويش باشا تجاسر اهل عميق عليه وطردهم له بالسلاح فامر بالقبض على اهالي جبل الشوف الذين كانوا وقتئذٍ في المدينة واعطى محمد آغا بوزو ولاية البقاع وارسل معه مائتي فارس الى هناك . فكتب

الامير بشير الى عبد الله باشا يخبره بما كان من حسن آغا العبد ودرويش باشا فامره ان يرجع من جبيل الى الشوف . ويرسل عسكراً ليطرد عسكر درويش باشا من البقاع وهو يمده بعسكر ايضاً ان دعت الحاجة . وفي ٢٥ كانون الثاني الموافق لشهر ربيع الاول رجع الامير بشير الى منزله وبعد وصوله ارسل ولده الامير خليلاً بعسكر الى البقاع وعند وصوله هرب حاكم البقاع وجماعته الى دمشق فنهب عسكر الامير القرى التابعة ايالة درويش باشا في شرقي البقاع ورجع الى البلاد

وفي تلك الايام ارسل عبد الله باشا الى الامير بشير خنجراً مذهباً مرصعاً بالحجارة الكريمة وكتاباً على هذه الصورة : افتخار الامراء الكرام مرجع الكبراء الفخام ولدنا الامير بشير الشهابي صاحب المجد والاحترام دام مجده على توالي الايام . غب التحية والتسليم بمراسيم الاعزاز والتكريم والسؤال عن خاطركم الكريم نبلغكم . انه بحسب حسن خدامتكم وصحة استقامتكم واعزازكم عندنا وكرامتكم قد اتحفناكم بالخنجر الواصل عن يد رافع مرسومنا هذا قدوة الاماثل والاقران (جوقدر اندرون بابنا) محافظ او وكيل خليل اغا . ان شاء الله تستعملونهُ بالصحة والرفاهية ودائماً كونوا في طيب ودعة من طرفنا . وبحوله تعالى ان رضانا عنكم كل يوم في ازدياد . والان افتقاداً لخاطركم اقتضى اصدار مرسومنا هذا اليكم فلا تمنعوا اخباركم عنا مع ما يلزم لكم من المهات والسلام

الفصل السادس

في حادثة راشيا وحرب اللبنانين وعسكر عبد الله باشا ضد عساكر درويش باشا والي دمشق

وبعد رجوع عسكر الامير بشير من البقاع حضر ابرهيم اغا الهيجاني بكتاب من ابرهيم اغا قبجي باشي الذي كان مقيماً في دمشق يقول ان الامير اذا كان يريد الاتفاق مع درويش باشا فهو ايضاً يأبى ذلك . فارسل الامير ذلك الكتاب الى عبد الله باشا واستشاره في الجواب فاجابه انه اذا كان له خير في ذلك فلا بأس منه . وكان قد وقع في ايادي عسكر الامير في البقاع رجال من الاكراد وغيرهم فاستاقوهم اليه فامر بسجنهم وكان ابرهيم اغا قبجي باشي من الاكراد فاطلق الامير اولئك الرجال . ورجع بهم ابراهيم اغا الهيجاني وكان ينتسب الى الاكراد ايضاً وبينه وبين

القبجي باشي نسب فامر درويش باشا باطلاق اهل الجبل الذين كانوا في سجنه وبعد ايام رجع ابراهيم آغا الهيجاني من قبل درويش باشا يقول ان الامير يطلب منه ما يرضيه وهو يتعهد باتمام ذلك . فقال الاميرانه يريد اولاً رفع الضبط عن القرى التي كان قد ضبطها الكنج يوسف وادعى انها خاصة لوزير دمشق ولم تزل من ذلك العهد تحت الضبط وهي في الحقيقة ملك المشايخ بني جنبلاط من قديم الزمان . ثانياً ان يكون حاكم البقاع من تحت امره كما كان من سالف الايام ويرفع زيادة المطاليب المحدثة على رعايا البقاع . ثالثاً ان يكون حاكم وادي التيم الذي يختاره الامير من الامراء الشهابيين الذين في تلك البلاد . رابعاً ان يكون حاكم بلاد بعلبك الذي يختاره ايضاً من الامراء بني الحرفوش لاجل رفع المظالم عن رعايا تلك البلاد . ولما عرض ابرهيم اغا تلك الرسالة على قبجي باشي دخل بها على درويش باشا فطلب ان الامير يرسل اليه كتاباً بمطاليبه وهو يقضي لها ياها . فكتب اليه ابرهيم اغا كذلك . وكان الامير لا يتعاطى امراً مثل هذا الاّ عن اذن عبد الله باشا فكتب اليه بذلك فلم يأذن له لما كان بينه و بين درويش باشا من الاحقاد بل امره ان يوجه الامير افندي ومعه عسكر من رجال الشوف لاجل طرد الامير منصور حاكم وادي التيم الاعلى المعين من درويش باشا وامر عسكره الدالاتية والهوارة ان يوافوا الامير افندي الى مرج عيون . وفي اول شهر جمادي الاخر ركب الامير افندي ومعه الف رجل من رجال الشوف يتقدمهم الشيخ قاسم جنبلاط وجماعة من اهل المناصف مع الشيخ حمود نكد الى جزين ومنها الى حاصبيا . وكابدوا مشقة عظيمة من تراكم الثلوج على الطرق وتقدموا من هناك طالبين راشيا ومعهم عسكر الدولة وكان ٥٥٠ فارساً وعليهم قواد ابو زيد آغا ونعمان اغا وابرهيم اغا ومحمد آغا نعمان الارناووطي . وكان قبل وصولهم بيوم حضر الامير منصور الى راشيا من دمشق ومعه نحو اربعمائة فارس من رجال الدولة . ونزل الامير افندي في تلك القرى المجاورة راشيا واقام الامير منصور في راشيا بازاءه . ثم حضر الامير فارس سيد احمد اخو الامير سلمان بعسكر من دمشق الى راشيا . وكان درويش باشا قد عيَّنه على ولاية وادي التيم الادنى . وفي ٥ جمادى الاخر حضر كتاب من عبد الله باشا الى ضباط عسكره الذين مع الامير بهذه الصورة : قدوة الاماثل والاقران سردار باباشا الحاج محمد آغا النعمان وابو زيد آغا ونعمان آغا زيدت شجاعتهم . بعد السلام التام ننهي اليكم انه قد طرق مسامعنا

انكم مازلتم متربصين بالقرب من راشيا وانه في هذا الاثناء من جرى هذا التمادي حضر عسكر من دمشق لنجدة الامير منصور صاحب راشيا وكذلك بلغنا ان الذخائر التي تنتقل من طرف افتخار الامراء الكرام ولدنا الامير بشير الشهابي من البقاع الى العسكر قد تعسر نقلها من كثرة تراكم الثلوج وسيلان الامطار . والطرق من جهة الجبل مسدودة لايمكن الوصول عليها اليكم . ونخبركم ان لنا عليكم الاعتماد وليس في مثل هذا الامر الذي لايعد من عظائم الامور بل في المهمات الجليلة التي هي اشد خطبًا واعظم خطرًا وعلى كل حال ماذا تكون هذه الرجال المتجهزة لقتالكم في راشيا حتى تقف امامكم هذا الموقف وتحصل هذه المطاولة حتى ياتي الامداد من دمشق ولكن قد مضى مامضى والان يلزم ان تبادروا الى ولدنا الامير افندي الشهابي وتفهموه اننا قد امرناكم بالهجوم على راشيا وفي الحال تهجموا جميعًا وتضربوها ضربة واحدة ولا تتأخروا ساعة واحدة والسلام . ولما وصل هذا الامر الى اولئك القواد نهضوا على الفور واقبلوا على راشيا فلما علم الامير منصور بقدومهم التقاهم الى الطريق وانتشب القتال بينهم فانكسر عسكر الامير منصور وطلبه عسكر عبدالله باشا وساق في اثره الى اسفل راشيا فقتلوا منه ١٨ رجلاً وقبضوا على ٣٠ اسيرًا وغنموا ٤٧ فرسًا ولولا كثرة الثلوج والاوحال لم يسلم منهم الا القليل . وكان الامير بشير لما علم بقدوم العساكر من دمشق وحضور الامر من عبد الله باشا اطلق التنبيه على اهالي البلاد ونهض بهم الى جزين ثم الى حاصبيا . وكان قبل حضوره قد ارسل الى عبد الله باشا يعلمه انه قادم بالعساكر الى وادي التيم لان عساكر درويش باشا مترادفة الى هناك . وبعد وصوله حضر اليه الجواب بهذه الصورة . افتخار الامراء الكرام مرجع الكبراء الفخام صاحب المجد والاحترام والقدر والاحتشام ولدنا الامير بشير الشهابي دام مجده على الدوام . غب التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم والسؤال عن خاطركم السليم ننهي اليكم اننا اطلعنا على تحريركم المتضمن قيامكم بذاتكم الى وادي التيم لاجل ضبط المقاطعتين ومعتمدكم حنا عزام قرر لنا ماأودعتموه بلسانه فما استحسنا قيامكم لاجل هذه المهمة لانها يسيرة لاتقتضي انزعاجكم وقلقكم لانه من كرم الباري شهرتكم كبيرة تغني عن تولي الامور بالذات والحضور . ولو استأذنتمونا قبل قيامكم لما كنا اذنا لكم ولكن الخيره فيما اختاره الله . والان اذ قد قضي الامر بمسيركم فصار ينبغي وصولكم الى راشيا وانجاز الحرب على جناح السرعة . فتوكلوا على خير الناصرين . واستمدوا روحانية سيد المرسلين . وانهضوا الى

راشيا بخيالكم ورجالكم واصدموها صدماتكم المعهودة وشتتوا شمل المجتمعين فيها ٠ وانتم بحوله تعالى الظافرون و بعد ذلك تستقرون في راشيا وتوجهون العسكر في اثر عسكر دمشق الى ان يخرجهم عن حدود البلاد ٠ ولا تخرجوا معه ولا تتحولوا عن المكان حتى يصلكم منا كتاب ٠ ومأمولنا من لطف الحق سبحانه ان الذين في راشيا بمجرد سماعهم بقدومكم اليهم يقع الرعب في قلوبهم ولا يقدرون على الثبات ٠ وقد التمستم ارسال عسكر ايضاً من هذا الطرف ٠ فالان اصدرنا امراً الى سرّ بابنا الحاج موسى الحاسي ان يقوم بخيله جميعاً و يبادر اليكم ٠ و بحوله تعالى عند وصول مرسومنا هذا اليكم يكون العسكر في اثره لانه مقيم على جسر بنات يعقوب بالقرب منكم والتمستم ايضاً ارسال جانب من الشعير الى صور ونقله الى خان حاصبيا حتى تجلبوه من هناك الى مخيم العسكر ففي الحال توجه الشعير الى صور بحراً واصدرنا امرنا الى متسلمنا في هونين ان يبادر الى جمع رواحل تلك البلاد و يحضر بها بنفسه الى صور و ينقله بنفسه الى خان حاصبيا ونحن دائماً مزودون نجابتكم بالادعية الخيرية فلا تمنعوا مكاتيبكم عنا والسلام ٠ واما الامير فانه بعد وصوله الى حاصبيا تقدم الى وادي التيم الاعلى ونزل في تلك القرى التي كان قد نزل فيها الامير افندي والتقاه موسى آغا الحاسي بثلثمائة خيال من الهوارة حسب امر عبد الله باشا ٠ و بعد وصول الامير الى بيت لهيا وصل الى راشيا ابرهيم آغا قبجي باشي ومعه عسكر من قبل درويش باشا والي دمشق الشام والامير سلمان سيد احمد و بلغ عسكر الدولة في راشيا الفي فارس وراجل وعسكر الامير اربعة الاف فامر الامير عسكر الدولة ان يتوجه الى قرية الظهر الاحمر لاجل توسيع المنازل ٠ و بعد مسيرهم خاف الامير ان ينزل اليهم العسكر من راشيا فنهض بعسكر البلاد الى الجبل المقابل راشيا تجاه الظهر الاحمر وعند وصوله نزل من الخيل التي في راشيا نحو اربعمائة فارس الى السهل الذي تحت راشيا ٠ ولما رأهم العسكر الذي في الظهر الاحمر ركب اليهم ومعه الامير خليل ابن الامير بشير والشيخ حمود والشيخ نصيف نكد ومعهم خمسمائة رجل من رجال البلاد وعنده ساق عليهم عسكر الهوارة انثنوا هاربين الى راشيا فتبعوهم الى اسفل راشيا وقطعوا منهم خمسة عشر راساً واخذوا ٣٤ فرساً ٠ ثم نزلت الارناووط التي في راشيا الى جنوبي البلدة فالتقاهم بعض رجال عسكر الامير فكسروهم وقتلوا منهم ستة اشخاص ولولا كثرة الثلوج والاوحال لكانوا تملكوا راشيا تلك الليلة ٠ وعند المساء رجع الامير بعسكره الى مكانه ورجعت خيل الدولة الى الظهر الاحمر ٠ وكتب

الامير الى عبد الله باشا يخبره بتلك الموقعة فحضر اليه الجواب يقول . بعد الديباجة . اننا اطلعنا على كتابكم المتضمن انكم نهار السبت الماضي ارسلتم ولدنا ولدكم الامير خليلاً ومعه ضباط عسكرنا الهوارة وجانب من رجالنا عسكر الجبل لاجل تبوء مراكز في الظهر الاحمر . و بعد ذلك خفتم من عسكر راشيا ان يتعرض لهم لمرورهم بقربه فنهضتم بالعسكر واتبعتم طريق مرورهم مقابل راشيا . فتحرك عسكر راشيا بالغرور وخرج منه ستة ضباط بمقدار اربعمائة خيال دالاتية وهوارة . وفي الحال ارسلتم فانهضتم ولدنا ولدكم وضباط العسكر الذين كانوا قد وصلوا الى الظهر الاحمر وكروا عليهم بجانب من الخيل والرجال واذاقوهم البلاء حتى لم يستطيعوا الثبات . ففروا راجعين الى راشيا وما زال العسكر يتبعهم والسيف يعمل في اقفيتهم حتى دخلوا منازلهم واخذ منهم ٣٤ حصاناً و ١٠ اسرى وقتل منهم ١٥ قتيلاً . ومن كثرة الثلوج وعسر المسالك لم يقدروا ان يصلوا الا الى الاربعة الرؤوس التي ارسلتموها الينا . فقد سررنا بذلك واسدينا الله تعالى مزيد الحمد عليه . ونريد ان تلحقوا ولدنا ولدكم برجالنا اهالي الجبل في اثر تلك العساكر حتى يبددوهم عن اطراف البلاد . و يضبطوا اقليم البلان كما افهمنا معتمدكم المعلم جدعون الباحوط . وقد علمنا عن اطلاقكم الاسرى الذين وقعوا في يد العسكر لوجه الله ولكي يخبروا عما شاهدوا من الاهوال فلا بأس من ذلك . وان شاء الله قريباً ترد الينا منكم البشائر بنهاية هذه المهمة كما هو المعهود من حسن درايتكم ونجابتكم وسداد رأيكم واصابته ولا يلزم لهمتكم استنهاض في مداركة كل ما يلزم لنجاز هذه المهمة وفي كل وقت لا تمنعوا مكاتيبكم عنا عما يجد و يلزم والسلام

ولما رأى ابرهيم اغا قبجي باشي عسكر درويش باشا ان ليس لهم طاقة على القتال وانهم لا يامنون على انفسهم في الحصار ارسل ابرهيم اغا يطلب من الامير الامان و يذكره بالحب والصداقة القديمة . والتمس منه ان يعدهم بعدم المعارضة ليخرجوا من راشيا و يرجعوا الى دمشق الشام . وكان الشيخ بشير جنبلاط قد توجه في ذلك النهار بنحو الف رجل من رجال الشوف الى كفرقوق وعزم على حصار راشيا وكان الاتفاق بينه و بين الامير بشير انه متى وصل الى هناك يفرق الامير عسكره حول راشيا وتحدق بها الرجال من كل جانب . فلما حضر ابراهيم آغا الميجاني رسول القبجي باشي بتلك الرسالة عدل الامير عن الحصار وسمح لسا كنيها ان يخرجوا سالمين بالامان . ولما رأى الامير منصور ذلك هرب ليلاً من راشيا على طريق عقبة الفرس المؤدي الى اقليم البلان وتبعه الامير سلمان سيد احمد واخوه الامير فارس وكان المسلك عسراً للغاية

لاتجوزه الخيل فقطعوه مشاةً وكابدوا مشقة عظيمة حتى وصلوا الى قطنا . وعند الصباح ارتحل عسكر دمشق باسره على طريق كفرقوق المؤدي الى دمشق . ومات معهم كثير من الخيل والركاب من كثرة الثلوج وشدة البرد . وكان درويش باشا قبل خروجهم من راشيا قد ارسل نائبه فيزو باشا بمقدار اربعمائة من الجنود من اطراف دمشق ومعه الامير حسن ابن الامير علي . وبعد خروجه من المدينة بلغه ان الاعداء امسكوا عليه الطريق في وادي القرن . فنزل في قطنا وبعد وصول ابرهيم اغا قبجي باشي الى دمشق رجع فيزو باشا والامراء الذين معه الى هناك . وعند وصول تلك العساكر مخذولة الى دمشق ارتجت تلك الاطراف خوفاً من قدوم الامير بشير اليهم واخلت اهالي تلك القرى منازلها وحملت اسبابها وامتعتها الى داخل المدينة حتى اهالي الميدان والصالحية . وعظم ذلك على درويش باشا واغتاظ منه غيظاً شديداً لوقوع الخجل عليه وامر بطرد الامير حسن والامير سلمان واصحابهما من المدينة وقطع علائقهما به فخرجوا الى قرية منين . وبعد قيام عسكر درويش باشا من راشيا ارسل عبد الله باشا ثماني آغا دالي باش وكبس متسلم القنيطرة القائم من قبل درويش باشا وقبض عليه واخذه اسيراً الى عكاء واخذ خيله وكانت ٧٥ حصاناً . واما الامير بشير فانه بعد خروج عسكر دمشق من راشيا احرق اكابر البلاد كل منازلهم . وابقى عنده اولاد عمه وبني جنبلاط والشيخ علي العماد والشيخ حمود نكد . وكتب الى عبد الله باشا يخبره بذلك فسر سروراً عظيماً . وكان رسول الامير احد خواصه حنا عزام فخلع عليه واكرمه اكراماً جزيلاً . وكتب الى الامير جواباً يقول فيه اننا قد اطلعنا على كتابكم المتضمن شرح مااستعملتموه من حسن المباشرة والتدبير في مضايقة عسكر راشيا من ناحية وادي القرن ووادي محصي وكفر قوق وقطع الامداد عنهم من كل الجهات حتى ضاقت عليهم المذاهب وايقنوا بالهلاك . فاستجاروا وطلبوا الامان فاجرتموهم واعطيتموهم الامان من طرفنا . وخرجوا تحت سيوف عسكرنا مخذولين طالبين السلام . والامير منصور المغرور فر هارباً ماشياً على قدميه من منفذ لاترتجى سلامته منه . وانكم وجهتم افتخار الامراء الكرام ولدنا الامير افندي الشهابي وسر بابنا الحاج محمد آغا نعمان ليقيما في راشيا بجانبكم مع بقية العسكر . ورجالنا اهالي الجبل اقاموا في القرى المحيطة بالبلدة منتظرين وفود امرنا . فجميع ذلك صار معلوماً عندنا وما عملتموه فقد قرره لدينا معتمدكم المعلم حنا عزام فسررنا غاية السرور بهذا الظفر السعيد بارك الله في حسن تدبيركم . ونسأله تعالى ان

يسبغ عليكم نعمة التوفيق في اعظم من هذه المهات · وقد صار ترتيبكم هذا مقبولاً عندنا · والامان الذي اعطيتموه فهو نفس اماننا · وترتيبكم اقامة سر بابنا الحاج محمد اغا نعمان في ذات راشيا هو المناسب وواصل له امر ان يقيم هناك الى ان تعمر البلاد وترجع اهاليها الى اوطانها · واما ولدنا الاميرافندي فينبغي ان توجهوه بجميع رجاله وتصحبوه بعسكر من رجال الجبل الى اقليم البلان لاجل ضبطه ويقيم هناك الى ان تعمر مقاطعة راشيا · وانتم بعد تنظيمكم مقاطعة حاصبيا وراشيا وترتيب الامور اللازمة تنصرفون الى محلكم بالسلامة ودائماً واصلونا باخباركم مع ما يجد و يلزم لكم والسلام · وفي اثناء ذلك حضر علي اغا السلاحدار الذي كان ساري عسكر مع الامير حسن والامير سلمان في العام الماضي وحضر عن يده سيف مذهب مرصع بالجواهر وخلعة فاخرة ثمينة وشال طرما فاخر للامير وخنجر مذهب مرصع لولده الامير خليل · وللضباط والعساكر لكل واحد خلعة وعمامة واوامر يشكر فيها حسن سعيهم واهتمامهم و يأمرهم بالانصراف · ابو زيد آغا وموسى الحاسي باشي اغوات الهوارة الى جسر بنات يعقوب ونعمان آغا دالي باش الى الحولة وابرهيم آغا دالي باش الى طبرية · و يبقى محمد آغا نعمان باش ارناووط عند الامير افندي في راشيا · وارسل مع علي اغا ايضاً كتاباً للامير يقول فيه · بعد الترجمة · ان اهتمامكم الجسيم وتدبيركم المستقيم وغيرتكم الوافية وهمتكم العالية معلومة عندنا ومقبولة لدينا ونحن دائماً نزودكم بالادعية الخيرية والاميال القلبية · وكل يوم يزداد ميلنا اليكم و يتضاعف رضانا عليكم لاسيما الان وقد اتضح لنا كالشمس في رائعة النهار مزيد همتكم وحميتكم وفراستكم المتجاوزة المعتاد · وقد شكرنا لكم حسن ما بذلتموه من الاعمال واجريتموه من الاهوال فلا زلتم كعبة الآمال ومحط الرحال · والان لاجل افتقاد خاطركم وترفيع شانكم على مناظركم قد اتحفناكم بفرجية سمور وشال طرما من افضل ملابسنا وسيف مذهب مرصع من انفر اسلحتنا عن يد افتخار الاماجد والاعيان سلاح دارنا علي آغا فان شاء الله تتسربلون بها وتتقلدونها بالصحة والرفاهيـة وتكونون في طيبة نفس وراحة · وبحوله تعالى لا يزال رضانا عليكم كل وقت في مزيد لا يقبل التغيير والتفنيد · ولا زلتم موفقين في جميع الامور والمهات حائزين قصب السبق في كل الحوادث والملمات · وفيما بعد لا تمنعوا عنا اخباركم مع ما يلزم لكم من الحاجات والسلام ختام

وارسل كتاباً اخر الى الامير خليل الشهابي بهذه الصورة

فخر الامراء الكرام ولدنا الامير خليل الشهابي زيد مجده

غب التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم المنهي اليكم انه قد صار مقبولاً لدينا حسن سعيكم ونشاطكم في الخدامة قدام افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام ولدنا والدكم الامير بشير الشهابي المكرم زيد مجده . وقد سررنا غاية السرور بمزيد همتكم وشديد شجاعتكم . ولا غرو في ذلك فمن يشابه ابه فما ظلم . فالله تعالى يحفظكم ويزيدكم نجاحاً وتوفيقاً . والان لاجل رفعة شانكم على اقرانكم قد اتحفناكم بخنجر مذهب مرصع عن يد افتخار الاماجد الاعيان سلاح دارنا ولدنا علي آغا . ان شاء الله تتقلدونه بكمال الصحة والرفاهية . وبحوله تعالى لا يزال رضانا الاخص على ولدنا والدكم المكرم وعليكم دائماً في الازدياد لا يقبل التغييب والفساد . هذا ما لزم اخباركم به والسلام . وفي الغد تجهزت الضباط للرحيل ودخلوا على الامير وودعوه فاكرمهم بمال جزيل وساروا حسب امر الوزير . فاكرم الامير علي آغا السلاح دار بعشرة الاف درهم . وكان في دولة سليمان باشا رجل يقال له عبد الله آغا شاناتا اقام في خدمته حتى توفي فتحول الى خدمة عبد الله باشا مدة . ثم طرده عبد الله باشا من خدمته فسافر الى دمشق ثم الى حلب ثم الى انطاكية . ولما اتى درويش باشا الى دمشق التقاه الى الطريق ودخل في خدمته . واقام عنده في دمشق الى ان وجد سبيلاً لاصلاح آمره مع عبدالله باشا . فرجع الى عكا وانعم عليه عبدالله باشا واعطاه متسلمية مدينة طرسوس فتسلمها واقام بها زماناً . وكان ممن يتهم بالمنكرات فتقدمت عليه الشكوى بالظلم والسكر والفجور فغضب عليه وكتب الى علي بك الاسعد ان يقبض عليه وكان عبد الله آغا قد عظم امره وعين عنده نحو مائتي فارس واعطاهم الخيل والسلاح فلم يتجسر علي بك على اخذه علناً فكتب اليه يستدعيه ان يحضر لاجل تنظيم مقاطعة الضنية وكان قد اتاه نذير بان عبد الله باشا قد غضب عليه وامر علي بك بمسكه ففر هارباً الى نواحي حماة ثم الى اطراف دمشق . وتفرق عنه اكثر اصحابه وضبط علي بك ما وقع في يده من اسبابه وامواله . ثم انصرف عبد الله آغا عن ديار دمشق الى حلب ومكث هنالك . وكان له مع الامير بشير صداقة قديمة . فارسل الامير الى عبدالله باشا يساله العفو عنه والحلم برده الى خدمته واكراماً لخاطر الامير صفح عن عبد الله آغا واذن للامير بتلبية طلبه وفي الحال ارسل الامير بعض اعوانه وعن يده كتاب الى عبد الله آغا يخبره بذلك ويطلب رجوعه اليه فادركه الرسول في مدينة حلب

ودفع اليه الكتاب . فقام من ساعته ورجع على طريق حمص وصحب درويش باشا الى دمشق . وكان الامير يومئذ في وادي التيم لحضر اليه . وكتب الامير الى عبدالله باشا يعلمه بحضوره . وطلب له امرًا منه يشعر بالعفو والحضور اليه . فكتب اليه عبد الله باشا ان يحضر وله الامان والعفو عما مضى . فاطمأن وتوجه الى عكاء مع علي اغا السلاحدار . وبعد انصراف علي اغا وضباط العساكر من عند الامير بشير قفل راجعًا الى بلاده فبات تلك الليلة في النبطية احدى قرى بلاد المتاولة . وكانت تلك المرحلة من بيت لهيا الى النبطية عشر ساعات . وذلك يوم الخميس في ٢٢ جمادي الاخرى وكان يومًا شديد الرياح تضايقت منه الناس وما صدقوا انهم يصلون الى المنزلة . وعند الصباح سار من هناك الى درب السين بالقرب من مدينة صيداء وكان يومًا ممطرًا للغاية فبات هناك وفي الغد سار الى البلاد على سلامة من اذى الثلوج لان طريق الجبال كان عسرًا جدًا من الثلج والجليد . وكان عبد الله باشا في تلك الايام قد ارسل الى الشيخ فارس ابن الشيخ نصيف النصار ومشايخ المتاولة في تلك البلاد انه يريد ان يردهم الى حكم بلادهم وهي جبل عامل التي يقال لها الان اقليم الشومر و بلاد الشقيف وانه يرفع المسلمين منها وهم يؤدون الاموال التي كانت ترد عن يد المسلمين و يترك لهم خمسين الف درهم في كل عام ومائة غرارة شعير على شرط ان يكون عندهم الفا رجل خيالة ومشاة مقيمين تحت طلبه فاستعفوا من ذلك خوفًا من مراجعتهم مرارًا ليستشيروا الامير بشير في ذلك فاشار بقوله ان الوزير قد خاصم دولة والي دمشق خصامًا طويلاً واحتياجه اليهم يطول فارسل الشيخ فارس معتمده الحاج حسن شيث الى عكاء وطلب من عبد الله باشا ان يفعل ما قال ويعاهدهم ان لا يغدر بهم بعد ذلك فكتب لهم صكًا بذلك وارسل اليهم الخلع كما كانت عادة ابائهم من قديم الزمان واخذوا يتحكمون في اتخاذ الاعوان والخيل والسلاح . ووافق ذلك خاطر الوزير فاضاف اليهم ولاية مرج عيون وفرض عليهم مالاً معلومًا كما كان على المسلمين من قبلهم . ولما وصل الامير الى منزله حضرت اليه اكابر البلاد تهنئه بالرجوع والظفر وانشد المعلم بطرس كرامة في ذلك شعرًا :

سل الخطي والبيض الصقالا فهن عن الرجال كشفن حالا
وسل كوم النزال غزاة حرب بوادي التيم تشتعل اشتعالا
ويومًا اقبلت رايات قيس يقدن الخيل تعترك المجالا

بشبانٍ يرون الموت عزّاً ... وشيب طالما اقتحموا النزالا
ونصر الله صاحبها يميناً ... وآي العز قارنها شمالا
تحوط بها الكماة على عتاقٍ ... مضمرة يسابقن الخيالا
لديهم من سراة الشوف اسدٌ ... الا اكرم بها أُسداً وحالا
اذا كروا تخالهم اسوداً ... وان ثبتوا حسبتهم جبالا
قد اعتادت رماحهم انتصاراً ... وقد الفت عداتهم انخذالا
فلو حملت كتائبهم والقوا ... عزائمهم على جبلٍ لزالا
كرامٌ سادهم شهمٌ بشيرٌ ... فلم يزل اسمه للنصر فالا
شهابيٌّ اشد الناس بأساً ... واقداماً واحسنهم خلالا
يلاقي الحرب مبتسماً اذا ما ... بكت مقل الرماح دماً سجالاً
ويمترك الخطوب اذا توالت ... بحزمٍ يستخف به الثقالا
كميٌّ كم له عند المعالي ... مواقع ذكرهن قد استطالا
اذا مالت خواطره لامرٍ ... بعون الله ادركه ونالا
قد اكتسبت سيوف الهند منه ... مضاءً والمثقفة اعتدالا
اقام بسفح راشيا خميساً ... يخاف الدهر سطوته مثالا
فاضرم في ذراها نار حرب ... يصب على العداة بها النكالا
ولاقاهم وهل يخشى لقاهم ... فتىً القى على الله اتكالا
ففروا واستظلوا في حماها ... وظنوا الثلج يمنعهم قتالا
فسوّرهم بفرسان المنايا ... وطوّقهم مثقفةً طوالا
نخافوا سيفه وبه استجاروا ... وقد طرحوا الاسنةَ والنصالا
فاطلقهم لوجه الله منّاً ... وذلهم يزيدهم خبالا
فولوا والمنايا شاهراتٌ ... اسنتها تزيد بهم نبالا
واصبح نائلاً اجراً ونصراً ... وحمداً مائلاً ماالدهر طالا
ومرفوع المقام لدى وزيرٍ ... مهيب يملأُ الدنيا جلالا
همامٌ اعظم الوزراء قدراً ... واشرفهم واوسعهم نوالا
تفيض يمينه عدلاً وبذلاً ... ويهمي جفن صارمه وبالا
يفلّ برايه حد المواضي ... ويفرط عزمه الحلق المذالا

فلو طلبت اسنته عدوّا ولو فوق السماك هوى ومالا
ومن شاء افتخاراً او سموّاً بغير علائه ظن المحالا
فعبد الله يسمو كل فخرٍ ويعلو كل ذي همم فعالا
لقد جازى الامير بكل خيرٍ جزاه الله اقبالا تعالى
واتحفه بانعامٍ شريفٍ يشرف قدره السامي كمالا
فقلده المهابة سيف نصرٍ والبسه من العز الجمالا
تهنأ يا امير هناء مجدٍ وأفن باكتساب الحمد مالا
بانعامٍ واقبالٍ ونصرٍ وسعدٍ لن يزول ولن يزالا
وخذ عذرا أتتك على هناءٍ بغيرك قط لم ترُم اتصالا
فتاة مدائح ترجو قبولا اذا ما افترّ مبسمها وقالا
ودم ما اهتز عسّالٌ وضاءت مهندةٌ وصال فتىً وجالا

وفي هذه الايام كتب علي بك الاسعد متسلم طرابلس الى عبدالله باشا ان مصطفى آغا بربر يعمل تشويشاً في الايالة وهو يراسل درويش باشا وزير دمشق فحضر اليه الجواب ان يلقي القبض عليه . وكان مصطفى آغا ساكناً في الدار التي بناها في قرية ايعال بالقرب من طرابلس . وكان شديد الباس متخذاً كثيراً من الاخوان والحلفاء . فلم يجسر على مهاجمته حتى ارسل يجمع اليه اقواماً من عكار وصافيتا . ولما بلغ مصطفى آغا ذلك فرّ الى الجبة . وكتب الى عبد الله باشا يتوسل اليه ويستعطفه وارسل ذلك الكتاب ضمن كتاب الامير بشير وسأله ان يوجه كتابه الى الوزير طي كتاب منه يشفع فيه به . وفي الحال كتب الامير الى عبدالله باشا يلتمس منه العفو عن مصطفى آغا فرجع الجواب بالاجابة اكراماً لخاطره . وفي طيه كتاب لمصطفى آغا يتضمن العفو وصفو الخاطر . فبادر الامير بارساله اليه . ولما وصل الكتاب الى مصطفى آغا سُرّ به سروراً لا يوصف وطابت نفسه وحضر على الفور الى الامير يشكر سعيه ومنته عليه . وكان ذلك في ١٢ رجب . وبعد حضوره ارسل الامير الى عبدالله باشا ان مصطفى آغا بربر قد حضر اليه وساله ان يجبر كسر قلبه بما يدفع الشماتة عنه فانعم عليه بالرجوع الى متسلمية طرابلس وعزل علي بك الاسعد عنها وارسل له خلعة الرضى والولاية . فنهض مصطفى آغا وصحب معه المباشر الذي حضر بالخلعة لاجل محاسبة علي بك واسترجاع ماسلبه من امتعته فاضطر علي بك ان يردّ اليه كل ما كان قد اخذه وكان بعد فرار مصطفى آغا قد حضر الى ايعال

وسلب كل ما كان هناك لمصطفى آغا المذكور من اثاث وحلى وامتعة وغلال وباع اكثر ذلك السلب فاغترم ثمنه

الفصل السابع

في حروب عبد الله باشا والامير بشير ضد درويش باشا وغزوهم دمشق ووافعة المزة

وفي هذه الايام اشتدت الفتنة بين عبدالله باشا ودرويش باشا والي دمشق الشام. فاستمال عبدالله باشا البعض من مشايخ بلاد نابلس وونمت الفتنة بين اهالي تلك البلاد فانقسموا فئتين ووقع بينهم القتال. وارسل درويش باشا نائبه بعسكر الى بلاد نابلس. ولما بلغ عبدالله باشا وصول فيزو باشا نائب درويش باشا الى صحراء المزاريب ارسل في الحال جميع عساكره وارسل ابراهيم آغا الذي كان امين المحمل الشريف سابقاً سارى عسكر ومعه الارناووط والمغاربة الى جسر بنات يعقوب. وارسل معه الشيخ فارس النصيف بعسكر المتاولة • وارسل نائبه ابرهيم اغا ومعه شملين آغا ونعمان آغا وابرهيم آغا ضابط الدالاتية. وابا زيد آغا وموسى آغا الحامي بعساكرها الهوارة الى جسر المجامع . ولم يكن طريق للعبور من ديار دمشق الى بلاد نابلس الا على هذين الجسرين. وارسل عبد الله باشا الى الامير بشير طالباً ان يرسل ولده الامير خليلاً بعسكر من رجال الشوف ولما بلغ فيزو باشا ان الطريق قد امسكت عليه ارسل الى درويش باشا فاعلمه بذلك وطلب ان يمده بالعساكر. وكان بعد خروج فيزو باشا من دمشق حضر الى هناك نحو اربعمائة خيال من نواحي حماة فارسلهم درويش باشا على اثره مع ابراهيم اغا الكور . وفي ٢٢ رجب الموافق اول نيسان (ابريل) نهض فيزو باشا من المزاريب يريد العبور على مخاضة نهر الشريعة . وسار ابن الديراني صاحبه على طريق القنيطرة قاصداً جسر بنات يعقوب . ولما بلغ ابراهيم اغا نائب عبد الله باشا قدوم فيزو باشا التقاه بالعسكر الذي معه ليمنعه من العبور على ذلك النهر . ولما بلغ فيزو باشا قدوم عسكر عبد الله باشا ارتد بعسكره راجعاً وتبعه عسكر عبد الله باشا الى اراضي الزرقاء . واما ابراهيم اغا الكور فانه وصل بعسكره الى الجسر ووقع القتال بينه و بين العسكر المقيم هناك فتقهقر عسكر المتاولة الى قاطع الجسر وحاصرت الارناووط والمغاربة في الخان الذي هناك على جانب الجسر . ولما وصلت الاخبار الى ابراهيم اغا نائب عبد الله باشا انثنى في الحال عن طلب فيزو

باشا واسرع لنجدة المحاصرين في الخان . وصباح الخميس وصل الى الجسر وقسم العسكر الذي معه فرقتين وانتشب القتال بين تلك العساكر فانكسر عسكر دمشق وفرَّ هاربًا واحتوى عسكر عبد الله باشا على خيامهم واسلابهم ومدافعهم وذخيرتهم وقتل منهم جماعة ووقع في ايديه كثيرٌ من الاسارى . واما الامير بشير فلما وصل اليه امر عبد الله باشا اطلق التنبيه حالاً في البلاد وجمع عسكرًا واقام عليه ولده الامير خليلاً وارسلهم وعند وصولهم الى مرج عيون حدثت تلك الوقائع بين القوم وما زال الامير خليل سائرًا حتى وصل الى معسكر عبد الله باشا . فالتقاه ابراهيم اغا وقواد العساكر بالاجلال والاكرام . واجتمع كل اولئك العساكر على جسر بنات يعقوب . واما العساكر الدمشقية فانهم بعد تلك الكسرة ما زالوا منهزمين حتى وصلوا الى قرية يقال لها سعسع وهناك حدث بينهم اختلاف واقتتلوا فقتل من ضباطهم مصطفى اغا واحمد اغا واربعة من الجنود . وكانت الفتنة بين ابرهيم اغا القبجي وبقية القواد وكان ابرهيم اغا اعور فكان يلقب بالكور ابرهيم حسب عادة الاتراك . وفي ١٤ شعبان ارسل عبد الله باشا خلعة الولاية الى الامير بشير حسب المعتاد وفي ذلك الوقت حضر كتاب من درويش باشا الى الامير بشير يخبره انه في رابع عشر شعبان حضر اليه خبر من باب همايون بتوجيه ولاية صيدا ويافا وطرابلس وبقية الايالة التي بيد عبد الله باشا اليه وقد كتب امضاءه هكذا الحاج درويش باشا امير الحج ووالي دمشق وصيداء ويافا وطرابلس الشام حالاً . ولقب نفسه بذلك بناء على الانعام الصادر له . ولما وصل الكتاب الى الامير بشير ارجع الرسول من غير جواب وفي الحال ارسل الكتاب الى عبد الله باشا فحضر الجواب اليه ان يطلق التنبيه على اهالي بلاده ويسير بعسكر الى جسر بنات يعقوب وقد كتب امضاءه هكذا السيد عبد الله باشا امير الحج ووالي دمشق وصيداء ويافا وطرابلس الشام حالاً

وفي ١٥ ايار (مايو) الموافق ٢٦ شعبان ركب الامير بشير بنفر قليل من اعوانه الى مدينة عكاء لاجل مقابلة عبد الله باشا وايقافه عن اخراج العساكر الى مدينة دمشق لانها باب الكعبة . وارسل العسكر مع ولده الامير امين على طريق جزين الى جسر بنات يعقوب . وكانت جميع عساكر عبد الله باشا مجتمعة هناك من رجال الدولة والمتاولة ورجال جبل الشوف الذين مع الامير خليل ابن الامير بشير . وكان بعد مسير الامير ذلك النهار حضر ابرهيم آغا الهيجاني والمعلم اسكندر اليازجي كاتب حماة من قبل

درويش باشا برسالة الى الامير بشير فيها يقول له · ان يكون طيب القلب والخاطر وكلما يطلبه منه يقضى كما يريد على شرط انه يستقر في مكانه ولا يبدو منه اسعاف لعبد الله باشا · واما الامير بشير فانه سار حتى اقبل على عكاء نهار الاحد في سابع شهر ايار · وقبل وصوله خرج للتقاه ابرهيم اغا نائب الوزير والشيخ مسعود الماضي وجميع دائرة عبد الله باشا · ودخل الى عكاء في محفل عظيم واطلقت له المدافع من الابراج واستقبله عبد الله باشا بالاعزاز والاكرام وعند خروجه من ديوان الوزير الى المنزل المعدّ له انعم عليه بخلعة فاخرة وجواد بسرج ثمين وخنجر مذهب مرصع بالحجارة الكريمة وصرة ثياب من افضل ملابسه وبات تلك الليلة في احسن حال وانعم بال وعند الصباح اختلى بالوزير نحو ثلاث ساعات · وعند الظهر خرج من عكاء طالبًا جسر بنات يعقوب · وبات تلك الليلة في قرية يقال لها الرامة · وعند الصباح سار حتى وصل الى جسر بنات يعقوب · وكان ذلك نهار الثلثا وبات في قرية هناك يقال لها نعران · وكان عبد الله باشا قبل وصول الامير الى عكاء ارسل رسولاً الى ابراهيم اغا الكردي الذي كان قد اقامه ساري عسكر ان يسير بالعساكر الى ديار دمشق · ويملك قرية سعسع الى ان يصل الامير بشير الى هناك · وفي صباح الاربعاء قام الامير من قرية نعران الى القنيطرة وفي صباح الخميس وصل الى سعسع حيث كانت العساكر بانتظاره فتقدم بهم الى قرية يقال لها الجديدة على مسافة ساعتين من دمشق · ويوم الجمعة سار جانب من العسكر متقدمًا الى نواحي المدينة حتى وصل الى كوكبا وكان الامير نازلاً هناك باولئك العساكر الذين معه من الاتراك والعرب · ويوم السبت نهض الامير من كوكبا بالعساكر الى المعظمية وكان الامير حسن والامير سلمان يومئذٍ في دمشق · وكان الشيخ علي العماد وابناء عمه في ذلك الوقت قد توجهوا من البلاد الى البقاع · وكانوا يتظاهرون انهم يريدون ملاقاة الامير بشير من هناك · وساروا في طريقهم الى دمشق واقاموا مع الامير حسن والامير سلمان · وقال الشيخ علي العماد لدرويش باشا ان جميع اليزبكية تتبعه وانه متى سار بالعسكر الى لبنان يميل اليه نصف اهل الجبل فاستأنس درويش باشا بذلك وكان البعض من المشايخ بني تلحوق وبني عبد الملك قد خرجوا مع الامير في تلك الغزوة · فلما حضر الشيخ علي العماد الى دمشق ارسل اليهم سرًا ان يحضروا اليه فحضر الشيخ حسين ابن الشيخ علي تلحوق والشيخ فاعور ابن الشيخ جنبلاط عبد الملك ·

ويوم السبت الذي وصل فيه الامير بشير بعساكر عبد الله باشا الى المعظمية خرج عسكر درويش باشا الى المزة ومعه الامير حسن والامير سلمان واولادهما والشيخ علي العماد والشيخ حسين تلحوق والشيخ فاعور عبد الملك والامراء الحرافشة والشيخ ظاهر التل . وكان عسكرهم ينوف عن الثلثة الاف رجل . وعند الصباح نهار الاحد في ٦ رمضان الموافق ١٤ ايار انتخب الامير بشير من عسكره الفين من الفرسان والمشاة من اهل الشوف والمناصف والمتن ومن عسكر عبد الله باشا الدالاتية والهوارة . وكان روساء عساكر الدالاتية ابرهيم اغا الكردي ساري عسكر ومعه شملين آغا دالي باش ومحمد اغا عجل يقين وابرهيم آغا ونعمان آغا ومن الهوارة ابو زيد آغا وموسى اغا الحاسي واقبل لامير بذلك العسكر الى المزة وعند وصوله احاط بها من كل جانب . ولما علمت عساكر ادرويش باشا بقدومه تحصنت للحصار وانتشب بينهم القتال وارتفع الضجيج واطلقت عساكر دمشق المدافع والزنبركات (اي المدافع الصغيرة) . فهجم الامير بعسكره هجمة واحدة وهدم اسوار البلدة وكانت مبنية باللبن وامتلكها ففرت عساكر دمشق وقتل منها نحو مائتين وخمسين رجلاً واخذوا منهم نحو خمسمائة اسير وغنم عسكر الامير خيامهم وذخيرتهم وخيلهم وسلاحهم وكان قد تحصن في بعض المعاقل نحو خمسين رجلاً من الدالاتية واربعة من الارناووط فحاصروا نحو ثلاث ساعات ثم سلموا بالامان عن يد شملين آغا . ورجع الامير بعساكره الى المعظمية فبات هناك . وفي الغد ارسل اولئك الاسرى الى عبد الله باشا والرؤوس التي قطعوها من القوم . وبلغت اسارى الدولة والدماشقة ٣٧٤ رجلاً والباقون كانوا من رجال البلاد الذين كانوا مع الامير حسن والامير سلمان والشيخ علي العماد وكان من جملتهم الشيخ حسين ابن الشيخ علي تلحوق الذي كان مع الامير ثم تركه وذهب الى دمشق كما مر . وفي هذه الموقعة استامروه جريحًا . فهولاء جميعهم اطلقهم الامير وطيب قلب الشيخ حسين وارسله الى منزله في البلاد . واما الامير حسن والامير سلمان والشيخ علي العماد ومن يتبعهم فاستمروا في هزيمتهم الى اراضي فارة ولم يعوجوا بالمدينة وما زال عدة ايام يوجد غرقى في نهر بردى من عسكر درويش باشا حتى بلغ عددهم ما ينيف عن الف رجل بين قتيل وغريق . وبعد انفصال تلك الموقعة رجع الامير بعسكره الى المعظمية ظافرًا غانمًا ومكث هناك ونظم بعض شعرائه هذه الابيات يقول

يا ذروة المجد قناك الاله بما حباك من شرفٍ فوق السماك سما

و يا منازل لبنان ازدهي بابي سعدى البشير الشهابي الكاشف الظلما
بعزةٍ واقتدارٍ باهرٍ وسطا عزمٍ وعزٍ عزيزٍ فرّج الهمما
وعظم شانٍ لنشر المسك عابقةٍ وذكر بطش الى يوم النشور نما
مصباح شهب المعالي المستضأ به فخر الموالي امام السادة العظما
اعني الامير الذي باهي الوجود به اذ قد غدا بين ارباب العلى علما
سل مزّة الشام يوم غار مقتحما حصارها وعلى اسوارها هجما
تلك التي ضمت الاعداء داخلها كانها صيرةٌ قد جمعت غنما
فاستلّ للفتك صمصاماً ضمانته يوم الوغى سلب ارواحٍ وسفك دما
وانقضّ فوق جيوش الظالمين وقد اذاقهم هول حربٍ شيّب اللمما
وفي ضحى الاحد اليوم السعيد غشى جموعهم بقتال ابهت الامما
هناك اصلى لهم نيران معمعةٍ ما حدّثت سالفاً في مثلها القدما
هناك خاض سراياهم بشرذمةٍ من آل قيس بزاةٌ زاحمت دُلما
هناك ولت عداه من سطاه كما ولىّ الضباب ولكن قلّ من سلما
هناك كم جثثٍ فوق الثرى سقطت من العداةِ وكم من مفرقٍ حسما
وكم شجاعٍ قضى في نهرها غرقاً وذو السلامة فيها فرّ منهزما
وكم وكم شردت خيلٌ وقد فرغت سروجها اذ غدت فرسانها رمما
لله لله ما اسطى رجال بني قيسٍ فتلك تذل العرب والعجما
قوم امامهم المولى الذي رفعت له المعالي على رؤُس الملا علما
شهاب نورٍ ادام الله دولته على المدى وعليه ابّد النعما
تنحوه كل الورى من كل ناحيةٍ لان حصن حماه خير كل حمى
ابقاه مولاه مالاح الصباحُ وما غنىّ الهزار وما قطر السحاب همى

واما عبد الله باشا فلما وصلت اليه تلك الرؤُوس والاسارى ابتهج ابتهاجاً عظيماً وايقن بتهلكة دمشق وارسل اموالاً جزيلة الى ضباط العساكر وانعم على الرسل الذين اتوه بالرؤُوس والاسرى . ووصل الامير واصحابه بالجوائز والاكرام كل واحد بحسب قدره ومنزلته . و بعد ستة ايام حضر كتاب من عبد الله باشا الى الامير ان فيزو باشا رجع من بلاد نابلس الى دمشق و يأمره ان يمسك الطريق عليه . وفي الحال انتخب الامير الفي فارس من رجال الدولة واهل البلاد واقام عليهم ولده الامير خليلاً وشمايين اغا وابا زيد آغا والشيخ علي

جنبلاط والشيخ حمود نكد و بعض ضباط عساكر عبد الله باشا وارسلهم ليلاً الى نواحي حوران فصادفو فيزو باشا في قرية يقال لها خرجانة صباحاً ٠ وعند وصولهم انتشب القتال بينهم وهجمت رجال الامير على عسكره فانهزم وتشتت في تلك البراري واغتنم عسكر الامير منهم ماينيف عن ٣٠٠ فرس وجمل ٠ وكانوا الفاً مائتين فارساً وجماعة من المشاة ٠ ولم تكن لرجال الدولة رغبة القتال فقبضت ضباط عسكر عبد الله باشا على مائة وخمسين اسيراً ٠ وقطعوا خمسة وعشرين راساً ٠ ولما رأت مشاة عسكر دمشق ان الخيالة قد انهزمت وتركوهم بين القوم دخلوا الى منازل عالية في تلك القرية وتحصنوا بها٠ فرجعت اليهم عساكر الامير واحاطت بهم ودام والقتال بينهم الى المساء٠ فطلبوا الامان عن يد شملين آغا والضباط فامنوهم وانصرفوا تحت المذلة والهوان ٠ وسار فيزو باشا في طريقه منهزماً حتى دخل مدينة دمشق٠ ورجع عسكر الامير بالظفر والغنائم ٠ وفي ١١ رمضان الموافق ٢٠ ايار (مايو) ارسل الامير اولئك الاسرى والرؤوس التي قطعوها من قوم فيزو باشا الى عبد الله باشا وتحول بالعساكر التي معه من المعظمية الى الاشرفية ٠ وكان درويش باشا قد عرض للدولة العلية عن الفتنة الواقعة بينه وبين عبد الله باشا ورفع شكواه عليه بانه قد تعدى على الايالات التي بيده ومنع اهالي نابلس وتلك الاطراف عن ايراد الاموال المرتبة عليهم لاجل قيام الحج وان عساكره ماسكة الطرق من جميع الجهات٠ فامرت الدولة مصطفى باشا وزير حلب ان يقوم الى دمشق لاسعاف درويش باشا وكان الامير حسن والامير سلمان والشيخ علي العماد ومن يصحبهم بعد ماهربوا من المزة توجهوا الى قرية منين وكانت اهالي تلك الاطراف تسلب تابعيهم ٠ وتقدموا من هناك الى اراضي قارة والنبك ثم الى حمص ٠ ومن هناك بلغهم قدوم مصطفى باشا الى حماة فساروا لمقابلته ورجعوا معه الى حمص والتمسوا منه كتاباً الى اهالي جبل الشوف فكتب كتاباً بهذه الصورة

صدر مرسومنا المطاع الواجب والقبول والاتباع الى الامراء والمشايخ في جبل الشوف والمتن وكسروان ليعلموا ٠انه بمنه تعالى وحسن توفيقه قد تيسر حلولنا في محروسة حمص ٠ ان شاء الله نتقدم الى محروسة دمشق الشام حسب امر الدولة العلية لنكون بالاتحاد مع سعادة والدنا الدستور الموقر المعظم الحاج محمد درويش باشا الصدر السابق ووالي دمشق وصيدا وطرابلس الشام حالاً ٠ والآن قد حضر لاستقبالنا افتخار الامراء المكرمين الامير حسن والامير سلمان الشهابيان ٠ وبما ان المومى اليهما قد تشرفا بالخلعة الفاخرة من

سعادة والدنا المشار اليه اقتضى اصدار مرسومنا هذا اليكم كي تكونوا في طاعتها . وايا كم ان يصدر منكم امر مخالف لما يأمرانكم به فتندمون حيث لا ينفعكم الندم . اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد والسلام . وتقدم بعد ذلك مصطفى باشا طالباً دمشق الشام والامير حسن والامير سلمان والمشايخ العمادية في صحبته . وفي ٢٢ رمضان وصل الى مدينة دمشق . وبعد وصوله ارسل الى الامير بشير ان يقوم بعساكره الى بلاده وارسل اليه صورة الفرمان الذي حضر الى درويش باشا من الدولة العلية . وكان كما سبق متضمناً عزل عبد الله باشا وتولية درويش باشا على ولايته . وبعد ان فهم الامير صورة الفرمان قام ليلاً ورجع على طريق سعسع هو وضباط عساكر عبدالله باشا جميعاً . وسار ثاني يوم وبات في محل يقال له حرش يعفور وحضرت اليه الامراء والمشايخ الذين كانوا بصحبته لانهم كانوا في الليل الماضي حين قيامه من الاشرفية تاهوا عنه في طريق سعسع فامر الامراء بالرجوع الى محلاتهم في البلاد وان مراده ان يتوجه الى عكاء . فرجعوا من ذلك المحل . وبعد رجوعهم توجه الامير على طريق عكاء حتى قابل شملين آغا وضباط الدلاتية وباقي ضباط الدولة . وبعد المواجهة رجع الى محله بيت الدين . وفي غضون ذلك تقدمت العساكر الشامية الى البقاع صحبة الوزيرين درويش باشا والي الشام ومصطفى باشا الذي حضر من حلب وبصحبتهم الامير حسن والامير سلمان ومشايخ اليزبكية . ونزلوا في ارض عميق غربي البقاع . وارتجت اهالي الجبل واجتمعوا الى حمانا ووضعوا اناساً في قلعة قب الياس لاجل المحافظة . وبدأت المراسلات الى الامراء والمشايخ اليزبكية من المقاطعات سراً . واما الامير بشير فقام هو واولاده وحاشيته الى حرش بيروت . ودارت المراسلة بين الشيخ بشير جنبلاط ودرويش باشا ومصطفى باشا وارتبط معهم على اداء جانب من المال . وارسل احد اولاده رهناً لحين ما يوصل المال الذي حصل الاتفاق عليه . وصار الاتفاق ايضاً على ان يقيموا الامير عباس اسعد حاكماً على البلاد عوضاً عن الامير بشير . فرضي الوزراء بذلك وارسلوا الشروط والعهود على ذلك الى الامير عباس والى الشيخ بشير جنبلاط . وحين وصلت الاوامر لهم بذلك نهض حالاً الامير عباس وتوجه للثم اذيال الوزير الى البقاع برأي الشيخ بشير . وحين وصوله حصل له استقبال عظيم من الوزير وترحيب وامر له بالخلع الفاخرة وكتب له شروط الالتزام على البلاد حسب العوائد . ورجع الامير عباس الى دير القمر وبصحبته اولاد عمه والمشايخ الذين كانوا معهم من اليزبكية . وحالاً

وجه الامير جهجاه اخا الامير افندي وصحبته بعض اناس من قبل الشيخ بشير جنبلاط الى حرش بيروت لينبهوا على الامير بشير واولاده بان ينزلوا في البحر . والاَّ فتحضر اليهم العساكر .

(الى هنا نهاية ما كتبه الامير حيدر في النسخة التي وصلت ليدنا والمرجح ان هذا كل ما كتبه . ولربما اصابه مرض اخره عن استيفاء الخبر . وكلما يأتي جميعه اضافة منا اقتطفناها من جملة تواريخ لاتمام وعدنا)

الفصل الثامن

في تغرب الامير بشير في مصر وما حدث له وسعيه لدى محمد علي باشا في التوسط لارجاع عبد الله باشا للولاية

ولما تحقق الامير بشير صحة هذه الامور توجه الى مصر مع ولديه الامير خليل والامير امين واربعة وتسعين رجلاً من خدمه منهم سبعة من بني الدحداح وخمسة من بني مغبغب . وكانوا من اشد رجال هذه العائلة ومنهم راشد المغبغب وجبرائيل المغبغب وفي غيابهم استغنم الفرصة رجال عائلة كرامة الدروز وقاموا يخاصمون بني مغبغب لانهم من حزب الامير وهم كانوا من حزب الشيخ بشير فاستظهروا عليهم وجرحوا عدة مجاريح منهم ولو لم تدخل بعض النساء بين المتخاصمين وينحاز الى بني المغبغب الشيخ اسعد العيد لكانوا قتلوهم عن آخرهم . ولكن بعد رجوع الامير مؤيداً ومعه اشداء هذه العائلة انتقموا من كل من تعدى عليهم . ورجع الامير قاسم ابن الامير بشير واختبأ في داره مدة . اما الامير عباس فارسل اخاه الامير حسناً الى بلاد جبيل لجباية الاموال . وجعل الشيخ مرعي الدحداح مدبراً عنده . وارسل اخاه الامير منصوراً لجباية الاموال من بقية المقاطعات . اما الامير بشير فلما وصل الى عزبة دمياط التقاه نائب متسلمها بكل اكرام وكتب للمتسلم يعلمه بقدومه . فارسل المتسلم يسأل الامير عن سبب قدومه فاجابه ان اتشرف بمقابلة العزيز . وعندها كتب المتسلم لنائبه ان يكرمه ويرسله ثاني يوم الى ثغر دمياط . فسار الامير في اليوم الثاني الى دمياط وقابل المتسلم فترحب به واكرمه . وكتب المتسلم للعزيز محمد علي باشا يخبره بقدوم الامير وانه يروم التشرف بمقابلته . فامر العزيز ان يأتي الامير الى مصر القاهرة . وكتب الى مدبره ان يقدم للامير الاكرام والميرة ويقول له ان العزيز يهنئك على السلامة . ولم يدخل

سعادة والدنا المشار اليه اقتضى اصدار مرسومنا هذا اليكم كي تكونوا في طاعتها . واياكم ان يصدر منكم امر مخالف لما يأمرانكم به فتندمون حيث لا ينفعكم الندم . اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد والسلام . وتقدم بعد ذلك مصطفى باشا طالباً دمشق الشام والامير حسن والامير سلمان والمشايخ العمادية في صحبته . وفي ٢٢ رمضان وصل الى مدينة دمشق . وبعد وصوله ارسل الى الامير بشير ان يقوم بعساكره الى بلاده وارسل اليه صورة الفرمان الذي حضر الى درويش باشا من الدولة العلية . وكان كما سبق متضمناً عزل عبد الله باشا وتولية درويش باشا على ولايته . وبعد ان فهم الامير صورة الفرمان قام ليلاً ورجع على طريق سعسع هو وضباط عساكر عبدالله باشا جميعاً . وسار ثاني يوم وبات في محل يقال له حرش يعفور وحضرت اليه الامراء والمشايخ الذين كانوا بصحبته لانهم كانوا في الليل الماضي حين قيامه من الاشرفية تاهوا عنه في طريق سعسع فامر الامراء بالرجوع الى محلاتهم في البلاد وان مراده ان يتوجه الى عكاء . فرجعوا من ذلك المحل . وبعد رجوعهم توجه الامير على طريق عكاء حتى قابل شملين آغا وضباط الدلاتية وباقي ضباط الدولة . وبعد المواجهة رجع الى محله بيت الدين . وفي غضون ذلك تقدمت العساكر الشامية الى البقاع صحبة الوزيرين درويش باشا والي الشام ومصطفى باشا الذي حضر من حلب وبصحبتهم الامير حسن والامير سلمان ومشايخ اليزبكية . ونزلوا في ارض عميق غربي البقاع . وارتجت اهالي الجبل واجتمعوا الى حمانا ووضعوا اناساً في قلعة قب الياس لاجل المحافظة . وبدأت المراسلات الى الامراء والمشايخ اليزبكية من المقاطعات سراً . واما الامير بشير فقام هو واولاده وحاشيته الى حرش بيروت . ودارت المراسلة بين الشيخ بشير جنبلاط ودرويش باشا ومصطفى باشا وارتبط معهم على اداء جانب من المال . وارسل احد اولاده رهناً لحين ما يوصل المال الذي حصل الاتفاق عليه . وصار الاتفاق ايضاً على ان يقيموا الامير عباس اسعد حاكماً على البلاد عوضاً عن الامير بشير . فرضي الوزراء بذلك وارسلوا الشروط والعهود على ذلك الى الامير عباس والى الشيخ بشير جنبلاط . وحين وصلت الاوامر لهم بذلك نهض حالاً الامير عباس وتوجه للثم اذيال الوزير الى البقاع برأي الشيخ بشير . وحين وصوله حصل له استقبال عظيم من الوزير وترحيب وأمر له بالخلع الفاخرة وكتب له شروط الالتزام على البلاد حسب العوائد . ورجع الامير عباس الى دير القمر وبصحبته اولاد عمه والمشايخ الذين كانوا معهم من اليزبكية . وحالاً

مصر اعز منك لديه · فسار الامير الى بولاق · ولما بلغ المدبر قدومه ارسل لملتقاه مدبراً من قبله يدعى حنا البحري الحمصي الكاثوليكي · ورجع حنا البحري واخبر المدبر ثم توجه الى الامير مساءً وسار به الى قصر الخزندار بالروضة · فالتقاه المدبر بالترحاب ثم رجع الى بولاق · وفي الغد سار الى قصر ابرهيم باشا فاستقبله الوزير بالاكرام و وعده برجوعه الى بلاده كما كان · ثم ان العزيز ارسل حنا البحري يطلب من الامير ان يتوجه الى بني سويف ويكون مطمئناً ومتى رجع من الاسكندرية ينال ما يبتغيه · وعين له عشرة الاف غرش شهرياً لنفقاته وعلفاً كافية · فامتثل الامير الامر وذهب الى بني سويف فلاقاه متسلمها بالاكرام وانزله في دارٍ جميلة في الفشن حذاء النيل · وزاره هناك كثيرٌ من القواد · ثم ورد له كتاب من عبد الله باشا يفتقد خاطره به · وفيها حضر الامر بولاية صيداء لمصطفى باشا وهو في حصار عكاء وحضر امرٌ للبنانيين بان يطيعوه فكتب مصطفى باشا للامير بشير كتاباً يخبره بذلك · وكتب ايضاً للامير عباس وامره بالحضور اليه لينعم عليه بخلعة الولاية · فامتثل امره وخلع عليه خلعة ولاية جبل الشوف وكسروان · وخلع عليه ايضاً درويش باشا بولاية جبيل التابعة ايالة الشام حينئذٍ · فالتمس الامير عباس من درويش باشا اطلاق الشيخ نعمان جنبلاط وارجاعه الى والده فقبل طلبه · ورجع الامير الى دير القمر ومعه الشيخ نعمان ولما وصل كتاب مصطفى باشا للامير بشير ارسله للعزيز بواسطة مدبره والعزيز امر الامير ان يجيبه اني مقيم في ديار مصر مكرماً مشمولاً بانظار عزيزها · وكان كتاب مصطفى باشا الى الامير بشير سبب الفتنة بين مصطفى باشا ودرويش باشا وسبب زيادة عظمة الامير عند العزيز · وبعد شهرين وعشرة ايام رجع الامير من الفشن الى بني سويف بامر متسلمها · وفي احد الايام قدم اليه ابرهيم باشا وهو مسافر الى بلاد القرطوش فتوجه الى منزله فالتقاه بكل وقار واحتفال ووعده بالرجوع قبلما سافر · ثم استأذن الامير المدير ان يرجع الى مصر فاجابه انه بعد عشرة ايام يحضر العزيز لمصر وعندها يأذن لكم بالحضور واكرم رسوله بخمسمائة غرش · اما مصطفى باشا فلما وصله جواب الامير بشير حنق وكتب للامير عباس ان ينبه على جميع اهل بلاده ان لا يكاتبوا الامير بشيراً · وفي اثناء ذلك رجع الامير حسن من جبيل · وفيها توفي الامير درويش علي في كفرشيما فامر الامير مناصب البلاد ان يوافوه لمأتمه · وفي الغد حضر الامير ومعه الشيخ بشير جنبلاط والشيخ علي العماد

والشيخ حمود والشيخ نصيف النكديان وحضرت جميع امراء البلاد وسائر مشايخ الدروز فتلي عليهم امر الوزير بان يمتنعوا عن مكاتبة الامير بشير . وحذرهم الامير من المخالفة متهدداً فاذعنوا له وانفضوا كلٌّ الى مكانه . ثم لما حضر الجواب من اسلامبول لمحمد علي باشا بالعفو عن عبد الله باشا قدم العزيز من الاسكندرية الى مصر فاستدعى الامير ومن معه واخبره فحضر الامير بولديه و بعض خدمه . فامر المدبر بنزوله في قصر اعد له في اثار النبي (بجوار مصر القديمة) وارسل له خمسة من جياد الخيل بالعدد المزينة واستدعاه اليه الى القلعة . ولما دخل عليه قام له اجلالاً واجلسه بجانبه . ثم امر العزيز بعد برهة ان يحضر الامير اليه الى قصر شبرا . فسار الامير مع ولديه صحبة حنا البحري فاستقبله العزيز بالبشاشة وامر له بالجلوس ثلاثاً على كرسي حذاء عرشه و بعد ان شربا القهوة صرف من كان معه . واخذ يساله عما حدث له . فطفق الامير يشرح له من ابتداء ولايته وكيف صدق بخدمته امام اولياء نعمته الى ان غضبت الدولة على عبد الله باشا . ومع ان درويش باشا طلبه للخدمة والولاية لم يرض ان يخدم غير ولي نعمته . وانه لم يشاء محاربة العساكر السلطانية . فانشرح خاطر العزيز من كلامه وطيب قلبه ونظر اليه بعين الرفعة واحبه واجلسه على مائدته فتعجب جميع الحاضرين من ذلك ثم استأذنه الامير بالانصراف فاذن له . ثم بعد بضعة ايام سار الامير الى قصر ابرهيم باشا في المنيل فاستقبله الوزير بالترحاب والاكرام ووعده برجوعه الى بلاده فائزاً . ثم استأذنه الامير وسار الى القلعة فتلقاه المدبر بكل اكرام . و بعد بضعة ايام حضر العزيز من شبرا الى القلعة فاستدعى اليه جميع العلماء وقواد الجند وامر باحضار الامير فحضر واستقبله العزيز بكل ترحاب وامر له بالجلوس وشرب القهوة . واخذ يلاطفه بالحديث . ثم صرف العزيز جميع الحاضرين وامر ببقاء الامير وأسرَّ اليه جميع ما يرغبه منه في جبال لبنان من الخدمة عند الحاجة لانه كان عازماً على تملك بلاد الشام بالسيف . و بعد ذلك استاذنه الامير بالانصراف الى منزل الخزندار ثم عاد الى مقره فارسل له العزيز اربع حلل من ملابسه واربعة الاف ربع ذهب فندقلي . وحضر العزيز احد الايام الى القلعة واستدعى الامير اليه واخبره انه كتب يسترحم الدوله برجوع عبد الله باشا واليًا كما كان ووعده بنوال اربه . ثم رجع الامير الى منزله وعندها لاحظ العزيز ان الخيل التي قدمت لركوب الامير ليست جياداً فامر باستبدالها بخيل جياد . واستمر الامير يحضر كل يوم لمقابلة العزيز حسبما امره . وفي احد

الايام امره العزيز بان يرسل و يخبر عبد الله باشا بانه ارسل للباب العالي يطلب رجوعه كما كان و يشدده بالثبات على الحصار . ففعل الامير كذلك وارسل ايضاً يخبر المناصب بذلك

وفي السنة ١٢٣٨ هـ = ١٨٢٣ م وردت رسائل الامير بشير الى مناصب البلاد ففرحت احزابه . و بعد ايام حضر فرمان من الدولة بالعفو عن عبد الله باشا وان يخرج من عكاء بماله و رجاله و يذهب الى مصر آمناً . فشقّ ذلك على العزيز وانفذ معتمداً الى الصدر الاعظم يقول له انه اذا لم يرجع عبد الله كما كان يضطره الامر للخروج عن الطاعة . فاتاه الجواب ان عبد الله باشا يبقى في عكاء بدون ولاية . فراجع العزيز الصدر الاعظم طالباً رجوع الولاية لعبد الله باشا . و بعد مدة ورد خبر للعزيز من الاسكندرية ان رسوله خرج من اسلامبول ومعه فرمان العفو من الولاية لعبد الله باشا . فارسل العزيز يدعو الامير اليه . ولما حضر اخبره فاستأذن الامير بالذهاب فاجابه اني اريد بقاءك مدة عندي لانك بمنزلة ابني ابرهيم . وكل مافعلته نحو عبد الله باشا من الجميل فهو لاجل خاطرك . و بقي الامير ذلك النهار كله في منادمة العزيز . وعند المساء رجع الى منزله . ثم كتب العزيز الى مصطفى باشا طالباً منه ان يرفع الحصار عن عكاء الى ان يصل له فرمان العفو عن عبد الله باشا . و بعد ايام وصل رسول العزيز من اسلامبول مصحوباً بذلك الفرمان المتضمن ان عبد الله باشا يجب ان يؤدي للدولة ٢٥ الف كيس . فارسل العزيز يدعو الامير اليه فحضر واطلعه على الفرمان وامره ان يتاهب للسفر فارسل الامير خدمه الى الاسكندرية . ثم استحضر العزيز جميع العلماء ورؤساء العساكر فتلى عليهم ثلثة فرمانات الاول بالعفو عن عبد الله باشا وخروجه الى مصر بماله ورجاله آمناً والثاني بالبقاء في عكاء والثالث برجوع المنصب له . ثم انعم العزيز على الامير وولديه بثلث فراء وثلثة من الخيل الجياد المزينة واكرمه بمائة وخمسين الف غرش واذن له بالسفر مع السلاح دار واوصاه به وودعه . وامر العزيز الامير ان يهيء اربعة الاف مقاتل من بلاده ليرسلها الى المورة لمعونة ولده ابرهيم باشا اذا مست الحاجة الى ذلك . ثم ودع باقي ارباب الدولة وكتب الى مناصب البلاد يبشرهم بقدومه مؤيداً

الفصل التاسع

في رجوع الامير من مصر مؤيدًا وتوليته على حكم البلاد ثانية

وسار الامير الى الاسكندرية ونزل الى خارجها خوفًا من الطاعون . وفي اليوم الثالث ركب سفينة مع ولديه وخدمه وسافروا مع السلاح دار الى عكاء . ولما اقبل بالسفينة على المدينة امر عبد الله باشا باطلاق المدافع فاطلقت من المدينة ومن مخيم الوزراء اذ بلغهم امر الدولة . ولما خرج السلاح دار والامير بن معهما الى المرسى التقاهما عبد الله باشا باكابر دولته والمدينة باحتفال عظيم فادخلهما الى السرايا ورحب بهما بكل بشاشة واكرام . وفي الغد خرج السلاحدار الى مخيم مصطفى باشا وعرض عليه اوامر الدولة برفع الحصار عن عكاء . فرضخ للامر وطلب من عبد الله باشا جمالاً لنقل المهمات فارسل له . وحينئذٍ كتب عبد الله باشا والامير الى اللبنانيين يبشرانهم بما كان . وبعث الامير ولديه الامير خليلاً والامير امينًا الى بيت الدين فقدمت لتهنئتهما المناصب واكثر الوجوه والخدم . وفي اليوم الثالث نهض مصطفى باشا بالعسكر الى دمشق واما الامير فبقي في عكاء واشار بتوزيع الخمسة وعشرين الف كيس المطلوبة على ايالة صيداء . وكتب الى الامير عباس ان يبقى واليًا على البلاد الى حين حضوره وكتب الى الشيخ بشير جنبلاط يطلب منه ٧٥٠ الف غرش اسعافًا فاعتذر اولاً ثم ارتضى اخيرًا واقام الامير في عكاء اربعين يومًا . ثم اتى الى صيداء فالتقته المناصب والوجوه وحضروا معه الى بيت الدين بموكب عظيم . اما الشيخ بشير فداخله الخوف من الامير لانه كان شريك الامير عباس في اعماله ضد الامير . فقام الى جباع متظاهرًا انه يريد الصيد وارسل رسلاً الى الامير يستعطف خاطره برجوعه كما كان عنده فاجابه طالبًا منه مائة الف الف غرش فادى نصفها ولما رأى ان تأدية المبلغ كله لا يبلغه صفو خاطر الامير عليه نام الى البقاع ثم الى راشيا . والتمس من صالح باشا والي دمشق ان ياذن له بالاقامة في وادي التيم تحت كنفه فاجابه الى ذلك . حينئذٍ نهض اليه من الامراء اللمعيين الامير سلمان واخوه الامير موسى نصر وبعض الشوفيين والمتنيين . اما الامير عباس فحضر الى شملان والتمس من الامير حيدر احمد (مولف هذا التاريخ) ان يتوسط في امره عند الامير فاجابه وكتب للامير بشانه . فقبل التماسه وكتب الى الامير عباس ان يحضر

اليه ويكون طيب القلب . وفيما هو في الطريق ورد اليه كتاب من الشيخ بشير ان يبادر بالحضور اليه الى راشيا . فعدل عن الذهاب الى بيت الدين وتوجه الى راشيا ومعه اخوه الامير حسن ومدبره الشيخ مرعي الدحداح . ثم تبعهما اخوهما الامير منصور ثم الامير حسن الاسلامبولي فكتب الامير الى صالح باشا يخبره ان له على الامير عباس مائتي الف غرش ديناً باقية عليه من المال الاميري ملتمساً تحصيلها منه . فارسل صالح باشا محصلاً الى راشيا ليقبض تلك القيمة منه . فلما طالبه المحصل اجابه ان المال المدعى به هو عند الشيخ بشير فطلبه المحصل من الشيخ فاجاب قائلاً متى رجعنا الى البلاد نتساوى عليه . فوقع الاختلاف بين الامير والشيخ فتوجه الامير الى دمشق يلتمس من صالح باشا رفع الطلب عنه واخذ القيمة من الشيخ فلم يقبل الوزير فعاد الى راشيا . واما الامير بشير فاستدعى اليه الامير سلمان واخاه الامير فارساً الشهابيين والامير حيدر اسماعيل والامير شديد مراد اللمعيين واخبرهم بما كان وابقاهم عنده شهراً مكرمين خشيةً من مواصلة الامير عباس والشيخ بشير . ثم كتب الشيخ بشير ملتمساً من صالح باشا ان يتوسط في امرهم مع عبد الله باشا برجوعهم الى بلادهم آمنين فكتب واجيب طلبه

وفي السنة ١٢٣٩هـ = ١٨٢٣م قصد الامير عباس عكاء ملتمساً من عبد الله باشا صفو خاطره عليه وعلى النازحين جميعاً ورفع طلب المائتي الف غرش عنه فطيب الوزير قلبه وكتب للامير يعلمه بذلك . وارسل الى الشيخ بشير يطلب منه المائتي الف غرش المذكورة . ولما بلغ الامير ذلك صرف الامراء الشهابيين واللمعيين فتوجهوا الى اوطانهم . وفي غضون ذلك قدم من اسلامبول سفيرٌ الى عكاء ومصر يقال له نجيب افندي فحالما عرف الامير بقدومه قدم له النفقات الى جبيل ثم ذهب لملتقاه فبات في الساحل وعند الصباح التقاه عند نهر الكلب وصحبه الى بيروت . وعند الفجر سار تابعاً اياه الى عكاء . ولما بلغ الوزير قدوم الامير متاخراً عن نجيب افندي امر بخروج ارباب دولته لملاقاته بالموسيقى وارسل له جواداً مزيناً . ولما دخل عليه الامير استقبله بالبشاشة وانزله معه في السرايا . واما نجيب افندي فاحب الامير جداً . وخلع عليه ثم سافر الى مصر . واصلح عبد الله باشا بين الامير عباس والامير بشير وانعم على الامير بخلعة الولاية . وفي اليوم الثالث رجع الامير الى بيت الدين صحبة الامير عباس واخذ الشيخ بشير يتشكى للامير حسن من عدم استقامة اخيه الامير عباس . وبعد وصول الامير الى بيت الدين خلع على الامير عباس خلعة الرضى . واتفق الشيخ بشير

مع عبد الله باشا بانه كتب على نفسه سنداً بالمائتي الف غرش يؤديها بعد رجوعه الى بيته · وكتب سنداً اخر بار بمائة وخمسين الف غرش ياخذها من المقتدرين وارسل السندين للوزير فقبل السند الاول ورفض الثاني · وفي اثناء ذلك كتب الشيخ بشير الى الامير سلمان سيد احمد والى اخيه الامير فارس يدعوهما الى محالفته. فلم يجيباه خوفاً من الامير · ثم كتب الامير للنازحين المقيمين في راشيا ان يحضروا الى اوطانهم امنين فحضروا باسرهم · ثم ان الشيخ بشيراً ارسل للامير يستأذنه بالحضور الى بيت الدين لاجل صفاء خاطره عليه فأذن له ولشدة خوف الشيخ منه اصحب معه زهاء الفي رجل ابقاهم تجاه بيت الدين وحضر بنفسه فامر الامير مماليكه وعبيده ان يصطفوا للشيخ في صحن الدار صفين ارهاباً له فدخل الشيخ ومر بفرقة من عصابته بين الصفين ذليلاً خائفاً من الغدر به · فلما دخل الامير وسلم عليه امره بالجلوس فجلس مكتئباً · ثم طيب الامير قلبه وخلع عليه · ثم استأذن الامير ورجع الى المختارة فبلغه ان الامير تكدر خاطره من كثرة الرجال الذين صحبوه فحضر ثانية بنفر قليل متذللاً فامنه الامير · وامره بان يصرف من عنده من اهل البلاد الى اوطانهم ووعده بانه يرجعه كما كان · وفي اثناء ذلك طلب عبد الله باشا من الشيخ المذكور المائتي الف غرش فاعتذر طالباً الامهال فحنق الوزير منه · وفي غضون ذلك كتب العزيز الى والي دمشق ان يطرد الشيخ بشيراً من ايالته · وبلغ الشيخ ذلك فداخله الهلع واخذ يتهيأ · وبلغ الامير ذلك فكتب امراً الى تابعي الشيخ بشير ان يرجعوا جميعاً الى اوطانهم والاَّ فيقعوا تحت القصاص والغضب · فانصرف اصحابه عنه فخاف ونهض ليلاً الى البقاع ومعه الامراء الارسلانيون ومايتا رجل · ثم توجه الى حوران فضبط الامير ارزاقه جميعها · وفي ذلك الوقت كتب الوزير كتاباً الى الامير يستدعيه الى عكاء فسار الامير ولما بلغ الوزير قدومه خرج الى خارج المدينة لملتقاه فترجل له الوزير وصافحه مسلماً واخذ بيده وسارا معاً الى خيمة الوزير واكرمه هناك · وفي اليوم الثاني اخبره الوزير ان العزيز قد طلب مني ان اعد له عشرة الاف مقاتل لبنانيين مشهورين بالشجاعة حين الحاجة وتفاوضا بهذه المهمة عدة مرات · وكتب الوزير الى مناصب جبل الشوف وكسروان كتاباً مضمونه ان العزيز طلب منه ان يهيئ له عشرة الاف مقاتل ليكونوا كباقي عسكره · وانه استدعى الامير وامره ان يهيئهم ويوجه معهم احد اولاده · ويحثهم على سرعة كتابة اسماء المطلوبين · وفيها وجه الامير ولده الامير امين الى مصر مصحوباً

بار بعين جواداً نجدياً يبلغ ثمنها مائة الف غرش كلها بعدد ثمينة . فلما بلغ العزيز قدومه امر ان تلاقيه العساكر بالموسيقي ودخل مصر بموكب عظيم فامر له العزيز بمنزل حسن في الازبكية ثم استدعاه مدبر العزيز اليه ولما اقبل عليه قابله بالانس والبشاشة . وفي اليوم الثاني امر العزيز باحضاره اليه الى شبرا فلما اقبل اليه ترحب به ولاطفه وساله عن والده . ثم ساله عن تجهيز العشرة الاف مقاتل فاجابه انها مستعدة . فقال له اكتب الى والدك انه لم يبق لزوم لذلك ثم استاذنه وانصرف الى منزله . وارسل الخيل للعزيز ولابراهيم باشا وعباس باشا وباقي ارباب الدولة . وكتب العزيز الى الامير جواباً مضمونه ان التسعة الافراس النجدية قد وصلت وحازت القبول . ولما رجع وزير دمشق من الحج طلب من الشيخ بشير المال الذي وعده به فحاول الشيخ بها فتكدر خاطر الوزير عليه . وفي غضون ذلك قدم الشيخ اسعد النكدي الى الشيخ بشير بجماعة وانضاف اليه فنهض من منازل العرب الى اقليم البلان ومعه الامراء الارسلانيون . ومنها الى بعلبك ومن ثم الى المتن . وطلب من الشيخ اسمعيل الملكي ان يكون وسيطاً بينه وبين الشيخ علي العماد وارسل اليه الشيخ اسعد النكدي الى البلاد يطلب منه ان يوفق بين الفئتين الجنبلاطية والعمادية ثم باقي اليزبكية والنكدية على ان الشيخ يؤدي للعمادية خمسين الف غرش ويعطي الشيخ علياً قرية في البقاع . فتوجه الشيخ اسعد فوفق الشيخ اسمعيل بين العمادية والجانبلاطية فقط وشرع علي العماد يحزب الناس ضد الامير

الفصل العاشر

في الثورة ضد الامير بشير المعروفة بحركة المختارة

ثم ارسل الشيخ علي جنبلاط والشيخ علي العماد الى الامير سلمان سيد احمد واخيه الامير فارس والامير حسن اسعد ان يقدموا معهما على الامير فاجابوا سؤله . ثم ارسلا الى الامير عباس اسعد يستشيرانه ويحبيانه بالولاية فاذعن لقولهما . فكتب الشيخان الى الشيخ بشير يخبرانه بما كان ويستدعيانه للحضور الى البلاد . وكتب الى الامراء المذكورين ان ينهضوا حالاً ويحضروا الى المختارة . وهكذا كتبا الى سائر المناصب اصحابهما فلما علم الامير بتأهب هذه الاحزاب للقيام ضده ارسل ينصح الامير عباساً والشيخ علي العماد فلم يقبلا نصحه .

ونهض الشيخ علي العماد الى المختارة . ولما تأخر قيام الامراء من الحدث اضطر الشيخان ان استدعيا الامير عباساً اولاً الى المختارة ليكون قائداً لهؤلاء الاحزاب المتحدين . فنهض . ثم كتب الشيخان المذكوران الى الامير سلمان واخيه الامير فارس والامير حسن اسعد ان يسرعوا بالحضور الى المختارة .

وفي السنة ١٢٤١ هـ = ١٨٢٥ م نهض الامراء الثلاثة ليلاً من الحدث الى المختارة و معهم الامير فاعور علي واخوه الامير امين والامير حسن الاسلامبولي والشيخ امين ابو قبلان والشيخ سيد احمد العماديان . وتوجه الامير فارس الى حمانا ومعه الشيخ قاسم حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد . فحضر اليه من الامراء اللمعيين اولاد الامير نصر واكثر الوجوه . و بلغ الامير ذلك فاستدعى اليه احزابه النكدية والتلاحقة والملكية . وكتب الى عبد الله باشا يخبره فاجابه بكتاب يخبره بانه امر بتوجه العساكر الى صيدا وامرهم ان يكونوا منتظرين طلبه . و يأمره ان ينصح لاولئك العصاة فان لم ينقادوا الى طاعته يداهمهم بالعساكر و يشتتهم . واما باقي الامراء اللمعيين فاجتمعوا في انطلياس . فدعاهم الامير اليه فاجابوه طالبين شروطاً لمصالحتهم فاجابهم وكتب الى الامير ملحم حيدر ان يتوجه و يتعهد لهم و يجمعهم برجالهم و يحضر بهم الى بيت الدين . واما الامراء فارسلوا من المختارة سفيراً يستدعي اليهم الامير حيدر اسماعيل فأيد بنيه واقاربه فابى الامير حيدر مواجهته وتوجه اليهم الامير منصور بشير واخوه الامير نجم ثم لحقهما الامير عساف اسمعيل . وكتب الامراء الى الشيخ الى المني يستنهضونه وفي غضون ذلك اجاب عبد الله باشا الامير انه امر روساء العساكر ان يسرعوا الى الحضور الى صيداء و يكونوا في طاعته . ثم كتب يشدده و يعده بنهوضه الى صيداء و بارسال عساكر . واما الامير ملحم فوصل الى بيت مري واستدعى الامراء اللمعيين فحضروا اليه من انطلياس برجالهم . واما ما كان من الشيخ بشير فانه لما ورد اليه كتاب الامراء والمشايخ من المختارة نهض من المني الى البترون . فكتب الامير الى ابن اخيه الامير عبد الله ان يمسك عليه الطريق . فتوجه الامير عبد الله من غزير الى جبيل . ثم مرّ الشيخ بشير ليلاً حذاء المدينة فلم يتعرض الامير عبد الله لصده . وعند الصباح ابصر ثلثة فرسان من جماعة الشيخ متاخرين فقبض عليهم وسلب ما معهم وقتل كبيرهم . ثم وصل الشيخ الى زوق مكائيل واستنهض المشايخ الخوازنة ان يذهبوا معه الى المختارة فلم يصحبه الا القليل منهم . واما الامير فارس فنهض بمن معه من حمانا الى عين وزيه .

اما الشيخ فلما وصل الى انطلياس ارسل الامراء الارسلانيين الذين معه الى الشويفات والشيخ اسعد النكدي واخويه الى مقاطعتهما ليجمعا رجالها و يوافوه الى المختارة . ثم حضر الى برمانا ثم قام الى حمانا لكي يحزب الوجوه معه . اما الامير فارسل ينصح المجتمعين في المختاره فلم يقبلوا وكتب الى الوزير يخبره وارسل الامير بشير ملحم الى صيداء ليحضر بالعسكر الى السمقانية . فلما بلغ المجتمعين في المختارة ذلك ارسلوا الامير حسن اسعد بثلثمائة مقاتل الى غريفة ليمسك الطريق على عسكر الوزير. ونهضوا ليلاً الى السمقانية قاصدين حرب الامير قبل وصول عسكر الوزير اليه . واستدعوا الامير فارس سيد احمد من عين وزيه ان يحضر اليهم مسرعاً بمن معه . فحضر تلك الليلة الى السمقانية . وعند الضحى في ٥ كانون الثاني (يناير) نهض بعضهم الى مطل بتدين واشهروا الحرب وجعلوا يطلقون الرصاص على السرايا والامير لا يأذن بالحرب . فهاج بعض جماعة الامير وقصدوا الحرب فارسل الامير اليهم ولده الامير خليلاً ليمنعهم وصحبته الشيخ نصيف النكدي برجاله والمشايخ التلاحقة برجالهم فلم يمكنهم صدهم . حينئذٍ تلاهم الامير خليل بمن معه وتسابقت الفرسان والحت الشجعان . و كان عسكر الامراء ظافراً كاسراً واصيب الشيخ علي العماد زعيم الفئة اليزبكية برصاص فرجع . ولحقه اصحابه مكسورين الى السمقانية وظنوا انه خائن فلحقهم عسكر الامير الى هناك وتجددت الحرب . اما الامير بشير ملحم فسار بعسكر الوزير قاصداً السمقانية حيث كانت نيران الحرب مضطرمة ونهض الامير حسن بجماعته من غريفة تابعاً عسكر الوزير ولم يمكنه محاربته . ولما وصل تجاه بعقلين ثار اهلها بوجهه فحاربهم وانكسروا الى القرية وقتل منهم رجلان . فتوسل اليه احد خواص الامير ان يتحول عن القرية زاعماً انه لم يبق فيها سوى النساء واظهر له انه من احلاف الشيخ بشير وانه يروم نصرته لانه من الفئة الجنبلاطية فصدقه ورأى الحرب قائمة في السمقانية فقصد اصحابه . واما الامير بشير ملحم فوصل بالعسكر للسمقانية والقوم في القتال . فتعاظم الخطب واشتد الطعن والضرب ودام الى المغرب . وانفض عسكر الامير الى بتدين فقتل منه رجلان ومن عسكر الامراء تسعة رجال . وفي تلك الليلة رجع الامراء بالعسكر الى المختارة خوفاً و بات الشيخ بشير في كفرنبرخ وعند الصباح انطلق الى المختارة ومن الغد حضر الوزير الى صيداء وكتب الى الامير بشير يشدده . اما الامراء الارسلانيون فتوجهوا ببعض رجالهم الى المختارة وتوجه مصطفى بربر من الشويفات الى بتدين . قيل وارسل الشيخ بشير يطلب الصلح من

الامير سراً . فاجابه ثم اختلفا . ولما خلت السمقانية من عسكر الامراء ارسل الامير الى بعقلين الامير فاعور فعدان محافظاً . ثم حضر كتاب من مصطفى باشا والي دمشق الى الامير مضمونه ان عبد الله باشا طلب منا اسعافكم فعساكرنا منتظرة علمه لاسعافكم . ثم حضر كتاب من علي باشا المرعب يبشر الامير بحضور منصب طرابلس له و يعرض عليه ارسال عساكر لاسعافه معتذراً بان اقامة الشيخ بشير عنده كانت بامر والي طرابلس سابقاً . فاكرم الامير الرسول بخمسمائة غرش وكتب اليه يهنئه بالمنصب . واما الوزير فكان يرسل الميرة والعلائف الى دير القمر يومياً وارسل مدافع ولوازمها لحصار المختارة . اما الامير ملحم حيدر فخضر الى بتدين ومعه الامير حيدر اسمعيل قائد بيه والامير شديد مراد اللمعيان و بعض اقاربهما بنحو الفي رجل فانزلهم الامير في المعاصر واشاع بعض ذوي الغايات ان القصد بثورة المختارة هو لتسلط الدروز على النصارى . وكان ذلك لينفروا الناس من الذهاب الى المختارة فذاعت هذه الكلمة في البلاد . واما الامير امين فلما عرض كتاب والده على العزيز غضب جداً وامر بتجهيز عشرة الاف مقاتل لاسعاف والده . فكتب الامير امين الى والده كتاباً مضمونه انه لما بلغ العزيز ما حدث غضب جداً واقسم بالله انه اذا الجأه الامر يحول سفر كريد الى جبل لبنان ويملأ البحر عساكر وامر بتوجيه عشرة الاف مقاتل صحبة طوسون باشا معنا . فاسترحمنا ابقاء السفر الى ان نعرض لكم ، يأتينا جواب . وحضر كتاب من مدبر العزيز مضمونه كمضمون جواب الامير امين . اما الشيخ خطار تلحوق فكان ساعياً بالصلح نيابة عن عقال دروز الغرب الاعلى والمناصف . وقد خاطب عقال الدروز اهالي الجرد ان ينذروا جميع عقال الدروز المجتمعين في المختارة . وفي غضون ذلك ورد كتاب من الوزير الى الامير مضمونه ان العزيز كتب اليه يحثه على انهاض الهمة نحوه لان هذا الاسعاف عائد اليه . اما عقال الملكية فلما لم تطاوعهم عقال الدروز الذين في المختارة ولم يقبلوا راي الشيخ خطار انفصلوا عن عسكر المختارة بجميع رجالهم . فخاف الشيخ بشير من ان يتبعهم العامية وفي ٢٥ منه توجه الامير فارس سيدا احمد ليباغت بعقلين ليلاً ومعه الشيخ علي جنبلاط والشيخ امين العماد بالف رجل . وتوجه الامير حسن اسعد الى عين وزيه حيث عسكر عقال الدروز . ولما انتشب القتال في بعقلين خاف الامير فاعور واختبأ . فلما بلغ اهل دير القمر ما حدث توجهوا لنجدة اهالي بعقلين فانكف الامير فارس بمن معه راجعاً الى المختارة وقتل من جماعته خمسة عشر رجلاً . وامر منهم اربعون رجلاً وقتل

من عسكر بعقلين عشرة رجال واسر ثلثون رجلاً . وفي الغد نهض الامير بالعساكر الى السمقانية وارسل شرذمة منهم يقيمون تجاه كفر نبرخ لمنع الشيخ ناصر الدين عن انجاد عسكر المختارة . وارسل شرذمة اخرى الى مطل المختارة يطلبون القتال . فلما راءهم عسكر الامراء هاج ونهض للقتال فلما وصلوا الى كروم بقعاتا التقاهم الامير بباقي العساكر هناك واضطرمت نار الحروب واشتد الكفاح والضرب . ثم هجم عسكر الوزير وابن بربر على عقال الدروز المتحصنين في قلعة صخور هناك فانكسروا مدبرين اما الشيخ ناصر الدين فابقى اناساً من جماعته في كفر نبرخ محافظين وشن الغارة على عسكر الامير بمائة مقاتل . فلما اقبل على عسكر الوزير الظافر زأر كالاسد الغضنفر . وصاح بجماعته صيحة عنتر . وهجم على ذلك العسكر من جهة والامير سلمان من اخرى فاوشك عسكر الوزير ان ينكسر وولى الادبار الى معسكر الامير . وحينئذٍ اخذت نار الحرب تستعر ما بين طعن وضرب . واخذ وردٌ وكرٌ وهدٌ ودام ذلك الى الغروب وانصرف كلٌ الى مكانه . فقتل من عسكر الامير سبعة اشخاص ومن عسكر الامراء خمسة عشر رجلاً وامر منهم جماعة . فامر الامير باطلاقهم وارسل الرؤوس الى الوزير وكانت عساكر الوزير نحو ثلاثة الاف . وفي ٢٧ منه ارسل الامير ثلثة من عقال الدروز ينصحون للعقال الذين في المختارة . ونهض بالعسكر من السمقانية الى ظهر الجديدة وابقى عسكراً في بيت الدين خوفاً من الشيخ ناصر الدين لانه بقي في كفر نبرخ محافظاً . وعندما راءهم عسكر الامراء مقبلين زحف لحربهم فتوجه الشيخ علي جنبلاط والامراء الارسلانيون واضرموا نار الحرب فوق الجديدة وارسل الامير فرساناً الى جسر المطمور لكي يعبروا منه الى المختارة ويملكوها . ولما راءهم الامير عباس متوجهين نحو الجسر اخذ شرذمة ومنعهم عن العبور فهجموا مرتين قاصدين العبور فصدهم ولم يفلحوا اما الارناووط فهجموا على فرقة الشيخ علي وكسروهم حتى رجعوا الى جماعتهم عند الجديدة والارناووط تطاردهم واصيب الشيخ علي برصاصة فرجع الى المختارة . ثم ترك طنوس ويوسف المغبغب سلاحهما ووضعا ظهريهما لدحرجة صخر فدحرجاه واقتدى بهما اكثر العسكر بدحرجة الصخور من على ظهر الجديدة على فرقة من عسكر الامراء فنشتتوا وتقهقرت اصحابهم عابرين النهر الى جانب المختارة الى المرجة التي فوق الجسر وعندها اطلق العسكر عليهم المدافع فاهلكوا منهم خلقاً . وعند المساء رجع كلٌ الى مكانه وقتل من عسكر الامراء اربعون ومن عسكر

الامير عشرة رجال . فاستعلم الامير عن الذي اخترع دحرجة الصخور ولما عرف ذلك كافأهما بمبلغ من المال . وفي تلك الليلة انصرفت رجال الشوف الى اماكنهم . وفي الغد ارسل الامير سفيراً من مشايخ عقال الدروز[1] الى المختارة ينصح للعسكر

---

[1] لربما احد اوجه عائلة امين الدين . لان الامير كان قد ارسل في اول حكمه شيخ مشايخ العقل للدروز حينئذٍ الشيخ احمد امين الدين فانه ذهب بنفسه الى المختارة وهناك حتم على جميع العقال وعلى الشيخ بشير ايضاً بلزوم المصالحة وانجح في مهمته وكان سبب المصالحة فسر منه الامير بشير لاجل هذه الخدمة واحبه واكرمه واجله كثيراً وصار عنده من اعزاء الناس وكان يعتمد عليه في كثير من الامور . ولما توفي حضر الامير بنفسه ماتمه مع الشيخ بشير جنبلاط في عبيه ولما ودعا الى اول البلدة حملت جثته لملاقاتهما وحالما وقع نظرهما عليها ترجلا وامسكا بالنعش فتوسل اليهما اعيان البلاد بترك النعش فتركاه وكان حزنهما عليه شديداً . وكان الامير بشير يلقبه بالشيخ الرضي واكرمه حتى في مماته اذ بنى له قبة جميلة وحجرة مزخرفة الداخل منقوش عليها تاريخ جميل نظمه شاعر الامير المعلم بطرس كرامه بامر مولاه وهو

من زار تربة احمد نال المنى وحظي بطالع كوكب الانوارِ
يا سعد قصادٍ انت واستنشقت ريح الشذا من ذلك المطارِ
هذا امين الدين احمد من وفى حق العبادة للاله الباري
فاهدوا اليه البشرى بالتاريخ بل هنوه في فردوس تلك الدارِ

سنة ١٢٣٤

واما اخوه الشيخ يوسف فمات بدون عقب . والشيخ حسين ولد الشيخ امين الدين الذي كان مشهوراً بالكرم ووقوراً محباً للناس ومحبوباً ومكرماً من الجميع . وعرضت عليه وظيفة قائممقام الشوف قديماً عن يد احمد باشا الصلح الذي حضر بنفسه الى عبيه نزيلاً في داره والح عليه كثيراً في قبولها فلم يقبل . ولما طبع الكولونل تشرتشل الانكليزي كتابه في اللغة الانكليزية ذاكراً تراجم اعيان لبنان ذكر ترجمته ونقش رسمه فيه وكانت وفاته سنة ١٢٧٨ هـ . وولد الشيخ امين الدين اربعة اولاد منهم الشيخ احمد الذي كان عضواً في مجلس ادارة لبنان مدة ١٢ سنة وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ ومنهم الشيخ رشيد وهو اصغرهم سناً ولد سنة ١٢٨٢ هـ وتربى في دور المجد ونشأ فيه وشب

قائلاً ان من يسلم الى الامير فله الامان ماخلا الامراء الشهابيين والشيخ بشيرا ٠ وعند المساء انصرف الامراء الملعيون برجالهم الى المتن وانصرف الامير حسن والامير قاسم ارسلان ونزلا على ابن بر بر في الشويفات ٠ وفي ٣١ منه لما رأى الامراء الشهابيون والارسلانيون والمشايخ ذلك فروا من المختارة ليلاً الى جزين قاصدين حوران ٠ ولما بلغ الامير فرارهم كتب الى عبد الله باشا يخبره وكتب الى ولده الامير امين ان يعرض للعزيز ما توقع ٠ ثم جهز الامير عسكراً وارسله صباحاً صحبة ولده الامير خليل والامير بشير ملحم ليقبضا على من يدركانه ٠ فوصل الاميران الى المختارة و بعذران ونهب عسكرهما وسلب حلى وثياب نساء المشايخ الجانبلاطيــة الثمينة ٠ وتبعوا اثار المنهزمين الى جزين فنهض هؤلاء من جزين الى خان حاصبيا ومنه الى مجدل شمس ٠ وتوجه الشيخ علي جنبلاط الى قرية عرنة في اقليم البلان واختبأ هناك ٠ وسار الامير خليل في طلبهم ظاناً انهم في مرج عيون ٠ وارسل الامير ولده الامير قاسماً الى المختارة لاعطاء الامان وعنــد ذلك وفد الى صيداء مأمور من قبــل العزيز بار بعين هجيناً وذلك في ستة ايام فالتقاه الامير وسر عسكر الوزير الى الطريق ولما وصل الى بتدين اعطى الامير كتاب العزيز ٠ وكان مضمونه انا عينا ولدنا طسون علي بك سرعسكر على الفي فارس واربعة الاف راجل من عساكرنا النظامية بالمهمات الحربية وامرنا ولدكم الامير امينًا ان يسير معه ٠ وارسلنا الان المأمور وصحبته تتر لكي يعلم المتوقع و يرجع التترحالاً لتوجــه العسكر فتشجعوا فانا نبيد لكم هولاء الاشــقياء ٠ ما الامراء والمشايخ فوصلوا الى مجدل شمس وكتب الوزير الى الامير جواباً يمدح شجاعته اوارسل له سيفاً مجوهراً وفرواً ثميناً وحلةً من ملابسه ٠ وكتب الى قواد عساكره ان يجدوا في طلب المنهزمين اينما توجهوا ٠ وكتب الى والي دمشق ان يمسك عليهم الطريق اما هم فباتوا في قرية مجدل شمس ٠ ووجه الامير بشير الامير ملحم حيدر الى المتن لقصاص المذنبين وارسل احد قواده الدروز الى المتن ليقبض على من يحضر الى البلاد من النازحين ٠

عليه وسار على حداثة سنه سير الاشراف الكبار وهو الان اوجه آله وله اعتبار ومقام عند اولياء الامر في لبنان لرقة طبعه ولين جانبه وكرم اخلاقه ٠ وقد تقدم ان هذه العائلة من العائلات الاربع التي تتزوج من آل جنبلاط وتزوجهم ويكون الشيخ رشيد هذا خال سعادتلو نسيب بك جنبلاط الشهير ولهذه العائلة املاك و بنايات شهيرة في عبيه وسلفايا ورمحالا والبنيه وعرمون وبعورته وعين درافيل وعين عنوب وكفرمتى)

و بينما كانت الامراء والمشايخ في مجدل شمس واذا بتتري آت من عند عبد الله باشا الى وزير دمشق يخبره بانفضاض جمع عسكر المختارة ملتمساً منه ان يوجه عسكراً ليمسك عليهم طريق حوران . فعدل الامراء الشهابيون عن المسير الى حوران خشية من توسطهم بين عسكر عكاء وعسكر دمشق . فانكر الشيخ بشير رأيهم محتجاً بانهم يسبقون عسكر دمشق فلا يدركهم في موضع يخشون منه فلم تطاوعه الامراء حذراً من الخطر بل انقلبوا راجعين الى عرنة وبقي معه الامير حسن الاسلامبولي . ثم قام الشيخ بمن معه قاصدين حوران فوصلوا الى قرية جبا ثم الى قرية نوا من اعمال الجيدور اما الامير خليل فنهض من مرج عيون الى قرية بيت جن . فلما بلغ الامراء قدومه فروا في تلك الليلة الى قرية برقش في جبل الشيخ ثم الى جب جنين . ثم قدم اليهم الشيخ ناصر الدين فارسلوا سفيرين الى الامير بشير ملحم والامير ملحم حيدر ومصطفى بربر يلتمسون منهم ان يكونوا وسطاء في انعطاف خاطر الامير عليهم والصفح عنهم ورجوعهم الى بلادهم آمنين . وانتقلوا الى قرية مجدل عنجر ينتظرون الجواب . وعند ذلك انصرف عنهم الامير فاعور واخوه الامير امين علي قاصدين الامير حيدر في شملان (هو مؤلف هذا التاريخ) ليكون وسيطاً في الصفح عنهم . اما الامير فوجه الامير بشير ملحم الى الشويفات لقصاص المذنبين وغرم الاميرين حسناً وقاسماً الارسلانيين بخمسة وعشرين الف غرش . واما الشيخ بشير والمناصب رفقاؤه فلما كانوا في قرية نوا وفد اليهم عسكر دمشق واخذ القائد يخادعهم مع رسله ليسلموا له ضامناً رضى وزير دمشق عنهم . ثم طلب مواجهة الشيخ علي العماد فتوجه اليه فاقسم القائد له واقنعه بانهم اذا سلموا سلموا والبسه على راسه كلبس الدالاتية اصحابه دلالة على انه صار كواحد منهم فاطمأن ورجع الى الشيخ بشير فاقنعه بذلك . فسلم وتبعه ولداه الشيخ قاسم والشيخ سليم واولاد اخيه الشيخ حسن وهم الشيخ قاسم واثنان صغيران وتبعهما الشيخ خطار علي والشيخ امين العماديان والشيخ نجم جنبلاط . ففر الامير حسن الاسلامبولي والامراء الارسلانيون الثلثة واولاد الشيخ سلمان النكدي الثلاثة ومقدما حمانا والمشايخ الحبيشيه والدحادحة . ففر هؤلاء الى الوعرة . فاقام الامير حيدر بجبل حوران وسار اخوه الى عكار ثم الى اللاذقية وفر الباقون الى عكار . واما القائد فذهب بالمشايخ وبات بهم في الطريق وسلب سلاحهم وخيلهم وامتعتهم واموالهم وفعل هكذا بمن معهم وسار بهم الى دمشق مذلين . ولما دخلوا السرايا وقابله مصطفى باشا امر ان يقطعوا الشيخ علياً العماد بالسيوف فقطعوه وسجن باقي المشايخ في القلعة وعرف عبد الله

باشا بما كان . وحدث من ذلك فتنة بين ذلك القائد وكبير الدالاتية في دمشق لاجل تلك الخيانة . اما الامير خليل فلما وصل الى عرنة انتقل الشيخ علي جنبلاد الى مغارة عرنة وتوفي فيها . ولما تحقق الامير خليل ان الامراء في البقاع قدم بالعسكر قاصداً طردهم فنهضوا من مجدل عنجر الى بلاد بعلبك . ثم الى قرية زينا في بلاد حمص قاصدين بلاد عكار فخافوا ان علي باشا المرعب لا يدعهم يقيمون في بلاده . ولما بلغ الامير خليلاً فرار الامراء من البقاع رجع بعسكره الى بيت الدين و بلغ الامراء رجوعه فعادوا الى بلاد بعلبك وهناك بلغهم ما حل بالمشايخ في حوران فعولوا على الرجوع الى البلاد نزلاء على اقاربهم ففارقهم الشيخ ناصر الدين نحو قرى دمشق . ثم اتت الامراء الى البقاع واجمع رايهم على الحضور ملتجئين الى الامير بشير ملحم والامير ملحم حيدر . اما عبد الله باشا فالتمس من والي دمشق ان يرسل المشايخ اليه فابى فراجعه محتجاً ان هؤلاء المشايخ من بلادي وهم الذين انشأوا الفساد في البلاد فيجب ان ترسلهم الي لا قاصصهم واودبهم . اما الامراء فاتوا من قرية مكسة الى حمانا . ولما خرجوا من القرية اتين في المتن رآهم احد قواد الامير المقيم في الشبانية فعرض الى الامير ملحم المقيم وقتئذٍ في الراس والتقاهم بمن معه فادرك الامير سلمان متأخراً عند دير الكحلونية فاخذ القائد يخادعه بالتسليم فانخدع وسلمه سلاحه فادخله القائد الدير ولما وصل الخبر الى الامير ملحم حضر ومعه بعض الامراء اللمعيين . و بلغ الامراء اصحاب الامير سلمان ما جرى عليه فرجع اخوه الامير فارس والامير عباس اسعد ليتحققا الخبر ولم يكن في رجوعهما فائدة سوى اتمام القول القائل اذا وقع القضاء عمي البصر . فلما دخلا الدير فعل بهما كالامير سلمان مع ان كلاً من الامراء الثلاثة لو هجم على هذا القائد لفر بجماعته مذعوراً . واما الامير حسن والامير منصور فلما عرفا ما حل بالامراء انهزما الى الساحل واختبئا . ثم سارا ليلاً الى طرابلس . اما القائد فابقى الامراء في الدير منتظراً امر الامير . فارسل الامير ملحم يطلب الامراء من القائد الى راس المتن . فتوجه بهم اليه . وفي اليوم الثاني حضر الامير خليل مرسلا من قبل والده الامير بطلب الامراء الى بيت الدين ولما وصل الى دير الكحلونية . ارسل يطلب الامراء المذكورين من الامير ملحم فحضر بهم اليه ومعه بعض الامراء اللمعيين العازمين ان يتوجهوا معهم الى بتدين ليسترحموا العفو عنهم ولما وصل الامراء الى بيت الدين امر الامير بسجنهم . ثم امر بسمل اعينهم وقطع رؤوس السنتهم ورجوعهم الى منازلهم . اما الامير سلمان فلحول في عينيه بقي له عين

ينظر بها . وبعد زمان التمس من الامير ان ياذن له بفتح جفنها فاذن له وصار يقرا و يكتب (اما البقية فصرفوا حياتهم عميان مقصوصي الالسنة و بقوا على ذلك كل ايام حيوتهم وكثير للان احياء من اللبنانيين الذين شاهدوهم على هذه الحالة منهم الامير عباس في عين كسور وقد نظم بعضهم اغنية من نوع الزجل البسيط لاتزال على السنة كثيرين من العامة مشيرة الى هذه الحادثه منها « يابو العيون لوازي . تجرح بحد الكاز . من بعد مشي الغندرا . تمشي على العكاز . الخ)

اما عبد الله باشا فكتب الى الامير ان يهدم جامع المختارة لان الدروز غير اهل له فهدمه . وارسل الامير عبد الله حسن بفرمان الى المتن يثقلون على الامراء اولاد الامير ناصر اللمعيين . اما رسول العزيز فعند انصرافه من بتدين الى مصر اكرمه بخمسين الف غرش وجوادين مزينين واسلحة وملابس فاخرة . واما المشايخ فارسلهم وزير دمشق الى عكاء فلما دخلوها امر الوزير بسجنهم فسجنوا . ثم كتب الامير الى الوزير يوضح له ذنوب الشيخ بشير وانه هو اصل الثورة وان الفساد يبقى في البلاد مادام حيًّا فاجابه الوزير اني سوف اجعله عبرة . ثم دعاه الوزير اليه وطيب قلبه وانعم عليه بحال وارسله الى الحمام . ولما بلغ الامير ذلك ارسل احد خواصه حالاً الى مصر مصحوبًا بكتاب الى ولده الامير امين ليلتمس من العزيز كتابًا الى عبد الله باشا ليعدم الشيخ المذكور لاجل الراحة . ولما بلغ العزيز ذلك ارسل الى عبد باشا سفيرًا بذلك الشان فكتب الامير اليه يلتمس منه قتل الشيخ امين العماد معه . فامر الوزير بقتلهما خنقًا وابقاء جثتيهما مطروحتين امام باب عكاء ثلثة ايام وكتب الوزير الى الامير يخبره بما فعل فارسل الامير يلتمس منه اطلاق الشيخ نجم بن علي ابن بشير بن نجم فاطلقه ولما توجه الى بيته غرمه الامير بخمسة وعشرين الف غرش . ثم سلم الامير اقليم جزين واقليم التفاح وجبل الريحان لولده الامير خليل . والعرقوبين لولده الامير قاسم والشويفات الامير بشير ملحم ومعاطاة امور الامراء اللمعيين للامير ملحم والغرب الاسفل عدا الشويفات للمشايخ التلاحقة والشوف للشيخ حمود والشيخ نصيف النكديين واقليم الخروب للشيخ حسين حماده البعقليني (هولاء بيت حمادة الدروز وليس بيت حمادة الاسلام الموجودين في شمالي لبنان في شمسطار وغيرها من البكاليك) وجرم المذنبين وصفت له الايام . واما الامير حسن واخوه الامير منصور فتوجها

من طرابلس الى اللاذقية . ومن هناك توجه الامير حسن الى حلب . ومنها الى مصر . ورجع الامير منصور بعد سنة الى داره . واما الامير حسن الاسلامبولي فانتقل من عكار الى طرابلس فارسل اليه الامير رجلاً يقتله بالحيلة . ولما لم يمكنه ذلك اطلق عليه الرصاص فاخطأه وفرّ الرجل هارباً . فارسل علي باشا المرعب رجالاً يقبضون عليه فلم يجدوه . وفيها اتى الامراء الارسلانية من طرابلس فطيب الامير خاطرهم ولما طلب منهم مالاً فروا راجعين الى طرابلس . وفيها صرف العزيز الامير امينًا الى بلاده مغموراً بالاكرام فلما بلغ عكاء استقبله الوزير بالاعزاز واكرمه وحضر الى بيت الدين وكانت اقامته في مصر سنة وشهراً

وفي السنة ١٢٤٢هـ=١٨٢٦م قدم ليلاً ثلثةعشر مركباً من الاروام الى تجاه برج ابي هدير وخرج منها عسكر الى البر ونصبوا السلالم شرقي بيروت على السور وقدمت المراكب الى الميناء وعند الصباح دخل بعضهم المدينة بواسطة السلالم واطلقت المراكب المدافع عليها فاضطرب المسلمون وهجموا على الاروام الذين دخلوا فصدوهم وقتلوا منهم نفراً فانهزم الباقون الى اصحابهم خارج السور وتجدد الحرب ثانية فاقلعت المراكب الى الغناس وارتد عسكرهم للمراكب وقتل منهم سبعة رجال ومن المسلمين خمسة . فكتب متسلم بيروت الى الوزير كتاباً يخبره بما توقع . فلما بلغ الامير ذلك ارسل ولده الامير خليلاً ببعض الخدم الى حرش بيروت وكتب الى مناصب البلاد ان يوافوه الى هناك . وفي الغد نهض بعسكر الى الشويفات . وفي اليوم الثاني سار بهم الى حرش بيروت فتواردت اليه المناصب برجالهم وحضر اليه اهل المدينة يمدحون همته وحماسته . وفي غضون ذلك قدم مدبر الوزير من عكاء الى المدينة . فلما نظرت الاروام توارد العساكر وكثرة الجموع اقلعوا سائرين الى بلادهم . اما مدبر الوزير فحضر الى حرش بيروت لمواجهة الامير . وحينئذٍ رجع الامير الى بتدين وانصرف عسكره . واما الاسلام فقدموا الشكوى على النصارى بان حضور الاروام كان بوسيلة منهم . وانهم قبلوا بعضاً من الذين دخلوا المدينة فامر المدبر بالقبض على النصارى فهاج المسلمون ثائرين للانتقام . ولما شعر النصارى بذلك شرعوا يهربون الى الجبل فقبض المسلمون على من ادركوه منهم فامر المدبر بسجنهم وبتقييد بضائعهم في حوانيتهم وتوجه القاضي فاتم الامر فقد من البضائع نحو ربعها الذي يبلغ ثمنه نحو ثلثمائة الف غرش . فلما علم الامير بذلك كتب الى الوزير يخبره بذلك ويلتمس منه اطلاق الاسرى وارجاع الاموال

فاجابه وكتب اليهم كتاب الامان وامر المدبر باطلاقهم فاطلقهم وكتب للامير ان ينبه على الهاربين بان يرجعوا الى اوطانهم امنين و يسكنوا مطمئنين فرجعوا وسار المدبر الى عكاء · وارسل الوزير فرفع المحافظين المسلمين ووضع مكانهم ارناووط فاغتاظ المسلمون من ذلك · ولما بلغ الوزير غيظهم غرمهم بمائتين وخمسين الف غرش ·ثم ان الوزير اهدى الامير ظرف فنجان قهوة مجوهراً · و بعد ايام طلب منه مائتي الف غرش قرضاً ·فوزعها على البلاد وجمعها وارسلها له ولم يحاسبه بها عند تادية المال الاميري · وفيها سار الامير امين ارسلان الى دمشق لملاقاة علي باشا المرعب الآتي من الحج ثم التقاه الى حوران وحضر معه الى طرابلس · ثم سار هو واخواه مع الباشا الى علايا

وفي السنة ١٢٤٣ هـ = ١٨٢٧ م احدث وزير دمشق مظلمة على سبع عشرة قرية من البقاع فامر الامير اهل تلك القرى اللبنانيين ان يرجعوا بمالهم الى بلادهم فرجعوا فخربت البقاع · فارتضى وزير دمشق حينئذٍ باخذ عشرين الف غرش من تلك القرى وكتب الى الامير كتاباً مضمونه انه رتب العشرين الف غرش عوضاً عن المال الاميري والقسم (الثلث) · وفوض الامير بذلك · وانه بعد تلك السنة يرجع القرى الى عوائدها · وفيها رجع الامراء الارسلانيون الى عكار ثم الى دمشق · ثم سار الامير احمد واخوه الامير امين الى حوران · وفيها طلب الامير سعد الدين والامير سليم واليا حاصبيا من الامير المعونة على طرد العسكر الذي ارسله وزير دمشق لعزلهما · فارسل يخاطب الامير افندي مزاحمهما على الولاية ان يعدل فامتثل وصرف العسكر · وفيها تنحى الشيخ منصور مدبر الامير عن الخدمة فرتب له الامير نفقة

وفي السنة ١٢٤٤ هـ = ١٨٢٨ م طلب الوزير من الامير خمسمائة الف غرش قرضاً فوزعها الامير على البلاد واداها له · وفيها كتب حنا بك البحري من مصر الى الامير يستعطفه برجوع الامير حسن اسعد الى داره آمناً فاجابه وحضر الى داره · وفيها حضر الامير حسن الاسلامبولي الى وادي التيم نزيلاً على اقاربه فكتبوا الى الامير يلتمسون منه الصفح عنه فاجابهم الى ذلك فحضر الى دار اخيه الامير اسعد في الحدث فغدر به اخوه المذكور وقتله احد خدمه ليلاً وهو نائم · وفرّ الامير اسعد الى نواحي طرابلس · فارسل الامير رجالاً في طلبه فاحضروه غير خائف لكونه لم

يغدر باخيه بدون ترخيص له فصفح الامير حالاً عنه

وفي السنة ١٢٤٥ هـ = ١٨٢٩ م امرت الدولة باخذ قسم الثلث من غلال البقاع فعرض اهلها الامير يستغيثون به فكتب الى الوزير يخبره مستشيراً فكتب الوزير الى نائب وزير دمشق برفع القسم وبعد المداولة انتهى الحال على تأدية عشرة الاف غرش فارتفع . وفيها سلم الامير الاحكام وفصلها لولده الامير امين .

الفصل الحادي عشر

في حرب سانور المشهور

وفيها كتب الوزير الى الامير ان يهيء له من بلاده الفي مقاتل لفتح قلعة سانور رغماً عن النابلسيين العاصين فهيأهم من جميع مقاطعات البلاد . ثم كتب اليه ان يوجه الرجال صحبة احد اولاده فجمع الامير الرجال الى بتدين ونهض بهم الى جسر الاولي ومعه ولده الامير خليل وحفيده الامير محمود وخيم هناك

وفي السنة ١٢٤٦ هـ = ١٨٣٠ م في ثالث كانون الثاني (يناير) نهض الامير بالعسكر من نهر الاولي الى عكاء . فامر الوزير ان تلتقيه العساكر بالموسيقى فالتقوه وامر بنزوله في قصر البهجة ونزول عسكره حوله في الخيام فنزل . وفي الغد ارسل الوزير يدعوه اليه الى المدينة فتوجه باربعة من حاشيته . ولما اقبل على المدينة امر الوزير ان تلتقيه ارباب دولته فالتقوه . ولما دخل على الوزير استقبله بالبشاشة والاعزاز وانعم عليه باسلحة ثمينة . وفوضه في فتح تلك القلعة . ثم استاذنه الامير ورجع الى منزله . وفي الغد دعاه الوزير اليه فسار ومعه ولده وحفيده وبعض اتباعه . فانعم الوزير عليه بخلعة سنية وجواد مزين . وانعم على الامير خليل وولده بسلاح ثمين وحث الامير على الاهتمام باخذ القلعة قائلاً ان لم اخذ هذه القلعة اقتل نفسي . فاجابه الامير اني لا افتأ اهجم عليها برجالي حتى ادخلها فدعا له الوزير بالتوفيق . وكتب الى الامير امين كتاباً مضمونه ان يكون منفذاً للاوامر كوالده . ولما رأى الامير احتياجه الى زيادة العسكر كتب الى ولده الامير امين ان يجمع عسكراً ويرسله اليه . ونهض بعسكره الى مدينة الناصرة وخيم خارجها . وفي الغد نهض الى قرية جنين وعند الصباح سار الى تجاه قلعة سانور فالتقاه الوزير وجميع رؤساء العسكر بالموسيقى واطلاق البنادق .

وتجدد الحصار على القلعة باطلاق المدافع فانهدم اكثر اعاليها . وارسل الامير رجاله يسكون الطريق على الآتين من نابلس الى المزار المحاذي القلعة . وفي تلك الليلة رأى اولئك الرجال اناساً نابلسيين قادمين الى ذلك المزار فاطلقوا عليهم الرصاص وقتلوا منهم نفراً وهرب الباقون . وفي ذات ليلة خرج المحاصرون من القلعة ودهموا الارناووط النازلين قرب المدافع . وانتشب الحرب بينهم فانكسرت الارناووط وهجم النابلسيون على المدافع ليأخذوها وظل باقي عسكر الوزير متربصاً . فارسل الامير جماعة وهجموا على النابلسيين فانهزموا الى القلعة . واقترب عسكر الامير الى حائطها . وكانت النساء تغمس اللحف بالزيت وتشعلها وترميها من القلعة خارجاً لتنظر رجالهن عسكر الامير ويطلقوا عليه الرصاص . ودام القتال الى الصباح فقتل من عسكر الامير احد عشر رجلاً . ودام القتال بعد ذلك ثلاثة ايام وفي غضون ذلك حضر الامير عبد الله حسن الى هناك . ثم تجمع النابلسيون الخارجون عن الحصار ومعهم ثلثمائة فارس من العرب واتوا الى قرية عجة وقرية العنذقومية القريبتين من العسكر قاصدين منع العسكر عن ورود الماء واضيف اليهم جماعة حتى صاروا جيشاً وافراً واطلقوا فرسانهم الى ذلك المقصد وفي ذات يوم توجه من العسكر جماعة يستقون الماء فغارت عليهم الفرسان فانهزموا . فادركوا منهم اثنين من خدم الامير وقتلوهما . وفي اليوم الثاني توجه جماعة من العسكر ايضاً ليستقوا الماء فغاروا عليهم وقتلوا منهم نفراً . وعند الظهيرة توجه جماعة اخرى يستقون الماء فغاروا عليهم وانتشب الحرب بينهم فبادر لنجدتهم بعض عسكر الامير بغير امره وعلمه . فحين بلغه ذلك نهض مع ولده الامير خليل وحفيده الامير محمود ليمنعوهم عن القتال لانهم كانوا حينئذٍ غير مرتبين له . ولما رأى الشيخ نصيف النكدي ذلك اصحب معه نحو مائتي رجل من دير القمر وباقي رجال المناصف ونهض ايضاً الشيخ حسين والشيخ فارس التلحوقيان بنحو مائة رجل من رجالهما وهجموا جميعاً على القوم المجتمعين في صحراء عجة فانهزموا الى تلك القرية فجدوا في اثرهم وحاصروهم فيها . فانهزموا منها فاحرقها العسكر واعمل في اقفيتهم السلاح فتشتتوا وقبضوا على المحاصرين الباقين منهم في القرية وجعلوا يذبحونهم كالغنم . فقتل منهم ٦٩ رجلاً واعتقل ١٤ رجلاً بعضهم من المشايخ بني الجرار وقتل من عسكر الامير ١٤ رجلاً فارسل الامير تلك الروس التي قتلها من الاعداء الى المدبر فارسلها الى الوزير . اما الشيخ نصيف فلما حضر الى خيمة الامير استقبله بالبشاشة والاكرام

وقبله وامر له بفرس من الخيل الجياد مزينة . ثم لما وصلت الرؤوس والاسرى الى الوزير كتب الى الامير كتاباً يمدح به همته ودرايته وشجاعته . وفي اليوم الثاني سار بعض من عسكر الامير مع عسكر الوزير الى تلك القرى طلباً للنهب فاختشى الامير من وقوع الفتنة فوجه الامير بشير ملحم والامير عبد الله حسن ليرجعا جماعته فادركاهم عند قرية كفر راعي حيث كان النابلسية . واذا بنار الحرب قد اضطرمت بين العسكر والنابلسية . فانهزمت النابلسية من المتاريس الخارجة الى داخل البلد وتحصنوا فيها فدخل اليها العسكر وشرع يحرقها فانهزم النابلسية منها وقتل منهم ١٦ رجلاً وقبض على نفر فالتهى العسكر بالنهب . فارتدت النابلسية عليه وقتلوا منه ١٧ رجلاً فانصرف كلٌّ الى مكانه . وفي الغد وجه الامير ولده الامير خليلاً والشيخ نصيفاً النكدي بقسم من العساكر ليحرقا القرى القريبة من العسكر . فلما ابصره النابلسيون فروا من تلك القرى فاحرقها العسكر . ثم سار الامير بعبيده ومماليكه فوجد قرية في طريقه فامرهم بحرقها فحرقوها فوقع الرعب في قلوب النابلسية ومن شدة خوفهم بدأوا يسلمون للامير فئةً فئةً . اما الوزير فاستدعى مشايخ نابلس الذين كانوا عنده في عكاء واخذ يتهددهم قائلاً اما تعلمون ان رجال الامير اللبنانيين مشهورون بالشجاعة والبطش واميرهم هذا ما سار في مهمة الا وايده الله فيها ونصره على اعدائه . اما سمعتم كيف شتت عساكر يوسف باشا الكردي والي دمشق في قرية عرطوز وكيف ظفر بعساكر درويش باشا في راشيا وهزمهم الى دمشق وكيف ظفر في واقعة المزة وكيف شتت شمل عساكر المختارة . فلما سمع المشايخ كلامه ارتعدوا وجعلوا يعتذرون اليه قائلين ان ما فعله اصحابنا في نابلس لم يكن بعلمنا اصلاً . ثم تعهدوا له بمال وافر نفقة للعساكر فانعم الوزير عليهم بخلع وصرفهم في بلادهم كما كانوا وسلمهم كتاب الامان للنابلسيين وبني الجرار واسعد بك طوفان مهيجهم . ثم وضع المشايخ اولادهم رهناً عند الوزير وخرجوا من عكاء . اما اسعد بك فسار الى مدينة نابلس فاعطاه الامير الامان وطيب قلبه فجعل يتعاطى امر الصلح وتسليم القلعة . ولما تمَّ ذلك وانتشرت اعلام الامان وطفق المشايخ بنو الجرار واصحابهم يخرجون من القلعة بعيالهم واموالهم وامتعتهم ارسل الامير ولده الامير خليلاً يحافظ عليهم في الطريق الى ان يصلوا الى اوطانهم . وكانت مدة الحصار ثلاثة اشهر فامر الوزير بهدم القلعة ودكها الى الاساس وخرب مغائرها وهدم ابارها والبس مدافعه

جوخاً احمر دلالةً على انها هي التي فتحتها وكتب الى الامير امين كتاباً يبشره بفتح القلعة وهدمها ويخبره ان ذلك من همة الامير بشير الده . وكتب الى المدبر والامير ان يقوما بالعسكر الى عكاء فنهضا ولما وصل الامير الى ظاهر عكاء ارسل الوزير يامره بعدم الدخول الى المدينة لوجود الطاعون فيها . فرجع بعسكره الى بلاده مغتاظاً من الوزير لاشاعته ان الفعل كان لمدافعه . فالتقاه الامراء اقاربه ومناصب البلاد والوجوه الى صيداء ثم حضر الى بتدين مويداً . وفيها رجع الامراء الارسلانيون من حوران الى دمشق فاستدعاهم عبد الله باشا فانحدروا الى عكاء فرتب لهم محلات اقامتهم وامرهم بالاقامة في يركي ثم سار الامير امين الى دمشق ثم الى حوران

وفي السنة ١٢٤٧ هـ = ١٨٣١ م امر الامير برجوع نزاح الدروز الى البلاد لحضر الشيخ ناصر الدين العماد وبعض طوائف الدروز . ثم امر الوزير برجوع اولاد الشيخ بشير جنبلاط من قرية يركي الى عكاء . ثم حضر اولاد الشيخ حسن جنبلاط . ثم قدم الامير امين ارسلان الى دمشق ثم الى وطنه . ثم قدم اخوه الامير حيدر اليه فاستماحا من الامير العفو فطيب خاطرهما وامرهما بالاقامة في مواطنهما ورفع الضبط عن املاكهما . وفيها كتب الوزير الى الامير ان يوجه ولده الامير خليلاً بعسكر من البلاد الى جسر ابي قيس حيث عساكره موجودة لاسعاف سليم باشا المحاصر في قلعة دمشق . ثم عدل وكتب الى الامير ان يرسل عسكراً لطرد عسكر سليم باشا الذي حضر من دمشق الى البقاع هارباً فارسل الامير عسكراً وطرد ذلك العسكر

الفصل الثاني عشر

في غزوة ابرهيم باشا ابن محمد علي باشا سوريا ومساعدة الامير بشير له

وفي هذه السنة ارسل محمد علي باشا عزيز مصر ولده ابرهيم باشا بجيوشه من مصر لحصار عكاء ولما وصل الى يافا كتب عبدالله باشا الى الامير يستدعيه اليه برجاله فامر الامير رجال جميع المقاطعات ان يتهيأوا للسفر . ولما وصل ابرهيم باشا بجيوشه الى صحراء عكاء كتب الى الامير يستدعيه اليه ولما ابطاء كتب ابراهيم باشا الى والده يخبره فغضب العزيز من الامير وكتب له يتهدده بانه اذا تأخر عن الحضور الى ولده ابراهيم باشا يخرب مساكنه ويغرس موضعها تيناً . ثم توجه الامير بمائة فارس الى ابرهيم باشا . وبينما كان في الطريق

التقى برسول العزيز ذاهباً اليه الى بتدين فاخذ الكتاب منه وتلاه وظل ذاهباً الى صحراء عكاء . ولما اقبل على المعسكر خرج لملتقاه الامير الاي بعسكره وبعض قواد العساكر بالموسيقى واطلاق البنادق وتبعهم مصطفى بربر وحنا بك البحري رئيس الكتبة ودخلوا به المعسكر بموكب عظيم ونزل في الخيمة المعدة له قرب خيمة الوزير . وكان ابرهيم باشا حينئذ يجول بين الجيوش والحرب قائم على عكاء . ولما رجع مساءً استدعى الامير اليه والتقاه احسن ملتقى وكتب الى والده يخبره بطاعة الامير وحضوره . فكتب العزيز الى الامير كتاباً يمدح به همته وصدق خدمته . وفي ذات يوم نصب عبد الله باشا اعلاماً بيضاء على سور عكاء فامر ابرهيم باشا بتوقيف الحرب فارسل عبد الله باشا مدبره الى ابرهيم باشا لاجل المفاوضة في امر الصلح . وعند ذلك ورد امر الى عبدالله باشا يشدد همته و يعده بقدوم عساكر وافرة لمعونته فعدل عن الصلح . فامر ابرهيم باشا باطلاق النار الدائمة

وفي السنة ١٢٤٨ هـ = ١٨٣١ كتب الامير الى ولده الامير خليل ان يحضر اليه الى المعسكر فتوجه حالاً . ثم كتب الى اهل البلاد ان يوافوا ولده الامير خليلاً بالف مقاتل الى الشويفات . وفي اثناء ذلك كتب العزيز الى ولده ابرهيم باشا ان يفوض الى الامير معاطاة احكام ايالة صيدا وان يكون تعيين جميع المتسلمين واصحاب المقاطعات منه وفي غضون ذلك قدم من يركي الشيخ قاسم بشير جنبلاط واخوه الشيخ نعمان الى المعسكر والتمسا من الامير الصفح فطيب خاطرهما وامرهما بالذهاب الى وطنهما . ثم خوفهما الشيخ اسعد النكدي ففرا الى دمشق . ثم قدم اليه العمادية فطيب خاطرهم وحضروا الى اوطانهم . واما محمد باشا سرعسكر السلطان فكتب من حلب الى الامير كتاباً يحذره من الغرور باتباعه محمد علي باشا و يتهدد كل مخالف اوامر السلطان . ولما سارت عساكر السلطان الى حمص سار الامير احمد ارسلان من دمشق الى حمص ومعه من الجنبلاطية الشيخ قاسم بشير واخوه الشيخ نعمان والشيخ احمد ومن النكدية الشيخ اسعد سلمان . ثم لما وصلت كتابة السرعسكر الى الامير لم يعبأ بها . ثم هاجت الدروز وجعلوا يراسلون بعضهم بعضاً سراً زاعمين ان الدولة العثمانية لا بد ان تقوى على الدولة المصرية . وفي اثناء ذلك امر ابرهيم باشا ان يتوجه الامير خليلاً بالف مقاتل لبنانيين الى طرابلس للمحافظة عليها من عسكر السلطان فنهض من المعسكر الى الشويفات واحضر اليه الشيخ حموداً النكدي والشيخ حسين تلحوق والشيخ يوسف الملكي وبعض اقربائهم ومعهم

الف مقاتل وسار بهم و بالامير عبد الله حسن الى طرابلس . ثم ان الشيخ حموداً كتب كتاباً الى اللاذقية الى عثمان باشا مضمونه انه مقيم على طاعة امر الدولة العثمانية فاجابه عثمان بكتاب يمدح به همته و يشدده على الثبات . فوقع ذلك الجواب بيد الامير خليل فارسله الى والده وعند ذلك توجهت المشايخ العمادية الى معسكر السلطان . وفي اثناء ذلك كتب الامير الى ولده الامير امين ان يجمع مناصب البلاد و ينظر همتهم وعزمهم و يخبره . فارسل الامير امين يدعو المناصب اليه فحضروا وكتبوا الى الامير كتاباً ان جميعهم برأي واحد متفقون ومقيمون على طاعته وخدمته . ثم وجه ابرهيم باشا الى زحلة الامير قاسماً لاجل حفظ العلف المهيئاة للعساكر المصرية وصحبته نحو الفي مقاتل لبنانيين وتعين لكل رجل منهم في الشهر خمسون غرشاً . اما عثمان باشا فارسل مدبره من اللاذقية بعسكر الى عكار فجمع المدبر رجالاً من تلك المقاطعات و بلغ الامير خليلاً قدومه فكتب الى ابرهيم باشا يخبره فنهض ابرهيم باشا حالاً من المعسكر باربعة الاف وزحف بها الى طرابلس . اما مدبر عثمان باشا فلما قدم بفرسانه من عكار نحو طرابلس خرج اليه الامير خليل بعسكره وانتشب الحرب بينهم فقتل من اهل عكار ثلثة رجال ومن عسكره رجل واحد وانهزم المدبر بعسكره . واما اهل طرابلس فكتبوا الى عثمان باشا ان يحضر بعسكره وهم يسلمونه المدينة . فارسل لهم جواباً يخبرهم انه قادم اليهم فوقع ذلك الجواب بيد مصطفى بربر فقتل اولئك الرسل وقبض على القاضي والمفتي و بعض الاعيان ووضعهم في القلعة . ثم قدم عثمان باشا الى قرية المنية وصحبته اربعة الاف مقاتل ارناووط وهوارة وغيرهم من تلك المقاطعات . و نى متاريس على تل هناك تجاه المدينة فخرج الى قتاله مصطفى بربر بمائتي مقاتل طرابلسيين ومابتين من العسكر النظامي واشتعلت نار الحرب بينهم فانكسر عسكر طرابلس . فلما رأى الامير خليل ذلك زحف برجاله وهجم على عثمان باشا هجمة هائلة وصدم عسكره نحو التل عند الارناووط فهجم عليه الستمائة المذكورون فارتد عليهم نحو الف وخمساية فارس من عسكره ففصلوا منهم نحو خمسين شخصاً فقتلوا بعضهم وقبضوا على الباقين . فلما رأى الامير خليل ذلك هجم بعسكره عليهم فكسر الفرسان من السهل والارناووط من التل وجدّ في اثرهم الى البداوي فقتل منهم خمسة اشخاص ثم عاد الى المدينة ظافراً وقتل من عسكر عثمان باشا ثلثون رجلا وشيخ صافيتا . اما ابرهيم باشا فلما اقبل على طرابلس خرج لملاقاته الامير خليل والامير عبد الله . ولما بلغ عثمان

باشا فلدومه فرّ هارباً ليلاً نحو حماة ثم ارسل ابرهيم باشا الامير عبد الله الى المنية ليضبط ما تركه عثمان باشا · ونهض بعسكره في اثره الى حمص · وفي اثناء ذلك قدم محمود بك واخوه ابرهيم بك المرعب الى الامير خليل ليلتمس لهما العفو من ابرهيم باشا فطيب الامير خاطرهما وارجعهما الى وطنهما · وفي اثناء ذلك كتب ابرهيم باشا من قرية الزراعة الى الامير قاسم كتاباً يخبره عن واقعة الزراعة وانهزام عسكر الوزراء الى حمص ثم يطلب منه ارسال العلف الى بعلبك · وفي اثناء ذلك قدم الامير من المعسكر الى بتدين وارسل عوضه الامير ملحم حيدر والامير فاعور فعدان · وفي غضون ذلك قدم الامير محمود مع عباس باشا من المعسكر الى زحلة · وحينئذٍ سار الامير من بتدين الى زحلة · اما اولاد الشيخ بشير والشيخ اسعد النكدي فكانوا يراسلون اكابر البلاد من حلب · وكتب محمد باشا والي حلب الى اللبنانيين يتهددهم ويامرهم ان يختاروا لهم والياً غير الامير بشير · وفي غضون ذلك حدث قتال بين النصارى والدروز في دير القمر وزحلة والمتن وظهرت الاحزاب · وعزمت الدروز على الاجتماع في حمانا ضد الامير ليشغلوا ابرهيم باشا عن قتال عسكر السلطان في حمص · فكتب الامير الى ابرهيم باشا يخبره · وكتب الى مناصب الدروز والعقال يتهددهم · ولما وصل الكتاب الى النكدية عزموا على الفرار من البلاد فجمعوا رجالهم الى دير القمر · فارسل اليهم الامير ولده الامير اميناً للاطمئنان فلم يذعنوا له بل فروا من دير القمر بعيالهم ومعهم الشيخ محمد القاضي الدرزي ومايتا رجل · فارسل الوزير امير الاي الى دير القمر وامره ان ينزل في دور النكدية · فوقع الرعب في قلوب الدروز · وجعلوا يأتون الى بيت الدين مسلمين طائعين · ثم نهض ابرهيم باشا الى زحلة وكتب الى الامير ان يرسل الى معسكره في عكاء ولده الامير قاسماً مصحوباً بوجوه المناصب ووجوه الدروز وارسل مع ولده المذكور من اللمعيين الامير سعد الدين مراد والامير بشير قائدبيه والامير امين ارسلان والشيخ حسين تلحوق والشيخ يوسف الملكي · ومعهم وجوه الدروز · ولما وصلوا الى المعسكر رجع الامير ملحم والامير فاعور الى اوطانهما · وفي اثناء ذلك كتب ابرهيم باشا الى الامير محمود خليل ان يتوجه من زحلة صحبة يوسف بك بخمسمائة عسكري منظم ويوافي العسكر القادم من بيروت الى الطريق فيدهموا الامير بشيراً الصغير والامير سلمان سيد احمد والامير حسن اسعد الشهابيين ويقبضوا عليهم ويحضروا بهم الى بيروت لانه بلغه انهم سينهضون مع الدروز لملاقاة عساكر السلطان · فوجه الامير محمود

حسب الامر فالتقى بالعسكر في خان الحسين ونهض به ليلاً . فلما وصل الى خان جهور ارسل شرذمة من طريق الحازمية للقبض على الامير سلمان والامير حسن . فكمنت الرجال في الخريبة وسارت العرب المنادي الى دار الامير حسن . وسار الامير محمود بباقي العسكر الى سبنيه فوصلت العرب بغتةً ودهموا الامير حسناً واخاه الامير منصوراً . فهرب الامير منصور ونهبت العرب حلى زوجته . وقبضوا على الامير حسن . واما الامير محمود فلما دنا من بعيد سبق احد خدم الامير الى سبنيه فحذر الامير بشير فخرج من داره ومعه اخوه الامير عبد الله وفرا هاربين الى الوادي المحاذي داره . فلبس الامير بشير هناك ثياب حطاب ومرّ تجاه العسكر الى ان خرج من دائرة كمين العسكر . واما الامير سلمان ففرّ بولده الامير احمد الى دير بعبدا ولبسا ثياب رهبان وسارا الى دار الامير ملحم في بعبدا . ثم سارا الى عبر نهر بيروت واختبأا . واما الامير عبد الله فاختبأ في دير بعبدا . واما الامير بشير فوجد جملا فركبه وسار الى قناطر زبيدة واختبأ هناك . ثم حضر الامير محمود الى دار الامير ملحم يبحث عن الامير بشير ولامير سلمان فلم يجد لهما اثراً . فنزل الى دار الامير سلمان فمرّ شرذمة من العسكر على ذلك الدير فوجدوا الامير عبد الله مختبئاً فقبضوا عليه وساروا به الى سبنيه وارسلوه والامير حسناً الى بيروت . فوضعهما المتسلم في حبس السرايا مكرمين . ثم اجتمع العسكر في سبنيه واخذ الامير محمود ويوسف بك في البحث عن الامير بشير والامير سلمان فلم يعرف مكانهما واخيراً توسط الامير حيدر احمد (مولف هذا التاريخ) عند الامير فطيب خاطرهما . فحضرا الى بيت الدين فقبلهما بالاكرام . ثم كتب الامير الى ابرهيم باشا يلتمس منه امراً باطلاق الامير حسين والامير عبد الله من بيروت . اما الشيخان النكديان فلما وصلا الى دمشق منعهما اهلها عن الدخول اليها فتوجها بمن معهما الى حمص حيث وزراء السلطان . اما ابرهيم باشا فامر بهدم دور الذين توجهوا الى حمص من الجنبلاطية والعمادية والنكدية ودار قاضيهم فهدم الامير دورهم في المختارة وكفر نبرخ ودير القمر . وفي ٢٧ ايار (مايو) امر ابرهيم باشا جيوشه ان يهجموا على عكاء دفعة واحدة واطلق عليها النار الدائمة ففتحها عنوة ودخل اليها بجيوشه واطلق الامان لعبد الله باشا فسلم له . فلما اقبل صافحه وطيب قلبه وامنه على دمه وعرضه وسار به الى قصر البهجة . ثم ارسله بحراً الى والده محمد علي باشا وكتب الى الامير يبشره بفتح عكاء وامر باطلاق الامير حسن والامير عبد الله من بيروت فحضرا

بتدين · ويرسل عوضه الامير اميناً الى حمص فاتمَّ الامر · وبعد ايام كتب الوزير الى الامير امين ان يرجع الى بتدين فرجع · ولما ظفر الوزير في موقعة ايقونية وقبض على الصدر الاعظم كتب الى الامير بشير يبشره · ثم كتب الوزير الى الامير ان يوجه اليه ولده الامير اميناً الى ترسيس فسار الامير امين الى طرابلس ومنها البحر الى فرضة قوزنا ومنها سار برًّا الى ترسيس · فاستقبله الوزير احسن استقبال وامره ان يفهم والده بان مراده ان يستدعي اليه العساكر الموجودة في المدن ليذهب بهم الى انطاكية · وان يكون الامير محافظاً على المدن ويرسل متسلمين من اقاربه الى بيروت وصيداء وصور واصحبه باوامر الى المدن · وفي اليوم الثالث امره بالرجوع · فلما سلم الاوامر الى والده ارسل الامير ملحم حيدر الى بيروت والامير بشير ملحم الى صيداء والامير حسن اسعد الى صور وعين لهم نفرًا للخدمة · وفي غضون ذلك قدم الامير امين الحرفوش الى بتدين ودخل السجن وبلغ الامير ذلك فامر بحضوره اليه فحضر وطيب قلبه · وفيها سار الامير الى دمشق واقام عند شريف باشا مكرماً فلحقه الامير امين المذكور فامره شريف باشا ان يقيم عند عائلته في المدينة آمناً · ثم بعد شهر رجع الامير الى بتدين · وفي ذات يوم حدثت فتنة في صيداء بين الامير بشير ملحم والشيخ يونس البزري قاضي المدينة لان الامير المذكور كان يناقض احكامه بغير علم فقه · فهيج القاضي المذكور بعض اهل المدينة واتى بهم بالسلاح الى السرايا ليطردوا الامير منها فتباحثا في الكلام وتشاتما واتصل ذلك الى جماعة الامير · ثم توجه بعض حزب القاضي الى ابواب المدينة لطرد جماعة الامير منها فصدمتهم الجماعة · فارتد كلٌّ الى مكانه · فكتب الامير بشير الى الامير يخبره بذلك طالباً حق شرفه فكتب الامير الى نقيب افندي في عكاء فعرض النقيب للوزير فاجابه ان يكتب الى الامير بشير الكبير الوالي ان يوجه رجالاً من اعوانه ليقبضوا على القاضي والمفتي وعلى كل من تظاهر معهما ويرسلوهم الى عكاء · فارسل الامير ولده الامير خليلاً بجماعة الى صيداء · فحضر اليه القاضي والمفتي يسلمان عليه فتلا عليهما امر الوزير وامرهما ان يبقيا عنده للبحث والاستقصاء وانفذ اعوانه يعتقلون من تعصب لهما فارسل القاضي والمفتي وباقي المعتقلين الى عكاء · ورجع الى بتدين وحينئذٍ قدم شريف باشا الى عكاء وامر بعقد ديوان شوري على الصيداويين فحكم الديوان ان خمسة عشر رجلاً

الى وطنها · اما الامير فلما عزم على التوجه الى عكاء ليهني الوزير كتب الى امراء وادي التيم الشهابيين ان يوافوه الى الطريق فوافوه · فلما وصل الى عكاء التقاه ابرهيم باشا بكل اكرام وهنأ الشيخ نصيف اليازجي ابرهيم باشا بفتح عكاء بقصيدته المشهورة التي هي نظير قصيدة شاكر الخلاوي · ولما نهض ابرهيم باشا بالجيوش الى دمشق حضر الامير الى بتدين ومنها سار بعسكر البلاد لملاقاة ابراهيم باشا ومعه ولده الامير خليل والامير امين والامير محمد قاسم الارسلانيان فوصل الى قرية داريا قرب دمشق · اما علي باشا والي دمشق فجمع عسكرًا وخرج به لقتال ابرهيم باشا · فارسل اليه الوزير ابراهيم شرذمة فلما اقبلت عليه انهزم الى المدينة وظل سائرًا الى حمص · وعند الصباح دخلت العساكر المدينة فنادى الوزير بالامان وفي اليوم الثاني امر الوزير بخروج العساكر الى صحراء القابون وخيم الامير بعسكره في المرجة خارج المدينة · وكتب الى ولده الامير امين ان يتوجه من بتدين الى زحلة ويجمع اربعة الاف غرارة شعير من بلاد بعلبك والبقاع ويضعها في مدينة بعلبك وزحلة · فتوجه واتم الامر ثم عاد الى بتدين · ثم صرف العزيز العساكر الشامية ونهض من دمشق ومعه الامير بشير وولده الامير خليل وامراء وادي التيم ومشايخ جبل نابلس قاصدًا العساكر العثمانية · ولما وصل الى النبك امر الامير ومن معه ان ينزلوا الى قرية دير عطية ونهض الى القصير وخيم حذاء نهر العاصي · ثم نهض بالعساكر الى بحيرة حمص واضرم نار الوغى على العساكر العثمانية · فمزق شملهم وقتل منهم نحو ثلثة الاف رجل واسر ١١٥٠ رجلاً وغنم ذخائرهم وقتل من عسكره ثلثمائة شخص وبات تلك الليلة في حمص · وفي الغد امر الامير ومن معه ان يمكثوا في حمص لوجود الهواء الاصفر في العسكر · واما هو فجد السير في اثر العساكر العثمانية · ولما وصل الى حلب حاربهم فانهزموا وقتل منهم خلقًا كثيرًا واسر الف رجل · وكتب الى الامير يبشره بما حازه من الظفر · ولما وصل الى كلس كتب الى الامير كتابًا يبشره بانهزام الوزراء والعساكر · وحينئذ قدم الامير امين الحرفوش متذللاً للامير فطيب الامير قلبه ووعده بانه يلتمس له الامان من الوزير وكتب الى الوزير بشانه · فاجابه طالبًا حضور الامير اليه وعليه الامان فلما بلغ الامير ذلك فرّ هاربًا الى القفار فارسل اليه الوزير شرذمة للقبض عليه فلم يدركوه · ثم كتب الوزير الى الامير ان يرجع من حمص الى

من المعتقلين يسجنون سنة وان الذي رفع السلاح على الامير يقطع عنقه على باب صيداء ففعلوا كذلك وهم ينادون هذا جزاء من رفع يده على الوالي . اما الامير فحنق مما حدث فرفع الامير بشيرا وولى مكانه الامير سلمان سيد احمد وفيها كتب الوزير الى الامير ان يسير اليه الى ترسيس . فتوجه الى طرابلس ومن هناك البحر الى ادنة ثم ترسيس فترحب به الوزير وتفاوض معه بتوزيع الاموال على جميع الايات التي افتتحها . وفي ذات يوم اجتمع الامير بشريف باشا فسأله قائلاً من اين امارتك فاجابه امارتي من سيفي هذا فاحتدم شريف باشا غيظاً ولم يجبه بشيء . وفي اثناء ذلك رجع الامير من ترسيس الى بتدين ولما وصل الى بيروت استقبلوه باطلاق المدافع والنقوه بموكب عظيم .

ثم لما تم الصلح بين السلطان والعزيز قدم بعض مشايخ الدروز النازحين نزلاء على الوزير وهو في ادنة . فكتب الوزير الى الامير ان يقبلهم في بلاده . فحضر الشيخ ناصر الدين العاد فطيب الامير قلبه . واما الباقون فساروا الى مصر يلتمسون العفو من العزيز والاقامة في خدمته فوصلوا الى الاسكندرية فوجههم القائم مقام الى مصر يقيمون هناك منتظرين رجوع العزيز من كريد وبقي الامير احمد الارسلاني والجنبلاطية في برصا . اما الشيخ محمد القاضي فحضر الى بتدين ملتجئاً فطيب الامير خاطره وامره بالاقامة في دبيت . وبعد ايام امر الوزير بعزل الامير سلمان والامير حسن من متسلمية صيداء وصور فرجعا الى داريهما . وبعد ايام امر الوزير بعزل الامير ملحم عن متسلمية بيروت فرجع الى داره . وفيها ارسل الامير وكلاء يعدون طواحين البلاد فعدوها فرتب على دخل كل الف غرش منها ٤٥ غرشاً . وفيها كتب شريف بك الى الامير ان يرسل اناساً يعدون رجال جبل لبنان لاجل فرض مال سماه اعانة وانه يترتب على كل رجل من الخمسماية غرش الى الخمسة عشر غرشاً في كل سنة كل على قدر احتماله مقسمة على عشر طبقات بالعدل وان تكتب دفاتر العدد وتختم من المشايخ ثم من المناصب ويرسل له دفتر مجموع للمقاطعات والقرى . فارسل الامير اناساً فعدوا البلاد جميعها دون العاجزين والقاصرين وذوي العاهات فبلغ عددهم ثمانية وثلثين الف رجل

وفي السنة ١٢٤٩ هـ = ١٨٣٣ م قدم ابرهيم باشا من طرابلس الى بيروت فوفاه الامير امين . ثم سار الى صيداء فتوجه الامير لملاقاته والتمس منه ترك اعانته واعانة اقاربه فاجابه الى ذلك . ثم عاد الامير الى بتدين وسار الوزير الى جبل نابلس فطلب من تلك المقاطعات الاعانة فابوا وهاجوا عليه وحاربوه وحاصروه في دير الافرنج في القدس .

ولما بلغ العزيز ذلك نهض بعسكر وافر واتى به بحرًا الى يافا . و بلغ الامير ذلك فارسل اليه ولده الامير امينًا فسار الى بيروت ومعه بحري بك . ومنها سار بحرًا الى يافا فاستقبله العزيز بالترحاب وامره ان يرجع حالاً و يفهم والده ان يجمع رجال جبل لبنان حالاً ويسير بهم نحو بلاد صفد . فلما رجع الامير امين وعرض ذلك الى والده انفذ الامير حالاً كتابًا الى جميع البلدان من حدود اللاذقية الى بلاد المتاولة ودمشق . ثم جمع رجالاً وسار بهم الى جسر الاولي فحضر له حينئذٍ امر من العزيز ان يوجه ولده الامير خليلاً بالف مقاتل الى طرابلس للاقاة سليم بك وان يسير من هناك لتاديب اهل عكار وصافيتا و بلاد الحصن . وفي اليوم الثالث لما تم اجتماع رجال بلاده اليه نهض بهم الى صفد فنزل على جسر القعقعية . و بلغ اهل صفد ذلك فارسلوا اليه قاضي ترشيحا مقدمين له الطاعة . فاجابه الامير وامره ان ينبه على مشايخهم ان يوافوه الى قرية بنت جبيل لاتمام طاعتهم ثم نهض بعسكره الى هناك فالتقاه المشايخ وقدموا له الطاعة فطيب قلبهم وامرهم بارجاع اموال اليهود التي سلبوها منهم في صفد . فتعهدوا بارجاعها فارسل الى صفد الامير افندي صاحب راشيا بعسكر لكي ينسلم قلعتها و يحصل اموال اليهود . ثم نهض الى قرية الصفصافة . ولما تبدد المتحزبون على ابرهيم باشا واطاعته الرعايا قدم الى يافا ورجع والده العزيز الى الاسكندرية بحرًا . اما الامير فنهض من الصفصافة الى مدينة صفد وقبض على اكثر الذين سلبوا اموال اليهود وامر الامير افندي ان يجمعها . اما الامير خليل فلما وصل الى طرابلس التقاه سليم بك فامر بالقبض على خمسة وعشرين رجلاً من الطرابلسيين الذين ظهرت خيانتهم وسجنهم في القلعة وكان منهم ثمانية رجال من الاعيان . اما مصطفى بربر فخاف من ان يتهم بالتعصب على ابرهيم باشا فتوجه الى بتدين يبرىء ذاته . ثم نهض الامير خليل وسليم بك برجالها الى عكار فقبضا على اسعد بك المرعب واسعد بك الشديد وعلى اثنين من اولاد محمد بك القدور . ثم امرا بالقبض على ثلاثين رجلاً و بعض وجوه عكار . ثم رجع الامير خليل الى طرابلس لمرض اعتراه ومن ثمَّ الى بتدين . اما مصطفى بربر فالتمس من الامير ان يستمنح له من الوزير صفو الخاطر والامان . فعرض الامير ذلك الى الوزير فاجابه وامر برجوعه آمنًا الى وطنه في قرية ايعال فرجع . اما السلطان فلما بلغه محاصرة ابراهيم باشا في القدس وقيام تلك البلدان عليه ارسل الى الامير سفيرًا سرًا يسترده الى طاعته و يعده

بالمجازاة . فارسل الامير ذلك السفير الى عكاء . وفي اثناء ذلك كتب الوزير الى الامير ان يجمع سلاح بلاد صفد وساحل عكاء ويرسلها الى عكاء فجمعها . ثم رجع الامير الى راس العين وامر بجمع سلاح صور والمتاولة وتلك المقاطعات فجمعها ثم رجع الى بتدين . وفي اثناء ذلك كتب الوزير الى الامير ان يوجه عسكرًا من بلاده صحبة احد اولاده الى اللاذقية لمعونة سليم بك لقصاص الذين عصوه . فارسل الامير ولده الامير خليلاً بعسكر الى طرابلس ومعه امراء من وادي التيم الامير افندي والامير جهجاه والامير سعد الدين والامير احمد ومكث هناك منتظرًا باقي عسكره . وعندما حضر نهض به في اليوم الثامن ونهض سليم بك بعسكره الى بلاد النصيرية وخيموا في قرية البهلولية . ولما بلغ النصيرية ذلك تركوا مواشيهم وغلالهم وامتعتهم وفروا جميعًا . فغنمتها العساكر واحرق لهم العسكر ١٥ قرية وقطع اشجار املاكهم . ثم وجه سليم بك عسكرًا ليحرق القرى القريبة اليهم فالتقاهم النصيرية وانتشب الحرب بين الفريقين . فانهزم العسكر المصري الى المعسكر فارسل الامير خليل اليهم الامير جهجاه من امراء حاصبيا واصحبه بالف مقاتل . فلما قبل على النصيرية انهزموا فاحرق العسكر لهم ٣٠ قرية . وفي الغد نهض الامير خليل مع الامير افندي صاحب راشيا والعرب الهنادي وبعض الفرسان المصرية واضرم الحرب على النصيرية في قرية مبنايا فقتل من الفرسان المصرية ثلاثة من حملة الرايات . ثم انكسرت النصيرية وقتل منهم خمسة اشخاص وحرقت لهم العساكر ٥٠ قرية وقتل من عسكر الامير خليل رجلان ثم رجعوا الى خيامهم . وبعد ايام ارسل الامير نجدة لولده الامير خليل خمسمائة مقاتل من زحلة وبسكنتا . ثم نهض الامير خليل وسليم بك بالعساكر من البهلولية الى مقاطعة صهيون . وخيما في قرية الحفة . وتفرقت العساكر في تلك القرى . وفي الغد نهضا بالعساكر الى قلعة صهيون وخيما شماليها . فلما بلغ اهل مقاطعة بيت الشلف ذلك ارسلوا نحو الفي مقاتل يدهمون العساكر فارسل اليهم الامير خليل رجالاً فحاربوهم وكسروهم وقتلوا منهم اربعة عشر رجلاً منهم اثنان من عسكر الامير خليل . ثم هجم بعض العساكر على تلك القلعة وتسلموا ثلاثة ابراج بقربها وابقوا فيها نحو مائة مقاتل . وعند المساء رجع الامير خليل وسليم بك بالعساكر ونزلوا في تلك القرى واما المائة مقاتل فاضرموا نار الحرب على المحاصرين في تلك القلعة وعند نصف الليل طلب

المحاصرون الامان فاعطوهم الامان . ففروا هاربين من القلعة فدخل اليها اللبنانيون . ثم حضر اهل مقاطعة ديردس وسلموا . وانتقلت العساكر الى مقاطعة بيت الشاف وسار بعضهم الى قرية جب التبن واخذوا يحرقونها فسلم اهلها لهم . ثم حضر اهل مقاطعة الزرعة وسلموا ثم سلم بيت عمار ومقاطعة الجينا . واما اهل الطروطة وبيت ياشر والقرضة فامسكوا طريق جسر السن . وحينئذ وصل الخمسمائة مقاتل من اهل زحلة وبسكنتا الى ذلك الجسر وانتشب الحرب بينهم فانهزم عسكر البلاد وقتل من اهل زحلة ٢٦ رجلاً ومن اهل بسكنتا عشرة رجال ومن النصيرية ستة رجال . وبلغ ذلك الامير خليلاً فارسل لنجدتهم من امراء حاصبيا الامير سعد الدين والامير احمد الشهابيين بعسكرهما . واصحبهما بثلثمائة فارس . فلما وصلوا الى الجسر المذكور فرت النصيرية هاربين الى جبل الحمام فاحرق العسكر مساكنهم وقتل منهم ثمانية اشخاص . وفي الغد زحف العسكر على تلك المقاطعات ونهبها وحرق اكثر قراها . ثم سلم مقدم مقاطعة القرداحة وتعهد بتقديم اسلحة مقاطعته جميعها . فقدم بعضها واعتذر عن تقديم الباقي . فخنق منه الامير خليل وسليم بك ونهضا بالعسكر لتسلم مقاطعته . وعند وصولهم الى اول المقاطعة شرعوا ينهبون ويحرقون فانهزمت النصيرية الى الجبال فنهبت العساكر قراهم وحرقوها وكانت اكثر من ٥٠ قرية . وفي الغد توجه بعض الرجال وحرقوا جملة قرى وعادوا الى جبلة . ثم سار العسكر الى مقاطعة القرداحة وحرق جملة قرى . ثم صعد الى الجبل العالي مطل حمد وحرق من الشعرة نحو ٥ قرية وبات في قرية الجديدة وفي اثناء ذلك وفد امر من ابرهيم باشا برجوع العساكر وسار الى مصر . فرجع الامير خليل بعسكره الى البلاد ختام السنة . وفيها حضر الوزير ابرهيم باشا من مصر الى عكاء وكتب الى الامير ان يرسل ولده الامير امينا اليه فتوجه فاستقبله الوزير بالبشاشة . ثم طلب منه الف وستمائة شاب من طائفة الدروز ليدخلهم في عسكره النظامي فاجابه ان هذه الكمية لا يمكن جمعها منهم والتمس منه ترك نصفها فقبل التماسه ثم سافر بحراً الى صيداء ومعه الامير امين ومن هناك توجه الامير امين الى بتدين وعرض ذلك الامر للامير

وفي السنة ١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م استدعى الامير اليه مناصب الدروز واخبرهم بما كان وعين على كل مقاطعة كمية من الشبان وامر المناصب ان ينتخبوهم من ابن ١٥ سنة الى ابن ٢٥ ممن لا عيب فيه وان لا يكون من البيت عسكريان اخوان ولا يؤخذ

من ليس له عوض فلما بلغ الدروز ذلك أبوا ان يسلموا وتعصبوا فوعدهم الامير انه يسترحم الوزير ان يعفو عنهم . وفي اثناء ذلك قدم بحري بك الى بتدين يستنهض الامير ويحثه ان يجمع المطلوب بسرعة فكتب الامير الى المناصب ان يهيئوا المطلوب حالاً . ثم رجع بحري بك واخبر الوزير بما كان . ثم ذهب الوزير الى بوغاز كلك لينظرها ثم رجع الى حماة فكتب من هناك الى الامير ان يرسل له ولده الامير امين الى بعلبك فارسله . فلما قابل الوزير ترحب به وحضر به الى زحلة وكتب للامير يعلمه انه قادم الى بتدين لجمع سلاح طائفة الدروز حسب امر العزيز والده فكتب الوزير الى مناصب الدروز يعلمهم بقدوم الوزير الى زحلة بالعساكر الوافرة وانه قادم الى بتدين لجمع الاسلحة وبامرهم بسرعة تقديم الاسلحة قبل حضوره ثم يحذرهم من المخالفة . وفي اليوم الرابع قدم الوزير الى بتدين بعشرة الاف من عسكره النظامي ونزل ببعض عسكره الى دير القمر وخيم خارجها فحل الرعب في قلوب الدروز وجعلوا يقدمون اسلحتهم ولما فرغ من جمع اسلحة العامة طلب اسلحة مناصبهم فقدموها . وفي احدى الليالي امر الوزير بحضور وجوه نصارى دير القمر فحضروا وامرهم ان يقدموا سلاح بلدتهم في مدة ثلاث ساعات فسلموا له وقدموا اسلحتهم حالاً ثم اصدر امراً لجمع اسلحة النصارى عموماً وارسل الامير رجالاً يجمعونها ولما تم جمع السلاح كتب الوزير الى الامير ان يطلب من الدروز الفاً ومائتين شاباً درزياً للنظام فارسل الامير بعض اقاربه واعوانه يجمعون الشبان المطلوبين . وكان ذلك المطلوب من الدروز سبع عددهم فجمع الامير الى بتدين جميع المطلوبين وارسلهم الى عكاء

الفصل الثالث عشر

في حرب وادي بكا

وفي السنة ١٢٥١ هـ = ١٨٣٥ م امر ابرهيم باشا باخذ عسكر من دروز حوران ووادي التيم فابوا وتعصبوا مع عرب تلك النواحي فارسل وزير دمشق اليهم عسكراً الى اللجاه المسمى بالوعرة فقاتلوه وكسروه وقتلوا من عسكره خلقاً كثيراً . ثم ارسل اليهم قائداً يسمى محمد باشا بعسكر وافر فحاربوه وكسروه وقتلوا ذلك القائد وخلقاً كثيراً . وكانت دروز وادي التيم واقليم البلان ينجدونهم بقيادة شبلي العريان . ولما بلغ ابرهيم باشا

ذلك كتب الى والده يخبره ملتمساً عسكراً من الارناووط لان العسكر النظامي يتعذر عليه الحرب في الوعر فارسل له العزيز وزيراً يسمى مصطفى باشا بار بعة الاف ارناووطي . فحارب الدروز في الوعرة فلم يفز منهم بطائل . وكانوا ينشدونه الاغاني الحربية الحماسية ومن قولهم « برهومه وايش لك عندنا . حوران والوعرة لنا » . وكانت دروز البلاد تنجدهم اولا سراً ثم علناً . واما ابرهيم باشا فكتب من جهات حلب الى الامير ان يوجه حفيده الامير مجيد قاسم بعسكر الى جهات دمشق لصد دروز لبنان ووادي التيم عن انجاد دروز حوران والمحافظة على الطرق . وان يوجه حفيده الامير محمود خليل الى حاصبيا لارهاب الدروز اللبنانيين لكي لا ينجدوا دروز الوعرة . وان يقيم في السرايا مع العسكر النظامي . ولما بلغ الامير مجيد اقليم البلان اطلق الغارة على العصاة المجتمعين في قرية حينا فانهزموا وقتل منهم جماعة . واما الامير محمود فنزل في السرايا حسب الامر . فلما بلغ العريان ذلك حضر بعسكر من الوعرة وحاصر العسكر المصري في السرايا فقتل من امراء حاصبيا الامير محمد علي . ثم ارسل العريان الى الامير محمود ان يخرج من السرايا ولا يشارك النظام ولا يخالطهم فخرج بجماعته اللبنانيين واضطرم الحرب بين العسكر المصري والعريان ولما تضايق العسكر فروا منهزمين نحو البقاع فتبعهم العريان بمن معه واعمل في اقفيتهم السلاح . فقتل منهم نحو ٣٠٠ رجل وتشتت الباقون في البقاع فظفر بهم العريان والبقاعيون . واما الامير محمود فرجع الى بتدين . ثم رجع العريان الى حاصبيا . ونهب بعض الدكاكين . وفي اثناء ذلك قدم ابراهيم باشا الى دمشق وكتب الى الامير ان يجمع اربعة الاف مقاتل من نصارى لبنان ويسلمهم اسلحة مؤبدة لهم ولذريتهم ويوجههم صحبة ولده الامير خليل الى حاصبيا لقتال الدروز . ثم جد السير مسرعاً الى حاصبيا فبلغه ما حل بعسكره . فاتى الى البقاع وجمع سلاح عسكره من هناك وسار الى المعلقة وجمع شمل عسكره ورجع به الى راشيا وخيم في سهل قرية عيحا . فاتته الدروز وتحصنوا قبالته في غابة هناك وانتشب الحرب بينه وبينهم . فلم يفز منهم بطائل وجمع الامير الفي مقاتل . اما دروز لبنان فاظهروا العصيان . وكانوا يذهبون الى العريان جهاراً والامير لا يتعرض لهم . وفي غضون ذلك حضر الشيخ ناصر الدين العماد يلتمس من الامير صفو الخاطر عليه وعرض نفسه للخدمة لينال مكرمة منه فطيب قلبه وامر له بصلة فقبضها وسار الى العريان . وفي يوم بلغ السردارية . وفي ذات يوم بلغ عسكر الدروز انه قادم من دمشق الى عيحا علف لعسكر ابرهيم باشا فارسل الشيخ

حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد نحو ٣٠٠ رجل لاخذها . ولما وصلوا الى وادي يقال لها محسي وجدوا العلف قادمة فتسلموها جبرًا واذا بمصطفى باشا قادمًا بعسكره فاشتعلت نار الحرب بينهم . فلما بلغ الشيخين ذلك انطلق اليهم الشيخ ناصر الدين بثلثمائة مقاتل وتبعه الشيخ حسن باربعمائة وخمسين مقاتلاً . ولما اقبلوا على الارناووط اضرموا عليهم نيران الوغى وبلغ ابرهيم باشا ذلك فحمل عليهم بشطر من عسكره من ورائهم ولما اشتد الحرب على الدروز انكفأوا الى وادٍ اخرى تسمى وادي بكا واذا بابرهيم باشا هاجمًا عليهم بعسكره فاطلق عليهم النار الدائمة واطبقت العساكر من كل جانب . فانحاز الشيخ حسن برجاله الى قلعة صخور على تلك الوادي . وانحاز الشيخ ناصر الدين برجاله الى قلعة اخرى اسفل الوادي واحدقت بهم العساكر من كل جانب وحملوا عليهم كالكواسر فصدمتهم الدروز صدمة صنديد وتلقوهم بقلوب فطرت من حديد . والح الفريقين كالاسد الضواري حتى اختلط الباري بالباري ووقع الرصاص على الرصاص . وسد عن الدروز باب الخلاص . ولما نفد الرصاص والبارود من جماعة الشيخ ناصر الدين صاح بهم ان اهجموا على القوم بالجوارح . ومزقوا منهم الاثارب والجوارح . فانتضوا الجوارح وهجموا على القوم فما كنت ترى الا دماءً مهرقة واشخاصًا ممزقة ورؤوسًا طائرة . واعضاء متناثرة . ولما راى الوزيران عسكرهما اوشك ان يولي الادبار ويوسع الفرار جردا البواتر وهجما بقوادهما كالاسد القساور . فاخذوا يذبحون الدروز كالغنم ويقطعونهم تقطيع لحم على وضم . هذا والشيخ ناصر الدين مستل سيفه يفري به من يصل اليه حتى قتل خلقًا كثيرًا من حواليه . ثم قتل ولم ينج من اصحابه سوى خمسين نفسًا (اجتمعت باحدهم هولاء الذين نجوا وروى لي الحادثة تمامًا قال انه نجا بطريقة غريبة وهو حمود الينطاني من الباروك وقال سدت علينا الطرق من كل جانب فانتضيت سيفي وضربت به يمينًا وشمالاً فقتلت عددًا من العسكر وفتحت طريقًا لي وعدوت هاربًا وهكذا خلص الباقون) واما الشيخ حسن فلما ايقن ان لا نجاة له ولقومه الا بالهرب فرّ من نجا منهم الى شبعا وقد قتل من اصحابه ١٣٠ رجلاً . واما العريان فلم ينجد الشيخين بل ظل متربصًا تجاه معسكر ابرهيم باشا . ثم تجمعت الدروز الى شبعا مذعورين . اما الامير خليل فوصل بعسكره الى حاصبيا . ولما بلغ الوزير قدومه كتب اليه ان يرسل ولده الامير مسعودًا بشرذمة الى جهة معلومة لاجل اشغال الدروز . وينهض في الغد

بباقي عسكره من طريق حاصبيا وهو يأتي من طريق اخرى · و يزحفان بالعساكر معًا الى شبعا وقت الظهيرة · فنهض في الغد بعسكره قبل الوقت المعين قاصدًا ان يفوز بالظفر وحده قبل وصول الوزير لينال المدح والفخر فالتقته فرقة من الدروز الى مطل وادي هناك وكمنوا والتقى الامير مسعودًا فرقة اخرى واشتعلت نار الحرب · فحاصروه في قلعة صخور · ولما اقبل الامير خليل على تلك الوادي صعد مقدمة عسكره الى الدروز غير مرتبين · ولما بلغوا قمة ذلك الجبل اندفقت عليهم الدروز الكامنون واطلقوا عليهم الرصاص وهم لا يشعرون فانكسروا ناكصين على اعقابهم مذعورين · وكسروا اصحابهم المتاخرين فقتل الشيخ فضل الخازن وسبعة عشر رجلاً · وغنمت الدروز امتعتهم · وعند ذلك قدم الوزير بعسكره من الجهة المعينة وهجم بهم على الدروز فانهزموا وولوا مدبرين الى الجبل · فحينئذٍ رجعت الدروز عن الامير مسعود · ودخل الوزير بعساكره الى شبعا وبات هناك · واما العريان ففر بمائة فارس الى حوران · ثم سار الامير خليل الى حاصبيا والوزير الى دمشق · ولما وصل الامير خليل الى حاصبيا اخذت الدروز تسلم ورجعوا الى اوطانهم مذلولين · واما العريان فتركه اكثر فرسانه فالتزم ان يطلب الامان من الوزير فاعطاه الامان · فحضر اليه وجعله قائدًا على الف فارس هوارة

وفي السنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٦ م استدعى ابراهيم باشا الامير امينًا الى عكاء وامره ان يوجه ابن اخيه الامير مسعودًا لحرب العرب العاصين في الصفاء فتوجه فسلمت له العرب وحضر الى دمشق فمات من عسكره ٥٠ رجلاً من شدة البرد فانعم الوزير برفع الاعانة (الضريبة) عمن كان معه جزاء لخدمتهم

وفي السنة ١٢٥٣ هـ = ١٨٣٧ م قدم الى بتدين كلوط بك الفرنساوي رئيس الاطباء في الديار المصرية فخاطبه الامير ان يلتمس له اذنًا من العزيز ليرسل له من بلاده تلاميذ ليتعلموا الطب هناك فارسل له امرًا من العزيز بقبول التماسه : فارسل الامير ثلثة من الموارنة ومملوكه سليمًا (هو سليم افندي المملوك الذي صرف اخر حياته في قرية عين زحلتا وتوفي فيها) فتعلموا علم الطبيعة والطب بكامل فروعه ونبغوا فيه

وفي السنة ١٢٥٤ هـ = ١٨٣٨ م امر الوزير الامراء اولاد الامير ان يطرحوا عمائمهم فطرحوها اولاً · وكتب الامير الى اقاربه ان يطرحوا العمائم ويلبسوا الطرابيش

الخان وجمعوا ما بقي من امتعة اصحابهم ورجعوا حالاً الى المدينة. اما اهل دير القمر فانتقلوا من كفرمايا الى مزبود فارسل الامير يسترضيهم . وفي غضون ذلك هاج بعض جهلة من بعبدا وقبضوا على جنود من النظام المصري الآتين من دمشق الى بيروت وسلبوا اسلحتهم عنوةً فجمعها منهم الامير ملحم حيدر جبراً وارسلها الى بتدين . ثم اخذ الهوس رجلاً يكنى بابي سمرا غانم البكاسيني الماروني واخر يسمى احمد داغر المتوالي واجتمع اليهما بعض اشخاص الى حرش بيروت واخذوا ينهبون الطحين الوارد الى عسكر بيروت . وفي اثناء ذلك قدم الى حرش بيروت من المشايخ الخوازنة الشيخ فرنسيس ابو نادر الخازن الغسطاوي فجعلته العامة قائدهم فلقب ذاته سر عسكر النصارى . ولما بلغ الامير ذلك ارسل يسترضي اهل دير القمر فانقادوا ورجعوا لان اهل المقاطعات لم تنهض معهم . فعندوصولهم الى اوطانهم ارسل اليهم عامية الساحل يلومونهم على رجوعهم فهاجوا ثانية وذهب منهم صباحاً نحو مايتين وخمسين رجلاً الى بكرزيه ونزلوا عند المشايخ النكدية الصغار يوسف وخطار وواكد . ثم انتقلوا مع المشايخ الى سبلين . اما الامير فكتب لبعض الامراء اللمعيين ان يتهددوا لمعسكرين في عامية الحرش وينصحوا لهم ليعدلوا عن هذا الجهل فيرضيهم . فتوجه الامراء الى سن الفيل وخاطبوا وجوه العامة جهاراً لينصحوا لجماعتهم بان يرجعوا الى اوطانهم . وقد خوفوهم من قوة الامير والدولة المصرية . وشددوهم سراً بالثبات وكتبوا الى الامير يخبرونه . اما العامة فلم ينثنوا عن عزمهم وازداد عددهم ومطاولاتهم وذلك لنفورهم من الدولة المصرية التي احدثت عليهم زيادة الاموال والسخرة وشغل حفر الفحم في قرنايل . وطلبها استرجاع السلاح منهم . فلما بلغ العزيز ذلك كتب للامير ان لا ياخذ سلاح النصارى وان يرضيهم . وفي غضون ذلك كتب الامير الى اقاربه في الساحل ان يقوموا بعيالهم الى الغرب الاعلى . فقاموا وتبعهم اهل الساحل . وكتب الى الامراء اللمعيين ان يقوموا بعيالهم الى القاطع . وفي غضون ذلك وصل كتاب العزيز الى الامير بترك سلاح النصارى . فارسل الامير اليهم ولده الامير امينا . فتوجه الى سن الفيل الى الامراء اللمعيين واستدعى اليه الشيخ فرنسيس من الحرش فلم يحضر . ثم استدعى وجوه العامة واخذ يسترضيهم ليرجعوا الى اوطانهم فوعدوه انهم يخاطبون اصحابهم ويجيبونه فانتظرهم الى اليوم الثاني في عين الشياح فلم يجيبوه فتوجه الى بتدين فاخذهم الطمع وتصلبوا . ثم كتب الامير الى الامير بشير ملحم والامير سلمان سيد احمد والامير ملحم حيدر ان يذهبوا الى الحرش ويخاطبوا وجوه

الوزير فطرحوها وتبعهم سائر المناصب وقوم كثيرون

وفي السنة ١٢٥٦ هـ = ١٨٤٠ م اتفق مع السلطان عبد المجيد العثماني سلطان النمسا والمسكوب وملكة الانكليز وملك بروسيا على استخلاص سوريا من يد محمد علي باشاعزيز مصر. فلما بلغه ذلك امر بالقبض على شبان الاسلام في بلاده ليدخلهم في عسكره النظامي فقبض عليهم الجند وعلى التلاميذ اللبنانيين النصارى الذين في مدرسة الطب هناك اظنه انهم اسلام فذاع الخبر في الاقطار الشامية ان العزيز قبض على شبان النصارى مع الاسلام ليتجندوا في عسكره النظامي. فخافت النصارى اللبنانيون واضطربوا ظانين انه سيفعل بشبانهم هكذا. وفي غضون ذلك ذاعت اخبار قدوم عساكر مصرية الى بعلبك وطرابلس وورد مركب الى بيروت مشحونًا من الثياب فذاع الخبر ان تلك الثياب مهيأة لشبان النصارى اللبنانيين فازدادوا اضطرابًا وتذمروا. ودار بينهم و بين الدروز لسان العصيان على ابرهيم باشا وكانت الدروز تهيجهم وتسهل لهم الامر وتشجعهم باخبار ظفرها بالنظام في حرب الوعرة. فلما بلغ ابرهيم باشا اتفاقهم كتب الى الامير ان يجمع من النصارى السلاح الذي سلمهم اياه حين قتال الدروز في وادي التيم. فلما شعر اهل دير القمر بذلك كتبوا رسائل الى مقاطعات البلاد يسألونهم في امر تسليم السلاح فاجابوهم لانسلم. وفي اثناء ذلك ارسل الامير احد قواده يجمع سلاح نصارى المناصف والشحار فارسل هؤلاء الى نصارى دير القمر يستشيرونهم فاجابوهم ان لا تسلموا. فارسلوا اليهم ثانيًا انه لا يمكننا المقاومة بدون اسعافكم. فهاجت نصارى دير القمر وانطلق منهم نحو مائة رجل ليطردوا ذلك القائد فلما بلغه قدومهم فر خائفًا واحتمى عند الشيخ حمود النكدي فرجعوا الى دير القمر. وفي اول الليل بلغهم ان سليمان باشا الفرنساوي (هو سليمان باشا صاحب البنايات والقصور الشهيرة في مصر العتيقة) قادم بعسكره من صيداء الى دير القمر لجمع السلاح. فاخذهم الهوس ونهض منهم نحو مائتي رجل لصده. فتوجهوا الى اقليم الخروب ونزلوا الى مجدلونا وتوجه بعض منهم الى جسر الاولي يتحققون الخبر. فلما بلغوا الجسر هاج صاحب الخان وتبعه بعض اشخاص وقاموا على النظام المصري المحافظ هناك فهرب الى صيداء واضيف اليهم جماعة من اهل معلقة الدامور. وجدوا جميعًا في اثرهم الى باب المدينة فلم يدركوهم. ثم انطلقوا الى كفرمايا و بلغ جماعتهم الذين في مجدلونا ذلك فانحدروا اليهم. وعند الصباح خرج من صيداء نحو الفي عسكري نظامي الى جسر الاولي فنهبوا

العامة و ينصحوا لهم ان يعدلوا عن هذا الاجتماع . فذهبوا وخاطبوهم فاجابوا انهم لا يرجعون الا اذا قبل الامير بهذه الشروط . وهي اولاً انهم لا تؤدي الا مالاً واحداً . ثانياً ان يرفع بطرس كرامة من ديوانه . ثالثاً ان يضع في ديوانه من كل طائفة اثنين . رابعاً ان يرفع عنهم السخرة وحفر الفحم خامساً ان يبقي لهم السلاح وذلك كما تلقنوا من الامراء سراً . فكتب الامراء الى الامير جواباً يخبرونه بما طلبته العامة . ثم انحدر الى الحرش من الامراء الشهابيين الامير فارس حسن والامير يوسف سلمان ملحم والامير محمود سلمان وتعصبوا مع العامة . وانحدر الى برج حمود من الامراء اللمعيين الامير علي منصور قائدبيه والامير عبد الله شديد مراد والامير علي فارس من بسكنتا . ثم حضر اليهم الامير اسمعيل حسن قائدبيه واجمع راي الجميع على قطع الطرق على العساكر المصرية لئلا يدخلوا البلاد . فوجهوا الامير حمود الى جهة صيدا . والامير علي منصور الى جهة البقاع . وابا سمرا الى جهة طرابلس . وان الامير فارساً والامير يوسف ينتقلان بباقي العامة الى مزرعة الحازمية . وباقي الامراء اللمعيين ينتقلون من برج حمود الى الدكوانة . ثم انحدر الى الحرش و برج حمود من المشايخ الخوازنة عفيف حكم ونقولا خازن وشمسين صفا وصالح هيكل . ثم قدم اليهم بشارة فرنسيس وولده حصن و يوسف عيد والشيخ عبس الخوري . ثم قدم اليهم من بكفيا رجال شجاع يسمى يوسف الشنتيري . وفي غضون ذلك قدم من حلب الى بعلبك عثمان باشا بثمانية الاف جندي منظم . ثم عزمت العامة على تسلم الكورنتينا (المحجر الصحي) فاطلقوا عليه الرصاص فصدتهم الارناووط محافظوها . ثم الحوا على سورها فقدم اليهم مركب من ميناء بيروت واطلق عليهم المدافع فانكفوا عنها واخذوا يهجمون على ابواب المدينة وينهبون المآكل وكانوا نحو الف رجل اكثرهم بالعصي وكان اكثر اصحاب البنادق يحشون بنادقهم بالبارود والحصى الكروية وذلك لعدم وجود الرصاص . وحينئذ ارسل متسلم بيروت مركبين الى جونية لنقل مافيها من الغلال الى بيروت . ولما خرجت الرجال من المركبين لاخذ الغلال انحدر اليهم بعض اهالي كسروان فصدوهم وقتلوا منهم ثلاثة رجال . ثم قدم عثمان باشا بعسكره من بعلبك الى البقاع وخيم في مرج عرجموش فارسل اليه الامير حفيده الامير محمود خليل . ثم قدم علي بك بعسكره الى طرابلس وكانت الامراء الشهابيون واللمعيون يشددون العامة سراً ويحثونهم على الثبات . وكانت الافرنج تخبرهم باتفاق الدول الاربع النمساوية والانكليزية والمسكوبية والبروسياوية مع الدولة العثمانية على

استخلاص سوريا من يد عزيز مصر . وكانوا ياتون اليهم الى الحرش ويحرضونهم ضد الدولة المصرية ويشددونهم ويحققون لهم قدوم مراكب حربية لاسعافهم . ويقدمون لهم قليلاً من البارود والرصاص . وفي اليوم الثالث بعد اجماع رأيهم على قطع الطرق عن العساكر المصرية توجه الامير محمود الى صيداء ومعه احمد داغر وبعض اشخاص . وتوجه الامير علي منصور الى المتن ليجمع رجالاً من هناك ويسير بهم نحو البقاع . وتوجه ابو سمرا الى جهة طرابلس بمائة رجل ابقاهم محافظين في انطلياس ونهر الكلب وجونية . ولما وصل الى غزير تبعه من المشايخ الحبيشية يوسف حمزة وبطرس وحنا ابناء واكد . ثم نهض الى الفتوح بعدة رجال فتبعه من المشايخ الدحادحة زعيتر راشد وجماعة . ثم نهض الى جرد كسروان وسلب اربعة افراس من خيل الامير عبد الله . ثم نهض الى جبة المنيطرة فتبعه المشايخ الحمادية بمائة رجل من جماعتهم المتاولة فانحدر بهم الى جبيل وجمع رجالاً من تلك البلاد ووضع بعضاً منهم في جبيل . ثم نهض الى البترون فلحقه من المشايخ الخوازنة شمسين صفا وعساف البدوي ومن المشايخ بني الصالح خطارقيس ومن المشايخ الدحادحة جهجاه حنا . فوضع في البترون نفراً منهم ونهض الى اميون ثم الى جبة بشرة . وارسل اولئك المشايخ الى زغرتا وجمع من الجبة رجالاً ايضاً ونهض بهم الى زغرتا . ولما بلغ والي طرابلس قدومه ارسل اليه نحو اربعة الاف عسكري بمدافع فالتقاهم وانتشب الحرب بينهم فتقهقر ابو سمرا الى ايعال وقتل من جماعته سبعة اشخاص ومن العسكر المصري نحو عشرين رجلاً . وعاد العسكر الى طرابلس . ثم جمع ابو سمرا رجالاً الى ايعال وفي اليوم الثالث قصده عسكر طرابلس الى ايعال فالتقاهم بمن معه وشن الغارة عليهم فانكسروا الى طرابلس فاعمل اللبنانيون في اقفيتهم السلاح واخذوا منهم مدفعاً فقتل منهم نحو ٥٠ رجلاً ومن اللبنانيين نحو ٢٠ ثم انفض اللبنانيون عن ابي سمرا وسار بعشرين رجلاً من المتاولة الى الضنية . اما الامير فارس والامير يوسف الشهابيان فانتقلا بباقي رجالها الى الحازمية وانتقل الامراء اللمعيون برجالهم الى الدكوانة . واما الامير محمود فاخذ جماعة من البرج وذهب الى معلقة الدامور بخمسين رجلاً وارسل يستدعي اليه رجال الشحار والمناصف . وفي اليوم الخامس توجه الى اقليم الخروب ونزل في سبلين حيث النكدية الصغار وعامة دير القمر . واما الامير علي اللمعي فجمع رجالاً من المتن وسار بهم الى المريجات فقدم اليه الامير خنجر الحرفوش واخوه الامير سلمان . واما الاميران الشهابيان والامراء

المعيون فنهضوا بالرجال من الحازمية والدكوانة لقتال العساكر المصرية فالتقتهم ثلاث العساكر مع الارناووط الى الاشرفية . واطلقوا عليهم الرصاص فولوا مدبرين نحو منازلهم . فجدت الارناووط بطلبهم الى المنازل فانهزموا وتبددوا وقتل منهم رجلان . وفي ذلك الوقت قدم من اسلامبول رتشارد وود الانكليزي مساعداً بالتدبير لاختباره الامور والبلاد ومعرفته اللغة العربية فاجتمع وجوه عسكر الحرش واشار عليهم ان يكتبوا الى الدولة العثمانية والى سفراء الدول الاربعة المذكورة ملتمسين انقاذهم من ولاية الدولة المصرية . فكتبوا وسلموه الكتب فارسلها الى اسلامبول . ثم ان الامير فاعور فعدان اتحد مع الشيخ حمود النكدي واستدعى الامير سلمان للنهوض معه فلم يجبه وكانت تجتمع اليه رجال من الشحار الى اعبيه . اما الامير فلما بلغه قدوم الامير محمود الى سبلين ارسل الى صيداء حفيديه الامير مسعود خليل والامير مجيد قاسم لياتيا بالعسكر المصري الى بتدين . ثم اردفهما بالامير امين ارسلان . ولما بلغ اهل دير القمر توجه الاميرين الى صيداء ارسلوا نحو مائة رجل لمعونة العسكر . اما رجال المتن فانحدروا من المريجات الى سهل البقاع وحدثت واقعة هائلة بينهم و بين عثمان باشا فقتل منهم ١٩ رجلا وانهزم الباقون الى المريجات منخذلين . وفي ذلك الوقت كتب بحري بك الحمصي الكاثوليكي الى البطرك يوسف حبيش يلتمس منه ان ينصح للثائرين موضحاً لهم عاقبة العصيان . فارسل البطرك اليهم المطران بطرس كرم الماروني والمطران اغابيوس الكاثوليكي ينصحان لهم . ولما بلغ الامير بشير احمد اللمعي ذلك كتب الى المطران بطرس شروط مطالب العسكر وهي رفع السخرة ورفع الحجز عن الصابون وابقاء السلاح وتخفيف الاعانة . فارسل المطران هذه الشروط الى بحري بك فاجابه مادحاً اياه وانه ارسل الشروط الى ابراهيم باشا وانه بعد عشرة ايام يحضر الجواب بالايجاب . اما عثمان باشا فدعا وجوه العامة اليه وسألهم ماذا يريدون ليفعله لراحتهم فاجابوه نريد قضا الشروط . وحينئذ قدم عباس باشا بالمراكب الى بيروت . اما ما كان من الامير محمود علي فانه نهض بالرجال الى جسر الاولي وزحف بهم على العسكر المصري وانتشب الحرب بين الفريقين نحو ساعتين ثم هجم اهل دير القمر على المتاريس واخذوا بعض اسلحة العسكر فاضطرب العسكر من شدة باسهم ومالوا الى الهرب واذا بالامير مسعود والامير مجيد قادمين بالفرسان من صيداء قاصدين ادخالهم في بهرة الوغى فلما ابصرهم اللبنانيون مسرعين لحاصروهم انهزموا الى مجدلون فقتل منهم ١٣ رجلاً من العسكر المصري جماعة . وبلغ الامير

من اهل غزير ونحن نذهب ونأتي بهم اليك فساروا الى الامير عبد الله واخبروه بما كان ·
فقصده الامير عبد الله باصحابه للقبض عليه · ولما رآهم الامير خنجر مقبلاين ظن انهم
الاهالي واذ دنوا منه احاطوا به فلم يمكنه الهرب · فامسكوه واخاه وستة اشخاص متاولة
كانوا معهما ورجعوا بهم الى غزير · فامر الامير عبد الله بوضعهم في السجن وذاع الخبر في
كسروان فانحدر من اهلها ومن الفتوح نحو مائة رجل الى غزير بقصد تخليص الامير خنجر ومن
معه · وارسلوا الى الامير عبد الله يطلبون اخراجهم من السجن فابى وحينئذ هجموا على باب السجن
وكسروه واخرجوا الاميرين واصحابهما واسترجعوا اسلحتهم جميعًا وسلموهم اياها وانحدروا بهم الى
جونية · فانضم اليهم جماعة واتى الامير خنجر بهم الى المكلس لتهييج المتنية · وفي ذلك الوقت
نهض عباس باشا وسليمان باشا بالعسكر من بيروت الى الحازمية ومعهما الامير مجيد ·
ثم ساروا الى حمانا ولما وصلوا تجاه المكلس اطلق الامير خنجر وجماعته الرصاص ·
فارسل اليهم سليمان باشا الارناووط الذين لما قابلوهم تفرقوا شذر مذر وفرّ الامير
خنجر الى جرد العاقورة · فنهب الارناووط ما نهبوا واحرقوا المكلس وقسماً من المنصورية
وبيت مري ودير القلعة ورجعوا الى المعسكر · وفي الغد نهض الوزيران بالعسكر
فنهبت الارناووط بعض بيوت في وادي شحرور وقتلوا خوري (قسيس) الكحالة · ولما
راهم الامير محمود فرّ من نهر بسوس فجدوا في طلبه ولم يدركوه · وكتب الى الامير
عباس كنج ان يتشفع فيه لدى الامير فاجابه · واما الامير يوسف فدرى به
احد الجنود وقبض عليه وهو فارّ من مخبأه وسار به الى بتدين · فوضعه الامير
في السجن · وارسل الامير عبد الله الامير فاعورًا الى بتدين بحسب طلب الامير
فوضعه الامير في السجن ايضًا · والتمس الامير عباس كنج من الامير الصفح عن
الامير محمود فامره ان يكتب اليه ان يحضر ويكون آمنًا · ولما ذهب الى بتدين امر
الامير بوضعه تحت الحفظ · ولما وصل ابو سمرا الى الضنية استقبله المشايخ بنو الرعد
وحالاً جمعوا رجالهم وقاموا على متسلم الدولة المصرية وقتلوه واستلموا مقاطعتهم ·
فبلغ والي طرابلس ذلك فارسل عسكرًا لمحاربتهم فالتقوه الى قرية بخعة وحاربوه
هناك · فانكسر العسكر المصري وتقهقر الى قرية مرياطا وقتل منهم جماعة · وفي اليوم
التالي رجع اليهم العسكر وحاربهم فتبددوا وقتل منهم ٣٠ رجلاً واسر عشرة · ثم توجه
ابو سمرا بالمتاولة الى وادي موسى فاجتمع اليه هناك ١٥٠ رجلاً فقصد متسلم عكار فقتله
وسلبه واخذ منه اربعة من خيله وحاصر جماعته في قرية الريحانية على شاطي البارد ·

ذلك فكتب الى عثمان باشا يخبره وارسل اليه رسولاً الى البقاع ملتمساً منه ان ينهض بالعسكر الى المتن . ثم نهض الامير مجيد الى بيروت بحراً ومعه الامير امين الارسلاني واميران من حاصبيا . واما الامير فارس والامير يوسف الشهابيان فنهضا بجماعتهما من الحازمية فالتقاهم الامير اسمعيل برجاله الى قرب الزيتون . فقصدوا قتال العسكر المصري عند الاشرفية . ولما وصلوا الى سن الفيل قصدت مقدمتهم الاشرفية . فالتقاهم الارناووط والنظام وهجموا عليهم فانهزموا قدام الارناوط وتبددوا مذعورين . فقتل من عسكر الحازمية ٧ رجال ومن عسكر الدكوانة خمسة ثم رجع العسكر عنهم فرجعوا مساءً الى منازلهم . وفي الغد توجه الامير مجيد بالارناووط وبعض الجنود الى نهر الاولي لمعونة العسكر على قتال اهل الدير . وتوجه الشيخ فرنسيس الخازن الى اهالي المتن ليشددهم . ولما وصل الامير مجيد بالعسكر الى القلعة ثار اهلها بوجوههم واطلق العسكر عليهم الرصاص فانهزموا . ونهب العسكر ما صادفه وسبي امرأتين وظل سائراً . فلحقهم الامير فاعور وقعدان هو وجماعته الى نهر الدامور فاستخلص الامرأتين وقتل منهم رجلين . وفي الغد لما بلغ اهل الدير وفود العساكر رجعوا الى بلدتهم طالبين الامان . فخاف الامير محمود علي وفر الى الحازمية . وبلغ العساكر المصرية انصرافهم فرجع الامير مسعود الى بتدين ورجع الامير مجيد بالفرسان الى بيروت . ولما وصل الى المعلقة ابتدأ يحرق وينهب ما صادفه . وحينئذ وصل الامير محمود الى عبيه واخبر ان العسكر قادمٌ في اثره . فاضطرب الناس واذا برعاة هاربين بمواشيهم عند دفون فلما ابصرهم الناس ظنوهم عسكراً وهربوا مع اهل عين كسور الى الغرب الاعلى . وقدم الامير محمود ثم الامير قعدان الشهابيان مساءً الى الحازمية . ثم الامير خنجر الحرفوش واخوه الامير سلمان واجمع رايهم مع الامير فارس والامير يوسف الشهابيين على الانصراف . وعند الصباح رحل الامير فاعور الى غزير ونزل فيها والامير محمود الى دير القلعة والامير يوسف الى حرش الجزيرة ليختبئا والامير فارس الى بتدين . والامير خنجر واخوه الى زوق مكائيل ليجمعا رجالاً . وتشتت الامراء الملعيون وسار الشنتيري الى بيته . وسار الشيخ فرنسيس الى كسروان واختبأ هناك . وبلغ عباس باشا تفرقهم فامر الامير ان يقبض على المذنبين حسب امر العزيز . اما الامير فاعور فنزل على الامير حسن يلتمس منه ان يتوسط في امره عند الامير فاجابه . واما الامير محمود فابى الرهبان قبوله عندهم فتوجه الى نهر بسوس . واما الامير فارس فلما وصل الى بتدين امر الامير بان يخرج من السرايا وكتب الى الامير عبد الله ان يرسل اليه الامير فاعور . اما الامير خنجر فلما وصل الى المعاملتين قال له البعض خذ معك بعضاً

ثم انهزموا فانهبها ابو سمرا وانطلق الى جرد عكار . وانصرفت جماعته عنه . ثم توجه الى مزيارة فاختبأ فيها . وفي اليوم الرابع حضر الامير مجيد قاسم الى جبة بشرة لجمع السلاح ولما دري به ارسل اليه ٥٠٠ رجل ليقبضوا عليه فلم يجدوه . اما الامير فارسل ولده الامير خليلاً الى كسروان . واما الامير مجيد فتوجه الى عمشيت . فلما شعر ابو سمرا بذلك ظهر من مخبأه . ثم ارسل الامير ولده الامير اميناً الى المتن . اما عثمان باشا فلما وصل الى مكسة ارسل العسكر النابلسي الى حمانا وسار بباقي عسكره الى بوارش فاحرقها وسار الى كفر سلوان . فلما اقبلت النابلسية على حمانا التقاهم اهلها باطلاق الرصاص فهجمت النابلسية عليهم فانهزموا . فنهب العسكر القرية وسمعت اصوات البارود فاخبروا الامير حيدر اسمعيل اللمعي ان الاهالي انتصرت على عثمان باشا واستنهضوه لمعونتهم فاجابهم ونهض بجماعته الى المروج . واذا بعثمان باشا قد دخل المتين وظفرت النابلسية بحمانا . فرجع الى وطنه خائفاً من تظاهره وانتساب توجه الامير اسمعيل ابن اخيه الى الحرش لرابه . اما عثمان باشا فلما وصل الى حمي كفر سلوان توجه اليه وجوه القرية مسلمين . ثم وصل الامير امين الى جرد المتن ونزل مع عثمان باشا في ينبوع بقليع نزيلاً على الامير امين مبرئاً ذاته من ثورة الاهالي . فامنه بقسم وكتب الى الامير والده يخبره بذلك . فامر الامير باحضاره الى بتدين فارسله الامير امين صحبة ابن اخيه الامير محمود فوضعه الامير في السجن وكتب الى ولده الامير امين ان يرسل الشنتيري اليه فارسله فامر بوضعه في السجن . ثم قبض جنود الامير على الامير علي قائدبيه والامير عبد الله مراد والامير منصور مراد والامير علي فارس واخذوهم الى بتدين فامر الامير باطلاق الامير منصور المذكور . ثم ارسل الامير حفيده الامير سعيد خليل الى الشويفات لجمع الاسلحة وارسل جنوداً من بتدين فقبضوا على الشيخ حمود وولده الشيخ قاسم والشيخ عباس نصيف النكديين واحضروهم الى بتدين فوضعهم الامير في السجن . اما الامير خليل فجمع الاسلحة من كسروان بقساوة فظيعة وغرمهم حتى اكره من لاسلاح له ان يشتري سلاحاً ويقدمه . واغلظ القول على من لم يكن من حزب والده . وقبض على الشيخ نقولا الخازن وارسله الى بتدين . اما الشيخ فرنسيس ففر من مخبأه الى قبرس . ثم تبعه الامير اسمعيل اللمعي والشيخ بشارة الخازن وولده حصن ورا فائل الخازن . ثم كتب الامير الى الامير سعيد ان يحضر من الشويفات وارسل عوضه الامير امين ارسلان لقصاص اهل الغرب الاسفل والساحل والقبض على

المذنبين فقبض على بعضهم وارسلهم الى بتدين . ثم ان الامير قبض على الامير فارس عساف قائد بيه فتوسط بطرس كرامة في امره عند الامير فامر باطلاقه . وامر عباس باشا بارسال الاسرى الى مصر. فارسلوا الى صيداء وبيروت ومن هناك ارسلوا الى عكاء ثم الى الاسكندرية بحراً في مركبين مقيدين ازواجاً وكان عددهم ٥٧ رجلاً . ٤٠ من الامراء الشهابيين و٤ من الامراء اللمعيين و٣ من المشايخ النكديين وواحد من المشايخ الخازنيين والباقي من العامة . ولما اقبل المركبان على ميناء الاسكندرية قدم الكومندور نبيير الانكليزي باربعة مراكب كبار انكليزية يصحبها مركب نار فامر والي الاسكندرية ان يسرعوا بادخال المركبين الى الميناء . فادخلوها وارسلوا الاسرى تلك الليلة الى مصر ووضعوهم في القلعة . واما المراكب المذكورة فظلت سائرة الى بيروت ولما اقبلت على الميناء ارتجت البلاد وظهر المختبئون فارسل الكومندور المذكور يخاطب محمود بك متسلم المدينة بالتسليم فابى قائلاً اني مرؤوس فاعرض الامر على مولاي ابرهيم باشا وانتظر امره وافعل كما يشاء . ثم كتب الكومندور كتاباً الى اللبنانيين يبشرهم انه قادم عمارة عثمانية . يصحبها عمارة انكليزية ونمساوية وروسية وبروسياوية لاستنقاذ سورية من ولاية الدولة المصرية . فلما بلغ الامير ذلك ارسل حفدته ليحجزوا الناس عن السلاح والوسائل فارسل الامير محموداً واخاه الامير سعداً الى قرية رومية واخاهما الامير مسعوداً الى غزير . وكتب الاوامر ووزعها على البلاد حسب امر ابرهيم باشا متهدداً بالقتل كل من خالط الافرنج او تكلم معهم . فلما وقع امره هذا بيد رجل انكليزي دفعه الى رئيس العمارة الانكليزية فارسله الرئيس الى دولته . واما الامير فارتاب من ان تنخذل الدولة المصرية فاودع بعض مثمناته في دير بزمار بكسروان وفي رشميا وعين تراز ودير المخلص عند صيداء . ثم انتقل الامير مسعود الى زوق مكائيل . اما الاسرى فامر العزيز بنفيهم الى بلاد سنار . وفي اليوم السادس من وصولهم الى مصر سيرهم في مركبين في النيل مقيدين كالاول وارسل معهم محافظاً ومعه جنود واصحبه بامر الى والي الخرطوم . وبينما كانوا في السفر رشا عقلاؤهم سراً ذلك المحافظ لكي يسلمهم امر العزيز لينظروا فحواه فسلمهم اياه وقد اضمروا انهم اذا وجدوا فيه ما يسوؤهم يقتلون اولئك الجنود ويذهبون في البرية نحو اليمن ففضوا ختم ذلك الامر وتلوه فاذا فيه ما يريحهم فاطمأنوا وظلوا سائرين الى بلاد سنار . اما اعوان الامير فاخذوا ينتقدون من الرعايا بجمع السلاح والخيل والمغارم . وبينما كانوا راكبين مطايا البغي

والظلم واذا بالعمارة العثمانية والافرنجية المنتظرة قادمة تجاه الدامور وكانت نحو اربعين مركباً كباراً وصغاراً وكان في المراكب العثمانية خمسة الاف وخمسمائة جندي . وفي الافرنجية نحو الفي جندي . فلما نظرها المضنوكون ايقنوا بالفرج وخرج المختبئون وهاج الكسروانيون على اعوان الامير مسعود المامورين بردع الناس عن اخذ السلاح ففروا هاربين فجدوا في اثرهم فسلبوا سلاح من ادركوه منهم . اما الامير محمود خليل فبقي في بيت مري . واما العمارة فلما اقبلت على ميناء بيروت خرجت سكان المدينة الى الجبال فابقى رئيس العمارة مركباً نمسوياً امنها عند مراكب الانكليز الخمسة المقدم ذكرها وسار بباقيها الى جونية . وعند المساء اطلقت المدافع على بيروت وغطى الدخان الساحل فانهدم بعض ابنية داخلها وخارجها . وفر سليمان باشا بعسكره الى الحازمية وقتل من عسكره جملة جنود وفر باقي سكان المدينة متشتتين . ولما اقبلت العمارة على جونية وخرجت منها الرجال فرّ الامير مسعود خليل من زوق مكائيل الى ريفون ينتظر ما سيكون . وفي الحال اخرجت امراء الافرنج وسليم باشا سر عسكر العمارة العثمانية جنودهم الى صحراء جونية وخيموا عند شير الباطية ومعهم الشيخ فرنسيس الخازن فقطعوا اشجار التوت وهدموا بيوتاً واعدين بدفع قيمتها لاصحابها وركبوا المدافع حول المعسكر واخرجوا الاسلحة والعلف من مراكبهم ووضع امير الانكليز مركبين تجاه نهر الكلب وهدم الطريق لمنع اجتياز العساكر المصرية وكتب السر عسكر كتاباً الى اللبنانيين يستدعيهم الى القيام ضد العساكر المصرية . وكتب الى سليمان باشا ان يسلم بيروت فلم يجبه . وفي الحال قدم الى جونية سكان قرى كسروان الساحلية مستأمنين للسر عسكر فاعطاهم سلاحاً . وحينئذٍ ذهب ريشارد ود الانكليزي الى غزير بخمسمائة جندي من العسكر العثماني يدعو الامير عبدالله حسناً الى خدمة الدولة العثمانية . فلما شعر الامير عبد الله بقدومه فرّ من وجهه واختبأ خوفاً . فرجع الى العسكر صباحاً وارسل مركباً مشحوناً سلاحاً الى جبيل والبترون . ولما وصل الى ميناء جبيل قدمت اليه الناس لاخذ السلاح فاطلق رئيسه المدافع على القلعة واخرج رجالاً منه الى البر فهجموا على القلعة ببسالة . فاطلقت الرجال الرصاص عليهم من القلعة فقتلوا منهم ثلاثة رجال فانكفوا راجعين . اما الامير مجيد ففر من عمشيت الى بركة اليمونة . واما الامير عبد الله فلما انسد في وجهه باب الهرب الى بتدين حضر الى جونية مسلماً للسر عسكر معتذراً عن النهوض للقتال ولبث في العسكر معتزلاً الاعمال وفي غضون ذلك كتب عزة باشا الى ابي سمرا كتاباً

يدعوه اليه في الحال لبى دعوته ونهض الى البترون بخمسة رجال فاجتمع اليه هناك نحو خمسمائة رجل فحضر بهم الى جبيل . و بلغ متسلم جبيل قدومه فالتقاه بنحو خمسمائة رجل وجاء صحبته الى جونيه . فاستقبل عزة باشا بالاعزاز واكرمه بالسلاح وسلمه اربعة الاف بندقية ليوزعها على الرجال . وارسله الى بلاد جبيل والبترون وجبة بشرة . فتوجه وجمع اربعة الاف رجل من تلك البلدان وسار بهم الى اليمونة لمحاربة الامير مجيد . ولما بلغ الامير مجيداً قدومه فرَّ بمن معه الى عيناتا حيث العسكر المصري فتوجه ابو سمرا بالعسكر ونزل في قمة الجبل المسمى سطح المتين تجاههم . وفي اليوم العاشر قصدهم ابو سمرا بعسكره والتحم بينهم القتال فقتل من العسكر المصري ثمانية رجال . وفي اليوم الثالث دهم العسكر المصري ابا سمرا في منزله وقتل من عسكره ٦٠ رجلاً فانهزم الى جبة بشرة . فجمع رجالاً منها ورجع الى عيناتا واضرم نار الوغى فانهزم العسكر المصري وقتل منه ٧٠ رجلاً ومن جماعة ابي سمرا عشرة وحينئذ رجع ابو سمرا الى الجبة . اما السنيور ود فتوجه الى الدامور وصيداء ووزع الاسلحة وفتح صيداء واستولى على العسكر المصري الذي كان فيها ورجع بهم الى جونية . وكتب امير عمارة الانكليز الى قبطانه في ميناء بيروت ان يطلق عليها المدافع ارهاباً ليخرج العسكر المصري منها ولا تخرب المدينة . حينئذ قدم ابرهيم باشا الى بعلبك واستدعى اليه شريف باشا و بحري بك والامير وسالهم الراي الاصوب فاجابه الامير قائلاً انه عندي ان نرجع السلاح للنصارى والدروز ونرد لهم مال الاعانة فوافقه على ذلك شريف باشا و بحري بك وخالفهم ابرهيم باشا بقوله الراي عندي اخراب السواحل لمنع الناس عن الافرنج ورجع كل الى مكانه . ثم توجه كومندور الانكليز الى ديار مصر وطلب من العزيز الاسرى اللبنانيين فكتب العزيز امراً برجوعهم فجد الكومندور بطلبهم فلم يدركهم فرجع . اما ابرهيم باشا فارسل الى وطاء الجوز عثمان باشا بثمانية الاف مقاتل منظم وارناووط ومعهم الامير خليل و بعض مشايخ الدروز والخوازنة واتى الى الحازمية وعند المساء ذهب الى خارج بيروت لتدبير وقاية عسكره وعند وصوله اطلقت مدافع المراكب فرجع الى الحازمية ثم الى المتن . واستدعى اليه الامير مسعوداً من ديفون لثقته بيسالته ووجهه الى ديك المحدي محافظاً . ومعه الشيخ حسين تلحوق ثم كتب السر عسكر الى الامير يخاطبه بالتسليم وارسل له فرماناً مع سفير يقول له ان سلمت للدولة قبل مرور ثمانية ايام طائعاً تبق والياً كما كنت بل تكون الولاية لك ولذريتك من بعدك والا فلا قبول لك . فاجاب الامير معتذراً بوجود اولاده

وحفدته بين عساكر ابراهيم باشا وكان مغتراً باخبار الفرنساوية ان مراكبهم قادمة لاسعاف العزيز . اما السرعسكر فاعطى الكسروانيين والفتوحيين سلاحاً و باروداً ورصاصاً وامرهم ان يصعدوا لقتال عثمان باشا. فتوجهوا وكانوا الف رجل وقاموا بين الصخور غربي العسكر المصري واطلقوا عليه الرصاص خمسة عشر يوماً . ثم التمسوا من العسكر نجدة فابى وارسل نحو خمسمائة رجل من العسكر المنتظم يحافظون على غزير فنزلوا خارجها . وكان العسكر المصري يهجم عليهم مبتعداً عن الصخور فقتل منه جماعة ومن اللبنانيين ثلاثة اشخاص . فسر السرعسكر ببسالتهم وثباتهم في موقف الحرب . فكتب لهم كتاباً مضمونه الاقرار بشدة بأسهم وجهادهم وانه انعم عليهم بترك مال كسروان على ثلاث سنين . حينئذٍ قدم المشايخ الخوازنة الذين هربوا الى قبرس . واما ابراهيم باشا فلما بلغه تصلب الكسروانيين تجاه عثمان باشا انطلق من المتن لمعونته . وفي الغد اضرم نار الوغى على اللبنانيين وهجم عليهم فانهزموا وجدت العساكر بطلبهم في الفتوح وكسروان ففرت سكان القرى العليا الى السواحل وارتجت البلاد وتهيأت العساكر العثمانية للهرب بحراً فنهب ابراهيم باشا تلك القرى وقتل واحرق ثم رجع بالعسكر الى وطاء الجوز . وفي تلك المدة قدم عزة باشا والياً على جميع الايالات التي بيد عزيز مصر في سورية . وكانت المشايخ الحمادية تأخذ سلاحاً من جونية فكان بعضهم يسير الى العساكر المصرية لانجادها وبعضهم يمكث في وطنه . وفي غضون ذلك ارسل السرعسكر الى بيت شباب عمر بك النمساوي العثماني ومعه الامير خنجر الحرفوش ولبنانيون فوزع على اهلها اسلحة فالتقاه الامير مسعود الى عيون العلق وحار به فرجع الى جونية . ونهض الامير مسعود الى ينبوع بقليع ليخبر ابرهيم باشا فحضر الوزير حالاً الى بحرصاف . ثم نهض الى بكفيا ومعه الامير مسعود لاخذ السلاح الذي وزعه عمر بك على اهلها . ولما اقبل العسكر على القرية اطلق اهلها الرصاص خوفاً وفروا هاربين . فدخلها العسكر ونهب وقتل وسبى واحرق وابقى في بحرصاف الامير مسعوداً محافظاً واتى الى بتدين . ثم لما مضت الايام الثمانية على الامير ولم يسلم للدولة كتب السرعسكر الى الامير ملحم يدعوه اليه الى جونية . فلباه ونهض من قريته الرجمة في الجرد ومعه اخوه الامير عبد الله وابن اخيه الامير عباس كنج والامير اسعد حمود والامير اسمعيل العلي . حينئذٍ استدعى الامير اليه الى بتدين الامير سلمان والامير ملحم فتوجها . اما الامير بشير ملحم فلما وصل الى جونية سر به السرعسكر واستبشر بالظفر

وانزله احسن منزل . اما امراء عبيه فتوجه منهم الى الدامور الامير اسعد قعدان واخوه الامير يوسف وولده الامير ملحم ومعهم جماعة . فاعطى القبطان اسلحة الامراء وسيرهم معه الى جونية . فاستقبلهم السر عسكر بالترحاب وانعم عليهم بسيوف ثمينة وامرهم بالرجوع الى اوطانهم لتشديد الرعايا ضد ابرهيم باشا واعطاهم امرًا باخذ سلاح ليوزعوه على اهل الشحار . ثم ارسل السر عسكر بحرًا الامير عبد الله قاسماً الى المراكب الراسية تجاه بيروت بطلب اسلحة ولوازمها الى الامير بشير ملحم ومن معه . فاخذ الاسلحة وعاد الى جونية بحرًا ثم ارسل السر عسكر ابا سمرا ليجمع رجال الجبة و بلاد جبيل والبترون ويحارب العسكر المصري المجتمع في عيناتا فجمعهم وحدثت وقعة عظيمة هناك . وفي اليوم الثالث من وصول الامير بشير الى جونية امره السر عسكر ان يتوجه لمحاربة عثمان باشا واصحبه بالف جندي من الجنود العثمانية ومدفعين فنهض الامير المذكور بالامراء والعسكر واللبنانيين المجتمعين هناك الى مقابل وطاء الجوز حيث اجتمع الكسروانيون . وعند انتصاف الليل وفد امر من ابرهيم باشا الى عثمان باشا ان ينهض بالعسكر حالاً الى البقاع فقدم من عسكره قائد ومعه عسكري مسلم واخبر الامير عن ذلك الامر . وان عثمان باشا نبه على العسكر ان ينهض معه فجرًا . ولما هجم الصباح اضاءت مصابيح العسكر وانطلق الوزير به فهجم عليه اللبنانيون والعثمانيون وجدوا في اثره واطلقوا الرصاص على المتاخرين فقتلوا ونهبوا وامروا جماعة منه طوعاً وجبرًا . ولم يزالوا يطردونه حتى بلغ ثغرة البندق فبات كل في مكانه وكانت مدة حرب الكسروانيين في وطاء الجوز عشرين يوماً و بلغ ود الانكليزي المدبر ذلك الانتصار فسر به واشار الى الوزير بان يسلمه فرمان ولاية الامير بشير ملحم على جبل لبنان ليتلوه على الامير واحزابه فسلمه اياه فصعد حالاً الى ميروبا وتلاه على الحاضرين ثم عاد الى جونية . وفي اثناء ذلك انهزم متسلم بيروت بالعسكر فتسلم عسكر الانكليز المدينة . اما عثمان باشا فانطلق في الغد بعسكره الى المعلقة ورجع اللبنانيون عن طرده فرحين . فلما بلغ ابرهيم باشا ما كان طلب من الامير ان يوجه معه احد اولاده الى المتن فاعتذروا لحنق منهم ونهض بعسكره من بتدين الى بقليع . و بلغ السر عسكر ذلك فارسل لمحاربته عمر بك النمساوي بعسكر نظامي ولبناني في بحر صاف وارسل الشيخ فرنسيس الخازن بعسكر لبناني الى بحر صاف . وفي الغد قدم السر عسكر بمن بقي معه وسير امامهم ثلثة مدافع فالتقاهم ابرهيم باشا الى درجة بحر صاف وانتشب بينهم القتال فانكسر ابرهيم باشا بعسكره ففر العسكر قدامهم حتى بلغ قرنايل وقتل من الفريقين عدة قتلى . اما الامير فلما

بلغه خبر الحرب نهض بمن معه من الشوير فلما وصل الى ارض مرحاتا و بلغه ذلك الانتصار ابقى جماعته هناك وظل سائرًا لمقابلة السر عسكر كي يهنئه · واما ابرهيم باشا فانهزم وحده مارًا في صليما يطلب الماء فلما ورده انفرد الى قرنائيل فحضر اليه الامير مسعود فامره ان يكتب الى جده الاَّ يبالي بما حدث · ثم تجمع اليه عسكره وفي الغد كتب الى سليمان باشا ان ينهض حالاً بعسكره من الحازمية الى البقاع واما هو فنهض قاصدًا بتدين · ولما بلغ سليمان باشا امر ذلك الكتاب نهض حالاً ليلاً وترك خيامه ومؤونة العسكر والعلف وامتعة كثيرة والمهمات العسكرية ومرضى عسكره · ومرى بمن نهض معه فبلغ اهل الساحل قيامه فتوجهوا الى الحازمية للغنائم فنهبوا ماوجدوه وقد لحق مجاورو طريق دمشق اواخر عسكره فسلبوه · فلما بلغ الامير هذا الانهزام كتب الى حفدته المحافظين في قرى المتن وكسروان ان يحضروا حالاً الى بتدين · وكتب الى حفيديه الامير مسعود والامير مجيد ان يخرجا من بين عساكر الوزير سرًا ويحضرا اليه مسرعين · فحضر اليه الامير سعد · واما ابرهيم باشا فبات بعسكره عند جوزات قطايج ومعه الامير مسعود · وفي الغد نهض به الى بتدين · وبينما كان في الطريق وصل كتاب الامير الى حفيده الامير مسعود فتأخر عن العسكر وفرَّ هاربًا نحو الشوف قاصدًا صيداء · واما الامير فلما تحقق انكسار العساكر المصرية في كل مكان عزم على التسليم الى الدولة العثمانية في صيداء فاظهر لبحري بك انه متوجه الى الشوف لجمع الرجال واخذ يتهيأ للذهاب · وصرف الامير سلمان والامير ملحماً الى داريهما · وحينئذٍ سار بحري بك قاصدًا ابرهيم باشا فالتقى به عند عين زحلتا اتيًا بعسكره الى بتدين فاخبره عن قيام الامير فرجع الوزير بالعسكر وامر بنهب تلك القرية لسماعه اصوات البارود فيها فنهبها العسكر وسبى بعض نسائها · وفي تشرين الاول (اوكتوبر) نهض الامير من بتدين باولاده الثلاثة وزوجته وحفيده الامير سعد وبمدبره وبعض المناصب ومعه ماله واكثر نفائسه · قيل كانت خزينته ١٨ الف كيس من النقود الذهبية القديمة · وعند ذلك تسابق اهل دير القمر وبعقلين على نهب ماتركه الامير في السرايا من اسلحة ومآكل وامتعة رغمًا عن الوكلاء الذين اقامهم الامير قبل قيامه · اما الامير فبات عند نهر الاولي وارسل يخبر خالد باشا متسلم صيداء انه قادم اليه طالبًا الامان · وعند الصباح نصبت له الخيام فقدمت اليه حفدته الا الامير مجيد فبقي في بلاد بعلبك بين العساكر المصرية واخوه الامير ملحم بقي في بتدين وفي اليوم الثالث دخل الامير المدينة فاصطفت له العساكر بالموسيقى فتلقاه

خالد باشا بالاكرام وامره ان يتوجه بحراً الى بيروت فتوجه هو وولده الامير امين وحفيده الامير محمود وبعض المناصب والخدم لمواجهة عزة باشا السر عسكر ولما بلغ فرضة بيروت ارسل له السرعسكر ان يختار بلاداً لاقامته ما عدا بلاد فرنسا وسوريا ومصر فاختار جزيرة مالطة فاذن له· فارسل حفيده الامير محمود ايسأل الوزير امراً يمنع التعدي عما يتعلق به و بذويه كافة فاعطي له· وارجعوه بولده وحفيده الى صيداء· ولما بلغها استدعى الى مركبه ولده الامير خليلاً وحفيده الامير داود وابقاهما فيه وخرج الى المدينة بمن معه ليتاهب للسفر· وفي اليوم الخامس عاد الى المركب مصحباً معه زوجته واولاده وزوجة ولده الامير قاسم وحفدته الخمسة اولاد الامير خليل وحفيده الامير رشيد قاسم ومدبره بطرس كرامة ونحو ٧٠ رجلاً من خدمه وخزينته ونفائسه· وفي الحال اقلع به المركب الى مالطة· اما الامير مجيد فنفر من بلاد بعلبك من بين العساكر المصرية قاصداً صيداء فوقع بيد عسكر كفر سلوان فارسلوه الى بيروت وطيب الوزير قلبه والحقه بوالده الى مالطة· اما الامير بشير فوصل بعد ستة ايام من سفره الى مالطة· وخرج بمن معه الى المحجر الصحي المسمى بقلعة عمانوئيل· وبعد اقامته ٢١ يوماً فيها انزله الوالي في سرايا تبعد ثلاثة اميال عن المدينة وامر باكرامه ومن معه واخذت الاعيان تقدم اليه للسلام· وبقي في مالطة نحو احد عشر شهراً (لذلك لقب بالامير بشير المالطي)

وفي السنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م أرسل السلطان عبد المجيد العثماني فرماناً الى الامير بشير عمر سمح له بالاقامة في مملكته اينما اراد ماعدا سوريا وارسل اليه الصدر الاعظم مرسوماً سامياً لطيفاً يتضمن الاطمئنان والمواعيد· فاطمأن الامير وعزم على التوجه الى اسلامبول· وفي غضون ذلك قدم رجل رومي من مصر الى مالطة ومعه كتاب من العزيز الى الامير مضمونه انك ولئن تركتني وخالفت وعدك معي فانا باقٍ على محبتك لتاكدي بان ذهابك لمالطة صار بسبب خدمتك اياي فكن مطمئناً فاني ان شاء الله تعالى اجعل صالحك كصالحي شفقةً على شيخوختك· وفي ذلك الحين ارسل الامير مدبره بطرس كرامة الى اسلامبول· ولما بلغها وعلم ما ظهر وما بطن كتب اليه ملغزاً ان الصندوق في اسلامبول ومفتاحه في اندره· وحسن له وجوب الانتقال الى اسلامبول ليجعلها دار اقامته· فقام الامير بشير بمن معه من مالطة وسافر قاصداً اسلامبول· و بعد ستة ايام وصلها فامر له

بدار للسكن وانزل حريمه في دار الياس حوا الحلبي الماروني · وفي اليوم الثالث دعاه راؤوف باشا الصدر الاعظم ورفعت باشا وزير الخارجية الى الباب العالي وارسل له الصدر الاعظم خيولاً مزينة لركوبه مع اولاده · حينئذ سأل ارباب الديوان الصدر هل يجوز ان نقوم للامير عندالسلام عليه حين دخوله اجابهم لا · فركب الامير واولاده تلك الخيول ولما دخلوا الديوان قام الصدر الاعظم للامير اجلالاً لهاولاً فنهض جميع المتوظفين والعلماء · فحياه الصدر الاعظم واجلسه مجلس العظماء فتهيبه الجميع متعجبين مما كان ثم استاذنه الامير بالذهاب فاذن له وامره ان يرسل حفدته اليه · وانصرف يسلم على مشير الخارجية فقال بعض اكابر الديوان للصدر الاعظم سائلاً لماذا نهضتم للامير بعد امركم بعدم القيام له · فاجابه ان في هذا الرجل قوة انهضتني ضد ارادتي ولم ارَ في حياتي هيبةً في رجل مثل هذا فان كل ما قيل عنه في ذلك فهو صدق · ودخل الامير على وزير الخارجية فترحب به واكرمه وعاد الى منزله مسروراً · ثم امر الصدر الاعظم بدار للامير في قرية ارناوط كوي الكائنة على خليج المدينة تبعد عنها ثلاثة اميال فانتقل اليها بمن معه جميعاً وتقدمت لزيارته بعض اكابر الدولة والعلماء والمشايخ والسفراء وردّ زيارتهم وكان موقراً من الجميع وبقي في اسلامبول وبورصا ونواحيهما نحو عشر سنوات وتوفي فيها وهو ابن ٩٠ سنة وذلك سنة ١٢٦٧هـ = ١٨٥١م ورثاه شاعره ومدبره بطرس كرامة برثاة موجودة في ديوانه وكتب على قبره هذا التاريخ

قد كان صاحب هذا اللحد ذا شرفٍ ... مدى الزمان رفيع غير منخفض

لاقى المنية في التسعين متشحاً ... برّ الفضائل في عمدٍ وفي عرض

اولت ولايته لبنان طيب ثنا ... وشاد بالعدل فيه كل منقض

فهو الامير الشهابي البشير ومن ... غير العلى لم يكن يرتاد من غرض

قضى فاظلمت الدنيا مورخةً ... اما البشير شهابٌ بالجنان يضي

وكان من نوابغ عصره في امور كثيرة مهوباً جليلاً كما يتبين من القصة المذكورة انفا حازماً عاقلاً له ادراك ونباهة غريبة · فانه كان يعرف حوادث كثيرة بدون مساعدة احد خواصه من اكتشاف قاتل او سارق او غيره حتى انه كان عارفاً رجال لبنان وطباعهم وصفاتهم فرداً فرداً · وكان الامن في ايامه يضرب به المثل وكان من افراد الزمان في الشجاعة سعيداً في حروبه وقلما غلب · وبعد وفاته استماحت ارملته الرجوع الى جبل لبنان مع اولادها فسمح لها ورجعت · ومن حفدته الذين بقوا

احياء و يعرفهم اكثر سكان لبنان الامير سعد الذي كان قائمقام في جزين في اخر حياته وله عدة اولاد نجباء منهم الامير خليل الذي صار مديراً لدير القمر مدة من الزمان فسبحان الحي الدائم الذي لا يزول

وكان الفراغ من تبييضه في ١٥ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠١ في المدرسة الانكليزية بمصر القاهرة بظل ظليل ولي نعمتنا بلا امتنان . سلطاننا المعظم السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد خان . نصره العزيز الرحمن . وايد ملكه مدى الدوران . ورعاية سمو خديوينا المفخم عباس حلمي باشا الثاني لا زالت ايام حكومتها زاهية زاهرة . ولواء المعارف والعلوم ناشرة . ما كرّ الجديدان وتعاقب الملوان . وغنى القمريُّ على الافنان . وفي الختام اشكر جميع الفضلاء والادباء والعلماء الذين شجعوني على طبع هذا الكتاب وجميع المشتركين الذين ساعدوني ماديًا بتأدية قيمة الاشتراك سلفًا واعتذر لهم عن تأخيري لضخامة الكتاب الذي اشغل المطبعة فوق المنتظر ولا شك انهم متى رأوا الكتاب يعذروني . ويرى القاري في الكتاب تدقيقًا زائدًا وزيادات جمة واجتهاداً كثيراً في ضبط الاخبار واصلاح اللغة . وهنا اقدم الشكر لحضرة الاديب الفاضل نقولا افندي يعقوب غبريل الذي طالع مسودات الكتاب كلها بعد مطالعتي اياها ونقح لغتها واصلح الغلطات المطبعية فيها ما عدا الملزمة الاولى ولا ادعي لكتابي العصمة لانه لا يخلو من هفوات كثيرة لغوية ومطبعية . واقدم شكري الجزيل للاديب الفاضل امين افندي فهد الذي ساعدني في استحصال نسخة الجزء الاول الخطية التي كنت يئست من الحصول عليها . وابشر القراء ومحبي التاريخ بانني جهزت المواد اللازمة لطبع كتاب اخر تتمة لهذا يبتدي من رحيل الامير بشير وينتهي بوقتنا الحاضر . فاذا صادف كتابي منهم قبولاً ونال حظوة في اعينهم تشجعت على طبع ذاك وسيكون ان شاء الله اكبر من هذا الكتاب حجمًا واسأل الله ان يجعل خدمتي هذه وتلك نافعة راجيًا التغاضي عن الهفوات فان العصمة والكمال لله وحده

تمَّ

تنبيه . ان تاريخ الاسرة الخديوية سيذكر بالتفصيل في الكتاب الآتي

Ahmad Sàeed Rizq